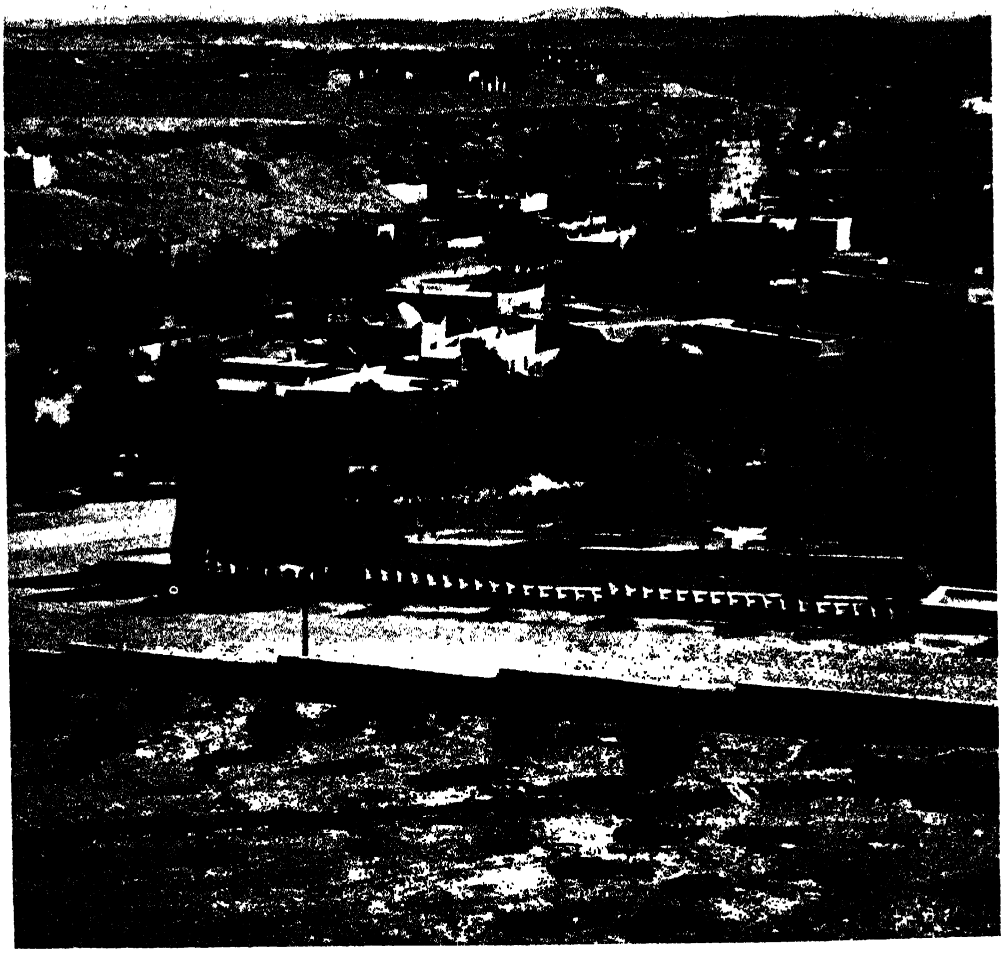
دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر



عدد خاص : في سبيل نهضة فكرية وثقافية بالمغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا العدد ...

— منذ شهرين تقريبا كانت المجلة قد سلخت من عمرها اربع سنوات، واليوم تفتتح عامها الخامس بهذا العدد الخاص الذي وعدت به القراء ، وهي تأمل ان تحقق من ورائه مكاسب كثيرة لمستقبل الثقافة وقضية الفكر في هذا البلد العزيز .

— لقد عقدت المجلة العزم على ان تصدر كل سنة عددا خاصا تتناول فيه بالبحث والتحليل بعض المواضيع الادبية والفكرية التي تمس ضمير الشعب المغربي آخذة بعين الاعتبار ظروف الحياة الجديدة وما تكمن فيها من رغبة في النهوض ، ونزوع الى التجديد ، وتجاوب حي مع سائر التجارب الانسانية .

— ولقد آثرنا ان نبدأ هذه السلسلة من اعدادنا الخاصة بتناول ظاهره ملحوظة في حياتنا العامة هي ظاهرة الركود الفكري ، وتبين الاسباب والدواعي التي ساهمت في خلقها مع رسم الطريق السوي وارساء القواعد الاساسية لنهضة فكرية اصيلة ومتطورة .

— ولهذا الغرض قامت المجلة بطرح المشكلة على كتابها مشيرة الى بعض الجوانب التي رأتها جديرة بالعناية والبحث تاركة للكتاب حرية الاختيار واضافة ما يرونه مناسبا في الموضوع . والعدد الذي نقدمه اليوم الى قرائنا الكرام هو جملة الآراء والابحاث التي تلقتها المجلة في هذا الشأن .

— على اننا لا نود ان نطوي البحث في هذه المشكلة التي لا ينكر احد اهميتها بتخصيص عدد واحد لها من المجلة ، ولا بالاقتصار على ما تفضل به كتاب هذا العدد من ابحاث ودراسات ، بل نحن نرمي من وراء هذا العدد الى اثارة اهتمام اكبر عدد ممكن من جمهرة القراء والمثقفين بالمشكلة ، ونتمنى ان تكون الاعداد التالية خلال هذه السنة حافلة بالردود والتعليقات والآراء الجديدة التي يمكن ان يوافينا بها القراء ، ففي اعتقادنا أن عناصر الحل لاية مشكلة تكمن في كثرة ما يدور حولها من ابحاث ودراسات وما تحظى به من اهتمام ، فالى اعدادنا المقبلة والسلام .

دعوة الحق

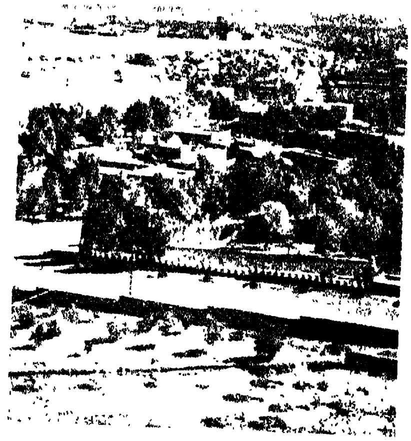
مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد الأول
السنة الخامسة
ربيع الثاني 1381
اكتوبر 1961

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



ورزازات :

احدى قرى الصحراء المغربية الجميلة

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادى عن سنة 10 دراهم ، والشرفى 20 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - **الرباط**
تليفون 308.10 - الرباط

ولا منقرض بل هو قائم حاضر وهو المملكة السعودية. كيف نشأت هذه الدولة في قلب الامبراطورية العثمانية وناهيك بما كان للامبراطورية العثمانية من الحول والطول وقد تصدت بجميع قواها الحربية والدعائية لتحطيم الحركة الدينية الاصلاحية التطهيرية التي اشرق نورها من قلب جزيرة العرب بجوار الحرمين الشريفين اللذين هما شريان الخلافة العثمانية ، لان اجل القاب السلطان العثماني (خادم الحرمين) وزوال هذا اللقب ينذر بزوال الخلافة ثم بزوال الامبراطورية وهو نتيجة محتومة لزوال الخلافة . ولذلك جمع الخليفة العثماني كل قواه ، وعبأ جيشه العظيم تحت قيادة محمد علي باشا وابنه ابراهيم باشا وزحفوا على الامارة السعودية بعد ما شنوا عليها حملات اقلام مضللة . وتمكنوا من قتل رئيس الدولة السعودية ورئيس الامور الدينية بعد ما اسروهما وخربوا مدينة الدرعية التي كانت عاصمة للامارة السعودية ، وظنوا انهم قد قضوا على الحركة الاصلاحية الدينية والنهضة العربية التحريرية . فخاب ظنهم ورجعت الحركة السعودية الدينية والسياسية أقوى مما كانت عليه . ولم تزل في تقدم واتساع حتى صارت اعظم مملكة في جزيرة العرب وما يليها الى حدود الشام والعراق . والمراد بجزيرة العرب في حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ... اخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب ... هو الحجاز ونجد . وهو الذي عنيت بقولي السابق .

وهناك شاهد ثالث من نوع آخر على ان الاسلام قوة عظيمة معنوية ومادية لمن تمسك به باخلاص . وهو ان جميع دول اوربا بملوكها وجيوشها غزت البلاد المقدسة فلسطين واوقدت فيها نار حرب بينها وبين المجاهدين من المسلمين دامت مائتي سنة وختمت بهزيمة تامة لدول اوربا . ومن قابل ذلك بحال فلسطين في هذا الزمان لا يجد مندوحة من الاعتراف بان الاسلام الصحيح قوة لا تقهر ، وان كل شعب سعد اسلافه وارتفعوا بالاسلام لن يسعد ولن يرتفع الا بما ارتفع به اسلافه . ومن ظن خلاف هذا فهو مخدوع يخبط خبط عشواء في ليلة حالكة ظلماء ومضمون له الخيبة والخسران .

وانما قيدت الدين بكونه صحيحا في اول المقال احترازا من الدين المبدل الذي لايقوم على القرآن بدون تنطع بل كما فهمه العرب في القرن الاول وسيرة الرسول والخلفاء الاربعة . واما الدين المبدل في العقائد والاخلاق والاحكام فلن ياتي بتلك الثمرة ابدا . بل قد يبلغ به التبديل والتغيير الى ان يصير شرا وضرا محضا وياتي بعكس المطلوب . وبذلك يفسر نجاح الاستعمار وفشل الحركات الدينية التي تصدت لمقاومته . وانما الدين الاسلامي دواء وصفة طبيب نطاسي بارع في معرفة العلل النفسية للامم والشعوب. فمن خالف وصفة الطبيب في التركيب او الاستعمال فمن تلك المخالفة اتى لا من الدواء فهو صالح كما قدمنا شواهده لكل زمان ومكان الى ان ينتهي اجل هذا النظام الشمسي الذي نعيش فيه . وفي كلام برنارد شو الانكليزي ودينى الفرنسي وكارلايل وتولستوي وغيرهم من فلاسفة الغرب الاوروبي وحكمائه اعتراف صريح بما ذكرته . وبعد هذا التمهيد والبحث المفيد نخرج بالنتيجة التالية وهي .. ان الركن الاول من ثقافة العرب الذين نحن جزء منهم وثقافة المسلمين الذين يؤلفون الامة التي ننتمي اليها هو تعليم الدين تعليما عمليا عقديا اخلاقيا جديا من روضة الاطفال الى آخر سنة في الجامعة . وكل ثقافة تحل هذا الركن الاساسي او تقرره تقريرا لفظيا فارغا من معناه ومن العقيدة والعمل والخلق والجد والمعلمين الاكفاء فنتيجتها صفر على اليسار .

ومن زعم ان الدول الاوربية السعيدة القوية التي مضت على سعادتها وقوتها وتعاونها وثباتها في وثباتها ونجاحها في جهادها في حربها وسلمها مآت السنين قد هجرت الدين وكان ذلك سبب نجاحها فهو لا يخلو من ان يكون جاهلا مقلدا امعة قد استهواه الاستعمار الروحي وافسد فطرته وتفكيره ، او عالما بالحقيقة لكنه منافق مخادع يظهر خلاف ما يعتقد جبنا وخوفا من فوات رغبة شخصية او طمعا في رغبة جديدة تصل اليها نفسه الامارة .

على ان دينهم ليس فيه من الحياة والقوة والمطابقة للعقل والكفالة بسعادة الروح والبدن مثل ما في ديننا .

(لغة القرآن)

واذا تقرر ان الركن الاساسي من اركان الثقافة التي نحتاج اليها هو معرفة الدين الصحيح والعمل به والتقيد باحكامه والدعوة اليه فمفتاح هذه الثقافة هي لغة القرآن والسنة ، فبدونها لا يمكن ان نعرف هذا الكنز العظيم الذي خلفه اسلافنا من العلوم والاداب

القرآن والثقافة العربية

دكتور تقي الدين الهلالي

هذا موضوع مهم جدا وواسع يحتاج بيانه بالتفصيل الى تأليف كتاب مستقل ، ولكن نجمل الكلام فيه اجمالا حسبما يسمح به المقام ، فنقول ...
ان كل شعب يريد ان يعيش سعيدا يحتاج الى امور ، ... اولها القوة الروحية وهي تتوقف على الدين الصحيح الذي يملأ قلوب ابناء الشعب ايمانا وحماسه ويؤلف بينهم ويكون العروة الوثقى التي لا تنفصم . ومن اراد ان يرى بعينه شاهدا على ذلك فلينظر الى العرب قبل الاسلام وبعده . اما حالهم قبل الاسلام فكل من له ادنى المام بالتاريخ يعرفها حق المعرفة. ومن لم يكن له المام بالتاريخ ففي القرآن الذى هو كتاب متواتر . لا يشك فى تواتره احد لا موافق ولا مخالف. فنرى فيه ان العرب كانوا يقتلون اولادهم بسبب الفقر وكانوا يئدون بناتهم لاسباب سخيفه وكانوا لا يورثون الاناث ولا الصبيان ، لانهم كانوا يحصرون امتلاك الاموال فى من يحمل السلاح ويقاتل ، لان العاجز عن ذلك كالنساء والصبيان لا يستطيع ان يدافع عن المال ويصد عنه غارات المغيرين المتوالية . اذ كان يجب على كل من يملك شيئا ان يقاتل عنه . ضروره انه لم يكن لهم قانون ولا دولة ولا نظام ولا وازع ديني يكفهم عن سلب الاموال والارواح . بل كانوا يرثون النساء زيادة على عدم توريثهن . كما قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها .) وكانوا يعضلون النساء ويمنعونهن من الزواج لاغراض خسيسة فنهاهم الله عن ذلك فى مواضع من كتابه .
وانما ذكرنا بعض اخلاقهم قبل الاسلام ليعلم من لا يعلم فضل الاسلام الصحيح عليهم وعلى كل من دان به من غيرهم . واما حالهم بعد الاسلام فهي اوضح واظهر من شمس الضحى يوم الصحو . فما الذي غير حالهم من الشتت الى الاجتماع . ومن التخاذل الى التعاون ، ومن الجهل الى الحلم . ومن الذل الى العز . ومن الفقر الى الغنى ، ومن الخوف الى الامن ومن الضعة الى الرفعة والسيادة ، ومن الضعف الى القوة . ومن الخمول الى الظهور ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن تلك البقعة القاحلة الجرداء ، الى الاراضي المخصبة ، والجنات المثمرة ، والانهار المطردة، والازهار الجميلة ، ومن البيوت الحقيرة ، الى القصور الشامخة فى آسيا واروبة وافريقية . وكيف صارت الدول التي كانت قبل اسلامهم هي الصالحة للبقاء لا تصلح الا للفناء ؟ الجواب ان علماء التاريخ وعلماء العمران وعلماء تطور الامم قد اتفقوا على امر وهو ان العرب بعد اسلامهم صاروا اقوياء اغنياء سعداء متمدنين ذوي دولة ونظام . ثم اختلفوا فالعقلاء المؤمنون بالله قالوا ان السبب المباشر فى ارتفاعهم من حضيض الهمجية الى سماء المدنية الفضلى هو الدين . واما الذين لا يؤمنون بالله وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون فقد اعتقدوا ان القرآن ودعوة محمد صلى الله عليه وسلم نفخ فيهم روح الحياة وهذه الروح جعلتهم يتعلمون العلوم من الامم المغلوبة التى اندثرت مدنيتها وقد نسي هؤلاء او تناسوا القاعدة العظيمة وهى ان فاقد الشيء لا يعطيه .

وهذا القرآن وهذه الدعوة المحمدية ليسا من الاشياء التى كانت فبانت ، كما يتوهمه الجاهلون ، وليسا من الفصائل الحيوانية والنباتية التي انقرضت وحلت محلها فصائل اخرى ولن نعود الى الوجود ابدا كما يريد الاستعمار القديم والجديد (رحم الله الملك الراحل محمد الخامس الذى انشأ هذه العبارة) او يعلمنا . بل هما قوة باقية خالدة لا تزول ولا تحول . ولك ان تطلب الدليل البارز المشاهد وعلى ان ادلي . فاقول ... كيف نشأت الدولة العثمانية ، ومن اين استمدت قوتها امن هولاك وتيمور لنك وجنكيز خان . لا والله فان هؤلاء كانوا غزاة متوحشين ، والتاريخ اصدق شاهد وانما استمدت قوتها ووجودها وصارت امبراطورية عظيمة استولت على آسية وقسم كبير من اوربة وافريقية من الاسلام . ودونك شاهدا غير بعيد

البلاد العربية فى كل سنة عدد منهم يحل محل الموظفين العجم والمستعجمين الذين يتوجهون لطلب الاستعراب فى البلدان العربية . ولا ينبغي ان يفهم احد من كلامنا ان الشعوب العربية الاخرى قد قامت بواجبها كاملا مع لغة القرآن . فانها مقصرة كل التقصير ، ومتخلفة كل التخلف عن الامم الناهضة فى ميدان اللغات وآدابها تبعا لتخلفها فى الميادين الاخرى ، والمقام لا يحتمل التفصيل .

واقترح على وزارة التربية والتهذيب المحترمة ان تختار المعلمين الفصحاء والمعلمات الفصيحات من روضة الاطفال الى الجامعة وتلزمهم باصلاح السنة تلاميذهم وازالة ما ذكرناه من الفساد بعد ازالته من السنتهم اعنى المعلمين انفسهم .

وكل تهاون بهذا النوع من الاصلاح يترك ابناء المغرب متخلفين فى اللغة العربية مستعجمين . واما العلوم العصرية واللغات الاجنبية فالافضل ان نأخذها رأسا من اوربا وامريكا بلا واسطة . وذلك بايفاد البعثات من الطلبة للتعلم واستيفاد الاساتذة بقدر الحاجة والوسع . ولا ينبغي لنا ان نقتصر على شعب واحد من الشعوب الاوربية لا نتعداه . بل ينبغي لنا ان نطلب العلوم العصرية فى بلدان مختلفة لنجمع خلاصة ما جد من الاكتشافات والاختراعات ونترجم ذلك بانفسنا وننقله الى لغتنا ونعلمه ابناءنا ، ولا نبقى اسراء فى يد دولة واحدة على لغة واحدة . ونحن نرى الشعوب الاوروبية نفسها تتبادل الطلاب والاساتذة ولا يستغني شعب منها بما عنده من العلوم وان بلغ الغاية فى الرقي والتقدم .

واهم شيء يجب ان نوجه اليه عنايتنا من العلوم العصرية العلوم التي تهيئنا الى استخراج الكنوز المخزونة فى ارضنا بانفسنا ونستغلها وننعم بها ولا نبقى منها شيئا مهملا ثم الصناعات والفنون التي نحتاج اليها فى معاشنا ونستورد على الدوام منتوجاتها من الخارج . ثم اعداد الموظفين الاداريين والمهندسين والاطباء والاخصائيين فى سائر الفنون . وينبغي لنا ان نرافق البعثات من التلامذة الذين يدرسون فى الخارج مراقبة كفيلة باداء المهمة التي سافروا من اجلها حتى يكون كل عائد منهم الى الوطن قد اتم دراسته واستعداده لان يحل محل الاستاذ او المدير او الموظف الاجنبي ويدير عمله بنجاح لا يقل عن نجاح سلفه بل يزيد . ويجب ان نحذر من بعث الطلاب غير الاكفاء مع عدم مراقبتهم فى مراحل دراستهم فى الخارج حتى لا يقضوا سنين عديدة تكلفنا نفقات طائلة ثم يرجعوا بخفي حنين او بشهادات ملفقة يحملونها ، حتى اذا كلفوا بالاعمال او الادارة او التعليم يظهر عجزهم وفشلهم . ويحكى ان امبراطور اليابان لما بعث البعثة الاولى من الطلبة الى اوربا قضوا مدة هناك على نفقة حكومتهم ثم رجعوا يحملون شهادات ليس معها معلومات تمكنهم من القيام بالاعمال التي يشغلها الاجانب فى بلادهم . فلما كلفوا بتلك الاعمال ظهر افلاسهم وعجزهم ، فامر الامبراطور بمحاكمتهم فظهر انهم مذنبون وحكم عليهم بعقوبات شديدة . ثم بعث البعثة الثانية وقضت المدة المعينة نفسها فلما رجعوا بشهادات معها علم وكفاءة حل كل واحد منهم محل موظف من الاجانب وقام بعمله خير قيام ، وانى لاعرف رجلا درس الادب فى اوربا ثم درس فى جامعة عربية من اشهر الجامعات وتخرج بشهادة الدكتور فى الادب العربي ثم اخذ يدرس ادب اللغة العربية فوصل الى رسالة بعث بها عمر بن الخطاب الى معاوية ، جاء فيها (ولم آل جهدا فى النصيحة) فقال للطلبة يا عجبا . كيف دخلت لم على الاسم ، فكلمة (آل) اسم ولم لا تدخل الا على الفعل المضارع فتحير الطلبة ايضا . ودعا بمعجم فاخذ يفتش فيه عن معنى الال فلم يجد ما يحل المشكلة . ثم ذهب الى كلمة (إال) بكسر الهمزة فلم يحصل على شيء . وبقيت المعضلة على حالها حتى سألني احد اولئك الطلبة وقال له : ان (لم) لم تنحرف عن سنتها ولم تسلك واديا غير واديها ولا ابتغت بالفها وهو الفعل المضارع بدلا . وانما اتى صاحبكم من تبلد الذهن وسوء الفهم وخوضه فيما لا يعنيه . وآل فعل مضارع مجزوم بحذف الواو . وهذا الفعل من الافعال الشائعة الاستعمال وهو موجود فى القرءان فى سورة آل عمران (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا)

وقد آن لنا ان نمسك عنان القلم ، اذ لو تركناه لجرى اشواطا لا يحتملها المقام وبالله التوفيق .

الدينية والدنيوية . وهذا فرض مقدس على جميع الشعوب العربية والاسلامية وعلى قدر ادائه والتقدم فيه يكون تقدمها العام ، ولا افشي سرا اذا قلت اننا معشر المغاربة احوج الى هذا النوع من الثقافة من جميع الشعوب العربية لان لغتنا العامية اصابها من الفساد ما لم يصب غيرها من العاميات . فلا يوجد شعب عربي لا يميز في كلامه العام بين المذكر والمؤنث ويا للاسف الا الشعب المغربي الا قليلا من باديته وقراه ، ولقد جاءني طالب مغربي يدرس في الكلية العسكرية من جامعة بغداد فقال لي ما معناه .. تعسا لهذه اللغة التي تعلمناها من آبائنا وامهاتنا، فاني قدرت على اصلاح لساني واخراج الحروف من مخارجها ، ولكن بقي في لساني عيب كبير يفضحني كلما تكلمت في مجلس من المجالس فتلاحظني العيون بنظرات الاستغراب فاذوب خجلا . الا وهو كسر تاء المخاطب المذكر في الافراد والجمع . اضف الى ذلك ان كثيرا من سكان المدن يعجزون عن النطق ببعض الحروف العربية كالثاء والجيم والسين والذال والسين والظاء والتاء . ولقد اجتمعت بالاديب الكبير الاستاذ احمد البلغيثي رحمه الله على ظهر باخرة بين السويس وجدة وتذاكرنا وتناظرنا وكان في المجلس جماعة من المغاربة منهم الاستاذ الحسن بوعياد ناظر الاوقاف بفاس وجماعة من اهل العراق فلما انفض المجلس تعجب العراقيون من نطق الشيخ البلغيثي لانه كان ينطق بالتاء فيحدث فيها صفيرا ورخوة كالزاي الالمانية وكما لو جمعت بين التاء والسين وكان ينطق بالثاء مثل ذلك فلم يفهموا كلامه فاخبرتهم بمكانته العالية في الادب العربي وان ذلك التلفظ هو الجاري في المغرب ، وهذا التلفظ قد بلغ الى تبديل آيات القرآن . فبأذني سمعت القارىء يقرأ قوله تعالى (الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) . فقلب الشين من كلمة (شاء) سينا والجيم من كلمة (مجذوذ) زايا . فتغير المعنى وقد نقل القاضي عياض في كتاب الشفا الاجماع على ان من بدل حرفا من القرآن عمدا فهو كافر . وبقطع النظر عن هذا لا تهاوننا به ولكن تنزلا وافتراضا فمن العار على اهل المغرب ان لا يعالجوا هذا الداء ويحسموا مادته ويسعوا في اصلاح المنطق . وقد قال الشاعر .

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وقالت العرب .. المرء بأصغريه .. قلبه ولسانه وتجويد القرآن فرض . قال بن الجزري في ارجوزته .

والاخذ بالتجويد حتم لازم
من لم يجود القرآن آثم
لانه به الاله انزل
وهكذا منه الينا وصلا
وهو ايضا حلية التلاوة
وزينة الاداء والقراءة
فواجب عليهم محتم
قبل الشروع اولا ان يعلموا
مخارج الحروف والصفات
ليلفظوا بافصح اللغات

وانا اقترح على وزارة الاوقاف المغربية المحترمة ان تقوم بهذا الاصلاح وتقضي هذا الفرض بايفاد الطلبة الى مصر ليتخصصوا في التجويد او تأسيس مدرسة هنا لهذا الغرض وتدعو لها الاساتذة الاكفاء من مصر . ونحن في زمان بلغت فيه عناية الامم المتقدمة بتجويد منطق لغاتها الى حد انها تدرس هذا الفن ، فونتك ، بالتصوير فتؤخذ صور الفم عند النطق بكل حرف . وتسجل الوف الكتب الناطقة بقراءة الفصحاء المكفوفين وغيرهم .

وسبب هذا النقص في منطق كثير من المغاربة كثرة المخالطة للاعاجم . فقد استولى المغرب على اسبانيا وبقي مختلطا معها ثمانمائة سنة . ثم هاجر كثير من مسلمي الاندلس الى المغرب واختلطوا باهله . وقبل ذلك كان ملوك الدول المغربية تأتي بالآلاف الجنود العجم من اسبانيا الى المغرب فيندمجون في المغاربة مع مرور الزمن . واهل الاندلس ، وان كانوا قد بلغوا الغاية في الفصحى فان لغاتهم العامية كانت منحرفة ومعوجة وبعيدة من اللغة العربية الفصحى. انظر بحث اللغة من كتاب الاحكام في اصول الاحكام للامام بن حزم

ثم جاء الاستعمار فزاد في الطين بلة، وفي الطنبور نغمة . فاستعجم الشعب المغربي واستعمرت اللغة الفرنسية والاسبانية اللغة العربية وقضتا عليها قضاء تاما . وقد انجر بنا الكلام الى مشروع التعريب من غير قصد . ونحن مع استحساننا لمؤتمرات التعريب التي تنعقد في المغرب نرى ان التعريب له طريق آخر وهو بعث الطلبة للتمرين على مختلف الادارات المدنية والعسكرية في البلاد العربية . والى ان يتم تمرين العدد الكافي من الموظفين يجب استيفاد الموظفين من

بين عدة زوجات ولم يجيء عيسى عليه الصلاة والسلام بما ينقض ذلك ، فاذا كان النصارى قد خالفوا دينهم وسنة انبيائهم الذين يومنون بهم من امثال ابراهيم ويعقوب وداود عليهم السلام ، فاننا يجب ان نفتخر بتمسكنا بدين الله الذي شرعه لعباده ، ونقول للمنتقدين غير المعتقدين ما دمنا نتكلم في دائرة الدين وحكمة التشريع الالهي : ان الاسلام هو ديننا ودينكم ، ما عبتم منه فانما تعيبونه على انفسكم وما نلتم من نبيه فكانكم تنالونه من انبياءكم ، واما اذا كنتم تنقدون الدين باطلاق لا بقيد كونه دين الاسلام فدعونا ننافح عن كلمة الله المقدسة وشريعته المطهرة، وننازل الزندقة والالحاد بما يزيفهما ويظهر عواريهما وحسبنا حينئذ ان نكون حماة الايمان ودعاة اليقين في حين انكم تتظاهرون بمهاجمة الاسلام ونبيه عليه السلام وتبطنون الكفر والهرطقة وتبذرون بذور الشك والزيغ في النفوس الطاهرة والقلوب النقية توسلا لزحزحتها عن اعتقادها السليم وابعادها عن دينها الصحيح .

لكن الكثير من اصحابنا الذين كتبوا في موضوع الاسلام والمدنية لم يرتكبوا هذا الاسلوب ولم يسلكوا هذا الطريق في المنافحة عن الاسلام ومنازلة خصومه الذين اكثروا عليه من القول والبهتان وانما ذهبوا يلمسون المعاذر والمخارج بعد ان ركزوا الدفاع على اصالة المدنية الحديثة ، وسلامتها من كل عيب ، فمثلا اذا عرض الكلام للمرأة في الاسلام وجاءت مسألة تعدد الزوجات ومسألة الطلاق ترى الاقلام تتبارى في رد هذه (الوصمة) وتبرئة ساحة الاسلام من عهدتها ، ومن قائل ان القرءان لم يبح التعدد مطلقا ، ومن قائل انه قيده بقيود شديدة تجعله في حكم المحظور لان الانسان لا يستطيع ان يفعله على الشرط الذي شرعه به الاسلام وهكذا من غير نظر في لوازم هذه الاقوال ومفاهيمها يحرصون الحرص كله على موافقة التشريع الغربي ليكون ذلك تزكية للاسلام .

اما الطلاق فمنهم من يجعل له شروطا وقيودا ما انزل الله بها من سلطان ، ومنهم من يدعو الى ابطال انواع منه ، ومنهم من يدعي عدم وقوعه في كثير من الاحوال لتوافق هذه المدنية الخلابة .

كذلك اذا عرض الكلام الى هذه المذاهب الاجتماعية الداعية الى العناية بافراد الامة ولا سيما الطبقات الفقيرة بتمريضهم وتعليمهم والترفيه عنهم فان كتابنا يذكرون الزكاة ويقرنونها الى النظم الاشتراكية ويضربون للاسلام — بارك الله فيهم — بسهم في هذه الناحية ايضا من نواحي المدنية الحديثة.

ولا ننسى المذاهب السياسية ونظم الحكم والديموقراطية بالخصوص ، فكم اشاد كتابنا ايضا بموافقة الاسلام لها وجريانه على سنتها ، وكم قارنوا بينهما وطبقوا من جزئيات ليقولوا انها توأمان لا يختلف فيهما اثنان .

اذا كان الرد على امثال كرومر وسكوت وريتان ونظرائهم اقتضى من كتاب الجيل السابق ان يسلكوا هذا السبيل في النضح عن الاسلام ودحض اقوال خصومه فان كتاب هذا الجيل يجب ان يعرفوا مهمتهم وان يفرقوا بين الجواهر والاعراض ، والدرر والاصداف ، وان يقوموا لهذا الدين الحنيف بالدعوة اللازمة ويشيدوا باغراضه السامية ومثله العليا ويفهموا العالم ان مدنيته هي مدنية المبادىء الفاضلة والغايات الشريفة والنزوع بالنوع الانساني الى الكمال النفسي والخلقي واهدار الفوارق الجنسية والعنصرية وايثار الخير العام على المصلحة الخاصة ولو كانت لشعب كامل اذا لم تشمل غيره من الشعوب ، هي مدنية قائمة بنفسها لا تستظل بظل هذه المدنيات الزائفة الفاشلة ، وهي نظام الحياة السعيدة التي ارادها الخالق للمخلوق .

لا يحاولوا بعد الان ان يسنروا محاسن الاسلام بهذه التأويلات البعيدة . وليقولوا بمنتهى الصراحة ان تعدد الزوجات والطلاق مثلا هو تشريع اسلامي اصيل لا دخل فيه ولا دغل ، وهو وان لم يوافق (ما كان) عليه التشريع الغربي من استنكاره فاننا غير حريصين على هذه الموافقة ، واقول ما كان لان هذا التشريع اصبح يجري في اثر التشريع الاسلامي فاباح الطلاق واباحه بكيفية اوسع مما هو عليه في الاسلام ، وهو يجري ايضا في طريق تقنين التعدد والاعتراف بشرعيته وان كان عمليا لم يخل من اقراره قط .

اما امر الزكاة فهو اعظم واجل من كل اشتراكية مدعاة ، هو ضمان اجتماعي يفبر في وجه كل نظام تدعم به هذه المدنية الحديثة مجتمعها ، وقارن اي مجتمع حديث باحوال المجتمع الاسلامي ايام الخلفاء الذين

الإسلام والمدنية الحديثة

لفضيلة الاستاذ عبد الله كنون

كان الكتاب الذين قيضهم الله فى مبدأ هذا القرن للدفاع عن الاسلام والمنافحة عن شريعته يجعلـــون مظاهر المدنية الحديثة وقوانين الاجتماع العصري هي مقياس النهوض والتقدم وغاية النجاح والفلاح ، ثم يعمدون الى شريعة هذا الدين الحنيف ونظمـــه السياسية والمدنية يوفقون بينها وبين تلك المظاهـــر ويلحقونها بهاتيك القوانين علىدعوى ان بينهما وشيجة نسب ولحمة قربى تجعل الفارق بينهما معدومـــا والمشابهة قوية جدا ،فالاسلام هو روح المدنية، والمدنية الحديثة بالقصد ، واذا كان هناك ما لا يثبت امام هذه المدنية فهو النصرانية لا الاسلام ، وهكذا يمضون فى المقارنة والتطبيق وغاية قصدهم وجل مرادهـــم ان يساير الاسلام ركب الحضارة الغربية ، ولا يتخلـــف عنها فى شيء .

اما من يفكر فى ان الاسلام دعوة اسمى واعلى من ان تنزل الى هذا الحضيض الاسفل من مسايرة هذه المدنية الهلوك وانه نظام قدسي النزعات فمدنيته هي المدنية التي تكفل سعادة البشر فمن حقها ان يحكم بها ولا يحكم عليها فهذا قليل من قليل .

واما من يفكر فى ان النصرانية هي والاسلام شيء واحد لانها مثله دين سماوي جاءت لتعديل الانحراف الذي وقع فى اليهودية التي هي ايضا دين سماوي ، كما جاء الاسلام لتعديل النصرانية المنحرفة بموجب قوله تعالى : (وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لمـا بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) فهذا اندر مـــن النادر ، ولعل الاستدلال على ان الاديان الثلاثة اصلها واحد ونابعة من عين واحدة هو مما لايعـوز باحثـا فى اصول الاديان ويكفي المسلم فى ذلك قوله تعالـــى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيســـى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ، وبناء على ذلك فان كل طعن يوجه الى الاسلام وشريعته هو ايضا طعـــن على النصرانية والشريعة اليهودية التي اتبثتهـــا النصرانية ولم تنقض منها شيئا ، فقد ثبت عن سيدنا عيسى عليه السلام انه قال : « ما جئت لانقـــض الناموس، الحق اقول لكم الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس » والمقصود بالناموس هنا الشريعة الموسوية .

وبهذا النص من الانجيل احتججت على احـــد الرهبان الاسبان كان راكبا معي فى القطار الذاهب الى مدريد ، وانجربنا الحديث الى قضية الدين وكان ان اقنعته بالمنطق والبرهان فى كثير من المسائل التـــي اوردها علي وهو يرى انها مطاعن لا تقبل التاويل ولا الرد ، حتى اورد مسألة تحريم اكل لحم الخنزيـــر فجادلته بكونه مستقذرا لاكله القمامة ، وبكون ضرره ثابتا طبيا لما يولده من الديدان الشريطية ، ولا سيما الدودة الوحيدة الخطرة فقال : ان الطب الحديث قد قضى على هذه الاوهام كلها . وضحك ضحكة منكرة وقال : لو ان محمدا ذاق قطعة لحم من فخذ خنزير لما حرمكم من لذة اكل لحم هذا الحيوان الذي هو مـــن اطيب اللحوم . فقلت له اننا نتذاكر فى دائرة الاوامـــر الدينية من حيث مطابقتها للعقل والمصلحة ، ومسألة تحريم اكل لحم الخنزير ليست خاصة بالاسلام فهي من قضايا دينكم ايضا وما يلزم عليها فى الاسلام يلزم عليها فى النصرانية فقال محال ، ان ديننا لا يحرم اكل لحم الخنزير فقلت له بلى ، انه يحرمه ، واستدللت عليه بكلام السيد المسيح المتقدم ، وقلت له : ما دام لحم الخنزير محرما فى شريعة موسى فهو محرم عليكم بهذا الدليل ، ولم يثبت ان سيدنا عيسى عليه السلام اكله ، فلم يحر جوابا .

ومثل هذا يقال فى مسألة الطلاق وتعدد الزوجات فانهما معا من شريعة التوراة وقد جمع الانبياء الاولون

يقظة صعبة

للاستاذ محمد زنيبر

طالما تحدث المفاربة الواعون عن الجمود الفكري الذي خيم منذ زمان ولا زال يخيم على بلادهم، وطالما نددوا بهذا الجمود والقوا تبعته على المثقفين، سواء منهم من تخرج من المدارس الاروبية او من تلقى ثقافة عربية محض، وكم استصراخ وجه الى اولئك المثقفين، وكم آمال علقت عليهم، ولكن الجمود الفكري هو . هو، والميدان يظل فارغا قفرا لاتبدو فيه ادنى حركة.

والحقيقة ان المسؤولية لايمكن ان تلقى كلها على المثقفين فهنالك. كما سنرى من خلال البحث. عوامل كبيرة تمنعهم من اداء مهمتهم.

والواقع ان الموضوع لا زال لم ينل حظه من الدرس والعناية. فجل من تعرضوا له. اما اخطأوا الطريق واعوزهم التحليل الدقيق. فلم يستطيعوا النفوذ الى عمقه ولمس عناصره الجوهرية. واما نظروا اليه نظرة جزئية. فاستحال عليهم ان يحيطوا بجوانبه. ذلك انه موضوع معقد. متشعب. فهو يتصل بحياة امة. بل بحياة مجموعة من الامم وبتاريخها ومشاكلها القائمة.

فالامر لايتعلق هنا بمسالة ثانوية او جزئية. ولكن بشأن ذي خطورة واهمية. فالحياة الفكرية النشيطة. كما يشهد التاريخ ويقرر علماء الاجتماع. من لوازم كل مجتمع سليم. بحيث ان التوازن يختل في المجتمع اذا اعوزه عنصر التفكير واذا لم توجد فيه طائفة صالحة من الافراد يكرسون اوقاتهم وجهودهم للتفكير في سائر الشؤون التي تهم بيئتهم.

اذا نظرنا الى الموضوع من هذه الزاوية، يتضح لنا انه اصبح من الواجب الوطني ان نوجه اهتمامنا لهذه الظاهرة الخطيرة، ظاهرة الجمود الفكري، ونسعى في البحث عن علاج لها.

نعم. ان الجمود الفكري هو علة العلل، وهو الذي يفسر كثيرا من اخطائنا ومواطن ضعفنا، وهو الذي يجعلنا فاقدين لهذه الملكة الضرورية لكل تقدم وهي ملكة النقد الرصين الحر النزيه، وعواقب الجمود الفكري لاتنحصر في دائرة حياتنا الثقافية والعقلية. بل ان لها آثارا عميقة في سائر ميادين حياتنا القومية. السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية.

ان الجمود الفكري هو في الحقيقة عنوان عن موقف سلبي من الحياة، انه رفض للحياة، فعدم جراتنا على المشاريع الجديدة المنتجة، وانكماشنا، بل وانطواءنا على المالوف والمعتاد، وانسياقنا مع العواطف العابرة والاهواء السهلة الفارغة، كل ذلك انما هو ناتج عن حياة فكرية راكدة وعن عدم شعورنا واقتناعنا بضرورة التجديد.

النظام الاجتماعي والجمود الفكري :

ان التخلف الثقافي الذي يعيش فيه المغرب منذ قرون ما هو في الحقيقة. الا صورة من صور الانحطاط الذي مني به العالم العربي والاسلامي منذ القرن الثالث عشر الميلادي، فقد حمل هذا العالم مشعل الحضارة ردحا من الزمان وساهم مساهمة ايجابية في تنمية المعارف وتقدم العقل البشري؛ ولكن ما مرت عليه قرون حتى داخله الضعف وتمزقت وحدته السياسية وخارت قواه المعنوية والحربية؛ فطمع فيه الاعداء، واغار عليه المغيرون، واذلوه بعد ان كان عزيزا. وطمسوا معالمه، فاذا المدن والحواضر التي كانت منارات يستهدي بها الناس تصبح وقد ضاع بها العلم وقل المتعاطون له، وغدت البقية الباقية من العلماء يقصرون كل همهم على حفظ ما ورثوه من الاجداد وتحريم كل محاولة للاجتهاد

كانوا يعنون بجباية الزكاة وصرفها فى مصارفها . تدرك الفرق جليا بين المجتمع الاسلامي السعيد والمجتمع الحديث الذى بدمغه البؤس والشقاء .

وكذلك نظام الحكم فى الاسلام يجب على كتابنا الا يهينوه بمحاولة تنظيره بهذه الديموقراطية الكاذبة، هذه المحكمة التى لا ضمير لها الا الرشوة والتزوير، ولا قانون الا المبر والمحاباة .

هذه ... حرام ان يقاس بها النظام الذي جعل صهيبا وبلالا وسلمان فى مستوى واحد مع ابى بكر وعمر وعلي ، واقتص لقبطي من عامة الشعب من ولد فاتح مصر وحاكمها العام عمرو بن العاص صادرا فى ذلك عن شعاره التعايش السلمي وتقديره لقيمة الانسان . وهو ما جاء فى الاية الكريمة ـ (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

ان الاسلام له مدنيته الخاصة ، وهي فوق المدنيات ولكن كتاب هذه المدنية ما زال لم يكتب منه حرف ! ...



وهذا ما قام عليه البرهان لما اخذ الاستعمار يغزو بلادنا ، ويستولي عليها جزءاجزءا ، فسرعان ما انهار ذلك النظام وادرك المغاربة بالتجربة والعيان انه لايغني عنهم شيئا لما دهمتهم الخطوب ، وبانهيار ذلك النظام بدات تنهار معه العقلية الناشئة عنه .

واخذنا نكتشف يوما بعد يوم آيات جديدة للتفاوت الكبير بين ضعفنا وقوة الخصم ، بين جهلنا وعلمه ، بين فوضويتنا وروحه التنظيمية ، واقتنعنا بان لابد من ان نتعلم عليه ونقتبس منه ان كنا نريد النهوض ببلادنا .

ولكن هذا الخصم الذي نريد ان نستفيد من معرفته وخبرته هو فى نفس الوقت الخصم الذي يستعمرنا ويستغلنا والذي نريد ان نناهضه ونكافح ضده .

وهذا ما نشا عنه رد فعل ادى الى تناقض فى موقفنا الجماعي ، فنحن ، من جهة ، مقتنعون ، عن طريق التجربة والمعاينة ، بان نظامنا الاجتماعي العتيق والعقلية الناشئة عنه قد افلسا كل الافلاس ولم يعودا صالحين لامة تريد ان تعيش حياة العصر ، ولكننا ، من جهة اخرى ، وجدنا انفسنا مضطرين للدفاع عن ذاتنا وشخصيتنا القومية امام الاستعمار ، مما دفع بنا الى التمسك بذلك النظام او على الاقل ببعض جوانبه والى التشبث بماضينا وتقاليدنا ، ومعنى هذا ان الشعور الوطني هو الذي حدا بنا الى التعلق ولو عاطفيا ونظريا بالماضي وما ينطوي عليه من افكار ومثل وعقلية .

يجب ان مجتمعنا اليوم يتصادم فيه تياران : تيار عقلي علمي يرى فى التجديد ضرورة حيوية ، وفى التحرر من تاثير الماضي ورواسبه والاتجاه كليا نحو المستقبل الوسيلة الكفيلة وحدها بتحقيق نهضة شاملة ، وتيار عاطفي يرتكز على الماضي وامجاده ويستخرج منه المقاييس والامثلة لاعمالنا فى اليوم والغد ، فالتيار الاول يجذبنا نحو التجديد ويدعونا الى الجراة على ماضينا والتمرد عليه فى حدود المعقول، بينما التيار الثاني يريد ان ينحو بنا نحو مجتمع محافظ منطو على نفسه وماضيه ويرى البدعة المضرة فى كل محاولة اصلاح وتغيير .

فأي التيارين له الغلبة الآن ؟ .

يظهر ان كل واحد منهما له الغلبة فى ناحية معينة ، فاذا اعتبرنا الحياة الواقعية العملية ، نجد ان الحضارة العصرية فرضت نفسها فرضا على الجميع ولم يبق هنالك ما يناوئها ، واكبر المجادلين فى تلك الحضارة والمستنكرين لها لا يتورعون عن الاستفادة من وسائل رفاهيتها ومخترعاتها ، فيركبون السيارة وينصتون الى الراديو ويتفرجون على الافلام السينمائية .

ولكننا اذا اعتبرنا الحياة الفكرية مجردة ، نجد ان تيار الماضي لا زال له الاثر القوي البالغ فى توجيه افكارنا وتكييف عقليتنا ومفاهيمنا ، وهذا ما يجعلنا نشعر فى اوقات الوعي واليقظة باننا نعيش فى ركود

والحقيقة ان هذا الوضع انما هو موقت ، فلن يطول امد هذا التناقض بين حياتنا الواقعية العملية وحياتنا العقلية ، فلابد من ان يتغلب فى النهاية الواقع على الخيال والجديد على القديم ، تبعا لقوانين التطور وسننه .

الركود الفكري :

هذا الركود الفكري نلمسه اول ما نلمسه في حياتنا الاجتماعية العادية التي هي فى الحقيقة المرآة الصادقة لمستوانا العقلي ، وفى هذا النطاق الجماعي العادي يصبح الركود الفكرى عيبا قوميا ينال من كيان الامة وقوتها ، لانه يتجلى فى سائر فروع الانتاج الذى يعبر عن حيويتها ونشاطها ولا ينحصر فى دائرة الادب والعلم والفلسفة اي دائرة الثقافة ، فهو يتجلى فى انتاج الصانع وفى الحان الموسيقار كما يظهر فى اللباس والماكل .

ولننظر مثلا الى هندستنا المعمارية ، فالتاريخ يشهد على انها لم تتغير عما كانت عليه فى الاندلس منذ قرون عديدة ، وصناعتنا التقليدية لم تخرج عن نماذج وضعت لها منذ اجيال ، والموسيقى التي نعيش عليها هي تراث تلقيناه من الاندلس ، وكان كل فضلنا هو الاحتفاظ به .

فاذا انتقلنا الآن الى ميدان الثقافة بمعناها الضيق ، يتشخص لنا الركود الفكري فى الحرب التي اشهرها اجدادنا على كل جديد وابتكار ، لقد اقفلوا ابواب الاجتهاد امام المتأخرين من العلماء والباحثين

والابتكار والتجديد ، وكل من حاد عن سكتهم رموه بالكفر والالحاد واضطهدوه ، وكثيرا ما يؤول امره الى التعذيب والقتل .

وهكذا ، ماتت شيئا فشيئا الحريات النسبية التي كان يتمتع بها رجال العلم والقلم في ابان نهضة الامم العربية والاسلامية ، وقد امتدت هذه الموجة من الانحطاط والتدهور الى المغرب . فجفت به الاقلام الا من النسخ والتنميق والتزويق ، ونامت القرائح الا عن حفظ بعض المتون والنصوص القديمه.

فتخلف المغرب داخل ، اذن ، في نطاق تخلف العالم الاسلامي ، متصل بحركته التطوريه بين مد وجزر ، ورقي وانحطاط .

وهذا التخلف الذي يشخصه الجمود الفكري في ابرز مظاهره ، ما هو الا الثمره المرة لتدهور المجتمع العربي الاسلامي ونزوله نحو نظام جامد محافظ معاد بطبعه وفلسفته لكل تجديد وابتكار .

وقد بدا المجتمع الاسلامي كمجتمع ثوري يريد ان يتخلص من كل عوامل الفساد والظلم ويريد ان يضمن للانسان كرامته وبعض حقوقه ، فاخرج البدو الرحل من باديتهم وعلمهم كيف يصيرون حضرا! ويؤسسون مدنية امتزج فيها كل التراث الحضاري للانسانية ، وبعث فيهم الشعور بانهم امة بعد ان كانوا لا يؤمنون الا بالقبيلة ، واستطاع نوعا ما ان يخلق المساواة بين الناس ويحاول القضاء على نظام الطبقات .

هذه القوة الثورية هي التي مكنت الدولة العربية من بناء مدنية عريقة كاملة تقدمت فيها الآداب والعلوم والصناعات وانواع التجارة .

ولكن ، ما مرت قرون حتى بدأ هذا المجتمع يفقد عوامل قوته ، وينسلخ رويدا رويدا ، تحت ضغط القوات الاقطاعية والفوضوية التي تبعث في كل اركان العالم العربي ، من روحه الثورية المتحررة ، وهكذا ، تمزقت وحدة ذلك العالم ، وانقسم الى دويلات وامارات صغيرة تعيش فيما بينها في صراع دائم .

وجاءت حوادث التاريخ الكبرى مثل غارة المغول في الشرق ، وضعف الدولة العربيه في الاندلس ، فاجهزت على البقيه الباقية من تلك الروح المتوثبة للحياة ، وغدا المجتمع العربي ، سواء في المغرب او في غيره ، يعيش في نظام جديد مخالف في روحه وشكله لما كان عليه في الاول .

هذا النظام الصفة الغالبة عليه هي التفكك والانحلال ، فمن جهة ، نجد في البلد الواحد مناطق تسود فيها الاقطاعية بكل اشكالها ، ومناطق اخرى تستفحل فيها الروح القبلية ووسط الجميع مدن وحواضر تعيش في شبه انعزال مع الارياف المجاورة ، ويكاد يتحول هذا الانعزال في بعض الاحيان الى عداوة . ومن جهة اخرى ، نجد في نفس البلد السلطة المركزيه عاجزه عن بسط نفوذها على مجموع التراب وذلك نتيجة لما اصيبت به من ضعف وقلة راي وانعدام وسائل ، والذي زاد هذا المجتمع رسوخا في تدهوره هو النظام الاقتصادي الذي عاد الى نوع من البساطة البدائية واصبح اثر الدولة ضعيفا في توجيهه وتنظيمه ، فهو ، في معظمه ، يستند على الفلاحه بشكلها الاقطاعي سواء في الزراعة او تربية المواشي ، اما الصناعات فقد ظلت تسير على نسق عتيق ولم تستفد قط من المكاسب العلمية التي ظهرت في اروبا ، ولهذا فقد كان شانها ضعيفا مما جعل الغلبه كل الغلبة للجانب الفلاحي ، وهذا ما قد يفسر لنا ، ولو جزئيا ، غلبة النزعة المحافظة في ذلك المجتمع.

روح الماضي وتيار التجديد :

هذه الصوره عن المجتمع كنا نجدها في المغرب الى بدايه هذا القرن ، ونحن لو انتقلنا الى سبعة قرون من قبل اي الى نهايه دولة الموحدين ، سنجد انفسنا امام نسخه طبق الاصل لتلك الصوره ، بمعنى ان الانحلال الاجتماعي ظل سائدا طوال تلك المدة ، وهذا رغما عن بعض الفترات التي كانت الدولة تستعيد فيها شيئا من قوتها .

والحقيقة ان هذا النظام ما كان ليدوم عمره طويلا لولا ان الابواب ظلت موصدة كلها امام التاثيرات الآتية من الخارج ، ولولا نشوء عقلية محافظة اشد ما تكون المحافظة ، متعصبة اقوى ما تكون التعصب ضد كل ما يمثل الحضارة الاروبية ، فقد كان الحجاب مفروضا على المجتمع كما كان مفروضا على المراة ، فهو نظام ضعيف مزعزع الاركان لا يثبت للحوادث ولا يصمد امام عوادي الزمان .

حيرة الكاتب وعزلته :

والاوفق للحقيقة ان نقول ان رجل الفكر في هذه البلاد يعاني حيرة دائمة لايجد سبيلا للخروج منها ، فهو امام المتناقضات التي يعيش وسطها لا يستطيع ان يوفق بين ما يهديه اليه العقل والمنطق وبين الواقع الذي يحيط به ، بين ما يراه كمثل اعلى وبين عقلية مجتمعه ، وهو واقف وسط الطريق لايدري اياخذ برأي المعتدلين والمحافظين الذين لايقبلون التطور الا بمقدار وفي نطاق محدد أم ينساق مع تيار التجديد ، فيوجه عنايته الى المستقبل ويقبل على الحضارة الغربية بدون تحفظ ليفهمها ويهضمها وياخذ منها الاصلح .

فان قيل له يجب التوفيق بين الاثنين ، ازدادت حيرته وكثر بلباله . فماذا ياخذ من هذه ويترك ، وماذا يقتبس من تلك ويتبذ . فالمقاييس في هذا الباب تكثر وتختلف .

على ان المشكلة ليست موضوعة فقط بهذه الصورة المجردة البسيطة . بل ان الكاتب حين يكتب يصادفها بطريقة مباشرة وبصورة اعنف . فأي الجمهورين من القراء سيخاطب ؟ جمهور الذين لم يتجاوز ثقافتهم الجاحظ والمتنبي والحريري والمنفلوطي والرافعي ؟ أم جمهور الذين الفوا ان يقرأوا « سارتر » و « فولكنر » و « بروست » والذين قلما يجدون في الانتاج الادبي باللغة العربية غذاء لفكرهم ؟ فالتنافر بين هذين الجمهورين لا يزيده الا حيرة وترددا .

وقد كان من الممكن ان يجد لنفسه عزاء لو استطاع ان يضرب صفحا عن طبقة المثقفين بنوعيها القديم والحديث ليتجه نحو الجمهور بمعناه الواسع اي جمهور الشعب . فيكتب له بالاسلوب الذي يفهمه ويؤلف له الروايات والمسرحيات وما الى ذلك ، ولكن في هذه الناحية ايضا ، يتجنى عليه الحظ .

ذلك انه لم يوجد بعد عندنا الجمهور الشعبي الذي يقرأ ويقتني الكتب والمجلات ، ولم تتهيأ الظروف الكفيلة بايجاده ، فانتشار التعليم وتعميمه لانزال عندنا في البداية ، ومن المعلوم ان الاستعمار عمل على ان يكون التعليم من حظ اقلية صغرى . فكيف ينتظر لكاتب ، مهما جادت كتابته وراقت ، ان يصادف ما هو جدير به من نجاح لدى جمهور امي ؟ .

الا اننا سنكون غير منصفين اذا القينا المسؤولية كلها على الجمهور ، فالكاتب من جهته يتحمل نصيبا من المسؤولية ، انه ، اولا ، لايظهر استعدادا كافيا للنزول نحو الجمهور والتعرف اليه ومخالطته والاطلاع على واقعه ، ولعله لازال متأثرا بتلك العقلية الارستوقراطية التي توحي اليه بان الكاتب انما يكتب لطائفة خاصة من الناس ، هم الطبقة الراقية في المجتمع ، او لعله يعتقد ان الحقيقة لا يمكن ان تنبثق في فكره الا اذا انزوى في برج عاجي بعيدا عن ضوضاء الناس وجلبتهم .

وسواء كان هذا او ذاك . فالذي يجب اعتباره هو ان الحقائق الانسانية التي هي هدف كل تفكير ، لا يمكن ادراكها بهذه الطرق ، ولا سبيل للحصول عليها الا اذا خالط الكاتب مجتمعه مخالطة صادقة لا غش فيها . وعرفه المعرفة الشاملة الواسعة ، وليس من الممكن ان ينتج الكاتب تفكيرا حيا اذا لم يستمد عناصره من واقع الحياة ويعيش مع الاحياء ويؤاخيهم حقيقة . ويقاسمهم سراءهم وضراءهم ، واي فائدة ينطوي عليها تفكيره ان خص به اقلية من الناس ؟ واي معنى يبقى لمهمته الاجتماعية والانسانية اذا وضع نفسه في خدمة طبقة معينة .

ولربما كان الكاتب عندنا لا ياخذ هذا الموقف عن تعمد واختيار . وانما يلجأ اليه انسياقا مع العادات والافكار الموروثة وخوفا من ان يخرج عن المألوف فينعت بالشذوذ والتطرف .

ومهما يكن . فان الوضعية التي يوجد فيها والتي رأينا بعض جوانبها تجعله يعيش في عزلة خطيرة . فهو لايجد محله المعين في المجتمع ويشعر بانه مثل الطفيلي لايكاد يجد مكانه وسط الناس الا بمشقة . فلا جمهور خاص يقبله ويقبل عليه ، ولا جمهور شعبي يتجاوب معه ، ولا سهولة في الاتصال بالمجتمع والاندماج فيه .

دور الدولة :

وقد كان من السهل عليه ان يقبل وحدانيته بصبر لو انه وجد التفاتا كافيا من الدولة وعطفا فعالا ، ومن شان الدولة أن تتدارك النقص الآني من المجتمع ، ولكن حظه عاثر هنا ايضا .

ورموا بالكفر كل من حاول الاستعانه بعلم الاوروبيين او باساليبهم التقنية ، بحيث كنا نعيش ونحن اقرب الناس جغرافيا الى اروبا وهم فى واد ونحن واد ، فلا نستفيد من علمهم ولا من فنونهم الصناعية ولا من اساليبهم الحربية .

حقا ، لقد استيقظنا الآن وتغيرت نظرتنا الى الاشياء واخذنا نقلع بعض الشيء عن عبادة الماضي ونتجه بانظارنا نحو المستقبل ، عملا بقول الرصافي :
فخر العالمين ذوو حسب قديم

اقاموا لنفسهم حسبا جديدا

ولكن ، هل معنى هذا اننا تحررنا من الركود الفكري ؟ انه ليس من السهل تغير العادات التي رسخت منذ قرون وتحويل عقلية اشتركت فى تكوينها اجيال واجيال .

فكتابتنا اليوم ، مثلا ، لا زالت متأثرة بتلك العقلية ، واكثر من يكتبون يؤثرون المواضيع التاريخية على غيرها ، فالماضي ما فتيء يستحوذ على افكار الناس ولا زالوا يحبون الحياة معه وفى جوه ويغرمون باستعراض صوره اللامعة والوقوف باجلال وخشوع عند عظمائه .

ونحن عندما نسجل هذه الظاهرة بكل موضوعية ، لا نتنكر لماضينا ولا ننكر ما فيه من صفحات مشرقة مشرفة ، ولا يخطر ببالنا ان نعتب على اي احد انصرافه الى التاريخ واشتغاله به ، بل نود ان يكون لدينا مؤرخون جديرون بهذا الاسم .

ومن ذلك فلابد من ان نلاحظ ان نسبة الجهود التي نصرفها فى سبيل الماضي هي اكثر مما يجب ونظرة واحدة على المجلات التي صدرت بالمغرب فى السنوات العشرين الاخيرة تبين لنا كم يشغله التاريخ من صفحات وصفحات بينما شؤوننا الحالية ومشاكل مستقبلنا تظل فى الغالب مهملة او منسية ، وكذلك الكتب التي لها قيمة واهمية ، فجلها عن التاريخ والتراجم والسير .

نبني على ما تقدم ان سلم القيم الفكرية والروحية عندنا ليس له اساس منطقي واقعي يلاءم وحاجياتنا الاولى وضرورات تطورنا ، وانما يستند على اساس عاطفي ، نحن نعلم علم اليقين مقدار حاجتنا الى التجديد والتطور ، ومع ذلك ، فنحن نضع فى قمة هذا السلم الماضي ، لان حبنا له يتغلب على ما سواه .

الحرية بين ضغط المجتمع وضغط الاستعمار :

اذا اعتبرنا ان الشرط الاساسي والضروري لكل نشاط فكرى هو الحرية قبل كل شيء ، فقد رأينا فى الصفحات السالفة كيف ان روح الماضي حد من الحرية فى بلادنا وضيق المجال امام كل رواد التجديد ودعاة النهوض والانبعاث ، وانه لمن الطبيعي ان يقع مثل هذا التصادم والتفاعل بين الماضي والحاضر ، وبين التقاليد والحرية ، وبين الجيل القديم والجديد ، فتلك احداث لاينكرها علم الاجتماع، بل انه يعتبرها حلقة ضرورية من حلقات التطور التاريخي .

بيد انه انضاف الى جانب اثر الماضي فى كبت الحريات ، تأثير آخر ناشيء عن الاستعمار ، الا ان تأثير الاستعمار كان تأثيرا مقصودا منظما يهدف الى تمكين حكم ، وصيانة مصالح ، وهكذا ، فقد عدمت الحياة الفكرية انطلاقتها طول مدة الحماية ، مما ضاعف الفراغ الفكرى فى البلاد وثبط كل عزيمة ساعية للانشاء والخلق والابتكار .

وبالجملة ، فقد كانت الحريات التي هي الشرط الاساسي لكل تجديد وابتكار ، مكبوتة بين التأثيرات الآتية من النظام الاجتماعي وضغط الحكم الاستعماري .

ونحن لو سلمنا جدلا بان مشكلة الحرية لم تكن موضوعة وانه كان من الممكن ان يتقدم افراد من هذا المجتمع ليعلنوا الدعوة الى التجديد ، فان هذا وحده غير قادر على تحويل فتورنا الفكري الى قوة وحيوية، فالحرية شرط ضروري ولكنه غير كاف ، فهنالك مسألة المناخ الاجتماعي الذى يعيش فيه المفكر والكاتب ، فالفرد مهما كان حظه من العبقرية والنبوغ، اذا اصطدم بوافع اجتماعي معاكس لطموحه ، مميت لقريحته ، فانه لن يستطيع الصمود مدة طويلة ، وسرعان ما يتسرب اليه الركود العام .

البعد ، اذ ليس من الميسور علينا ان نمحو فى سنوات قليلة الآثار العميقة التي خلفتها فى نفوسنا وفى مجتمعنا عوامل دامت عدة قرون ، فلا بد لسنن التطور من ان تجري مجراها .

ومع ذلك ، ففي طوقنا نحن ان نساعد هذا التطور على السير بسرعة حتى لايطول بنا امد هذه المرحلة . مرحلة الركود الفكري .

وقد راينا منذ البداية ان الداء ياتي من النظام الاجتماعي الذي ساد فى المغرب منذ قرون ، فالعمل الاول ، اذن ، هو السعي لتغيير هذا النظام بالسرعة الممكنة ، وقد اخذ يتغير ، بالفعل ، اذ نرى مجتمعنا الفلاحي يتحول شيئا فشيئا نحو مجتمع مرتكز قبل كل شيء على الصناعة .

وغير خاف ما يصاحب هذا التحول من تغيير فى العقلية وانقلاب فى الافكار وتقدم فى ميادين الثقافة والعلم . فالصناعة تتطلب وجود اطار تقني يتوفر على المعرفة والمهارة . وهذا لايكون الا اذا نما التعليم ، وخاصة فروعه العلمية والتقنية ، وانتشر على نطاق واسع وبلغ مستوى رفيعا .

فالمسالة تنحصر ، اذن ، فى الاسراع بخلق مجتمع صناعي وذلك بتاسيس الصناعات على اختلاف اشكالها وانواعها . وهو عمل يجب ان تساهم فيه الدولة باوفر نصيب .

ناهيك بما سيكون لانتشار التعليم من تكوين جمهور ضخم من القراء يمتاز بوعي وادراك وشعور بالحاجة الى المزيد من الاطلاع ، والتعليم . حسب قيمته وجودته واتجاهاته هو الذي سيرتفع او ينخفض بمستوى التفكير الجماعي ، وما علينا الا ان نستعرض بعض الاقطار الاوربية لنرى كيف يتفاوت فيها مستوى التفكير الشعبي وهذا التفاوت يرجع الى روح التعليم ومحتواه وقيمته فى كل قطر من تلك الاقطار .

على ان للدولة الى جانب هذا وذاك وسائل اخرى للنهوض بالحياة الثقافية ، وذلك بتاسيس المكاتب العمومية على نطاق واسع واحداث المجامع العلمية والادبية وعقد المؤتمرات ، وبذل الجوائز للنبغاء ومساعدتهم على نشر آثارهم .

فالدولة كما راينا لها اهم دور فى معالجة هذا الوضع . لكن رجال الفكر والقلم لايجدر بهم ان يقفوا مكتوفي الايدي منتظرين المبادرات الرسمية ، فلا بد من ان يبرهنوا على وجودهم وعلى شعورهم بمهمتهم ازاء المجتمع .

فمن واجبهم . قبل كل شيء ، ان يتصلوا ببعضهم ويتعارفوا ويتضامنوا وينبذوا ظهريا ذلك التحاسد العقيم وتلك الغيرة الصبيانية التي تجعلهم يمشون جنبا دون ان يلتفتوا الى بعضهم ويجروا الحديث البسيط الواضح الصريح الذى يجب ان يسود دائما فى وسطهم .

ومن واجبهم ان يؤسسوا الاندية التي تكون ملتقى للافكار ومسرحا للمنافسات الحية ، وان يحاولوا اصدار المجلات وتنظيم المحاضرات فى شتى المواضيع وتشكيل لجان للتعريب والتاليف والنشر ، والمحاولات فى هذا الباب لايمكن ان تدخل تحت الحصر .

* * *

تلك بعض الوسائل الناجعة فى معالجة ركودنا الفكري باسرع الطرق . وقد رأينا ان العوامل التي ادت بنا الى الوضع الحالي ليست باليسيرة ولا بالسطحية . بل ان لها صبغة تاريخية عميقة تتصل بنظامنا الاجتماعي وبنفسيتنا الموروثة ، وليس من المعقول ان نظل امة كأمتنا متخلفة عن الركب متنكبة جادة اليقظة الفكرية . ففي مثل هذا الموقف استهتار بكل منطق واستخفاف بكل مصلحة .

فاين هي الاموال التي تنفق فى سبيل تشجيع النابغين من حملة القلم ذوى الفكر ؟ واين هي المساعدات المادية التي تخول للعلماء والادباء ان ينشروا ابحاتهم وكتبهم ؟ .

قد يكون للدولة اسباب قاهرة تبرر اهمالها لهذا الموضوع ، وقد يكون تزاحم المشاكل وكثرتها تجعلها ترجيء النظر فى ما تعتقده كماليا او ثانويا ؛ ولكن الشيء الذي لامراء فيه هو ان النهوض الفكري بالمغرب فى هذه المرحلة الراهنة لايمكن ان يتحقق اذا لم تول الموضوع بالغ اهتمامها وتبذل بسخاء عطفها ومساعدتها .

ونحن نعرف من تاريخنا القديم ما للتشجيع الرسمي من اثر على الحياة العقلية ، فمتى وجد بعض الملوك والوزراء والكبراء الذين يقدرون العلم ورجاله ، نشطت الحركة الفكرية فى المغرب ، وهذا ما يلاحظ بالخصوص فى عهد الدولة الموحدية ودولة بني مرين .

ولا يؤخذ على مثل هذا التشجيع فى عهودنا القديمة الا كونه ذا صبغة فردية ، فهو مرتبط باشخاص تحركهم اريحية او طموح ، فاذا مات اولئك الاشخاص ولم يجدوا من يخلفونهم فى سيرتهم، مات معهم التشجيع وركدت الحركة الثقافية .

ولهذا ، فالتشجيع كما يجب ان نفهمه اليوم يجب ان يكون مقررا فى انظمة الدولة ورسومها . معززا بتشريعاتها وضوابطها حتى لايختلف شانه باختلاف الاشخاص وتغير الاوقات .

مظاهر الركود الفكري :

فالركود الفكري ناتج ، اذن ، عن هذه الوضعية الشاذة التي يعيش فيها الكاتب ، وابرز مظاهره هي :

1) ضآلة الانتاج الادبي والثقافي بصفة عامة : فباستثناء بعض الابحاث والكتب التاريخية ، لا نعلم ان دور النشر فى المغرب او خارج المغرب اصدرت كتبا ذات قيمة فى موضوعات اخرى لكتاب مغاربة ، الى جانب هذا ، نلاحظ ندرة المجلات العلمية والادبية التي تبين اكثر من الكتب مقدار تطور الافكار وتجددها وحيويتها .

2) عدم وجود مجتمع ثقافي : كل طائفة تساهم فى نشاط الامة تكون مجتمعا خاصا بها ، ولنذكر على سبيل المثال مجتمع التجار ومجتمع الفلاحين ، ويدخل فى عداد هذه المجتمعات الخاصة مجتمع رجال الثقافة والفكر . ويرتكز وجوده وحيويته على الاندية الثقافية باختلاف اشكالها وانواعها ، وعلى المجامع العلمية والادبية التي تضم نخبة من العلماء والادباء والفنانين وعلى الندوات والمناظرات والمؤتمرات التي تنظم باستمرار . وليس من المبالغة القول بان هذا المجتمع لا وجود له البتة فى بلادنا .

3) مظاهر داخلية للركود الفكري : هنالك مظاهر اخرى تبرهن على الركود الفكري ، ولكن من داخل هذا الانتاج الضئيل الهزيل الذي تحدثنا عنه .

ونشير اولا الى غلبة التقليد والمحاكاة على الابتكار . ومعنى هذا ان كتابنا لايحاولون ان يتجاوزوا ما توصل الغير اليه من افكار . فهم لايبذلون المجهود الا من حيث الصياغة والتعبير .

وهذا الشغف بالصياغة يجعلنا نلمس ظاهرة ثانية للركود وهى ولوعنا باللفظ وقنوعنا به . وفى هذا المعنى يقول الكاتب الجزائري «مالك بن نبي» فى كتابه «رسالة الاسلام» ما نصه :

« لاعجب اذن من كون التفكير العربي الحديث لم يكتسب بعد روح الفعالية فان طغيان الالفاظ والاساليب يطبع كل مظاهر الانبعاث العربي بطابع السطحية » .

اجل . لقد عودتنا اللغة العربية ان ننساق وراء الفاظها المتراصة وعباراتها المتوازنة المنسجمة ، مما يبعدنا احيانا عن الواقع ويفسد علينا كل عمل ويجعلنا ننهمك بنوع من اللهفة فى ذلك الاسلوب الخطابي الواسع السهل الذي لاينتهي . مع ان هذه الظاهرة دليل ، واي دليل ، على الجمود الفكرى .

امكانيات العلاج :

قد يتبين من خلال هذا التحليل ان هنالك وضعا محتوما يفرض علينا فى الساعة الراهنة ان نقنع بهذا الفراغ الفكري لانه ليس فى طوقنا ان نخرج عنه ، وهذه فكرة ليست ببعيدة عن الحقيقة كل

قد يخدم اللغة العربية ، ولكنه لايخدم في نفس الوقت اصحاب هذه اللغة الخدمة المنتظرة منه كاديب . الا انه عندما يجيد في وصف العربي المتشرد ، والعربي اللاجيء ، والعربي المتسول ، والعربي العاطل ، والعربي الفقير ، ويطالب بحق هؤلاء جميعا في الحياة الحرة الكريمة ، ويشيد بمبادىء العدالة الاجتماعية ، والمساواة ، وتكافؤ الفرص ، ويثور ضد الاستغلال والاقطاعية والظلم الاجتماعي ، ويصف حياة البؤس والشقاء التي يعيش فيها مئات الآلاف من مواطنيه سكان الاكواخ والخيام ومدن القصدير عندما يصف الاديب المغربي ذلك ، لا يخدم اللغة العربية وحدها ، وانما يخدم ايضا اصحابها ، ويخدم الانسانية قاطبة .

ان تاريخ حياة اللغة العربية مليء بالادباء الذين برعوا في وصف الزهور ، والربيع ، والجمال ؛ وافتنوا في وصف اشواق المحبين ؛ وهيام العاشقين ودلال الحسان ، هؤلاء كانوا يصفون في كل فرب مجلدات تضخمه الى مكتبة الادب العربي ، ولكنهم لم يصنعوا اي تجديد في احساس العربي ، ولم يثيروا اي تحول في تفكيره او نظرته الى الحياة .

ان اكبر وهم عند ادبائنا اليوم ، هو ان يعتقدوا ان هدف الادب العربي لا يزال هو خدمة اللغة العربية ، واظهار عبقريتها ، وقدرة صاحبها على سبك المعاني ، وعرضها في اشكال رائعة من البيان والبديع ، بينما اصبح هدفه الاسمى المعاصر ، هو خدمة الامة العربية نفسها ، والعمل على رفع مستوياتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ودفعها في طريق التطور والتحرر والتقدم ، من اجل حياة اسعد ، وبناء مجتمع افضل .

وهل يمكن ان نزعم ان فيكتور هيجو عندما كتب قصته « البؤساء » كان يهدف فقط الى خدمة اللغة الفرنسية ؟ ، ان الاديب الفرنسي قبل ان يكتب هذه القصة التي اشتملت على نحو 500 صفحة ، لخص هدفه منها في المقدمة التالية :

« ما دامت مشكلات العصر الثلاث : 1) تدهور قيمة الانسان في الطبقات الدنيا ، 2) وسقوط المراة بفعل الجوع ، 3) وهزال الطفولة بفعل الجهل ، ما دامت هذه المشكلات باقية لا تحل ، .. وما دام الاختناق الاجتماعي لا يزال ممكنا في بعض البقاع ؛ او بتعبير آخر ، وبنظرة اوسع ما دام ثمة على الارض جهل وبؤس ، فان كتبا من هذا النوع لا يمكنها ان تكون بلا فائدة » .

ذلك نموذج من ادباء القرن التاسع عشر ، وفي القرن العشرين ، هل يمكن لاحد ان يدعي ان بوريس باسترناك عندما انفق عشرة اعوام من حياته في كتابه « الدكتور زيفاغو » كان يهدف لخدمة اللغة الروسية؟ وهل من أجل هذا الهدف نال جائزة نوبل للسلام ؟ !

ان الاديب المعاصر يعتبر انسانا نموذجيا تنعكس عليه مشاعر امته ومطامحها ، وادبه ، سواء كان شعرا ، او قصة ، او مقالة ، او مسرحية ، يجب ان تشع منه انوار هذه المشاعر ، وان يخترق الحواجز والحجب ليضيء ظلام الفكر الانساني ، ويرشد النفوس الحائرة والجاهلة ، ويهدي الناس الى معرفة الحق والخير والجمال ، وينشر فيهم الطموح للحصول على حياة كريمة في ظل مجتمع كريم .

اديب القرن العشرين يجب ان يحس بحاجات امته ، وان يعيش في غمرة هذه الحاجات ، وان يصورها ويدافع عنها ، وان يستجيب لمتطلبات التطور الاجتماعي والاقتصادي ، من غير ان ينسى القيم الخلقية والروحية التي يقوم عليها كل مجتمع انساني سليم .

ان مشكلة «الاديب المغربي» لا تختلف عن مشكلة « الفلاح المغربي » و « الصانع المغربي » ، انها مشكلة « تخلف » . فاذا كان الفلاح في حاجة الى جرار بدل المحراث ، والصانع في حاجة الى آلة للنسيج بدل النول ، فان الاديب في حاجة الى التخلص من «أجترار» الموضوعات التقليدية ، واعطاء مفهوم جديد للادب ، ينسجم مع وظيفته الحديثة في خدمة المجتمع الانساني عامة ، والمجتمع المغربي العربي خاصة .

وعندما يصبح عندنا ادباء يقدرون واجباتهم الانسانية نحو شعوبهم ، ويعيشون لاداء هذه الرسالة باخلاص .. عند ذلك سيتحول تاريخنا في اتجاه ثورته الاجتماعية الكبرى .

عندما يصبح الأدب في خدمة الشعب

للأستاذ إدريس الكتاني

في القرن العشرين ، هذا الذي نعيشه اليوم ، حيث يقدر كل شيء ، حتى العلوم والفنون ، بمقدار الفائدة التي ترجى منه لاكبر عدد من الناس ، يجب ان نتساءل اولا ، ونحن نتحدث في موضوع الادب ، الاسئلة التحديدية الاساسية :

ما هي وظيفة الادب ؟

من يؤديها ؟

ولمن يؤديها ؟

وللجواب عن هذه الاسئلة ، نجد ان وظيفه الادب قد تطورت منذ عصور الحضارة التقليدية ، الى عصر الحضارة الصناعية الحديثة تطورا كبيرا . كان الادب يستعمل اداة لخدمة بعض الاغراض الشخصية ، والتعبير عن انواع من العلاقات والمشاعر والصفات الانسانية ، وانتهى ادب الفخر والمدح والهجاء والرثاء ، ليصبح في عصر الطباعة والصناعة اداة عامة لتلبية الحاجات الفكرية المختلفة للملايين من الناس . وخدمة الاهداف والمذاهب التي نومن بها الملايين من الناس . وكان يقوم بهذه الوظيفة الشعراء والخطباء والكتاب . فاصبح يقوم بها اليوم ، فضلا عن هؤلاء ، القصاص والنقاد والروائيون والمسرحيون وغيرهم . وكانت هذه الوظيفة تؤدي لفائدة نخبة محدودة العدد من طبقة المثقفين او المترفين او الامراء . واصبحت اليوم في خدمة الملايين من قراء الكتب والصحف ، ونظار التلفزيون ، ومستمعي الاذاعات ، من جميع طبقات الشعب ، وهذا يعني ان وظيفة الادب اليوم ، قد تطورت واتسعت آفاقها وميادينها عما كانت عليه بالامس ، كما تغيرت تبعا لذلك شروط القائمين بها ، وتضخم عدد المنتفعين منها .

وعلى ضوء هذه الحقائق يجب ان نتساءل مرة اخرى : ما هي الغاية من وجود ادب مغربي في الفترة التاريخية الحاضرة ؟ وهل لا تزال هي نفس الغاية التي كانت في القرن الثالث عشر مثلا ؟!

بعض الادباء لا يزالون — مع الاسف — يعتقدون ذلك ، لانهم ما فتئوا يعيشون في اطار عقلية الادب القديم . فالاديب الذي يعيش لنفسه ، يقول الشعر في مناسباته ويقضي الوقت مع ندمائه وخمرياته ، وينسى العالم من حوله ، ولا يعبر ادبه عن حياة مواطنيه ، عن آلامهم وآمالهم ، عن افراحهم واحزانهم ، هذا الاديب لا يمثل الا « ادبا متخلفا » لا نرضاه الشعوب التى نومن بالتطورات لانه لايساهم معها ، بصورة او باخرى ، في محاربة التخلف ، وانما هو « يجتر » موضوعات الادب القديم اجترارا .

ان صديقي الاديب الشاعر سليم حيدر قد لا يتفق معي في هذا الراي ، وقد يعتبره خلطا بين الادب والسياسة ، لان الاديب عنده يجب ان يظل حرا لا يلتزم بمذهب او باتجاه معين ، وهو يرى ان وصفا رائعا لوردة جميلة ، قد يخدم اللغة العربية ، وهذا صحيح من وجه ، غير صحيح من الوجه الآخر ، فحرية الاديب الفكرية مبدأ محترم نومن به ، ولكن الاديب الحر يفترض فيه الناس انه اكثرهم حساسية بانسانيته ، واكثرهم قدرة على التعبير عن خلجاتها ومشاعرها العميقة ، وهو بهذا الاعتبار ، يتحمل في نظر الناس مسؤوليات قومية وانسانية ووطنية ، اكثر مما يتحملها غيره من المواطنين بوصفهم أعضاء في مجتمع خاص . ان هذه المسؤوليات الادبية من شانها أن تقلل من حريته المطلقة ، وتفرض عليه نوعا من « الالتزام » في اداء وظيفته الادبية ، والقيام بدوره « الخاص » في المجتمع . ولست انكر أن الاديب الذي يبلغ غاية السحر في وصف الغادة الهيفاء ، والوردة الحمراء ،

الثقافة على انها تهذيب للنفوس ، وارهاف للارواح ، وسمو بالافكار ، وخروج بالانسان من ميدان الحيوانية المحضة الى ميدان « الانسانية » فى نظرتها السامية الى الوجود والغاية من هذا الوجود ؟

ولست أذيع سرا اذا ذكرت ان لنا اخوانا في الشرق العربي قد عاشوا نفس هذه التجربة ، واكتووا بنارها زمنا ، ولكنهم اهتدوا دون شك الى الحل المعقول المنطقي حين قرروا في سياستهم الثقافية سلوك منهج وسط يعتبر المادة وسيلة والروح غاية . وان الثقافة تعتمد على المادة حقا ولا تهملها ، ولكن لا على أساس التفوق المادي وحده ، بل على أساس أن المادة سند ودعامة ، ان لم تستعمل للهجوم وجب أن تستعمل للدفاع . أما الغاية من الثقافة فهي في التحليل النهائي روحية معنوية : هي ضمان الكرامة الشخصية للفرد ، والسعادة للمجموع عن طريق حمايته بواسطة الثقافة من اعدائه التقليديين : الجهل ، والفقر ، والمرض ؛ ان كرامة الفرد وسعادة المجموع قد تبلورت في الشرق العربي المحرر تحت شعار « القومية العربية » فاصبحت جميع الاجهزة الثقافية تخدم هذا الشعار وتوجه نحو اهدافه وغاياته . يكفي لنتأكد من صدق ذلك أن نلقي نظرة ولو عجلى على اي كتاب من الكتب الدراسية المقررة بالجمهورية العربية المتحدة فنجد أن الروح العامة التي تنظمها مطبوعة بطوابع هذه القومية مشمولة بمثالها . فلم لاتبدأ نحن ـ الامة المغربية العربية ـ من هذه النقطة التي انتهى اليها اخواننا في الشرق . سوف نقول : ان المغرب هو الآخر قد أعلن عن « القومية العربية » كمبدا له في اكثر من مناسبة ، على لسان جلالة المغفور له « محمد الخامس » قدس الله سره . وعلى لسان صاحب الجلالة « الحسن الثاني » أطال الله عمره . وعلى لسان المسؤولين من الدوائر الرسمية ...

أجل ... لقد كان ذلك كذلك . ولكن ثغرات جد واسعة لاتزال في المغرب . يتسرب منها الشك ان لم نكن الهدم والتخريب نحو هذا الهدف السامي يجب ان نسد بكامل العناية وبالغ الحذر ، هذه الثغرات يجب أن يتعاون الشعب مع المسؤولين في وضع اصابعهم عليها ، واعطي أقرب مثال لذلك هؤلاء الاساتذة «الاجانب» الذين يدرسون مادة «التاريخ» لتلامذتنا في المدارس الثانوية ، اذ ثبت بأكبر دليل على أن اغلبهم يتخذون هذه المادة وسيلة الى تشويه وقائع التاريخ ، خصوصا الاسلامي العربي؛ تشويها يبعث التلاميذ على الشك في قيمة الاسلام والعروبة . وينحو بهم نحو التنكر لماضيهم ، واي مستقبل للثقافة يمكن ان يبنى على اساس الكفر بالماضي ؟ او ليس «التاريخ» هو «ذاكرة الشعوب» كما يقررون ؟

ان مادة التاريخ يجب ان تسند لاساتذة عرب ، آمنوا بماضيهم العربي المشرف . ونظروا الى «التاريخ» كمادة طبيعية وروحية لصنع الافراد وبناء الشعوب . كما يجب ان تكون محورها الذي يدور عليه الايمان بالفكرة الاسلامية والقومية العربية .

وفي نطاق هذه الظروف التي نعيشها تبرز «اللغة» كمشكلة لها هي الاخرى خطورتها ونتائجها على مستقبلنا الثقافي في المغرب ، فمن الملموس أن لغتين اجنبيتين قد تجاذبتا اطراف الثقافة بالمغرب اثناء فترة الاحتلال ، وهما وان لم تفلحا في اخماد جذوة اللغة العربية القومية بالمغرب ، فقد اضطرت فئات من المثقفين بهما الى الدفاع عن وجودهما لا على اعتبار ان اللغات الحية لها دورها الهام في حياة القرن العشرين بشتى مظاهرها السياسية والثقافية والاجتماعية ، بل على أساس التعصب لهذه اللغة الاجنبية او تلك على حساب اللغة القومية ، تعصبا يدفع اليه شعور هؤلاء الناس الداخلي بأن وجودهم مستمد من وجود هذه اللغة الاجنبية بالمغرب ومستند اليه ، لقصر باعهم في اللغة القومية للبلاد ، أو جهلهم اياها جهلا كاملا اضطرتهم ظروفهم الثقافية الخاصة اليه . ومن الحسنات التي أذكرها للمسؤولين بكامل التقدير «حملة التعريب» التي شنوها لتعليم الموظفين المغاربة اللغة العربية ، ولكنني من باب الاخلاص لله والوطن أذكر ان الوسائل التي اتخذت لتحقيق الغاية من هذه الحملة وسائل في نظري جد قاصرة ، بسبب عقم «الطريقة» وعدم الدقة في اختيار كل من المشرفين والمدرسين . ففي رايي ان الطريقة «السمعية البصرية» وهي طريقة معروفة في دوائر رجال «التربية الاساسية» بالمغرب ـ اجدى الطرق واقومها واسرعها في تعليم اللغة للكبار ، كما ان الاستاذ يجب ان يختار من بين الذين سبقت لهم خبرة واسعة في ميدان ارتياد العقول وفتح الاقفال ، واما المشرفون فيجب ان يكونوا هم ايضا من ذوي الحنكة الواسعة في ميدان تعليم اللغة العربية بالذات، ومن المطلعين على مغالقها واسرارها .

نحو انعاش ثقافي جذري ...

لنبدأ بالتعليم أولاً

للأستاذ
محمد عبد الواحد بناني

كل المتصفين متفقون على ان « المغرب » قد ورث عند استقلاله تركة ضخمة من المشاكل المزمنة التي انتجتها الظروف الشاذة التي خلقها الاستعمار في المغرب لعهد الحماية المشؤوم . ومن أهم تلك المشاكل واخطرها مشكلة « الثقافة » في المغرب . وهي مشكلة متعددة الاوجه . كثيرة الانحاء . تتطلب اكثر من حل . نظرا الى ان طبيعة الثقافة ذاتها مركبة غير بسيطة . فروافدها كثيرة . وزواياها متعددة . ومجالاتها جد واسعة . وان الذي تفارق بين المغرب لاول عهده بالاستقلال وبين غيره من الدول يجد دون ان يبذل كثيرا من الجهد في محاولة الاستنتاج — ان المغرب من الاقطار المتخلفة في الميدان الثقافي . والسبب واضح هو السياسة الاستعمارية التي كانت ترتكز في هذا الميدان على مبدا « تجهيل » الشعب وعدم اتاحة الفرصة لابنائه كي يتثقفوا . لما في الثقافة من خطر ساحق على الوجود الاستعماري بصفة عامة . ومن هنا لم تكن تسمح في المغرب أيام الحماية لافراد الشعب بأن يتثقفوا الثقافة الحرة الكريمة . اللهم الا قلة نادرة استطاعت أن تخترق الحصار . وتخلق لنفسها الظروف المساعدة على ذلك ... ولكن ندرة هؤلاء لاتخلق قاعدة . ومن هنا تبقى المشكلة قائمة .

ذلكم هو التفسير البديهي لما نلمسه من حال الثقافة في المغرب اثر الاستقلال . فضعف الثقافة ظاهرة عامة لاتحتاج الى برهنة ، نلمسها دون كبير عناء في قلة ما يكتب او يذاع ؛ وفي ضعف المستوى العام فكريا وأسلوبيا لاغلب ذلك الذي يكتب او يذاع ؛ ونلمسه اكثر في مختلف طبقات الشعب المغربي التي لم تنضج عندها بعد الوعي الكامل الذي يعطي للثقافة اولا وقبل كل شيء الاعتبار الكامل والدرجة الممتازة في سلم الحيثيات والمؤهلات . .

غير ان بادرة خير وبركة على الثقافة في المغرب قد انبثقت مع فجر الاستقلال . حيث هب الشعب والمسؤولون يضعون الاسس لتشييد ثقافة مغربية منتجة تسير بالمغرب طريقة نحو حياة افضل ومستقبل لامع . ومن الانصاف أن أذكر — كأحد المشتغلين بالثقافة والتعليم أن اشواطا لا بأس بها قد قطعت في هذا المجال . وان انتصارات ذات قيمة ستحقق قريبا فيه عن طريق «المدرسة» أولا و «الجامعة» ثانيا ...

ولكن على الرغم من النشاط المشكور الذي تبذله كل من «المدرسة» و «الجامعة» في المغرب وعلى الرغم من الاشواط التي قطعاها في مضمار التطور والانطلاق ، فان الحركة الثقافية في المغرب ستبقى مشلولة غير قادرة على الانعتاق الكامل اذا لم تراع «الظروف» التي يعيشها المغرب عند تخطيط السياسة العامة للانعاش الثقافي في المغرب .. واذا لم تساند بعض المؤسسات الاخرى المدرسة والجامعة في العمل . وهذه المؤسسات هي : الاذاعة ودار الصحافة . ونوادي الشباب . وما شابهها .

* * *

ان « الظروف » التي اشرت اليها ، والتي ذكرت ان المغرب يعيشها الآن . هي تلك الحالة من البلبلة والقلق التي افلح الاستعمار في زرعها بالاذهان، والتي تشكك الكثيرين وتبعث فيهم الحيرة في انفسهم . اي الاتجاهات الثقافية المعاصرة يتبعون ؟ أهو الاتجاه المادي الصرف الذي يعتمد على مظاهر القوة الآلية ، والتي تسخر لخدمته اغلب المؤسسات الثقافية في كثير من الدول الاجنبية بحكم الصراع الذي تعيشه ؟ أم هو الاتجاه الروحي الذي ينظر الى

آباء التلاميذ » التي استحدثتها وزارة التربية بكامل الدقة ، لما فيها من مساعدة على خلق «التلميذ المثالي» داخل المدرسة وخارجها ، ومعاونة للادارة المدرسية والاساتذة فى ميدان عملهم المرهق ؛ وان تستحدث اوجه النشاط الاجتماعي والفني الى جانب النشاط الرياضي الموجود فعلا بالثانويات ، لما لذلك من اثر على المستوى الفكري العام للتلاميذ .

وعند السنة الاولى من المرحلة الثانوية فقط يأتي زمن تعليم التلاميذ لغة او لغتين اجنبيتين ، على ان تكون اللغة العربية لغة المواد جميعها ، وان تدرس اللغات الاجنبية كلغات اضافية ، تعتبر غاية فى ذاتها ، لا وسيلة الى تلقين المواد المختلفة .

3 ـ التعليم الجامعي ـ ولن اترك الكلام عن التعليم قبل ان انوه فى كثير من التقدير والاعجاب المشفوعين بالفخر والاعتزاز على اقدام المغفور له جلالة محمد الخامس ـ رحمه الله ـ على تاسيس الجامعة المغربية الحديثة بالرباط ، واحداث دراسات عليا حتى مرحلة «الدكتورا» بها ... ونستطيع ان نقدر هذا العمل الجلل قدره كل من تجشم اعباء الغربة واهوالها من اجل الدراسة الجامعية خارج المغرب من قبل ، وما عاناه هو واهلوه من جراء ذلك ماديا وادبيا .

على ان الجامعة المغربية الفتية ـ لكي تكون مشعلا ينير للشباب المثقف الطريق ويفتح لهم الآفاق البعيدة المدى فى عالم الفكر ، ودنيا الحياة ـ يجب ان نمنح شخصية اعتبارية ، تجعلها قادرة على التوثب والانطلاق . وفتح نوافذ الثقافة جميعها امام عقول شبابنا فى حرية تامة كاملة ، وعندها سيجدون عن ايمان كايمان العجائز ان تحقيق وجودهم وسيلته واحدة وهي : « انعاش الشخصية المغربية فى تراثها الخالد الذي يستمد البقاء والخلود من الثقافة الاسلامية والروح العربية » .

تلكم خواطر حول انعاش التعليم بمراحله الثلاث . اغفلت التعرض لبعض انواعه الاخرى كالتعليم الاصلي والفني والمهني لبعد مجالاتها عني ؛ اقدم معها اقتراحات بناءة الى المشتغلين بشؤون الثقافة فى هذه البلاد ، لست ارجو من ورائها الا مساعدتهم على اداء مهمتهم فى التطور ببلادنا العزيزة ودفعها الى الامام . وكلي يقين انها ستحظى منهم بما تستحق من اعتبار ، تضامنا من الجميع فى العمل لما فيه الصالح العام .



ان الثقافة في امة يجب ان تستند على اساس متين هو «لغتها القومية» المنحدره معها منذ فجر تاريخها ، لان اللغة القومية للامة ليست وسيلة للتعبير والتفاهم فحسب ، بل هي شحنات من عواطفها وروحانياتها ، انها في مفرداتها وتراكيبها عقلها المفكر . ووجدانها الشاعر ، وكيانها المتماسك ؛ ان الكلمات والجمل « المغرب . الوطن ، الراية المغربية، الامة العربية . محمد الخامس ، الحسن الثاني ، الام ، الحرية ، الاستقلال ، الاندلس ، طارق بن زياد » . في لغتها ومعانيها تحمل اشعاعات وشحنات روحية خاصة بالنسبة للمغاربة لا اعتقد انها تحملها اليهم في ترجمتها الامينة للغات الفرنسية او الانجليزية او الاسبانية ، كما لاتحملها الى الفرنسيين او الانجليز او الاسبان قراءة هده الكلمات او الجمل في نصها العربي ومن اراد التاكد من صدق هذه النظرية فليراجعها في كتاب «اللغة» لفندريس . وفي كتاب «من بلاغة القرآن» لاحمد احمد بدوى .

وكم اثلج الصدر أن جاء القانون الاساسي الذي وضعته حكومة جلالة الحسن الثاني اثر اعتلائه العرش ناصا على ان دين المغرب الرسمي هو الاسلام. ولغته الرسمية هي العربية ، فاصبح على المسؤولين والشعب منذ تلك اللحظة ان يجعلوا من ذلك حقيقة واقعة ، وظاهرة ملموسة ، بواسطة سن المناهج الموصلة الى ذلك وتطبيقها .

واذا كان التعليم قد قطع في هذا الميدان مرحلة نوهنا بها في مكانها من هذا الحديث بصفة اجمالية فانني اعتقد ان من الواجب — وانا بصدد تقديم اقتراحات للانعاش الثقافي بالمغرب — ان اعود فانظر الى مسالة «الثقافة في المغرب» ككل تتكون من اجزاء اهمها «المعلم» ، وان أصنف ملاحظاتي واقتراحاتي حول اصلاح الاساس الذى هو التعليم على الشكل الآتي : متعمدا عدم التعرض للميادين الثقافية الاخرى لعدم اتصالي المباشر بها ، وقلة معلوماتي عنها :

1 — المرحلة الابتدائية — يجب ان يراعى في اختيار معلميها «الكفاءة العلمية والتربوية» لكون هده المرحلة بالذات هي الاساس الذى نبني عليه ثقافة الجيل . ومن ثم وجب ان نضمن «العافية» لهده الثقافة عن طريق اختيار المعلم المكتمل وذلك هو الشان في جميع البلاد الواعية اليوم ، كما يجب الا يراعى ذلك في ناحية دون اخرى بالمغرب . وان يشمل ذلك الحواضر والبوادي على السواء ويجب ان تزود مدارس هذه المرحلة — ومدارس المرحلة الثانوية ايضا — بالخرائط والرسوم التوضيحية والمكتبات الفنية بكتب الاطفال ، لكون ذلك ضروريا جدا لها كي تفلح في اداء مهمتها ، كما يجب ان يقتصر في هذه المرحلة على تعليم لغة واحدة هي اللغة العربية القومية لما ثبت من ان قدرات التلاميذ في هذه المرحلة لاتحتمل الارهاق بتعلم لغة اخرى لها نحوها وصرفها ومشاكلها الخاصة ، وعلى هذا النهج تسير اغلب الدول اليوم بما فيها سويسرا التي لها ثلاث لغات رسمية ، ولكنها تقتصر في المرحلة الابتدائية على تعليم ابنائها لغة واحده منها فقط ، ومن اراد زيادة بيان حول هذا الموضوع فليراجع الجزء الثالث من حوليات الثقافة العربية للاستاذ ساطع الحصري ، في الفصل الذي كتبه حول «تعليم اللغات الاجنبية» او مقالا لي في نفس الموضوع باحد اعداد السنة الثالثة من مجلة « دعوة الحق » على ما اذكر .

2 — المرحلة الثانوية — ارى ان تزود «الثانويات» بالاساتذة الاكفاء اولا وقبل كل شيء وهذا يقتضي في نظري ادخال تعديل جوهري على الاطار العام للاساتذة في سلك الوظيفة العمومية ، اذ من الواقع المر مانلاحظ من كون الاساتذة حاملي الشهادات الجامعية « المجازين » بسلك التعليم يتقاضون اجورا اقل مما يتقاضاه حاملو نفس المؤهل في الوزارات الاخرى ، الامر الذي يجعل الغالبية العظمى من خريجي الجامعات يتجنبون الاشتغال في ميدان التعليم ، مؤثرين عليه العمل في ميدان آخر اكثر سخاء ، واقل تكلفا للجهود المضنية التي يعانيها الاستاذ من اجل تحضير الدروس . وتصحيح الواجبات المدرسية ، وقيادة التلاميذ على اختلاف سلوكهم واهوائهم . يضاف الى هذا ان الذين قدر لهم منهم العمل بسلك التعليم الثانوى يعانون حالة نفسية ممرضة ، الامر الذى سيدفعهم — عاجلا او آجلا — الى القصور في القيام بمهمتهم بدافع شعورى محض ليس لهم عليه اي راد الا من عصم الله !

كما ارى ان تزود «الثانويات» بالخرائط ووسائل الايضاح . وبالمكتبات الفنية بالكتب التي تناسب هذا الطور من سني التلاميذ وخصوصا العربية منها ؛ والا يهمل عند بناء «الثانويات» تزويدها بقاعة صالحة للعرض السينمائي والمحاضرات، والاجتماعات العامة وان تطبق فكرة انشاء «جمعية

الوطنية يتيحون لهذا النشء مايغذي بـه رجولتـه ، ويذكي حماسه ، ويقوي فيه ملكة الخلق والابـداع ، وييسر له سبيل التفكير الحـر ؟ .

ان اللقاح-أي لقاح ، لكي ينتج لابد لـه مـن دم يغذيه وحرارة تدفئه فما هو الـدم والدفء اللـذان اعددناهما لجيل بداية الرجولة من حياتنا الفكرية ؟

ان ما يطيب لبعض صحفنـا او مجـلاتنـا ان تتحدث عنه ، هو ظاهره « الركود الفكـري » حسب ما يحلو لهم تسميته ، وان يمقت الجائع شيئا ، هـو ان يسمع بملء اذنيه عجب المتخمين من كون الفاكهة تقدم لهم في نهاية الطعام مرة ،وهم يطلبونهـا حلـوه ، وهؤلاء الذين يطيب لهم ان يصفوا الحياه الفكرية في المغرب بالركود ، هم المتخمون الذيـن لايعرفـون ولا يقدرون أن الملايين من أبناء هـذا المغـرب اميـون ، لايقرؤون ولا يكتبون . وبان الشرذمة القليلـة التـي تقرا وتكتب ، بضاعتها من ذلك لاتكفي لان نجعل مـن ابنائهـا انصاف مثقفين .

والذين يتحدثون عن « الركود الفكري » وفـي حسبانهم انهم يوجهون بحديثهم الى « النخبة » في هذا الوطن ، انما هم يلهون من عل . ويدركون مصير « النخبه » وكيف تم دخولها التاريخ . فجيلها قـد اضطر الى العدول عن كتابة خواطـر الفكـر . الـى ممارسة المراتب الاداريه . وسفلته الكلام . فاوقف دوران الفكر . ولا يصح يحمل جيل سلف مسؤوليه جيل خالف . وقد ادى ذلك مهمته في تلك المرحلـه الفكرية . وهو يؤديها في هذه المرحله الاداريـه . وان تباينت المرحلتان في الهدف والغاية . وانما اذا اصبح ان يحاسب في وقت ما . فعن المسؤولية التـي هـو بصددهـا اليـوم .

لكن مسؤوليه الخلف . ليس من النقد الرصين ان يسال عنها ، او يوجه اللوم اليه ان هو لم يف بها . ذلك لانه تربى مؤرجحا بين لغتين ، لا الاولى منهمـا لغة احساساته ، ولا الاخرى التي تنمي تفكيره اليها تلقنها بطريقة سليمة . مما يجعله في حل من المسؤولية، طالما هو يعيش نتيجة هذا التوجيه . في خضم مـن الجهل . وتفكك الشخصية ، وانحلال مستوى الثقافة، في حيرة من نوع الرسالة التى تتطلب منه الايمان بهـا فضلا عن الدعـوة اليهـا .

فقيم اذن هذه الصيحات ، ممن يكلفون انفسهم مشقه التنكر على الحياة الفكرية في بلادنا مثل هـذا الركود ؟ افما كان الاجدر باصحاب هـذه الاقـلام عندنا ، ان يطلبوا للجياع غذاء يبعث فيهم الدفء قبل ان يطلبوا لانفسهم فاكهة حلوة في نهاية الطعـام مـن هؤلاء الجياع ذواتهم ؟ .

ماذا اعددنا اذن نحن المسؤولين عن التربيـة الوطنية لهؤلاء الجياع ؟ ما الـذى اعددناه في هـذه المرحلة الانتقالية من مراحل حياة الفكـر في بلادنـا لهؤلاء . لهذا الخلف الذي يتوقع ان نحاسب عمـا انتجه للحياة الفكرية في المغرب ؟ .

اذا لم يكن الاستقلال القومي . هـو دم ودفء هذا الاعداد ، لهـذا الخلـف . فـلا ــ ودم شهـداء الاستقلال ــ لن يكون الا عقيما .

* * *

لقـد كـان الاحـرار على الاستقلال السياسي نتيجة كفاح مرير وذلك هو التفسير للكلمة المأثـورة : الاستقلال يوخذ ولا يعطى ، والكفاح المرير ، ليـس معناه فقط استعمال القوة ، وانتزاع الحـق مـن الدخيل . ولكن معناه قبل كل ذلك ، ما يحدث مـن اصطدام عميق الجذور بين الشخصية ذاتها وبيـن مقوماتها ، وذلك ما كان يسميه الرسول محمد (ص) بالجهاد الاكبر ، ومعناه ايضـا ما يتولـد عـن ذلك الاصطدام العميق من سابق بين الشخصية المتكاملة وبيـن :

ا ــ ايمانها بما هو حق اولا .

ب ــ اندفاعها للمطالبة بذلك الحق ثانيا .

وبمدى نجـاح الشخصيـة المتكاملـة في هـذا التسابق . يتقرر مصيـر :

ح ــ حصولها على ذلك الحق اخيرا .

واذا كان استعمال القوة ، هو وسيلة من وسائل تاكيد هذه المرحلة الثالثة ، فانه قبل الوصول اليهـا يكون الكفاح المرير قد اجتاز فعلا مرحلتين اثنتيـن همـا :

ا ــ ايمان الشخصية باحقية مطلبها .

ب ــ مطالبتها عملا بذلك الحق .

ويكون هذا الكفاح في هاتين المرحلتين ، ليـس بين اجنبيين ، ولكنه بين الشخصية المتكاملة ذاتهـا ، وبين قدراتها . ولن يتوفر لهذه الشخصية المتكاملـة صفة التحرر . الا بقدرتها على تخطي المرحلة الثالثـة والاخيـرة .

الأسس السليمة لبناء حياة فكرية في المغرب

بقلم الاستاذ جعفر الطيار الكتاني

توصــــف الحياة الفكرية فى المغرب بانهــا فى ركود . وهو وصف من صحفنا السيارة او الدوريــة فى غير محله ، اذ الركود صفة لاتنطبــق على واد لــم يجــر الماء فيه ، والواقع ان شؤون الفكر في المغــرب قاحلــة ويبــاب .

واذا كان يسهل الحكم من بعض المشتغليـــن بشؤون الفكر ، على فترة ما قبل الاستقلال ، بانهــا كانت فترة خصب انتــج شعراء وكتابــا ، فان تلــك الفترة فى واقع الامر . ليست سوى علامة النهايــــة لمرحلة المراهقة فى المجال الفكري الحق داخل بــلادنا ، ولم تكن نضجا لا فى الوسيلة ولا فى المضمون . واعلام تلك الفترة بالنسبة لسائر فترات الادب ببلادنا ، هم كيف ما كان الامر . طليعة الكفاح الثقافي والاجتماعي، وقد ادوا مهمتهم خير اداء بالقياس الى امكانياتهــم ، فردوا مجتمعنا الحديث الى مرحلة بداية الرجولــة من حياتنا . واخفقوا هم لا عجزا ، ولا خوفا ، وانمــا انتهاء لم تكن لهم محيد عنــه ، بحكــم الطاقــة التي مكنــوهــا .

ولم تكن بد من ان نعرف ظروف الفكر فى بلادنا من امكان استمراره . لنقــدف على ظــروف الحيــاه السياسية والادارية التي دبت فيهــا الحيــاة بعــد الاستقلال . ذلك ان الذين كانوا يستخدمون القلـــم للتعبير عنخواطرهم أوافكارهم . اصبحوا يستخدمونه لاداء النقل الاداري ، والذين كانوا يفكرون . اصبحوا يتكلمون ، ومعنى ذلك باختصــار : انتهــاء مرحلـــة المراهقة فىالحياة الفكرية ببلادنا ، وبداية البداءة من مرحلة الرجولة منها ، وتلك فترة ، لوقلت عنها اكثرمن ذلك ، لخفت من الادب ان يرحل عنا الى الابــد ، ولا احسب الذين يحسنون الظن من كتابنــا . فيصفون ظروف الادب الحالية ببلادنا بالركود الا انهم يتخيلون الفترة التي سبقت . تره معطاء . ولو قــدر للفتــرة الحالية من يصفها بحق . لقال عنها : انها فترة انشاء الدولة ، ولم الشعث . والاستشعار بالذاتية . وهــي فترة تعكس رد فعل نفسي عنيف . احدثه الانتقــال من طور المراهقة الى بداية الرجولة . وفى هذا الطور . من الرجات الخلقية والسياسة والعقيديــة مــا لا يسمح الا بالرغبة فى الاستقرار . والادب اذا كــان فى رأي بعضهم نابع عن الالم والامل . فان مكان الشعور بالالم او بالامل . لايتأتى الا بعد شيء من الاستقرار . ولم اقل من الطمانينة . اذ الطمانينة قد تاتي بالبطنة وكثرة النسل ، ولكنها لن تاتي ابدا بشاعر او بكاتب.

اذن . فالادب عندنا ــ او الحياة الفكرية ــ ليس فى ركود . والذين منا يشتغلون بالادب ليسوا عقيمين. لاننا لم نلقح بعد . حتى يجوز ان نحكم على نتاجنا ، والذي يحدث الآن ، اننا في طور الاعداد للخلق .

ولكن ماذا اعددنا لهذا الطور ؟

ماذا اعددنا فى هذه المرحلة الانتقالية من مراحل حياة الفكر فى بلادنا ؟ .

هؤلاء الذين كان المفروض فيهم ان يلقفوا القلم من اولئك ، قلنا عنهم : بانهم اعطوه فى مرحلة دقيقـــة من حياتنا السياسية كدولة حديثة العهد ، وبانهـــم لمــا شعروا بالاستقرار كي ينتجوا ، فهم تبعا لذلك ، ليسوا مسؤولين عن نمو الادب وشؤون الفكر فـــي ظروفهم الراهنة ، فهل المسؤولون بيننا عن التربيـــة

نحو ثقافة إسلامية

للاستاذ : عبد السلام الهراس

واقعنا الاجتماعي :

ان الامة التي تريد ان تبني كيانها يجب ان تقيم من نفسها رقيبا على سلوكها وتصرفاتها ونافدا لاساليبها في الحياة ووسائلها . والنتائج التي انتهت اليها . اذ بدون نقد ذاتي لانستطيع ان نبتر عوامل التعويق لنهضتها ونعوضها بعوامل دافعة وفعالة لحركتها وسدادها نحو الاهداف بكل دقة واتقان وسرعة . ولكي يكون كذلك ، لابد ان تتصف بنوع من الصراحة والجرأة والثقة بالنفس لتقدم على تجريد نفسها ووضعها في معمل النقد والاختبار والتحليل والمحاسبة لتحدد مكامن الضعف من جسمها وتحلل اسبابه وتتبع اعراضه لتصل الى منابعه الاصلية التي توزع سمومها في اعضاء جسم الامة ، وبذلك تضمن لنفسها القضاء على المرض وبالتالي التمتع بالعافية والقوة .

وليس من علامة الحياة السليمة ، ان تنصاع الامة لعقدها فتتجاهل المشاكل التي تتخبط فيها . وتدبر عن معرفة معالجة الامراض التي تمزق اوصالها وتعور كيانها . خوفا من (الفضيحة) او الظهور (بالنقص) امام الامم الاخرى . مثلما يفعل المريض (المعقد) حينما يخفي مرضه عن الطبيب بدافع عقده . ويتظاهر بالسلامة واخيرا يكون المرض قد استشرى . فقضى عليه او كون فيه عاهة مستديمة ، وتلك الامة تضطر الى ان تلجأ الى تعويض النقص بتكديس الاشياء والتعلق بالاشكال والمظاهر ، وبذلك تتيح لتلك الامراض الاستفحال والتأصل فتجعل من حياتها سلسلة من الامراض والشقاء والعجز ، وتعرقل حركتها ونهضتها وتطرحها ارضا عندما يكون الاصحاء يحلقون في الاجواء .

فالنقد الداخلي ضروري اذن ، ليس فقط لاستمرار الحركة بل لضمان سلامتها وفعاليتها وتزويدها بعوامل القوة والسرعة والسداد للحصول على اعظم النتائج من اقرب طريق وايسرها ، ولذلك فسأتحدث اولا عن واقعنا الاجتماعي وسأكون صريحا في هذا الحديث .

لقد استلمنا شؤون انفسنا . واصبحنا نحن – لا الاستعمار – المسؤولين عن تلك الشؤون فهل استطعنا ان نخطط لايجاد مجتمع سليم من الامراض، اي مجتمع مثقف . ان الصفوة التي كان الامل يعلق عليهم لتحقيق هذا الامر قد امتصتهم عوامل واطارات ابعدتهم عن معالجة المشاكل الاجتماعية ، وكان يمكنهم ذلك اكثر قبل هذا الاوان ، ولكن الفرصة ضاعت كما ضاعت وتضيع كثير من اخواتها ، بل انني ارى انه قد برزت في المجتمع المغربي ظواهر خطيرة ، كما اختفت منه او كادت ظواهر طيبة كان من الواجب استغلالها وتنميتها لايجاد المجتمع الذي نريد . وان اهم ظاهرة برزت في مجتمعنا وسيطرت عليه واصبحت عنوانا لهذه الفترة من حياتنا هي ان «المثل العليا» قد ضمرت في حياتنا الاجتماعية وتوارت اشعاعاتها فوجد الظلام فرصة سانحة لينشر علينا رداءه ويتجاوب مع الشهوات .

واذا انعدمت « المثل » او ضمرت فان ذلك يعني تغييرا في طبيعة العلاقات الاجتماعية وتركيبا جديدا للمجتمع .. مما يفسح المجال الواسع للشهوات وللاغراض الخاصة ان تسيطر على تلك العلاقات وتنحو بها مناحي خطيرة وتدفع بها الى مهاوي التأخر والسقوط ، لتضارب المصالح الفردية ولتحكم منطق الشهوات في الحياة الاجتماعية ، واختفاء قيادة الروح

واحسب ان الاستقلال السياسي في بلادنا اجتاز هذه المراحل جميعها ، ولكنه لم يشرع بعد للاسف في اجتياز المرحلة الاولى من تلك المراحل الثلاث في قضية الاستقلال القومي .

والاستقلال القومي ، او الشخصية المتحررة امر عظيم المنال ، خطير الشأن ليس ذلك فحسب بالنسبة الى وجوده ، ولكنه كذلك بالقياس الى ما يضفيه من صفة النضج على الشخصية المتحررة ، مما يؤدي بالضرورة الى تاخير الاستقلال السياسي ذاته ، والمحافظة عليه من ثغرات الدخلاء والانتهازيين ، ولا سبيل الى جعل الاستقلال القومي حقيقة نحياها ، الا باجتياز ناجح ، لطور الايمان به ، الى طور المطالبة به فعلا ، ولا يوجد في الدولة — اي دولة — جهاز يعتمد عليه في تحقيق ممارسة الاستقلال القومي والحصول عليه ، اذ لم تكن للتربية الوطنية راية الرائد فيه .

واذا كانت المرحلة الاولى من مراحل الاستقلال السياسي والمرحلة الثانية والمرحلة الثالثة تعتمد على الافراد ، اي على الشعب ، فان ذلك كفاح من اختصاص الافراد فعلا ، اما تحقيق الاستقلال القومي اذا اريد له الانجاز الفعلي المباشر ، واريد له التنفيذ السريع ، فانما تقوم بمسؤوليته ، وتتكلف بتحقيقه الدولة ، واقصد هذه المرة بالدولة رجال الحكم في البلاد .

والاستقلال القومي يفتقر تحقيقه الى عناصر ، اذا كان من بينها تنظيم الاقتصاد الوطني ، والجيش ، والعلاقات الخارجية ، والعدل ، فان للتعليم والتعريب بالنسبة لظروفنا اهمية اساسية اعظم واخطر من كل ما يتوقف عليه تحقيق الاستقلال القومي في بلادنا . ذلك ان حماية حدود بلادنا ، وتطوير اقتصادنا ، وتنظيم علاقاتنا بالخارج ، ونشر العدالة بين مواطنينا ، كلها مسؤوليات لاتتناسب ومستوى التعليم والمعرفة بين ابنائنا ، كما ان مصيرنا المربوط برسالتنا في الحياة داخل المجموعة العربية والاسلامية لاينسجم ولغة الدخيل علينا ، التي فرضها وفرض معها تقاليدها وآمالها ، وحيث ان الاستقلال القومي مفتقر باستمرار الى التربية الوطنية ، فان تربيتنا الوطنية لاتقوم لها قائمة الا بنشر التعليم وتعميم التعريب ، ذلك ان التعريب بالنسبة لنا هو العمل البناء الاساسي في استقلالنا القومي ، ولقد كانت فرنسا تعرف ذلك جديا فعمدت في سياستها الاستعمارية الى العمل على فرنستنا ، لا حبا فينا او ترقية بمداركنا — كما يحلو للمملوكين ان يدعوا — ولكن من اجل ان تقطع الصلة بيننا وبين مراحل تطور تفكيرنا ، وبيننا وبين طريقتنا في الاحساس ، بقصد ادماجنا في تاريخ مراحل تفكيرها وآمالها ، ونحن كامة تتمتع بجميع مقومات الامة ، لم يمكننا ان ننصهر في تقاليد وآمال غيرنا ، فلا يسعنا اذا — وقد انفصلنا عن النشاز — ان نحيا بدون المحافظة على رسالتنا ، وانه لا سبيل لنا لتحقيق القيام باداء تلك الرسالة الا بنشر التعليم وبتعميم التعريب .

ولعله مما سيتوجب منا ارساءه الآن ، بعد ان احرزنا على الاستقلال السياسي ، ان نعيد لتفكيرنا طريقته في الاسلوب وان نرجع لاحساساتنا وسائلها في التعبير ، اي : ان نمارس لغتنا لكي يتأتى لنا ان نعود الى الارتباط بمراحل تطور تفكيرنا ، فنستشعر كيان ذاتنا ، ونستلهم طبيعة تكويننا ، لنتمكن من تحمل رسالتنا التاريخية باستمرار وجودنا .

وهنا مما سند للاوضاع اختصاصها ان تحتضن **وزارة التعليم والتعريب** واجب القيام بمسؤوليتها قدورها يعادل بل يفوق وزارة الدفاع في حماية استقلالنا ، وتاكيد قوميتنا ، والذود عن طريقة تفكيرنا ، واسلوب احساسنا ، اي عن اللغة التي هي وسيلة للتعبير وقحوى للشخصية في آن واحد .

* * *

ويومئذ سوف يجوز لنا ان نتحدث عن تقييم الادب في بلادنا ، فيحق لنا ان نصفه بالركود او ننعته بالثورة ، اما في بداية طور الرجولة من عمرنا الادبي ، فليس من حقنا ان نقيم الادب في بلادنا ، والجهل يفتك بابنائنا ، ولغة الدخيل تحيق بيئة تفكيرنا ، وليس هناك جيل معين يمكن ان نحمله مسؤولية « الركود الفكري » جيل السلف ادى مهمته في حدود امكانياته ودعته مسؤولية اخرى فانصرف ، وجيل الخلف لايستفز ويوجه التوجيه الخلاق ، والادب في بلادنا لما يحن الاوان لوصفه بالنشاط او بالركود ، وانما الاساس السليمة لبناء حياة فكرية في المغرب ، هو موضوع النقد الذي ينبغي ان تنصرف اليه عنايتنا ، اصحاب اقلام ، ومسؤولين عن التربية الوطنية في البلاد .

مع ان الثقافة ليست علما ولا شهادة فكم من حامل شهادة ليس مثقفا .. وليست تحذلقا ولا رطانة اجنبية وانما الثقافة (مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كراسمال اولي في الوسط الذي ولد فيه ..) وهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة (1) ، وهذا المحيط ليس خاصا بالرجل المتعلم والطبيب والمحامي دون رجل الشارع والزارع والعامل ، وانما الجميع يشترك في تلك القيم فتكون الروابط الاجتماعية متقاسمة بين جميع افراد الامة وتمنح الجميع حصانة حضارية ضد التقهقر والسقوط وتزودهم باحساسات متشابهة متجانسة وبالتالي بسلوك متميز بطابع خاص .

وقد شهد التاريخ ثقافات كثيرة كانت منسمة بطابعها القومي والعنصري فلم نستطع ان تتخلص من شوائب الذات ، والنسبية ، ولهذا رأى بعض الكتاب ان الثقافة متعددة ، وبان الثقافة القومية هي : التجلي العلمي لعبقرية شعب في شغله ونظريته في الحياة وتصرفاته (2) ولكن الثقافة مادامت في طبيعتها قومية فانها لن تكون شاملة للقيم الانسانية جمعها لانها حينئذ تكون مرتبطة بجنس معين وبدم خاص ، وبذلك لايمكن لها ان تكون الاطار العام الذي يسع في رحابه الانسانية كلها .

والثقافة لن تكون انسانية الا اذا كانت تحمل في طبيعتها القيم الانسانية المثلى واولها احترام الانسان والمحافظة على كرامته وتعزيزها ، وتكريم الانسان معناه ، ضمان العدل والمساواة ، وصيانته من العدوان والتحكم ، وتحريره وجدانيا واجتماعيا من العبودية للبشر مثله ، وان تكفل له الحياة في رغد وامن في سربه واهله ، وان تهيىء الفرص له لكي يسمو نحو الكمال وتزود بوسائل هذا الكمال الانساني .

والثقافة التي تحقق هذه المعاني للبشر هي التي اختارها الله لهم وهي : الثقافة الاسلامية لانها تضم في كيانها جميع عناصر الخير التي تحقق السعادة الروحية والمادية لمن تخالط قلبه بشاشتها ، ولا اعني بالثقافة الاسلامية معلومات تلقن ، ولا قواعد تلقى ، ولا فروعا تدرس ، ولكن احساسات ومشاعر تضم بين حناياها تعاليم السماء وتفيض على الجوارح سلوكا كريما وخلقا رفيعا لتقديم القدوة الصالحة .

فالانسان في الثقافة الاسلامية مكرم بعهد من ربه الذي كرمه قبل ان ينزل للأرض فامر الملائكة بالسجود له احتراما ، وخلقه في صورته ، وانزله للارض لتحقيق معاني السماء وصرح له بقوله تعالى : ولقد كرمنا بني آدم . ولقد اشاع الله هذا التكريم في ثنايا تعاليمه ، فجعل المساواة للحياة الانسانية فلا تفاضل في جنس ولا في لغة ولا عائلة وانما في التقوى والصلاح (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ، ومن خطبة نبي الاسلام عليه افضل الصلاة والسلام : ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى الا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

والفرد كريم في الاسلام عزيز على الله ولذلك يكون الاعتداء عليه اعتداء على الناس جميعهم لان المجتمع الانساني في نظر الاسلام كل متماسك يشعر بشعور واحد ويكون جسما واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى يقول رب العالمين : من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا .

ولقد كان الاسلام كريما حتى مع الحيوان فكان قاسيا على المرأة التي عذبت هرة .. وكان كريما مع امريء انقذ حياة كلب وادخر الجزاء لامثال هؤلاء ولهذا رأينا اوقافا خاصة بالبر بالحيوان .. ولتكريمه للانسان جعل العلاقة بين افراده موده ورحمة وليس في وقت عادي ولكن في ظروف متوتره وجعل من صفة المومنين انهم يدرأون بالحسنة السيئة ، وجعل الدفع بالتي هي احسن خلق المؤمن اتجاه عدوه : ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي

1) شروط النهضة 79 — 80 ط 1
2) التربية الوطنية عدد — 1 — 1959 — الثقافات الوطنية والحضارة الانسانية للدكتور عزيز الحبابي

التي تختفي بوجودها اخطر المشاكل ، ولا ننكر ان المجتمع الانساني المتالي لا يخلو من تضارب المصالح الفردية ، ولكن السيطرة الروحية التي تنتظم جميع افراد المجتمع وترتبط بضمائرهم واخلاقهم وافكارهم كفيلة بحل تلك المشاكل على نحو مرض وجميل بصفة عامة .

فمجتمعنا يسوده التفكك فى العلاقات الاجتماعية لانها لم نعد نستند على مثل عليا مشتركة وانما اصبح كل فرد يسعى لتحقيق ما يشبع (شهوته) واغراضه الخاصة ، ولا اعني انعدام كلنزعة اجتماعية وانما هذه النزعة لم تعد قوية بحيث يكون لها تاثير بارز وشامل ، فالمجتمع اصبح مكونا من وحدات مستقلة فى عمومه لا تماسك قويا بينها ولذا فهو يعاني حالة (مرضية) واذا نظرنا الى هذه الوحدات فسنجدها خاضعة لسحر « الاشياء » وصارفة طاقاتها فى مختلف الميادين للاستيلاء على « الاشياء » وتحقيق « المثل » المادية التي فرضتها علينا حضارتنا الشيئية — حسب تعبير مالك بن نبي — لاشباع حاجات محدودة لانسهم فى نهضة الامة ولا تنشط حركتها ، وانما نكثر من سلعها الاستهلاكية ونكدس من تلك السلع هنا وهناك .

وهكذا اصبح للتنافس ميادين مادية صرفة واصبحت المواهب مشدودة بتحقيق نوع من الحياة الخاصة بشبه من ناحية الشكل تلك الحياة الخاصة التي نشاهدها — من الخارج — عند الاوروبيين المترفين .

ومن الواقع الذي لا مفر منه وجود حيرة وبلبلة فى الاتجاهات والاهداف وان المسيطر علينا هو لاتجاه الغربي الذي يحارب كل مسعى نحو تهييء الفرص للتفكير الجدي فى ايجاد تيار مغربي ينبثق من ضمير الشعب وتاريخه وعناصره النفسية ، ولهذا الاتجاه بعض العذر .

وبسبب تلك الحيرة اصبحنا نرى انماطا مختلفة من السلوك والحياة ، وتفككا اجتماعيا سائدا . واختلالا فى المقاييس واختلافا فى المشارب .. وما تزال وضعية المغرب التعليمية والاجتماعية والسياسية تساعد مساعدة قوية على نمو هذه المظاهر وترعرعها.

وذلك كله طبع مجتمعنا بالسلبية واصبحت هذه السلبية تواجهنا فى كل امر من امورنا ، ولا نستغرب اذن ان وجدنا النوايا الطيبة والمشاريع الخلابة تموت فور وجودها لانها تفتقر الى شروط الحياة ، الى محيط خاص وهو محيط الثقافة .

وبروز تلك الظاهرة كان تماما على حساب ظاهرة طيبة كانت تسود ايام الاستعمار ، والظاهرة هي السيطرة الروحية التي كانت القاسم المشترك بين المواطنين ، مما دفع الامة الى التضامن والتعاون والثقة وتحقيق الاهداف التي رسمت لهم .

ولولا بعض عوامل التمزيق الداخلية التي كانت تصاحب وجود تلك الظاهرة وتؤثر عليها وتجزئها لاعطت نتائج اعظم من التي رأيناها ايام كفاحنا مع الاستعمار ، ولكتب لها النمو والاستمرار ولكن هذه الظاهرة لفظت نفسها او كادت عندما رزئت «بالهوى» وبما خيب الآمال وصدم الاماني والاحلام .

ولكن هذا لا يسلمنا الى قبضة الياس وسجن القنوط فليس من شيم المومنين ذلك ، وما ينبغي لهم ان ييأسوا من رحمة الله ، ولنا فى الخميرة الروحية التى ما تزال مستقرة فى اعماق الشعب المومن خير مشجع على ضرورة تلمس طريق الخلاص وتخطي هذا الحاضر نحو مستقبل يحقق للامة ما كانت تصبو اليه من قبل .

الخلاص هو الثقافة :

فما الحل اذن ، لنصل الى المستوى الذى نريد ، ونحقق الآمال التي من اجلها كنا نسعى ، فنوحد المشاعر والعواطف والافكار ، ونمتن الروابط على اساس حضاري نكون لنا الاطار العام الذى يشدنا بكل نزعة خيرة وميل كريم ، ويتعهد بطبع الاجيال الصاعدة بطابع الثقة والوفاء والاصرار على البناء ؛ والضمير الحي وبالمعاني السامية والاحساسات الجميلة ؟ ان الحل فى الثقافة .. اي ان نصبح مثقفين .. ولعل البعض يرد فور قراءته هذا السطر بقوله : اننا مثقفون .. او على الاقل عندنا طبقة مثقفة لاباس بها ، ومع ذلك فان الخلاص مايزال بعيدا .. بل قد يزيد قائلا : ان معظم البلاء جاءنا من هؤلاء المثقفين . ولقائل ذلك عذره مادامت الثقافة فى عرفه هي العلم وقراءة الصحف وحيازة الشهادات ..

اتجاه فطري بسيط واقعي ، لاتنساق مع المادة ولا تشايع الروح وانما تستجيب لهذه وتلك فى اطار من الانسجام والتعاون بشرط ان تكون الروح قوامة على المادة ولكن فى غير ظلم ولا تعسف ..

والثقافة الاسلامية تكون وحدة متناسقة منسجمة لا تقبل التجزئة او التنازل عن بعض عناصرها والتضحية بطبيعتها فى سبيل اتحادها مع غيرها وادخالها فى اطار مزدوج لان الذي خلق الثقافة الاسلامية جعل وجودها وحياتها فى وحدتها فلا ينبغي الايمان ببعض والكفر ببعض ، وما يقال عن ترقيع فى الثقافات فانما هي محاولة لايجاد سقط مشوه يقال له الثقافة ، لان هذه الثقافة ستكون فاقدة لعناصرها الحيوية وجامعة لعناصر سلبية تتبادل بينها عوامل النفور والعدم ولكنها لا تتبادل عوامل الحياة والانسجام

واذا كنت اوليت العنصر الاخلاقي من الثقافة عناية اكبر من العنصر الفني والجمالي فلان الانسانية لفى اشد الحاجة الى الاخلاق لتعيد لها الامن والطمانينة وليستعيد الانسان فى ظل هذه الاخلاق كرامته التي خسرها فى ظل العلم كما فقد راحته فى ظل الصناعة والفن . اذ اصبح العلم مسخرا للضمائر المتعفنة التى جنت شهواتها واصاب غرائزها السعار واصبحت تندفع فى رعونة نحو خراب الارض .

والموضوع ــ اخيرا ــ اكثر من ان يحيط به مقال ولذلك اكتفيت باعطاء فكرة عامة عن الثقافة الاسلامية وبينت فى ايجاز بعض عناصرها ، واعتمدت على اهم مصادرها : (القرآن والحديث) وعسى ان نجد فى المغرب من يؤمن بضرورة هذه الثقافة فيدخلها فى حيز التطبيق لتغيير هذا الواقع الاجتماعي المريض .

واحب ان اقول كلمة اخيرة قبل ان اغادر الموضوع :

ان الاستعمار يراقب سير المغرب من البلاد الاسلامية ــ مراقبة واعية ودقيقة ويعمل جاهدا على ابقائنا فى واقعنا المتعفن لان فى ذلك تحقيقا لاهدافه ويستعين فى تقوية وتركيز هذا الواقع وتغذيته بالغذاء اللازم بخبراء يبنهم فى مراكزه وقواعده الثقافية ليحولوا بيننا وبين ثقافتنا الاسلامية عن طريق تزييف الحقائق ، تلك الثقافة التي ان طبقت فى واقعنا ستكون القضاء على الاستعمار ليس فحسب فى المغرب بل فى افريقيا المتعطشة للاسلام ، والاستعمار لا يهمه ان كان المغرب اكبر مصدر للخمور لافريقيا ولكن الذي يهمه ان يكون المغرب مصدر المومنين والدعاة المخلصين بالثقافة الاسلامية فى افريقيا .

ولهذا كانت دعوتنا لوجوب الاخذ بالثقافة الاسلامية لانها ستخلصنا من الكارثة الاستعمارية وستحلنا مقعد القيادة الروحية والفكرية فى افريقيا وتجعلنا نسهم فى انقاذ الانسان المعذب وتزويده بعناصر الحياة : بالدين القيم .

بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ولا يلقاها الا الذين صبروا ولا يلقاها الا ذو حظ عظيم .

والدارس للاسلام يقف على المنابع الثرية لتكريم الانسانية واحترامها فى كل ناحية من نواحيه .

ومن تكريم الاسلام للانسان تحريره من عبودية البشر والاحجار والسمو بكرامته عن ان تمتهن بهذه العبودية المزرية وذلك عن طريق الايمان بالله وحده خالق كل شيء وما اجمل هذا النداء الرباني : قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله . .

اما تحقيق العدل للانسانية فى الاسلام فهو سمة بارزة فى هذا الدين وليست العدالة وقفا على المومنين به بل تشمل الناس كافة ممن يقعون تحت مسؤوليته . والكلمة الخالدة التي قالها عمر رضي الله عنه : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ، كانت بمناسبة ظلم وقع من ابن حاكم مصر عمرو بن العاص على قبطي مصري . والاسلام ليس دين العدالة فحسب بل هو فوق ذلك دين الرحمة والعفو والتسامح ولكن فى دائرة واقعية تطبيقية لا مثالية خيالية . . واذا كانت القيم الاخلاقية عنصرا جوهريا فى الثقافة فان الاسلام رسالة اخلاقية قبل كل شيء ولهذا كان رسول الله موصوفا من لدن ربه بالخلق العظيم ، وبعث ليتمم مكارم الاخلاق اي ليعمم القيم الانسانية على الناس جميعا وليتمم النقائص الموجودة فى ثقافتهم البشرية بثقافة مختارة من لدن خالق الانسان ، ومتفقة مع كيانه البشري وفطرته السليمة التي خلق عليها .

فالاخلاق فى الاسلام ليست ذات اشعاعي داخلي ومغلق كما نرى فى الثقافة الاوربية التي هي البنت الشرعية للثقافة الامبراطورية الرومانية ، وانما تشع انوارها نحو الجميع (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وما اروع اسلوب القصر هنا . .

وبذلك تكون مكارم الاخلاق قد شملت الجميع ولم تعد وقفا على علاقات امة معينة كاليهود الذين يرون انهم ليس عليهم فى الاميين سبيل ، ويفرقون بين اليهود – شعب الله المختار – وبين الجريم اي الحيوانات التي خلقها الله على صورة انسان لتخدم شعب الله المختار ، وهذه النظرة المنحرفة قد تجلت فى الثقافة الاستعمارية كما نشاهد ذلك مطبقا في المستعمرات . . وفى امريكا ايضا بين البيض والسود.

فمثل هذه الثقافة تحتوي على عنصر اخلاقي ولا شك ، ولكن فى دائرة ضيقة وذات اشعاعي داخلي مغلق لاينفذ منه خيط من شعاع نحو الخارج . فالاخلاق هناك فى اطار علاقة افراد امة معينة اما خارج ذلك الاطار فتتحول طبيعة العلاقات الى نوع آخر وعلى اسس غير انسانية وغير اخلاقية ، وهكذا يكون الاوربي مثقفا من ناحية علاقته باخيه ، ومنحطا من ناحية علاقته بافراد البلاد المستعمرة (بالفتح) اما الثقافة الاسلامية فهي بطبيعتها لاتعرف التفرقة بين الناس ، فالخلق كلهم عيال الله احبهم اليه انفعهم لعياله ، لان هذه الثقافة تستهدف خلق مجتمع انساني متماسك ، وهذا التماسك لن يوجد فى ظل ثقافةعنصرية ، او قومية وانما فىظل ثقافة انسانيةتجمع بين مقتضيات المادة والروح ولكن تجعل المادة خاضعة للروح (وان قوة التماسك الضرورية للمجتمع الاسلامى موجودة بكل وضوح فى الاسلام . . وقوة التماسك هذه جديرة بأن تؤلف لنا حضارتنا المنشودة وفى يدها ضمانا لذلك تجربة عمرها الف عام وحضارة ولدت على ارض قاحلة وسط البدو ، ورجال الفطرة والصحراء (1))

والثقافة الاسلامية لاتؤمن بالسيطرة والتحكم والاكراه . . لا اكراه فى الدين . . لان فى ذلك فساد للعلاقة بين المثقف الانساني (المسلم) وغير المثقف وتنفيرا لهذا الاخير عن الارتباط بالانسانية عن طريق الاسلام ولذلك جعل الله الدار الآخرة لمن يريدون الاصلاح لهذا البشر بالتي هي احسن : تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين .

والثقافة الاسلامية من طبيعتها تمتين الروابط وتقويتها بين افراد المجتمع ، ولا تفوتها فرصة دون ان تبث تعاليم لخدمة ذلك الهدف ونظرة الاسلام للجوار خير دليل على ذلك ، والثقافة الاسلامية ليست ذات اتجاه مادي ولا اتجاه روحي ولكنها ذات

---

1) شروط النهضة ص 7 – 8 – ط 1

بسبب الاهمال وانعدام وسائل النشر من صحف ومجلات ومطابع .. على ان الباحث المتتبع يعثر بين الحين والآخر على بعض هذه الآثار فى اوراق مخطوطة اتى عليها الزمان .. وقد تبين من هذه الاشعة التي ارسلناها على الانتاج الادبي فى حقبة ما قبل الحماية ان هناك حياة ادبية زاخرة تمثل عصرها اصدق تمثيل وتحتاج الى عناية ونشر ودراسة .. وقد نسيت ان اقول ان حادث دخول الفيل الى المغرب كهدية من بريطانيا العظمى لجلالة ملك المغرب قد احدث ضجة ادبية بين الشعراء والكتاب فتبارت الاقلام وسابقت القرائح .. وكتب اصحاب المقامات على الطريقة المعروفة مقامات عديدة عرفنا منها شيئا وفاتتنا اشياء .. ثم اختيرت بعض هذه المقامات وكتبت بخط رائق وزخرفت .. وارسلت الى البلاط الامبراطوري فى لندن ...

اما حقبة الحماية فلها طابع خاص فى الفترة الممدة من الاحتلال الى نهاية الحرب الريفية .. كما ان لها ميزة خاصة بين الحرب الريفية واعلان الاستقلال .

فالفترة الاولى كانت استمرارا لعهد الاستقلال مع طابع خاص هو الاعراض عن الحياة الاجتماعية والسياسية والاستسلام للحياة الشخصية فى محاسنها ومباذلها .. لان الخوف من الحماة الذين تدخلوا فى كل شيء جعل الادباء يفرون من الحياة الاجتماعية فهذا يصبح مؤرخا يؤرخ المدن او الملوك او الآثار .. وهذا يصبح قاضيا نوازليا يجلس لفض الخصومات وسماع المرافعات .. وهذا يصبح كاتبا فى نظارة او وزارة .. وصار الشعر لايسمع الا همسا فى مناسبات خاصة .. او جهرا فى مدح كبير .. او تهنئة عظيم .. او تملق وجيه .. على ان هناك طائفة فاتها الركب وخانها الحظ فلم تنل منصبا ولم تكتسب جاها ففادها اليأس الى حياة المجون والعبث تدور حول نفسها وترسل نفثاتها فى خمريات وهزليات وغزليات وهجويات ..

ولسنا فى مقام سرد الاسماء والمسميات والآثار الادبية لكل شاعر او كاتب او على الاصح ممن كان يسمى شاعرا او كاتبا .. ويكفي ان نقول ان آثار هؤلاء لم تضع تماما فقد حفظت بعض المؤلفات المغربية شيئا منها .. كما ان بعض الصحف كانت تنشر شيئا منها فى مناسبات عديدة ..

فاذا انتقلنا الى الفترة الثانية من حقبة الحماية وجدنا روحا جديدة ونهضة ادبية حية طموحا تتجلى فى هذه المجلات وهذه الصحف التي اخذت تظهر فى الشمال والجنوب طافحة بالانتاج الادبي شعرا ونثرا وقد دبت فيه روح جديدة من الشعور بالوطنية المغربية والتحفز الى الاصلاح والبناء .. وظهرت فيه آثار الاتصال بالنهضة الادبية والعلمية والاصلاحية فى الشرق العربي .. وكانت النزعة التاريخية تسيطر على اهم البحوث والمقالات المنشورة فى الصحف والمجلات .. كما ان الشعور القومي كان هو الآخر بارزا فى جل القصائد التي ظهرت لشعراء كثيرين .. والباحث المتتبع لمجموعات : السلام ــ والمغرب الجديد ــ والثقافة المغربية ــ ومجلة المغرب ــ ورسالة المغرب ــ «فى اطوارها الاربعة» والملحقات الثقافية لجريدة ــ المغرب ــ يطلع على انتاج ادبي وفكري جدير بالخلود .. وكما قلت فى الحقبة الاولى لن استعرض اسماء ولن ادخل فى التفاصيل لان ذلك موضوع بحث مدقق بالمصادر والارقام شغلت به نفسي منذ زمان .. وكانت المناسبات تعمل عملها فى الانتاج الادبي كيوم شوقي .. ويوم المتنبي .. وذكرى مراكش .. ومأتم البلغيتي .. وحصار .. وابى شعيب .. وابن القرشي .. وذكرى الهجرة النبوية .. وذكرى المولد الشريف .. وعيد العرش .. وذكرى الظهير البربري . والمتتبع لما نشر ولما لم ينشر من الانتاج الادبي فى هذه المناسبات يظفر بدرر غالية جديرة بالاذاعة والنشر ويجدر بالباحث الا يهمل هنا ملاحظتين اثنتين :

الاولى : ظهور القصة المغربية فى محاولات موفقة باقلام مغربية بارعة اقتصرت على القصة القصيرة .. ولو خرج اصحابها من طور المحاولة الى طورالتخصص لكنا اليوم امام قصص طويلة ذات طابع مغربي ممتاز .. وقد استطاع الاستاذ عبد المجيد بن جلون السفيرالمغربى بالباكستان ان ينتقل من «وادي الدماء» الى « فى الطفولة » فسجل نصرا ادبيا للانتاج المغربي لن تنساه الاجيال .

على ان القصص القصيرة كانت فى معظمها مشرقة لا تخلو من فن طريف وتحليل عميق .. واقرا ــ عمي بوشناق ــ و ــ فى هدوء الشارع ــ و ــ داء النبوغ ــ و ــ الطاوس الانساني ــ و ــ مجذوب زالاغ ــ و ــ حتى الطيور فى حيرة ــ و ــ الفقيه البركة ــ على سبيل المثال لترى المحاولات الجريئة الموفقة التي حققها هؤلاء النوابغ ...

الانتاج الأدبي والعقبات التي تقف في طريقه

للأستاذ عبد القادر زمامة



اذا استعان الباحث بالموضوعية والنزاهة والاطلاع الواسع عما انتجته الاقلام المغربية منذ مفتتح القرن العشرين الى الآن ... واذا كان بامكانه ان يقرا مجموعات الجرائد والمجلات المغربية التي صدرت فى الشمال والجنوب .. وان يستقصي المؤلفات المغربية بين ديوان وبحث وقصة .. فانه ولا شك يكون رايا ناضجا نزيها فى الانتاج الادبي بالمغرب .. وسيكون هذا الراي المبني على الاستقصاء والتتبع مغايرا كل المغايرة لهذه الاصوات الببغاوية التي تردد النغمة الواحدة ، وتحكي الصدى الواحد فى كل الظروف والمناسبات ...

ولنبدأ القصة من اولها كما يقولون .. هل هناك انتاج ادبي فى المغرب ؟ واذا كان فما هي الصفات العامة لوجهته ؟ والى اي حد يمكن ان يكون هذا الانتاج معبرا عن البيئة المغربية والحياة المغربية الجديدة ؟ وهل هناك عوائق تحول دون اداء هذا الادب لرسالته فى الفكر بالمغرب والمجتمع المغربي...؟

ولعلك ادركت انني ابحث عن الانتاج الادبي بالمغرب منذ مفتتح القرن العشرين اي منذ ازيد من نصف قرن من الزمن .. وهي حقبة طويلة مر المغرب فيها بثلاثة اطوار هي .. عهد الاستقلال الاول .. عهد الحماية .. عهد الاستقلال الثاني .. ولنسر فى البحث على ضوء هذا التقسيم .

فعهد ما قبل الحماية كان فى انتاجه الادبي والعلمي مرتبطا بملابسات الزمان والمكان والحياة الاجتماعية والسياسية .. فكان هناك الادباء الرسميون المرتبطون برجال الحكم والسياسة يمدحون ويهنئون ويصفون .. وهناك الادباء الاحرار الذين غلبت عليهم النزعة الشخصية فعاشوا بين ماجن خلع همه الانغماس فى حمأة الرغبات المادية .. وتقي متصوف همه الفرار من واقع الحياة وصخب الاحياء الى وجدانياته وسبحاته .. واجتماعي واع عاش الاحداث الخطيرة التي كانت تعصف فى الداخل والخارج باستقلال المغرب ووحدته ... وشاهد الاوضاع التي زيفت المقومات الاساسية لحياة الافراد والجماعات .. وكل هؤلاء تركوا انتاجا ادبيا عرفنا بعضه فى ديوان الشاعر المغربي الفحل الحاج ادريس السناني الذى يدل دلالة واضحة على ما بلغه الانتاج الادبي المغربي فى ذلك العصر من تنوع ومتانة وخيال وجداني بديع .. كما عرفنا بعضه فى آثار الشاعر المغربي ابى العباس ابن الموّاز شيخ الادباء وامام الشعراء فى عصره .. وقد طوي عنا واخفي كثير من انتاج هذه الحقبة من تاريخ المغرب لعدة اسباب .. ترجع فى معظمها الى استئثار ورثة الشعراء والكتاب بآثار آبائهم واجدادهم وتركها مهملة فى خزائن خاصة لاترى النور ولا يسمع الناس عنها قليلا ولا كثيرا .. كما انه قد ضاع فعلا كثير من انتاج هذه الحقبة

ثقافتنا بين القومية والإنسانية

للأستاذ محمد السرغيني

الحضارة فعل انساني يقوم على مختلف ما يبدبه الانسان من نشاط ثقافي . فالثقافة بمختلف فروعها - هي مجموع الحضارة ، فهي التي تحيل النظريات المجردة الى واقع يلمسه التاريخ حين يتناول الحضارة بالدرس : النظريات الهندسية تتحول الى جسور ومشاريع ، والنظريات الفلسفية تتحول الى نظم وقوانين تعطي المعنى الحقيقي لحرية البشر وسلوكهم ، والنظريات العلمية تتحول الى مخترعات . وهكذا . هذه التطبيقات الناشئة عن النظريات ، يتناولها المؤرخ لحضارة ما . على أساس انها وثيقة تشهد بالدور الذي لعبته هذه الحضارة في اطار الحضارة الانسانية الشاملة . واذن ، فالثقافة عنصر هام في بناء الحضارة بشكليها : العام والخاص .

والواقع انه منذ بدء التاريخ . والحضارات تتعاور عليها الامم المختلفة : حضارة الصين . حضارة مصر القديمة . حضارة اليونان . حضارة الرومان ، حضارة العرب . حضارة العالم المتمدن . وما دامت الحضارة فعل انساني ، فهي حق مشاع بين جميع الشعوب والامم ، وعلى هذا الاساس . لا نستطيع ان نحكم بحزم ان هذا الشعب دون المستوى الحضاري للآخر . فهذا شيء لم يحدث مطلقا في التاريخ . اذ ان كل شعوب الارض ساهمت على قدر امكانياتها في التنمية الحضارية العامة . والذي حدث ان شعبا سبق آخر في هذا العمل ، وحينما اضمحلت حضارته . سلمها بطواعية وبتلقائية للآخر ، حيث أضاف اليها الكثير وطبعها بخصوصياته .

ويمكن ان نجد بعض الشعوب الملونة قد تأخرت عن ان تسهم في بناء الحضارة ، وذلك يرجع الى ظروف تاريخية قاسية ، عاشتها هذه الشعوب . هذه الظروف عاقت ذكاءها ومفاهيمها للحضارة عن التفتح . والآن ، وبعد ما اتيح لها الانطلاق ، فانها لم تتقاعس عن تحمل دورها في معركة البناء .

والعرب كغيرهم قد اسهموا في بناء الحضارة الانسانية ، وكان هذا الاسهام محل نقاش عنيف بين كثير من الاجانب الذين كتبوا عن هذه الحضارة . فهناك من يحاول اثبات حضارة اسلامية ، لان مختلف الاقليات التي انصهرت في الاكثرية العربية . حملت معها مفاهيمها الحضارية ، وامكانياتها الذكائية ، وافرغتها في القالب العام للتاريخ الاسلامي. هذا الفريق أكثره من المستشرقين ، فبعضهم اقتنع بالفكرة لايغاله في مسيحية متعصبة (1) وبعضهم الآخر . أخذ بنفس الفكرة ، ليسير في دراساته على مقتضى منهاج ، وذلك ان الحضارة الاسلامية متشابكة في مظاهرها الفارسي والعربي والرومي والتركي . فهناك كثير من المؤلفين القدامى تركوا تراثا ازدواجيا . أي انهم كتبوا بالعربية وبلغتهم الاصلية ، كالخيام صاحب الرباعيات مثلا . وهناك مسائل معقدة في الحضارة الاسلامية . لا يمكن ان ندرس الا عند تعيين، فنحن عند دراستنا للصوفية. لابد ان ندرسها في وجهها الفارسي والعربي . بل والتركي احيانا ، اذا أردنا دراسة صوفي كجلال الدين الرومي . وهناك قضية التاريخ العثماني الذي كتب باللغتين : العربية والتركية . اذ ان بعض متقدمي مؤرخي الدولة العثمانية من الاتراك ، كتبوا تاريخ دولتهم بلغتين ، وخصوصا اولئك الذين تأثروا بمقدمة ابن خلدون : كحاجي خليفة 1609 - 1657 . صاحب كشف الظنون . وهناك مثلا التراث الفلسفي العربي . الذي بقي بين ايدي (الموريسك) حال سقوط الحضارة الاسلامية في الاندلس ، هذا التراث ترجمه اليهود الى العبرية ، خوفا عليه من اسبانيا المسيحية ، عدوة الفكر

---

1) كالمستشرق الاب لامانس .

الثانية : بوادر الادب المترجم عن الفرنسية والاسبانية فان الثقافة الاجنبية بدات تعطي نتائجها في هذه الفترة .. فهناك ادباء اصبحوا يحاولون نشر مترجمات عن الفرنسية والاسبانية بلغتهم العربية .. كما انه وجد منهم من كتب قصة مغربية عميقة التحليل رائعة الاسلوب بلغة فرنسية بليغة .. وكذلك وجد الشاعر المغربي الذي انتج شعرا فرنسي اللغة نال به اعجاب وجوائز المجامع الادبية في فرنسا ..

واذا كان لنا ان نسجل شيئا عن هذه الحقبة من تاريخنا الادبي فاننا نسجل انها الميلاد الحقيقي للمغرب الجديد بكل اتجاهاته الادبية وفيها تكونت البذور الكاملة لما نشاهده اليوم من صراع في معركة الحياة والبقاء .. وسنكون اوفياء لماضينا وحاضرنا الادبي لو عملنا على نشر ما نسي او جهل من اثر هذه الحقبة الزاهرة بالانتاج الادبي وان كانت مظلمة مليئة بالفواجع والآلام ...

ولننتقل الى الطور الثالث طور الاستقلال ، وكما كان الاستقلال نعمه وثب المغرب بسببها وثبة تاريخيه زلزلت ارض الطغاة والحماة والجناة ، وعرف طريقه لبناء حياه جديدة ذات مسؤوليات وتبعات وواجبات في الداخل والخارج .. فانه كان ايضا فرصة ذهبية للانتاج الادبي شعرا ونثرا .. وكان المنتظر ان يتشجع الجبان .. ويستأسد الضعيف .. ويثب الخجول الحيران .. ويأتي البذور بمحصول عظيم الكم .. رائع الكيف ..

ولكن ـ وما افسى ولكن وما امرها ـ انقلبت الآية فسكت الناطق .. وهدأ المتحرك .. وضعف القوي . ونضب المعين او كاد واصبح الفراغ الادبي شبحا مخيفا يتراءى في كل ميدان .. ويضج الناس بالشكوى منه في كل مناسبة ..

والى هنا ينتهي العرض لنبدا في مناقشة العقبات التي تقف في طريق الانتاج الادبي .. وتحول دون ازدهار الحياه الادبية بالمغرب .. وهذه العقبات في طبيعتها ترجع الى نوعين اثنين : عقبات مادية ترجع الى الحياة الاقتصادية واسلوبها .. وعقبات ادبية ترجع الى الحياة الفكرية واسلوبها .

فالمغرب لحد الآن غير مجهز بأدوات النشر والطبع من مطابع ودور تجارية تغامر بنشر الانتاج المغربي القديم منه والحديث .. ومساهمة المطبعة في الحياة الفكرية اصبحت ضرورية لاتتحقق اية نهضة بدونها.. وفي يقيني ان هذا النوع من الاقتصاد يجب ان ندعو اليه بكل الوسائل وسنظل نعاني ازمة فكرية وثقافية خانقة اذا لم نعمل على تجهيز البلاد بالمطبعة كما جهزناها بالراديو والهاتف والتليفزيون ..

وهنا أتوقع ان يعترض ناقد ويقول : ان المطابع الموجودة على قلتها كافية لان الادباء المغاربة لا ينتجون .. ولا يؤلفون فماذا ينشرون .. ؟ والجواب عن هذا الاعتراض ان المطابع ودور النشر في الامم الاخرى تبحث بطبيعة عملها التجاري عن المؤلف الذي تنشر له انتاجا .. وعن المصحح الذي يصحح لها مخطوطا .. وهي الى جانب عملها الاقتصادي الذي قد يدر عليها أرباحا .. تسهم في خلق حياه ادبية وازدهار ثقافي .. واخراج كتاب الى القراء .. لا يتوقف على مجهود المؤلف فقط .. بل يتوقف على مجهود الطابع .. والناشر .. والمصور احيانا .. فكل هؤلاء لهم حظ في وصول انتاج ما الى ايدي القراء ..

وهذه هي العقبة المادية الكبرى وعنها تتفرع عدة مشاكل لا مجال لذكرها الآن باستقصاء .

اما العقبة الادبية فهي ظاهرة طغيان الثقافة الاجنبية على الثقافة العربية حتى كاد التوازن ينعدم فالذين ينتجون ادبا عربيا مغربيا هم في الغالب من الذين يحملون ثقافة عربية خالصة .. او من الذين يحملون ثقافة عربية متينة الى جانب ثقافة اجنبية مكملة .. وهذا طبيعي لا مناص منه لانتاج ادب مغربي عربي اللغة والروح .

وهذا الجيل من الادباء قد ادى رسالته في مرحلة الكفاح الوطني فأسهم بنسبة متفاوتة بين افراده في الانتاج الادبي وهو الآن يملأ فراغا كبيرا في مناصب الدولة والوظائف المتعددة .. وقد ترك انصرافه عن الميدان الادبي فراغا ملحوظا عمت منه الشكوى .. على ان هناك من الاسباب الظاهرة والخفية لانصراف بعض الناس عن الانتاج الادبي ما لا تمكن مناقشته الآن وتستحفظ بها ذاكرة التاريخ التي لا تنسى ولا نسى .

وقصاصيها : ان (خليل حاوي) يفصح عن وجودية صريحة في ديوانيه : (نهر الرماد) و (الناي والريح) ، كما أن (مطاع صفدي) يفسر التمزق الذي يعانيه الجيل العربي الحالي تفسيرا وجوديا ، بل يتعدى ذلك الى أن يفلسفه ، وذلك في قصتيه : (الآكلون لحومهم) و (جيل القدر) . كما أننا بدأنا نقرأ قصصا (ساچانيه) بلغة عربية صريحة : (كوليت سهيل : ايام معه ، وليلة واحدة) و (ليلى بعلبكي : أنا احيا ، والآلهة الممسوخة) .

اما في المجال السياسي والاجتماعي ، فقد قامت بعض الاحزاب بالدعوة الى الاشتراكيه ، وبذلت في ذلك وسعها لتجعلها تنسجم مع مجتمعاتنا المتخلفة .

كل هذا يصلح أن يكون مدخلا لما نحن بصدده ، ولكني أحب أن اشير الى مفهوم القومية والانسانية، قبل أن يتاح لي أن أقترح الحلول التي ينبغي أن تنتهجها ثقافتنا .

ان القومية عند (ماركس) ، هي مجموع الوطن والجنس واللغة والتاريخ ، وان كان هذا المفهوم الآن لم يعد مستقرا ، فهناك قوميات متحدة ، تتحدث عدة لغات ، كما ان الهجرات المتكررة من البلدان المتخلفة الى البلدان التي تطفو بالفيء ، قد جعلت من العسير ان تكون قومية ما ، ذات أصل سلالي واحد ، ويظهر أن الارض هي التي تلعب دورها في تكوين وتحديد هذه القومية وتأطيرها في كثير من الخاصيات والامتيازات. وعلى هذا الاساس ، فالقومية العربية وجدت نفسها امام هذا التصدع التطوري ، فلم تشترط لذلك نقاوة الاصل السلالي ، بل جعلت كل من يعيش في ارض عربية التاريخ عربيا . هذه القومية قومية بالمعنى الواسع ، وهناك قومية بالمعنى الضيق لشعب واحد من الشعوب ، ويمكن ان نرادفها كلمة : (محلية او مغربية) . والحق أن المحلية أيضا لها خصائصها وطابعها بالنسبة الى الاقطار الاخرى التي تندرج جميعها في قومية بالمعنى العام ، وفي هذا المجال ، يمكن أن تصنف المحلية الى محليات كل منها ذو خصائص وميزات . فأي القوميين نريد لثقافتنا ؟ أنكتب ادبا يعكس آمال العرب باعتبار القومية العامه ، وفي هذا الوقت نتنازل عن تلك الخصوصيات التي تجعل انتاجنا محليا فقط ، أم ننتج أدبا يهدف الى ابراز خصوصياتنا كشعب في اطار قومية كبيرة تضم عدة شعوب ؟ الواقع أن الاتحاد السوفياتي والاحزاب الشيوعية في العالم ، يؤكدان على محلية فنون وآداب الاقليات المنصهرة في الاكثريات ، على شرط ان تنسجم هذه الفنون وتلك الآداب رغم محليتها مع الدعوة الاشتراكية ، اي انها تستطيع ابراز الماضي في شكل طيبوبة مستقلة ، والحاضر في شكل تفاؤل في الغد . فنحن نشاهد الرقص المختلف لمختلف شعوب الاتحاد السوفياتي ، خاضعا لعبقرية وتقاليد الشعب الذي وضعه ، كما أننا نرى أن الاتحاد السوفياتي يشجع لغات الاقليات المنضوية تحته ، وذلك بتدريسها وتسهيل مهمة التأليف بها ، وهذا يعني أن الاشتراكية وحتى في صورتها المتطرفة عند الاتحاد السوفياتي ، لا تجد مانعا من التأكيد على الخصوصيات المحلية ، اذا استطاعت ان تدفع التيار الانساني العام الى الامام ، فاذ تناقض اتجاه المحلية مع الاتجاه الانساني ، بحيث كان الانتاج نازيا او استعماريا أو فاشيا ، فان الاشتراكية لن تفتح له المجال في كنفها للظهور .

وهكذا ، فالانتاج الفني الانساني ، يسمو عن الفردية ، ويتجه الى الانسان ليجعل منه موضوعه الابدي ، وهنا مفترق الطرق بين كل من الوجودية والشيوعية ، فالوجودية تسمي الادب انسانيا ولو كان مجرد خطرات انسانية تصلح لان تكون تجربة حياتية ننتفع منها الآخرون ، بينما تؤكد الشيوعية على المعنى النضالي للانسان من اجل اسعادنفسه واسعاد الاخرين

فاذا اخترنا ان تكون ثقافتنا انسانية ، فأي الاتجاهين نفضل ؟ الى هنا ، فقد طرحنا سؤالين ! ومن خلال الجواب عنهما ننفذ الى موضوعنا .

اننا نود لثقافتنا (انسنة) شاملة تظهر للاخرين عبقريتنا ومدى اسهامنا في بناء الحضارة الحاليه ، ولكننا نرى من الاجحاف لفكرنا أن نجعله يسير وفق مناهج خطها غيرنا ، مع انه في امكاننا أن نعطي لانتاجنا لونا خاصا بنا ، لا يتعارض مع خطة (أنسنة) ثقافتنا فنحن شعب له عبقريته كبقية الشعوب الاخرى ، وفي امكان هذه العبقرية ان تمد بالخصب وبالثراء الفكري، هذه العبقرية نريد ان تبرز لتحدد مدى مسؤولياتنا اتجاه الحضارة الانسانية ، ولا يمكنها ان تبرز الا اذا زودناها بطاقات محلية ، تكون مع طاقات المحليات الاخرى التي تتفرع عن قوميتنا العامة ، نصيبنا الوافر في دفع عجلة الحضارة الى الامام .

اذن ، ما هي السبل الصحيحة التي تؤدي الى ابراز عبقرية ثقافتنا المحلية ؟ وما هو علاج هذا الركود الذي يكتسح بلادنا رغم انها في فترة مخاض ؟

العربي الاسلامي آنذاك . فلقراءة هذا التراث ، لابد من تعلم العبرية . والعربية نفسها نتاج القريحة السامية . فلتعلمها ، لابد من ثقافة سامية ضليعة . وهكذا . فالحضارة الاسلامية مرتبطة ارتباطا قبليا بالساميات ، وارتباطا بعديا بحضارة الاقليات التي انصهرت فيها .

والخلاصة ان هذا الفريق الثاني من المستشرقين ارتأى ان يطلق تعبير الحضارة الاسلامية ، كما فعل ادام ميتز ، في كتابه : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ، وديمومبين . في كتابه : النظم الاسلامية . ودي بور ، في كتابه : تاريخ الفلسفة في الاسلام . وغيرهم (1) ليشمل ذلك جميع الشعوب التي عاشت في كنف الاسلام ، ولهذا فحين يطلق تعبير الدراسات الاسلامية ، يهدف ذلك الى تاريخ حضارة الشعوب التي عاشت مع الاسلام مؤثرا فيها ، أو قبله مؤثرة فيه .

والواقع ان هناك طائفة من العرب المسلمين يرفضون هذه الفكرة ، لانهم يعتقدون ان شفاء مضموننا من هذا التردي ، هو في وحدة اسلامية شاملة . وهذا يتمشى مع منطقهم العام . كما ان الشعوب المسلمة غير العربية ، تعطف على هذا الاتجاه . ومن المهم أن نشير هنا الى ان كتابات صهيونية متاخرة في هذا المضمار ، نفت نفيا باتا ان هناك حضارة عربية ، فقد ظهر في فرنسا قبل سبع سنوات . كتاب ليهودي فرنسي ، تحت عنوان : دولة اسرائيل . والبلدان العربية . سار فيه مؤلفه في هذا الاتجاه . ولم يكن السير في هذا الاتجاه بالنسبة الى اليهود اخلاصا في تقرير حقيقة تاريخية . ولكنه اتجاه قصد منه طمس معالم الدور الذي أسهم به العرب في بناء الحضارة العامة ، فهم يهدفون بنتائج هذا الاتجاه الى توسيع شقة الخلاف وبث الحقد الاعمى في القلوب .

وهناك فئة من المتاخرين العرب . ممن اقتنعوا بدسائس اولائك وهؤلاء ، قامت تؤطر تفكيرها وتحاول تعميمه ، هذه الفئة ، تبنت اتجاه الحضارة العربية . فكانت كل أعمالها الانتاجية تنعكس على هذا الاطار فقد بدأنا نرى كتبا تتناول الماضي على انه ماض عربي بحت . وذلك ككتاب (تاريخ الفلسفة العربية) لحنا الفاخوري وخليل الجر ، وكتاب : (معالم الفكر العربي في العصر الوسيط) لكمال اليازجي ، وكتاب (تاريخ العرب) لفيليب حتى وجرجي جبور .

والحق ان العرب برزوا في تاريخ الحضارة العام بروزا منقطع النظير ، ولا مجال هنا لاظهار ذلك البروز في جميع مرافق الحضارة حتى اللغوية منها ، انما المهم ان نذكر هنا ان الفرس والروم والقبط والسريان والترك ، وكل الاجناس التي عاشت مع العرب ، أنتجت انتاجا حضاريا بادوات عربية محض : الفكر واللغة ، اما مادتهم الخام تلك المتأثرة بمحليتهم والتي تتجلى في الميراث المنحدر اليهم عبر اجدادهم، فقد بدأت تفقد خاصياتها كلما ازدادوا اقتناعا بسلطة الفكر واللغة العربيين .

ان هذه الفئة التي تجد من اجل ابراز دور العرب في الحضارة ، قد ركزت جانبا مهما من قواها في البحث عن الماضي . باعتبار انه يولد في الجيل الحاضر حاسة الاقتناع بالدور الحضاري الذي لعبته أمته ، ومن ثم تكون وجوده استمرارا لذلك الدور . على انها لم تهمل الجانب البعدي في حركتها . ولكي تجعل هذه الحركة في انسجام مع النزعات الحالية ، وعلى الخصوص منها تلك النزعات التي تخدم المجتمعات المتخلفة . كالاشتراكية في صورتها المعتدلة . أو التي تخدم الفكر في مفهومه الفلسفي البحت ، كالوجودية في دعوتها الانسانية للحرية وتحقيق الذات عن طريق الاختيار الحر الواعي . ولهذا جاءت الدعوة العربية اليوم ، مجموعة من آراء وافكار قبلية وبعدية . اتخذت لتضع الاسس لبناء حضاري جديد . كل هذا . ليستطيع الفكر العربي اليوم . أن يؤكد استمرارية عطائه وخصوبته . ولكي نبين هذا . ينبغي ان نشير الى الموجة الجديدة التي تكتسح دعاة الحضارة العربية اليوم : فهي (شوفينية) (2) من ناحية الاعتزاز بالجنس وبالماضي . واشتراكية من ناحية أهدافها الاجتماعية والسياسية ، ووجودية من ناحية منهاج تفكيرها وتقييمها للانسان : اننا نجد اتجاها وجوديا في الانتاج الذي تطلع به علينا مجلة الآداب البيروتية ، كما اننا بدأنا نطالع لسارتر ، ولسيمون دوبو فوار . ولكافكا . بناء على ترجمات لبنانية ، بعضها لرئيس تحرير المجلة الآنفة الذكر ، كما ان موجة كاسحة من « الضياع والقلق » بدأت تطغى على شعر شعراء الموجة الجديدة

(1) كبروكلمان في كتابه : تاريخ الشعوب الاسلامية
(2) CHAUVINISME

أزمة إنتاج واستهلاك

لـلأستاذ المهدي البرجالي

نتفق الاراء على القول بان المغرب يعيش ازمه فكريه بعيدة الغور ، عميقة الجذور ، على الرغم من ان وجودها لا يحتل اية منزلة بارزة فى منطقة اهتماماتنا الوطنية الملحة ، ولا يستأثر باي جانب من اتجاهاتنا نحو الاصلاح والترميم فى مختلف الميادين ، ولا يماري احد فى ان استمرار هذه الازمة وتشعب نواحيها من شأنه ان يبقى على حالة التخلف الحضاري الفكري الذي يؤثر على تطور الجوانب المعنوية من حياة الانسان المغربي المعاصر ويحول دون توافر الشروط الضرورية لضمان انبعاث هذا الانسان ، وانطلاق امكانياته المعقلنة الحبيسة وتحرر طاقاته ومقدراته الذهنية الخبيئة . ونمو استعداداته للابداع والانتاج فى مختلف ميادين الفكر ومجالاته .

وكما تتفق وجهات النظر فى تقدير حقيقة المشكل الذي تعكسه هذه الازمه ، وتفهم الخطورة التي تنطوي عليها فان هذه الاراء ايضا لا تتباين كثيرا عندما يكون الامر متعلقا بتقدير الاصول التي ساعدت على وجود هذا المشكل والعوامل المختلفة التي تسهم فى تعقده واستمراره .

ويمكن ايجاز هذه الاصول والعوامل فيما يلي :

1 — طبيعة الظروف الحضارية التي كانت تحيط ببلادنا فى عهد ما قبل الحماية ، هذه الظروف التي كانت تتميز بما كنا نعيش فيه من عزلة فكرية وثقافية شاملة ، وما كان لهذه العزلة من تاثير على اتصالاتنا بالتيارات الحضارية الحديثة التي غيرت وجه الحياة الانسانية فى كل انحاء العالم ، وقلبت الاوضاع الفكرية والاجتماعية بين ربوعه قلبا شاملا وجوهريا .

2 — الاساليب التحكمية المباشرة التي كان يلجأ اليها نظام الحماية فى مقاومته لمظاهر التحرر الفكري بهذا البلد ، ومحاولته تحديد مد هذا التحرر بكل الوسائل الرادعة الممكنة .

3 — نوعية المشاغل الجديدة الملحة التي انبثق عنها عهد الاستقلال . . تلك المشاغل التي استغرقت — بالفعل — اهتمام طائفة هامة من طبقة «الانتلجنسيا» المغربية واستوعبت القسط الاكبر من طاقاتها الفكرية واستعداداتها الانتاجية المحدودة . اضف الى ذلك :

4 — انعدام توافر اسباب التشجيع المادي الحكومي سواء على الصعيد المادي او المعنوي .

5 — انعدام وجود الحياة الجامعية فيما قبل ، ومحدودية اشعاعها الثقافي والفكري بعد ان اصبح لها وجود فعلي .

6 — انعدام الاقبال العام على شؤون الفكر والثقافة وما فى بابهما وصدوف جمهرة المتعلمين عن استهلاك المحاولات الانتاجية الضئيلة المحدودة التي تتصل بهذا المضمار .

7 — انقطاع الصلة بين ما يمكن ان يكون هناك من قراء وبين المنتجين من شعراء ورسامين وغيرهم . وانعدام اسباب التجاوب الضروري بين هؤلاء واولئك

هذه بعض العوامل التي — وان لم تكن مجزئة فى التدليل على معقولية الركود الفكري ببلادنا فانها مع ذلك — وكما يرى الكثيرون — قد تلقى قليلا من الضوء على بعض موجبات هذا الركود ، وتعين على ادراك نصيب من الحقائق التي هي فى اساس نشوئه واستمراره بصورة مباشرة او غير مباشرة .

وبالطبع فان هذه العوامل تختلف عن بعضها البعض من حيث التاثير الذي تحدثه فى هذا المجال ، وباعتبار الاهمية التي يكتسيها هذا التاثير ، والنتائج التي تنطوي عليها وقوعه ، واذا ما حاولنا ان ندرسها على ضوء هذا الاعتبار فاننا نلاحظ ان من اشدها مفعولا وابعدها اثرا تلك الظاهرة الغريبة التي تتمثل فى انعدام اسباب التجاوب والتصادي بين اصحاب المحاولات الانتاجية فى هذا البلد ، وبين الجمهور المتعلم

الواقع ان نبني احياء التراث المغربي ، هو اسهام منا في ابراز عبقريتنا المغربية والعربية على السواء ، لكن هذا الاتجاه ، لا ينبغي ان يستوعب كل اعمالنا ، اذ ان المبالغة فيه (شوفينية) غير واعية ، فنحن لا نحيي تراثنا الا لنصل بين ما انقطع من حلقات الحضارة العربية في بلدنا ، وبالتالي ، بين بلدنا وبين العالم ، فقد عشنا فترة غموض جهلنا فيها التاريخ ، لاننا كففنا عن العطاء الحضاري . هذه الفترة الغامضة بالذات ، نريد ان نجلوها خدمة لماضي الحضارة ، وحين يتم لنا ذلك ، فسنتجه بعمق الى المستقبل . واذا كان لي ان اوجه بعض ملاحظات الى بعض الذين تخصصوا في بعث تراثنا ، فانني اقسمهم الى قسمين : قسم يستغل المناهج العلمية ، فيدققها على ابحاثه ، وهؤلاء اتيح لهم ان يتصلوا بالفكر الغربي ، هذا القسم يفهم مهمته خير الفهم ، اما القسم الآخر ، فهو وان اتيح له ان يعرف أكثر ما يعرف عن الموضوعات التي يزاولها الا ان اعماله ينقصها الربط بين موضوعاته وبين الحضارة ، فاصحابه يزاولون ابحاثهم بحيادية عربية ، هذه الحيادية تجعل انتاجهم رغم وفرته ، عديم القيمة . هذه الحيادية تتلخص في انهم يجمعون الاخبار ، اخبار الافراد ، ويلقونها في تناسق أو عدمه ، من غير ان يلتفتوا الى قيمة الفرد الذي يؤرخون له ، ومدى اسهامه في حضارته التي عاشها ، ومن هنا ، ينبغي ان نؤكد انه على اساس القيمة الحضارية لتراثنا يجب ان يبنى كل تنقيب .

على ان انشاء ادب مغربي بكل فنونه ، لمن أول الواجبات علينا لمغربة ثقافتنا مغربة لا تبعد بها عن جوهرها العربي العام . وهذا الاتجاه لايقل اهمية عن بعث التراث المغربي ، اذ فيه تأكيد لشخصيتنا الحاضرة ، ولاستمرار عبقريتنا الماضية . وهذا يتم بقيام الدولة بتشجيع الطبع والنشر ، ومد الناشرين والمؤلفين بمختلف الاعانات التي من شانها أن تساعدهم على الاستمرار في أداء رسالتهم .

وان المادة الخام لحركة ادبية فنية ، هي البحث بدون انقطاع عن الوسائل التي من شانها أن تدفع بالناشرين الى الميدان ، وذلك بخلق جوائز ومسابقات تهدف الى ابراز العبقريات التي يكاد يعلوها الصدا ، وهي مغمورة في هذا النسيان الكاسح . على ان هذه الجوائز وتلك المسابقات ، لا ينبغي أن تكون تعبيرا عن مناسبات ، أو دفعا لانتاجنا لان يسير في ركاب تقليديات مدحية ، وان اتحاد ادباء المغرب العربي ، ليتحمل مسؤوليه عظمى في هذا السبيل .

والواقع ان المشكلة في مجموعها ، مشكلة انتاج ، ومشكلة اظهار ذلك الانتاج ، ويتم هذا الاظهار بتعاون الطابع والناشر والقارىء ، فاذا استطعنا ان نذلل الانتاج والطبع والنشر ، وذلك باتباع الوسائل التي قدمت ، فان مشكلة القراء ، نستطيع التغلب عليها اذا عرفنا ان ندعو اليها بطريقة اجتماعية : اى أننا ملزمون بالقيام بدعاية واسعة النطاق للكتاب وللقراءة ، فصحفنا ومجلاتنا واذاعاتنا ، عليها أن تفتح في أعمدتها وبرامجها ، بابا لنقد الكتب الحديثة الصدور ، والتعليق عليها ، على ان يكون هذا التعليق وذلك النقد يتناول الكتب التي صدرت في جميع اللغات ، وينبغي أن نفهم حاجتنا الاستهلاكية ، فلا نقدم الا الكتب التي من شانها ان تفتح أمام ثقافتنا آفاق الازدهار والتفتح . وان وزارة الشؤون الاجتماعية تستطيع أن تسهم في هذا المضمار بنصيب وافر ، وذلك باستغلال الادوات الفنية التي تملكها . على اننا يجب ان نلاحظ ان الاكتساح الاجنبي الذي يغزو المغرب في صورة كتب وصحف ومجلات ، يجد اقبالا عند بعض المغاربة ، مما يؤكد أن النية (الحسنة) متوفرة فقط ، يجب ان نقدم اليهم شيئا دسما . وتبقى المشكلة الاقتصادية للقراء ، فان الجبايات والجمارك ، اذا استطاعت أن ترفع أيديها عن الكتاب ، فسيكون الباب مسدودا أمام بعض (المرابين) ممن استطاعوا ان يملأوا خزائنهم بالمراباة بالكتب وبالثقافة ، فسيكون آنذاك في استطاعة القارىء العادى أن يتتبع نهمه الى الكتاب ، ويبدو لى بناء على هذا ، أن مشكلة القراء انما هي مشكلة اقتصادية فقط .

بقى شيء واحد ، وهو : تخفيض ثمن المطبوعات في المغرب ، وهذا شيء تستطيع الدولة ان تنفذه ، كما ان جنس الناشرين ، اذا استطاع أن يكبح جماح نفسه ولو لمدة قليلة ، ريثما يتم لنا وضع اللبنة الاولى ، فان المغرب سيعرف نهضة ثقافية شاملة .

عوامل هذا الاهمال، وما فتىء المنتجون فى هذه الاقطار يوجهون الكثير من النقد المرير لهذه الظاهرة ويجهدون فى ان يجدوا للمشكلات الناشئة عنها حلا وعلاجا ناجعا، غير ان هذا الاهمال — وان كان ظاهرة غير خاصة تنعكس اثارها على كثير من المجتمعات — فانه يتخذ فى المغرب شكلا غريبا واستثنائيا يصل احيانا الى حدود الزراية بكل ما للفكر من رسالة تهذيبية وتنويرية وما تكتسيه هذه الرسالة المقدسة من اهمية قصوى سواء بالنسبة للفرد او المجتمع .

لقد لفتت هذه الظاهرة انظار الكثير من المراقبين منذ بعيد ، وكانت فى كثير من المناسبات موضوع العديد من الاحاديث المتكاثرة ، والملاحظات المتواترة . والمآخذ المتعددة المتباينة ، بل انها كانت احيانا اساس كثير من التجاذبات والمناقشات التي استطالت على مدى السنين ، والتي لم تصل — فى الواقع — الى نهاية ايجابية واقعية. ولكن الظاهرة لا تزال قائمة باستمرار مع كل ما تنطوي عليه من تعقيد ، وما تعكسه من مشاكل وصعوبات ، بل ان عناصر الوعي العام التي تسربت الى ذهنية الجماهير فى عهد الاستقلال ، لم تحل مطلقا دون زيادة استفحال آثارها ، بكل ما لذلك من تاثير على الوضع الفكرى والثقافى بالمغرب، وارتفاع نسبة العوامل التي تدفع بهذا الوضع الى المزيد من الانحدار والكسوف .

وقد يبدو لاول وهلة ان هذا الضعف فى ظواهر الاقبال على القراءة بالمغرب يتجلى على الاخص وبصورة اساسية فى انخفاض مستوى رواج المنشورات الثقافية والتوجيهية وما سبيلها، وضمور النطاق الذى تتوافر للقائمين على اصدار هذه المنشورات والمطبوعات والمتصلين بها من قريب او بعيد .

قد يبدو اذن العامل التجارى الصرف القائم على اساس التقدير المجرد للارقام والرسوم البيانية والكشوف المختلفة ، قد يبدو هذا العامل مجديا فى اثبات النقص الجوهري الملحوظ فى نسبة الاقبال على استهلاك الانتاج الثقافي بالمغرب . وليس هناك من ريب فى ان هذا العامل له اهميته فى الموضوع ، الا ان هذا لا يجيز القول بان مطلق الاعتماد عليه — اي على الارقام التجارية الاستهلاكية قد يكون مجزئا فى الدلالة على حقيقة الوضع الفكري عند الشعب ، وطبيعة الاتجاه الذى يتحكم فى تحديد هذا الوضع ، ويسير به نحو الانحدار او السموق ، فقد يلاحظ فى بعض الاحيان نوع من الاقبال على التهام بعض المطبوعات الدورية وما فى نوعها، وقد يسجل رواج بعض الكتب المستوردة مثلا رقما قياسيا ربما يدعو — احيانا الى الدهشة والاستغراب ، ولكن ذلك كله لا يجب ان يدرج فى عداد الظواهر الايجابية المشجعة التي يجوز الاطمئنان اليها ، والاعتداد بها فى هذا المقام، لانه لا يعكس — فى الواقع — الا حالة سطحية عابرة لا تعبر — بحق — عن وعي فكرى اصيل او شبه اصيل يمكن ان ترتبط مقدماته بنتائج اساسية وجوهرية لها قدر من القيمة والاعتبار

فما هي صورة هذا النوع من الاقبال المظهري على القراءة العابرة ؟ وما هى دواعي هذا الاقبال وبواعثه ؟ انه من الممكن ان نصنف هذه الدواعي والبواعث ونركزها فى الصور الآتية :

1 — القراءة الانتهازية وتتمثل فى ذلك الصنف من القراءة التي يقتنصها البعض من الناس عندما تعرض له مصادرها بصورة تلقائية عفوية ودون ان تتجشم اى عناء فى البحث عنها او التماس سبيلها سواء من الناحية المادية او المعنوية ومن ذلك : الاقبال على قراءة بعض الصحف والمطبوعات الصغيرة عن طريق الاستعارة او التطفل .

2 — القراءة الترفيهية وتتجلى فى ذلك النوع من القراءة التي لا يكون هناك من باعث عليها فى الغالب الا الرغبة فى اصطناع حالات خاصة تتيح الشعور ببعض الالتهاء والتسلي وتوفير ظروفهما واستجلاب العناصر النفسانية التي تساعد على ذلك ؛ ومن الامثلة فى هذا المقام (الاقبال على التهام بعض الروايات المثيرة او قراءة مكتوبات تنسجم ورغبات فضولية معينة) .

3 — القراءة الوصولية وتتجسم فى ذلك النوع من القراءة التي لا ترتبط الحوافز عليها باغراض فكرية اصيلة او مشاريع عقلية ووجدانية صرفة ، وانما تتاصل هذه الحوافز — فى الواقع — من حالات اضطرارية معينة يوجد فيها المرء مجبرا على الانصراف الى بعض الكتب ، وتصفح ما تضمه من اوراق ، وذلك لاستذكار بعض الفصول المتناثرة هنا وهناك واستيعاب عدد من الفقرات التي تنطوي عليها هذه الفصول (ومن امثلة ذلك : القراءة الاستعدادية لاجتياز مباراة او امتحان او غيرهما) . هذه الحالات المختلفة — التي تعكس بعض ظواهر الاقبال المظهرى على القراءة بالمغرب — لا يجوز بالطبع ان تعتبر عنصرا صحيحا لامكانية تعديل صورة المشكلة القائمة بهذه البلد .. هذه المشكلة التي تتمثل فى انعدام الظروف الفكرية الملائمة لرواج المنشورات التثقيفية او ما فى حكمها ، وذلك

بالاخص ، الذي يجب ان يكون قبلة هذه المحاولات ، وقاعدة انطلاقها نحو النجاح او الاخفاق .

هذه الظاهرة السلبية هي من البروز والوضوح بمكان كبير ، ونكاد تصبح بما تتسم به من استمرار واطراد العنصر الاكثر بروزا فى افقنا الاجتماعي والفكري المتخلف ، ونحن اذا ما حللنا جوانب التاثير الذي نسهم به فى تاييد وتركيز هذا التخلف الفكري الذي نعاني منه ، فانه سيكون فى ميسورنا حينئذ ان ندرك حقيقة الاهمية البالغة التي تنطوي عليها فى هذا المجال ، والفاعلية الشديدة التي تتوافر لها بهذا الاعتبار ، فقد يجوز ان يصبح فى امكاننا التغلب على عوامل التجمد الفكري والثقافي المنحدرة الينا من الماضي القريب والبعيد ، والمتخلفة لنا عن عصور الانتكاس والتقهقر ، وقد يصبح فى مستطاعنا ايضا تصفية آثار الانغلاق الفكري المحكم المنحدرة الينا من عهود الحكم الاجنبي وذلك بسبيل من السعي فى ازاحة السدود والحواجز التي كان يقيمها هذا الحكم امام تطور الفكر المغربي وتفتحه على موطنه الاصلي وعلى العالم ، كما انه قد يضحي فى ميسورنا ــ الى حد ما ــ التحكم فى توجيه اهتمامات بعض المثقفين المنتجين الذين غمرتهم المسؤوليات الادارية وغير الادارية وانبعاث الوعي الانتاجي لديهم ، واستدراجهم الى معاودة حياة الفكر وملاحقة قطاره ، وذلك عن طريق الاهتمام بتوفير المنجعات وتيسير الوسائل ، واصطناع الظروف المساعدة ، وقد يجوز ايضا ان تصبح الدولة اكثر وعيا لمسؤولياتها وواجباتها نحو الفكر والاداب والفنون ، فتصير اكثر استعدادا لاحتضان المشاريع الفكرية المنتجة فى مختلف الميادين واوفر اهتماما بتشجيع الاعمال والبوادر الثقافية والفنية التي يمكن ان تكون اساسا لنجاح هذه المشاريع. وواضح ان طبيعة التطور والتحول الذي يميز هذه الفترة المرحلية من حياة المغرب المعاصر سوف يتيح للمسؤولين فرصة الشعور بمسؤولياتهم فى هذا المقام وقد يسوغ كذلك ان تتحرر الجامعة من محدودية النطاق الثقافى الذى تعيش فيه ، وتضحى ــ كما يجب ان تكون ــ مبدأ اشعاع ثقافى قوي التاثير ، مديد الابعاد ، واسع المدلول ، ومنطلق تيار فكري دافق يسهم بنصيبه فى تركيز الجو الفكري بالبلد ، وامداده بعناصر الخصوبة والنماء ، ومن الضروري ان يتم ذلك عندما يتوافر للجامعة سائر مظاهر النمو والترعرع ، وتترسخ القواعد التي تنهض عليها ، وبتوافر لها جهاز تعليمي كامل التعرب ، متوافر الاستعداد للخلق والانتاج قد يجوز كل ذلك ويبدو ممكنا على الاقل من الناحية النظرية المبدئية ، وعلى هذا فهل يغدو من اليسير علينا ــ والامر بهذه المثابة ــ ان نتصور امكانية نكث العقد التي تعترض سبيل النشاط الفكري المغربي ، وتجثم بثقلها على مقدرات هذا النشاط فتخمد جذوته ؟ قد يتراءى ذلك على درجة من السهولة واليسر لو كان الامر يتعلق بمجرد الاعتماد ــ فى تحقيق هذا التطور ــ على تقديم الجوائز، واستحثاث الهمم ، وتشجيع القرائح ، وغير ذلك ، ولكن هل يمكن ان يجزىء ذلك فى حل المشكلة الاساسية التي تتجسم فى اعراض الجمهور المتعلم ، وصدوده عن استهلاك ثمرات النشاط الفكري ، وخاصة اذا كان يتسم ببعض الجدية فى الافادة والتوجيه والا فما هو مدلول رسالة الفكر والادب فى مثل هذه الحالة ؟ وما هو الاعتبار الذي يجب ان يعطى لهذه الرسالة اذا لم يكن من نتائجها ايقاظ وعي الجماهير ، ومساعدتها على تلمس الطريق الصحيح الذي عليها ان تسلكه نحو استكمال شروط انسانيتها الحقيقية . واستيعاب مدلول هذه الانسانية بما فيها من نواح فكرية ووجدانية مختلفة ؟ وعلى هذا فهل هناك ما يبيح الايمان بامكانية جدوى الانتاج الفكري المغربي ــ على افتراض انه جيد واصيل ــ والوسائل التي ينادى بها مكتوبة وملفوظة فى مقاومة مظاهر التخلف الذهني والوجداني عند الجمهور . كما هو الشأن بالنسبة لبرامج الانماء والتصنيع الموجهة لمكافحة التخلف فى الميدان الاقتصادى والاجتماعي ؟ وهل تتوافر للانتاج الفكري المغربي ــ على افتراض انه يتوافر على مقومات الانتاج الجيد الاصيل .

هل تتوافر له عوامل وظروف التجاوب مع الجمهور مما يمكنه من اصابة هذه الاهداف الاساسية الضرورية ؟ .

تلك فى الواقع مشكلة رئيسية من ابرز ما يواجهه قضية الفكر فى هذا البلد من مشاكل ومعضلات. وهذه المشكلة لا تشكل ــ فى الواقع ــ مجرد ظاهرة خاصة بالمغرب . فهناك ــ كما هو ملحوظ ــ كثير من الاقطار الاخرى تعاني من مثل هذه الحالة بدرجات تتفاوت فى نسبة ما تكتسيه من اهمية وخطورة ، بل ان رواج الاثار الفكرية فى بعضها يجابه احيانا قدرا كبيرا من المصاعب والمعرقلات الناشئة عن مظاهر الاهمال وضعف الاكتراث لهذه الاثار ، وقد اصبح للقاعات السينمائية والنوادي الثقافية تاثير بالغ فى مضاعفة

وجود رقابة فكرية موجهة ــ نتيجة استمرار ازمة القراء ــ تتناول بالنقد والتوجيه اهم ما يمكن ان ينشر من آثار ادبية او علمية وتشكل بالتبعية لذلك عاملا قويا ومهما له تاثيره في تنمية حرص المنتجين على اعطاء عناصر الاجادة والاصالة فيما يبدعون او يحاكون .

والواقع ان انعدام هذه الاجادة والاصالة ، وضعف مدلول الانتاج المغربي بسبب ذلك ، هو من بين العلات التي يتذرع بها في الغالب لتبرير ظاهرة الاعراض عن القراءة بالمغرب ، وعلى الرغم من ان هذا التبرير قد يبدو لاول وهلة معقولا وواقعيا فانه ــ مع ذلك ــ لا يكفي لتفسير جميع العوامل والملابسات التي تكمن وراء هذه الظاهرة وتعين على استمرارها وتطورها . ان هذا الاعراض ــ اذا ما حللنا اصوله وبواعثه فاننا سنجد ان منشأه لا يرتبط ارتباطا مبينا بما يمكن ان يكون هناك من اتجاهات متشددة في نقد الانتاج الحالي . او مذاهب مغالية في تقييم مضمونه ومدلوله ، الامر الذي يجيز الخلوص الى الاعتقاد بانه نتيجة حتمية لما يمكن ان يوجد عند جمهرة القراء من رغبة جامحة فيما هو افضل وحرص شديد على ورود منابع امتن واجود . ولو كان الامر من هذا القبيل لادى الى رد فعل ايجابي من نوع آخر يتمثل في شدة الاقبال على مصادر القراءة الاتية من الخارج، والتهافت على ما تحويه هذه المصادر من علم وفن وادب . لكن الواقع الذي تؤكده الاختبارات المتكررة ان الانصراف عن القراءة الرصينة المجدية يكاد يكون عندنا قاعدة اساسية مطردة لا تستثني الا قليلا بالنسبة للمستوردات الفكرية الاتية من الخارج وحتى هذا القدر الضئيل من ظواهر الاقبال النسبي على هذه المستوردات قد يكون الحافز عليه احيانا مجرد الرغبة في تزيين الرفوف ، او الحاجة الى استقاء معلومات معينة تستوجبها شأن من شؤون الحياة العادية او غير ذلك ، ومن الطبيعي ان هذا الضرب من القراءة لا يمكن ان يسهم ــ كما ذكرناه من قبل ــ في توفير الظروف الضرورية لحياة ثقافية حقيقية ، وليس من شأنه مطلقا ان يركز روح الرغبة في الاقبال على القراءة المثقفة للعقل ، المهذبة الروح الصاقلة للوجدان ، ويخلق عناصر التطور الفكري الصحيح الذي يتيح لهذه القراءة ان تصبح ضرورة ملحة من ضرورات الحياة عند جمهرة المتعلمين .

ومن نافلة القول الاشارة الى ان العمل على تحقيق تطور فكري من هذا النوع في عقلية هؤلاء المتعلمين واتجاهاتهم هو من اولى الوسائل الضرورية للقضاء على مظهر التخلف الفكري الذي يتجسم في تجمد بوادر الانتاج الثقافي ورواجه بين الجمهور في المغرب .

ولكن السؤال سيبقى دائما : من الذي عليه مسؤولية العمل على احداث هذا التطور ؟ الكتاب ام القراء ؟ لقد طارح الكثيرون مثل هذا السؤال منذ عهد بعيد ، ولم يؤد الجدل الذي استفاض حول هذا الموضوع بالطبع الى حلول واقعية جذرية ، والذي يبدو واضحا ان تواصل الجدل وتعدد الاراء حول هذا الموضوع على اساس توجيه المسؤوليات لهذا الجانب او ذاك لن يصبح على الاطلاق سبيلا لتحديد هذه المسؤوليات وايجاد قاعدة انطلاق عملي لحل المشكل حلا جذريا ، وسيكون هناك مجال ــ على ما يبدو ــ لايجاد هذه القاعدة اذا ما استطعنا ان نزيح عن الموضوع بعض العناصر الجانبية التي ليس فيها من غناء ، ونسلط المزيد من الاهتمام على النواحي الرئيسية التي هي في اساس وجود المشكلة والممدة لها في مجال الصعوبة والتعقد .

ان التزام الواقعية في النظر والاستنتاج يقتضينا ان نستبعد الاعتماد المطلق على جانب القراء والاستناد اليه كثيرا في تقدير الحلول الموضوعية الممكنة . لان ذلك يوجب علينا ان نفترض وجود جمهور قارىء بهذه البلاد ، له من الاستعداد النفساني التلقائي ما يجعله واعيا لحاجياته الفكرية الملحة ، مقدرا لخطورة النقص الموجود في الوسائل الكفيلة بتلبية هذه الحاجيات ، ملحا على ضرورة تهيىء هذه الوسائل وتعميمها .

انه ليس هناك بالطبع ما يستوجب هذه الافتراضات . واعتمادها اساسا لحل المشكلة الفكرية الماثلة امامنا والا لكان متعينا علينا حينئذ ان نتصور المشكلة على انها مشكلة انتاج فقط يمكن ان نلجأ لتفاديها الى كل السبل المؤدية الى اصطناع المنتجين واستدرار ملكاتهم العقلية الثاقبة واعتصار مطاويهم الذهنية المنغلقة بالاعتماد ــ كما ذكرنا ــ على وسائل التشجيع والتنشيط . ولعل القليل من المعاناة للحياة الفكرية بالمغرب تؤدي الى الاقتناع بان ذلك غير صحيح صحة مطلقة ، فهناك بالفعل ــ وكما لا يمكن الاغضاء عنه ــ مشكلة انتاج وابداع ولكن هناك ايضا ــ وكما افضنا القول فيه من قبل ــ مشكلة استهلاك لما يمكن ان يكون هناك من انتاج محتمل ، والتقدير الصحيح للامور يوحي بان المشكلتين ترتبطان بعضهما ببعض ارتباطا عفويا متينا ، وهذا الارتباط يقتضينا بالطبع ان نعير الكثير

بالقدر الذي يمكن هذه المنشورات من ضمان الموارد الضرورية لتحقيق وجودها واستمرارها ، واستنفاذ الاغراض الحافزة على اذاعتها وانفاقها .

ولا غرو ان استمرار حالة من هذا النوع ليس من شانه ان يساعد على توفير الشروط الضرورية لبعث عوامل النهوض بالاداب والفنون وغيرها فى اي قطر من الاقطار .

وانعدام الاسس الصالحة لازدهار فكري من هذا النوع يثير فى الواقع كثيرا من المصاعب امام تطور بوادر الانتاج الادبي وغيره ، ويعطل ما فى هذه البوادر من امكانيات ايجابية ويحيلها الى سلبية مطلقة فى اساس هذا الفراغ الفكري الهائل الذي نعيشه باستمرار .

ومن هذه المصاعب ما يتصل بانعدام الموارد المادية والطباعية وغيرها ، ومنها ايضا ما يتعلق بضيق المجالات التوزيعية والانتشارية التي لا تعدو نطاقا ضيقا ومحدودا جدا ، الا ان من اشد هذه المصاعب — باعتبار الناحية الفكرية والمعنوية — هو ذلك الذي يتجلى فى انعدام الاهتمام العام بما ينشر من آثار ضئيلة وعدم الاكتراث لها اطلاقا ، والاحجام عن نقدها او التعليق عليها او الادلاء حولها براي او توجيه او غيره.

ومن الطبيعي ان يكون لهذه الحالة انعكاسات سلبية على واقع الحياة الفكرية والانتاجية بالمغرب ومن هذه النتائج :

1 — ضآلة الاقبال على الانتاج المستقل القائم على قاعدة النشاط الفردي الخاص (وضع الكتب والرسائل مثلا) .

2 — انهيار المشروعات الادبية والثقافية التي تقوم على موارد خاصة (اختفاء المجلات والمنشورات المختلفة التي عرفها تاريخ المغرب الادبي فى العقود الاخيرة) . .

3 — اخفاق الكثير من الهيئات والمنتديات والجمعيات الثقافية والفكرية ، وعجزها عن اداء المهام المختطة لها سواء من الناحية الفنية والتنظيمية او من الناحية الادبية والانتاجية .

وقد كان هذا الوضع اساسا لنشوء حالة غريبة نسبيا تكاد تصبح من المعالم الواضحة فى تطور الحركة الانتاجية الفكرية بالمغرب . وتتمثل فيما يلي :

1 — تقلص مجال النشر والاشعاع الثقافي والفكري وتركز ذلك بالتقريب فى جهات معدودة ومنحصرة تتوافر لها امكانيات تنظيمية ومادية واسعة، وتستمد هذه الامكانيات من مصادر رسمية او ما فى حكم الرسمية .

2 — انعدام النزوع الى التنويع فى صور التعبير عن الفكر بالمغرب وتبلور مجموع هذه الصور فى شكل المقالة او المقطوعة الشعرية او القصة القصيرة (فى احيان قليلة جدا) او غير ذلك مما يندرج فى نطاق الانتاج الصحفي على اختلاف مناحيه واغراضه .

ومفهوم ذلك ان الاتجاه الى التاليف من مجال اوسع كوضع الكتب او ما شاكلها لم يعد له فى هذا البلد من الامكانيات والظروف ما يخوله اي نصيب من فرص النمو والتطور ، بل ان المحاولات البسيطة التي وقعت المجازفة بها فى هذا الميدان خلال فترات مختلفة ... هذه المحاولات قد بلغت مداها فعليا منذ بعيد ، واضحى التفكير فى معاودتها غير ذي موضوع ، وعلى الاقل من الناحية التطبيقية العملية .

على ان هذا لا يعني ان الانصراف عن التاليف الكتبي قد اعان على تركيز الطاقات الفكرية الواعية فى ميدان الانتاج الفكرى الصحفي وادى بالتالي الى ازدهار فن المقالة الادبية والعملية على شكل مرض يثير الارتياح ، ويبعث مشاعر التفاؤل . ان دراسة موضوعية لواقع الانتاج المغربي فى هذا المضمار ، قد تحمل المرء على الاعتقاد بان هذا التطور المحتمل لم يتخذ شكلا جوهريا له نصيبه من القيمة والاعتبار ، بل على النقيض من ذلك فان ما يقذف به الى الميدان احيانا من محاولات مختلفة تندرج فى عموم هذا الانتاج يمكن ان تعكس فى اعين المراقبين كثيرا من المآخذ الاساسية الجوهرية التي تنحدر بقيمته ومداركه احيانا الى دركات مسفة .

ولا محالة ان الاستخفاف الذي تقابل به شؤون الفكر عندنا له دخل كبير — كما اسلفنا — فى هذا الامر فبعض افراد الانتلجنسيا المغربية تتوافر لهم بالفعل — وفى حالات عدة — امكانيات واستعدادات انتاجية لا يجوز الغض من قيمتها وصلاحيتها ولكنهم — مع ذلك — وفيهم المتجمدون بالمرة — لا يتوافر لهم الحافز السيكولوجي الذي يبث فيهم روح الحرص على استغلال هذه الطاقات والاستعدادات وتسخيرها لبناء انتاج قوي متين يتسم ببعض الجودة والاصالة والعمق؛ اما علة ذلك فبسيطة كل البساطة ، وتتلخص فى عدم

ان السبل التي يمكن اللجوء اليها لتحقيق مثل هذا التطور على الصعيد الجماهيري العام ليست عليه اية درجة من اليسر والبساطة وتقتضي بالطبع نوعا من التعبئة الفكرية المنظمة ذات النطاق الواسع والتي تتصل اهدافها بميادين التربية الاساسية بكل ما لها من ارتباط بميادين التكوين العقلي والتوجيه الفكري والتهذيب الوجداني وغير ذلك ، ولذلك فان العناية بمراجعة الاسس التي تتحكم في توجيه المناهج الدراسية يمكن ان تكون — باعتبار قيمتها التاثيرية العميقة — ذات جدوى عظيمة في هذا الميدان ، ومن الجائز ان تصبح هذه المناهج اذا احسن تعديلها وتطبيقها كفيلة بخلق الظروف الصالحة لاحداث تحول فكري عميق يساعد على تطوير اتجاهات الجيل الصاعد وتاصيل محصوله من الوعي الثقافي المكتسب وتنمية الحوافز النفسانية التلقائية التي تذكي فيه الرغبة على ورود مناهل التثقف الذاتي كالكتب والمجلات والاشرطة العلمية والتوجيهية وغيرها . ومراجعة المناهج الدراسية على هذا الاساس تقتضي منا العمل على تحقيق بعض التوازن المعقول بين الاهداف التعليمية التلقينية ، وبين الاغراض التربوية التوجيهية في هذه المناهج ، والعناية بتجريدها — عمليا — من رواسب المؤثرات التقليدية المترسبة من الماضي ، واقامة بنائها على قواعد اساسية تتفق وحاجياتنا الى معالجة المعضلات التي تواجهنا على الصعيد الفكري والاجتماعي والاخلاقي وغير ذلك .

وكما يتوجب علينا اعادة النظر في واقع الاساليب والمناهج المطبقة وما لها من صله بالتربية الفكرية فيتعين كذلك ان نبذل نفس العناية بمراجعة الاسس التي يقوم عليها نظام الامتحانات . وبتجديد هذا النظام على شكل يضمن التخلص من عقلية الحفظ والاستظهار الموقت، وما ينشأ عن ذلك من آثار سيكولوجية بعيدة المدلول تؤثر في نظرة الكثير من الطلاب الى القراءة والاستفادة وتكون في اذهانهم عنهما مفاهيم سطحية بسيطة ، وتحيلهما عند البعض منهم الى عملية روتينية غير محببة .

على ان ذلك كله سيبقى ضعيف المفعول والجدوى اذا لم نبادر الى تصحيح الاخطاء الاساسية التي تسود عقلية المجتمع عندنا وتحدد نظرته الى قضية الثقافة والتعليم باعتبارها قضية تسام اجتماعي وتسابق طبقي في المحط الاول والاخير . ولاشك ان تصحيح هذه المفاهيم وتقويم تلك العقلية — عن طريق التهذيب الفكري العام المندرج في مدلول التربية الاساسية — سيزيح عن الجو الاجتماعي الذي يعيش فيه المتعلمون عنصرا هاما من العناصر النفسانية التي تؤثر في تكوين اتجاهاتهم الفكرية ، وميولهم العقلية ونزعاتهم الوجدانية ، وتلون هذه الاتجاهات بالوان سلبية معطلة تفضي بهم الى حالات تناقص معقولية التربية ومفهومها ، ومن النتائج المباشرة لذلك بالطبع ما يبدو على مسلك بعض المتعلمين الصغار من ميل الى الانقطاع المبكر عن الدراسة وجنوح الى الانغمار في خضم الحياة دون سابق استعداد فكري او تهيؤ وجداني او غيره ، ثم الاعراض بعد ذلك عن حياة الفكر والثقافة اعراضا تاما في بعض الحالات ، ولا مراء في ان مفاهيم المجتمع ونظرته الواقعية الى مدلول التربية والتعليم لها تاثير كبير في هذا المجا ل، ولهذا كان من الضروري العناية بتقويم هذه المفاهيم وليس من الحكمة — ونحن بصدد النظر في مشكلة القراءة بالمغرب — ان نغفل الدور الهام الذى يلعبه العامل الاقتصادي والمالي في تطور هذه المشكلة وامتدادها بهذه الصورة الواسعة، فالواقع ان نوعا من الرغبة في القراءة وحب الاطلاع قد يكون — احيانا — متوافرا عند البعض من الناس بما فيهم اشباه المتعلمين ، ولكن انخفاض الطاقة الاقتنائية عند هؤلاء الناس قد يحول بينهم وبين الاستجابة لهذه الرغبة ، ويصدهم عن تقدير قيمة الاهمية التي تكتسبهما بالنسبة الى تكوينهم الفكري ووجودهم الانساني ، ومن الطبيعي ان استمرار وجود هذه الحالة يضع على الجهات الرسمية مسؤوليات ضخمة وعريضة ليس هناك من سبيل الى طرحها .

ولا جرم ان المسؤولين الرسميين سيكونون قد تحرروا من قسط كبير من تبعاتهم في هذا المضمار اذا ما صرفوا بعض العناية الى ميادين التربية الفكرية العامة ووجهوا قسطا من الامكانيات المتهيئة لديهم الى العمل على نشر تيار من الوعي الفكري والثقافي بين اوساط الشعب وتوفير الوسائل الكفيلة ببث هذا الوعي واذاعته ، وفي طليعتها الكتب والنشرات الدورية على اختلاف اصنافها والوانها ، وتمايز محتوياتها ومضامينها .

ان هناك مجالا للقيام بمحاولات مجدية في هذه الميادين ، ومن ذلك مثلا الاشراف على وضع بعض الكتب الشعبية الصغيرة للتربية في متناول غير الاميين سواء من حيث المضمون او من حيث التكاليف المادية ثم العناية بطبعها ونشرها بين العموم ، وامثال هذه المبادرات البسيطة — نسبيا — كثير مما يشمله اطار العمل على تقريب مجالات الفكر والثقافة من

من الاهتمام لكليهما على اساس التقدير الصحيح للعوامل الاساسية التي نكمن وراءهما والعناصر الجوهرية التي تشكل وجودهما .

وعلى ضوء هذه الاعتبارات يمكننا مثلا ان نقدر واقع الحياة الانتاجية فى المغرب فنلاحظ ان الكثيرين من ذوي الامكانيات الفكرية يجترون بالفعل حياة سلبية جوفاء تكاد تكون — فى بعض الحالات — عاطلة من اي محتوى فكرى صحيح ومجردة عن مدلولها الحقيقي كحياة مخصبة منتجة تسود جوها روح الخلق والابداع وتقودها بوادر الحق والخير والجمال .

وقد تعرضنا — من قبل — الى بعض الاسباب التي يمكن التعلل بها فى تبرير هذه الظاهرة المعضلة ، ومن الجائز جدا ان العناية بمعالجة هده الظاهرة على ضوء تلك الاسباب قد يؤدى الى تعديل الصورة الجافة الباهتة التي تتجلى فيها حياة الفكر بهذا البلد ، وامداد جوانب هذه الحياة ببعض عناصر الخصوبة والمرع .

ولكن هل يكفي ذلك — ومع افتراض وقوعه — لتحويل مجرى الواقع الذهني الذي يسود اغلبية القراء المحتملين بالمغرب وقلب اسس العقلية التي تسيطر على اتجاهاتهم وتصدهم بسبب ذلك عن الاكتراث للقراءة واعتبارها حاجة اساسية من حاجيات الحياة الملحة ؟ ذلك — فى واقع الامر — الجانب الاكثر تعقيدا فى المسكلة والاشد استعصاء على جهود الكتاب وغيرهم ممن يمكن ان يكونوا فى حكم المعنيين بمشاكل الفكر والثقافة بهذه البلاد . وهذا الجانب — المتمثل فى ازمة القراء — هو ما يجب ان يكون موضوع اهتمامنا العميق فى اتجاهاتنا الى معالجة المشكلة الفكرية العامة بالمغرب

ولا ريب ان هناك كثيرا من اسباب الاتصال بين ازمة القراء هذه ، وبين المستوى المنخفض الذى توجد عليه حالات التعلم بهذه البلاد وانتشار الامية نتيجة لذلك بين غالبية الجماهير فيها : لكنه ليس من الحكمة ان نغالي فى تقدير هذا العامل — عامل الامية ونعزو اليه كل مظاهر الازمة وانعكاساتها .

انه من الضرورى — والانصراف عن القراءة يشكل ظاهرة شبه عامة تشمل غير الاميين ايضا — من الضروري اذن ان نعني جميعا بتقدير الحقائق الاساسية فى هذه الظاهرة المزمنة والملابسات الاجتماعية والذهنية والاقتصادية التي تعين على استمرارها وتضاعف من حدة النتائج المنبثقة عنها ، ان هناك اساسا للتاكيد بان مشكلة الاعراض عن القراءة تكون فى الواقع مظهر تخلف عقلي واجتماعي يتصل وجوده بما يسيطر على مجتمعنا من مفاهيم مغلوطة وخاطئة ، وما يسوده من افكار واتجاهات غير صائبة .

وهذه المفاهيم والاتجاهات هي التي تسهم فى تحديد نظرتنا الى المعرفة المجردة وتقييمنا لوسائل هذه المعرفة وادواتها كالكتب والنشرات الدورية بمختلف اصنافها ومحتوياتها .

واذا كانت الرغبة تحدونا الى معالجة مشكلة القراءة بالمغرب فان ذلك يقتضينا التفكير اولا فى مراجعة المقاييس الاساسية التي نعتمدها فى هذا التحديد والتقييم . وسنرى حيئذ ان الاساس الذي اصبح ينبني عليه تقديرنا للمعرفة لا يعتمد على قاعدة النظر اليها باعتبارها وسيلة لتحقيق الاهداف التربوية الرئيسية كتنمية الجوانب الانسانية فى الفرد وتهذيب غرائزه وميوله ، وتركيز طاقاته واستعداداته الايجابية الخيرة ، واعداده للحياة اعدادا يتفق وهذه الاهداف . بل ان الغرض البعيد من التعلم — كما تتصوره اذهان الكثير منا — يكاد ينحصر فى دائرة معينة وضيقة جدا كضمان المستقبل المادي للفرد، وتامين ابسط الوسائل له للحصول على امكانيات العيش الميسور المريح ، وتفسيح المجال امامه ليرقى فى مدارج السلم الاجتماعي كما يبدو فى صورته الراهنة .

وعلى ضوء هذه الاعتبارات يمكن تعليل الرغبة المتزايدة فى ولوج المدرسة واستيعاب قسط — ولو كان ضئيلا — من محتويات البرامج والمناهج الدراسية المقررة ، والاحراز اخيرا على اية شهادة او اجازة ممكنة ولو كانت ذات مستوى بسيط ووضيع ، انه من المعقول بالطبع مظاهرة بوادر هذا الحرص على التعلم . والالحاح فى الاستزادة منه . الا انه سيبقى من المعقول ايضا تقدير هذا الحرص والالحاح على حقيقتهما واعتبارهما مجرد انعكاس للرغبة العامة فى ضمان الحصول على قسط من التطور الاجتماعي والتقدم الطبقي ، والشعور العميق باهمية الدور الذي يؤديه التعلم فى هذا المضمار .

ولئن كان علينا ان نعني برعاية هذا الاتجاه الكاسح الى التطور الاجتماعي والتعليمي بين سواد الشعب فان علينا كذلك ان نبذل عناية اوفر بتعميق الوعي الذي ينبثق عنه هذا الاتجاه وربطه بالاهداف التربوية الاساسية . حتى يصبح وعيا فكريا متفتحا تستطيع معه المدرسة ان تضطلع بمسؤولياتها فى تحقيق عناصر التحول الفكري المنشود وتركيزه تركيزا قويا متينا .

ومن هنا كان مصدر اخفاق الكثير من الخطباء والوعاظ والمرشدين وغيرهم من المتصدرين لتوجيه الجمهور والتاثير على ينابيع انفعالاته واختلاجاته ، ومصادر تفكيره وتعقله .

ان هناك امام المثقفين على اختلاف مواردهم ومصادرهم ، وتباين اذواقهم ومشاربهم — التي يجب ان تنصهر كلها في بوتقة فكر قومي انساني متحرر — ان امام هؤلاء جميعا مجالا واسعا لاداء دور اساسي في هذا السبيل ، ومما لا مشاحة فيه ان اداء هذا الدور سيبقى ضرورة اساسية اكيدة لا لمجرد توفر الشروط والمعطيات الاساسية الكفيلة بتحقيق انبعاث فكري وثقافي في هذا البلد بل ايضا لضمان استمرار شخصيته القومية العربية الاصيلة ، وتامين اسباب تطور وعيه الحضاري المعنوي وتوسيع مجالات تعاطيه الايجابي وتفاعله مع التيارات الفكرية العالمية المعاصرة، وتاكيد قدرته على الاسهام بنصيب اساسي في التعاون الانساني العام من اجل مصير افضل ، ومثالية انسانية ازكى وانبل ، ولكن السؤال سيطالعنا من جديد : هل هناك ما يجيز الاعتقاد بامكانية اجتذاب المثقفين لخوض غمرات ذات طابع نضالي من هذا النوع ؟ ذاك بالطبع غير مستحيل ولكن الخلوص به الى واقعية ملموسة متحققة يقتضي منا التزود برصيد ضخم من عمق الايمان ، وشدة الوعي ، وقوة التصميم .



اذهان الشعب ، واستدراجه الى الخروج من الدروب الفكرية المظلمة التي لا زال سادرا فيها منذ احقاب طويلة .

وليس هناك ما يحول — من جانب آخر — دون سلوك مثل هذه السبل المنطمة بالنسبة لدنيا المثقفين واشباه المثقفين وذلك عن طريق تنظيم مشاريع انتاجية وطباعيه واسعة المدى وتهييء المجال بذلك لانتشار المطبوعات المختلفة ذات المستويات المستبحره الضاربة في مجالات الفكر المحلق ومبادينه .

وما دمنا بصدد الحديث عن المثقفين فان من الضروري ان نضع في حسباننا مدى الاهمية التي تكتسيها ظاهره « التاجنب » في المحصول الثقافي والانجاه الفكري عند الكثيرين منهم .. هذه الظاهره التي — وان كانت عاديه طبيعيه من حيث المبدأ (لان استقاء المعرفة (1) من الاجانب بعد شيئا مالوفا في العصر الحديث وفي العصور القديمة ايضا) الا انها مع ذلك — وباعتبار الصفة اللاقومية المطلقة التي كان يصطبغ بها التعليم في بلادنا خلال عهد الحماية — قد اصبحت من اكثر نقط الضعف بروزا في كياننا الحضاري القومي ومن اكثر المواطن تاثيرا على حاضرنا النضالي من اجل استكمال الاستقلال ، ومستقبلنا الفكري كامة واعية لذاتيتها ، مقدره لمسؤولياتها في حظيرة الاسرة العربية والافريقية والشرقية ، ونجاه التحديات الحضارية الضخمه التي تزخر بها حياة العالم في العصر الحديث . ومما لا يتطرق اليه الظن ان من بين المهام التي يضعها علينا واجب السعي في توسيع نطاق الانتاج والاستهلاك الثقافي بالمغرب — من بين هذه المسؤوليات مضاعفة الجهود من اجل تعريب هذا الصنف من المثقفين « المتاجنبين » فكرا واتجاها : تعريب السنتهم ، واكثر من ذلك : تعريب عقولهم وافكارهم ووجداناتهم ، ومساعدتهم بذلك على الاسهام — بما يتوافر لهم من امكانيات ثقافية ثرة الينابيع احيانا — في النضال من اجل الانبعاث الفكري والثقافي بهذا البلد ، وبذلك فقط يجوز لنا ان « نسترد » ونضم الى عالم الانتاج والاستهلاك الفكري بالمغرب قطاعا جديدا يمكن ان تكون مشاركته في بناء جوانب من النهضة الفكرية والثقافية المغربية ذات صبغة حاسمة وباتة .

ولا مجال للجدل في ان البناء الفكري عند البعض من هؤلاء المثقفين وغيرهم قد يكون على مستوى معين يمكن اعتباره رفيعا في بعض الاحيان ، وبالنتيجة لذلك فانهم غالبا ما يتطلبون — في مجال حاجياتهم الفكرية والثقافية انتاجا متساميا عميقا ، موغلا في الاطلاق والتجريد من جانب ، او مغاليا في التحليل والتمحيص من جانب آخر ، وليس هناك من اعتراض على ما يمكن ان يكون عند هؤلاء — باعتبار كل هذا — من منازع فكرية مجنحة ، وعدول الى ارتياد مجاهل الفلسفة واللاهوت او آفاق الاداب والفنون او ميادين العلوم التجريبية والمختبرية او غير ذلك ، الا ان كل ذلك لا يجب ان ينسي هؤلاء وغيرهم حقيقة الاوضاع الفكرية والاتجاهية التي تسود غالبية افراد الشعب ، وطبيعة المتطلبات التثقيفية والتوجيهية التي تقتضيها احوالهم وظروفهم ، واذا ما وضع هذا في الاعتبار فان من شانه ان يقود جميع رواد الفكر والثقافة بهذه البلاد — سواء على الصعيد الرسمي او الخاص — الى استيعاب مدلول الغذاء الفكري الذي يجب ان يقدم الى الجمهور شبه المتعلم ، وذلك على اساس ان تكون العناصر التي تؤلف مادة هذا الغذاء في مستوى يؤهلها للنفوذ الى صميم عقلية الجماهير (المفروض انها قادرة نسبيا على القراءة) واشباع حاجياتها العقلية الاساسية والاجابة عن تساؤلاتها واستفهاماتها الملحة المتكاثرة ، وتحليل عوامل حيرتها وارتباكاتها الذهنية والوجدانية ، وقيادتها اخيرا الى ميادين اكثر رحابة وفساحة تصبح فيها اشد قوة على استبانة الفهم الصحيح لحقائق الحياة ، واوفر قدره على استشراف آفاقها الواسعة الساسعة .

وغني عن التوضيح ان بوادر الانتاج الادبي والثقافي المنافية على هذه الاعتبارات والمقتضيات لا يمكن ان تتوافر لها ظروف النجاح من اجتذاب الافراد العاديين الى الانفعال بمؤثراتها ، والتلاؤم مع الايحاءات المباشرة او غير المباشرة ، تلك التي تنطوي عليها ، واذا ما اتيح لها بالعكس من ذلك ان تحصل على بعض النجاح في هذا السبيل فانه لا يعدو — في الغالب الاعم — ان يكون نجاحا سطحيا موقوتا يقصر عن الثبات امام عوامل الزمن ، ولا يستطيع ان يقاوم طبيعة الحقائق التي تشكل الواقع النفساني والعقلي الموجود .

---

1) من الضروري هنا بالطبع التمييز بين سبيل المعرفة المؤدي الى الحصول على مجرد معلومات واكتساب خبرات ومهارات وبين الثقافة بمالها من صلة بتكييف العقل وتوجيه الفكر والتاثير على الوجدان .

خصيبين يحدثان بالاتصال الحضاري الذي يرفد الثقافة الانسانية الواحدة الشاملة ، فالحضارات في مجموعها ــ متقدمة ومتخلفة ، منتجة وغير منتجة ــ تتمازج وتتلاقح على شكل حلزوني ، وبتعبير آخر ، ان التاريخ لايعرف للحضارات بداية مطلقة ولا معجزة قومية لاية امة من الامم ، وما التاريخ ذاته الا مغامرة الفكر الانساني في مختلف الحضارات .

بيد ان حضور مدنية ما يستدعي بالضرورة وجود عاملين اساسين لصنع المدنية : الانسان باعتباره ارادة فاعلة واعية متحررة ، والطبيعة كواقع معطي متصف بالعفوية متهيء للفاعلية تتعقله وتنظمه وتستغله ، ومن هذين العاملين : الانسان والطبيعة او الفكر والشيء يتم تركيب المدنية ، سببها الفاعل الانسان وسببها المادي الطبيعة وبمعنى واسع ، المدنية هي : نتاج فكرى مشترك ومشاع يخلقه الانسان ببذل الجهد الدائب واعمال الفكر في معطيات الواقع لتحقق للانسان معظم حاجاته الروحيه والماديه .

من تضاعيف هذا المعنى تلوح علاقة الزامية ومنطقية قائمة بين خاصتين انسانيتين هما : الثقافة والمدنية . فالثقافة هي تصميم فكري ينبثق عنه جهاز ــ تسميه مدنية ــ وبواسطته يحقق الانسان معظم حاجاته الروحية والماديه (1) . ودور الثقافة في جميع الاحوال هو افساح المجال لظهور المدنية . ولذا نرى الثقافة تسبق المدنيه في التسلسل السببي والزمني والمنطقي اذا اعتبرنا الفكرة وهي قوام المدنية لايتحقق لها وجود فعلي الا اذا صارت عملا وانعتقت من التجريد الى التشخيص ، فيقول جان لاكروا : ان الثقافة بصفة عامة هي تعريف الانسان ذاته يعني ان الثقافه حركة فكرية دافعة تنبجس من الداخل الى الخارج ، من الذات الى الموضوع فتتخذ لها اشكالا حضارية تصدر عن مركز وحيد هو الفكر ، ثم تلتقي على صعيد الانسانية جمعاء ، فالافكار اذا تغدو بواسطة الثقافة ملموسة ومنقولة على شكل رموز ووسائل مادية في مجال المدنية بتقدم الفكر الموصول في ميادين استغلال طاقات الطبيعة .. وهكذا فان الثقافة نواة فكرية ــ روحية للمدنية .

والآن ما هو وضع الانسان الحديث .. انسان المدنية الغربية ؟

ان السمة الرئيسية للمدنية في وجودها المعاصر هي : التقنية ــ عالمنا الحاضر عالم آلي وتقني يطبق العلم بنشاط متزايد في حقل الصناعة ، وواضح ان الذكاء العملي الصانع كان في البدء الشكل الاول للذكاء الانساني ، بلغ اوج تطوره في هذا العصر باعتماده على الآلية والتصنيع ، جاء هذا التقدم الفكري التقني خلال عملية تطور ضخمة اجتازها الانسان قدرها علماء الاجتماع والاثنولوجيا Ethnologie بمائة الف سنة على وجه التقريب ، كانها ثانية من ساعة تطور الحياة على حد تعبير العالم الانجليزي الكبير : جوليان هكسلي Julian Huxly ، ورغم ضآلة هذه الثانية فان الانسان بفضل المدنية ومحاولة تحرره من التقيد الطبيعي قد زادت رغباته كما وكيفا زيادة لايطفا لها اوار من جانب ، كما زادت وسائل ارضاء هذه الرغبات سهولة ويسرا من جانب آخر ، وهذا بالذات هو الدور الذي تقوم به المدنية الحاضرة: نقص العناء البشرى بتوفر الآلة وتوغلها في الحياة اليومية وزيادة السرعة في ارضاء رغبات الانسان .

فهل الانسان اليوم على عتبة غد مشرق يبشر بتحرره من نعله ومن كل شيء كما صوره خيال فيكتور هوغو الابداعي ؟ هل نحن في «بيت سليمان ــ الذى تنبأ به بيكون في كتابه « اطلانتيد الجديدة » من اجل تحقيق سعادة البشر الكبرى والعيش بهدوء وسلام بفضل العلم والسيطرة على الطبيعة في ــ مدينته الفاضلة بعد طواف طوبائي utopique طويل ؟ وبتعبير موجز : هل المدنية الحاضرة في ثوبها التقني وسيلة لسعادة الانسان ... ؟

ان مجرد طرح هذا السؤال يثير قضية الانسان الحديث التي تتأرجح بين تفاؤل متحمس عارم وتشاؤم جامع عميق ، ولعل لوحة الفنان المكسيكي ديغو ريفيرا Diego Revera التي تحمل رسم ــ الانسان في مفترق الطرق ــ تعبر اصدق تعبير عن هذا التأرجح العنيف الذي يهز موقف الانسان ، فالانسان الحديث في لوحة ديغوريفيرا امام طرق

---

(1) النقافة Kultur في اعتبار الفكر الالماني هي المدنية بالتعريف ، والواقع كما يرى باستيد ان الفرق بين مفهومي الثقافة والمدنية ليس ثابتا ولا معينا .

الانسان والمدنية الحديثة

للاستاذ مصطفى الازهوري العمري

عند ما يشبه مفكر كبير – كمالك بن نبي(1) – موقف العرب والمسلمين حيال مظاهر المدنية الغربية الحديثة بموقف سيدة سيطر عليها الاعجاب والدهش معا امام واجهة محل تجاري زاخر بانواع الملابس ، فاما ان تقبل على شراء ما تتمنى بسخاء واما ان تذوب حسرات وآهات ، فان هذه التشبيه يحمل فى ذاته معنى بالغ الدلالة : اننا امة فى حاضرها وواقعها تنفعل اكثر مما تفعل وتستهلك اكثر مما تنتج وتعيش على رصيف المسؤولية الحضارية بدل ان تعيش فى قلب تجربة التاريخ ، ولكن رغم سلبية الواقع العربي الاسلامي وموقفه الحيادي المنفعل ، فان هناك الزاما ملحا صادرا عن هذا الواقع ذاته يدعو الانسان العربي المسلم اينما كان الى الانخراط فى العالـــم والالتزام بكل ما يجري فيه وتحمل تبعات المدنية الحديثة باعتبارها مدنية الانسان قبل كل شيء .

فاذا كان لابد أن ياتي اليوم الذي تكتسح فيه الآلة بلادنا ويتمثل واقعنا ما تقدمه المدنية الحديثـة من معطيات تلائـم طبيعـة ذلك الواقـع وتغنيهـا دون ان تمس من مقوماتها الاصلية ، واذا كان لابد أن نتهيا تهيئة نفسية واجتماعية وتاريخية لنفهم المسؤولية الحضارية المشتركة ، بمعرفة انفسنا وتنقية كياننا من عوامل الانحطاط والتخلف والانطواء للخروج به من قوقعته الخاصة وتمركزه الذاتي ، فمن الضروري – ونحن على عتبة هذه التجربة التاريخية الضخمة – ان نمتحن بالفكر الانتقـــادي المدنيه فى ايديولوجيتها اليومية المعاصرة – كمفهوم حي من جهة وكقيمة انسانية من جهة اخرى ... أي نثير هذا السؤال الجدي :

ما هو وضع الانسان الحديث فى مدنية تدعى سعادته وفهمه ؟

كـــل ما يعزى الى الانسان يحمـل مفهـوم المدنية دون اى اعتبار عرقي او قومـي او جنسي ، وكل ما هو خارج تدخل الانسان ولا يكشف عـن وجوده بعيد عن المدنية .. بعيد عن الانسان ، فاحقر كوخ فى غابة كافخم ناطحـة سحاب فى مدينـة همـا حادثان من حوادث المدنية يدلان على وجود الانسان . اما بناء خلية النحل ونسيـج بيت العنكبـوت مـثلا فهذان شيئان طبيعيان لاينمان عن دلالة المدنية ، فكل ما صنعته الانسانية فى امسها وما تصنعه لغدها يدخل فى مدلول المدنية . وهذا يعني ان المدنية ليست نسيج امة واحدة ومن مغالطات التبرير الادعـاء بان ثمـة مدنية يجب ان ناخذ منها واخرى يجب ان نهملها لان الاولى تفوق الثانية اصالة وقدما فى بـدء المدنيات او اتساعا وشمولا فى الحاضر بل ان المدنيات لا ينفـي بعضها بعضا ولا يطرد بعضها امكان البعض الآخـر ، وتجربة التاريخ تدل على عمليـة تحـول وتفاعـل

1) من محاضرة قيمة القاها الاستاذ مالك بن نبي فى مدرج جامعة دمشق منذ سنتين تقريبا .

المتزايدة باستخدام الآلة في جميع المجالات الممكنـة ، فكلاهما يدعي خلاص العالم وكلاهما يتنبـأ بميـلاد انسان جديد ، ومجتمع افضل ومدنية متجددة ابدا .
ومن الواضح انا لم نحاول ان ناتي على عرض الفلسفه الرأسماليه والماركسية ، او نقدم نقدا ومقارنة بينهما او تاويلا وتبريرا لهما . ولكـن كان قصدنا الرئيسي التقاط الموقف الانسانـي من خـلال ايديولوجيتيهما وقيمة المدنية الحديثة في حياة الانسان واهمية وجود الآلة كعامل ضروري واول لانقاذ الانسان من لعنـة « السقوط » وتحقيق العودة الى الفردوس المفقود .

ولكن هل استطاع سيزيف ان يصعد الى قمـة الجبل وينهي مأساته العبثية ؟ وهل تحققت امنيـة فاوست الكبرى في منحه مفيستوفليس النمو والتقدم بواسطة الحياة والتشوق العارم الى ما فيها من امتلاء وغنى ؟ ان مأساة هاملت تتجدد مرة اخرى ، بطلهـا الانسان الحديث ومشهدها مدنية تعظم الفكر وتحس بروعة الحياة وفـوة الانسان ولكنهـا تحس ايضـا بالغموض الرهيب يكتنف الانسان ذاتـه . فمأساة هاملت الجديد هي مأساة الفكر او مأساة التناقض بين الفكر والفعل . ولهذا نرى الانسان الحديث كالبطل الاسطوري احيل . يجهد ويجهد ولكنـه لا يـرى اي شيء امام ذاته حتى السلحفاة الوئيدة المشي . بـل لقد انهك الانسان الحديث شجـرة الطبيعـه يجنـي ثمارها قبل نضجها ، انهكها باسطورة التقدم القائمـة على السرعه الهائلة لكسب الوقت .

الانسان الحديث انسان مسافر Homo viator نحو نهاية يراها ولا يراها في ذات الوقت او لا يود ان يراها خوفا من رهبة المصير ، هو في زحمة الآخريـن والاسماء عبارة عن رقم مسجل على بطاقة في ملـف بجانب عدد ضخم من الملفات موضوع وضعا سيئا او هو حرف فقط لا يحمل اية قيمـة وجـودية كبطـل Kafka كافكا ـــ (ك) في (القضيـة) الذي لا يعرف فيها سبب اتهامـه .

ان الطريـق الثالث التي تشيـر اليـه لوحـة دمفوريفيبرا طريق رهيب غامض يلفه قلق تراجيدي يسم الانسان والحياة والعصـر الحاضـر بميسـم الخوف . فبالرغـم مـن الاماني التي فرشتهـا الايديولوجيتان : الراسمالية والشيوعيـة على دروب المدنية الحديثة ، وبالرغم من الوعود الجميلة باسعـاد الانسـان فان الانسان المعاصر لم يعـد يـرى في تلك الاماني والوعود الا تخديرا لقلقـه الوجودي يهـدئ نونـره الحـاد .

وبعبـاره اخـرى ان هنـاك مأساه الانسان في المدنية الحديثة تفجرت في المجتمع الغربي خالق هذه المدنيه فتطايرت شظاياها في كل حركة وكل فعل وكل قول ونفذت الى اعماق الحياة اليومية العاديـة ، وفي هذا الصدد يرى اشبنجلر ان المأساة التي نعانيهـا المدنية الاوربية اليوم ليست مأساه عابره بـل هـي مأساه جذرية تنبثق من أعماق الفكر وتتجلى في تحد سافر في تجليات خارجية متعددة شديده التعقيـد كالسياسة والاقتصـاد والاجتمـاع والفـن والعلم والاخلاق . لقد اخذت المدنية الحديثة اليوم شكـلا معكوسا في ظروفها المادية ووسائلها التقنية بالنسبـة للانسان الاوربي الحديث الذي اصبـح متشككا في قيمه مدنيته عند ما غدت الوسائل غايات . والكم هو المعيار لكل شيء . والآلة غايـة في ذاتهـا ، وتحكمت النزعه الآلية في كل شيء واصبحت تسيـر بسرعـة جنونية فوق طريق شديد الانحدار . كما بدا الانسان الحديث لناظري غابريل مارسـل مجـرد ظاهـرة خارجية او حزمة من الوظائـف الحيويـة : بـل ان فلسفه التاريخ الحديثة تدين المدنية الحديثة بادعائها امكان تحقيق الكمال البشري وسعاده الانسان اداته فلسفة تاريخية ، فجاك مارتيان يـرى ان المدنيـة الحديثة زرعت في ضمير الانسان فلقا اعتقاديا حـادا واعطته اساليب تجريبية ومنعت عنه قيما اخلاقية ، يقول مارتيان : (لقد بحث العالم الحديث عن اشيـاء نبيلة بوسائل غير صالحة . لقد اضر بالبحث عـن الفهم الصحيحه التي اصبح من الواجب علينـا الآن انقاذها بالادراك العملي) وتلك الفهم هي قيم مطلقـة ثابتة صادره عن النظام الرباني وهـي التي تمنـح الانسان الفرصه لقياس كل شيء بدل ان يعتبر نفسه مقياس كل شيء . اما رينهولد نيبور فيعتقد ان مشهد المدنيه الحديثه يعيـد قصـة الخطيئـة الاصليـة . والانسان الحديث بطل الخطيئة الاصلية المتكررة رغم ادعائه السيطرة على عالم الاشياء . وسيأتي اليـوم الذي يرتطم فيه بصخره القدر التاريخي ويومئـذ يكون (الساكن في السموات يضحك . الرب يستهزئ بهـم) فجميع انواع الشر موجودة في التاريـخ البشري تؤكد وجود الخطيئة الاصلية وتكرار هـذا الوجود . وهذا ارنولد توينبي يرى ان معنى التاريـخ

ثلاثة : طريق اصحاب المعامل ورؤوس الاموال المعتمدين على الفردية الحرة ، وطريق العمال والكادحين المترقبين نهاية شقائهم بوجود الدولة الاشتراكية وزوال التفاوت الطبقي ، وطريق ثالث يجسد عبث سيزيف الذي يكرر دوره الفاسد ويبرز مأساة الانسان الحديث المتردد بين التفكير والفعل والباحث عن معنى الحياة وعن غاية لهذه الحياة يبرر بها عمله ووجوده .

هذه الطرق الثلاثة والمشاهد الثلاثة تقدم صورة واضحة للمدنية الحديثة ، وتبين بالتالي موقفها من الانسان . فلنحاول بايجاز ـ ان نكشف عن ملامح هذا الموقف فى مشاهده الثلاثة :

المشهد الاول مشهد الايديولوجية الرأسمالية التي تعتمد ـ من الناحية الفلسفية ـ مذهب السعادة الذرائعية وهو مذهب انجلوسكسوني يدعو الى قياس الحقيقة بنجاحها العملي . ويدعي تحقيقا عمليا لما تنبأت به فلسفة فرنسيس بيكون بتوسيع سلطان الانسان وبسط سيطرته على الطبيعة بالكشف عن قوانينها . فدور العلم هو الكشف عن هذه القوانين الطبيعية ليستخدمها الانسان فى الصناعة والفن من اجل سعادته ورفاهه . وليكون السير عن طريق التجربة والعلم « اكبر قدر ممكن من السعادة لاكبر عدد ممكن من الناس » ، وهذه الصفة صيغة ستوارت مل بمثابة الدستور الذي تقيم وتدعم مفهوم المدنية فى المجتمع الرأسمالي الاوربي . ومنفذ هذا الدستور هو الفرد الحر يبذل جهده فى سبيل سعادته وسعادة الآخرين (على قدر الامكان) ، يخترع لتحقيق هذه السعادة العلوم والفنون ويوسع نطاق رغباته باتساع امكان ارضائها . فالآلة تو فر فى جميع المجالات رفاه الانسان بالسرعة . وانماء فرص النفع للوصول الى اكبر مردود ممكن عن طريق اقل النفقات المادية الممكنة .. وهكذا فان الايديولوجية الرأسمالية تؤمن بان العلم والتقدم قد بلغا غايتهما ـ عن طريق الفرد الحر ـ فى توحيد اساليب البحث التجريبي واشاعا فى نفس الوقت الثقة بالمستقبل ، والاطمئنان الى تفوق حضارته الحديثة على جميع الحضارات بقدرتها على توفير اسباب الحياة للانسان .

من نتائج الايمان بالعلم والتقدم بدا من المعقول فى نظر الايديولوجية الرأسمالية ان يرجى التقدم الخلقي والسياسي للبشر جميعهم تبعا لتقدم المعرفة ، فالتقدم ـ كغاية هنا ـ اصبح واحدا من المثل العليا التي طالما حن اليها الانسان ، فكل (فرد) يستطيع استخدام ذكائه فى تحسين احواله تحسينا لا حد له وان يقيس اعماله بمقاييس علمية اي ان الفرد بامكانه ان يقيم سلوكه الاخلاقي والاجتماعي عن طريق التقدم الفكري المضمون بالعلم من جهة ، وبالتوكيد على معنى الفردية فى مجال العلاقات الاجتماعية والاخلاقية من جهة اخرى .

فالمشهد الرأسمالي مليء بالتفاؤل مفعم بالثقة بقدرة المدنية الحديثة الضامنة سعادة الانسان وخلاصه، اما المشهد الثاني او الايديولوجية الشيوعية فهي كذلك تؤمن بقيمة العلم كمبشر بسعادة الانسان فى ظروف المدنية الحديثة ، ولكنها تختلف اختلافا شديدا مع الايديولوجية الرأسمالية فى هوية المنفذ الفاعل . فبينا نجد الايديولوجية الرأسمالية تلح على اسعاد الانسان ، الفرد ، نجد الايديولوجية الشيوعية تنسبت بالاهتمام بالانسان ـ الكل ـ وتبرير هذا الاهتمام قائم لدى الماركسية على الغاء التناقضات الاقتصادية والاجتماعية فى العالم الحديث هذه التناقضات التي تتبدى فى الصراع الطبقي ، وفى الفرق الشاسع بين المالكين والمعوزين ، بين المستغلين وطبقة البروليتاريا . وحلم الماركسية فى نهاية التحليل هو تحقيق مجتمع بلا طبقات ينسف بؤس العالم وشقاء الانسان . ويقضي على التناقض الاجتماعي بالقضاء على التناقض الاقتصادي اولا ويجعل المدنية الحديثة فى خدمة الانسان ، فالايديولوجية الشيوعية تزعم انها تحمل البشرى الى الانسانية يلفها حزب شيوعي ينبغي له حسب مهمته الانسانية ان يحقق امال الجماعات ولكن لا يتحقق هذا الامل الا اذا نهض الانسان الماركسي يصارع الطبيعة ويستغلها بتحريره منها من جهة ويصارع الطبقات لازالتها من جهة اخرى بفضل التكنولوجيا والتقدم العلمي المطرد وبعبارة اخرى : ان دور المدنية الحديثة وقيمتها معا يمتثلان فى توجيههما توجيها ماهرا وحازما بواسطة العمل والتقنية والمعرفة العلمية من اجل الانسان الماركسي؛ الانسان ـ العامل الذي يعيد بناء الانسان الجديد خالق المدنية الحديثة والقاضي على عوامل ضياعه الديني والاخلاقي والفلسفي (المثالي) .

هذان هما المشهدان الاولان امام الانسان الحديث تغريانه بشعاراتهما الواعدة بالسعادة والتفاؤل فى جنة المدنية الحديثة وبارضاء رغباته

ان الانسان ـ الآلة على حد قول سنكلرلويس يحاول ان يضع لمأساته نهاية ويحيل مدنية الخوف الى مدنية السلام ، ولذا فانه لن يستطيع العيش فى برجه العاجي خارج الوجود والزمان ، فاذا كان مقياس الانسان هو عدم الانقطاع عن الاخذ مرة ثانية لان وجوده لايكفي ذاته بل يحمل دائما علامة زمنه ، فان الانسان الحديث ليس انسان القرون الوسطى المطمئن البعيد عما يجري حوله ، بل الانسان اليوم ملتحم باشتداد بالعالم الحديث ، فليس هناك عزلة فردية لان العالم اصبح صغيرا ، وبتعبير آخر ان الانسان مدعو الى الانخراط فى العالم انخراطا التزاميا والى اتخاذ موقف جدي ازاء معطيات المدنية الحديثة باضافة قدر من الروح الى النزعة الآلية ، وليس بمنفذه البتة ان يستسلم الى احلام ـ المتنزه الوحيد ـ حيث الطبيعة الطيبة السمحة والحياة النامية الخصبة ، بحيث يخيل اليه ان يجد العزاء فى فرح التامل وغبطة الروح بعيدا عن ضجيج الآلة وجحيم الآخرين . وقسر المجتمع والدولة والطبقة كانسان روسو الطبيعي الكافر بكل مدنيه وثقافة تكونان اصل التفاوت بين البشر . والذي يرى ان كل شيء يكون جميلا عندما يخرج من بين احضان الطبيعة ولكن كل شيء يفسد عندما تتناوله يد الانسان ، وليس بمنقذه البتة ايضا ان يتخذ الموقف الشوبنهوري فيعتبر العالم ارادة خرساء عمياء تسير بلا هدف ولا ينجم عنها سوى الالم والعذاب والعزاء الوحيد فى الفن والاستغراق فى النرفانا من اجل تهدئة كفاح الارادة الذي لا يتوقف او يتمنى امنية غاندي فى العوده الى البساطة فى الحياة ؛ ان الانسان فى قلب المأساة وقد ابحر فى خضم الحياة شاء ام ابى . ولا بد ان تعيش كل فكرة من افكاره وكل حركة من حركاته وكل فعل من افعاله فى المدنية وبالمدنية ويكون لهذه الآثار مردود فى اغناء المدنية او افقارها لانه هو الحيوان الوحيد الشاعر بذاته وقيمة وجوده .

وبعد فقد لمسنا وضع الانسان الحديث دون ان نتوغل فى دربه الطويل ووضعنا المشكلة دون ان نقدم حلا لها يقينا منا بان الانسان العربي المسلم عموما والمغربي خصوصا على ابواب المدنية الحديثة للاسهام فى استقرارها ولا عجب فان الاشياء التي تسرع ليست فقط السيارات والطائرات وانما نحن كذلك نسرع فى سباق رهيب مع الزمان ، وليس بوسعنا وسط هذا الاشتداد الحضاري ان نعيش وفق المبدا الرواقي : احتمل وازهد لتنعم بالسلام الداخلي .



ليس ازدياد فهم الانسان للطبيعة ولنفسه تدريجيا عن طريق نمو الذكاء وتحقيق السعادة في هذا العالم ، بل ان معنى التاريخ هو تحويل قيم الناس عن مثل الاهداف الدنيوية الى قيم عليا صادرة عن الدين ، وعلى الانسان الحديث ان يجد الحقائق المطلقة التي يؤمن ان بها خلاصه .

فاذا كانت المدينة الحديثة من صنع الانسان وابداع فكره فقد فرضت عليه انماطا من السلوك في الحياة . فالتربية والسياسة والتقنية تصنع اليوم النموذج الانساني الذي يمثلها ، والتكنولوجية باعتبارها العنصر المحرك في المدينة الحديثة تؤثر في كل شيء — من حجم المدينة ومنظرها الى سكانها وكثافتهم وتقسيم عملهم وطبقاتهم الاجتماعية ومستوياتهم الثقافية والجمالية والخلقية وفي نتائج هذا التدخل التكنولوجي تراخي العلاقات الاجتماعية في الاسرة والكنيسة والمعمل رغم الزيادة في اوقات الفراغ وارتفاع معدل طول الحياة . وقد يقال ان التقنية لم تخلق اية ازمة للانسان بل الازمة في الانسانية نفسها ، لان الآلة حررت الانسان من عبودية العمل ومنحته اوقات الفراغ لانماء ثقافته . ووفرت له الامكانيات لاغناء روحه ولكن كل هذا لا يعطي الجواب الشافي على هذا السؤال : ما هو مستقبل المدنية الحديثة ؟ ولا تلغي كذلك عبث تلك الامكانيات، بل ان التقنية والعلم قد جعلا الانسان ذاته موضوعا شيئا ودفعاه الى العيش في حالة ازمة مستمرة وعلى حد تعبير جورج غوسدورف G. Gusborf ان الانسان الحديث بدون حقيقة يفرض على نفسه الرضا بهذا العالم (اذ ينبغي له ان يضحك ووجهه ملتصق بالارض) .

ان العلم ذاته هذا الوثن الجديد سلب المدينة الحديثة تقدما حسيا دون ان يعلم الى اين يذهب ، ولذا فانه يتحمل مسؤولية اخلاقية خطيرة عبر عنها العالم الكبير انشتاين بقوله قبيل وفاته 1955 : (اذا استعملت القنبلة الهيدروجينية بكثرة . علينا ان نتوقع فناء سريعا لفريق من بني الانسان وامراضا معذبة ثم موتا بطيئا لجميع الكائنات الحية) واكد هذا القول موقف ابنهايمر . وارنكو فيرمي . وهارولد يوري ، وجان روستاند . بل ان كل انسان اصبح اليوم يشعر انه متهم امام نتائج العلم المكتسبة .. الا نذكر هنا قصة ذلك الجندي الامريكي الذي القى قنبلة هيروشيما فاحس هول فعلته وبشاعتها واصابه انهيار عصبي ، ان مبدا هنري بوانكاري : العلم للعلم غدا اجوف امام فشل العلم عند اعتبار الكم دون الكيف وتشويه المعاني الجمالية باعتبارات علمية . اذ اقام في القمر الجميل ملهم الشاعر خريطة جغرافية واحال لون الاصيل الى موجات كهرطيسية . وان الثقة التي وضعها رينان في (مستقبل العلم) بكونه يستطيع حل جميع مشاكل الحياة الانسانية ويمنح السعادة التي تدعي المذاهب الاخلاقية والروحية تقديمها ، تلك الثقة كانت حلما طوبائيا فوق استطاعة العلم نفسه ، فلم يفشل العلم في حل مشاكل الانسان وحسب ، بل اساء فهمه كذلك . فانسان البيولوجيا يبدو كمجموعة عضوية خاضعة لنظام دقيق تفرضه اجهزة الجسم المعقدة ، وانسان داروين نسخة من قرد متطور ، وانسان علم الاجتماع من صنع المجتمع والفرد المتوحد هو تجريد وحسب . وانسان علم النفس معرض للعقد النفسية والامراض العقلية بل هو مريض فعلا ومرضه كما يرى شواب : كبت الافكار والآراء الذي سبب ارتفاع الضغط : مرض المدنية الحديثة ، وهذا الانسان اما انسان جنسي لدى فرويد او قطعة من الفيزيولوجيا لدى وطس .. جملة افعال منعكسة وشرطية مجردة من الارادة والافعال والعاطفة والتفكير . وانسان المؤرخ هو ملتقى التاثيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والفنية لمدنية ما وتجربة شخصية تحمل انماط وقيم عصر من العصور . وهكذا فان العلم جعل من الانسان الحديث اجراء مجربا عليها في (مختبره) .

وبعد : فان الانسان الحديث ما فتيء في مفترق الطرق يقف وسط ماساته العميقة . الماساة المجسدة في الفن والفلسفة . فالتصوير المعاصر اذ يقدم اشكالا والوانا وخطوطا ورموزا عصية على الفهم يحمل في ذات الوقت معنى عميقا من معاني ماساة هذا العصر، والفنان المعاصر يسقط قلقه الفردي على آثاره ويتنسى عالما بعيدا عن الواقع الاليم .. واقع الماساة ؛ والوجودية كفلسفة تبرز ملامح الماساة من خلال علاقة الفرد بالآخرين الذين يهددون وجوده وهو يحاول ان يحرر وجوده بمقاومة الآخرين ويتمسك به قبل ان يقلب منه فالانسان الوجودي غريب في هذا العالم دائما يبحث عن معنى الحياة باتخاذ موقف محدد من نفسه ومن الآخرين .

تلك هي الثقافة التي نحتاج اليهـا ، وندائمـا ندعو اليها ، ونؤمن ايمانا لايخامره الشك بانها طريق النجاة ، والدواء الناجع لكل الامراض التي تكابـد عناءها الانسانية ، ومثل تلك الثقافة التي نتمنى ان تكون هدفنا في عمـوم التعليم ، وفي جميـع ادواره واطواره ، نعم ، هي الثقافة التي نعتقد بحق انها تعصم امتنا وسائر الامم من الانهيار والفناء . على انها سلم الرقي وطريق التقدم المستنير ، وهي وحدها فقط التي تكفل لنا حياة الفضيلة والعزة والكرامة — لا تلكم الثقافة الزائفة التي يدعو اليها البعض . ثقافة الانحلال والخلاعة والتهتك والبهيمية ، واطاعـة الشهـوات ، والانصياع مع الهوى والغواية ، والاندفاع مع تيـار العاطفة التي لاتتقيد بارادة ، ولا يكفكف من جماحهـا عزم . وليس لها هدف سوى ارضاء رغبات النفـس الامارة بالسوء ، والتي تميل بالانسان دائما نحو الرذيل والشر المستطير . ولا يرضى بها الا اصحاب الاغراض المفسدون ممن وصفوا بقوله تعالى : « ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما » . وان هذه الثقافة تنزل بالانسانية الى الدرك الاسفل ، وتجردها من معنويتها وتطفيء نورها . وتطمس معالم جمالها . وتذهب بجميع خصائص النفس البشرية . وتجعل منها حيوانا مفترسا فاتكا رائـده الهـوى . وغايتـه ارضاء غريزته الوحشية . متجردا من الرحمة . وفقد الارادة والصبر والعدالة . وسائر الصفات التي تعـد دعاما البشريـة الراقيـة .

وان كثيرا من الناس يرون ان الثقافة هي معرفة القراءة والكتابة . والالمام ببعض المسائـل والفنـون العلمية او التفوق في بعض المهن والصنائـع فحسب . وليس ذلك من رأيي . بل اعتقد يقينا ان الثقافة فوق ذلك وابعد ، وليس للبشر غنى عنها لانها الفضيلـة . وتحلية النفس بانـواع الكمالات المعنويـة والاخـلاق العالية التي طلب وسيبقى هدفا وميـدانا لتسابـق الفلاسفة والعلماء ، وعظماء العالم وعقلائه . طيلـة ازمنة التاريخ ، بل هي التي يطالب الله بها عبـاده . وارسل بها رسله وانبياءه الى كافة الامم في المعمورة . في مختلف الاعصار والامصار ، والتي تعلو بالانسان الى نهاية مقياس الكمال مـن قـوة الارادة وصـدق العزيمة ، والثقة بالنفس والشجاعة والصدق . وحب الخير والاصلاح العام ، وجلب النفع لجميع الخلق . لانهم عيال الله ، ، ثم دفع الضر عنهم ، ونصب ميزان المساواة بين بني الانسان ، مع الرحمة والعدالة ، وما الى ذلك من الصفات والاخلاق الفاضلة لتي ظلت ولا تزال نبراسا لرقي الانسان وعنوان مجده وسعـادته وفخره ، بل سبب وجوده وبقائه ، وبالفضائل تفاضلت انواعه . وتميزت جماعاته وافراده ، واليها يرمي كل تعليم ، وهي هدف كل ثقافة صالحة منذ القدم ، اذن فالثقافة والتعليم الذي نحتاج اليه هو ما يؤدي الى الفضيلة التي هي عماد سعادة الانسان ، وسلم رقيه الى اقصى حد من العبقرية والكمال البشرى ، والتي كانت الحد الفاصل بين الانسان والحيوان . وسائـر العوالم التي دونه ، والتي لولاها لما كان شيئا يذكـر ، ومن اجلها اكرم وفضـل على كثيـر مـن الخلـق . واستخلف في الارض ، وسخر له ما في السماوات وما في الارض . فهي سر عزه وبقائه ، وضمان سعادته ، تلكم هي الثقافة وتلكم غايتها التي طالما تنافس العقلاء في نيل قصب السبق فيها ، وكل ثقافة لا تهدف الى ذلك لهي ثقافة عمياء صماء جوفاء . مصيرها الضلال البعيد والخسران المبين . وغايتها الهدم والتخريب . ثم الاضمحلال والفناء والذل والصغار . الشيء الذي تاباه الطبع السليم . وتتجافاه العقل .

اذن فنحن في حاجة الى ثقافة تنتشل مجتمعنا من كل ادران الفساد . وسوء التدبير وضعف التفكير . وتذكي فينا الوعي الصادق ، وترفع مستوانا الى اعلى درجات الكمال ، كي ناخذ مكانتنا السامية امام صفوف الامم الراقية . لان الانسان يعيش لاقتنـاء الشـرف وعلو المنزلة وتخليد الذكر وبناء المجد وغير ذلك مـن المعاني التي هي غذاء النفس . وقوت املهـا . ومبعث رغبتها في الحياة . كما قال الشاعر :

لغيـر العلـى منـي القـلا والتجنب
ولولا العلـى ما كنت في العيش ارغب

هذا هو الانسان . وهذا هـو معنى الانسانية ، اما من ظن ان الحياة هي الاكل والشرب والتفنن في اللذات وانواع الشهوات المادية . فلنتامـل فيما تقول الية ليعرف قدره منها ، ومقامه بين اجناس البشر .

هذا ولو شئنا ان نتبع العز ونتمسك بالمعاني السامية لكان ذلك قريب المنال منا متى صدق عزمنا ، وتاقت اليه نفوسنا ، وتناولته بالفعل ارادتنا ، ونحن نملك من اسبابه ما يغبطنا عليه الغير ، نملك القرآن الذي يهدي الى فوق ما تسمو اليه نفوس البشر من خير وسعادة ، ونملك الثقافات الاسلامية على اختلاف انواعها وتعاليمها ، ولكن ، هل تفهمناها ؟ هل اعرناها

نحو ثقافة تسمو بنا

للأستاذ محمد العربي الهلالي

إننا نحتاج الى تلك الثقافة التي تسمو بنا الى المثالية الصادقة ، وتنتهي بنا الى الكمال البشري الذي يضمن لنا سعادة الحياتين . ولن نجد مثل تلك الثقافة الا في التعاليم الاسلامية ، اذا طبقت التطبيق النافع بأسلوب مفيد يتلاءم مع زماننا واهله ، وبشرط ان يراعى في ذلك التناسب والتوزيع الصحيح . ويعطى لكل طبقة من المتعلمين ما يناسبها . وما يحتاج اليه بمقادير وطرق معينة تتفق مع اقسام التعليم وطبقات المتعلمين واطوارهم واعمارهم ومؤهلاتهم . ولست اعني بالتعاليم الاسلامية فنا خاصا او موضوعا من الموضوعات العلمية . بل اعني بذلك كل فن عرفه الانسان منذ البدء . وكلما سيعرفه في المستقبل مما يفيد الانسان في احدى حياته الاولى والاخرى . او في كلتيهما . بدون تحديد او تخصيص . لان الاسلام نظام ثقافة وعلم لا يقف من ذلك عند حد او غاية . وكيف وهو الذي يقول : « وقل رب زدني علما » ويقول : « وفوق كل ذي علم عليم » — فالثقافة التي نعنيها . والتي نحتاج اليها هي الثقافة البشرية الواسعة . الثقافة التي لا تنتهي بزمان معين . ولا تنحصر في مكان خاص . ثقافة الابداع والتفنن والاختراع والزيادة والتنوع على ممر الازمان لتزداد في كل يوم علما . الا انه لابد لهذه الثقافة من اسس ثابتة ودعائم قوية من الدين . مشربة بروح الاسلام . مؤتمرة باوامره . واقفة على نواهيه ، لان الاسلام هو النظام الوحيد الذي يسير بالنفس البشرية الى اقصى ما يمكن ان تصل اليه من الرقي وسمو درجات المثالية التي تجعل من الانسان مخلوقا طاهرا ، وآدميا مكرما ، يصلح ان يحيا حياة الخلود والرفعة في عالم الخلود مجاورا الله وكرام عباده في اعلى طبقات العوالم العلوية . متمتعا بما يصبو اليه وبما خلق لاجله من السعادة والهناء الدائم المشار اليه في قوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون » . وماذا كانوا يعملون حتى استحقوا ذلك . كانوا يتآمرون بالمعروف ويتناهون عن المنكر . ويتواصون بالحق . وبالصبر . وكانوا يصدقون في وعودهم اذا وعدوا وفي حديثهم اذا حدثوا . ولا يكذبون ، ويحفظون الامانة ولا يخونون ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله ولا يزنون . وكانوا صالحين مصلحين . يضمرون الخير ويحبونه ويفعلونه . ويكرهون الشر ولا يضمرونه . اولئك الذين هدى الله وحبب اليهم الايمان وزينه في قلوبهم ، وكره اليهم الفسوق والعصيان . اولئك هم الراشدون . فضلا من الله ونعمة . واولئك الذين سابقوا وسبقوا الى المثالية فادركوها . وبلغوا قمتها . وتنافسوا في الخيرات وسارعوا اليها فاوتوا ما راموه منها . وكانوا عباد الله المخلصين الذين يسعون بطاعته . ويحافظون على امانته في ارضه وخليقته فكانوا رحمة للناس لا يريدون في الارض علوا ولا فسادا ، بل لم يريدوا الا الاصلاح والعمران . لانهم تثقفوا بتلك الثقافة الصادقة التي اختارها الله لتثقيف عباده . وتكوين احسن واصلح نموذج تكون قدوة صالحة ومثالا للناس يحذون حذوه . ويسلكون طريقه اذا ارادوا الوصول الى السعادة الدائمة بطريق لا عوج فيه . وهذه هي الثقافة التي نحن في اشد الحاجة اليها . ثقافة الخلق الطاهر وتزكية النفس . وتنقيتها من ادرانها المادية والمعنوية ، والسير بها الى ما يسمو بالانسانية . ويرفع مستواها الى اعلى عليين ، وينقذها من ويلاتها ويشفيها من اسقامها وآلامها التي ما فتئت تتخبط فيها تنقذها من ورطة البوار والدمار ، تنقذها من الانانية والعنصرية ، وتعالي الانسان على الانسان ، ومن بطش القوي بالضعيف ومن التفاني وسفك الدماء البشرية البريئة بدون حق سوى العبث والنهب والسلب واستعباد الاحرار وتسخيرهم تسخير البهائم بغيا وعدوانا .

التثقيف هو اصلاح النفس البشرية ، ونقلها من ظلمات الجهل والطيش الى نور العلم والعقل ، ثم من حال حسنة الى احسن منها وهكذا حتى نهاية الكمال المطلوب الذي تسود معه الفضيلة وتموت الرذيلة . وتعم الرفاهية والاخاء والطمأنينة . ويتم نضج العقل والاحساس ويكمل الوعي فيدرك كل واحد ماله وما عليه . فيؤدي ما عليه ويأخذ ماله . ويعمل للصالح العام من تلقاء نفسه ، ويكون رائده في ذلك هو ضميره وحده الذي يأمره بالخير فيأتيه ، وينهاه عن الشر فينتهي عنه . وللوصول الى مثل هذه النتائج يجب ان تسعى تعليمنا بروح خلقية دينية تعلم بأسلوب حكيم جذاب مؤثر على المتعلمين والعاملين . فنحن اذا في حاجة ماسة الى ثقافة تقلب الوضع الحالي الى ما هو اوفق واصلح ، وتغير الاتجاه الموجود الى اتجاه يجمع شمل الامة ويوحد كلمتها ، ويجعل منها كتلة صالحة متماسكة متحدة تشد بعضها البعض تعمل لخير نفسها ولخير غيرها متعاونة متساندة بعطف واخلاص . تهدف الى غاية واحدة وغرضها واحد تشترك في دفع الضر عن الجميع وجلب النفع للجميع.

وليس ثمة ثقافة تكفل لنا ذلك سوى تعاليم الدين الكامنة بين آيات القرآن ، وحكم سيد المرسلين تلك التعاليم التي تذكرنا بقوله : «انما المومنون اخوة»، وبقوله عليه السلام : «المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وقوله : «لايومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه» . وامثال ذلك من الآيات والاحاديث التي كونت من قبائل العرب المتنافرة المتعادية امة رحيمة متعاطفة دكت الارض وجابت العالم فاتحة ناشرة العدل والبر . والثقافة الصالحة والعلم ، واملت على امم الارض درسا من المساواة والرحمة والاخلاق ، وبنت صروحا متشيدة من العز والحضارة في ربوع العالم الفسيح . وخلدت ثروة من العلم والثقافة لا تفنى على ممر العصور والاجيال ، ذلك مجدنا الذي لايزال يشع من وراء القرون ، واولئك آباؤنا الصالحين . ومثل تلك الثقافة هي التي نحتاج اليها . ونطالب بها (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) .



اهمية تذكر ؟ هل حاولنا تطبيقها تطبيقا صالحا ؟ هل استثمرناها الاستثمار النافع ؟ ام نبذناها وراءنا ظهريا معرضين عنها حتى عفت معالمها ، مع انها الدواء الذي ياتي على جميع الادواء ، او ليست الثقافة التي نحتاج اليها احتياج النبات الذابل الى الغيث المنهمر. ان ثقافتنا التي اهملناها كانت ولا تزال الباعث لكثير من مدنيات الامم ، من مرقدها ، وبها وصلت ان كانت وصلت الى شيء . ولا تزال الى اليوم ماخذا واصلا صحيحا من الاصول المعول عليها في بناء الحضارة ، عند من يقدرها حق قدرها ويعرف كيف يقتطف من ثمارها الدانية . فمالنا لانمد ايدينا الى استغلالها والانتفاع بها وجعلها اسسا ثابتة لبناء الثقافة التي نحتاج اليها ؟ تلك الثقافة التي تضمن لنا سعادة دائمة تفوق كل سعادة في العالم .

وليت شعري كيف اصبحنا في دركة من الجهل بالتعليم ومواده وطرقه الى حد اننا لا نحسن شيئا من الاختيار ، ولا كيفية العمل والتطبيق . مع وفرة المواد وغزارة المنبع ، ولكن البناء الذي يجهل البناء لاتغني عنه الادوات والمواد شيئا . بل لاتزيده الا هما ، وان امة تملك الثقافة الاسلامية التي على راسها القرآن ، ثم تدعي الفقر والحاجة الى الثقافة ، لهي امة يرثى لها ، ويجدر بها ان تبكي على عقلها وفهمها السقيم الذي اصبحت معه لاتميز بين الصالح والطالح ، ولا تعرف ما تحتاج اليه ، وما يتفق مع حياتها ونفسياتها . بل اقتنعت بان تكون عالة على الغير كالعجلة الخلفية . في اكثر شئون حياتها ، تسير ولا تسير ، وتستغل ولا تستغل . كاليتيم الغني المضروب على يده المغلوب على امره يتمتع الغير بماله وثروته ، ولا يناله منها الا الفتات ، والفضل . فها نحن اولاء نملك ثروة طائلة من الثقافة والتعاليم الحكمية والروحية التي تهز الجماد ، فلم تغن عنا شيئا لانها مقبورة في بطون الكتب والدفاتر تنتظر من يثيرها من الاجانب الباحثين . وينفض عنها الغبار ويبرزها للنابهين من ابناء جنسه . فلا نزيد على ان نطلق العنان لالسنتنا بمدحه والثناء عليه مكبرين فعله وهمته . دون ان يحرك ذلك شيئا من شعورنا فنتدارك خطيئتنا ونفعل كما فعل فيما بقي من المدخر ، واذا تجرأ احد منا على ذلك او حاوله ، سلقناه بألسنة حداد ورميناه بكل سقم وعقم ، وانفتحت لنا عيون لاستخراج عيوبه وتثبيط همته حتى لا يعود الى مثل ذلك ، ولا يجرأ غيره على مثل فعله ، كل ذلك بغضا وحسدا لبعضنا البعض ، فانى يحق لنا ان نلهج بالتقدم والرقي مع مخالفة نهجهما الذي هو الخلق القويم والتنزه عن الدنايا والادران الخلقية ؟

وها هو التعليم الذي هو اكبر وسيلة فعالة للنهوض بالامم ورفع مستواها والسير بها نحو كل فضيلة ، لايزال عندنا سقيما لايمكن ان يؤدي الفائدة المطلوبة من ايقاظ الامة المغربية ، والنهوض بها في اقرب اجل ممكن . لان تعليمنا انما هو شكليات جوفاء واسم بلا مسمى وجسم بلا روح ، ونظمه ومناهجه تعتمد على اقيسة وتراجم غير واقعية بالنسبة الينا ، ولا تلائم روح الشعب المغربي ، ولا تفي بحاجته كما لاتتمشى مع نفسيته وخصائصه ومقوماته . اذ الشعب المغربي له طبيعته ومواهبه الفطرية . وثقافته المكتسبة ، فهو كما يدل عليه تاريخه شعب ماجد شجاع ، تواق دائما الى القوة والعظمة والفخر ، وهو مع ذلك شعب مسلم ما زال يعتز باسلاميته ، احب الاسلام ورضيه دينا منذ القرون الطوال ، فورثه كابرا عن كابر ، وخلفا عن سلف ، وتثقف بثقافته التي خالطت منه الدم واللحم والمخ الى ان اصبحت جزء لا ينفك عن فطرته وطبيعته . وناضل عن دينه مئات السنين نضالا مدهشا لم يعرف فيه كللا ولا مللا . فهو يطلب التقدم والاندفاع بانيا على اسس ثقافته السالفة ومجده التليد ، واصلا بين حلقات سلسلة جهاده سواء في الماضي او الحاضر او المستقبل ، دون ان يحيد عن فطرته وخصائصه المطبوعة بطابعها المغربي العربي فهو في حاجة الى تعليم رشيد يحفظ له كيانه ومميزاته ، وينمي فيه الغرائز الجميلة التي عرفه بها التاريخ . فيحتاج مثلا الى ثقافة تحيي فيه الثقة بنفسه ، وتعرفه بمراياه وتذكي في نفسه التضحية ، والجلد والصبر . وتحفظ عليه اسلاميته المثالية بعد تطهيرها من البدع والخرافات التي تتنافى مع تعاليم القرآن والسنة الصحيحة ، وتزيد في عبقريته وتهديه الى الفضيلة والسعادة العامة ، وهذا يحتاج الى تنظيم التعليم تنظيما محكما ، ثم تعميمه واقامته على اسس ثابتة تهدف الى غايات ونتائج معينة تدريجية . لا كالتعليم الموجود الذي تنخره الفوضى ويهدده الاضطراب فيظهر كل يوم في شكل ، ويتلون تلون الحرباء ، وما بني اليوم يهدم غدا . والمرحلة التي نقطعها في هذا العام قد نعود اليها في العام التالي ، بدون غاية ولا هدف نرمي اليه ، سوى الصور والاشكال ، ولم يكن هذا شان التعليم والتثقيف في اي امة من الامم او بلد من البلدان ، بل

كمغاربة ، انهم اذا لم « يمغربوا » ما علموا ، وما داموا مقتنعين بان ما تعلموه لايمكن ان « يتمثل » من قبلهم « تمثلا » مغربيا ، لن يفيدوا المغرب شيئا ، ولن يجني المغرب من ورائهم نفعا ، ولن تتقدم ثقافتنا بوجودهم شبرا ، واحسن للمغرب ان يستورد منقفين نامي الثقافة من مختلف هذه البلاد من ان ينتظر تخرج هؤلاء المثقفين الذين لايزيدون عن كونهم نسخة منقوصة من ثقافة اجنبية ، عملية تمثل الثقافة الاجنبية تجعل منقفينا يلتقون على صعيد واحد فى التفكير ، ويجتمعون على طريقة واحدة فى الاصلاح ، وعلى منهج واحد فى الثقافة ومن مزاج هذه الثقافات المتنوعة تكون الثقافة المغربية ، ويكون الفكر المغربي الذى ياخذ بقدر ما يعطي .

الى جانب هذين النوعين من الثقافة ، هنالك نوع ثالث من الثقافة نطلق عليه اسم « الثقافة العربية » واصحاب هذه الثقافة قد تلقوها فى المدارس الوطنية الحرة قبل الاستقلال ، او في دونهم . او فى الكتاتيب « المساجد القرآنية » واتيح لبعضهم ان يشاركوا فى الحياة العامة ، بثقافتهم هذه — على ضعفها — وسمحت الظروف لطائفة اخرى منهم ان يتابع دراسته فى الخارج .

ان الطريقة الغالبة على تفكير هؤلاء هي الطريقة الادبية . فهم يعيشون فى جو (رومانسي) خيالي مع كتاب او قصة او رواية ، يدورون فى فلك مؤلف من المؤلفين ، وطريقته فى الكتابة والتاليف ، ويحسبون ان ذلك كل شيء فى الثقافة وان العالم هو « الحرف » او « الكلمة » او « السحر » كما يعبرون . هذا الفلك الضيق ليس شيئا ، وهو اضيق انواع الثقافة التي تنتشر فى المغرب فى هذه الايام ، واصحابه اكثر اندفاعا وحماسة نحو « المغربة » والتعريب وغير ذلك من الشعارات الوطنية التي لا يحققها الصياح او الصراخ ، وانما تحققها الثقافة العلمية المنظمة التي يعتد بها عندنا وعند غيرنا من الناس . ثقافة هؤلاء ضررها اكثر من نفعها ، هم الى الجاهلين المتعلمين اقرب منهم الى اي نوع آخر من المثقفين ، هم اكثر غرورا واقل عملا .. وكلما قل علم الانسان او عمله ، زاد غروره ، وقويت دعواه .

واما الطائفة الاخرى التي تلقت تعليمها العالي فى الاقطار العربية ، فلا يسعنا الا ان نسلكها فى زمرة اخوانهم الآخرين من المثقفين ثقافة تقليدية او عصرية، ولكنهم — هم الآخرون — بحاجة الى تمثل بعض ما يتلقونه فى الشرق اذا لم نقل كل ما تلقوه من ثقافة هناك ، ليستطيعوا التفاهم مع اخوانهم المتخرجين من الغرب ، ومن القرويين ، والا فسيكونون لونا ثقافيا جديدا يضاف الى الالوان الاسبانية والفرنسية والانجليزية وندعوه باللون العربي المترجم .

هذه الطائفة يقع عليها عبء ثقيل فى تقريب وجهات النظر الثقافية والفكرية ، وربط الصلة بين هذه الالوان الملونة من الثقافات الحديثة منها والقديمة ، بحكم ما لهم من دراسات اخذت من الحديث بنصيب ، كما اخذت من القديم بمثل ذلك . وعليهم تقع تبعة القيام بهذه المهمة والنجاح فى القيام بها .

تلك هي التيارات المختلفة التي تتكون منها الثقافة المغربية ، وهي كما عبرت ، ليست ثقافة مغربية خالصة . وانما هي تيارات مختلفة ، وعناصر متعددة فى ثقافة تحتاج الى التمثل ، والى الملاءمة ، والى المزج ، والى تاليف بعضها مع بعض . لتكون منها ثقافة مغربية . تستفيد وتفيد .

واقع الثقافة المغربية

للأستاذ عبد الله كامل الكتاني

لا يستطيع احدنا ان يطمئن الى تلك الاحكام العادلة الظالمة التي يطلقها الادباء والعلماء وسائر الباحثين فى الثقافة المغربية والفكر المغربي . لاننا – بطبيعتنا – لا نقبل ان نكون الادب العربى فى المغرب مثلا عالة على الادب العربي فى المشرق ، ونثور حينما يرددون بزهو وفخر وبملء الافواه على ملء الاسماع كلمة ابن العميد المشهورة فى الكتاب العربى ، المغربي التاليف ، المشرقى الموضوع ، كتاب « العقد الفريد »: (بضاعتنا ردت الينا) .

والحقيقة انه يحق لنا ان نثور ونغضب لهذا الذي يقال ويقال ويكرر ، ولكن ثورتنا ينبغي لها ان تكون على قدر ما فى هذا الحكم من عدل ، لا على مقدار ما فيه من ظلم ، وهكذا فان غضبنا ينبغى لها ان نوجه وجهة انسانية قومية ، وجهة ايجابية خالية من الحماسة والاندفاع العقيمين ، وجهة فيها تسامح وتنافس فى العمل والانتاج تستفيد منهما الامة كلها ، ولا يغلق الاندفاع علينا سبل العمل المنتج الواعى .

والواقع اننا اذا قعدنا نلتمس العناصر الايجابية لثقافتنا القديمة او المعاصرة ، لم نصل فى ذلك الى امر ذى بال : اما ثقافتنا القديمة فقد فرغ من البحث فيها حينما دفعها ابن العميد بحكمه السابق الذكر ، هذا الحكم الذى سار مع الزمن مسير الامثال وطارت شهرته فى الآفاق كما يقولون . فلننظر الى ثقافتنا المعاصرة ، وواقعها البئيس . فنجدها – فى هذا الوقت الذى نعده وقت انبعاثنا ونهضتنا فى هذا الزمن الذى نعتبره زمن ثورتنا على الجمود – نجدها فى حالة لا ترضى جدا .

هذه ثقافة القرويين ، وهي البقية الباقية من ثقافة المغرب التقليدية التى وصمها ابن العميد بقولته المشهورة ، تأخرت بمراحل عما كانت معروفة عليه ايام ابن العميد ، والمثقفون المتخرجون منها اصبحوا فى مفترق الطرق ، لم ينتفعوا بالطريقة القديمة فى الثقافة وانما اقتنوا سائر ما فيها من عقم وجمود ، وتركوا ما فيها من نافع مفيد ، ولم تسمح لهم ظروفهم ان يعرفوا من المناهج الجديدة فى الثقافة ما يسايرون به التيارات الثقافية الحديثة فيما يقابل جامعة القرويين عند غيرنا من الاقطار كالجامع الازهر ، وكلية اصول الدين فى مصر ، وكلية الشريعة فى دمشق ...

وتلك الثقافة العصرية التي يتلقى طلابنا اسسها فى مدارسنا ، ثم ينطلقون منها الى معاهد الغرب يستكملون ثقافتهم فيها ، هذه الثقافة لاغبار عليها ، ولا يمكن لاحد ان يجابهها بالمعارضة ، ويواجه المثقفين بها بالنكير ، ولكن نعارض الطريقة التي تبدو فيها هذه الثقافة فى بلادنا : الناس اليوم وفى كل مكان يسعون الى الغرب ، والى معاهده يتثقفون فيها ، ولكنهم يعودون الى بلادهم لينشروا تلك الثقافة ، فيلقونها الى شعوبهم – رغم انها نتاج امم غريبة عن هذه الشعوب – فى ثوب وطني صريح ، هذا ما عمله المثقفون فى بلاد كبيرة كبيرة كاليابان ، وفى بلاد اخرى صغيرة كسورية الشبيهة بالمغرب عادات وتقاليد واخلاقا الى حد كبير .

المثقفون فى بلادنا غالبيتهم من فرنسا ، وبعضهم من اسبانيا ، وبعض من انجلترا ، وآخرون من المانيا ، هؤلاء جميعا يدرسون ثقافات تلك البلاد المختلفة ، ثم يأتوننا بتلك الثقافة دونما « تمثل » .

ان المغرب فى هذه الايام يتلقى الوانا من الثقافات الفرنسية والالمانية والاسبانية والانجليزية بمقدار ما يدخله من متخرجين من مختلف هذه البلاد ، مشكلتنا مع هؤلاء انهم لا « يتمثلون » ما يتعلمون

امام حضارة الغرب عموما وحضارة فرنسا خاصة ،
م الشعور بالنقص والاستصغار عند المقارنة والمقابلة،
وهذا الرادع النفسي الخطير من شأنه ان يعطل القوة
الحية فينا ويقعدنا فنكف عن الانتاج والتسابق مع الامم
الحية الراقية ونكتفي بحياة التبعية والاستهلاك ، هذا
الشعور بالعقم الثقافي والحضاري سلاح الاستعمار فى
كل بلد محتل لانه ضمان على ابقاء العهد البائد
ضمان لسطوته على عقولنا ، ونحن لو نظرنا قليلا فى
ماضي حضارتنا لتأكدنا اننا شعب خلاق مبدع تركنا
آثارا خالدة فى العمران والفكر الانساني ، واننا اليوم
بدانا هذا الزحف المقدس فنحن لا نقل ذكاء عن اعرق
الامم حضارة ولسنا اقل استعدادا للبناء الدائم
وانما عاقتنا ظروف قاهرة فلجانا الى الركود والى ما
سببه العطالة اما اذا آمنا بأنفسنا واسترجعنا تلك
الثقة بمواهبنا لرأيننا نحقق المعجزات فى كافة ميادين
النشاط البشري ، اننا لفي حاجة الى تذكير بعضنا
بهذه الحقيقة الملموسة ، وتطعيم الجيل الناهض بهذا
الاحساس بالقوة والكرامة والاصالة .

واذا كانت بالنفس دوافع نحو البناء والتحقيق فهي
لا تكفى فى العمل الحضاري الذي يقوم اول ما تقوم
على المجتمع كهيأة تعرف وظيفتها وتشعر بوجودها
ولذلك لابد للاصلاح الاجتماعي اولا وقبل كل شيء ان
يكون ملائما لطبيعة المجتمع منسجما مع مقوماته
الاساسية ، فلا نعمل كما فعل مصطفى كمال فى
محاولته القضاء على آثار الاسلام فى تركيا ، فكانه
حاول اخماد غرائز فى اعماق الشعب التركي وهيهات
ان يستطيع ، وكذلك الحركة الشيوعية التي حاولت
ازالة الطبقات تامة ومنع الملكية الفردية وابدال الايمان بالله
بالايمان بالحزب ، ومحاولة الاستعمار ببلادنا ليست
ببعيدة عنا حينما صمم على اهانة اللغة العربية وقتل
كل احساس بالكرامة الوطنية المتحررة وادخال عادات
تتنافى مع تربيتنا الاسلامية ، فالاصلاح الناجح هو
الاصلاح الذي يأخذ مواد البناء من الواقع الاجتماعي
الحي القابل للبقاء اما ان نحاول التغيير الجذري
والبناء فى الهواء فهذا عمل فاشل يحتضر وهو فى المهد
قبل النمو والتكامل .

والاصلاح الاجتماعي الحقيقي يبدأ من اللبنة
الاجتماعية الاولى والخلية الاساسية فى كيان المجتمع
هي الاسرة ، والمتتبع لتطور الاسرة يكاد يستنتج
انها فى طريق الانحلال ، ونحن نعلم جيدا ان وجود
الاسرة امر ضروري ولازم فى سلامة المجتمع ، وانحلال
الاسرة الظاهري آت من ان الاسرة فقدت ثلاثة اركان
اساسية : فقدت افرادها وفقدت وظيفتها وفقدت
سلطة الزوج .

لقد كانت الاسرة فى الشعوب البدائية تضم
كافة افراد القبيلة بناء على علاقة الدم والجوار
والعصبية وكلما ارتقى المجتمع كلما تخلص من نسبية
الجوار والعصبية مكتفيا بعلاقة الدم التي كانت هي
بحد ذاتها واسعة النطاق تشمل الاقرباء الابعدين
والاقربين، ولكن التطور فعل فعلته حتى فى هذه العلاقة
اننا اصبحنا اليوم من الاسرة الحديثة الزوج والزوجة
والاولاد فقط بل ان الاسرة فى البلاد الاشتراكية
اصبحت تعني الزوج وزوجته على اعتبار ان الدولة
هي التي تضم اليها الاولاد ، ونحن لو سرنا فى هذا
المنطق التسلسلي لحكمنا على ان الاسرة ستنعدم فى
المستقبل وتبقى العلاقة بين الزوجين علاقة استمتاع
فقط ، والجانب الثاني لانحلال الاسرة آت من انها
فقدت كل الوظائف التي كانت تتمتع بها فيما مضى
لان الدولة والمؤسسات الاجتماعية الاخرى اخذت منها
هذه الوظائف : كانت الاسرة تقوم بكل شؤون الحياة
ولا تعول على احد ، فكانت تربي وتعلم الاولاد وتدربهم
على حرفة من الحرف وكانت الزوجة تخيط الثياب
وتحيك المفروشات وتربي الدواجن والاغنام وكان
الزوج يقوم بوظيفة النجار والحطاب والبقال والحذاء
والقاضي والبوليس الخ. اما فى المجتمعات الحديثة
نرى هيئات اخرى سلمت هذه الوظائف واختصت بها،
وهنالك جانب ثالث طرأ عليه الكثير من التغيير وهو
المتعلق بسلطة الزوج وبتبعية الزوجة والاولاد ، لقد
كانت سلطة الاب او الزوج فيما مضى مطلقة عنيفة لا
تقبل المهاودة كانت له الكلمة العليا وهو صاحب القول
المطلق الذي لا ينافس ، اما اليوم فبفضل التعليم
والحياة الديمقراطية وخروج المرأة الى الحياة العملية
واستقلالها المادي نرى سيادة الاب او الزوج تتقلص
ويكاد يصبح شخصا غير موجود لا كلمة له ولا امر ،
واذا كانت سلطة الاب هي الرباط للاسرة فان رابطة
اخرى تقوم مقامها اليوم بعد ان حصل استقلال افراد
العائلة ! وهل معنى هذا ان الاسرة اصبحت تحتضر !
ان علماء الاجتماع يؤكدون بشكل يكاد يكون اجماعيا
على ان الاسرة يجب ان تبقى ولو بمفهومها الحديث
الضيق وان ضياعها وانحلالها هو ضياع المجتمع
برمته ودليل هذا ان جميع المجتمعات البشرية القديمة
والحديثة كانت مرتبطة بوجود الاسرة ولا يعرف
التاريخ امة كانت الاسرة فيها معدومة ، واذا كانت

الأساس النفسي الاجتماعي للنهضة المغربية

للأستاذ جمال بغدادي القادري

ان المصلح الاجتماعي حينما يخطط طريق السير فى الاصلاح، يجعل عمله هذا مسبوقا بتشخيص المرض واظهار الهنات الاجتماعية السائدة قبل التمريض والتطبيب ، وهو ان فعل فسيجد صعوبات جمة فى العلاج لان الوجود الاجتماعي كيفما كان حاله فهو معقد الظاهرة متداخل العوامل يستعصي على كل تحليل ، جذوره ضاربة فى الماضي السحيق ومنحدرة نحو آفاق غائمة لا يحدها البصر ، عند التمييز جمع من النفسيات الفردية ولكنه فى التركيب شيء آخر لا يمت الى الافراد نقط وانما الى روح الجماعة والى ضميرها الغامض ، والظاهرة الاجتماعية لا حاصر لها لانها كالسيل الجارف يسعى نحو غده حثيثا وفى احشائه رواسب من الماضي السحيق .. اذن كيف نبحث ما لا يحده بصر او يحيط به عقل . اننا مهما فعلنا فلن يكون عملنا الا كمشية الاعمى يتخبط فى الدياجي ومهما قلنا : هنا الداء وهذا هو العلاج فهيهات ان نتلمس جوهر المجتمع وحقيقته ولذلك وجب علينا ان نتحدث عن الناس والمجتمع بتحفظ شديد وتواضع كبير .

والنظرة الاولى على مجتمعنا العربي المغربي تعكس التقابل والتنافر بين فئة واخرى وبين اتجاه واتجاه ، محافظون ومجددون ، شباب لا يبالي اندفع وراء المتعة والاستمتاع ، وشيوخ يذرفون الدموع على الخسارة والضياع ، قوم مشرئبون للمستقبل الساحر الذي طلق الماضي او يكاد ، وقوم لا هم لهم الا التحسر على مخلفات الآباء والاجداد . فكيف التوفيق والتنسيق

ان المجتمع المغربي يعيش على الاستهلاك كثيرا وعلى الاختراع والانتاج قليلا فما السبيل الى تفتق العقلية المغربية على الابتكار والمبادرات ، والمجتمع المغربي فى حاجة الى مزيد من صلات الحب والمزيد من روح التضحية والفداء ، فاين هي تلك العصا السحرية التي تنشر الحب فى القلوب ؟ ان هذه العصا العجيبة كامنة فى التربية النفسية الاجتماعية ، فاساس النهضة قائم على اصلاح النفس اولا ثم اصلاح المجتمع ثانيا اي ان الاتجاه يكون من داخل انفسنا الى العالم الخارجي. من الفرد الى المجتمع ، ونحن لا نبتدع جديدا فان الاسلام — وهو رائدنا الدائم — اهتم اولا بتركيز العقيدة وتقوية الايمان وتطهير النفس قبل ان تشرع الانظمة والقوانين ، واذا كان اسلوب الاسلام فى الدعوة خالدا فهو فى هذا المخطط خلاق من حيث السير المنظم الهادف اي انه اتبع طبيعة الاشياء فى التركيب والتكوين .

والنهضة النفسية الاجتماعية تومن باسبقية الروح على الجسم والنفس على المادة . لان الحضارة ثمرة الروح المفكرة لا المادة الخرساء البكماء ، والمادة لا تؤثر فى الانسان بقدر ما نتلقى تاثيره هو . فنحن نصنع المادة ونخترع الآلة ولكن الآلة لم تخترع الانسان فهي تؤثر فيه فقط وفرق بين التاثير والتكوين. وجناية الفلسفة الماركسية انها بني النهضة على اسطورة المادة جاعلة من العقل والروح تابعين منفعلين . وقد اوضح العالم المؤرخ الانجليزي ارنولد توينبي بدامغ الحجة كيف ان اعرق الحضارات القديمة والحديثة قامت على الدافع النفسي فى تحدي صعوبات الطبيعة وضيق المجالات الحيائية وكيف ان الخطر الدائم يحفز الانسان على تلقي التهديد بالمجابهة والتحدي ، فالعالم العربي تسلح وتقوى بفضل وجود خطر اسرائيل ، والاسلام انتشر فى بقاع الارض بفضل ذلك الدافع النفسي فى نشر الرسالة ، وقد كانت بداية النهضة فى المغرب قبسا من هذا المفهوم النفسي للحضارة حينما عزم الشعب على التخلص من وجود المغتصب الظالم بقوة العزيمة التي كانت الحافز على الانطلاق الحر نحو البناء السليم والنهضة الحقيقية ولكن الاستعمار ترك وهو يبارح البلاد بعض الاثر فى انفس عدد غير قليل من شبابنا ؛ لقد ترك فى انفسهم الشعور الدائم بالضآلة والانهيار

الإسلام وحرية الفكر

للاستاذ عز الدين عبد القادر

اذا دققنا فى البحث فيما كانت عليه حياة الفرد فى مختلف العصور المتأخرة والمجتمعات القديمة وما كان يسودها من شرائع وانظمة .. لما وجدنا فيها اية ضمانات للحريات الشخصية .. واهمها واخطرها .. حرية الفكر ..

لقد كان الناس خلال تلك العصور المظلمة يعيشون فى مجتمعات بدائية او قبلية ، نهبا لطغيان الطغاة واباطيلهم .. وعبيدا لاستبدادهم المستبدين واهوائهم من زعماء وامراء وملوك .. ممن جعلوا الخصومة متصلة بينهم وبين حريات شعوبهم جميعا قرونا متوالية ..

وفلما كان يستطيع احد اتباعهم ان يرفع راسه بحركة .. او ان يفتح فمه بكلمة .. فضلا عن ابداء رأى والدعوة لفكرة ..

وكثيرا ما كان جزاء من يجسر منهم على ذلك .. ان يحرق حيا .. او يقتل صلبا .. او ينفى الى السباع الجائعة المفترسة .. وانا لنرى امثلة كثيرة على ذلك تملأ تاريخ الاقدمين .. وصحف التوراة .. وكتب المسيحية ..

ورغم ذلك كله .. فان من اعظم ما ورثته الحضارة الحديثة من ماضي الانسانية المجيد .. ومن اسمى ما خلفه العقل البشري فى انطلاقه وتطوره من تراث .. للاجيال المتعاقبة .. هو ما جاء به الاسلام .. للناس من تحرير الروح والعقل والفكر ..

وتعتبر حرية الفكر فى حد ذاتها .. من اهم المقومات الحيوية التي بنيت عليها حضارة الاسلام .. هذه الحضارة العظيمة التي اشرقت مع بزوغ فجر الاسلام وظهور دعوة الحق .. وامتد نورها فى مشارق الارض ومغاربها منذ اللحظة الاولى .. عبر الاجيال .. حتى شمل الحضارة الحديثة فى عصرنا هذا ..

اسلام علي بن ابي طالب

كان سيدنا علي امير المؤمنين اول صبي دخل الاسلام فى ايامه الاولى .. وذلك عندما فاجأ الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يصلي بالسيدة خديجة سرا فى داره ورآهما يركعان ويسجدان ويتلوان ما تيسر مما اوحاه الله تعالى يومئذ من قرآن .. فلما سأل الصبي ابن عمه العظيم دهشا لمن يسجدان؟ اجابه : « انما نسجد لله الذي بعثني نبيا وامرني ان ادعو الناس اليه .. » ودعاه الى عبادة الواحد الاحد والدخول فى الدين الجديد .. ونبذ عبادة الاصنام .

فاستمهله سيدنا علي حتى يشاور اباه .. وامضى علي الليل ساهرا يفكر فيما سمعه من آيات بينات انشرح لها صدره وتفتحت عليها افكاره .. وفى الصباح اسرع الصبي الناشيء الى ابن عمه الرسول الكريم .. واعلن اسلامه قائلا ببساطة : « لقد خلقني الله من قبل ان يشاور ابا طالب ، فما حاجتي انا الى مشاورته لأعبد الله ؟ .. »

وهكذا اختار علي الاسلام ودخل فى الدين الجديد بحرية وامعان فكر .. متأثرا بروح الدعوة المحمدية التي جاء بها القرآن .. وبشر بها محمد صلى الله عليه وسلم ..

الاسرة تطورت الى هذا الحد الذي نراه اليوم فليس معنى هذا انها في طريق الزوال اذ على الاقل نجد الاسرة اليوم تقوم بالوظائف الآتية :

1) العمل على ابقاء الجنس البشري .

2) اشباع الغريزة الجنسية اشباعا منظما .

3) ايجاد المسكن الذي تأوى اليه الاسرة .

4) القيام باوليات التربية والمحافظة على سلامة الاولاد .

والذي يجب ان يبقى من كل هذه الوظائف الباقية هو الحب بين الزوجين والجو العاطفي الدافىء الذي يملأ حياة الاسرة من كل جانب ، ويؤكد علماء النفس وعلماء التحليل النفسي ان اولاد الذين لا يشعرون بهذا الحب او لا يجدون هذا الجو العاطفي المنعش سرعان ما نراهم يموتون (في السنة العاشرة على الاكثر) أو يصابون بعاهات نفسية دائمة كالحسرة والانطواء والبلاهة والجنون فلابد اذا من المحافظة على سلامة الاسرة وبقائها صحيحة المبنى والروح ، وان تكون التشريعات والقوانين في خدمتها وسلامتها .

ومع الاسرة لابد من ذكر جانب آخر له هذا التاثير الفعال في اية نهضة وهو يأتي بعدها مباشرة في الاهمية وهو دور المدرسة في التكوين الحضاري . وقد كان بودي الاطالة في هذا المضمار ولكن هنالك زميل آخر فصل القول في مكانة المدرسة واهمية التربية ، ومع ذلك أشير الى بعض الملاحظات التي تذكر في هذا المجال

ان المدرسة المثالية والتربية السليمة هي التي تقوم بوظيفتين جامعتين : التربية الفردية والتربية الاجتماعية .

والتربية الفردية لها ثلاثة جوانب : تربية الجسم وتربية العقل وتربية النفس ، واذا سلمنا ان المدرسة في المغرب تعنني بالجانب الاول والثاني فهي تكاد تهمل الجانب الاخير في التربية النفسية وهذا الجانب هو الذي يخلق الشخصية الكاملة ، فتربية الوجدان والكشف عن القدرات والمواهب وتربية الملاحظة وتدريب الذاكرة وعلاج العيوب النفسية لا تقل اهمية عن درس الجغرافيا والحساب .

وفي التربية البدنية يجب ان نلاحظ ان الهدف منها هو تكوين العادات الجسمية الصالحة وتدريب العمل اليدوي ، اما التربية الاجتماعية فهي تهدف الى تكوين المواطن الصالح لانها اعداد للمجتمع وتأهيل للعيش المشترك .

فالنهضة الناجحة هي التي تقوم اول ما تقوم على الانسان اولا ثم على المادة والوجود المحسوس ثانيا. وبفضل قادتنا وعزم المسؤولين على العمل الجدي النافع يمكن لنا ان نأمل في نهضة شاملة تكون وتبقى آية للناس ومثالا يحتذى .



الثقافة التي نحتاج اليها

للاستاذ
محمد الامين محمد



نحتاز اليوم مرحلة دقيقة من مراحل حياتنا الثقافية . وتغمرنا تيارات متباينة من القلق حينا والاشفاق حينا آخر .. القلق من الواقع . ثم الاشفاق من المستقبل . ولعل مرد هذا القلق وذلك الاشفاق يرجع الى ما نحس به من التخمة الثقافية التي اخذت علينا كل مسالكنا الفكرية والشعورية فأصبحنا لا ندري ماذا ناخذ وماذا ندع . ستهوينا هذا اللون من الثقافة تارة فنتهافت عليه تهافت الفراش على النار . وننكر ذلك اللون تارة اخرى فنصدف عنه . ونحن في اعجابنا بهذا وانكارنا لذلك لانحكم غير اذواقنا وامزجتنا . ولا نكاد نحسب اي حساب لمقومات مجتمعنا الذي نعيش فيه ، ولا لمقتضيات البيئة التي تحيط بنا . بل ولا الدين الذي نعتنقه ، ومن ثم فقد اصبحت ثقافتنا كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الالوان مختلفات ، اي ان ثقافتنا ليست صورة صادقة لنا ، وليست تعبيرا دقيقا عنا كمسلمين توجهنا شريعة اسلامية ويسوسنا قرآن .

لقد تفتحت عيوننا منذ مطلع هذا القرن او قبل ذلك بقليل على ثقافة الغرب نسعى اليها او تسعى الينا . وناخذها مختارين او تفرض علينا كرها ، ثم كان الاستعمار فمسنا مسا عنيفا في مختلف جوانب حياتنا الثقافية حتى اوشك ان يفسد علينا السنتنا ويطمس معالم لغتنا ، وظلت معركتنا مع الاستعمار محتدمة منذ ان حمل لواءها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده حتى تحررت الامة الاسلامية في النهاية او كادت ، وخرجنا بعد هذا الصراع العنيف منتصرين ولكننا لم ننتصر بعد على انفسنا ، واعني لم نستطع بعد ان ننفض ايدينا نهائيا من سيطرة الاستعمار الفكري الذي ملأ رؤوسنا واتخذ له مقاعد في مشاعرنا. ومن اجل ذلك اصبحنا نشعر باننا متخمون ، ولو نحن ادركنا الحقيقة لعرفنا باننا واهمون فيما تصورنا مخطئون فيما ظننا ، فنحن قد افدنا من الثقافة الغربية قليلا ولكنا في مقابل ذلك اضعنا الكثير الذي كنا نملك ، اضعنا روحانيتنا السامية واكتسبنا مادية بغيضة والروحانيات فيض من الله وهي قمة المثل الانسانية العليا ، والمادية انحدار بالقيم الانسانية الى احط مداركها . ومن ثم يمكن لنا ان نرد كل خلل نراه في مجتمعنا او نحس به الى المادية التي جاءتنا من الغرب فافسدت علينا كل شيء حتى الروابط السامية التي كانت تربط الفرد بالفرد ، والفرد بالمجتمع ، وافراد الاسرة الواحدة بعضهم ببعض في مجالات من الالفة الجامعة والتعاون الهادف والتفاهم الواعي .

اننا لاندعو الى رجعية جامدة ، كما اننا لاندعو الى تقليد اعمى ، فقد استطاع اوائلنا ان يفيدوا من كل الثقافات التي احاطت بهم من فارسية وهندية ويونانية ، ولقد انصهرت هذه الثقافات في الثقافة العربية الاسلامية على نحو جعلها تتخذ شكل ثقافة عربية اسلامية متجددة المظهر ، قومية الروح والمنزع، ولكن ذلك لم يجعل العرب يتنكرون لمقوماتهم او ينسون كيانهم الحقيقي ، بل هم الذين حملوا مشعل

وقصة كل مسلم

هذه قصة اسلام سيدنا علي .. وهناك قصة اخرى لمسلم آخر .. هي قصة كل مسلم .. وهي تجري في مسجد المدينة حينما وقف عمر بن الخطاب يخطب على منبر رسول الله في المسلمين حتى جاء الى قوله المشهور : (يا ايها الناس .. من راى منكم في اعوجاجا فليقومه ..) .. فوقف رجل من المسلمين وشهر سيفه واجاب عمر صائحا : والله .. لو راينا فيك إعوجاجا .. لقومناه بسيوفنا ..

هذا الرجل ما كان ليقول هذا الكلام .. الا تشبعا منه بروح الدعوة المحمدية التي يؤمن بها هو وعمر وسائر المسلمين في كل زمان ومكان .. دعوة الحق والحرية والقوة .. قوة العقيدة .. وحرية الفكر ..

عمالقة الفكر الاسلامي

هذه القصص المضيئة تصور لنا تصويرا دقيقا مقدار عظمة القرآن .. والدعوة الاسلامية .. واثرهما البالغ في تحرير الروح والعقل والفكر الانساني ..

وفي هذه الصور الصغيره نفسها .. نقطة الانطلاق العظيم للفكر المحرر الذى شيد مع الزمن صرح الحضارة الاسلامية عاليا ..

من هنا بدا مجد الاسلام الفكرى والعلمي .. ومن هنا كانت انطلاقة اعلام الفكر الاسلامي من امثال الغزالي والفرابي وابي العلاء المعري وجمال الدين الافغاني وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم وغيرهم ..

ولولا ما في الاسلام ودعوته من حرية الفكر .. لما كانت هناك انطلاقة علماء الاسلام الاعلام من امثال ابن خلدون في بحوثه العلمية التي جعلته اول رائد في العالم لعلم الاجتماع وفلسفته ..

وفي ظل هذه الحرية الفكرية المشعة عاش عمالقة الفكر الاسلامي على مر الايام وكر العصور ائمة يهدون العالم كله الى نور العلم .. ونذكر منهم ابن سيناء وحسن بن الهيتم من الخالدين الذين اعترف العالم في عصرنا هذا بفضلهم على الانسانية .. والحضارة الحديثة ..

وحسب المسلمين فخرا .. ان الاسلام يحمي العلم والعلماء .. والفكر .. والمفكرين .. في نفس الوقت الذي كانت تشهد اوروبا مصرع علمائها ومفكريها بتهمة الزندقة والكفر والالحاد ..

الاسلام بين الجمود والانطلاق

ان حرية الفكر .. هي امل كل مسلم .. والاسلام الذى احاط هذه الحرية الغالية بكافة الضمانات حماية للحضارة .. واحتراما للكرامة الانسانية نفسها .. يحث معتنقيه على توفير هذه الحرية للناس جميعا لانه بدون حرية الفكر .. لا تكون كرامة لانسان .. ولا تكون حضارة زاهية ينعم فيها الناس بامنهم وحقوقهم وامالهم ..

وساء الحظ العاثر ان يجعل من المسلمين او قل بتعبير ادق يجعل من بعضهم حجر عثرة في طريق التطور والانطلاق .. وعامل هدم في كيان الاسلام .. وذلك بدعوة هؤلاء المتزمتين الى الجمود وتقييد الحريات .. وخاصة حرية الفكر .. الامر الذى ادى بالحضارة الاسلامية الى التوقف عن النمو والذبول .. والتعرض للانهيار ..

فاذا عرفنا هذا .. عرفنا بيت الداء .. وسر تخلفنا عن ركب الحياة .. بعد ان سرنا طويلا في الطليعة وما علينا اليوم الا ان نحارب هذا الجمود فينا حربا لا هوادة فيها .. وان نقف لدعاة الجمود والتخلف .. بالمرصاد .. وان نغير موقفنا من جمود وتردد .. الى تحرر وانطلاق بايمان وقوة .. استجابة لدعوة القرآن .. الذي جعل الاسلام .. الحصن الحصين للحريات جميعا .. وفي مقدمتها حرية الفكر ..

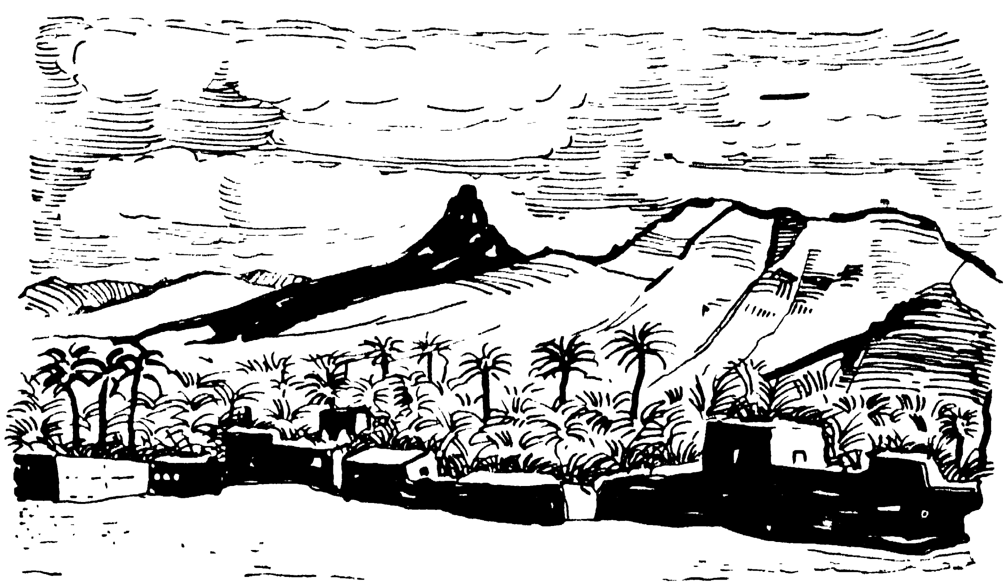
ان الله لا يغير ما بقوم .. حتى يغيروا ما بانفسهم ..

على اساس سيطرة راس المال بل على اساس المساواة التامة بين الجميع .

والثقافة التي نحتاج اليها كذلك هي الثقافة التي تحمي مقوماتنا الخلقية وتسمو بالفضيلة ولا تنظر الى المراة على انها متاع فقط ثم هي تنسى الحدود المشروعة وتتعدى المبادىء الثابتة ، والثقافة التي نحتاج اليها هي التي تمنحنا القدرة على ان ننتقد ولا نجرح ونعرف ما يجب ان يعرف ونساير ركب الحضارة الزاحف ونكون اعضاء عاملين فى مجتمع حر متطور يسوده الامن ويحكمه النظام وتقوم فيه المحبة مقام القانون .

ونحن نحتاج من الثقافة كذلك الى ما يجعلنا نؤمن بان المعرفة بحر لاتحده شواطىء ، وان الغرور وليد الجهل وان اعتماد الانسان على غير مواهبه سفاهة وعجز ، وان التماس الامور بغير وسائلها الطبيعية لحاجة لامعنى لها ، نحن فى حاجة الى كل ثقافة تخلق منا امة قوية تذود عن حقوقها وتحمي ارضها ونقف على قدم المساواة مع كافة شعوب الارض فلا تهن عن ذلة ، ولا تخضع عن مسكنة ، تاخذ حقوقها ولا تستجديها وتعتنق مبدأ التسامح مختارة لا مكرهة ...

هذه هي الثقافة التي نحتاج اليها نحن كمسلمين .. نحتاج اليها على انها جزء من تعاليمنا ثم على انها وسيلة تقوم عليها نهضتنا الحضارية التي ناخذ باسبابها لنصل ماضينا بحاضرنا ، ولنبني عليها اسس مستقبلنا كامة عريقة ترعى امجادها وتحمي مقدساتها .



الثقافة شرقا وغربا ينشرون الهدى والمعرفة ويردون الشعوب الضالة الى الحق والفضيلة والاخوة ، ولعل سر نجاح الاولين انهم كانوا يؤمنون بأنفسهم ايمانا عميقا جعلهم ينطلقون الى اهدافهم كالقذائف فكان النصر دائما حليفهم .

نحن اليوم تسودنا دعوة آثمة الى نبذ كل ما هو عربي لانه عربي والتعلق بكل ما هو اجنبي لانه اجنبي، ومن تم فقد اصبحنا نلبس ما ليس لنا ، فنبدو في مظهر من الغرابة لانظير له مظهر يستدر الرثاء حينا والسخرية حينا آخر ... قال له صاحبه وهو يحاوره انه ليس هناك مايسمى بثقافة عربية..والمسألة لاتعدو ان تكون اسما قد انتزع من اللغات الاجنبية واستعمل عندنا فى غير مدلول ظاهر كما استعملنا اسماء اخرى كثيرة ليس لها مسميات ، وكان صاحب هذه العبارات ذا نصيب من الثقافة الاجنبية لايكاد يعدو نصيب من اغترف بيديه غرفة من ماء فخانته فروج الاصابع وهو لايدري ، ولم يكد يتم عباراته هذه حتى لوى لسانه متمتما ببعض كلمات من فرنسية عرجاء مستفلا جهل صاحبه بالفرنسية ، واذ ذاك استغرق صاحبه فى ضحكات ساخرة من ذلك الذي يجهل لغة آبائه واجداده ثم هو يدل عليه بما يعرف من لغة الغير او ثقافته .

فمشكلتنا فى الحقيقة هي مشكلة الرواسب الاستعمارية الفكرية قبل ان تكون مشكلة الثقافة نفسها ، ولذا فعندي انه ينبغي الا يسمح بالاتصال بالثقافات الاجنبية الا للراشدين فكريا الذين يستطيعون ان يحكموا عقولهم ازاء ما يتناولون من ثقافة الغير ، اما الذين يجهلون قيمة ما لدينا من تراث ثقافي فان الخطر كل الخطر فى ان يفتحوا عيونهم باديء ذي بدء على ثقافة اجنبية ايا ما كانت منزلة تلك الثقافة ، لان النتيجة المحتومة هي ان تتوافر لدينا جماعات من الشباب تتنكر لتراثنا الفكري عن جهل به ، وتحارب مقوماتنا طبقا لما تلقنته من اولئك الذين نصبوا انفسهم منذ قرون للقضاء على ثقافتنا وعلى مقدساتنا ثم طمس كل ما يستدل منه على اننا امة قد اشاعت الحضارة يوم ان كان العالم اجمع يغط فى سبات عميق من الجهالة الجاهلة ومن الانحراف المعوج ، اننا لانهدف الى ان نغلق علينا مجتمعنا فنكون بمعزل عن التيارات الثقافية المختلفة لا ناخذ منها ولا نفيد من جوانب الخير فيها .. كلا ، بل نريد ان نفتح عيوننا جيدا ونتناول ما نتناول بحذر كبير .. فالكنيسة الكاثوليكية مثلا تشرف اشرافا يكاد يكون مباشرا على توجيه الثقافة فى كل دول اوربا او معظمها اليوم ، وليس من شك فى ان ثقافة كنسية كهذه ليست مما يلائمنا كأمة مسلمة وبالتالي ليست مما نحتاج اليه ، ومن ثم كان على قاريء هذه الثقافة ان يقراها وهو متيقظ لما تشتمل عليه العبارات والكلمات من مطاعن على الاسلام قد لاتكون صريحة فى كثير من الحالات وانما يحتاج ادراكها الى شيء كبير من الروية واعمال الفكر لان الدافع الذي حدا بالشعوب المسيحية ان تشن على الاسلام والمسلمين حروبا صليبية فى الماضي ما يزال قائما وان تكن الحرب قد اتخذت لها ميدانا آخر ومظهرا آخر كذلك .. اقول هذا بعد ان فرغت من قراءة كتاب بعنوان (الرجل والمراة) للكاتب الاسباني (خوسي مادبا كابوديفيا) والكتاب دراسة حول الزواج والحب الانساني كما انه ضمن مجموعة الكتب التي تشرف عليها الكنيسة فى اسبانيا اشرافا مباشرا ، هذا وقاريء الكتاب يستطيع ان يتبين بين صفحاته مطاعن على بعض جوانب الشريعة الاسلامية ولا سيما فيما يتصل بتعدد الزوجات وبالطلاق ولن نجد هذا صراحة فى الكتاب ولكنك تستطيع ان تصل اليه من فحوى العبارات ومن الحديث عن الرابطة الالهية التي تربط بين المراة والرجل ولا يمكن الانسان حلها على حد تعبير المؤلف ، هذا وكثير من الكتب غيره تلقى الينا باسم الثقافة وهي فى نفس الوقت جزء من حملة مدبرة منظمة ضد الاسلام وتعاليمه .

وبعد فما الثقافة التي نحتاج اليها ؟ ان الثقافة التي نحتاج اليها هي كل ثقافة لا تتعارض والمبادي الاسلامية السامية هي الثقافة التي تبني المجتمع على اساس من الحب المتبادل ونكران الذات والتعاون بين افراد الامة على اساس تكافيء الفرص للجميع وليس

وقد يعلم الله سبب تلك الرائية المنبعثة من اعماق قلب لتنفجر في قلب . وقبل نجد الكاتب المؤرخ ابا القاسم الزياني يكتب مقامة كلها بذاء وفحش صوب سهامها لاحد معاصريه من ابناء البيوتات الفاسية انتقاما منه لشيء شخصي تافه يتحاشى عنه امثال الزياني — الكاتب الخطير في الدولة .

نعم ينفق هذا الانتاج المليء اقذاعا وسخطا في بساط تهيأ عناقه للتشفي قائلين : « لم آمر بها ولم تسؤني » ثم ما دالية شاعر الحمراء المرحوم ابن ابراهيم في المطعم البلدي بطنجة ببعيدة عن اذهان قرائه . الدالية التي رمى بها قذيفة دوت في جنبات النزل فضعضعت اركانه وزلزلت انتعاشه واقتصاده حاله كاد يشرف معها على الاصباح في خبر كان تاثرا من قوة قذيفته الحادة .

فكانت هذه وما اليها من مجالس ادبية واندية علمية يعقدها الادباء دوريا من آن لآخر في مقدمة بواعث النهضة الادبية بالمغرب يجري اغلبها في فن المساجلات والمطارحات المذكية روح التنافس والبحث في مضامين الادب الرفيع والكشف عن ينابيع ثروته الهائلة رغبة في رفع مستواهم الثقافي ، واحاطته باطار الدقة والتمكن والخروج بمدرسته من مصنف الاعتزالية الجانفة الى ساحة الانطلاق والتفتح والغمس بين افانين روضته اليانعة . واظنني لست في حاجة الى تسمية بعض هذه الاندية والتعرض لمن كان يحضرها من الكتاب والادباء ولا لشيء من انتاجهم الذي كان كمره من مجالسها لا زالت لذاذتها تعاود من ساعدهم الحظ بالمشاركة في خواتمها ، غير انه يا للاسف لم يقدر لتلك النهضة ان تعيش وتترعرع في احضان مجالسها المثالية بل كبت لوجهها فقمرتها ريحه الاحتلال واقبر معالمها الاستعمار الفرنسي الغاشم واخمد ثورتها الفكرية وضرب عليها حصارا محكما خنق انفاسها ، واوقف نشاطها واوغر في صدر حركتها رعبا شتت انديتها ، وباعد ما بينها من افرادها فتفرقوا على ابراجهم متعلقين باهداب مرادية التي قل ان تنتج واذا قدر لها ذلك فانتاج سنسيفه افكار جمهرة الكتاب والادباء حيث يكون النوع الهزيل البعيد عن الاشعاع المشرق والمنبعث الاخذ والرد واعمال البحث المشاع بين آراء اذهان تبدع لا محالة انتاجا يتلاءم والحياة الانسانية المتجددة ، اضف الى هذا ما نشأ عن هذا الكبت في صفوف الادباء المنشئين من افكار بالية قامت على ساق الاوهام والخرافات — وان الادب فن لا يدخل في عريق المعرفة وجذورها ، حسبه انه فن يتلهى به كل شخص عضه الدهر بنابه ، وركعت به عواصف الزمن ، وتناولته الفلكة فيمن تناولته حتى قيل « فلان ادركته حرفة الادب » الى هذا الحد نصل الادب عند المائعين ممن جفت قرائحهم ، وتحجرت اذهانهم ، وبعدوا عن مضمون الادب الحق — فانثالوا عليه انثيالا يكيلون له انواع الحط والرمي بكل ما يمكن ان يصبح معه ذريعة تفت في عضد الناشئين الذين انبتهم العصر ، وهيأهم بجبلة النشأة الاولى وشرخ الشباب الرطيب لينغمروا في زمرة الادباء ويحتكوا بغنية الادب في جدته وطراوته —

هكذا نرى هذه الفكرة تتسع في اذهان المجموع من انصاف المتفقين او ارباعهم فيضعون الادب وفنونه الاساسية على الهامش جهلا منهم باصوله التي فرعها رجال الثقافة من الاول — الى اثنى عشر فرعا ، في مقدمتها علوم البلاغة واللغة والتاريخ وهي بطبيعتها من العلوم الانسانية الكفيلة بتلقيح الافكار وتلطيف العواطف وتجويد الرأي — فكرة اعان على بثها الاستعمار ، وسعى في نشرها بشتى وسائله المخربة ، فصادفت عقولا خرفة وخيمت في خلاياها الفارغة ، وعاد الادب في نظر هذه الطائفة المائعة حديث خرافة ، واحاجي مسلية تتفكه بها كل من اتسع فكره للمضللين والمحاربين للغة الضاد والعروبة ومقاومة ابناء الثقافة العربية الذين هيأهم القدر للحفاظ على تراثها الادبي الخالد ، والعمل على صيانته ولو من أعلى ابراج عاجية وفوق شرفات انعزالية ، فليهمس التاريخ في ءاذان هؤلاء العملاء والمغرورين ممن عملت دعاية الهدم في نفوسهم ووجدت منفذا للتسرب الى ادمغتهم فتنكروا للعروبة وآثارها ، واصبحوا معاول هدامة في يد الاستعمار يسخرها في اغراضه ويستخدمها في مناواة المقومات الاسلامية ، وتحطيم قيمها النابتة — انهم لا محالة آئبون بالفشل الذريع والخزي المردي ، ويا ليت شعري لو منحت افكارهم ادنى اشعاع لادركوا من بعيد ما يحاك لهم انفسهم ولآدابهم في العلن والخفاء من مكايد وشرور تنذر بتقويض معنوياتهم ، وتنغيص حياتهم ، والتطويح بهم في مهاوى التنكر لمقوماتهم العربية ، والرمي بها نهائيا في احضان العجمة التي لاتنفك تناصب العداء لهم وللغتهم ، والعمل باقوى الجهود لتشويهها ، وطمس معالمها ؛ وليشهد التاريخ الامين كذلك لا فتا نظر هذه الفئة الطائشة او الجاهلة ان شئت ان بعض

خواطر حول انتاجنا الادبي

للاستاذ عبد الله الجراري

كل من درس تاريخ المغرب لا سيما القرنين الاخيرين التاسع عشر والعشرين ـ يدرك لا محالة مدى المراحل التي قطعها الادب ، والادوار التي لعبها الادباء على اختلاف مشاربهم والوان مستوياتهم نثرا وشعرا ـ فيجدهم قد تناولوا النوع القومي من الشعر الذي كان يفيض ايمانا وروحا حماسيا يذكي فى قارئه مبدا المقاومة ، وتهييء النفس للمستقبل والاستعداد للطوارىء التي اخذت سحبها تدنو من اجوائهم مطلة على الحدود فى قرب يحتم على الاديب الحر ان يرفع القلم ويقولها مدوية نافذة الى قلب الشعب الذي لايلبث ان ينتفض مستجيبا لرسالة الادب مؤمنا بمبادئها القائمة على الحق والصدق ، رافعا راية المعركة التي خاضها ابطال القول كالوزير ابى عبد الله بن ادريس فى داليته التي انفجرت عنها شاعريته المتمكنة يوم احتلال تلمسان الشقيقة المجاهدة فقالها صرخة من الاعماق :

ياساكن الغرب الجهاد الجهاد
فالكفر قد شارككم في البلاد

ويا اباة الضيم هل نهضة
تسربل الكفر ثياب الحداد

الى ان قال :

تذكروا وقعة اندلس
وابصروا منها سبيل الرشاد

وعلى غرار هذه الدالية الطويلة النفس المطبوعة بطابع القوة والملهبة صدور المومنين من ابناء الشعب الاباة نسج ابو عبد الله محمد غريط فى نونيته ذات المطلع :

مالي ارى جفن اهل الغرب وسنانا
من بعد ما اخذ الروم تلمسانا

الى ان يقول :

لا عذر للمسلمين في التكاسل عن
جهاده حسبة منهم وايمانا

ان تنصروا الله ينصركم فلا نهنوا
ولتخلعوا فى ابتغاء النوم ارسانا

بيعوا نفوسكم واغزوا عدوكم
كفى بصفقة من لم يفز خسرانا

هكذا يرى الادب يشق طريقه نحو الحقيقة التي يحتويها مضمون كلمته الخفيفة فيقوم باداء الرسالة حسب الدواعي والبواعث التي تفرضها الظروف عليه فى شتى المقامات والمناسبات بطولة وعاطفة ووصفا ومدحا وهجاء .

وما اخال هذه البواعث التي تحرك من الاديب كوامن الاندفاع نحو القول والابداع فى فنونه الانشائية الا عن تشجيع دولي ، او اقبال من قراء الشعب المتحمس لجذوة القول الصادق ، او ولوع نفساني ، او انتقام يتجلى فى شعر الهجاء خاصة .

وطبعا يجد الاديب ابن ادريس والمغرب آنذاك حر مستقل ـ من مخدومه المولى عبد الرحمن محركا للقول ودافعا للتعبير عن احساسات الدولة والشعب المشبعين بروح التضحية والحرية والانطلاق حتى لا تتسع صدورهما للاستغلال والاختناق ـ كما يجد بعده الاديب العربي المشرفي دافعا نفسانيا للهجاء المقذع فيرسلها قنبرة لاذعة فى صدر القاضي العراقي

دقات الساعة

مسرحية في فصل واحد

للأستاذ
عبد القادر المقدم

المنظر حجرة صغيرة تقع في وسط حديقة انتثرت في مختلف انحائها شجيرات .. وفي جانبها من ناحية المدخل حظيرة الحمام ـ الوقت صباح مبكر ـ الاشخاص .. ماح وهو فتى في ريعان الشباب قضى سنوات في التعليم ثم اخذ يكرع من معين الحياة ولم يلبث ان استفاق من غشيته على صراخ ضميره فاذا بـه يغير وجهته في الحياة ونظره الى الاشياء .

اما زكية فهي شقيقته وهي فتاة وديعة تبالغ في العناية بشؤون شقيقها وتعلق على مستقبله آمالا عظاما .

* * *

(حركة ساعة كبيرة)

هي ـ الا تزال تعتزم تلبية الدعوة ؟

هو ـ (يفكر قليلا ثم يجيب) لا مانع من ذلك .

هي ـ ولكني اراك في هذا الصباح على خلاف العادة التي عهدتك عليها في سائر الايام

ـ (متسائلا) اي عادة ؟

ـ أن تبادر الى حماماتك تنثر لها نصيبا من الحبوب فتتاطاير من حواليك ترتل تحيات الصباح في وداعتها المعهودة .. حتى اذا ما اذنت لها بالتحليق حومت فوق اشجار الحديقة ثم سبحت في فضاء الرياض المجاورة لضيعتنا ..

وكم يحلو لي ان أترقب هذه الساعة المبكرة لاشهد هذا المنظر الرائع الذي يسوده جو من الانسجام والتفاهم بين انسان رفيق وطيور مجنحة بنشوة عطوفة ..

هو ـ آه .. لاتتغير عادة المرء الا اذا طرأ عليها أمر ذو بال .. و و .

هي ـ (تقاطعه) وهل حدث لك مثل هذا وانت لم تغادر المنزل بعد .

هو ـ (يتوقف عن الجواب لحظة ثم يقول) على كل حال لست خالي البال كما عهدتني قبل اليوم.

هي ـ وهل الامر من الخطورة بحيث تحتفظ بسرك.

هو ـ هو كذلك ..

هي ـ ولو كنت شقيقتك المخلصة . !

هو ـ ليست المسألة مسألة اخلاص أو ..

هي ـ (تقاطعه) او خيانة . !

هو ـ (في صلابة ..) لا .. لا ..

هي ـ انت وما بدا لك .

هو ـ ومن اللائق الا تنساقي مع الظنون .. غير اني استطيع ان اطمئنك بأني لن اقدم على مغامرة حتى اطمئن على سلامتك ..

هي ـ وحماماتك .

هو ـ ما شأنها .

هي ـ هل تعتزم مقاطعتها منذ اليوم ؟

ائمة الاسلام كأبي عبد الله الشافعي عكف على دراسة الادب قرابة عشرين سنة يتصفح فنونه ويتعمق اسراره متلمسا من بين سطوره ما تهدف اليه فنيته الانسانية وترمي اليه طاقته الحيوية في عالم الروح والسلوك جميعا مع ما يضفيه من قدرات علمية على الابتكار والتصوير لما يجول في خلجات الضمير . ويدور في قرارة النفس من ترنيبات وافكار لا يقوى على مصاولتها الا من طبعت نفسه على الادب الحر . وحذق فنون القول على اختلاف افانينها والوانها — ولو لم يكن من حجة لاصالة الادب وعراقته الفنية الا هذه العناية من امام فذ في امة الاسلام — لكان كافيا في خلود الفن ، ووجود ذاتيته في الحفل الثقافي المغدق ؛ لذا كان كل ما المعنا له من كم الافواه ، وخنق الحريات ، وحظر الاندية والاجتماعات ايا كان نوعها ، والاستهتار بالفنون خاصة الادب الذي تمرد على ارومته ادعياء المعرفة ، والصق الهزيليون بفنيته ما الصقوا من خرافات كانت حجر عثرة في تقدم دولته ، وركود نهضته ، والوقوف عقبة كأداء في طريقه — مما سبب فقرا مدقعا في الانتاج الادبي — وعكر جو حتى من ساعدته كفاءته الفنية على الانتاج حسب قدرته على القول — فاعترض طريقه نقد مر انقبع من اجله في زوايا الانعزال متندما على الظهور في ميدان القول . ومتحسرا على المشاركة بقلمه في حلبة الادب المشاعة . والمبنية في نفس الواقع على نوعية المشكك الذي تتفاوت الوانه اسلوبا وتفكيرا ، فكان اذا على الناقد ان يؤمن بهذه الحقيقة ، ويضع نصب عينيه الوسط الذي تأثر به الكاتب والمحيط الذي عاشه الاديب المغامر ؛ وعلى ضوء ذلك يصوب سهام نقده كحاكم لا نراه يعدو جوهر الحقيقة ، ومقياس الواقع اللذين يجعلان من المنتقد (بالفتح) رجلا مؤمنا بالواقعية البعيدة عن التأثر .

ونظري ان مجهودا فرديا كهذا (لاسيما في التأليف والكتاب) مع ندرة المنتجين يجب ان يقابل بالتحبيذ والتشجيع واتساع الصدور لحقبة محدودة يتتابع فيها الانتاج وتفزر بضاعته وعندئذ يشعر المنتجون انفسهم بالحاجة الى رفع مستواهم الكتابي تحريرا وترتيبا وتركيزا للموضوعية — ومن تلقاء انفسهم يخرجون من مضيق الاسفاف وتتكيف اقلامهم بالوان براقة ترتفع في اسلوبها الى اوج الجدة، ووضع المعاني في قالب فني يصور ماتحسه الاعماق من جمال ، وتشعر به النفس من رائع الاخيلة الراقصة في قرارة الضمير .

واذ تنبثق هذه الظاهرة في الادب المتخلف — بكمي بالطبع عن كل ما وجه او يوجه اليه من سهام مؤلمة قد تكون سببا قاسيا في انطوائه على نفسه وانزوائه في غرفته قابعا منكمشا .

هو ـ كل له واجب ينتظره . فليتريث حتى تدق ساعته .. كما ستسمعين عما قريب دقات ساعة واجبي انا ! .

هي ـ (تضع يدها على قلبها متأثرة من الموقف) لم اعتد قبل اليوم ان اجزع لدقات الساعة.. قلبي يخفق خفقانا .. انها لحظة رهيبة .. ولعل للحديث الذي دار بيننا فى موضوع الزمن والساعة اثر فى هذا الجزع .. ولكن لامناص من التشجيع ..

هو ـ وهذا قلبي بدوره يختلج فى صدري اختلاجا شديدا ارجوك الا تستمري فى الحديث عن الساعة ..

(فترة صمت .. نسمع حركة عقرب الساعة)

هي ـ انها تقترب .. (فى تأثر) الا تبوح لي بسرك قبيل الساعة .. الى اين ؟ . الى اين ؟ .

هو ـ الى تلبية نداء الواجب .. الواجب المشرف.. الى التعبئة العامة .. الى نصرة الحق .

(دقات الساعة ..)

هما معا ـ دقت الساعة .. دقت الساعة ..

(الحمام يرفرف بأجنحته .. ويرسل هديلا مؤثرا مشجيا)

هي ـ الى اللقاء يا ماحي .. الى اللقاء هنا او هناك ..

هو ـ الى اللقاء القريب ان شاء الله ..

(محرك السيارة ...)

ستار



هو ـ لا .. سأحاول تلقينها عادة جديدة .

هي ـ وكيف ذلك ؟

هو ـ اذا ما دقت ساعة اللقاء ولم يتم فانها ستحلق ونحلق ثم تنطلق سابحة حرة طليقة وبهذا ستكسب عادة جديدة .

هي ـ (تتوقف عن الكلام لحظة ثم تصيح) ها هي ها هي تحوم حول المكان باحثة عنك .. انظر اليها . !

(تصفق بأجنحتها وهي تهدل هديلا)

هو ـ ولكني آخذ فى تنفيذ ما قررت ..

هي ـ انها فى انتظارك فى انتظار دقات الساعة في انتظار لحظة اللقاء .. فهي على ما يظهر تفهم معنى الزمان وتحافظ على الموعد ..

هو ـ جربي منذ اليوم ان تحولي دون سماعها دقات الساعة ..

هي ـ لا يستطيع مخلوف ان يوقف سير الزمان ..

هو ـ انت محقة فيما تقولين . انا شخصيا اشعر بدبيب الزمان يتمشى فى كياني .. واكون احيانا فى غمرات الانشراح وأشعر بعقرب الزمن تلتهم ساعتي الهنيئة .. فلا البث ان اشرف على نهايتها .. وهي سريعة الانقضاء..

هي ـ ان دقات الساعة تهدد كل شيء بالانتهاء . واشد الناس اشفاقا منها على ما أظن أولئك الذين يحسبون للزمان حسابه ويقدرون العواقب حق قدرها ..

هو ـ اخشى ان تدق الساعة قبل أن اتاهب للموعد المقترب .

هي ـ ومتى هو ؟

هو ـ هو قريب جدا . !

هي ـ الا تلبس بذلتك الجديدة اذا كان لذلك موجب .

هو ـ ارجو ان تمدي لي الحقيبة ، واجعلي فيها البذلة وبعض الاقمصة وما يليق بها من اربطة الرقبة .. واحرصي على أن تستمر حالة البيت طبيعية من غير أن يطرا عليها ما يشوش بالي ..

هي ـ أنت اذن على أهبة السفر ؟

هو ـ ان شاء الله .

هي ـ لم تحسن مفاجأتي فى هذه المرة ..

هو ـ يبدو انك تمانعين فى سفري .. وهذا ما نوقعنه سلفا .. ولا أحسبك الا مشجعتي على تلبية الدعوة . اليس كذلك ؟

هي ـ بلى انني فاعلة ذلك اذا كان للدعوة موجب :

هي ـ قد يهون على الامر اذا كان هذا الموجب مشرفا .. والا كان عبثا واغفر لي هذا التدخل فانما أريد تبصرتك بالعاقبة وليس من اللباقة ان القنك مبادىء الجبن ولكن الوقت يتطلب من المرء أن يتزن فى خطاه والا يبرم ما يعسر نقضه عند اللزوم .

هو ـ قبل دقات الساعة أعلن لك سري واود ان أوصيك خيرا بنفسك أولا ، ثم بالبيت ثانيا . ابذلي قصارى جهدك فى أن تعطي لحماماتنا فرصة كي نكسب عادة التحليق فى الفضاء ، ولا تدخري وسعا فى أن تحولي دون سماعها دقات الساعة فانها تذكرها لحظة اللقاء حتى لا ترسل هديلها حنينا والتياعا ..

هي ـ وهل تلومها اذا فعلت ؟

هو ـ اخشى ان يتسرب الى قلبي ذلك ، فتخور عزيمتي فيما انا ماض اليه . وانت أدرى بعواقب الخور فى ميدان الواجب .

هي ـ اذا ابيت الا ان افعل فما يمنعني غير شيء واحد وهو عجزي عن ايقاف عجلة الزمان عن المضي فى سبيلها .. فهمت ؟

هو ـ نعم .. نعم .. (فى حنان) شجعيني مستطعين الى ذلك سبيلا .

هي ـ وهل ترى أن واجبي انا يقف عند هذا الحد ؟

ما كان ايماءة مختصرة ، ويسهب فيما قصدت فيه ان تكون لمحة دالة ، فقد ساءلت في (نداء) مستعملا اسلوب الاستفهام في هذه الابيات :

لم نحيا على اختلاف ونسعى في افتراق كأننا ضدان ؟
لم نذكي اجيج نار فنصلاها كأنا من عابدي النيران ؟
ولماذا نهيج شوقا الى الحرب نعاني من نارها ما نعاني؟
لم نبني ونحن نهدم جنات من الفن رائعات البيان ؟

وفي نفس هذه المعاني ووراء هذا الاسلوب ينساق التواتي بوعي او بدون وعي فيقول :

فلماذا اخي ننكر قلبانا لما وطدت يد الرحمان ؟
ولماذا ندوس في ثورة الجهل تماثيل حبنا الفنان ؟
ولماذا اخي نحطم بالبأس دنانا كأننا بائسان ؟

وعندما يسمو ويبدع الاخ التواتي مبتعدا عن الاحداء والاستجداء يكفر بالمبادىء والقيم المثلى التي يقدسها الانسان اي انه يهدم الجانب الروحي الذي يسمو بالانسان عن البهيمية فيرغم الناس ونفسه انها الفاظ بلا روح وانها كلمات جوفاء اصطنعها الانسان لخداع اخيه الانسان . اما القوميات والدساتير والقوانين التي وصلت اليها عبقرية الانسان لحماية المجموعة المساكنة على هذه الارض فهي في رأي شاعرنا التواتي من وضع عابدي الاوثان [illegible]

«المبادىء واللون والجنس الفاظ بلا روح او بدون معان والقوميات والدساتير والاعراف من وضع عابدي الاوثان»

لا لا ياخانا التواتي ان اي عربي يعتز بالقومية العربية ويفخر بها لن يسمح لك بحال ومن اجل بيت من الشعر ان تجعله من عبدة الطاغوت والاوثان . ان اصغر رجل من رجالات القانون وواضعي الدساتير لن يرضى له علمه وعقله المتفتح ان يؤله مستعبده ويتن اعمى ، وقد نسلم لك هذا في النزعة الى الالوان والاجناس ، اما المبادىء التي آمن بها الانسان والقوميات التي اعتز بها وناضل عنها والدساتير التي احتكم اليها فهي ليست من وضع عابدي الاوثان وساكني الغاب والادغال ... ومن الغامض الغريب ان يتحدث التواتي للمستمعين عن القومية وعناصرها : اللغة والتاريخ والدين على امواج اذاعة فاس حدث المؤمن بها والمناضل عنها وهو الذي يقول عنها في (قصيدته) انها خرافة من خرافات الانسان ومن وضع الهمج وعابدي الاوثان .

لقد حلا للاخ التواتي ان ينظم شعرا يهيب فيه بالانسانية لتسترجع صوابها ووعيها . فاهتدى آليا الى البحر الذي نظمت فيه قصيدتي والى الروي الذي بنيتها عليه والى شكلها ومضمونها والهم اخيرا من غير ان يشعر بعض ابياتها . فهل يستطيع الشاعر بعد هذا ان يؤكد انه لم يقرأ قط قصيدتي نداء ؟ وهل يستطيع القول بان كل ما فعله كان من توارد الخواطر ووقع الحافر على الحافر كما يقول الاقدمون ؟

احسن الظن ان التواتي احتال لفتح شهيته للنظم فقرأ (نداء) وقرأ غيرها ثم انخرط في صوغ خواطره وافكاره ولما يتخلص من آثار ما قرأه فانعكست على شعره ظلال وانطباعات لم يتفطن الى انها طارئة عليه وغريبة عنه . ومن اجل هذا المعنى لم يجز خلف الاحمر لتلميذه ابي نواس بعد ان حفظ آلاف الابيات لعدد من الشعراء ان يبدأ هو في النظم الا بعد ان ينسى كل ما حفظه اي بعد ان يتخلص من شخصيات الشعراء الذين حفظ لهم وتقمص شاعريتهم . فاذا نظم بعد هذا كان واضح الشخصية مستقل الشاعرية وقديما الحى الناس باللائمة على ابي تمام لانه اغتصب بيتا كاملا لشاعر مدح معبدا صاحب الغناء بقوله :

احاد طويس والسريجي بعده
وما قصبات السبق الا لمعبد

اخذه ابو تمام فقال :

محاسن اصناف المغنين جمة
وما قصبات السبق الا لمعبد

وعابوا ابا نواس لنفس السبب قال معبد :

لهفي على فتية ذل الزمان لهم
فما اصابهم الا بما شاءوا

اخذه ابو نواس فقال :

دارت على فتية ذل الزمان لهم
فما تصيبهم الا بما شاءوا

مناقشات

حول قصيدة: إننا أخوان

تعليق للأستاذ محمد الحلوي

انتاج الاديب نبضات قلبه وعصارة فكره وقصائده بناته اللاتي يوزع الحب بينهن على السواء فليست احداهن عنده بآثر من الاخرى ، وكما يحمي الوالد بناته ويصد عنهن كل يد عادية فكذلك يثأر الشاعر لكرائمه ويحميها من كل اعتداء وتشويه ... من اجل هذا احببت ان افتح هذا الحساب مع الشاعر التواتي مع التاكيد بانه ليس بيني وبين هذا الصديق ما يستوجب تحقيقا ولا محاسبة ، وانما هي حرفة الادب – عافاك الله – وهواية الشعر التي جمعت بيننا (على رغم انفنا) قد تخلق لاصحابها احيانا بعض المتاعب عن قصد او غير قصد .. وقد كان فى وسع الاخ الشاعر ان يحترم نفسه ويصون للادب ذمامه وحرمته فيعفينا من هذا النقاش او الحساب ، اما وقد فعلها فالظن به انه لن يضعف عن تحمل النتائج مهما بلغت مرارتها وقسوتها .

تسلمت من موزع البريد العدد الاخير من هذه المجلة ، ولم امض في تصفح مقالاته وقصائده حتى وقعت عيني فى الديوان على قصيدة للشاعر التواتي يوجهها كنداء الى الذين يريقون دماءهم من غير وعي دفاعا عن الاباطيل والاوهام فشدهت واتهمت عقلي وعيني ، فهل هي حقا قصيدة للشاعر التواتي تنشرها له دعوة الحق ؟ ام هي قصيدتي تعيد المجلة نشرها لمناسبة ؟

هذه هي القصة فما وراء هذه القصة من سر !.

ان السر يعرفه الشاعر التواتي نفسه ، ويعرفه القراء الذين يتتبعون الشعر فى ديوان هذه المجلة ، فقد سبق ان نشرت فى هذا الديوان قصيدة تحمل اسم (نداء) وكان ذلك فى شهر نونبر 1957 وفي العدد الرابع والخامس والمجلة فى سنتها الاولى ...

وكانت حقا من الشعر الانساني الرقيق ومن احب قصائدي الى نفسي والى الذين اسعدني الحظ بهم وقراوها فاشتركوا معي فى هذا الاحساس ، وتنسلخ اربع سنوات على نشر هذه القصيدة فينساها الكثير ولا يذكرونها الا اليوم اي بعد ان طلع عليهم التواتي بقصيدة اننا اخوان ولقد رايت اتفاقا اخوانا هنا وفى الرباط سألوني عن القصيدة واستغربوا اعادة نشرها وقد سبق لهم ان قراوها ونسوا صاحبها فابتسمت وفهموا ان وراء القصة سرا .. لست احب ان اطيل فقد ابتدات قصيدتي (نداء) هكذا :

يا اخي نحن فى الحياة على رغم هوانا وانفنا اخوان
فعلى ما نعيش فى هذه الدنيا ذئابا فى صورة الانسان ؟
نتساقى كأس الصداقة والحب بايد مضرجات البنان

وفى منتهى البساطة والاستخفاف يتصرف التواتي فى مطلع القصيد فيغير على كلماته ويغير قليلا من اوضاعه فيستعمل انني وانت مكان (نحن) ، ويستعمل الدنى بديلا عن الحياة ويبدع فياتي من عنده بكلمة الديانات جديدة طريفة كأنما يحاول باقحامها مغالطة نفسه ومغالطة الواقع فيقول :

يا اخي انني وانت على رغم الديانات فى الدنى اخوان

ولا يبتعد الا قليلا حتى يضع البيت نفسه صدرا لمقطعه الرابع بقليل من التحوير فقط فيقول :

يا اخي انني وانت على رغم هوانا وانفنا اخوان
وحدت بيننا المصائر والاقدار مذ كنا فى ضمير الزمان

ويمضي التواتي مترسما معاني القصيدة متتبعا لقوافيها فى كل بيت يحورها ما استطاع ويمطط منها

أنباء ثقافية

* قام وفد رسمي يشتمل على نخبة من علماء المغرب بزيارة الاتحاد السوفياتي تحت رئاسة معالي وزير الدولة المكلف بالشؤون الاسلامية الاستاذ علال الفاسي . ودامت هذه الزيارة ما يقرب من شهر عقدوا خلالها ندوات صحفيه في شتى البلدان السوفياتية وكلها تهدف الى التعريف بالمغرب في جميع تياراته والدفاع عن الجزائر والقضية الموريطانية . وقد سجل الوفد نجاحا كبيرا في هذه الزيارة . وكان يتألف من السادة العلماء : الحسن بن العباس ، رشيد الدرفاوي ، محمد داود ، محمد بن شقرون ، علي الصقلي من وزارة الخارجية ، محمد برادة مدير ديوان السيد وزير الشؤون الاسلامية .

* اهدت الحكومة السوفياتية الى جلالة الملك الحسن الثاني نسخة من مخطوطة المصحف الكريم الذي يقال عنه انه مكتوب بيد عثمان بن عفان ، وذلك بمناسبة زيارة وفد علماء المغرب الى روسيا . وقد اهدى هذه المخطوطة النادرة لينين الى ولاية طشقند عندما انضمت الى الاتحاد السوفياتي ، وتعد هذه النسخة هي الاولى من نوعها التي اخذت عن الاصل . وهي مكتوبة بخط كوفي ، وتزن ما يقرب من عشرين كيلو ، ويلاحظ عليها آثار دماء الخليفة المذكور . ويوجد خلاف بين العلماء والبحاث والمحققين فيما اذا كانت هذه المخطوطة مكتوبة بخط يد عثمان بن عفان ام لا ؟ .

* سافر وفد من اتحاد ادباء المغرب العربي مكون من السادة : الدكتور محمد عزيز الحبابي ، ومولود معمري ، ومحمد الصباغ ، ومحمد برادة ، الى روما ليمثل المغرب في مؤتمر ادبي هناك ، عقد من 14 الى 21 من اكتوبر . حضرته وفود من جميع الاقطار العربية ، وبعض الاقطار الاوربية ، وكان موضوع المؤتمر (الثقافة العربية ازاء الحضارة الغربية) .

* كان من جملة ضحايا كارثة الطائرة التي سقطت في الرباط اخيرا المرحوم الشاعر مصطفى المعداوي الذي طار الى بروكسيل لتمثيل اتحاد ادباء المغرب العربي في المؤتمر الشعري العالمي الذي عقد هناك . رحم الله الفقيد ، واسكنه فسيح جناته ، وتعزيتنا الحارة لمقدريه واصدقائه وذويه .

* عقد في الرباط في منتصف الشهر الماضي المؤتمر الخامس عشر للجمعية الدولية للسينما العلمية دعت اليه وزارة الانباء والسياحة والفنون الجميلة . ولاول مره ينعقد هذا المؤتمر في بلد افريقي .

* عقد بأكرا في منتصف الشهر الماضي مؤتمر الاذاعات الافريقية . وقد شارك فيه وفد عن المغرب ، الا انه انسحب احتجاجا على قبول موريطانيا في عضويته .

* يعد الكاتب المعروف محمد يوسف مقلد كتابا دراسيا عن « شعراء موريطانيا » ستتولى نشره « مكتبة الوحدة » بالدار البيضاء .

* ستشرف منظمة اليونيسكو على انشاء معهد للدراسات الادارية والاجتماعية ومعهد آخر للدراسات العليا بالمغرب . وسيتم تحقيق هذين المشروعين في سنه 1962 .

* عقد بكلية العلوم بالرباط اول مؤتمر للاتحاد العام لطلبة افريقيا السوداء تحت شعار « الكفاح ضد الاستعمار » .

* وافقت وزارة التهذيب الوطني المغربية على اقتراح العراق الخاص بانشاء معهد عال في الرباط لاعداد اساتذة للمدارس الثانوية .

ولم ينج البحتري مما وقع فيه ابو تمام قال على بن جبلـــة :

للعيــد يوم مــن الايــام منتظـــر
والناس في كـل يـوم منـك في عيـد

اخذه البحتـرى فقـــال :

كـــل عيــد لــه انقضــاء وكفـــى
كـل يــوم مـن جــوده في عيـــد

على ان هؤلاء قد يكون لهم عذر فيما ارتكبوه . فقد يتسرب الى الشاعر ابيات لغيــره يدرجهــا في شعره من غير ان يعي انها لغيره ولكنه على كل حــال لا يجوز ان يتكرر منه ذلك ولا يجوز ان يسير في ظل غيره يتسقط قوافيه ومعانيه . ومن بعيد الاحتمــال ان يكون الاخ التواتي قصد ان يعارض بقصيدتـــه (نــداء) فان اوضح شروط المعارضات الادبيــة ان يحتفظ فيها المعارض بشخصيته وذاتيته والا كـــان عمله طبعة ثانية للعمل الادبي الذى يعارضه . وليس على التواتي غضاضة في ان يعارض اى اثر ادبي ، فقد تبلغ المعارضات احيانا من الجمال والقوة ما لم يبلغــه الاثر المعارض . لقــد عارض شوقى البوصيري وابن زيدون وعارض الكثير الحريرى في المقامات فكــانت هذه المعارضات في كثير من الاحيان ناجحة وقوية .

فهل كانت قصيدة التواتي معارضة صحيحــة متوفرة الشروط ام كانت شيئا آخر غير المعارضة ؟.

لقد اختار التواتي لقصيدته بحرا جميلا هــو بحر الخفيف لانه شاعر محافظ يلتزم تفاعيل الخليل ولكنه مع الاسف كثيرا ما يتعثــر في هذه التفاعيــل بسبب الفاتها اذا كانت لاتثبت وبحذفها اذا وجب لها ان تثبت واحيانا بكسرها كسرا فظيعا يبتعد بها عن اخواتها واني لاستسمحه لاضع امامه كنمــاذج مــن هذا الانحراف الابيات التالية :

1) والقوميات والدساتير والاعراف من وضع عابدي الاوثان
2) يا اخي لم يقاتل البعض منا البعض ظلما كاننا عدوان
3) فلنسر في طريقنا نحقق في صبر رجاء الحياة في الانسان

ويتحدث الشاعر عن البسمات ذات الالحــان والرنين المشرق (كذا) فيقول :

ويهادى جمالها الرائــق الاخاذ كل الوجود والنيران

فما هذه النيران المنقدة يا اخــي ؟ واي تناسب بين الجمال الرائق المعجب وبين النيران المحرقــة . افلا يكون اجمل وانسب في لغة الشعر والجمال لــو استعملت مكانها الانــوار والاضــواء . ثم ما هـــذه الركاكة في الاخاذ كل الوجــود والنيران ، لحـــا الله القافية كم تصنع من مضحكات ومبكيـــات .

وبعد فاني لست متجنيا على الاخ التواتى . ولا محتكرا الشعر لنفسي او محرما على احد ان ينظم في بحر نظمت فيه وعلى قافية اخترتهــا ولكنــي اتهــم ولقسم حماية الآثار الادبية الكلمة الفاصلة . وللناس ان يقرأوا ويحكموا ، وعلى الاخ التوانــي ان يتحمــل نتائــج الحكم بصبــر واحتمــال .

* صدر للاستاذ ابراهيم المصري كتاب بعنوان « المرأة في حياة العظماء » وذلك في سلسلة « كتاب الهلال » .

* صدر قرار بانشاء كلية للطب البيطري في جامعة أسيوط .

* تأسست في القاهرة « دار مكرم عبيد لحضانة الاطفال » كمصحة للاطفال المعوزين كما كان يتمنى .

* يسعد المختصون بجامعة القاهرة في تحضير مشروع لانشاء معهد عال للطب الصناعي .

* أصدر الشاعر عزيز أباظة مسرحية شعرية جديدة بعنوان « قيصر » .

* عقد في الشهر الماضي في القاهرة مؤتمر التربية والتعليم لدراسة الاستعدادات اللازمة لافتتاح العام الدراسي 61 — 1962 .

* طلب سماحة الشيخ أحمد محمد الهاردي مفتي جامع الازهر الشريف اقامة دعوى أمام المحاكم الدولية ضد الشركة السينمائية التي أرادت اخراج شريط سينمائي في ايران لتشخيص حياة محمد (ص) .

وقد ذكرت صحيفة الاهرام في هذا الصدد ان لجنة الفوانين الدينية في جامع الازهر قد عقدت اجتماعا جددت فيه معارضتها التامة لعرض شخصية النبي محمد (ص) في دور السينما وشاشات التلفزيون والمسارح .

* أصدر وزير التربية والتعليم بسوريا مرسوما ينص على تقديم منح شهرية للطلبة التونسيين والمغاربة والجزائريين والعمانيين والليبيين الذين يتابعون دراساتهم بالجامعة والمدارس الثانوية بدمشق

* انهى الاستاذ خليل الهنداوي كتابه علي ابن ابي طالب من خلال نهج البلاغة . وقد نهج المؤلف في دراسته لابي طالب نهجا جديدا .

* احتفل المجلس الاعلى للفنون والآداب بحمص في مهرجان كبير بذكرى شهداء المدينة المذكورة .

* طابع بريدي يمثل صورة الشاعر ابي تمام وضع للتداول . وهذه ثاني مرة تخلد فيها ذكرى شاعر عن طريق الطوابع البريدية في سوريا . أما المرة الاولى فكانت في ذكرى المعري .

* احتفل في دمشق في هذه الايام بذكرى البحتري

* نعت حماه شاعر العاصي بدر الدين الحامد .

* « الارض خطيئة » رواية ثالثة صدرت مؤخرا للكاتبة كوليت سهيل الخوري .

* صدرت في دمشق مجموعة قصصية عنوانها « عفوا يا كومسك » للقصاص السوري صالح درويش

* أصدرت وزارة الثقافة بدمشق ديوانا بعنوان « جزائريات » للشاعر خليل الخوري .

* فازت مسرحية « سلطان في بيت » لمراد السباعي بالجائزة الاولى لمسابقة لجنة المسرح في سوريا والجائزة الثانية الشعرية فاز بها هنري بطار عن مسرحية « لن تغيب الشمس » .

* « حب وبطولة » آخر ما صدر للشاعر القومي سليمان العيسى .

* عقد في 23 من الشهر الاخير مهرجان شعري بمسرح معرض دمشق الدولي تحت اشراف المجلس الاعلى للفنون والآداب . اشترك فيه شعراء من مصر والعراق والسودان والمغرب وتونس وليبيا واليمن والسعودية والكويت والبحرين واستمر المهرجان اسبوعا كاملا .

* صدر في دمشق للاستاذ سعيد الجزائري كتاب « أيام وناس » أرخ فيه للاجيال الادبية التي عاصرها .

* تعكف ليلى البعلبكي على كتابة مشاهداتها وانطباعاتها عن باريس التي قضت فيها سنة كاملة .

※ وافقت حلقة تيسير تداوي الكتاب العربي على اقتراح قدمه وفد المغرب يقضي بتوصية الامانة العامة لجامعة الدول العربية بتخصيص جائزتين سنويتين لاحسن كتابين تصدران بالعربية في العلوم والآداب تشجيعا للادباء على اختيار الموضوعات التي تهم العالم العربي في الوقت الحاضر .

※ حضر المغرب لاول مرة في المؤتمر العالمي الكشفي الذي عقد في أواخر شهر شتنبر في عاصمة البرتغال.

※ نوهت مجلة « الاديب » اللبنانية في عددها الصادر في شهر شتنبر بمجلة « دعوة الحق » والمجهودات التي تقوم بها في سبيل نهضة فكرية في المغرب .

※ تمت الحملة التي قامت بها وزارة التهذيب الوطني خلال الصيف الماضي ببناء الف وستمائة وخمسين فصلا .

※ جاء في احصاء وزارة التهذيب الوطني حول تسجيل التلاميذ في هذه السنة الدراسية ما ياتي :

300 الف في المدارس الابتدائية

15 الف في الثانوي

20 الف في التعليم التقني .

※ اشترك المغرب بالاضافة الى دول افريقية وآسيوية واميركية اخرى في تدريب دولي للدراسات حول دور التلفزيون في الميدان التربوي . وقد جرى هذا التدريب من ثامن اكتوبر الى الثاني عشر منه في جامعة بوردوي بولاية انديانا الاميركية .

※ زار المغرب مؤخرا العالم السينغالي الشيخ ابراهيم نياس ، وقضى فيه بضعة ايام متنقلا في أهم مدنه .

※ صدر في لبنان للاستاذ عبد الكريم غلاب كتاب « نبضات فكر » يضم موضوعات ادبية شيقة . نهنيء الاستاذ غلاب ونتمنى لكتابه النجاح والرواج وبعد الصدى .

※ أصدرت دار الفكر العربي كتابا بعنوان « تقدم العرب في العلوم والصناعات واستاذيتهم لاوربا » لمؤلفه الاستاذ عبد الله بن العباس الجراري .

※ تنتظر الاوساط الفكرية المغربية صدور الطبعة اللبنانية الجديدة لكتاب « النبوغ المغربي » في ثالث شتمبر الماضي بمقر اليونيسكو بباريس .

※ شارك المغرب بوفده في المؤتمر الخامس للجمعية الدولية للعلوم السياسية التي عقدت من 26 الى 30 شتمبر الماضي بمقر اليونسكو بباريس .

※ ستقوم احدى دور النشر ببيروت بطبع كتاب للقاص المغربي المبدع الاستاذ عبد الجبار السحيمي يضم مجموعته القصصية التي كان ينشرها في الصفحات الادبية لجريدة « العلم » . نأمل أن نقرأ مجموعته القصصية قريبا ، وننعم بها .

※ « القاموس السياسي الدبلوماسي » هو قاموس جديد صدر مؤخرا للاستاذين شكري السكري واحمد مختار ومحمد الحطيب . ويحوي هذا القاموس جميع الكلمات السياسية والدبلوماسية باللغتين العربية والانجليزية .

※ تقرر ايفاد 25 مدرسا عربيا في مختلف العلوم للتدريس في مدارس غينيا في هذا الموسم الدراسي .

※ عقد بالقاهرة مؤخرا مؤتمر طلاب آسيا وافريقيا .

※ تعد المجلس الاعلى للعلوم سبعين بحثا ستصدر في كتاب بالاشتراك مع وزارة التربية القاهرية .

※ « الليلة الاخيرة » مجموعة قصصية صدرت بالقاهرة لمؤلفها القاص السوري فاضل السباعي .

※ صدر مرسوم يقضي بتعيين الاستاذين محمد فريد ابو حديد والدكتور شكري فيصل في دائرة المعارف الاسلامية بوزارة الاوقاف بالقاهرة .

* اختارت لجنة من اتحاد الادباء العراقيين مجموعة قصصية لقصاصين عراقيين واصدرتها في كتاب بعنوان « قصص مختارة » .

* اكتشفت اسس مبنى فنيقي قديم يعود الى العام 750 ق . م . بالقرب من طرابلس الغرب من قبل فريق من علماء الآثار تابع لمتحف جامعة بنسلفانيا ، وهذا المبنى الذي يسود الاعتقاد بانه كان مستودعا اكتشف في نفس المكان الذي كانت تقوم فيه مدينة ليتس ماغنا — وهي مدينة كبيرة بناها الرومان ، وتقول ترسا هاورد كارتر مديرة بعثة التنقيب ان الجدران الممدودة من الصخر تختلف في مظهرها وواجهاتها عن الجدران الرخامية اليونانية .

* اعلن الدكتور بابا ديمتريو المدير العام لمصلحة الآثار في اليونان انه تم العثور على 15 او اكثر من اوعية الزينة وهي مصنوعة من الخشب . ويرجع عهدها الى القرن الخامس ق . م . وقد عثر على هذه الاوعية في معهد ارتميس . ويبعد عن شرق اثينا نحو 23 ميلا . ويقول الدكتور بابا ديمتريو الذي اشرف على اعمال الحفر في هذه المنطقة خلال العشر سنوات الماضية انه اكتشاف فريد في نوعه فلم يسبق ان اكتشف في اي مكان اوعية للزينة صنعها قدماء اليونان من الخشب . وقد صنعت هذه الاوعية من اخشاب والوان مختلفة . وهي من احجام مختلفة ايضا وعليها بعض النقوش . والمعروف ان الآثار القديمة المصنوعة من الخشب تتحلل على مر القرون، ولكن هذه الاوعية بقيت حوالى 2 500 عام لانها كانت مدفونة في الطين .

* صدر لمحمد بسام الدويب ديوان بعنوان « صدى السنين » .

* تقوم الاستاذ محمد أمين يحيى بكتابة « تاريخ المملكة العربية السعودية » وذلك في 23 مجلدا . ابتداء من عهد النبوة الى يومنا هذا .

* بعد اربع سنوات من العمل المتواصل اتم بعض الفنانين في فورموزا بناء تمثال لبوذا قيل انه من اكبر التماثيل التي بنيت له في العالم ، اذ يبلغ ارتفاعه 72 قدما وهو اعلى بـ 30 قدما من تمثال بوذا الشهير في اليابان الذي يعود تاريخه الى اكثر من سبعمائة سنة والتمثال مجوف بداخله سلالم يستطيع الانسان ان يصعد درجاتها حتى يصل الى عيني التمثال وينظر منها الى الخارج .

* سيحتفل العالم المسرحي في كل عام بيوم المسرح العالمي وذلك على اثر قرار اتخذه مندوبو المؤتمر التاسع لمعهد المسرح الدولي الذي انعقد في فيينا في صيف هذا العام برئاسة منظمة اليونسكو . وقد تقرر أن يوافق يوم المسرح العالمي يوم افتتاح الموسم السنوي لمسرح الامم المتحدة في باريس . كما وافق المؤتمر على اقتراح من مندوب اليونان بعقد حلقة دولية عن الفن المسرحي باعتباره من أهم الظواهر الاجتماعية والثقافية .

* تركت وفاة السيد هامرشولد الامين العام لهيئة الامم المتحدة اثر حادثة الطائرة المشهورة حزنا شديدا في الآفاق الدولية لرسالة الخير والسلام والتعايش السلمي الذي كان يحملها .

ولد السيد داج همرشولد في جونكو بونغ بالسويد سنة 1905 من أسرة دينية برزت فيها عدة شخصيات سياسية وعسكرية . وبعد أن اتم دراسته في الحقوق والاقتصاد التحق ببنك السويد ثم بوزارة المالية . وبعد عين سنة 1939 سكرتيرا للمالية . وفي سنة 1941 عين رئيسا لادارة بنك السويد وفي سنة 1945 عين في وزارة الشؤون الخارجية برتبة وزير مفوض . وفي سنة 1949 عمل سكرتيرا عاما بهذه الوزارة . ووزيرا للخارجية بالنيابة . وفي نفس السنة أصبح نائبا لرئيس المجلس التنفيذي للمنظمة الاوروبية للتعاون الاقتصادي . وفي 7 ابريل 1953 انتخب أمينا عاما لمنظمة الامم المتحدة وكان انتخابه باجماع أصوات مجلس الامن الذي أوصى المجلس بانتخابه .

* يحتفل الادب الالماني والعالمي في هذه الايام بمرور 15 سنة على وفاة الكاتب الالماني المعروف غرهارت هاوبتمان .

* نشر اخيرا في المانيا كتاب باسم « كتاب هتلر الثاني » وقد اطلق عليه هذا الاسم نظرا لان مؤلفه لم يكن قد اعطاه عنوانا . والكتاب يقع في 228 ويهدف الى شرح المبادىء والاهداف النازية والفاشستية .

* آخـر قصيـدة نشرهـا نـزار قبانـي هـي « القصيـدة البحـريـة » .

* سيعقـد فى دمشق فى شهـر مارس من السنـة القادمـة مؤتمـر للجغـرافييـن .

* اكتشف احد العمال بحماه أثناء عملـه عظامـا لحيوانات غريبة منقرضة قبـل عشرات الآلاف مـن السنين فقدمها الى مدير الآثـار الذي صرح بأن هذه العظام هي عظام لحيوانات فيل الماموت وقسم منهـا لحيوان غير مألوف . ولربما كان من النوع المسمـى ديبلـو دوكـس .

* اكتشف القائم بأعمال السفارة الاسبانيـة فـي عمان دون خوسي انطونيو ، مغارة بالقرب من وادي الزرقاء بالاردن ، وقد اعتبر هذا الاكتشاف من اهم الاكتشافات التي ظهرت فى العالم ، ذلك ان هذه المغارة كما ثبت لدائرة الآثار بعمان ، وحسب التقرير الـذي قدمه عالم الآثار الاسباني الاب يواكيم اشفيراي ، هي اقدم مغارة فى هذه البقعة من العالم . ان تاريخهـا يعود للعصر الحجري عندما اتخذها رجل ذلك العصر ملجأ له ، وهذا التاريخ يعود الى 450 الف سنة ق.م.

* تعتقد دائرة الآثار فى الاردن ، بان لـدى بعـض الاشخاص فى منطقة قمران وما يجاورها مجموعة من المخطوطات ينكرون وجودها بحوزتهم املا فى الحصول على تعويض مالي لقاء اكتشافها وتسليمها للدوائـر المختصة بها ، وكانت الحكومة الاردنية قـد رصدت 25 الف دينـار لشراء هـذه المخطوطات . وفوضت لجنة خاصة للاتصال بالوسطاء وانمام هده الصفقة . وذكـر ان بعض الاشخاص يخفون هذه المخطـوطات خشية المسؤولية الرسميـة ، ولكنهـم مستعـدون لتسليمها مقابـل مكافـأة ماليـة ، وخشية تسرب المخطوطات الى الخارج استقـر الراي على تخصيص مبلـغ لشـرائهـا .

* قامت نخبة من رجال القلم فى دمشق بتأليـف كتـاب « الشيوعيـة عـاريـة » .

* تألف فى المركز الثقافي العربي بحمـص مجلـس استشاري من الادبـاء يشرف على شؤون المراكـز القومية والفكرية والادبيـة والفنيـة .

* صدر للفقيه اللبناني ميشال أبـو شهـلا مـن « عصبة العشرة » ديوان بعنوان « **انفاس العشيات** » بمقدمـة يـوسـف ابراهيـم يزبـك .

* انتهت دار العلم للملايين من طبع كتاب « رواد الفكر الاشتراكي » للبروفيسور ج.د ـ هـ.كول قام بترجمته الى العربية الاستاذ منيـر بعلبكـي .

* تصدر قريبا الطبعة الثالثة من كتاب « حرية الفكـر وابطالها فى التاريـخ » .

* اصدر الاستاذ ميشيل أسمر « مفكرته الادبية » فى عدة اجزاء تشمل تاريخ حياة أدباء جيله من عصبه الاثنى عشر حتى الندوة اللبنانية وخاصة سلوكهـم واخـلاقهـم .

* صدر لرينه حبشة كتـاب « لبنان 1961 » .

* تصدر قريبا لعبد اللطيف شرارة دراسة مطولة فى كتاب عـن الاخطـل الصغيـر .

* سيصدر قريبا للكاتب اللبناني يوسف ابراهيم يزبك كتاب بعنـوان « داود سمحـون » ارخ فيه حياتـه ونضالـه الى جانب مجموعـة مـن شعـره التـي نظمهـا فى مناسبات مختلفـة .

* جـاء من لبنان خبـر يتضمن انشاء جمعيـات الصداقة العربية فى عـدد من العواصم العربيـة ثـم تعميمها فى بعض البلاد الاوروبية ودول اميركا اللاتينية

* سينعقد فى بيروت من 6 الى 12 نوفمبر مؤتمر حول التصميم الاجتماعي فى البلدان العربية .

* نعت بغداد العالم الروسي ستيفان كاسورا عضو البعثة الجيولوجية السوفياتية الـذي كـان يعمل هنـاك فـي الحفـر عـن الآثـار .

* صادرت حكومة العراق كتـاب « المحمديـة » للمستشرف السير هاملتون جيب كما صادرت كذلك كتاب « استراتجية السلام » للرئيس الاميركي كيندي

* سيصدر قريبا فى العراق ديوان الشاعـر الفقيد محمد باقر الشبيبي باشراف اتحاد أدباء العراق

فهرس العدد الاول ـ السنة الخامسة

الصفحـــة

* اصدرت اماره موناكو تاييدا للحملة الدولية لانتشال آثار النوبة بانشاء طابعا بريديا يحمل صورة ابى الهول فى وادي السبوعة بالنوبة .

* شب حريق كبير فى هذه الايام فى معرض للرسم الخاص باللوحات الايرانية بباريس .

* يحتفل مدينة بون موطن الموسيقي العالمي بتهوفن بالمهرجان الثالث والعشرين احتفالا بذكرى هذا المؤلف الموسيقي وللمرة الاولى سنقدم جائزة بتهوفن الدولية وقدرها 5 000 مارك .

* تم اخبرا اكتشاف 230 قبرا من الصور الرومانية التي يرجع عهدها الى القرنين الاولين بعد الميلاد وذلك قرب مدينة ابد برج الجامعية الواقعة فى جنوب غرب المانيا .

* اكتشفت بعثة ايطالية فى خرائب مدينة فيساريه التي تقع على بعد 35 كلم الى الجنوب من حيفا ، اول بينة ملموسة عن اسم بيلاطس البنطي ، فقد اكتشفت هذه البعثة بلاطة طولها 20 بوصة وعرضها 15 بوصة تحمل اسم بيلاطس البنسطي . ويعتقد بان هذه البلاطة استعملت فى تكريس مسبح فى قسارية التي اتخذ منها الرومان عاصمة للبهودية فى العصور القديمة . وقد حملت البلاطة ثلاثة اسطر كتب فى الاول منها كلمه (طب ربوس) وربما كان الامبراطور الروماني فى عهد المسيح . وكتب فى الثاني (بيلاطس البطر) .

* اعلن مرصد جامعة هارفارد نبا اكتشاف مذنب سيحمل اسم العالم الفلكي الذى اكتشفه وهو سنبوارت ولس . وقد اكتشف المذنب ولسون يوم 23 يوليو ويرى فى امريكا الشمالية فى الجانب الشمالي بين الساعة السابعة ونصف والثامنة حسب التوقيت الفرنسي .

* جاء فى جريده ايطالية بان احدى الشركات الايطالية ستنتج فلما حول حياة الرسول محمد (ص) بمشاركة الاميره ثريا الزوجة السابقة لشاه ايران . ومما يذكر فى هذا الموضوع أن شخصية الرسول لن تظهر فى هذا الفلم وسيرمز اليها بكره من نور .

* حضرت الآنسة خديجة عبد القادر الكاتبة الليبية التي من المنتظر أن تصدر كتابها « النساء وحياة الريف فى ليبيا » باللغة العربية فى لبنان قريبا — المؤتمر السنوي لاتحاد المكتبات الذي عقد فى هنتغرب بانجلترا فى الايام الاخيرة .

* يقوم المستشرق الانجليزي دنيس جونسون بترجمة قصة « بداية ونهاية » لنجيب محفوظ الى اللغة الانجليزية .

* ظهر فى لندن كتاب جديد من تاليف مونيك ستيرلنغ يتحدث عن شخصية أم نابليون .

* « الموت شنقا »كتاب جديد للروائي العالمي ارثر كوستلر صاحب « ظلام فى النهار » وهو يبحث فى المشكلة القائمة فى ايطاليا حول الغاء عقوبة الموت او ابقائها .

* براترندرسل الفيلسوف البريطاني دخل السجن لمدة سبعة ايام عقابا له على الدعوة التي نادى بها ضد الحرب الذرية قائلا ان للشرق والغرب هدفا واحدا شريرا هو افناء البشر .

* خلال الاسبوع الذى قضاه المفكر البريطاني براتراند رسل فى السجن بدا بتاليف كتاب جديد « هل للانسان مستقبل ؟ » . ومن المنتظر ان يطلع هذا الكتاب فى مطلع العام القادم .

* جاء فى تقرير للامم المتحده ان خمسين فى المائه من المطبوعات العلمية الخاصة بالبحوث المبتكره تصدر باللغة الانجليزية و 16 فى المائة منها باللغه الروسية و 12 منها باللغة الالمانية و 10 فى المائه باللغه اليابانيه و 5 منها بالفرنسية .

* عرضت شركة امريكية آلة للترجمه تعمل بسرعه 60 000 كلمة فى الساعة . وقد اجتمع فى برنجتون قرب لندن خبراء اللغات والعلماء من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وايطاليا واليابان لمعالجة النقص قبل المضي فى انتاج آله الترجمه الميكانيكية المضبوطة .

* عقد فى جامعة مينسوتا بالولايات المتحده مؤتمر الطلبة العرب العاشر

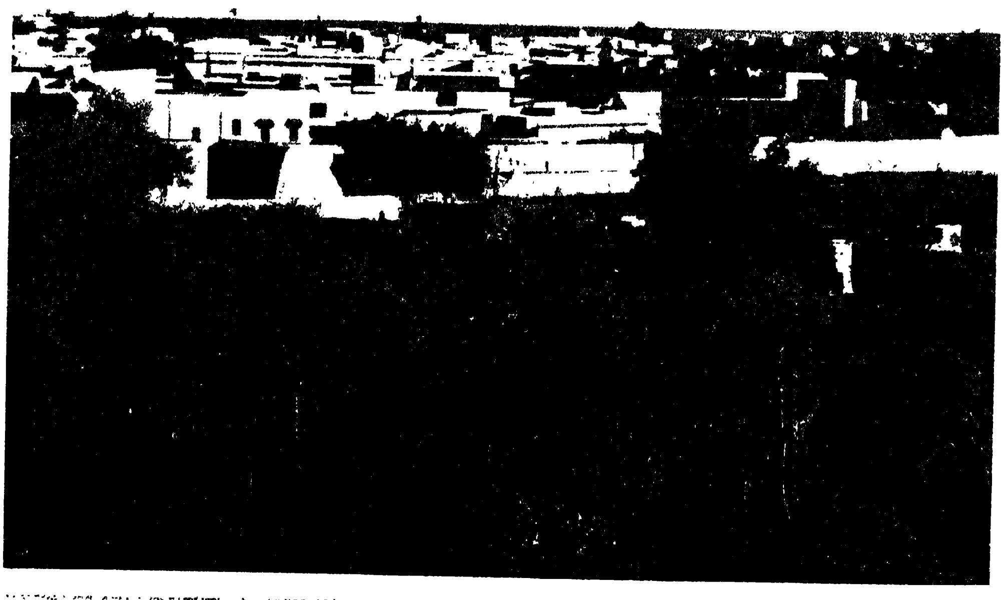
* ابتكر احد الاخصائيين جهازا يغني عن «الدليل» الذي يقوم بشرح الآثار او اللوحات الفنية للسائحين ورواد المتاحف . ويتركب الجهاز من آلة تسجيل سجل عليها واف بعدة لغات لمعروضات البهو وتتصل هذا الجهاز — بسماعات — حالما يضغط الزائر على اذنه يسمع التسجيل باللغة التي يعرفها .

* قررت هوليود اخراج قصة حياة الكاتب ارنست هيمنجواي بعنوان « الرجل الصغير » .

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد الثاني – السنة الخامسة
جمادى الاولى 1381 • نونبر 1961
ثمن العدد درهم واحد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

مع الثورة الجزائرية

في مستهل هذا الشهر دخلت الثورة الجزائرية سنتها الثامنة مزودة بتجارب سبع سنوات من النضال ومقاومة الظلم والطغيان . راوية للتاريخ معجزة أخرى من معجزات الشعوب عندما تصمم بحزم وعزم على صنع قدرها وفرض ارادتها ، هادفة الى خلق جزائر جديدة تنمحي فيها جميع اشكال الاستعباد والاستغلال والسيطرة ويعيش في ربوعها انسان عربي مسلم حر قادر على ان يسهم بنصيبه في تقدم البشرية وسعادتها

والثورة الجزائرية بزحفها المقدس وسيرها التاريخي حافلة بالعظات غنية بالدروس والعبر ، يمكن للدارس ان يتناولها من جهات مختلفة وحسبنا في هذه العجالة ان نشير الى جانب هام من جوانبها الفذة، الجانب الذي ضمن لها استمرارا حيا ونطورا فعالا ، وجعلها تعيش منذ أن اندلعت بجميع صورها في ضمير كل انسان، هذا الجانب هو شعبيتها ، وهو سر عظمتها وقوتها ، الثورة في الجزائر ليست ثورة طبقة او هيأة او حزب معين بل هي ثورة عارمة تشترك فيها كل عناصر الشعب الحية الواعية ، اذ تلتحم فيها ارادة العامل بارادة الفلاح والصانع والتاجر والمثقف ، وتتوحد فيها مطامح هؤلاء جميعا في حياة حرة كريمة تقضي على ضروب التحكم والسيطره التي خلقها الاستعمار الفرنسي الغاشم .

نحن لا ننكر الدور الذي تقوم به القيادة — اية قيادة — محكمة التنظيم من توجيه وتحقيق عملي للاهداف والمطامح ، فقد توفرت للثورة الجزائرية منذ نشوبها قيادة حكيمة متبصرة وواعية ، غير ان الذي يطبع هذه القيادة بطابع اصيل ، ويوفر لها عناصر النماء والتجدد والتكامل ، انبثاقها من محيط شعبي وتفاعلها معه واعتمادها عليه ، ولقد دفع الشعب الجزائري طيلة سبع سنوات كل ما طلب اليه ، دفع ارواحه وامواله ودماءه فداء لقضيته وفي سبيل تحقيق اهدافه ، وما زال مستعدا للبذل والعطاء والتضحية مهما طالت الحرب .

بهذا الجانب الشعبي استطاعت الثورة الجزائرية اذن ان تصمد سبع سنوات في حرب غير متكافئة القوى ، وبهذا الجانب ايضا استطاعت هذه الثورة ان تجدد للعرب والشعوب المغلوبة في جميع انحاء العالم ثقتها بنفسها ، وتبين لها ان في صميمها امكانيات مبدعة وطاقات ثورية لو اتيح لها ان تنطلق وتتفجر لصنعت المعجزات ، ومن هذا الجانب نستطيع ان نقرر كذلك ان نجاح هذه الثورة حتمية مفروضة وقدر لا مفر منه وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد الثاني
السنة الخامسة
جمادى الاولى 1381
نونبر 1961

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



مدينة مراكش – عاصمة الجنوب

بيانات ادارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» – قسم التحرير – وزارة عموم الاوقاف – الرباط – المغرب .

الاشتراك العادى عن سنه 10 دراهم ، والشرفي 20 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريديه رقم 55 – 485 – الرباط –
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» – قسم التوزيع – وزارة عموم الاوقاف – الرباط – المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنيه والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجله برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافيـة .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الـى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع – وزارة عموم الاوقاف – الرباط
تلفون 308.10 – الرباط

اما محمد رسول الله (ص) فلم يأت بشيء من هذه المعجزات بالذات ، بل لم يكن هذا النوع من المعجزات المغلقة على العقل هو الاساس فى دعوته ، ومع ذلك لم يلبث عرب الجزيرة ان اجتمعوا عليه فى حياته ، ثم لم يلبث العالم من حولهم ان اجتمع على اصحابه من بعد وفاته .

فما هو السر فى ذلك الذي حير الانباب ؟

وما هو ذلك العجب العجاب ؟

السر فى ذلك أنه دعوة الى الحياة على اسس جديدة تكفل الحياة فى امن وسلام بعد ان تعب المفكرون فى البحث عن هذه الاسس .

والجواب على ذلك : لا سر يحير الالباب ، ولا عجب فيه عجاب . فقد قال الله سبحانه وتعالى : « يا ايها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » لقد كان الاسلام دعوة عامة الى الحياة على اسس جديده **تكفل هذه الحياة فى امن وسلام** . بعد ان تعب العالم فيها فى ظل الحضارات القديمة ، كما تعب فيها اليوم ايضا فى ظل الحضارات الجديدة . فطغى القوى على الضعيف ، وتنكر الانسان لاخيه الانسان ، واصبحت حياة كل من الافراد والجماعات عرضة فى كل يوم الى طغيان احدهما على الآخر . والى هزات : تارة كانت تقضى على حياة الفرد ، وتارة كانت تقضي على نظام الجماعة ، واصبحت حياة الفرد بصورة خاصة عرضة : تارة الى طغيان القيادة الفردية واستغلالها ، وتارة الى فوضى الجماعة فى نظامها ، وفى كلا الحالين اصبحت حياة الفرد والمجتمع فى جحيم مقيم .

ولذلك اخذت العقول المفكرة منذ القديم قبل الاسلام تتسابق فى البحث فى كل امة وفى كل زمان عن المبادىء التي يجب ان تسود ، وعن الانظمة التي يجب ان تبتكر لاقامة حياة سعيدة وامينة ، وبعيدة كل البعد عن جحيم الطغيان ، وفوضى النظام ، وغير المساواة فى الحق فى الحياة بين انسان وانسان .

وقد اتبع المفكرون سبلا مختلفة للوصول الى سعادة الانسان ، فتفرقت بهم السبل ، ولم يهتدوا الى سبيل سوية جامعة ، بل عالجوا على الدوام ناحية من نواحي الحياة غير شمول لسائر النواحي ، وكثيرا ما ضل الباحثون عن الطريق حتى فى تلك الناحية غير الشاملة ، فلم تشف المعالجة فى المجتمع من اسقام ، الى ان صاح فيهم الاسلام : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

فما هي تلك السبل التي ضلت فيها الانسانية ففرقت بين ابنائها ؟

وما هو ذلك الصراط المستقيم الذي دعا اليه الاسلام ليجمع شمل الجميع ؟؟

هذا هو ما نريد ان نتحدث فيه هذه المرة ، سائلين الله ، العون والسداد .

مجمل المبادىء القديمة والحديثة لمعالجة مساوىء الحياة ؟

منذ القديم ظهرت فكرة العودة الى مبادىء الطبيعة لدى الصين واليونان والرومان لمعالجة مساوىء الحضارة حينذاك ، وما قد انبعثت عنها من طغيان القادة احيانا ، او فوضى الجماعة فى الحياة احيانا اخرى ، وكانت الدعوة الى العودة لمبادىء الطبيعة والحياة الطبيعية انما هي لصيانة حياة الفرد والجماعة فى آن واحد .

ومنذ القديم بشر الفلاسفة والمفكرون بفكرة الديمقراطية والدعوة اليها فى كل من اليونان والرومان لمعالجة طغيان الطبقات او طغيان الحاكمين .

وفى عصورنا الحديثة ظهرت ايضا مبادىء وانظمة جديدة ، وكلها ردة على وضع سيء ، وقد حاول اصحاب كل مبدا ونظام ان يعالجوا ، بما ابتكروه من مبادىء وبما دعوا اليه من نظام ، ما هم فيه من وضع غير انساني ، طلبا لوضع سليم مثالي .

وهكذا طغت مبادىء الحرية والعدالة والمساواة منذ الثورة الفرنسية الكبرى فى اواخر القرن الثامن عشر ، وكان من آثارها ان قضت نهائيا على نظام الاقطاع فى اوروبة ، واخذت الانظمة الجديدة تتكون حول تلك المبادىء تحت شعارات مختلفة كان ابرزها الديموقراطية والاشتراكية .

دراسات إسلامية

مبادئ الإسلام الدستورية في نواحي الحياة

للدكتور معروف الدواليبي

ظهور الاسلام وانتشاره السريع :

ظهر الاسلام منذ اربعة عشر قرنا وفى اعالي القرون الوسطى ، فى جزيرة العرب الوثنية المترامية الابعاد ، وعلى اطراف دولتي العالم حينذاك : فارس والرومان ، وقد استقر لهاتين الدولتين السلطان والسيادة من عبر منازع لهما من غيرهما .

واذا بالاسلام ينشر بعد مرحلة تأسيس دامت عشر سنوات فى جميع ملايين جزيرة العرب على سعة اطرافها ، وتباين نزعاتها ، وقوة شكيمة اصحابها ، رغم رسوخ الوثنية فيهم ، ودفاعهم عنها بكل ما عز لديهم .

واذا بالاسلام يوحد لاول مرة بين هذه القبائل الصلبة العود ، ويجمع شملهم ، ويلم شعثهم ، ويجعل منهم امة عربية واحدة ، صارخا فيهم : « ان هــذه امتكم امة واحدة » بعد ان كانوا قبائل اشتاتا .

واذا بالاسلام ينفخ فيهم روحا من روح الله : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ، ويجعل خيرهم وفضلهم على الناس فيما حملوا من خير الناس لا فى عنصرية تضع ثقلهم فوق رقاب الناس .

ثم لم يخرج الاسلام من جزيرة العرب حتى قوض دولتي العالم الفارسية والرومانية فى فارس ومصر وبلاد الشام ، واصبح على ابواب الهند والصين فى مدة لا تتجاوز عشر سنوات ، ومن ثم فتحت له الابواب ليغزو بعقائده العالم فى كل مكان من اقصى الشرق الى اقصى الغرب .

وهكذا انتشر الاسلام بسرعة لم يعهد التاريخ لها مثيلا فى تاريخ الاديان ، وتحير العلماء والمؤرخون فى تفسير اسباب هذه السرعة التي لم يعرفوا لها نظيرا .

ما هو السر فى سرعة انتشاره ؟

فهل من اسباب هذه السرعة فى انتشار الاسلام سلطان عروبة صاحب هذا الدين ؟ .. كلا فان العرب حين ظهور الاسلام لم يكونوا الا قبائل اشتاتا ، ولم يكونوا بالنسبة الى دولتي العالم حينذاك فارس والرومان شيئا مذكورا .

وهل من اسباب هذه السرعة فى انتشار الاسلام معجزاته الخارقة ، ومعجزات اصحابه الحاسمة ؟ كلا ، **فقد القي ابراهيم** فى النار ، وانقلبت النار عليه بردا وسلاما فلم يؤمنوا به . **وقد القى موسى** بعصاه امام السحرة فى مصر فاذا هي تلقف ما يأفكون ، وضرب بها البحر فانفلق ، فكان كل فرق كالطود العظيم ، وانجى الله موسى ومن معه اجمعين ، ثم اغرق الآخرين ، واذا ببني اسرائيل انفسهم لم يلبثوا ان عبدوا فى غيابه العجل وهم ظالمون . وكذلك جاء عيسى فخلق من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيرا باذن الله وابرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله ، فلم يزد خراف بني اسرائيل الضالة كما سماهم السيد المسيح الا ضلالا ، فحكموا عليه بالصلب ، وسلموه لحاكم القدس الروماني لينفذ الحكم ، متهمين السيد المسيح بأنه جاء يثير بني اسرائيل على الرومان ، ويدعوهم للخروج عليهم .

وقبول اوامر الطبيعة الصادرة من الغرائز ، والجري على سنن الطبيعة الصامتة وتقليدها فى تواضع) .

ويرى الدويون :

ـ ان التفكير امر عارض سطحي لا خير فيه الا للجدل والمحاجة ، يضر الحياة اكثر مما ينفعها .

ـ وان العلم ليس فضيلة ، بل ان السفلة قد زاد عددهم من يوم انتشر العلم .

ـ وان شر انواع الحكومات التي يمكن تصورها هي حكومة الفلاسفة .

ـ وان صاحب الفكر خطر على الدولة ، لانه لا يفكر الا فى الانظمة والقوانين .

ـ وان كثرة النواهي والمحرمات فى المملكة تزيد من فقر الاهلين .

ـ وانه كلما كثرت الشرائع والقوانين كثر عدد اللصوص وقطاع الطرق .

ولا نرى فى هذه العقائد الدوية المنادية بالعودة الى الطبيعة وحياتها ، والمنفرة من القوانين واحكامها ، الا رده على ظلم القوانين التي كان يصدرها الطغاة النافذون ، وكان من جملتها ما اصدرته ولايتا (جنج) و (تسين) فى عامي 535–512 ق.م. من قوانين ملأت قلوب الفلاحين رعبا ، بما تميزت به من اقرار نظام الطبقات كما كان الامر فى شريعة مانو الهندية ، وبمحاباة الطبقات العليا ، فقد اعفتها من كثير من الواجبات المفروضة على غيرها من الطبقات العامة الاخرى .

ولقد احتج عامة الشعب على هذه التفرقة ، وتمنوا ان يقوم بينهم وطني مخلص يحررهم من ظلم القوانين .

وهكذا عمدت العقائد الدوية فى الصين الى الدعوة للعمل باحكام الطبيعة وذلك لتعالج بها مساوىء النظام السائد ، والمحاباة بين الطبقات ، وطغيان الحاكمين . وتحرير العامة من ظلم القوانين .

واقامت من عقائدها حول مفاهيم الطبيعة والاحتكام اليها حربا فى آن واحد على العقل وعلى العلم، واصطبغت حكمتها بصبغة جامدة متزمتة ، ووقفت في طريق الدوافع الطبيعية نفسها ، تلك الدوافع صاحبة القوية المحركة للجنس البشري .

واعان ما فى حكمتها من كمال بارد على تجميد الامة الصينية ، وجعلها امة محافظة لا يضارع عداءها للرقي الا حبها للسلام ، مثلها فى ذلك مثل الفلسفة الكونفوشية الصينية التي اقامت حربا ايضا على القوانين لما كان فيها من ظلم ، ودعت الى مقاومتها ، ولكن تحت ستار الدعوة الى القانون الاخلاقي عوضا عن دعوة الدويين الى احكام القانون الطبيعي .

ويقول بعض حكماء الدويين فى التعبير عن حكمتهم التي اصبغت بتلك الصبغة الجامدة المتزمتة : لن افعل شيئا فيتبدل الناس من تلقاء انفسهم ، وسأولع بان ابقى ساكنا فينصلح الناس من تلقاء انفسهم .. وسيرون ان طعامهم الخشن وملابسهم البسيطة جميلة ، ومساكنهم الحقيرة امكنة للراحة ، واساليبهم المألوفة مصادر للذة والمتعة .

نظام الطبقات لدى الهنود فى ظل شريعة مانو :

ولم يكن النظام السائد فى الهند الى جانب الصين باحسن حالا تحت شريعة (مانو) التي كانت متحكمة فى الهند فى نفس الوقت .

و(مانو) هذا يطلق عند الهنود على كل من الملوك المؤلهين السبعة الذين حكموا العالم ، كما يطلق (فرعون) عند المصريين على ملوك مصر القدماء ، والى اول هؤلاء الملوك المؤلهين او حيث شريعة (مانو) من لدن الاله (براهما) نفسه .

ولقد اشادت هذه الشريعة مرة بعد اخرى بنظام الطبقات ، واشادت بطبقة البراهمة فى فضائلها وحقوقها ونفوذها ، وما نزال نرى وثائق منذ القرن الثاني بعد الميلاد بمنح عظيمة ــ خصوصا اقطاعيات الارض ــ توهب لطبقة البراهمة ، وكان شأنها شأن املاك البراهمة : كلها (معفاة) من الضرائب ، لان تشريع (مانو) يحذر الملك من فرض ضريبة على برهمي، ولو نضبت كل موارد المال الاخرى . وينص تشريع (مانو) على ان يكون من حق البرهمي سيادته على سائر الكائنات ، بل يذهب مانو فى ذلك ويقرر ان (كل ما كان فى الوجود ملك للبراهمة) .

وكلمة اخيرة عن شريعة مانو : انها ابرزت نظام الطبقات والتمايز فيها بالحقوق ، ولا نزال نلمس اثرها حتى اليوم فى القسوة على المنبوذين وهي من الطبقة الدنيا ، ولقد حاول الزعيم غاندي فى عصرنا انقاذ هذه الطبقة مما وضعت فيه ، فكانت محاولته هذه من جملة العوامل التي ادت الى اغتياله من قبل بعض الفرق الهندية المتشددة فى عقائدها .

ــ يتبع ــ

وتنوعت ما بين هذه المبادىء معاني الاشتراكية خاصة ، حتى اصبح لدينا معان فى الاشتراكية بقدر ما هناك من طلاب للاشتراكية .

— فهناك الاشتراكية الشيوعية .

— وهناك الاشتراكية الالمانية الوطنية فى ظل النازية ، وكانت كما تعلمون حربا مسعورة على الاشتراكية الشيوعية .

— وهناك الاشتراكية الديموقراطية لدى العمال فى انكلترا .

— وهناك الاشتراكية التيتوية .

ولا ندري ماذا يجد ويحدث فى الغد .

وكل ذلك فى سبيل معالجة سلطان الفرد على حياة الجماعة، أو فى سبيل معالجة طغيان الجماعات على حياة الافراد ، وفى سبيل اقامة حياة افضل ، وجيل اسعد ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، وفى حرب مع الآخرين لا يسالمون ولا يهادنون .

ظهر الاسلام وحياة الفرد العالمية فى اشد المعارك اصطراعا بين المبادىء :

وحينما ظهر الاسلام منذ أربعة عشر قرنا فى مطالع القرون الوسطى كانت حياة الفرد فى اشد المعارك اصطراعا ما بين القديم والجديد من المبادىء ، وما بين القديم والحديث من النظم ، فى سبيل الوصول الى حياة افضل واهنأ واهدأ .

فماذا كان موقف الاسلام من هذه المبادىء والنظم المتصارعة فى سبيل الحياة ؟

وما هو موقف الاسلام من هذه المبادىء والنظم الجديدة اليوم ؟

بل ربما كان الاصح ان نتساءل : ما هو موقف الاسلام من الحياة نفسها ؟ وكيف عمل على صيانتها ؟ وكيف حل مشكلاتها التي اشرنا اليها ؟ وما هي قواعده الاساسية الدستورية فى نواحي الحياة كلها ؟ ان الاجابة على ذلك هي التي تفضح السر ، وتزيل الغموض .

ضرورة استعراض هذه المبادىء المتصارعة .

ولابد لنا قبل ذلك من ان نستعرض بسرعه تلك المبادىء المتصارعة لنعرف مكانها من حاجات الحياة كلها ، ولنعرف الصفة البارزة فيها لمعالجة مساوىء النظام السائد ، ولنعرف فيما اذا كان كل من هذه المبادىء على انفراد قد استجاب الى جميع حاجيات الحياة وندائها ، ام انه تغلب عليه الاهتمام بحاجة واحدة منها دون الاكتراث بغيرها ، ثم ماذا كان موقف الاسلام منها جميعا ؟ .

مبادىء الحياة الطبيعية والقانون الاخلاقي لدى الصينيين لمعالجة مساوىء الحياة :

ولعل العقائد الدوية فى الصين حول الرجوع الى الطبيعة والاحتكام اليها كانت اول من اراد ان يعالج مساوىء الحياة عن طريقته الطبيعية .

والدوية نسبة الى لفظة (الدو) ومعناها (الطريقة) ويراد منها (طريقة الطبيعة) او (الطريقة الدوية للحياة الحكيمة) .

وترجع هذه الطريقة الى كتاب (الدو — ده — جنج) اي (كتاب الطريقة والفضيلة) لواضعه فيما يقال الفيلسوف (لو — دزه) (604\517 ق.م) .

ويقول (لو — دزه) مؤسس مذهب الدوية ، بل اله الدويين الذين عبدوه فيما بعد :

— (ان الطبيعة قد جعلت حياة الناس فى الايام الخالية بسيطة آمنة ، فكان العالم كله هنيئا سعيدا .

— (ثم حصل الناس المعرفة فعقدوا الحياة بالمخترعات ، وخسروا كل طهارتهم الذهنية والخلقية، وانتقلوا من الحقول الى المدن ، وشرعوا يؤلفون الكتب فنشأ من ذلك ما أصاب الناس من شقاء ، وجرت من اجل ذلك دموع الفلاسفة .

— (فالعاقل اذن من يبتعد عن هذا التعقيد الحضري ، وهذا التيه المفسد : تيه القوانين والحضارة ويختفي بين احضان الطبيعة .

— (وسر الحكمة كلها هو الطاعة العمياء لقوانين الطبيعة ، ونبذ جميع اساليب الخداع وافانين العقل

الاوكسجين والهيدروجين والكربون ، فى الغذاء فى كل خلية وبذلك ينتج الدفء اللازم كما يكون فى كل نار ، والنتيجة هي بخار الماء ، وثاني أوكسيد الكربون ، والدم يحمل ثاني أوكسيد الكربون الى الرئتين وهذا الشيء هو الذي يجعلك تستنشق بتنفسك نسيم الحياة . والشخص الواحد ينتج تقريبا فى كل يوم رطلين (زهاء كلو غرام) من ثاني أوكسيد الكربون ولكنه تتخلص منه بعمل عجيب . كل حيوان يهضم الطعام ويلزمه ان يحصل على المواد الكيميائية اللازمة لحياته الخاصة . حتى فى التفاصيل الدقيقة تختلف المحتويات الكيميائية فى الدم ، تختلف فى كل نوع مثلا . ولاجل ذلك يوجد عمل تشكيلي خاص لكل نوع . ففي حالة العدوى يغزو الجسم جيش من الجراثيم المعادية ولكن الجسم فيه ايضا جيش من الذرات المدافعة تنازل ذلك العدو المغير فتقاتله وتنتصر عليه فى اكثر الاحيان فيسلم الجسم من الموت . ومثل هذه المعجزات المجتمعة لايمكن ان توجد باي حال من الاحوال الا مع وجود الحياة . وكل ذلك يقع فى نظام كامل ، والنظام هو ضد المصادفة على خط مستقيم . فهل يدل ذلك على مدبر عليم حكيم ؟ ان كان الامر كذلك فهو ناشيء عن الحياة . وما هي الحياة .

تعليقـــــات

1) قوله ــ ولكن كل عام يمر علينا يجيء باكتشافات جديدة الخ . هذا شأن عقيدة الحق لايزيدها مرور الزمان الا اتضاحا ورسوخا وثباتا ولا يزداد أهلها الا تمسكا بها وارتباطا . قال تعالى فى سورة فصلت : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) فكل من قرأ هذا الفصل بتمامه وأمعن فى التفكر يرى حجة الله قائمة عليه فى نفسه كما قال تعالى : (وفى انفسكم افلا تبصرون) فمن كابر بعد قراءة هذا الفصل وما تقدمه فى وجود الله واحاطة تدبيره وعلمه وقدرته ، فانه لايحترم نفسه ، الا ان يكون امعة غمرا عطل فكره وقلد غيره تقليد الاعمى لقائده ، فمثل هذا لا كلام معه انما هو كالانعام ، بل اضل سبيلا .

2) قوله ــ مواد أولية . اي بسيطة لم تدخلها الصنعة والتركيب

3) قوله ــ ما عدا المعدة نفسها الخ . ذكرني قول طبيب الامراض الباطنية فى معهد طبي تابع لجامعة (بون) عاصمة المانيا الاتحادية فى الوقت الحاضر . فقد اصابني التهاب فى المعدة بسبب تبدل الجو والغذاء وشدة البرد فى شتاء سنة 1937 فقال لي ذلك الطبيب وهو يشرح اسباب الالتهاب ان فى المعدة سائلا هو الذي يهضم الطعام . السائل يكون بمقدار محدود فان نقص ساء الهضم . وان زاد أحرق الطعام بسرعة فلا تستخرج منه المواد التي تعوض الجسم ما يفقده بالقدر الذي يحتاج اليه فتفرغ المعدة بسرعة غير معتادة فلا يجد ذلك السائل ما يهضم فيشرع فى هضم المعدة نفسها فيحس المصاب بالالم والجوع فياكل . ثم يهضم ما اكل بسرعة كما تقدم . ولذلك يحتاج المريض الى ان ياكل فى كل ساعتين سدس مايتغذى به فى اليوم . واذا اشتد به المرض يحتاج الى ان ياكل فى كل ساعة من ساعات النهار . واذا لم يعالج هذا الالتهاب علاجا ناجعا تنشأ عنه قرحة المعدة او قرحة المصير الاثنى عشري وهي خطيرة . ولم استطع ملازمة الحمية بالدقة التي يتطلبها المرض ، كذلك لم استطع الاكل فى كل ساعتين لاني اظل طول النهار فى الجامعة فاصبت بقرحة الاثنى عشرى وبقيت اقاسي الآلام والهزال والحرمان من الاغذية القوية كاللحم ماعدا الدجاج والخبزالطري والتمر والحوامض والموالح والتوابل اكثر من عشرين سنة . ولم ينصحني الاطباء الالمانيون باجراء عمل جراحي ولكن طبيبا اسبانيا فى مدريد نصح لي بذلك . وكذلك نصح لي طبيب ايطالي فلم اقبل نصيحتهما . ودخلت المستشفى فى المانيا مرتين فلم اخرج منه بطائل . ولما اراد الله الشفاء زرت الدكتور بن زاكين فى الدار البيضاء لعلاج مرض آخر فلما اراد ان يكتب لي الدواء اخبرته بان عندي قرحة الاثنى عشرى مخافة ان يكتب دواء يزيد فى المها فكتب لي دواء للقرحة ايضا فاستعملته فشفيت من ذلك الداء العضال . وبعثت به الى مريض فى المانيا الشرقية فشفي بعد ما اقام فى المستشفى ببرلين شهرا كاملا بلا طائل وخرج بورقة الحمية المحتوية على قائمة الاطعمة الممنوعة كما خرجت بها انا قبله والحمد لله الذي لم ينزل داء الا انزل له دواء كما فى الحديث . وانما اثبت هذه القصة هنا على طولها رجاء ان ينفع الله بها بعض القراء . ومن شاء معرفة هذا الدواء فاني مستعد ان انشر اسمه فى صفحات هذه المجلة .

4) قوله ــ كبريتا او عسلا اسود ، دواء ناخذه فى زمن الربيع . هكذا جاء فى الكتاب . وانا لا ادري

أكبر معمل في العالم

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 16 -

قال الاستاذ كربسي مورسن رئيس المجمع العلمي الامريكي سابقا فى ابتداء الفصل : لقد الفت كتبا فى فيزولوجية الهضم ، اي علم خواص اعضاء الهضم ولكن كل عام يمر علينا يجيء باكتشافات جديدة مدهشة تجعل هذا الموضوع جديدا على الدوام . واذا فكرنا فى الهضم من حيث هو عمل فى معمل كيماوي ، وفكرنا فى الطعام الذي نتغذى به على انه مواد اولية ينكشف لنا ان ذلك عمل عجيب لانه يهضم كل شيء يؤكل ما عدا المعدة نفسها . اولا نحن نضع فى هذا المعمل انواعا مختلفة من الاغذية على انها مادة اولية دون ان نحسب اي حساب لذلك المعمل ولا ان نفكر كيف يعالج هضمها بطريقة كيميائية بديعة . فنحن ناكل قطع اللحم والكرنب والحبوب والسمك المقلي وندفعها الى اسفل باي قدر من الماء ونضيف اليها الخمر والخبز والفول . وقد نضم الى ذلك كبريتا وعسلا اسود ، دواء ناخذه فى زمان الربيع . ومن بين هذا الخليط تختار المعدة الاشياء المفيدة بتحليل كل صنف الى اجزائه الكيميائية الدقيقة دون اعتبار للفضلات ، ثم تركب الباقي فتجعله (بروتينات) جديدة ، و (البروتين) مادة غذائية اولية توجد فى البيض واللبن والجبن ، وتتالف من الكربون والادرجين والاكسجين والنترجين وبعض الكبريت) وهذه المادة تصير غذاء للخلايا المختلفة . وتختار اداة الهضم الجير والكبريت واليود والحديد وكل مادة اخرى ضرورية ، وتعتني بعدم ضياع الاجزاء الجوهرية حتى يمكن استخراج الهرمونات بان تكون جميع الضرورات اللازمة للحياة موجودة بمقادير منظمة معدة لمواجهة كل احتياج . وهي تخزن الدهن والمواد الاحتياطية لتلافي كل حالة طارئة كالجوع القاتل ، تفعل ذلك كله دون ان يشاركها الانسان بتفكير او راي . ونحن نصب هذه المواد المختلفة التي لاتحصى فى هذا المعمل الكيميائي بقطع النظر تقريبا عما ناكله ونشربه ، معتمدين على مانعتبره عملا سائرا من تلقاء نفسه ليحفظ علينا الحياة . واذا تحللت هذه الاطعمة وجهزت من جديد تسلم باستمرار الى كل خلية من الخلايا التي يتالف منها الجسم البشري وتعد بالبلايين وعددها فى جسم الانسان اكثر من عدد جميع البشر الذين يعيشون على وجه الارض . ويجب ان يكون تقديم هذا الغذاء الى كل خلية على حدتها باستمرار ، ولا يجوز ان يقدم لاي خلية من المواد الغذائية الا ما تحتاج اليه بخصوصها ليتحول ذلك الغذاء الى عظام واظفار ولحم وشعر . وكذلك العيون والاسنان كل خلية منها تتلقى غذاء خاصا . فهذا معمل كيميائي ينتج من المواد اكثر مما ينتجه اي معمل اوجده الانسان بذكائه . وهنا نظام للتوزيع اعظم من اي نظام عرفه العالم للنقل او التوزيع ، يسير هذا النظام فى غاية الدقة والكمال . ومن الطفولة الى ان يبلغ سن الانسان خمسين سنة مثلا لايصدر من هذا المعمل اي خطا له بال مع ان المواد التي يعالجها يمكن ان تكون اكثر من مليون نوع من ذرات المادة ، واذا صارت قنوات التوزيع متكاسلة من طول الاستعمال نحس بضعف فى قابلياتنا ثم تأتي الشيخوخة على اثره .

وحين تأخذ كل خلية حصتها من الغذاء المذكور فانه لايزال غذاء مجردا . ثم يصير عمل كل خلية منحصرا فى الاحراق ومن ذلك تنشأ حرارة الجسم كله . وانت لاتستطيع ان تحدث احراقا بدون ايقاد فلا بد ان توقد النار اولا ، وكذلك الطبيعة باذن الله تهيىء تركيبا كيميائيا يوقد نارا مضبوطة لاجل

السجون
بين التشريع الإسلامي والحديث

للأستاذ : محمد الطنجي

نظام السجون اصبح من التشريعات الاجتماعية فى مختلف الامم لان كثرة المنحرفين من بني الانسان ستدعي عناية خاصة بهذه المجموعة من بني البشر .

ولكل قوم تشريعهم ، ونحن معاشر المسلمين كان لاسلافنا نظر خاص فى هذه المشكلة الاجتماعية سعى لكل مسلم ان يلتفت اليه ليسلك فيها السبيل الاقوم .

فالسجن مذكور فى القرءان والاسلام كما هو معلوم دين عقيدة وقانون ودولة وخلافة ومع ذلك فرسول الاسلام (ص) انما كانت همته فى تبليغ الشريعة وتربية الامة تربية دينية تربي فى نفوس المسلمين الوازع الديني الذي يزعهم ويمنعهم من ارتكاب الجرائم واخذ حقوق الناس او اكل اموالهم بالباطل فبنى المساجد وحض على بنائها لعبادة الله وتعليم المومنين ووعظهم فيها ، ولم يتخذ اي سجن مدة حياته ، وكذلك خليفته ابو بكر الصديق الى ان كانت خلافة عمر وكثرت الفتوح الاسلامية وانتشرت الرعية فحينئذ اشترى عمر دارا بالمدينة واتخذها سجنا ، وكان يقصد بالحبس الشرعي توقيف الشخص ومنعه من التصرف بنفسه باية وسيلة ، قال الحافظ ابن القيم فى كتابه « الطرق الحكمية » : الحبس الشرعي ليس هو الحبس فى مكان ضيق وانما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان فى بيت او مسجد او كان بتوكيل الخصم او وكيله عليه وملازمته له ولهذا سماه النبي اسيرا كما روى ابو داود وابن ماجة عن الهرماس بن حبيب عن ابيه قال اتيت النبي (ص) بغريم لي فقال لي الزمه ثم قال يا اخا بني تميم ما تريد ان تفعل باسيرك وفى رواية ابن ماجة ثم مر بي فى آخر النهار فقال ما فعل اسيرك يا اخا بني تميم ، ثم قال ابن القيم وهذا كان هو الحبس على عهد رسول الله (ص) وابي بكر رضي الله عنه ، ولم يكن له محبس معد لحبس الخصوم ، ولكن لما انتشرت الرعية فى زمن عمر بن الخطاب ابتاع بمكة دارا وجعلها سجنا يحبس فيها ، ولهذا تنازع العلماء من اصحاب احمد وغيرهم هل يتخذ الامام حبسا على قولين ، فمن قال لا يتخذ حبسا قال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لخليفته بعده حبس ولكن يعوقه (اي الخصم) بمكان من الامكنة او يقام عليه حافظ وهو الذي يسمى الترسيم او يامر خصمه بملازمته كما فعل النبي (ص) ومن قال له (اي للامام) ان يتخذ حبسا قال قد اشترى عمر بن الخطاب من صفوان بن امية دارا باربعة الاف وجعلها حبسا ، انتهى كلامه .

ويظهر لمن تتبع مجاري الاحوال ان عدم اتخاذ الرسول وخليفته ابي بكر للحبس كان لقلة الحاجة الى ذلك لعدم المخالفين المستحقين للسجن ، لان وجود الرسول وهيبته فى قلوب المومنين كانت صارفة للقوم عن كثرة المخالفة وكذلك الحال فى زمن ابي بكر مع قلة مدة خلافته ، بخلاف الحال فى عهد عمر حيث كثرت الفتوح وارسيت قواعد الخلافة الاسلامية فى كثير من الاقطار ، فقد كانت عادة الصحابة ان لا يتشاوروا فى الاحكام الا للحوادث الجارية وكذلك يقال هنا لم يتخذ عمر السجن الا للحاجة اليه ، وهكذا استمرت الحاجة من بعده ، وشرعت للسجون التشريعات ، ومن ذلك رسالة عمر بن عبد العزيز التي تعتبر عمدة فى هذا الموضوع فقد روى ابو يوسف فى كتاب الخراج الذي وضعه لهرون الرشيد ، عن جعفر بن برقان قال كتب الينا عمر بن عبد العزيز لا تدعن فى سجونكم احدا من

هل يعني المصنف دواء مرض بعينه ام يقصد دواء عاما ينفع جميع الناس .

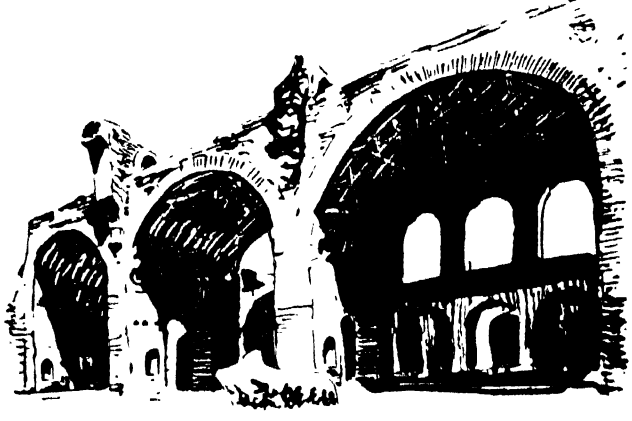
5) قوله ــ البليون بكسر الباء فى امريكا الف مليون . وفى بريطانيا مليون مليون . ولما كان المؤلف امريكيا يحمل كلامه على الاصطلاح الامريكي . اقول ويذكرنا هذا المعنى بقول الشاعر :

لئن كان جسمك جسما لطيفا
ففيك انطوى العالم الاكبر

6) قوله ــ واذا صارت قنوات التوزيع متكاسلة من طول الاستعمال . يريد المصنف ان ذلك التكاسل يكون بعد الخمسين فيشعر الانسان بالضعف شعورا بينا وبعد ذلك يجيء الهرم ، وما بعد الهرم الا الفناء (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون)

7) قوله ــ ففي حالة العدوى الخ . اكثر الناس او كلهم يظنون ان المكروبات لم تكتشف فى زمان العرب ، وانما اكتشفت على يد اطباء أوربيين في العصور المتأخرة . وهذا خطأ كبير ، سببه تأخر المسلمين والعرب واهمالهم لتراث اسلافهم . فقد الف لسان الدين ابن الخطيب السلماني رسالة سماها (مقنعة السائل عن المرض الهائل) وصف فيها الطاعون الذي حدث فى اواسط القرن الثامن الهجري بدأ فى الصين واكتسح أسيا وافريقيا وجزءا كبيرا من اوربا ، قال : ومات بسببه سبعة اعشار سكان الارض . وفى هذه الرسالة وصف ابن الخطيب المعركة التي تقع بين جراثيم المرض المغيرة على الجسم وبين جيش الذرات الساهرة على حراسة الجسم . وهذه الرسالة موجودة فى مكتبة اسكوريال باسبانيا . وقد اخذت صورة فوتوكرافية لهذه الرسالة ونشرت ملخصا منها فى الجزء الاول والثاني من مجلة لسان الدين التي انشأتها فى تطوان سنة 1946 . ولولا خوف الاطالة لنقلت هنا كلام ابن الخطيب بالفاظه .

8) قوله ــ والنظام هو ضد المصادفة على خط مستقيم . فهل يدل ذلك على مدبر عليم حكيم ؟ الجواب نعم واهم دلالة لاتبقي ادنى ريب فى نفس المنصف المفكر السالم من التقليد والتبعية فمن ترك عقله جانبا وزعم ان ذلك كله وقع على سبيل المصادفة ، فهو اما بليد الطبع او مكابر .



بنزيف كاد يفقدها الروح ، ويمكن ان اخبر هنا بنتائج اختباراتي الخاصة ، فقد نفت ادارة الحماية الاسبانية افرادا من اللجنة التنفيذية « لحزب الاصلاح » بشمال المغرب الى السجن الكبير بمدينة سبتة وكنت ضمنهم، ثم لما ردتنا الى تطوان حشرتنا فى سجن واحد مع المجرمين . وان اعطيت لنا بعض البيوت الخاصة هناك للنوم بها ، وقد اطيلت مدة حبسي زيادة على بقية الاخوان فكنت اسال المجرمين عن اعمالهم وكانت جماعة من الاحداث محترفة للسرقات ، وكان محل اقامتهم فى السجن اشبه بمدرسة لتعلم انواع الجرائم ، وحيل السرقات ، وكانوا عارفين بانواع العقوبات يخبر بعضهم بعضا بها ، وبمدتها حسب انواع المسروقات وقيمتها والسوابق عليها ، ومن جملة ما اتذكر ان بعضهم كان لا يسرق من احياء المسلمين . لانه متى قبض عليه هناك صار الى حوزة الباشا ، والباشا كان يضرب السراق ، فكان يسرق من احياء الاوربيين ويقول : انه متى قبضه البوليس اخذوه « للكومسيرية » اي مركز الحراس » فافر بكل ما سرق حينا ، فلم يضرب ، وبهذا نعلم ان التساهل مع المجرمين الى حد كبير ليس فى صالح المجتمع ، ولا فى صالحهم ايضا ، فالحدود زاجرة ، وهذا هو نظر ائمة المسلمين المشبعين بروح الشريعة وقواعدها يقول ابو يوسف فى كتاب « الخراج » مخاطبا « هرون الرشيد » ولو امرت باقامة الحدود لقل اهل الحبس ولخاف الفساق واهل الدعارة ، ولتناهوا عما هم عليه . وانما يكثر اهل الحبس لقلة النظر فى امرهم انما هو حبس ، وليس نظر ، فمر ولاتك جميعا بالنظر فى امر اهل الحبوس فى كل ايام فمن كان عليه ادب ادب واطلق . ومن لم يكن له قضية خلي عنه ، وتقدم اليهم - اي الى عمالك - ان لا يسرفوا فى الادب ، ولا يتجاوزوا بذلك الى ما لا يحل ولا يسع ، فانه بلغني انهم يضربون الرجل فى التهمة ، وفى الجناية الثلاثمائة والمائتين ، واكثر واقل .. مما لا يحل ، ولا يسع . ظهر المومن حمى الا من حق يجب بفجور او قذف او سكر ، او تعزير لأمر اتاه لا يجب فيه الحد ، وليس يضرب فى شيء من ذلك كما بلغني ان ولاتك يضربون . وان رسول الله (ص) نهى عن ضرب المصلين الى ان يقول : (ومعنى الحديث عندنا ، والله اعلم ، انه نهى عن ضربهم من غير ان يجب عليهم حد يستحقون به الضرب ، وهذا الذي بلغني ان ولاتك يعملونه ليس من الحكم والحدود فى شيء .

ثم روى بسنده عن النبي (ص) انه قال : (حد يعمل به فى الارض خير لاهل الارض من ان يمطروا ثلاثين صباحا) .. ثم نقل عدم جواز الشفاعة فى الحدود ، وانها تدرأ بالشبهات ما امكن وان القاعدة العامة هي أن الخطأ فى العفو خير من الخطأ فى العقوبة .

وبعد : فهذه الاجراءات تعتبر نوعا من العلاج لاصلاح المجرمين ، وهناك نوع آخر يعتبر وقاية للناس من ءافات الجرائم والمخالفات والمماطلات . ومن كل انواع الخصومات التي تشغل المحاكم ، وتملأ السجون . وهذه الوقاية هي التربية الدينية الاسلامية الخالصة فالتربية وتقويم اخلاق الشخص تجعل سلوكه مستقيما فلا يعمل ما يستحق به العقوبة والسجن ولا يسعى فى غصب اموال الناس وما شابه ذلك .. وعوضا عن اتخاذ الوعاظ للمجرمين بعد اجرامهم ودخول السجن ينبغي ان تتعاون مختلف الهيئات على ارشاد الناس وتربيتهم تربية دينية قرءانية يعم نفعها ويتأصل فى النفوس خيرها ، وبذلك تتزكى الامة ، ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها والله ولي التوفيق .

المسلمين فى وثاق لا يستطيع ان يصلي قائما ولا يبيتن فى قيد الا رجل مطلوب بدم (اي ارتكب جريمة قتل) واجر عليهم من الصدقة ما يصلحهم فى طعامهم وادامهم والسلام فمر بالتقدير لهم ما يقوتهم فى طعامهم وصير ذلك دراهم تجري عليهم فى كل شهر يدفع ذلك اليهم فانك ان اجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوام والجلاوزة ، وول ذلك رجلا من اهل الخير والصلاح يثبت اسماء من فى السجن ممن تجري عليهم الصدقة وتكون الاسماء عنده ويدفع ذلك اليهم شهرا شهر ويدعو باسم رجل رجل ويدفع ذلك اليه فى يده فمن كان منهم قد اطلق وخلى سبيله رد ما يجري عليه ، ويكون للاجراء عشرة دراهم فى الشهر لكل واحد وليس كل من فى السجن يحتاج الى ان يجرى عليه ، وكسوتهم فى الشتاء قميص وكساء ، وفى الصيف قميص وازار ، ويجري على النساء مثل ذلك . وكسوتهم فى الشتاء قميص ومقنعة (وهي ما نغطي به المراة راسها) وكساء وفى الصيف قميص وازار ومقنعة، انتهى المراد ، وقد نصت رسالة عمر هذه على ان النفقة على المسجونين تكون من الصدقة اي الزكاة الا ان ابا يوسف جعل الانفاق على المسجونين من الصدقة او من بيت المال اي خزينة الدولة العامة متساويا ومخيرا فيه على حسب اجتهاد الامام ، وقد نقل « جرجي زيدان » فى كتابه تاريخ التمدن الاسلامي لائحة تتضمن ما ننفقه بيت المال فى بغداد فى السنين الاولى من خلافة المعتضد العباسي 279هـ من جملتها تخصيص خمسين دينارا فى اليوم الواحد لنفقات المسجون وثمن اقوات المحبوسين هذا بعض ما يتعلق بحالة المسجونين المادية . اما من ناحية بواعث المخالفات واثر الزواجر عنها وهي التي تهم حديث الوعظ الديني فللاسلام نظر خاص فيها حيث يرى ان قلة الجرائم منوطة باعتماده حتى تستريح الامة من ويلات كثرة المخالفين للقوانين وتستريح خزينة الدولة من النفقات الباهظة التي تثقل كاهلها حسبما ياتي عن الامام ابي يوسف .

ولابد من التذكير هنا بان قواعد التشريع الاسلامي التي عمل بها الخلفاء الراشدون ومنهم عمر بن عبد العزيز فى عنفوان الخلافة الاسلامية ؛ ثم من بعدهم هي مستقاة من صميم العدل الذي امر به القرءان ، ومن الاحاديث الثابتة عن رسول الله (ص) فنجد مثلا ان الرسول قال دخلت امراة النار فى هرة اي قطة حبستها فلا هي اطعمتها ولا هي ارسلتها لو تركتها تأكل من خشاش الارض ، اي حشراتها ، فيفهم من الحديث ان من حبس بني آدم الذين كرمهم الله وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا، وسجنهم ومنعهم مما تستلزمه حياتهم من طعام ، وشراب ومسكن صالح لابد ان يعاقبه الله على ظلمه وجوره كما عاقب حابسة الهرة بل هو احق بالعقاب .

هذا اذا كانوا مستحقين للسجن والحبس ، اما اذا لم يكونوا مستحقين لذلك ، فيكونون مظلومين ظلم الحبس بغير حق . وظلم المنع وعدم تقديم ما يلزمهم من الطعام والشراب والكسوة وايوائهم فى مكان صحي صالح .. ويمكن ان تلك التشريعات الاسلامية المتعلقة بالسجون خولفت فى بعض العهود الاسلامية من بعض الظالمين . ولكن قواعدها لا يمكن ان ينكرها مسلم ، وهي سابقة على التفات اوربا لاصلاح السجون ومعاملة اهلها بمدة طويلة تزيد على عشرة قرون .

فمن المعلوم ان اول من وهب حياته وماله للسعي فى اصلاح السجون باوربا هو « جون هاورد » الانجليزي المتوفى فى اواخر القرن الثامن عشر بعد ان اسره قرصان الفرنساويين مع رفاقه وعذبوهم وحرموهم من الخبز والماء مدة 48 ساعة ، وسجنوهم فى احدى المدن وبقوا بها جائعين الى ان القي لهم ذات يوم قطعة من اللحم النيء فتكالبوا عليها نهشا كجياع الذئاب ، فقد كانت فى انكلترا نفسها النساء توضع مع الرجال فى قبو واحد ، ولم تكن لبعض الغرف منافذ للهواء والضوء حتى كانت الحمى تجرف من جموعهم العشرات بعد العشرات وكانت رواتب السجانين والحراس تستوفى من المتهمين والابرياء حتى ان من كان بريئا يرد الى السجن حتى يؤدي واجب السجان ، فبعد ان سعى سنوات فى اصلاح سجون انجلترا ساح باحثا متنقلا . قطع فى رحلاته 42 الف ميل فى مختلف انحاء اوربا ونشر مجلدا ضخما عن احوال السجون، وقد كتب من موسكو انه مات فى المستشفيات العسكرية من جراء القسوة والظلم ما لا يقل عن 70 الف جندي فى سنة واحدة . وقد قر عينا فى آخر حياته بمشاهدة نتائج مساعيه الحميدة ، ولا باس هنا بالاشارة الى انتشار نظرية القصاص فى تخفيف الجرائم ، فان كثيرا من الناس صاروا يرون ان السجون يجب ان تتوفر فيها وسائل الراحة والتسلية وتصبح مدارس علمية ، ومصانع لمختلف الاشغال والانتاج ، ونحن نقول انها بذلك لم تبق زواجر تمنع المنحرفين من ارتكاب الجرائم، ولذلك كثر رواد السجون حتى عدوا بعشرات الالاف فى بعض الامم ، واصيبت ميزانية الدولة بسبب كثرة نفقاتها

جاء فى كتاب تاريخ الديانات العام لصاحبه بيار رهم المطبوع بباريز فى مطبعة ارستيدكيبي ما ترجمته بالحرف : كيف اختلفت عقيدة التثليث ؟ اول من قال بنبوة المسيح يهودي من مدينة طارس يقال له صويل ثم سمى نفسه فيما بعد بولس ومن خبر هذا اليهودي انه كان اعدى عدو للمسيحيين سعى فى الكيد لهم والتنكيل عند ولاة الدولة الرومانية ثم اظهر اعتناق الديانة المسيحية عام 36 للميلاد واخذ يجوب البلدان التابعة للامبراطورية الرومانية آسيا الصغرى والشام واليونان وايطاليا ، بنى مذهبه ودعايته على أن المسيح ابن الله (وهي كلمة لم تصدر عن المسيح قط) وان الرب حل فى جسم المسيح ليفدي البشر مقابل آلام نماسبها والصلب الذي استهدف اليه . فكان من نتائج القول ببنوة المسيح ان وقعت المسيحية في ارتباك لا تزال تتعثر فيه الى الآن منشأ هذا الارتباك عدم وصول الكهنوت الى الاتفاق على نص عقيده يتفق مع القول ببنوة المسيح يشهد لهذا ان الاحبار والاسافقة عقدوا ما لا يقل عن اربعة عشر مجلسا غالبها فى محاولة ايجاد صيغة للعقيدة تدرأ عن المسيحية ما ستهدف اليه من الاعتراضات والخلافات خصوصا من طرف رجال العلم والتفكير امثال ديدرو وفولتير ولون دوني وغيرهم . والى القراء تواريخ المجالس التي عقدت ومعظمها كان لتلك الغاية : المجلس الاول انعقد فى مدينة نيقة سنة 325 ، ثم تلاه مجلس القسطنطينية سنة 381، ثم تتابعت مجالس على اعقاب سنوات : 431 - 451 - 889 - 1128 - 1139 - 1179 - 1215 - 1245 - 1274 - 1391 - 1414 - 1512 - 1545 - 1563 - 1870 ، نقلا عن كتاب تاريخ الديانات العام . وبعد اجهاد القرائح قرر رجال الكهنوت العقيدة المنشودة على الوجه الاتي : نعبد واحدا فى ثلاثة وثلاثة فى واحد من غير جمع بين الاقانيم ولا تفرقة بينها لا نقول ثلاثة ازليون ولكن ازلي واحد ولا نقول ثلاثة قادرون بل قادر واحد على ان الاب فى حد ذاته اله والابن فى حد ذاته اله وروح القدس اله ، لكن لا نقول لنا الهة ثلاث بل اله واحد لان الكنيسة تمنع من القول بانهم ثلاثة وفى هذا الثالوث الثلاثة متساوون فيما بينهم وازليون (انظر صفحة 197) اكل الحكم فى هذا التهافت الى ذوي الالباب اهل التفكير، نعبدواحدافى ثلاثة وثلاثة فى واحدمن غيرجمع بين الاقانيم ولا تفرقة بينها . لا جمع ولا تفرقة فكيف السبيل الى التوفيق بينهما وبينهما بعد المشرقين ، جاء هذا فى مستهل العقيدة وليس اقل منه غرابة ما جاء فى آخرها الذي يقول فى هذا الثالوث الثلاثة متساوون فيما بينهم وازليون .

هذا التهافت وهذا الاستهتار هو الذي دفع الفيلسوف فولتير الى الجهر بكلمته التي سارت بها الركبان وهي اني لا أيأس من أنه سيكون للانسان من الفهم بقدر ما يميز ان الواحد ليس ثلاثة والثلاثة ليست واحدا

وختم المؤلف هذا الفصل بقوله : ان رسائل اليهود وصويل المسمي نفسه فيما بعد بولس صارت مع الايام هي القاعدة التي قامت عليها العقيدة الكاثوليكية ، كون يهودي هو اول من دس القول بنبوة المسيح كما قاله صاحب تاريخ الديانات العام ، يهدينا الى معرفة السر فى تحذير الله للنصارى من دسائس اليهود حيث يقول جل وعلا : قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم (سورة المائدة) .

زاد صاحب كتاب تاريخ الديانات العام يقول " الذي اثبته التاريخ هو ان النصارى اقتبسوا عقيدة التثليث عمن قبلهم من الوثنيين . ولذلك فان عقلاءنا وعلماءنا يتمنون لو وجدوا سبيلا للتفصى من هذه العقيدة ، ولكن اذا انكروها بعد هذه الشهرة الطويلة تبطل ثقة العامة بالنصرانية كلها . وجاء نفس هذا المعنى فى تفسير المنار رواية عن بعض عقلاء الرهبان فى حديث له مع احد العلماء السوريين ، وعقب عليه بقوله " ومن الغريب انهم يعترفون بان عقيدة كهذه لا تعقل الا ان بعضهم يحاول تانيس النفوس لها فضرب لذلك مثلا ، القصد به امكان اجتماع الثلاثة فى الواحد ككون الشمس مركبة من الجرم والنور والحرارة والذات وهي مع ذلك واحدة كما يقول الشيخ ناصيف اليازجي .

كالشمس يظهر جرمها بشعاعها
وبحرها والكل شمس فاعلم

(من تفسير المنار الجزء 6 ص 484) هنا يحق الترحم على روح الامام البوصيري حيث يقول فى همزيته :

ا اله مركب ما سمعنا   باله لذاته اجزاء

الإسلام أمام المبشرين

للأستاذ : أبي العباس احمد التيجاني

سمعت فى منهاج هدى القرءان مقالا للاخ السيد ادريس الكتاني اهاب فيه برجال العلم الى تلافي خطر التبشير واختار المحاضر موضوعا لحديثه فى الرد على المبشرين قوله تعالى : يا اهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له . فاقول من جهتي ان القرءان الذي يقول : « ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا » سلحنا فى هذا الموقف بحجة انصع وبرهان اقطع ، نعم ان القرءان سلحنا بحجة لو طرقت حتى المبشرين وفهموها حق الفهم لظلت اعناقهم لها خاضعين وليئسوا من ترويج بضاعتهم فى الديار الاسلامية فى طولها وعرضها كما يئس الكفار من اصحاب القبور ، هذه الحجة نجدها فى سورة المائدة فى قوله جل ذكره : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام » .

الله اكبر ــ الله اكبر يرحم الله الاعرابي الذي سئل : فيم تجد اشهى اللذات اليك فقال فى حجة تتبختر وباطل يتعثر . الله اكبر ، ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام ، رفع مكانة المسيح اولا بادراجه فى سلك اقرب الناس اليه النبيئين ثم وصفه هو وامه باصدق الاوصاف فى الدلالة على البشرية .

للسائل ان يسأل لم اختير هذا الوصف من بين سائر الاوصاف البشرية لاثبات بشرية المسيح ، الجواب اختير هذا الوصف لانه ذاتي لا قوام للبنية الا به فان الانسان ربما استغنى عن اللباس فى بعض البقاع من الارض ولكنه لا غنى له عن الطعام بحال تحت كل سماء وفوق كل يابسة فتكون النتيجة الحتمية كيف يتصور فى حق من لا يستغني عن الطعام ان يكون ابنا لمن يطعم ولا يطعم لمن لا تأخذه سنة ولا نوم ، ان اكل الطعام تتبعه عملية الهضم وما الى ذلك ومن كان هذا وصفه وهذه حاله لم تبق بينه وبين من يطعم الا صلة العبودية : لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون ، يلاحظ هنا على وجه الاستطراد ان قوله تعالى ولا الملائكة المقربون فيه الدلالة الظاهرة على ان الملائكة اعلى منزلة من الانبياء هذا هو الذي يعطيه بل يقضي به السياق ويحكم به الملكة العربية ، ارجع الان الى الموضوع فاقول : من العجب بل من اعجب العجب ان يوجد اناس مع هذه الحقيقة المتجسمة وهي اتصاف المسيح بما وصفه الله به تغيب عنهم عقولهم الى الحد الذي تجراوا فيه على نسبة البنوة والالوهية للمسيح وباتوا يعكفون على تماثيل لهم .

ليت شعري ما الذي يجول فى خاطر سيدنا عيسى عليه السلام عندما يرى ان وجوده اقترن به غضب الرب الى الحد الذي يقول فيه جل ذكره : لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا ــ يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمان ولدا وما ينبغي للرحمان ان يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آتي الرحمان عبدا ــ هلم الآن نتباحث مع القوم فيما نسبوه للمسيح ملتزمين لهم باننا نقتصر فى الاستدلال على ما كتبه علماؤهم .

نشوء التفكير الفلسفي في الإسلام

للأستاذ : محمد عبد المالك الكتاني

كان الاختلاف السياسي غداة وفاة الرسول عليه السلام حول مسألة الخلافة هو الشرارة الاولى التي انقدح لها الفكر الاسلامي فى الواقع ، وقدر لها بعد ذلك ان توجه التفكير العربي طرائق مختلفة . سيغت على اساسها فيما بعد مذاهب شتى دينية وسياسية ، فقد استحال الاختلاف عند المسلمين من صفته السياسية الى جدل فى العقائد ، واصبحت كل مسكلة اجتماعية كانت ام سياسية تصطبغ بالصبغة الدينية اول ما تصطبغ ، وتتصل – بحكم تغلغل التابر الدبني الجديد – فى بؤرة العقلية العربية بجدورها الدينية اول ما تتصل ، وهكذا يصبح مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، او نفي ابي ذر ، او التحكيم السياسي ، ليس فقط مظهرا لانقلابات اجماعية او سياسية ، وانما هي احداث فى المستوى الديني ايضا ، ولها تبريراتها الدينية ، والواقع انها كذلك ما دام الدين الاسلامي لا يقصر نفوذه على مجال دون آخر ، لقد كانت احداث الخلافة وتطور المجتمع العربى اثر الفتوحات فى سباق مع الزمن كما نشأت مفاهيم مختلفة حول الخلافة انارت جدلا كما انارت معارك ، واتخذت هذه الاختلافات اشكالها السياسية فيما بعد .

كان المسلمون يعيشون هذه الازمة السياسية الدينية من ناحية ، ويفتحون امما وبلادا جديدة ، ويتصلون بحكم هذه الفتوحات بشعوب جديدة تأخذ بعقائد مختلفة من مسيحية ويهودية وغنوصية شرقية، من ناحية اخرى، فقدر لهم ان يواجهوا نوعامن التحدي لتمدنهم بتلك المعتقدات المفلسفة ، والجدل المنطق ذلك فى مستوى اوسع واخطر مما كان يثار على عهد رسول الله صلوات الله عليه ، فالقرءان نفسه اثبت ذلك التحدي القديم فى صيغ معروفة كمسألة القضا ءوالقدر ، والجبر والاختيار ، وطبيعة السيد المسيح عليه السلام ، ومسالة الروح وغير ذلك من المسائل التي تدل دلالة قاطعة ان مناخا من الجدل والتحدي قد عاشه الرسول ، فكان تحديد موقف الاسلام منه نواة التفكير الفلسفي فى الاسلام .

ولقد انطوى هذا التحدي الذي انبثق خاصة من صفوف من اسلموا من يهود ونصارى وصابئة وبراهمة ومانويين على اسلوب خاص ، فكان هؤلاء يعرضون لبعض ما يرونه تناقضا فى ظاهر القرءان بين ءايات تقول بالجبر واخرى تعلن حرية الانسان ، وءايات تنزه الباري تعالى تنزيها مطلقا عن كل تشبيه واخرى تقتضى التجسيد والتجسيم . فكان على الفكر الاسلامي ان يواجه هذا التحدي بالرد على خصومه فى الواقع ، فكان من ذلك جدل عظيم .

من خلال هذا التحدى العنيف الذي واجهه المسلمون ، وذلك الاختلاف السياسى العميق بينهم حول مسألة الخلافة وما نتج عنه من جدل دينى نشأ المعتزلة ليمثلوا الدور التمهيدي لظهور الفلسفة الاسلامية .

ويعزو الاستاذ زهدي حسن جار الله . وهو من الذين بحثوا فى المعتزلة بحثا علميا مستفيضا – يعزو ظهور المعتزلة الى اربعة عوامل مفصلا ذلك الاجمال الذي المعت اليه ، وهذه العوامل كما يلي :

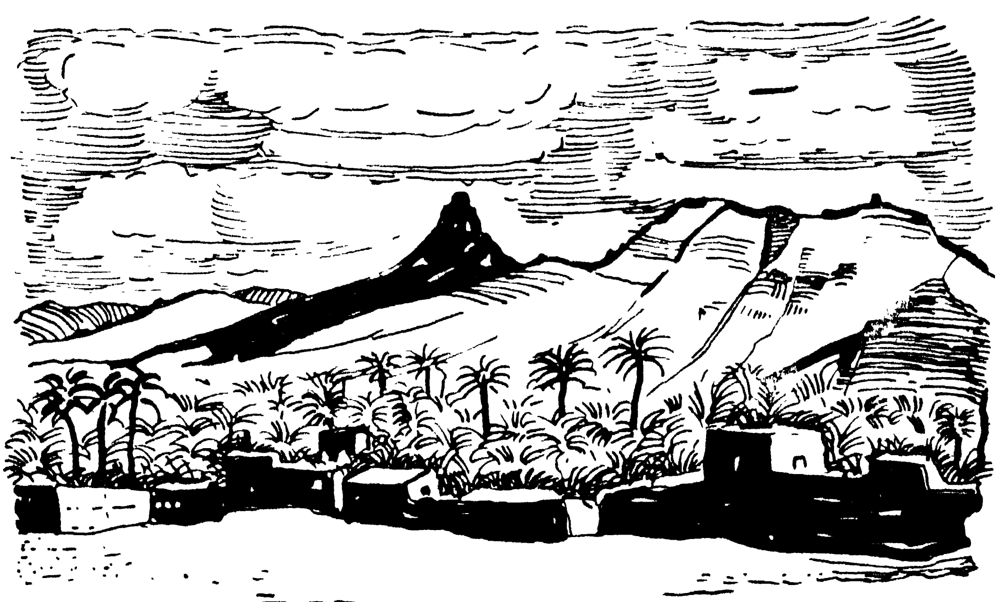
اذكر اني كنت اجتمعت في تيومليلين قاعدة مراكز التبشير في الاطلس برئيس الدير وتجاذبت معه اطراف الحديث في اسلوب نزيه اجابني بمثل ما يقول اليازجي فلاحظت عليه كم كان عدد الاقانيم قبل ولادة المسيح مثلا في عهد نوح وصالح وشعيب وابراهيم ومن جاء بعدهم فسكت مدة ثم لوى راسه وقال : الدين يطالبنا بالايمان والوقوف عند تعاليم الكنيسة بدون بحث ولا تعقل فقلت له في مجاملة : نحن اليوم في عصر انتشر فيه العلم بين الرجال والنساء وعلماؤكم كتبوا في هذا الباب ما لو انتشر بين سائر الاوساط لقوض اركان المسيحية ، فأجابني بان الكنيسة على علم بهذا وهي تقاوم هذه الحركة بنشر لائحات تبين فيها الكتب التي لا تحل قراءتها فامسكت عن الحديث بعد ان تذكرت قول البوصيري :

واذا ضلت العقول على علـــم فماذا تقوله النصحاء

وفي معناه قول النبهاني :

ليس لي حيلة بتفهيم اعمى كنه شيء خصت به البصراء

بهذه المناسبة يلذ لي أن اتحف القراء بسرد قصة ساقها صاحب كتاب اظهار الحق ، وهي ان رجلين تنصرا على يد قسيس لقنهما العقيدة ثم بعد مضي ايام اراد القسيس ان يختبر الرجلين ليرى مقدار تمكن العقيدة منهما فسأل احدهما فكان الجواب : علمتني يا ابي ان الالهة كانوا ثلاثة فصلب واحد منهم فبقي اثنان ، فاستشاط القسيس غضبا وطرد الرجل ثم جاء الثاني وسأله فاجاب يا سيدي حفظت ما لقنتني وفهمته ببركة المسيح ان الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة فصلب واحد منهم ومات فتبعه الاثنان لان الثلاثة كانوا متحدين ومات الجميع ولا اله لنا الآن والا يلزم نفي الاتحاد بينهم المتمثل في الشمس على حد ما يقول الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني .



من خلال ذلك كلـه يتضح ان المعتزلة عملوا فى ناحيتيـن :

اولاهما : انهم توسطوا بين تطرف الخـوارج وتطرف الشيعة فى مسألة الخلافة فخلقوا جبهة الحياد

وثانيتهما : انهم دافعوا عن عقائد الدين الاسلامي دفاعا يستند الى العقل فى وقت كان الدفاع عن العقيدة الاسلامية بمجرد النصوص امرا لا غناء فيه ، لان الآراء الفلسفية والمعتقدات الدخيلـة كانت قـد تغلغلت فى صميم الاعتقاد الشعبي مما حدا بالمعتزلـة اول الامـر ان يجعلوا من اول غاياتهم تطهير فكرة التوحيد مـن كل تشويه قد علق بها ، ثم بناء فكرة جديدة لمسألـة العدل الالهي كفيلة بان تعيد التوازن النفسي والاخلاقي الذي كاد يقضي عليه انتشار الروح الجبرية والسلبيه فى المجتمع الاسلامي ، ولهذا نراهم سموا انفسهم اهل العدل والتوحيد ، يقول الخياط فى « الانتصار » : « ان المعتزلة هم وحدهم المعنيون بالتوحيد والذب عنه من بين العالميـن) ومن الانصاف لهم حقا ان نعتـرف بذلك ، فقد دافعوا عن اقدس فكرة جاء بها الاسلام ، وهى تنزيه الله تعالى عن كل تجسيد او تشبيـه ، غير ان هذا الدفاع اقتضاهم ان يذهبوا بعيدا عـن الفكرة التي دافعوا عنها ليعطوا مفهومـات جديـدة للصفات الالهية ، وليسوغوا بناء فلسفيا مستمدا من الفلسفة اليونانية يتناول قضايا عميقة كالوجود والعدم والجوهر والعرض والحركة والسكون ، وهذا مـا يحده عليهم خصومهم ، اي انهم فلسفوا عقيدة الاسلام الالهية متأثرين « بالمتشابـن » فتحدوا ظاهر الآيات القرءانية احيانا ، وضيقوا من نطاق المفهوم المطلـق للارادة الالهية من ناحية ، ووسعوا من نطاق المفهـوم السائع للذات الالهية حتى تتلاشى كل الطفيليـات التي علقت باذهان الناس عن التجسيد والتي وجدت فى حضن بعض التفاسير الحرفية لآيات القرءان غذاءها لا سيما عند المدرسة الحنبلية ، ولبيان ذلك نقول : ان المعتزلة وجدوا فى القرءان آيات تدل على التنزيـه كل التنزيه لذات البارى تعالى : (ليس كمثله شيء) وآيات اخرى تدل فى ظاهرها على التجسيم ، او بعض مقتضيات التجسيم كالجهات نحـو قوله تعالـى : « ثم استوى على العرش » او قوله تعالى (فاينمـا تولوا فثم وجه الله) فوقفوا ازاء هذه الآيات موقفـا جديدا يغاير ما كان عليه السلف مـن الاخذ بظاهرها والايمان بمقتضى ذلك ايمانا اجماليا والامسـاك عـن شرحها او مناقشتها بل والتحرج من تأويلها ، وكـان مبعث ذلك عند المعتزلة ارضاء العقل ، والخروج مـن التناقض الظاهر بين مداليل الآيات ، ولم يجدوا مـن سبيل الى ذلك غير التأويل فاعتبروا أن آيات التنزيه هي الاساس الصحيح لعقيدة التوحيد ، وان غيرها من الآيات انما ينبغي أن يحمل على ما هو صريح ومجمـع عليه ، ومقبول فى حظيرة العقل ، وهكذا وضعوا تحليلا فلسفيا لفكرة التنزيه كما يتصورها العقل ، او بعبارة اخرى استقصوا بطريقة عقلية جميـع مقتضيـات التجسيم والتشبيه فنفوها عن الله وكان مما جاء فى ذلك قولهم : (ان الله واحد ليس كمثله شيء ، وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ، ولا جوهـر ولا عرض ولا عمـق ، ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض ، ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ، ولا يوصف بانه متناه ، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب فى الجهات، ولا تحيط به الاقدار ، ولا تدركه الحواس) .

والواقع ان نفي هذه الصفات على هذا النحـو لم يات اعتباطا ، وانما وضع كذلك للرد على جميـع المذاهب والاراء التي كانت شائعة فى القرنين الثانـي والثالث عن الذات الالهية، دخيلة من فلسفات وعقائد اجنبية عن الاسلام ، فهي ترد فى بعض اجزائها على الرافضـة التي قالت بان الله ذو هيئة وصورة ، وله من الصفات ما تقتضيه هذه الهيئة من سكون وحركة وتنقل ، وهي ترد على المشبهة التي زعمت ان الله يشبه الخلـق فى الاحساس والتفكير والارادة محتجين ببعض الآيات ، متمسكين بظاهرها بينما القرآن يقول (واما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله) وهي ترد علـى نظرية المثـل الافلاطونيـة القائلة بان الله انشأ الخلق على صورته ، وترد اخيرا على النصارى القائلين بالاقانيم الثلاثـة .

وسنعرض فيما بعد للنظريات الاساسية الكبرى التي يدور عليها محور الكلام عند المعتزلة ، والتـي ذهبـوا فى الاختلاف حولها الى ابعـد الحدود .

— يتبـع —

اولها : السعي وراء حل مشاكل الاختلاف بين المسلمين ، ذلك الاختلاف السياسي المعروف والذي اثار اهتمام المسلمين خاصة الى ما اعتبروه « مجرمي الامة » كقتلة علي وعثمان ، والواقع ان مجتمعا كالمجتمع العربي اذ ذاك لا مناص له من التفكير في عواقب تلك الفتن السوداء من الوجهة الدينية ، وهكذا ظهرت مشكلة ارتكاب الكبيرة ، فكان لاهل السنة فيها راي ، وكان للخوارج رأي ثان ، وللمرجئة راي ثالث ، واستفاض الجدل حول هذه المشكلة في كل مكان ، فكانت هناك حلقات يشتد فيها الجدل ويطول، وهنا نروي القصة التالية كما يذكرها المؤرخون:

(دخل احدهم على الحسن البصري وهو يدرس في مسجد بالبصرة فقال « يا امام الدين ، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون اصحاب الكبائر ، والكبيره عندهم كفر يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون اصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان ، بل ان العمل على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ، ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الامة ، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا .. ؟ » ففكر الحسن البصري وقبل ان يجيب قال واصل بن عطاء: «انا لا اقول ان صاحب الكبيره مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق ، بل هو في منزلة بين المنزلتين » . ثم قام واصل بن عطاء ، واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد ، فقال الحسن البصري : « اعتزل عنا واصل » فسمي اصحابه معتزلة .. » .

ومما لا شك فيه ان القول بالمنزلة بين المنزلتين كان محاولة اتخاذ حل وسط بين راي يجعل الكبيرة لا تخرج من الايمان وآخر يجعلها تخرج بصاحبها من الايمان ، والواقع ان هذا الموقف لم يأت بجديد من الوجهة السياسية بقدر ما اثار من المشاكل العقلية فيما بعد .

ثانيها : التأثر بالديانات والعقائد الاجنبية . ويفسر ذلك كون المعتزلة انفسهم تأثروا باللاهوت المسيحي خاصة ايام الدولة الاموية التي قربت المسيحيين ، وقد كان من اكبر متكلمي اللاهوت المسيحي يحيى الدمشقي الذي كان يشترك مع المسلمين في المناظرات ، والف رسائل عديدة وجدت صداها في آراء المعتزلة فيما بعد ، وقد كان تلميذه ابو قرة ثيودور يتصل هو الآخر بأهل الكلام من المسلمين ، وهذا راي يرتكز عليه معظم المستشرقين ، ونحن وان كنا لا نلح عليه كثيرا في تعليل وجود شبه بين آراء المعتزلة وبعض اراء يحيى الدمشقي وغيره من المسيحيين ، فاننا نعتبر مجرد تأثر علماء الكلام المسلمين الاول بالآراء المسيحية واليهودية مسألة ثابتة من الوجهة التاريخية والنقدية ، فمسألة القول بخلق القرآن تنتهي الى اصل يهودي كما اشار الى ذلك ابن الاثير الخطيب البغدادي وابن قتيبة، والواقع انه ليس مما يتطرق اليه الشك ان المعتزلة في منشئهم تأثروا بطائفتين كانتا قد تأثرتا او قل كانتا قد استقتا آراءهما من اللاهوت المسيحي وبعض المذاهب اليهودية، وهما القدرية والجهمية ، وهما حركتان سبقتا ظهور المعتزلة اما القدرية فنفت الجبر عن الانسان ، واثبتت للانسان قدرة على افعاله ، واما الجهمية نسبة الى جهم ابن صفوان ــ فقد قالت بخلق القرآن وانكار الرؤية ، وقدرة العقل على الوصول الى المعرفة دون اعتماده على الشرع .

ثالثها : الدفاع عن الدين الاسلامي ، فقد شعر المعتزلة بخطورة تسرب العقائد الفاسده ، خاصة من اولئك الذين يتظاهرون بالاسلام ، وهم يعملون في الخفاء على تقويضه ، والقضاء على سلطانه ، وها هي كتب المعتزلة وكبار متكلميها تشهد على انهم وقفوا حياتهم للرد على المانوية والرافضة والجبريه والدهريه وسائر المجوس ، فهذا واصل بن عطاء راسهم ، تحكى عنه زوجته انه كان يقضي ليلته بين صلاة ، وكتابة للرد على دعاة الالحاد والمذاهب الضالة ، وهذا ابو الهذيل العلاف يؤلف ما ينيف على ستين كتابا في الرد على المجوس ، وقد يعترض معترض في هذا الباب قائلا : كيف يجتمع ان المعتزلة يدافعون عن الاسلام ، وهم متأثرون بالعقائد واللاهوت المسيحي مثلا كما تقدم ، والجواب ان هذا التأثر باللاهوت المسيحي على الاخص انما جاءهم من التأثر بالفلسفه اليونانية التي صيغ اللاهوت المسيحي في قالبها وسيتضح ذلك فيما يلي :

رابعا : التأثر بالفلسفة اليونانية ، فان المعتزلة لما انبروا للرد على خصومهم من ذوي الجدل ادركوا ان الاقتصار على الادلة النقلية لا يكفي لاقناع غير المؤمنين بها ، فاخذوا بالمنطق اليوناني ، واضطروا لدراسة الفلسفة اليونانية والتعمق فيها ، فتأثروا بها قبل غيرهم ، واعتمدوا على العقل في اظهار ما في الشرع من حقائق ، فكانوا اول من رادوا الطريق للتوفيق بين معطيات العقل وعقائد الدين .

ثم بدت تباشير الصباح ، ودب الوعي فى العظام النخرة ، وهب شيوخ مخلصون ، ينادون بالاصلاح الشامل ، وبالاسراع فى الخطى ، وبحمل مشعل العلم والتطور ، لينير للاجيال الصاعدة كما كان فى الماضي البعيد ، ولكن البقية الباقية من آثار المستعمر البغيض اوحت الى اولي الامر بالتريث، وبتكتيل الجهود للقضاء على آخر اثر له ، وقد كان ..

* * *

فنحن الآن نتصرف بوحي من ضمائرنا ، ومن مصالحنا ، لا يملي علينا احد رأيه ، ولا يفرض علينا ارادته ، تسيطر علينا قوة من انفسنا ، فلقد مضى وولى عهد الظلام ولن يعود ، وظهرت جامعاتنا العتيقة بجلالها وبهائها على مسرح الحياة ، تريد أن تأخذ مكانها، تطلب الاسراع والتقدم والالتحاق بالقافلة، مع الاحتفاظ بطابعها ومكانتها ، ولقد كثر الاهتمام بامر هذه الجامعات ، واصبح الواجب يحتم علينا ان نختار لها طريقا يعيد اليها مجدها وعزها ، فتحمل المسؤولية كاملة كما كانت من قبل .

وليس من طبيعة ديننا الاقتصار على الروحية وحدها ، فلقد جمع بينها وبين المادية التي تصلح للمرء فى معاشه ومعاده ، وجمعت جامعاتنا الاسلامية بين هذا وذاك ، وذكر المؤرخون ان الطب والرياضة والتنجيم والجغرافيا والتاريخ كان ضمن العلوم التي تدرسها تلك الجامعـات .

« زار الرحالة البلجيكي (كليتار) فاس مدينة العلم والنور عام 948 ه ، وتحدث عن جامعتها الخالدة ، واسترسل فى الحديث عن اساتذتها وطلابها ، وتطرق الى الحديث عن العلوم التي تدرس بها فى ذلك الوقت ، فزيادة على العلوم الدينية وفروعها ، والعربية ببلاغتها ومنطقها وفقهها ، كان يدرس الطب وانواع الرياضيات والجغرافيا والتاريخ » .

وعلماؤنا معروفون فى العالم اجمع ، والاف المخطوطات تشهد بهذا الفضل العظيم .

* * *

فالاساس اذا فى حياتنا الفكرية والعلمية موجود ، فسح لنا ان نتلون بلون آخر من انواع الثقافات ، ان ندع شخصيتنا تتحلل فى غيرها ، متعللين بعلل واهية كبيت العنكبوت ، مستمدة من الضعف والقصور — احيانا — فى التفكير السليم فنظهر امام العالم فى صورة مهزوزة هزيلـة .

واذا كنا قد تأخرنا قليلا عن التكامل العلمي والثقافي ، فلن يمنعنا ذلك من الاستفادة بما وصل اليه الشرق والغرب مع الاحتفاظ بلغتنا وقومتينا فنعض عليهما بالنواجذ .

* * *

ان اول خطوة يجب البدء فيها هي العمل على توحيد مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي فلا يكون هناك تعليم ديني ، وآخر مدني ، ولا غير ذلك من الانواع التي تشتت الجمع ، وتنوع الاتجاه ، وتزيد من الخلافات بل تدمج هذه الانواع فى اطار تعليم عام ، بجعل نواة لتعليم عربي شامل ، يعني فيه بماده الدين عناية مستمدة من تقاليدنا وتراثنا ، فتكون مادة اساسية يمتحن فيها الطالب امتحانا تحريريا وشفويا ، وتعطي اهمية للتوجيه الديني ، حتى نبتعد بابنائنا عن الانحرافات ، وخاصة فى طور المراهقة ، فنتجنب الجنوح الذي وقع فيه صبيان وشباب الدول التي قطعت شوطا بعيدا فى الميدان الثقافي ، وافلس علماء التربية والنفس فى معالجة هؤلاء الصغار معالجة كاملة ، فرصدت المليارات لهذا الغرض ، حتى يتجنبوا الهوة السحيقة التي يتردى فيها الشباب ، وتوجيهنا الديني فيه من الرصانة والقوة والمقدرة ما يقضي على هذا الانحلال .

وكذلك تجب العناية الكاملة بلغتنا القومية ، واختيار الكتب النافعة المفيدة ، ويكون ذلك بالاطلاع على التغيير المنهجي الذي يطرا كل عام جريا فى البحث عن كيفية الاستفادة الصحيحة من اللغة ، وخاصة فى البلاد التي قطعت شوطا فى التبسيط وحذف الزائد ، ولا يصح أن نقف مكتوفي الايدي امام كتاب كالنحو الواضح ، كتاب جفت قواعده ، وسمجت طريقته ، فلا هو قديم فيحمد ، ولا جديد فيفيد فائدة كاملة ، لقد كان هذا الكتاب يدرس فى الشرق منذ اكثر من ربع قرن ، وظهرت بعده كتب عديدة جديدة فى مادتها وطريقتها ادعى لان تؤخذ بعين الاعتبار ، فلقد اصبحت القواعد — وخاصة مرحلة التكوين الاولى تدرس على انها وسيلة لا غاية .

رحاب بجامعاتنا الدينية

للاستاذ : ابراهيم الجمل

جامعاتنا الدينية ـ حفظها الله وابقاها ـ كانت ولا تزال حصن اللغة ، ولسان القومية ، ومنبع الحرية، لم ينل منها كر الليالي والايام ، فظلت متينة الاساس ، رفيعة العماد ، شامخة البنيان ، منذ اكثر من الف سنة ، عالية مرموقة ، فيوم ان كانت بلاد العالم تسبح فى ظلمات الجهل ، تتلهف لبصيص من نورها الساطع، كانت الركبان تتحدث عن علمائنا العباقرة ، وكانت كتبهم منتشرة بالمواد المختلفة فى كل مكان ، وكانت اوروبا نحت ابناءها للاغتراف من منهلها العذب .

* * *

لم تزعزعها الحوادث التي تدمي القلب ، والاعاصير التي تهب عليها من مختلف الجهات . فبقيت صامدة مع الزمن ، لم تضعف ، تكافح وتنتصر، متمسكة بالحق والنور ، تضيء للبشرية طريق العلم والعرفان .

حاربت المستبد والظالم ، ووقفت فى وجه الدخيل والمغتصب ، فتكسرت حرابه على صخرة جبروتها ، وانهزم امام قوتها ، فكانت قلعة محصنة ، تصد كل محاولات السيطرة والتحكم والاستعباد .

* * *

حمت الدين الحنيف ، وحرست اللغة العريقة ، ولعبت دورا فعالا فى التاريخ ، فغيرت معالمه ، وحملت على اكتافها معولا تهدم به الجهل ، ووضعت الاسس الاولى للتعليم ، وللنظم الجامعية بتقاليدها العلمية ، وتجاربها الفكرية ، فكانت المناظرات تعقد فى ارجائها الفسيحة ، والمنتديات حافلة بشتى العلوم وكانت المطارحات والمناقشات تقام فى جو علمي ، مزدان بالعقول النيرة ، والنفوس الزكية ، تحف بها المحبة والاخاء والتواضع المحبب الى النفس ، فانبعث من قلبها نور الايمان ، وامتد شعاعه الى جميع ارجاء الغبراء .

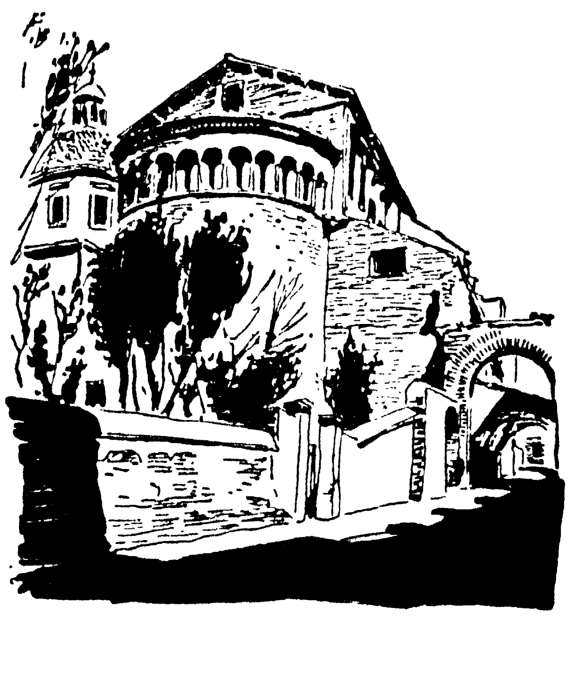
* * *

ثم مرت بالبلاد فترة من الظلام ، والانحلال الفكري ، وحوربت تلك الجامعات من طرف عدو لا يرحم، استبد بالبلاد والعباد، ولم نستطع ان تقف امام طغيانه ، فانكمشت على نفسها ، وتحفظت فى جميع خطواتها وحرصت على ما بقي فى يدها ، فلم تتزحزح ولم تتحرك ، وتحصنت فى محيط ضيق ، ترشد الناس فى السر والعلانية الى الطريق القويم بنورها الخافت الذي حاول المستعمر ان يطفئه الى الابد ، فمنعته يد القدر الغالب ، بفضل الصلة الروحية التي جمعت الناس حولها ، وبفضل رجال اقوياء فى عقيدتهم وفى ايمانهم ، وهبوا انفسهم لمبدأ سماوي يحمل فكرة سامية ، فبذلوا النفس والنفيس فى سبيل الحرية باجل معانيها ، فحمسوا الخلق ، ووجهوهم لطريق الحياة الصحيح ، فكانوا معلميه وموجهيه ومرشديه ادوا الواجب عليهم ابتغاء مرضاة الله ، وعاشوا مع البؤس والفقر يرشدون المسلمين الى طريق الدين والقومية ، وكانت لهم مواقف محمودة ، لم يتخلوا عنها ـ جزاهم الله خيرا ـ لحظة واحدة .

لقد كان الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه يتمنى ان تكون جامعاتنا الدينية نواة لجامعة حديثة ، تجمع بين الحياة الاسلامية الحقيقية بعلمها ومعرفتها ، وبين الحياة الحديثة بفنونها ومخترعاتها ، وجاهد في سبيل دعوته ، ولكن امله لم يتحقق حينئذ في الشرق ، وعاجلته المنية رحمه الله ، ولم تمت دعوته، فقد حملها ابناء بررة مخلصون ، وازدهرت واثمرت فى المغرب الاسلامي ، وهم من الكثرة والمحبة والاخلاص لرائدهم الامام ، ما يجعلهم يبذلون الجهد راضين ، لتحقيق رغبة صادقة ، ولبناء جامعة فريدة ، مراعين خطوات الشيخ ، حتى نقوم ببعض الوفاء المنهج الاصلاحي الذي تمنى الامام تنفيذه ، وحتى تقر عينه فى منامته ، فيرى نفسه ملاكا ، كما كان يتمنى فى حياته حينما تتحقق دعوته .

* * *

ليس امامنا الا العمل والعمل المتواصل « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ».



هذا بجانب العناية بالمواد الاخرى المختلفة ، مع اختيار لغة اجنبية او اكثر تبدا دراستها بعد الحصول على الشهادة الابتدائية العربية ، ويلاحظ فى هـــذا الاختيار ان تكون من اللغات التي تكثر فيها الابحـاث العلميـة الحديثـة .

* * *

ان نهضتنا المتوثبة ، ووعينا المتحفز ، يتطلب منا تأسيس كليات عمليـة ، بجانب الكليات النظريـة ، والاستعانة بكل من يمد يد المعونة والمساعدة ، وتوحيد الجهود فى فاس ومراكش وتارودانت لتكوين جامعـة عالية واحدة ، تكتل فيها الجهود مجتمعـة متعاونة ، لتكون نواة لتنشئة جيل جديـد ، يدرس كتب السلف والعلماء الاولين ، ويترك الكتب التي الفت فى عصـر الحواشي والتقارير ، فبعدت عـن المفيـد ، واهتمت باللفظ وحارت ودارت حول نفسها فى محيط ضيق ، وليس هناك من فائدة سوى ان نلف وندور فيه ، فلا نصل الى نتيجة تعود علينا بالنافع المفيد ، ويهتم ايضا بدراسة التشريع الاسلامي ، والتشريعات الاخـرى ، والمقارنة بين المذاهب الفقهية ، واستنباط قواعــد الاصول منها ، وكذلك يهتم بدراسة الملل والنحل ، مع تكوين كليات عملية ، يجعل للدين واللغة فيها نصيب حتى يتمكن الخريجون من اداء واجبهم الديني بجانب العمل الذي تخصصوا فيه ، فيقبلون مخلصين لخدمة دينهم ووطنهم .

* * *

واذا كان هناك من يرى ان حفظ القرآن الكريم واجب سماوي ، فعلينا ان نرعى هذه الرغبة الكريمة، وان نعمل على صيانتها ، فنهيء لاطفالنا المكان الصحي والجلسة المريحة ، ونبحث عن الطريقة المثلى فى كيفية الدراسة والحفظ ، كما نعنى بالسادة القائمين بامـر التحفيظ ، فنهيء لهم عيشة وتوجيها احسن مما هـم فيه الآن ، واذا سمحت الظروف ننشيء معهدا لدراسة القراءات ومذاهبها وشيوخها على غرار ما انشيء فى الشـرق .

ان الصلة بين جامعات الشـرق الاسلامـي ، وجامعات المغرب ليست بمستحدثة ، بل قديمة قدم الاسلام ، فعلينا ان نقوي هذه الصلة ، بارسال البعثات الكثيرة العدد ، ومحاولة الاستفادة منهم عند رجوعهم بتعيينهم فى المواد التي تخصصوا فيهـا ، وتبــادل الاساتذة والفنيين بجانب دراسة المناهج وما جد فيها واخذ الصالح لنا منها ، وترقب كل جديد فى المحيط العلمي والدنـي .

* * *

وان فى عنقنا امانة عظمى ينبغـي الا نغفل عنها ، والا ننساها ، تلك هي الوثبـة الجديدة فى افريقية ، واتجاه بعض الدول الى اللغة العربية ، والى الديـن الاسلامي ، فلنسارع الى اجابة طلب اخواننا الافارقة . فنمدهم بدعاة مخلصين وهبوا انفسهم لله ابتغـاء مرضاته ، ليقطعوا الاحراش، ويسلكوا الجبال لينشروا دعوة الاسلام من جديد ، وليقوموا بتعليم اللغة العربية، وحبذا لو تكونت لجنة من الوزارات التي تعنى بشؤون الدين والجامعات الاسلامية لاختيار بعض الخريجين . وتكوينهم تكوينا يتفق واداء مهمتهم التي هي من صميم الرسالة الاولى لجامعاتنـا الاسلاميـة .

* * *

ان العمل المنتج يتطلب تضامنـا وتضحيـة . والتضحية تظهر فى انكار الذات ، ووضع المصلحـة العامة نصب اعيننا ، فنفسح الطريق امـام الكفاءات والخبرات ، حتى نستفيد منهـا ، مستمدين حياتنـا ومعاملاتنا من دستور الاخلاق الاسلامية ، ولنتذكـر دائما قيادة اسامة بن زيد رضي الله عنه ، وتامير النبي عليه الصلاة والسلام له قبيل وفاته مـع صغر سنه ، وسير كبار الصحابة فى ركابه ، وفيهم من هو اولـى منه بالقيادة والامارة ، ولكن المصطفى عليه السلام اراد ان يعلمنا التعاون والطاعة والتسامح والتضحية .

نفائس اعماركم من تكديس المال واقتناء العقار فلربما كان ما تبقى من عمركم غير متسع للاستماع بما اكتسبتم فلن تترددوا فى الجواب قائلين فى صراحة : ان رغبتنا فى اسعاد اولادنا بالمال ولو بعد مماتنا ، لا تقل – ان لم ترب – عن الرغبة فى اسعاد انفسنا نحن بما استفدناه من الثروة .

ايها الآباء والامهات الشفقاء ، ارايتم لو فرضنا ان فريقا من الآباء خلفوا لاولادهم القناطير المقنطرة من الاموال والكراع ، وورثوهم كل شيء يعتقدون انه من مرافق العيش وعوامل الترف ومهدوا لهم جميع السبل التي تنهال منها عليهم كل اضرب الماديات ووضعوا فى ايديهم مفاتيح مراتع الشهوات وكانوا مع ذلك لا يقيمون وزنا لصالح او فساد فطرهم ، ولا يهمهم ان نشأوا نشأة صالحة او طالحة ولا يبالون بما اذا تربوا على حب الانانية والاثرة والتخلق باخلاق الكبرياء ورذيلة العجب والرياء والنظر الى الغير نظرة احتقار وازدراء ، وهم مع ذلك دائبون فى تلبية رغباتهم الحيوانية وارضاء شهوانهم الشيطانية بفضل ما اكتسبه لهم آباؤهم من مال ويسروا لهم من السبل ، ... فرضنا ان بجانب هذا الفريق من الآباء فريقا آخر رأى ان السعادة على هذا الشكل – انما هي سعادة سريعة فهي ظل زائل ومتاع قليل بل هي طريق الشقاوة الدائمة ، والنكد المؤبد . فليس من شفقة الآباء ان ... روا بها اولادهم ، ويستدرجوا عليها اكبادهم . ... فاقتضى سديد نظرهم ان ينتجعوا لاولادهم السعادة الحقيقية المثلى، سعادة لا تعقبها شقاوة ولا يكدر صفوها ... دائمة ، فسلكوا فى تربية ابنائهم مسلكا حكيما وربوهم ... ة صالحة ووجهوهم توجيها مستقيما وابقوا ... فطرهم النقية ، وحافظوا على مقومانهم الانسانية ... د احكموا الحراسة من ان تتسرب اليهم جراثيم ... ساد ، ومكروبات تدنيس الطباع ، ووقوه من تأثير ... ء السوء ورشحوه للمحافظة على اداء واجباته ... نية وانشأوه على حسن السلوك مع اقاربه وجيرانه ... اس اجمعين وزرعوا فى قلبه بذور حب الخير وفعله ... ووطنه والتضحية لانقاذهما والذوذعنهما وزينوا ... سه النفع لاخوانه وبني جلدته واحترام حقوق ... وكرهوا اليه رذيلة الحسد والانانية والاثرة ... رياء والعجب وغمط حقوق الناس وسائر ... ساوىء .

انظروا بعيون البصيرة ايها الآباء اي الفريقين احسن لاولادهم نفعا واقرب رحما ، ايها الآباء والامهات لكم ان تعتقدوا انه بحسب اولادكم ان يستفتحوا ابواب العيش المادي اذا حملوا شهادات علمية وكرعوا من مناهل الثقافة والعرفان وقد فتح فى وجوههم ابواب الوظائف ، وصاروا من ذوي المقدرة على تنمية المال واكتسابه بالاساليب التجارية والصناعية او الفلاحية وامسكوا بناصية المادة ، ولكم ايها الآباء ان تعتقدوا انهم سيكونون فى بحبوحة من العيش المادي واضرب من الترفه ولمعلميهم واساتذتهم فى المدارس ان يشاطروكم فى اعتقادكم ذلك ، غير انه ليس لهم وليس لكم ان تعتقدوا انه كان ذلك ايضا سد بينهم وبين التعاسة واضرب الشقاء والعيش النكد ، وانهم ولجوا بابي حظبرة الهناء والسعادة الى الابد .

ولا نخال معلمي اولائك الاولاد واساتذتهم فيما لقنوهم من المعلومات الجافة التي لا صلة بينها وبين ترقية النفس وتهذيبها وفيما ساعدوهم على حمل الشهادات الرسمية ولا نخالهم الا كمن ساعدوا اللصوص على اساليب الاحتيال ومكنوهم من الاسلحة للسطو والاستيلاء على اموال الناس ، الا اذا زودوهم برصيد من التربية المثلى ، ودربوهم على مكارم الاخلاق وساعدوهم فى تنمية كيانهم المعنوي وعلموهم بسلوكهم اولا باقوالهم ثانيا كيف يحافظون على واجباتهم الدينية وحموا فطرهم الطاهرة من التدنيس والتنجس بالافكار الالحادية ومن التوجيهات الاستعمارية تلكم التوجيهات التي لا تلو جهدا فى صرف اولادنا عن قوميتهم ولغتهم وعن دينهم الذي هو منبت عزمهم واكليل مجدهم وطريق سؤددهم ، تلكم التوجيهات الاستعمارية التي لا يريد لنا من ورائها الاستعمار الا المسخ حتى لا نفتر عن التسبيح بحمده ولا نعترف بمجد غير مجده ويسره ان نقطع كل صلة بشرف ماضينا ونجعل من انفسنا – ان رضى – اذنابا له او نشكل قطعا من حيوانات الغاب التي لا صلة بينها تربطها ولا علاقة تجمعها حتى يسهل عليه اصطيادنا بسهولة واطمئنان متى شاء وكيف اراد لا نقوى على رد عواديه ولا درء كيده اللهم تدارك الامة المحمدية بعنايتك ولطفك .

تربية النشء

للأستاذ
أحمد بن محمد الزيتوني

جـاء في حديث صحيح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال :

كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه ، او ينصرانه ، او يمجسانه .

راينا بمناسبة افتتاح السنة الدراسية انه من الخير نشر حديث يتعلق بتربية النشء ، ذلكم النشء الذي سيكون منه الآباء وامهات الغد . ذلك النشء الذي تعلق عليه الامة الآمال الطويلة العريضة في الاخذ بيدها واصلاح دينها ودنياها وانتشالها من كبوتها والسير بها قدما نحو استرجاعها على اريكة المجد والسؤدد .

لقد قرر الرسول الكريم في هذا الحديث الشريف ان تربية الصغار هي من السهولة بمكان اذ كل مولود قد خلقه الله على الفطرة النقية التي لا يشوبها اي كدر يحتاج في تنقيته وتطهيره الى بذل مجهود ما . ومعنى هذا ان المواليد خلقوا على استعداد تام لقبول كل خير وقد رشحتهم الارادة الربانية للسير على الصراط السوي ، ما لم يصدهم عنها دعاة الزيغ والانحراف وابالسة الوساوس والارجاف ، فما على الابوين سوى شدة التيقظ في الحراسة والمحافظة على تلك الفطرة الطاهرة الزكية والابقاء عليها حتى لا يتسرب اليها من طفيليات المساوي وما يكدر رونقها او يعكر صفاءها او يحول زلالها رنقا ، واعطائهم فرصة تمكنهم من الايمان بدينهم وبقوميتهم وبسالف امجادهم

ان مغربنا اليوم لفي احوج الظروف الى اعداد جيل الغد وتحويله رصيدا جيدا لبناء صرح المجتمع المغربي العظيم السالم من عوامل الانحلال ، وطيد الاركان شامل البنيان ، لقد كان من السهل على الابوين – وقد القيت عليهما المسؤولية الاولى من الله ومن الامة – ان يأخذا – لو شاءا – بيد هذه الامة وينعشاها من امراض الانحلال وادواء التفسخ ، وذلك بصرف الاعتناء الى تربية اولادهم ، الامر الذي جعله الله امانة طوق بها اعناق جميع الآباء وهم سيسألون عنها غدا امام الملك الديان .

في امكان الآباء والامهات – لو شاءوا – ان يكونوا النشء تكوينا صالحا وان يربوهم تربية يستضيئون بنورها في سلوكهم الفردي والجماعي ويعيشون بفضلها سعداء في هذه الدنيا وفي دار البقاء ، ويسدون بذلك الى امتهم ومجتمعهم اليد البيضاء ، وذلك – لعمري – افضل تركة يورثها الآباء لاولادهم ، واحسن مدخر يأوي اليه الابناء بعد آبائهم وتسعد به البنات في بيوت ازواجهن ، ويبنون مجتمعا سعيدا رافلا في حلل العز والسؤدد .

ايها الآباء والامهات الشفقاء ، ان من طبيعتكم ان تستخفوا حمل كل المشاق وتستسهلوا كل التضحيات في سبيل اولادكم ماديا ليس في مدة من حياتكم فحسب بل تبذلون نفس التضحية في سبيل جمع المال ليستديم رغد العيش لاولادكم ولو بعد موتكم ، فلا تسنح لكم فرصة الا اغتنمتموها ولا تواتيكم بادرة الا اهتبلتموها ، وربما استهان البعض حتى بدينه في سبيل حشد الحطام وادخاره ولو شاء احد التأكد من هذه الرغبة فسأل احدكم قائلا : علام هذا التعب الزائد ، ولماذا تبذلون هذا الجهد الجاهد ، فـ[illegible] ما تذبلون من جرائه زهرة حياتكم وما تنفقون في سبيله

السلوك والكفاءات الفنية . فبما ان النماذج والقيم تختلف من بيئة لاخرى ، يتغير كذلك مفهوم الفن ، وتقنياته ، وبكيفية موازية .

في العالم الاسلامي ، مثلا ، حيث ان هناك اوامر تحرم النحت والتصوير الفني للكائن البشري ، نجد ان هذه التعابير الفنية لا تلعب اي دور في المجتمع ، الى حد ان تقاليد الفرس والبيزنطيين، في هذا الميدان، قد غمرها النسيان (1) . ولكنه ، حسب القانون المعروف ، عند أصحاب السيكولوجيا ، بقانون التعويض، برز ونما ، في الاسلام ، فن جديد . عرف الشرق الاسلامي، خصوصا في فارس ، ضروبا جديدة من الفن (النميقة miniature مثلا) ، كما تكون ، بالمغرب والاندلس ، نوع آخر في الميدان المعماري وفي الصناعات (النقش بالخط الكوفي و « التخريم » على الجبس ، ونقش الخشب والرخام ، وتذهيب الجلد وصناعة الزليج والاواني . .) . ان هده المظاهر الفنية اثرت على الذهنية الاسلامية ، فجعلت المثقفين المسلمين يميلون الى الفنون التي تعتمد على التخطيط الهندسي ، والى الاعتناء بالاشكال والوصف ، أكثر من الاعتناء بالتحليل النفساني وفنون الخيال .

في الفن انعكاس للشخص ـ الكل ، في تشعبات تكوينه. وبما ان الشخص يخضع لتناقضات باطنية تترابط ، وتتطور ، وتتوالد ، وتتعقد ، فانه ينبثق من كل حالة من حالاته اثر فني يجانسها .

ان الانا يتمركز في الكائن ، ولذا كثيرا ما تفاجىء الكائن الشخص بنواحي من السلوك ، ووجوه من الاختراع لم يكن يتوقعها الشخص ، ولم يسبق له بها اية معرفة . فالفن يظهر كابداع ، او ينبثق كقوة ثورية .

ان الفن (بصفته تعبيرا عن عصر من العصور ، وعن جميع القوى المتضاربة التي يستمد منها المجتمع حيويته) يساهم في تكوين هذا العصر . والفنان يصارع دائما ، الحتميات ، فآثاره تعبير عن قساوة هذا العراك من أجل الحياة ، لكنها تعبر كذلك عن آمالنا ، وحماسنا ، وتعشقنا للحياة . فالفعاليات الفنية ، اذن ، رابطة أساسية بين الكائنات الانسانية ، هذا بالاضافة الى انها جواب فعال للاستدعاء الذي توجهه الموضوعات لشعورنا ، واتصال متين ، بين عالم الفكر وعالم المحسوسات . انها تعبير للوسط وللزمن ، والقالب الضخم الذي تفرغ فيه مجموع معارف عصرما، وعنه تنعكس درجة ثقافة هذا العصر. من هنا كان الفن أعمالا جماعية ، فهو يضع طابعه على كل الفعاليات الفكرية ، وكل انواع نشاط الحياة ، بصفة عامة (2) . فالاستيتيك ، حسب العرض الذي تقدم ، تصير طريقة تربوية مهمة للمواقف التي نتخذها في مواجهتنا للحياة ، وسلاحا للكفاح ، ووسيلة لاجتياز الكائن نحو الشخص ، وتعاليا من الشخص الى الانسان . الاستيتيك لا تنحصر في قضايا الذوق الشخصي ، بل هي اكثر اتساعا من ذلك . انها قضية ثقافية لبيئة ما ، في عصر ما ، تشترك فيها المعرفة (العملية والنظرية) مع الضروب الخاصة لتفهم الاشياء، وللاحساس ، والتاثر . كان القصصي الفرنسي بالزاك بطلب من الفنان الرسام ان يصور له في اللوحة الزيتية ، اشخاصا بآلامهم وأحزانهم وهمومهم ، بحيث يضطر المشاهد لهذا الاثر الفني ان يتامل في حياتهم . أليس لغز الفن في القوة السرية التي تخول الفنان من ان يعطي للمادة الجامدة ، حياة ونبلا ، ويجعل منها شاهدا امينا ، يقارع الزمن ، معبرا عن جبروت ارادة الكائن البشري وعقله ، واحساسه ؟ .

ان التغيرات التي تعتري الفن ، ترجع الى كونه يسير مع الصيرورة التاريخية ، في تشخصنها ، ويتطور مع التاريخ على الشكل الذي يتبعه الشخص في نزوعه الى تحقيق الانسان . فالفن يماشي سير حياة البيئات التي يتكون فيها ، وتطور المادة التي بها يتجسم . من هنا كان أعظم انتصار يحرزه الكائن البشري على الاقنعة التي تتركب منها شخصياته ، وعلى المادة التي تخلد بها آثاره ، وعلى الحتميات التي يتحرر من قيودها .

1 ان هذه النظرية ، المعادية للنحت والتصوير الفني بلغت حد الافراط في القرن السابع الهجري ، (13م) عقب حملة شعواء ، قام بها النووي ، وبعض اتباعه ، ولم تخف وطأتها الا اوائل القرن الرابع عشر (القرن العشرون م.) .

2 انظر كتابنا أحرية أم تحرر ؟ ، الفصل المتعلق بعلم الجمال (الاستيتيك) .

أبحاث ومقالات

الإنسان .. وحدة الكائن والشخص

للدكتور محمد عزيز الحبابي

> هذه الصفحات مأخوذة من الجزء الاول من « دراسات حول الشخصانية الواقعية » الذي سيصدر في ثلاثة أجزاء باللغة العربية ، وغير خاف أن هناك ثلاثة تيارات فلسفية معاصرة : الماركسية ، والوجودية، والشخصانية ، وهذه النزعة الاخيرة تتارجح بين تيارين يتجاذبانها : التيار المسيحي الانكلوساكسوني والفرنسي ، والتيار الواقعي الذي يعد صديقنا الدكتور محمد عزيز الحبابي زعيمه ورائده .
>
> واننا اذ نشكر الصديق محمد الحبابي على تفضله بنشر هذا المقال نتمنى أن يوافينا بسلسلة اخرى من المقالات نوضح هذا المذهب ونلقي عليه المزيد من الاضواء . .
>
> « دعوة الحق »

ان بعض الفلاسفة يعطون الاسبقية للكائن (مثل هيدجر) ، اما آخرون ، فيهتمون ، قبل كل شيء ، بالشخص (من هؤلاء رونوفيي من جهة، ومونيي ولاكروا، من جهة أخرى) . سنعمل هنا على دراسة الانسان ، من حيث هو تأليف من الكائن والشخص ، وعلى البحث في مستويات الانسجام الذي يحصل داخل هذا التأليف . وهكذا سنضع الخطط الرئيسية لفلسفة الواقع الانساني .

لقد حاولنا ، سابقا ، ان نبرز الدور الرئيسي الذي يقوم به الكائن ، فاستخلصنا ان الكائن هو الاساس الحتمي للشخص . انه ما يصير شخصا ، وما يخول الشخص من الاندفاع في الصيرورة. فظهور الكائن هو نقطة البداية لتكوين الشخصية الاولى . وبتقدم السن ، تتحول هذه الشخصية الى شخصيات أخرى ، من مجموعها يتكون الشخص . والشخص ، بدوره ، يصبو الى الانسان ، وقد يحقق احيانا هذا النزوع .

ان النشاط الذي يقوم به المرء ، في الابداع الفني لاحسن مظهر لانضمام الكائن والشخص ، في تأليف عميق ، ينزع الى تجاوز وضعه الحالي ، بغية تحقيق الانسان . ذلك ان مجموع الـ « انا » يعمل في الخلق الفني : ان الذات تتركب من فعاليات بيولوجية واخرى شعورية ، تحملها في كينونتها ، وكل هذه الفعاليات تتفتح وتنمو ، داخل وسط مجتمعي ، ازاء مواقف حيث تظهر الذات ، باعتبارها هذه الشخصية او تلك . ولهذا ، يجند الانا كل فعالياته ، في استقلالها ـ المترابط ، ويتحقق ، بكامله ، في الفعل الخالق . فالاثر الفني نموذج الروابط بين مختلف الفعاليات التي تصدر عن الذات ، وبين المظهر المحسوس لنتيجة تداخل الكائن ـ و ـ الشخص ، عبر الفن ، في أحوال خاصة ، من فترة تاريخية ، عن الاوضاع العامة للانسانية. فأساس الشخص، ليس الا الكائن ، اي المعطي الاول الذي لا يتغير ، ابدا ، بالنسبة للنوع البشري . اذا كانت العناصر التي تدخل في التركيب الانساني ، هي هي ، في كل الكائنات البشرية ، وجب ان يكون الشخص هو مصدر الفروق التي تميز بين الافراد ، فاوضاع نمو تلك العناصر الانسانية وكثرتها ، ونسبية امتزاج بعضها ببعض ، تختلف من كائن لآخر ، تبعا لمؤثرات الوسط الخارجي لكل فرد : هنا تفسير الاختلافات العديدة ، بين الا اع

والتوقان الى المستقبل ، اي انها تقدر على ان تتصور ما لم يكن بعد ، وأن تدخل الممكنات في حيز المفاهيم) بل أعتمد على المجموع المؤلف من شخصي وكينونتي ، اي انني اقوم وافي بكل التزام بأنا ي — الكل .

انني ارادة ، وامتحان لبواعث ما اريد ، وتقدير، وذكرى ، وبيئة .. انني كل هذا ، من حيث انا شخص ، وفي نفس الوقت ، انـي فعاليات بيولوجية ، وتنفيذ .. من حيث انا كائن . وزيادة على الشخص والكائن ، وابتداء من اتصالهما الوثيق ، يمكنني أن اكون انسانا ، اي قيمة يستطيع اي يحققها كل اولئك الذين يصلون الى نزع « الاقنعة » ، نعني شخصيات كل واحد منا . وعلى العكس من ذلك ، فالذين يختارون الحياة الغير الصحية وخداع النفس (la mauvaise foi) يجهلون ، الى الابد ، هذه القيمة ، انهم لن يجدوا ، مطلقا ، من تيار الصدق وحرارته ما يكفيهم لاجتياز الشخصيات التي يلعبون دورها (في المجتمع وللمجتمع) قصد الوصول الى الاساس الذي يجب ان يحققوه . وبين هاته الدرجتين المتطرفتين (درجة المقنعين ، ودرجة الذين نزعوا الاقنعة) توجد درجات وسطى ثانوية .

* * *

فقولنا ان مصدر الالتزام هو الشخص ، معناه ان المواقف والمشاكل التي تتولد عن تاريخنا هي التي تملي كل التزام. فلا معنى للالتزام الا اذا راعينا فيه ، اولا ، الواقع المجتمعي الذي يجعل الشخص هو ما هو، انما نتحدث عن الالتزام ، أما حقيقته ، فالتاريخ مصدرها . فبتشخصن كينونتنا نندمج في التاريخ ، قبل ان نتحمله ، بل ان الفعل الذي تقوم به الكينونة ، للاندماج في التاريخ ، ينقلها من الكائن — في حالة — التصور الى كائن يزداد ، شيئا فشيئا ، التزامه واندماجه في حركة العالم . فالكائن في التاريخ ، قد ... الكائن — مع — الآخرين، انه شخصية . والشخص الكائن الذي له تاريخ . في هذا المستوى ، تصير «ملكية» والكينونة مرتبطتين . أما في مستوى الانسان ، فهناك تجاوز لهذه الرابطة ، الانسان «كينونة » و « ملكية » في تأليف كيفي ، لا تكتمل ابدا ...نه بكيفية مطلقة .

ان الميت هو الكائن الذي يصير هذا التأليف ممكن ، بالنسبة اليه . أفكر الآن في ميت كنت اعرفه . فالمسألة هي ان نفهم كيف يصوغ لي ان افكر في اللاموجود . ففكرة الموت تتكون وتتدخل في حيز التفكير ، بصفتها تأليفا يضم حالة وجود واقعي الى اثبات غياب تام ، نهائي (غياب اصبح نعتا لما لم يبق) : ان الموت يتجلى لي كواقع ، في حين ان سنده قد فقد الحياة ، فالموت هو القطب السلبي للتشخصن . كلما فكرت في الميت رجعت بي الذكرى اليه ، اي وضعت بيني وبينه اداة وصل (« **مع** » او « **و** ») ، اي دخلت معـه في علاقة . ولكني موجود ، و « هو » لم يعد ! لقد كان (او كما يقال ، اصبح في خبر كان) .

اما اذا كان من افكر فيه حيا ، ولكنه متغيب فحسب ، فتفكيري فيه يكون عملية من نوع آخر ؛ انها تفرض علي جهدا لانفي المكان ، اعني ان انكر الكثافة المادية التي تبعدني عن هذا الكائن الغائب الذي افكر فيه . وفي الحد الاقصى ، لهذه العملية ، يمكن ان تبلغ الكثافة ، التي تحجزني عن المفكر فيه ، من الضخامة ما يجعلها ككثافة الموت . الميت هو الكائن الذي لم يعد في اي اطار مكاني ، ليس « هنا » ولا « في حيز آخر » ، ليس « كائنا » في اي مكان ، ومع ذلك ، مازال اتكلم عنه كما هو لو .. واتذكره ، واخيله واتصوره .

وفي الواقع ، ماذا اتصور ؟ اتصور شخصية ، اي مجموعة من الروابط ، ولا اتصور كائنا ، اتصور ذاتا ، كانت لي معها علاقات ، كانت تسكن معي ، في المكان الفلاني ، او سافرت بصحبتي .. فانا ، حينما اتذكر هذه الشخصية، انما ابعث ، من منطقة النسيان، روابط جمعتني واياها في مكان وزمن ، اي تواجدات مجتمعية. ان ما يبقى من الشخصية ، فيما بعد الحياة، هي جوانب التدخلات المجتمعية (لآثار الفنية والصناعية ، والمنجزات المختلفة ، وما نترك بعدنا من ذكريات حية ، ما انجبنا من بنين ، وما نترك من حسرة في قلوب ذوينا واصدقائنا ، والفراغ الذي نخلفه داخل الجماعات التي كنا نشارك فيها ..) . فالصورة الفوتوغرافية للفقيد نعكس شخصيته . ان السقط ، بعد اجهاض مثلا ، لا يترك أثرا ، لانه ينعدم ، قبل ان يتصوره المجتمع ، « ويشخصه » ، اي قبل أن يتبناه و « يشخصنه » . انه مليص ، وكفى : ليست له ورقة هوية ، ولا صورة فوتوغرافية ، وبالتالي لا يترك سمات (ولو ضئيلة) لذاكرتنا ولتصوراتنا . ليس المليص كائنا بشريا ، انما هو نتيجة مؤلمة لعملية تحملتها امراة، انه « شيء ما » بقي في مستوى الاشياء .

ان الانـا نتيجـة لاوضاع تاريخية وللشعـور الشخصي العام. من ذلك تتركب الشخصيات الخاصة، كما انه ، من جهة اخرى ، نتيجة التركيب الفـردي المعقد للكائن ، فذات الفنان تندمج برمتها ، كذات كل، في الانتاج الفني ، وتتعالى بتحقيقها للشخص في ميدان طاقته الخلاقة . فالابداع الفني يعكس عظمة طمـوح الشخص ، وفضائله ، وضعفه ، وعجزه ، وتنارباته ، ومشاقاته ، كما يعبر عن تناقضات ، وصراع المصير الانساني ، بصفة عامة ، وعن الاحوال الخاصة لبيئة الفنان وزمنه . فالخلق الفني سلوك يكون ، تـارة بخضوع ، واخرى بحماس ، او سخرية ، او انفعـال وثورة . وامام هذه الانواع المختلفة للسلوك ، يجسم الفن مواقف عصر ما ، وسلوكا لانـا او لجماعة . ومن خلال هذا السلوك ، تبرز صورة عن طائفة او طبقـة من المجتمـع .

كثيرا ما يتجاهل العقل الانفعالات الحقيقيـة لاشخاص عصر ما ، او على الاقل ، يحاول اخفاءها ، بتأويلات انحيازية او ناقصة للنصوص المكتوبة ، وعلى العكس من ذلك ، فالابداع الفني يدعو الى مشاركـه وجدانية مباشرة (تقع ، احيانا في الشعور الغامض) فيوحي بأنواع من السلوك ، ويحييها من جديد ، رغم تعقيدها . هذا امتياز خاص بالفن ، فمثلا : لو تساءلنا عن التمثال الشهير ، « العبد » الذي نحته ميكيل ــ انجو ، او عن الآخر المسمى بـ « الليلة » لكان جوابنا: رجل في الاغلال ، وامـرأة نائمة . لكن هذا الجواب لا يفي بالحقيقة ، بل يقف عند مظهر سطحي . هنـاك المعنى الذي يرمز اليه الخلق الفني ، بغيـة اسـارة تجاوب بين الذوات والموضوعات . الا نفهم ، مثلا ، من العبد المكبل انه رمز ايطاليا المعذبة ، تحت نيـر الاستبداد ، بل رمز الانسانية جمعـاء ، في عصـر ميكل ــ انجو ؟ نجد نفس الواقعية ، في التعبير ، عند الفنان غويا . ففي آثاره الفنية ، نشعر بالامة الاسبانية تزار غضبا وتتأجج ثائرة ، ومن وراء اسبانيـا نحس بغضب وثورة مجموع الانسانية .

ان « جمهورية » افلاطـون ، او « آراء اهـل المدينة الفاضلة » للفارابي ، مثلا ، تتعلقان بالعقل ، على الاخص ، نعني انهما انتاج صدر عن الجانب الذي هو الشخص من الانا ، لا عن الكائن . اما آثار الفنان ، كفان غوغ الهولاندي ، فهي تعبير ، في آن واحد ، عن كينونة الفنان وشخصه : فانتاج فـان ــ غوغ ، هـو الرجل فان غوغ . انستطيع ان نطبق هـذا على انتاج كـ « حديث المنهج » ، رغم انه من عيون ما الفتـه الانسانية ، فنقول ان ديكارت هو « حديث المنهـج » و « حديث المنهج » هو ديكارت ؟ ان هذا التاليف لم يكن ديكارت ــ الكل ، فديكارت لم يكتب الا ما امكنه أن يكتبه ، لا كل ما اراد أن يكتب . فالفرق كبيـر ، بين ما كان يود أن يكتبه ، وبين ما كتبه بالفعل (نجـد معلومات حول هذا في مراسلاته ، وكذلك في القسـم الاولمن «حديث المنهج») . وهذا مايفسر الاحتياطات التي اتخذها ، في بعض مؤلفاته ، بعد أن شاهد محنـة غليلي ، ومما دعاه ايضـا ، الى تأليف « اخلاقيـة موقتة » ، والى تجنب بعض المسائل التي تتصـل بالدين . يفسر هذا السلوك ، عند ديكارت ، بمراعاته للرقابة المجتمعية ، ونغلب ناحية الشخص على ناحية الكينونة في الانتاج الفكري . اما مع الفن ، فغالبا مـا تطفى اندفاعات الكينونة على تدخلات الشخص .

* * *

نلمس ، من خلال العرض السابق ، أن الخلـق الفني يكون أبلغ نموذج حي للوحدة التأليفية « كائن ــ شخص » . بما أن مفهوم « انسان » قد صار ، الآن ، واضحا لدينا ، يسهل تعريفه ، ولو بكيفية تقريبية .

الانسـان هو الكائن الذي قد بلغ تشخصنه درجة من النمو تجعله ، حينما يقوم بنشاط ما ، يحقـق نوايا ترمي الى ابعد من الاشياء الفردية . انه يضـع معادلة بين افعاله ونواياه ، وملاءمة نتيجة النشـاط مع النية ، تستلزم ، من الذات ، تفهمـا للاوضـاع ، وللوسائل التي يقتضيها الفعل الرامي الى هدف معين. فالربط ، بين الاجزاء والمجموع ، عمل يصدر عن وعي رابط ، دينامي يبرز للعالم في نفس الحين الـذي يظهر فيه الكائن ، ثم يتفتح وينمو مـع الشخـص في سيـره نحـو الانسـان .

كل نشاط (في مستوى الانسان) يتجه نحو قصد يرمي اليه الوعي ، وبهذا يمتاز عن الافعـال الآليـة والحيوية . وكل نية ترمي الى تحقيق قيمة (ايجابية او وسيلة) . لكن ، هناك دوافع واسباب هي التي تحدد اختيار القيمة ، والغايـة المقصـودة . وليست الدوافع والاسباب ، دائما ، خاضعة للتعقل او قابلة للتفسير . اني ، حينما التزم بعمل في المستقبـل ، لا اقتصر فقط على الناحية المتزمنة والمجتمعية من الانا (التي هي وحدها القادرة على الخروج من الآونة الحاضرة

ابن زيدون – الشاعر » مع جهلي المطلق بكينونته).
بعد الموت ، اي الانفصام البالغ حده الاخير ، ينعدم الانسان ، كليا ، وجزئيا ، بشخصه . نقول ان الميت يضمحل جزئيا بشخصه ، لانه يبقى ، في ذاكرة الآخرين ، في الآثار الفنية ، في الاعمال التي قام بها ، وفيما ترك من ممتلكات . فالانفصام لا يحصل بين الكائن والشخص فحسب ، بل بين «الملك» و«الكينونة» كذلك ، لان الكائن البشري تأليف من كينونة وملك .

فالتشخصن ، اذن ، هو الكائن البشري – الكل . والحاجة الاساسي هو أن يكون له حقل لنشاطه : المجتمع . والبيئة المجتمعية لا تقدم للكائن المجالات الشروط اللازمة للتشخصن فحسب ، بل انها توجهه ، كذلك ، التوجيه الرامي الى تحقيق الانسان. حقا ، ان البيئة لا تعمل فينا ، بعصا سحرية ، او عن طريق نداء نخبة من معاصرينا (كالاولياء والابطال المتصوفة ، كما ادعاه برجسون في كتابه « منبعا الاخلاق والدين») ، ولكنها تتخذ طرقا متغيرة الى اللانهاية ، تدفعنا بها دفعا الى النشاط ، والى متابعة الجهود . فبقدر ما يشارك احدنا ، عمليا ، في سير المجتمع ، بقدر ما يصنعه الوسط ويكيفه . فهناك حركتان تكون المجتمع ، منا ولنا ، فكلما حصل تخلف، بين خضوعنا وتحملنا الحياة ، من جهة ، وبين نشاطنا من جهة اخرى ، وقف التشخصن عن سيره الطبيعي، كما ان كل اصطدام يقع بين قابليتنا لتاثير المجتمع ، وبين قدرتنا على التكيف معه ، يحدث مشاقة في شخصيتنا ويفتت الانا ، وهذه اكبر مأساة تعرفها الشخصية . وانها لمأساة ، ايضا ، أن يعيش شعب من الشعوب محنة انفصام ، بين مستواه الثقافي الحاضر، وبين الفترة الحالية التي وصل اليها تاريخ المدنية الانسانية . فلكل عصر بدائيون ، وهم جميع الافراد الذين لا ينسجمون (او لم يبقوا قابلين لانسجام) مع وسطهم . انها بدائية نسبية ، تتغير من بيئة لاخرى بيد ان لكل بيئة بدائييها . انهم دائما عرضة لشعور خاص .



ولنضرب مثلا آخر :

اني ، حينما افكر في ممثل كيوسف وهبي ، لا افكر في اسم معين فقط ، ولكني اتصور مواهب فنان (من خلال نظرتي الى الفن المسرحي) واتصور ، كذلك ، مختلف الظروف والمقومات المجتمعية التي بدونها يستحيل ليوسف وهبي ان يتصل بافقي الخاص، بوجه من الوجوه .

فلنفرض ان يوسف وهبي ليس بفنان مشهور ، هذا لا يمنعني من ان اعرفه ، كما اعرف كثيرا من الناس ، ليسوا بفنانين . لكن ، هل يتأتى ، في حالة هذا الفرض ، ان افكر في يوسف وهبي داخل مجموعة من المفاهيم والذكريات الفنية ؟ وهل يجوز لاسمه ان يستدعي ويثير هذا التفكير ؟

لقد ضربت المثال بيوسف وهبي ، لا لانه شخص « من » الاشخاص ، بل لانه « ذات » الشخص الذي يثير اسمه ، في نفسي (كلما تذكرته) التجديد في المسرح العربي المعاصر ، واتصور من جديد رواية « ابناء الشوارع » ، و « راسبوتين » ، وبعض الافلام ... ومعنى هذا ، انني حينما افكر في يوسف وهبي ، افكر في بعض الفترات من ماضي ، في اتصاله بظروف جمعتني ، بكيفية ما ، بيوسف وهبي — الفنان : قد أصبح وهبي وفنه جزءا من اجزاء افقي الثقافي . فتصوراتي الحالية تلح في ان تتوفر هذه المجموعة من العوامل لكي تكون تصورا ليوسف ، اني اتذكر من يوسف وهبي « شخصه » ، اي الناحية المجتمعية من هذا الرجل ، لا كينونته الخام .

* * *

لا يفهم الفكر الاشياء الا ضمن علاقات بعضها ببعض ، وحتى فيما هو من اعماقنا ، كالتفكير ، والذكريات ، والعواطف . لابد من روابط : فالتفكير لا يكون الا تفكيرا في . والذكرى لا تكون الا تذكرا لـ ... ، والتعاطف لا يفهم الا بين اثنين ، على الاقل (ذاتين ، او ذات وموضوع) ، والحب يربط محبا بمحبوب ... فنحن حينما نفكر نفكر «مع» او «ضد» (وفي غالب الاحوال « مع » و « ضد » ، في آن واحد). فـ « المحاورات » الافلاطونية تفكير افلاطون مع سقراط ، وضد السفسطائيين .

هكذا ، نشاهد أن كل تفكير هو تفكير لعصر ، وفي هذا العصر ، ومدين له . ولو عارض المفكر كل نظريات معاصريه . فسبينوزا ومالبرانش ، وان كانا فيلسوفين اصيلين ، يعدان ، في نفس الوقت ، من المنتسبين للمدرسة الكارتيزيانية ، في اتجاهات مختلفة . فمثلا ، يقتبس سبينوزا من الدين فكرة خلود الحياة ويصوغها في قالب عقلي مقتبس من ديكارت . اما مالبرانش ، فانه ، وان قبل الكوجيطو (من بين ما اخذ من ديكارت) يهتم بالمعاني التي يفكر فيها ، اكثر من الطريقة المتبعة في التفكير ، لو ان الدائرة ، التي اشاهدها ، لم تكن اي شيء ، فاني حينما افكر فيها ، اكون لا افكر في شيء . ان الذين يكتفون بعرض المبادىء والاتجاه لمذهب فلسفي ، او لمدرسة ادبية او فنية ، لا يعرفونها الا تعريفا ناقصا . فالتحديد الكفيل بأن يعرفنا ، معرفة تامة بذلك المذهب او تلك المدرسة ، هو كل تحديد يبرز ما يحيط بهما من مذاهب ومدارس مضادة وموازية ، اي ان كل تعريف ، لنشاط ثقافي يجب ان يحتوي على عنصرين اساسيين : ضد و مع .

* * *

ان الكائن يلج هذا العالم ، مجهولا ، لا اسم له ، ولا ورقة هوية . ولكنه ، بمجرد ما يندمج في الصيرورة وفي اللحظة التي يبدأ فيها تشخصنه ، ينقلب « ذاك الشيء » الذي دخل العالم ، الى كائن تاريخي . والموت هو الحد الاخير للتشخصن ، وتصدعه ، وتفكك عناصر الشخصية . وما السهو ، وما الغفلة ، الا درجة في هذا التصدع ، كما ان الامراض ، المسماة بـ « امراض الشخصية » ، درجات اخرى . فـ « انسان » مفهوم يفرض ، مسبقا ، تاليفا من الكائن والشخص ، فلا يوجد انسان ، ولا يمكن ان يوجد ابدا ، خارج هذا التأليف . وعلى العكس من ذلك ، فالعنصران الاساسيان لهذا التأليف (الكائن والشخص) يمكن وجود احدهما مستقلا عن الآخر : هناك الكائن بلا شخصية ، ولا شعور ، ولا نزوع (مثال ذلك : المليص والجنين) ، وهناك الشخص بلا كائن ، يحيا في آثاره فحسب ، اي في الذكريات التي نحتفظ بها ، كالصور الفوتوغرافية الباقية رغم فناء صاحبها (مثلا ، حينما اقول انني احب ابن زيدون ، فمعناه انني احب آثار الشاعر الذي حمل هذا الاسم ، احب

كانت موضع تقديس من لدن البربر خصوصا تانيت وبعل وبين Pene وبعل عمون الذي هـو اله مزدوج يمثل عمون الليبي اله الماشية (وهو ذو راس يشبه راس كبش) مع بعل الـه الفينيقيين فى كل من صـور وقرطاجنـة .

نظام الحكم والادارة :

كان القرطاجنيون يحكمهم ملوك وحكام تساعدهم مجموعة من كبار الموظفين الذين ينتمون الى عائـلات معينة ، وكان الملوك او الحكام يدعون ب Suffètes اما الحكومة فكانت تتألف من مجلس الشيوخ الـذي كان له الحق فى اعلان الحرب او السلم ، كما حـدث خلال الحروب البونيقية واستسلام قرطاجنة ، بـل ربما كان هناك مجلس آخر للنواب على ما يظن ، ظهر فى اثناء القرن الثاني ق.م. وكان مجلس الشيوخ يقرر الضرائب اللازم استخلاصها ، كما يصدر التشريعات القانونية ، ويشرف على تعمير المدن وانشاء الموانىء

ولا يلقي التاريخ ضوءا كافيا على مدى اقتباس البربر من هذا النظام الشبيه بالديمقراطي ، ومع ذلك فان الروح القبلية ظلت تسيطر على مجموع البربر . ولو انها لم تتضح (فى التاريخ على الاقل) الا بعد الفتح الاسلامي ، ومهما يكن من شيء ، فان البربر عاشوا فى اغلب ايام الحكم القرطاجنـي يشكلـون امـارات او جمهوريات مستقلة ترتكز قبل كل شيء على النظام القبلي الذي يتسم من الوجهة السياسيـة بـروح الديموقراطية (فى اطار القبلية) حيث لا حكم ولا قرار الا للجماعة، اما الرئيس، فهو رجل النصيحة والتوفيق بين الاراء .

الحيـاة الاجتماعيـة :

كان لباس القرطاجنيين يتكون من قميص طويل وقبعة شبيهة بالطربوش ، بالاضافة الى برنـوس ... وكانت لحاهم متوسطة الطول ، وقد يصبغونها اذا ابيضت ، اما شعر رؤوسهم فكان قصيرا ، وكانوا يستعملون الكحل والحناء للزينة .

وكان للاب فى الاسرة القرطاجنية ، السلطة على افرادها ، ومع ذلك فقد كان الرجال يحترمون المراة التي كان فى امكانها ان تتولى بعض المناصب الدينية ، بل كان لبعض القرطاجنيات مقام سياسـي رفيع كزوجـة اسد روبال .

وكان القرطاجنيون يرسلون ابناءهم الى المراكز التجارية الخارجة عن قرطاجنة، ليتعلموا فن التجارة، وقد يسر لهم الاحتكاك بشعوب مختلفة تعلم عدة لغات ، وكانت الطبقة الحاكمة تتكون من الارستقراطيين ، يليهـم فى المقام الاجتماعي طبقة التجار فالعمال الذين كانـوا يشكلون نقابات او « حناطي » كالتي لا نزال نرى لها نظيـرا فى المغـرب .

وكانت عوائدهم شرقية فى مظهرها وجوهرها كمـا قرر ذلك كل مـن Gsell و Gautier, وكانـوا يحرمون اكل الخنزير ، ويتناولون طعام الكسكـس ، كما كانوا يعاملون الرقيق معاملة طيبة ويسمحون لهم بانشاء اسر خاصة ، وكانوا يرسمون يدا بشرية على ابوابهم لتقيهم من « العين » على غرار ما يفعله الآن بعض العوام بحذوة النعـل .

ومن هذه المعلومـات الوجيـزة عـن حيـاة القرطاجنيين الاجتماعية ، نعرف مخلفاتهـم فى حيـاة المجتمع البربري من حيث الزي ومكانة المراة والطعام والعوائـد .

الحياة الاقتصاديـة :

شغلت التجارة معظم وجوه النشاط الاقتصادي القرطاجني ، فقد كان التجار القرطاجنيون منبثين فى كل انحاء آسيا وفى قسم كبير من سواحل افريقيـا واوربا ، وهكذا كانوا يجلبون مـن الجزر الاغريقيـة الرخام والصدف والنحاس ، ومن مصر الكتان والقطن والخيل ، ومن اسبانيا المعادن والقمح ، ومن الهـند انواع الخشب الممتاز والاحجار الكريمة والعاج والبقول، ومن شبه جزيرة العرب انواع العطور .

وكانت تجارتهم عن طريق البحر بواسطة البواخر، كما كانت تتم عن طريق البر بواسطة القوافل ، وقد بدأ تداول العملة لديهم فى القرن الرابع ق.م. وكانـوا يصدرون بدورهم المنسوجات والاسلحة والخمـور والاواني الزجاجية والمعـادن الثمينة ، كما كانـوا يتعاطون تجارة الرقيق التي كانت من اهـم انـواع تجارتهم ، وكان الرقيق يجلب على الخصوص مـن ايطاليا والحبشة والقوقاز ، وذلـك لتزويد عظمـاء وامراء الشرق والشمال الافريقي بما يلزمهم من خدم.

التأثير القرطاجي في الشمال الافريقي

للأستاذ : ابراهيم حركات

مكث القرطاجنيون فى الشمال الافريقي من سنة 814 ق.م. الى 146 ق.م. وكان تأثيرهم فى حياة البربر العامة قويا بسبب سلوك سياسة المسالمة التي انتهجوها ، والتي نتج عنها احتكاك اخوى بين عنصرين يتشابهان من حيث طباعهما ، وهكذا تناول هذا التاثير وجوه النشاط الاجتماعي والفني والاقتصادي الى جانب الحياة الدينية ، وقد قام القرطاجنيون باعمال عمرانية كثيرة على طول سواحل المغرب من شرقي مليلية الى حدود السنغال .

والتاثير البونيقي واضح فى الميدان اللغوي حيث الصلة قريبة بين البربر والقرطاجنيين الذين ترجع لهجاتهم جميعا الى اصول سامية ، ومن الطبيعي ان يكون التاثير البونيقي فى تونس ثم فى الجزائر اقوى منه فى المغرب ، واذا كان حكم القرطاجنيين مباشرا فى تونس ، فانه يفقد هذه الصفة خارجها ، حيث كان لها بين بربر المغرب والجزائر حلفاء يمدونها بالجند فى ساعة الحرب ويباشرون الحكم بانفسهم فى ممالكهم، بل ان بعض رؤساء نوميديا صاهروا البونيقيين الذين عملوا على استمالتهم بهذه الطريقة ، ومن ملوك البربر المغاربة الذين اشتهروا فى عهد القرطاجنيين بكار Bokkar الذي حكم المغرب فى مطلع القرن 3 ق. م. ولكنه لم يلبث ان اصبح تابعا لماسيسينا النوميدي بعد اسر صيفاقص ، وكانت طنجة يومئذ عاصمة المغرب .

الحياة الدينية :

لم يكن للقرطاجنيين دين خاص مستحدث ، فقد استمدوا طقوسهم من الكلدان ، وتمتاز بتضحيات قاسية . اذ كان لكل مدينة الهها « بعل » الذي يقدم اليه عابدوه اولادهم للقتل اذا لزم الامر، وكانت الامهات يحضرن بزينتهن عند تقديم اولادهن للقتل ، وكل ذلك ارضاء «لبعل» الذي يغضب عندما يعصى القرطاجنيون اوامره .

والواقع ان القرطاجنيين كانوا شديدي التدين . حتى لقد كان عظماؤهم يفاخرون بما يقدمونه الى آلهتهم من ضحايا بشرية ، وترتبط معظم اسمائهم بالديانة مباشرة، فاملكار بمعنى خادم الاله Melquart وهانيبال بمعنى الذي يحظى برعاية « بعل » ، وهكذا.

والمقابر القرطاجنيين التي عثر عليها فضل كبير فى التعرف على حياتهم الدينية ، ولسوء الحظ لا نكاد نعرف شيئا عن معتقداتهم حول الآخرة ، ولكنهم كانوا شديدي العناية بدفن موتاهم الذين كانوا يضعونهم فى نعش من خشب او رخام ، ثم يدفنونهم فى قبور منحوتة من حجر الطباشير ، وبتوصل الى القبور بواسطة آبار عميقة ، ثم بدأوا يحرقون موتاهم ابتداء من القرن الرابع قبل الميلاد ، ولكنهم ظلوا يقبرونهم فى قبور عميقة .

واذا كان بعل اكبر الهة قرطاجنة ، فقد كان هناك الهة ثانويون متعددون ككافون Gafon وعشترون واشمون ، وكان ايمان القرطاجنيين بالسحر شديدا ، فقد كانوا يدفنون مع موتاهم مجموعة من التمائم والاقنعة وغير ذلك .

ومن الصعب ان نعرف بالتحديد مدى التاثير الديني للبونيقيين فى البربر ، غير ان بعض الهتهم

الموشحات

للأستاذ
عباس الجراري

تعريف الموشحات :

اذا قرانا فى الكتب التي تناولت الموشحات نبحث عن تعريف دقيق لفنها الجديد ، فاننا سنجد فى شرح مدلولها اقوالا مختلفة فى تحديده وتخصيصه .

ففي (دار الطراز) (1) (انها كلام منظوم على وزن مخصوص) وفى « تاريخ الفكر الاندلسي » (2) انها (نظم تكون فيه القوافي اثنتين كما هو الحال فى الوشاح) وفى « دائرة المعارف الاسلامية » (3) انها (قصائد نظمت من اجل الغناء) .

ولو صحت هذه التعريفات لاخرجنا كثيرا من الموشحات التي لا تسير على وزن خاص وانما توافق الاوزان العربية القديمة ، وكثيرا ايضا من الموشحات التى تتخذ فيها القافية اشكالا مختلفة ، ولا دخلنا غير قليل من القصائد التي نظمت من اجل الغناء ولكنها لست من التوشيح فى شيء .

وقد نكون اقرب الى الدقة والتحديد اذا قلنا انها مصطلح على فن مستحدث من فنون الشعر لا تتقيد بالمنهج التقليدي الذي سارت عليه القصيدة العربية فى وزنها وقافيتها ، وانما هو متحرر الى حد بعيد من التزامه بتغير الوزن وتعدد القافية .

ولعل السر فى اصطلاح الموشحات على هذا اللون من الشعر اشتقاقه من التوشيح بمعنى التنميق ، او من الوشاح او الاشاح وهو كما فى القاموس « كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف احدهما على الاخر واديم عريض يرصع بالجوهر تشده المراة بين عاتقها وكشحها » .

وسواء كان السبب فى تسميتها انها موضوعة على شكل الوشاح او انها منمقة ومزينة ، فالمعنى واحد فى كلتا الحالتين هو التجميل والتصنيع .

الموشحات وقيود الشعر العربي :

ينقسم الموشح الى اجزاء يسمى بعضها اقفالا ويسمى البعض الآخر ابياتا ، فالاقفال « هي اجزاء مؤلفة يلزم ان يكون كل قفل منها متفقا مع بقيتها فى وزنها وقوافيها وعدد اجزائها » ، والابيات « هي اجزاء مؤلفة مفردة او مركبة يلزم كل بيت منها أن يكون متفقا مع بقية ابيات الموشح فى وزنها وعدد اجزائها لا فى قوافيها بل يحسن ان تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر » (4) ويسمى كل قسم فى الاقفال والابيات غصنا ، ويطلق على البيت دور (5) وقد يشمله مع القفل الذي بعده (6) .

والموشح اما تام وهو ما تكون من ستة اقفال وخمسة ابيات ، وحينئذ يكون اوله قفلا يسمونه المذهب او المطلع ، لا تقل اغصانه عن اثنين قد تتفق قافيتها وقد تختلف ، واما اقرع وهو ما تكون من خمسة اقفال وخمسة ابيات وحينئذ يكون اوله بيتا .

---

(1) لابن سناء الملك ص 25 . (2) للمستشرق الاسباني بالنثيا ص 142 .
(3) لدى مادة موشح . (4) دار الطراز تحت عنوان : حد الموشح .
(5) كما عند الاشبيهي فى المستطرف ج 2 ص 237 . (6) كما عند ابن سناء الملك .

وكان للقرطاجنيين مصانع تجمع عددا كبيرا من العمال للقيام بانتاج يسد الحاجيات المحلية والخارجية، وكانوا يقلدون المصنوعات المصرية ، وينتجون الملابس وانواع الالات الزجاجية والحلي وصبغة الانسجة التي برعوا في زخرفتها وتلوينها الصناعي ، مما اكسبها شهرة ظلت خالدة حتى بداية الفتح الاسلامي ، ونظرا لطبيعتهم التجارية التي ترغبهم في الكسب السريع ، لم تكن منتجاتهم الصناعية في جملتها مما يدل على براعة فنية ، اد كانوا يهتمون بالزيادة في الانتاج دون مراعاة الاتقان .

وكانوا مع ذلك متفوقين في الزراعة والفراسة ، حتى ان ماكون Magon وضع اول كتاب في الفلاحة وهو مواطن بونيقي .

وقد اهتموا بغرس الزيتون وزراعة القمح والشعير وغرس الكروم والرمان والتين ، كما عنوا بتربية الخيل والماشية ، وكانت لهم معاصر كثيرة للزيتون .

العمارة والفن :

لا شك ان اعظم اثر عمراني تركه البونيقيون هو مدينة قرطاجنة التي لا تزال اطلالها شاهدة على هذه العظمة ، اما في المغرب فان من اوائل المدن التي انشأها الفينيقيون مدينة Liks خلال القرن الثاني ق.م بقرب العرائش ، وفي القرن السادس ق.م. انشأوا مدينة تينجي التي يحتمل ان تكون طنجة قد اخذت اسمها عنها ، اذ لا ريب ان نواة مدينة طنجة عرفت قبل هذا التاريخ كما انشأوا مدينة Russadir بناحية مليلية عند راس المذارى الثلاث ، وترنكي Thrinké التي لا يعرف مكانها ، ولعلها قريبة من راس سبارتل وتبميا طيربون thymiaterion عند مصب سبو ، ومبليطا Melitta بين ليكس وراس سبارتل ، اما اشهر المدن التي ترجع الى هذا العهد من غير شك ، فهي سلاكلونيا التي كانت تأخذ موقع شالة الحالية ، وكاريكون طيكوس مكان الصويرة .

وفيما يخص الناحية الفنية ، فقد كان القرطاجنيون مقلدين اكثر منهم مبتكرين ، وكانوا يستمدون من الفن الاغريقي والمصري في مبانيهم واوانيهم الخزفية ، ومن امثلة استمدادهم من الفن الاغريقي ضريح دكا بتونس، اما في الفن المصري فيتمثل التقليد في الاوعية والمصنوعات الخزفية والبرونزية .

فلم يكن هناك اذا فن قرطاجني اصيل او هندسة اصيلة في البناء ، بيد اننا نجهل تماما مدى التأثير البونيقي في البربر من حيث طريقة البناء ، والظاهر ان هذا التأثير كان ضعيفا جدا ، حيث كانت عناية البربر بالفلاحة اكثر من عنايتهم بأي شيء ءاخر ، ولا ريب ان البربر قد اخذوا كثيرا عن القرطاجنيين في فن الفلاحة الذي كان المورد الاساسي لمعيشتهم .

الحياة الفكرية :

كانت عناية البونيقيين بالنشاط الفكري تتمثل فيما تركوه من دواوين شعرية في الفلسفة والتاريخ والفلاحة ، ومن فلاسفتهم Asdruval ومن المؤرخين Silénos ومن المختصين في شؤون الفلاحة ماكون الذي تقدم ذكره .

وقد وجد عدد من مؤلفاتهم في خزائن النوميديين بعد انهيار امبراطورية قرطاجنة ، والظاهر ان الرومان قد استفادوا من هذه المصادر في اعطاء بعض المعلومات عن تاريخ البونيقيين ولكن اهم مرجع اقتبس منه المؤرخون هو نقوش القرطاجنيين وكتاباتهم في مختلف الآثار .

وقد اجمع المؤرخون على ان أهم المؤثرات البونيقية في البربر ، هو اللغة الفينيقية التي انتشرت انتشارا واسعا بين البربر ، حتى ان رهبان الكنائس ظلوا يلقون خطبهم بالفينيقية الى وقت متأخر من الحكم الروماني، كما استمرت هذه اللغة الشبيهة بالعبرانية والعربية لغة التخاطب الى جانب اللاتينية والبربرية عدة قرون .

ولسوء الحظ لا نعرف شيئا كثيرا عن مدى التأثير البونيقي في اللهجات البربرية ولو ان التاريخ يؤكد وجود هذا التأثير ، على ان الرومان قد حطموا معظم الاثار المكتوبة التي تركها البونيقيون ، ثم لا تكاد توجد آثار بربرية ترجع الى هذا العهد ويمكن ان تفيدنا بنقوشها الكتابية .

قفل : بابي كيف كان ، فلكن دري
راق حتى استبان ، عذره وعذري

بيت:
هل اليك سبيل   او الى ان أيأسا
ذبت الا قليل   عبرة او نفسا
ما عسى ان اقول   ساء ظني بعسى

قفل : وانقضى كل شان ، وانا استشري
خالعا من عنان ، جزعي وصبري

بيت:
ما على من يلوم   لو تناهى عني
هل سوى حب ريم   دينه التجني
انا فيه اهيم   وهو بي يغني

قفل : قد رايتك عيان ، لي عليك ساتدري
سايطول الزمان وستنسى ذكري

خرجه

الموشحات وموضوعات الشعر العربي :

يبدو ان الموضوعات التي عالجها الموشحون كانت في اول الامر غنائية تعنى بوصف المراة والطبيعة والخمر وغير ذلك من مواطن الجمال ينطلق الموشح في احوائها المنشرة في رحاب الاندلس وقد بسط فيها الجمال بسطا سرعان ما يجذب النفوس اليه فتنفعل وتنفجر.

ولكنهم لم يلبثوا وخاصة في العهد المرابطي ان استغلوها في مدح الملوك والامراء سعيا وراء الشهرة والعطاء يستهلونها بمقدمة غنائية ربما لجأوا اليها لانها كانت تغني في حضرة الممدوح ، فقد ذكر ابن خلدون ان ابن باجة القى على بعض قيناته موشحه يمدح بها ابن تيفلويت صاحب سرقسطة مطلعها

جرر الذيل ايما جر   وصل الشكر منك بالشكر

وما ان انتهت القينة من خرجتها التي تقول فيها :

عقد الله راية النصر   لامير العلى ابي بكر

حتى صاح ابن تيلفويت (واضرباه) وشق ثيابه وقال : (ما احسن ما بدات وختمت) ؛ وليس بعيدا ان يكون الموشحون قد لجأوا الى هذه المقدمات ليعبروا عن شخصيتهم في حديث ذاتي يخلون فيه الى انفسهم قبل ان يجرفهم حديث الممدوح ، شأنهم في ذلك كشأن الشعراء الذين يستهلون قصائدهم بمقدمات غزلية ، لعلها كانت منوالا نسج الوشاحون عليه .

ومثل المدح موضوعات اخرى شديدة الصلة به كالمدائح النبوية التي لمع فيها نجم ابن الصباغ الجذامي. وكادب المناسبات من تهاني ووصف القصور وغير ذلك مما نجد له امثلة في (نفح الطيب) و (ازهار الرياض) كذلك كان التصوف من الموضوعات التي نظم بها الموشحون وخاصة محيي الدين بن عربي (1) وابو الحسن الششتري (2) ضمنوها كثيرا من رموز الصوفية ومصطلحاتهم .

واكثر من التصوف كان الزهد موضوعا عالجه الموشحون لم يبعدوا في مضمونه عما في زهديات الادب العربي من ذم للدنيا ومتاعها وذكر للموت والدار الآخره وغير ذلك مما نجده في موشحات شمس الدين الواسطي وابن عبد ربه وابن الصباغ الجذامي .

وعند ابن سناء الملك ان اما كان منها في الزهد يقال له المكفر والرسم في المكفر خاصة ان لا يعمل الا على وزن موشح معروف وقوافي اقفال ، ويختم بخرجة ذلك الموشح ليدل على انه مكفره ومستقبل ربه من شاعره ومستغفره) .

ويظهر ان هذا الذي ذكره ابن سناء الملك لا ينطبق الا على نوع خاص من موشحات الزهد كالتي يقول ابن الصباغ في أولها :

وربعهم ما اشكلا   بكل رسم طاسم عنوان
رسوم ظاهر البلى   منها لكل حازم تبيان

وفي خرجتها :

ان جئت ارض سلا   تلقاك بالمكارك فتيان
هم سطور العلا   ويوسف بن القاسم عنوان

وهي خرجة لموشح ابن بقي في مدح يوسف بن القاسم قاضي سلا (3) .

وكما عالجوا فن المدح عالجوا فن الهجاء يذكرون فيه المساوىء ويعددون العيوب لدرجة قد تصل احيانا

---

1) توفي سنة 638 هـ.   2) توفي سنة 668 هـ.
3) كما في الجزء الثاني من النفح .

واذا كان القفل الاول من الموشح غير اساسي فيه حيث يوجد ولا يوجد فالقفل الاخير ويسمونه الخرجة من الاركان التي لا يتم بدونها ، وهي كما عند ابن سناء الملك « ابزار الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره »، واشترطوا في الخرجة ان تشتمل على شيء من الفكاهة والمجون والسخف وان تكون الفاظها ملحونة غير معربة الا اذا كانت بيت شعر مضمنا او كانت مستعارة من موشحة اخرى ، والا اذا كانت الفاظها غزلة جدا او كان موضوعها مدحا وذكر فيها اسم الممدوح ، واستحسنوا الى جانب هذا ان تكون باللفظ العامي او العجمي كما في بعض الخرجات الاندلسية التي وردت بالرومانية ، وكما فعل ابن سناء الملك فقد جاءت بعض خرجاته بالفارسية وان تكون قولا او غناء يورده الوشاح على لسانه او لسان غيره من الناس والحيوان يقدم له في الدور السابق على الخرجة بلفظ يتضمن معنى القول او الغناء كقلت وغنت وغيرهما مما يمهد به ، وربما جاء اغلب الخرجات محكيا على لسان فتاة تدي حبها لصاحبها وتتغزل فيه .

اما من ناحية الوزن فمن الموشحات ما ورد على الاوزان القديمة كالرجز والمديد والخفيف والهزج والسريع والمتقارب والبسيط والرمل في اغلب الاحيان، ولعلها في مرحلتها الاولى وقبل ان تتطور كانت تنظم على هذه الاوزان وغيرها من البحور التي نقاس بها القصيدة العربية .

ومنها ما ورد على اوزان جديدة ومع ذلك فهي كما لاحظ ابن سناء الملك مما « يدركه السمع ويعرفه الذوق كما يعرف اوزان الشعر ولا يحتاج فيها الى وزنها بميزان العروض » .

ومنها ما تنوعت اوزانه فجاءت بعض اجزائه على حر قديم والاجزاء الاخرى على اوزان جديدة .

ومنها ما ورد على الاوزان المألوفة بعمد الوشاح الى كسرها كان يلتزم حرفا على حركة معينة او يقحم كلمة مما يخرج الوزن عما هو معروف، ومنها الى جانب هذا ما لا يسير على البحور القديمة ولكنه « مضطرب الوزن مهلهل النسج مفكك النظم لا يحس الذوق صحته من سقمه ولا دخوله من خروجه .. وما كان من هذا النمط فما يعلم صالحه من فاسده الا بميزان التلحين فان منه ما يشهد الذوق بزحافه بل بكسره فيجبر التلحين كسره ويشفي سقمه ويرده صحيحا ما به قلبه وساكنا لاتضطرب فيه كلمة » (1) .

وقد حاول الوشاح الاندلسي الشهير باعمى طليطلة ان يحصر اوزان الموشحات فجمع منها مائة وستة واربعين يمكن ارجاعها كلها الى بحور الخليل(2) ولكنه لم يستطع استقصاء جميع الاوزان التي نظمت بها .

واما من ناحية القافية فقد سبق ان قلنا انها تختلف في الابيات وتتفق في الاقفال التي هي كاللازمة تعيد على السمع نفس الايقاع . وهذه موشحة لاعمى طليطلة نوردها نموذجا لهذا الفن قال :

	غصن	غصن
قفل :	ضاحك عن جمان سافر عن بدر	
	ضاق عنه الزمان وحواه صدري	

(مذهب او مطلع)

بيت	آه مما احد	شفني مما اجد
	قام به وقعد	باطش متئد
	كلما قلت قد	قال لي اين قد

قفل :	وانثنى خوط بان ، ذا فنن نضر	
	عابثته يدان للصبا والقطر	

بيت	ليس لي منك بد	خذ فؤادي عن يد
	لم تدع لي جلد	غير اني اجهد
	مكرع من شهد	واشتياقي يشهد

قفل :	ما لبنت الدنان ، ولذاك الثغر	
	اين محيا الزمان من حميا الخمر	

بيت	بي هو مضمر	ليت جهدي وفقه
	كلما يظهر	ففؤادي افقه
	ذلك المنظر	لا يداوي عشقه

---

1) ابن سناء الملك .

2) دائرة المعارف الاسلامية .

نسبها لابن زهر ، وليس هذا ترددا منه في نسبتها له طريقة ابن سناء انه لا يذكر اسم اصحاب الموشحات ، ولعل النظر في اسلوب هذه الموشحة ومقارنتها بغيرها من منظومات ابن زهر في هذا الفن يؤكد نسبتها اليه ، ولو كان ابن المعتز صاحبها لوصلتنا منه نماذج اخرى عبرها ولقلده فيها غيره من شعراء المشرق ، اكثر من هذا ان المؤرخين لهذا الفن سواء منهم المغاربة او المشارقة اجمعوا على انها من مبتكرت الاندلس ، ففي (ازهار الرياض) (1) ان ابن خاتمة (2) قال في حديثه عن الموشحات : (وهذه الطريقة من مخترعات اهل الاندلس ومبتدعاتهم الآخذة بالانفس ، هم الذين نهجوا سبيلها ووضعوا محصولها) ، وفي (المطرب) (3) انها (زبدة الشعر وخلاصة جوهره وصفوته ، وهي من الفنون التي اغرب بها اهل المغرب على اهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق) وفي مقدمة ابن خلدون (4) ان هذا الفن (استحدثه المتاخرون من اهل الاندلس) وفي « دار الطراز » (5) ان الموشحات (مما ترك الاول للاخر وسبق بها المتقدم المتاخر واجلب بها اهل المغرب على اهل المشرق) وفي خلاصة الاثر والذخيرة ونفح الطيب كلام يشبه هذا الذي ذكرنا يعزو اصحابه للاندلس اختراع هذا الفن ، وهذا هو الراي الثاني في نشأة الموشحات ، وقد اختلف القائلون به في اول من سبق الى نظمها ، هل هو مقدم بن معافى القبرى اخذها عنه ابو عبد الله ابن عبد ربه كما عند المقري (6) وابن خلدون (7) ؟ او هل هو ابن عبد ربه كما عند ابن سعيد (8) ؟ واذا كان هل هو ابن عبد ربه صاحب العقد المكنى بابي عمرو ام احد احفاده ؟ او هل هو محمد بن حمود القبري الضرير كما عند ابن بسام الذي بقي مترددا بين نسبتها له او لابن عبد ربه ؟

الحق اننا امام هذه الخلافات لا نستطيع ان نبث في راي خاصة واننا لا نملك نماذج لا من موشحات مقدم ولا ابن حمود الذي لا يعرف حتى عصره ، الذي عاش فيه واغلب الظن ان مقدما هو نفسه ابن حمود كما اننا نستبعد ان يكون ابو عبد الله محمد بن عبد ربه حفيد صاحب العقد هو اول من نظمها لسبب بسيط وهو انه متأخر عن عصر نشأتها فقد ذكر المراكشي في (المعجب) انه رحل الى مصر ولقي فيها ابن سناء الملك ، وكل ما يمكن ان نقول هو ان من اول البارعين في فن الموشحات احمد بن عبد ربه ويوسف ابن هرون الرمادي وعبادة بن ماء السماء وابن عبادة القزاز .

ولعل اهم من هذا كله معرفة الاسباب التي ادت الى اختراع هذا الفن والاسس التي قام عليها في نشأته وتطوره ، يقول بن خلدون : (واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا سموه الموشح) (9) .

وينكر هذا القول الدكتور مصطفى عوض (10) ويرى ان الذين اخترعوا الموشحات ليسوا ممن يصح ان يطلق عليهم كلمة المتأخرين ، فابن عبد ربه ونظراؤه من قدامى شعراء الاندلس عاشوا بها قبل ان يبلغ الشعر الاندلسي درجة كبيرة من التنميق وتهذيب المناحي والفنون ويرى كذلك ان الشعر المشرقي قد بلغ درجة من التنميق لم يصلها الشعر الاندلسي في أي عصر من عصوره ومع ذلك فان المشارقة لم يخترعوا الموشحات واعترفوا بعجزهم عن تقليدها .

وحاول المستشرق نيكل ارجاع الموشحات الى اصل عربي فزعم انها تقليد لمقطوعات ابي نواس وضعت ابياتها في ترتيب مغاير ، وحاول مثله المستشرقان الالمانيان هارتمان وفرايتاخ فزعما انها امتداد للمسمطات التي كان شعراء المشرق ينظمونها ، والى هذا الرأى يذهب الدكتورشوقيضيف حين يقول(11): (ونردها الى تطور في المسمطات والمخمسات التي عرفت منذ عصر ابي نواس في القرن الثاني الهجري والى ما نزع اليه بعض الشعراء العباسيين من نظم الشعر على اوزان جديدة غير اوزان الخليل المتبعة على نحو ما نعرف عن ابي العتاهية ورزين العروضي معاصره) .

---

1) ج 2 ص 123 . 2) صاحب كتاب (مزية المرية) . 3) ص 186 .
4) ص 583 . 5) ص 23 . 6) ج 2 ص 253 من ازهار الرياض .
7) ص 265 مع تحريف في بعض الطبقات حيث ورد اسم مقدم بن معافر الضريري .
8) في المغرب وقد نقل عنه السيوطي في وسائل مسامرة الاوائل .
9) المقدمة ص 583 . 10) في كتاب (فن التوشيح) ص 99 .
11) في مقدمته لكتاب (فن التوشيح ص 8) .

الى الفحش ، وفى كتاب (المغرب) اورد ابن سعيد كثيرا من موشحات ابن مزمون فى هذا الميدان كالتي يهجو فيها القسطلي والتي ذكر له منها قوله :

تخونك العينان   يا ايها القاضي   فتظلم
لا تعرف الاشهاد   ولا الذي يسطر   ويرقم

واذا كان ابن مزمون قد برع فى الهجاء لدرجة الاسفاف احيانا فهو قد برع كذلك فى الرثاء الذي لم يعجز الموشحون عن طرق موضوعه ، فقد اورد له كتاب (المغرب) (1) مرثية فى ابي الحملات قائد الاعنة ببلنسية وقد قتله النصارى يقول فى مطلعها :

يا عين بكي السراج   الا زهرا النيرا   اللامع
وكان نعم الرتاج   فكسرا كي تنشرا   مدامع

وفى خرجتها :

يا قلبي المهتاج   نصبرا زان الترى   مدافع
ابن ابي الحجاج   فهل نرى لما جرى   مدافع

واذن فموضوعات القصيدة العربية ومعانيها هي نفس الموضوعات والمعاني التي عالجها اصحاب فن التوشيح ، يقول ابن سناء الملك : (والموشحات يعمل فيها ما يعمل فى انواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجو والمجون والزهد) . وربما قصر الموشحون فنهم فى العصور المتأخرة على موضوعات اللهو والمجون وكل ما يتصل بالهزل دون موضوعات الجد كالمدح والرثاء .

نشاة الموشحات :

اتفق المؤرخون لفن التوشيح على أن نشأته كانت فى اواخر القرن الثالث الهجري واختلفوا فى تحديد لبيئة التي نشأ فيها فجعلها بعضهم بلاد المشرق وجعلها البعض الآخر بلاد الاندلس .

اما الذين يعزون نشاتها الى المشرق وعلى راسهم المرحوم كامل كيلاني فينسبونها الى ابن المعتز معتمدين على ورود هذه الموشحة فى ديوانه :

ايها الساقي اليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تسمع

ونديم همت فى غرته
وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق اليه واتكا
وسقاني اربعا فى اربع

ما لعيني شقيت بالنظر
انكرت بعدك ضوء القمر
واذاما شئت فاسمع خبري

شقيت عيناي من طول البكا
وبكى بعضي على بعضي معي

غصن بان من حيث استوى
بات من يهواه من فرط الجوى
خافق الاحشاء من هون القوى

كلما فكر فى البين بكى
ويحه يبكي لما لم يقع

ليس لي صبرا ولا لي جلد
ما لقومي عذلوا واجتهدوا
انكروا شكواي مما اجد

مثل حالي حقها ان تشتكي
كمد اليأس وذل الطمع

كبد حرى ودمع يكف
يعرف الذنب ولا يعترف
ايها المعرض عما اصف

قد نما حبك عندي وزكا
لا تقل فى الحب اني مدعي

والواقع انه ليس لهذا الراي ما يثبته ، اذ ليس مجرد ورود هذه الموشحة ، التي بقي غامضا امر تسربها الى ديوان ابن المعتز دليلا على انها له فى حين انها لشاعر اندلسي هو الطبيب ابو بكر بن زهر الشهير بالحفيد نسبها له كل من ياقوت وابن سعيد وابن الخطيب وابن دحية وابن ابي اصيبعة وابن سناء الملك حيث وضعها ضمن الموشحات الاندلسية من غير ان

---

1) ص 217 ج 2 .

حقائق تاريخية
عن اليهود والصهيونية وإسرائيل

للأستاذ : عزالدين عبدالقادر

بعدما انبثق النظام الشمسي فى آخر الامر من السديم الداكن .. او من أي شيء ءاخر .. وبعدما انحسرت عصور الجليد المتتابعة التي اجتاحت بقسوة ارضنا هذه .. وبدأت تغطيها منذ اكثر من نصف مليون سنة .. وبالتحديد بعد ما انتهى عصر الجليد الرابع والاخير أي منذ حوالي مائة الف سنة حسب تقدير الجيولوجيين علماء طبقات الارض المعاصرين .. نشأت عن المجاري التي احدثتها ركامات الجليد الذائبة انهار عديدة .. ولكن دجلة والفرات والنيل اجتذبت فيما بعد جمع من بقى من البشر على قيد الحياة بعد الطوفان .. الى جوار هذه الانهر الثلاثة حيث وجدوا عندها المناخ حارا نسبيا .. وقد اتبع الانسان وعائلته خط الجليد المنكفىء من المنطقة التي تؤلف اليوم الخليج العربى ودلتا النيل لينشىء مدن سومر او «شومر» القديمة ومصر لان تاريخ الانسانية المدون الثابت بدأ هنـــاك ..

والحق انالعراق ــ كمايقول لورنسغريزوولد ــ او بلاد ما بين النهرين ، دجلة والفرات ، كان منذ عهوده الاولى ارض ري وقنوات وخيرات كثيرة .. وكذلك كانت مصر ..

فقبل ميلاد السيد المسيح بأكثر من الفي سنة فى عصر الزمن الذي كان فيه بالعراق سيدنا ابراهيم أبو الانبياء ، وضـــع الملك حمورابي الفاتح المشرع العظيم ، الذي حكم العراق طوال ثلاث واربعيـــن سنة ذهبية (2123 ــ 2081 قبل الميلاد) وهو ابن (الملـــك سن مبالط) الذي يسمى خطا باسم امربال (كما سماه اليهود خطأ كذلك فى توراتهم باســم ــ أمرافـــل ــ فى سفر التكوين الاية 14 : 1) .. وضع حمورابي الذي ورث عن ابيه عرش بابل .. شرائع تلقي على المواطنين مسؤولية المحافظة على نظام الري فى العراق .. وقـــد سجلت شريعته على مسلة من حجر البازالت الاسود طولها متران تقريبا كتبت نصوصهـــا باللغة البابليـــة القديمة والخط المسماري وتشمل على 282 مـــادة تناولت فضلا عن شؤون الري .. معظم القضايـــا والعلاقات الاجتماعية والعقوبات وجرائم الاعتداء على الاشخاص وعلى الرقيق والاموال الخ .. كما تحتوي هذه الشريعة ايضا على بعـــض الاحكـــام التجاريـــة والحربية وبالاجمال على كل ما ينظم حياة البابلييـــن الاجتماعيـــة ..

وكانت هذه المسلة قد وضعت فى (ايساجيـــلا) وهو معبد اله بابل مردك او (مردوك) اله الخير وحكيم الالهـــة فى مدينـــة بابـــل ..

وقد عثرت على هذه المسلة البعثة الفرنسيـــة التي كانت تواصل تنقيباتها الاثرية فى موقع (سوس) فى عيلام جنوبـــى العراق بين عـــام 1902 ــ 1903 . ومدينة (السوس) هي عاصمة (عيلام) القديمة التـــى تجتمع فيها تاريخ الشرق القديم برمته ويرتبط اوله بآخره ..

وقد اكتسبت هذه الشريعة البابلية القديمـــة اهمية اخرى من جراء تشابه قسم كبير منها للتشريع العبري . وشريعة النبي موسى فيما بعد وغيرها من الشرائع السامية ، ولهذا حرصت هنا على الاشـــارة اليهـــا .

ويرجع تاريخ سيدنا ابراهيم الخليل ابو الانبياء الى حوالي 1950 قبل الميلاد حينما صحب عائلتـــه

ولو صح هذا الراي لكان المشارقة اولى بهذا التطوير ولسبقوا اليه ولفاقوا الاندلسيين فى نظم الموشحات او لسايروهم على الاقل فى غير تكلف ، ويزيد فى ضعف هذا الراي انه لم يعرف عن شعراء الاندلس انهم كانوا ينظمون المسمطات او ما يشبهها ، وحتى اذا كانوا قد مارسوا هذا اللون فانه لم يصلنا منه شىء .

وعلى عكس هؤلاء فان بطرس البستاني يرى ارجاعها الى اصل فرنسي ويزعم ان العرب تأثروا بالمنشدين الفرنسيين المعروفين بالجونكلور les jongleurs ثم بالطروبادور les troubadours البروفانسيين الذين كانوا يتجولون فى فرنسا فىالقرن العاشر فما بعده ، وهذا راي يخالف ما ذهب اليه اغلب الباحثين الاوربيين وخاصة المستشرق كليمان هوارت من ان عرب الاندلس كانوا اساتذة التروبدور فى فن القوافي والاوزان الشعرية .

ويذهب المستشرق الاسباني ميلاس فلكروزا Millas Villicrosa المتخصص فى الدراسات العبرية الى القول بان الاناشيد العبرية الدينية المعروفة بالبزمون Pizmon والتسبيحات اللاتينية التي يرددها المصلون عقب كل فقرة من فقرات الترتيل الديني كانت الاصل الذي استوحاه مخترع الموشحات

واستبعد الدكتور احمد هيكل (1) ان يتأثر المسلمون الاندلسيون بشىء متصل بالدين لما عرف عنهم من تعصب شديد ونفرة واضحة مما يتسوب العقيدة حتى لقد كانوا ينفرون من الفلسفة بل من المذاهب الفقهية المخالفة لمذهبهم فكيف يعقل ان يتأثروا ببعض الاناشيد اليهودية الدينية .

ويرى فؤاد رجائي (ان اختراع الموشحات كان اثرا من آثار زرياب) (2) وان هناك شيئين جوهريين نقلهما زرياب من المشرق هما طريقة تطبيق الايقاع الغنائي على الايقاع الشعري ، وطريقة الغناء على اصول النوبة الغنائية) ، ويعتقد ان هاتين الطريقتين هما اللتان اوحتا الى الشعراء والمغنيين الذين أتوا بعد زرياب باختراع الموشحات) (3) .

ولو تأملنا هذا القول لوجدنا فيه ما يرد به عليه فهو يذهب الى ان المصدر الذي استوحاه الشعراء فى ابتكار الموشحات مستورد من المشرق حمله زرياب البغدادي معه ، واذن فلماذا لم يظهر هذا الفن فى المشرق ؟ ولماذا لم يسرع المشارقة الى نظمه ؟ ولماذا جاءت موشحاتهم متكلفة لم يستطيعوا بها مجاراة موشحات الاندلس ؟ اما غير هؤلاء من الباحثين فيذهبون الى القول بان فن التوشيح انما هو تقليد لشعر غنائي ولكنهم مختلفون فى نوع هذا الشعر .

فالمستشرق الاسباني خليان ريبيرا يذهب الى انه شعر الاغنيات الرومانية (4) ولكنا لا نستطيع اقرار هذا الراي او تفنيده ما دام التاريخ لم يحتفظ لنا بنماذج من هذه الاغنيات وان كنا لا ننكر ان المسلمين فى الاندلس كانوا يستعملون اللهجة الرومانية فى شؤونهم العادية وفى معاملاتهم مع الاسبان .

كذلك ذهب هذا المستشرق الى افتراض آخر هو ان هذا الغناء الذي استوحاه الوشاحون جليقي وحجته ان النساء الجليقيات كن يعملن فى البيوت الاندلسية مربيات للاطفال ومغنيات فى الحفلات ولكنا لنفس السبب الذي استبعدنا به رأيه السابق نستبعد هذا الراي كذلك ، والراجح عندنا ما ذهب اليه الدكتور الاهواني (5) من ان الاصل فى فن الموشحات هو الاغنية الشعبية التي ظهرت فى البيئة الاندلسية منذ عهودها القديمة والتي لا شك انها كانت تمتزج فى نظمها لغة الاندلسيين العربية بلهجة الاسبان الرومانية .

— يتبع —

---

1) فى كتابه (ادب الاندلس ص 156) .
2) فى كتابه (الموشحات الاندلسية) ص 47 سلسله من كنوزنا .
3) نفس المصدر الساق ص 98 .
4) الرومان de roman يطلق على مجموعة اللهجات المتفرعة عن اللاتينية والتي كان يتكلمها معظم سكان اوربا فى العصر الوسيط .
5) الزجل فى الاندلس ص 2 .

... (اسماعيل) الذبيح — وليس صوابا ما يدعيه ... من ان ابن ابراهيم الذبيح هو اسحاق ، كما انه ... صحيحا كذلك ما يدعونه من ان هاجر المصرية ... ابراهيم وام اسماعيل ، الجد الاعلى لنبينا محمد ... الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم ، كانت ... جواري زوجته سارة ، وهبتها له من بين ... وجواريها بعد العودة الى كنعان من مصر ... ولدها اسماعيل (سفر التكوين ، الاصحاح 25 . ... 12) . — ولليهود فى هذا الموضوع قصة عجيبة ... نناقشها على ضوء البحث العلمي فى مقال آخر عند دراستنا للتوراة — لهذا سافر ابراهيم بصحبة زوجته (هاجر) وابنه الوحيد الصغير اسماعيل متجها الى الحجاز ، واوغل فى السفر جنوبا حتى انزلهما فى بقعة جرداء بواد غبر ذي زرع اسمها (بكة) وتسمى الآن (مكة) وترك هناك قلبه وحبه واملة زوجته هاجر وفلذة كبده اسماعيل ثم عاد مرة اخرى الى قريته (الخليل) بكنعان حيث مات فى فلسطين عام 1820 قبل الميلاد ودفن بها ويعرف مقامه الآن هناك باسم (الحرم الابراهيمي) بعد ان انجب بمعجزة الهيه ابنه الثاني اسحاق من زوجته الاولى العاقر (سارة) .. فى آخر ايام حياته وبعد ان بلغ من الكبر عتيا ..

يقول المؤرخ المصرى المحقق الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد ان الخليل ابراهيم : « كانت له علاقات متتابعة بكل مدينة منمدن القوافل الكبرى فى زمانه» ..

والجدير بالذكر ان علماء الآثار اكتشفوا فى مطلع هذا القرن فى ارض الفرات .. صورة منحوتة فى الصخر للخليل ابراهيم رسمها يهود القرن الثالث الميلاد تعتبر بحق اقدم صورة اثرية له وهى تمثله رجلا ابيض اللون متوسط القامة ممتلئ الجسم فى الخمسين من عمره اشيب الشعر كث اللحية كثيف الحاجبين واسع العينين طويل الانف الاقنى بارز الوجنتين غليظ الشفتين صلب الرقبة حافي القدمين يرتدي جلبابا طويلا الى نصف الساقين لونه ابيض باكمام طويلة له فتحة عند الرقبة من غير شق ... الصدر يتدلى من فوق كل كتف خط ملون اسود الى قرب السرة ثم يتوسط طرف كل خط شريط ... من تحت هذين الخطين يتدلى الى آخر الجلباب ... تحت مزين بخطوط عرضية والزي عموما يشبه الى حد كبير زي العامة الشائع بين العبرانيين القلائل الذين انحدروا من قبائل اليمن بجنوب شبه الجزيرة العربية الى العراق فى (اور) زمن عصر سلالة بابل الاولى ايام حمورابي ..

القدس

كانت القدس قديما تسمى باسم (يبوس) نسبة الى اهلها اليبوسيين العرب وهم بطن من بطون الكنعانيين سكان ارض كنعان (فلسطين) ..

ومن ملوكهم الملك (مليكصادق) وهو ملك عربي صميم .. كان اول من اختط القدس وبناها .. وكان ملكا وديعا محبا للسلام .. ومن هنا جاء اسمها القديم (سالم) وهو كما يبدو اسم عربي صميم من غير شك ولا نزاع . وعرفت القدس فيما بعد باسمها الكنعاني (اور — سالم) اي مدينة السلام .. وقد ورد اسمها فى الاداب البابلية والمصرية القديمة فكان يكتب محرفا (بروسليمو) الذي زاد مع الايام تحريفا فاصبح يعرف فيما بعد باسم (جوريزاليم Jérusalem) ..

ولقد شهدت هذه المدينة كثيرا من المعارك التاريخية .. وتوالى عليها الغزاة والفاتحون .. تارة يحاصرونها ويدكون اسوارها .. وتارة اخرى يفتحونها ويحتلونها ..

ولقد استولى عليها داوود النبي الملك من ايدي اصحابها اليبوسيين العرب سنة 1000 قبل الميلاد واتخذها عاصمة ملكه ثم خلفه عليها ابنه سليمان الذي بنى فيها هيكله على جبل موريا .. لا صهيون كما سماه العبرانيون بعد ذلك .. وفى سنة 586 قبل الميلاد هاجمها نبوخذنصر فخربها وسبى اليهود الى بابل .. واستولى عليها كورش ملك الفرس بعد ذلك بنحو نصف قرن من الزمان فاعاد السبي ورمم المدينة وبنى اليهود هيكلها ثانية ..

وكورش او (قورش) ملك الميديين والفرس .. كان مشهورا بالجمال والوسامة لدرجة جعلت الفرس يتخذونه نموذجا لجمال الجسم حتى آخر ايام فنهم القديم .. كما كان مشهورا بروح التسامح بصورة نموذجية للخلق الابراني !! وهو الذي خلط هيرودوس تاريخه بكثير من القصص الخرافية التي تجعلنا لا نستطيع أن نرسم صورة صادقة لشخصيته الحقيقية ..

القليلة العدد ـ المنحدرة فى الاصل من احدى قبائل اليمن الرحل بجنوب شبه الجزيرة العربية ـ صحبها فى ذلك الوقت مهاجرا بها من مسقط راسه فى مدينة (اور Ur) فى جنوب العراق شرقي الفرات عبر الهلال الخصيب متوجها الى ارض كنعان (فلسطين). وكان ذلك فى عصر امتاز بالهجرات المتعددة للقبائل والشعوب .. ايام الدولة الوسطى الملكية بمصر (العائلة الفرعونية الحادية عشرة) .

وكان دفع القبائل المهاجرة والشعوب بعضها لبعض فى منطقة الهلال الخصيب والشرق الادنى عموما يهدد وادي النيل .. لهذا استطاع فراعنة الاسرتين الثانية عشر والثالثة عشر حوالى عام 1900 ـ 1800 قبل الميلاد ، ايقاف سيل الهجرات نحو مصر تحت ضغط الموجات المتتالية من الحثيين والكاشيين التي تدفقت على الهلال الخصيب من هضاب اسيا والاناضول ..

ولكن مصر لم تستطع بعد زوال الدولة الوسطى وبالتالي زوال استقلالها ان توقف سيل هذه الهجرة اليها خاصة بعد بدء الاضمحلال الثاني الذي اصابها وقتئذ اثر غزو الهكسوس لها الذي استمر من عام 1850 ـ 1710 قبل الميلاد .. اضطربت فيها احوال مصر وتمزقت .. ودام هذا الاضطراب وهذا التمزق بعد خروجهم وقتا ليس بالقليل .

ويعتقد معظم المؤرخين ان هؤلاء الهكسوس ليسوا جنسا واحدا . ل هم خليط من سكان قدموا من هضاب اسيا الصغرى وكانوا يجذبون معهم العبرانيين من سكان ارض كنعان العربية فى اتجاههم لغزو مصر. كشأن العبرانيين دائما فى كل زمان ومكان فى ملاحقة زحف الغزاة والمستعمرين بقصد استغلال الشعوب المغلوبة على امرها ..

كانت اضطرابات هذه الهجرات الجارفة للقبائل والشعوب فى منطقة الشرق الاوسط .. لا يعطي احداها الفرصة لكثير من هذه الشعوب والقبائل للاستقرار بسبب العوامل الاقتصادية .. وسعي هذه القبائل الدائم وراء القوت . وهي حقيقة تاريخية اكدها القرءان الكريم .. كما اكد ان يوسف الصديق سبط ابراهيم قد نال حظوة كبرى فى بلاط الهكسوس الاجانب، الذين كانوا يحكمون مصر قسرا فى ذلك الوقت .. او بمعنى ادق .. كانوا يحكمون منها جزءا صغيرا فى دلتا النيل .. الامر الذي اتاح ليعقوب ـ اسرائيل نفسه ـ وبنيه ـ بني اسرائيل ـ الاسراع لانتهاز الفرصة المواتية للهجرة الى مصر المحتلة .. والحصول على ارفع المناصب وارغد الوان الحياة فى خدمة الحكومة الاجنبية المتسلطة على شعب مصر .. واوضح القرآن الكريم بكل دقة ان ذلك قد تم لهم هربا من ضغط الشعوب المهاجرة من قبل الى كنعان مما سبب هناك ـ اي فى فلسطين ـ المجاعة ، وكان من نتيجة ذلك تكاثر عدد بني اسرائيل فى مصر ـ رغم استعبادهم فيها بعد ذلك ـ وزيادة ثروتهم بقدر ازدياد طمعهم فى خيرات مصر واستغلالها اسوأ استغلال ادى بهم آخر الامر الى استرقاقهم واضطهادهم وتعذيبهم ..

ومما لاحظه علماء التاريخ والاجناس ان اليهود فى جميع العصور كان عددهم يتضاعف ويكثر تناسلهم كلما زاد اضطهادهم وتعذيبهم .

وابراهيم كان من اعظم الانبياء والمرسلين تجوالا ، فكان بذلك رحالة كبيرا : انتقل من (اور) ـ او المقير كما هو اسمها حاليا فى العراق الحديث ـ الى (نينوى) فى شمال العراق .

وكان ابو ابراهيم نحاتا يصنع التماثيل والاصنام فى (أور) ويعبدها مع قومه فاختلف ابراهيم معهم وثار عليهم داعيا الى عبادة الله وحده فغضب عليه قومه وتبرأ منه ابوه واسلمه الى السلطات التي حكمت عليه بالموت حرقا كعادتها المتبعة مع الخارجين على الدين الوثني والقانون والدولة فى تلك الايام ..

ونجا ابراهيم من الموت حرقا بمعجزة .. ففر هو وبعض اهل بيته من (اور) فى الجنوب الى (نينوى) فى الشمال حيث تزوج هناك زوجته الاولى العاقر ساره . (ونينوى هي الآن مدينة الموصل بالعراق) .

ولم يلبث ابراهيم ان هاجر من جديد مع موجات الهجرات المتدفقة على الهلال الخصيب الى بعلبك فى شمال لبنان ومنها الى اوريشليم (القدس) ثم الى شبه جزيرة سيناء فى طريقه الى مصر .

وفى مصر تزوج ابراهيم بمصرية هي زوجته الثانية (هاجر) ثم هاجر من جديد عائدا الى ارض كنعان العربية (فلسطين) حيث عاش فى مشارف الشام حياة ناعمة كانت تجري رغدا الى ان اكلت الغيرة قلب زوجته الاولى العاقر (سارة) بمولد ابنه

فلسطين عربية

يقول البروفسور آلبريت Prof. W. F. Albrigt احد كبار الثقات العالميين فى تاريخ فلسطين القديم ، فى كتابه العلمي : Archaeology of Palestine - 1949 ،

« انه ليس فى فلسطين اية اثار يهودية يرجع تاريخها الى ما قبل العهد الروماني الانطوني » ..

وهو ينص فى وضوح لا يحتمل اللبس او الشك على اثبات هذه الحقيقة فيقول : « كان كثير من العلماء يعتقدون قبل ان ببسط (كهل Kohl) و (ووتزنجر Watzinger) ومن بعدهما (سوكينيك Sukenik) نتائج ابحاثهم ان بعض الكنائس الخربة فى الجليل نرجع الى عهد المسيح ، قبل الثورة الاولى .. اما اليوم فلم يبق اي ريب فى أن هذه النظرية كانت خاطئة ، وانه ما من اثر باق فى فلسطين يرقى الى ما قبل العهد الانطوني على ابعد تقدير .. »

ورغم الصهاينة .. والصهاينة وحدهم اليوم .. ان ما يسمى (بحائط المبكي) فى مدينة القدس القديمة.. هو بقية من هيكل سليمان .. وهو زعم لا تدعمه الاسانيد التاريخية فانه من الثابت علميا عند علماء الاثار ان ذلك الجدار هو الهيكل الذي بناه حوالي سنة 20 قبل الميلاد هيرودوس الكبير الايدومي .. الملك الذي اعتنق الديانة اليهودية رغم انف اليهود ورغم معارضتهم الدامية له وقتئذ .. ويؤكد البروفسور البريت ان اعتناق هيرودوس الكبير اليهودية (انما كان لاغراض سياسية) .

وهيرودوس الكبير نفسه هو ذلك الملك المتهود الضعيف المعروف بفجوره .. الذي هام حبا بابنة زوجته وربيبته الفتاة اليهودية الفاتنة (سالومي) مما جعله لا يتورع عن ذبح نبي الله يحيى بن زكريا او (يوحنا المعمدان) اكراما لليلة شهوانية حمراء يقضيها بين احضان هذه الشيطانة الساحرة .. والتمتع بجسمها اللعوب .. ورقصاتها النارية السبعة ..

ويقول رينان فى مقال نشره بالجريدة الاسيوية سنة 1882 :

« يستفاد من اعمال الرسل الفصل 2 ـ 9 ، ان اللغة العربية كانت فى حياة المسيح من جملة اللغات المتداولة فى القدس » ..

وكان ذلك فى نهاية حكم هيرودوس الكبير المذكور .. وكان هيرودوس ملك اسرائيل يقيم فى عاصمته (سبسطية) السامرة اليوم .. التي كان الامبراطور الروماني اغسطس قيصر قد اهداها له فى سنة 20 قبل الميلاد .. وكان قد بناها من قبل (عمري) ملك اسرائيل واتخذها عاصمة له .. ويعتقد البعض ان سبسطية هذه هي المكان الذي دفن فيه سيدنا يحيى عليه السلام .. بعد ذبحه .. وهي تبعد مسافة 27 كيلومترا الى الشمال من القدس قرب مدينة نابلس الحالية (واصل اسمها محرف من اسمها الروماني القديم (فلافيانابوليس ـ اي المدينة الجديدة)

وليس ادل على عروبة فلسطين منذ القدم ان اول الاسوار العديدة التي اقيمت حول القدس كان اليبوسيون هم اول من فكر فى تسويرها به . وبنوه فعلا حولها سنة 2500 قبل الميلاد ولم تزل بقاياه قائمة حتى اليوم فى مكانها بالقدس شاهدا على ذلك .. واليبوسيون كما سبق ان بينت هم سكانها الاوائل من بطون الكنعانيين العرب الذين سكنوا فلسطين منذ فجر التاريخ .. وحكموها قبل ان يولد ابراهيم نفسه .. ابو الانبياء ..

ـ للبحث بقية ـ

وقورش هو مؤسس الاسرة الاخمينية (اسرة الملوك العظام) من السلالة الكيانية التي حكمت بلاد الفرس فى ازهى ايامها واعظمها صيتا .. (من عام 538 ثم الى عام 331 قبل الميلاد) .

وفى عهده حققت الحركة الصهيونية العالمية الوليدة اول انتصاراتها باخضاع هذا الملك الفارسي لزوجته اليهودية استير التي دفعها ابن عمها مردخاي بعد نجاح الصهيونية السرية التي نظمها اليهود فى الاسر ببابل لاعادة اسرائيل وحكم العالم، حققت.. نجاحها فى تزويج الملك من ابرع عميلات الصهيونية السرية وهي استير .. دفعها ابن عمها مردخاي الذي كان عشيقها فى نفس الوقت ومن اشد عملاء الصهيونية تحمسا .. الى اخضاع شاه ايران ذلك الزمان لاراده اليهود .. واعاده بني اسرائيل من الاسر فى بابل الى ارض الميعاد ..

وهكذا انقذ بنو اسرائيل فعلا من الاسر و[illegible] فى النهاية من المحنة بفضل نظامهم السري الجديد الذي ولد خلال الاسر والمحنة .. الا وهو نظام وخطط الصهيونية العالمية .

وقد هلك الملك قورش عام 526 قبل الميلاد وقبره موجود حاليا فى جهة (بازار جاده) ونعرف المنطقة الموجودة بها بالفارسية باسم (تحت مادر سليمان) وتكتب احيانا (باسركاد) وكانت مدة حكمه تسع سنوات (538 ــ 529 قبل الميلاد) ..

والمعروف ان خلفه فى حكم فارس كان ابنه قمبيز الملك الفارسي الذي هاجم مصر وغزاها ثم اصيب بالجنون فانتحر بالقرب من اكباتانا .. ويقال اغتاله رجاله كما يروي بعض المؤرخين ..

وفى عام 332 قبل الميلاد زحف الاسكندر الاكبر المقدوني على مدينة القدس .. وفتحها عنوة .. ومن بعده حكمها البطالمة (البطالسة) والسلوقيون ..

ولما كان الشيء بالشيء يذكر .. فانه يقال ان ماركوس انطيوخس الثامن او انطونيوس (ويسمى احيانا انطونيو ولعله اسم التدليل الذي كانت تناديه به حبيبته كليوباترا (كليوباطره) . اهدى الى كليوباترا ملكة مصر وهو فى القدس ــ وذلك بين عامي 125 و121 قبل الميلاد ــ مدينة (اريحا) التي تبعد عن القدس 38 كيلومترا فى الشمال الشرقي منها واريحا هي اقدم مدينة مسورة فى العالم .. وقد باعتها كليوباترا فيما بعد الى الملك اليهودي الفاسق هيرودوس الكبير .

وفى عام 63 قبل الميلاد جاء (بمبيوس) الى القدس ودمرها تدميرا ونكل بالمكابيين (بني اسرائيل) شر تنكيل ..

وفى عهد هيرودوس الكبير عمرت القدس بعد تدميرها واعيد بناؤها على طراز جديد انيق ، وفى آخر ايامه ايضا ولد السيد المسيح فى بيت لحم . وقد منيت القدس فيما بعد بضربات اخرى قاسية انزلها بها الرومان على اثر الثورات المتتالية واعمال الشغب الفاشلة التي كان يقوم بها اليهود من وقت لآخر بعد ان فقدوا طويلا حكمهم لهذه البلاد حكما لم يزد فى جملته عن تسعين سنة فقط خلال الخمسة آلاف سنة الماضية .

فقد خف اليها (تيطس ابن فسباسيانوس) الروماني سنة 70 ميلادية فشد عليها الحناق وهدم منازلها واحرق هيكلها .. وقتل اهلها واسر منهم خلقا كثيرا .. وجاء من بعده ادريانوس سنة 135 ميلادية فاخمد فيها ثورة ثانية لليهود واراد ان يزيل المعالم المسيحية ايضا فاعاد بناء المدينة على طراز وثني .. واقام فوق القبر المقدس ــ قبر المسيح ــ وغيره من مقدسات المسيحيين هيكلين وثنيين نصب فوقهما تمثالي المشتري والزهرة واطلق اسم (ايليا كابيتولينا (Aelia Capitolina) على القدس .. وحرم جميع اليهود من دخول المدينة الا فى يوم واحد فقط فى السنة هو يوم (احد الشعانين) ومن يدخلها منهم فى غير هذا اليوم يقع تحت طائلة عقوبة الموت ..

وقد عرف المسيحيون بعد خراب مدينة القدس على يد تيطس وادريانوس ان نبوءة السيد المسيح بخراب القدس ومصيرها التعس قد تحققت ..

ومنذ ذلك التاريخ لم يعد لليهود فى القدس اسم يذكر او اي كيان سياسي بعد ان فقدوا منذ زمن طويل مضى قبل هذا حكمهم السياسي فيها .

ان اقرب اللغات الى الاصل السامي هي العربية ويعللون ذلك بان العرب كانوا اهل بدو وانهم لم يخالطوا غيرهم لذلك بقيت لغتهم سليمة من الاختلاط والتأثر بمن حولهم ، ولكننا مع ذلك نرى أن هاته العلة لا تنطبق الا على جزء من الجزيرة العربية والا فان اللغة العربية قد اكتسبت من اللغات المجاورة لها الفاظا متعددة كما انها قد أثرت هي نفسها فيمن جاورها وهاته هي عادة الكون لابد من تأثر وتأثير بسبب الاختلاط .

ولتحليل ذلك يجب أن نعلم أن العرب كانوا يسكنون شبه الجزيرة العربية فى الجنوب الغربي من اسيا وتحد شمالا بحدود الفرس والروم (على الاصطلاح التاريخي) وشرقا بالخليج الفارسي (العربي) وجنوبا بالمحيط الهندي وغربا بالبحر الاحمر وانهم كانوا يسكنونها متفرقين ، فكان فى جنوبها العرب القحطانيون الذين ينسب اليهم الحميريون ملوك اليمن ويسمون بالعرب العاربة اي العرب الاصليين ، وأما الشمال فكان يسكنه العرب العدنانيون الذين يرجع نسبهم الى اسماعيل بن ابراهيم ويسمى هؤلاء بالعرب المستعربة : العربية انما دخلت اليهم عن طريق المصاهرة وذلك ان اسماعيل لما اقبل على مكة تزوج بامرأة عربية من قبيلة جرهم وتكون من نسله هؤلاء واصبحوا يتكلمون باللغة العربية وتكونت منهم قبائل شتى حتى اصبح لكل قبيلة لهجة خاصة ربما لا تفهمها القبيلة الاخرى .

وعلى حدود فارس والدولة البيزنطية تكونت دولتان عربيتان هما دولة الغساسنة على حدود الروم ملك الشام وسوريا ودولة اللخميين فى العراق أسست سنة 240 ميلادية وانتهت بمقتل النعمان بن المنذر سنة 602 م.

ولقد كان أصل رؤساء هذين الدولتين من ... ب وكانت لكل منهما عوائد خاصة واتجاه سياسي خاص ولهجات خاصة .

ولا شك ان هذا الاختلاف فى الاقامة كان من ... الاسباب فى اختلاف اللهجات حتى أن ابا عمرو ... لعلاء أحد علماء اللغة فى العصر الاموي حينما ... عن لغة الجنوب قال : .. ما لغة حمير بلغتنا ... ربيتهم بعربيتنا . هذا زيادة على ما دخل على اللغة العربية قبل الاسلام من كلمات من الدول المجاورة كالنبراس والسراج والاسطول والسفينة ونحو ذلك .

واذا ما اندرجنا مع هذا البحث فاننا نصل الى ان لهجات العرب كانت مختلفة جدا بحيث لا نستطيع ان نجعل اللغة فى العصر الجاهلي من مقومات الوحدة العربية . ولكن هل يمكن أن يستمر العرب على تفرقتهم واختلاف لهجاتهم ولغتهم من غير أن يظهر فيهم من يعمل على جمع وحدتهم ولم شتاتهم وتهذيب هاته اللغة ؟ .

لا شك أن العرب لم يكونوا متخلفين تخلفا تاما ولم يكونوا بالصورة التي يصورهم بها اعداؤهم ، ومن يدرس تاريخ اليمن فى جنوب الجزيرة العربية ويطلع على ما كان فى صفار وظفار وحضرموت من حضارة يحكم حينئذ على مكانة العرب فى التاريخ .

واذا علمنا ان الحميريين فى جنوب جزيرة العرب قد فكروا فى انشاء السدود وفى استغلال الطبيعة لري اراضيهم ولاكتساب الثروة عن طريق العلم لا عن طريق الصدفة لزاد اعجابنا بالامة العربية .

الا اننا لسنا ندعي بهذا العرض ان حضارة العرب فى العصر الجاهلي لم يصبها فتور ، أو انها كانت عامة ، بل ان من سكان الجزيرة من كان يعيش على البداوة وان من المتحضرين من العرب من ضعف بسبب المناورات التي كان يقوم بها الفرس والروم فقد كانت هاتان الدولتان تعملان على ايجاد التفرقة بين العرب ونرى كثيرا من الحروب العربية انما كانت تاييدا لفارس او انتقاما من الروم او العكس ، ولم يكن العرب يريدون الرضوخ لهؤلاء او لهؤلاء الا أنهم لم يجدوا زعيما يجمعهم على كلمة واحدة ، فكنت ترى فى الجنوب دولة وعلى حدود فارس دولة وعلى حدود الروم دولة ، وفى وسط الجزيرة قبائل متنافرة لا تشعر الا بالوحدة القبلية ، وشعر العرب بخطورة الموقف وشعر البدو اولئك الذين يتنافرون بأن مصير العرب الى فناء وانبثق من بين العرب خطباء وشعراء كانوا على دين النصرانية او اليهودية وأصبحوا يوجهون الآراء الى الالفة والاتحاد ولكنها كانت صيحات فى واد ، الا ان الظروف الطبيعية هيأت الفرصة للعرب وائتلافهم واتحاد لغتهم وذلك ان عرب الجنوب كانوا يعيشون فى رفاهية من العيش نظرا لما اشتهروا

اللغة العربية بين الماضي والحاضر

للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

للتحدث عن اللغة العربية لابد من معرفة الاصل الذي انبثق منه والجنس الذي تنتسب اليه .

ومن يدرس تكوين اللغات يجد ان الانسان الاول كان يعيش بين الاذغال والكهوف لا تجمعه اي رابطة ، ولا تؤلفه اي جماعة ولا يحسن اي لغة ، انما كان اذا اراد التعبير عن بعض خوالجه أو الافصاح عن حاجياته صاح صيحات مبهمة تقليدا لاصوات الطبيعة واشار اشارات تدل على التحبيذ او المعارضة ، ولا شك ان طبيعة النشوء والارتقاء احاطت بالانسان فاندرج فى سلك الحضارة ورقي سلمها واصبح بطبيعة الحال يحتاج الى اشياء واشياء كان فى غنى عنها قبل تمدنه واصبح مضطرا الى لغة يعبر بها فاختلق الفاظا ووضعها واصطلح عليها لتكون هي الواسطة بينه وبين غيره .

وحيث ان الانسان لم يستقر فى مكان خاص فى هذا العالم بل تعدد مستقره . وحيث انه لم يكن متحدا تمام الاتحاد مع من جاوره نظرا لفطرته الاولى التي كانت تقترب من طبيعة الوحوش فقد نزح بعضه عن بعض وتعددت بسبب ذلك مواطنه واختلفت اوضاعه وتغيرت لهجاته وتعابيره فاختلفت بسبب ذلك اللغات العالمية .

وذهبت جماعة من علماء التاريخ الى ان اصل الانسان يرجع الى آسيا ولذلك فهم يعتبرون جميع اللغات العالمية قد تسربت الى العالم عن طريق آسيا ويرجعون هاته اللغات الى اصول ثلاثة :

اولا ــ الاصل الآري نسبة الى الاريين الذين كانوا يسكنون قديما آسيا الوسطى وقد تفرقت قبائل هذا الجنس فى الهند واوربا وتكونت منه اللغة الفارسية والهندية واللاتينية وما تفرع عنها .

ثانيا ــ الاصل الطوراني ويطلقه جغرافيو العرب على جنس كان يسكن جنوب باكستان ومنه تكونت اللغة التركية وما تفرع عنها .

ثالثا ــ الاصل السامي نسبة الى سام بن نوح ومنه تكونت اللغة العربية. ونحن اذا ما اردنا ان نبحث عن التطورات التي لحقت هاته اللغة يجب ان نتساءل عن موقف العرب فى التاريخ ودورهم فى الحضارة العامة للانسان ، ولنبدأ بالتحدث عن اللغة العربية في العصر الجاهلي ، وهو اصطلاح على العصر الذي عاشه العرب قبل الاسلام .

اللغة العربية فى العصر الجاهلي :

لقد تبين لنا فى العرض السابق ان اصل اللغة العربية هو الاصل السامي ولكن هل بقيت هاته اللغة محدودة الالفاظ جامدة التراكيب محافظة على اصلها من غير ان يقع فيها اي تغيير ؟

لا يمكن ان نجيب عن هذا السؤال الا اذا علمنا أن اللغة لا تجمد الا اذا جمد المتكلمون بها وأنها لا تقف فى السير الا اذا وقف واضعوها .

وحيث اننا نعلم ان العرب مذ كانوا وهم حركة دائبة ، وانهم منذ وجدوا وهم يعملون من أجل الحضارة الانسانية فاننا نتيقن بأن لغة العرب لم تبق جامدة بل تغيرت الا اننا نجد مؤرخي اللغة العربية يقولون

ومـن يتتبع حياة العرب يجد ان للاسلام اثـرا كبيرا فى احيائهم ووحدتهم وانه كان من اكبر الدواعي التي جعلت اللغة العربية لغة دولية بعد ما كانت لغـة اقليميـة .

كانت اللغة العربية محصورة فى جزيرة العـرب وبعض اطرافها فى مشارف الشام والعراق الى تدمر فلما جاءت الدعوة الاسلامية وانتشرت انتشارا عاما اتصل العرب بالفرس والروم والهند والحبشـة عـن طريق الدين فاسلم كثير من هؤلاء واختلطوا بالعرب . وانكبوا على اللغة العربية يتعلمونها ويدرسونها وعلى القرءان يتفهمونه ويشرحونه لانهم اذا لم يتعلموا اللغة العربية فسيبقون بعيدين عن لغة دينهم وعن الوظائف العامه ، لان الاسلام ديـن المساواة ولا يجعل الفـرق بين العربي وغيره الا بالتقوى ، فاذا كان الاسلام يسمح لكل مسلم بالولاية وباحتلال المناصب العامة فانـه يشترط فى ذلك المعرفة بالدين والاطلاع على كتاب الله ولهذا وجدنا المسلمين قد تهافتوا على تعلم اللغة العربية لان الاطلاع عليها هو اكبر عامل على تفهم معانـي القرءان . وحيث أن الدين اصبح مقترنا به فليس مـن المعقول ان تسير الدولة الا على نهجـه والا تنظـم المراسلات الادارية الا بلسانـه .

ومن الضروري للامـة اذا ارادت ان تسايـر الحضارة ان يكون التعليم فيها فاشيا وان يكون للغتها من الحصانة ما يجعلها قادرة على تحمل المسؤوليات، وقد فكر المسلمون الاولون فى ذلك فرأوا أن اللغـة اصبحت اساسا من اسس انتشار الديـن والثقافـة لذلك اعتبروا تعليم اللغة العربية ضروريا، وقد بـدأ النبي ذلك حينما انتصر فى غزوة بدر الكبرى فى السنة الثانية من الهجرة واسر عددا كبيـرا مـن المشركين فسمح لهم بالانطلاق من اسرهم اذا افتداهم اهلهم وقبل لكل من ليس معه فداء وهـو يعلم القـراءة والكتابة أن يعلم عشرة من غلمان المدينة ويعتبر ذلك فداءه . وان دل هذا العمل على شيء فهو يدل علـى اعتناء النبي بتعليم اللغة العربية لانه يعلـم أن اللغـة هي الركيزة الاولى فى الانتصار والمجد وان التعليـم هو اساس ضمانهـا .

وقد اقتدى به الخلفاء والملوك فى تعليم اللغـة فهذا عمر بن الخطاب امر ببناء اماكن خاصة لتعليم الصبيان وتأديبهم .

وقد اصبحت الحركة التعليمية تزداد وتفشـو بين الآفاق الاسلامية واصبح المسلمون يدرسون لغتهم، لغة القرءان ويحفظونها من الضيـاع .

وليس معنى هذا ان العرب قبل الاسلام كانـوا جاهلين او لم تكن لديهم حركة ادبيـة بـل راينا ان النبي كان يأخذ من بين الاسرى العرب من يعلم ابناء المدينة وذلك دليل على وجود الكتابة قبـل الاسلام ، فاذا سالتم لماذا اذن ندعو العرب قبل الاسلام بالجاهليين ونسمي عصرهم بالعصر الجاهلي ولماذا نعتهم القرءان بذلك حين قال فى سورة المائـدة : «افحكم الجاهليـة يبغون» فاننا نرى ان المهتمين بشرح ذلك من مؤرخي الادب قد نسبوا الجهل للعرب من عبادتهم للاوثان ومن اتباعهم لتقاليد تدل على عدم رقيهم اجتماعيا ، الا أن ذلك الجزء من المعرفة كان كافيا حينما كانوا قابعيـن فى جزيرتهم ، اما وقد اصبحوا يجولون بين الاقطـار ويتحكمون فى كثير من الدول ويرأسون الفرس والروم فقد اصبح نصيبهم من المعرفة غير كـاف لمقامهـم السياسي والاداري ، فالاسلام اصبح فى حاجة الـى كتاب ديبلوماسيين والى آخرين فى الحسابات الادارية خصوصا وان عمر بـن الخطاب قد نهج نهج الفـرس والروم فى وضع دواوين خاصة بالجيش وبالحسابات العامة ، فاضطر أول الامر ان يجعل هذه الدواوين فى العراق باللغة الفارسية وفى الشام بالرومية وفى مصر بالقبطية ، ولكنه لم يكن راضيا على هاته الحالة لذلك كان يعمل جهد مستطاعه حتى يوجد طبقة من المتعلمين يسيرون دواويـن الامة باللغة العربية .

ولما وصل الحكم الى الامويين تعصبوا للعـرب وللغتهم وتنكروا لكل ما عداها مـن اللغات واصبحت لغتنا غير قاصرة فى الادب والديـن بل تعدت ذلـك الى العلوم العامة والى تسيير الادارة واعلن عبد الملك ابن مروان تعريب الادارات ومحا تلك الفرقة اللغوية فى تسيير الدواوين بين اجزاء المملكة الاسلامية وفكر بعض العلماء فى ترجمة بعض الكتب عن اللغة الفارسية واليونانية ولكن ذلك لم يكن بالحركة القوية وانما كان ذلك ارهاصا لما سيقع بعد الدولة العباسيـة .

ومن بين هؤلاء العلماء الذين قاموا بحركة النقل حفيد معاوية خالد بن يزيد المتوفى سنة 82 هـ 704 م والذي يقول عنه الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين : « كان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا وفصيحا جامعا وجيد الراي كثير الادب وكان أول من ترجـم كتب النجوم والطب والكيميـاء » .

به من حضارة ، الا ان حربا عظيمة وقعت فى الجنوب بسبب اعتناق احد ملوك اليمن دين اليهودية واكراهه سكان نجران المسيحيين على الابتعاد عن معتقداتهم واتباعه فى دينه الجديد ، فلما ابوا قتل منهم عددا كبيرا وفر بعضهم الى الدولة البيزنطية واستنجد بقيصر الروم جوستيان فأمر القيصر حليفه فى الحبشة بغزو اليمن ، واستولى الحبشيون عليها فى القرن الخامس الميلادي واستبدوا بها الى ان وجد زعيم عربي اسمه سيف بن ذي يزن فاستنجد بالفرس وارجع اليمن من يد الاحباش ، ولما كان الخلاف متجليا فى الجنوب لم يتعهد الملوك الحاكمون سد مارب الذي بناه العرب فى القرن السادس وكان لانهياره اكبر الاثر فى اتحاد العرب لان اليمنيين فر اكثرهم الى الشمال وتفرقوا بين مكة ويثرب ، فانتقلت التجارة من اليمن الى الشمال ، واصبحت مكة هي العاصمة التجارية المطلقة واصبحت تنطلق منها القوافل التجارية الى الشام والى ما بقي من ارض اليمن ، وكانت هاته القوافل التجارية اكبر داع لتاليف العرب وانتشار لغتهم وتوحيدها وتهذيبها وذلك لتهافت العرب على الاسواق التجارية الموجودة قرب مكة كسوق عكاظ والمجنة وذي المجاز ، وكان العرب حينما ينتهون من البيع والشراء ينشد شعراؤهم قصائد متعددة فى الفخر ويجعلون ذلك وسيلة للدعاية وحيث انهم كانوا فى مكة وما حولها فانهم كانوا يؤلفون تلك القصائد بلهجة قرشية حتى تنتشر بسرعة فاصبحت الظروف تعين على توحيد اللغة العربية .

ومما زاد لهجة قريش انتشارا وجود الاصنام ــ التي كان يعبدها جل العرب ــ بمكة فكانوا يقبلون عليها ويتمسحون بها ويخاطبونها بلهجة قرشية صميمة فاصبحت هاته اللهجة هي اللهجة السائدة فى التجارة والادب والدين .

وهكذا راينا العرب قد توحدت لغتهم واتفقوا اتفاقا اوجدته الظروف على جعل لهجة قريش لغتهم العامة ، ولكنهم كانوا مختلفين فى الوجهات الفكرية والخلقية ولذلك كانوا فى حاجة الى من يوحد قلوبهم، فكان من حكمة الله أن أرسل فيهم رسولا منهم بدين الاسلام فحقق الوحدة للعرب ومكن اللغة العربية من الانتشار وطبعها بطابع الخلود ولا سيما حين انزل القرآن بهاته اللغة .

عزت اللغة العربية بنزول القرآن وكتب لها الخلود يوم اقترنت بالاسلام ، ولم تجد اي لغة وسيلة من وسائل النشر مثل ما وجدت اللغة العربية وذلك لانها ارتبطت بالدين الاسلامي واصبحت لغة القرآن وحيث أن الاسلام انتشر بسرعة فائقة فى جميع انحاء العالم فان اللغة العربية وجدت الطريق للانطلاق من شبه الجزيرة العربية الى باقي اجزاء آسيا والى اوربا والى افريقيا والى كثير من الاقاليم حتى اصبحت هي اللغة الرسمية حينذاك .

نزل القرآن بلهجة قريش الا أنه سمح لبعض اللهجات ان تقرأه بلسانها فتعددت بسبب ذلك القراءات ، فلما ولي عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين الخلافة قرر ابقاء لهجة قريش واحراق جميع الصحف التي دونت القرآن بغيرها وكتب بذلك مصحفا وارسل منه نسخا الى الولايات العامة وامر بان لا يقرأ القرءان الا بهاته اللهجة ، وبذلك اصبح للغة العربية شبه وحدة وقلت الاختلافات والاتجاهات .

واذا ما تحدثنا عن القرآن فاننا فى الحقيقة نتحدث عن أعظم اثر خلفه الدين الاسلامي باللغة العربية بصور حياة العرب وعوائدهم ويدعوهم الى الدين والاعتصام بحبل الله فأسمعه حين يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » ءال عمران ءاية103

تقدم لنا اذن ان العرب قد اتحدت لغتهم الادبية وانهم جعلوا اللهجة القرشية هي لغة الادب والمفاخرات والمدح وانهم كانوا فى حاجة الى من يوحدهم فكرا وروحا ، فلما جاء النبي محمد عليه السلام كان أعظم شخصية احيت العرب من رقدتهم ونفخت فيهم روح العزة وكانت لتعابير القرآن قوة توجيهية اخرجت اللغة العربية من نطاقها الضيق الى مختلف المواضيع حتى أن العربي عندما كان يسمع آية من القرءان يؤخذ بمحاسنها ويحاول تقليدها فتمتنع عنه نظرا لقوة بيانها وخصب معانيها وطرائف موضوعاتها ، فقد قص القرءان قصص الانبياء وبين الاحكام واعطى النصح كل ذلك بلغة عربية متينة حتى أن من المسلمين من جعل الاعجاز يرجع الى لفظ القرءان .

رحلة العبدري الحاحي

للأستاذ
عبد القادر زمامة

من حاحة القبيلة البربرية المصمودية الشهيرة التي كانت وما تزال تقطن ما بين المحيط وسفوح الاطلس فى بسيط من الارض امتاز بوفرة خيراته من الاشجار والمراعي والينابيع — خرج الرحالة المغربي الكبير : ابو عبد الله محمد بن علي بن احمد بن مسعود — او سعود — العبدري فى الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة 688 ه قاصدا الديار المقدسة بالحجاز ، مارا على منطقة سوس ما بين الاطلس الكبير والصغير، قاطعا الجنوب المغربي من الغرب الى الشرق فى ثلاثين مرحله ، حتى اذا وصل الى الشرق اخذ طريق القوافل الى تلمسان ومنها الى تونس وليبيا ومصر ثم الحجاز ..

واول ما يتبادر الى ذهن دارس هذه الرحلة الممتعة النفيسة التي لا تزال فى عالم المخطوطات الجديرة بالدراسة والنشر ، هو السؤال عن حياة مؤلفها وترجمته وبيئته التي كيفت عقله وثقافته واخلاقه ، ولكن هذا السؤال سيظل بدون جواب مقنع عن حياة هذا الرحالة العبقري ، لان المؤرخين المشارقة والمغاربة — فيما نعلم — قد سكتوا عنه سكوتا عميقا غريبا حتى انك لتشعر وانت تبحث عن حياته فى معاجم الرجال وكتب الطبقات كانك تبحث عن مجهول فى المجاهيل او نكرة فى النكرات .. على ان الايام كفيلة بالمفاجئات والاكتشافات فى ميدان البحث التاريخي .. فربما ياتي يوم نجد فيه انفسنا امام معلومات جديدة تتعلق بصاحبنا لا سيما وهو صديق حميم للمؤرخ المغربي الحافظ محمد بن عبد الملك صاحب الذيل والتكملة ، ذلكم الكتاب الذي ما زال مبعثر الاجزاء بين الشرق والغرب .. وشىء آخر يقوي الامل فى العثور على ترجمته وهو اتصاله بكثير من شيوخ تونس واعجابه بهم وثناؤه العاطر على علمهم وخلقهم ودينهم .. فلا يبعد ان يوجد منهم من يكتب عنه ما يكشف القناع عن ترجمته المجهولة لحد الآن ..

والشىء الغريب هو ان المؤرخين المغاربة كانوا على علم تام برحلة العبدري واستفادوا منها ونقلوا عنها الشىء الكثير .. وكانت متداولة بينهم فى الاندلس والمغرب منذ القرن الثامن .. لكنهم فيما راينا لحد الآن من مخطوطات ومطبوعات يذكرون الرحلة ولا يكادون يعرجون على صاحبها ..

فالرحالة الاندلسي خالد بن عيسي البلوي الذي خرج من بلاده فتورية بقصد الحج وطلب العلم سنة 736 ه اي بعد رحلة العبدري بنحو 48 سنة بذكر فى رحلته (تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق) ابياتا للعبدري عارض بها ابيات القاضي عياض فى (الشفاء) ويحلي صاحبنا بقوله : الشيخ الفقيه الاديب ابو عبد الله محمد بن محمد بن احمد (كذا) بن سعود العبدري الحاحي (1) .

وابو العباس ابن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفذ (741—810) يختصر رحلة العبدري اختصارا يناسب ذوقه الخاص ويسمي هذا الاختصار (المسافة السنية فى اختصار الرحلة العبدرية) (2) وقد قرات هذا الكتاب عند العلامة الوزير سيدي

---

1) رحلة البلوي مخطوطة
2) جذوة الاقتباس ص 79

ومن يهتم بتاريخ اللغات يجد ان الحضارة هي اكبر داع لنشرها وحيث ان الدولة الاموية كانت اكثر حضارة من عهد الخلفاء الراشدين فان اللغة العربية لاشك انها كانت فى ايامهم اعظم انتشارا منها فى ايام الخلفاء ، وقد كثر العلماء الذين يعتنون بها ويدرسونها ويهتمون بالعلوم العامة المؤلفة بها ويسعون فى انتشارها وينظمون الحلقات الخاصة لاذاعتها ويهيئون الكتب للمطالعة ، فقد روى صاحب الاغاني : « فى الجزء الرابع صفحة 52 » أن عبد الحكيم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتا فجعل فيه شطرنجات ونردات وقرقات ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل فى الجدار اوتادا فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفترا فقراه او بعض ما يلعب به فلعب .

ونستنتج مما تقدم ان اللغة العربية اصبحت فى العصر الاموي لغة الادارة والعلم والادب وانها اصبحت تتسع وتنتشر فى البلدان المفتوحة وانها اصبحت هي اللغة الوحيدة المعبرة عن الاتجاهات الفكرية عند المسلمين ومن المعقول ان اللغة حينما تصل الى هاته الدرجة وحينما تعمل على نقل انتاج الفكر البشري من دول اخرى ستضطر الى اختلاق بعض الكلمات الحديثة او الى تحويل بعض المصطلحات من معنى عادي الى معنى جديد او الى ادخال كلمات جديدة فى اللغة مع اخضاعها لقواعدها العامة .

واذا كنا نتحدث عن اللغة العربية من وجهة المعاني العامة فمن الطريف ان نتحدث عن اشكالها ورسومها الخاصة فهى فى العصر الجاهلي وفى صدر الاسلام ايام الخلفاء الراشدين وفى اوائل الدولة الاموية كانت تكتب بحروف غير منقوطة ولا مشكولة فكان القارىء حينما يرى الكلمة يعبر عن معناها ، ولذلك تعددت القراءات فى القرءان وتعددت الروايات فى الشعر ، ولا شك ان الذي يعرف اللغة العربية يستطيع بطريقة الاقتران الشرطي ان يفهم المقصود من الحروف بمجرد النظر فيها ولو كانت غير منقوطة ولا مشكولة ولكن حيث ان العرب قد كثر اختلاطهم بالذين اسلموا من الفرس والروم والحبشة وغيرهم فقد فشا اللحن بينهم واصبحت اللغة العربية غير سليقية فى كثير منهم ، وكيف يمكن ان يحدد معنى الكلمة الغير المشكولة من ليست له بديهة فى فهم اللغة العربية ، لذلك فكر عدد من العلماء فى ايجاد حل لهاته الطريقة الكتابية فاهتدى ابو الاسود الدؤلي المتوفى سنة 67 ه الى حل اولى اعتبر بسببه اول من وضع علم النحو ، وذلك انه كتب القرءان بمداد ذي لون خاص ثم احضر من يمسك المصحف واعطاه صبغا يخالف لون المداد وقال له : « اذا فتحت فاي فاجعل نقطة فوق الحرف ، واذا كسرت فاي فاجعل نقطة تحت الحرف ، واذا ضممت فاي فاجعل نقطة امام الحرف فان اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة اي تنوينا فاجعل نقطتين » ففعل الى آخر المصحف .

ولما كان هذا الحل اوليا فان العلماء قد رأوا أنه ما زال يوجد الالتباس فى الفرق بين القاف والفاء مثلا والسين والشين وغير ذلك من باقي الحروف فاتفقوا على وضع النقط للتمييز بين الحروف واما الحركات فقد تحولت فى العصر العباسي حين اختلق الخليل بن احمد رسوما لها ما زالت آثارها تستعمل الى الآن .

وانما تحدثنا عن هذا الموضوع لنعرف ان علماء اللغة العربية قد بداوا يهتمون بالكيفية التعليمية وانهم اصبحوا يفكرون فى كيفية جعل قواعد خاصة بها تحفظها من الضياع خصوصا وانهم اصبحوا يفكرون فى نقل العلوم المؤلفة باللغات الاخرى وقد يتسبب ذلك فى اشتقاق بعض الكلمات واخذها عن الغير مما يجعل القارىء فى التباس اذا لم تكن الكلمة مشكولة فالشكل هو اكبر داع لحفظها من الالتباس ولذلك اشتقوه من شكل الدابة وهو عقالها لان الحروف تضبط بشكلها فلا يلتبس اعرابها كالدابة تضبط بعقالها فيمنعها من الهروب .

واشتهرت مدينتان عظيمتان فى وضع القواعد اللغوية العربية وتحديد اتجاهاتها وتكونت بسبب ذلك مدرستان لكل واحدة منهما طريقتها الخاصة فى التفكير .

فاما البصريون فقد جددوا الحركات لبعض المعاني بعد الاستقراء العام ووضعوا القواعد الاساسية ثم قاسوا على ذلك والزموا التابعين باحترام خطتهم وعدم اعتبار ما دونها ولو قالت به العرب فى بعض اشعارهم ويعتبرون ما قيل مخالفا لذلك يسمع ولا يقاس عليه بخلاف الكوفيين فقد تعددت مناحي قياسهم وتعددت اوضاعهم الفكرية فى وضع القواعد العامة للنحو العربي وتكونت بعد هؤلاء مدرسة اخرى هي مدرسة بغداد وكان من رؤسائها ابن قتيبة ولم تزدهر هذه المدارس الا ايام العباسيين .

(يتبع)

اي انها على هيأة مكة كما ذكروه ، وليس للهيأة اسم في لسانهم البتة وانما معنى تد هذه ، وهي من اسماء الاشارة عندهم يقولون لهذا واد ، ولهذين وهؤلاء ويد ، ولهذه تاد ، ولهاتين وهؤلاء تيد وليس للمثنى عندهم عبارة سوى عبارة الجمع ، الا الفاظ العدد فمعنى تاد مكة اي مشبهتها (1) .

ويجدر بالمؤرخ الباحث الا يقف عند هذه النصوص ليقطع بنفي الصلة بين رحالتنا العبدري والاندلس .. لان هناك نصا آخر فى الرحلة يدلنا على انه راى الاندلس واختبر اخلاق اهلها كما اختبر اخلاق اهل المغرب وبرقة والحجاز والشام .

يقول العبدري فى الرحلة عند كلامه على اخلاق سكان القاهرة ما نصه :

« وما رأيت بالمغرب الاقصى والاندلس على سكاسة اخلاقهم ولا بافريقية وارض برقة والحجاز والشام » فهذا النص على اختصاره يدلنا على ان العبدري راى الاندلس ومعلوم انه لم يبق منها فى عصر العبدري الا مملكة بني الاحمر فى غرناطة وما جاورها في جنوب الفردوس المفقود .. فكيف راى العبدري الاندلس ؟ ومتى رآها .. ؟

الجواب رهن بما يكشفه البحث فى المستقبل ..

ولننتقل الى اسرة العبدري واصدقائه فى المغرب ومصدرنا فى ذلك الرحلة ، والرحلة وحدها .

فاما والداه فلا نعلم عنهما شيئا .. وكل ما نعلم انه خرج من بلاده شابا فى مقتبل العمر .. كما خاطبه بذلك فى القيروان الشيخ عبد الرحمان الدباغ صاحب معالم الايمان حين اعطاه — اكثر من عشرة اجزاء من فوائده وفوائد شيوخه وفيها رسمهم ، وقال لي انا اولى بها مني فاني شيخ على الوداع وانت فى عنفوان عمرك ومن حين رايتك انفرز حبك فى قلبي(2) ... يسرك ولده محمدا فى حاجة ولا ينفك يطلب له الاجازة من الشيوخ الذين اخذ عنهم فى رحلته على العادة المعروفة فى ذلك العصر .. كما لا ينفك يراسله نظما ونثرا ينصحه ويتشوق اليه .. وهناك فرد آخر من اسرته وهو اخوه يحيى ذكره مرتين فى الرحلة وقد كان مرافقا له.. ذكره عند وقوفه بمقام ابراهيم من بيت الله الحرام .. ثم ذكره عند عودته حينما شاركه فى الاخذ عن بعض الشيوخ بتونس .. ويظهر ان العبدري كان عازما على الاستيطان بمكة او الاقامة بها مدة طويلة صحبة بعض من كان معه من افراد اسرته فاننا نجده يقول عن شيخه الدباغ :

« وقال مرارا اذا قضى الله حاجتك وحججت فلا تقم فى البلاد فاني كثير الشفقة على ولدك وقد اوقع الله حبه فى قلبي منذ ذكرته لي » . كما نجده يقول فى مكة :

« وكنت عازما على المجاورة حسبما تقدم فتجهزت للمقام واكتريت الدار وصرفت بعض ما كانوا (كذا) معي ليرجعوا الى المغرب وحصلت اسبابي كلها بمكة » .

اما اصدقاء العبدري فى المغرب فيظهر ان الباقعة محمد بن عبد الملك صاحب الذيل والتكملة كان ارفعهم منزلة فى نفس صاحبنا ولذلك نوه به عند شيخه ابن دقيق العيد فى مصر تنويها عظيما وعرف به وبآثاره وكان ابن دقيق العيد يعرف الشيخ ابا الحسن ابن القطان (3) الذي كان من اعلام المغرب الافذاذ فى دولة الموحدين ويعرف كتابه « بيان الوهم والايهام الواقعين فى كتابه » (4) فأفهمه العبدري ما جد فى الموضوع حول هذا الكتاب من تعقيب ابن المواق (5) على شيخه ابي الحسن ابن القطان وجمع الحافظ ابن عبد الملك للكتابين مع الاستدراك عليهما ..

وقد اثمر هذا التعريف ثمرته المرجوة عند ابن عبدالملك حيث اننا نجده يقول فى الذيل والتكملة مانصه « اخبرني الامام الأوحد تقي الدين .. القشيري ابن دقيق العيد مكاتبة من مصر قال :

---

1 رحلة العبدري مخطوطة .
2 من الرحلة العبدرية .
3 الجذوة ص 298 . نيل الابتهاج ص 200 . وله ترجمة حافلة فى الذيل والتكملة .
4 احكام عبد الحق الاشبيلي انظر ترجمة فى عنوان الدراية ص 20 . وصلة الصلة ص 4.
5 سماه ابن عبد الملك فى الذيل محمد بن يحيى ابو بكر بن خلف وتوفى سنة 642 .

المختار السوسي وليس فيه شيء جديد عن المؤلف سوى انه يزيد فى تحلية اسمه هذه الكنية (ابن المعلم) .. ولكن ابن قنفذ يكتفي باختصار الرحلة ولا يعرج على وفاة صاحبها فى كتابه القيم الشهير (شرف الطالب فى اسنى المطالب) (1) مع انه استمر فى ذكر وفيات الاعلام الى سنة 807 هـ.

والشيخ احمد بابا السوداني فى كتابه (نيل الابتهاج) ينقل كثيرا عن الرحلة العبدرية بل انه ذكرها فى خاتمة كتابه كمصدر من مصادره (2) غير انه لم يترجم لمؤلفها وترجم لكثير من العبدريين : مفاربة واندلسيين .

وابو العباس ابن القاضي فى كتابه (جذوة الاقتباس) يترجم للعبدري (3) ترجمة قصيرة جدا وهي على قصرها لا تزيدنا شيئا عما كتبه العبدري فى رحلته نفسها .. والعياشي ينقل عن الرحلة العبدرية ولا يعرف بصاحبها .

بعد هذا العرض التاريخي نستنتج ان المعلومات التي سجلها المؤلف عن نفسه فى الرحلة هي — لحد الآن — كل شيء بالنسبة لترجمته . ويظهر ان السبب الذي من اجله اهمل المؤرخون تسجيل حياة هذا الرجل الفذ هو اولا ما اشتهر به من حدة فى الطبع ، وامعان فى الانتقاد لاهل عصره بل لا نبالغ اذا قلنا انه استعمل الهجو المقذع والسب واللعن احيانا.. . وبرجع ثانيا الى انه تجنب سكنى الحواضر المغربية كمراكش وفاس وسبتة وآثر سكنى البادية فى حاحة جوار مدينة الصويرة الحالية .. وقد ضاعت تراجم كثير من الشخصيات بسبب ذلك .

بقيت ملاحظة جديرة بالبحث وهي : ان بعض الباحثين ينسبون العبدري هذا الى مدينة بلنسية الاندلسية ومنهم صاحب (تاريخ الفكر الاندلسي) الذي يقدم رحلة العبدري كنموذج للرحلات الاندلسية فى العصر الغرناطي ، ويقول فى مؤلفها ما نصه « ابو محمد العبدري من اهل بلنسية طاف بنواحي المغرب والاندلس فى سنة 886هـ—1288م — كذا — وسجل مشاهداته فى كتابه « الرحلة المغربية » وقد بدأ رحلته تلك من حاحة فى بلاد السوس » (4) .

وكذلك الاستاذ عثمان الكعاك فى تعليقه على تاريخ الشماع يصف صاحبنا بقوله « الذي اصله من بلنسية » (5) .

ولا ندري مصدرهما فى هذه البلنسية ، والعبدريون كثيرون فى المغرب والاندلس وكلهم ينتسبون الى عبد الدار ، على ان هناك عبدريا بلنسيا رحل الى المشرق وولد سنة 519 هـ (6) ، وهو غير صاحبنا قطعا كما ان هناك عبدريين اخرين فى المغرب نجدهم عند الشيخ بابا السوداني فى نيل الابتهاج ، وعند ابن الزيات فى (التشوف) (7) .

واما كون العبدري استوطن حاحة ومنها رحل سنة 688 هـ واليها رجع فهذا شيء منصوص فى الرحلة نفسها لا مجال فيه للشك .. والرحالة الاندلسي خالد بن عيسى البلوي صاحب « تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق » يعترف بهذه **الحاحية** فى النص الذي نقلناه عند صدر هذا البحث .. وقد اشتهر العبدري عند سكان حاحة بابي البركات وقبره شهير هناك .

واما كونه عارفا باللهجة البربرية المستعملة هناك فهذا ايضا مما لا شك فيه فاننا نجد فى الرحلة نصا يدل على ذلك دلالة واضحة ، وقد تعرض العبدري لاخطاء الجغرافي الاندلسي ابي عبيد البكري فقال :

« انه — البكري — ذكر ببلاد الصحراء بلدا يقال لها تدمكة وترجمها — البكري — فقال معنى تد الهـ

---

1) مطبوع بمصر .
2) ص 361 طبعة مصر على هامش الديباج .
3) جذوة الاقتباس ص 179 .
4) تاريخ الفكر الاندلسي ص 318 .
5) الادلة البينة ص 15 .
6) نفح الطيب ج 1 ص 426 المطبعة الازهرية .
7) انظر مثلا ص 154 من طبعة الرباط .

الأدب الهجين

للأستاذ رابح منصر

انعقد اخيرا مؤتمر فى الربـاط اطلـق عليـه اسم (مؤتمر المغرب العربي) وقـد اثيرت فى هـذا المؤتمر عدة قضايا ادبية ، وقيل ان اهـم قضية كانت موضع بحث وجدال عنيفين بين الادباء المؤتمريـن هي قضية الادب الذي انتجه كتاب فى المغرب العربـي باللغة الفرنسية ، وتساءل البعض هل هو ادب عربي يمكن اضافته الى تراث الامة العربية ، بما تعنيه كلمة (الاضافة) من دلالات ومعاني ، ما دام صادرا عن رجال لا يسك ابدا فى كونهم من الامة العربية واليهـا ، وان اعورهم فى ذلك التعبير بلسانها لاسباب وظـروف لا يسالون عنها ، ان مجرد كون لغة التعبير اجنبية عن الامه العربية ، يجعل هذا النوع مـن الادب وان صدر عن ادباء عرب غير جدبـر بان ينسب الى التـــراث العربي الادبـي .

عند اثارة هذه القضية ، ذهب فريق الى القـول بان اداه التعبير فى عالم الفن ليست بـذات قيمـة ، ستسوي فى ذلك ان تكون الفرنسية او العربية او حتى الصينية . ما دام المحتوى للعمل الفني يعني مضمونا اجتماعيا فى اطار قومي خاص ، اي ان الادب الذي كتبه الادباء الجزائريون بالفرنسية والذي هو انعكاسـات معبرة عاشها الاديب الجزائري فى محيطه الجزائـري الخاص هو ادب جزائري وان جاء فى شكلـه التعبيري ... ـا ، وان هـذا المظهـر ، مظهـر التعبيـر ... به . ولا ينقص من جزائريته فى شيء ، بكفـي فى ... ه على ذلك ان نعود لاية قصة لكاتب جزائري اتخذ ... سبة كاداة للتعبير عن ذات نفسـه لنتبين مـدى ... ئه الجزائرية التي يتوفـر عليهـا هـذا الادب ... القصة بظروفهم ، بصراعهم الدائم ، بمحيطهم ... . صور حية لواقع جزائري حافل بالنمـاذج ... ئمة حالت بينها ظروف القهـر الاستعماري دون ... عن ذات وجودها بلغتها القوميـة ، فنطقت او ... المؤلف بلغة القاهر المستبد ، هذا المؤلف القلق ... التجا الى الاستعارة ، استعـارة اداة التعبير ، ... ـه القـوميـة هـي الاخـرى هـدف

كـابطـال قصتـه لتسلـط استعمـاري لـم يفسح لها مجال النمو والتطور ، ومن ثمة التعبير عن واقع الحياة ، فظلت سجينـة ليـس لهـا ان تؤدي وظيفتها الاجتماعية الا فى حـدود التخاطب وحتى فى هذا المجال الضيق المحدود واجهت حربا قل ان يجد لها المرء نظيرا فى التاريخ قديمه وحديثه .

هذه وجهة نظر ولكنها قابلة للاخذ والرد ، فالادب كما حدده الاديب الانجليزي هـ. لورانس : « هو تعبير عن حياة الامة او الجماعة ، الفكرية والعاطفية ، وعـن ظروف حياتها الاجتماعية » اي ان وظيفة الادب هي عكس شتى المظاهر الحياتية للجماعة الانسانية ، وعلى ضوء هذا التحديد نطرح السؤال التالي : هل ان الادب الجزائري الذي كتب بالفرنسية هو تعبير صادق عن حياة الشعب الجزائري الفكرية ، ومرآة عاكسـة لظروف حياته الاجتماعية السياسية ؟

هنا المسألة كما يقـول شكسبير ، ذلك انه مـن العسير التأكد لاول وهلة بان هذا الانتاج الجزائـري الهجين على قلته هو فى مجموعه مرآة عاكسة لفتـرة ذهنية معينة من حياة الشعب الجزائري ، وذلـك لسبب بسيـط هـو ان اغلبيـة القـراء فى الشعب الجزائري ليس لدبها المام كاف بأن هناك انتاجا ادبيا جزائريـا بتجاوب مع مشاغل حياتها الراهنة ، بحيث تجد فيه صورا حية لواقع حياتها المؤلم .

ومن هنا انعدمت الصلة بين الاديب الجزائـري الذي استعار الفرنسية وبين جمهور القراء الجزائريين، وهكذا يتضح انه ما دامت الصلة بين الكاتب والقارىء الجزائرييـن غير قائمة ، فلا يتصور اطلاقا وجود اي نوع من انواع التأثر او التأثير اطلاقا ، وغيـر خاف ان العنصر البارز الذي يضفي على الانتاج الادبي طابعا قوميا هو قدرتـه على التاثيـر فى محيطه القومـي ، واذا انعدم هذا العنصر اصبح الاديب الذي لا يتوفـر

انشدني المقدسي فى تارك الصلاة :

خسر الذي تـرك الصـلاة وخابـا
وابـى معـادا صالحـا ومـآبـا

الابيـــات (1) .

هذا ما يمكننا ان نستنتجه مـن معلومات عـن حياة العبدري واسرته واصدقائـه فى المغرب وهـو شيء طفيف بالنسبة لما نجهله .. وكان العبدري ادرك بحدسه الباطني ان المؤرخين المشارقة والمغاربه سوف يهملون ترجمته بعد مماته كما اهملوا تقدير علمه وادبه فى حياته ، فدون هذه الرحلة الفريدة فى أسلوبهـا ولهجتها وحشر فيها الشيء الكثير من أخبار شيوخه المشارقة والتونسيين .. والشيء الكثير من احـوال عصره الاجتماعية والسياسية والعلمية .. وبذلـك ضمن لنفسه الخلود وقاوم عوامل النسيان والاهمال التي سيطرت على كثير من امثالـه ولا سيما فى هذه البـلاد .

وكما كان القسم الاول من هذا البحث مركـزا حول نقطة معينة من الرحلة وهي محاولـة معرفـة ترجمته من قلمه .. فان القسم الثاني سيكون ــ بحول الله ــ مركزا حول نقطة ثانية معينة وهي محاولـة مرافقة العبدري فى مشاهداته فى البلاد التي زارهـا وكتب عنها منذ ان خرج من حاجة الى ان عاد اليها .

ــ للبحث صلة ــ

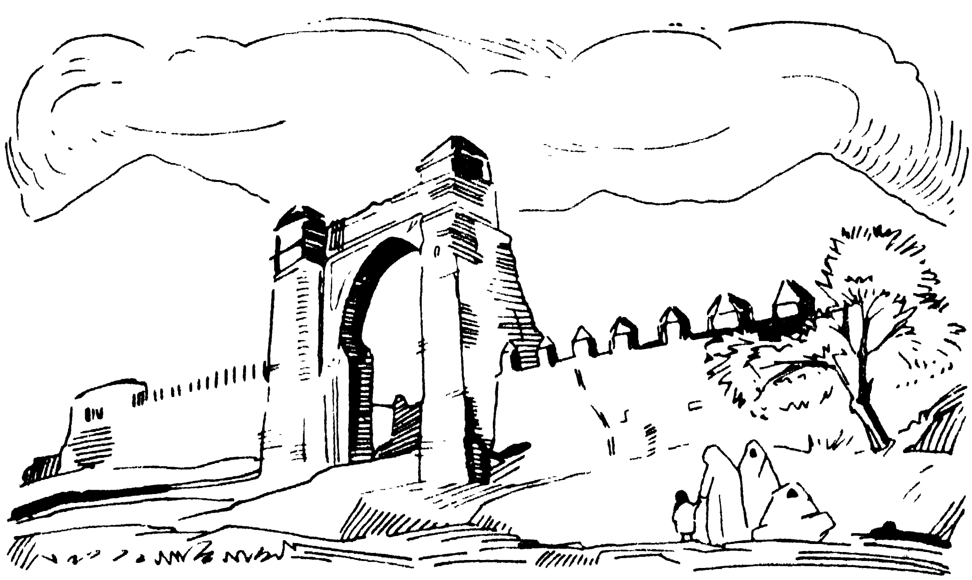
1) ابن عبد الملك فى الذيل ــ مخطوط باختصار .



الادبية صلة مادية بهذه الامة ، والمع مثال يمكن ان نشير اليه هو الكاتب الكبير شكسبير ، فقد صور فى روايته الممتعة (تاجر البندقية) سلوك نماذج بشرية استمدها جميعا من البيئة الايطالية ، ولا اظن ان شخصا واحدا فى اشخاص الرواية كان انجليزيا — ويقال ذات الشيء فى (درامية) ((مكبث)) التي استمد شخوصها من المحيط السكندنافى ، وكذلك الشأن فى روايته (عطيل) فهل يمكن لنا ان نزعم بان تاجر البندقية هي تراث ادبي ايطالي وان رواية مكبث هي الاخرى تراث ادبي سكندنافي ، وعطيل تراث ادبي يمكن ان يضاف الى التراث الادبي للشعب المغربي ما دام بطل هذه الرواية هو مغربي ؟ . الواقع ان موضوع العمل الفني وحده لا يكفي لان يحدد لنا هوية الانتاج الادبي وانه لابد لكي تتحدد معالم هذه الهوية بوضوح يتعين مراعاة بعض الاعتبارات الاخرى التي لا غنى عنها لكي يمكن لانتاج ادبي ان ينسب الى جماعة دون اخرى ، خصوصا فى الفترة التي يجتازها عالم اليوم الذي اخذت فيه الحدود بين الجماعات الانسانية فى مجال العمل الفني وغيره ، تعرف كثيرا من التسامح .

وما دمنا قد وصلنا الى هذه النتيجة وهي ان : الادب الجزائري الذي كتب بالفرنسية لا يمكن اعتباره فى الوقت الحاضر ضمن تراث الامة العربية الادبي وذلك عندما نكون بصدد الحديث عن الادب المقارن ، واذا كان الامر كذلك فالي اي جماعة يمكن تسمية هذا الادب وهل يعقل ان يظل الى ما لا نهاية له غير قابل لان ينسب الى جماعة والى تراثها ؟ .

سيكون موضوع هذه القضية حديث مقبل مع القراء الاعزاء .



انتاجه الادبي على طاقة التأثير في دائرة محيطه القومي ، يعيش في (قوقعة) فردية بمعنى انه سيظل على الدوام منتجا سالبا بعيدا كل البعد عن ان يكون عاملا مؤثرا في توجيه الاحداث التي عاشها الانسان الجزائري او على الاقل التجاوب معها بحرارة وعمق .

وليس من اليسير الهين القول بان انتفاضة الشعب الجزائري الجبارة يوم فاتح نوفمبر 1954 ضد واقع الاحتلال المتعفن ، ليس من اليسير القول بأن احد العوامل الممهدة لها هو هذا الانتاج الادبي الجزائري الذي كتب بلغة مستعارة ، فاثر في عواطف الجمهور الجزائري وخلق لديه حالة نفسية دفعته لان يثور على واقعه وعلى ان يرفضه بعنف ، وانا على شبه يقين بان الرفاق الجزائريين كتاب الفرنسية انفسهم لا يستطيع احدهم ان يبيح لنفسه الزعم بأن انتاجه الادبي قد مهد السبيل لقيام ثورة جزائرية هادفة لوضع حد لنظام استعماري استنفذ كل طاقاته لامتصاص مقدرات الشعب الجزائري على اوسع نطاق .. وهكذا لا اسراف في القول بان هذا الادب الهجين ، ولد في عزلة وظل في عزلته بالنسبة للبيئة العربية التي لم يتح له ان يخرج منها ، لحد الساعة وان كان يبدو ان زمن خروجه من هذه العزلة قد حان وذلك بفضل المجهود الذي تقوم مؤسسة (دار اليقظة العربية) بدمشق بترجمتها ونشرها لجزء هام من هذا الانتاج .. ومع ذلك ستظل قيمة هذا الانتاج الفني منحصرة في دائرة تاريخية معينة ، اي هذا الادب لا يعدو ان يكون وثيقة تاريخية تصور وضعا اجتماعيا عاناه الشعب الجزائري ، دون ان يتاح لهذا الادب الارتقاء الى مستوى التأثير في الاحداث التي قد تعقبه ، وليس من تفسير لذلك سوى ان هذا الادب ذاته لا يعدو ان يكون احدى المضاعفات الناتجة عن النظام الاستعماري الذي ظل قائما في الجزائر خلال عقبة زمنية اوشكت على الانتهاء او هي انتهت فعلا .

ولم تكن الجزائر المستعمرة لتنفرد بهذه الظاهرة اي ظاهرة وجود انتاج ادبي من عمل ابنائها ولكنه جاء في لغة غير لغتها ، لقد حدث للهند وبعض المستعمرات الاخرى في آسيا وافريقيا ذات الشيء ، غير ان الادب الاصيل في الهند خلال فترة الاحتلال ، والذي ارتفع في قيمته الفنية الى المستوى العالمي لم يكن قد كتب بالانجليزية ، بل كتب بلغة هندية وهذا هو السر في كونه ظل حيا تتجاوب معه الجماهير الهندية بتأثر بالغ ، فالكاتب الهندي الكبير طاغور لم يكتب مجموع انتاجه الادبي الرائع باللغة الانجليزية مع ان هذه اللغة كانت هي السائدة ، بل كتبه بلغة من لغات الهند ولعلها الاردية او البنغالية ، ومع ذلك فقد كتب طاغور بالانجليزية ادبا غير يسير الا انه لم يكن يحظى بتقدير القارىء الهندي على العموم ، وثمة مثل آخر هو الفيلسوف الباكستاني الدكتور اقبال فقد كتب اروع انتاجه الشعري والنثري بلغته القوميه الاردية ، فلو ان طاغور او اقبال ، كتب كلاهما باللغة الانكليزية لما كتب البقاء والخلود لانتاجهما الادبي في نظر الانسان الهندي او الباكستاني ، ولما اولاه كامل تقديره ولما تأثر به بالتالي ، وليس معنى هذا ان الانجليزية اقل ثراء وقدرة في التعبير والتأثير ، عن اللغات الهندية ، ولعل العكس هو الشيء الصحيح ، ولكن اللغة القومية تمتاز بكونها ترتبط بعواطف الجماعة وبتاريخها وآمالها ، وما تضطرب فيه من مشاكل ومشاغل حياتية ، وانها تبعا لذلك اقدر من غيرها لان تصور لنا هذه الاشياء جميعا ولان تسيطر على عواطف القارىء وتؤثر فيها بشكل لا تستطيع معه اللغة الاجنبية ان تفعله .

والادب الذي صدر عن كتاب جزائريين استعاروا اللغة الفرنسية يتناول من غير جدال قضايا تهم الانسان الجزائري في صراعه من اجل حياة افضل . وهذا يشير الى ان مضمون هذا الادب جزائري صرف وان جاء في شكل فرنسي صرف ايضا ، ومن ثمه اصبح هذا الادب الهجين يتسم بميزة الازدواج من حيث الشكل والمحتوى ، وان كان رجال الادب لا يميلون الى اقامة تفرقة بين مضمون العمل الفني وبين الشكل الذي يرد عليه ، لانهم يرون ان الهيكل الفني هو كل لا يقبل التجزئة وذلك ان الادب خلافا لفروع المعرفة الاخرى لا يؤمن بالمقاييس المادية عند الحكم عليه او عند تحديد مدى جودته ورداءته ، ثم عند التعرف على هويته والجهة التي يمكن ان ينسب اليها ومع ذلك فان الاخذ بهذا الراي قد يؤدي بنا الى بعض المتاهات التي لا تستطيع فيها تلمس الطريق المؤدي الى كشف هوية الانتاج الفني الادبي ، ولا باس هنا من الاشارة الى بعض الاعمال الادبية الخالدة التي جاءت على لسان امة دون ان يكون لجوهر هذه الاعمال

الموجهة لها تعرف كيف تنظم وكيف توجهه ، كانت هذه المظاهرات فى مدينة الجزائر اشبه بتلك التي شاهدناها هنا .. هنا فى باريس منذ خمسة عشر يوما ، الطاعة الكاملة للموجهين مع تجنب حكيم لكل فوضى واضطراب ، والقادة الموجهون لم يحاولوا هذه المرة الاختفاء بل ظهروا ليوجهوا المظاهرات هذا العمل السلمي ، والفرنسيون المقيمون فى نوافذهم والجيش فى فى اعلى دباباته المصفحة يشاهدون جميعا القوة التي تمخضت عن سبع سنوات من الحرب ، الواقع انه يوجد وجه للمقارنة بين هذا الموقف وواقعه . ديان بيان فو ، فى النتائج المستخلصة من كلا الحدثين ، والحق ان هذا اليوم يشكل لفرنسا مناسبة استثنائية لان فرنسا اذا لم تصل الى درجة الاختناق التي وصلتها فى كارثة (تونكا Tonkin) فانها تستطيع اليوم ان تواجه الموقف فى الجزائر بحكمة ، والشعب الفرنسي سوف يقدر من الحكومة اي اجراء من هذا النوع ، لانه يعرف اليوم ان من واجب حكومته ضرورة الاسراع بالتفاوض مع جبهة التحرير سيدة الموقف فى الجزائر ، دون ان نشعر ــ نحن الفرنسيين ــ بالاهانة او الضعف حين نفاوض جبهة التحرير ، لاننا اليوم امام وضعية سياسية لم يعد فيها للاعتبارات العسكرية ادنى اعتبار ، يجب ان نتفاوض مختارين ، قبل فوات الوقت ، ونعيد نفس السياسة التي كانت لنا مع جياب Giap لقد كان معه كل شعب تونكان كما ان الشعب الجزائري اليوم مع جبهة التحرير . والى متى ونحن نعرض رجالنا ، مواردنا ، سياستنا ، مستقبلنا للسحق ؟ انه يوجد اليوم امامنا مفاوض جدي يجب ان نمد له اليد ، لماذا لا .. ؟

وحكومتنا تعرف جيدا ان وراء جبهة التحرير شعبا صمم على التحرير والتحكم فى مصيره بقوة واصرار ، وأن جبهة التحرير وحدها هي التي تستطيع ان تطلب من شعبها المزيد من التضحية ، والمزيد من ضبط الاعصاب والامتثال والطاعة ، هذه هي الفرصة لفرنسا وللفرنسيين الذين يريدون استمرار العيش فى الجزائر استقبالا ، يجب الا نضيع هذه الفرصة والا نكون قد أسأنا الى انفسنا قبل الاساءة الى جبهة التحرير وشعبها .

سبع سنوات من الحرب قد اعطت لجبهة التحرير خبرة سياسية وعلمتها ضرورة التعامل بلباقة، واللغة التي تستعملها اليوم واقعية الى اقصى حدود الواقعية خصوصا وهي تعيش وضعية ثورية متفجرة.

حقا لقد كان فى هذا اليوم اموات آخرون ، وسالت دماء جديدة ولكن يجب ان نسرع الخطوات حتى لا تسيل دماء اخرى ، خصوصا وان الراي العام الفرنسي قد فتح يوم غرة نوفمبر اعينه على ان استمرار الحرب ليس فى صالحه بعد أن كانت فرنسا قبل سنوات تؤمن بانها تخوض حربا مقدسة ضد عدوها : العرب ، ولكن الامور اليوم تغيرت واصبح الحليف الوحيد القوي فى الجزائر لفرنسا هو جبهة التحرير ، اجل ليس فى ذلك تناقض ، ذلك ان جبهة التحرير هي الحليف الذي يستطيع مع فرنسا محق العدو المشترك الجيش السري (O.A.S.) فاذا لم تسلم مقاليد الحكم فى الجزائر قريبا الى جبهة التحرير فسيكون فى باريس الجيش السري ، فما هو اختيار الفرنسيين ؟ .

ما هو اختياركم انتم ايها الضباط الذين شاهدتم قبل ايام مصرع الكومندان (بوسط Poste) على يد عصابة الجيش السري ، لان بوسط رفض ان يخون رسالته .

فما هو اختيار الفرنسيين هل الموت ؟ وهذا يعني تسليم الامور الى الجيش السري ام الحياة ؟ وهذا يعني التفاوض عاجلا مع جبهة التحرير ؟؟ ان التفاوض هو الاختيار النبيل الذي يؤثره كل فرنسي حر .

لقد بدأت اليوم علامات تؤكد ان دعائم جديدة وعلى اسس جديدة بين الشعب الجزائري والفرنسي قد اخذت تحتل مكانتها فى فرنسا والجزائر ، ان هذه الاسس الوليدة بين شعب يمتلك مصيره ، ولكن مهدد وشعب افتك مصيره ، امر حيوي لكلا الطرفين، ان التفاوض مع قادة الثورة هو الضمانة الوحيدة لتأكيد هذه الدعائم الجديدة لصالح فرنسا والجزائر المستقلة الحرة .

ان فرنسا اليوم امام اختيار رهيب اما النازية التي يمثلها الجيش السري واما التفاوض لتلافي هذا المصير .

ان الموقف جد واضح اما الموت لمنظمة الجيش السري واما الموت لفرنسا .

حصاد سبع سنوات

ترجمة
أبي محمد

افرد م. جان سيرفان شربيـر رئيس تحرير الاسبوعية الفرنسية (لكسبريس) حديثا هاما بمناسبة الذكرى الثامنة لاندلاع الثورة الجزائرية ، ونظرا لاهمية هذا الحديث ، ونظرا لكون الكاتب يختلف كثيـرا عن غيره من الكتاب الفرنسيين الذين يكتبون بمناسبة او غير مناسبة عن الجزائر ، ذلك ان المسيو جـان شيربير سبق له ان جند في جيش الاحتلال بالجزائر ، وشاهـد تجربة الكفـاح البطولي الـذي يخوضه الشعب الجزائري ، وبصفته جنديا فرنسيا دفع دفعا لان يساهم في مواجهة الزحف الثوري الجزائـري ، وكاتبا صحفيا ، كان اكثر الكتاب الفرنسيين فهما لحقيقة مايجري في الجزائر من احداث ، لذلك احببنـا ان ننقل الى قراء المجلة الوفورة (دعوة الحـق) اهم ما جاء في هذا الحديث الهام : (1)

كان يوم فاتح نوفمبر يوما مشهودا في تاريـخ الجزائر الحديث فابتداء من الساعة الثامنة صباحـا كان كل شيء يشير الى بداية الزحف ، في مدينـة الجزائر .. في وهران ، في قسنطينة ، وباختصار في كل قرية وكان يقابل هذا الزحف ، الجيش الفرنسي ، الحكومة الفرنسية ، الفرنسيون المقيمون في الجزائـر ، كان هؤلاء جميعا يدركون جيدا وبصورة تكاد تكـون غريزية تلقائية ، ماذا يعني فجر فاتح نوفمبر ، وكـان هؤلاء جميعا ، الجيش الفرنسي ، الحكومة الفرنسية ، المستوطنون الفرنسيون ، يحسون في اعماقهم ان هذا الفجر يعني البطولة كانبل ما تكون البطولة والتضحية كأجل ما تكون التضحية ، يعني بناء دعائم واسس امة جزائرية كانت قبل سنوات امرا عديم الذكر والوجود في نظر فرنسا والفرنسيين ، ولكن بفضل هـــذه (العصابة) جبهة التحرير بفضل هذا الاتجاه السياسي ، اصبحت كلمة واحدة توجه الى الشعب الجزائـري تشغل فرنسا وجيشها العتبد .. هل تعرفون ما عدد القوات التي خصصت لمدينة الجزائر وحدها لمواجهة احتمالات غرة نوفمبر ؟ انها خمسون الـف جندي في لباس المعركة اعطيت لهم الاوامر الصارمة لان يظلـوا طوال الليل والنهار على اهبة الاستعدادلمواجهة المعركة ، خمسون الف رجل فقط لمدينة الجزائر .. وحركـة السير منعت منها في مدينة قسنطينة حتى السير على الاقدام ، وامام كل منزل يقف جنـدي ورجـل درك وشرطي لمنع ساكنيه من الخروج .. وفي مدينة وهران كانت الدبابات قد اتخذت منذ اليوم السابق مكانها في المواقف الحساسة في المدينة ، وكانت لديها الاوامـر والتعليمات بالاطلاق النار على كل كائن متحرك ، ليس هناك قرية واحدة جزائرية لا توجد في حصار تام .

وجاء صباح اول نوفمبر فتوقفت الحركـة ، فالاضراب شامل والحياة راكدة ، عدا الجو الرهيب الذي يسود كامل الجزائر ، والجيش الفرنسي ، هذه الاداة المسخرة يعيش يوما مقلقا من اتعس ايام حياته في الجزائر ، لقد كان المشهد جد رهيب ، حتى جنودنا اضربوا عن الكلام فيما بينهم ، انهم هياكل تتحرك آليا دون وعي ، انهم يعيشون في هذا اليوم المقدس عند الجزائريين ، يعيشون في هذا اليوم المأساة ويشعرون فيه أكثر من اي يوم آخر ، حتى فرنسا الديموقراطية لا ترى فيهم سوى ادوات تجردهم عن القيم الحضارية التي هي غذاء عالم اليـوم .

لقد كانت المظاهرات غاية في التنظيم ، والتوجيه الامر كان يدل بوضوح علـى ان الاطارات المنظمة

1) « لكسبريس » عدد 542 تاريخ 2 نوفمبر 1961

ليس من شك في ان هذا الوجود الاوروبي وبوجه خاص وجود الانجليز منذ سنة 1882 ادى الى نهوض عظيم في الحياة الاقتصادية : فاشغال الري المنجزة خلال ادارة اللورد كرومر (لم تنته هذه الادارة الا في سنة 1907) زادت في مساحة الاراضي المزروعة وساعدت على تنمية القطن او قصب السكر . كذلك اقيمت سكك حديدية (4 آلاف كم في سنة 1913) في مصر بالمعنى الضيق لهذه الكلمة اي بغض النظر عن الخط الذي يربط الاسكندرية بالخرطوم .

ان مصر مدينة بهذا التحول الى توارد رؤوس الاموال الاجنبية عليها . والى غاية سنة 1903 كان نصيب الاستثمارات الفرنسية وافرا جدا ولم يلبث ان انهار بين سنتي 1904 و1914 لفائدة الاستثمارات الانكليزية التي قدرت آنذاك ب 1250 مليون من الفرنكات الذهبية .

الا ان هذا الازدهار لم يعمل على تحسين مصير الفلاحين ، بل نراه في اغلب الاحيان يزيد في خطورة الحالة عندهم ، لان هذا العدد الصغير من الملاكين لقطع الارض لم يكن قادرا على تغيير طرائقه في الانتاج نتيجة لانعدام الوسائل المادية ، فكانت النتيجة ان احتك الفلاح وصار مملوكا ، ثم أن احداث مصرف زراعي لتقديم القروض له قد عطل هذا التطور دون ان يقضي عليه بالمرة . ومع ذلك لم يكن هذه الفئة من الفلاحين تفكر في الاخلال بالاستقرار السياسي : ولم تظهر مقاومة الوجود الانجليزي الا في اوساط النخبة المثقفة ، اذ في سنة 1904 اسس « الحزب الوطني » الذي كان يمثل الجانب المتطرف في الاتجاه ... في حين ان « حزب الامة » الذي انشىء سنة 19.. بقيادة سعد زغلول باشا كان يصرح انه سيظل في ... القانونية . واعتقد كرومر ان باستطاعته ... مع المعارضة « الدستورية » ، بل كان على ... يشجع مبادرة زغلول ليتحايل على « الحزب ... » ولكم بادرة ندم عليها خلفاؤه .

ومن نافلة القول الاشارة الى ان تغلغل التأثيرات ... بيه كان متفاوتا جدا في الجزائر حيث يرجع ... الى ثمانين سنة ، عنه في تونس التي لم يمر ... اخضاعها للسيادة الفرنسية سوى ثلاثين سنة. ... الاولى كان هناك نظام الادماج الاداري والجمركي هناك سكان بيض (فرنسيون واسبانيون) يبلغون ... مجموع السكان تقريبا ، الى جانب تشريع زراعي كان يهدف الى الغاء اشكال التملك الجماعي شيئا فشيئا واعطاء الاهالي رسوم التملك الشخصي ، واخيرا اعطاء حق الانتخاب لبعض الافراد من الاهالي . اما في الثانية فنظام حماية وتشريع جمركي هادف الى احترام المصالح الاجنبية ، وهجرة سكنية بيضاء كان الايطاليون فيها اكثر عددا من الفرنسيين اذ كانوا (اي الايطاليون) يتمتعون بموجب اتفاقات 1896 بقانون خول لهم بالنسبة لباقي الاجانب امتيازات متفوقة .

لكن النشاط الاقتصادي في كلتا الحالتين كان ينمو بفضل رؤوس الاموال الاجنبية سواء فيما يرجع لاستغلال مناجم الحديد في الونزة (Ouenza) او البوطاس في الجنوب التونسي أو الحلفة في النجود العليا الجزائرية أو الكروم (الدالية) في التل (Tell)

وفي الدولة العلوية (Empire Chérifien) لم يحس بعد بالوجود الفرنسي من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، اذ المعارك التي سميت (بمعارك النهدئة) لا زالت مستمرة (لم تنته « مهمة » تازة الا في شهر مايو 1914) . ولم يكن ممكنا في هذا الوقت – كما لاحظ الجنرال ليوتي في تقريره – تشجيع الهجرة السكنية ، ما دامت البلاد مجردة من الاعمال الاولى للتجهيز الاقتصادي . وبالفعل كانت هذه الاعمال ضعيفة جدا : لم تكن قد انتهت الطرق الثلاثة التي اقيمت لوصل الدار البيضاء بالرباط والجديدة ومراكش كما ان الاعلان عن المناقصة المتعلقة باشغال مرفأ الدار البيضاء لم يكن قد تم الا في مارس 1913 : ثم أن مد السكك الحديدية كان لا يزال في طور الدراسة . الا ان التجهيز المدرسي كان قد انجز في المدن ، لكن التلاميذ الاهليين لم يكونوا يشكلون الا الثلث من المجموع الذي بلغ آنذاك عشرة آلاف تلميذ .

ولا جرم في ان جنوبي افريقيا كان الجزء الافريقي الذي انقلبت احواله باسرع ما يمكن نتيجة التأثيرات الاوروبية ، ذلك ان اكتشاف مناجم الماس وبعدها مناجم الذهب في تخوم الترانسفال والاورانج ادى منذ فترة 1890 – 1895 الى توارد المهاجرين الاوروبيين، وذلكم ما دعا سيسيل من آل رودس الى بسط السيادة البريطانية على ارضين جديدة وقصده من هذا تطويق جمهورتي البوير وتنمية الشبكة الحديدية التي بلغت سنة 1913 ما قدره من الكيلومترات 17000 ، ثم ان هذا الاكتشاف كان سببا حاسما في الحرب التي ادت سنة 1902 الى الحاق الدولتين الصغيرتين

الهجرة الأوروبية إلى إفريقيا قبل الحرب العالمية الأولى

للمؤرخ الشهير بيير رونفن
ترجمة الأستاذ عبد الحق بنيس

نرجم هذا المفال عن كناب « تاريخ العلافات الدولية » الجزء السادس – الفصل الخامس عشر . والكناب جزء من سلسله ناريخية تطبع تحت اشراف المؤرخ الكبيـر بيبـر رنفـن . واما الجزء السادس فمن نأليفـه وهو يعالج الفتـرة التاريخية (1870 – 1914) .

بـانت ارض افريقيا مستعمرة أوروبية باستثناء دولتين كانتا مستقلتيـن وهما جمهوريـة لبيريـا (Libéria) وانيـوبيه (Ethiopie) . وكان جـزء من السكان في الاولى يتكون من الزنوج الذين ارجعتهم الولايات المتحدة الى موطنهم . وفي الثانية عمدت كل من بريطانيا العظمى وفرنسا وايطاليا (سنـة 1906) الى تقسيم البلاد الى مناطق نفوذ اقتصادى . وقـد احدث الاستعمار الاوروبي المباشر تعديلات فى اصناف النشاط الاقتصادي وفي التركيب الاجتماعى والمفاهيم العقلية . لكن الاحوال كانت تختلف جـدا في المناطـق المتوسطية ــ من البحر الاحمر الى المغرب حيث يسود الدين لاسلامي بشكل لامع ، عنها فى افرقيا الجنوبية التي كثر فيها الاوروبيون كثـرة قويـة . واخيـرا في افريقيـا السوداء .

نعم ارتبطت افريقيا الشمالية بصرف النظر عن طرابلس وبرقة ارتباطا وثيقا عـن طريـق التوسـع الانلكيزي او الفرنسي بالحياة الاقتصادية الاوروبية . اما الاحتلال الايطالي للمقاطعتين الليبيتين فلم يكـن انذاك الا فى مهده حيث لا زال الايطاليون لم يشرعوا فى الهجرة السكنيـة .

ففي مصر نجد ان اغلب السكـان مسلمون وان الاقباط يشكلون اقلية لا يستهان بها وان الاوروبيين الذين استوطنوا البلاد والذين بلغ عددهم 120 الفا كانوا لا يشتغلون بالنشاط الزراعي الا قليلا : اذ كان ستة آلاف من بينهم فقط يملكون قطعا ارضية وكان مجموع مساحة هذه القطع يبلغ 350 الف هكتار اي ما يعادل 14 فى المائة من الاراضي المزروعة . اما الاعمال الاخرى المتعلقة بالطرق العامة والمواصلات وبالصناعة والتجارة فكانت كلها تقريبا في يدهم . وكم كان هنالك من خلاف ، مع هذا كله ، بيـن الانجليـر (20 الفا) الذين كانـوا يشغلـون مناصب القيادة المدنيـة او العسكرية كضباط وموظفين ومهندسين وتجار كبار وبين الفرنسيين (14 الفا) الذين كانوا يمثلون مختلف الطبقات الاجتماعية من رجل الاعمال الكبير الى التاجر البسيط، وبين الايطاليين (30 الفا معظمهم من تريستا) الذين كانوا كلهم صناعا على وجـه التقريب وبيـن اليونانييـن (40 الفا) الذين كانوا يشتغلون بتجـارة التقسيط وبتقديم القروض المالية بالفائدة الى جانب بيع المشروبات . ومع ان هؤلاء الاوروبيين جميعهم كانوا ضعاف الحال الا انهم يتمتعون بنظام امتياز كانوا بموجبه معفون من اداء الضرائب المباشرة ومن الخضوع للمحاكم المحلية القضائية .

الجماعي . اما فى السودان النيلي فقد نص القانون فحسب على انه ليس فى الوسع اعتبار السكان الاهليين معدمين بالمرة وان فى استطاعة كل واحد منهم ان يملك هكتارين على اقل تقدير . واخذ التشريع الالماني فى البدء بنظام « الاحتفاظات » الا انه ازاء شكايات الاهالي وبالخصوص ازاء العصيان الذي قام به فى 1905 — 1906 الجنوب الغربي الافريقي ، تراجعت الادارة فى الكاميرون وفى افريقيا الشرقية عن هذا النظام وقررت الا تمنح لاي مستعمر اي ارض محتلة فعلا من قبل فرد من الاهالي . واجمالا كانت النفويتات فى اغلب الاحيان تؤدي الى اغتصاب حقيقي وذلك اما لكون الاوروبيين كانوا يجهلون الانظمة الاهلية المتعلقة بالتملك واما لكونهم كانوا لا يتنازلون فيأخذون بعين الاعتبار هذه الانظمة ، ولقد اعطيت هذه الاراضي المنتزعة من الاهالي للمستعمرين تارة عن طريق امتياز مجاني واخرى عن طريق البيع او الكراء ، كما كانت تعطى كذلك للشركات الاستعمارية .

والواقع ان نظام كبريات الشركات كان هو السائد بوجه خاص فى افريقيا الاستوائية الفرنسية وافريقيا الشرقية الالمانية وفى الكونغو البلجيكي ، اذ كانت الدولة تمنح لهاته الشركات اراضي شاسعة ثم تحولها فى حدود الامتياز الانفراد بحق استغلال الموارد وما يرافق ذلك من مختلف انواع النشاط التجاري ، على ان تتكفل بشق الطرق واقرار الامان . وتلكم كانت وسيلة للتخفيف من اعباء الادارة واجتذاب رؤوس الاموال بسهولة . لكن اينما اتجهنا تقريبا الفينا أن هذه الشركات الاستعمارية كانت تعامل الاهالي معاملة فيها نشاط اذ كانت لا تتردد فى اللجوء الى الوعيد والعنف . وكان للفضائح التي ندد بها فى 1906 — 1907 من اعلى منبر الريخشتاغ ما يماثلها فى ﻓﺮﻧﺴﺎ حيث عهد لبرازا (Brazza) باجراء بحث اسفر عن معاينات خطيرة ، ثم ان بعض المحافل الانكليزية كانت قد شنت حملات شعواء على اساليب الاستعمار البلجيكي . وابتداء من سنة 1907 بالنسبة لالمانيا ، ومن سنة 1910 بالنسبة لفرنسا تعين على الحكومات ان تتراجع عن هذا النظام وان تدخل فى مفاوضات مع الشركات لفسخ العقود وافتداء الحقوق . لكن لم يقع شيء من هذا القبيل فى بلجيكا حيث ظل نظام كبريات الشركات يانعا: ففي سنة 1911 نالت كل من الشركة الغابية للكونغو (Société forestière du Congo) والشركة كاطانغا (Compagnie du Katanga)

اللتين كانتا تملكان من قبل امتيازات ارضية هامة ، حق استغلال الموارد المعدنية فى مناطقهما .

واخيرا ، فلاجل تسهيل مهمة الشركات او الادارات الاوروبية للحصول على اليد العاملة ، اذ كان التشغيل صعبا فى هذه المناطق الموحشة التي لم يكن سكانها على قلتهم معتادين العمل المنتظم او كانوا فى غنى عنه ـ كانت الدول المستعمرة لا تعمد الى السخرة فحسب لانجاز ذات المنفعة العامة وانما لتحميل السكان فى المنطقة الاستوائية ما لا طاقة لهم به من الاثقال ، كما انها ـ اي الدول ـ كانت تتدخل فى ابرام عقود الشغل لامد طويل وعقود « التعهد » بين الاهالي والمستعمرين . وكانت الادارة فى مثل هذه الحال تحمي الافراد الاهليين الى درجة انها كانت ترقب احوال السكن او الاجرة : الا انها كانت تضمن بالاخص مصالح ارباب التشغيل ، وذلك بانزال عقوبات جنائية فى حق « المتعهد » اذا الغى العقد بدون مبرر معقول : وكان الجزاء فى افريقيا الشرقية يقف عند حد الذعيرة ، لكن الامر فى المستعمرة البلجيكية والمستعمرات الالمانية كان يصل الى حد السجن ، اما فى ايرثيريا فكان التشريع يسمح بضرب « المخل بالعقد » ضربا جسمانيا .

هل كان لوسائل القهر هذه ما يقابلها من تنمية لوسائل النقل ؟ فى هذا الوقت كان التجهيز بالسكك الحديدية لا يزال ضعيفا اذا ما قورن بمثيله فى افريقيا الجنوبية وافريقيا الشمالية : كان هنالك اربعة خطوط حديدية تسير من الساحل الغربي نحو الداخل (واطولها وهو الخط الرابط داكار بالنيجر كان لا يتعدى 1200 كم) . وكان هنالك خطان فقط على الساحل الشرقي .

اما المشروع العظيم المتعلق « بخط رأس الرجاء ـ القاهرة » ، ذلك المشروع الذي كان سيسيل من رودس قد بدأ فى انجازه منذ خمس وعشوين سنة، فانه وصل الى ثلثي مراحله فحسب وبقي عليه ان يتم سائر الجزء المركزي الذاهب من الخرطوم الى بحيرة تانجنيقا (3.300 كم) وفيما يرجع « للخط العابر للكونغو (البلجيكي) فذلكم مشروع تمسكت به المحافل الاستعمارية بالرايخ لهدف سياسي ، اذ من الناحية العملية كان المشروع القاضي بوصل الانهار الصالحة للملاحة بعضها ببعض بواسطة سكك حديدية ، كافيا لسد الحاجة .

وتبع استغلال هذه الثروات الباطنية تـوارد لرؤوس اموال اخرى : فبلغت الاستثمارات الانكليزية في افريقيا الجنوبية 1250 مليونا فرنكا ذهبيا — اعني نفس المقادير التي استثمرت في الهند تقريبا . ونتج عن هذا الاستغلال ايضا تبدلات هامـة في الوسـط الاجتماعي الاهلي ، فالزنوج الذين بلغوا درجة مـن التطور كالبانتوس (Bantous) والكافر (Cafres) اخذوا يوفرون باشتغالهم في المناجم مبالغ ماليـة خصصوها لشراء القطع الارضية. فكانوا والحالة هذه قلقين اكثر من اي وقت مضى على انتقـال جـزء من الارض من مالك ابيض الى مالك آخر . واخيرا فـان هذا التحول في الحياة الاقتصادية اغرى عددا مـن الصينيين وآخر من الهنود بوجه خاص على الهجرة . وقد اصبح الهنود في الناتال يفوقون من حيث العـدد السكان البيض الى درجة انهم طالبوا ، بتأثيـر مـن غاندي ، بحق الانتخاب . والى جانب هـذه النتائـج الاجتماعية المترتبة عن النمو الاقتصادي حدثت تبدلات في عقلية الاوساط الاهليةبتأثير من البعثات التبشيرية: 300 الف اسود في الدين المسيحي بواسطة البعثـات البروتيستانتيـة .

كان جنوبي افريقيا والحالة هـذه في منتهـى النضوج . حقا ان السكان البيض (21 في المائة مـن مجموع السكان سنة 1910) كان عددهم كثيرا نوعا ما الامر الذي دفع بهم للامساك بيد من حديد على مقاليد الوضع. الا ان البوير والانكليز كانوا اعداء، واتى تضارب المصالح الاقتصادية فيما بينهما فزاد من حدة الاحقاد والضغائـن . فمستقبل السيادة البيضاء كان رهينا اذن بالتوفيق بين هذين الجانبين . وتلكم هي الغايـة التي كانت ترمي اليها السياسـة البريطانية منـذ سنة 1906 . وهكذا منحت للترانسفال والاورانـج قانونا خول لهما استقلالا ذاتيا تشريعيا شبيها بالذي كانت تتمتع به بالفعل كل من مستعمرتي راس الرجاء الصالح والناتال . ان تجاور هذه الاراضي الاربعـة التي سلكت فيها الحكومات سياسات مختلفة من حيث الجبايات المالية والانظمة الاقتصادية والاجتماعية كان مع ذلك يمثل محاذير خطيرة : فكيف السبيل الـى تنظيم مد السكك الحديدية واستغلالها بشكل يرضي الجميع ؟ وكيف الوصول الـى انسجام في التدابيـر الراجعة للعلاقات بين البيض وبين الاهالي ؟ لقد تغلب صك الاتحاد (Acte d'Union) الذي دخل في حيـز التطبيق ابتداء من 31 مايو1910 على هذه الصعوبات. وحينذاك اصبحت سائر القضاياالاساسية من اختصاص برلمان جنوبي افريقيا . وكان يقع انتخاب هذا البرلمان من قبل الانكليز والبوير علاوة على جزء من السكـان البيض الذين كانوا يملكون املاكا عقارية في مستعمـرة راس الرجاء الصالح . لا شك ان هذه التسوية لـم ترض مجموع البوير : اذ ظلت هنالك (في الاورانـج بالخصوص) حركة مقاومة ثابتة كان يغذيها « الحـزب القومي » ، الا ان تحقيق اتحاد جنوبي افريقيا في هذه الآونة كان ناجحا فيما يبدو .

وبالنسبة لافريقياالسوداء — سواء تعلق الامربافريقيا الغربية الاستوائية الفرنسية، ام المستعمرات الانكليزية في غامبيا (Gambie) وسييراليون (Sierra Leone) وشاطىء الذهب ونيجيريا وافريقيـا الشرقية ، ام بالاراضي الالمانية في الكاميرون والتوغو وافريقيـا الشرقية ، ام بالكونغو الذي اصبح مستعمرة بلجيكية منذ سنة 1908 ، ام بالمستعمرات البرتغالية في كابيندا (Cabinda) وانغولا والموزابيك ام بالاراضي الصغيرة الاسبانية والهولاندية في غينيا (Guinée) — نجـد ان الدول المستعمرة كانت ترمي الى غاية مباشرة مـن الناحية الاقتصادية الا وهي تنمية انتاج المواد الغذائية والمواد الاولية التي كانتتخصص للتصدير الى اوروبا. وللوصول الى هذه الغاية نراها اقرت تشريعا زراعيـا واصدرت نصوصا قانونية تتعلق بتشغيل اليد العاملة وبتنظيم الاستغلالات الزراعية والغابية والمعدنية .

ان التشريع الزراعي الذي قال عنه لوروابوليو (Leroy-Beaulieu) منـذ سنـة 1880 بانه « كان على ما يظهر حجر الزاوية في اي نظام استعماري هادف الى الهجرة السكنية » ، هذا التشريع كان يهدف الى اقامة توزيع للاراضي بين المستعمرين وبين الاهالي . ففي المستعمرات الفرنسية قررت الادارة ان تدخل « الاراضي الشاغرة والتي لا مالك لها » في املاك الدولة دون ان تبين السبيل الى تمييز الحقوق التي اكتسبها السكان الاصليون ، واخذت الادارة الانجليزية باساليب مختلفة ، فهنا في كينيا طبق نظام « الاحتفاظات » ذلك النظام الذي خصص للاهالي بعـض المناطـق دون ان يسمح فيها للمستعمرين بشراء الاراضي او اكترائها ، ثم احتفظ بباقي الاجزاء للاجانب لكي يستعمروها لا يمكن للاهالي فيها الا ان يكونوا عمالا بعـرق الجبين ، وهناك في اوغاندا الحقت كافة الاراضي التي لم تكن في الملكية الخاصة للاهالي باملاك التـاج البريطاني . وتم ذلك بموجب امر صدر سنة 1903 ، فكان امرا خطيرا بحيث انه لم ياخذ بعيـن الاعتبـار التملـك

الى هذه الغاية بالقوة ؟ لا اللهم الا اذا وافقت الدول العظمى الاوروبية الباقية التي كانت لها مصالح هامة في افريقيا على هذه البرامج .

بيد ان الحكومة البريطانية قد اشعرت في خريف 1911 على انها غير موافقة . وبعد مساومات طويلة الامد اسفرت عن توقيع اتفاق سري في 20 اكتوبر 1913 . وقد نظمت هذه المعاهدة توزيع مناطق النفوذ من جديد بين الالمان والانكليز : فكان ان خصص للانكليز الجزء الجنوبي من موزامبيق بما فيه مصب الزامبير Zambère لكن دون بلوغ الساحل ، وللالمان شمال الموزامبيق بسائر انحاء المنطقة الساحلية لانغولا تقريبا وبشمال مصب الكونغو في كابندا . هل كانت هذه المعاهدة تتضمن نفوذا اقتصاديا ؟ نعم بلا شك ، الا انها كانت لا تهدف الى اقامة نفوذ سياسي حيث نصت احدى المواد على أنه اذا وقعت اضطرابات محلية « فهددت الالمانيين او الانكليز سواء في حياتهم او اموالهم » او « عرضت هذه الاضطرابات المستعمرتين المتجاورتين الى خطر » اتخذت كل من المانية وبريطانيا العظمى التدابير اللازمه لحماية مصالحهما . وهنا ايضا كما رأينا في آسيا الصغرى نجد ان مناطق النفوذ الاقتصادي قد تصبح هي نفسها « حصص المستقبل » . وقد كتب السيد ادواردغري « بان الالمانيين يأملون ان يتم في اقرب وقت ممكن تقسيم المستعمرات البرتغالية وانا كذلك . . »

كانت الديبلوماسية الالمانية ترى في هذا النجاح مقدمة للوصول الى حل مناسب لمسألة الكونغو (البلجيكي) . وفي نهاية 1913 فكرت في الحصول من الحكومة البلجيكية على امتياز لفائدة شركة المانية لانشاء سكة حديدية عابرة لافريقيافي الارض الكونغولية فعلق الوزير الفرنسي في بروكسيل على ذلك بقوله : « انها سيطرة اقتصادية في انتظار تحولها الى سيطرة سياسية » . ومن الطبيعي ان ينشغل بال الحكومة البلجيكية لا سيما عند ما تعلم ان المانيا ستصبح سيدة الموقف في شمال انغولا والكابيندا حيث انها (المانيا) ستصبح مشرفة على الطرق المؤدية الى الاراضي الكونغولية في المحيط ، وعليه فقد « يصبح الاستقلال الحقيقي للكونغو البلجيكي ضعيفا بين عشية وضحاها » .

الا ان هذين المشروعين اصطدما بمقاومة واحدة : فقد قلقت الحكومة الفرنسية من الاتفاق الانكليزي — الالماني المؤرخ باكتوبر 1913 ، ليس فحسب لكون الوجود الالماني في كابيندا قد يؤدي الى « تطويق » افريقيا الاستوائية الفرنسية بمستعمرات المانية وانما لكون « تقارب في المصالح » — وهذا هو الاهم — بين انكلترا والمانيا لا ينسجم والاتفاق الودي الفرنسي الانكليزي ، لا ريب ان فرنسا كانت قادرة على الاشتراك في معاهدة التقسيم وعلى المطالبة بحصتها ، لكنها لو فعلت لقللت من شأن « وضعها المعنوي » اذ انها كما قال بول كامبون سوف لا تحظى بمكسب ذي بال . فكان من الاحسن اذن ان تحتج لدى الحكومة الانكليزية: وذلكم ما وقع في فبراير 1914 . وهكذا قرر مجلس الوزراء الانكليزي تأجيل المصادقة على الاتفاق الانكليزي — الالماني. اما فيما يرجع للكونغو (البلجيكي) فان كاتب الدولة في الخارجية الالمانية القى في ابريل 1914 « ضربة سبر » في محادثة له مع سفير فرنسا اذ قال ان بلجيكا غير قادرة « حتى من الناحية المالية » على مواجهة مهامها في افريقيا الجنوبية ، فلماذا لم تفكر كل من المانيا وفرنسا وانكلترا في برنامج للعمل دون ان تحبط بطبيعة الحال حكومة بروكسيل علما بهذا البرنامج « ما دامت بلجيكا هي التي ستؤدي الثمن »؟ قبل كل شيء يتعين ان نعتقد بان الدول العظمى وحدها كانت قادرة على تحمل المزاحمة العالمية وان الدول الصغرى في المستقبل سوف تضمحل او تصبح دائرة في فلكها ؟ الا ان ضربة السبر هذه كانت عديمة الجدوى لان سفير فرنسا اجاب بقوله : ان بلجيكا هي « التي تستطيع وحدها ان تثير محادثة من هذا القبيل » ، وتلكم رزانة لازمة « في ظروف كانت باستطاعتها ان تجر الدول العظمى المستعمرة الى ساحة الوغى .

اما مسألة توحيد افريقيا « Mittelafrika » « فقد ظلت معلقة ، كما كتب السيد ايدورادغري . والواقع ان هذا التوقف سيكون حاسما لان الحرب العالمية الاولى كانت ستندلع بعد ثلاثة اشهر . ومع ذلك لم تكن هذه الفترة بلا فائدة لانها ابانت لنا كيف استطاع مجلس الوزراء الانكليزي ان « يوجه » اهداف التوسع الالماني نحو القارة الافريقية .

وليس من المستحيل اطلاقا ، حيث ان الدراسات الدقيقة غير موجودة ، تقدير الاهمية الحقيقية للتدخل الاوروبي في الحياة الاقتصادية لهذه القارة السوداء ، بالنسبة للسنوات الاولى من القرن العشرين . اذ كان لعمل الاوروبيين بلا ريب نتائج ايجابية في المناطق التي كانت الزراعات الجديدة فيها تغذي تجارة التصدير ، تلك التجارة التي استفاد منها المنتجون من الاهالي . وكان لهذا التدخل ايضا نتائجه السلبية حينما قضت هذه الزراعات على التربة في شمال السينيغال مثلا او حينما انتزع نظام السخرة في الاشغال العامة من ميدان الزراعة جزءا من السكان الممتاز بالنشاط والحيوية . ومع ذلك نتج عن الاستعمار الاوروبي عموما رفع مستوى حياة السكان ، وعلى اقل تقدير اولائك القاطنين بالمناطق التي كان وجود المعمرين فيها عاملا مساعدا على تنمية الزراعات الخاصة بالتصدير ، نقول هذا لان الاستعمار الاوروبي اتى فقط بالامن الى هذه النواحي التي كانت في السابق مسرحا دائما للحروب . لكن مما لا شك فيه ايضا ان التشريع المتعلق بالاراضي كان في الغالب يحرم الافراد والجماعات من املاكهم فكان بذلك يزيد في تعقيد احوال حياتهم المادية .

وفي الميدان الاجتماعي برزت بشكل واضح الاضطرابات التي ترتبت عن الاستعمار الاوروبي : اعني انهيار « الارستقراطية » المحلية لا سيما حينما جردها الغاء الرق من خدامها ، وأفول نجم «العشيرة» حيث ان أعضاءها اخذوا يخرجون بكيفية اسهل عن سلطة الجماعة بمجرد ما استغنوا عنها فيما يخص تأمين سلامتهم الشخصية وبقاءهم في حمايتها ، ثم تكون نخبة من الاهالي تشربت في المدارس التي فتحتها الادارات الاستعمارية او المؤسسات الدينية . بالفنون الصناعية التقنية والمفاهيم الثقافية والدينية والاوروبية . ان هذا التغلغل (تغلغل التأثيرات الاوروبية) كان قد لقي معارضة ناشئة عن دين نظم هو الآخر آدابا اجتماعية في المناطق التي يسود فيها المسلمون ، الا ان المجال كان خصبا في الاوساط المعتقدة بالارواح (Animisme) وبالاصنام (Fétichisme) . وهكذا كان للبعثات الكاثوليكية — كالآباء البيض وآباء الروح القدس والاباء اليسوعيين — في سنة 1914 ما يقرب من مليوني عابد ، وكان للبعثات البروتيستانتية وعلى رأسها ما سمي (Church Missionary Society) ما يقرب من 800 000 اي ما يعادل في المجموع ثلاثة ملايين على وجه التقريب . وهذا العدد فاق بضعف النتائج المكتسبة في الامبراطورية الصينية تلك الامبراطورية التي كانت تفوق في عدد سكانها القارة السوداء بعشرة اضعاف . وبالرغم من ان العقيدة التبشيرية لم تكن تهدف في اصلها الى خدمة (عملية تعويد الافريقيين على الحضارة الاوروبية) الا انها بعملها هذا كانت تمهد السبيل الى ذلك .

وهكذا وجدت هذه القارة الافريقية نفسها ، عندما استعمرها الاوروبيون ، تابعة لاوروبا الغربية . فكانت تبيع لاوروبا 83 في المائة من صادراتها وكانت تشتري من اوروبا 72 في المائة من وارداتها ، اما العلاقات التجارية مع الولايات المتحدة فكانت تبلغ فقط 5 في المائة .

ظلت كل من افريقيا الجنوبية وافريقيا الشمالية مدة خمس وعشرين سنة المجال الجغرافي الذي اكتسى فيه تصادم التوسعات الاستعمارية — نتيجة لتضارب المصالح الاستعمارية بين الدول الاوروبية — طابعا شديد الخطورة . وما ان اشرفت سنة 1911 على نهايتها حتى اصبحت افريقيا الوسطى هي التي تلفت الانظار اذ عادت المحافل الاستعمارية الالمانية الى سابق برنامجها الاستعماري، ذلك البرنامج الذي قد رسمت خطوطه الاولى سنة 1898، ويتعلق الامر «باعادة توزيع» الاراضي الاستعمارية في القارة الافريقية للوصول الى تشكيل امبراطورية استعمارية على حساب الدول المستضعفة لفائدة الريخ الالماني . واخذت الصحافة الالمانية — في هذه المرة لم تكن صحف دعاة الوحدة الجرمانية وحدها في الميدان — تهتم بهذه المشاريع بكل ما اوتيت من قوة . وكانت الحكومات الالمانية تعني ببرنامجها هذا المستعمرات البرتغالية من جهة والكونغو الذي كان تحت السيطرة البلجيكية من جهة اخرى : كانت تعني بذلك انغولا (Angola) وموزامبيق (Mozambique) وكابيندة (Cabinda) لان احياء هذه الاراضي الشاسعة كان بسيطا نتيجة للصعوبات التي كانت حكومة لشبونة تتخبط فيها . اما الكونغو (البلجيكي) فكان في نظر الحكومة الالمانية « مستعمرة شاسعة جدا تابعة لمستعمر بلاده صغيرة جدا » . وكانت هذه البلاد الكونغولية منذ ابرام الاتفاق الفرنسي — الالماني بتاريخ 4 نوفمبر 1911 تلتقي في نقطتين بالاراضي التي نالتها المانيا . هذا المكان الذي ارادت الامبراطورية الالمانية ان تجد فيه « مكانتها تحت الشمس » فهل كانت تريد الوصول

وفاتكات عذارى من فواتنها ... انسيننا – فى خطوط النار – صرعانا
وفى اللحاظ .. كلام .. ليس يفهمه ... الا الذي باع دنياهم بدنيانا
دنياهم – دنس الاطماع حرمتها ... والشعر كالوحي . اصفانا فزكانا
واننا – الشعراء الناس – ما فتئت ... (ارواحنا تغمر الانسان ايمانا)

* * *

رسالة الشعر فى الدنيا مقدسة ... لولا النبوءة كان الشعر قرءانا
فكم هتكنا بها الاستار مغلقة ... وكم غزونا بها فى الغيب اكوانا
وكم جلونا بها الاسوار مبهمة ... وكم اقمنا بها للعدل ميزانا
وكم صرعنا بها فى الارض طاغية ... وكم رجمنا بها فى الانس شيطانا
وكم حصدنا بها الاصنام شاخصة ... وكم بعثنا من الاصنام انسانا
وكم رفعنا بها اعلام نهضتنا ... فخلد الشعر فى الدنيا مزايانا
وعابثين ... ارادوا الشعر مهزلة ... فازعجوا برخيص القول آذانا
تنكروا للقوافي حين اعجزهم ... صوغ القوافي .. وضلوا عن ثنايانا
قالوا : جمود على الاوضاع وزنكم ... فشعرنا الحر لا يحتاج اوزانا
فاين من جرس الايقاع خلطكم ... ما الشعر ؟؟ ان لم يكن سوقا واغصانا ؟؟
وكيف .. ؟؟ هل خلد التاريخ سخفكم ... مهما تفتن اخراجا واتقانا ؟؟
وما عسى تنفع الاسفاف مطبعة ... نضفي الدمقس على الاموات اكفانا ؟؟
وهل اعار – رواة الشعر – لغوكم ... وزنا .. ؟؟ وهل حشوكم بالحفظ اغرانا ؟؟
وما تفيد المعاني وهي مجدبة ... لو صاغ الفاظها داود الحانا ؟؟
وهل نضيق القوافي وهي مخصبة ... عن الخوالد ؟؟ لو تصفو نوايانا ؟؟
وما الذي يصل الارحام فى غدكم ... ان كان ماضيكم زورا وبهتانا ؟؟
رجعى العروبة .. لا عدوى الدخيل بنا ... شتان ما بين عدواكم ورجعانا
عودوا الى لغة يرضى الدخيل بها ... ما كان اغناكم عنا واغنانا
او عجلوا توبة ترضي عروبتنا ... ما كان ادناكم منا وادنانا

* * *

يا محفلا تتجلى فيه وحدتنا ... ومهرجانا بروض الشعر ريانا
وعبقرا يخرق الاجواء منطلقا ... يلقى الرسالات من اصداء فصحانا
وبحتريا .. طوى الاعصار منتقلا ... يردد الحفل فى اذان قحطانا
وثائرا .. ذكرته الساح ساحتنا ... فظن نار الوغى حقا شظايانا



رسالة الشعر في الدنيا مقدسة

لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء

ألقيت في مهرجان الشعر بدمشق

سل العروبة ... هل ضجت لبلوانا ‏ ‏ ‏ وسل امية .. هل رجت لشكوانا ؟
ويا ذرى الشام ... هل هاجت مواجدنا ‏ ‏ ‏ فبارك الشعر فى ناديك لقيانا ؟
ويا دمشق .. هل ابتلت جوانحنا ‏ ‏ ‏ بعد التنائي الذي قد كان اضنانا ؟
وهل درى السجن : اني بعد وحشته ‏ ‏ ‏ القى بجلق اصحابا وخلانا ؟
هي المشاعر .. شبتها لواعجنا ‏ ‏ ‏ فصاغها الشعر حبا من حنايانا
هي الحشاشات .. فارت من مذابحنا ‏ ‏ ‏ تضوع فى الشرق عطرا من زوايانا
هي التسابيح .. من اعماق مغربنا ‏ ‏ ‏ يصغي بها ـ مهرجان الشعر ـ نجوانا
هي الشعاليل .. من بركان اطلسنا ‏ ‏ ‏ تشع فى الشرق انوارا ونيرانا
ووحدة ـ الثورة الكبرى ـ مظفرة ‏ ‏ ‏ تزف للوحدة الكبرى ـ تحايانا
وتلك اكباد ـ عبد القادر ـ انطلقت ‏ ‏ ‏ تبارك النبل فى اكباد مروانا

* * *

آمنت بالله ـ يا فيحاء ـ كم مهج ‏ ‏ ‏ خلدن فى حرم الفيحاء ذكرانا
وفى الجزائر .. كم يا شعب من رحم ‏ ‏ ‏ تهفو لجلق اشواقا وتحنانا
ومن ضمائر تابى الذل .. فاتخذت ‏ ‏ ‏ يا دار ـ مغناك ـ دون الارض ـ اوطانا
وخانها الصحب فى الجلى .. وما عدمت ‏ ‏ ‏ فى الشام . عونا على الجلى . واخوانا
وكم ليالي بالاسمار حالمة ‏ ‏ ‏ يصفى لها ـ بردى العربيد ـ نشوانا
والغوطتان .. رايت الله عندهما ‏ ‏ ‏ وما تعبدت ـ دون الله ـ اوثانا
لولا التقى .. لحسبت الخلد دونهما ‏ ‏ ‏ حسنا .. وسميت .. قاسيون ـ رضوانا

يا ناعس الطرف .. هل راعتك محنتنا ... ام عن كوارثنا لا زلت نعسانا

ان تعط مالك .. فاذكر يوم تنفقه ... انا من المهج الحرى عطايانا

وابذل مع الحب حبا يستعين به ... فالحب ينقذنا .. والحب يرعانا

قدس العروبة .. والايات شاهدة ـ ... ما انفك تغمره حبا طوايانا

وحرمة الضاد فى الاجيال ما فتئت ... يرتاش من نبل معناها جناحانا

والجرح ما انفك فى اكبادنا غدقا ... يسيل من دمه المسفوك عطفانا

والمغرب الحر لا تخبو لواعجه ... بالشرق ما انفك مسحورا وولهانا

عز العروبة فى اعطاف ثورتنا ... ان تسندوا حربنا ترفع لكم شانا

فباركوا وطنا يغزو (ثمانية) ... نشوان .. كالمارد العملاق ـ جذلانا

وثورة لشعوب الارض ملهمة ... احيت لواقحها بيضا وسمرانا

تعنو لوثبتها الدنيا وتكبرها ... وتفهم الكون بالرشاش معنانا

سما بها الوعي .. لا ضعف .. ولا نزق ... وسادها العقل تفكيرا ورجحانا

شورى ، وعدل ، وتخطيط ، شريعتها ... والشعب فى فلكها ما انفك ربانا

ما فاز بالمجد شعب ضاع من يده ... حكم البلاد .. فقضى العمر حرمانا

وما استقر نظام ظل ممتهنا ... حق الضعيف بها ظلما وعدوانا

لله در ابي ذر وثورته ... فما (لماركس) عنه اليوم الهانا ؟

ويل القوي من المستضعفين اذا ... حان القصاص .. ودانتنا خطايانا

الخير والشر فى هذا الورى دول ... اصنع جميلا .. تجد عدلا واحسانا

فـراح يعصـر اعصـاب النجـوم دمـا ويسعـر الغضـب المكبـوت بركـانـا
وشيجـة الشعـر فى دنيـا عـروبتنـا اقـوى مـن القـدر الجبـار سلطانـا
والشعـر طهـر فى الدنيـا سرائـرنـا والشعـر يسـر للخيـرات اشقـانـا
فـلا السياسـة دكت صـرح دولتنـا ولا المطـامـع نالـت مـن سجـايـانـا
يسمو بنا الوحـي عـن دنيـا مموهـة ويقصـر النفـط عـن الهـام صحرانـا

* * *

ويح العروبـة .. كـم ديست قداستهـا وسـامهـا الخلف افـلاسـا وخـذلانـا
وعاكفيـن علـى النعمـى .. يهدهدهـم صفو الليـالـي .. ومـا رقـوا لبلوانـا
ناموا .. وفى الـدار اسرائيـل يرصدنـا واغمضـوا دون اسـرائيـل اجفـانـا
وفى الجـزائـر اشـلاء ممـزقـة راحت عـن العـرب قربانـا وغفرانـا
الشرق فى الخطب طارت عنـه سكرتـه لولا المصـاب لظـل الشـرق سكرانـا
قـد كـان مـا كـان ـ والايـام موعظـة يا ليت ما كان قبـل اليـوم ، مـا كانـا

* * *

يـا مسعـدينـا بـدمـع فى رزيتـنـا ومسعفينـا بعطـف فى بـلايـانـا
ذروا العواطـف .. فالرشـاش يجهلهـا و (سجدة السهو) لا تحيـي ضحايانـا
وصالح الدعوات .. النـار تنكرهـا مـا لـم تقـدم لهـا الاعمـال برهـانـا
وليـس تجـدي قـرارات علـى ورق ان لـم يـك الفعـل ايضـاحـا وتبيانـا

* * *

متـى تلـح مـن ذوي القربـى (مقاطعـة) يسعـد بهـا ثمـن (الفستـان) جرحانـا
ويكفينـا ثمـن (الفـورفيـل) ارغفـة نطعم شيوخا بها ـ جوعـى ـ وصبيانـا
ابالمساحيـق نـغزو جنـد غـاصبنـا ام بالعطـور تفـدي ثـغـر مـرسـانـا
ام بالعشيقـات نـغـزو حلـف اطلسهـا فيكبـر الاطلـس الجبـار مسعـانـا
(صبغ الشفائـف) تغنـي عنـه قانيـة دماؤنـا .. يـوم نهديهـا ـ عـذارانـا
وفى المـدامـع عطـر لا يـضـارعـه (ماجـريـف) ايـان تـذريهـا صبايانـا
وفى الانيـن رنيـن (الجاز) متـزنـا تجيـد عـزف موسيقـاه يتـامـانـا
وعن دبالـج بـاريـس لـنـا عـوض نعـم (الدبالـج) مـن اوصـال قتلانـا

فكم حصد الفرب من مهجة وكم شرد الفرب من امة
وكم اوقد الغرب من معرك ليختص فى الارض بالسلطة
تراه مدى دهره صانعا سلاحا يعده للوثبة
ففي الحرب ما له مستنفذ وفى عدة الحرب والخدعة
فريسته كل شعب غدا قليل الكفاية والمؤنة
ولكنها خطة افلست وباءت من الحق باللعنة
وجر الزمان على اهلها ذيول المهانة والخيبة
وجاء الحياد واقطابه فمالوا عليها بذي الطعنة

بلادي لك الفخر من موقف يجللك اليوم بالرفعة
تطاير فى لحظة ذكره فلاح على هامة القمة
ورن صداه فقات المدى وامعن فى العمق والدقة
وقابله الكون مستبشرا ومات الفلاة من الحسرة
وهز الدهاة فمن معجب ومن ساكت جن بالحيرة
فيا قوم ، من مثلكم امة لها ما لك فاز بالذروة
تزعم جمع الحياد فلم يدع لذوي الجاه من رتبة
وابدع فى الراي حتى اعتلى على جلة القوم بالفكرة
فقالوا : تراس وفه باسمنا فانت الاحق بذي الميزة
فالقى روائع من قوله وابدى من الحزم والفطنة
كذا فليكن من اراد العلى لعرشه والعرب والامة
كذا يكسب الفخر بين الورى ويكتب فى سيرة الدولة
ولكنها رتبة خصصت ببيت النبوءة والامرة
فان افلح الحسن المرتضى فذلك ارث بلا كلفة
ومن كان آباؤه جلة من الرسل يكمل بالمرة
وهل يعرف النقص فى عترة لهم شرف القرب والحظوة
فمن رام ساحتهم بالهوى تخبط فى عاجل النقمة
وما نال منهم سوى زائغ تغلغل فى الشؤم والشقوة

فيا حسن اسلم لشعب يرى حياته فيك بلا مرية
يحالفك الفوز فى كل ما تخلد للقطر من عزة
ومات بغيظه ذو احنة يجادل فى الحق بالفرية
فما نال غير الذي ناله غراب ينقر فى صخرة
اليك انتهى كل فخر اذا تفاخر قوم بلا حجة
عليك القلوب حنت كلها ولو قدرت كنت فى الحبة
فيا ابن الرسول عليك الرضى عليك السلام بلا منة

موقف الملك

للشاعر
المدني الحمراوي

« بلغراد » انت مناط المنى　　ومعتصم السلم والوحدة
اليك اوت امم هالها　　تنافس قوم على القوة
فجاءت اليك الوفود التي　　تبشر باليمن والرافة
فياله من مجمع رفرفت　　عليه ملائكة الرحمة
وبارك كل فؤاد على　　صنيعه واهتز للفكرة
واصغت اليه الدنا كلها　　وسرت باهدافه الحرة
تجمع والارض فى فورة　　وقد انكر الجو بالنكبة
فانعش آمال كل الورى　　ونفس من وطأة الغمة
ففر الغراب الى وكره　　وعاد الهزار الى الروضة
يغني نشيد الرجاء الذى　　يبشر بالسلم والغبطة

رجال الحياد هنيا لكم　　بما نلتم اليوم من نصرة
رفعتم شعوبكمو عندما　　نطقتم بمستصوب الحكمة
فاعلنتم الحق من منبر　　تنزه عن سافل النزعة
ولم نرقبوا اى لون ولا　　حفلتم بجنس ولا ملة
ولكن رايتم جميع الورى　　من السود والبيض كالاخوة
فحياكم الله من معشر　　تحدوا سماسرة الفتنة
ومستعبدي امم اصبحت　　تتوق الى العتق والعزة
تداس كرامتها عنوة　　وتقتل بالنار و « الذرة »
وتحرم بالغصب من خيرها　　وتحشر فى جانب الذلة

متى يقلع الغرب عن غيه　　ويعدل عن جائر الخطة ؟
ويقنع بالعيش فى ارضه　　شريفا فيظفر بالمدحة
متى يدع الغصب او يرعوي　　عن الدس والغزو والسطوة ؟
الم يكفه ما جنت يده　　من العار والاثم والسبة ؟

اسـلامـه

مـا بـالـه لا يستجيب لفتيـة ... قـاد الثـراء شبـابهـم للحـان
فتيان مكـة يحتسـون مدامهـم ... ويـطـاردون شـوارد الغـزلان
ما بالـه يرتـاد فى راد الضحـى ... حرمـا امينـا شـامـخ البنيـان ؟
يصغى الى المتآمرين على الهـدى ... مـن كـل شيخ ثـائـر غضبـان
عجبـوا مـن الامـي فى تاليفـه ... تلـك القلـوب وحيـرة الكهـان
قد راعهم ان تخضع العـزى الـى ... رب الوجـود وخالـق الاكـوان
ومن العقائد ما يضيق به الحجـى ... ذرعـا ويوسع جـانب البهتـان
سمع الفتى فسعـى لحزب محمـد ... ونـآى بجانبـه عـن الشيطـان
يا منزل ابن الارقـم استقبل فتى ... قد جـاء مشتاقـا الـى الايمـان
قـد جـاء يطـرق بابـه وكـأنمـا ... طرقـاتـه بالبـاب طـرق جمـان
حيـاه وسلـم ، والعيـون تعلقت ... بشـرائـه وروائـه الفتـان
والصمـت سـاد تحيـة لقدومـه ... والصمت قـد يغني عن التبيـان
ومضى الرسول يسوق آية ربـه ... قدسيـة مـن محكـم القـرءان
ان انـذرت فالقـوم مـن انذارهـا ... غرقـى بدمـع دائـم الهمـلان
او بشرت فالقـوم مـن تبشيرهـا ... سكـرى بخمـر طيـب ربانـي
فمضى الفتى نحو المبشـر مسلمـا ... وتصافحت بيـن الجلوس يـدان
اللـه اكبـر كلمـا امتـدت يـد ... للحـق فى عـز وفى اذعـان

كـفـاحــه

حجب الفتى نور الهـدى عن امـه ... حتـى ينـال المـال بالكتمـان
لكن (عثمان بن طلحة) قـد راى ... هـذا الفتـى فى طـاعـة الديـان
فمضـى يحـدث امـه عمـا راى ... والام مصغيـة الـى عثمـان
وصف الصـلاة ركوعهـا وسجودها ... ووقـوفـه فى خشيـة وأمـان
ومضـى يغيـر قلبهـا فتجـردت ... مـن كـل عطـف سابـغ وحنـان
منعتـه مـالا كـان تحت يمينـه ... فـاذا بـه كالمعـوزيـن يعـانـي
وتبدلت حـال الفتـى فى عسـره ... مـثل الفقيـر وكالاسيـر العانـي
ومضى مع الفقـراء فى ركب الهدى ... كـبـلال الحبشـي او سلمـان
وتخدد الوجـه المضيء وقد غـدا ... رث الثيـاب وغـارت العينـان
لـم يبـق الا صوتـه وعقيـدة ... فتنـت كحـر التبـر بالنيـران

بطولات اسلامية

صور من قصص البطولة في صدر الإسلام

الشاعر محمود محمد الحبشي



صور تهز مشاعري وجناني ... هز الرياح ذوائب الاغصان
ما لي جفوت النوم وهو مطاوعي ... ورعيت نجما ساهرا يرعاني
ورضيت عن طيب الاقامة بالنوى ... ورحلت عبر حوادث الازمان
ونزلت فى أم القرى وسألتها ... أين الهدى ، والمصطفى العدناني !!
أين المغاني والمغانم والظبا ... بل أين أين محطم الاوثان !!
فى عصبة خضع الزمان لامرها ... ومشى على آثارها الملوان
ردت الى العقل الشرود صوابه ... وقضت على الطاغوت والطغيان
واذا التفت همم الرجال رأيتهم ... أمما تذل مصارع الحدثان
من كل فرد فيه عزمة فيلق ... والرعب يسبقه الى الميدان

قصة الصبر الجميل

وبمصعب ابن عمير السمح التقت ... غرر المكارم فى فتى الفتيان
هي قصة الصبر الجميل وعبرة ... فى اليسر تلقاها وفى الحرمان
متواضع بجماله وجلاله ... والمال زوده به الابوان
تتعثر النسمات فى أذياله ... فكأنه روض من الريحان
وينم عنه أريجه أنى مشى ... فى سابغ متعطر الأردان
فى صوته السحر الحلال ورنة ... عزت حلاوتها على الكروان
اما المحيا فالوداعة والرضى ... والحسن والاشراق فى انسان
قيد النواظر والقلوب وانه ... لحن الصفا جرى بكل لسان
قد عل من صفو الزمان وطيبه ... فغدا عصي الدهر فى الامكان

كالطود فى ساح القتال فلم يهب ... حمل اللواء بقوة الشجعان
هوت اليمين فضمه بشماله ... هوت الشمال ؛ فضمه العضدان
حتى اذا حار العدو أصابه ... من يأسه فى مقتل بسنان
فهوى كما تهوى النجوم مكرما ... ومخلدا فى جنة الرضوان
سلم اللواء وعاد جند محمد ... للنصر والاسلام والايمان
هذه صحيفة مصعب قد اشرقت ... فى الكائنات على مدى الازمان
لتكون نبراس البطولة والفدا ... للمسلمين وصالح الشبان

محشر الشعوب

عدا سوف يصطف كل الشعوب ... لتسأل عن دورها فى الحياة
ويسمع فى الافق صوت رهيب ... يردد ذاك السؤال صداه

* * *

فتتلو الشعوب قصائدها ... مردده اجمل الذكريات
بما انتجته قرائحها ... من العلم والفن والفلسفات

* * *

ونخرج نحن على خيلنا ... ركوبا ، لنصرخ بين الشعوب
ونتلو ، وفى صوتنا كبرياء ، ... سجل انتصاراتنا فى الحروب

احمد البقالي

هجوعه

واقام فى بلد النجاشي لائذا ... بحماه من كيد ومن عدوان
هي هجرة شرعت لكل مجاهد ... فى الحق يطلب نصرة الرحمن
واشتاق للهادي فعاد وقلبه ... متفتح للنور والفرقان
ووعى فارسله الرسول معلما ... فمضى ليثرب رائد العرفان
واقام مقتربا يسوق بصوته ... عذب الحديث وساطع البرهان
واذا المعلم نال صوتا ساحرا ... جعل القلوب تحل فى الآذان

شجاعته فى بدر

لله مصعب الفتى كل الفتى ... هو فى الملاحم اشجع الشجعان
حمل اللواء بيوم بدر ثابتا ... ما زاغ أو زلت به القدمان
قد ناهز الكفار الف مقاتل ... والمسلمون يفوقهم ضعفان
ارايت كيف اعز ربك جنده ... حين التقى فى الحومة الجمعان ؟
دارت رحى الهيجاء وانقشع الدجى ... وارتد منهزما ابو سفيان
ومضى لواء المسلمين ليثرب ... يزهو بصفحته على الاعنان
يا فرحة الاسلام حين تحققت ... للمسلمين شعائر واماني
هي عصبة الحق القليل عديده ... فى (بدر) قد ظهرت على البطلان
هي عبرة الاجيال يسطع نورها ... لم تبق اعذارا لاي جبان
هي ذكريات الحق فى ريعانه ... ارايت جند الحق فى الريعان ؟

شجاعته فى أحد

ولواؤه بيمينه فى معرك ... حين التقى فى الساحة الجيشان
ارايت فى (أحد) بطولة مصعب ... يرتج بالابطال والمران
فى موقف ترك الرماة مكانهم ... طلب المغانم ، والحطام الفاني
لم يسمعوا قول الرسول فهالهم ... جيش يحاصرهم بكل مكان
هو خالد وجنوده قد احدقوا ... بالمسلمين احاطة النيران
وقد استحر الضرب واشتبك القنا ... وترى الدماء تسيل فى الكثبان
حتى رسول الله شج براسه ... واصيب فى سن لخير لسان
يدعو الذين تفرقوا من حوله ... حتى يزيلوا وصمة الخذلان
نادى ومصعب الفتى لما يزل ... بلوائه ركنا من الاركان

قصة العدد

الهواء الجديد

للأستاذ محمد زنيبر

لـم اكـن اتصور ما ينتظرني هذا الصباح ا سحب بـاب الحجـرة التي كنت اسكنهـا حتى .. وراءها بطاقـة صغيـره مختـومة ، تناولتهـا ..ستها ، فلم ار فيهـا الا كلمـات قليلـة بـدون ..اء .. وما كـان اشد دهشتي عنـد ما قرأتهـا : ادرك صديقك عليا ، انه في خطر » .

حقا . لقد فاجاني بل صدمني النبا . فما كنت ..ن ان يأتيني ما يهولني من جهة علي . صديقي ..يد في الغربة وفي هذا البلد الكبير الذي لايعرف ..ل ولا آخر . فهو شاب رزين ذو اناة وترو لايندفع ..امرة الا اذا تيقن من حسن نهايتها .

ومع ذلك . فمن يدري ؟ .. سيمـا وقد كنت .. فيه من حين لآخر ان له أسرارا يغار عليهـا ..يد في اخفائها حتى على اخلص اصدقائه ، وان ..ساعات اخرى يعيشها مع نفسه وفي صمت عزلته .. .. اتوقع ان يتكشف في يوم من الايام هذه الاسرار .. يمنعني قلة فضولي وواجب الصداقة من التنقيب .. ، ولعله هذا اليوم .

ذلك ما كنت اتحدث به في باطني وأنـا اتجـه .. الفندق الذي يسكن فيه علي ، وشعرت فجاه .. اسي بخطوات جادة مسرعة وان فكري منشغل ..سلوب بحيث لا اكاد اعي ما حولي في الطريـق ، .. من الصعب علي آنذاك ان اعرف هل انا في تلك .. مدفـوع بواجب الصداقـة ام بغريـزة حب ..لاع والتعلق بغرائب الاحداث .

وصلت الى الفندق ، وبدون ان احيي القيـم ..اد اندفعت صاعدا في السلم وانا اتساءل في فزع ..ساجد امامي ميتا ام جريحا ام مجنونا ؟ وما هي .. وقفت امام الباب ونقرت .

سمعت جوابا من الداخل ، وفي الحين انفتـح الباب امامي ، ودهشت عندما رايت عليا سالما طـري الوجه نظيفا انيقا ، لاينبيء مظهره عن شيء ، وكانـه شعر بدهشتي عندما ابتدرني : « مابالك تحملق فـي وجهي هكـذا ؟ .

فاجبته بكلمات متقطعة لاتنبيء عن معنى ودعاني الجلوس فقعدت ، لكنه ظل صامتا واجما ينتظرني ان ابدأ الكلام ، وطال السكوت حتى صار الجو ثقيـلا ، وقد كنا عادة عند ما نلتقي ندخل في الحديث الجـدي او المرح دون تصنع او تردد .. لكننا في هذه الساعة لم نجد سبيلا للاتصال بواسطة الكلام ، فكاننا نعيش في عالمين مختلفين متباعدين لايتصلان .. وشعـرت بان هذا الصمت الثقيل المسترسل اصبح محرجا لنا جميعا نتشاغل عنه برهة بالنظر الى الحجرة والـى الاشياء التي تملأها ، ولاحظت انها في فوضى غيـر اعتيادية وغير منتظرة من علي الذي اعهده دائمـا حريصا على نظام حجرته وترصيف امتعته ترصيفـا فنيا رائقا ، ولمحت في ركن حقيبتين كبيرتين واخرى صغيرة غير مقفلة والكل ملآن بالملابس وبمـا يحتاج اليه في السفر ، فالتفت اليه بغتة وسألتـه : لكـانك تريد السفر ؟ فاجابني في شيء من القلق : نعـم .

ــ كيف ؟ انت الرجـل الـذي لايحب الانتقـال ويرى في الاسفار ضياعـا للوقت ومتعـة هـي دون ما يستحق الرجل الذي يفكـر ؟

ــ كمـا تـرى .

وشعـر بانني سالقي عليه اسئلة اخـرى ، فابتدرني وعلى ملامحه امارات العزم والجد : انصت يا محمد ، انني ما كنت انتظر زيارتك هذا الصباح ، وما كنت ارغب فيها ، كان في عزمي ان اسافر دون ان

أنا وبقية الفيران ..

اما كنت حتى داخل الجحر الصغير ·
وبقية الفيران مثلي موثقين الى الحصير ·
بشــرا له قلب كبيــر ...

في داخلي كانت عيون لا تنـام
حتى ولو نـزل الظـلام
ومشت على جسمي القوارض والهوام

والنور كان محرما عبر الاثير
في داخل الجحـر الصغيـر
والغول رب الجحر اعمى : عاصب عينيه
يزفـر كالبعيــر . . .

كنا كنمل فـوق عـود
نمشي لنرجــع .. ثم نمضي كي نعـود
وكاننا رسـر الخلـود

كنا كعنقود من الديدان في الجحر الصغير
داست على ارواحنا الاقدام
لنخـر للاصنــام
جثيــا ، وللغول الكبيــر

للشاعر
أحمد البقالي

وبداخلي زرعت يد الايــام
وهما من الاوهــام
ككتابة الريح الخفية في الرمال
كتفتــح الاكمـــام
او روعــة الاحــلام
من يوم ان ولد السؤال
فخطوت اول خطوة نحو الكمال

ــ انصت ، يامحمد ، كن معي صريحا ، انني لما فتحت لك الباب ، لم يكن وجهك عاديا .. لقد شعرت بانك جئت لامر معين (لما رآني انفي) لا .. لا لقد كان كان فى علمك شيء .. وبعد ، فهل فى الامر ما يستوجب الكتمان ؟ . نعم ، انـي اريـد ان افـر ..

ــ انصت . لا صالح لنا فى هذا اللف والدوران .. نعم اني جئتك لامر معين .. جئت انقذك ، لقد قيل لي انك فى خطـر .

* * *

فضحك ضحكة عصبية وقال لي بلهجة المتصححة : لاتقل فى حيانك سرا لامرأة ، لقد خلق النساء لمحو الاسرار من الوجود ، انهن يردن عالما مضاءا ليس فيه زاوية مظلمة .. قل لي ، هل تعتقد المرأة قادرة على الحب ؟ اياك ان تغلط او تغالط نفسك .. ان المرأة لاتحب فى الرجل الا خيالاتها واحلامها ، انظر « جوليا » هاته التي قالت لك اني فى منزلي التي اوشكت ان اتزوجها ، لقد كنت حقا احبها واعطف عليها ، وكنت اثق بمودتها واظنها تحبني انا .. ولكن عندما خبرت الامر ، وجدتها تحب شخصا آخر تتقمص فى جسمي ، انها تحب في ما تسميه « مثلها الاعلى » انها تحب شخصا لاوجود له الا فى خيالها وتسعى بحركاتها وسكناتها وبكلماتها واشاراتها فى ان اصبح انا ذلك الشخص .. زارتني امس ، ووجدتني فى حالة ظاهرة من القنوط والسآمة .. وكنت انتظر منها ان تتفهم حالتي وان تنظر الى ولو مرة نظرة الواقع وتقول لنفسها : هذا انسان من لحم ودم يفرح ويحزن ، ويتألم ويلتذ ، يكون تارة ضعيفا وتارة قويا ، فيجب علي ان احبه كما هو .. هل تعتقد ان ذلك خطر على بالها ولو لحظة ؟ ابدا ، انها قعدت تستنصحني فى اشياء اخرى ، فى لباسها ، فى المسرحية الفلانية ، فى الشعر الآني ، وكنت الاحظ انها تقبل ما اقول كانني حكم عادل ولا ينطق عن الهوى ؟ .. فهي تعتقد انني شخص متفوق ولا تحسبني الا هكذا .. قل لي ، اليست هذه حالة تعيسة ؟ .. او ليس من سوء الحظ ان يكون الحب مبنيا على عدم تفاهم كهذا ؟

ــ حقيقة .. لكن ماذا حصل من بعد ؟

ــ ماذا حصل ؟ حصل اني اخذت اجود عليها بالنصائح المتعددة عن كل ما تسألني عنه ...

وصرت اتكلم واتكلم ، ولا اجد امامي اية مقاومة ، وكم كنت اود ان ينبع بيننا شخص ثالث يفند ما اقول ويناقشني .. ولكنني ، فى النهاية ، شعرت بانني حانق على « جوليا » كاره لها ، وبدا لي اني اتكلم في الفراغ ، فصحت فى وجهها بغتة : قولي شيئا .. مابالك صامتة ؟ ولم تنصتين الي هكذا وتثقين بما اقول ؟ .. انصتي ، ياجوليا ، انتهى الامر بيننا .. اني لا استطيع ان اراك ثانية .. فلنفترق من الآن .. انني لا احبك ولا استطيع ذلك .. دعيني اتنفس الهواء وانصرفي عني .

كان وجهها يتنقل بين الاحمرار والاصفرار ، ثم اندفعت تشهق وتبكي ، بينما انا لا انفك اصيح فى وجهها ان تذهب .. وبدأت بالفعل تجمع دموعها ، وقامت وهي تتعثر فى اذيالها ، وتستعجل ، ثم عادت العبرات تسيل من جديد ، ولكن فى صمت ، وهمت ان تخرج ، ثم التفتت الي فرأتني مطرقا .. فوقفت برهة ، ولم تنس ان تخرج من حقيبتها ادوات التجميل وتقوم بواجبها نحو الوجه .. ثم انها وضعت يدها اليمنى فى خنصر اليسرى واستلت منه خاتم الخطبة التي كنت اهديتها ، ونظرت فيه لحظة ثم القت به على الربية وقالت لي بسخرية : يمكنك الآن ان تسحق حبنا برجلك ، وخرجت مكلومة تعيسة .

* * *

قلت له وقد فهمت انه ما فاه بكل هذه الاسرار الا بعد جهد جهيد : ولهذا قررت السفر ؟

فنظر الي بوجه متألم : لماذا تحرجني بأسئلتك هذه ، يامحمد ؟ .. هل اعرف انا لماذا سأسافر ؟ اني مثلك ، لا ادري .. السفر غاية فى نفسه ..

ــ لست اصدق كلمة مما تقول .. وليس من المعقول ان لايكون لسفرك اي هدف .. ومهما يكن ، فلست بقادر على ان اتركك تنسحب من الميدان هكذا وتتوارى عن الانظار كالمجرم الهارب .. فماذا تقول لاسرتك ؟ وماذا تقول لاصدقائك ومعارفك ؟ فهم لن يصدقوا انك اشتهيت فى ذات يوم ان تغيب دون سابق اعلام ، سيما وهم يعرفون انك كنت ترد الناس عن ركوب المغامرات وتصدهم عن الانزلاق فى مهاوي الجنون ومفاتن الحيـاة .

اخبر احدا .. ولكـن ، حيث انك اتيت ، فهـا انت تعرف الحقيقة ، وانما لاتلق علي اي سؤال آخر .. ومن الاحسن ان نترك هذا الامر وندخـل في موضوع غيـره .

وغاظني منه هذا الكلام ، فاجبته : لعلك تعتقـد اني ما جئت الا لكي انجسس عليك ؟ ولا تفكر مطلقـا ان الصداقة هي التي دفعتنـي لكل هذا الفضول . ولكـن ..

وهنا توقفت ، لما رايته صامتا ساكنا ينظر الي بعينين تعبران عـن الم عميـق . وعلمت ان كلمانـي لاتطابق المقام فهدات من روعي وقلت : سامحني اذا كنت مخطئا يا علي .. ولعلني اذا اقترحت عليك ان ارافقك في هذا السفر فلن ترفض ذلك .

فنظر الي بعجب وقال : مستحيـل

— ولمـاذا ؟

— قلت لك انـه مستحيـل .. لانـي ساذهب بعيدا ولاني اريد ان ابقى وحدي

— انت تسمي هذا سفرا ! وانما هو فرار .

وشعرت باني ضربته في الصميم لما تلفظت بكلمة الفرار ، فقد علا وجهـه الاصفرار وسطبت سحنتـه وقال لي بتحد : انت الآخر تعتقد انه فرار ؟ .. قـل لي . هل تعي ماتقول ؟ هل تعتقـد حقـا وفي قرارة نفسك اني اريد الفرار ؟ قل لي . . . لا لا . ليس هذا فرارا وانما هو تحرر .. اما انت فتريد ان تقنعنـي بالالفاظ كما لو كنت صبيا . انصت . يامحمد سمـه فرارا او انهزاما او ماشئت ، فساسافر ، ولوحدي.

— على مهلك ، ياعلي ، وارى ان الحديث معك شاق في هذا الصباح .. والاحسن ان لانسترسل في مثل هذا الكلام .. واخبرك اني لم اتنـاول فطـور الصباح بعد . ولهذا فاسمح لـي ان احضـر عنـدك فنجـان قهـوة .

— تفضـــل .

ودخلت الى المخزن الصغير الذي بجانب حجرته والذي يستغله كمطبخ وكمكان للنظافة ، اوقدت النار في فرن الكحول واشتغلت بتحضير القهوة وتقطيرها . وكنت في تلك الاثناء اسمع عليا يخطـو ذهابا وايابا في الحجرة لايقف ولا يشتغل بشيء معين ، انتهيت مـن طبخ القهوة وعدت بفنجانين مملوئين بقهوة سخينة الى وسط الحجرة حيث نصبت الطاولة ، كـان علي سادرا في افكاره وهواجسه ، ولهذا ، فقد ظل يمشي منينه الآلية ساهم الوجه مقطب الحاجبين .

واحدت لاول مرة انفرس فيه بامعان ، فقـد كانت روحه القوية المنبعثة في كـل ملامحه وجوارحه تجعلني فيما قبل انصت اليه اكثـر مما احـدق في وجهه . اما اليوم ، فقد كانت روحه صامتة ، بـل غائبة ، ولم يبق امامي الا رجل من لحـم ودم يتخبط كاي انسان بين مشاكلـه .

وكلما حققت في ملامحه ، تبين لي انـه اتخـذ قراره بصورة نهائية ، مصممـا على تنفيـذه ، الا ان هنالك عاملا آخر يتعارض مـع عزمه لازال يثيـر في نفسه الحيرة والبلبال يجعله يفكـر ويفكـر ويذهب ويجيء دون ان يتوصل الى نتيجة .. ولمـا اعيانـي بحركته التي لاتنقطع قلت له محاولا صرفه عن كثرة التفكير : اما تاخذ فنجانك ؟ .

تناول الفنجان ، واحتساه بسرعة ، وبدا لي ان اعصابه تضطرب تحت فعل القهوة حيث استأنـف سيره بصورة اكثـر عجلـة .. واخـذ رأسي بعض الدوار . فقلت له : ياعلي ، اذا كنت عازما على السفر فعليك ان تهيىء حقائبك وامتعتك .

— لازال عندي متسع من الوقت .. فلن آخذ القطـار الا في الليـل .

ثم حدق في بصره وسالني كانه يستغرب من شيء : قل لي يامحمد ، من قال لك ان تاتي اليـوم عنـدي مبكـرا ؟

— ليس لهذا الامر سبب خاص ، وانما استيقظت في الصباح الباكر وخرجت استنشق الهواء فقادتني رجـلاي عنـدك .

— مرحبـا بالذهب .

وناولته قطعة كبيرة من النقود بعد ان امسكت من يده ترجمة لازالت طرية ، فقال لي وهو يميل من السكر ، انك ياولدي لازلت تعرف بحق امنا الارض ، انك لازلت تنظر الى التراب الاحمر بحب وتقديس.. وقلما ما التقي بمثلك ، فكل الناس لا يحبون الا الارض المبلطة ، كلهم ، حكومة وشعبا يتآمرون على التـراب وما يخرج منه .. انهم يريدون خلق طبيعة جديدة ، انظر ، لما كنت فى سنك ، كانت هـذه الساحة ملاى بالازهار البرية وكنت ترى فيهـا الخيـل والابقـار والاغنام ترعى فى جنباتها وترتع فيها ، اني والله ابكي لكل ذلك (وبالفعل فقد دمعت عيناه) لقد كنت اجيء الى هنا كثيرا واجلس الساعات الطوال .. اما اليوم فاني امر بسرعة كانني خجلان من شيء .. انهم كلهم اصبحوا يحبون طبيعـة اخـرى تعـج بالسيـارات والحافلات والقطـارات والطائـرات ويقـوى فيهـا الضجيج والضوضاء .. ومع ذلك فانهم يبسمـون ويفرحون كلما اتى الربيع ، الا تظن ، ياسيـدي ، ان الله لازال يحنو علينا ويشفق ؟ .

— نعـم ، اني اعتقد ذلك .

وفارقت هـذا الشاعـر ذا الاطمـار ، وتابعت سيري فى غير اتجاه معين وانا رغـم ما شغلني بـه علـي ، ماخـوذ مـن جمال النهـار وصحوه ، ولمـا حان وقت الموعد المحدد مع علي ، وافيته فى الفندق . ودخلت عليه متحمسا قويا وبادرتـه قائـلا : انصت ياعلي ، لايمكن ان تذهب .. لايمكـن ان تذهب .. مستحيل .. مستحيل .. كيف يمكن ان تنصرف فى يوم كهذا ، انصت انك لم تخـرج ولم تر ما رأيت .. لايوجد احد غيرك يفكر بافكارك .. تعال معي حتـى نرى .. تعـال .

— عيبك الوحيد ، يامحمد هو انك شاعر فى كل اوقاتك ، والشعراء يتبعهم الغاوون .. ولقد مـلات حقائبي واقفلتها ومن العبث ان نعيد الكلام فى هـــذا الموضـوع .. وليس لهـذا احببت ان اراك ، وانمـا اردت ان اقضي هنا آخر ساعاتي معك ، فخل جانبـا صداقة النصيحة وهات صداقة المحبة .

— هكذا .. لقد قر عزمك .

— انصت هل تاتي معي الى محطة القطار حيث ادفع امتعتي وآخذ تذكرتي ثم نذهب من بعد الى اي مكان نقضي فيه معا ما بقي لي من الساعات ؟

— متفــــق .

* * *

اخذنا الحقائب واتجهنا صوب المحطـة ونحـن صامتان ، وكنت لحد الساعة اراه واقفـا مـن نفسه بتهيا بكل برودة ورباطة جاش للسفر .. ولكـن لمـا اقبلنا على المحطة ، لم يعد الامر كذلك ، فقد اخـذ وجهه يكتئب وشفتاه ترتعشتان ، والعـرق يتصبب من جبينه وهو يلتفت يمنة ويسرة كالمذعور ، واخيرا لم يجد بدا من الوقوف ، ووضع الحقيبتين على حافة الطريق ونظر الى مستعطفـا ، مستنجـدا ، وقـال : انصت ، يامحمد ، هـل تثق بي ؟ هـل توافقني على عملـي ؟ .

فبدا لي ان استغل هذه اللحظـة من الضعف لانيه عن عزمه ، ولكني لم استطع : انظر ، ياعلي... هذا امر مضحك ، ومن العبث ان تحـاول الرجـوع الآن ، فانك ستعيش اشقى واتعس ، ان انت تراجعت الـى الـوراء .

— اليس كذلك ، اليس كذلك .

دخلنـا الى المحطة حيث دفـع امتعته وحـاز التذكرة ، ثم خرجنا نمشي فى غير اتجاه ، ودخلنـا لاول مقهى صادفناه فى طريقنا ، واستلقينا على مقعدين ونبرين ناخذ قسطا من الراحة .. كان علي لايـزال غارقـا فى تفكيره .. واخيـرا ، نطـق وقال : انظـر يامحمد .. لايؤلمني الا شيء واحد ، وهو ان لاتكـون فهمتني هل تعتقد اني رجل جبان ؟ .. هل تعتقـد انـي افـر حقـا ؟ .

— بكل صراحة لست ادري .

— نعم .. انا اعرف ما بك ، انك تطلب شروحـا طويلة ، وحججا مقنعة ، ولا يمكنك ان تحكم ولا ان تعمل عملا الا متى توفرت هـذه الشروط . وهـل تعتقد اني انا نفسي لدي حجج .. انـا كذلك لست ادري .. هل انا مدفوع بحاجة الى العمل والحركة ، ام بميل الى المغامرة ، ام بفرار من بيئـة لا اطيقهـا ؟

— ربما كنت على حق ، يامحمد ، ولكنني مريض، بل مجنون .. وانا لا استطيع الاسترسال في الحياة على هذا الشكل .. مستحيل .. هل سمعت ؟ .. مستحيل ، مستحيل .. كم مرة فكرت ان كل ما مر من عمري ذهب ضائعا وانه كان علي منذ الاول ان اركب البحر واسيح في الدنيا وارى الناس كيف يعيشون في مختلف القارات والبلدان .. اني في حاجة المغامرة .. اني لم اعد استسيغ الحياة على هذه الصورة ، بل اجدها شيئا مناقضا لطبيعتي ، شيئا فارغا ، مصطنعا لا اقوى على تحمله .. قل لي ، هل يحلو لك ان نعيش في كل اوقاتك بالادوية والعقاقير ؟ .. طبعا ، لا .. فانا هكذا ، لم اعد اجد في الحياة التي اعيشها الآن الا طعم الادوية ، ولكنها ادوية لاتشفي من مرض ولا تخفف من علة .. لهذا عزمت على الفرار .. فلربما اكتسبت في السفر الرجولة التي كنت وما ازال انشدها .. ولا تعجب اذا قلت لك اني لا اعتبر نفسي رجلا ، نعم ، اني رجل لاني لست امراة ، ولكن اي رجولة في غير هذا .. ؟ ساصبر رجلا اذا اصبحت وحيدا لا من اتكل عليه ولا والد يسعفني بمال ولا قريب ينظر الي نظرة عطف ، وساعيش بنفسي بعيدا عن كل من يعرفني اسلك في الدنيا بحريتي التامة افترشها واتغطى بها اينما حللت وارتحلت .. انصت ، يا اخي لقد عاد من المستحيل ان استمر في الحياة التي عشتها حتى الآن .. لقد سئمت السلام على الناس وتلك الابتسامات المصنوعة وتلك الاحاديث الخاوية والجلسات الطويلة من غير طائل .. قلت لك في الاول اني مجنون ، ولعلني اطلب المستحيل .

— كل هذا جميل ، ياعلي .. ولكنك تنسى الواقع وتنسى ان لك اسرة تجمعت كل آمالها فيك وبلادا تنتظر منك الشيء الكثير .

— كنت انتظر منك هذا الاعتراض — وهنا خنقته العبرات ونظر الي نظرة استعطاف — ولكن ، يامحمد، انت الآن تعرف المشكلة ورأيت الحالة التي انا فيها ، قل لي هل لازلت اصلح لشيء ؟ .. لاتحرجني ودعني اذهب مع المصير .

ثم سكت وسكت انا كذلك ، ولاحظت ان فنجاني لازال مملوءا ، فتناولته واخذت اتحساه شارد اللب بينما اطرق علي برأسه الى الارض من جديد ، وبدأت اتساءل : « ما العمل ؟ » وكلما فكرت في الامر تبين لي ان الواجب يتطلب مني ان اعمل كل ما في المستطاع لاصرف عليا عن مشروعه ، وجاء دوري لاقوم واقطع الحجرة ذهابا وايابا ، واخيرا دنوت منه ، وامسكت يده بقوة وقلت له : انصت ، ياعلي ، بالرغم مما قلت ، فانه يستحيل علي ان اتركك تذهب وحدك هكذا .

فنظر الي وابتسم ابتسامة كلها سخرية ، ولم يجبني بأية كلمة ، واعدت الكرة مرة واخرى محاولا ان اثنيه عن عزمه وقضيت معه الصباح كله الى وقت الغذاء انصحه واحذره وانور عليه ، ولكن ذلك لم يجد نفعا ، فقمت مودعا وقلت له وانا على عتبة الباب: هل فكرت في شيء ياعلي لا انه يمكنك ان تفر اينما شئت ، ولكن لايمكنك ان تفر من نفسك ...

فكان جوابه : اني في حاجة اليك بعد الغد .. هل يمكنك ان تاتي ؟

— انتظرني . ثم ودعته وانصرفت .

✲ ✲ ✲

وقادني الجوع الى مطعم صغير تعودت ان آكل فيه ، دخلت اليه وقعدت امام نافذة كبيرة تشرف على ساحة رحبة ، تحيط بها المتاجر الجميلة وفي وسطها فسقية لايفتا الماء متصاعدا منها ، كان النهار جميلا خلابا ، وكان الزبائن كذلك يبتسمون ويقهقهون، وامامي زوجان شابان جميلان يأكلان صامتين وينظران الى بعضهما بين الحين والآخر نظرات طويلة هما ابلغ من كل كلام .

وكنت اتساءل لماذا لايفكر كل واحد من الناس مثل صديقي علي ، لماذا لاتنقلب كل هذه الجماعة الآمنة المسفرة الى قافلة تريد الفرار .. نعم ، لماذا ؟ وقضيت ساعتي كلها افكر وافكر ، ثم قمت لا الوي على شيء ، وخرجت من المطعم وذهبت اتجول في شوارع المدينة ، ولاحظت ان كل المارة ، من صاحب السيارة الفخمة الى المتسول ذي الاطمار الرثة يضحكون في براءة ووداعة وكانهم يرحبون بالربيع القشيب وبالنور الساطع الذي يكسو الكون ويعطف عليه ، واوقفني احد المتسولين وقال لي وهو يمد الي زهرة جميلة : اليك ياسيدي ذهبا حقيقيا .

الحياة الثقافية في الوطن العربي

في المغــرب العربــي :

التعبئــة بنــاء :

استطاع المغرب الناهض ان يحقق بقيادة ملكه الشاب انتصارا على الجهل حين جند قواه واقبل بعزم وحماس يبني خلايا المعرفة ويسد الفصول والاقسام منقذا بذلك شباب المستقبل ورجال الغد من خطر الجهل ويهيىء لهم الوسائل ليصبحوا مواطنين صالحين. فقد حققت عملية التعبئة رغم كل الظروف . رغم ضيق الوقت وقلة الامكانيات حققت عملا خالدا وقدمت لهذا الوطن العزيز ما يزيد عن الف قسم تتسع لمائة الف من شبابنا . وانقذت بعزيمتها وتضحيتها مائة الف من عقول ابنائنا حين اوجدت لهم منابع الثقافة وهيأت لهم سبل الرقي . فهنيئا لشبابنا وبورك هذا الشعب خالق المعجزات وبا ليت الامة العربية في جميع اقطارها وعت حقيقة الواقع الذي نحياه . هذا الواقع الذي يدعوها لتجند قواها وتستغل طاقاتها حتى تدرك الركب الانساني المتقدم . واذا لاستطاعت ان تسير من واقعها وتسير الى الرقي بخطوات اوسع وتحقق الازدهار والرفاهية في زمن قليل . وما ينقص هذه الامة شيء . فالامكانيات الطبيعية متوفرة والتضحية موجودة ، والاستعداد موجود ، فلو وجدت من قادتها وزعمائها من ياخذ بيدها ويبث فيها الحماس ويدلها على الطريق الطويل للوصول الى المدنية الحقة . والتقدم الصحيح . والازدهار الشامل في سنوات معدودات ، ذلك الذي نرجوه وهو وحده الذي سيخرجنا من ظلمات الجهل وموات الفقر ويبعد عنا هذا التخلف المزري بجميع مظاهره .

تونس تحقق الجلاء الثقافي :

شهد العالم بربرية فرنسا وهمجية قادتها العسكريين مره اخرى ولا اقول مره ثانية فقد اعيا العالم تعداد مآسي فرنسا ومصائب فرنسا واستعمار فرنسا شهد العالم مجازر بنزرت ووقف العالم مع الشعب التونسي في كفاحه المشروع واستماتة الشعب في الدفاع عن سيادته وقدم ما يزيد عن اربعة الاف شهيد قربانا للجلاء وانجلت ظلمات العدوان الفرنسي وتوقفت الحرب وان لم تنته المعركة بعد وانتصر الشعب التونسي في اول كفاحه حين حقق نوعا من الجلاء اعظم واكبر . لقد حقق الجلاء الثقافي واعلن باصرار المؤمن بنفسه ، المعتمد على امكانياته . انه لن يقبل بعد اليوم ان يقدم لشبابه رجالا ملطخين بدماء الشهداء متشبعين بروح الكراهية مسخرين عقولهم في خدمة الاستعمار وصرخ في وجه فرنسا لا . لن ارضى بعد اليوم ان تستغل المعاهدات الثقافية للضغط على الشعوب ، وتهديد الدول في مطالبها الوطنية . وخاض الشعب مرة اخرى وفي فاتح هذه السنة الدراسية معركة الجلاء الثقافي مجندا قواه العقلية مستغلا امكانياته الثقافية مستنجدا برجال التعليم الذين ضربوا بتضحيتهم واخلاصهم — وهم دائما كبش الفداء — اروع الامثلة في خدمة الصالح العام ، واذوا لوطنهم عملا انقذه من الاستعمار الثقافي واراحه من تدلل فرنسا واكرم بها من راحة واعظم به من انقاذ فما الاستعمار الثقافي الا السوس الذي ينخر جسم الشعوب ويحطم الروح الوطنية في راس مالها وعمدة مستقبلها انه الداء الذي قضى على قيمنا وبث السموم في دمائنا وشككنا في قيمنا وامكانياتنا حتى اصبحنا تابعين له عاجزين في كل شيء الا به ، فلو صممنا وعزمنا لملكنا استقلالنا وارحنا انفسنا ووصلنا الى الغاية بتضحيات اقل وزمن اقصر .

لست ادري .. انظر لما افكر فى كل هذا ، اجد ضميري مرتاح الى ما عزمت عليه واعتقد انني خلقت لهذا النوع من المصير .. ماذا تريد ؟ انني رجل غير قنوع ، وهذا خلق تجلى في منذ الصبا ، حقا ، لقد شعرت بذلك يوم اراد والدي ان يمسكني لاعمل معه فى المتجر ، ويسهل علي كل الطرق والسبل ، حتى اهيىء مستقبلا هنيا سعيدا ، لقد كان امامي الغنى والترف ، وما كان علي الا ان اقعد فوق كرسي واوزع الابتسام على الزبائن ، ولكني ، فكرت ، وفكرت ، ورغم الحاح والدي رفضت .. وفررت ، كان هذا اول فرار وما انا بنادم عليه .. وانت ، يامحمد ، ما اشبهك بوالدي الشيخ ، رغما عن شبابك وروحك التورية ، انت ، ايضا ، تعرض علي حياة هنية مستقرة فى بلد جميل حيث الربيع حلو والجو صاح .. الست ترى ان هذا مستحيل ؟ .

فقلت له وانا غير مقتنع مما اقول : الذي اراه حقا هو ان الحياة عندك فرار فى فرار .. فررت من والدك ورفضت مقترحاته وجئت لتقيم هنا وتهيىء مستقبلا آخر .. ثم ها انت تفر من جديد ، فهل انت متيقن ان فرارك هذا سيكون هو الاخير ؟ الا تظن انك تبحث عن ضالة لا وجود لها ؟

— البحث عن تلك الضالة ، يامحمد ، خير من اهمالها وتركها ، وطال بيننا الكلام والجدال ، وانتقلنا من حديث الى غيره وحان وقت السفر ، فأخذت معي عليا الى مطعم حيث تعشينا فى صمت ، ثم قمنا واتجهنا صوب المحطة .. وكنت احاول ان اقول شيئا ، واجد الفاظ الصداقة والمحبة ، ولكن كل فكرة خطرت لي لا اجدها مناسبة للمقام .

وصلنا الى المحطة ودخلنا صوب الارصفة ووقفنا ننتظر ساعة الذهاب ، وحينذاك التفت الي علي وعيناه تدمعان ، لقد نسيت امي وسط هذه الشواغل .. وانت تعلم كم احبها وانعلق بها .. كيف حصل اني ما فكرت فيها ، من قبل ؟ اني لا استطيع ان أؤلمها ، هذا لايمكن — هل سمعت — لايمكن .. وانها لابد ان تتألم وكثيرا .. يجب ان تعلم اني ما احببتها قط مثل هذه الساعة .. واني سأغيب لا لاهلك وافنى ، ولكن لاعيش العيشة الحقيقية الكاملة .. واني مهما غبت وابتعدت ، فستظل حاضرة فى نفسي قريبة مني .. يجب ان تفهم كل هذا واكثر من هذا وسأكون شقيا تعيسا اذا قر فى نفسها اني فررت دون ان افكر فيها .. انصت، يا اخي ، اكتب اليها واحك لها كل ما رأيت .

— نعم .. سأكتب اليها .. وانت ؟ لابد من ان تعطيني عنوانك ، ولحد الساعة لم تقل لي الى اي البلاد تسير .

لست ادري .. اني اركب القطار الى نهاية البر ، ثم اركب البحر وانزل فى اول بلد ترسو عليه الباخرة .

— عساك ان تكتب الي وتخبرني بأحوالك .

— لست اعتقد .. اني اريد ان انسى كل ماتركت هنا حتى اعز اصدقائي .. ماذا تريد ؟ ياليتني ما عرفتك الا فى البلاد التي اذهب اليها . لانني كما تعلم احبك .

وفى تلك الاثناء ، نطق مجهر الصوت يستعجل الركاب بالصعود الى اماكنهم ، فنظر الي علي فى عطف ومودة واغرورقت عيناه بالدموع وعانقني قائلا : فلنكن آخر لحظاتنا لحظة الرجولة . وصعد ووقف على باب العربة حتى سلمته الحقائب ثم توارى عني من غير التفات وبقيت فى مكاني مشدوها .

ثم شعرت بوحدة لاتطاق ، فغادرت الرصيف بكل ما امكن من سرعة ، واتجهت الى بيتي وانا اسرع الخطو ، كأني التجيء من خطر ، وارتميت على فراشي وانا اموت من العياء ، فباله من يوم لم استرح فيه لحظة .

* * *

نعم ، لقد ذهبت ، ياعلي وتركتني وحيدا افكر واتساءل هل من الخير ان تركتك تتصرف هكذا ، وهل فى الواقع كنت مقتنعا برايك وانما كنت اخالفك فى الظاهر نفاقا وعنادا ، وقد مرت سنون ولا زلت القي على نفسي هذه الاسئلة ... واني ان كنت اسلم اليوم قصتك للجمهور فما ذلك الا لاخفف من ثقلها على نفسي واريح ضميري من الحاحها ولاجعل من السر الذي بيننا سر الجميع .

حول قصيدة: اننا اخوان

تعقيب للأستاذ
عبد الكريم التواتي

✻ **نشرت** مجله دعوه الحق فى عددها الاول من سنتها الخامسة تعليقا للاستاذ الحلوي حول قصيدتي اننا اخوان ، وقد هالني ان اقرا ما كتبه الحلـوى وفى ذلك الاسلوب البعيد عن اللباقه الادبية . لهـذا وجدتني مضطرا للتعقيب على تعليقه فى ايجاز . على امل متابعه المناقشة اذا كان الاستاد الحلوي مستعدا لمواصلتها .. وابادر الى القول بان الحلوي مع القراء قد يستغربون اذا صدرت تعقيبي بحقيقة اعتبرها بسيطة بساطة جمع الواحد مـع الاثنين ، وقد لا يصدقها الذين يعرفونني ويعرفون مـدى تحمسـى وانتفادى لكل شيء يحيط بي من قريب أو بعيد . اما هذه الحقيقه فهي اني لم اقرا فى حياتى الادبيه كلهـا من بدايتها الى نهايتها الحاليه اي شعر أو قصيد مما ينشر في المجلات والصحف المغربيه سوى ما انشره انا بالطبع ، وما اذكر انى اعجبت باي شاعر مغربـي اذا استثنيت الصباغ ومحمد الطنجـاوي اللذيـن اعتبرهما ـ ومن خلال ما اسمع لهما ـ مدرسة قائمه على اسس حية من الواقع الادبي الذى يجب ان يحتاذ تبعا لتطور الانسان وطفراته ، اما الحلوى بالخصوص فاني لا اعتبر شعره الا صوره طبق الاصل لما لاكـه المتنبي واو تمام والبحترى مع احترامي لهؤلاء الاقطاب. ولعل الحلوى وقد اعتاد ان يجتر ما قاله الاولـون يابى ان يصدق ان هناك من لا يفعل فعله .. هـذه واحده .. وبهذه المناسبة احب ان اقرر حقيقة اخرى اومن بها انا الى حد الهوس ، تلك هـى ان الشعـر العاطفي والانساني ليس انتاجا مستوحي من رواسب انتاج الاخرين كما انه ليس تعبيرا لما عليه الآخرون او لما يريدونه ولكنه فى نظري تعبير صادق حي عمـا يحسه الشاعر فى اعماقه ويجده فى اغواره ويومـن به على انه الحقيقة الازلية التي وجـد الانسان علـى الارض من اجلها وانها المثـل الاعلى الـذي يجب ان يسوق الناس سوقا ويحملهم عليـه حملا مستعينـا باغانيه الساحرة على توجيه الناس هذه الوجهـة التي استوحاها من صميم واقعه الداخلي ، وما كان ليخطر ببالي ابدا ان من المعقول ان يحصـر الشاعـر كـل احساساته وخلجاته فيما يسميه الاخرون الشعـر الواقعي او شعر متطلبات الحياة المادية المحضة . لان الشاعر فى هذا الوضع يفقد اسمى خصائصه وابـرز مقوماته التي هي الانطلاق فى اجواء لا يدرك كنهها الا من هم فى مستواه الشعوري .. وانا وان كنت شعبيا لحما ودما ونشأة وبكل ما تحمله كلمة الشعبية مـن معان اتجاها وميولا ونزعات ، الا انني فى الناحيـة الشعرية ارى من واجبي ان اخلق لنفسي جوا خاصا لا اريد ابدا ان اخضع فيه لغيري لا من قريب ولا من بعيد ، ولذلك فللاستاذ الحلوي ان يطمئن الى اني لم ولن اقرا اي انتاج لغيري ، هكـذا خلقت وهكـذا سابقى ، بقي شيء واحد لابد من ان اهمس به فى اذن الحلوي وهو ان الظروف والاحداث ومختلف التيارات الانسانية والحضارية التي يشاهدها عالمنا الحاضـر حق مشاع بين جميع الذين يكونون المجموعة البشرية، ولهذا فليس من المعقول فى شيء ان لا يخطر ببال هذه المجموعة اي شيء من الاحاسيس الا اذا كانت هـذه الاحاسيس قد مرت بتجربـة الحلوي الشيء الـذي يجعل هذا الرجل بعيدا عن الاستجابة لدواعي الحياة الشاملة ، لكل هذا ارى أنه لا معنى لان يستغـرب الشاعر الحلوي من ان يرى غيره يتطرق الى موضوع قد يكون طرقه هو ان صحت ادعاءاته ، واقول للشاعر

✻ الآراء التي ترد فى ركن المناقشات كغيرها من الاراء التي ترد فى أي ركن آخر لاتلـزم سوى اصحابها ، ولما كنا نحرص على أن تكون تجربة النقد الادبي فى المغرب ناجحة وبناءة فاننا نهيب بكتابنا أن يلتزموا حدود الجدية والموضوعية ويتجنبوا كـل مس بشعـور الآخريـن ، وأن يكـون رائدهم فى كتاباتهـم ومناقشاتهـم الحقيقـة ، والحقيقـة وحـدهـا . « دعـوة الحـق »

العـراق وشمال افريقيـا :

خطوة مباركة يقوم بها العراق

ما احوج البلاد العربية الى التعاون المثمر ذلك التعاون الذي نعتقد فيه السبيـل الوحيد لتحقيـق تقدمنا ورقينا والتعجيل بوحدتنا وان فى هذه الخطوة التي خطتها حكومة العراق الشقيق بتاسيس معهد عال لتخريج الاساتذة فى هذا الجزء من الوطن العربي لعمل عظيم وتعاون مثمر . وليس هذا باول عمل قام بـه العراق فى سبيل اشقائه فى الشمال الافريقي . فقد كان ولا يزال من الاقطار العربية التي فتحت صدرها امام محنته لابناء المغرب العربي واحتضنت كلياته وجامعاته ومعاهده افواجامن شبابنا نفذوا بلسان المعرفة. وتزودوا بنور العلم ثم رجعوا الى اوطانهـم مسلحين يؤدون الواجب ويساهمون فى نهضة البلاد وها هو العراق في عهد ثورته المباركة لا يرضى الا بالمساركة فى حركة البناء داخل المغرب فأسس هذا المعهد العالي لتزويد البـلاد برسل الثقافة واساتذة الجيل كما اسس سابقا دارا لتخريج المعلمين بفاس لا تزال الى الآن تؤدي رسالتها الثقافيـة .

ونحن هنا فى المغرب كاخواننا جميعا في الوطـن العربي نشكو من قلة الاساتذة ونبكي من نقص المعلمين ونحاول فى كل موسم دراسي سد هذا العجز وعـلاج هذه المشكلة ، ولكن للاسف لم نوفق حتى الان ولـم نهتد للحل الصحيح السليم ، نحن فى حاجـة الـى الاساتذة ، فى حاجة الى المعلمين والمربين لا شك في ذلك ، والمثقفون عازفون عن الانخراط فى سلك التعليم، هاربون من التدريس ايضا ، والاستعانة باخوانـنـا والاجانب لا يكفي. فهم انفسهم فيحاجة لذوي الكفاءات فما الحل اذا ؟ اعتقد ان الحل يرتكز علـى اساسين : اما الاول فالاكثار من دور المعلمين الابتدائية ومعاهـد التدريس العليا وتزويدها بالكفاءات والعقول الواعية المنتجة حتى يكون انتاجها يسمن ويغني لا هزال فيه ، والا كانت الجناية على ابنائنا وبالتالي جنايـة علـى مستقبل البـلاد .

واما الاساس الثاني والمهم فى نظري وفى نظركم وفى نظر جميع الناس سوى المكابرين المغرضيـن فهو التشجيع الادبي والمادي خصوصا فرجال التعليـم عندنا وفى اغلب البلاد العربية يلاقون من ظلم الوظيفة العمومية فى الراتب الاساسي وفى الترقية ما لا يخفى على احد ولذلك ان اردنا الحصـول علـى الكفـاءات الخلاقة ، واردنا الاقبال على مهنـة التعليم واردنـا لابنائنا الخير والنجاح . واردنا لبلادنا التقدم والازدهار واردنا الحصول على الاطارات الكافية المنتجـه . اذا اردنا كل ذلك فلنكرم معلمينا ولنحترم مربي شبابنـا وبعد ذلك سوف لا نجد عجـزا ولا عنـاء وسوف لا نشتكـي او نتباكـى .

اعداد : موساوي زروق



أنباء ثقافية

* قام بتمثيل المغرب في مؤتمر العلوم الاجتماعية الذي عقد اخيرا بصقلية الاستاذ ادريس الكتاني .

* مثل المغرب في الدورة الثانية للمجلس التنفيذي باليونسكو الاستاذ محمد الفاسي عميد الجامعة المغربية . وقد تم في هذه الدورة دراسة جدول اعمال المؤتمر العام لليونسكو لسنة 1963-1964 ، كما درست في هذه الدورة الاصلاحات الجوهرية التي ستدخل على جهاز هذه المنظمة وادارتها .

* صدر للاستاذ محمد التازي في بيروت قصة طويلة بعنوان « المتمردة » التي كان ينشرها متسلسلة في جريدة « العلم » الرباطية .

* تفكر وزارة الانباء والسياحة والفنون الجميلة المغربية في انشاء المجلس الاعلى للعلوم والفنون والآداب .

* قررت وزارة التهذيب الوطني احداث عدة مندوبيات تابعة لها في شتى اقاليم المملكة المغربية .

* تنوي وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية اصدار مجلة تعنى بالشؤون العلمية والادبية والفكرية في مطلع السنة المقبلة .

* صدر للاستاذ صادق عفيفي كتاب بعنوان « القصة المغربية » جمع فيه نماذج من القصص المغربية للناشئة والشيوخ من كتاب القصة في المغرب منذ مطلع هذا العصر .

* سيصدر قريبا عن معهد مولاي الحسن للابحاث بتطوان الجزء الخامس من مجلة « تطوان »

* نظم اتحاد كتاب المغرب العربي حفلة تأبين للفقيد السيد مصطفى المعداوي في كلية الآداب بالرباط مساء يوم الخميس 16 نوفمبر الماضي ألقيت فيه بعض اشعاره المسجلة الى جانب كلمات اصدقائه ومعارفه من كتاب المغرب .

* خصصت الاذاعة الوطنية المغربية برنامجا لنشاط اتحاد ادباء المغرب العربي .

* زار المغرب اخيرا وفد صحفي مكون من عدة صحفيين يمثلون كبريات الصحف والمجلات البريطانية وذلك باستدعاء من المكتب الوطني المغربي للسياحة . ومن بين المدن التي شاهدها هذا الوفد: الدار البيضاء، المحمدية ، مراكش . بني ملال . ايفران . اميشليفن ، مكناس ، مولاي ادريس . فاس .

* ستصدر مجلة « المصور » القاهرية عددا خاصا يشتمل على شتى انواع النشاط في المغرب . اوفدت المجلة المذكورة الاستاذ فؤاد السيد للمغرب للقيام بجمع المعلومات عنه .

* ستعقد منظمة اليونسكو مؤتمرا في مدينة الدار البيضاء في يناير المقبل .

* سيعيد الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله طبع كتابه « الحضارة المغربية » .

* فاز الاديب الجزائري المعروف محمد ديب بجائزة (رينه الابورت) على مجموعته الشعرية التي صدرت اخيرا بعنوان (ظل حارس) ومحمد ديب من الروائيين الكبار له عدة مؤلفات هي (البيت الكبير) رواية صدرت عام 1952 — (الحريق) رواية صدرت عام 1954 — (في المقهى) مجموعة قصص صدرت عام 1955 — (صيف افريقي) رواية صدرت عام 1959 — (بابا فكران) مجموعة اقاصيص صدرت عام 1959 — و (ظل حارس) هي أول مجموعة شعرية صدرت له .

الحلوي اني عندما احس فى اعماقي بضرورة التحليق فى اجواء لا منظورة لا اتصور الا شيئا واحدا وهو الاستجابة لما يضطرم فى اغوار ذاتيتي دون اعتبار لغيري وكثيرا ما سخرت من اولئك الذين يريدون ان يلزموا الشاعر اتجاها ما ..

اما قصيدة اننا اخوان فلها قصة خاصة ما كنت فى حاجة لذكرها لولا تعليق الحلوى ، اما القصة فهي ان القصيدة قيلت فى سنة 1956 وانا يومئذ بتاوات حيث تعرضت لاختبارات قاسية من لدن الحاكم الفرنسي الذي كان يحاول التاثير على بواسطة النظام الطبقي الذي ما يزال مطبقا تطبيقا دقيقا وبمعناه الجاهلي فى تلك الربوع بفضل الوجود الفرنسي ، فلقد حاول الحاكم الفرنسي ان يقنعني بوجود فوارق دينية وجنسية فى الاصول والجذور فلم اشعر الا وانا اردد فى نفسي مطلع قصيدة اننا اخوان :

«يا اخي انني وانت على رغم الديانات فى الدنى اخوان»

وشاء الاقدار ان تندلع الثورة فى الجزائر ، وان تحدث احداث الكونغو وأن تعود الصورة القاتمة الجاهمة التي ارتسمت فى مخيلتي منذ 1956 فاذا بي اندفع للبحث عن القيام باي شيء قد يهدىء من اعصابي الثائرة ضد الاستعمار والحروب وويلاتها ، فاعود الى نفسي استلهمها والى اوراقي اختبرها فاجد من بينها هذه القطعة التي لم تكن ساعتئذ اخذت صورتها النهائية التي نشرت بها .. هذه ثانية . اما الثالثة فهي ان الاستاذ الحلوي وقد قر فى ذهنه ان شعره مما يستحق المعارضة او الدراسة يحتل تبعا لذلك ولمجرد ورود ابيات فى قصيدتي قد تكون وردت فى قصيدته ان كانت له قصيدة اذ ما ازال اكرر انني لم اقرأ اى شعر فى الموضوع لا له ولا لغيره . تخيل اني استوحيت قصيدتي من شيء يسميه قصيدته ، وكانت رسالة النقد النزيه تقضي بتتبع قصيدتي بيتا بيتا ومقطعا مقطعا ولو انه فعل لآمن بانني فى واد لا وجود فيه لغير ذاتيتي بمعناها الضيق الخاص .

واما الرابعة فهي ان الشعر فى نظري سبحات خيالية ينتقل فيها الشاعر من محيطه المحسوس الى عوالم ما وراء المادة وقد يتخطى حتى ما اصطلح عليه عامة الناس من انه سام ونبيل ، واعتقد ــ والواقع يؤيدني ــ ان لدى الانسان منطقتين اثنتين : منطقة القلب ، ومنطقة العقل ، والشعر لا يصدر الا عن منطقة القلب حين يتعلق الامر بالعواطف والاحاسيس ولذلك اعتقد ان الاستاذ الحلوي قد اختلطت فى ذهنه المفاهيم حين اعتقد ان احاديثي التوجيهية فى الاذاعة المحلية بفاس كان يجب ان تصدر من معين واحد ومن نفس المعين الذي تصدر منه قصائدي الانسانية والعاطفية ، فان من ابسط القواعد الاصولية ان الواحد بالشخص له جهتان بل جهات كما يقولون ، واذا كان قد غابت هذه القاعدة عن ذهن الحلوي لانها ترجع الى علوم لم يسبق له ان درسها اذ حرمته منها النظام الدراسي فى جامعة القرويين الذي يقضي بان يحرم خريجو القسم الادبي من علم العقليات والاصول فان التواني يومن بانه فى ميدان البحوث العلمية هو غيره فى ميادين النشاط العاطفي ..

واما عن القومية العربية التي حلا للاستاذ الحلوي ان يقحمها فى تعليقه على قصيدتي اننا اخوان فاني جد فخور ان اؤكد براءتي من كل قومية سوى الاسلام الذي يكفر بالقوميات الضيقة فى حدود مفاهيم الاستاذ الحلوي الذي يريد ان يتملق قراءه حين يستفز فيهم هذه النعرة التي اعدها من مخلفات ورواسب الاستعمار الغربي ، اما انا من جهتي فاني اعلنها صرخة مدوية بان من الاسباب التي جعلت العالم العربي يتخبط فى عديد من ازماته الداخلية والخارجية هذه الدعوة الجاهلية الى القومية العربية دون الدعوة الى القومية الاسلامية ــ من باب المشاكلة ــ والاستاذ الحلوي معي لا يستطيع ان ينكر ان الانسان بدون ماضيه لا يمكن ان يكون شيئا مذكورا . فما القومية العربية قبل الاسلام ؟ وما انا والحلوي لولا الاسلام ؟ واذا اراد الاستاذ الحلوي ان يرضى رغبته وهمية هي القومية العربية على حقيقة الاهية هي الاسلام فله رايه الخاص .

واما عن نقد الاستاذ الحلوي للناحية الشكلية والفنية فى القصيد فليسمح لي اذا قلت له انى ما اعتبرته يوما شخصية لها وزنها فى ميدان النقد الادبى وكم يعجبني فى هذا الموضوع كلمة قالها المغفور له الدكتور زكي مبارك للمغفور له احمد امين فى احدى مقالاته المنشورة فى رسالة احمد حسن الزيات تحت عنوان جناية احمد امين على الادب العربي قال (.. فاحمد امين ليس بكاتب ولا اديب وان سود الملايين من الصفحات) اقول لمحمد الحلوي ليس بشاعر وان قلد قصائد المتنبى وابى تمام والبحتري..

واخيرا ارجو ان يومن الحلوي بانى فى شعري لا اصدر عن عاطفتي الخاصة واذا كان اراد ان يستثير اهتمامي بشعره من هذه الناحية فليطمئن الى انني لن اجد وقتا لمطالعة ترهات الآخرين لاني فى هذا الميدان لا اغادر برجي العاجي ، وليقبل مني الاستاذ الحلوي وانا اودعه اسمى عواطفي لاهتمامه بقراءة اناجي .. والى اللقاء والسلام .

* خصصت وزارة الاوقاف بالقاهرة ميزانية كبيرة لاصدار مجلة (منبر الاسلام) بثلاث لغات : العربية والفرنسية والانجليزية .

* سيخصص مجلس الفنون بالقاهرة جائزة للادب الشعبي تحمل اسم « بيرم التونسي » . وقد وافق المجلس على تكوين لجنة من الدكتورة سهير القلماوي ، والدكتور عبد الحميد يونس ، واحمد رامي للاشراف على مسابقة تأليف كتاب عن الشاعر الشعبي بيرم التونسي واعماله . سنخصص مكافاة تتراوح بين 100 و150 جنيها لاحسن مؤلف كتاب عنه . وسيدفع المجلس المذكور نفقات الكتاب .

* تلبيه لرغبة اليونيسكو وكتاب الدانمارك سيترجم مجلس الفنون بالقاهرة الى اللغة الانجليزيه كتاب (الايام) لطه حسين و (احاديث جدتي) لسهير القلماوي و (سيدنا الشيخ) لاحمد حسن الزيات و (عوده الروح) لتوفيق الحكيم و (الارض) لعبد الرحمن الشرقاوي و (عروس من قطن) لمحمود تيمور

* انتهى في القاهرة محمد فريد وابراهيم عارو وعبد السلام شلبي من ترجمة النصف الاول من كتاب (الوجود والعدم) للفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر والكتاب سيصدر في جزئين كل جزء في 500 صفحة تقع مقدمه الكتاب في 120 صفحه وتكتبها الدكتور عبد الرحمن بدوي .

* اعلن الشيخ محمود شلتوت شيخ الازهر أن جامعه الازهر قررت فتح ابوابها امام جميع الطالبات المسلمات من جميع انحاء العالم اللواتي يرغبن في متابعة دراستهن الدينيه والعلميه .

* (مذكرات ابراهيم الكاتب) لابراهيم عبد القادر المازني و (الضاحك الباكي) لفكري اباظه ترجمها الى اللغة الفرنسيه الشاعر بولس غانم بتكليف من المجلس الاعلى للآداب والفنون بالقاهرة وقد راجع كتاب (مذكرات ابراهيم الكاتب) الدكتور ريمون فرنسيس استاذ الادب الفرنسي في جامعة القاهرة . كما ترجم الدكتور فرنسيس (احلام شهرزاد) لطه حسين الى الفرنسية وراجعه بولس غانم .

* ظهر في القاهرة الجزء الرابع من كتاب محمد عزة دروزة (تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار) وقد ركز دراسته هذه على نتيجة الحفريات الاثرية الاخيرة ودراسات علماء الاجناس . ويختص هذا الجزء ببلاد الشام .

* قام الدكتور ثروت عكاشه وزير الثقافة والارشاد بارساء حجر الاساس لمبنى متحف مركب خوفو بالهرم . ولقصر الثقافة في دمياط . ولدار الاوبيرا الجديدة في حديقة الحرية بالقاهرة . ولقصر الثقافة والمتحف القومي في بور سعيد ولمتحف الاسكندرية ولدار الكتب الجديدة في شارع الكورنيش بالقاهرة .

* اهتمت الادارة العامة للثقافة باصدار ديوان للشاعر الفقيد الدكتور ابراهيم ناجي الذي قام بجمعه احمد رامي ، صالح جودت واحمد عبد المقصود هيكل ومحمد ناجي . ولما صدر الديوان اخيرا اتضح ان فيه 12 قصيده سبق للشاعر كمال نشأت نشرها في ديوانه (رياح وشموع) الذي صدر في مارس 1951 ، واكثر قصائد هذا الديوان نشرها الشاعر نشأت في مجله الاديب . اتضح ان كمال نشأت كان قد طلب من ناجي ان يكتب له مقدمة للديوان ولم يكتب ناجي المقدمة لكثرة أشغاله وكتب كمال نشأت مخطوطا آخر لقصائده وطبع الديوان .

قال الشاعر نشأت : اذا كان هذا الخلط قد تم وانا حي ارزق فما مصير شعري بعد ان اموت .

* مؤتمر الفنون الشعبية تقرر عقده في شهر نوفمبر من العام المقبل .

تشترك في المؤتمر جميع الدول العربية .

* احتفلت الدوائر الادبية في مصر بذكرى المازني

* كتاب « انتصارات انسان » لسلامة موسى حذفت الرقابة المصرية عند طبعه اكثر من ثلثه وهي مقالات عن الاشتراكية والتفسير الاقتصادي للتاريخ وتاميم قناة السويس ومستقبل الثورة . ولذلك يفكر ورثة سلامة موسى في طبع الكتاب كاملا في بيروت .

وليس محمد ديب غريبا عن قراء العربية . فقد صدرت له اخيرا ترجمتان بالعربية لروايتيه (البيت الكبير) و (الحريق) بقلم سامي الدروبي .

* تجري مفاوضات بين امانة الجامعة العربية وبين منظمة اليونسكو لانشاء منظمة خاصة عربية للتربية والتعليم تكون بمثابة يونسكو عربية لها كيانها المستقل، وتكون صلتها بالجامعة العربية كالصلة التي بين منظمة اليونسكو والامم المتحدة . وسوف تتحمل الادارة الثقافية بالامانة العامة اعباء هذه المنظمة على اساس توسيعها واختيار مبنى خاص لها، وترويدها بالخبراء والفنيين، وانشاء وحدة للترجمة السريعة فيها لتتولى ترجمة الوثائق والمطبوعات الى اللغة العربية، وذلك بعد ان طلبت الحكومات العربية أن تكون اللغة العربية لغة التداول فى اليونيسكو .

وستكون مهمة هذه المنظمة توحيد برامج التعليم العربي وتنسيق حركة الترجمة فيها ووضع (الكتاب الام) الذي يستمد منه المؤلفون العرب كتبهم الخاصة بالقومية العربية فى التاريخ والجغرافيا والتربية القومية واللغة العربية وتنظيم الحلقات الثقافية . وقد اعد الدكتور يحيى الخشاب مدير ادارة الثقافة بالجامعة تقريرا عن نتائج هذه المفاوضات ومدى ما يمكن ان تقدمه اليونيسكو من مساعدات مادية شهرية الى المنظمة العربية لعرضه على اللجنة الثقافية فى اجتماعها القادم .

* منذ خمس سنوات عكفت لجنة ثلاثية مكونة من الدكتور شوقي السكري والاستاذين احمد مختار الجمال ومحمد الخطيب عباس لاعداد قاموس سياسي دبلوماسي يفي بحاجة المترجم والباحث والسياسي والدبلوماسي وقد اشتمل هذا القاموس على 400 صفحة، جامعا ما يزيد على عشرة آلاف كلمة وتعبير مصطلح سياسي ودبلوماسي بالاضافة الى ملحق بأهم الاختصارات التى تدور فى هذا المجال .

* انتهت الدكتورة سهير القلماوي من وضع كتاب جديد يصدره المجلس الاعلى للآداب والفنون بالقاهرة ويوزعه بمناسبة عقد المؤتمر الاول للفنون الشعبية العربية .. ويضم هذا الكتاب تعريفا بالمؤتمر وتعريفا بموضوعه وهو : الزواج — عاداته، وتقاليده . فى الحياة الشعبية العربية . كما يضم مجموعة من الصور الفوتوغرافية .

* انجز الدكتور محمد مندور كتابه الجديد حول الآدمي وسيصدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي بالقاهرة، وكان الدكتور مندور قد صدرت له اخيرا الطبعة الثالثة من كتابه (نماذج بشرية) .

* تقوم الدكتور لويس عوض الآن بالاعداد لاصدار دراسة مستفيضة عن الشاعر الناقد الكبير تي. سي اليوت وتصدر هذه الدراسة عن وزارة الثقافة بمصر .

* وزارة الشؤون الاجتماعية فى مصر تصدر قريباطبعة جديدة منقحة ومزيدة من قاموس المصطلحات الاجتماعيــة .

* قررت وزارة الاوقاف بالقاهرة انشاء مقرأة للقرءان الكريم بالحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة تضم شيخا وخمسة عشر قارئا .

* هيفاء الشنواني » كتب لها الاستاذ عباس محمود العقاد مقدمة لكتاب (حول مائدة المعرفة) الذي ترجمته وتصدره مؤسسة فرنكلين .

* اهدت وزارة الاوقاف بالقاهرة الى عدة اقطار اسلامية اضخم مجموعة من المصاحف المرتلة التي سجلتها الوزارة لاهدائها الى الحكومات الاسلامية والاذاعات والهيئات الثقافية والدينية فى العالم وهي بصوت الشيخ محمود خليل الحصري .

* صدر كتاب ضخم بمناسبة العيد السبعيني للاستاذ عباس محمود العقاد . وقد ضم بحوثا قيمة ودراسات مستفيضة وتحايا شعرية شارك فيها الدكتور عثمان امين، والاستاذ محمد خلفة التونسي . والاستاذ انيس منصور، والدكتور نظمي لوقا، والدكتور طه حسين، والاستاذ محمد طاهر الجبلاوي، والاستاذ العوبضي الوكيل، وغيرهم من اعلام الفكر والادب .

* أصدر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة كتاب (مؤلفات الغزالي) تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي ضم لوحة حياته والرموز والاختصارات العربية والافرنجية وفهارس المخطوطات والكتب المقطوع بصحة نسبتها الى الغزالي وفهرس ابجدي بكتب الغزالي .

* انتهى الاستاذ طه باقر والاستاذ فؤاد سفر من اعداد دراستهما عن مواطن الآثار في العراق وسيصدر الجزء الاول قريبا .

* (ابن تيمة بطل الاصلاح الديني) كتاب جديد اصدرته دار الحياة للطباعة والنشر بدمشق عرض وتقديم محمود مهدي الاستانبولي مدير معهد التربية الاسلامية .

* (اشعار صغيرة) ديوان شعر ثالث يصدر قريبا في دمشق للشاعر اسماعيل عامود . الديوان الاول صدر بعنوان (من اغاني الرحيل) والثاني (كآبة) .

* (البحر ليس ازرق) عنوان المجموعة القصصية الثانية التي سيصدرها ياسين رفاعية . المجموعة الاولى كان عنوانها (الحزن في كل مكان) .

* تعتزم وزارة الثقافة والارشاد بسوريا انشاء معهد عال للموسيقى (كونسيرفاتوار) ومعهد للموسيقى العربية في دمشق .

* (الفن عبر التاريخ) كتاب جديد من نوعه يظهر لاول مره في اللغة العربية يعده عفيف البهنسي مدير الفنون التشكيلية في وزارة الثقافة بدمشق .

* « صلاة لارض الثورة » ـ ديوان شعر يصدر قريبا للاستاذ سليمان العيسي وهو ملحمة النضال البطولي في الجزائر العربية .

* اوشك الدكتور شكري فيصل على الانتهاء من تحقيق (ديوان النابغة الذبياني) وشرحه معتمدا على نسخ خطية فريدة .

* تقرر اقامة مهرجان كبير في كل عام في مدينة حمص احتفاء بذكرى وفاة خالد بن الوليد ، يدعى اليه الشعراء والادباء من انحاء العالم العربي .

* يعنى الدكتور علي جواد الطاهر الاستاذ بكلية الآداب بالعراق في تهيئة دراسة مستفيضة عن القصصي العراقي الرائد محمود احمد السيد .

* صدر عن لجنة احياء التراث الفلسفي العربي بالعراق الكتب التالية : 1) « السياسة المبنية » تحقيق الدكتور ماجد فخري . 2) « كتاب التفاحة » المنسوب لارسطاطاليس ، تحقيق الدكتور جورج عطية 3) « اثبات النبوات » لابن سينا ، تحقيق الدكتور ميخائيل مومورة . 4) « رسائل فلسفية » لابن باجة تحقيق الدكتور ماجد فخري .

* الدكتور علي جواد الطاهر سيصدر له قريبا الجزء الثاني من كتابه (الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي) .

* **صدر في بغداد كتاب (دراسات لغوية) للدكتور ابراهيم السامرائي الاستاذ في كلية الآداب . وديوان (اشباح وظلال) لعبد الله الجبوري . و (اهل الكهف والرقيم) مسرحية شعرية لخضر الطائي و (الطوفان) مجموعة شعرية لالفريد سمعان .**

* صدر في بغداد ديوان (النجم والرماد) لسعدي يوسف وديوان (عروة بن عزام) تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب و (القصة العراقية) دراسة نقدية لباسم عبد الحميد حمودي .

* ستقوم العراق باعداد مهرجان ادبي للشيخ محمد رضى الشبيبي .

* شرع الاستاذ علي الخاقاني في اعداد كتابه عن شعراء الموصل في ستة اجزاء ضخمة بحث فيها حياة الشعراء من بدء تأسيس الموصل حتى العصر الحاضر .

* يصدر قريبا جدا الجزء الثالث من قصة جان بول سارتر (دروب الحرية) وهذا الجزء بعنوان (الحزن العميق) ترجمة الدكتور سهيل ادريس .

* ستصدر مجلة الآداب اللبنانية في مطلع العام القادم 1962 عددا ممتازا في موضوع (الاتجاهات الفلسفية في الادب المعاصر) .

* انهت مطابع بيروت طبع الجزء الثالث من مذكرات الشيخ بشارة الخوري وقد سبق ان صدر الجزءان الاول والثاني من هذه المذكرات .

وقد طلب الدكتور سلامة موسى من الاستاذ قاسم محمد رجب وساطته لدى اديب عراقي معروف لكتابة ـ مقدمة الكتاب ـ حيث تقرر حذف المقدمة التي كتبها الدكتور محمد مندور والاستعاضة عنها بمقدمة الاديب العراقي .

* افتتح فى القاهرة المؤتمر التاني للمجتمع العربي الذي عقد فى الاسكندرية . وقد بحث فيه الآثار التي ترتبت على تدريس مادة المجتمع العربي فى الجامعات ومدى تحقيق الاغراض التي من اجلها درست هذه المادة لطلبة الجامعات .

* انتهت الدكتورة بنت الشاطىء من تاليف كتابين هما : « التفسير البياني للقرآن الكريم » و « قيم جديدة للادب العربي » .

* اطلق اسم العقاد على شارع رئيسي من شوارع اسوان . طالبت الدكتورة نعمات احمد فؤاد ان يطلق اسمه على الشارع الذي يسكن فيه بالقاهرة

* انجز السيد جلال الحنفي كتابه (معجم الامثال البغدادية) وسيباشر طبعه قريبا .

* صدر عن المجمع العلمي العراقي النشره السابعة للمصطلحات الخاصة باسم (مصطلحات فى التربية البدنية) .

* صدرت الطبعة التانية من كتاب (طبقات الفقهاء) لطاشي كبري زادة وقد قام بنشره الحاج احمد نيله امين المكتبة المركزية العامة بالموصل بعد تنقيحه وتعلبق حواشيه وتصديره . وطبع بمطبعة الزهراء الحديثة .

* باشرت مكتبة الزهراء فى كربلاء طبع ديوان شعر سياسي باسم (هدير الشلال) للشاعر الوطني الفقيد عباس مهدي ابو الطوس الكربلائى . وسوف يقوم بكتابة المقدمة الشاعر السيد سلمان هادي الطعمه من اصدقاء الفقيد .

* حقق الاستاذ ضياء الدين ابو الحب المدرس فى معهد اعداد المدرسين بالعراق (الحائرات) وأعده للنشر وهو ديوان جده المرحوم الشيخ محسن ابو الحب الاول الشاعر الكربلائي الشهير المتوفى عام 1305 هـ.

* يعكف السيد زكي الصراف على طبع مجموعة شعرية له وتتضمن قصائد وجدانية وقد سبق للسيد زكي الصراف أن أصدر مجموعة شعرية تحت عنوان (ليالي الشباب) .

* صدر فى منشورات مكتبة النهضة فى بغداد كتابان : 1) كتاب نداء الاسلام من تاليف مالك بن نبي ترجمه عن الفرنسية وقدم له المؤلف والكاتب المعروف الاستاذ رمضان لاوند

2) كتاب « الحركة القومية وكيف نفهمها » تاليف الاستاذ محسن ابراهيم واصدار النادي الثقافي العربي فى بغداد .

* صدر كتاب (مهرج السلطان وحكايات اخرى) تاليف روبرت غلستراف وايرين ايسابروك ترجمة بسمة محمود اليعقوبي وقد نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر بغداد ـ نيويورك وطبع فى مطبعة دار منشورات البصري ببغداد .

* ما نزال المعاهد الدينية فى كربلاء تواصل نشاطها الثقافي دون توقف ومن بين المنجزات التي انجزتها فى هذا الشهر اصدار العدد الخامس من مجلة (صوت المبلغين) الشهرية وقد جاءت طافحة بالمقالات الدينية القيمة واصدار كتب جديده لانجال سماحة المرحوم السيد مرزة مهدي الشيرازي .

* منعت وزارة الارشاد (108) كتابا من دخول العراق فى اللغات المختلفة لما تتضمنه من امور مخالفه للاخلاق والدين والسياسة .

* شاركت الحكومة العراقيه فى المؤتمر التربوى الخامس الذي عقدته دائرة التربية فىالجامعه الامريكية فى بيروت اخيرا لدراسة المشاكل التربويه التي تجابهها البلدان العربية . وقد مثل العراق فى المؤتمر الدكتور طه الحاج الياس مدير الشؤون الفنية العام والاستاذ نعمان بكر مدير التعليم الابتدائى .

* يشتغل الآن الاستاذ محمد رضا الشبيبي بوضع اصول الجزء الثالث من كتابه (مؤرخ العراق بن الفوطي) الذي ينتظر ان يقدمه الى الطبع قريبا .

يافل من القرن السادس عشر الى القرن العشرين حتى نهضوا من جديد واستطاعوا بكفاحهم ان يحرروا معظم شمال افريقيا والشرق الاوسط واصبح الامل معقودا عليهم فى ان يحافظوا على الحياد بين الكتلتين المتصارعتين .

* انشأ الاتحاد السوفييتي هياة عليا جديدة للاشراف على الدراسات العلمية التطبيقية يراسها ميخائيل خروشيف .

* خمسة ملايين نسخة من القرءان الكريم طبعتها دار « توبان » للطباعه فى اليابان لحساب اندونيسيا .

* كتاب ظهر فى موسكو يضم مجموعة من (النثر العربي المعاصر) يحتوى على 60 قطعة ادبيه كتبها 16 أديبا عربيا من بينهم محمود تيمور والدكتور طه حسين وجبران خليل جبران وتوفيق الحكيم . وسنعرض مقدمة المجموعة تاريخ نمو الادب العربي الحديث ومميزاته .

* صدر فى لندن اخيرا كتاب مأساة الكونغو من تاليف كمولنا ليجوم . وقد صدر الكتاب فى المطبعة الشعبية الشهيرة (بنجوين) فلاقي رواجا كبيرا .

* الدلاي‌لاما الرئيس الروحي والمدني لبلاد التبت الذي طرده الصينيون يقيم الآن فى الولايات المتحده كلاجيء سياسي اتباعه يعبدونه لانهم يعتقدون أن بوذا تقمص نفسه .

كتب مذكراته وباعها ببضعة ملايين ، بدأ المذكرات بهذه الكلمات : انا بوذا الحي ...

* اقيم فى لندن مهرجان للشعر نظمه جماعة « دواوين الشعر » فى مسرح جمعية « حورية البحر » واشترك فيه المعهدالفني البريطاني واتحاد التلفيزيون.

* احصيت اخيرا المخطوطات العربية فى مكتبات الولايات المتحدة الامريكية التي بلغ عددها عشرين الف مخطوط . وقد قام الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات بالقاهرة بوضع فهارس لما يقرب من ستة عشر الفا من هذه المخطوطات اثناء زيارته الاخيرة للولايات المتحدة .



❋ صدرت المجموعة القصصية الثانية لصميم الشريف وعنوانها (عندما يجوع الاطفال) قدم للمجموعة الدكتور يوسف ادريس وصمم غلافها عبد القادر ارناؤوط ونشرتها صالة الفن الحديث .

❋ سيصدر عن دار العلم للملايين ببيروت ديوان جديد للشاعر السوداني محيي الدين فارس بعنوان « الموجة العذراء » .

❋ الاديبة الفلسطينية سميرة عزام كاتبة القصة القصيرة اتمت تأليف اول قصة طويلة لها . عنوان القصة (قبل .. وبعد) تروي حكاية منيرة من فلسطين قبل النكبة وبعدها .

❋ تقرر ان يسافر من العراق عالمان فى المخطوطات العربية القديمة الى الهند لتقييم نصوص المخطوطات العربية القديمة فى دائرة المعارف العثمانية فى حيدرآباد والمهمة تستغرق سنة كاملة .

❋ قررت اكاديمية السويد منح جائزة نوبل فى الآداب لسنة 1961 للكاتب اليوغسلافى ايفوا نورلك .

❋ يعد العالم السوفياتي فيكتور بلياليف استاذ اللغة العربية بجامعة لينينغراد كتابا عن تاريخ الخلفاء العباسيين .

❋ سيقيم كاسترو تمثالا كبيرا للروائي الاميركي هيمنجواي فى هافانا تقديرا لخدماته فى الحقل الادبي .

❋ تحتفظ بعض مدن الاتحاد السوفييتي بعدد كبير من المخطوطات العربية وهذه المدن هى : لنينغراد. طشقند ، تفليس ، باكو ، قازان ، وتوجد المخطوطات العربية فى لينينغراد فى ثلاثة مراكز : 1) معهد الدراسات الشرقية التابع لاكاديمية العلوم . 2) مكتبة لينينغراد العامة . 3) مكتبة الكلية الشرقية بجامعة لينينغراد .

واغنى هذه المراكز مخطوطات معهد الدراسات الشرقية حيث يبلغ عدد المخطوطات فيها 9 ءالاف تقريبا . وقد وضع فهرسا جديدا لهذه المخطوطات المستشرق خالدوف (انيس بن عبد الباقي) ويشرف على المخطوطات فى هذا المعهد الآنسة ستاركوفا .

❋ ظهر فى العالم الغربي كاتب آخر يحمل اسم اسرة موم وهو (روبين موم) ابن اخ الكاتب العالمي الشهير سومرست موم . وذاع اسم موم الجديد بعد طبع كتاب (الرق فى الصحراء) الذي أثار عاصفة فى مجلس اللوردات البريطاني وفى الاوساط البريطانية السياسية والادبية .. وهذا الكتاب يصور حياة الرقيق فى تمبكتو بالصحراء الافريقية . والمؤلف يحمل اسم اسرة موم الارستقراطية وهو عضو فى مجلس اللوردات ولكنه اشتغل اخيرا بالتاليف . وقال النقاد أن شهرته كمؤلف استمدت من شهرة عمه .

❋ صدر فى لندن كتاب من تاليف نكروما عنوانه (اتكلم عن الحرية) . تحدث فيه عن فكرة افريقيا المتحدة كما تحدث ايضا عن سياسة غانا الافريقية ونضالها من اجل الحرية . والكتاب يضم عددا من الصور التي ظهر فيها نكروما مع بعض الشخصيات العالمية . ويقول النقاد أن هذا الكتاب يقنع قارئه بأن شعوب افريقيا يجب ان تستقل وأن الماضي الذى خضعت فيه لاستعمار الرجل الابيض يجب ان تغلق عليه الابواب الى الابد .

❋ احرز الشاعر الاسباني الكبير الاكاديمي خيراردو ديبكو على جائزة « مارش » الادبية . وهي احدى كبريات الجوائز باسبانيا .

❋ اصدرت الجمعية الامريكية للثقافة مجموعة من مقالات الكتاب الزنوج الامريكيين من افريقيا . والكتاب فى ثلاثة اقسام : اولهما قسم يحلل نظم الحياة فى المجتمعات الافريقية تحليلا كاملا واعيا من زوايا متعددة كتبها مؤلفون عاشوا فى المجتمع الافريقى وانسجموا مع اهله . وثانيهما : قسم يتحدث عن الفنون والآداب والرقص فى افريقيا ويعتبر هذا القسم جديدا ايضا فى الدراسات الافريقية المعاصرة . والقسم الثالث يتحدث عن العلاقات بين زنوج اميركا وزنوج افريقيا ويحلل الروابط التي تجمعهم .

❋ الامريكيون يقرأون فى هذه الايام كتابا عن العرب اسمه (نهضة العرب) مؤلفه البروفيسور فرنشكو جابريلي استاذ الادب العربي فى جامعة روما. وفى هذا الكتاب يتحدث المؤلف عن تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده ويروي بالتفصيل كيف امتدت امبراطوريتهم الى المحيط الاطلنطي وكيف اخذ مجدهم

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد الثالث - السنة الخامسة
جمادى الثانية 1381 - دجمبر 1961
ثمن العدد درهم واحد

فهرس العدد الثاني - السنة الخامسة

الصفحة

دراسات إسلامية

مبادئ الإسلام الدستورية في نواحي الحياة

للدكتور معروف الدواليبي

- 2 -

حياة الفرد لدى اليونان والرومان في صراع مع طغيان الفرد او طغيان الجماعات

واذا انتقلنا من الشرق الى الغرب لنستعرض اوضاع الحياة لدى اليونان والرومان في القرون الاولى لرأينا حياة الفرد في المجتمع كانت كما هي في الشرق في صراع دائم ايضا ما بين طغيان سلطان الفرد على حياة الجماعة ، او طغيان الجماعات على الافراد ، وانما هو الشيء في كل منطقة من العالم حتى اليوم ، الا من رحم ربك ، وفي نطاق محدود ، وعلى شعب دائم ، لا في نطاق الانسانية جمعاء .

اما في اليونان فقد كان النزاع قد بلغ اشده فيما بين الاتجاهات المختلفة في اثينة في العصر الخامس قبل الميلاد ، كما هو الشيء في جميع الدويلات اليونانية الاخرى :

- فجماعة كانت تريد حكما ارستقراطيا ينحصر في يد اقلية ، ويكون لها جميع الامتيازات .

- وجماعة اخرى كانت تهدف الى حكم ديموقراطي ، اي حكم الشعب .

ويحدثنا ارسطاطاليس عما قد كان عليه الحال حينذاك فيقول : (واصبحت كل الاراضي ملكا لعدد قليل من الناس ، وتعرض الزراع هم وزوجاتهم وابناؤهم لان يباعوا بيع الرقيق ، لا في داخل البلاد فحسب ، بل خارجها ايضا اذا عجزوا عن اداء اجرة الارض او الوفاء بما عليهم من ديون) .

ظهور مبادىء الحق الطبيعي والديموقراطية لدى اليونان مقاومة لنظام اسبارطة الارستقراطي

ولقد عمل المصلحون جهدهم لاصلاح الحال ، وابتكروا ما شاءوا من مبادىء واقاموا عليها ثورات تقضي على قيود واغلال ، وفي مقدمة تلك المبادىء التي اشادوا بها مبدأ الديموقراطية ومبدأ الحق الطبيعي

ولكن الديموقراطية في اثينة لم تلبث ان احدثت حرية الافراد في ظلالها كثيرا من المساوىء ، وهذا ما دعا الكثيرين من المفكرين اليونان وفي مقدمتهم افلاطون وثوقيديدس لان يعمدوا الى تمجيد نظام اسبارطة الارستقراطي بعد ان علوا ما في ديموقراطية اثينة من انحطاط وفوضى واوجسوا في انفسهم خيفة منها ، رغم ان قوانين اسبارطة قد اجمع العلماء والمؤرخون اليوم على انها : اعجب وابغض طائفة من الشرائع في التاريخ كله ، وانها من القواعد المخالفة للطبيعة .

وهكذا طلع علينا افلاطون في جمهوريته بحل لمشكلات الحياة في اثينة على ان تقسم المجتمع في اثينة الى طبقات حاكمة من الصفوة : هم الفلاسفة والجنس، والى طبقة من العامة هم من بقي من الناس ، وصرح بان

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد الثالث
السنة الخامسة
جمادى الثانية 1381
دجنبر 1961

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط ـ المغرب

صورة الغلاف



أرز وثلج

هكذا تبدو جبال الأطلس المتوسط
في فصل الصيف

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

الاشتراك العادى عن سنة 10 دراهم . والشرفي 20 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الرباط ـ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامه ، والنوادي والهيئات الوطنيه والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجله مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تلفون 308-10 ـ الرباط

الا باراده الحاكمين ، وبذلك يفقد الفرد من جديد ما كان يسعى اليه من حق فى الحرية والكرامه فى سبيل لقمتـه .

ولذلك وجدنا فى بعض الدول من اضطر الى الجمع ما بين المبدأين كحزب العمال الانكليزي ليخفف من مساوىء كل مبدأ على انفراده ، وكان شعاره هو (الاستراكية الديموقراطية) رغم ما يبدو من تنافر المبدايـن .

لقد كانت الجمهورية العربية المتحده اكثر توفيقا عندما ضمت الى المبدأين مبدا ثالثا هوالتعاونية وجعلت شعار حكمها على (الاشتراكية الديموقراطية التعاونية) حيث اكدت بمبدا التعاون الاعتراف بنشاط الفرد وحريته واستقلاله فى ملكيته على اساس من التعاون ما بين نشاط الدولة العام ونشاط الفرد الخـاص .

عالمنا اليوم على عتبة روح جديدة لدى اقطاب النزاع : هي روح التعايش السلمي من غير صوغها فى مبدأ حيوي ايجابي

ولكننا اليوم على عتبة ابواب روح جديدة يندفع العالم نحوها اندفاعا :

– بعد ان تعب العالم من النزال المتواصل بين المبادىء والنظـم .

– وبعد ان انهكتهم الحروب العالميه المتتاليه .

– وبعد ان اصبحت الانسانيه كلها فى خطر من جراء ذلك النزاع وهاتيك الحروب .

واصبح ذكر هذه الروح الجديده على لسان كل من اقطاب اصحاب المبادىء المتناحره . وتلك الروح الجديده **هي روح الرغبة فى السلام** ما بين ابناء الانسان فى كل مكان ، وبين جميع الاقوام ، ومختلف العقائد والنظم والاديان .

غير ان هذه الروح لم تتبلور بعد ، ولم يشعر بجدبتها احد حتى الآن ، ولم يتمكن احد من صوغها فى مبدأ **حيوي ايجابي** ، الا ما يجيىء من وقت لآخر فى شكل مبادىء سلبيـة :

– مثل عدم الاعتداء ، وهو مبدأ سلبي ظاهر .

– ومثل تجنب التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الاخرى ، وهو ايضا مبدأ سلبي .

– ومثل الاحترام المتبادل للسيادة والاستقلال . وهذا ايضا سلبي لانه يقوم على عدم الاعتداء . وعلى تجنب التدخل فى شؤون الآخرين .

– ومثل مبدأ المساواة والنفع المتبادل . وهو ايضا قريبا مبدأ سلبي لانه يقوم على عدم الخروج على مبدأ المساواة والنفع المتبادل .

– ومثل مبدأ التعايش السلمي . وهو كذلك مبدأ سلبي لانه انما يقوم على عدم العدوان فيما بين المتعاقديـن .

وهذه المبادىء هي التي عرفت بالمبادىء الخمسه للتعايش السلمي فيما بين الهند والصين الشعبية . وقد كثر الاعتراض عليها لسلبيتها فى الجملة، ولغموض فكرها وخاصة فى التعايش السلمي الذي (لا يزال بحاجة الى تحديد وبيان) كما جاء فى خطاب رئيس وفد تايلاند فى مؤتمر باندونغ .

وزيادة على ذلك فان مبدأ التعايش السلمي اذا ما قصر فى تطبيقه على المتعاقدين الاقوياء يوشك ان يصبح تآمرا سلميا على غيرهم من الضعفاء لا تعايشا سلميا . لانه لم يصرح بعد احد صرخة جدية عملية ولو فى صورة سلبية فى سبيل تعايش الانسان مع اخيه الانسان فى كل مكان . ناهيك عن الدعوة الايجابية لخير الناس اجمعيـن .

فكرة التعايش السلمي فى الاسلام فكرة ايجابية واضحة

اما الاسلام فقد نادى بهذا المبدأ منذ اربعة عشر قرنا دون ان تطوقه بحدود فيما بين الاقوياء ، ودون ان يقصره على فريق من الشعوب ، او على فريق من اهل الاديان ، ولم تتركه فكرة سلبية غامضة . بل وسع معالمه ، واظهر خصائصه ، وتناول فيه جميع نواحي حياة الانسان : منفردا ومجتمعا ، وما اسم الاسلام الا كلمة مشتقة من مادة السلم والسلام ، ولذلك اتخذ الاسلام (السلام) تحية وشعارا . وعزز ذلك الشعار فقال فى قرآنه الكريم (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا) .

اسباب الخلاف ما بين الناس انما هي المراة والمال، فعلى الطبقة الاولى ان تعيش فى اشتراكية وشيوعية كامله فيهما فلا يختص رجل بامراه، ولا يملك احدهم مالا، وبذلك يزول اسباب الخلاف فيما بين الطبقه العليا الحاكمة. واما الطبقة العامة فتملك وتتزوج وتقدم ما لديها لخدمه الطبقة الاولى.

ورای افلاطون فى ذلك النظام نظاما يتفق مع طبيعة المدينة الفاضلة التي تصورها، ولم يصنع بما فكر الا ان قذف المجتمع الفكري من جديد فى مشكلات وعقد جديدة تثبت نظام الطبقات والتمايز بين الافراد. ذلك النظام الذي كان ولا يزال من اعظم اسباب النزاع فى الحياه الانسانيه حتى اليوم.

نظام الطبقات لدى الرومان وبقاؤه فى اوروبا حتى عهد الثورة الفرنسية

وكذلك كان الامر لدى الرومان. فقد ساد لديهم نظام الطبقات، وتمتع فيهم الاشراف بكل الحقوق والامتيازات دون طبقة العوام التي لم تجد لها بدا من انتهاز الفرص للثورات فحطمت ما استطاعت من حواجز.

ولكن نظام الطبقات الاجتماعية لم يلبث ان ظهر فى نظام طبقات اقتصادية متفاوته فى القدره والسلطان حتى استقر فيها النظام الاقطاعي من جديد، ذلك النظام الذي ورثه اوروبا الحديثة عنها. وظل قائما فيها الى عهد الثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر حيث قضت عليه الثوره قضاء نهائيا.

استمرار النزاع بين المبادىء فى عالمنا الحديث من غير جديد، واستقطابها فى الديموقراطية والاشتراكية

وهكذا استمر العالم فى نزاع ما بين هذه المبادىء ولبس فى عالمنا الحديث من جديد حول الحلول الشاملة، وقد استقطبت هذه المبادىء اليوم فى مذهبين أساسيين هما:

- الديموقراطية.
- الاشتراكية.

اما الديموقراطية فتهدف فى الاصل من نظامها السياسي والاقتصادي الى حرية الفرد، وذلك معالجه لما لقي الفرد من امتهان وطغيان فى ظل النظام الارستقراطي، وحكم الاقلية المتسلطة المستغلة. وتمضي الى هدفها باعطاء اكبر ما يمكن من حرية لنشاط الفرد، حفظا لكرامته كانسان.

واما الاشتراكية فتهدف ايضا فى الاصل الى تحطيم هذا الاستغلال من قبل اقلية متسلطة، وذلك معالجه لنفس الداء، ولكنها تمضي الى هدفها بتقطيب السلطه فى الحكم، وتجريد الانسان من كل حق فى حرية نشاطه، الا ضمن الحدود المرسومة له، كي تصل الى المساواه والعدالة ما بين الجميع فى حظوظهم فى الحياه، وتكافؤهم فى الفرص.

كل من الديموقراطية والاشتراكية تلبية لحاجة ضرورية دون معالجة ما ينتج عنهما من ردة على الاصل

وكل من الديموقراطية والاشتراكية كما نرى ما هو فى الحقيقة الا تلبية لحاجة واحدة من حاجات الانسان الضرورية من دون اكتراث بما ينتج عن الديموقراطية وحدها او الاشتراكية وحدها من ردة على اصل المبدأ.

وهكذا فان الديموقراطية وحدها، وما اعطته الفرد من حريه، لم تستطع ان تضمن المساواه فى الحظوظ لكل فرد من افراد المجتمع. لان الفرد القوي يتمتع بحريته ويستفيد منها اكثر من الفرد الضعيف. نحن ان كنا انقذناه من حكم الارستقراطيه والاقليه المستغلة باقامه الحكم الديموقراطي فقد اعدناه من جديد ليكون تحت نفوذ وسلطان الاقوياء من رجال الحظوظ. وبذلك يعود الفرد من جديد الى فقدان ما اعطيناه من حرية فى سبيل كرامته.

وكذلك الاشتراكية وحدها، وما ضمنته للفرد من مساواه فى حظوظ الحياة وتكافؤ الفرص، لم تستطع ان تضمن للفرد حقه الطبيعي فى الحرية والكرامة. فنحن ان كنا انقذناه من حكم الارستقراطية والاقلية المستغلة باقامة الحكم الاشتراكي، فقد اعدناه من جديد ليكون تحت سلطة اقلية ايضا من رجال الحكم، وليغدو تحت تصرفها كآلة متحركة لا تتحرك

صفحة من العدالة الإسلامية

للأستاذ محمد الطنجي

ان حياة ضمير العظماء واستقامة سلوكهم تجعل منهم خير بناة لعظمة الامم ، وان المسلمين يرون فى عمر بن الخطاب المثال النموذجي الكامل . عز ونـدر وجود مثله فى التاريخ ، وقد كانت قضاياه وأعماله ، ولا زالت غرة فى تاريخ التشريع والتنفيذ معا ، فهو من جهة يرى على القاضي او الوالي ان يتفهم القضايا المعروضة عليه ، ثم بعد وضوحها لديه يبادر بتنفيذها حتى لا تضيع هيبة القضاء بكثرة المماطلة والتسويف ، فالمحاكم الاسلامية كلها مدنيـة وجنائية وشخصية فى نظره كأنها المحاكم العسكرية فى نظر العصر الحاضر ، فى سرعة تعجيل القضاء وتنفيذه ، فهو يقول فى رسالته المشهورة فى القضاء : « فافهم اذا ادلى اليك ، وانفذ اذا تبين لك . فانه لا ينفع التكلم بحق لا نفاذ له » .

وكان رضي الله صريحا فى الحق صراحة تامـة كما هو مشهور عنه من انه لا يخشى فى الله لومة لائم ، وبصراحته فى الحق ، وقوة شخصيته فى تنفيذه بكـل دقة انتشرت له هيبة فى النفوس لم تكن لاحد غيره .. فهذا زياد الشجاع الداهية البليغ لما ارسله سعد بن ابى وقاص بطل القادسية بحساب المغنم والفيء الى عمر وكلم عمر ، ووصف له الانتصارات الاسلاميـة ، قال له عمر هل تستطيع ان تقوم فى الناس بمثل الذي كلمتنـي بـه ؟

فقال والله ما على وجه الارض شخص اهيب فى صدري منك ، فكيف لا اقوى على هذا مـن غيـرك ، فقام زياد فى الناس بما اصابوا وبما صنعوا ، وبمـاذا يستاذنون فيه من الانسياح فى البلاد ، فقال عمـر : هذا الخطيب المصقع ، فقابل هذه بالجملـة المأثـورة (ان جندنا اطلقوا بالفعال لساننا) .

وكذلك ما ثبت عن ابن عباس مـن هيبة عمـر حيث قال : لم ازل حريصا على ان اسأل عمر بـن الخطاب عن المرأتين من ازواج النبي (ص) اللتين قـال الله تعالى فيهما : « ان تتوبـا الى الله فقـد صغت قلوبكما » فمكثت سنة ما استطيع أن اسألـه هيبـة له حتى حج .. الى آخر الحديث ..

فشخص عمر المتفاني فى اقامة العدل كيف ساغ له ان يشاطر ولاة فى اموالهم لم تثبت عليهـم خيانـة فى ولايتهم ؟

يظهر ان سند عمر فى عمله هو ما صح عن النبي كما فى رواية مسلم : (من استعملناه منكم على عمـل فكتمنا مخيطا (اى ابرة) فما فوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامـة) قال راوي الحديث (فقام اليه رجل اسـود من الانصار كأني انظر اليه فقال : يا رسول الله اقبـل عني عملك ، قال ومالك ؟ قال سمعتك تقول كذا وكذا قال : وانا اقوله الآن من استعملناه منكم على عمـل فليجيء بقليله وكثيره ، فما اوتي منه اخذ ، وما نهي عنه انتهـى) .

وتطبيقا لهذا الحديث قال الرسـول فى قضيـة عامله ابن اللتبية الذي قال هذا لكم وهذا اهدي لي : حيث قام خطيبا وقال بعد ان حمد الله (ما بال عامل ابعثه فيقول : هذا لكم وهذا اهدي لي ، افلا قعـد فى بيت ابيه او فى بيت امه حتى ينظر ابهدى اليه ام لا ؟

وعمر قد اتخذ فى سياسته مع العمال انه كـان يمنعهم من التجارة منعا باتا لئلا يستغلوا جاه الولاية ونفوذها لمطامحهم الشخصية كمـا تمنع ذلك بعـض الدول الاوربية الآن ، بل وتمنع حتى شراء الاملاك .. وان كان هذا التشريع اصبـح اسميا عندها .. حيث ان كثيرا من الاشخاص اخذوا يسجلون ما يملكونه فى اسماء آبائهم او ازواجهم محافظة على حرفية القانون

لقد نجلى فى الاسلام معالجة ما كانت تئن منه الانسانية فى اعالي القرون الوسطى وهي مشكلة اليوم من غير جديد

ويسرنا فى هذا الحديث ونحن نريد الكلام فيه عن (الاسلام ومشكلات الحياة)، او بعبارة اخرى عن (مبادىء الاسلام الدستورية فى نواحي الحياة). ان نعلن ان الاسلام قد تجلى فيه معالجة ما كانت الانسانية تئن منه فى اعالي القرون الوسطى حين فاجاها وهي فى حروب دائمة دامية متواصلة، وقد طغى فيها القوي على الضعيف، وتنكر الانسان لاخيه الانسان، واتخذ بعضهم اربابا من دون الله على الاخرين، ونزلوا بغيرهم الى الطبقة الدنيا، وجردوهم من حق الحياة والوجود، حتى اصبح فيها حياة كل من الافراد والمجتمع فى جحيم مقيم.

وهذه هي مشكلة الانسانية اليوم من غير جديد بعد ان خرجت شعوب العالم منذ اواخر القرون الاولى ومطالع القرون الوسطى عن عزلتها، واحتكت ببعضها، واورث ذلك الاحتكاك احقادا وحروبا.

وان هذا الاحتكاك مع تقدم الحضارات اليوم لا يزداد الا اشتداد واحتداما، على ما تزداد الشعوب من بعضها اتصالا. وذلك بفضل تقدم المدنية وتشابك المصالح، تلك المصالح التي جعلت من ابناء الانسانية فى كل مكان من هذه الارض ابناء اسرة واحدة، والاجدر بابناء الاسرة الواحدة التواصل والتراحم لا التنازع والتخاصم، وهذا ما نادى به الاسلام منذ اربعة عشر قرنا بين العرب اولا، ثم بين العرب والامم اجمعين ثانيا، فقال: (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا. ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فجاء نداؤه تلبية لحاجة الناس اجمعين، وبلسما لجراح البائسين. وهذا هو ما جعل الاسلام بعد ذلك ينتشر بسرعة لا عهد للانسانية بها حين خرج من جزيرة العرب، حتى قوض عروش الاكاسرة، ودك قواعد القياصرة فى اقل من عشر سنوات.

خطأ الذين يفهمون الاسلام فى حدود الدين عند علماء الغرب

ويخطىء الذين يفهمون الاسلام فقط ضمن حدود الدين الذي عرفه العلماء فى الغرب فقالوا فى احسن تعاريفه كما نصت عليه دائرة المعارف الدينية لديهم، وهو ما جاء فى التعريف الذي وضعه كوبليت دالفييلا Golbet d'Alviella حيث قال: (ان الدين هو الطريقة التي يحقق بها الانسان صلاته مع قوى الغيب العلوية).

كما يخطىء الذين يفهمون الاسلام فى حدود تعريف آخر للدين عند علماء الغرب ايضا فى الدرجة الثانية من اصل مئة تعريف كما وضعه جايمس دارمستيتر James Darmesteter حيث قال: (ان الدين هو ما يشتمل على كل معلوم وكل سلطة لا تتفق والعلم).

فقد تجاوز الدين فى مفهوم الاسلام والقرآن تلك الحدود من (صلات الانسان مع قوى الغيب العلوية) الى حدود اخرى اعطاها نفس الاهتمام، الا وهي (صلات الانسان مع الانسان).

وفوق ذلك فقد حمل المخاطبين على الاحكام فى فى كل تلك الصلات الى العلوم والعقل، وصارح قرآنه بانه يخاطب الذين يعلمون والذين يعقلون، فقال: (نفصل الايات لقوم يعلمون) وقال ايضا: (كذلك يفصل الآيات لقوم يعقلون)، وهكذا اهمل فى خطابه الذين لا يعلمون والذين لا يعقلون، ووصف دعوته بانها دعوة الى الحياة فقال: (يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) وهو اول نداء فى هذا المعنى فى لغة الاديان.

— يتبع —

التلقائية في انتشار الاسلام

للاستاذ
رشيد نجار

عرف الاسلام في القرون الوسطى . وطوال عصور الحضارة الاسلامية ، حركة انتشار وتوسع ذات طابع تلقائي محض ، فالمعروف ان حركات الغزو الاسلامي في آسيا وافريقيا قد توقفت منذ القرن الثاني تقريبا . وكانت الدولة الاموية على عهد قادتها العسكريين العظام مثل مسلمة بن عبد الملك وموسى بن نصير وغيرهما قد سجلت اعظم الانتصارات في الواجهات الشرقية باسيا حيث بلغ المد الاسلامي الى جهات السند وما وراء النهرين ، اما في الغرب فقد بلغت الطلائع الاسلامية الى اسبانيا وسيطرت على الساحل الافريقي حتى المحيط الاطلسي .

وهكذا توقفت الجهود العربية في فتح العالم القديم عند هذه الحدود، ولاشك ان الصحراء الافريقية التي كانت عائقا كبيرا للمواصلات آنذاك قد حالت دون مواصلة الزحف الاسلامي الى الجنوب بينما وقف المحيط الاطلسي من جهة ، والهندي من جهة اخرى عقبة دون ذلك الامتداد ايضا .

ومن الممكن ان يعد القرن الثاني والثالث للهجرة عهد صراع بين الدولة الاسلامية وبين المسيحية اي ضد الامبراطورية البيزنطية في الشرق ، وضد اسبانيا المسيحية في الغرب وظل ذلك الصراع محدودا في هاتين المنطقتين فترة طويلة تطورت خلالها المعارك حتى ظهرت الحملات الصليبية وما اتت به من كوارث على المسلمين الى جانب ما حققوه من انتصارات ، لكن هذا الصراع قد انتهى بالنصر الحاسم الذي احرزه بنو عثمان في آسيا الصغرى ، بينما كانت المسيحية قد سجلت انتصارها الكبير في الاندلس ضد الاسلام في الغرب على اثر تخاذل المسلمين هناك ، فافل نجم الحضارة الاسلامية الغربية التي بلغت أوج عظمتها ولمعت لآخر مرة في القرن الثامن الهجري ، وهكذا لم يكتب للاسلام ان يحقق حلما جميلا . كان من الممكن ان يسيطر تماما على بحيرة الابيض المتوسط ، ذلك الحلم هو تحقيق الاتصال بين طرفي الاسلام في الشرق والغرب عن طريق اوربا .

لكن العجيب حقا ، هو ان الاسلام قد حقق معجزة اخرى بدون سيف . هي أعظم مما عجز عن تحقيقه بواسطة الحروب والغزوات ، ذلك ان الصحراء الافريقية وصحراء آسيا والمحيط الهندي نفسه ، قد وقفت امام الزحف الاسلامي حقا ، ولكن ذلك كان الى حين ، فالذي حدث هو أن المسلمين قد اخذوا يجوبون الاقطار النائية في آسيا وافريقيا باحثين عن مصادر الثروة والغنى بطريق المتاجرة ، وهذه ظاهرة اجتماعية كانت تتكرر في كثير من مراحل تاريخ العالم القديم . فكلما نهض شعب وبنى صرح حضارة شامخة الا ونشطت حركة المغامرة في ابنائه ، تلك المغامرة التي تدفع بهم الى الهجرة والارتحال في سبيل المتاجرة ، وهذا ما كان من أمر الاسبان مثلا اثر ازدهار حضارتهم في بداية النهضة الاوربية ، وهم وان كان هدفهم البحث عن الذهب في مناجمه العظيمة بالعالم الجديد الذي اكتشفوه ، الا انهم كانوا على كل حال طالبي ثروة عن طريق الارتحال .

لكن المهم في رحلات المسلمين ليس هو الثروة ، بل لقد أصبحت رحلاتهم هذه حركة انتشار واسعة النطاق للاسلام بكيفية تلقائية ، فهذا الدين الحنيف لم يعرف ابدا اسلوبا من اساليب الدعاية او التبشير الذي اتخذته المسيحية منهجا ، انما انتقال الاسلام الى المحيط الهندي ، والى المحيط الهادي كان تسربا هادئا سليما ، كان الناس هنالك يتلقونه عن رغبة واقتناع بمجرد الاتصال بالقادمين اليهم من تجار المسلمين ، والذي لاشك فيه هو ان اولئك التجار لم يكونوا يعيشون في بلاد الغربة عيشة عادية ، بل كانوا يعتزون اشد الاعتزاز بهذه العقيدة ويمارسون

دون اعتبار لروحه ، اما عمر بن الخطاب فقد طبق اوامره تطبيقا كاملا حيث وجد الحجة الصحيحة على ولاته باكتسابهم اموالا طائلة زيادة على ما نالهم من وظيفة عملهم ، او غنيمة جهادهم .

وقد وقفت فى كتاب الاصابة للحافظ بن حجر على قصيدة ابى المختار يزيد بن قيس بن الصعق الذي شكى فيها عمال الاهواز وغيرهم الى عمر بن الخطاب . وكان لبقا فى تمكين التهمة فيهم مع حسن تخلصه من الاستدعاء للشهادة عليهم ..

وفى نفس الوقت سمى طائفة كبيرة منهم باسمائهم ، واقترح مشاطرتهم ما اكتسبوه حيث قال لعمر بن الخطاب :

(فقاسمهم نفسي فداؤك انهم
سيرضون ان قاسمتهم منك بالشطر

ولا تدعوني للشهادة انني
اغيب ولكني ارى عجب الدهر

نؤوب اذا آبوا ونغزو اذا غزوا
فان لهم وفرا ولسنا ذوي وفر)

قال الحافظ بن حجر ، فقاسم عمر هؤلاء القوم فاخذ شطر اموالهم حتى اخذ نعلا ، وترك نعلا) .

ففي قوله نؤوب اذا آبوا (اي نرجع اذا رجعوا). ونغزوا اذا غزوا ، ما يوضح اتحاد عملهم وعمل الولاة، فكان من المنطق ان يكون وفر المال عند الجميع او عدمه عند الجميع ، لا ان يكون الوفر فى جانب دون الآخر ، ولهذا واخذهم عمر ، الا انه لم يقتصر فى مقاسمه العمال والولاة ما اكتسبوه على عمال الاهواز الذين شكاهم ابو المختار اليه ، بل شاطر غيرهم من كبار الصحابة كسعد بن ابي وقاص ، الشهير المتقدم ، وعمرو بن العاص فاتح مصر ، وابي هريرة عامله على البحرين كما فى كتب السير ، ولعل عمله مع هؤلاء اقتضاه تطبيق المساواة بين ولاته الذين وجد عندهم فضلا من المال بل ان عمر كان يتتبع من يتجر بمال هؤلاء الولاة من اقاربهم فيشاطرهم ايضا ، فقد شاطر ابا بكرة

فقال له : اني لم آل لك شيئا يعني ، لم اتول لك اية ولاية ، فقال : (اي عمر) اخوك على بيت المال وعشور الابلة يعطيك المال تتجر به ؟ فأخذ منه عشرة آلاف.. ويقال قاسمه فاخذ شطر ماله) هـ.

وقد يقال ان هذا العمل شدة من عمر ، ولكن عمر هكذا كان فى الحق فقد فعل نفس العمل مع ابنيه عبيد الله ، وعبد الله ، ففي كتاب القراض من الموطأ عن يزيد بن اسلم عن ابيه انه قال خرج عبيد الله وعبد الله ابنا عمر بن الخطاب فى جيش الى العراق ، فلما قفلا مرا على ابي موسى الاشعري، وهو امير البصرة ، فرحب بهما وسهل ، ثم قال لو اقدر لكما على امر انفعكما به لفعلت ، ثم قال بلى : ههنا مال من مال الله اريد ان ابعث به الى امير المومنين فاسلفكماه فتبتاعان به متاعا من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فتؤديان راس المال الى امير المومنين ، ويكون الربح لكما ، فقالا ، وددنا ذلك ففعل وكتب الى عمر بن الخطاب ان يأخذ منهما المال ، فلما قدما باعا فأربحا ، فلما دفعا ذلك الى عمر قال: اكل الجيش اسلفه مثل ما اسلفكما؟ .. قالا : لا ، فقال عمر : ابنا امير المومنين فاسلفكما ؟ اديا المال وربحه ، .. فأما عبد الله فسكت ، واما عبيد الله فقال : ما ينبغي لك يا امير المومنين هذا . لو نقص هذا المال او هلك ضمناه ، فقال عمر : اديـاه ، فسكت عبد الله وراجعه عبيد الله ، فقال رجل من جلساء عمر : يا امير المومنين لو جعلته قراضا ، فقال عمر ، قد جعلته قراضا ، فأخذ عمر راس المال ونصف ربحه ، واخذ عبد الله وعبيد الله ابنا عمر نصف ربح المال هـ) .

والغرض من الالمام بهذا الموضوع هو توجيه الشباب الى هذه الصفحات البيضاء من تاريخ العدالة الاسلامية .

وفى الوقت نفسه لفت نظر ولاة امورنا ، الى لزوم تنظيم التفتيش النزيه فى مختلف الجهازات والمرافق الحيوية فى البلاد حتى يجعل حد للدعايات القائمة بشدة الحاجة الى التطهير ، لان البحث النزيه يفتح باب العدالة لعقاب المسيء ، ويكف النفوس عن التوجه الى الفساد.. فتنتظم الامور على اساس الحق والعدل ، والعدل اساس الملك ، واساس العمران ، والله ولي التوفيق .

بعد احتلال الهند واندونيسيا ثم الجزائر وبقية الاقطار العربية ، ويطول الامر ان نحن عالجنا الاسباب التي ادت الى ضعف المسلمين حتى سقطوا قطراقطرا تحت نير الاستعمار المسيحي ، ولكن الوضعية الراهنة هي ان الاسلام قد استطاع ان يستعيد حريته واستقلاله فاصبح قوة هامة يحسب لها حسابها .

فهل معنى ذلك ان الدعوة الاسلامية قد استعادت روح التلقائية في التوسع ومقاومة العراقيل والتبشير ؟ ، وبالاحرى هل استعاد الاسلام قوته المنشودة ؟ الواقع ان المسلمين اصبحوا اليوم قوة . ولكنها ليست قوة روحية متماسكة كما كان يتمناها قادة الفكر والاصلاح في اواخر القرن الماضي من امثال السيد جمال الدين الافغاني وتلاميذه من بعده ، ان العالم الاسلامي اليوم قوة مادية ، ولكن التجاوب فيما بين اجزائه لم يبلغ الهدف المرغوب فيه ، ويوم نصل الى ذلك المستوى يمكن القول عند ذاك انالاسلام قد استعاد قوته الروحية ، اى انه سيجد صلابته وقابليته للانتشار التلقائي من جديد .

ان المشكله بالنسبة لهذا الدين هو انه لا يستسيغ ابدا الافتعال في الدعوة اليه ، ومن ثم لا يقبل حركة التبشير بهذا الاسلوب المسيحي ، ذلك ان المبدا الاساسي واضح جلي ، انه يدعو الى ترك المجال فسيحا وحرا في العلاقة بين العبد وربه ، ولا يتدخل الانسان الا لشرح ما غمض على العباد من امور دينهم لا غير . اما الوسائط فلا وجود لها ، ولذلك لا يتطلب منا ديننا فقط الوقوف في وجه الحركات التبشيرية التي اصبحت تتجرأ اكثر من اللازم ، بل يدعونا ايضا الى مد يد المساعدة الى اخواننا الذين لا يعرفون العربية . ومعنى ذلك ان واجبنا يدعونا الى مجاراة التطور والاخذ من الحضارة بنصيب وافر . فتتعلم بعثاتنا الى الاقطار الاسلامية اللغات الاجنبية وتكون المثل الاعلى في الاخلاق والمحافظة على القيم الاسلامية لانها ستكون السفارات الدائمة او المؤقتة للاسلام في عصر الحضارة المادية الطاغية ، انني شخصيا قد وجدت منذ اسابيع مضت نسخة من انجيل لوقا في صندوقبريدي، مطبوعا طبعا جيدا، وكانتدهشتي اعظم عندما عرفت ان جميع اصدقائي تلقوا نفس الهدية صباح ذلك اليوم .

على ان هذا الامر ، وان كانت له دلالته العميقة في بلد مسلم وعربي مائة بالمائة ، فانه في الواقع يدل على ان هناك تخبطا في مناهج هذه المدارس التبشيرية . لكن هذا لا يدعونا الى التقليل من خطر تلك الحركات . في الاقطار الاخرى ، فالمعروف ان الاقليات المسلمة في اقطار عديدة ، اسيوية او افريقية ، لاتفتا تتطلع الى اليوم الذي ستتلقى فيه يد المساعدة من الاقطار الاسلامية المستقلة . والعربية منها على الخصوص لتفهم دينها وتستعين بذلك على تثقيف ابنائها الذين لا يذهبون الى المدارس الرسمية ، لانهم لا يجدون دروس الدين او يجدون ادياناا اخرى لا يريدونها . ان الاباء ، بالنسبة للاقليات المسلمة ، كآبائنا المحافظين على دينهم وقوميتهم ايام عهد الاستعمار البغيض . كانوا يخشون من المدرسة المسيحية او اللادينية . فكانوا يرضون بالجهل والحرمان من الوظيفه . والابتعاد عن المشاركة في الحياة العامة او تسيير شؤون الدولة ، بسبب من تلك المحافظة او حرصا على قوميتهم ودينهم .

لقد كان المسلمون في عدد كبير من الاقطار ، يكافحون الى عهد قريب في سبيل تحرير الوطن الاسلامي، ويمكن القول بان جانبا كبيرا من هذا الهدف قد تحقق ، فهل من الممكن بهذا فقط ان نحقق الهدفين في نفس الوقت ــ هدف تجديد الاسلام وابلاغ اصوله ومغزاه الى نفس المسلمين الذين لا يدركون منه غير الاشياء السطحية ــ ثم اعادة الثقة الى الدعوة الاسلامية . او اعادة قدرتها على قهر جميع الحركات المعادية لها . واذا كان هذا الدين قد غزا قلوب مئآت الملايين بكيفية تلقائية بحتة ، فانه بلا شك لم يفقد هذه القدرة على الاقناع واشباع الميول الانسانية الفطرية الى الاعتقاد والتدين .

انما الواجب هو أن نلتزم ، نحن الذين يمكن ان نكون قدوة اسلامية حقيقة ، بالسير حسب المبادىء والقيم الاسلامية في جميع الميادين ، واذا كانت الابعاد والمسافات قد طويت الان بفعل المواصلات ، فاننا نستطيع ان نفيد عددا ضخما من البشر في هذا المجال. لنكن فقط قدوة حسنة لهم ، كما كان المسلمون الاوائل ففي امكاننا اليوم ان نسافر ونتحدث ونشرح ونلبي طلبات الاخوة في كل مكان ، وبذلك فقط يمكن ان نخلق هذا التجاوب الروحي بين اجزاء العالم الاسلامي ونخلق الفرص للدعوة لكي تنطلق وتغزو الافاق .

الشعائر الدينية كما امر الله بها ، ولا شك ان اعظم ما تركه المسلمون من اثر فى تلك الاوساط الشرقية المتعطشة الى اشباع العاطفة الدينية هو اسلوب المعاملات ، وطريقة حل المعضلات والمشاكل التي تعرض لهم سواء فى الميدان الاقتصادي أم فى النواحي الاجتماعية الاخرى ، ومن هنا يمكن ان نلخص العوامل الهامة فى جلب قلوب الجماعات الافريقية والاسيوية الى الدين الاسلامي فى عاملين اساسيين :

— اولهما هو متانة الاسس الاخلاقية والقيم الاجتماعية للدين الاسلامي .

— وثانيهما هو اهمية الناحية التطبيقية او العمليه فى الاسلام وهذا لا يتم بلا شك الا اذا صحبه حرص كبير من المستوطنين القادمين من مختلف الاطراف الاسلامية على ممارسة ما يامر به الدين .

بالاضافة الى ذلك كله ، لابد من ملاحظة الاستعداد الكبير الذي كان يتمتع به كل من المهاجرين فى تعرفهم على لغة الاهالي من جهة ، ومهارة الاهالي انفسهم فى سرعة تلقى الدين الجديد من جهة اخرى.

وهكذا يمكن ان ننظر الى هذا الامر من جميع وجوهه فنجد ان العامل البشري هو مفتاح المشكلة ، ولاشك ان انتشار دين مبني على هذا الاسلوب التلقائي امر لا يدع مجالا للشك فى رقي تلك الجماعات البشرية التي تقبله عن طوع وطيب نفس ، ومع ما يتوفر عليه الاسلام من بساطة ويسر فى الشعائر والمراسيم ، الا انه لا ينكر ان الشعوب الاسلامية غير العربية قد اكتنفت بشيء من السطحية فى تفهم الاسلام لان الخلافات الدينية التي نشأت وتشعبت مع مر الزمن وتطويع الاحداث قد ادت الى صعوبة فى التعرف على الاسس الهامة فى الاسلام بالنسبه الى الاجانب عن العربية ، ومع ذلك فان الذي لا شك فيه هو ان ملايين عديدة قد دخلت فى هذا الدين وهو الامر الذي لا يدع شكا ايضا فى قدرته على مقاومة عوامل الضعف ، وتوفره على قابلية هامة على الاقناع بشكل طبيعي ، وعلى اشباع النفس الانسانية روحيا .

ان السمو الكامن فى الدين الاسلامي بصفائه ووضوحه ، وبساطته ، وديمقراطيته ، ليقابله سمو فى المجموعات البشرية الهائلة التي هرعت الى التمسك به ، واذا كانت الحضارات اساسا لا تقوم الا على العامل البشري فى الدرجة الاولى ثم تاتي العوامل الطبيعية الاخرى بعد ذلك ، فان هذا الامر ينطبق تماما على الاسلام ، الذي طغى على ارادة الاسيويين والافارقة وانتصر ايضا على الارادة الهدامة المبشرين المسيحيين الذين انتشروا فى جميع اقطار الارض ، ولا سيما الاراضي البكر التي افتتحتها الدول الاوربية الاستعمارية منذ القرن الثامن عشر الميلادي .

وبواسطة ذلك السمو فى الاسلام ، وتلك الروح الطيبة الصافية التي وجدتها فى العنصر البشري باقطار افريقيا واسيا ، استطاع ان يضم الى جانبه اربعمائة مليون نسمة لا يتجاوز الناطقون بالعربية منهم نحو السبعين مليونا ، وعندما عقد اول مؤتمر للشباب المسلم منذ سنوات مضت ، كانت الوفود الاسلاميه تتقاطر من جميع نواحي المعمورة ، وهنالك فقط ظهرت لنا اقليات اسلامية هامة فى بلاد عديدة لم يكن احد يتصور وجودها ولا مدى اهميتها ، مثلا هناك اقليات اسلامية تعد بالملايين فى الفلبين ، وسيام ، وسيلان وجنوب افريقيا وشرقها وغربها، بل هناك اقليات ايضا فى جزر الترينداد بامريكا الوسطى ، الى جانب الجماعات الكبيرة فى الدول الاسلامية مثل جزر الهند الشرقية (اندونيسيا) والملايو والصين وروسيا ونيجريا التي تعد من اكبر دول افريقية من حيث عدد السكان .

فهذه الاقطار العديدة من مراكز الاسلام ، لم تشهد كلها حركات الدفع من غزوات وفتوح ، ولا شهدت كلها انواع الصراع الذى شهدته اقطار حوض البحر الابيض المتوسط ووسط آسيا فى العهود الاولى لانتشار الاسلام ، لقد كان اسلامها تلقائيا فى غالب امره كان استجابة لمثل ديني عريق بالنسبة لشعوب الشرقية .

لكن ما هي مميزات المرحلة الحاضرة من روح التلقائية هذه بالنسبه لانتشار الاسلام؟ ما هي متطلبات الدعوة الاسلامية فى عصرنا الحاضر لكي تواصل سيرها المعتاد ؟ ثم هل الاسلام لا يزال فى امكانه ان ينتشر تلقائيا ؟ أم تراه توقف بعض الشيء ؟ .

هنا يجب ان ننظر ، لنتلقى الجواب الصحيح بقدر الامكان ، الى العراقيل التي واجهتها الدعوة الاسلامية سواء فى داخل الاقطار الاسلامية أم خارجها ، وقبل ذلك نذكر ان عالما مسلما من المهتمين بهذه الشؤون قد اكد منذ ست سنوات بيان الاحصائيات توضح حقيقة هامة وهي ان الاسلام قد عرف فى مجاهل افريقيا على الخصوص توقفا فى انتشاره ، وان اسباب ذلك يرجع بدون ادنى ريب الى ان الحركات المسيحية التبشيرية قد نجحت الى حد بعيد فى تحويل اتجاه عدد غفير من الافارقة الى المسيحية : وهذا سبب مباشر فى توقف الاسلام او فى ضعف حركة انتشاره ، الا ان هذا الامر يعد فى الواقع من اهم اهداف المسيحية منذ اقدم العصور الاسلامية أي منذ ان دخلت فى صراعها ضد الاسلام ، ولقد ادى هذا الصراع نفسه الى السيطرة على العالم الاسلامي من طرف المسيحية منذ منتصف القرن الثامن عشر

فان الربا فى الجاهلية كان بعد حلول الاجل وعجز المدين . وان المتعارف عندهم من الربا هو الربا الفاحش . والمعروف بالربا المركب الذي لا يقره اى قانون فى الدنيا ولا ترضاه شريعة ولا دين . وذلك ما رواه ابن جرير ومجاهد وعطاء وزيد ، واستنادا على هذه الروايات نجد الامام محمد عبده يقول ايضا فى تفسيره ان الثابت من السلف فى تصوير الربا كله فى اقتضاء الدين بعد حلول الاجل ولا شيء منه فى العقد الاول ، كأن يعطيه المائة بمائة وعشرة او اكثر او اقل ، ذلك راي الامام وان كانت ءاية البقره تنص على ان ما زاد على رأس المال فهو ربا (فان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وانه لمن الظلم الكبير ان تستغل حاجة المحتاج فنفرض عليه عشرين فى المائة مثلا فى العقد الاول ثم لا نرى فى ذلك حرجا ولا اثما ولا اربا . بل هو الربا بعينه يحرم بنفس السبب والعلة التي حرم بها الربا الجاهلي . .

ومما تقدم نعلم ان الربا المحرم قطعا ومن غير شك هو هذا الربا المتعارف لدى الجاهلية والذى وصفه الامام احمد بن حنبل حين سئل عن الربا الذى لا شك فيه فاجاب : هو ان يكون له دين فيقول له اتقضى ام تربى ؟ فان لم يقض زاده فى المال وزاده فى الاجل .

2 ـ ربا الفضل :

وهو القسم الثاني من الربا وقد استحدث بعد مجيء الاسلام وصفته ان يبيع الرجل جنسا بجنس مثله مع تفاضل . والاساس الذى بني عليه تحريم هذا النوع من الربا عند من يحرمه وهم الاغلبية من مشرعي الاسلام هو الحديث المروي عن رسول الله (ص) « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فان اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ان كان يدا بيد » . وهناك من الصحابة رضوان الله عليهم من احله وعلى رأسهم ابن العباس وابن عمر وأسامة وتبعهم ابن القيم الذي قسم الربا الى نوعين : ربا جليا ظاهرا وهو ربا الجاهلية ، وقد حرمه الاسلام قصدا ولا يمكن لاحد ان يحله ، وهناك ربا الفضل وقد حرم سدا للذرائع ، فهو ربا خفي لم يحرمه الشرع قصدا ولكن حرمه خوفا من ان يؤدي بالناس الى الربا المحرم . ويستند فى قوله الى احاديث صحيحة عن رسول الله (ص) منها ما رواه ابو سعيد الخدري عن الرسول الاكرم « لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فاني اخاف عليكم الرماء اي الرباء » ومنها الحديث الذي رواه ابن جرير والبيهقي عن ابن عمر : لا تبيعوا الذهب بالذهب الا مثلا بمثل ولا تبيعوا الورق بالورق الا مثلا بمثل سواء بسواء ولا تشفوا بعضه على بعض اني اخشى عليكم الرماء. وفى رواية اني اخاف عليكم الرماء. . فالاحاديث صريحة اذا فى علة تحريم رباالفضل وهي انقاذ الحرام، كما ان هناك من الاحاديث ما يحصر الربا فى ربا الجاهلية فقط كقوله (ص) فيما رواه الصحيحان ، انما الربا فى النسيئة . وبناء على ذلك وتحقيقا للمصلحة وتخفيفا على المسلمين فقد احل ابن القيم ربا الفضل وتبعه على ذلك الامام محمد عبده . والمراغي وكثير من علماء المسلمين . .

ولكن اعتقد ان ربا الفضل الذي حرمه الاسلام انما حرمه قصدا ولا يمكن لاحد ان يحله لما فيه من اجحاف وظلم . وهل يمكن لاحد ان يشتري جنسا بجنس مثله لا يختلف عن الاول لا جودة ولا قيمة . زيادة على الا ان يكون مضطرا او سفيها ويكون البيع عندئذ زائفا يستتر به للوصول الى الربا والاثراء على حساب الغير ويكون التحريم فيما اعتقدمقصودا لذاته فى ربا الفضل لانه تدخل من الشارع لحماية المضطر والسفيه اللذين لا يصح منهما بيع . . واما ان كان التفاضل فى الجنس الذي تتفاوت انواعه وتختلف اصنافه من حيث الجودة والقيمة فلا تحريم مطلقا من التفاضل بينهما لقوله (ص) فان اختلفت الاصناف فبيعوا كيف شئتم ، ولانه لا يعقل ان تحمل الناس على امر لا يعقل فتدفعهم الى التحايل والا فكيف يجوز ان

موقف الإسلام من الربا

للأستاذ
موساوي زروق

تحريم الربا :

الواقع ان الاديان السماوية جميعا حرمت الربا وحاربته وان اختلفت في التشديد والتخفيف والتعميم والتخصيص فاليهودية مثلا لا تحرم الاعمال الربوية الا بين اتباعها ومعتنقيها من الاسرائليين كما جاء في الاصحاح الثالث والعشرين . اما غير الاسرائلي فيجوز لليهودي ان يرابيهم وهو تحريم جزئي خاص لا يستهدف مصلحة الانسانية جميعا .. اما المسيحية فقد حرمت الربا تحريما عاما شاملا لا يقتصر على اتباعها فقط ولكن لم توضع انواعه التي تحرم ولم تفصل حقيقة الربا الذي يمنع . وانما اكتفت بالتعميم ومشت الكنيسة باقسامها على ذلك تمنع ما تشاء الى ان جاء المصلح لوثر مؤسس المذهب البروستاني فوجد الكنيسة غارقة في المعاملات الربوية ، متسامحة مع المرابين الذين اشتروا رضا الكنيسة باموالهم وارباحهم . فثار لوثر على هذه التصرفات ، وكانت ثورته عنيفة . فحرم جميع المعاملات التي تشم فيها رائحة الاستغلال او الغش من قريب او بعيد ، وشدد على الربا . وطعن في هذه الثروات التي تجمع باسم التجارة وما هي في حقيقتها الا نتيجة للاعمال الربوية التي نها عنها الرب جل جلاله ، وقد كان لوثر في فهمه وتجديده وثورته يساير الروح الحقيقية الصافية للمسيحية ويستمد مبادئه وآراءه من الاسلام الذي جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل .. واذا فالاسلام لم يحرم الربا وحده وانما كان في تحريمه شديدا قويا صريحا لا يرى في المرابي الا رجلا فاقدا لانسانيته محاربا لله ورسوله ولا ينظر للربا الا انه وسيلة للاثراء على حساب الآخرين ، واستغلال لضعف المحتاجين ، وطريق لتضخيم رؤوس الاموال من غير جهد .. وقد جاء الاسلام فوجد المجتمع العربي يلاقي من المرابين انواعا من الظلم وضروبا من الذل فوقف بجانب اولئك المستضعفين ، واعلنها حربا على الاستغلال وحرم الربا تحريما لا تساهل فيه . « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » . وهناك قسمان من الربا : ربا النسيئة وربا الفضل وسنتكلم عليهما بمفصل لنعلم حكم الاسلام فيهما :

1 – ربا الجاهلية :

المعروف في الجاهلية هو ربا النسيئة – اخرني وازيدك – وصورة ذلك انهم كانوا يقرضون الى اجل، فاذا حل الاجل ولم يقض المدين زادوه في الاجل مقابل تضعيف الدين نقودا او انعاما ، ويروي ابن حجر في الزواجر ان ربا الجاهلية كان بالشهور . اي ان صاحب المال كان يقرض المحتاج قدرا الى زمن معين على ان ياخذ قدرا معينا وراس المال باق . فاذا حل الاجل ولم يقض زاده في الاجل مقابل زيادة في الحق الشهري .. ولكننا نجد ابن جرير الطبري يصف لنا ربا الجاهلية في تفسير قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة » . فيقول : كان اكلهم ذلك في جاهليتهم ان الرجل منهم كان له على الرجل مال الى اجل . فاذا حل الاجل طلبه من صاحبه فيقول الذي عليه المال : اخر عني وازيدك على مالك فيفعلان ذلك ، ثم يقول فذلك هو الربا اضعافا مضاعفة فنهاهم الله عز وجل في اسلامهم عنه .. وقد روى ابن زيد عن ابيه الصحابي الجليل صورة واضحة للتضعيف الذي تعارف عليه المرابون في الجاهلية اذ يقول انما كان الربا في الجاهلية في التضعيف في السن وفصل ذلك وفي العين والنقود ثم شرح ذلك فقال : يأتيه اي صاحب المال فان لم يكن عنده اضعفه في العام القابل . فان لم يكن عنده اضعفه ايضا فتكون مئة فيجعلها لقابل مائتين فان لم يكن جعلها اربعمائة يضعفها كل سنة او يقضيه .. وبناء على الروايتين

الدعوة الإسلامية علم وفن

للأستاذ
جمال بغدادي القاري

ان الانسان حينما يعالج الماده لا يطلب منه عاده الا اتقان المتعلقات الخاصة بتركيب وتاليف هذه الماده ، كالميكانيكي حينما يصلح عطبا في جهاز المحرك ، او المحلل الكيماوي وهو يؤلف بين العناصر لاخراج محلول جديد وهكذا في كل شؤون الميادين الصناعية والالية لا ترى الخبره تتعدى المظهر الخارجي لها .

وهذه المعرفة تتعقد قليلا حينما تنقل من دائرة الماديات الى مجال النفس والانسان لان المعرفة هنا تتطلب العلم ثم الاستبصار . اي ذلك الادراك الخفي الذي يدفعنا من الاعماق الى استكناه خفي الاحاسيس. واغوار الشعور وصميم العقل. فالمعرفة لم تعد مرتبطه بالمعرفة الآنيه بل وجب ربط التجربه الماضية والحياة السالفه بالحاضر وبالمستقبل حتى نستخرج النفس من حصنها المنيع . والمحلل النفساني يدرك هذه الصعوبات الجمه وهو يعالج الاضطرابات العقلية والنفوس العليلة .

غير ان المعرفه السابقه تصل الى منتهى التعقيد حينما يصبح الامر يتعلق بالمجتمع — وهو حاصل جميع الافراد — ومعرفة الناس تتطلب استعدادا خاصا وتكوينا علميا عميقا لا سبيل الى التقصير فيهما حتى تكون اتصال العالم الاجتماعي بمجتمعه وبجمهوره اتصالا مجديا عميقا ، مؤثرا ، والاتصال بالناس يتطلب التدريب النفسي الخاص حتى تنقاد الجماهير وتنفعل لما يقال ،و تنصاع للاوامر والنواهي ، والدعوة الاسلامية تتسم بهذا الطابع الاجتماعي لانها اتصال دائم بالناس وسعي مستمر لصرف الافراد والجماعات نحو المسلك الخلقي القويم ، ولذلك امكن اعتبارها من اصعب المهن وابعدها طواعية للداعي الغافل عن سنن المجتمع .

كانت الدعوة الاسلاميه في عصورها الذهبية ذات مفعول واثر باق ولعل السبب يعود الى بساطة الحياه في ذلك الحين ، وعيش الناس في كنف الدولة القوية المشرفة على سلامة الاجهزة الثقافيه وتماثل الطابع العام للبلاد والعقول، حيث ان الاتصال بالشعوب الاخرى كان محدودا لا كما هو اليوم في عصر السرعة والمواصلات البرية والجوية والبحرية التي تنقل مع السيارة والغسالة والتليفزيون المذاهب التحررية في الادب والفن والاخلاق ، ثم ان الحياة الديموقراطية المعاصره جعلت شريعة التنافس الفكري الحر على اشدها . وهذا الصراع قوى الوسائل وهذب اجهزة الدعاية واصبحت المجلة والكتاب والفيلم وغيرها تخدم جميعا فلسفة خاصة هي التحرر والتمرد والانانية المذهبية ، ونحن معشر المسلمين ماذا فعلنا لنقابل هذا التيار الجارف ، وهل تفهمنا منطق العصر ؟ ان الخطب التي تقال عندنا والكلام . الذي يردد في كل حين ليعكس البعد السديد عن المنهج السليم .

ولذلك اصبح من المحتوم البناء من جديد والتدريب الجذري . وتاهيل الرجال الاكفاء الذين يحملون الرسالة عالية مشرقة .

وباختصار نحن في حاجة الى ركائز اساسية لابد منها اذا اردنا البقاء الفعال للدعوة الاسلامية سالمة من الشوائب والعراقيل التي تصد انطلاق الفكر الاسلامي الحي وتجعله يدور في حلقة جامدة مفرغة

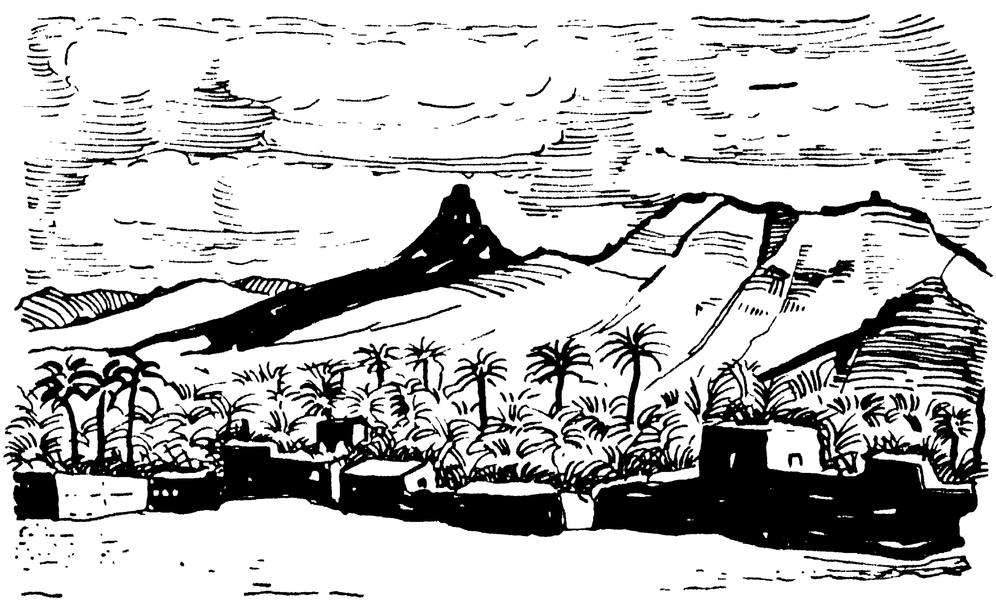
واريد هنا الاشارة الى جانبين اساسيين في تدريب الداعي المنشود وهما جانب علمي وآخر فني .

الجانب العلمي للدعوة :

لا سبيل من جعل القاعدة الاولى في هذا الاعتبار تعود الى الثقافة الاسلامية المحض ، وقد دخل

نمنع التفاضل فى التمر بالتمر مع اختلافه جودة وقيمة ونحن نشاهد فى الاسواق اختلافا عظيما بين انواعه . فبينما نجد نوعا يباع بثلاثمائة درهم للقنطار نجد الآخر يباع بمائه درهم للقنطار ولا يمكن ان تساوي بين النوعين وما اظن الحديث الشريف يعني مطلق الجنس ولو اختلفت انواعه ..

وبعد فالربا المحرم باتفاق العلماء والمذاهب هو ربا الجاهليه المعروف بربا النسيئة اخرنى فى الاجل ازدك فى الثمن ، واغلب الروايات على ان الزيادة كانت بتخفيف رأس المال لا مطلق الزيادة . اما ربا الفضل فقد علمنا انه حرم سدا للذرائع وخوفا من الوقوع فى الربا وان هناك من العلماء من احله للمصلحة، ولكن روح الاسلام تجعلنا نؤمن ان التفاضل فى الجنس المتفق جودة ونوعا وقيمة لا يمكن ان يجيزه الاسلام لانه تحليل باسم البيع لاستغلال المضطر او السفيه ، اما ان اختلفت اصناف وانواع الجنس الواحد فالتفاضل جائز لا للمصلحة فقط ولكن بصريح لفظ الحديث .. بقى لنا مسكلة البنوك والمصارف ورأى الاسلام فى معاملاتها الربوية وذلك ما سنعالجه فى العدد القادم ان شاء الله .



يميني او يساري او معتدل والمفروض في خطبة الجمعة على الاقل وفي الداعي الاسلامي ان يكون لسان الاسلام والصحيفة الناطقة المدوية لمجريات الحياة والاحداث .

فالطريق القويم للدعوة كامن اذن في حسن الربط بين الاسلام كدين وبين مشاكل الناس المتنوعة .

وهذا الربط ياخذ اعتباره اذا انتبهنا الى الاهمية الكبرى التي اصبحت طريقة كافة المربين الذين ادركوا ان الجانب التطبيقي هو حياة النظريات ، فقد كانت التربية القديمة تعتني بالشؤون النظرية وتقدم المعلومات والاساليب اللفظية البعيدة عن الحياة وعن الواقع الذي نعيشه كل يوم ، وكانت النتيجة ان المدرسة بعدت عن المجتمع واصبح التثقيف فارغ المضمون . اما التربية الحديثة ــ كما يقول زعيمها الامريكي « ديوي » فهي الاعداد للحياة . فالمتخرج من المدرسة الحديثة يجب الا يشعر بالغرابة عندما يصطدم بالوقائع اليومية في بيئته ، بل يجب ان يشعر ان ليس هنالك انقطاع بين المدرسة ومجتمعه ، وهكذا نرى ان الدين ايضا ان بقي مقبورا في المساجد والزوايا فسوف يفقد معناه الحي ، وعلى المصلح الاجتماعي المسلم ان يخرج الدين من دائرته المحدودة الى العالم الفسيح فلا يكون كالرجل المريض الذي لا يرى الشمس . ان الجانب الفني في الدعوة الاسلامية يحتل المكانة القصوى في ترسيخ الدين وتثبيت اركانه ، وعلى المصلح ان يدعو الناس بما يفهمون وفي المشاكل التي يعيشونها .

ان الدعوة الاسلامية لم تعد في عصر النور ادعية وتراتيل وانما اسلوبا حيا يسلط الاضواء الكاشفة على امراضنا وآلامنا فيقدم العلاج المستمد من قبس القرآن ، ويضع اللبنات الاولى للمجتمع الاسلامي المنتظر .



العقيدة كثير من الشوائب والخرافات والاساطير جاءتنا من الجهل والافساد المقصود والتحريف السافر خدمة لاغراض حزبية او شخصية او طائفية ، وهذه العوامل فعلت فعلتها منذ اقدم العصور حتى اصبحت لنا تركة ضخمة مما حرف وبدل من خالص العقيدة ، ولذلك وجب الرجوع الى المعين الصافي والمصدر الاول وهو القرءان ثم ما صح من حديث الرسول كنقطة انطلاق لا نحيد عنهما ولا نبتغي تعليلا وتوضيحا آخر يكون البرهان الفصل والحجة القاطعة دونهما ، وما نلتمسه من سبل اخرى يكون سديدا ما دام يتماشى مع القرءان والمسطرة الاولى كالتمعن في سير « الصالحين المصلحين » وكانتهاج سبيل المفكرين الذين اقتبسوا من روح القرءان والرسول سديد الرأي ومصفى العقيدة ، والتاريخ الاسلامي زاخر بالاسماء اللامعة التي تركت اثرا خالدا في دنيا العلم والفكر ، فالنماذج الحية لا تنقصنا وهي باقية ما بقي هذا الدين الحنيف ، غير ان الثقافة الاسلامية لم تعد كافية في مجتمعنا المعقد المختلط الذي اتصف بطابع العلم المادي والتسابق في العلوم الكونية ، واصبحنا لا نغفر للداعي المسلم جهل حقائق مكتشفات العصر ، ويجب ان نعلم ان العلوم هي نتائج الاجتهاد المستمر ، وبما ان الاسلام يدعو للتعلم والتنور العقلي فمن الواجب الديني ان نكون على بينة من بيئتنا القريبة والبعيدة .

والعلم حيادي بطبيعته لا يتصف بالصلاح او الفساد ما لم تدخل فيه ارادتنا الفاعلة وسلطتنا البشرية ، وطبيعة الاسلام الخيرة توجهه بعد ذلك نحو مسالك السلام ومنافع الناس ، وقد اهتم الجامع الازهر بتدريس كافة العلوم لطلاب الدعوة الاسلامية الذين يدربون تدريبا خاصا يؤهلهم لهذه الدعوة تجاه المشاكل التي يعيشها الناس في المجتمع الاسلامي وغيره .

ان اعداد الداعي الاسلامي للتعريف بالاسلام وحقائقه الخالدة لا ينبغي ان يكون قاصرا على مجتمعنا المؤمن فقط ، بل ان الهدف الرئيسي هو حمل هذه الرسالة من جديد الى الافاق البعيدة والامم المخالفة لعقيدتنا الجاهلة لمضمون الاسلام ، والعالم الغربي في حاجة ماسة الى فلسفة رشيدة تقوم مقام مذاهبه التي افلست حقا ، ولم تقدم للانسان الا الويل والدمار ، ان الناس هنالك في تطلع دائم الى ما يسد هذا النقص لانهم اشقياء النفوس ، واقرب الى الحياة الحيوانية الغريزية منهم الى المستوى الانساني الرفيع ، وهم على قدر انتصاراتهم في دنيا الماديات على قدر ما اسفوا في الفلسفات الانسانية ، واصبحوا اقرب الى الجنون والاضطرابات العقلية المدمنة والحسرة القاضية والقلق الشديد ، وهذه الحقائق يعرفها جيدا خبراء النفوس والمحللون النفسانيون يقتبلون في عياداتهم مئات الحالات المرضية كل يوم ، ولذلك يؤكد العلماء المسلمون الذين طافوا بهذه البلاد الغربية واتصلوا بافرادها ان هذه الظروف القلقة هي احسن جو ملائم لاستقبال نظام عقائدي جديد ، ولذلك يتدخل اعتبار آخر في هذا المجال بالاضافة الى التزود بالثقافة الاسلامية وبالعلوم وهو اتقان اللغات والتدرب على تعلم الالسن الحية التي بها نغزو العقول النائية التي لم يصلها شيء يذكر من حقائق الدعوة الاسلامية ، فاللغات وسائل لابد منها في الافهام والتفهيم والداعي الحقيقي هو الذي يخدم الاسلام في الميادين البكر التي لم نؤمن بعد ولم يصلها البلاغ .

الجانب الفني للدعوة :

وبهذا التكوين العلمي التام يخرج الداعي الاسلامي الى عمله الحقيقي وهنا يدخل الاعتبار الفني في حسن معالجة مشاكل الناس اعتمادا على هذا التدريب وحسن التوفيق بين الثقافة الاسلامية ومعضلات الحياة الاجتماعية ، وهذا التاهل يتطلب الاستعداد الخاص والقدرة الحكيمة على تقديم الحل الاسلامي الموفق للازمات الحالية الدائمة في كل الميادين .

ان المجتمع الاسلامي الحديث لا يعرف رأي الاسلام في مشاكله اليومية ، والداعي الاسلامي هو الصوت الحي الذي يقدم الحلول والاجوبة الشافية . مثلا، ما موقف الاسلام من ازمة برلين ومن حرب الكونغو ومن خطب كيندي وديغول ومن الجامعة العربية ، وما راي الاسلام في حل الاضطرابات المتكررة والازمات الاقتصادية والمشاريع الحاضرة في التعليم والفلاحة والصناعة ، ان فن الدعوة هو الربط الحكيم بين هذه النواحي التي نعيشها كل يوم دون ان نعرف موقف الاسلام الحقيقي منها ، فنحن نرى ان كل اتجاه حزبي او سياسي او طائفي الا وله صحيفة يومية او اسبوعية او شهرية تصدع برايها الخاص في الاحداث الدولية والمحلية ، وكل جريدة الا ولها ميل معين

تعالى « وكان الانسان اكثر شيء جدلا » وقال « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم »

وعليه ، فان كان ولابد من هذين ـ التنازع والجدال ـ فليكن ذلك بمعروف واحسان، قال تعالى: «ادفع بالتيهي احسن» وقال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن » من غير عداوة ولا بغضاء توصل الى التدابر والقطيعة ، بل بتسامح وعدل وانصاف ، شأن النفوس الزكية الطيبة ، والقلوب الطاهرة النقية وهذا غير بعيد على هذه وتلك ، بل ما اسهل الانصاف والرجوع الى الحق على المسلم المتأدب بآداب الدين خصوصا بين المسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله ، امتثالا لامر ربهم القائل لهم : « فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر ، ذلك خير واحسن تأويلا » فاي خير هذا ؟ واي تأويل احسن منه فى المدخل والمخرج ؟ ولكن ـ كما قال جل ذكره : « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » فى العلم والفهم ، وذو قلب كبير فى التسامح وطول الاناة .

فالرجوع الى الله والرسول يكون فى الشيء المتنازع عليه بين المسلمين ، واما الدفع بالتي هي احسن يكون مطلقا عاما مع المخالف وغيره ، حتى مع الاعداء بما جاء فى تمام الاية « فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم » وفى اولها قال « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة » وصدق الله ، فهما لا يستويان ابدا شرعا وطبعا ، فما اعظم آداب الاسلام ، وما اجل امره وحكمه .

جئنا بهذه المقدمة ونحن مقبلون على الخوض فى معلومات الفها الناس فاستقرت فى بعض الاذهان ، لا يبغون عنها حولا ، شأن المقلد الذي لا يفهم ، او بالاحرى لا يريد ان يفهم ، وبالاخص من كان يحسب انه على شيء من العلم ، والناس اعداء ما جهلوا ، او من جهل شيئا عاداه ، كما يقولون .

نقول هذا مشفقين بلا منة ولا غرور ، معترفين بما قال الله جل ذكره « كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا » وقد امنا وتبينا ، فلله المنة والحمد ، على ان هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

اللهم زدنا هداية وتبصرة لاتباع الحق ، وسلوك اقوم الطرق ، واحسن الاقوال .

ولندخل الآن فى صميم الموضوع من الآيات الثلاث المصدر بها فى عنوان هذا المقال ، وهي قوله تعالى « انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون ، لا يمسه الا المطهرون » .

فاقول ان هذه الآية الكريمة جاءت جوابا من الله عن قسمه العظيم الذي اقسم به قبل قوله جل ذكره « فلا اقسم بمواقع النجوم » وذلك ردا على المشركين المكذبين ، وابطالا لزعمهم الباطل ، اذ قالوا : ان القرآن الذي اتى به محمد (ص) تنزلت به الشياطين .

وفى عرف مشركي العرب واعتقادهم من عهدهم بالملة الابراهيمية : ان الشياطين انجاس غير مطهرين. قالوا ذلك على سبيل الذم والتحقير من شأن القرآن ومن اتى به ، فرد الله عليهم بقوله ـ الصادق الحق ـ فى سورة الشعراء » وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، انهم عن السمع لمعزولون» الاية 210ـ211ـ212 .

ولما كانت الشياطين انجاسا حقيقة ، فبالطبع لا ينزلون الا على امثالهم من بني الانسان ، « الخبيثات للخبيثين » انباهم الله بقوله آخر السورة نفسها « هل ابئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل افاك اثيم ، يلقون السمع واكثرهم كاذبون » اما الملائكة المطهرون ، فهم لا ينزلون الا على امثالهم من صفوة البشر انبياء ورسلا « والطيبات للطيبين » .

فالقرءان طاهر ـ وهو « فى صحف مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة » ـ لا يتنزل الا على طاهر وذي نفس مطهرة من الله ، قال تعالى « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين » وفى آية اخرى : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا » .

والمراد بالروح فى الآيتين : جبريل عليه السلام ، وهو من الملائكة الذين طهرهم الله ، واين الملائكة المطهرون ، من الشياطين الانجاس ، واين الرسل المعصومون من الكهان الافاكين الاثماء .

أضواء على آيات قرءانية

للأستاذ حسن البغدادي القادري

البحث الاول — قال تعالى : « انه لقرءان كريم . فى كتاب مكنون ، لا يمسه الا المطهرون » سورة الواقعة الآية : 77—78—79 .

تحت هذا العنوان نتعرض لعدة آيات من القرءان الكريم بالفحص والتمحيص . ونعيد النظر فى الوجه او الوجوه التي فسرت به الآية ، لنرى ايها اولى واحق بما اراده الله ويريده فى كتابه العزيز وقد انزله علينا بلسان عربي مبين على اتم جلاء واكمل وضوح لنتدبره احسن تدبر ، ونتفهم معانيه على الوجه الصحيح كي يتسنى لنا ان نقوم باعتقاد ما ما يلزمنا اعتقاده ، واداء ما يطلب منا عمله من آداب واحكام فى الدين والحياة .

وذلك على ضوء ما جاء فى القرءان نفسه باستعراض عموم الآية الواحدة فى المواضيع التي يطرقها القرءان ، وهذا لا يفي ولا يكفي حتى نستوعب جميع ما فى القرءان من الآيات الواردة فى مثل ذلك الموضوع ، فان الآيات تكمل بعضها ، وتخصص مطلقها، او تبين مجملها ، وتوضح مشكلها والقرءان يفسر بعضه بعضا فى كثير من الآيات . وذلك احسن الوجوه واولاها بالتقديم ، لانه من كلام الله الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد) .

ثم لابد من عرض آخر على ضوء ما ورد فى السنة الصحيحة وبيان الرسول (ص) المنزل عليه من ربه : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » كما نستأنس بمفاهيم الصحابة — رضوان الله عليهم — اولئك الذين عاشروا نزول الوحي ، وعرفوا اسباب نزوله ، وحقائق وروده .

وكل هذا — وذاك — لا يكون الا على اساس قواعد اللغة العربية والاساليب التي تعرفها العرب الذين نزل القرءان بلسانهم . اذ هم المخاطبون به اولا وبالذات ، فلا يعرف الا بلسانهم . ولا يفهم الا على ذوقهم جملة وتفصيلا .

ونحن اذ نعتمد على شيء . فاعتمادنا على هذه الاضواء المنبعثة من العناصر الثلاثة . وما جاء فيها من دلائل قاطعة . وبراهين ساطعة . تنير الاذهان . وتدفع الشك باليقين ، فتدخل على النفس برد الرضى . وحلاوة الاطمئنان .

آيات محكمات . ودلائل بينات . جلية فى نفسها واضحة فى امرها ودرسها . وبما تحوطها وتكشفها من جلاء القصد . ونصاعة الموضوع .

نضع كل هذا — حسبما نتوفق اليه ان شاء الله — امام القارىء الكريم وتحت بصره على صفحات هذه المجلة الزاهرة ب « دعوة الحق » وما ننشره من ابحاث دينية قيمة ، وآراء علمية نزيهة . تنير السبيل . وتهدي للتي هي اقوم ، بالحكمة والموعظة الحسنة . والاقناع بالحجة والبرهان على صراط مستقيم . وفى طريق واضح سليم . لا مداجاة ولا تخريف ، ولا التواء ولا تحريف . ان شأن من يريد الحق والخير — لنفسه وللناس — المطالبة بالدليل والمحاكمة اليه اذعانا للحق واعترافا به . فى جو ملؤه الصفاء وصدق الاخلاص . وذلك مما يبعد عن المراء والجدل الممقوت ، وقد جاء فى الحديث الشريف : « ما اوتي قوم الجدل الا ضلوا » الجدل على الباطل وطلب المغالبة به .

نعم ان التنازع والجدال امر فطري وهو مركز فى الطباع البشرية لا محيد عنه بحق او باطل . قال

أبحاث ومقالات

وجهة التاريخ

للأستاذ
محمد زنيبر

منذ دخل النوع البشري الى التاريخ ، وهو ينتقل من طور الى طور ويتدرج فى سلم الرقي والتقدم، ويضيف كل يوم مكاسب جديدة الى مكاسبه القديمة ، بحيث كان فى الاول لا يختلف عن الحيوان فى شيء يقتات مثله باللحوم النيئة والاعشاب ، ويسكن مثله فى الكهوف والمغارات ، وصار فى الاخير يستمتع بعيشة لا صلة بينها وعيشته الاولى ، اذ كل شيء فيها دخلت عليه افانين الصنعة ، وتكيف حسب ما يقتضيه هواه ويوافق راحته ورفاهيته وحاجته ، بينما الحيوان ظل كما كان اول يوم فى كل مظاهر حياته .

هذه القابلية للتغير والانتقال من حال الى حال التي توجد عند الانسان هي التي صنعت التاريخ ، وهي التي مكنت البشرية من ان تسيطر شيئا فشيئا على الطبيعة . وهي التي نسميها تارة الذكاء الانساني وطورا العبقرية الانسانية .

ولكن هل هي مجرد قابلية فقط أم هي اكثر واعمق من ذلك ؟ فنحن عندما نستعمل كلمة قابلية نفهمها بمعنى استعداد يوجد عند الانسان يتصرف فيه بكامل الحرية ، يستغله متى شاء ويبطل مفعوله عند الاستغناء ، وعلى هذا ، فسؤالنا معناه : هل التطور امر خاضع للارادة الانسانية يدبره كما يشاء ؟ أم هناك عامل او عوامل تحتم على الانسان ان يسير فى طريق معينة ؟.

وبعبارة اخرى ، هل للتاريخ وجهة يقصد اليها حتما ام التاريخ عبارة عن نسيج من الاحداث الاتفاقية ليس لها اي مدلول ؟

ذلك اهم سؤال يعترضنا فى دراسة التطور البشري ، وحسب ما نقدم من جواب عليه ، سنكون اخذنا اتجاها معينا ومنطقا خاصا فى فهم التاريخ .

حرية الانسان والتاريخ :

فاذا اخذنا بمذهب القائلين بان الانسان يتمتع بحرية كاملة فى تكوين تاريخه وتسييره ، اصبحنا نرى العالم وما يجري فيه من احداث على صورة خاصة واستخلصنا من ذلك نتائج اهمها :

1 — ان كل المذاهب القائلة بحتمية التطور باطلة من اساسها ، ما دام امام الانسان حرية الاختيار وحرية العمل .

2 — ان الفرد هو العنصر العامل فى التاريخ وان دور الشعوب يبقى ثانويا بالنسبة للرجال الموهوبين الافذاذ الذين يصنعون التاريخ ، ذلك ان الحرية بمعناها العميق الواسع لا يمكن ان توجد الا بالنسبة للافراد ، اما بالنسبة للجماعة ، فان الحرية مقيدة بالقوانين الاجتماعية ، ثم أن الارادة الجماعية تتكون فى الواقع من تشارك الارادات الفردية واتفاقها على بعض الاهداف ، كما بين ذلك « روسو » فى كتابه « العقد الاجتماعي » والحرية لا يمكن ان تقترن مع تعدد الارادات ، ولكنها صفة للارادة الواحدة ، ينبني على ذلك أنه اذا ما ثبتت نظرية الحرية فى توجيه التاريخ ، فان الفرد هو الذي يمكنه ان يتصرف فى تلك الحرية ، لان الفرد هو وعاء الارادة الواحدة .

3 — انه لا يوجد خارج ارادة الانسان أى عامل يؤثر بصورة فعالة على سير الاحداث التاريخية وتوجيهها ، لان وجود مثل هذا العامل من شانه ان يتنافى مع حرية الاختيار لدى الانسان التي يقول بها اصحاب هذا المذهب ، فالظروف السياسية والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ليس لها من اثر فى التطور الا بقدر ما تتلاءم وارادة الفرد العامل فى التاريخ ، بل ان فى مستطاع الانسان ان يقاوم مفعول هذه المؤثرات الخارجية ويعمل باستقلال عنها .

فالقرءان تنزيل من رب العالمين ، وهو — اي القرءان — معلوم عند الخاص والعام ، هذا الكتاب المتعبد بتلاوته ، المعجز بفصاحته للعرب قبل غيرهم — وهم اهل اللسان ، وفرسان البيان ، والمعجز باسلوبه ومعانيه للانس والجن اجمعين — تحديا لهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا — لا يقدرون على الاتيان بمثله — ولو باقل سورة منه — لا فى الماضي ولا المستقبل البعيد على مدى الزمن وهو الكتاب الذي تكفل الله بحفظه دون الكتب السماوية ليبقى ابد الدهر .

اما « الكتاب المكنون » فلا نعلم عنه شيئا الا ما اخبرنا به الله فى كتابه الكريم ، او جاء على لسان نبيه (ص) فيما صح عنه : انه اللوح المحفوظ ، والكتاب المبين ، فى مختلف الايات والسور : « انه لقرءان كريم ، فى كتاب مكنون » بل هو قرءان مجيد فى لوح محفوظ » « انا جعلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون ، وانه فى ام الكتاب لدينا لعلي حكيم » .

فيذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات كلها : ان القرءان كريم ، مجيد ، وانه لعلي — اي على كل كتاب قبله — حكيم — اي ذو حكمة بالغة — وقد جعله الله قرءانا عربيا ، وانزله بلسان عربى مبين — هو مثبت عنده ولديه فى كتابه الذي فى السماء ، مكنون مصون ، ومحفوظ لا تصل اليه ايدي الشياطين ، ولا يمسه الا المطهرون من الملائكة بالتلقي والانزال على عبده ورسوله محمد بن عبد الله (ص) .

فيظهر من كل هذه الآيات المتناسقة — وهي متظافرة على شيء واحد بمختلف الاساليب والالفاظ — ان آية : « لا يمسه الا المطهرون » لا علاقة لها بنهي اصحاب الاحداث من البشر عن مس المصحف المعلوم حتى يتطهروا الطهارة الشرعية الخاصة .

ثم ان الآية مكية قبل ان يكون هناك مصحف مجموع ، وهو بعد لم يكمل ولم يجمع ، وزيادة على ذلك فان الاعتناء فى السور المكية انما هو باصول الدين من تقرير التوحيد والمعاد والنبوة ، واما تقرير الاحكام والشرائع فمظنة السور المدنية كما هو مقرر فى علوم القرءان وما حققه الائمة العظام من علماء السلف الصالح رضوان الله عليهم .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان الآية لا نهي فيها وقد سيقت للاخبار فى جواب القسم ، واخبار الله حق وصدق ، لا يرد ولا ينقض . وقد اخبر الله سبحانه وتعالى مؤكدا : ان هذا القرءان فى كتاب وهو فى السماء عنده — مكنون مصون ، لا يمسه الا المطهرون وهم الملائكة ، اما المصحف المعلوم ، فهو فى الارض غير مكنون ولا مصون فيستطيع ان يمسه المنافق والكافر ، والمشرك النجس .

ومن قال من المفسرين ان الخبر فى الآية يراد به النهي — كما جاء فى تفسير الجلالين — فقد تكلف تأويلا شططا لا داعي له ، وهو — فى هذه الآية — بعيد كل البعد ، ان لم يكن باطلا لا يصح ، لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ، فان فعل (لا يمس) مرفوع بالضمة ، ولو كان نهيا لكانت السين منصوبة بالفتحة كما هو الشأن فى الفعل المضاعف المضارع المجزوم ، وفى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه : « ما يمسه الا المطهرون » بالنفي الصريح الذى لا يحتمل النهي مطلقا ، وذلك مما يؤيد الفهم الراجح الذي ذهب اليه معظم المفسرين واقتصر عليه جمهور المحققين .

هذا من جهة اللفظ ، واما من جهة المعنى فلا يصح ان يكون هناك نهي يتوسط جملة اخبار فى جواب القسم .

وكذلك جملة « فى كتاب مكنون » فهذا الوصف غير واضح ، اذ يقال : عن اي شيء مكنون ؟ ولماذا ؟ فتكون الجملة — حينئذ — مبهمة خصوصا وانها متلوة بجملة يقصد بها النهي — كما يؤولون — ويكون الاخبار عن القرءان الكريم : انه فى كتاب مصون ، ثم لا يجوز ان يمسه — اي القرءان — الا المطهرون اي المتطهرون من الاحداث . هكذا يؤولون ويقولون .

احداث التاريخ ومشاكل الجماعة :

الواقع اننا عندما نمعن النظر فى ذلك التاريخ ونتدبره بعمق ، نجد ان هذه النظرية تقبل الجدال بصور جلية .

لنعد الى مثال الدولة العباسية ، واول ما نلاحظه ان هذه الدولة نشأت فى نطاق تطور العالم الاسلامي، فهي التي تحملت مسؤولية الخلافة وتولت قيادة ذلك العالم طوال مدة مديدة من التاريخ .

ومعنى هذا انها ورثت عن الدولة الاموية ما كانت تتخبط فيه من مشاكل ومعضلات ، اضافت اليها ما تمخض عنه زمامها من مشاكل جديدة .

والدولة الاسلامية بوصفها دولة تأسست على مبادىء الاسلام الثورية ، نشأت معها منذ اليوم الاول مشاكل مذهبية كان لها فيما بعد الاثر البالغ فى سير الاحداث ، ومن بين هذه المشاكل مشكلتان اساسيتان نقف عندهما الآن لحظة قصيرة :

المشكلة الاولى تتصل بنظام الخلافة وشكلها .

المشكلة الثانية تتعلق بتطبيق مبدأ المساواة الاسلامية بين العرب الفاتحين والشعوب التي دخلت تحت حكمهم واعتنقت الاسلام .

فمشكلة الخلافة كانت فى الواقع منذ اليوم الاول هي مشكلة الحكم الديموقراطي فى الاسلام ، كما بين ذلك طه حسين فى كتابه « الفتنة الكبرى » فلقد حاول الخلفاء الراشدون ، كل حسب اجتهاده ، ان يحققوا نوعا من الديموقراطية طبقا لمبادىء الدين الجديد الذي يقر المساواة والشورى فى تدبير مصالح الجماعة ويصون كرامة الانسان وحريته ، مما جعل الحكم فى ايام الاسلام الاولى يمتاز بنوع من النزاهة والعدل .

ولكن ، سرعان ما ظهرت عند بعض الاسر القرشية الكبرى نزعة لاحتكار منصب الخلافة لفائدتها مما ادى الى نشوء التطاحن بين تلك الاسر ، ونشير هنا بقصد التذكير الى النزاع الذي قام بين بني هاشم وبني امية ، وبين بني الزبير وبني امية ، وبين بني العباس وبني امية ، وبين بني العباس وبني علي ، فالصراع على كرسي الخلافة انحصر ، كما يرى القارىء ، بين بعض الاسر القرشية وسقوط منصب الخلافة فى الاطماع الشخصية جعله ينسلخ شيئا فشيئا عن صبغته الديموقراطية التي اكتساها نوعا ما فى ايام الخلفاء الراشدين .

وكان من الطبيعي ان تثير هذه الاطماع رد فعل قوي لدى العرب وغيرهم من الشعوب الاسلامية ، بحيث ان تلك الفكرة الديموقراطية لم تمت ، بالرغم من سيطرة تلك الاسر على الموقف ، فقد احتضنها الخوارج الذين كانوا يذهبون الى ان الخلافة حق مشاع بين جميع المسلمين ، الاحرار منهم والارقاء على السواء .

وكما يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه « تاريخ الاسلام السياسي » ، فقد « انضم الى الخوارج وغذى صفوفهم اولئك العرب الخلص من رجال الصحراء وبخاصة بعض القبائل العربية ذات الخطر والشأن ، مثل قبيلة تميم وابطال القادسية ورؤساء الجند الذين انضم اليهم اولئك المتطرفون فى الاسلام من اهل الصيام والصلاة ، كما سماهم بذلك الشهر ستاني ، ورأوا ان جماعة المسلمين اصبحت فى خطر بسبب المطامع الشخصية » . (انظر ج 1 ص 301)

وكان يمثل الفكرة المناقضة للخوارج الشيعة الذين كانوا يقولون بان الخلافة يجب أن تنحصر فى آل البيت ولا تصح لغيرهم .

والمشكلة الثانية تدخل هي ايضا فى نطاق تطبيق الديموقراطية الاسلامية ، فمن جملة المبادىء التي دعا اليها الاسلام مبدأ المساواة بين المسلمين مهما كانت جنسيتهم وسلالتهم ولونهم ، بحيث لم يجعل للعرب وهم قوم النبي اي فضل على غيرهم من المسلمين الذين ينتمون لامم اعجمية .

ولكن الى اي حد استطاعت الدولة الاسلامية ان تطبق هذا المبدأ ؟ وهل امكنها ان تمنح للموالي نفس الحقوق التي كانت تمنحها للعرب ؟

اذا عدنا الى تاريخ الدولة الاموية التي تمت فى ايامها الفتوحات الكبرى وتوطدت اركان الامبراطورية الاسلامية ، نجد ان هذه الدولة لم تكن تعتمد الا على العنصر العربي فى ادارة شؤون الحكم ، فولاة الاقاليم والموظفون السامون، وقواد الجيش، والجند انفسهم كلهم

ذلك بعض النتائج الحاصلة من المذهب الذي يقول بان التاريخ لا يسير حسب اتجاه معين ، وانما هو تسلسل احداث عرضية كان من الممكن ان يقع غيرها ونكون مناقضة لها ، ومعنى هذا ان التطور المشاهد حسيا في احداث التاريخ لا يسوغ تأويله حسب فلسفة او عقيدة ، بحيث ان ما ظهر في التاريخ من شرائع وما نشب من ثورات قلبت الاوضاع وغيرت وجه الحياة لدى امم وامم لم يكن ، حسب هذه النظرية ، ناجما عن ضرورة اوجدها التطور واقتضتها ظروف موضوعية خارجة عن ارادة الانسان ، قاهرة لها .

هذه الاستنتاجات التي توصلنا اليها من نظرية حرية الانسان في التاريخ قد تكتسي في اعيننا صبغة الحقيقة الثابتة العميقة عند ما نتاملها على ضوء بعض الاحداث التاريخية ، خاصة في القرون الماضية ولكن، سنرى بعد دراسة احد الامثلة من التاريخ العربي الاسلامي ان تلك الصبغة انما هي ظاهرية .

ومثالنا هو العصر العباسي ، فنحن عندما نقف وقفة قصيرة في هذا العصر ونستعرض احداثه . نجد وقائع كثيرة تبين لنا ان الفرد هو العامل الفعال في التاريخ ، فكل خليفة من ابي العباس السفاح ومن يليه يظهر وكانه يتصرف تصرفا خاصا به لا يخضع لاي مؤثر خارجي عن ارادته ، فالامة الاسلامية لم يكن لها حسب الظاهر اي وسيلة للتاثير عليه ، ومصداق هذه الحرية الظاهرية هو ما نراه من تناقض صراح بين الخلفاء في بعض تصرفاتهم ، من التغاضي والتسامح الديني ومنهم من اظهر عطفا على آل البيت وشيعتهم ومنهم من اضطهدهم ونكل بهم .

ومما يزيدنا اعتقادا بان الفرد هو الذي يسير التاريخ ، ان هذا الحكم المطلق الذي كان يتمتع به الخلفاء آنذاك كان ينسجم ظاهريا مع روح العصر ، فلم يكن يثير اي تعجب او استنكار من معاصريه ، فالامة بالنسبة للخليفة كالمادة الخام تخضع لارادته وتتحول بمشيئته ، وهذا منطق في فهم الحكم تقبله الامة وتسلم به ، فهو متفق عليه سلفا من جانب الحاكم والمحكوم ، نتيجة للتقاليد القديمة ولبعض التعاليم الدينية ، وللهيبة التي يحظى بها الحاكم امام المحكوم .

وبالجملة ، فنحن عندما نعتبر الظاهر والقرائن البارزة ، نستنتج من دراسة تاريخ الدولة العباسية :

1) ان الحاكمين ورجال الحل والعقد كان لهم مطلق التصرف كافراد في تسيير الاحداث وتوجيهها وفقا لاهوائهم وغرضهم .

2) ان ما يسمى بالشعب او العامة لم يكن له دور بارز فعال ، نعم، قد يثور في بعض الاحيان ويحدث الضوضاء والفتنة ، ولكنها ثورة غير ذات اهداف ، سرعان ما يخمد اوارها وتبقى الكلمة الاخيرة لرجال الحكم .

وهكذا ، فان الصراع الذي يحفل به تاريخ الدولة العباسية لم يكن بين الشعب وحكامه ، وانما بين الافراد البارزين الطموحين الذين يتنازعون على الجاه والسؤدد ، فالرغبة في الحكم او « ارادة القوة » كما يقول « نيتشه » هو المحرك الذي يدفع الاحداث ويخلق التاريخ . هذا ما نشاهده في قصة ابي جعفر المنصور مع ابي مسلم الخرساني وفي قصة الرشيد مع البرامكة ، وفي النزاع بين الامين والمامون وفي ما نشب من صراع بين الخلفاء وبعض المسيطرين على مقالبد الدولة امثال البويهيين وغيرهم .

ويخيل الينا ان الشعب يحضر لهذه الاحداث دون ان يشارك فيها ، وانما يقف موقف المتفرج الذي لا ينتظر شيئا لنفسه ، وانما هو متفرج يجذبه حب الاطلاع والاستزادة من المعرفة .

ذلك هو الاستنتاج الذي نخرج به لاول وهلة عندما نلقي نظرة سريعة على تاريخ الدولة العباسية التي لم نخترها الا كمثال ، وغيرها من الدول التي كانت في العصر القديم والعصر المتوسط .

ومعنى هذا الاستنتاج ان تاريخ تلك الدول لا يبين عن اتجاه معين ، وانما هو تسلسل احداث في شكل فوضوي وصراع متواصل بين اشخاص وعصبيات .

فهل يمكننا ان نطمئن الى هذا الاستنتاج ونقبله كقول فصل في الموضوع ؟

وهذا القلق تجلى ، بصورة عامة في الضعف الذي اخذ يسري شيئا فشيئا للخلافة العباسية ، وفي تفككها وانقسامها ، كما تجلى في عدة ثورات قامت في مختلف انحاء العالم الاسلامي ، فالبربر في المغرب انساقوا مع دعوة الخوارج واسسوا عدة دول ، والشيعة في الشرق ما فتئوا ينتفضون ، وثورة الزنوج والقرامطة ما هي الا مظهر من مظاهر القلق الاجتماعي الذي يكاد يشابه في شكله الثورات الاشتراكية .

لقد خلق الاسلام في نفس الشعوب آمالا ، واحيا فيها مطامح ، وحركها للوصول الى مثل عليا ما فتىء الانسان يتطلع اليها ، وعاد من المستحيل ان لا يتأثر التاريخ بتلك الطاقة الثورية التي حملها الاسلام ، فاتجاه التاريخ في عهد الدولة العباسية مقيد، ولا شك، بتلك المطامح التي كانت تحملها الشعوب الاسلامية .

وهنا تعترضنا مشكلة جوهرية : اذا كانت هذه النظرية صحيحة ، فما بال ذلك الاتجاه الذي لاحظناه في تاريخ الدولة العباسية لم يصل الى اهدافه ؟ وما بال الشعوب الاسلامية ظلت على ما هي عليه لم تحقق اي مطمح من مطامحها ، بل انها سارت نحو التدهور والانحطاط ؟

سؤال لا ينفي وجود اتجاه في التاريخ وانما يلاحظ ان ذلك الاتجاه يظل بعيدا من اهدافه ، ومعنى هذا ان التاريخ يسير نحو وجهته ، ولكنه يسير ببطء لا نسبة بينه وبين عمر الانسان .

بحيث انه قد تمر اجيال واجيال بل قرون وقرون دون ان يظهر للتاريخ اتجاه في سيره ، وقد تتعدد الاحداث والثورات دون ان تصل الى نتيجة ، بل ربما تدهورت الاحوال وسارت من سيىء الى اسوأ ، وهذا ما حصل بالضبط في تاريخ الدولة العباسية ، حيث تكاثرت الاحداث بشكل فوضوي قد يحار فيها المؤرخ .

ومع ذلك ، فلا يصح لنا ان نقول ان التاريخ العباسي لم يكن له اتجاه ، بل الاولى ان نتساءل هل لم يكن هنالك اتجاه يعمل عمله في الخفاء ، وسواء تحققت المطامح التي يحملها ذلك الاتجاه ام لم تتحقق آنذاك ، فالذي يهمنا الآن هو ان نعلم ان تلك المطامح هي التي كانت تحرك التاريخ وتغذيه بالاحداث وتضع امامه اهدافا وقبلة .

وعدم تحقيق تلك المطامح انما يرجع الى كون الدولة الاسلامية عجزت في النهاية عن تطبيق النظام السياسي والاجتماعي الذي اتى به الاسلام ، وبذلك فقدت قوتها المعنويةو سارت في منحدر التدهور والانحطاط وهذا الانحطاط انما يصور لنا اليأس الذي اصبحت تعيش فيه الشعوب الاسلامية ، بعد ان ظلت حقبة من الزمان يحدوها الامل والثقة والحماس .

فهو في الواقع يقدم لنا صورة معكوسة عن اتجاه التاريخ ، صورة تبين لنا ان الامم اذا لم تساير التاريخ في اتجاهه ولم‌تقبل سنن التطور الاجتماعي، فانها تنحل وتنهار ، وتفقد شخصيتها كاملة . وتعيش في غيبوبة قد يطول امدها .

حقا ان كفاح الشعوب الاسلامية من اجل العدالة والديموقراطية لم ينته في العصر الوسيط الى نتيجة حاسمة ، ولكن يبقى مع ذلك ان ذلك الاتجاه وتلك الاهداف لم تمت ، ولم تفقد قوة جاذبيتها بالنسبة لكل الشعوب ، اسلامية كانت ام غير اسلامية .

وانحطاط الشعوب الاسلامية ليس معناه ان التاريخ توقف في سيره او تحول عن وجهته ، انما معناه ان المشعل سينتقل من يد طائفة من الامم الى طائفة اخرى ، من يد الشعوب الاسلامية التي لم تستطع اقرار الحكم الديموقراطي الى يد الشعوب الاروبية التي سيساعدها التطور والظروف على ان تخطو خطوات واسعة في هذا السبيل .

وهذا لا يدل مطلقا على تفوق خاص يمتاز به الاروبيون وانما على كون الاروبيين توفرت لديهم كل الشروط التي سهلت عليهم تحقيق ما عجزت عنه الامم السابقة ، على أن الامم الاروبية قد استفادت كثيرا من التجارب التي عاشتها الدول الاسلامية .

ومهما يكن ، فان تاريخ الدولة العباسية ، رغم الظواهر ، يدل على وجود اتجاه واهداف كانت الامم الاسلامية تنحو اليها وتكافح من اجلها ، وهذا ما يلحم ذلك التاريخ ويجعل له معنى ومغزى .

على اننا اذا تركنا الدولة العباسية وكل دول العصر الوسيط والقديم وانتقلنا الى العصر الحديث ، فسيظهر لنا بصورة اوضح واتضح ان للتاريخ اتجاها محتوما يسير نحوه رويدا رويدا ، ولكنه لا ينحرف عنه ، ولربما تناولنا في مقال قريب هذا الموضوع على ضوء احداث العصر .

عرب، وبقاء النفوذ والسلطة بيدالعرب على هذه الصورة جعل الموالي يشعرون انهم مسودون وأن العرب هم السادة ، وكان لهذا الوضع أثره فى اذكاء روح القومية لديهم وفى دفعهم نحو مواقف العداوة والتمرد .

ولقد ثار الموالي على الحكم الاموي ، بالفعل ، وحاربوا فى صفوف الخارجين عليه ، فانضموا الى الخوارج وشاركوا فى فتنة عبد الرحمن بن الاشعث ، وفتنة يزيد بن المهلب وغيرهما من الثورات .

وهكذا ، نشأت المشكلة الثانية التي كان لها اثر عميق فى تاريخ الاسلام ، وهي المشكلة الناشئة عن العجز فى تطبيق مبدأ المساواة على حقيقته ، لقد اراد الاسلام أن يقيد العلاقات فيما بين الافراد بهذا المبدأ ويحررها من منطق القوة حتى يبقى الضعيف آمنا على حقوقه ، الا ان الحكام ، على ما يظهر ، لم يقووا على تحقيق هذه الارادة الى اقصى حدودها .

هانان مشكلتان اساسيتان صادفتهما الدولة الاسلامية الفتية حينما انحرف رجالها عن تطبيق الديموقراطية التي جاء بها الدين الجديد ، فقد عجزت من جهة ، أن تعطي لنظام الخلافة والحكم، بصفة عامة، الشكل الواضح المنطقي المطابق لمبادىء الاسلام ، كما انها من جهة اخرى ، لم تستطع ان تجعل من المساواة الاسلامية حقيقة واقعة فى العالم الاسلامي .

فمشكلة الخلافة وما اثارته من اهواء جامحة وصراع عنيف هي التي كانت سببا فى انهيار دولة الخلفاء الراشدين بعد مقتل علي ، وهي التي كانت سببا فى انقراض الدولة الاموية فيما بعد .

ومشكلة عدم التساوي بين العرب والموالي هي التي كانت سببا فى خلق حزب جديد فى الدولة الاسلامية يناوىء حزب العرب ، وهو حزب ابناء الشعوب المغلوبة ، وخاصة منهم الفارسيين والخراسانيين .

وقد برهن هذا الحزب عن وجوده حينما اصبح عاملا اساسيا يؤثر فى تاريخ الدولة الاسلامية واتجاه تطورها فالدولة العباسيةالتي اتخذناها مثالا لدراستنا انما هي ثمرة لكفاحه السياسي ، وما انتقال العاصمة من دمشق الى بغداد القريبة من فارس الا حادث يرمز بكيفية واضحة الى أن الدولة لم تعد دولة العرب وحدهم ، وانما هي دولة مشتركة بينهم وبين الشعوب العجمية التي دخلت الاسلام وهذا ما دل عليه فيما بعد دلالة واضحة دخول العناصر العجمية بكثرة فى خدمة الدولة العباسية وتقلدها للمناصب السامية على اختلافها من كتابة وحجابة ووزارة وقيادة عسكرية وما الى ذلك .

واذن ، لم يكن تاريخ الدولة العباسية تاريخا يتكون من احداث مفككة ، كما خيل الينا اول مرة ، بل هنالك عوامل تعمل فى الاعماق واحيانا فى الخفاء ، هي التي توجه ذلك التاريخ وتحرس سيره وتغذيه بالاحداث ، وهذه العوامل على اختلافها ترجع الى عامل اساسي واحد وهو رغبة الشعوب فى العدل والحكم العادل .

لقد جاء الاسلام فى وقته كثورة تاريخية تمثل بالنسبة لسائر الامم الموجودة آنذاك خطوات جريئة الى الامام ، فقد نادى بالمساواة بين البشر دون أي استثناء ووضع اسسا جديدةللحكم هي اقرب ما تكون للديموقراطية الحديثة ، وهذه الروح الثورية هي التي جعلت الاسلام ينتشر بسهولة ويغزو ضمائر الشعوب ويحل محل العقائد الجامدة المنافية للعقل .

لكن اتجاه الدولة الاسلامية بعد الخلفاء الراشدين وتصرفات رجال الحكم اظهرت لتلك الشعوب التناقض الموجود بين مبادىء الدين وتعاليمه ، وبين ما ياتي به الساسة والمتصرفون ، وكان الشعور بهذه الظاهرة هو بداية التنافر بين الحاكمين والمحكومين .

التاريخ مرتبط بمطامح الشعوب :

ذلك ان تاريخ الدولة العباسية لم يكن من صنع الرجال الافذاذ امثال ابي جعفر المنصور والرشيد والمامون وغيرهم ، كما تصورنا لاول وهلة ، وانما هو نتيجة لكفاح الشعوب الاسلامية فىسبيل الحصول على الحكم العادل ، لقد ثارت تلك الشعوب على الخلافة الاموية لما تبين لها انها تسلك سياسة متحيزة للعرب وعملت على قيام دولة اخرى تكون احفظ لحقوقها فكان هذا هو الاصل فى الدولة العباسية .

لكن الدولة العباسية ان استطاعت ان تزيل الفوارق بين العرب وغيرهم من الشعوب الاسلامية ، فانها لم تستطع ان تحل المشاكل الاجتماعية لتلك الشعوب وانما اقتصر عملها على ترضية بعض الاسر الفارسية والتركية والاعتماد على شوكتها وعصبيتها ، فكان هذا سببا فى نشوء قلق جديد داخل المجتمع العباسي .

والملاحظ ان شعراء الاندلس المتازين امثال ابن هانيء وابن زيدون وابن دراج القسطلي وابن شهيد ظلوا محافظين على طريقتهم التقليدية ولم ينظموا في الموشحات وان كان لبعضهم شيء قريب منها . فابن هانيء مثلا كان له بعض القصائد الشبيهة بالموشحات والازجال وابن زيدون له مخمسات اعتبرها بعض الباحثين من الموشحات وهي ليست منها كالتي يقول فيها :

سقى الله اطلال الاحبة بالحمى
وحاك عليها ثوب وشي منمنما
واطلع فيها للازاهر انجما
فكم رفلت فيها الخرائد كالدمى
اذ العيش غض والزمان غلام
اهيم بجبار يعز واخضع
شذا المسك من اردانه يتضوع
اذا جئت اشكوه الجوى ليس يسمع
فما انا في شيء من الوصل اطمع
ولا ان يزور المقلتين منام
قضيب من الريحان اثمر بالبدر
لواحظ عينيه ملئن من السحر
وديباج خديه حكى رونق الخمر
والفاظه في النطق كاللؤلؤ النثر
وريقته في الارتشاف مدام

وفي العصر المرابطي . ويعتبر العصر الذهبي لهذا الفن بفضل تشجيع المسؤولين الذين كانوا ميالون الى عدم التقيد بتقاليد الشرق . لمع اسم احمد بن على السهير باعمى طليطله الذي عمل مع ابن بقى (*) على رفع مستوى الموشحة الى مكانة القصيدة وجعلها تنافسها حيث بدأت تعالج كل الموضوعات . وقد كان ابن على شاعرا مجيدا ومع ذلك فقد كانت موشحاته سبب ما نال من حظوة وشهرة . اما ابن بقى واسمه يحيى بن عبد الرحمن القرطبي فقد اشتهر بمدحه لبني القاسم قضاة سلا بالمغرب وكان مكثرا من التوشيح حتى لقد قال عنه صاحب الخريدة ان له ما ينيف عن ثلاثة آلاف موشحة ومثلها قصائد ومقطوعات .

ومن اشهر الوشاحين في هذا العصر الفيلسوف الشاعر ابو بكر محمد بن يحيى السرقسطي المعروف بابن باجة وابو بكر محمد بن عيسى بن قزمان القرطبي الذي قال عنه صاحب « المغرب » انه كان (امام الزجالين بالاندلس) وانه انصرف عن النظم المعرب عند ما راى نفسه تقصر عن افراد عصره كابن خفاجة وغيره فعمد الى طريقة لا يمازجه فيها احد منهم فصار امام اهل الزجل المنظوم بكلام عامة اهل الاندلس .

كذلك كان من المبرزين في هذا الفن علي بن حرمون المرسي الذي كان معروفا بنظراته الدقيقة فيه . فقد ذكروا ان يحيى الخزرجي انشده مرة بعض موشحاته فقال له ابن حزمون : « ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا عن التكلف » فلما طلب منه مثالا على ذلك قال : « مثل قولي :

يا هاجري هل الى الوصال	منك سبيل
او هل ترى عن هواك سالي	قلب عليل

اما في العصر الموحدي فقد بدا نجم هذا الفن في الافول حيث نجد ان اشهر وشاح هو الحفيد ابو بكر محمد بن زهر طبيب يعقوب المنصور ، وقد كان عالما بفنون الادب وضروب التوشيح لدرجة ان الادباء كانوا يحكمونه في كثير من قضاياهم . سئل مرة عن احسن موشحاته فاشار الى التي تقول فيها :

ما للموله	من سكره لا يفيق	ياله حيران
من غير خمر	ما للكئيب المشوق	يندب الاوطان

ومن الذين برعوا في هذا العصر كذلك اسحق بن سهل الاشبيلي ومن احسن منظوماته تلك التي قال عنها ابن خلدون انها من احسن الموشحات في هذا العصر وهي التي تقول في مذهبها :

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى
قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثلما
لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد عارض لسان الدين بن الخطيب فقال :

جادك الغيث اذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما
في الكرى او خلسه المختلس

(*) المتوفى سنة 520 هـ .

الموشحات

للأستاذ عباس الجراري

- 2 -

الموشحات فى الاندلس :

انتهينا فى الفصل السابق الى ان التوشيح فن اندلسي نشأ فى اواخر القرن الثالث الهجري ، ولكننا نلاحظ انه لم يظهر ولم ترد نصوصه الا بعد قرن من هذا التاريخ بعد ان استقل عن الاغاني الشعبية التي كانت اساسه ومصدره ، ويغلب على الظن ان السبب فى هذا الابطاء هو صدود المسؤولين وشيوخ الادب الذين رفضوا قبوله وحاربوه حماية منهم للثقافة العربية والشعر خاصة .

وربما كان مكرم بن سعيد وابن ابي الحسن من اول الوشاحين الاندلسيين وان لم يرد ذكرهما عند غير ابن بسام ، كذلك نعتبر يوسف بن هرون الرمادي من اوائل الناظمين فى هذا الفن ، وفى الذخيرة انه (اول من اكثر من التضمين فى المراكز يضمن كل موقف يقف عليه فى المركز خاصة) (*) اذ لم يكن فى الموشحات تضمين ولا اغصان ، ولكننا للاسف الشديد لم نتوصل من توشيحه ولا بنموذج واحد ، ولعل عبادة بن ماء السماء هو اول من اكتملت عنده صورة هذا الفن ، فقد قال عنه ابن بسام انه (كان فى ذلك العصر شيخ الصناعة) (*) ويظهر انه كان مكثرا من نظم الموشحات وان لم يحفظ لنا غير اثنتين منها اوردهما ابن شاكر عند ترجمته له (*) ، ونسب الصلاح الصفدي احداهما الى ابن عبادة القزاز وهي التي مطلعها :

من ولي ، فى امه ولم يعدل ؛ يعزل ، الا لحاظ الرشا الاكحل

وفى خرجتها يقول :

يا علي ، سلطت جفنك على مقلتي فابق لي ،

وجد بالفضل يا موئلي

وبالرغم من مكانة عبادة فقد اغفل ذكره ابن خلدون كما اضطرب فيه ابن سناء الملك فخلط بينه وبين ابن عبادة القزاز ، وابو بكر محمد بن عباده (*) هذا هو اشهر وشاح خلف ابن ماء السماء، كان الشاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية مدحه فى كثير من الموشحات ، ومن مذاهبه الغزلية :

اذاب الخلد نهد منهد
وغصن ناود فى دعص مبلد
عن سقم مكمد

ومن الوشاحين الدين عاصروا ملوك الطوائف ابو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانه كان كثير المدح للمعتصم المذكور ثم للمعتمد بن عباد وابنه رشيد حيث زارهما فى منفاهما باغمات ومدحهما هناك ، كذلك ممن نبغوا فى هذا العصر ابو بكر محمد بن رافع رأسه الذي قال عنه صاحب المغرب (له موشحات منهوره يغني بها فى بلاد المغرب منها فى مدح المامون ابن ذي النون) (*) .

(*) الذخيرة قسم 1 ج 2 ص 2 وربما كما كان المركز هو القفل ، توفى الرمادي سنة 403 هـ.
(*) توفى فى آخر عصر بني مروان سنة 419 وقيل سنة 421 او سنة 422 هـ.
(*) ج 1 ص 246 من فوات الوفيات .
(*) من حصن بلور فى البيريا .
(*) ج 2 ص 18 .

والى جانب تقنينه لهذا الفن الذي كان عالما به ناقدا له عالج موضوعات فى براعة واجادة ودون تكلف كثير ، ولعل اهم ما يلاحظ على ابن سناء الملك فى بعض موشحاته ظاهرتان ، اما الاولى فابتكاره للخرجات وعدم تقيده بالخرجات المغربية التي كان معاصروه لا يختمون توشيحاتهم بغيرها بل عمد الى وضع خرجة فارسية فى موشحته التي مذهبها :

فى خدبك من صير اللاذ ثياب الياسمين
ودع ذافيا حبرة الواشي من ذا السحر المبين

وفى الخرجة يقول :

دانسني كربوسة بمن داد دهـا انكسربن
او اركواى دست من باش ببوسته شبن

ومعناها (هل تعرف متى قبلتها ان فمها .. كن شاهدى على هذهالقبلة التي منحنني اياها) (*) ويظهر ان ابن سناء الملك كان يحاول تقليد بعض الموشحين الاندلسيين الذين كانوا يصعون لموشحاتهم خرجات رومانية امثال ابن بقي الذي يقول فى احدى خواتم منظوماته :

الب دبه اشت ديه دى ذا العنصر حقا
بسرى مو المدبج ونشق الرمح شقا

ومعناها : (هذا اليوم يوم فجرى . انه يوم عيد العنصرة . سوف البس نوبي المربن واشق الرمح شقا) .

واما الظاهرة الثانية التي خالف بها ما درج عليه الموشحون فعدم التزامه احيانا لقافية واحدة فى اسماط كل بيت كما فى موشحه الذي يقول فيه :

عسى . وبا قلما يفيد عسى
ارى لنفسي من الهوى نفسا
قد بان عني من قد كلفت به
به قلبي يدلج فى تقلبه
وبي اذن شوق عابي
ومدمع يوم شاني
لا اترك اللهو والهوى ابدا
وان اطلب العتاب والفندا
ان شئت فاعدل فلست اسمع
انا الذي فى الغرام اتبع
ونحتذي صبابتي
فلتدعني وعاداتي

وغير ابن سناء الملك نبغ وشاحون آخرون فى مصر منهم ابن الوكيل صدر الدين محمد بن عمر الدمياطي المعروف برقته فى الشعر وبمعارضته لقصائد غيره ، وقد اورد له المقري موشحة ضمن خواتم اقفالها اعجاز نونية ابن زيدون ، منها هذه الاشطار :

غدا منادينا ، محكما فينا
يقضي علينا الاسى لولا تأسينا
بحر الهوى يغرق من فيه جهده عام
وناره يحرق من هم او قد هام
وربما نقلق فتى عليه نام
قد غير الاجسام وصير الايام
سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

ومنهم كذلك محمد بن سليمان بن علي التلمساني المعروف بالشاب الظريف وكمال الدين علي بن محمد بن يوسف الشهير بابن النبيه ، وجمال الدين محمد بن محمد بن نباتة الذي اورد له المقرى موشحة لا توجد بديوانه وهي التي يقول فيها :

احبتي وصحابي هذا اوان شرابي
باكر خلاصة خمر مشوقة للنفوس
على اهله قطر يحكي سفاه الكؤوس
من كف ظبي كبدر فى الترك نامي الفروس
الى الخطا ذى انتساب عدمت فيه صوابي

ولم يكن مصر وحدها التي تقبلت هذا الفن النازح من الاندلس . وانما سعت اليه كذلك اقطار الشام والعراق بالرغم مما كان فى هذا الاخير من سادة الموسيقى والغناء الفارسيين . وربما كان ابو مروان بن زهر الذى مارس الطب فى بغداد ناقل هذا الفن الى العراقيين . وقد نبغ منهم فيه شهاب الدين محمد بن يوسف التلعفري الموصلي . والقاسم الواسطي . وشمس الدين محمد بن دانيال الموصلي . الطبيب الشاعر . وعبد العزيز بن سرايا المعروف بصفي الدين الحلي ، ويعتبر من اشهر الموشحين المشارقة . وفى ديوانه موشحات كثيرة يبدو عليها طابع التكلف والتصنع ومن اشهرها تلك التي يقول في مذهبها :

(*) (دراسات فى الشعر فى العصر الايوبى) للدكتور محمد كامل حسين ص 129 .

وقد كاد يموت هذا الفن بعد ان انصرف الناس عنه الى الزجل لولا محاولات ابن الخطيب الذي عمل على احيائه فألف كتابا على غرار (دار الطراز) جمع فيه الموشحات الاندلسية سماه (جيش التوشيح) وجاء بعد لسان الدين تلميذه ابن زمرك فقلد استاذه في الاكثار من معارضة موشحات ابن سهل ولكنه على عكسه كان ينظم منظوماته يعني بها ويطيل النظر في اسلوبها .

وكان ان انتهى امر هذا الفن في الاندلس بانتهاء امر المسلمين فيها ولكن لا الى الموت وانما الى الرحيل نحو المشرق حيث عالجه الشعراء في غير قليل من التكلف متقيدين بكثير من القيود الشكلية التي سطرها ابن سناء .

الموشحات في الشرق :

في التقديم الذي كتبه الدكتور جودة الركابي لدار الطراز قال متحدثا عن صاحب الكتاب انه (اول من ادخل فن الموشحات الى الشرق) وهو قول غير صحيح بدليل ان ابن سناء الملك ذكر في اول كتابه انه كان شغوفا بالموشحات الاندلسية والمغربية يقراها ويحفظها ويحاول تحليلها وادراك فيمنها ، ويزيد في ابطال هذا الرأي ان الشاعر المصري لم يتصل مباشرة ببلاد الاندلس والمغرب حتى يتاح له التعرف على هذا الفن في موطنه الاصلي ، فابن سناء الملك اذن لم يكن اول من ادخل هذا الفن الى بلاد الشرق فقد كانت تعرفه من قبل ولكن البحث لم يصل بعد الى نتيجة نهائية في التعرف على من سبق في تعريف المشارقة بهذا الفن ، لعله اندلسي سافر الى بلاد الشرق لسبب او لآخر ، او لعله احد المشارقة رحل الى بلاد المغرب الاندلس ، او لعلها جماعة من المغنين والملحنين سافرت من هنا او هناك ، او لعلها كتب ورسائل كانت تتبادل بين البلدين ، وربما تكشف البحث في مستقبل الايام عما تنبت به بعض هذه الفروض .

وبالرغم من اننا لا نملك دليلا يمكن الاعتماد عليه ، فقد زعم اكثر من مستشرق ان بعض الاندلسيين رحلوا الى بلاد المشرق ونقلوا معهم فن الموشحات .

يقول (انخل بالنثيا) انه (في خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين توجه من اهل الاندلس نفر من الفقهاء والمتصوفين والاطباء واهل الادب الى المشرق وكان لهم اثر عظيم هناك ، وعن طريق هؤلاء انتقل الزجل الى المشرق وكان اول من علم اهله ابو مروان بن زهر الذي مارس الطب في بغداد ، وابو علي الشلوبيني النحوي ، وعبد المنعم بن عمر وكان كحالا وفيلسوفا واصله من جيان واصبح فيما بعد شاعر صلاح الدين الايوبي ، وابن سعيد الغرناطي الذي اجتمع في المشرق بشعراء اندلسيين هاجروا من بلادهم وانصرفوا الى صناعة الزجل في مهاجرهم ومن اولئك ابو الحاج يوسف بن عقبة) (*) وقد رد على هذا الرأي الدكتور مصطفى عوض الكريم بان الموشحات في ذلك الوقت لم تكن قد اصبحت فنا معترفا به في الاندلس (*) . وواضح ان هذا راي خاطيء لما مر بنا من ان العهد المرابطي وهو الفترة التي رحل فيها هؤلاء الاندلسيون ، كان العصر الذهبي لهذا الفن . وسببه براي المستشرق الاسباني قول صاحب المغرب متحدثا عن امية بن ابي الصلت الاشبيلي : (وتوجه في رسالة الى مصر فسجن في القاهرة في خزانة البنود ، وكان فيها خزائن من اصناف الكتب ، فاقام بها نحو عشرين سنة ، فخرج منها وقد برع في علوم كثيرة من حديثة وقديمة .. وعنه اخذ اهل افريقيه الالحان التي هي الآن بايديهم) واستند الدكتور شوقي ضيف على اهل هذا الكلام وعقب عليه بقوله : (ولابد انها كانت مصحوبة بموشحات رواها لهم) .

ومهما كانت الوسيلة التي انتقل بها هذا الفن الى المشرق فان مصر كانت اول دولة تقبلت هذا الفن الذي وجد في ربوعها بيئة صالحة لانتشاره وازدهاره ، فقد الف الشاعر المصري هبة الله بن سناء الملك كتاب (دار الطراز) ضمنه كثيرا من موشحات الاندلسيين وما نظمه على طريقتها من غير ان يورد ما انتجه غيره من المشارقة في هذا الفن . وفي مقدمته التي تحدث فيها عن اصول فن التوشيح وطريقة نظمه قال : (ولم ار احدا صنف في اصولها يكون للمعلم مثالا يحتذى به وسبيلا يقتفى ، جمعت في هذه الاوراق ما لابد لمن يعانيها ويعنى بها من معرفته ، ولا غناء بها عن تفصيله وجملته ليكون للمنتهي تذكرة وللمبتديء تبصرة) (*) .

(*) تاريخ الفكر الاندلسي ص 76 + 166 .
(*) فن التواشيح ص 150 .
(*) دار الطراز ص 24 .

والازجال وما اليها وتلحين ما ناسب منها مـزاج المغاربة وذوقهم . ومن الامثلة على ذلـك موشحة في مدح الرسول لا زال المغاربة حتى اليوم يتغنـون بها في المحافل الدينيـة منها :

يا محمد يا جوهره عقـدي — يا هلال النمام
المحبه قد هيجت وجـدي — وفنابي الغرام
انت اسكرتني على سكرى — من لذيذ السراب
ثم حاطبتني كمـا يـدري — ففهمت الخطاب
ثم شاهدت وجهك البدري — عند رفع الحجاب

ولم يلبث المغاربه بعد انتشار فن التوشيح ان ابتكروا فنا قريبا منه تحدث عنه ابن خلدون حين قال انه استحدث اهل الامصار بالمغرب فنا آخر من الشعر في اعاريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم الحضرية وسموه عروس البلد وكان اول من استحدثه فيهم رجل من اهل الاندلس نزل بفاس يعرف بابـن عمير فنظم قطعه على طريقة الموشح لم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب الا قليلا فاستحسنه اهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذى ليس من شأنهم . وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا الى المزدوج والكازى والملعبة . والغزل واختلفت اسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيهـا) .

وربما كانت قطعه ابن عمير المشار اليها هـي التي يقول في مطلعهـا :

اتكانى بشاطىء النهر نوح الحمام
على الغصن في البستان قريب الصباح
وكف السحر يمحو مـداد الظـلام
ومـاء الندى يجرى بثغـر الاقـاح

وقد يكون ميمون بن خبارة وحسن بن عمـر السبتي من الذين برعوا في هذا الفن الذى يغلب علـى الظن انه كان وسطا بين الزجل والتوشيـح . فقـد عرف الاول انه (كان متفننا في اساليب الكلام معربـه وهزله على اختلاف اللغات) وعرف عن الثاني انه كان يجول في الاسواق وينشد الاغاني والالحان ، كذلك من الذين نبغوا في هذا الفن الكفيف الزرهوني الـذي وصف هزيمة ابي الحسن المريني في القيروان بقطعـة يقـول في اولهـا :

سبحـان مالـك خـواطـر الامـر
ونواصيها في كـل حين وزمـان
ان طعنـاه عطفهـم لنـا قسـرا
وان عصيناه عـاقب بكل هـوان
كـن مرعـي قـل لا تكـن راعـى
فـالراعـي عـن رعيتـه مسئـول

ولا شك ان هذا الفن الذي تحدث عنه ابن خلدون قد تطور في العصر المرينى الى نوع من الادب الشعبي شديد القرب من الزجل يعرف حتى اليوم (بالملحـون) ويظهر انه تطور على يد البربر وكان قد تم تعريبهم في هذا العهـد .

وقد اعتنى به المغاربة فنظم فيه الادباء والملـوك والامراء وبرع كثير من الشعراء اهمهـم التهامـي المضغري الذى كان معاصرا للسلطان عبـد الرحمـن العلوى والذي كان ولا يزال يعتبر شيـخ الملحون في المغـرب .
ومن اهم قصائده في هذا الفـن (النحلة) التـي يقول فيها :

اوحى اليك الله في كتاب — ولهمك لقطف الانوار

وروى ان السلطان اشتاق الى ابنائه وكان قـد بعثهم في عائلتهلزيارة اقاربهم وقبوراجدادهم بتافيلالت فـقـال :

ما اعظم ذاك اليوم فيصبح بابي وأمسو

فاجـازه المضغـري :

تركني نـواح فرسيـم ضميـرى كـاوى

— يتبـع —

شق جيب الليل عن نحر الصباح ايها الساقون
وبدا للطل فى جيد الاقاح لؤلؤ مكنون
ودعانا للذيذ الاصطباح طائر ميمون

وفى آخرها :

نال فعل الخمر من ذات الخمار عند شرب الراح
ففدت تسنر من فرط الخمار وجهها الوضاح
خلتها اد لم تدع بالاحمرار غير صلب لاح
قمرا تم لسبع وثمان فى الليالي الون
قدرته السمس فى حال القران فهو كالعرجون

اما الشام فمن الاسماء التي لمعت فيها سراج الدين عمر بن مسعود الحلبي . وخليل بن ايبك الفلسطيني المعروف بالصلاح الصفدي . وكان متصلا بالموشح الاندلسي محمد بن يوسف بن حيان ولعله استفاد منه كثيرا مما يتعلق بهذا الفن ، ومن قوله فى توشيحاته :

لا تحسب القلب عن هواك سلا
وانما حاسدي الذي نقلا حرف
اسلو ولا صبر لى ولا جلد
ونار سوقي وسط الحشا تقد
وكل وجد دون الذى اجد
ما وصل القلب فى هواك الى
هذا ولو شئت ان ترى بدلا سوف

وقد وصف ابن خلدون هؤلاء الوشاحين فقال : (واما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما قالوه من الموشحات ، ومن احسن ما وقع لهم فى ذلك موشحة ابن سناء الملك التى اشتهرت شرقا وغربا اولها :

حبيبى ارفع حجاب النور عن العذار
تنظر المسك على كافور فى جلنار)

واعترف المشارقة انفسهم بذلك وفى مقدمتهم ابن سناء الملك الذى قال عن موشحاته انها كالظل اذا قورنت بالموشحات الاندلسية وانها ناقصة عند قدر كمالها .

الموشحات فى المغرب :

اذا كان المشارقة على نحو ما رأينا قد عالجوا فن الموشحات وقننوه بعد ان انتقل اليهم على بعد المسافة وطولها . فماذا كان دور المغاربة الذين هم اقرب العرب جوارا للاندلس ، لا يفصلهم عنها غير مضيق لا يتعدى بضعة اميال والذين اخضعوها لحكمهم فى الفترات الاخيرة من تاريخها .

للاسف الشديد ليس فى كتب الادب والتاريخ التي بين ايدينا نصوص تثبت ان المغاربة عالجوا فن الوشيح . وقد كان منتظرا من صاحب المطرب ان يطلعنا على نماذج مغربية لهذا الفن . خاصة بعد ان قال عن الموشحات بانها (من الفنون التي اغرب بها اهل المغرب على اهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق) ولكنه لم يفعل حتى بالنسبة للاندلسيين واكتفى بذكر موشحين لابي بكر ابن زهر .

ولعل السبب فى ضياع هذه الموشحات ان الذين كتبوا عن المغرب اهملوا تسجيلها ظنا منهم انها ليست من الاهمية حتى يوردوا نصوصها ، واعتذر بعضهم عن ذلك بانه (لم تجر العادة بايرادها فى الكتب المجلدة المخلدة) .

وربما كان الداعى الى فتور هذا الفن عند المغاربة وعدم اهتمام مؤرخيهم بذكره وتسجيله ان ادباء العصر الموحدى ، وهو عصر ازدهار اللغة العربية وادابها فى المغرب، حاولوا البعد عن تقليد الادب الاندلسي معرضين عن اصحابه الذين كانوا كثيري الفخر والمباهاة .

ولكننا مع هذا لا نستبعد ان يكون المغاربة قد عالجوا هذا الفن فى كثير من الاتقان والابداع خاصة وقد وفد عليهم كثير من الوشاحين والزجالين الاندلسيين امثال الحفيد بن زهر . وابن حرمون والهيثم المربيطري . وسهل بن مالك الغرناطى . ولعلهم لم يمارسوه الا فى العصور المتاخرة وبعد سقوط الاندلس ونزوح الهاربين منها الى المغرب . وبعد انتشار الطرب الاندلسي القائم على الموشحات واقبال المغاربة عليه .

وقد ازدهر هذا الفن الفنائي الجديد فى تطوان وفاس والرباط وهي اهم المدن التي استوطنها اهل الاندلس ، وقامت له اجواق كثيرة متعددة على ما وضعه فنان مغربي لا نستبعد انه من سلالة هؤلاء الوافدين يدعى (الحائك) كان له فضل جمع الموشحات

يقول سيديو Sedillot احد المؤرخين الفرنسيين المولود بباريس سنة 1808م فى كتاب له اسمه خلاصة تاريخ العرب : « ان العباسيين رتبوا خمسة عشر الف دينار لمدرسة يتعلم بها مجانا ستة آلاف تلميذ من الفقراء والاغنياء . وانشأوا مراكز للتعليم الحر رخصوا الدخول فيها لمن اراد . فانتشرت اللغة العربية فى سائر جهات آسيا حتى تكلموا بها بدلا عن لغتهم . واعاد المامون ومن اقتدى به بعده حضور الدروس العامة التي يلقيها المدرسون » ويقول ايضا : « ان العباسيين بنوا ارصادا بها آلات عجيبة للاستكشاف الفلكي ومستشفيات يمتحن فيها من اراد ان يوظف بعدة امتحانات » .

ونحن اذا ما راينا شهادة هذا المؤرخ الفرنسي فاننا لنعرف ما ادته الدولة العباسية الى الحضارة العربية من مجد . وقد كان المامون ينفق بسخاء على ترجمة الكتب بحيث كان يعطي نفقة شهرية بعد بخمسمائة دينار فى الشهر لكل مترجم . ومما يحكى أن المامون كان يعطي لحنين بن اسحق اشهر مترجميه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى اللغة العربية مثلا بمثل (*) .

ولما نقل العرب هاته العلوم لم يكونوا جامدين بل تصرفوا فيها وشرحوها وحللوها وربطوا بعضها ببعض وبينوا الاسباب لبعض المظاهر الطبيعية كالانعكاس الضوئي مثلا الذى يتجلى فى قوس قزح .

وقد اخترع العرب بلغتهم العربية القواعد الاساسية لعلم الجبر حتى أن هاته الكلمة ماخوذة من اسم كتاب الفه محمد بن موسى الخوارزمي للمامون اسمه « حساب الجبر والمقابلة » وقد المامون امره بتاليف كتاب باسلوب بسيط يبين فيه طريقة المعادلات الجبرية . كما انهم قد اشتهروا بالطب والفلسفة حتى ان ابا بكر الرازي (864 – 932م) لقب بجالينوس العرب لاعتبار مهارته فى الطب، وقد استطاع ان يشخص مرض الحصبة والجدري والسل ، وهو اول من اشار الى وجود الجراثيم قبل ان يقول باستور ذلك بالف سنة ، والف باللغة العربية كتبا متعددة فى ذلك وترجمت فيما بعد الى اللغة اللاتينية ، واشتهر بين العرب ابو نصر محمد الفارابي (260 – 334 هـ 873 – 950 م) الملقب بالمعلم الثاني لانه سعى الى التوفيق بين آراء ارسطو وافلاطون .

ونحن اذا ما تحدثنا عن الحركة العلمية ايام العباسيين وركزنا اتجاهنا فى نهضة اللغة العربية من الناحية العلمية دون غيرها لندل على ان لغة العرب لم تكن لغة الادب فقط ، بل هي لغة العلم ايضا ، وقد شاهدنا بعد هذا النهوض الموجز ان العرب كانت لهم شخصية قوية فى خلق اتجاه علمي جديد كان له اكبر الاثر فى توجيه العرب فيما بعد .

اللغة العربية بالمغرب والاندلس :

واذا كنا راينا ما حققته اللغة العربية من نصر فى الشرق . فيجب ان نعلم ان العرب بالمغرب والاندلس لم يكونوا خاملين ، بل انهم كانوا يعملون جهد مستطاعهم على أن تكون اللغة العربية هي اللغة السائدة فان عبد الرحمن المامون الداخل الى الاندلس والملقب بصقر قريش قد اقام دولة بالاندلس تناهض دولة العباسيين . كما ان المولى ادريس قد اسس بالمغرب الاقصى دولة بالاستعانة بالبربر ، وكانت اللغة العربية هي اللغة التي يعمل كل من هذين المؤسسين لتكون هي الرسمية فى البلاد الا ان الدولة الاموية بالاندلس كانت لها من القوة ما هو اشد من دولة الادارسة نظرا للعصبية العربية التي كانت قوية بالاندلس . وقد بلغت هذه الدولة اوج مجدها ايام عبد الرحمن الناصر ما بين سنة 300 و350 هـ .

وانتشرت اللغة العربية فى الاندلس ايام الامويين انتشارا لا مثيل له . حتى قال دوزي فى كتاب له اسمه تاريخ مسلمي اسبانيا: «ان اسبانيا المسلمة كادت كلها تقرا وتكتب على حين ان الطبقة الرفيعة من اوربا المسيحية لم تكن كذلك اذا استثنينا رجال الدين » .

وعن طريق الاندلس والمغرب انتقلت حضارة العرب الى اوربا ، وعن طريق العرب عرف الاوربيون اشعاع الحضارة واهتدوا الى المعرفة وانتقلوا من جهالة القرون الوسطى الى عصر النهضة . ولولا العرب لتاخرت حضارة اوربا قرونا اخرى . ولقد شعر الاوربيون حينما اتصلوا بالعرب بانه يجب عليهم ان

(*) عصر المامون للدكتور احمد فريد الرفاعي ط الرابعة ج 1 ص 377 .

اللغة العربية بين الماضي والحاضر

للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

- 2 -

اللغة العربية ايام العباسيين :

العصر العباسي منسوب الى الدولة العباسية التي خلفت الدولة الاموية سنة132هـ وكان أول ملوكها هو ابو العباس السفاح ولم تكن ايامه ايام ازدهار علمي وانما كانت لتركيز النظام الجديد عن طريق القوة ، وان لقبه بالسفاح ليدل على ذلك . ثم خلفه اخوه ابو جعفر المنصور ، وكان عالما مهتما بالعلماء وبدات الحركة العلمية فى ايامه تبدو ثم كان بعده المهدي ثم الهادي ثم هارون الرشيد وقد بلغ اعتناؤه بالعلم انه كان لا يسافر الا ومعه مائة عالم يشاورهم ويهتدي برايهم . ثم كان الامين . فالمامون وهو الملك السابع من الدولة العباسية وقد ولي الخلافة سنة 218هـ ويعتبر اعظم ملك فيها على الاطلاق .

وقد قررنا مرارا ان اللغة لا تسمو الا باصحابها وانها لا تكتسب القوة الا عن طريقهم ولذلك نرى ان اللغة العربية ايام مجد العرب لم نجد من وصفها بالجمود والانحلال والتقهقر لان القوة كانت بيد العرب .

وحيث ان العرب كانت لهم فى صدر الاسلام وفى العصر الاموي وفى العصر العباسي قوة . كانت لغتها تسرع الى الشعوب بقوة هائلة ، وبتسابق الناس الى تعلمها لانهم يعلمون ان الاطلاع عليها سيقربهم من كراسي الحكم وسيجعل لهم عند المسلمين جاها .

ولما تولى المامون الخلافة لم يترك التقدم العلمي للمصادفة ، بل اسس مدارس خاصة للتعليم واعتنى بالكتب العلمية واسس خزانة عظمى سماها « دار الحكمة » ويقال ان هاته الخزانة كانت تضم جل الكتب التي الف باللغات الاجنبية. كاليونانية والفرسية والعبرية والهندية .

ولقد اتصل بملوك الروم فارسلوا له بعض الكتب وجعل من شروط صلحه مع ميخائيل الثالث ملك البزنطيين ان يرسل اليه بعض الكتب النادرة .

ولم يكن هم المامون هو جمع الكتب . ولكنه كان يرى ان اعظم شيء يمكن ان تتبث به قواعد الدول هو العلم . ورأى ان اللغة العربية كانت تتسع للدراسات الفقهية والادبية واللغوية ، وان العرب كانوا مشهورين بالشعر والفقه والكلام . ولكنهم كانوا فى حاجة الى الرومانيين فى الطب ونحوه . ورأى ان الذين يدرسون هاته المواد من العرب يرجعون فيها الى ما خلفه اليونانيون ، لذلك راى انه لا يهدأ له بال الا اذا ضمت اللغة العربية كل ذلك فجمع علماء يحسنون اللغة العربية واللغات الاجنبية وخصص فريقا لترجمة الكتب الفارسية وفريقا لترجمة الكتب اليونانية وآخرين لترجمة الكتب العبرية والهندية واصبحت اللغة العربية ترحب بهاته العلوم ووسعتها جميعها .

وقد عمل المامون على ترجمة جل ما الفه افلاطون وارسطو وسقراط وجالينوس واوكليد (اقليدس) من اليونان، وعمل على ترجمة جل ما الفه الفرس من كتب الادب والفلسفة كما عمل على نقل ما عند الهنود من الكتب فى الحساب والنجوم .

وضم حوله جماعة من المترجمين ينتمي اكثرهم الى المسيحيين ، واسس مدرسة للترجمة ادت اكبر الخدمات الى اللغة العربية والى العرب انفسهم .

عصر النهضة 1220 هـ :

لا تعيش اللغات الا باحياء ذويها ، ونحن نرى ان اللغة العربية قد ضعفت لما استولى التركيون على الحكم في الشرق وكذلك لما عمل الاسبانيون على ارجاع الاندلس من المسلمين ، واما في المغرب فقد ضعفت ايضا نظرا لان الاتجاه العملي في المغرب حينذاك انما كان يقوم على رد كل عدوان سواء عن طريق الغرب او الشرق ، وبقي المغرب محافظا على عروبته ولم يستطع العثمانيون الاتراك ان يحتلوه رغم ما كانوا يقومون به من مناورات ، ومن يدرس تاريخ الدولة السعدية يعرف ما كان يقوم به المغرب من الاعمال لحفظ حريته وعروبته سواء من غزو البرتغاليين والاسبانيين او من جشع التركيين .

ولكن لا نستطيع ان نتغافل عن الوعي العربي الذي انتشر في الامم العربية في اوائل القرن الماضي وعن الفكر الذي اصبح يسود العرب لرد مجدهم وقد انتبهوا لذلك يوم غزا نابليون بونابرت مصر فادخل المطبعة اليها وفتح المدارس ونظم المصانع ، فلما اخرجه المصريون واستولى محمد على على الحكم اراد ان ياخذ النظم الاوربية وان يجعلها اساسا لدولته ، لذلك راى انه لا يمكن ان ينجح الا اذا عمل على احياء اللغة العربية وعلى ترجمة العلوم من اللغات الاوربية وبذلك ابتدات الحركة العلمية من جديد واصبحنا ناخذ ما كنا قد اعطيناه وارسل البعثات الى اوربا . كما قامت حركة اخرى ببلادنا تعهدها المولى الحسن العلوي وارسل بعثات الى اوربا ايضا ونهضت حركة التعليم بلبنان وقام السيوعيون بدور فعال في احياء اللغة من جديد .

عمل هؤلاء جميعا على احياء اللغة العربية واحياء العلوم واقتباس ما عند الافرنج وقامت جامعة الازهر في مصر ، وجامعة الزيتونة في تونس ، وجامعة القرويين بفاس باعظم الاثر في حفظ اللغة خصوصا عندما اصبح الاوربيون عازمين على غزو هذا الوعي العربي متفقين على تجزئة العرب واحتلالهم والقضاء على معنوياتهم واستغلال ارضهم وعقولهم؛ فاستعمروا ارضنا واستعمروا ارواحنا بما كانوا ينفثونه من افكار سامة تقضي على تراثنا وتنسينا تاريخنا ، وعملوا جهد مستطاعهم على اماتة لغتنا ونعتوها باللغة الميتة ولكننا حينما شعرنا بان اللغة لا تموت الا اذا مات اهلها ؛ قام العرب في كل انحاء العالم يعملون على تهذيب لغتهم واجتهدوا في تطعيمها وتقليمها حتى تصبح صالحة للتقدم العلمي الجديد وقامت حركة مباركة في القرن الماضي وما زالت تؤتي اكلها الى الآن .

ابتدات حركة النقل في عصر النهضة بمدرسة الترجمة التي كان يراسها في مصر الاستاذ رفاعة الطهطاوي وهو الاستاذ الفذ الذي اخذ ثقافته في جامعة الازهر ، ثم ارسل اماما لبعثة علمية الى فرنسا فاستهوته اللغة الفرنسية فدرسها ، ولما رجع الى مصر اصبح مدير مدرسة ابي زعبل للترجمة وكانت تضم مائتين وخمسين تلميذا من بينهم علي مبارك الذي اختص في الهندسة وعمل على نقل كثير من الكتب العلمية من اللغات الاجنبية ، وهو الذي اعطى الامر لما كان وزير التعليم بمصر على نقل جل الكتب التي تعترف للعرب بقيمتهم ومنها كتاب خلاصة تاريخ العرب لسيديو الذي اخذنا بعض فقراته حين التكلم على اللغة العربية ايام العباسيين ، ومن اعماله العظيمة انشاء دار الكتب ، وانشاء مدرسة دار العلوم وفق فيها بين طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث ، توفي سنة 1311 هـ.

ومن الله على اللغة العربية حين بعث في القرن الماضي الامام محمد عبده فأحياها من الاندثار وعهد اليه بتدريسها في دار العلوم ، فكان خير استاذ استطاع ان يدل التلاميذ على مكنون اللغة وجواهرها وعلى قدرتها على التعبير عن جل المعاني ، الا انه لاحظ ان بعض الكتب التي ترجمت فيها نوع من الركاكة والعجز عن التعبير عن بعض المصطلحات العلمية الحديثة ، لذلك اتفق مع بعض اصدقائه على ايجاد مجمع لغوي يحددون فيه الكلمات العربية المناسبة لتلك المصطلحات ، ولكن هذا العمل لم يتم نظرا لكثرة الحوادث السياسية التي كانت تحيط بالدولة المصرية والتي شغلت هؤلاء العلماء ، ولكن الفكرة لم يقض عليها بل استمرت في النفوس الى ان وجدت من الاستاذ محمد كرد علي رحمه الله رجلا قوي العزيمة والايمان فاتفق مع جماعة من اصدقائه واسسوا المجمع اللغوي العربي سنة 1920 بدمشق؛ وسار على نهجه مجمع آخر تأسس بالقاهرة سنة 1934 ، ولقد عمل هذان المجمعان ما في استطاعتهما لنقل كثير من المصطلحات العلمية ؛ وتأسست بعض المجامع في

يقتدوا بهم ، وان يطلعوا على علومهم ، وان يترجموا كتبهم ، واصبحوا يؤمون الجامعات العربية ليتعلموا وتوجه الفرنسيون ومن جاورهم الى طلبطلة وقرطبة وفاس وغصت جامعة القرويين بالوفود من كل ناحية .

ولقد اشتهرت هاته الجامعات بالمحافظة على اللغة العربية وعلى الثقافة الاسلامية وعلى نشر العلوم العامة فكانت هي الواسطة بين حضارة اليونان القديمة وحضارة اوربا الحديثة .

ولم تصل حضاره العرب الى اوربا عن طريق الثقافة ، بل وصلت كذلك عن طريق الفتح العربي . فالعرب كانوا قد وصلوا الى اسبانيا واحتلوا صقلية وغزوا فرنسا ووقعت جل مدنها الجنوبية في قبضتهم. فاحتلوا بروفانس وبوردو ومرسيليا وارنو ووصلوا الى بواتييه ، ولا شك ان هذا الاحتلال أثر على الحضارة الاوربية وعلى لغتها ودخلت عدد من الكلمات العربيةالى لغتهم فنجدمثلا لفظة damasquiner بمعنى رصع اي خلط النحاس ببعض الخطوط الذهبية او الفضية وذلك بارجاعها الى تلك الصنعة الفنية التي اشتهرت بها دمشق ، ونجد ايضا كثيرا من الكلمات الدخيلة في لغتهم كلفظة coton قطن magazins مخازن . ولفظة chemise قميص . ولفظة chèque صك . وغير ذلك كثير .

ولم يقتصر العرب في الاندلس والمغرب على الاطلاع على العلوم الرياضية فقط . بل اشتهروا بعلم الجغرافية والتاريخ والرحلات ومن اشهرهم الادريسي السبتي 1166 م (560هـ) الذي ذهب الى صقلية واتصل بملكها روجر الثاني فالف له كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق في شرح الكرة الارضية الفضية التي رسمها الشريف الادريسي باللغة العربية . ورسم في هذا الكتاب احدى وسبعين خريطة تنافلها الاوربيون وترجموها الى لغتهم .

واننا بعد هاته النظرة نجد ان العرب اذا كانوا عملوا ما في جهدهم ليكونوا سادة العالم وان كانوا قد جعلوا من لغتهم لغة تتسع لجميع العلوم والاداب فانهم ايضا استطاعوا ان يدخلوا الى اوربا الكتابة الموسيقية فان ما خلفه زرياب الموسيقي في اصول الموسيقى الاسبانية ليعد دليلا على ما كان للعرب من مجد وحضارة .

يقول عمر الدسوقي في احد اعداد مجلة الامالي « فالموسيقى يدين بها الاوربيون للعرب اذ ان آلاتها عربية ، فالقيثارة والعود والرباب كل ذلك من اختراع العرب وليس هذا عجيب بل ان النوطة الموسيقية التي اخترعها الخليل بن احمد ، وزاد عليها الفارابي والكندي وابن سينا مع ماعرفوه من الموسيقى اليونانية، قد اثرت اثرا كبيرا فيالموسيقى الاوربيةاذ لم تكن اوربا قبل العرب تعرف العزف الجمعي (اوركسترا) الى أن دخلت الكتابة الموسيقية العربية » .

واننا اذا ما اطلنا في ذكر الحضاره العربية فلاننا نؤمن بان هاته الحضارة كان للغة العربية اكبر الاثر في تدوينها والعمل على نشرها بدليل الحركة الاستشراقية التي انبثقت من اوربا لتنقل كل ما عندنا الى الاوربيين وبدليل ما خلفته هاته الحركة من اثر على الاتجاه العلمي في اوربا ما زالت تستغل نتائجه الى الآن .

اللغة العربية ايام المماليك والعثمانيين الى سنة 1220 هـ :

في سنة 556 هـ (1258 م) انقض التتار على بغداد وخربوها واحرقوا عددا كبيرا من الكتب العربية وقتلوا المستعصم آخر الملوك العباسيين . وضعف بذلك شان اللغة العربية . الا ان الدولة في مصر كانت بيد المماليك ولم تكن لهم لغة خاصة يقاومون بها اللغة العربية لذلك بقيت بعض الحركات العلمية باللغة العربية في مصر والشام والمغرب والاندلس . ومع ذلك فقد ضعف شان العرب لجرئتهم وتفرقهم واستيلاء الترك على كثير من دول الشرق وجعل اللغة التركية هي اللغة الرسمية في الدولة التابعة لها . وتبع هذا الضعف انحلال في الاتجاه الفكري العربي وفي الاسلوب الادبي وغلب على التاليف مظاهر من السجع المكلف والاعتناء بالجناس والطباق والمحسنات اللفظية . الا ما شذ من بعض البلدان حيث ظهر فيها بعض المؤلفين الافذاذ كابن خلدون بتونس والسيوطي بمصر . ولم يبق اعتناء الشعب باللغة لانها لم تبق موصلة الى كراسي الحكم بل ضعف شان العلم نفسه لان كثيرا من المناصب القضائية اصبحت تورث ولو من اب عالم الى ابن جاهل وهكذا نعتبر هذا العصر هو عصر الانحطاط اللغوي ولا نطيل فيه الحديث فلننتقل منه الى عصر النهضة .

من تراثنا الفكري في الأندلس

أبو محمد بن عبدون اليابري

للأستاذ محمد الأمين محمد

تمهيد :

الشخصية التي نحن بصدد دراستها وهي شخصية ابي محمد بن عبدون من الشخصيات الفذة النادرة في الاندلس ، بل من العبقريات الفريدة التي تزهى بها الاندلس بوجه عام ويابرة بوجه خاص . فقد اجتمعت لابن عبدون هذا مواهب متعددة ، وتوافرت لديه امكانات علمية وثقافية قلما تهيأت لكثير غيره ممن عرفنا من الاندلسيين ، كان ابن عبدون لغويا محدثا اديبا شاعرا كاتبا ، او بعبارة اخرى ملما بكثير من العلوم التي كانت معروفة في عصره . ثم هو الى جانب هذا كان واسع الاطلاع كثير الحفظ صافي القريحة متوقد الذكاء ، صائب الراي ، قوي الحجة ناقدا متبصرا ، ذا دراية واسعة بايام العرب واخبارها ، وبقديم الشعر العربي وحديثه . ندرك هذا من نظرات الثروة الضخمة التي خلفها وراءه من شعر ونثر والتي ما تزال بعد متناثرة هنا وهناك في ثنايا الكتب والمخطوطات ولم يقدر لها ان تنشر في كتاب يسهل تناوله ويقرب متناوله على عشاق الادب وطلاب البحث ومحبي المعرفة .

ومع انه قد مضى على وفاة ابن عبدون تسعة قرون فان شخصيته لما تزل بعد مجهولة ولا نعرف من انتاجه الادبي اكثر من قصيدته في رثاء بني الافطس ، كما يعرف عنه البعض قوة ذاكرته وانه يحفظ كتاب الاغاني ، ثم لا يعرف عنه اكثر من هذا ، وهو الامر الذي حدانا ان نعرف بشخصيته وبمكانته بين مفكري عصره ، وان ننفض عن تلك الشخصية غبار القرون ونجلوها في اطار واضح يفيد منه المتطلعون الى تراثنا في الاندلس ، ولن ننفض ايدينا من هذا البحث كذلك قبل ان نقدم للقاريء العزيز دراسة منهجية لاثار ابن عبدون الادبية ونعني بذلك شعره ونثره ، محاولين ان نبين مصادر ثقافته والعوامل التي اثرت في شخصيته الادبية ولونت ادبه على نحو ما سنرى ذلك بعد .

مولده ونشأته :

كان مولد ابن عبدون في يابرة من اعمال بطليوس بغرب الاندلس ، وهي اليوم من مدن البرتغال ، وقد كانت يابرة على عهد ابن عبدون موطنا لكثير من العلماء والادباء من بينهم ابو بكر (*) عبد الله بن طلحة اليابري النحوي الذي ارتحل الى اشبيلية فروى عن ابي الوليد الباجي ، كما روى عن جماعة من علماء بطليوس من بينهم ابو بكر بن ايوب وابو الحزم بن عليم وابو عبد الله بن مزاحم ، ومن علماء يابرة كذلك خلف (*) بن فتح بن نادر الاديب اللغوي اليابري الذي كان قد ارتحل الى قرطبة وروى عن ابي محمد عبد الله بن سعد ومنهم كذلك شعيب (*) بن عيسى ابن علي بن جابر الاديب المقريء الذي روى عن خاله

(*) ياقوت : معجم البلدان ج 7 ص 489

(*) سكيب ارسلان : الحلل السندسية ج 1 ص 52

(*) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج 1 ص 328

بغداد وغيرها ، وفي السنة الماضية تأسس مجمع لغوي بالرباط وسيتعاون هؤلاء جميعا على تعزيز جانب اللغة العربية في العصر الحديث .

وما مؤتمر اللغة العربية الذي انعقد بالمغرب الا دليل على اهتمام العرب بمستقبل لغتهم .

ولم يعد الآن شك في اعتبار اللغة العربيه لغه حية وان اعتراف هيئة الاونيسكو بها لاكبر دليل على ذلك فقد طبعت لاول مرة مجلتها (البريد) بلغتنا وذلك بتاريخ 16 دسمبر 1960 ولقد خصصت اعتمادا كبيرا للتعريف بالادب العربي وعلوم العرب الى العالم كله .

انه من العار ان تعترف هيئة دولية بلغتنا في الوقت الذي ما يزال فيه بعض الشباب العربي لا يومن بها ولا يعمل على نشرها بكل الوسائل . ان قوميتنا لا تثبت الا على اساس اللغة العربية وذلك لان تراثنا لا يتجلى للعيان الا بواسطتها فلنفتخر بتاريخنا ، ولنعمل على تحقيق مجدنا ، ولنقبل بكل قوانا على التعريب والاستفادة من الانطلاقة الادبية الشعبية ومن الاتجاه العلمي المنظم الذي تنشره مجامعنا .

اننا اذا رددنا بان اللغة العربية ضعيفه او بان فكرنا ضعيف فانما ذلك اعتراف لما يردده اعداؤنا يجب ان نتحداهم ، وان نجعل لغتنا لغة العلم كما كانت من قبل فاذا ما قلنا في المغرب ان التعريب لا يمكن نظرا لعدم وجود الاساتذة باللغة العربية وانتظرنا حتى يوجدوا ، وآمنا بان هاته العلوم يجب ان ندرس بلغة اجنبية فلا شك ان الذين سيوجدون سيكونون جاهلين باللغة العربية ايضا ، فاذا اردنا ان نعرب التعليم بعد عشر سنوات فسيقول الآخرون : ان التعريب لا يمكن نظرا لعدم وجود الاساتذة باللغة العربيه ولننتظر حتى يوجدوا وهكذا تستمر العلة ويستمر التعليم بلغة غير لغتنا .

نحن لا ننكر فضل اللغات الاخرى على العالم وعلينا ايضا ولكننا ننكر ان ننسى لغتنا وحضارتنا وتاريخنا ونتصل بلغة اخرى فنطلع بواسطتها على حضارة الاوربيين وعلومهم فنعظمهم ونستصغر تراثنا وعروبتنا، ونحن لا ندعي ان اللغة العربية اصبحت الآن في طور الكمال لان هذا الاعتبار سيعد من خطل القول، ولكننا نريد ان نقول ان اللغة التي استطاعت ان تنهض ايام العباسيين وان تسع حضارة اليونان ، تستطيع الآن اذا ما توحدت جهود العرب ان تساير الركب وان تكون في مقدمته .

لذلك يجب ان نضع انفسنا امام الامر الواقع وان نعلن تعريب التعليم وبذلك سنضطر الى ايجاد ما عجزنا عليه ، لان الحاجة دائما هي التي تدعو الى الاكتشاف والاستنباط سواء في حاجيات الانسان الضرورية او في التعبير عن مفاهيمها بعد اكتشافها ، ونحن نرى ان كثيرا من الاختراعات الحديثة قد وجدت من العرب عند ارادة التعبير انطلاقا من السنتهم وفكرهم فاختلقوا لها معاني جديدة كانت ملائمة للمعنى المقصود بها بعد الوضع ، فالقطار والسيارة ، والدبابة او الزاحفة ، والصاروخ ، والقنبلة الذريه والقمر الاصطناعي ، والسفينة الفضائيه كل هذا يدل على أن في لغتنا تعابير يمكن ان نستعمل الدلالة على جل المخترعات .

وما هاته الامثلة الا ادلة على أننا اذا هيأنا الفرصة لانتشار لغتنا فسيجد المجال كثير من العلماء والادباء لخلق ما احتجنا اليه .

وليعلم العرب انه لا يرجع انجاح لغتنا الا لايدينا ولنؤمن بانتصارنا ولنعتقد ذلك لان الايمان هو اساس النجاح ومهما دخل الايمان بشيء في قلوب قوم الا حولوه من طريق التفكير الى طريق التطبيق والانجاز .

ابن ضابط هذا متكسبا بالشعر الا انه لم يصب نجحا، يروى (*) انه ضجر يوما فقال :

« الشعر خطة خسف » .

وكان ابن عبدون جالسا بين يديه ، فكتب فى لوحه يكمل المصراع الثاني من البيت : « لكل طالب عرف » .

ثم زاد بيتا آخر كتبه وهو :

للشيخ عيبة عيب   وللفتى ظرف ظرف

قال ابن عبدون : انه لما كتب هذا نظر اليه مؤدبه ابو الوليد وقال له : يا عبد المجيد ماذا نكتب ؟ فأراه البيتين فلما رآهما لطمه وعرك اذنه وقال له : لا تشتغل بهذا ، ثم اخذ البيتين عنده ؛ وانما نهاه عن قول الشعر لانه هو شخصيا كان شيخا مسنا ستجدي بالشعر وقد ادى به اخفاقه فى التكسب الى كراهية الشعر .

وليس من شك فى ان هذا الشعر يدل على الموهبة التى كان يتمتع بها ابن عبدون منذ حداثته واستعداده لقول الشعر بفطرته ، كما يدل على حدة ذكائه وروحه الساخرة التى جعلته يغمز استاذه ويعرض به مشيرا الى تكسبه وهو الامر الذى جعل استاذه يلطمه ويعرك اذنه .

على ان ابن عبدون ما لبث ان ضاق ذرعا باستاذه هذا واحس بأنه فى حاجة الى ان يلتمس اساتذة آخرين اوسع افاقا واغزر مادة فى الادب واللغة واكثر تسامحا من ابن ضابط ، فاتصل بابي مروان بن سراج، وكان ابو مروان هذا من اعيان (*) البيان ، بليغا فصيحا ذا مرتبة سامية فى الادب كما كان شاعرا مجيدا ولكنه كان ضيق الطبع سريع الغضب ومن ثم لم يلازمه ابن عبدون طويلا مع حرصه على الافادة منه ، ولذا سرعان ما نجده يبحث له عن استاذ غيره يشبع لديه رغبته فى الاستزادة من العلم والمعرفة ، ولكنه فى هذه المرة لم يظفر بطلبته فى بلده يابرة ، فيمم وجهه شطر بطليوس حيث التقى هناك بابي الحجاج يوسف ابن سليمان النحوي الاديب المعروف بالاعلم ، وكان ابو الحجاج هذا عالما (*) بالعربية واللغة ومعاني الاشعار حافظا لها حسن الضبط لما يحفظ ، دقيق الرواية كثير الاعتناء بها مشهورا بذلك ، ولقد اتصلت اسباب ابن عبدون بابي الحجاج هذا واعجب كل منهما بالآخر ، الاستاذ بتلميذه والتلميذ باستاذه ، وقامت بينهما روابط من الود المتبادل فافاد ابن عبدون من استاذه كثيرا واخذ عنه كثيرا من مسائل اللغة والنحو ومعاني الشعر كما درس عليه شعر المتنبي بوجه خاص وهو الامر الذي كان له بعد فى حياة ابن عبدون وشعره اكبر الاثر . على ان ابن عبدون ما لبث ان هجر استاذه هذا على غير قلي وذهب فاتصل بابي عاصم بن ايوب حيث روى عنه الحديث والفقه واللغة كذلك .
وكان ابن عبدون اذ ذاك قد احس بمكانته فى الادب وبمنزلته فى الشعر فابتدأت نفسه تتطلع الى مستقبل احسن والى حياة اكرم ، ولذلك نراه يضيق ذرعا ببلده يابرة التي كان قد رجع اليها ، ويرى من العار بقاءه فيها فنسمعه يقول :

فعاد على العلياء سكناي بلدة
كبلدة عالي الافق من دون انجم

ثم تتصل بالمنصور بن الافطس فيمدحه ولكن سوقه لم تنفق لديه ، فيقرر الهجرة الى اشبيلية .

— يتبع —

* المقري : نفح الطيب ج4 ص 367 .
* ابن خاقان : قلائد العقيان ص 198 .
* السيوطي : بغية الوعاة ص 422 .

خلفبن شعيب وعن ابيبكر محمد بن الفرج البطليوسي وعن ابي بكر بن عباس وعبد الله بن طلحة وغيرهم .

وهكذا كانت يابرة تزخر بالعلماء والادباء فولد ابن عبدون ثم نشأ في جو ادبي علمي يحيط به ، وقد كان لهذا الجو اثره في تكوينه الثقافي .

لم نقع على مصدر واحد من بين المصادر العربية او غيرهما ذكر لنا تاريخ مولد ابن عبدون ، ولعل ابن عبدون ليس وحده الذي يجهل تاريخ مولده ، بل هناك شخصيات اندلسية كثيرة من معاصريه لايعرف عن تاريخ مولدهم شيء ، اذ لم تكن العناية بتسجيل تاريخ الميلاد في كثير من الحالات من الامور الهامة ، بل كانوا يعنون بذكر تاريخ الوفاة اكثر من عنايتهم بذكر تاريخ الميلاد ، ونحن وان كنا لم نتعرف على تاريخ مولده بالضبط ، ولكنا سنستطيع مما توافر لدينا من وسائل البحث ان نشير الى ذلك التاريخ اشارة تقريبية . نستطيع ان نقرر بان ابن عبدون قد ولد سنة 430هـ او قبل ذلك بقليل مستندين في ذلك الى امرين :

احدهما ما اورده الضبي (*) حيث يقول « ابن عبدون اليابري اديب شاعر كان في حدود الاربعمائة او نحوها » . وثانيهما ما ذكره ابن بسام (*) من أن ابن عبدون حينما استوحش من المنصور بن الافطس ولحق باشبيلية قد كتب الى ابن زيدون بهذه الابيات:

لك الخير من مثري اليدين من العلى
اذا تربت ايدي الندى والتطول

بما كان بين الماضيين من الذي
اليه اجتهادي او اليه معولي

فلم تتمسك بالمؤيد لي يد
وقد زلقت رجلي عن المتوكل

ولسنا نستطيع ان نجاري الضبي فيما اشار اليه من ان ابن عبدون قد ولد مثلا سنة 400 او سنة 410 لانه من الثابت في جميع المصادر العربية وغيرها ان وفاة ابن عبدون كانت في منتصف العقد الثالث من القرن السادس الهجري او اخرياته ونعني سنة 526 او 529 ، وطبقا لما ذهب اليه الضبي يكون ابن عبدون قد عاش مائة وعشرين سنة تقريبا وهوامر يعتبر قليل الاحتمال اذا قسناه بالنسبة الى معاصري ابن عبدون

ولاشك ان تلك الابيات التي بعث بها ابن عبدون الى ابن زيدون كانت فيما بين سنة 441 و460 ، اذ ان الثابت ان ابن زيدون قد افلت من السجن الذي وضعه فيه ابن جهور سنة 441 حيث لحق باشبيلية واتصل ببلاط بني عباد ، ومن الثابت كذلك ان المنصور ابن الافطس قد توفى سنة 460 كما كانت وفاة ابن زيدون سنة 462 ولنا ان نتصور بان ابن عبدون عند ما بعث بالابيات المتقدمة الى ابن زيدون كان في الثلاثين من عمرته تقريبا، في وقت كانت فيه فكرته قد انحصرت في الادب الامر الذي جعله يطلب عملا في بلاط بني عباد ، والى جوار ابن زيدون وهو يعلم منزلة هذا في الادب والشعر ، كما يعلم بان المعتمد الذي يطلب العمل في بلاطه هو نفسه شاعر رقيق الاحساس مرهف الشعور وناقد بصير ، وايا ما كان الامر فقد تحققت لابن عبدون بغيته وعاش في بلاط المعتمد فترة لم تطل مدحه فيها بكثير من القصائد التي سنوردها بعد في مكانها من هذا البحث ، ولكن سوفه لم تتفق مما جعله يترك اشبيلية ويلحق بصديقه القديم المتوكل ابن الافطس ، ولم يثبت لدينا بان ابن عبدون ولي عملا رسميا للمعتمد بن عباد ، وان كان عبد الواحد (*) قد ذكر بان ابن عبدون كان من بين كتاب المعتمد ، ولكنا لم نجد ذكر ذلك في مصدر آخر من المصادر التي تحدثت عن ابن عبدون ، كما انا لم نعثر على رسالة واحدة مما كتبه ابن عبدون عن المعتمد .

لقد ابتدا ابن عبدون دراسته الاولى في بلده يابرة حيث حفظ القرءان الكريم ودرس مبادىء النحو واللغة ، وكان استاذه اذ ذاك (*) محمد بن علي ابن بعيش المعروف بابى الوليد بن ضابط النحوي ، بدا ابن عبدون يدرس على ابى الوليد هذا وهو في الثالثة عشرة من عمره حيث تفتحت مواهبه للادب وبدا يعالج قول الشعر ، ونحسب ان تأثره باستاذه هو الذي غرس في نفسه الميل الى الشعر ، فقد كان

---

* بغية الملتمس ص 523 .
* القسم الثاني من الذخيرة مخطوط جامعة القاهرة ورقة رقم 438 .
* عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 164 .
* التكملة لكتاب الصلة ج 1 ص 141 .

لنعد في طليعة الابحاث التي ركزت دعائم علم الاجتماع والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو التالي : اذا كان العلماء قد بحثوا الشؤون الاجتماعية منذ زمن طويل فالى اي عهد من عهود التاريخ يمكن ان نرجع تأسيس علم الاجتماع ؟ ومن هو من العلماء مؤسس علم الاجتماع ؟ .

لقد اختلف الكتاب في هذه القضية اختلافا كبيرا ، فيرى الدكتور اليافي(*) ان الفضل في التأسيس يرجع الى ابن خلدون ، بينما يرى الدكتور منير (**) مشابك ان المؤسس الحقيقي انما هو اوغست كونت .

ان مثل هذه الآراء تقتضي منا ان نتفحص عن قرب وان نتساءل : الى اي حد ساهم ابن خلدون في الابحاث الاجتماعية ؟ ما نصيب آرائه من « فكرة الدقة » كما يقول ديكارت ؟ الا يمكن لنا في نهاية المطاف ، ان نقول بان افكاره كانت اقرب الى فلسفة التاريخ منها الى علم الاجتماع ؟

اشتهر ابن خلدون بمقدمته ، وقد رأى الدكتور اليافي ان هذه المقدمة تحتوي على آراء تؤهل صاحبها ان يكون اول مؤسس لعلم الاجتماع ، ولا احد ينكر اليوم بان ابن خلدون قد تحدث في كتابه عن امور وقضايا هي من صميم علم الاجتماع ، فهو يرى : ضرورة الاجتماع الانساني وبالتالي ضرورة السلطة التي تنظم العلاقات بين الناس ، ويبحث عن اصل هذه السلطة فيجدها في العصبية ، وينتقد الفلاسفة الذين يرجعونها الى اصل ديني . ويبحث في اختلاف الاقاليم في الاعتدال والانحراف ، وتأثير الهواء في الوان البشر ، وفي اخلاقهم وفي الكثير من احوالهم .

ويجد ان للمجتمع شكلين : البدو والحضر ، ويرى ان الاول اصل للثاني ، ويبحث في تطور الدولة ويجد ان لها اعمارا طبيعية تتبع تعاقب الاجيال ، ويعتقد مثلا في ان (الدولة لها اعمار طبيعية كالاشخاص ، عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة اجيال) ، اما الاستاذ ساطع الحصري فيجد في دراسته لابن خلدون بذورا للنظريات الاجتماعية الحديثة ، وذلك ان ابن خلدون يعتمد بعض التشبيهات لتوضيح بعض الظواهر الاجتماعية ، وفي مكان آخر يمثل المجتمع بكائن حي على غرار ما فعل سبنسر Spencer وفورمس Worms ، وكثيرا ما يلجأ الى الاعتبارات النفسية في ابحاثه فهو مثلا يقول بان المغلوب مولع دائما بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر احواله وعوائده ، ويعلل ذلك بان النفس تعتقد الكمال فيمن غلبها .

ويعلل ابن خلدون الامور الاجتماعية بامور مثلها ، مما يذكرنا بتعليل دوركايم Durkheim المورفولوجي .

ويقول ابن خلدون ايضا : ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلتهم من المعاش ، وفي هذا نزوع الى تعليل الحوادث الاجتماعية بالعوامل الاقتصادية ، كما نجد عند ابن خلدون نظرات ثاقبة في القضايا الديموغرافية ، فهو يستبعد ان يكون عدد جيوش اسرائيل في التيه ، ايام النبي موسى عليه السلام ، اقول يستبعد ان يكون عددها ستمائة الف جندي كما روى ذلك بعض المؤرخين .

ويبحث في الاسعار فوجد ان السلع ترخص في البلاد الكثيرة السكان على حين ترتفع اسعار الحاجات الكمالية ، وفي هذا اشارة الى قانون العرض والطلب .

وكذلك انتبه الى تسلسل الكائنات ، واتصال عالم الجماد بعالم النبات ، وعالم النبات بعالم الحيوان ووجد ان الانسان يقع في ذروة عالم الحيوان بعد الفرده .

واخيرا حاول ابن خلدون ان يصنف علوم عصره تصنيفا علميا فوجدها صنفين : صنف طبيعي يهتدي اليه الانسان بفكره ، وصنف نقلي ياخذه عمن وضعه(***) ولقد دعت الافكار السابقة الدكتور اليافي الى ان يقول : (وصفوة القول ان ابن خلدون قد اسس علم الاجتماع واعيا لهذا التاسيس) .

(*) الدكتور عبد الكريم اليافي استاذ علم الاجتماع بجامعة دمشق . انظر كتابه تمهيد الى علم الاجتماع .
(**) الدكتور منير مشابك استاذ علم الاجتماع بجامعة دمشق ، انظر كتابه (المطول في علم الاجتماع) .
(***) راجع تمهيد الى علم الاجتماع : الدكتور عبد الكريم اليافي .

علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوغست كونت

بقلم الاستاذ بنعيسى حنفي

من هم مؤسس علم الاجتماع ؟

قد يكون من المفيد ، قبل ان نحاول الاجابة على هذا السؤال ، ان نتفق على بعض من المبادىء الاساسية التي من شانها ان تلقي بعض الاضواء على البحث ، ومن جملة هذه المبادىء ، ينبغي ان نتفق منذ البداية على معنى التاسيس .

يقول احد اساتذة علم النفس التكنيكي في تعريف العلم : ان النظرية وحدها ليست هي العلم ، كما ان التطبيق وحده ليس هو العلم ، ان العلم الصحيح هو ما تركب من النظري والعملي ، وذلك انه لا فائدة من النظرية التي لا يمكن ان تتحقق عمليا . ومن جهة اخرى فان التجربة العملية لا تستغني عن النظرية التي توجهها (*) .

واذا كان هذا صحيحا بالنسبة للعلوم التكنيكية فانه صحيح ايضا بالنسبة لعلم الاجتماع ، ويبدو لنا ان العالم الذي يقف من المجتمع موقف المتفرج ويكتفي بدراسته نظريا ، ان مثل هذا العالم لا يستحق لقب العالم الاجتماعي ، ومن قبيل المستحيل ان تكون الدراسة التي يقوم بها علمية ، فيجب علينا ان نبحث عن الصفات التي ينبغي ان تتوفر في هذه الدراسة حتى يقال عنها انها علمية ، وبعبارة اخرى يجب علينا ان نحدد طريقة البحث في علم الاجتماع .

لا شك ان العقلية الديكارتية l'esprit cartésien قد اثرت تاثيرا بعيد المدى في طرق البحث . وابرز ما في هذه العقلية الديكارتية هو « فكر الدقة » الذي شرحه ديكارت في كتابه « قواعد المنهج » .

ونحن نعتقد ان الفلسفة الايجابية التي بشر بها اوغست كومت Auguste Comte كانت نتمة وتتويجا لهذا التفكير المنهجي الذي استطاع اخيرا ان يتخلص من تلمسات التفكير الميتافيزيائي الفوضوية ، ومن خرافات القرون الوسطى .

لنتصور بان موضوع علم الاجتماع هو بمثابة ارض مجهولة terra incognita فمهمة العالم هي اكتشاف هذه الارض وازاحة الستار عن اسرارها ، ولكن هذا الاكتشاف ينبغي ان يتم بعناية ودقة ، وعلينا ان نتذكر دوما بان الحوادث الاجتماعية شديدة التعقيد ، وغني عن الذكر ان التاملات الباطلة والافكار المسبقة ، والاستنتاجات الشخصية لا يمكن ان تؤدي الى معرفة صريحة للواقع الاجتماعي . ونعود مرة ثانية لنؤكد بان النظري يجب ان يتعاون مع العملي حتى يكون فهمنا للحوادث الاجتماعية اقرب ما يكون من الصحة .

تاسيس علم الاجتماع اذن معناه وضع الاسس القوية العلمية له ، وتمييزه عن سائر العلوم الاخرى ، وتحديد مجال تجرباته ، ووضع طرق للبحث فيه ، وكل ذلك يجب ان يتم بدقة وعناية .

ولا شك ان العلماء قد تحدثوا عن الشؤون الاجتماعية منذ زمن طويل ، فقد تحدث سقراط وافلاطون وارسطو عن هذه الشؤون . وكان في آرائهم كثير من العمق وغير قليل من الدقة ، كما ان العلماء المسلمين لم يقصروا في هذا الجانب ، بل ان مباحثهم

* راجع A. Cuvillier, Introduction à la Sociologie, page 89

أدب بلا نسب

للأستاذ رابح منصر

في حديث العدد الماضي تعرضت الى موضوع (الادب الهجين) ، الذي صدر عن الكتاب الناطقين بالفرنسية من ابناء المغرب الكبير ، وطرحت مسألة انتماء هذا الادب او عدم انتمائه الى تراث الامة العربية الادبي ، وتوصلت الى نتيجة خلاصتها بان هذا الادب ليس له من صلة تذكر مع الادب العربي في المشرق كما هو الشأن في المغرب ، ولم يكن رأيي هذا الذي سيثير ولا شك حفيظة بعض اخواني الناطقين بالفرنسية ، لم يكن وليد اندفاع عاطفي او نظرة ضيقة يحدوها التعصب الى لون من الادب دون الاخر ، ولم يكن هذا الرأي ايضا دعوة الى العزلة او الانكماش عن الاداب ، كان رأيي اذن نتيجة منطقية لتحليل واقعي لطبيعة هذا الادب الذي اعتقد انه ثمرة غير شرعية لفترة زمنية ، في حياة المغرب العربي ، فترة من تاريخه عاشها تحت السيطرة العسكرية اولا ثم الثقافية ثانيا ، وهكذا اصبح امرا مألوفا جدا اننا حين نفتش عن المعالم المميزة للشخصية العربية في هذا الادب فاننا لا نكاد نظفر بواحدة تصله بالعربية وادابها ، ونصدق القول غاية الصدق حين نقول ان انتاج اخواننا الناطقين بالفرنسية يمكن ان يوصف بانه ظاهرة بارزة للواقع الاستعماري في ميدان التكوين الثقافي الذي يستهدف تزييف الشخصية القومية لا ابراز معالمها ومميزاتها التي تختلف عن شخصية ومميزات الامة المستعمرة .

لقد جهدت نفسي اخيرا وعدت الى مطالعة جزء هام من انتاج ادبائنا الناطقين بالفرنسية ، والحق اني اعجبت غاية الاعجاب بمواهب بعض هؤلاء وبالروح القومية التي يتوفرون عليها واخص بالذكر من هؤلاء مالك حداد الذي لم يتردد لحظة بالاعتراف بواقع الريف الذي يعيشه وبهذا المنفى الذي يثقل حياته الفكرية .

وكم احسست بالالم وانا اطالع هذا الادب وتمنيت من كل قلبي لو انه كتب بلسان عربي مبين ليحق لنا جميعا ان نفخر به ايما فخر، وخلال مطالعاتي غير السريعة لم استطع ان اظفر بوجود شخصيه عربية متميزة المعالم والاتجاهات ، فهو وان كان ادبيا يتجه نحو الالتزام في تحليل الوقائع الاجتماعية والنماذج الانسانية ، الا انه مع ذلك ظل فاقدا لحرارة الروح العربية ولا نكاد نلمس لها من اثر سوى صور مادية مستمدة من واقع جزائري اومغربي، سلطت عليها اضواء من الخارج دون ان تمس هذه الاضواء عمق الواقع الجزائري او المغربي بمختلف ابعاده . وبالاضافة الى ذلك فان هذا الادب يتسم بالازدواج والقلق ونماذجه الانسانيةلا تتوفر على قدرة تمكنها من التعبير عن ذات وجودها العربي فهي صماء ، سوى هذه الايماءات والاشارات الحية التي ليست لها القابلية لان تشخص كيانها تشخيصا يجعلها تتميز لاول وهلة بعروبتها .

وقد قرات اخيرا في مجلة (*) Confluent ردا للكاتب ادريس الشرايبي على حديث ادبي اذيع على امواج الاذاعة الوطنية بالرباط ، تطرق فيه كاتبه الى هذا الادب الهجين ، والحق ان ادريس الشرايبي

(*) Confluent N° 15, septembre-octobre 1961

ومما لا شك فيه ان الحوادث الاجتماعية معقدة الى درجة انه يصعب وضع الحدود بين مختلف العلوم الانسانية فعلم التاريخ متداخل مع علم الاجتماع وليس من السهل ان نضع الحدود التي ينتهي اليها كل منهما ، وابن خلدون حينما يتحدث عن (العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في ايام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر) حينما يفعل ذلك يتحدث عن مواضيع هي من صميم التاريخ ولكنه يمزج هذه المواضيع بملاحظات تحمل الطابع الاجتماعي .

ولا شك انه تحدث عن « العمران » ولكن هل يقصد بالعمران علم الاجتماع ؟ لقد اشار ايضا الى علم مستقل بنفسه، وذي موضوع هو العمران البشري والاجتماع الانساني ، وذي مسائل هي بيان ما يلحقه من العوارض والاحوال الذاتية واحدة بعد الاخرى) وقال بانه لم يسبق الى هذا العلم من طرف اي انسان (ولم اقف على الكلام في منحاه لاحد من الخليقة)

ولكن ابن خلدون يقول في مكان آخر من المقدمة: (فانشأنا في **التاريخ** كتابا رفعت به عن احوال الناشئة حجابا) ولنا ان نتساءل بعد هذا عما اذا كان ابن خلدون يتحدث عن التاريخ أو عن علم الاجتماع (العمران على حد تعبيره) .

ان الذي يبدو ، بعد الاطلاع على المقدمة ، هو ان طريقة ابن خلدون في البحث هي اقرب ما تكون الى طريقة المؤرخ ، وقد ذكر خلال ابحاثه بعض الشؤون الاجتماعية ولكن الطابع التاريخي يسيطر على الكتاب في جملته ، ولا يخفى على احد .

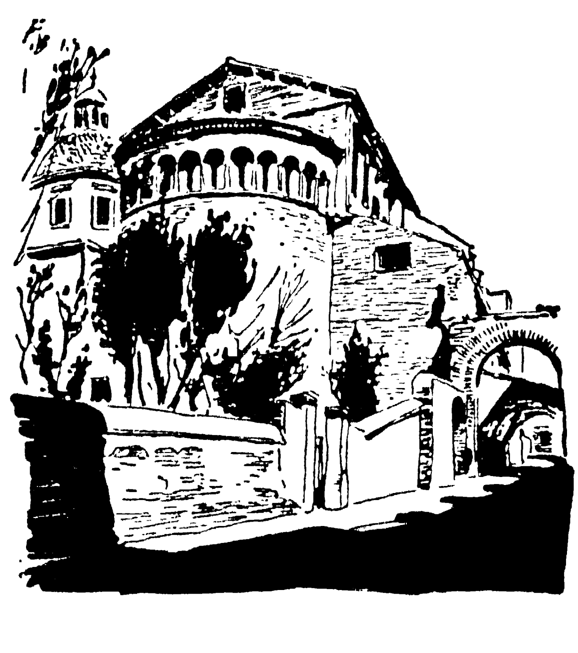
وقد تحدث الفلاسفة اليونان عن الشؤون الاجتماعية ، ولكن لم يفكر احد في ان يعتبرهم مؤسسين لعلم الاجتماع ، الم يبحث افلاطون في كتابه (الجمهورية) عن اصل الحكومة التي تنشأ عن عجز الانسان عن كفاية نفسه بنفسه ، الم يتحدث ايضا عن نظام الطبقات الاجتماعية ؟ الم يشبه ارسطو المجتمع بكائن يولد وينمو ويموت ، كما فعل ذلك ابن خلدون نفسه ، وريني فورمس فيما بعد ؟ .

لقد ذكرت الحوادث الاجتماعية في الابحاث السابقة **عرضا** ولم تكن مقصودة . اما اوغست كونت فقد ورث تراثا علميا زاهرا ، وتبنى الفكر النقدي الذي وضعه ديكارت ، واستفاد من نظريات مفكرين كبار امثال فيكو ، وسان سيمون ، وابن خلدون نفسه ، ولا شك ان هذه العلوم التي استفاد منها كانت له بمثابة الاساس الذي بنى عليه فلسفته الايجابية ، ومما هو جدير بالذكر ان اوغست كونت هو اول من ابتكر كلمة سوسيولوجيا اي علم الاجتماع ، واشتقها من لفظين احدهما لاتيني ومعناه الاجتماع والثاني يوناني ومعناه العلم ، وكان في البداية يستعمل تعبير الفيزياء الاجتماعية ، والنتيجة الطبيعية التي ينبغي ان ينتهي اليها الباحث هي ان كثيرا من العلماء قد ساهموا في تأسيس علم الاجتماع وان ابن خلدون قد وضع اللبنات الاولى لعلم كان يسميه تارة العمران ، وتارة اخرى التاريخ ، ونحن نميل الى الاعتقاد بان ابن خلدون انما انشأ فلسفة التاريخ ، ويكفي ان نذكر راي المؤرخ الانجليزي توينبي Toynbee : (لقد انشأ ابن خلدون فلسفة تاريخ وهي — بدون شك — اعظم عمل ابدعه فكر في اي زمان ومكان) ونضيف بان فلسفة اوغست كونت كانت تتويجا لجهود العلماء الذين ساهموا في تأسيس هذا العلم .

بان يذكر حين تذكر الثقافة ، واللغة ، والحضارة ، واللغة العربية فى رايه لم تتطور منذ قرون ، وقرون ، وحرية التفكير والتعبير ، والكتابة يمكن قياسها على حد قوله بما هو قائم فى الجمهوريات الشعبية ، اما فيما يخص اللغة العربية وكونها لم تتطور منذ قرون وقرون ، فالشرايبي آخر من يصدر هذا الحكم ، ولو صدر من بلاشير او ماسنيون لكان فى الامكان اخذ هذا الراي بعين الاعتبار وان كان اساسا مغلوطا ، لسبب بسيط هو ان ماسنيون يحسن اللغة العربية والشرايبي فيما اعلم وارجو ان اكون مخطئا لا يحسن التكلم بها فضلا عن قراءتها والاطلاع على ادابها .
المهم هو ان الاستاذ الشرايبي قد اخطأ فى الفهم واخطأ فى التقدير كما اخطأ فى فهم واقع الثقافة العربية والعالم العربي ، ولا اظن ان مؤرخ الادب الفرنسي بعد قرن سيجد كثيرا مما كتبه الشرايبي وغيره من الوجهة القومية او حتى الانسانية ، لسبب بسيط هو ان هذا الانتاج جاء غير مستند على دعائم من حضارة قومية عرفت منذ قرون ولا زالت تعرف بطابعها الخاص المميز، ولكن هذا الادب الذي يعد الشرايبي احد رواده سيظل على هامش التاريخ سواء بالنسبة للادب الفرنسي او العربي وان كان عميد الادب العربي الدكتور طه حسين حين تحدث عن قصة (الربوة المنسية) لمولود معمري ، اعتبر هذا الادب من الادب الفرنسي بكل ما تعنيه كلمة ادب فرنسي من معنى ...(*) الربوة المنسية كتاب رائع اشد الروعة واقصاها ، بحيث يمكن ان يعد من خير ما اخرج فى الادب الفرنسي اثناء هذه الاعوام الاخيرة .. وان كنت لا اعرف انه ظفر بجائزة من هذه الجوائز الكثيرة التي تمنح فرنسا لكتب لا ترقى الى منزلة هذا الكتاب روعة وجمالا) .

وايا كان الامر فان هذا الادب اليتيم ليس من اليسير التكهن بمن سيتبناه فى الغد البعيد ، وان كنت اميل الى الاعتقاد بانه سيظل بعد اجيال دون عائلة ادبية يمكن ان ينسب اليها .

(*) نقد واصلاح ص 48–49 .



لم يتناول جوهر الموضوع لاعطاء ايضاحات تتعلق بموقفه من هذا الادب الذي هو احد رواده ، وانما كان هذا الرد استعراضا لافكار تنمعن عاطفة سياسية، ومع ذلك فلو كانت عواطف الكاتب السياسية اصيلة لكان فى الامكان تقديرها واحترامها ، ولعل الانصاف يقتضي منا اقتطاف بعض الفقرات من كلمة السيد الشرايبي ، لتثبيت ما نقوله من عدم اصالة ما يقول : « ... خلال فترة السيادة الفرنسية على مجموع المغرب كانت المدارس الوحيدة الجديرة بهذا الاسم هي المدارس الفرنسية ، ولا يعني هذا اننا حين حصلنا استقلالنا يتعين علينا ان ننفي هذه الحقيقة .. ولا استطيع القول بانه يوجد قراء فى العربية .. العربيه الفصحى ، وقد قمت اخيرا بزيارة للمغرب وشاهدت بعيني .. بنظارتي ، وسألت ماذا يقرأ الناس هنا ؟ حقا هناك جامعة ولكنها تستعمل الكتب الفرنسية ، وهذه الجامعة لا تمثل شيئا مجديا فى حد ذاته » واضاف السيد الشرايبي قوله « نحن ــ يعني الناطقين بالفرنسية ــ سنظل هدفا لهجمات من هنا وهناك ، من كلا ضفتي الابيض المتوسط » .

وبجانب هذه الروح المتميعة فى اطار اجنبي غريب نجد روحا اخرى تختلف عنها كل الاختلاف وان نفذتا معا فى معين واحد ، هذه الروح الحيرى القلقة الاصيلة فى ذات الوقت تتمثل فى الكاتب مالك حداد ، لندعه يتحدث الينا فى قصيدته (المسير الطويل) (*) :

ابي .. يابي ؟
لماذا حرمتني
تلك الموسيقى المنسوجة من لحمي ودمي
انظر الي
الى ابنك الذي يلقن ان يقول فى لغة غريبة
تلك الكلمات الحلوة التي كان يعرفها عندما كان راعيا
. . .
يا الهي ما اشد وطأة الظلام فى عيني هذه الليلة
اماه .. ياماه
هل يمكن ان يكون اسمك Ma mère
لقد فقدت برنسي ، وبندقيتي ، وقلمي
لقد حملت اسما اشد زيفا من مظهري
يا الهي ،
انا الذي يجعل من اصله .. من نسبه مهنة زرية

هذه زفرات مالك حداد تثير بعمق فيه حرارة وفيه الم وفيه اقرار بواقع الزيف الذي فرض عليه فرضا ، وليس لي من سبيل لاجابة الشرايبي ادريس سوى ان اعرض عليه هذه المقطوعة الشعرية ، لشاعر موهوب عيبه الوحيد انه نطق بالفرنسية بآيات ابداعه ، شاعر لا يستطيع الشرايبي ان يصفه بالتعصب او الغرور الزائف ، ولا بضيق الافق والعجز دون فهم الحضارة الغربية (الفرنسية) هذا الشاعر مالك حداد الناطق بالفرنسية رغما عنه ، ومع ذلك فهو لا يزال يعي وجوده ، ويعي بعمق حالة المنفى التي يعيشها فكريا ، ولا نكاد تخلو قصيدة او قصة له من التشكي من هذا المنفى ، اي اللغة الفرنسية (وسيلته الوحيدة فى التعبير) .. (عن آلام شعبه واحساساته الثورية) ، يشعر مالك حداد بمدى الهوة السحيقة التي تفصله عن مجتمعه ، وعن الاتصال بتراثه القومي بطريق مباشر ، وعن التاثير فيه والتاثر به ، وعن طريق هذا التكوين الثقافي المفروض استحال حداد الى كائن غريب ، يعيش غريبا عن الواقع القومي الجزائري الثقافي الاصيل ، ومع ذلك فان هذا الواقع الجزائري العربي يتملك احساسه وشعوره الى حد يستحيل معه الى متصوف غارق فى التصوف عارف فى الهيام به ، وايثاره الى حد الاسراف .

والحق ان غرباء اللغة العربية هؤلاء ليسوا مسؤولين شخصيا عن هذا الزيف الذي يدثر هياكلهم من راسها الى اخمص قدميها ، ولكن المسؤول اولا واخيرا هو واقع الاحتلال ، والذي لا يجدر بالسيد الشرايبي وغيره تبريره واتخاذ انفسهم اصدقاء له ، اصدقاء لهذا الزيف الزائف ، وانا على يقين من أن ثورة مالك حداد على هذا الزيف الذي دفعوا اليه دفعا وحملتهم عليه الظروف حملا ، ان هذه الثورة تعد فى واقع الامر نصرا للاحساس القومي ، والكرامة القومية ، ونصرا مرة اخرى للوجود الوطني ضد جراثيم الهدم والتخريب للكيان العربي ، هذه الجراثيم التي تزخر بها بعض مظاهر هذه الثقافة الاجنبية الموجهة المسوقة ، والتي لا تستهدف الثقافة لذات الثقافة وانما تستهدف المسخ لذات المسخ ، حتى انه يخيل الي من خلال كلمة الاستاذ الشرايبي فى مجلة (Confluent) انه يؤمن او انه ربما على الاقل مقتنع بان كل شيء ليس بفرنسي فهو ليس بجدير

(*) مجلة الاداب العدد 8 ــ غشت 1961 .

الانسان تشكل عاطفة الحب اقوى النزعات البشرية فيقبل الفتى ، والحالة هذه — على مطالعة القصص الغرامية العنيفة ، كرد فعل للكبت او هربا من مجابهة الواقع . وهذه الطائفة لا يمكن صرفها الى نوع آخر من الانتاج الا اذا قدم فى اطار مشوق حتى ولو طعم احيانا بالعنصر العاطفي ولكن فى مظهر شريف . وبعد مرور هذه المرحلة يفتر الميل الى القراءة شيئا فشيئا، باستثناء عدد محدود من الذين يوسعون نشاطهم الفكري اما مدفوعين بسبب تخصص دراسي واما لمجرد الاستفادة .

2) ازمـة الانتـاج

اما أزمة الانتاج فهي أزمة نوع وكم معا . أما النوع فقلما يتجاوز انتاجنا المقالة او البحث ينشر فى مجلة او جريدة . **واذا استثنينا عددا لا بأس به من المقالات والابحاث التي تطلع علينا بها دعوة الحق ومجلة تطوان** وبعض الصحف . فالفقر والرداءة تخيم على هذا النوع من الانتاج . وكان المفروض ان تكون لدينا مجالات ثقافية متعددة بعد الاستقلال الا اننا مع شديد الاسف نرى ان كل المجلات الثقافية تقريبا قد اختفت من المنطقة الشمالية بعد الاستقلال . وقد عرفت هذه المنطقة نشاطا فكريا رائعا قبله . واغلبية الادباء والكتاب الذين عرفوا بمقدرتهم قبل الاستقلال انستهم الوظائف السامية او قتلت فيهم هذه الوظائف نشاطهم الفكري . وكان يمكن ان يخلفهم كتاب ومفكرون من هذه الافواج المتدفقة من جامعات الشرق بالاضافة الى جامعة الرباط . ولولا ان اغلب هذه الافواج انصرفت الى انواع اخرى من النشاط . خصوصا فى الميدان السياسي . ومع ذلك فليس كل متخرج باهل لتقديم الانتاج الجيد والموضوع المبتكر . كما انه ليس كل من لم يتخرج عاجزا عن تقديم مثل هذا الموضوع وذلك الانتاج .

وتطلع علينا الايام بين آن وآخر بكتاب فى موضوع ما ، ولكننا لا نكاد نلقف كتابا من شأنه ان يحرك اقلام الناقدين والمحللين الا فيما ندر . ونحن نشكو فقرا هائلا فى كتاب القصة الطويلة والابحاث المستفيضة فى مختلف العلوم والفنون ، والذين يتوفرون على علم غزير قد تعوزهم روح النظام والتنسيق ويعجزون عن الابداع فى التقديم فيتقاعسون عن تاليف الكتب او يقدمون كتبا تسود الفوضى مادتها وقد تقدم فى صورة الكتب التي عرفها عصر الاصمعي ، ويندر ان يتلاءم التقديم والعرض مع مقتضيات التاليف الحديث ، ومعظم كتبنا المنتجة تدخل فى ميدان التاليف المدرسي بسبب النقص الذي كانت مدارسنا ولا زالت تشكو منه فى ميدان التأليف المدرسي الجيد الملائم للبيئة المحلية . ومن المؤسف ان كثيرا ممن تتوفر لديهم المقدرة العلمية والكفاءة الفنية فى التاليف يهملون هذا الواجب طوعا او مكرهين بسبب ظروف خاصة .

3) قلـة التشجيـع

وهذه اكبر مصيبة منيت بها الحركة الفكرية فى هذه الظروف . فالمغرب يجتاز الآن مرحلة سريعة نحو الرقي المادي ولكنه مقصر فى الميدان الفكري او الروحي على الاصح فشبابنا يتوجه نحو الهندسة والحقوق والطب والمدارس الفنية التي تضمن ربحا ماديا كبيرا وسريعا فى آن واحد . والدولة نفسها قد كادت تقصر تشجيعها على اخراج مجموعات متخصصة فى الفلاحة او الهندسة أو الفنون التقنية . وحصول المغرب على عدد كبير من المتخصصين فى هذه الفنون الحيوية ضرورة لا مفر منها حتى يصل المغرب الى شيء مما يسمى بالاكتفاء الذاتي . ولكن حملة الاقلام ورجال البحث والمتخصصين فى العلوم التي لا تضمن من ذاتها كسبا يذكر فى الميدان الحر كالادب والتاريخ والجغرافية لا يلتفت اليهم احد ، وربما كادوا لا يلتفتون حتى الى انفسهم، ويخيل الى — والله اعلم — ان المغرب أصبح يشكو فقرا شديدا فى هذه العلوم المنتجة ماديا . ونظرة واحدة الى الارقام التي تقدمها كلية الحقوق وكلية الآداب بالرباط ، تريبنا الى اي حد من الافلاس قد بلغت علوم الآداب على اختلافها ، واي مدى وصلت اليه علوم القانون التي يضمن فيها الطالب كسبا محققا ومستقبلا لامعا .

ومهما يكن من عدد متخرجينا وتخصصهم فالتشجيع الخاص بالانتاج الفكري ضعيف جدا فى المستوى الرسمي كما يندر بين طبقة القراء عامة . ويجب ان لا نغالط مع ذلك انفسنا ، فانتاجنا فى الواقع هزيل فى معظمه ولا يمكن ضمان اكبر عدد من القراء ما دام الانتاج على هذه الصورة . اما الدولة فاولى بها ان تاخذ بيد الانتاج الفكري ، ولن تقوم للمغرب قائمة ما دامت الدولة لم ترع الانتاج الفكري . فهذه سنة الطبيعة والتاريخ :

من أصداء العدد الممتاز

الحركة الفكرية يجب أن ترعاها الدولة

للأستاذ : ابراهيم حركات

اطلعت على العدد الخاص من دعوة الحق الذي عالجت فيه مجموعة من الكتاب المحترمين ازمة الركود الفكري بالمغرب . ولم تكن لي فرصة المشاركة فى هذا العدد لمشاغل طرات ، فاحببت ان ادلي بدلوي كما يقال مساهمة فى ايجاد حل لهذه الازمة الخانقة والتي اريد لها ان تكون خانقة .

اما اسباب هذا الركود فى رايي وارجو ان لا اكون مخطئا ـ فيمكن حصرها فى ثلاثة :

1) ازمة القراء

ويمكن القول بان مشكلة القراء اصبحت عالمية رغم ما تتمتع به الدول المتقدمة فكريا من عدد وفير من القراء ، ولكنه لا يمثل نسبة هامة من مجموع الافراد المستعدين للقراءة . ومع ذلك ، فالدول المتخلفة فكريا كالمغرب ـ من ناحية عدد القراء على الاقل ـ يفترض ان يكون استعدادها للقراءة اكثر من استعداد الدول المتقدمة ، لان هذه قد جرفتها سيول المادية فانصرفت اغلبية القراء الى المسليات التي تدخل فيها دور اللهو والسياحة والسماع الى الموسيقى والرقص وغير ذلك مما صرف هذه الاغلبية ، بقطع النظر عن مشاغل الحياة التي تعقدت ، ووسائل الراحة والكسل التي تيسرت مع ذلك . اما الدول المتخلفة فهي بطبيعة الحال اقل اخذا بوسائل الحياة المادية ، ولكن ما يعوزها هو ان تتوفر على انتاج فكري ملائم ، وان يكون فى وسع كل قارىء ، الحصول على شيء مفيد يقرؤه باقل ثمن ممكن .

وفى بلاد المغرب توجد مجموعة لا باس بها من المثقفين والمتنورين الذين لا يكادون يقرأون شيئا اصلا ، حتى الصحف اليومية التي تمكنهم على الاقل من معرفة تطورات الاحوال فى بلدهم مهما كان من اتجاه اصحابها . ولا يمكن الشك فى ان ازمة القراء ستفحل فى الدول الراقية التي بدأت تستخدم الوسائل السمعية الى جانب الوسائل البصرية ، فالطالب او التلميذ الذي يكتفي بأن يصغي باذنيه الى درس بواسطة مسجلة ليهضمه بالتكرار ستتربى له مع الزمن حاسة السمع التي يمكن ان تحل بنسبة كبيرة محل حاسة البصر بقطع النظر عما سيكون لذلك من تاثير على الفكر . وقد لا يكون بعيدا ذلك اليوم الذي يسجل فيه الكاتب مؤلفا بكامله فى شريط يباع ويستغل عوض الكتاب نفسه

ولكن القارىء المغربي سيقطع سنوات وربما عقودا عديدة قبل ان يبلغ الى هذه المرحلة من تعويض السمع بنسبة كبيرة مكان البصر والفكر المجهد

والواقع ان ازمة القراء فى المغرب ترجع الى سلسلة من العوامل التي تشكل حلقات متشابكة . وقل ما يقال عنها انها ترتبط بازمة الكتاب ونوع الانتاج ، وهذه ترتبط بازمة قلة التشجيع . ثم ان ابناءنا لا يربون على القراءة منذ الصبا فمعظم المدرسين يكتفون بالقاء دروسهم بواسطة السبورة فى المرحلة الابتدائية . ومعظم الكتب المقررة لا تصلح من حيث الاخراج والطبع واحيانا من حيث التاليف ، وما صلح منها يستعمله المعلم وحده غالبا عوض التلاميذ . وآباء هؤلاء لا يابهون بتكوين خزائن لاطفالهم حسب الطاقة ، حتى ينشأوا ولهم ولع بالقراءة التي هي احسن تغذية للفكر . اضف الى ذلك ارتفاع تكاليف الكتاب التي تعجز اغلبية الآباء عن شرائه لابنائهم .

واهم فئة لدينا من حيث العدد هم اولئك الفتيان والفتيات الذين تتراوح اعمارهم بين سن المراهقة وسن الزواج ، وفى هذه المرحلة الخطيرة من عمر

آلاف المخطوطات في وجه هؤلاء الطلاب والباحثين ، ويفسح المجال لعدد منهم حتى يتفرغوا للبحث في هذه المخطوطات واخراجها في اقرب وقت ممكن مع ضرورة تيسير وسائل الطبع حيثما توفرت الدولة على خزانة تحتوي مخطوطات كثيرة هامة . ان الباحث الحق ليكاد يجن عند ما يرى هذه المخطوطات تاكلها الارضة ويتراكم عليها الغبار ، وليس له من وسيلة الى وضعها في ايدي الناس عامة ، وربما حتى الى ان يطلع عليها شخصيا .

5) يجب ان تهتم وزارة التربية الوطنية بتاليف مجموعات متنوعة من مجلات الاطفال والشباب والقصص والكتب ، وان تفتح اكبر عدد ممكن من الخزائن في مختلف المدن والقرى

6) يجب ان يحاط رجال الفكر خصوصا عباقرتهم بما يليق بهم من الاجلال ، فتقدم اليهم الاوسمة والدرجات الجامعية الفخرية وينصبون حيث يليق بنصيبهم .

قد يقال ان هذه اشياء ستحتاج كلها او معظمها الى اعتمادات ضخمة على حساب الدولة ، وقد يقال انه يجب ان نفكر اولا في تهييء العيش لآلاف العاطلين لكن الواقع ان لكل من رعاية الفكر ومحاربة البطالة نصيبا من اهتمام كل الدول الآخذة في النمو . ففي كل من مصر وامريكا ودول عديدة من آسيا وافريقيا نسبة كبيرة من العاطلين الى جانب نسبة كبيرة كذلك من تشجيع العلم والادب ونشر المعرفة بين عموم السكان . وليس ضروريا ان تموت الحركة الفكرية بسبب البطالة . وان في تغذية الفكر وسيلة لاطعام ابناء المستقبل .

وفيما يرجع الى رجال العلم والادب يجب ان يعملوا لخدمة العلم ، وفي استطاعتهم ان ينتزعوا اعتراف الدولة بخدماتهم اذا هم افادوا العلم بنشره بمختلف الوسائل : محاضرات ، ابحاث ، مجلات ، كتب ، مسامرات ، الخ .. والدولة لابد ان تشجعهم اذا هم تكتلوا لهذا الغرض النبيل وضمن رجال العلم والادب ، اذكر خريجي الجامعات على اختلافهم . ان الارقام الاستدلالية والشواش على ابواب المكاتب وما يتبع ذلك من بهرجة فارغة قد أنست كثيرا منهم ان آباءهم ودولتهم ، انفقوا عليهم من المال والجهد نصيبا عظيما لا ليقتعدوا الكراسي الانيقة ويترفعوا عن النزول الى خدمة الشعب ، وانما انفق هذا الجهد وذلك المال ، لكي يستغلوا معارفهم في البحث والانتاج والتعليم وانشاء هيئات للنشر والترجمة والتاليف ، او على الاقل ليساهموا بشيء من ذلك في خدمة وطنهم الى جانب اعمالهم المهنية التي تضمن لهم من العيش اكثر من الكفاية في ادارات عديدة .

اما الآباء والمربون ، فمسؤوليتهم جسيمة في تعويد اطفالهم على حب العلم وتنمية المعرفة منذ نشأتهم . والتلميذ الذي بلغ سنه مستوى الشهادة الابتدائية وهو بعد لم يكون مكتبة يرعاها ويتعهدها بنفسه ، محكوم عليه بالفشل الفكري في المستقبل . واقصى ما يمكن ان يبلغ اليه ، بعد ، هو ان يتخرج وراسه محشو بمعلومات مدرسية بحث سرعان ما ينساها اذا دخل معترك الحياة . ولا فائدة للامة من شخص يقف حيث تتطور الدنيا بعلومها وابحاثها ، ومن شب على شيء شاب عليه .

ان النشاط الفكري الذي عرفه اليونان والرومان كان لرؤسائهم واباطرتهم فضل عظيم عليه . وقد كان فى القرطاجنيين امراء وضعوا هم انفسهم كتبا . والنهضة الاسلامية الجبارة فى ميدان العلوم والمعارف كان للخلفاء والملوك فيها معظم الفضل وقد دشن الرسول محمد عليه السلام هذه النهضة بتشجيعه لرجال العلم والادب كأبي بكر والخنساء وكعب بن زهير وابي هريرة . وقام كل من المنصور العباسي وهرون الرشيد والمامون بتيسير سبل العلم عن طريق الترجمة والتأليف وتشجيع الكتاب والعلماء والمؤلفين ، والنهضة الفكرية الواسعة التي عرفتها فرنسا فى القرون الثلاثة الاخيرة ساهمت فيها الحكومات ورؤسائها باوفر نصيب ، وما قيام نابليون بحملته على مصر التي صحبه اليها مئات العلماء لاكتشاف كنوزها العلمية والاثرية الا مثال بسيط على هذا الاهتمام بشؤون العلم والفكر ، ولم تتوان دول المغرب منذ الادارسة عن نشر العلم وتيسير اسبابه حتى اكتظت خزائن المثقفين بآلاف من المخطوطات التي لا تزال بقاياها شاهدة على هذا الانتاج العلمي الواسع . وكان فى ملوك العلويين من ساهموا بتأليف عدة مصنفات كمحمد بن عبد الله وسليمان وعبد الحفيظ .

وحتى فى ايام الحماية كنا نشهد حركة انتاج واسعة لولا ان الانتاج لم يكن يساير فى معظمه المناهج الحديثة . وظهرت فى هذا العهد مصنفات ابن الموقت المراكشي ، وعبد الرحمن بن زيدان والفقيه الحجوي وغيرهم .

اما ركود الحركة الفكرية بعد الاستقلال فيرجع الى اسباب شرحت بعضها واذكر منها هنا البعض الآخر وهو :

1) ان وزارات التعليم المتعاقبة صرفت كل جهودها تقريبا لصالح نشر التعليم الابتدائي ثم التقني ومع وجود تعليم عال اصبح يتسع نطاقه ، فان حركة التأليف والبحث لم تساير هذا التطور السريع لا من حيث النوع ولا من جهة الكم .

2) لم يفكر احد من وزراء التعليم فى احداث لجنة دائمة ترعى شؤون الفكر انتاجا واخراجا وتشجيعا . وكان جديرا بالمغرب ان يتوفر على مثل هذه اللجان التي كان من الانسب ان تنبثق عن المجالس المختلفة للتعليم والتي كان دورها فى معظمه سلبيا اكثر منه ايجابيا .

فكيف اذن ترعى الدولة الحركة الفكرية ؟

بل كيف تشترك جهود الباحثين والمربين والادباء مع جهود الدولة التي يجب ان ترعى هذه الحركة ؟

ففيما يرجع الى الدولة :

1) من الضروري احداث مجلس على غرار المجلس الاعلى لرعاية الآداب بالجمهورية العربية المتحدة، والا فتوسع دائرة المجلس الاعلى للتربية الوطنية الذي يبدو انه دخل فى ذمة التاريخ . ويجب ان يكون من شأن هذا التوسيع فتح المجال لمجموعة من رجال الفكر المعروفين بحماسهم ونشاطهم عمليا فى ميدان المعرفة والانتاج بالاضافة الى ضرورة توفرهم على النزاهة النفسية حتى ينصبوا من قلوبهم على العمل الفكري ، تارة بالتأليف وطورا بالترجمة مع الاهتمام المتواصل بتشجيع الانتاج الفكري المحلي وتخصيص جوائز عالية ومتعددة لمختلف فروع المعرفة ولاكبر عدد ممكن من الكتاب والمنتجين .

2) يجب ان تحدث البلديات الكبرى خاصة جوائز للتأليف والانتاج الفكري .

3) تنشىء جميع الكليات والمعاهد العليا مجلات وكتبا دورية وتخصص اعتمادات للابحاث المقدمة **باللغة العربية** بمشاركة المفكرين والاساتذة وخريجي المعاهد العالية ، وتجهز كل كلية ومعهد عال بمطبعة لنشر الكتب والابحاث ، خصوصا ما ينتجه خريجوها واساتذتها .

4) تيسر كل الوسائل الممكنة لطلاب الدراسات العليا حتى يقوم كل منهم بالتنقيب والبحث ؛ كل فيما يهم دائرة اختصاصه . وهكذا تفتح اعتمادات للمتخصصين فى التاريخ والآثار واللغة والعلوم حتى يدرسوا اولا وقبل كل شيء مناطق وسكان وآثار المغرب المجهولة ، ويصححوا اخطاء علماء الغرب ، ويتصلوا بالمجتمعات فى كل مكان ويدونوا لهجات السكان على اختلافها وكذا عوائدهم وسلوكهم وطريقة معيشتهم وسكناهم . كما تفتح الخزائن التي تتضمن

مجيدة ، وحضارة براقة فى عنفوان الشباب . وقد تعرض المغرب بحكم انتسابه الى العالم العربي تاريخيا وحضاريا لنفس التجربة رغم محاولته الاحتفاظ بعزلته وحريته مدة اطول .

وكلكم تعلمون تفاصيل ردود الفعل لشعوبنا العربية ازاء خطر الغزو الاوروبي وبخاصة عندما ظهرت نواياه سافرة ، هادفة الى مسح مقومات الحضارة العربية ومحو شخصيتها واعطائها شكلا يضمن للرأسمالية والدول الكبرى استغلالا ابديا ، واستسلاما كليا وقد كان رد الفعل فى المغرب امام محاولات الفرنسة يعتمد على دعامة اساسية فى تكوين مجتمعنا آنذاك ، وهي دعامة الثقافة العربية . والواقع ان بعض الدول العربية فى المشرق استطاعت ان تلقح الثقافة التقليدية وان تحييها بكيفية اكثر تنظيما وفعالية . اما هنا فى المغرب ، فان الثقافة التقليدية اندمجت فى اطار الكفاح الوطني ، واصبحت وسيلة من وسائل الدفاع عن الشخصية والاحتماء من فظائع المسخ والتشويه . لذلك فان انتاج فترة الحماية تنعدم فيه الاهتمام بتطوير الشكل وتعميق المضمون.. واكثر ما يتجلى ذلك فى سيل القصائد التي نظمت بمناسبة اعياد العرش ، والتي لم تكن — فى حقيقتها — مدحا خالصا بل ابرازا لقضية اساسية كانت تشغل الرأي العام المغربي قاطبة .. ونفس الملاحظة يمكن ان توجه الى الابحاث التاريخية والمقالات وبعض القصص القصيرة ، والمسرحيات .. فقد كانت تهدف الى اقامة حاجز يحول دون تسرب المد الفرنسي الى عقول وارواح المغاربة .. ومن ثم نجد بعض نقادنا يقررون ان انتاجنا الفكري والادبي فى فترة الحماية كان اكثر ازدهارا مما هو عليه الآن . الحقيقة ان هذا الرأي يحتاج الى مناقشة يمكن ان نجعل منها مفتاحا لجوهر المشكل .. فمن المغالطة القول بأن انتاج فترة الحماية كان فى مستوى عميق يعبر عن جميع أبعاد تجربة شعبنا المقهور .. بل كان — كما قلت من قبل — وسيلة من وسائل الكفاح يردد فى اشكال متباينة اصداء المعركة ، ولكنه لم يكن قط نوريا كاشفا لآفاق جديدة متخطيا عهد الاستعمار الى ما بعده ، مثلما فعل محمد ديب فى روايته الخالدة البيت الكبير حينما ركز محور الاحداث على مشكلة الجوع والتخلف وحمل الاستعمار النصيب الاكبر من المسؤولية ، وفى نفس الوقت اوحى لنا من خلال الحوار ان زوال انظمة المستعمر غير كاف لحل المأساة ، بل يتحتم ايجاد نظام اكثر عدلا وتجاوبا معمطامح الانسان الجزائري.. ونتيجة لهذه الرؤية العميقة اكتسبت روايات الديب اصالتها وقوتها وغدت فى مستوى الثورة التي يعيشها مواطنوه .. مثل هذا الانتاج لم يوجد عندنا فى فترة الحماية ، ولكن قيمة محصول هذه المرحلة آتية من كون معظم الذين كتبوا باقلامهم كانوا يصدرون عن عقيدة وايمان ، وكانوا يترجمون مشاركتهم العملية فى الكفاح الى قصائد او مقالات وهكذا فان فترة الحماية جسمت لادبائنا الاخطار المحدقة بوطنهم فلم يتقاعسوا عن تحمل مسؤولياتهم ..

نريد ان نتخطى الآن كل التفاصيل لنصل الى عهد الاستقلال .. فقد لوحظ فى هذه الفترة ان معظم الاقلام قد خفت صريرها وتضاءل الانتاج .. مما دفع البعض الى تعليل ذلك بأن الوظائف قد امتصت مختلف الطاقات وشغلتها عن ميدان الادب والفكر ، وهو تعليل يبدو معقولا لاول وهلة الا اننا سرعان ما نتبين جوانب اخرى للمشكل . فالاستقلال حدث هام، كاف لاحداث تغييرات بعيدة الغور فى بنية المجتمع ، وهو فى نفس الوقت اعلان عن نهاية وضعية شاذة ، وعودة المجتمع الى تكوينه الطبيعي بما فيه من تعارض بين الطبقات وبحث عن نظام يكفل التوازن والاستقرار، فاذا كان الحجر قد رفع ، فقد ترك لنا مشكلة التخلف ماديا وحضاريا .. واذا كانت كل الطبقات والآراء متفقة من قبل على ضرورة التعجيل بفك قيود العبودية ، فان عهد الحرية قد حمل معه اعباءها وقلقها ، وجعلنا نعيش تجربة اكثر عمقا وتعقيدا ، هي تجربة البحث عن اسس حضارية وطيدة فى عالم سريع التغير . فكان من الطبيعي ان تطرأ هذه الوقفة المؤقتة على حركتنا الادبية . وهي وقفة تتخذ طابع الازمة لانها تقترن بسؤال خطير تلقى الاجابة عليه اضواء ساطعة على دروب المستقبل .. هذا السؤال هو : هل بامكان الادب المغربي المعاصر ان يبرر وجوده اي ان يضطلع بوظيفته فى مجتمعنا المتخلف المتأزم ؟

ان تحديد وظيفة الادب يتطلب مجالا أوسع ، لانه موضوع متشعب تختلف حوله الآراء نتيجة لاختلاف الرؤيات والمفاهيم الحياتية .. ومع ذلك يمكننا ان نجيب على السؤال فى اختصار معتمدين على المفهوم الذي نؤمن به .

مشاكل الأدب المغربي المعاصر

للاستاذ
محمد برادة

كان الادب المغربي الى الربع الاول من القرن العشرين يعكس صورة مجتمعنا آنذاك.. وكان الشعر هو النوع السائد الذي يتوسل به للتعبير في ظروف تنعدم فيها الحرية ، لان الشعراء كانوا يمتهنون الشعر ويتخذونه مطية للتكسب ، وتبريرا لعطالتهم ، ولان الحكام كانوا يتذرعون بقصائد الشعراء لنشر مآثرهم واشاعة امجادهم على العالمين . وهي ظاهرة لايتفرد بها التاريخ المغربي وحده ، بل نجدها ايضا في العالم الاسلامي وفي الاقطار الاوروبية قبل نهضتها الحديثة . وليس موضوعنا الآن دراسة هذه الظاهرة ولكنني اشرت اليها تمهيدا لبعض الفرضيات التي ساعتمد عليها فيما سيأتي من حديث .

واولى هذه الفرضيات ، ان الادب قيمة اجتماعية ، لكل المواطنين حق الاسهام في خلقها وتطويرها .. ولكي تكون هذه القيمة متوفرة على شروط النمو والتفتح ، يجب ان تقترن بالحرية حتى يتاح لجميع افراد المجتمع على اختلاف طبقاتهم ومفاهيمهم ان ينجوا دون التعرض لتعسف او توجيه مفروض . هذه الحرية لم تكن متوفرة خلال فترة طويلة من تاريخ المجتمع الاسلامي والمجتمعات الاوروبية وغير الاوروبية في عصور انحطاطها . واذا ذلك أمر طبيعي بالنسبة للحكم الاتوقراطي ، اذ من غير المعقول ان يسمح الحاكم وحاشيته لابناء الطبقة المحكومة — المضطهدة في معظم الاحيان — بالتعبير عن مطامحها وسخطها .

اعتمادا على هذه الملاحظة يسهل علينا ادراك الفرق الشاسع بين مفهوم وظيفة الادب في العصور الغابرة ، ومفهوم الادب في العصر الحديث ، عصر الديمقراطية ، وعصر تبلور الصراع الطبقي ، وعصر سيطرة روح الجماعة على الفردانية .

ومهما يحاول بعض النقاد ويجهدوا انفسهم للعثور على ملامح مشتركة تجمع بين غزليات امرىء القيس، وغلاميات ابي نواس، وشوقيات امير الشعراء، فان من يتمعن في الظروف الجديدة التي أصبح يعيش فيها مجتمعنا وباقي المجتمعات ، والهزات المتتالية التي لحقت مختلف القيم والمقاييس ، يدرك بوضوح مقدار تميز تجربتنا ومشاكلنا عن تلك الانماط من الحياة والانتاج . .

ولا مناص لمن يريد ان يتعرف على مشاكل ادبنا الحديث او على الاصح لمن يريد ان يسبر أسباب ازمته الموقتة ، من الرجوع الى اوائل هذا القرن . وانا اسارع — قبل الدخول في التحليل — الى توضيح فكرتي الاجمالية التي اريد ان انتهي اليها ، وهي انني استبعد المشاكل ذات المظهر المادي الصرف المتمثلة في عدم توفر وسائل الطبع والتوزيع ومردودات الكتب، واحصر كل اهتمامي في مشاكل تتصل بمستوى ادبنا ومدى استجابته لظروف مجتمعه ، وامكانيات تأثيره، ومبررات وجوده ، وانا ازعم منذ البداية ان هذا المظهر الثاني من المشاكل هو الذي سيخط مصير ازمتنا وسيحدد ما اذا كان الادب المغربي الحديث سيكتب له النمو والتفتح ام سيظل حبيس مشاكله الوهمية والحقيقية ..

لقد بدأ العالم العربي يخرج من سكونه وخموله عندما تعرض لغزو اوروبا ، وتجابهت حضارته التقليدية الحائرة مع حضارة تتمتع بكل مقومات الحياة من ديناميكية وقوة وتفوق .

وكانت عملية التجابه هذه عاملا منشطا ، ونورا كاشفا ، أزاح كثيرا من الحجب وخلق صراعا بين حضارة منهارة فارغة الوفاض الا من كبرياء وذكريات

الرئيس ترومان » لتبلغ آخر ديوان اصدره صلاح عبد الصبور ، وعبد الباسط الصوفي وبدر شاكر السياب . . وفي ميدان الرواية تنطلق من « عودة الروح » لتصل الى ثلاثية قصر الشوق ، واولاد حارتنا لنجيب محفوظ ، وجيل القدر لمطاع صفدي .

ورغم النجاح الذي حققه الادب الحديث في بعض الاقطار العربية ، فان التجربة لفتت الانظار الى كثير من المآخذ ، مصدرها الحماس المفرط في الاقتباس من الثقافة الغربية ، وعدم مراعاة ظروف مجتمعنا المتميزة عند المزاوجة بين الثقافتين . وهذه الظاهرة اكثر ما تنجلى في الشعر الحديث . . فالقارىء لدواوين الشعراء العرب المحدثين يحس سوداوية كافكا ورامبو ، ويلمس نورية لوركا وناظم حكمت ، ويدرك كاثوليكية ت.س. اليوت ، ورمزية فاليري ، هذا التأثير الواضح يطمس الشخصية العربية المعاصرة بقلقها وضياعها وثورتها . . وربما كانت هذه الظاهرة امرا طبيعيا بالنسبة للمدة الزمنية التي عاشها الادب العربي الحديث . .

ناتي الآن لنتساءل عن موقف الادب المغربي الناشىء . هذا الرائد المتطلع الذي يراد منه ان يطوي المراحل ليصبح عملاقا ، ما هو موقفه من هذه المذاهب المتباينة والثقافات العميقة المعقدة ؟!

اني لا اريد ان اضخم المسؤولية او ان اسهب في تعداد الشروط التي يجب أن تتوفر في ادبنا الحديث . . ولكن هذا العرض الموجز يوضح ان مسؤوليته تقوم على اساسين هما الاختيار اولا . وبذل الجهد اللازم لتنفيذ هذا الاختيار ثانيا .

فالمطلوب من الادب الناشىء ان يعانق عصره حتى النهاية ، وان يتمثل ثقافاته وايديولوجياته ثم يختار ما يعتقد فيه خلاصا لشعبه المتخلف ، ويصدر عن هذه الرؤية فيما ينتجه من قصص او شعر او مسرحيات ليبث الوعي ، وينير السبل . ان الادب بهذا المفهوم ارحب من تخطيطات السياسة . واحق الوسائل كلها بالسبق الثوري ، وتغيير المجتمعات . .

وفي اعتقادي ان العامل الاساسي الذي سيكتب لادبنا المغربي المعاصر البقاء او سيقضي عليه بالتعثر والتجمد، هو مدى نضج مستواه والتصاقه بالمعركة التي يخوضها شعبه في سبيل حياة افضل . . ان هذا المستوى هو الذي سيدعم كيانه ، ويوجد له جمهورا متجاوبا ، ولعلني بهذا الراي اتغاضى عن المشاكل ذات الطابع المادي . . ومع ذلك فاني ارى ان العمل الادبي الاصيل قادر على شق طريقه وفرض نفسه . .

ويمكن ان نعتبر قصة الاستاذ عبد المجيد بن جلون « في الطفولة » مثالا ملموسا على هذا الراي ، لانها رغم قلة وسائل النشر والدعاية استطاعت ان تفرض نفسها وان توجد لها قراء يعدون بالمئات في بلادنا . وبالآلاف في بريطانيا . واستطاعت ان تتبوأ الصدارة بصفتها احدى المعالم الهامة في ميدان الرواية المغربية الحديثة

ان ادبنا المغربي المعاصر مايزال في طور الارهاصات يلفه ليل مخاض طويل ، ورغم البلبلة والمشاكل فانه سيجتاز فترة التبرعم ليبلغ فترة التفتح والنضج . . وكل هذه المشاكل التي ذكرناها تشكل تحديا لشبابه وتوقه وامكانياته . . وان بعض البوادر التي تخطها اقلام شابة هادفة . تنبىء عن تحفز للانطلاق . واستعداد للمشاركة في صنع المفهوم الجديد لانساننا المغربي . .

يقول جان بول سارتر فى كتابه Situations (مواقف) الجزء الثاني « ان الادب هو — فى جوهره — ذاتية مجتمع يعيش ثورة دائمة » .

يقصد سارتر الى اعتبار الادب نداءات حرة تصدر عن مختلف الاشخاص لا لتؤثر مباشرة فى السلوك العملي ، وانما لتكون اطار الافكار والمفاهيم . ولتسجل التحولات وردات الفعل طبله مراحل التبدل المستمر التي يعيشها مجتمع ما . ومعنى ذلك ان الادب يغدو بمثابة ضمير مرهف يسجل كل الذبذبات والارتجاجات داخل المجتمع مهما تباينت الطبقات . ولما كان الادب يتوسل باللغة ويدخل فى نطاق التفكير ومجالات الامكان ، فانه بذلك يصبح معارضا لمجالات الفعل والتطبيق ، وهو تعارض لم يمح قط لان احلام الانسانية وامانيها لم تتحقق بالضبط فى دنيا الواقع . ولان الواقع يتغير بسرعة دائبة . من ثم اصبح يتحتم على الادب ان يكون سباقا يعكس باستمرار التحولات الطارئة فى حياة المجتمعات .

كل هذه الآراء وغيرها تقرب الى اذهاننا المحتوى الجديد لمفهوم الادب فى عصرنا وهي تلح على سرورة التحام الادباء بعصرهم ، ومحاولة عكس كل التغيرات والتحولات التي يجتازها الانسان والمجتمع .. فالانسان هو محور النشاط والنفوبه والفعالية ، وليست هناك قيم وافكار سابقة نفيده .. بل هو يعيش تجربة منفردة يجهل نهايتها ، ولكنه يؤمن بمسؤوليته فى الاختيار ، ويؤمن بحقه فى الرفض والتمرد ..

طبيعي ان هذه الافكار مشتركة بين كثير من الاناسي فى المجتمع الحديث ، ولكنها لا تنفي وجود النسبية الناجمة عن تنافر الظروف المجتمعة . وعلى هذا الاعتبار . فان المشكلة الاساسية التى تواجه ادبنا الوليد المتلمس لخطاه ، الباحث عن نفسه . هي مدى قدرته على تمثل المفاهيم السائده فى مجتمعه والعمل على بلورة الصالح منها اي بلوره المفاهيم التي ستمكن لشعبه المتخلف من اللحاق بركب الحضاره المعاصرة ..

الواقع ان عملية مثل هذه ليست هينة لانها يجب ان تتم فى مستويين مختلفين ، ولكنهما متكاملان :

1 — المستوى الايديولوجي : واقصد به مصدر الرؤية الحياتية للاديب او المفكر .. وليس ضروريا ان يرتبط بايديولوجية سياسية ولكن اديب المستقبل فى بلادنا كما افهمه — يجب ان يكون اكثر تقدما من جميع الايديولوجيات ، وبعبارة اخرى يجب ان يربط مصيره بمصير الطبقات العاملة الحية عندنا ، لانها هي التي ستكون جمهور الادباء فى المستقبل ، ولان اى تقدم او حضارة فى شعب متخلف لا يمكن ان يصنع بدونها .

2 — المستوى الفني : وهذا العنصر الثاني اكثر تعقيدا وصعوبة . ذلك اننا نواجه ارثا ضخما من الثقافات والمذاهب ، تستوجب فهما واستيعابا دقيقا ، قبل ان نتمكن من ايجاد شخصية فنية اصيلة. واذا كان الجيل الجديد من ادبائنا سيؤثر اختيار مبدا الالتزام فان الشعار لن يعفيه من تحقيق شرط الجودة الفنية ، لان الادب يختلف عن العلم والفلسفة يقول الناقد فاديم كوزينوف فى هذا المعنى (3) :

« من الضروري ان يكون التفكير فى الفن تفكيرا فنيا . ولهذا يختلف اختلافا جذريا عن التفكير العلمي او التفكير الفلسفي . والفكره الفنية توجد وتنمو كصور ، وهذه الصور هي الشكل الداخلي لتفكير الفنان تماما كما ان الادراك هو الشكل الداخلي لتفكير الفيلسوف » .

وهذه الصعوبة التي ستعترض ادبائنا الناشئين، هي نفس الصعوبة التي واجهت الادب العربي فى المشرق بعد ان طرح مبدأ الالتزام، وارتاد آفاقا جديدة اكثر صدقا واستجابة لمشاكل شعوبهم . وقد نتج عن هذا التحول من القالب التقليدي الى القالب الحديث، تخلخل فى الاشكال الفنية ، الا ان المفهوم الجديد للادب فى المشرق العربي استطاع رغم كل شيء ، ان يفرض نفسه ، وان يقدم نماذج ناجحة تمتد من قصيدة عبد الرحمن الشرقاوي « رسالة من اب مصري الى

---

1) سارتر Situations II

2) Express 30 نوفمبر 1961 ص 14

3) مجلة الآداب — اكتوبر 1961

طن بقومه القصور عن فهم اتجاهه وسلوكه في الحياة ، وهو في الحالين عاجز عن المساهمة في دفع الثقافة المغربية المشتركة الى وجهة معينة ، وسبيل معروفة.

من اجل هذا ، يتحمل المثقفون « الاحياء » تبعات جسيمة في سبيل خلق الاتجاهات السليمة للثقافة القومية المشتركة ، ولا ينجيهم من هذه التبعة الا بعض التضحية والاخلاص ، التضحية ببعض المنافع والالقاب والامجاد الشخصية ، والاخلاص للثقافة التى علموها، وسمحت لهم ظروف الحياة ان ينفردوا بها من دون سائر الناس في هذا المجتمع المغربي الحبيب ..

والثقافة الشعبية في حاجة الى توجيه الثقافة الحية ورعايتها ، ومن واجب المثقفين « الاحياء » ان ياخذوا على عاتقهم رسم الخطط والاتجاهات للمثقفين الشعبيين ، فلقد عرف تاريخنا نبوغا شعبيا ملحوظا في الثقافة الشعبية ، وذكاء لامعا في المثقفين الشعبيين، ومقدرة خارقة على قول الشعر زجلا ونقدا وحكمة ودررا ، وانه في استطاعة احدنا — لو كان يهمه الامر — ان يبحث في التاريخ الشعبي ، ليجد لهؤلاء المثقفين اتجاهات ونظريات معينة في الحياة ، فيها مظاهر النبوغ والعقل ، وامارات من الذكاء والحكمة ولكننا في عصر لا يسعنا فيه مزيد من التعلق بالماضي، والتمسح باطلاله وامجاده ، وانما يهمنا ان ننظر في واقعنا ، لنلمس فيه لنقائصنا كمالا ، ولامراضنا علاجا ، ولتخلفنا اصلاحا ، نجدنا مضطرين لان نقرر ان ثقافتنا الشعبية ، هي الثانية ايضا ، في حيرة ، لا تعرف لها اتجاه ، لانها ترتوي من معين الثقافة الحية ، وهذه الثقافة لا زالت نائمة راكدة ، تمد الشعب بالتاخر والجمود ، فيبادلها تاخرا بتاخر ، وجمودا بجمود ، وهي حالة تناقض كل اصلاح ، ولا يرضى عنها ضمير الامة .

الثقافة الحية ، والثقافة الشعبية ، تتعاونان معا على خلق « ثقافة وطنية » ونعني بالثقافة الوطنية، ذلك الزاد من الاخلاق والتربية التي يتلقاها اطفال الامة في المدارس الابتدائية، وفي المنازل ، وفي الشوارع المخيمات ، الثقافة الوطنية اساس كل اصلاح وتقدم في المجتمع ، تعتمد عليها الامم الحديثة ، في تنشئة الاجيال المقبلة تنشئة صحيحة ، وتغرس فيهم العقيدة السليمة ، والاتجاهات الوطنية القويمة ..

على ان جميع المبادىء والمعلومات التي يتلقاها الاطفال في الصغر يصعب محوها منهم في الكبر .. والمشكلة الخطيرة التي تعترض الثقافة او التربية الوطنية في بلادنا تكمن في ان هذه الثقافة تلقي الى التلاميذ في بعض الاحيان بلغة ان كان يتكلمها المثقفون فهي ليست ، بحال من الاحوال لغة عامة للشعب ، ويقوم بالقائها وتقريرها في بعض الاحيان الاخرى أناس ليسوا من هذا الشعب، ولا من عاداته ، ولا من مبادئه، ولا من اخلاقه ، اننا مضطرون لان نسلم مع كل احد ، ان هذا الوضع انما هو امر موقت ومرحلة انتقالية الجات اليها الضرورة .. ولكننا مضطرون ايضا الى أن نضيف الى ذلك أن هذا الوضع الموقت وهذه المرحلة الانتقالية ستحدثان لنا جيلا انتقاليا مضطربا .. لا وجه لثقافته الوطنية .. ولا ندري متى يدركه الاستقرار ولا متى يعرف الاطمئنان ، وليست تبعة ذلك على هذا الجيل ، وانما هي جناية الايام ، وجناية الاباء على الابناء (جناية الثقافتين ، الحية والشعبية ، على الثقافة الوطنية) ان احببنا ان نكون صرحاء ، والا فما ذنب الطفل ، وهو لم يتلق في المدرسة ولا في البيت شيئا من مقومات عربيته ومبادئه ، اذا لم ينشا عربيا او نشا على غير مبدا ؟ اعتقد أنه لا لوم عليه اذا لم يكن لثقافته وجه ، ما دام الكبار انفسهم يسيرون على غير اتجاه .

ولو شئنا أن نقبل عذر كل ذي عذر ، لما القينا تبعة عدم وجود وجهة للثقافة المغربية على احد ، ولبرانا ساحة الجميع ، ولكن هذا ليس بشيء ، على النائمين ان يفيقوا على اصوات التقدم ، وعلى الجامدين ان يتحركوا على انغام العمل ، وليصغ كل منا بسمعه الى ضمير الامة يصيح في اعماقه مهيبا به الى التضحية والاخلاص ، ان بلادنا تمر بفترة انتقالية في ظروف عصيبة ، وبعقبات لابد من اقتحامها ، ولكننا سنستعين على هذه الظروف ، وعلى هذه العقبات بانفسنا : فالذي وضعته ظروف ثقافته في قالب من الجمود عليه ان يثور على هذا الجمود باعتقاده انه اكبر من هذا القالب الذي فرض عليه .. والذي وضعته الظروف ، خطا ، في صف المثقفين ، وكانت الثقافة تبرأ منه ، تقتضيه التضحية وتقتضيه الاخلاص ان يظهر على حقيقته للناس ، ويتاخر ليتقدم

وجهة الثقافة المغربية

بقلم الأستاذ
عبد الله الكتاني

الى اين نولي الثقافة وجهها فى الظروف الحاضرة ؟ قبل الجواب على هذا السؤال ، أسارع لابين أن كلمة « الثقافة » فى هذا السؤال ليس معناها مقدار الحصيلة الفردية لكل مغربي من العلوم والاداب والفنون او الحضارة ، وانما هي : ذلك الزاد الحضاري القومي المشترك ، الذي تتغذى منه ثقافة كل مثقف مغربي على حدة ، وينطبع بها انتاجه ، ويتوجه بها سلوكه ، وتتأثر بها احاديثه وجميع مواقفه ، اينما تثقف ، وكيفما كان لون الثقافة التي علمها .

الثقافة المغربية بهذا المعنى ، هي التي نريد فى هذا المقال ان نبحث لها عن وجهة ، ونحب — تبعا لذلك — ان نراها فى اشكالها الحية اولا ، والشعبية ثانيا ، والوطنية ثالثا .

فالمقصود بالثقافة الحية ، مجموع زاد المثقفين ثقافة واسعة فى العلم والادب والفلسفة والاجتماع والاخلاق ، فى الحالة التي تحتك فيها ثقافة هؤلاء المثقفين بعضها ببعض ، لتتصل بعد ذلك بالطبقة الشعبية فى المجتمع ، فتشارك فيها ، وتتأثر بها ، وتؤثر فيها ، وتمثلها بعد ان يضعها هؤلاء المثقفون بين يدي الشعب .

ولن يستطيع قائل ان يزعم انه لا وجود لمن يمثل اصحاب الثقافة الحية هذه فى مغربنا الحبيب ، بل هم فى الوطن كثير ، على اختلاف ثقافاتهم واتجاهاتهم والوانهم واشكالهم .. ولكننا صدفنا ، منذ البدء ، عن البحث فى الثقافة الفردية لكل من هؤلاء على حده ، لان ذلك امر يطول ، ولا يعطينا فكرة صائبة عن وجهة الثقافة المغربية بالشكل الذي نريد ، لكثرة الافراد من جهة ، ولان الاحكام الخاصة بفرد من الافراد يصعب تعميمها حتى على ذلك الفرد نفسه فى سائر اطواره وحالاته من جهة اخرى .. فاذا رجعنا الى البحث عن وجهة الثقافة المغربية بالمعنى الذي اتفقنا عليه ، آسفنا القول : ان وجهة هذه الثقافة لم تتبلور بعد فى اتجاه واضح المعالم والخطوط ، ذلك ان اصحاب الثقافة الحية منكمشون على انفسهم انكماشا تاما ، منعزلون عن المجتمع الثقافي انعزالا كليا ، جامدون على ما علموا جمودا مريعا ، تكاد تحسبهم — معه — الى الجاهلين اقرب منهم الى المثقفين ، والثقافة — مهما كانت غالية — كالمعدن يفقد نفاسته ، ويضيع قيمته ، اذا اهملت صقالته ورعايته ، وجلاء الثقافة الحقيقي نزولها من الابراج العالية ، وخروجها من وراء المكاتب والادارات ، الى قاعات البحث والمحاضرات ، ودوائر المناقشات والمناظرات ليقدح الفكر الفكر ، ويوري الزناد الزناد ، وتنير شعلة الفكر الطريق للسارين ، وتتضح معالم الطريق للحائرين ، ويظهر للثقافة المغربية اتجاهها السليم .

فاصحاب الثقافة الحية ، حينما يحتفظون بثقافاتهم لانفسهم ، ويخفون اتجاهاتهم عن الشعب والوطن ، تكاد ثقافتهم هذه لا تنفعهم ، وتصبح تجارة بائرة بين ايديهم ، ينسونها او تنسيهم اياها الايام ، ان المثقفين (الاحياء) — اذا صح التعبير — يعيشون اليوم فى بلادنا على هامش الحياة الثقافية المغربية ، وكان من حقهم ان يغمروا هذه الحياة بجدهم ونشاطهم ، فاذا هذه الحياة تغمرهم ، وتعمل على ضمور ثقافاتهم ، واخفاء اتجاهاتهم الحقيقية ، وما ذلك الا لتفاوت الثقافات وتنوعها فى هذا الوطن : فتجد المثقف العربي يخفي صوت ثقافته العربية على استحياء ، مخافة ان يتهم بجهل الثقافة والحضارة ، ويصف الى جانب غير المثقفين « اللامتحضرين » ، وتجد المثقف ثقافة غير عربية عاجزا عن المضي بثقافته فى المستوى الذي رآه فى البلاد التي تثقف فيها ، فيخفي صوت ثقافته عن تواضع او عن غرور : يتواضع اذا علم بضعف ثقافته بين الثقافات الغربية ، ويستكبر اذا

نظرة جديدة في أزمتنا الأدبية

الأستاذ
ابن دفعة محمد

لعلي، وانا ازمع على طرق هذا الموضوع، اشبه بمن يزمع على نبش قبر .. والجثة تنتن .. وتهرأ عن بقاياها الكفن ..

ذلك لان الازمة الادبية عندنا، تداولها البحث منذ فجر الاستقلال، وتنوعت الاقلام والمواهب والمقدرات التي عالجتها .. وقد عولجت هذه الازمة في شيء من الوعي، وفي شيء من السهولة حينا، وفي كثير من السطحية والارتجال والتجزئة في كثير من الاحيان .. ثم اهملت، وهجر التحدث عنها، تماما كما تهجر المائدة بعد الشبع، وهي لا زالت حافلة ..

بيد ان كثيرا من هؤلاء الباحثين انكروا بتاتا، وجود ازمة ادبية في بلادنا، لانهم انكروا اصلا، ان لنا ادبا .. بل، وشك بعضهم كثيرا في امكان ان تكون لنا ادب .. وكانت حدود ابحاثهم، في اكثرها تكاد تقف، عند مناقشة هذا السؤال المكرر : هل لنا ادب، حتى نشكو من ازمة ادبية ؟ .

ويبدو ان هذا سؤال غير مشروع، بل انني اكاد اعتقد انه هازل، اذ ليس من المشروعية في شيء ان نتساءل : هل في المغرب حياة ؟ هل ثمة امة وقومية واهداف ؟ هل فيه انسان ؟ والسؤال الاول يحمل، ضمنيا، كل هذه الاسئلة، فما من امة بلغت درجة من الرقي والوعي، وآمنت بقوميتها، وتطلعت الى مجموعة اهداف الا وظهر هذا الوعي، وهذا الايمان والتطلع في محاولاتها الادبية .. ولعل من العسير جدا انكار معالم النهضة الادبية، والفكرية عامة، التي تظلل براعمها في بلادنا، ولعله ليس من اليسير ايضا اثبات التهمة الموجهة الينا كتهربيين منسلخين من قوميتنا واهدافها، بل تخيل الي ان هؤلاء الباحثين الجادين انفسهم يؤمنون بوجود تيار قومي عربي تحرري، وتيار فكري ادبي هادف، وما ساقهم الى وضع مثل هذا السؤال الا الحاجة القومية لتسويد وجه الصحف .. والا، فكيف ينكرون وجود ادب مغربي وازمة ادبية، وهم في اللحظة نفسها، ينتحلون القاب (شاعر، ناقد، اديب، كاتب ..) ويلتحفونها، ولا يقبلون بوجه ان نخلع عنهم ..

نعم، قد يكون الادب، في امة ما، ذا مستوى اخفض، بكثير او قليل، عن مستوى الاداب العالمية الكبرى، وهذا ما لا سبيل الى انكاره بالنسبة للادب المغربي، فان حركتنا الادبية لا تواكب الاداب العالمية في تياراتها الفكرية، ومفاهيمها الجديدة، بل اننا متخلفون، بشكل بارز، عن ركب الادب الشرقي نفسه، رغم الصلة الوثيقة بيننا وبينه في لغة الاداء، وفي القضايا والاهداف المشتركة، في الالة والمادة الخام ..

* * *

واسباب هذا التخلف انواع .. الا ان اخطرها تنبع من داخلنا، من نفسياتنا .. بينما نحن، كلما شعرنا بخطورة تخلفنا عن غيرنا، سعينا الى تبريره باعذار وباخرى، متملصين من مسؤولياتنا، فنفتعل حالة المجبور ساقته، وسوقه قوى خارجة عن ارادته .. اذ نعدد عوامل كثيرة تعوق ازدهار الادب والفكر في بلادنا، ونكاد نرجع كل هذه العوامل عن اصل واحد، هو تدخل الاستعمار في حياتنا الفكرية طيلة المدة التي تدخل اثناءها في حياتنا السياسية والاقتصادية .

غيره .. والذي اجهده الكفاح ، وشهدت له الامة يوما بذلك ؛ يقتضيه شرف الكفاح ان يثبت على ذلك: ان هذا كله سهل ويسير على ذوي النفوس الكبيرة الذين يرعون مصلحة الامة والشعب ، ويهمهم ان يتقدم هذا الشعب ويسير .

على ان مشكلة الاتجاهات التقافية فى البلاد : لا يحلها فرد ، ولا يمكن ان تتمثل فى مقال او كتاب وانما تشترك فى حلها « امة » وتساهم فى خلقها «مجموعة» تتدرج بها نحو التفتح والنمو . ثم ترتقي وتتقدم ــ مع الايام ــ لتصبح اتجاهات عامة سائدة ، وخطوطا كبيرة منفرقة ، يعيشها كل منفف ، حيا كان ام شعبيا او وطنيا ، يعيشها اذا تحدث او خطب او كتب او فكر او تعلم .. وحينئذ تستطيع ان نضع يدك على مجلة ، او تستمع الى حديث فى اذاعة . او ندخل الى محاضرة فى ناد او جامعة ، لتجد فيها الاتجاه الثقافي القومي المنشود .



العربي في الشرق ، شكلا ومضمونا ، منذ بداية سريان الوعي القومي في الوجود العربي الى الآن ..

وبالرغم من استيعابنا للمفهوم الجديد للادب عند اخوان لنا في اللغة والقومية وفي مشاكل الامس واليوم ، وفي اهداف الغد .

وبالرغم من فهمنا للتيارات الادبية عند رواد النهضة الحديثة ، في شتى الوان الادب . وكيف تطور وارتقى الادب على ايديهم وايدي من بعدهم ، وكيف سربت الى الادب العربي مناهج البحث ، ومذاهب الالتزام ، ومدارس النقد الغربية .. وكيف احتضنها هذا الادب العملاق ، ومشرقها ..

بالرغم من كل هذا ، فاننا نظريون .. الى حد نشعر معه بالخجل .

ولنأخذ — لنمثل لذلك — شعرنا الذي يعاصر النهضة العربية الحديثة ، في الحيز الزمني ، ولنغربله ولنصفه ، معتمدين على اساليب ومدارس النقد الحديث ، نجد ان انتاجنا لا يساير المفهوم والمقاس الجديدين ، ولا يضارع الادب الشرقي في القيمه والكثافة والاصالة .. رغم مجاراته له سطحيا في الشكل ، اذ أن الشعر عندنا ، مثلما هو عند اخواننا الشرقيين . يتجه ثلاثة اتجاهات :

1) اتجاه لا زال يتمسك ببعض قوالب وصيغ ومفاهيم النهضه .. القصيدة العمودية . ذات الالف موضوع ، المعتمدة على الجناس والمحسنات الاخرى ، ويغلب على رواد هذا الاتجاه عندنا ، عدم الاحتكاك بالعصر ، وقضايا الساعة ، اذ انهم لا يهتمون بشيء ، بقدر ما يهتمون بان تشبه قصائدهم قصائد ابي تمام وابي الطيب وغيرهما من فحول القدماء .

2) اتجاه اعتنق رواده التيار الجديد ، في الشكل ايضا . بينما هذا التيار يدعو الى تجديد في الشكل والمضمون ، حيث يدعو الى كسر وحدة البيت ، اي الى الاعتماد على التفعيلة في القصيد ، بدلا من التشطر، مع عدم التزام القافية الواحدة ، بالضرورة ، في كل القصيد .. هذا من حيث الشكل ، اما من حيث المضمون فهو يدعو الى اشراك الابيات العدة ، في المعنى الواحد ، فاستقلال البيت الذي يفرضه الاتجاه الكلاسيكي يصعب معه قول كل ما يجول في نفس الشاعر ، ويسوق احيانا ، الى حشد كلام في القصيد لا يجول في نفس المبدع ، ولا يتسق مع العمل الادبي.. وانما فقط لاتمام هيكل البيت .. ثم ان مشاكل العصر تعقدت وتشعبت ، فالشعر العمودي يوشك ان يكون مستحيلا .. الخ

هذا الاتجاه الجديد اعتنقه كثير من ادبائنا الشباب ، بعد ان فهموه فهما مغلوطا ، فراح اكثرهم يكتبون شيئا لا هو بالشعر ولا هو بالنثر ، ومع ذلك ينشر في صحفنا .. الصحف التي تبقى بعض اعمدتها بيضاء ، فتعمد الى تسويدها بالدعاية لفلم يعرض بدار لم تندبها للدعاية لها .. (هذا مع تشكينا من ضيق مجال النشر) .

3) وبين هذا الاتجاه وذلك ، يوجد اتجاه معتدل، يحاول ان ياخذ محاسن كل من الاتجاهين السابقين ومحاولات رواد هذا الاتجاه تهدف الى مسايرة المفهوم الجديد للادب باعتدال ، فهي مقتصدة في التمسك بالقديم ، وفي اعتناق الجديد .. او قل انها تحتفظ من القديم بما لا يجمل التخلي عنه ، وتأخذ من الجديد ما اكد العقل ، والمنطق وجاهته واصالته.

ولكن مثل هذا الادب ، عندنا ، ضئيل جدا بالنسبة لادب الاتجاهين السابقين فانه الالماسة في كومة فحم ..

ثم ان هناك جانبا لا نسائل انتاجنا الادبي عنه ، وهو الجانب الفلسفي فادباؤنا لا يضعون ابداعهم على اساس الفكرة الفلسفية الا لماما ، ونقادنا لا يلتمسونها في اعمالنا الادبية ، واذا التمسها بعضهم لا يكاد يعثر الا على لقطات يسيرة ، عابرة .. غير ذات خطر في الاثر .. هذا مع علم كل من الاديب والناقد ، بان علاقة الفلسفة بالاعمال الادبية ، اصبحت ، منذ زمان كالعلاقة بين الماء والورد .

هذا عن الشعر ، ولعل شبيها منه يمكن ان يقال عن بقية الوان الادب الاخرى .

— ب —

مشكلة علاقة الابداع ، بالمثل الاعلى الذي نرسمه المبدع ..

ان تدخل الاستعمار هـذا ، هو العائـق الاول الذي نستولده بقية العوائق الاخرى .

ومن هذه العوائق التي نستولدها كذلك ، مشكلة عدم الانسجام الثقافي ، فالتدخل المستخدم المحطم هو الذي صدع الوحده الفكرية فى بلادنا ، حيث كـان من تخطيطه عدة مناهج للتعليم كل منهـا يبتعد عـن الآخر .. فتنوعت بذلك ثقافات افراد الشعب، فثقافة فرنسية واخرى عصرية ، وثالثة دينية ، اي ان كـل فرد من افراد الشعب كانت له مع هذا التصـدع الثقافي ، مفاهيم وقيم تغاير ، بل قد تعاكس ، مفاهيم وقيم الاخر .. هذا مع العلم ان اكثـر من ثمانين فى المائة من الشعب لا يكتبون لان الاستعمـار وقف فى طريقهم حاجزا بينهم وبين التعلم .. وهذا بالطبـع لا يساعد ، بل ويعوق خلق ادب متكامل منسجم ..

ومن هذه العوائق ، التي تمخض عنها الاستعمار، عدم توفر المجال للنشر .. فدور الطباعة التي تشرك الاديب فى الربح ، وتتحمل وحدها الخساره ، منعدمة فى بلادنا ، وهذا ما جعل الاديب ينتج ، ويبقى انتاجه فى الدرج ، او يعرف مقدما ان انتاجه لن يرى النور .. فلا يكتب .

ومنها ايضا عدم وجود القارىء الواعي ، الذي يستهلك ما ينتج الاديب المغربي ، او قل ، يستهلك ما ينشـر منـه .

والخلاصة ، فى رأي معالجي ازمتنا الادبية ، ان القضية كلها عدم فى عدم ، والنتيجة ، بالضرورة .. عـدم .

ولعل لهذه العوائق ، ولبده الاستعمار ، اثـرا ما فى ضآلة وغثاثة ادبنا ، الا ان هـذا الامر ليس مـن من الخطر بالمكان الذي يدعو الى جعل هذه العوائـق اخطر ما يعترض خطانا الادبية ، فلعلنا ، اذا ناقشناها قليلا ، نجد ان الواقع يؤيد ان عرقلتهـا لسير ادبنـا ليست جسيمة .. فبالنسبة للعائق الام ، تدخـل الاستعمار ، نجد ان ما انتجه الشاعران الحلوي وعلال الفاسي فى ظل الاستعمار اكثف واكمل مما انتجـاه بعد الاستقلال ، ونجد ان ما كتبه الاساتذة محمـد الفاسي ، وعبد العزيز بنعبد الله ، وعبـد المجيـد بن جلون ، وعبد الكريم غلاب ، من الوان النثر قبـل الاستقلال كان اضخـم واعـم مما نقرؤه لهم بعـد الاستقلال ، فتأثير التدخل التسلطي اذا ، قد يتمخض عن رد فعل عكسي ، مهما بلغت قسوة وحنكة هـذا التدخل ما دام يلقي امامه اديبا مشحونا بطاقات ثورية على الاستعمار ، وعلى كل خطط وبرامج الاستعمار..

واما بالنسبة لوسائل النشر ، وعلاقتها بالربـح والخسارة ، فانني اعتقد ان الاديب الاصيل لا يبالـي بهذه الاشيـاء ، ولا يجعلها من اعتباراته ، فانتاجه لفنه ليس متوقفا على وجود وسيلة للنشر ، او على عدمها ، بل هو كالام ، يحمل الفن جنينا فى ملكانـه الباطنية ، ومتى احس به يتخبط فى جوفه .. وضعه .. ولـو ان تحقيق الاعمال الفنية يعتمد على سهولة النشـر ، وضمان الربح منه ، لما حفظ تاريخ الفكر لنا تراثـا ضخما كثيفا ، لم يستفد منه اصحابه درهمـا .

واما مشكلة القارىء فمحسوسة من تلقاء نفسها، متى وجد الادب الذي يقرا ، كالسباحة تجد من يتقنها فى قرية يوجد قربها نهـر ..

فهذه العوائق التي ركز الباحثون بحوثهم عليها ليست جذرية بل هناك عوامل اخـرى ، اغفلناها ، ونغفلها اغفالا يكاد يكون تاما ، فى حين انهـا العلـل الجذرية الحقيقية لسطحية وهزال وتفاهة انتاجنـا الادبي ، واهم هذه العوامل واخطرهـا ، تنبع مـن ذاتيتنـا ، ولا يأتينـا من مؤثـر خارجـي .

واننا ، بقليل من التروي وامعان النظر ، نمكن ان نصنف هذه العوامل الجذرية التى تعوق تقـدم ادبنـا الى صنفيـن :

1) عوامل ذاتية ، تكمـن فى نفسياتنـا جميعا ، سواء منا الناقد ، والمبدع والمتذوق ..

2) عوامل ليس فيها يد ، وقد يكـون الناقـد والمبدع مسؤوليـن عنهـا ..

والقسم التالي ، محاولة يقصد منها بحث اخطر عوائق هذيـن الصنفيـن .

— اصنف عوامل الدرجه الاولى وهي :

— أ —

مشكلة كوننا نظريين حيال المفهوم الجديد للادب فبالرغم من اطلاعنا على المراحـل التي قطعهـا الادب

اما عوامل الدرجة الثانية فاهمها :

ا — سكوت النقد عن بعض المبدعين تماما ، وسكوته عن بعض الادب ، بينما يتضح حديثه عن مبدعين بعينهم ، وعن فنون ادبية بذاتها ، ففن القصة ، مثلا ، في بلادنا يرتاد منذ زمان ، ولكن متى كان نقدا موضوعيا لقصة ، أو لرواية مغربية ؟

ب — تحامل النقد في بلادنا ، فلو اننا بحثنا ، لوجدنا بعض نقادنا يحللون ويقيمون الأثر الادبي تبعا لاعتبارات خارجة عن الأثر .. فما ابرر اصالته عند اديب كبير ، احاول ان ابرز خطله عندما اتناول ناشئا مغمورا او اديبا ليس لي به صلة .

ج — منهج البحث الذي يسلكه اغلب نقادنا في تقييم وتقويم اعمالنا الادبية ، فاكثر من يرودون النقد الادبي عندنا . لازالوا ينظرون الى العمل الادبي بعين ابن سلام ، وابن طباطبا ، وابن الاثير .. ويظهر ذلك جليا في الشعر خاصة ، حيث يركزون جهودهم في اقتناص الزحافات واختلال الروى .. وضعف القافية ، وفي تصيد الاغلاط النحوية واللغوية والبلاغية ، مع الاشارة الضرورية الى ان شبيها من هذا المعنى جاء في بائية فلان .. او ان هذا الشاعر يؤثر فيه الشاعر الكبير فلان ..

وانا لا ادعو الى السماح بفشو اللحن في الادب ، مهما كان نوعه ، كما لا ادعو الى تجاهل السرقات الادبية ، ولكني اعتقد ان أهم وانفع من ذلك ان نلتفت الى العلاقة السيكلوجية بين الثالوث المنتج (الشاعر والتجربة ، والبيئة الموحية) من جهة ، وبين التيار الفكري ، واللحظة الحضارية والمدارس الادبية الحديثة من جهة اخرى ، ان ذلك شيء يجب الاهتمام به أكثر من أي شيء آخر .. كما يجب ان نبحث عن الهدف الذي قصد اليه المبدع ، وعن مدى توفقه في بلوغ ، او عدم بلوغ هذا الهدف .

ولا يتاتى ذلك ابدا مع تجزيء ، وتصيد اغلاط.. بل مع النظرة الشمولية التي تاخذ العمل الادبي المحقق ككل موحد ، لا يتجزأ ، لانه كالكائن الحي تماما ، متى جزاته فقد الحياة ..

وطبعا ، اذا سكت النقد ، او تحامل ، او قاس بميزان صدىء ، فان ذلك يقود الى عدم تقدم الابداع .

ولعل سائلا يسأل : ما دام النقد مسؤولا عن السكوت ، او التحامل ، او تشغيل الميزان الصدىء ، فما وجه اشتراك التذوق له في المسؤولية ؟

والجواب على ذلك ، ان المتذوق يصبر على السكوت ، ويبتلع التحامل ، ويقبل تشغيل الكيل الصدىء ، هذا ، وهو يعلم بوجود كيل جديد لا يبخس الحق ، ولا يلوث البضاعة ، فلذلك وقع عليه جزء من المسؤولية ، فالمتذوق ، وقد سبقت الاشارة الى هذا ، يجب عليه الا يكون سلبيا ، حيال تراث امته الادبي ، والفكري عامة ، بل من واجباته ان يعبر عن رأيه ، وان يحاول ، ويدافع عن وجهة نظره ، فربما تكون اصوب من نظرة الناقد أو الفكر .. وان البلاد ذات النهضات الادبية والفكرية الحقة ، لا يخوض غمار ميادين الفكر والادب ادباؤها ونقادها ومفكروها فقط.. بل والقارئون المتذوقون ايضا ..

وبعد ، فهذه نظرة ، حاولت ان تكون شمولية ، لأزمننا الأدبية ، والبحث عن عواملها ، وقد تبين ان عوائق تقدمنا الأدبي اما خارجية ، كالاستعمار وبناته ، وهذه ، وان كان لها اثر ما ، ليست من الخطورة بحيث وضعها بعض باحثي هذه الأزمة ، واما ذاتية بالنسبة للمتذوق والناقد ، والمبدع ، أي بالنسبة لنا جميعا كمغاربة مسؤولين عن رفع شؤون الفكر في بلادهم .. واما ذاتية بالنسبة للمتذوق والناقد فقط ، وهذه هي العوامل الجذرية لتاخرنا الادبي ، التاخر الذي لا يقدم لنا واقعنا اية مساعدة على انكاره .. الا انني كبير الامل في انه يلتفت المغربي ، ايا كان ، الى هذه العوائق الكامنة في خلاياه ، وينتزعها ..

وانا متاكد ، بعد ذلك ، من ان أدبنا سيسير بخطى واسعة سريعة .

اي علاقة الشاعر المبدع ، مع شخصيات الشعراء ، او شخصية الشاعر الذي يؤثر فيه اثناء تحقيق العمل الادبي .

ولناخذ الشعر ، مرة اخرى ، لنمثل .. فالشاعر عندنا ، يقيس اعماله الادبية بمقياس فاسد ، اذ يعتبر نفسه مجيدا ، او بعيدا عن الاجادة ، تبعا لكون قصيدته قريبة او بعيدة الشبه بقصيدة نظمها شاعر كبير يؤثر فيه ، ومن هنا كان عدم ظهور شخصية ادبية كبيرة فى بلادنا ، لها نكهتها ، وسماتها المميزة لها عن الشخصيات الاخرى ، بحيث تقرا القصيدة فتتنسم فيها روح او سجية او اسلوب او مذهب صاحبها ، او تقرؤها فتتنسم فيها هذه الاشياء جميعها .

وليس هذا القول جزافا ، لانني فى الواقع لو قرات قصائد ثلاث ، اغفلت من امضاء ، احداها لابي ماضي ، واخرى للشابي ، وثالثة لنزار ، استطعت فى يسر ان اضع على كل قصيدة اسم الشاعر الذي نظمها .. فهل تراني ، استطيع ذلك حيال ثلاث قصائد لثلاثة شعراء مغاربة ؟

اكاد اومن باستحالة ذلك ..

وقريب من هذا القول ، ايضا ، يمكن ان يقال عن بقية الوان الادب الاخرى ، بل ان اغلب ادبائنا الباحثين فضلا عن صعوبة تنسم سماتهم الشخصية فى بحوثهم فى لون معين ، يزيدون الطين بلة ، حين يرودون الوانا مختلفة من الفن .. فمقال سياسي يطلع عليك اليوم لكاتب قرات له امس بحثا عن الموسيقى وستقرا له قصة عاطفية غدا .. فيكاد القارىء يجزم ان اغلب ادبائنا تهافتيون ..

— ج —

الاستعلاء والتحقير ..

ان كثيرا من ادبائناالكبار يستعلون، بل ويحقرون من شأن الآخرين .

تصل درجة الاستعلاء والاعتزاز عند بعضهم ، ان يقدم قصيدة كلاسيكية متنوعة الموضوع ، عادية مالوفة ، طويلة مع كثرة حشو .. يقدمها على اساس انه نظمها ، لتكون ردا **قاطعا** على من يزعم بوجود نكسة ادبية عندنا .. وتصل درجة تحقير الآخرين عند بعضهم ان يقف شاعر **ناشىء** امام مسؤول فى الاذاعة يطلب تسجيل قصيدته التي نالت **الصف الثالث** فى مباراة ، فيلتفت شاعر **كبير** نالت قصيدته الصف **الرابع** فى نفس المباراة ، يلتفت الاديب الكبير الى رفيق له ، ويقول بصوت يقصد منه اسماع الناشىء (صارت القصائد عصائد) .

ثم ان هناك نوعا آخر يجمع التحقير والاستعلاء معا ، ذلك هو التحقير الجريري .. الصمت ، فكبار ادبائنا يسكتون عمدا وعن اختيار ، عن ادب الشباب ، فلا يقيمونه ، ولا يقومونه ، ولا يظهر ابدا انهم عازمون على الالتفات اليه فى يوم من الايام ، تماما كما لم يحفل جرير بهجاء بشار له ، احتقارا واستصغارا ..

وقد اعتبرت هذه العوامل ذاتية نفسية بالنسبة للمبدع والناقد ، والمتذوق لانها تعيش فى فكر وفى نفس كل منهم ، فكل من الناقد والمبدع ، يقيسان الاثر الادبي بمدى اقترابه او بعده عن كبار الشعراء .. والمبدع والناقد يتجاهلان المفهوم الجديد للادب ، وهما معا يستعليان ويحتقران الآخرين .

والمتذوق يجاريهما فى المقياس والتجاهل والاستعلاء ، لانه لا يعبر عن رايه ، ولا يقيم العمل الادبي كمستهلك عادي ، ولكنه يعرف مدى اصالة او رداءة البضاعة التي يستهلكها ، ثم ان الانسان متى استعلى واعتز واحتقر الآخرين ، فانه يشعر فى قرارة نفسه ، وبالضرورة ، انه بلغ الكمال ، فلا يسعى بعد الى مزيد من الرقي ، لانه لا شىء فوق الكمال . هذا بالنسبة للمبدع والناقد ، اما القارىء المتذوق فيزيد نوعا من الاستعلاء والاحتقار .. وهو ان يهجر ادب بلاده تماما ، ويستهلك اداب امم اخرى لانها ارقى وانضج .. وان اغلب قرائنا يقتاتون من خبز الآخرين، يلتهمون من موائد الجمهورية ولبنان وغيرهما ، ويتخمون بسرعة ، ثم ، ينامون ، فلا يكاد يكلف نفسه قراءة كتاب او مقال لاديب مغربي الا قليل من قرائنا.. وهذا لا يعني اننا ندعو الى هجر ادب اقطار العروبة الى ادبنا ، ولكن ندعو الى جعل ادبنا المحلي فى مكان بين ادبنا العربي العام ، فنقراه ، ونقيمه ، ونقومه ، وان ذلك لمن الواجبات التي تضعها القومية العربية ، وانهاضها على كواهلنا .

اصبحوا بعد ساعات من وصولهم سجناء قرية (تشيت) في الحوض الموريطاني .

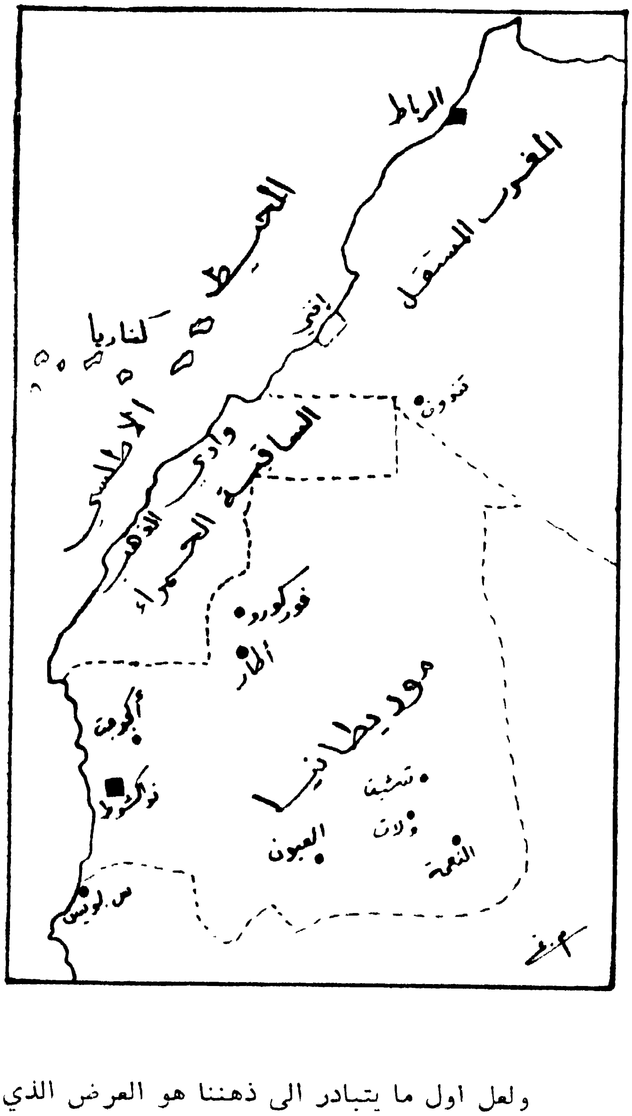
ولم يمر ذلك بالسهولة التي تصورها (بورغارال) مدير الداخلية آنذاك ، لان الجماهير اخذت هذه المرة زمام المبادرة ، ومرت الشهور الاخيرة من السنة الماضية مسجلة احداثا في منتهى الشدة لاحظها جميع الذين حضروا حفلات الاستقلال المزيف . وظل الحال كذلك حتى بداية شهر مارس الذي بدا بأنه كان توقيتا للقيام بعمل واسع ضد الفرنسيين وحكومة ولد دادة .

ولم يكن الفرنسيون ومن ورائهم حكومة موريطانيا يظهرون من القلق بمناسبة اتساع العمل المباشر بالقدر الذي اظهروه ازاء طرد المندوبين الموريطانيين من الامم المتحدة عند ترشيح الاقليم لاول مرة . ولا شك ان خوفهم من انكشاف الحدود الشمالية والشرقية بدون ان تكون هناك ضمانات دولية هو الذي حملهم على معاودة حديثهم عن التصالح الوطني بقصد تمتين الوضع في الداخل ، والاستعانة بذلك في ادخال موريطانيا في حظيرة الامم المتحدة .

وهكذا وضعت سنة 1961 تحت شعار « الاتحاد والوفاق » ، فاجتمعت المائدة المستديرة في 20 مايو ، ووالت اجتماعاتها التي كان يعترضها استمرار رفض ابن دادة لشروط المعارضة ، غير ان ابن دادة كان يعد دائما ويمني بان كل شيء سيسير وفق ما يريده حزب النهضة اذا ما ايده في معركة تعديل الدستور وانتخاب الرئاسة .

وكان ما اراد ابن دادة . ولم يتحقق الا القليل مما وعد به المعارضة وحتى الحكومة التي كان مقررا ان تكون شطرا بين الحزبين الكبيرين اخذت جل مناصبها العناصر المؤيدة للوضع . واتى قبول موريطانيا في الامم المتحدة ليفتح الاعين على حقيقة كبرى وهي أن التصالح الوطني قد ادى دوره المطلوب منه اداؤه ، فقد قام بالتأثير على بعض الدول واظهر لها ان موريطانيا تقف كلها وراء الحكومة الصورية . واذا فلا مانع من ان تعود المعارضة الى وضعها كجماعة تكافح بكل الوسائل وان تقنع فقط باداء الرسالة التي هيئت لها وهي ان تسبح بحمد منقذ الامة وزعيمها الاوحد : المختار ولد دادة (!) .

وان تطور الاوضاع السياسية بالداخل على هذا النحو ، واستمرار ترديها مع توالي الاشهر ، على على الرغم مما يحاول الحكام في الاقليم الموريطاني أن يظهروا به في الخارج وعلى الرغم مما يضفونه على « دولتهم » من مظاهر السيادة والاستقرار والتمركز الدولي ، كل ذلك يجب ان يقرر بتعميق الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدستورية ، لان من شأن هذا التعميق ان يجعل حكمنا على حقيقة هذه « الدولة » حكما في محله ، وغير متأثر بالعواطف او الهوى .



ولعل اول ما يتبادر الى ذهننا هو العرض الذي قدمه المختار ولد دادة امام ما يسمى بالمجلس الوطني الموريطاني يوم 25 نوفمبر 1960 واطلق عليه « البرنامج المستعجل » فقد تضمن الخطوط الدقيقة

بعد مرور سنة على استقلال موريطانيا

موريطانيا لا يمكن أن تتوفر فيها شروط الدولة

للأستاذ محمد أحمد الغربي

في اليوم الثامن والعشرين من شهر نوفمبر الماضي مرت سنة كاملة على الاستقلال المزعوم الذي منحته فرنسا لموريطانيا ، واعلنه السيد ميشل دوبري امام اربعين نفرا اطلق عليهم منذ مدة نواب الشعب الموريطاني .

ولن نعنى في هذا المجال بالاحداث ذات الصبغة الخطيرة التي سبقت واعقبت ذلك اليوم من العام الماضي ، كما لن نتطرق الى بسط الملابسات القانونية والدولية فذلك ما تعرضنا له مرارا على صفحات هذه المجلة واصبح محل فهم دقيق من طرف جميع المتتبعين للقضية الموريطانية .

والذي سنعنى في هذا الحديث بتحليله والقاء الضوء عليه او التذكير به هو ما فعله المتآمرون في غضون السنة المنصرمة ، والفشل الذي كان يلاحقهم وهم يحاولون انهاض جمهوريتهم العجيبة على قدميها الخائرتين .

لم تكن الوضعية السياسية في نهاية 1960 مشجعة للمضي في تنفيذ المخطط الذي كان معدا لموريطانيا ، فحزب النهضة الذي شهد بعثا جديدا في تلك الفترة بمناسبة الحملة الانتخابية البلدية وتنسيق الجهود بينه وبين الحزب الاشتراكي الاسلامي، والتضعضع الذي ظهر محققا في صفوف الحزب الحاكم « حزب التجمع الموريطاني » بعد تبلور الخلاف بين كاتبه العام المختار ولد دادة ومديره السياسي المختار انجاي ، خلقت هذه الظروف الجديدة وضعا غير متوازن في التقابل السياسي ، وجعل الافكار الوطنية والوحدوية تستقطب مزيدا من العناصر الواعية والمناضلة .

وكان لابد لابن دادة ان يختار التصالح والتعاون مع المعارضة ، قبل ان تؤدي به عزلته المتزايدة الى التطويح به في نهاية الامر . وهكذا اصدر في 29 غشت 1960 بيانه الشهير لا باعتباره رئيسا للحكومة ولكن بوصفه امينا عاما لحزب التجمع ، وجاء في ذلك البيان الذي دعا فيه الى الاتفاق مع احزاب المعارضة حول مائدة مستديرة « بانه قد حان الوقت للوصول الى حل يرضي الجميع » وانه اي المختار ولد دادة « مستعد باسم حزبه للدخول في هذا التفاوض باخلاص وحسن نية » .

وكانت المعارضة تعرف حقيقة هذا الداعي . ومتأكدة من أنه ان كانت للمختار قوة وشكيمة فانهما مستمدتان من الوجود الفرنسي في موريطانيا ، وبدافع من غيرتها ارادت ان تعطيه فرصة اخرى ليبرهن على النية الحسنة التي ادعاها لنفسه ولحزبه الرمزي واذا تم ذلك على الوجه المرغوب فلا شك ان العزلة سوف تتحول عنه الى الاستعمار نفسه ، وتصبح موريطانيا متحررة اذا صلحت العزائم وتكتلت الصفوف .

وبالفعل فقد اجتاز الزعماء الموريطانيون الخمسة حدود السنيغال نحو نواكشوط معتقدين انهم سيجدون النوايا الحسنة في انتظارهم ، ولكن ماذا وجدوا (؟) الكل يعلم ان ذلك النداء المفعم بالطيبة والكرم لم يكن سوى شركا وقع فيه الزعماء الذين

وتسرع فرنسا التي يهمها جدا ان تتضاعف حاجة موريطانيا اليها فتسعف الموازنة الموريطانية بخمسين فى المائة اي بمليار ونصف المليار من الفرنكات الافريقية، وتتعهد من ناحية اخرى بالمشاركة فى تسيير الخزينة العامة والتفتشية المالية بثلاثين مليون فرنك افريقي.

واذا كان التوازن النظري قد تم بين المداخيل والمصاريف فى الموازنة الخاصة بالتسيير ، فهل معنى ذلك ان الميزانية الموريطانية ـ كما تفاءل بذلك المختار ولد دادة ـ قد استقامت واصبحت شيئا حقيقيا ؟

الواقع ان عناصر جديدة قد تضافرت لتجعل من الارقام التي اجتهد فى ترتيبها المسيو كومبانيي وزير المالية السابق فى موريطانيا . ارقاما جامدة مسنفرة فقط على ورق الجريدة الرسمية . فالمصروفات غير المرئية ، ومخصصات الاستمالة والرشوى واعطيات التقاعد دعت المسيو كومبانيي اعتبارا من شهر يوليوز الى ان يسافر الى باريس ويقف على باب خزينة فرنسا طالبا الصدقة من جديد للجمهورية المسلمة الفقيرة .

اننا قد نصدق ابن دادة عند ما يدعي وجود اي شيء فى موريطانيا الا ان يزعم بان كلمة الميزانية لها معنى فى تلك البلاد . فهذا شيء يدعو للضحك من دون شك ولا يمكن ان يصدق .

* * *

واذا بحثنا عن المنجزات التي تم ارساؤها فى الميدان الاجتماعي باقليم موريطانيا فلن نجد اي جديد او اي تقدم منذ استلام ابن دادة الحكم رسميا حتى الآن ولو كان بين يدنا فقط ما صرح به المسؤولون فى الاقليم من ان اهتمامهم فى ظرف سنة كان منصرفا الى توسيع العاصمة وتغطية المصاريف الجديدة التي اقتضاها نقل الاختصاصات وخاصة مصاريف القوة العمومية والديبلوماسية وتوسيع المصالح الادارية . لو كان الذي بين يدنا هو هذه التصريحات فحسب . لصرفنا النظر عن الحديث على المشاريع الاجتماعية . لكن هناك امران يلحان علينا كل الالحاح فى عدم اغفالها بالرغم من ذلك ، اول هذين الامرين التخطيط الاجتماعي الذي وضعه ابن دادة فى برنامجه المستعجل المشار اليه فى الفقرات السابقة ولم يكن يجد حرجا فى الاشارة اليه كلما واتته الفرصة لمواجهة المجلس الوطني ، والامر الثاني هو شدة اهتمام الراي العام الموريطاني ، الذي ظهر فى التجمعات على اختلاف اشكالها بهذه الناحية التي تشكل فى نظره ضرورة تستوجب الاولوية بالنسبة لغيرها من المشاريع .

ونذكر قبل كل شيء الوعود التي قطعها ابن دادة على نفسه وعلى حكومته المزعومة فى البرنامج المستعجل العام لسنة 1961 . وتقضي تلك الوعود من ناحية الصحة العمومية بتجهيز المصالح الآتية :

35 مستوصفا قرويا ، 13 مركزا طبيا ، 7 دور للولادة ، ثلاث مستشفيات .

اما فى ميدان التعليم فكان الوعد المقطوع أن يتم احلال اللغة العربية محل اللغة الفرنسية كلغة رسمية للبلاد بخلاف ما ينص عليه الدستور الموريطاني (*) وكان التخطيط الموضوع يربط ذلك بتطوير ثلاثين كتابا قرآنيا ، وانشاء مدرستين عربيتين ، واستقدام مدرسين من البلاد العربية وكان المؤمل ان يتم هذا الاستقدام من تونس والعراق ومن بين افراد الجالية الموريطانية فى المملكة العربية السعودية ومصر (!) .

اما فيما يخص العمال الموريطانيين ، فسنة 1961 كانت توقيتا محددا لادماجهم فى الحياة الاقتصادية وتكوينهم مهنيا وتكتيلهم فى نقابة واحدة اطلق عليها قبل ان تظهر للوجود « النقابات الموريطانية المتحدة »

هذا هو الذي رسمته حكومة ابن دادة للسنة الحالية . ولكن ماذا رسمه القدر لهذه المشاريع وفى هذه السنة الحالية بالذات ؟ .

نظن ان المسؤولين فى الاقليم لا يتهربون من الاعتراف بانهم لم يحققوا شيئا ، فلا زال هناك طبيب واحد يعالج ابناء علية الناس ، ولا زالت مسألة التعليم حيث كانت قبل سنتين اذا استثنينا مدرستين

---

* الفصل فى المادة الثالثة من دستور موريطانيا ينص على ان اللغة الوطنية فى موريطانيا هي العربية ، واللغة الرسمية هي الفرنسية (صدر الدستور 22ـ3ـ1959) .

لما ستنهض به الحكومة المزعومة فى ظرف سنة . ومرت سنة كاملة ، فماذا كان نصيب المشاريع الكريمة من التحقيق ؟

لقد كان البرنامج ــ الذي كان المفروض ان يكون الاطار الذ يتشهد ضمنه جميع مجالات النشاط بروزها وسيرها ــ موضوعا تحت شعار « التقشف » حتى ان ابن دادة تحايل اكثر من مرة على استعمال كلمة «الضغط على الميزانية» «والتقنين فى المصاريف» «واللجوء الادنى» ، ولكن الذي لوحظ بعد ايام فقط على الاستماع الى عرض ابن دادة ، ان هذا الرجل قد ضغط على كل شي الا على المصاريف ، بل ولوحظ فوق ذلك أن الشعار الذي وضع تحته البرنامج وهو التقشف اصبح لا معنى ولا مكان له ، واصبح هناك شعار جديد هو الرشوة والفضائح المالية .

والذي نتبع نشاط حكومة موريطانيا خلال هذا العام يجد ان المشاريع الوحيدة التي صرفت فيها اموال الصدقة الفرنسية تتحذ لها اسماء غريبة ، ومن بين هذه الاسماء: ــ الاستمالة ــ والتعويض التعاوني ــ والتعويض التقاعدي ــ ، ولقد صرفت مبالغ تقارب خمسة ملايين فرنك افريقي فى صنع الاوسمة الشرفية التي وزعت بدون مقياس او مناسبة خلال شهر يوليو الماضي ، ولم نخرج المصاريف الجديدة التي تصورت حكومة موريطانيا انها ستترتب عن « السيادة » ، لم تخرج عن نطاق الحفلات والولائم والجولات عبر العالم. ولاشك ان المسيو كومبايي وزير مالية موريطانيا الذي اقبل قبل اسابيع عنده الكثير مما يقوله فى هذا الموضوع فقد كانت له ادارة تشبه « ادارة الشؤون الاهلية » مهمتها التعرف على المستحقين والبحث عن الجيوب والبطون الفارغة التي تحتاج الى العناية والالتفات .

ويظهر ان اكبر رشوة عرفنها موريطانيا حتى الآن هي المائة مليون فرنك افريقي التي قبضها المختار انجاى عند رجوعه من بون حيث مثل موريطانيا فى المجلس البرلماني للسوق الاوربية ، فقد نفحه المكتب المركزي للمنظمة المشتركة لاستغلال خيرات الصحراء بالمبلغ المذكور مقابل تعهده بان يحمل « المجلس الوطني الموريطاني » على الموافقة على دخول موريطانيا فى المنظمة .

لقد تصاعدت رائحة هذه الرشوة فى سماء نواكشوط واضطر ابن دادة الى توجيه سؤاله المشهور امام النواب الذين كانوا قد انقسموا على انفسهم ، ونامت القضية فى نفس الوقت الذي اعلن فيه ان التحقيق سيجري فى الموضوع .

* * *

ونحب ان نتساءل فوق ذلك عن حقيقة الملايير الثلاثة التي تشكل الميزانية العامة وميزانية التجهيز التي حددت سنة 1961 لصرفها فى وجوه عينت بدقة عجيبة ولكنها لم تخرج عن النطاق النظري .

ان هذه الميزانية كما قلنا تبلغ ثلاثة ملايير فرنك افريقي اي ستين مليون فرنك فرنسي ثقيل وهذا القدر الضئيل بالنسبة لبلاد واسعة تضم خيرات حيوانية ومعدنية غير محدودة يدل على امرين اثنين.

اولهما : ضعف المداخيل ، ذلك الضعف الذي يرجع الى امتناع المواطنين وخاصة فى المنطقة الشرقية عن دفع الضرائب المستحقة على ممتلكاتهم غير المنقولة، ونحن نتذكر هنا ان اصحاب القطعان فى نواحي (النعمة والعصابة وتاكانت) امتنعوا عن دفع الترتيب ، معللين ذلك بان حكام نواكشوط لا يقصدون من جمعه تعزيز الخزينة العامة ولكن مضاعفة دخلهم الشخصي على حساب الفقراء من صغار مربي الماشية .

وثانيهما : الكرم الحاتمي الذي لا زالت تتبعه مصلحة الاقتصاد الوطني الموريطانية مع شركة « مفيرما » التي تستغل الحديد فى « كدية الجلد » ومن المعروف لدى الجميع ان ابن داده قد اعفى هذه الشركة من دفع اي مبلغ للخزينة العامه ما دام ميناء بورايتان لم يبدأ فى شحن فلزات الحديد الى الخارج.

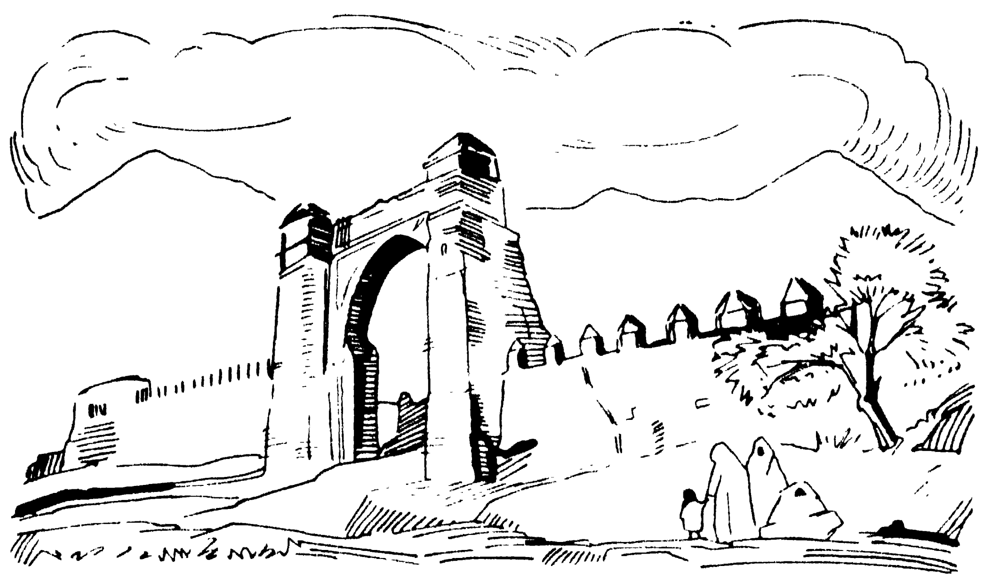
ومن شان ضعف المداخيل التى لا تغطي سوى الثلث من ميزانية التسيير ولا تساهم باية نسبة فى ميزانية التجهيز ، من شأن ذلك ان يضع وزارة الاقتصاد فى نواكشوط امام مشكلة توازن الميزانية وتلافي الخلل الناتج عن العجز الذي يبلغ 65 فى المائة من مجموع ارقامها .

وهنا يلعب ابن دادة ورقة « الاستجداء » ويستفيث ببنود الاوفاق الفنيةالتي عقدتمع فرنسا.

لقد اسفرت انتخابات سنة 1958 عن تنصيب اربعين نائبا ، ولكن منذ الاجتماع الاول لم يكن يحضر اجتماعات المجلس – حتى بصفة غير منظمة – سوى اثنين وثلاثين .

وبعد مرور سنة واحدة توفى احد الاعضاء المداومين ، وبعد اشهر قتل نائب اطار عبد الله ولد عبيد ، وبعد اشهر اخرى انسحب المختار انجاي مع عضو ءاخر ، وبعد ذلك بمدة عين ثلاث نواب كسفراء لموريطانيا فى واشنطن وتونس والامم المتحدة وعند اجتماع المائدة المستديرة اقال ابن دادة النواب الفرنسيين الخمسة فى المجلس الوطني الموريطاني .

اذا فالمجلس لم يعد يضم بين جدرانه سوى فئة قليلة لا تبلغ النصف ، ولا يمكن ان تسجل الاغلبية النسبية ورغم ذلك فلا زال ابن دادة يفكر فى ان يطيل حياة هذه المؤسسة المنهارة سنتين اخريين حتى يتمكن من اتمام مؤامرته بعيدا عن الشعب من جهة ، وحتى يضمن لنفسه التفوق المطلق على امثاله من مزوري ارادة الشعوب والمستخفين بالراي العام .



تابعتين للبعثة العلمانية الفرنسية في نواكشوط اطلق عليهما اسم « ابن دادة » . اما العمال فانهم اصبحوا يقبعون شيئا فشيئا على هامش الاقتصاد الموريطاني ويحل محلهم العمال الاسبان القادمون من جزر الكناري او السود القادمون من السنيغال .

* * *

ان هذه الجوانب الهامة تؤكد انعدام الاسس التي تقوم عليها او يتصور ان تقوم عليها دولة مهما كان نصيبها من التخلف ضئيلا .

ولعل بعض الناس يتوهمون ان هذا الاقليم وان كان لا يستطيع ان ينهض بسرعة نظرا للمشاكل التي تحيط به على اختلاف اشكالها ودرجاتها ، فهو يتوفر على الاقل على بذور للتطور تدعو للتفاؤل ، ومن بين هذه البذور التقاليد الديموقراطية التي اصبح يأخذ بها الحكم في موريطانيا .

ان احدا لا يمكن ان ينكر ذلك ولكن الذي نريد الا ينكره احد ايضا هو العنت الذي تلقاه الافكار والحريات باسم « الديموقراطية الموريطانية نفسها » ولعله مما يجب التذكير به هو الايعازات التي كانت تصدر عن المجلس التشريعي ضد الهيئات والاشخاص. ولقد اصدر هذا المجلس الى السلطات التنفيذية — وهي فرنسية طبعا — بالعمل اثناء حوادث فبراير و 9 مارس 1961 ، ومن المناسب ان يسال المرء عن امر هذا المجلس الذي هو الرمز الوحيد للديموقراطية وكيف تطور « كيانه » في خلال هذا العام ؟

يمكن ان نقول بانه مظهر فريد في العالم من مظاهر شذوذ النظام والحكم بوجه عام ، وهذا المظهر الذي يدعوه الباحثون في نظم الحكم « بالديموقراطية الضامرة » يصور لنا اوقع ما يمكن ان يضحك به حاكم على ذقون المحكومين واقوى ما يمكن ان يتجنى به على الديموقراطية .

لقد جمع الاستعمار الفرنسي عام 1958 — ابان حكمه المباشر — خليطا من النماذج البشرية تجمعها صفتان لازمتان منذ ذلك الوقت حتى الآن وهما التملق والخيانة .

واذا كان هذا المجلس يذكرنا بشيء من خلال مواقفه الطريفة ، فهو يذكرنا بالمجلس التشريعي الذي كان السلطان عبد الحميد العثماني قد عينه في نهاية الامبراطورية ، ولم يكن يملك من الامر الا ان يردد العبارة التركية التي اصبحت مثلا فيما بعد وهي « اوت افندم » اي نعم يا سيدي .

ولو كان هذا المجلس يقف عند الحد الذي يجعله فقط وجها مشوها وكاذبا ومضحكا للديموقراطية ولو كانت الطريقة التي تم بها اختيار اعضائه من بين خونة وجهلة من الموريطانيين ومن بين الفرنسيين انفسهم ، لما استوجب منا وقفة خاصة . ولكن الذي يدعونا الى ذلك كما قلنا هو الصفة التقريبية التي شاءت ارادة الاستعمار ان يتصف بها ، والدور الخطير الذي دفع ليلعبه في تقرير مصير الاقليم الموريطاني ثم الاهمية التي تعلقها دول غرب افريقيا على التقاليد الديموقراطية ، تلك التقاليد التي ورثتها موريطانيا عن اندماجها السابق في افريقيا الغربية الفرنسية طيلة نصف قرن .

لقد كان الحرص شديدا على ان تكون كلمة المجلس هي الفاصلة في نقل سلطات الادارة الفرنسية الى حكومة ولد دادة ، وفي ابرام الاوفاق الفرنسية الموريطانية ثم في تعديل الدستور وتفضيل النظام الرئاسي ، واخيرا في المناداة بابن دادة رئيسا للجمهورية وللحكومة .

وكان المجلس يتطوع في كل مناسبة بمهاجمة المغرب واتهامه بالتوسع والتحريض الامر الذي اتخذ منه الجيش الفرنسي سندا للقيام بجرائمه المشهورة وخاصة خلال شهر مارس الماضي كما مر بنا .

واذا قطعنا النظر عن الكيفية التي تم بها انتخاب الاربعين نائبا وعن التوزيع التمثيلي الذي يجعل لبعض المناطق الخالية من السكان نصيب الاسد من ناحية كمية النواب ، وحتى اذا سلمنا جدلا بان كل ذلك كان صحيحا لا طعن فيه ، فلا يمكن ان نتجاوز عن مشكلة هامة وهي وجود هذا المجلس كواقع حي في موريطانيا .

وطالبته بالمهر (ان رام عزة) ... فاسرع من ارواحه يدفع المهرا
ولقنته ان الجهاد عقيدة ... طوى (الازل العلوي) فى صدرها سرا
ودون منال المجد جسر ومعبر ... فراح على اكباده يقطع الجسرا
واعلنت افلاس السياسة فانبرى ... لسوق المنايا صامدا يفتح التجرا
وعن مصرف المستهترين صرفته ... فراح (لصراف البقا) يجمع الوفرا
وفى ساحة التحرير، سوق قوامها ... ضمائر قوم، لا تباع ولا تشرى
توزع فيها (للشهيد) شهادة ... بها (بصمات) الرب تطفح بالبشرى
فالهبت من بركان نارك ناره ... والقيت من علياك فى روعه امرا
وقلت له : كن .. قال : وعدك قلت : خذ ... وهبتك ان آمنت بالثورة النصرا
وحاشاك هل اخلفت وعدك مرة ؟ ... اطعنا، وصدقنا فكنت بنا برا
عبرنا على السبع الشداد نشقها ... ولم تثننا الارزاء ان نعبر العشرا (1)
ونفرض فى الدنيا احترام وجودنا ... وننشر فى ـ احلافها ـ الرعب والذعرا
ونلقي دروسا فى البطولة للورى ... ونترك للاجيال عن حربنا خبرا
وتشرق فى الدنيا رسالات بعثنا ... فتبيض بالاشعاع ـ افريقيا السمرا
ونعصف بالاصنام ندرو حطامها ... هشيما، وندعو للهدى الانفس الحيرى
وان ساومونا ـ فى التفاوض اننا ... الفنا (رهانا) حول مائدة خضرا
وان داهمونا (بالبيادق) اسرعت ... بنادقنا تستاصل العسكرا المجرا (2)
على رقعة الشطرنج ـ رقعة ارضنا ... بفارل ـ نصابون ـ فى جوفها التبرا
ونرصد فى دنيا المطامع اسهم ... تكسر فى الرمل الذي يجبر الكسرا (3)
ونعقد باسم السلم للحرب ندوة ... بصرفها ـ السمسار ـ (بالعملة الصفرا)(4)
سنقلب الاوضاع با (جمع) انها ... (بلفراد) نضت عن تعصبك السترا
شعوب لاقرار السلام طليفة ... فلا الكتلة اليمنى ولا الكتلة اليسرى
قرارات آمال الضعاف تجسدت ... عزائم، لن نبقى على ورق حبرا
اذا ما الضعاف الصامدون تنمروا ... فلا قيصر فى الارض يبقى، ولا كسرى

فرنسا اضاعت رشدها يوم اسلمت ... قيادتها دبغول يحكمها قهرا
تدحرجه (هستيريا) الحكم للفنا ... ويدفعه مس الجنون الى العسرا
خراب وفوضى، وانحلال . وازمه ... به سرطان الموت فى دمها استشرى

---

1) سنوات الحرب الجزائرية .
2) المجر الضخم العظيم ومنه قول ابو فارس الحمداني (لنا الهبوات السود والعسكرا المجرا) والبيادق من قطع الشطرنج .
3) اصله تتكسر، بحذف احدى التاءين .
4) الذهب .



فلا عز حتى تستقل جزائر

للشاعر مفدي زكرياء

مددنا خيوط الفجر .. قم نصنع الفجرا   وصغنا كتاب البعث .. قم ننشر السفرا
وغصنا بصدر الغيب نجلو ضميره   ونقرا من عدل السماء ، به سطرا
ودسنا غرور الدهر ، فى كبريائه   فصعر خدا ، وانحنى يطلب العذرا
وخضنا تصاريف الزمان نروضها   ونصدع - بالاعجاز - احداثها السكرى
وسقنا سفين الوعد حمرا شراعها   يوجهها للنصر من وعد النصرا
ورعنا الليالي الحبليات ، فاجهضت   ولم نك نخشى من عجائبها شرا
وما دلنا عن موت من ظن انه   سليمان - منساة - على وهمها خرا (1)
ورثنا عصى موسى ، فجدد صنعها   حجانا ، فراحت تلقف النار ، لا السحرا
وكلم موسى الله فى الطور خفية   وفى - الاطلس الجبار - كلمنا جهرا
وانطق عيسى الانس بعد وفاتهم   فالهمنا - فى الحرب - ان ننطق الصخرا
وكانت لابراهيم بردا جهنم   فعلمنا - فى الخطب - ان نمضغ الجمرا
وآدم بالتفاح ضيع خلده   و (ماريان) بالتفاح نلقي بها بحرا
وحدثنا عن يوم - بدر - محمد   ففمنا نضاهي فى جزائرنا (بدرا)

تباركت شهرا بالخوارق طافحا   وسبحان من بالشعب فى ليله اسرى
فكم كنت يا رحمان فى الشك غارقا   فآمنت بالرحمان فى الثورة الكبرى
وكم كنت بين (الكاف والنون) حائرا   ومذ قلتها يا رب جنبتني الكفرا
ولباك شعب كاد يفقد ظنه   (بوعدك) لولا انه يحفظ الذكرى
وبقرا فى التنزيل عند صلاته   بانك بعد العسر تغمره يسرا
واشربته حب الشهادة فارتمى   على غمرات الموت ، تلهبه الذكرى

1) اشارة الى الآية : (فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين)

وبلغ شعيب بن الحسين تحيتي (تلمسان) لا انسى اماجدها الغرا (1)
وفى حرم الصحراء ، اهلي وجيرتي وربعي وخلاني واكبادي الحرى
ذكرتهم والسجن لف ظلامه لواعج الف ، فارق الاهل مضطرا
فكم كنت والاهلين نعلو نخيلها ونقطف صبحا من عراجنها تمرا
ونفترش الرمل الوثير وبيننا حديث نناجي فى حكايته البدرا
ونمرح والاغنام ترعى حيالنا تداعبها اطفال قريتنا فجرا
ونغدو على الوادي نشم غديره ونغرف تستسقي اناملنا العشرا
وتحت الخيام الحالمات جميلة مرنحة الاعطاف فارعة سمرا
اذا ابتسمت فاضت براعمها ندى وان حركت اجفانها نفثت سحرا

بلادي التي اعنو — احتسابا — لوجهها واحمل فى الارزاء من اجلها اصرا
بلادي التي من ذوب قلبي نظمتها نشيدا . فغنى الكون نورها شعرا
غمست بمطلول الجراحات ريشتي فجاءت رسومي تلهم العقل والفكرا
وواكبت فى الاعماق ثورة امتي ولا زلت حتى ارسم البعث والنشرا

بلادي يمينا بالذي شرع الفدا وبالجبش فى الساحات يسترخص العمرا
و (بالخمسة الاحرار) تخطف فى السما وبحجزهم فى السجن جلادهم اسرى
وحق الجميلات الثلاث وبالتي اجابت فراحت للفدا تهجر الخدرا (2)
سنثأر حتى يعلم الكون اننا اردنا — فارغمنا — باصرارنا الدهرا

ويا عربيا فى بلاد شقيقة عروبتنا لن تستطيعوا لها نكرا
فما حربنا الا امتداد لثورة اراد لنا من كان بخدلها خسرا
فلسطين فى ارض الجزائر بعثها فمدوا يدا . نحم المعاقل والثغرا
فلا عز حتى تستقل جزائر ولا مجد حتى نصنع الوحدة الكبرى.

---

1) شعيب بن الحسين ابو مدين ، من اقطاب الفكر والشريعة بتلمسان ، فى عهد بني زيان وتنسب اليه قرية العباد التي بها ضريحه .
2) الجميلات الثلاث المحكوم عليهن بالاعدام ، جميلة بوحيرد ، جميلة بوعزة ، جميلة بوباشة ، وكم فى الجزائر

بـه الشعب مسؤول ، ثقيل ضميره   يحمله التاريخ من بغيه وزرا
فلا خير يرجى من سياسة حاكم   يرى (نعمة الكرسي) من شعبه احرى
ولا سلم ترجى من تصرف عاجز   تسخره للائم ، ارذاله قسرا
ولا عهد يرعاه امرؤ متقلب   يمد لك باليمنى ، وينزع باليسرى
تكذبه فى كل قول فعاله   عجوز ، بصوغ الوهم افكاره البترا
ونحن بنو الاشراف ، عرب طباعنا   مقدسة ، لا نضمر الغش والغدرا

فرنسا .. ذرى الاوهام فالوهم قاتل   فلسنا نضحي من جزائرنا شبرا
فرنسا .. دعي الاطماع فالسعي فاشل   (فكل فرنسا) لا نبيع بها الصحرا
وان تيمتكم ثروة فى بطونها   حفرنا لكم فى بطن صحرائنا قبرا

جزائر .. مهما باعد الخطب بيننا   تباكرني النجوى ، وتهفو بي الذكرى
حنيني الى (القصباء) هاج مدامعي   وشوقي الى (بلكور) افقدني الصبرا
وفى حي (باب الواد) ماضي صبابتي   تركت (بباب الواد) من كبدي شطرا
ويا فتنة (الابيار) والسعد باسم   الم تنسك الابعاد ايامنا العطرا ؟
وفى القبة الخضراء عش خواطري   تركت بها « لما احاطوا بنا » وكرا (1)
الا خبريني .. هل منارك لم يزل   يشع على دربي ، فيغمره بشرا ؟
وهل لم تزل فى الحقل سنبلتي التي   غرست ؟ وهل فى الحقل زنبقتي الحمرا؟
وهل لم نزل فيها دجاجي ، وقطتي   وكلبي (توتو) رابضا يشبه النمرا ؟
ومكتبتي ، والشعر والغرفة التي   احاط بنا (كوهين) فى جوفها ظهرا ؟ (2)
مشاهد .. بفنى الدهر وهي خوالد   يذكرنا اشباحها الحلو والمرا
و (سرتا) وما سرتا سوى مشرع الصبى   ومرعى الصبا ، سلني فاني بها ادرى (3)
ويا (جبل الوحش) الضحوك الم تزل   كما كنت مخضل الجوانح .. مخضرا ؟
ويا ساكني (وهران) بالله خبروا   الم تتركوا للناس دونكم فخرا ؟
ويا ساحة (الطحطاحة) اصطبغي دما   وكوني بسفر المجد فى حربنا طغرا
وقف بي على روض (الوريط) ونبعه   ومنحدر الشلال استلهم النهرا
وفى قرية (العباد) لا تسرع الخطى   فتربنها نوحي القداسة والطهرا

---

1) اي لما اعتقلونا .
2) كوهين من اشهر الجلادين الذين تسخرهم مصالح الشرطة لتعذيب المكافحين وهو يهودي متعصب لصهيونيته .
3) اسم بلدة قسطنطينة بالرومانية .

ان ترعني الاحداث فى فجر عمري وتذقني مرارة البأساء
فهي اوهى من ان تنال يداها عزتي او تذل من كبريائي

* * *

وراى فى المقهى ثربا على تخت تمطى في نخوة الاثرياء
يرشف الكاس فى دلال ويرنو للندامى بأعين شزراء
فتدانى اليه وهو يمني نفسه من حظوظ هذا اللقاء
وانحنى فوق نعله كانحناء الغصن فوق الزهيرة الميساء
ضمها لحظة اليه فلما بان عنها تضوعت بالشذاء
عيسوى فما تمر يداه بمكان الا اكتسى بالضياء
واستعاد الحياة بعد فناء وراى النور من مجلى العماء
اي فخر لمثله واعتزاز كاستباق لارجل الاغنياء ؟
انها فرصة — ويا قل ما يحظى برجل لسيد معطاء
سوف يجني من اكرم الناس نعلا بعد اتعابه وفير الجزاء
ليت عين الثري تبصر ما صاغت يداه من روعة ورواء
انه لا يحس ان ملاكا تحت اقدامه حليف الشفاء
كان فى غفوة فلم يصح الا بعد ان دق دقة الانتهاء
ايها الراكع المكب على الاقدام فى وقدة من الرمضاء
انت تحت الاقدام اسمى ولو كانوا جميعا من ساكني الجوزاء

* * *

ايها الآمنون غدر الليالي والليالي تفح بالأرزاء
ان للدهر نكسة تسلب المغرور ما اعتاده من النعماء
وافد يرتقي العروش رجال بدأوا مجدهم بمسح حذاء

ماسح الأحذية

للشاعر محمد الحلوي

ايها الراكع المكب على الاقدام فى وقدة من الرمضاء
زاحفا بين مختلف الارجل فى ذلة وفى اقعاء
مفرغا جهده يلمع بالاصباغ ما اربد من سواد الحذاء
بمنح الحسن والشباب لاقدام ورجلاه فى الوجى والحفاء
يا مثال النكران للذات لقن ادعياء الفدا دروس الفداء
لا يضرك امتهان جسمك ما عشت بروح علوية شماء
انت اتقى من عابد يقطع العمر ركوعا بدافع من رياء
انت تحت الاقدام اسمى ولو كانوا جميعا من ساكني الجوزاء

* * *

هب والقوم هاجعون وفى الافق مزيج من ظلمة وضياء
ورأى امه تدهده طفليها وتغذوهما بغير غذاء
فدنا نحوها ليمسح عينيها وعينيه من دموع الشقاء
قال يا ام لا تهوني وقد مات ابونا ففيك اغلى العزاء
لست امي ان لم اصنك ولم افدك بالروح يا مثال الفداء
سوف انساب فى مناكب الارض كالنحلة لا اشتكي من الاعياء
انا لو شاءت المقادير كنت ابن غني وعشت فى اثراء
اجتني من لذائذ العيش ما طاب واقضي الحياة فى نعماء
لم تصغني يد المقادير فنانا كما شئت عبقري الذكاء
عائما فى مجاهل الكون ارتاد الخوافي او سابحا فى الفضاء
حرمتني من الثراء واقصتني عن العلم فى دنى العلماء
طوحت بي الى الحياة وعرتني يداها من نعمة الاحياء
روعتني بالثكل طفلا وما افجع فقد الابناء للآباء
ورمت بي الى حياة رابت الحظ فيها بجانب الاقوياء

يسير الهوينا اذا ما نضا — ثياب الهموم نهار علاه
لدى الفنن الورق المعتلى — وحيث ربيع الحيا قد كساه
وفى عليين وبين المروج — وفى روضة العتق بدعو الاله
ولكن يضل الهدى اذ يقول : — الهي الغرام وليس سواه
نخاله ربا رسوله من — بمالي الفؤاد وبحمي حماه

هدمت اليقين بفاس الهوى — هدمت اخي للحجا ما بناه
معنى اراك بدنيا الحياة — نميل لتهد الهوى وجناه
فكيف بروض البرية يعبد دوما ويغزو براه الجباه
تسلق اخي جبل المكرمات — ودع ذا الربيع وعطر شذاه
وسر فى نجاء الى مهيع — لان اليقين طريق النجاه
فلا تستمع لنشيد الهيام — وان ضم ما ضم بين مناه
وذر عنك طيف الهوى برهة — تجد فى الفؤاد ما يروي ظماه
فكم من نفوس ذوت حسرة — وقد كلفت بجمال سناه
وامن بفكرة من قد مضى — نفت فى الكون غور حجاه
وقل للهوى . الوداع الوداع — لكي تستريح وتمضي الشكاة
وقل فى سبيلك للسارلات — وعند القيام لفرض الصلاة
انا مهجتى حلمي فى الهوا — وسرى الى حيث شاء الاله



في سكرة الهوى

للشاعر سعيد النازعي *

على بسط الزهر حيث الحياة ... تناجي الطبيعة وفت الفدا
غريب يخاطب موج الزمان ... وقد ضم بين يديه عصاه
تداعبه سكرات الورود ... وتغمره بسمات دناه
وقيثارة الحب فى نشوة ... تردد انغام تلك الحياه
تعانقها همسات الصباح ... وتحضنها نغمات المياه
وتسقي الهوى قبلا صامتات ... مواردها من سلاف الشفاه

ويا منية طالما هجست ... بنفسه تفتر عن مبتغاه
به غلة تنطفي مرة ... وطورا تثور فتذكى هواه
ويا حرقة حين يطغى الاوام ... فيزفر زفرة .. آه وآه

حميا المسرة مؤتلفه ... وملجا حبه فى مرتآه
وما كان يوما شغوفا سوى ... بحب رجاه فلبى رجاه
سعد الهوى والغنا امه ... وللحسن والسحر يدعو اباه
غريزته ان يعيش وحيدا ... وينعم دوما وذاك مداه
يعانق تدي الورود العذاب ... عناق النسيم لمرآي رباه
لان الجمال يرقنه ... اراه بظل الهوى قد سباه

وفى ليلة رحت وحدي أرى ... واسمع ما ضم موج نداه
واسبر بغية قلب عدا ... يحلمه يرمد عبر رؤاه
فمن يناجي الاماني التي ... تعيد الحياة لنجم صباه
وذرت نجوم تألقها ... يضيىء السبيل لسير دجاه

وكان قلبه عامرا رغم كل ذلك بـان العطلـة الصيفية قادمة .. وانه سوف يتمتع مثلهم بالبحـر والشمس ، والكرة ، وصيـد السمك .. لقـد كانت هذه أول عطلة صيفية تاخذها مدرسته خالصة من دون اية دراسـة ..

وبدات العطلة .. وكان قلبه يكـاد ينفجر مـن الفرح والاستاذ المكلف يعلنها لهم برزانة ويعقبها بعدة وصايا على المحافظة على الاخلاق العامة ..

وحين وصل باب المدرسة الخارجي كان ابـوه فى انتظاره ليمسك بيده وياخذه الى البيت ومن ثـم بدات مأساتـه ..

لقد وضعه فى قفص من حديد .. الليل قرءان .. والنهار قرءان .. ولا طعم للنوم ولا وقت للراحه..

وبدات آثار الارهاق تظهر على جسمه الناحل .. فاحمرت عيناه من قلة النوم .. وظهرت حول عينيه دائرتان سوداوان من شدة القلق .. ولجأ ، فى غمرة حرمانه ، الى عادات رديئة يمارسها حين يخلو لـه الجـو .. فكانت بديله الوحيـد عن ملذات الحيـاة الصحيـه الاخـرى ..

واصابه داء النسيان .. وبدأ تعثره فى تكرار القرءان بكثرة بعد ان كان يتلو الستين من البدايـة حتى النهاية بدون توقف .. وذعر ابوه لذلك فزاده تعذيبا وارهاقا .. وبدأ صراخه يسمع فى الحي ليل نهار حتى قلق الجيران ، وبداوا يشتكون من الازعـاج .. وحينئذ قرر الرجل اخذ ابنه الى زاوية منعزلـة عن المدينـة ، حتى لا يكون هنالك رقيب ..

وكان المارة يسمعون بكاء الغلام وصوت الحبل وهو ينقطع على ظهره كلما مروا من هناك .. كـان الصراخ يبدأ حادا قويا فى الصباح .. ومع المساء لا يبقى الا انيـن متقطع يطغى عليه صوت الحبل ..

وفى الليل كان صوته يبح .. فلا يسمع الا عواء ضعيف كعواء ذئب داخل عاصفة ثلجية هوجاء ..

وبين البيت والزاوية كانت تمر على احمـد اصعب اللحظات .. النـاس يتفرجون عليـه وابـوه ممسك به من قبه يجره كالبهيمة .. واشنع من ذلك ان يصادفه فى تلك الحالة صديق او زميل .. وبـدأ مظهره الخارجي يثير الرثاء .. فقد بدات علائـم الشلل والعتة تبدو عليه بوضوح ..

وانتهـى الصيف ..

وسافر اصدقاؤه الى بلاد اخرى لاتمام دراستهم الثانوية .. وكانت ما تزال بقية امـل تـراوده فى ان يرسله ابوه هو ايضا الى احد المـدن الكبيرة لانهـاء دراستـه ..

وانتظر .. ثم انتظر .. ولكن الحال لم يتغير..

وبدأ الضياع يصبغ حياته .. واليأس يعم قلبه الصغير .. ولم يعد يهمه أي شيء .. فحياته كلهـا نقطة كبيرة سوداء .. يسميها الناس اباه .. ومـر عام .. وكأنه نهر خاثر من الدم والصديد .. ومـر عام آخر .. ونفس الابخرة والروائـح العفنة تفوح منـه ..

وفى احدى ليالى شتاء العام الثالث بدأ شيء ما فى داخله يستيقظ . .واحس بطريقة غامضة ان شيئا ما سيقع له .. يد ما ستمتد لتخرجه من انهـاره المتعفنة الآسنـة ..

وتحول ذلك الشعور الغامض الى ايمان قوي .. واشرق فى داخله امل رائع دافيء .

ومرت بضعـة ايـام .. وتساقطت الامطـار بغزارة خلالها .. وكأنها تتساقط بداخله لتحيي شيئا كـان ميتـا ..

ولاول مرة فى حياته تجرأ على الا يحضر صـلاة العشاء وقراءة الحزب .. وعاد مع العشاء الى البيت غير عابيء بما ينتظره من ويلات ..

وحين دخل وجد جميع من فى البيت يصلـون لاجله .. انه يومه الاخير .. وعاد ابوه من صـلاة العشاء .. وسأل عنه فقيل له انه رجع .. فذهب مباشرة الى الحبل .. ثم ناداه فدخل عليه ..

قصة العدد

العائد

للأستاذ احمد البقالي

رفع أحمد راسه الى السماء لينظر الى الغيوم التقبلة وهي تتمزق لتفسح لاشعة القمر نافذة على المدينة الهاجعة ..

كانت الريح البحرية قد حرثت المحيط ذلك المساء ، وارسلت امواجه عاتية على اسوار المدينة الكئيبة .. ومع العشاء تهاطلت الامطار ، وهدات الريح البحرية .. وحين اقلعت السماء ، بدا صخب البحر يسمع بوضوح ..

وسار احمد في الشوارع الضيقة الخالية ، ورائحة الارض الطيبة تملأ خياشمه .. وقلبه تملاه الروعة ..

وبعد عشر سنوات من الاغتراب يعود الى ارض الوطن حواسه كلها مرهفة .. ويكاد يجهش بالدمع لغير ما سبب .. كل شيء في مدينته الصغيرة جميل .. حتى البيوت الخربة التي تأوي اليها القطط والعفاريت .. وحتى الشوارع المظلمة التي كسر الاولاد مصابيحها بالحجارة .. وحتى .. وحتى .. كل شيء ..

وفي المساء كانت نافذة هائلة تشرف منها ملايين النجوم .. واسند احمد ظهره الى السور واصاخ بسمعه لخرير ماء في باطن الارض .. وذكره ذلك بيوم خروجه من المدينة او هروبه على الاصح .. منذ عشر سنوات ، حين كان سنه لا يزيد على السابعة عشرة ..

انه يذكر ذلك كما لو كان حدث قبل ساعة ! كان قد خرج هاربا من وجه ابيه الغاضب وانطلق الى الشارع يشق الريح ، ودموعه تبلل شفتيه .. وظل يعدو حتى وجد نفسه على الشاطىء .. فقد كان البحر دائما ملجاه الامين .. وكانت برودة الريح ضد حرارة وجهه تشعره بقليل من الانتعاش ..

وقضى تلك الليلة يجوب شوارع المدينة حافي القدمين ، عاري الراس .. وقد انشطر جلبابه من الامام شطرين ..

شعور واحد كان يستولي عليه : الاهانة ! وتذكر الغصة .. تلك الغصة الحامية التي كادت تحرق حلقه .. وكم بكى وكم اخذته العزة .. وتحول شعوره بالاهانة الى الرغبة في التحطيم .. تحطيم أي شيء .. لقد كاد القهر يفجره .. كان يحس الآن انه تحول الى برميل ديناميت .. لو اعترضه شيء .. اي شيء لسحقه !

واستعرض احمد في تلك اللحظة من ذكرياته تلك اللحظات التي كان يملاه فيها ابوه بالكراهية والمقت .. كان يوقظه في جوف الليل .. يركله في ظهره او بطنه .. لا يناديه حتى لا يوقظ اخواته النائمات .. فيقوم تحت كابوس ثقيل ، والهم يثقل قلبه ، ويتحرك الى المغسل لينام بعض الدقائق على جافنيه .. انه لم ينم أكثر من اغفاءة عامرة بالاحلام المرعبة ، بعد نهار اسود من المتاعب والاهوال .. ثم يأتي فيقعد بجانب فراش والده الوثير ، ويبدأ في تكرار القرءان بينما ابوه ينعم بالدفء والراحة تحت لحافه الصوفي الثقيل .

كان والده مدرس قرءان في المدرسة .. فلم يكن يقنع بنصيب ابنه من حصص القرءان التي يأخذها الى جانب الدروس الابتدائية .. فكان يأخذه الى البيت بمجرد خروجه من المدرسة حين يذهب رفاقه الى البحر للعب والتمتع بملذات الصبا ..

آفاق فنية

مدخل إلى فهم الفن

لروني هوايغ
ترجمة بتصرف
الاستاذ محمد السرغيني

(*) لماذا نكتب ايضا عن الفن؟ بل لماذا نكتب عن الفن اطلاقا ؟ السنا قد حللنا منه الكثير ، وفسرنا ما يجب ببساطة ان ينظر بالعين ، لا ان يفسر ويحلل . فهو مخلوق لان يشاهد فقط ، ان العين ما عليها الا ان تحلل ما ترى الى كلمات ، اما اللوحة . فمن شانها انها تزود فكرنا بالنظريات .

نعم . فاذا كان الانسان يعرف كيف يرى بعينيه . لا بعاداته وميوله ومعتقداته . فانه لا يرى الا ما اعتاد النظر اليه . كما لا يسمع الا صدى افكاره الاصيلة . فالكل بالنسبة اليه كمرآة لا يجد فيها وجهه الحقيقي فقط . — اذا كان يعرف هذا الوجه — بل حتى الاشياء التي يعرفها ويتمناها .

وماذا يقال عن الانسان المتحضر ؟ المثقف الذي هذب منذ اجيال حتى يحس بواسطة افكاره فقط . الواقع ان التخمة تكاد ان تقضي علينا من جراء هضمنا لكل هذه المذاهب عن الفن . فالتحديدات المختلفة له . قد رسخت في اذهان الناس . لدرجة انها صارت معتقدات . تتشابه كلها وتتشابك حتى نحسبها شيئا حقيقيا ، في حين انها تعترض سبيل فهم الفن ، وتعوقه عن الظهور بمظهر لائق بـه .

ان الافكار التي تغذي فينا الحاسة التجريدية . قد اقامت حولنا حاجزا سميكا نسجن انفسنا في محيطه ، وننتهي بان نعتبر ذلك شيئا صحيحا ، من غير ان نعير هاته الافكار انتباهنا .

ولكن ، من اجل اي شيء نتعب فكرنا اذا لم يكن ذلك من اجل اقصاء تلك المجموعة من الافكار ، لنفتح امام اعيننا في اللوحة ثغرات ينفذ منها الهواء ، حيث نطل على عوالم فسيحة ؟ وباي شيء غير الكلمات نستطيع ان نقضي على هذا الامتيار المزيف ، الذي تفرضه الكلمات علينا ؟ يجب اذن الرجوع الى التامل . لنستطيع ان نجد خارج العراقيل التي تضعها الرتابة طريق الوضوح في العمل الفني . وذلك . بان نحسب حسابا لنصيب الحقيقة الذي يوجد فيه خلال نظراتنا واحكامنا المسبقة . فهذه الحقيقة اذا كانت مفاسة مقننة . فهي غير واضحة بشكل اختباري ، لذلك يجب علينا ان نكبح جماح جميع ابداعاتنا وعواطفنا الحرة من الجيشان . وذلك بمفعول يقظة الضمير .

روني هويغ ، رئيس محافظي الرسم في متحف (اللوفر) منذ 31 سنه ، وهو الآن استاذ في (كوليج دوفرانس) حيث يحتل كرسي : علم نفس الفنون البلاستيكية ، وهو فوق هذا يهتم بتاريخ الفن ، وعلم النفس والجمال ، ويعتبر كتابه (حوار مع المرئي) كتابه الرئيسي، اذ فيه يبين الى حد كبير تعلق جيلنا الحالي بالفنون ، بل يوضح لنا من خلال سطوره مظهرا رئيسيا لزماننا وتفكيره ، وهو في هذا الكتاب يعلمنا كيف نقرا اللوحة ونتعمقها ، فيكون بهذا قد فسر دور الفن في حياة الانسان ، وقد اصبح الكاتب من الخالدين ، حيث اصبح عضوا في الاكاديمية الفرنسية مؤخرا .

ترجمت هذه القطعة من كتاب Dialogue avec l'invisible, Edition Flamarion 1955 وذلك لانني رأيتها كدستور يضع الحدود الصحيحة لفهم الرسم وتذوقه واردت بذلك ان اجعلها كمقدمة لدراسات صغيرة تبدأ من العهد الكلاسيكي والباروكي Baroque الى بيكاسو التكعيبي ثم التجريدي ثم الواقعي ، والواقع انه قد سبق لي ان ترجمت مقدمةاخرى للكاتب نفسه ارخ فيه للرسم منذ الانطباعيين الى العصر الحاضر نشرت في غير هذا المكان ولكنها على ما فيها من الفائدة فانها لاتتناول الاشياء بمزيد من الاطناب . فالى اللقاء في اعداد قادمة .

وبعد سؤالين او ثلاثة ارتفع الحبل .. ولم يرتفع معه صراخ احمد هذه المرة ، بل يده .. لقد قر قراره على ان يدافع عن نفسه حتى النهاية .. وانتزع الحبل من يد ابيه ، فارتمى هذا عليه يريد خنقه .. وأمسك احمد باليد الممتدة بقوة ، فلواها حتى كاد يقصفها .. وهناك سمع صراخ ابيه : « اخرج .. اخرج .. من بيتي .. عليك اللعنة ايها المجرم .. ساقتلك ان رأيتك في بيتي ! » ، فاطلق احمد اليد المرتعشة ، ودفع اباه فألقاه فوق سريره .. وخرج هاربا من البيت بين بكاء امه وعويل اخوته الصغار ..

وفي الصباح سافر الى طنجة .. وهناك استطاع ان يلتحق بخدمة باخرة صيد امريكية .. وبعدها بالاسطول الامريكي .. وقضى هذه السنوات العشر متجولا بين البحار الشمالية وجزر الباسفيك ..

*

واليوم يعود الى مسقط راسه .. وحالما يجد نفسه داخل الاطار الذي عاشت فيه مأساته ، تعود اليه ذاكرته حية كما لم تكن من قبل ..

وغاب صخب البحر .. وبدا يسمع خطواته على الارض .. وحفيف انفاسه وهي تتلاحق .. وابواب البيوت المتهالكة تمر من حوله كالاشباح ..

كان قد عاهد نفسه حين وضع رجله على تراب الوطن الا يزور مدينته حتى لا يرى والده .. ولكنه عدل عن خطته على ان يزور المدينة دون بيت ابيه ..

وقد وجد نفسه الآن منساقا في نفس الشوارع الضيقة التي كانت تلفظه صغيرا نحو بيت ابيه بتوجيه غريزي ..

وظهر باب بيت اهله .. لم يتغير فيه الا لون الطلاء .. انه ما يزال كما كان منذ عشر سنين .. يا ترى ماذا فعل الدهر بقلب صاحبه ؟ دق قلبه بعنف وهو يحاول جاهدا ان يمنع يدا مرتعشة من ان تمتد الى جرس الباب ..



ومهما يكن من امر ، فالفهم الصحيح ليس هو ان نكتسب بعض الافكار السهلة عن الفن ، بل ان نتعمقه ويتعمقنا ، فيجب الرجوع اذن ، مرات متعدده ، الى بعض المشاكل الرئيسية ، مع تسلح كامل بالتجربة الاصيلة : فاذا كانت الخطوط المتناسقة لطريق من الطرق تظهر وكانها ترجع على نفسها ، فهي تسمح للانسان ان ينظر فى مشهد كبير ما قربه اليه فهمه الخاص ، فيحله فى النهاية فى محله ، حيث يأخذ مكانه الحقيقي .

فالفن كما يظهر لنا غير منفصل عن الانسان . فهو قد وجد فى نفس اليوم الذي وجد فيه الانسان . والفن ايضا لم يتطور الا فى الفترات التي كان الانسان فيها لا يفهمه . ولا يسال عن كيفيته . ولا يشك على الاقل حتى فى وجوده .

وعلى العكس من ذلك ، فالفن لم يكن مهما ومحيرا فى الآن عينه ، الا فى عصرنا هذا ، بل لم يكن اوسع انتشارا واكثر الفنون امتاعا الا فى هذا العصر ، ولكنه رغم هذا ، لم يكن قد حلل وشرح بالشكل الوافي .

ان الفن بصفة عامة ، والرسم منه بصفة خاصة، يستغل الدور الاول الذي تلعبه الصور فى حضارتنا.

وبهذا الواقع وحده ، بأسبابه ونتائجه ونظرياته التي يعيش عليها عصرنا ، وجد تحديد لقوة الفن الساحرة ، فلم يعد الا اداة لوضع الصيغ النهائية للافكار . واذن ، فعصرنا هذا ، يمدنا بالمادة الخام ، التي هي التجارب ، ويمليها على الفن ، وهو يجعل الآفاق تتفتح امامها .



واذا اشرنا الى هـذا الواجب ، فنذكر انـه يستطيع ان يرجع التردد الثابت للفكـر الى اخلاص . ان الفترة التي نعيشها ــ فتـرة الرسم المعاصر ــ لا تتفاعل مع فكرنا ، اذ ان لها انحرافاتهـا الذهنيـة . فليس مما يحط من قيمة الفكرة ان نتاكد من انهـا مبررة ببراعة اكتشافها فقط ، اذ يمكن ان نستغني عن كل شيء خطير غيرها . اما الذكاء ــ ذكاء المعاصرين ــ فهو شبيه الى حد بعيد بعامل منجم . يحفر منجمه فى كل مكان ، ولا يشترط الا ان يستفيد من عمله هذا ، ولكنه لا يفكر قطعا فى ان يجعل ذكاءه موجها لافكـاره وهكذا تتحول الى لعبة ، ما دام ينسى مسؤولياته . ان الكلمات التي تحملت منذ القديم عبء التعبير عـن الفكر ، تتنازل الآن عن مكانها للحيرة والتردد . وحتـى الافكار نفسها لا تستطيع ان‌تنتج غير احتمالات جدلية. بعد ان كانت مهمتها الرائعة . ان نترجم بوضوح تلـك الظلمة التي تكمن فينا ، وتشعرنا بثقلها .

وعلى كل حال ، لا يمكن ان تكون الفكرة ــ ايـة فكرة ــ مبررة ، وذلك بمجرد اننا عرفنا كيف ندركها . فالدماغ ليس مسؤولا ان يسيلها على الواقع . كمـا سيل حامض على قطعة طباشير . وذلـك مـن اجل ان نحصل على فقاعات صغيرة وجدت للتعفن والهدم. فهي ليست اشارات رشيقة لالية ذهنية . لانها قبـل شيء ، يجب ان نلاحظ منابعهـا وخطواتهـا ، حيـن تندمج فى الشيء الذي تميز وبوضح .

وعلى هذا الاساس . نستطيع ان نقول : ان الفن قد صار الآن من اهم الاشياء الصالحة لعصرنا . انـه مبني على تأويلات فى خضم نمـوه الكثيف السريع : هذه التأويلات تعوقه بتلك الثغرات‌المجنونة التى تتركها فيه ، بدون امل فى اصلاحها ، هذه الثغرات تنحصر فى ان الفن ، لا يجب عليه ان يهتم بغير التناسل والنمـو والاستمراريـة .

ان الحاجة تفرض علينا ان نطبق الفكرة على الفن مرة اخرى، لنحاول ان ننظر بوضوح الى هذه الظلمة، لنجد اتصالا وثيقا مع حقائق مرهونة باشياء ، اذن . فالشيء الذي يكون مهما فى هذه المادة ، هو : (الاعمال الفنيـة) .

ولهذا فانا لا اطمع ان ابـرز هـذه الحقائـق . واستغلها بمذهبية ، لاجعل منها مبادىء مسبقة ، اذ انها تكمن فى كونها تحيط بالواقـع الفنـي فى اذعـان وخضوع ، حيث تحيله الى وضوح لـم يفسر ولـم يشرح، انها بصفة نهائية، ومن اجل هذا يجب ان نضمن للرسم ميدانا محدودا ، فهو حيث الصورة الواحـد، تنثر الالاف من الصور من منابعها ، يظهر انـه اكثـر الانواع الفنية تلقيحا وانتاجا ، وهكذا ، فمن خـلال الرسم ، ما ابدع منه امس ، ومـا يبدع منه اليوم . يجري التحقيق فى طبيعة العمل الفني على علة وجوده. وعلى قوته التعبيرية .

وفى بحثنا عن عالم المظاهر ، نجد ان الرسم يوجه اليه سؤالا ، ولكن بالشكل الذي يسوغ له ، فيترجـم عن جوابه ، واحيانا يمليه عليه . وهكـذا يندمـج فى حوار عالم المظاهر هذا مع المرئـي بسبب الرسـم ، واحيانا ، فالرسام الذي يكاد يصيبه الصمم ، يعمـى عن ان يسمع ويسجل ما يسمع : فنسميه وافعيـا . . واحيانا اخرى يجلجل بصوته ، حتى يغلف صـوت الاشيـاء : وهذا ما يمكن ان نقول عنه : انه محاولـة لرسامينا المعاصرين .

ومن خلال القرون والالاف السنين ، تتابع الحوار بلغة واجوبة دائمة الجدة . حيث يتحـدث الرسم فى آن واحد ، مع العالم ومعنا ، من غير ان يتدخل فى هذا الحوار ثالث .

اننا سنظهر الخطوط العريضـة لفلسفة الفـن فقط ، وليس لدينا الحق فى ان ندعـي اننا اذا قبلنـا عن طيب خاطر مشقة بحث مقنع منهجي. فاننا نحصل من وراء ذلك على مظاهر مختلفة ، وربما متناقضة . حسب نظام تطوري مستمر . حيث ان النسبة النهائية تسمح لنا بالحصول على فكرة عامة عن الموضوع .

وهذه الفكرة ، لا يمكن ان تتلخص فى اصطـلاح او فى آخر، اقترح بهذه المناسبة، بل نوخذ من المجموع، ليمكن ايجاد تحديد رزين هادىء ، وليس هذا عمـلا نهائيا ولا تلخيصا لعمل مجزىء قمت به خلال عشرين سنة ، وذلك بمختلف المحاضرات والدروس التـي القيتها ، وانما هو شيء غير ذلك ، ولكن ، هل يمكـن الاعتقاد بانه من الواجب اعطاء فكرة عن هذا العمل ؟ فكرة فقدت كل جدتها لدرجة اننا نجدها مشروحـة فى كل مكان ، وهل من المهم ان تظهر فكرة ما بمظهـر مبتذل او بديع ، لتعطي تحديدا للفـن ، ام ان كـل فكرة تعين على فهمه فى اختلافاته الواسعة . هي التي تصلح ان تكون دليلنـا ؟

يدعوهم الى المشاركة جميعا فى نقل الدماء الحـــارة السليمة الحية الى هيكلها الذي انهكته الايام واضعفته المحن ، والمسؤولية فى بعث هذه اللغة ليست مسؤولية دول وحكومات فقط ، انها مسؤولية يتحملها الجميع وخصوصا المجامع اللغوية التي يجب ان تعمـل علـى نقل التراث العالمي الذي يفيدنا ، وينمي مداركنـــا ويساعد على تفاعلنا مع الحضارة العالمية ، والا تقتصر على ترجمة المصطلحات العلمية وتسويق كلمات محنطة لا رواج لها .. ثم على اطبائنـا ومهندسينا وعلمائنـا الذين زاوجـوا بين الثقافات عليهم ان يخرجوا مـن عزلتهم وان يقدروا رسالتهم وواجبهم الوطني الذي يدعوهم ليكونوا همزة وصل تربطنا بالامم الحيـــة والحضارات الراقية ، ومن العار علـى ابنـاء هـذا الشعب هذا الشعبالذي ارسلهمليعودوا اليه مثقفين، فما رجع اكثرهم الا جباة مرتزقة لا يعرفون الا النهب والسلب وجمع الدنانيـر ، ولا يحسنون الا الكســل والخمول اما الانتاج والتأليف ، وأما الاسهام فى تطوير امنهم وتطعيم لغتهم فذلك ما لا يفعلون، وما دمنا كذلك فلا الفصحى تؤخر ، ولا العامية تقدم ، وانما هي اوهام نلهى بها عن واقعنا المر ، والى ان ندرك واقعنا ونعمل بصدق من اجل رقينا وازدهارنا سنتاكد من ان اللغة يخلقها الشعوب ولانخلق الشعوب ونحييها العقول ولا نحيي العقول ، وعندئذ سنجدفي لغتنا معنى ، وسنلمس فيها حياة وسحرا .

وفى لبنـان : مولـود جديـد :

لاول مرة فى تاريخ العروبـة يولد اتحاد عـــام للناشرين العرب فى ارض لبنان وتحت سمائها الجميلة وبين احضان طبيعتها الخلابة ، ونحن اذ نهنيء انفسنـا ونهنيء اخواننا الناشرين ونتمنى لهم كامل التوفيــق فى اداء مهمتهم الانسانية ، نتقدم بالشكـر لجامعتنـا العربية التي دعت الى عقد هـذه الحلقة لدراســـة وسائل النشر للانتاج العربي ، وتيسير تداول الكتاب العربي ، فهيأت بذلك فرصة تدارس فيها المجتمعـون هذه الوسائل ، وتعرفوا فيها على العقبات والصعوبات التي تقف فى وجه الكتاب العربي وعلى الاجحاف الذي يناله المؤلف والناشر والقاريء ثم اصدروا اخيـــرا توصيات ــ على العادة ــ نرجو الا تكـون كمثيلاتهـا المهملات ، لاننا نؤمن بانها توصيات لو نفذها المسؤولون لادت للفكر العربي خدمات جلى ولساعدت ابناء هذا الوطن الكبير على استكمال غذائه العقلي ، هذا الغذاء الذي حرم منه واجبرته الظروف القاسية على تحمـل هذا الحرمان ــ ولعل اخواننا المجتمعين لو انصفوا المستهلك العربي لما اتخذوا من ضعف وسائل التعريف بالكتب وقلة الاعلان عنها والتشهير بها سببا رئيسيـا لما لاحظوه من قلة الاقبال حتـى مـن المتعلمين علـى القراءة ، ونحن معهم فى أن هذه الوسائل الضروريـة فى عصرنا تكاد تكون معدومة ولكن رغم ذلك فالمواطـن العربي يعيش فى مستوى يجعلهلا يحتاج الى ان يعرف، بالكتب ونقدم اليه التآليف حاجته الى من ياخذ بيده ليصل الى هذا المعلن عليه ، انـه فى حاجة الى مـن يتعرف على الاسباب الحقيقية فى جفائه للكتاب العربي هذه الاسباب التي من اهمها فيما نرى :

1) السبب المـادي ــ ونقولها بصراحة انـه لا يوجد فى الدنيا شعب يتاجر فى غذائه الروحـي مـن غير حماية ولا مراقبة كالشعب العربي ، وخصوصـا نحن ابناء هذا الشمال الذين ابتلينا بالاسعار المضاعفة فى كل شيء ولذلك نجد الدخل الفـردي لا يساعـد المواطن على الشراء ، انه دخل لا يكفيه ــ وهو الموظف المثقف ــ حتى فى معاشه كحيوان ، لا كانسان متمدن لان الانسان المتمدن يعتبر الثقافة من ضروريات الحياة ولذلك استطاع ان يفرضها على ميزانيتـه كفـرد ، وان تقرا التشريعات الاقتصادية لها الحسـاب وان تعمل الدول على تمكين المواطنين منها .. اما نحن فلا نزال فى طور الكفاح من اجل الخبز حتى نعيـش ولا يمكن لجائع بئيس ان يفكر فى الكتاب ليستنير ويحيى ويتقـدم .

2) وهناك سبب ءاخر نفسي وهو فى واقعه مهم جدا : ذلك ان الطالب العربي فى مراحل حياته لا يجد تقديرا ولا احتراما فى مجتمعه للثقافة فى عناوينها ، انه لا يرى احتراما للمعلم ولا يجد تقديـرا للاستـاذ ولا يلمس تشجيعا للادباء والمؤلفيـن ، انـه لا يشاهد فى مسرح الحياة الا الها واحدا يعبده المجتمع، وتدور معه القيم وجودا وعدما وهو المال والمـال فقط ، فـلا الثقافة تفيد ولا التأليف يجدي فاصنعما شئت واكتب ما شئت وتثقف بما شئت فلن تكون الا عبدا لمعبـود قومك ، واذا فلماذا المطالعة ولم القراءة ؟ لقد فزنـا بالشهادة مفتاح الرزق الضنك ، وبلغنـا الى الوظيف فرفع من رفع وخفض مـن خفض فما رأينا فى الرفع والخفض الا ميزانا واحدا ميزان المال والجاه والحسب والنسب ، اما الكفاءة والثقافة فالـى حيث ألقت .. ولو سألت متسلقا للسلم الاداري او مرتبطا بسلاسل (الانديس) اي امنية ترجو لاجابك بالواقع الاليم انا فى

الحياة الثقافية في الوطن العربي

فى ارض الكنانة : بين العامية والفصحى

قصة لغة الضاد مع أبنائها قصة طويلة ترجع فى خيوطها الاولى الى السموم التي طعم بها الاستعمار عقول بعض المثقفين منا ، فجعلهم اداة ليصل بهم الى ما عجز عنه ، وغرس فيهم من كيده للعربية ما دفع بهم او بالكثير منهم ومن غير شعور الى ان يطعنوا هذه اللغة وان يحاولوا جهدهم القضاء عليها ، وان يشككوا الشعب العربي فى لغته وقدرتها على التطور وامكانياتها فى مجاراة مقتضيات هذا العصر ولذلك يرمونها تارة بالجمود والموت وطورا بالعقم والجفاف ، وكأن لغات العالم وجدت حية وخلقت متطورة ، وكأن ابناء هذه اللغات استطاعوا ان يصنعوا ما يصنعوه بفضل لغاتهم فقط ، وكأن هذه اللغات هي التي اخذت بيد ابنائها فدلتهم على الرقي والتمدن ، انه لمنطق عجيب والله . واعجب منه أن تطعن العربية باسم الغيرة عليها . وان ترتفع الاصوات فى مصر وفى غير مصر داعية الى التخلص من هذه اللغة الفصحى التي هي السبب – فيما يزعمون – لتاخرنا الفكري ، وتلك نغمة الفناها من قبل حين نظمت الحملات على الاسلام باسم التمدن والحضارة واعتبره المغرضون والمأجورون هو العقبة التي تقف فى طريق التمدن العربي والانطلاق الحضاري .

ومن المؤلم أن نجد كاتبا عربيا كالدكتور ابراهيم انيس يدعونا فى كتابه مستقبل اللغة العربية . ومن غير ان يتقي الله فى اكبر رابط يربط هذه الشعوب فى الوطن العربي الكبير من الخليج الى المحيط ، يدعونا بحماسة لنتخذ اللهجة القاهرية لغة للامة العربية بدلا من هذه اللغة الفصحى التي اضعفتها منافسة العامية فاصبحت لا تستطيع ان تستجيب لعوامل الازدهار . فاللهجة القاهرية لا لهجة مصرية وكم فيها من لهجات هي الحل الذي يراه الدكتور لثنائية اللغة العربية ، ويوغل الاستاذ توفيق حنا فى الجدية فيعرض مشروعا ليطبق وينفذ فى المجال الفعلي فيقترح أن نسارع الى تعليم اللهجة العامية فى السنوات الاربع من التعليم الابتدائي حتى لا يصدم الطلاب بالفصحى وهي اللغة البعيدة عن حياتهم ، واخيرا نجد الاستاذ جلال مصري يعتمد على الاغلبية فيصدر حكما ديموقراطيا فلا شك تصبح بمقتضاه اللغة الشعبية او العامية هي اقصر الطرق التي توصل الى العقل .. ونحن لو كنا منصفين لانفسنا ولغتنا وجدنا داعيا او سببا يحملنا لنتهم لغتنا الفصحى بحجة الثنائية فاي امة فى الدنيا لا تملك لغتين : لغة سوقية يومية لا قواعد لها ولا اصول ، تستعملها فى حياتها المعاشية والى جانب هذه اللغة الشعبية هناك لغة راقية فنية ذات قوانين وقواعد ومصطلحات لا يستطيع الشعب ان يملك زمامها او يسخرها كما يشاء انها لغة ليست كالاولى . والا لاصبح كل فرنسي وكل انجليزي مثلا يستطيع ان يفهم انتاج فولتير وشكسبير ولاصبح كل فرد من الشعب قادرا على ان ينتج الادب الرفيع وينصرف باللغة الفنية كيف يشاء ثم بعد ذلك ماذا يريد دعاة العامية ؟ أيريدون ان نرمي بتراثنا وحضارتنا وان نبدأ من جديد بتثقيف انفسنا بلهجة من اللهجات المرشحة كالقاهرية مثلا وهم انفسهم يدركون ان القاهري حين يذهب الى الصعيد لا يفهم ولا يكاد يفهم . ودعنا نجاري هؤلاء المصلحين فنستعيض بلهجة من لهجاتنا من اللغة الفصيحة ونتخذ مثلا لهجة مصر لغة رسمية، فهل نقضي بذلك على مشكلة الثنائية فى البلاد العربية ؟ ام هل تستطيع هذه اللغة الجديدة ان تغزو اللهجات الاخرى فتصبح لنا لغة واحدة نكتب بها الادب ويؤلف بها العالم ويتكلم بها رجل الشارع ؟ لست أدري أيتحقق ذلك وان كنت اومن كما يؤمنون بانه مخالف لسنن الكون ونواميس الشعوب ..

فالحل اذن ليس فيما يدعون من نبذ هذه اللغة واختيار لهجة من لهجاتنا والتي ستصبح – لو قدر للعملية ان تنجح – متهمة بالجمود والموت والعجز . وانما الحل الصحيح فى انفسنا اولا ، ولكن رغم ذلك ندعو المخلصين جميعا الى العمل الجدي – لا الى المؤتمرات والتوصيات – ندعوهم الى تطعيم هذه اللغة الخالدة

مناقشات

حول قصيدة إننا أخوان

للأستاذ محمد الحلوي

عود على بدء

الحقائق الخمس :

لست نادما على هذه المناقشة التي اثرت بها حفيظة زميلنا التواتي ، ولست راغبا فى ان تتحول المناقشة حول قصيدة فقط الى مهارشة بذيئة لا تفيد القارىء ولا تحترم الادب اذ ليس بين النقد الموضوعي النزيه المركز وبين المهاترات الحمقاء التي تختلط معها الحقائق ويلبس فيها الباطل لباس الحق الا خط رفيع يجب الحفاظ عليه لانه حمام الامن وملاك السلام .. وقد اثرت هذه المناقشة وانا لا اهدف منها الا لبعث نشاط فكري تحدوني فيه الرغبة الى كشف اللثام عن الحقيقة فى حدود الحكمة والاحتكام الى المنطق ، فبذلت الجهد فى ان اكون موضوعيا ، وركزت اهتمامي كله فى الجوانب التي تعنيني فى هذا المجال بعيدا عن كل ما يمس زميلنا التواتي ويخرجه عن وداعته واتزانه . ولكنه على الرغم من التزامي ما يلزم فى مخاطبة انسان مثله فقد ثار وافلت من يده الزمام . ومرد هذا الى انه قوي الحساسية مرهف الشعور والشاعرية تدغدغه الكلمات وان بلغت الغاية فى اللطف ، وتهيجه متى احس فيها قليلا من العنف ، فليسمح لي اذا كنت قد اثرته ــ عن غير قصد ــ وحدت فى نقاشه عن المجاملة واللياقة الادبية فانا افهم ان المجاملة اذا تعدت حدودها اصبحت مغازلة .

لقد ذهب زميلنا التواتي للدفاع او التعقيب عندما رأى شاعريته توضع فى قفص الاتهام فكيف كان ... فى هذا النقاش ؟ هل التزم فيه جانب الادب واللياقة التي نعاها علينا ؟ وهل اعطى حقا لما كتبه ... جدية والتزم فيه الصدق والاقناع ؟ ذلك ما ... يتقيد به الاخ التواتي وهو يكتب تعقيبه باسلوب ... محموم وفى غمرة انفعال وهياج ونفس ثائرة . ليس اضر على العلم والادب من هذا الاسلوب الذي تضيع فيه الحقائق وتطغى فيه العاطفة على العقل والمنطق ــ ويعتمد فيه التنطع والالتواء .. واذا كان الاسلوب الخطابي اداة لاثارة المشاعر والهاب الحماس فى الجماهير وفى الميدان ، وفى مجالس القضاء فهو ايضا اداة للتمويه والتضليل وتغطية للحقيقة التي لا تنكشف بحال الا باصطناع اسلوب النقاش الهادىء المتبصر .

الحقيقة الاولى : والحقيقة الاولى التي يومن بها التواتي ويعتمدها كسلاح فىهذا التعقيب المتحمس، هي انه لم يقرا من بداية حياته الى نهايتها انتاجا مغربيا الا ما تفيض به على الناس قريحته السخية ، والا ما يرسله اليهم من داخل برجه العاجي من نفحات شعرية فواحة .. ومن محنة الادب والشعر فى هذا البلد ان ينصرف عن قراءته ومتابعة تطوراته حتى الذين يضعون اسماءهم وانفسهم بين الشعراء ويخوضون فى الحديث عن مدارسه واتجاهاته وان من السخافة ان يدافع المرء عن نفسه ويرد كما ردها يوما بسواته عمرو .

لقد خصصت (دعوة الحق) عددا خاصا لدراسة الازمة الفكرية فى بلدنا والتعرف على اسبابها ، وقد فات كثيرا ممن تناولوا اسبابها الكثيرة بالشرح والتحليل ان يذكروا منها الانانية المغرورة التي تعمي عن كل ماحولها ولا ترى غيرذاتها شيئا جديرا بالاعتبار والالتفات ، ان الشاعر الذي ينتج ويصدر للناس وينتظر منهم ان يقراوه ثم لا يتنازل هو لقراءة الآخرين لانها فى نظره ترهات وسخافات انما هو واحد من اثنين : مغرور يضع نفسه فوق الجميع ويرى انتاجه فى الدنيا كل شيء ، او متعام لا يطيق رؤية النور المتراقص من حوله فهو يعمي عينيه عنه حتى لا يرى ويصم اذنه حتى لايسمع ، وقد كان على التواتي .

حاجةالى من يدفعالى اعلىاو ذي جاهيتوسط اوذي سلطة بزكي لاصبح من المحظوظين وافوز فوزا لا يهم به من سلخ من عمره عشرين سنة يموت ويحيى من اجل الثقافة والعلم .. ذلك هو الواقع الحقيقي لمجتمعنا وذلك هو السبب الخفي لقلة الاقبال من الشباب المثقف على الكتاب وذلك هو الدافع لقلة الانتاج وانعدام النبوغ وضياع العبقريات ، وقد اصبحنا بحكم هذا الواقع ندور جميعا فى فلك الدينار والدرهم لا نؤلف الا من اجله ولا نقرأ الا من اجله ، ولا ننشر او نبيع الا من اجله . بل ولا نحيى الا من اجله .

وبعد فهل لهذا الواقع من اصلاح؟ وهل لاوضاعنا من علاج .. ذلك ما نامل وعسى ان يكون للكتاب العربي النصيب الاوفر فى تحقيقذلك التغيير الجذري لحياتنا النائمة ، وان كانت المهمة مزدوجة والمسؤولية مشتركة يتحملها المؤلف والناشر والموزع والحاكم انهم جميعا مسؤولون . وعليهم واجبات نحو المجتمع العربي ونحو الثقافة العربية ، ولو ادى كل واحد منهم رسالته وقام بمهمته لاصبح الكتاب العربي سيد الموقف واستاذ الشعب ومربي الامة .. ورغم اختلاف المهمة المنوطة بكل واحد فان الغاية مشتركة هي خدمة هذا الشعب والعمل على رقيه وازدهاره .. وهذه المهمات فيما اعتقد ملقاة :

اولا — على الناشرين الذين لا ينبغي لهم ان يتخذوا من رسالتهم تجارة مادية فقط تدفع بهم الى تملق سطحية الشعب وغرائزه بل هم اصحاب رسالة لا تتسامح مع الانتاج الذي يفسد الشعب او يلهيه ولو كان محقق الرواج ومدرا للربح الوفير وليعلموا ان المؤلف العربي عندما يجد ناشرا واعيا لمسؤولياته القومية سيراعي المستوى اللائق وسيبذل الجهد مع الناشر ليكون الانتاج محترما هادفا لمصلحة المجتمع .

ثانيا — وعلى الموزعين واصحاب الوكالات الذين بيدهم كل شيء والمحتكرون لكل انتاج والذين يلزمهم الواجب القومي الا يستغلوا الانتاج العربي وجهود الناشرين واتعاب المؤلفين للاثراء الفاحش والربح المضاعف على حساب ثقافة المواطن العربي الذي يبعد عن موارد الثقافة بسبب الاطماع والاستغلال ..

واخيرا على الحكومات الا تقف مكتوفة الايدي بل عليها أن تتخذ جميع الوسائل لتسهيل تداول الكتاب العربي بان تلغي الضرائب نهائيا على الانتاج الفكري وعلى مواده الخام التي يقدم فيها .. وان تخفف من اجور المواصلات وان تعمل بجد لتحديد نسبة مئوية لا تتعدى خمسة فى المائة للارباح التى يحق للموزع والبائع ان يتقاضاها ، وبعد هذه الخطوات الصادقة سيفرض الكتاب العربي نفسه وسيقرع الابواب ويدخل البيوت وسيجد الانتاج القيم الرفيع ترحيبا من القارىء العربي فى كل مكان وفى ذلك الوقت نستطيع ان نؤكدعلىوسائل الاشهار والتعريف لان المستهلك حينئذ يصبح قادرا على الاستهلاك اما الآن فانه عاجز وعاجز حتى على خبره .

م . ز

..لقات ... ثم ما هي هذه الحضارة التي شيدهـا الانسان ؟ اليست ميراثا تسلمه هذا الانسان ممن سبقوه فاخذ يستثمره وينميه ليتركه لاجيال قادمة تمضي في تنميته الى ما شاء الله ؟ .. وهل استغنت يوم ما هذه الثورات الفكرية والحضارات الانسانية المذاهب الادبية والفلسفية عن ان تستضيء باشعاع الماضي وتتخلص من رواسبه التي حملها الانسان معه .. مجاهل فكره واغوار نفسه ... ان التواتي عندما .عت غيره بالاجترار سيجد نفسه عاجزا عن اعطائنا شاعرا واحدا لم يتفاعل مع الحاضر ولا مع الماضي فلم ..ثر ولم يتاثر ، ان اقرب امراء الشعر الينا في عصر النهضة هو احمد شوقي ، الذي ترسم المتنبي في حكمه وابا تمام في متانته ومعانيه وابا نواس في خمرياته وابن زيدون في عاطفياته والوشاح الاندلسي في موشحاته ، فهل كابر احد في عبقريته وشاعريته ؟ وهل نال من شاعريته انه اجتر اساليب القدماء واحتذى مناهجهم في الصياغة والاداء ؟ وهل ينتظر من التاريخ يوما ان يغير رايه في شوقي لان زميلنا التواتي هنا ينظر اليه ـ كغيره ممن يبقى على اتصال واخلاص للماضي ـ شاعرا مجترا يلوك ما لاكه الاولون ؟

ومن المضحكات ان يؤكد لنا التواتي انه شعبي لحما ودما ونزعة ومذهبا وميولا وهو الاريستقراطي الذي لا يقرا انتاجا غير انتاجه ولا يسمع اذنه صوتا غير صوته، انه مغرم بهذه الشعبية في كل شيء يمارسه في الحياة ـ حتى في تفكيره ـ اما في شعره فهو يختار الاعرابية ويضرب على نفسه نطاقا من حديد ، حتى لا يخضع لاحد من قريب او بعيد ، وهو بهذا يحاول ان يخدعنا ويخدع نفسه بانه لم يتاثر باحد ولم يجتر كما نفعل نحن ، وليست هناك عوامل خارجية تغذي شاعريته وتهز عاطفته وانما هي عصامية اصيلة ، وموهبة تواتية نبيلة وتبارك الله مبدع العبقريات وصانع المعجزات .

وعندما يلجأ زميلنا الى التغليط يتحدث لنا عن الاحاسيس الانسانية وانها قاسم مشترك بين افرادها، يخطر ببال احدهم ما يخطر ببال الاخر ، ويطرق هذا موضوعا قد يكون طرقه غيره من الناس ، يهمس بهذا في اذن وكانما يهمس بسر ، ويحدث به كما لو كان يقدم للقارىء بشيء جديد وهو لا يجهل انني عندما ..حث معه هذا النقاش لم افتحه لاني احتكر الشعر ..سي او ادعي الامارة فيه ، ولا لمجردانه طرق موضوعا قد طرقته فانا اعلم ـ كما يعلم الناس ـ ان تناول الاحداث والتيارات والتفاعل معها حق مشاع بين افراد البشرية على السواء ـ وانا عندما انتقدته لم افعل الا وانا افرق بين الاشتراك والتواطؤ في الفكرة والموضوع وبين التواطؤ في الصياغة وطريقة الاداء ...

اننا جميعا نحيا عصرا طغت فيه الانانية والخوف والقلق ، فمن حق التواتي ان يعيش هذه التجربة وان يصوغها صياغة ادبية ... وهو اذ يتفق معي موضوعا وفكرة عشنا جميعا تجربتها فليس له مجال ان يتواطأ معي في الصياغة وطريقة الاداء وفي القوالب التي اخترتها والقيم التعبيرية التي فضلتها .

ان اي شاعرين متعاصرين يتواردان على موضوع واحد ، ويعالجانه باسلوب واحد ، وفي بحر وروى واحد ، ويتعاقبان على صياغة حرفية واحدة لن يثبت واحد منهما امام موازين النقد الصحيحة قديمها وحديثها ، ولن يكون هذا الواحد بالطبع الا اللاحق منهما ...

الحقيقة الثانية : وثانية الحقائق التي اوردها الاخ في تعقيبه تتحدث عن ميلاد قصيدته وقصة حياتها التي بدات كمانقول ـ في توات سنة 1956 ، ففي توات بلد النخيل راى اول بيت منها النور عندما ارغمه الحاكم على الكفر بالجنسية المغربية التي لم يكفر بها التواتي يوما ما .. وفي غمرة الحرب الجزائرية عادت اليه صورة الحاكم القاتمة (الجاهمة) ، وهنا استسمح الاخ اولا لاصلاح له كلمة الجاهمة واعرفه بتعريبها الصحيح فان العرب لم تعرف الجاهم ، وانما قالت الجهم كما نطقت به الخنساء :

جهم جميل المحيا كامل ورع
وللحروب غداة الروع مسعار

وهكذا ترى يا اخانا التواتي ان الاجترار قد افادنا وعصم السنتنا واقدرنا على اصلاح لغة الاخرين الذين لا يجترون .

ويعود الفضل في اخذ قصيدته صورتها النهائية ، وتعديلها ، وادخال الماكياج عليها ، وتطعيمها الى حرب الجزائر .

وهو يبدي استخفافه وعدم اهتمامه بالمحاولات الادبية التي ما تزال تتلمس طريقها وتكافح من اجل خلق ادب هادف ان لا ينسى تقييم انتاجه المغربي ، وان لا يحرمنا من ابداء رايه فى شعره وهو يقسو فى احكامه على الآخرين .. انه لا يعجب كما يقول باحد اعجابه بالاخوين الطنجاوي والصباغ لانهما مدرسة قائمة تستجيب لتطورات الحياة وسنة التجديد ، ومن المدهش ان يعلن اعجابه بهما وتقديره لشاعريتهما . وهو لم يتنازل قط ليقرأ انتاجا مغربيا مكتفيا فى هذا الاعجاب بالسماع والاصداء ـ ومع ان الحكم لشاعر ما والاعجاب به لا يكون حكما مامون النتائج اذا اكتفى فيه بالسماع العابر والاصداء المرجعة ، فان الذي نعرفه هو ان الطنجاوي والصباغ يقرءان ولا يسمعان فلم اذكر قط اني استمعت لواحد منهما انتاجا اذاعيا، على وفرة انتاجهما بينما قرات وقرا لهما الناس الكثير .

ولعل ما اعتمده التواتي فى هذا الاعجاب والاطراء ـ والذي اعتقد ان الآخرين فى غنى عنه وليسا فى حاجة اليه ـ هو ان الحلوي يعيش على انقاض القديم ويجتر ـ فى وهمه ـ ما قاله الاولون وهو ما لا يفعله هو بالطبع او يفعله الصباغ وهذا وحده كاف عنده فى اصدار الاحكام الادبية اذا كانت من وراء الابراج العاجية التي اعتاد الحياة فيها اخونا التواتي .. انه بالطبع لا يقرا شعري لانه انتاج مغربي كما اخذ على نفسه ، ومع ذلك فهو لا يخجل من ان يعلن رايه فيه بهذه البساطة متجاهلا نتائجاحكامه الفطيرة المرتجلة .. ان الصباغ الذي نحترمه جميعا ونقدره يمثل فى المغرب المدرسة الحديثة فى الشعر ما فى ذلك من شك ، اما الحلوي فاحد الذين ينتمون الى المدرسة القديمة بكل خصائصها وسماتها تغذت شاعريته من منابعها وعاش طويلا مع اقطابها فتاثر بالاصالة العربية الى حد كبير .. وان زميلنا التواتي بعد هذا لن يستطيع ان يزعم لنفسه او للناس انه من مدرسة الصباغ لان الواقع سيكذبه ولن يرضى ان ينتمي الى المدرسة القديمة التي انتمي اليها انا لان اصحابها فى رايه يلوكون ويجترون ويعيشون على اصداء الماضي البعيد ، فماذا بقي لاخينا التواتي ؟ وبماذا احتفظ به هو لنفسه ؟ .. ان حالي معه كذاك الذي اراد ان يعرف مكانة صديقه الشاعر يوم قال له : ان الشعراء فى الدنيا ثلاثة : شاعر وشويعر وعاض بظرامه فمن أي الثلاثة انت ؟ فاجابه ذاك الصديق : الشاعر امرؤ القيس اما انا فشويعر ، واقتسم انت وغيرك الباقي .

ثم ما هو هذا الاجترار الذي يحاول زميلنا التواتي ان يلمزنا به ؟ انه عند ذوات الاربع مضغ جديد ومحكم لما ملات به بطونها من قبل ، فهي عملية اعادة بغيرها لا تستحيل الاعشاب الى غذاء نافع .

اما عندما يصف انسان آخر بالاجترار فانما يقصد من ذلك انه لا ينفق مما عنده ، وانما هو طبعة ثانية للاخرين يحادي اساليبهم ويعيد افكارهم ويترسم فى عمله خطاهم ، هذا هو الاجترار الذي توخى التواتي ان ينعتنا به عندما اراد ان يعلن رايه المحترم فينا ، وانا ابرا من هذا الاجترار لانه محاكاة عمياء وامعية ممقوتة ووثنية متنكرة .. وللتواتي العذر فى اساءة الظن بي لانه لم يتنازل من عليائه يوما ليقرا لي ما اعجب به الكثير ممن لهم راي ومكانة عالمية فى الادب ولو انه قرا هذه القصائد : غرب ، سابحة سافرة . صرخة الجزائر ، ابو الثلج ، من وحي القرية ، يوم ابصرتها ، ذكرى القرويين ، مرثية محمد الخامس ، وغيرها كثير لكان له راي آخر ... ان الاجترار الذي اومن به شيء آخر غير هذا ، انه امتداد الماضي القديم الى الحاضر الجديد ، وارتواء هذا الجديد من منابع القديم الصافية .

ان الحفاظ على اسلوب الادب الاصل والصياغة الفنية الرفيعة مع مسايرة مفاهيم الشعر الحديث لا يمكن بحال ان بعد اجترارا ، انه امداد الادب بروافد اصيلة واعداده للبقاء والخلود ، وهو بهذا المعنى ضروري لحياة امة تحرص على ماضيها الذي اصبح ذرة من كيانها ، فابتعادها عن استيحاء معاني الخير والجمال والقوة من هذا الماضي لن يكون الا تخليا عنه وعقوقا منها ونكرا .

ان تسلسل التيارات الفكرية عند الانسان ، هذه التيارات التي كانت انطلاقتها الاولى من عهد الانسان الاول لدليل على ان التلاقح الفكري عبر القرون والاجيال لم يكن الا اجترار الانسان ما اهتدى اليه اخوه الانسان ، وان وحدة المشاعر عند بني الانسان التي اكدها الادب المقارن وتهافتهم على المعاني الواحدة لدليل على ان البشرية جمعاء تعيش فى دوامة وتخضع فى تطورها وتفكيرها لعملية اجترار متصلة

العربية وتجسيمها فى جامعة عربية يعتبر ربحا عظيما ومكسبا حققه العرب رغم مناورات الدخلاء ورغم مـا اعترض طريقهم ويعترضهم من تيارات معاكسة . ان المنكر للقومية الذي يفتخر به التواتي كلام لايرتكز على منطق سليم ، لان الوحدة الاسلامية التي ليس هو اول داع اليها رغم قداستها ، ورغم ايمان المتحمسيـــن للاسلام بها ، ورغم المصاعب التي تقوم دون تحقيقها . والاجيال اللازمة لانجازها ، هي نفسها عصبية ودعوة جاهلية لانها تكتل يقابل فى الطرف الاخر المسيحيـــة واليهودية واللادينية .

ان الحقيقة الالهية الصحيحة التي يدعــو اليهـا الاسلام والتي لا يرد عليها ما اورد التواتي ليست هي فى قومية عربية ولا اسلامية ، وانما هي فى وحــدة انسانية شاملة تقوم على التعايش السلمي واحتــرام العقائدوالافكار وتلاشي الفروق والطبقات تحت شعار « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وشعار الدين لله والوطـن للجميع ـ فاذا اراد التوا تي ان يفر من الدعـــوات الجاهلية كما يرى فليدع الى هذه الوحدة الانسانيـة التي هي وحدها الحقيقة الالاهية .. على انه ليس من اللازم ان نكفر بالقومية العربية التي ناهضت بتكتلها الاستعمار لندعو الى الوحدة الاسلامية التي ستكون الخطوة التالية فى سبيل تعايش انساني شامل .

الشكلية والفنية :

تحدث الاخ التواتي فى حذلقـة وسخاء عن نفسه وعن حاكم التوات وعن مناطق القلب والعواطف وعن القومية العربية ، فما باله يلوذ بالصمت ويدور ويلف عندما ينتهي فى تعقيبه الى الجانب الشكلي والفنـي الذي تناولته فى تعليقي ؟ وانهذا التهرب منالاخ راجع الى سببين اثنين : احدهما انه يستخف بالجانـب الشكلي والفني فى الشعر وفى نقد الشعر ولا يـراه جديرا ، بالاعتبار ولذلك وقف منه موقفه السلبـي ، ثاني السببين انني لست شخصية عالمية فى النقــد يحسب لها حسابا او يقيم لنقدها وزنا .

ومع ان الجانب الشكلي والفني ليس كل شيء فى الانتاج الا انه اول شيء يبرز فيه ، فالتجربة الشعورية التي مر بها وعاناها التواتي لا يمكن ان تقيم ، ولا ان تكون محلا لحكم ادبي كيفما كان وزن الحاكم وثقله فى دنيا الادب والنقد الا اذا اتخذت شكلها ، واعطى لها من القيم التعبيرية والجمال الفني ما يؤهلها لان تكون عملا ادبيا محترما .. والجانب الشكلي فى الشعر العربي ـ والمحافظ منه بالخصوص ـ يتمثل فى جمال الاداء ، وحسن الصياغة ، واصالة الاسلوب ، والتزام القواعد الموضوعية .. ومن هذا الجانب الذي اخل به التواتي انتقدته ، لان الالتفات الى الجوانـــب النفسيـــة والاجتماعية والتاريخية والفلسفية فى اي عمل ادبي مرحلة ثانوية يمر اليها الناقد عن طريق الشكليةوجمال الاداء .. فعندما نظم التواتي شعره باوزان الخليــل وتعثر فى تفاعيله وكسر الكثير من ابياته .. وعندمـا تحدث عن البسمات ذات الالحان وذات الرنين المشرق حديثه عن صدى القبلات فى (موكب الربيع) ، وعندما وصف الجمال بانه رائق فتان ياخذ كل الوجـــود والنيران كان فى كل هذا مخلا بالجانب الشكلي والفني لم يرض القواعـد ولا الـذوق الادبـي . وتنـاول الانتـاج ونفسيره بالمقاييس والقواعـد الموضوعيـة لـن يحتـاج كمـا يزعـم التوانـي الـى موسوعيـة فى الثقـافـــة والـى شخصيـــة عالميـة فى النقـــد لان انتاج اخينا التواتي لم يرق بعد الى هذا المستوى العالمي ، وهو الذي لم ينجح بعد فى توفير الجانـــب الشكلي والفني لعمله الادبي .

ان اكبر الادباء العالميين استهدفوا فى حياتهم الى النقد الذي رفعهم الى القمة ولم يستنكفوا منه لانه لم ياتهم من شخصيات عالمية ، ولكنهم عرفوا كيــــف يستفيدون منه ، ولم يكونوا انانيين ومغروريـــن يرفضون كل نقد لا يهبط اليهم به جبريل من السماء ... ان التواتي يراني غير شيء ، وله ان يرى فى الناس ما يشاء ويتجاهل الدنيا جميعها من حوله ، ولكنه لا يجوز له بحال ان يتجاهل اصول الشعر وقواعــــده الموضوعية اذا اراد من الناس ان يحترموا عمالـــــه وانتاجه .

تلك قصة القصيدة كما يرويها زميلنا التواتي وهو راو امين عندما يكون الحديث عننفسه لانه يعيش بعيدا عن المؤثرات القريبة منه والبعيدة ـ كما يقول ـ فهو لم ينظمها فى فاس فيتأثر او يجتر ، ولكنه نظمها فى توات بعيدا عنها بعشرات الاميال ... وكل هذا فى نظره يعطيه الحصانة من ان تحوم حول معلقته الظنون:

ان صدقا لا احس به ❋ هو شيء يشبه الكذبا

الحقيقة الثالثة : اما فى هده الحقيقة الثالثة فان التواتي يريد ان يسخر من شعري الذي لايستحق ـ فى رايه ـ ان يعارض ولا ان يدرس ولا ان يقرأ ولا ان يجامل ولا ان يوثق بنسبه وليس لي مع هذا التجاهل الرخيص من حيلة الا ان ارفع بالكلاليب اجفـان الاعمى حتى يرى النور ، واضرب بالمقارع آذان الاصم حتى يسمع اصوات الشعراء تهدر من حوله ، وله ان شاء بعد هذا العمى انيتصور الليل نهارا ناصع البياض والنهار ليلا حالك السواد ، فلن يقوى تصور المريض يوما ما وهو فاسد سقيم على ان يحيل الليل الى نهار مشرق ولا النهار الى ليل حالك مظلم ... نعم كان علي ان اتناول القصيدة مقطعا مقطعا وبيتا بيتا ولكنـي ـ مع الاسف ـ لم اجد ما يغريني بالوقوف فتناولت منها ما آثار اهتمامي وتركت الباقي لحكم التاريـخ اشفاقا على نفسي وضنا بوقتي .

الحقيقة الرابعة : عندما تنكر زميلنا التواتي للقوميات والقوانين والدساتير واعلن فى شعره انها خرافة من وضع عابدي الاوثان ، كان كما اشرت فى تعليقي متناقضا مع نفسه ابعد التناقض يقدس هذه القومية ويومن بها فى حديثه الاذاعي (وهو ناثر) ويكفر بها مستهزئا عند ما ينقلب الى انسان شاعر ، فيتسع قلبه للايمان بالشيء والكفر به ، وينطلق لسانه هناك مسبحا ممجدا ، ويتعثر هنا جاحـدا متشككـا فى صلاحيتها ، ولكنه يكابر مرة اخرى ولا يعترف بهـذا التهافت متعللا بان الشاعر عندما يرتفع عن محيطـه المحسوس الى ما وراء المادة قد يتخطى حتى ما اصطلح على قداسته كل البشر ، وهو تعليل بارد قد ينفـع زميلنا لو انه ارتفع به ما نظمه عن محيطه المحسوس وفقد فيه وعيه ونفسه فى سبحات صوفية خليـة مجنحة ، ولكن التواتي لم يرتفع شبرا عن ارضه ولم يحلق مترا فوق برجه العاجي ، ومع ذلك فهو يبيح لنفسه هذا الاضطراب والجموح لانه يعتقد ان للانسان منطقتين : منطقة العقل ، ومنطقة القلب . فهو فى منطقة القلب والعاطفة بعيد عن سلطان العقل ونفـوذه وتدخلاته ، حر فى ان يقول للناس ان سماءهـم ارض وارضهم سماء ، وان قانونهم سخافة ودساتيرهم هراء وعذره فى هذا الهديان انه فى منطقة القلب انه بهـذا يضع خطا فاصلا بين العقل والعاطفة ويفهم ان الشاعر فى شعره العاطفي يصح له ان يتجرد كامل التجرد من عقله فلا يبقى لهذا العقل سلطان على عاطفته ليوجهها ويضبطها او يكبح من جماحها وغلوائها ، وهو فهم خاطيء يؤكد ان مفاهيم الاشياء اختلطت فى ذهنه هؤلا فى ذهني ـ كما يقول ـ ان منطقة العواطف المجردة عن العقل يا اخانا التواتي هي منطقة الحمقى والمأفونين ، فاذا صح لنا ان نعد عواطف هؤلاء التي تجردت عن توجيه العقل وقيادته شعرا اوكلاما له قيمة واعتبار ، فلن نمانع قط فى اعتبار ما قاله التواتي فى منطقة قلبه المتجـردة عن عقله شعرا وكلاما لـه وزن واعتبار ، لقد فاتنـي ـ لسوء حظي ـ ان اعرف ان التواتي الواحد بالشخص له جهتان وهذا فى نظره يرجع الى جهلي بالاصول وعلم العقليات التي حرمتني منها دراستي بالقسم الادبي . وما دام الاخ التواتي لا يلتزم اللياقة الادبية التي نعاها علينا فى بداية هذا النقاش ، فمن حقي ان اخبره باني لا اغبطه على بضاعته فى عقلياته واصوله لانه لم يستطع ان ينتفع بهما فى هذا التعقيب .

الحقيقة الخامسة : يزعم زميلنا التواتي انني اقحمت فى تعليقي الحديث عن القومية العربية اقحاما لا مبرر له وهو زعم من لا يحتكم الى اصول العقل . كيف لي ان اثير فى تعليق بسيط قضية شغلت رؤوس العرب والمسلمين احقابا طويلة لولا ان اخانا التواتـي سخر بالقوميات والدساتير وكفر بها وبواضعيها لانه كان فى منطقة القلب كما يقول ، ولكنه تنازل للتعقيب عليها رغم انها طفيلية ومقحمة فى وهمه ليقول لنا ـ بكل فخر ـ انه لا يؤمن بفكرة القومية العربية لانها فى رايه دعوة جاهلية ونعرة عصبية ، ونزعة طائفية خير منها ان ندعو الى وحدة اسلامية ينضوي تحتها المسلمون من كل جنس ، والتواتي وهو يطرق قضية شائكة من اكبر القضايا عاطفي لا يريد ان يبارح منطقة القلب ، ولو كان واقعيا يدرك ما فى تحقيق وحدة اسلامية مـن عراقيل وصعوبات تحول دون ان ينصهر المسلمـون جميعا فى بوتقة واحدة لادرك ان نجاح فكرة القومية

أنباء ثقافية

✻ اشترك المغرب في المؤتمر الفضائي الافريقي الذي عقد في لاجوس من 3 الى 6 دجمبر بحضور مندوبي 35 دولة من افريقيا والشرق الاوسط .

✻ عقد في الدارالبيضاء في اواخر نوفمبر الماضي مؤتمر لعلم البحار استغرق شهرا كاملا . وشاركت فيه عدة بلدان من بينها الجمهورية العربية المتحدة والكويت وتونس وتركيا والسودان ولبنان وسوريا وقد افتتح المؤتمر الدكتور يوسف بن العباس وزير الصحة المكلف بوزارة التهذيب الوطني .

✻ عقد بمدينة طنجة في 25 من نوفمبر الماضي مؤتمر اتحاد البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية لدول الميثاق الافريقي .

✻ **توفي مساء يوم 20 دجمبر الماضي الشاعر القاص المرحوم عبد الكريم بن ثابت على اثر ازمة قلبية . كان رحمه الله من الرعيل الاول من شباب هذا الجيل الذين عملوا في سبيل القضية المغربية ، ودافعوا عن بلادهم داخل الوطن وخارجه . تخرج من جامعة القاهرة ، وكان عضوا بارزا في رابطة الدفاع عن مراكش ، وفي مكتب المغرب العربي ساهم بانتاجه في جل المجلات والصحف المغربية ، وبعض الصحف الشرقية والتونسية في الوقت الوقت الذي كان فيه سكرتيرا في سفارة المغرب بتونس ، وللراحل الكريم مؤلفات مخطوطة في القصة ، والمقالة والاجتماع ، والشعر . وصدر له سنة 1956 كتاب « حديث مصباح » في سلسلة كتاب « البعث » التونسية . رحم الله الفقيد ، وتعازينا الحارة لذويه ، ومقدريه، واصدقائه .**

✻ زار المغرب اخيرا الدكتور بلايي والسيد ندوي من منظمة اليونيسكو قصد الاطلاع على المنهج التربوي في المدارس الثانوية والكتب المدرسية وغيرها من المسائل التربوية .

✻ قدم الوفد المغربي في مؤتمر البريد الذي عقد في مدينة طنجة طابعا تذكاريا لمؤتمر الدار البيضاء سيتداول في جميع الاقطار المشتركة في المؤتمر وقد وضع تصميم هذا الطابع الفنان المغربي محمد اطاع الله

✻ ظهر اخيرا في المانيا الاتحادية كتاب بعنوان « المغرب » تحدث فيه مؤلفه فيرنر بلوم عن الاوضاع السائدة في تونس والجزائر والمغرب في الوقت الحاضر .

✻ اصدر اتحاد ادباء المغرب العربي العدد الاول من نشرته للتعريف بنشاطه ومشاريعه الادبية والفكرية في سبيل تنشيط الفكر المغربي واعلاء شأن الادب في هذا الوطن .

✻ سافر الى موسكو مؤخرا وفد مكون من 14 طالبا مغربيا بقصد الدراسة في جامعة لومومبا بمنحة من الحكومة السوفييتية .

✻ احتفلت لجنة من كبار الادباء اللبنانيين بذكرى الفيلسوف المغربي ابن طفيل . واصدرت اللجنة نشرة خاصة تتضمن الابحاث والمقالات والندوات التي تحدث عن آثار الفيلسوف المذكور وآرائه .

✻ اصبح الزعيم الجزائري احمد بن بلا يتقن اللغة العربية قراءة وكتابة . بعد ما كان يجهلها عندما اعتقله الفرنسيون . وقد استغل مدة اقامته في السجن فتعلمها .

✻ سافر الى كوناكري وفد من الاساتذة والمدرسين العرب للعمل بالمدارس والكليات في غينيا وذلك ضمن الاتفاقية الثقافية بين ج.ع.م. وغينيا ومما يذكر ان اللغة العربية لغة رسمية في غينيا ابتداء من هذا العام الدراسي الحالي وستدرس في كافة مراحل التعليم الابتدائي والثانوي .

رحم الله زكي مبارك لقد كان على حق عندما قال : (.. فاحمد امين ليس بكاتب ولا اديب وان سود الملايين من الصفحات) . لم يكن احمد امين اديبا عبقريا ولا فنانا ملهما ، وانما كان عالما ميالا الى البحث والدراسات العلمية ، ومن هذا يعلم اخونا التواتي مكانه ، انه ليس بالعالم وان عرف الواحد بالشخص له جهتان ، لان تعقيبه كشف عن جهله باللغة وبحقائق الاشياء وباصول النقد ، وليس باديب وان سود ما سود لان زكي مبارك نازع احمد امين — وهو من هو — ان يكون اديبا او كاتبا ، لقد رمانا التواتي بسهم ليس له ولم يحسن تسديده فارتد اليه .

ان الاخ التواتي لا ينس ان يشكرني على اهتمامي بقراءة شعره ويؤكد مرة اخرى انه لا يقرأ شعري — على قلته — ولا يصرف وقته فى قراءة الاخرين ، وانا اؤكد له انني مغرم بقراءة جميع المحاولات حتى ولو كانت فاشلة لاني اعرف كيف استفيد منها ، واعرف بها مكاني بين الاخرين وهي تمدني بطاقة وحيوية جديدة — والا فمن اين لي ان اكتب لدعوة الحق ما كتبته من تعليق لولا اني قرات التواتية العاجية .

ومرة اخرى اؤكد له انه لم يقل فى تعقيبه شيئا ما دام قد تهرب من الجانب الشكلي الا ما اضافه من اختراعه فى اللغة ، واني غير مستعد للقاء ثالث اذا كان على اسلوب مصارعة الثيران .



* استقبلت القاهرة فى شهر نوفمبر الماضي عددا من الكتاب والمفكرين الافريقيين والاسيويين الذين اشتركوا فى المؤتمرالتاني للكتاب الافارقة والاسيويين. وقد اعد ممثلو شعوب اكثر من خمسين دولة تقارير اضافية عن دور الادب والفن والشعر فى النضال من اجل الحرية والسلام .

* صدر اخيرا للدكتور لويس عوض كتاب باسم (دراسات فى ادبنا المعاصر) تناول فيه بالتحليل الادب العربى الحديث مع دراسة لاكثر من ثلاثين اديبا .

* زار اخيرا المؤرخ الانجلىزى المعروف ارنولد توينبى القاهرة فى رحلة ثقافية .

* سجلت وزارة الاوقاف فى القاهرة حتى الآن 44 الف اسطوانة من القرءان تمثل الف مصحف . والمصحف الواحد سجل على 44 اسطوانة . كما ستقوم الوزارة بطبع البشائر التي قيلت فى ذكر النبي محمد (ص) من التوراة والانجيل والكتب المختلفة

* شرع السفير المعتمد لدى حكومة القاهرة فى تأليف كتاب عن جحا بعد ما جمع ما هو مكتوب بالعربية والانجليزية عن هذه الشخصية الاسطورية .

* طلبت جامعة الدول العربية من وزارة الثقافة والارشاد القومي الاشتراك فى اقامة معرض الحضارة العربية فى المانيا الغربية الذي سيضم صورا لجميع عناصر الثقافة العربية فى كافة البلاد العربية .

* باشرت الادارة الثقافية بالجامعة العربية بطبع كتاب (تاريخ الطباعة عند العرب) .

* (اوراق ضائعة) كتاب ادبي يعالج مختلف المواضيع الادبية والسياسية والوجدانية تأليف سليم باسيلا يصدر قريبا فى بيروت .

* (كأس وخمر) ديوان جديد للشاعر سعيد عقل وهو مجموعة طرف ادبية قدم بها لرجال النهضة الشعرية اما فى دواوينهم الشعرية واما فى شتى نتاجاتهم صدر هذا الشهر عن المكتب التجاري ببيروت .

* يفكر روبير ابي راشد مؤلف (كازافونا) والحائز على جائزة (سانت بوف) فى فرنسا بوضع كتاب شامل من الادب اللبناني المعاصر باللغة الفرنسية .

* (ادب) مجلة فصلية تعني بشؤون الادب تصدر قريبا عن دار مجلة شعر فى بيروت .

* (صلاح الدين وريكاردوس قلب الاسد) رواية من تأليف جرداق صدرت حديثا فى بيروت .

* اعلنت دار الكتاب اللبناني عن عزمها عن اصدار مجموعة امين نخلة الشعرية الجديدة وعنوانها (الديوان الجديد) وهي تضمن بواكير شعره واخر قصائده التي نظمها . كما اعلنت عن اعادة طبع الكتب للامين وهي (المفكرة الريفية) (كتاب المائة) (دفتر الغزل) (ذات العماد) (الحركة اللغوية فى لبنان) . كما سيظهر عن الدار ايضا مجموعة (الهواء الطلق) وهي فصول فى النجاوى والاجتماع والتذكرات الخاصة .

* سيظهر قريبا بالفرنسية كتاب جواد بولس (تاريخ شعوب ومدنيات الشرق الادنى) وهو حصيلة عمل فني دقيق استغرق حوالى عشرين سنة .

* سيصدر الفاضل الياس مقدسي رواية بعنوان (عالم الفن) بعد ما صدرت له رواية بعنوان (التيه لم يعد) .

* سيصدر كتاب (من لا شيء) تحليل رامز سركيس مترجما للفرنسية .

* يستعد الشاعر الياس الفاضل لطبع ديوان جديد وقد صدر للشاعر ديوانان (اوراق جريحة) و (احزان القمر الاخضر) .

* صدرت فى بيروت رواية لصالح الخالدي بعنوان (حتى الموت) .

* يصدر قريبا فى بيروت قصة طويلة بعنوان (الى ابن امضي) للانسة منى جبور .

* سيصدر للاستاذ يوسف ابراهيم يزبك كتاب (داود عمون) وقد سافر المؤلف الى ايطاليا بدعوة من اليونيسكو لقضاء ثلاثة اشهر فيها يدرس خلالها علاقة الشرق بالغرب منذ الحروب الصليبية حتى عصر النفط .

* سيفتتح الازهر ثلاثة مكاتب له فى افريقيا .

* اعلن السيد ابو بكر بليوه رئيس وزراء نيجيريا فى مجلس النواب بان الادب الشيوعي لن يمنع من الدخول الى نيجيريا .

* طلبت سلطات نيجيريا من رجال الارساليات المسيحيين التابعين لاتحاد جنوب افريقيا مغادرة نيجيريا فى ظرف خمسة اشهر .

* اكتشف مؤخرا رسوم كهف تمثل حيوانات برية ورموزا غامضة وذلك فى واد نيجبريا قرب باوش.

* ستؤسس قريبا فى مدغشقر وكالة وطنية للانباء باسم « وكالة مدغشقر للانباء » .

* يعد للطبع الشاعر السوداني عبد القادر ابو القاسم مامور ديوان شعر بعنوان (ارم ذات العماد) .

* اقرت الصيغة النهائية لمشروع اتحاد الادباء العرب والمعروف ان كافة الروابط الادبية الحالية ستندمج فى هذا الاتحاد .

* تشكلت بالقاهرة جمعية باسم (جمعية الفلم) من اهدافها نشر الثقافة السينمائية عن طريق القاء المحاضرات وعرض افلام ذات قيمة عربية واجنبية وانتاج افلام سينمائية وتكوين مكتبة تحوي اهم المراجع والكتب السينمائية العالمية .

* قررت وزارة الثقافة والارشاد اقامة معرض دائم بالقاهرة للمنتجات الفنية والتطبيقية والحرف القومية الخاصة بالدول الافريقية . وستخصص صالة السراي الكبرى للمعرض الزراعي بالجزيرة لهذا المتحف .

* (اغراء) عنوان المجموعة القصصية التي صدرت فى الاسكندرية تاليف فتحي خليل وكتب مقدمتها محمود تيمور .

* احتفت رابطة الادب الحديث فى القاهرة بالشاعرة صفية كريمة الفقيد الدكتور احمد زكي ابو شادي بمناسبة وصولها من واشنطن لزيارة وطنها وقد تحدث فى الحفلة : حسن كامل الصيفي ، مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وديع فلسطين ، نجاة شاور ، ربيع ماهر ، نسيم محمود جبر ، محمد عبد المنعم خفاجي .

* (فلسفة الانسان الحديث) كتاب جديد يصدره لمعي المطيعي عن الدار القومية للنشر بالقاهرة وقد كلفه مجلس الفنون والآداب بترجمة كتاب (الفكر التاريخي عند الاغريق) للمؤرخ الانجليز توين بي .

* الدواوين الاربعة التي نظمها الفقيد الدكتور احمد زكي ابو شادي بعد هجرته الى امريكا والتي يحتفظ بمخطوطاتها رضوان ابراهيم ينتظر تقرير طبعها فى القاهرة تخليدا لذكرى الشاعر الراحل .

* (الاخر) مسرحية من ثلاثة فصول تاليف عبد الغني السيد صدرت عن دار الاشراق للنشر بالقاهرة .

* (احاديث المازني) احاديث اذاعية كان الفقيد ابراهيم عبد القادر المازني قد القاها من راديو القاهرة صدرت حديثا عن الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة بمناسبة ذكرى وفاته .

* يعد الدكتور علي الراعي دراسة نقدية عن الفقيد ابراهيم عبد القادر المازني .

* (ديوان خليل شيبوب) الشاعر السكندري الكبير قام بجمعه شقيقه صديق شيبوب تمهيدا لتقرير نشره من قبل هيئة ادبية .

* (الندا المؤنس فى الورد والنرجس) كتاب فريد للشاعر علي الجندي العميد السابق لكلية دار العلوم بالقاهرة جمع فيه كل ما قيل فى الادب القديم والحديث فى الورد والزهر .

* قصة (غصن الزيتون) لعبد الحليم عبد الله يترجمها الآن الى الانكليزية الدكتور مهدي علام .

* 150 قصيدة لمحمود سامي البارودي وابراهيم ناجي وعباس محمود العقاد وغيرهم من الشعراء سيتم ترجمتها الى اللغة الانجليزية ، كلف المجلس الاعلى للفنون والآداب مرسي سعد الدين بترجمة هذه القصائد ترجمة حرفية . ثم يتعاقد المجلس مع احد الشعراء الانجليز المعاصرين لصياغة هذه القصائد

* صدر كتاب (شعر الحرب في ادب العرب) الدكتور زكي المحاسني وهو يتناول فيه الملاحم وشعر الحماسة على نحو لم يسبقه اليه احد .

* اعلنت مديرية الآثار العامة في دمشق اكتشاف عظام لحيوانات منقرضة قبل عشرات السنين في مدينة حماة . وقالت ان احد العمال اكتشف اثناء قيامه باعمال الحفر في احد احياء مدينة حماة عظاما دلت البحوث التي قامت بها مديرية الآثار على ان قسما منها لحيوان الماموت المنقرض والقسم الآخر لحيوان غير مألوف ربما كان الدينوصر . وقررت المديرية القيام بحفريات واسعة في المنطقة التي عثر فيها على هذه العظام .

* عرض في معرض دمشق نموذج لاقدم خريطة وضعت في التاريخ وضعها البابليون قبل اربعة آلاف سنة .

* تقرر ان يقام تمثال للشاعر الفيلسوف ابي العلاء المعري باحد الميادين الكبرى في بلده معرة النعمان على ان ينقل مقبرته من مكانها الحالي بالبلدة الى جانب تمثاله. كما تقرر ايضا اقامة تمثال كبير للشهيد ابراهيم هنانو في احد شوارع مدينة حمص .

* (المسلسل في غريب لغة العرب) تاليف الطاهر محمد بن يوسف بن عبد اللهالتميمي المتوفىسنه 538هـ تحقيق محمد عبد الوجاد ومراجعة ابراهيم الدسوقي البساطي صدر في بغداد في سلسلة (تراثنا) التي تصدرها وزارة الارشاد القومي يضم الكتاب خمسين بابا يفتتح ويختتم بشاهد شعري ياخذ من الشاهد الاول الكلمة التي يجعلها اساسا للتسلسل ويكون الشاهد الاخير استشهادا على معنى الكلمة الاخيرة في الباب.

* منعت وزارة الارشاد القومي الكتب التالية من دخول العراق (طريقنا الى النصر) (نحن والشيوعية) (صدى العروبة) (مواهب الرحمن) نبذة من حياة احمد مؤسس الجماعة الاحمدية، ومؤسسالجماعة الاحمدية والانكليز .

* ابراهيم الوائلي باشر بطبع كتابه (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) وهو رسالته التي نال بها الماجستير في جامعة القاهرة . وقد ساعدت جامعة بغداد على نشره .

* (تباريح) اول مجموعة شعرية للشاعر حارث طه الراوي تصدر قريبا في بغداد .

* (في القصة العراقية) دراسة نقدية اصدرها باسم عبد الحميد حمودي تتناول مميزات عامة لقصص ما بعد الثورة اولا ثم نقد القصص ومجاميع بعض القصاصين العراقيين امثال عبد الرزاق الشيخ علي ، وفؤاد التكرلي ، مهدي يحيى الصقر ، امون صبري ، شاكر الجابري ، محمود احمد السيد ، شاكر خصباك ، غائب طعمة فرمان وغيرهم .

* (الشخص الثاني) مجموعة قصصية تاليف عدنان رؤوف صدرت في بغداد .

* (اغنيات لا تعرف الاحزان) مجموعة شعرية للشاعر عبد الستار الدليمي بعدها للطبع . للشاعر مجموعة اخرى معده للطبع بعنوان (عشرون قصيدة من الشمال) .

* اصدر وزير المعارف العراقية امرا وزاريا يؤكد وجوب العناية باللغة العربية الفصحى والدين لرفع مستويات الطلبة في لغة البلاد القومية والاعتزاز بالتراث الثقافي والديني .

* منحت وزارة الارشاد الجمعية الجغرافية العراقية التي انشئت اخيرا رخصة باصدار مجلة في العراق للعلوم الجغرافية وستصدر المجلة باللغتين العربية والانجليزية في وقت واحد .

* (الشراع العربي) عنوان المجموعة الشعرية التي صدرت في سلسلة كتاب الشعلة . المجموعة للشاعر احمد حسين .

* (رحيل الى البحر) اسم المجموعة القصصية التي يصدرها القاص زكريا تامر وكان قد صدر له مجموعة بعنوان (صهيل الجواد الابيض) .

* (الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري) كتاب من تاليف الدكتور احمد كمال زكي مدرس الادب العربي بكلية الآداب بجامعة دمشق وهو يبحث في تاريخ البصرة وحياتها الاجتماعية والعقلية وتطور الحياة الادبية فيها ويحلل بعض الشخصيات البصرية كابن المقفع وبشار وابي نواس . صدر في الشهر الماضي عن دار الفكر بدمشق .

* احتفلت جمعية اصدقاء الكتاب ببيروت بعيد الكتــاب .

* سيعقد في بيــروت في الصيف القادم مؤتمــر دولي للتعاون الثقافي لدراسة اسباب نمــو الثقافة في لبنان وباقي اقطار العالم العربي دراسة متكاملة شاملة لفروعها الاساسية في العلوم والفلسفة والآداب والفنون وتقرير الوسائل المحققة لهذا النمو والعمل على توفير الشروط اللازمة لبلوغ هذه الغاية في اطــار التعــاون الدولي . وسيعنى المؤتمر ايضا بمعالجــة طــرف تأسيس التبادل الثقافي بين العالم العربي وباقي انحاء العالم على نطاق واسع بحيث يصبح التبادل امــرا واقعا وقد نشأت فكرة الدعوة الى هذا المؤتمر في مجلة الافكار الصادرة باللغة الفرنسية في جنيف الى اقامــة جسر من التفاهم على الصعيد الثقافي بين الاوساط العالميــة .

* ترجم كتاب (مراد) للمفكر اللبناني ميخائيــل نعيمة الــى الهولنديــة والالمانيــة ، والفرنسيــة ، والبرتغاليــة . كما ترجمت مجموعة من قصصه الى الروسية ، والاوكرانيــة ، والانجليزية .

* رئيف الحافظ الملحق الفني في مديرية الآثــار والمتاحف في دمشق سافر الى مدينة كابول بوصفــه خبيرا دوليا ممتازا من قبل مديريةمؤسسة الاونيسكو ليكون عضوا في بعثة هذه المؤسسة لتنظيــم متحف كابول واصلاح بعض الآثار الفنيــة .

* في مجمع اللغة العربية بدمشق حركة نشيطة لاحياء التراث القديم فقد صدر عن المجمع عدد وافــر من الكتب اللغوية والادبية والتاريخية القديمة محققة تحقيقا علميا (رسالة ابن فضلان) وكتاب (الابــدال) وكتاب (المثنى) لابي الطيب اللغــوي وكتاب (النوادر) لابي مسحل و (اعتاب الكتاب) لابن آبار الاندلسي . وهناك تحت الطبع عدد آخر من الكتب منها (الاتباع) لابي الطيب اللغوي و (حلية البشر في تاريــخ القــرن الثالث عشر) لعبد الرزاق البيطار و (التاريخ الجامع في اخبار المعري) لسليم الجندي و (اخلاق الوزيريــن) للتوحيدي ، والجزء الثاني من (كتاب الابدال وكتاب النوادر) والجزء الثالث من جريدة (القصر) للعمــاد الاصفاني .

* (لن تسقط المدينــة) روايــة تأريخية تاليف فارس زرزور فازت بالجائــزة الثانية بعد مسابقــة الرواية التاريخية التي اجراها المجلس الوطني الاعلــى لرعاية الفنون والآداب بدمشق .

* (غنبب) اول مجموعة شعرية للشاعرة عزيزة هارون تصدر خلال هذا الشهر بدمشق

* (ثورة الجزائر) تلخيص لاهم ما يحويه كتــاب (القومية الجزائرية والعظمةالفرنسية) للكاتب الفرنسي آلان سافاري لخصالكتاب وترجمه نخلة كلاس . صدر في سلسلة (الثقافة العسكرية) التي تصدرها قيــادة الجيش السوري .

* الناقد الفني عبد العزيز علــون قام بزيــارة عدد من كنائس دمشق واطلع علــى لوحاتها الفنية . اكتشف عبد العزيز خــلال جولتــه في كنيسة الروم الارثوذوكس النسخة الاصلية لاحدى لوحات الفنــان (دولاكروا) ويرجع تاريخ استخدام اللوحة الى عــــام 1885 .

* (الزنزانة) دراسة واقعية لموضوع السجــن والسجناء اعدها نذير عقيل للطبع .

* (المغتربون في اميركا) كتاب يبحث قضايــا المغتربين وتوثيق الصلات بين المهاجــر والوطــن الام تاليف عبد اللطيف اليونس وقدم له ظافر القاسمــي سيصدر في دمشق .

*** ديوان الشاعــر الاندلسي ابن دراج القسطلي المتوفى عام 421 . يطبع الآن طبعة علمية في دمشق في اكثر من 500 صفحة . حقــق الديوان وعلق عليــه الدكتور محمود علي مكي وكيــل معهــد الدراســات الاسلامية بمدريد ونشره المكتب الاسلامي بدمشق .**

* صدر في حلب الجزء الثاني من كتاب (اضواء وآراء) تاليف الدكتور عبد الرحمن الكيالي . يتنــاول موضوعات طريفة وغنية منها بحث عن الحمدانييــن وآثارهم وقد زود المؤلف بحثه بصور وخرائط دقيقة.

* شكيب الجابري يعيد النظر بكافــة رواياتــه التي اصدرها لاعادة طبعها منقحــة وانيقة .

تعلم اللغات والغاية من هذه الدعوة هي خلق نواة متينة لها القدرة على تقوية العلاقات مع الشعوب الاخرى .

* ظهر فى مدينه شتوتجارت الآن كتاب عن القصص والخرافات الجديدة فى بلدان العالم العربي. يعطي للالمان فكرة قصص وخرافات البلاد العربية وظهر كتاب آخر يتعلق بالفن القديم من الاراضي الواقعة بين نهري الدجلة والفرات . ويقول النقاد انه لم يسبق ان ظهر كتاب حتى الآن عالج الفن الشرقي القديم على هذه الصورة مثلما عالجه هذا الكتاب .

* اعتادت المانيا الاتحادية على أن تقدم كل سنه جائزة الكتاب الالماني لاشهر الكتاب العالميين تشجيعا لهم ودعاية لانتاجهم الفكري ليكون شائعا بين مختلف الاقطار فى سبيل الاستقرار والسلام . وقد نال نائب وزراء الهند الفيلسوف والكاتب السياسي المعروف السر سارفيبالي رادها كريشنان الجائزة لهذا العام .

* (شمس الله تشرق من الغرب) عنوان الكتاب الذى احدث ضجة فى الدوائر العلميه والادبيه فى المانيا . حاول مؤلفه سيجريد هونكه ان يبين فيه للعالم العربى كيف ان الحضارة العربية لم تبن على اساطير الف ليلة وليلة وانما بنيت على الف حقيقة وحقيقة علمية وقد علقت الاذاعات الالمانية على هذا الكتاب ووصفته بانه بحث علمي جاد عميق .

* اعتادت الكاتبه الفرنسية فرانسوار ساجان نشر مذكراتها فى صحيفة دايلى اكسبريس تتحدث فيها عن نشأتها وحياتها والظروف التي احاطت بها الى العهد الذي نبغت فيه كمؤلفة قصص .

* فاز الكاتب الفرنسي جان كو بجائزة كونكور الادبية لهذه السنة على روايته (رحمة الله) .

* انتهى محمود العابدي من اعداد كتابه (ستة اشهر فى ايطاليا) يتحدث فيه عن مشاهداته فى هذا البلد .

* عرضت حكومة ايطاليا للبيع معظم طوابع البريد التى اصدرتها خلال المائة العام الماضية .

* منحت الاميره الكسندرا ابنه عم ملكة بريطانيا درجه الدكتوراه الفخرية فى القانون من جامعة هونج كونج والاميرة الكسندرا تقوم الآن بزيارة تستغرق 12 يوما للشرق الأقصى .

* صدرت فى لبنان مجموعة مختارة من القصص الآسيوي باللغة الأنجليزية فى سلسلة القصص العالمية التي تصدرها دنيال ملتوف ووليام كلينور .

* تعرض فى لندن مسرحية (مصيدة الفئران) للكاتبة اجاثا كريستي منذ تسع سنوات . وقد سجلت هذه المسرحية البوليسية نجاحا منقطع النظير .

* تقرر فى بريطانيا رسميا ان تكون اللغة العربية من المواد الأساسية فى تجربة جديدة لتعليم اللغات تبدأ فى العام الدراسي الثانى فى احدى المدارس الثانوية بشمال انجلترا .

* توفى الكاتب المسرحي والمخرج والمنتج الأميركي جورج كوفمان عن 71 سنة .

* توفى أخيرا هوارد كروم مبتكر الآلة الكاتبة فى الولايات المتحدة عن 77 عاما .

* اعلن طه باقر المدير العام للاثار العراقية ان علماء الآثار العراقيين عثروا على عدة الواح فخارية يعود تأريخها الى الالف الثاني قبل الميلاد وعليها كتابات مسمارية بابلية وسومرية فى قرية بقراوة فى لواء السليمانية قرب الحدود الايرانية . ويعتقد ان هذه الالواح هي على جانب عظيم من الاهمية اذ انها تحتوى على سجلات تاريخية واسماء آلهة وتقديمات دينية وكتابات سحرية . وكان العلماء قد عثروا على معبد يعود تاريخه الى الالف الثالث قبل الميلاد واضاف طه الباقر ان علماء الآثار قد عثروا على تماثيل من العهد الهلني للمرة الاولى فى العراق فى موقع الحضره فى لواء الموصل بشمال البلاد . وكشفوا عن تماثيل للملوك عرب تحمل اسماءهم والقابهم ويعود تاريخها الى ما بين عام 348 قبل الميلاد وعام 226 قبل الميلاد .

* سيتم فى العراق تأسيس معهدين احدهما للتاريخ والآخر لبحوث المناطق الفاحلة كما سيتم انشاء مرصد جيوفيزيقي فى مصيف صلاح الدين مضافا الى مركز الابحاث العلمية فى جنوب العراق التي سيشمل الدراسات الفزيائية والاحياء فى الخليج العربي والاهوار .

* سيصدر قريبا فى العراق للاستاذ عباس الغزاوي كتاب « تاريخ الادب العربي فى العراق » فى اجزاء ، كما سيصدر لنفس المؤلف كتاب بعنوان (نخل العراق فى التاريخ) مع ملحق بعنوان (ادب النخل) يتضمن ما قيل فيه من الشعر والنثر فى القديم والحديث .

* عكفت الكاتبة روحية القليني على تأليف كتاب عن شاعرات العرب من عصر الخنساء الى يومنا هذا .

* (الافق الجديد) مجلة للادب والثقافة تصدر قريبا فى القدس .

* عثر مؤخرا فى اليمن على مخطوطات مهمة بعنوان (كتاب الارج فى مآثر العرج) لمؤلفه اسرائيل ابن لؤي وهو يهودي دمشقي الفه سنة 808 .

* بدات مطابع الرياض العمل فى طبع رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية وهي رسائل ضخمة ربما تزيد على عشرين مجلدا وقد جمعها ورتبها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم مدير المكتبة السعودية وهي تطبع على نفقة جلالة الملك سعود .

* اصدر الملك سعود مرسوما بانشاء جامعة بالمدينة المنورة تسمى (الجامعة الاسلامية) لنشر العلوم الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها وتعتمد الجامعة فى مواردها على اموال تقدمها الخاصة الملكية .

* لاول مرة سينشأ فى المدينة المنورة مسرح للتمثيل .

* سيبنى فى اسلام اباد العاصمة الجديدة للباكستان اروع مسجد فى العالم .

* بعثة دنماركية من علماء الآثار وصلت الى فانكولت للبحث عن اصل الانسان الاسيوي الاول فى وادي كولي .

* ظهرت فى موسكو الطبعة الاولى للترجمة الروسية لقصة (دعاء الكروان) للدكتور طه حسين . وقد نشرت ترجمة القصة العربية ضمن سلسلة تضم اجمل الاعمال الادبية القديمة والحديثة فى البلدان الشرقية .

* وقع اتفاق تعاون علمي هنغاري فرنسي فى بودابست بين ممثلي الاكاديمية الهنغارية والمركز الوطني الفرنسي للابحاث العلمية . وبموجب هذا الاتفاق سيتوجه عام 1962 الى فرنسا 12 طالبا هنغاريا لمتابعة دروسهم فى باريس كما سيتوجه 12 طالبا فرنسيا لمتابعة دروسهم فى هنغاريا .

* توفى اخيرا الكاتب السويدي هامبورغ وهو احد اعضاء الاكاديمية السويدية التى تمنح جائزة نوبل .

* اقيم حفل كبير فى جامعة اسلو حضره اعضاء البرلمان النرويجي ورؤساء البعثات السياسية المعتمدين فى النرويج وعدد كبير من الشخصيات البارزة . تسلم خلاله السيد البير لونولي جائزة نوبل للسلام . وهو اول افريقي يحرز على هذه الجائزة العالمية .

* دعت منظمة التبادل الثقافي الالمانية فى بون خريجي المعاهد الثانوية لتعلم اللغات الاسيوية والافريقية كاللغة العربية والهندية والاردنية . وقد جاءت النتائج حسنة . اذ قدم 256 تلميذا طلبا

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد الرابع * السنة الخامسة
شعبان 1381 - جانفي 1962
ثمن العدد: درهم واحد

فهرس العدد الثالث ـ السنة الخامسة

الصفحة

دراسات إسلامية

صياغة مشروع لجامعة إسلامية

لفضيلة الاستاذ ابو الاعلى المودودي

نـــرى رجال العلم والفكر فى مختلف اقطار العالم الاسلامي ينادون بين يوم وآخر بضرورة ادخال تغيير أساسي على نظم التعليم والتربية التي تربى عليها المسلمون فى العصر الحاضر ويدعون الى اقامة مؤسسات تعليميـــة ، على الطـراز الحديث ، تحلي الشباب الاسلامي بمؤهلات تكفله لمهمة ارشـاد الدنيـا وتوجيههـا فى هذا العصر وفق وجهة نظر الاسلام . واما ما اسس فى الآونة الاخيرة من المعاهد لهذا الغرض فى مختلف البلاد الاسلامية ، فـلا نكـاد نرى احدا من ذوي العلم والراي يطمئن بها قلبه اذا القى نظره على اوضاعها ومناهجها للتعليم ومـا اسـ ـسه من النتائج . فمن الواضح ، وضوح الشمس فى رابعـة النهار ، ان الحاجة التي تمس العالم الاسلامي اليه فى هذا الزمان ليست هي الى كلية للتربية تعد علماء على الطراز القديم ولا الى جامعة عصرية تخرج ماهرين فى العلوم الغربية على الطراز الحديث ، بـل هي تعدو هذا وذاك الى جامعـة تكـون حملة للـواء الاسلام كنظام للحياة فى هذا العصر .

ان العالم الاسلامي ــ من اندونيسيا شرقا الى مراكش غربا ــ انما يجري فيه منهجـان للتعليـم والتربيـة :

منهج لايخرج الا الافراد المتحلين بعقليـة الغـرب ، المصطبغين بصبغة ثقافته حذو القذة بالقذة . وهؤلاء هم الذين يسيرون اليوم دفة الحكومات فى معظـم الدول الاسلامية الحاضرة وفى ايديهم ازمة امـــور الاقتصاد والسياسة والمدنية فيها . ومن دواعـــي الاسف ان اغلبيتهم جاهلون كل الجهل بمـا للديـن الاسلامي من الهدى والتعاليم فى امور الحياة البشرية، مفتتنون بالحياة الغربية ، مهزومون امام الثقافـــة العصرية الخلابة ، فهم يقودون قطار الامة الاسلامية الى جهة تخالف جهة الاسلام ولا ياتي يوم الا وهـم فيه اسرع سيرا الى تلك الجهة .

ومنهج لايخرج الا علماء للعلوم الدينية يفقدهم معرفة العلوم الدنيوية الحديثة . فـلـذا تقتصـر دائرتهم فى القيام بواجب المحافظة على ناحية دينية من نواحي حياة المسلمين العديدة ولا يتحلون ، فى اي مكان فى الدنيا ، بالصفات والكفـاءات التي تؤهلهـم لقيادة قطار المسلمين فى هذا الزمان وانمـا وظيفتهم فى كل مكان وظيفة الفرملـة Brake فى جهـاز القطار او بعبارة اخرى ان وظيفتهم تقتصر على اقامة الحواجز أمام سير القطـار الذي تقوده الفئة الاولى حتى تهدأ سرعته . غير انى ارى بأم عيني ان هـذه الحواجز طرأ عليها الضعف بل قد كسرها فى بعض الدول الاسلامية السائقون المتمـردون الشرسـون وبدأوا يسوقون قطـار بلادهم على خـط الالحاد والفسوق والخلاعة والمجون غير عابئين بشيء فـي ذلك . فيجب علينـا ، قبـل ان يستفحـل الامـر ويستشرى الفساد وياتي يوم تتحطم فيه تلك الفرملة التي لاتزال تعمل بعض عملها فى بقية الدول الاسلامية، ان نعمل الفكر والروية فى وضع منهج للتعليم يخـرج علماء يجمعون بين العلوم الدينية والمدنية معـا ، ولا يكونون بمنزلة الحواجز ، بل يتبوأون مكان السائـق فى قطار حياة المسلمين ، ويتفوقون على المتخرجيـن تحت منهج التعليم الغربي فى اخلاقهم وصفاتهم فـي جانب ، وفى مؤهلاتهم وكفاءاتهم العلمية فى الجـانب الآخـــر .

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد الرابع
السنة الخامسة
شعبان - 1381
جانفي - 1962

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



ولماس – منطقة جبلية تكسوها غابات كنيفة يرتادها هواة الصيد

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة ((**دعوة الحق**)) – قسم التحرير – وزارة عموم الاوقاف – الرباط – المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 20 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
((**دعوة الحق**)) الحوالة البريدية رقم 55 – 485 – الرباط –
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة ((**دعوة الحق**)) – قسم التوزيع – وزارة عموم الاوقاف – الرباط – المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنيه والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
((**دعوة الحق**)) قسم التوزيع – وزارة عموم الاوقاف – الرباط
تليفون 308.10 – الرباط

ا ــ الاعتـزاز بالاسلام وثقافتـه والعزيمـة على اعـلاء كلمتـه فى الدنيـا .

ب ــ التخلق بالاخلاق الاسلامية والمحافظة على الاحكام والشرائع الاسلاميـة .

ج ــ التفقـه والبصيرة الاجتهادية فى الديـن .

د ــ النزاهة من الطائفيـة وضيق النظـر فـي امـور الديـن .

هـ ــ المؤهلات الكافية للكتابة والخطابة والمناقشة والكفـاءات المناسبة للقيـام بمهمـة تبليـغ الديـن والدعـوة اليـه .

و ــ التعـود على الجهـد والمشقـة والنشـاط وخشونة العيش والاعتمـاد على النفس فى انجـاز جميـع الاعمـال .

ز ــ الاستعـدادات اللازمـة للتنظيـم والادارة والقيـادة .

8 ــ يجب ان لايقبل للالتحـاق بهـا الا الطلبـة الحاصلون على شهادة اقسام الدراسة الثانـويـة . اما الطلاب من البلاد العربية فيمكن لهم ان يلتحقـوا بهـا راسـا . واما الطلبة من البلاد غير العربية فان لم يكن لهم المام كاف باللغة العربية ، يجب ان يكـون هناك قسم خاص لتعليمهم اللغة العربية مدة سنـة واحدة حتى يتأهلوا للاستفادة من الدروس باللغـة العربية قبل التحاقهم بالجامعـة .

9 ــ يجب ان تكون مدة الدراسة فيها 9 سنوات نتوزعها على ثلاث مراحل :

اما المرحلة الاولى فيدرس فيها الطلاب مايأتـي من العلوم (على ان تقسم دراستها على اربع سنوات بطريقة متناسبة وينـال الطالب اذا نجـح شهـادة البكـالريـوس

ا ــ العقائد الاسلامية بالتفصيل الآتي : عقائـد الاسلام بموجب الكتاب والسنة والدلائـل النقليـة والعقلية التي تقوم عليها هذه العقائد ، كما انـه مـن اللازم ان يدرس الطالب بهـذا الصدد : كيف وبـأي ترتيب ظهر ما ظهر بين المسلمين مـن الخـلافات فى العقائد ؟ وكم يوجد فى الدنيـا اليوم من المذاهب على اساسها ؟ وينبغي ان لاتكون هذه الدراسة للعقائـد متجاوزة لحدود البيان العلمي المجرد مع الابتعاد ــ الى حد الامكان ــ عن المحاربة فى العقائـد .

ب ــ النظام الاسلامي للحياة : يعـرف الطالب فى هذه المادة بنظام الاسلام المتكامـل للحياة البشريـة حتى يكون على معرفة تامة بالتصورات الاساسية التي ينهض عليها بناء الاسلام وكيف انه يشكل على اساس هذه العقائد الاخلاق والسلوك الانسانـي وما هـي المباديء التي ينظم عليها فى المجتمـع مختلف شؤون البشر من الحياة العائلية الى الاقتصـاد والسياسة والعلاقات الدولية وما هي الصورة التي تبرز عليهـا حضـارة الاسـلام .

ج ــ القـرآن : يدرس الطالب فى هذه المرحلـة القرآن من اوله الى آخـره مـع تفسيره الموجـز . والافضل عندي لهذا الفرض ان لايقـرر للتدريس فى هذه المادة كتاب خاص فى التفسيـر ، بل على الاستـاذ ان يراجع بنفسه مختلف كتب التفسيـر ثم يلقـي دروسه على الطلاب على ضوء استفادته منها بحيث يدرك الطلاب غاية كتاب الله تعالى ومقصوده ويرتفع عن اذهانهم مايجـدون فيهـا من الشبهـات حـول تعاليمـه واحكـامـه .

د ــ الحديث : وفى هذه المادة ، بعد ان يعـرف الطالب الى الحـد الضروري بتاريـخ علـم الحديث واصول الحديث والبراهين على الاحتجاج بالحديث ، يدرس احد مجامع السـنن كمنتقى الاخبار أو بلـوغ المرام او مشكاة المصابيـح مثـلا .

هـ ــ الفقـه : وفى هذه المادة ايضا بعد ان يدرس الطالب كتابا مختصرا فى تاريخ الفقه يلقن تعليم الفقه باسلوب يعرفه بمذاهب مختلف الفقهـاء فى جانب ، وكيف استنبط الائمة المجتهدون المسائل من ادلتهـا الشرعية فى الجانب الآخر .

و ــ التاريخ الاسلامـي : وفى هذه المـادة يدرس الطالب اولا تاريخ الانبيـاء عليهم السلام ثم يـدرس السيرة المحمدية على صاحبهـا الصـلاة والسلام ، وسيرة الخلفاء الراشديـن بمـا يمكـن من البسـط والشرح ثم يدرس التاريخ الاسلامـي الى الزمـن الحاضر على الوجه المختصـر .

هذه حاجة ملموسة لانرى مؤسسة تربوية تقوم بتحقيقها فى العالم الاسلامي ، ان القلق يقض على جميع اهل العلم والرأي مضاجعهم وهم يتفكرون اي معجزة يمكن ان تحفظ على هذه الامة دينها من الفساد النهائي ، واخلاقها من الانحلال التام لو لم يبرز الى الوجود نظام للتعليم والتربية يحمل فى طياته المزايا المذكورة آنفا . ومما لايرتاب فيه احد ان وضع منهج للتعليم كهذا ، يتطلب من الوسائل ما لا يقدر على تهيئته الا الحكومات ، واكثر الحكومات الحاضرة فى العالم الاسلامي قد تربع على كراسيها رجال لايخفى على احد عقلياتهم وانجاهاتهم .

ولهذا — والحالة كما قلت — لم اجد بدا ، امام هذه الحاجة الملحة ، من ان اقدم الى العالم الاسلامي ما اجد فى ذهني من مشروع لمؤسسة تعليمية منشودة آملا ان يتفكر فيه اهل العلم ، وان يقيض الله لحكومة من الحكومات المسلمة الحاضرة اخراجه الى الوجود او ان يشرح صدور بعض اهل الثراء والايادي البيضاء فى الدنيا لهذا الفرض وما ذلك على الله بعزيز

* * *

وفى ما يلي اذكر على وجه الاختصار ما اجد فى ذهني من الاقتراحات بخصوص جامعة اسلامية على الطراز الجديد :

1 — ان اول شيء واهمه بالنسبة لهذه الجامعة هو ان نحدد غايتها تحديدا واضحا حتى لا يوضع كل نظامها الا على حسب هذه الغاية ، ولا يعمل فيها العاملون الا واضعين هذه الغاية نصب اعينهم ، ولا ينظر اليها عامة المسلمين الا من ناحيتها ولا يعتبرون نجاحها فى اداء رسالتها الا على مدى نجاحها فيها . وعندي ان جامعة كهذه يجب ان تكون غايتها : « اعداد علماء صالحين يتولون مهمة ارشاد الدنيا وتوجيهها فى هذا العصر الجديد وفق احكام دين الحق ومبادئه »

2 — يجب ان تكون دائرة هذه الجامعة محدودة فى العلوم الاسلامية . اما العلوم الاخرى فانما تدرس فيها باعتبار انها مساعدة للعلوم الاسلامية لا باعتبار ان الجامعة تهدف الى اعداد الماهرين فيها .

3 — يجب ان تكون هذه الجامعة سكنية لا تكون سكنى الطلاب ولا سكنى الاساتذة الا فى داخلها .

4 — ينبغي ان يكون بابها مفتوحا على مسلمي الدنيا جميعا حتى يقصدها الطلاب من جميع نواحي الارض اذا شاؤوا .

5 — ينبغي ان يكون وسطها وسطا اسلاميا بكل معنى الكلمة حيث يتحلى الطلاب بالتقوى والاخلاق الفاضلة ويفرس فيهم الولوع بالثقافة الاسلامية ، ويجب ان يعمل كذلك على حفظها من تاثيرات الثقافة الغربية ونفوذها حتى لاينشأ فى طلابها تلك العقلية المهزومة التي نرى بوادرها تفشو بكل سرعة فى الامم المغلوبة المفتتنة بحضارة الغرب وثقافته فى كل مكان . ومن الواجب — لهذا الفرض — ان يكون استعمال اللباس الغربي غير مسموح به فى حدود هذه الجامعة وان تروج فيها لتربية الطلاب تربية رياضية ركوب الخيل والسباحة والرمي واستعمال الاسلحة والتمرن على سوق السيارة والدراجة النارية وما اليها من الالعاب الرياضية الجديدة الاخرى بدلا من الالعاب الغربية . كما انه من المستحسن ان يدرب فيها الطلاب على التربية العسكرية الى جانب هذه الالعاب .

6 — يجب ان لايكون اختيار الاساتذة للتدريس فيها على اساس الخبرة والكفاءة العلمية فحسب ، بل يجب ان يكون اساتذتها — قبل كل شيء آخر — متحلين بصفات الصلاح والتقوى من حيث عقائدهم ومن حيث حياتهم العملية معا . كما يجب ان يختار الاساتذة من مختلف اقطار العالم الاسلامي بعد اجراء الفحص الدقيق واعمال الروية البالغة ، ممن لاتتوفر فيهم شروط الكفاءة العلمية فحسب ، بل يكونوا ، قبل كل شيء آخر ، مسلمين بكل معنى الكلمة من حيث عقائدهم وافكارهم وميولهم ، متمسكين باحكام الدين غير مفتتنين بالحضارة الغربية . بل ارى كذلك من اللازم ان تكون على اطمئنان كامل وثقة وافرة باهل بيتهم حيث لايكونوا احرارا من التمسك باحكام الشريعة وآدابها ومتعدين لحدودها . وذلك ان الاساتذة اذا كانوا يسكنون فى دائرة الجامعة مع زوجاتهم وهن متبرجات سافرات وترتفع من بيوتهم اصداء الاغنية الخليعة ، فمن المستحيل ان يتربى الطلاب على ايديهم تربية حسنة تتفق واغراض الاسلام السامية .

7 — يجب ان يربى فيها الطلاب تربية تحليهم بالصفات الآتية بوجه خاص :

و ــ المقارنــة بين الاديــان ولا سيما الدراســة التفصيلية لتاريخ المسيحية وفرقها وعقائدها .

ز ــ جهود المبشرين المسيحيين وطرائق عملهم

5 ــ اما قسم تاريخ الاسلام فتكــون الدراســة فيــه للعلــوم الآتيــة :

ا ــ فلسفة التاريــخ وغايــة دراسته واسلــوب دراسته بموجب القــرآن

ب ــ المذاهب المختلفة فى فلسفة التاريخ منــذ ابن خلدون الى العصــر الحاضــر .

ج ــ تاريخ الجزيــرة العربيــة والشرق الاوسط قبــل الاســلام .

د ــ تاريخ الاسلام منذ العهد النبوي الى العصر الحاضر من جهة تطور الافكار والاخلاق والعلــــوم والمدنيــة والسيــاســة

هـ ــ الحركات لتجديد الدين واحياء دعوتــه فى مختلف العصــــور

و ــ تاريخ الاستعمار الغربي فى بلاد المسلميــن وآثاره فيهـــا .

اما المرحلة الثالثة فيكــون فيها لكل طالب اذا نــال شهادة اتمام دراسته فى المرحلة الثانيــة واراد التدرب على البحث والتحقيق على الطريــق العلمــي ان يختار اي موضوع مــن الاقسام الخمسة المذكورة ويدرسه دراسة عميقة تحت اشراف الاساتــذة ثــم يقدم فيه اطروحته بعد سنتين ، فعنــد ئــذ يمنــح الشهادة بعد ما ينظر فى اطروحته اصحاب العلــم . وتكون هذه الشهــادة شهــادة الدكتورة .

10 ــ يجب ان تزود هذه الجامعــة بمكتبــة من النوع الاعلى زاخرة بمجموعة علمية من كتب الدراسة والمراجعة على قدر حاجات الجامعة المذكــورة .

11 ــ ويجب كذلك ان تؤلف لجنة من اصحــاب العلم لاختيار الكتب المناسبة لمختلف مراحل الدراسة فى الجامعة ولمختلف شعبهــا الاخــرى .

12 ــ ويجب كذلك ان يــؤسس مجمــع علمــي (اكاديمي) لتاليف الكتب الجديدة على قدر حاجات الجامعــة خاصــة .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالميــن .



ز ــ العلوم العمرانية : (ولا سيما المتعلقة منها بالاقتصاد والاجتماع) ومن الواجب بالنسبة للاساتذة الذين يختارون لتدريس هذه المادة ان يكونوا ممن يستطيعون تدريسها مع نقدها بوجهة نظر الاسلام حتى لايفرغوا الافكار والنظريات الغربية فى اذهان الطلاب كما هي .

ح ــ الالمام على الوجه الاجمالي باديان العالم ولا سيما اليهودية والمسيحية والبوذية والهندوكية .

ط ــ التاريخ الموجز للافكار والمذاهب الجديدة ولا سيما الديمقراطية الغربية والشيوعية والفاشية وما اليها .

ي ــ احدى اللغات الثلاث الآتية : الانكليزية والالمانية والفرنسية .

ك ــ اللغة العربية وآدابها .

اما المرحلة الثانية فتكون الدراسة فيها لثلاث سنوات منقسمة على خمسة اقسام : التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والتاريخ بحيث يكون لكل طالب اذا نال شهادة اتمام الدراسة فى المرحلة الاولى ان يدخل فى احد هذه الاقسام الخمسة . وينال اذا نجح شهادة الماجستير

1 ــ اما قسم التفسر فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

ا ــ تاريخ القرآن

ب ــ تاريخ علم التفسير ومختلف مذاهب المفسرين مع الالمام بمزاياها وخصائصها .

ج ــ الاختلاف فى وجوه القراءة

د ــ اصول التفسير

هـ ــ الدراسة الوافية العميقة للقرآن الحكيم

و ــ الاستعراض الدقيق لما وجه الى القرآن من الاعتراضات من قبل المعاندين واجوبتها .

ز ــ احكام القرآن .

2 ــ اما قسم الحديث فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

ا ــ تاريخ تدوين الحديث

ب ــ علوم الحديث بكل شعبها

ج ــ احد امهات الكتب فى الحديث مع النقد التفصيلي لمتونه واسانيده حتى يتمرن الطالب على نقد الاحاديث على طريق ائمة الحديث .

د ــ نظرة شاملة فى الصحاح .

هـ ــ الاستعراض الدقيق لما وجه الى الحديث من الاعتراضات من قبل المعاندين واجوبتها .

3 ــ اما قسم الفقه فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

ا ــ اصول الفقه

ب ــ تاريخ الفقه

ج ــ فلسفة القانون الجديد

د ــ المقارنة بين القوانين الرومية والفارسية والشريعة اليهودية والقوانين الوضعية الجديدة والشريعة الاسلامية .

هـ ــ المذاهب المختلفة لفقهاء الاسلام وقواعدها .

و ــ التمرن على استنباط المسائل من القرآن والسنة مباشرة

ز ــ الفقه على المذاهب الاربعة وعلى مذاهب الظاهرية والزيدية والاثنا عشرية .

4 ــ اما قسم علم الكلام فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

ا ــ مبادىء المنطق

ب ــ الفلسفة القديمة والجديدة

ج ــ تاريخ علم الكلام عند المسلمين وتفصيل المذاهب الكلامية الناشئة بينهم للعوامل الخارجية والداخلية .

د ــ مسائل علم الكلام وما للقرآن والسنة من الهدى فى بابها

هـ ــ الاستعراض الدقيق لما وجه الى الاسلام من الاعتراضات من قبل المعاندين واجوبتها .

القوميات واصبحت رابطتهم القومية عنوانا على حمل رسالة انسانية خالدة واداء امانة تحريرية واجبة .

قواعد الاسلام الدستورية القائمة على روح الاسلام فى جميع نواحي الحياة

تلك الرسالة الخالدة هي ما جمعها الاسلام فى قواعده الدستورية القائمة على روح السلام فى جميع نواحي الحياة :

ـ فى العقيدة اولا . وفى الحياة الخاصة ثانيا . وفى الصلات فيما بين الناس عامة ثالثا . وفى النظام العام رابعا . وفى الحكم خامسا .

السلام فى العقيدة اولا ووقائع ذلك مع المسيحيين

ففي العقيدة فرض دستور الاسلام السلام اولا ما بين العلم والعقل من جهة ، وبين العقيدة من جهة ثانية ، واختص فى خطابه الذين يعلمون والذين يعقلون كما مر معنا آنفا ، فقال : (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني) وقال ايضا (نفصل الآيات لقوم يعلمون) وقال (كذلك يفصل الآيات لقوم يعقلون) .

وكذلك فرض دستور الاسلام السلام فى العقيدة فيما بين اصحاب الاديان فقال (لا اكراه فى الدين) .
وهذا لعمري منتهى ما وصلت اليه البشرية اليوم فى دساتيرها الراقية الحرة فى سبيل حماية حرية المعتقدات ، مما قد سبقهم اليه الاسلام قبل اربعة عشر قرنا بكل تأكيد .

بل ذهب الى ابعد من ذلك فحض على البر بأبناء الاديان الاخرى مهما كانت عقائدهم ، ما لم يقاتلونا فى الدين وما لم يخرجونا من ديارنا ، فقال سبحانه وتعالى (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم انتبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين) تبارك الله العظيم انه والله لدستور سلم كريم ، لم يسبق احد اليه من الاولين ، ولا نظن ان احدا سيلحق به فى الآخرين .

واعطى دليلا عمليا على ذلك حين دخل الاسلام فى مصر وبلاد الشام ووجد النزاع قائما ما بين الكنيسة الغربية فى حماية اباطرة الرومان وبتشجيعهم ، وبين الكنيسة الشرقية التي لا حماية لها وهي اصل النصرانية ، ومع ذلك فقد كان معظم رجالها يتهمون بالزندقة والالحاد ، فلما حل الحكم الاسلامي محل الحكم الروماني ، لم يثر هذه علىتلك ، بل حمى الاثنتين ولو كانت كل منهما ضد عقائد الاسلام ، فوقفت الكنيسة الشرقية على رجليها ، ولم تشعر الكنيسة الغربية باضطهاد ، وان موقف الاسلام منها هذا الموقف هو الذي يفسر موقف بطارقة حمص عندما تركهم ابو عبيدة فاتح حمص واراد ان يرد عليهم الجزية التي اخذها فاجابوه (ان عدلكم احب الينا من ملوكنا) ثم اغلقوا ابواب مدينة حمص ضد الرومان منتظرين نتيجة المعركة بين المسلمين والرومان ، وداعين بالنصر للمسلمين على الرومانيين .

بل ذهب الاسلام الى ابعد من ذلك واعطى لكل منهم حكما كنيسيا فى الشؤون الدينية لم يكن ليعترف به لاحد منهما من قبل دولة الرومان النصرانية .

ولابد ان نشير فى هذا المقام الى ما سجله مؤرخو المسيحية انفسهم مما لاقته الكنيسة الشرقية فى عهد الصليبيين من اقفال الكنائس الشرقية واضطهاد بطارقتها الى ان احوجوهم ان يفضلوا موادة العرب حكام البلاد الاصليين على موادة الصليبيين كما صرح بذلك صاحب كتاب سوسنة سليمان .

السلام فى الحياة الخاصة

واما فى الحياة الخاصة فقد فرض دستور الاسلام السلام ايضا ما بين رغبات الانسان ومطالبه فى الحياة ، وما بين فكرة الاحسان والصلاح فى تلك الرغبات ، فقال رسول الله (ص) : ان قوما ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل منهم موضع ، فنقر رجل فى موضعه بفأس ، فقالوا له ما تصنع ؟ قال هو مكاني اصنع فيه ما اشاء ، فان اخذوا على يده نجا ونجوا ، وان تركوه هلك وهلكوا ، وقال القرءان الكريم فى لذات الانسان : (كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) وقال ايضا (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين ءامنوا فى الحياة الدنيا ..)

مبادئ الاسلام الدستورية في نواحي الحياة

للدكتور معروف الدواليبي

- 3 -

اقامة الاسلام دعوته على مبدأ السلم والسلام ومنه اشتـق اسم الاسلام

واقام هذه الدعوة على مبدا وحاد هو مبدا السلم والسلام ، ومنه اشتق اسم الاســلام ، وقــال (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا) وقال (ياايها الذين ءامنوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) بل اتخذ شعاره فى التحية على الدوام كلمة (السلام) .

ولعل الاسلام ايضا هو وحده الذي سمى الله بعد الكلمة الجامعة لجميع معاني التقديس باســم (السلام) عوضا عن (اله الحرب) فقال : هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام .

بل وقد وصفت الليلة الذي نزل فبها دستــور الاسلام وقرءانه فى ليلة القدر بانها ليلة سلام فقــال سبحانه وتعالى : (انا انزلناه فى ليلة القدر ، وما ادراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من الف شهر ، تنــزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر ، سلام هي حتى مطلع الفجر) .

وبعد ، فان الاسلام بدعوته الناس اجمعيــن الى (الحياة) على اساس (مبدا السلام) لم يترك هذا المبدا مبدا روحيا غامضا لا حدود له ولا بيان ، بل اقام جميع نواحي الحياة الانسانية ، وصلاتها مع الله والانسان على قواعد صريحة بينة تقود متبعها من غير شك الى السلام ، وتجنبه مواقع الخصـــام ، كما تجنبه مواقع الاستسلام والامتهان ، عملا بقــول القرءان الكريـــم (ولله العزة ولرسوله وللمومنين) .

هذه الروح الجديدة اعدت العرب لحمــل رسالة انسانية خالــدة

وبذلك تم للعرب بهذا الروح الاسلامي : اولا — اعداد انفسهم لحمل الرسالة واداء الامانة ، واشعروا فى قرارة انفسهم بانهم اصبحوا خير امةاخرجت للناس فاندفعوا فى طريق المجد من غير ضعف وحملوا الخيــر للانســانيـــة دون تمييـــز ، وعملـــوا فـــي هـــذه الطريـــق على بصيـــرة وايمـــان ، وحققوا لاول مرة فى التاريخ وحدة العروبة فى ارضهم ، ووحدة قلوبهم ، بل ووحدة لغتهم ولهجتهم على مثــل وحدة القرءان ووحدة لهجته الى يوم الدين ، وهــذا ما ادخل الاسلام فى تاريـخ العروبة الخالدة ، وجعلـه جزءا لا يتجزا من تاريخ انبعاثها الجديد .

كما تم للعرب بهذا الروح الاسلامــي : ثانيــا — ان اختلفت قوميتهم عن عصبية القوميات الاخــرى المعروفة من قبل ومن بعد ، تلك القوميــات التي تعمل وتجتمع وتتموج فقط لخيرها ولصالحها ، وتفتــح الارض لاستعمارها ، وتسيطر على الامم لاستعبادها فان العرب بعد الاسلام قد ارتفعوا بقوميتهم فــوق

ى نتم مرحلة تطورها الصاعد ، فغدت قومية عربية انسانية ، يجتمع اصحابها ليعيشوا لهم ولغيرهم من الناس ، وبذلك جعلهم خير امة اخرجت للناس ، وبذلك ارتفعت قوميتهم الى عرش القوميات الخالدة بل انفردت به حتى الآن دون غيرها من العالمين ، اذ لا نجد وراء العرب وعلى طريقتهم من سار سيرتهم ، والله يؤتي فضله من يشاء ، وهو اعلم حيث يجعل رسالته .

خاتمة البحث ووجوب المجاهرة بشخصية الاسلام السلمية

وبعد ايها القراء الكرام . فهذا هو الاسلام فى مبادئه الدستورية

فهو سلام فى اسمه

وسلام فى تحيته

وسلام فى ليلة نزوله

وسلام فى اسم ربه

وسلام فى عقيدته ما بين العقل والايمان

وسلام فيما بينه وبين اصحاب الاديان

وسلام واحسان فى مطالب الحياه العامة

وسلام وبر فيما بين الاخذين بمبادئه وبين سائر الناس ما لم يقاتلوهم فى الدين او يخرجوهم من الديار فانه عندئذ فقط حرب على الظلم والعدوان وذلك ايضا فى سبيل السلام .

وهو سلام ايضا فى النظام فلا طبقية ولا عرقية ولا اجناس

وسلام فى الحكم وعدل فى الحق ما بين العرب وغير العرب ، وما بين المسلمين وغير المسلمين .

واخيرا وبكلمة واحدة : فهو سلام فى سلام .

ونحن اليوم فى عهد العلم ، وفى عهد سلطان العقل - وهو عهد يرحب به الاسلام . وتحييه مبادىء الاسلام .

فما كان يضرنا بالامس من ضيق العقول ، وجهل المخاطبين ، ويحملنا على اخفاء شخصية الاسلام فى شخصية المبادىء الديموقراطية عندما يسود اصحابها ، او يحملنا على اخفاء شخصية الاسلام فى شخصية المبادىء الاشتراكية عندما نشتد سواعد اربابها . او كما ذهب البعض الى تلوين شخصيه الاسلام بالوان الزعامه فى عهد انتصار الزعامة النارية اثناء الحرب العالمية الثانيه .

فما كان يضرنا بالامس ويحملنا على اخفاء شخصية الاسلام لم يعد يضرنا اليوم . فقد نفتحت العقول وانتصر العلم . واصبح العالم اجمع فى حضاريه الحديثه كانه اسرة واحدة . وتسوقت النفوس بعد ما اصابها من مآسي الفرقة وتناحر المبادىء الى صوت السماء وصوت السلام ، فاعلنوا للعالم مبادىء الاسلام وقواعده الدستوريه ، كما امرنا اليها . فانها السبيل الوحيدة لضماد جروح الانسانيه . وانها السبيل الوحيده لجمع الكلمه فيما بين ابنائها والتعايش فيما بينهم بسلام ، على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم واديانهم واعرافهم دون المساس بها واسمعوهم قول السما (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) (ان هذا القرءان يهدي للتي هي اقوم) (فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) .

وهكذا لبى الاسلام فى ذلك رغبات الانسان ولذاته الشخصية من غير عدوان على احكام العقل ، ولا حيف على طبيعة الانسان كانسان ، ولم يشترط فى الوصول الى الطيبات وزينة الحياة وما اتاه الله للانسان من ملكية استخلفه فيها غير الطريق المشروعة ، والعمل الصالح ، وان يحسن فيما ءاتاه الله كما احسن الله اليه ، وان لا يبتغي الفساد فى الارض .

وان كل مطلب خاص للانسان يتجاوز هذه الحدود فهو ممنوع عليه ، لانه يخرج الانسان من نطاق السلام الى نطاق البطلان والفساد ، وقد قال الله سبحانه وتعالى فى ذلك (ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل) وقال ايضا (وابتغ فيما ءاتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ، ان الله لا يحب المفسدين) وقال ايضا (ءامنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

وبذلك احتفظ الاسلام للانسان بمكانه فى الوجود كانسان ، وبحظوظه فيه، واباح له ما شاء من الحظوظ، وما ءاتاه الله من ملك استخلفه فيه : بشرطين اثنين فقط هما الاحسان وعدم الفساد ، ولم يشأ ان يرتفع بالانسان من عالمه الى عالم ليس هو منه وهو عالم الارواح الخالصة ، ولا ان يهبط به الى عالم الشياطين

السلام فى الصلات فيما بين الناس عامة

واما فى الصلات فيما بين الناس عامة فقد فرض ايضا دستور الاسلام السلام فيما بينهم ، وقال فى سبب جعلهم شعوبا وقبائل انها كانت وسيلة لتسهيل التعارف والتقارب فيما بين الناس ، لا وسيلة ليرتفع بعضهم على بعض ويتخذ بعضهم من انفسهم ءالهة من دون الله فوق الاخرين ، وقد قال القرءان الكريم فى ذلك : وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم) واستل بذلك من نفوس المسلمين ما رسخ فى نفوس جميع الاقدمين والكثيرين من الحديثين من رجحان شعب على شعب فى الحقوق والكرامة ، وتجريد الكثيرين من بني الانسان من حقوقهم الحرة فى الحياة والسيادة .

السلام فى النظام العام

واما فى النظام العام فقد فرض دستور الاسلام السلام ايضا ما بين الانسان واخيه الانسان : فلا طبقية ، ولا عرقية ، ولا اجناس ، وقرر المساواة ما بين الجميع فقال رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام فى ذلك (لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لابيض على اسود ، الا بالتقوى) وهذا ايضا منتهى ما تنشده الانسانية اليوم ومفكروها ، ومنتهى ما تعمل على ادخاله فى دساتيرها ، كحقوق طبيعية للانسان .

السلام فى الحكم

واما فى الحكم فقد فرض ايضا دستور الاسلام السلام فيما بين الناس فى الحكم ، لانه فرض العدل فى الحكم والمساواة فى الحقوق لجميع من يسوده نظام الاسلام ولو لم يكن عربيا او مسلما ، وجهرت احكام الاسلام فى ذلك لغير العرب ولغير المسلمين قائلة (لكم ما لهم ، وعليكم ما عليهم) .

اثر هذه المبادىء السلمية فيما بين ابناء العروبة من مسلمين وغيرهم

وبذلك لم يعد هناك من فارق ما بين ابناء العروبة مسلمهم وغير مسلمهم فى الافتخار بحمل هذه الرسالة الى ابناء الانسانية لتسود فيهم احكامها ، كما لا يوجد فارق اليوم ما بين ابناء الدولة الواحدة الحديثة على اختلاف اديانهم ممن يدينون بدساتيرهم المتحررة ويفتخرون بها ما دامت تقوم على هذه القواعد العامة للانسانية ، والمبادىء الخالدة .

اثر هذه المبادىء السلمية فيما بين العرب وغيرهم

وبذلك ايضا لم يعد هناك من فارق ما بين عربى وغير عربي فى الافتخار بحمل هذه الرسالة وادائها ، والانضواء تحتها، والاخذ بمبادئها الدستورية، والتقديس لمن نادى بها ودعا اليها ، وما تقديس المسلمين غير العرب للعرب ، والايمان بهم ، والافتخار بالالتحاق بهم ، والانضواء تحت لوائهم ، ممجدين العروبة من غير غل ، ومفتخرين بها من غير شك ، الا اثر هذه العروبة التي بلغت فى ظل البعث الاسلامي كما اراده الله ءاخر مرحلة من مراحل تطورها ، فكانت من قبل الاسلام قومية عربية عصبية كغيرها : يجتمع اصحابها ليعيشوا لانفسهم ، فاراد الله لها بالاسلام

فاذا ما ابتدأ الافراد يحددون علاقاتهم بعضهم ببعض . ويدركون الاطار الذي تدور فيه هذه العلاقات – هنا يبتدىء قيام « المجتمع » وكلما تحددت علاقات الافراد بعضهم ببعض ، وكلما وضح الاطار الذي تدور فيه هذه العلاقات ، وبالتالي وضحت الاهداف والغايات التي يسعى اليها هؤلاء الافراد كلما برز المجتمع ، وكلما وضحت الامارات مع وجوده القوي .

فاذا ادرك افراد الاسرة فعلا علاقات بعضهم ببعض ، وارتبطوا فيما بينهم على اساس من التعاون والرعاية المتبادلة عند الازمات التي تجد بينهم ، او تطرا عليهم من غريب عنهم ، وعرفوا حدود ما يجب ان يفعل ، وما يجب ان يترك فى سبيل هذا التعاون وفى سبيل تلك الرعاية ، ووقفوا على ان لهم جميعا هدفا واحدا هو ان تبقى اسرتهم ، وتبقى قوية عزيزة ، فى مواجهة غيرها من الاسر – هنا يكون الوعى الاجتماعي قد تيقظ بين افراد هذه الاسرة واخذ طريقه نحو غايته . ينتقل من مرحلة الى مرحلة اقوى منها ، حتى تصل الامر بينهم الى تكتل او وحدة .

واذا ما تجاوبت اسره مع اسرة فى العلاقات . وارتبطت معها فى الهدف هنا يكون المجتمع الكبير قد تاسس . فاذا ما اتسع نطاق العلاقات المشتركة والترابط الى عدد من الاسر ، او الى كثير من الافراد – عندئذ يكون المجتمع الانساني قد قطع جملة من المراحل فى سبيل وجوده ، وفى سبيل بقائه ايضا .

وهكذا : النمو الاجتماعي يسير فى اتجاهين : بينما يتجه نحو الامتداد والاتساع ، يتجه ايضا نحو العمق والغور . اي فى الوقت الذي يسعى فيه الى جمع افراد كثيرين ، يسعى ايضا الى تعميق العلاقات بين هؤلاء الافراد ، وتقوية الروابط الانسانية المشتركة بينهم . وعمق العلاقات بين الافراد ، وقوة الترابط الانساني بينهم يبدو اولا : فى التعاون المثمر ، وثانيا : فى المحبة والاخوة . وبعبارة اخرى يبدو هذا وذاك فى تحقيق اهداف الانسانية وهي التحرر من السيطرة الحيوانية ، وسيطرة الغرائز ، وسيطرة الطفولة ، على العلاقات بين الافراد .

مقتضيات العصر :

واذا كان التطور الاجتماعي هو التحرر من سيطرة الحيوانية ، والغرائز والطفولة البشرية ، اي التحرر من سيطرة الفردية والانانية – فمقتضيات العصر ان كانت دافعة على هذا التحرر تكونمن عوامله ويكون التطور عندئذ ءاخذا طريقه الطبيعي نحو غايته الاخيرة ، وهي الانسانية فيما تتميز به من محبة ، وتعاطف ، وتواد بين افرادها .

وبذلك تحدد مقتضيات العصر تبعا لتحديد معنى التطور الاجتماعي نفسه ، وليس تبعا لما يوضع من رغبات ، ويوجه المجتمع نحوها بعض الكتاب والمفكرين .

فالطائفية ، والحزبية ، والمذهبية ، والعصبية ، والقبلية ، **لا تعد من مقتضيات العصر .**

وتحرير المراة ، على معنى تمكينها من اداء وظيفتها فى الاسرة كأم ، وفى المجتمع كعضو يقع عليه عبء تمليه طبيعته كأنثى – من مقتضيات العصر .

والدعوة الى تعاون الزوجين ، والى منع التعسف ، والتحكم من القوي ضد الضعيف ، والى البر ، والتهذيب فى معاملة كل منهما للاخر من مقتضيات العصر .

والدعوة الى عدم اساءة استعمال الحق ، فى **الجوار والمعاملة – وبالاخص بين الزوجين – من مقتضيات العصر .**

لكن الدعوة الى تحرير المراة ، على معنى ان تكون رجلا ءاخر فى صورة امراة ، فذلك ليس من مقتضيات العصر ، لانه ضد طبيعة المراة نفسها ، وضد التطور الاجتماعي ذاته . اذ التآلف ، والتواد ، والمحبة بين الافراد ، التي هي نهاية التطور الاجتماعي، لا تتحقق الا اذا وقع انسجام بين الافراد وتحول فيما بعد هذا الانسجام الى تآلف ، وتواد ، وتحاب ، والانسجام لا يكون بين متشابهين تماما . بل كلما كانت هناك مفارقة بين الطرفين ، وكلما كان هناك خروج عن التشابه التام بينهما – كان ذلك ادعى الى الانسجام بينهما . اذ عندئذ تكون حاجة كل منهما

موقف الاسلام من التطور الاجتماعي وفقاً لمقتضيات العصر

للدكتور
محمد البهي

لكي يتضح الكلام فى هذا الموضوع يجب ان يشرح اولا : معنى التطور الاجتماعي ، ويشرح ثانيا : معنى مقتضيات العصر .

معنى التطور الاجتماعي :

والتطور الاجتماعي هو تطور علاقات الافراد بعضهم ببعض ، بحيث يكون الجانب الاجتماعي ، او بحيث تكون النظرة الى رعاية الفرد للفرد لا تقل عن رعاية الفرد لنفسه . التطور الاجتماعي هو نمو علاقات الافراد فى دائرة المشاركة الوجدانية والتعاون فى سبيل العمل المثمر والخير العام للجميع ، بدلا من استمرار « الفردية » وتحكم الانانية التي توحي بها طفولة الفرد، وطفولة المجتمع .

ولكي ندرك معنى التطور الاجتماعي ادراكا لا لبس فيه نعود الى الجماعات البدائيه ، التي لم تنع بعد العلاقات المشتركة ، ولم تقر بعد بالوجود المشترك بين الافراد ، ولم تقر كذلك بالهدف المشترك الذي يصح ان يجتمع عليه فريق من الناس ، وجملة من الافراد ، ويقيمون بسبب ذلك « مجتمعا » بينهم يسعون جميعا لتحقيق هدفه ، والتعاون جميعا فى سبيل بقائه .

ان الانسان البدائي لا يكون مع انسان آخر بدائي مثله « مجتمعا » وانما يتكون منه ومن نظيره « مجموع » تخضع العلاقات بين الافراد فيه للانانية، ولغريزتي حب البقاء، والدفاع عن النفس دون سواهما من الغرائز الاجتماعية الكامنة فى الانسان والتي لم تبرز بعد بتأثير التوجيه والايقاظ . ومن ثم لا تعرف هذه العلاقات السلم الا عند مواجهة ضعيف لقوي بين الافراد ، اما قاعدة التعامل فهي الاحتكاك عند السعي نحو ما يسد حاجة البطن او بنفس عن شهوة الفرج .

ليست هناك علاقات فى واقع الامر بين افراد المجموع الا بمقدار ما يقع بينهم من احتكاك واصطدام من اجل تحقيق ما اشرنا اليه من هدف : ليست هناك علاقات اسرية . اي ليست هناك علاقات ابوة وبنوة وامومة ، واخوة .. الى بقية انواع القربى فى الاسرة ، التي تقوم على الدم المشترك ، والوراثة العقلية والمادية، والوضع الذي لهذه الاسرة . نعم يتصل الافراد بصلة الذكر بالانثى بحكم التفاعل الطبيعي بين الموجب والقابل . ولكن قلما يوجد الشعور بنوع القرابة الاسرية . بمعنى انه قلما توجد هناك رعاية من اب لابنه ، او رعاية من ذكر لانثى انتج منها ولدا . وعلى معنى انه قلما يوجد هدف هو المحافظة على الاسرة ، بالسعي فى توفير العيش لها ، وبالدفاع عن افرادها ، ان احتاج الامر الى الدفاع عنها ، وصيانتها من الابادة او الافناء . بل كثيرا ما يصطدم الذكر الاب بالانثى الام ، او يصطدم الاب بابنه ، والاخ باخيه فى سبيل الحصول على لقمة العيش . وكثيرا ما لا يعرف الذكر عند الاجتماع بالانثى حرمة لامه ، ولا لاخته ، ولا للاخريات اللواتي لا يقر « المجتمع » نكاحهن من افراد معينين لانهم محارم لهم . لهذا ليس هناك حد لتعدد الزوجات . وليس هناك اطار للحل وللحرمة فى التزاوج . بل ربما لا يوجد رقم معروف يحدد الافراد الذين ينتمون الى نسل رجل واحد فى علاقته بعدد من الاناث .

الاسلام جاء ليدفع الانسان الى الخروج من الطفولة البشرية الى الرشد الانساني ، اي انه جاء لتطوير المعنى الانساني فى الانسان ، جاء لتطوير المعنى الاجتماعي فى الانسان ، فليس المعنى الانساني الا ذلك الترابط الاجتماعي . والا تلك العلاقات بين الافراد التي تؤسس على التعاون ، وعلى شتى انواع الرعاية بينهم . وقد رأينا ان معنى البدائية هو التفكك فى العلاقات بين الافراد ، او هو سيطرة الانانية ، « والفردية » او بعبارة اخرى سيطرة الحيوانية والغرائز ، دون ما يتميز به الانسان من خصائص وينفرد به عن بقية الكائنات الاخرى الحية التي لها الحركة والتي لها السعي فى سبيل حب البقاء.

الاسلام جاء يحث على التعاون فقال : « وتعاونوا على البر والتقوى . ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » حث على البر فقال : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من ءامن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وءاتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، واقام الصلاة وءاتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » حث على الاحسان فى المعاشرة فقال : « ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها » وعلى الاحسان بين الزوجين فقال : « فامساك بمعروف او تسريح باحسان » حث على العدل فقال : « واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا » حث على رعاية الاسرة وصيانتها من الظلم والعسف فقال . « ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا . اعدلوا هو اقرب للتقوى » .

كل هذا وغيره مما حث عليه الاسلام هو دفع لنمو العلاقات الاجتماعية ، والتطور الاجتماعي .

ورسالة الاسلام تكاد تنحصر فى امرين : ضغط الانانية وكبت الفردية من جهة ، وايقاظ المشاركة الوجدانية وتنمية العلاقات الاجتماعيةمن جهة اخرى. رسالة الاسلام هي ابعاد الطفولة الانسانية عن تصرفات الانسان ، واحلال الرشد الانساني محل هذه الطفولة ليبقى الانسان متميزا ، ولتبقى له الكرامة والسيادة .

فالاسلام اذ يقول : « ولقد كرمنا بني ءادم » . لا يقصد بتكريمهم الا انه ميزهم عن غيرهم بالخصائص الانسانية . والله اذ ارسل الرسل برسالته لم يقصد الا ان يمكنهم من الطريق الذي يهديهم الى تحقيق هذه الخصائص فى سلوكهم وتصرفاتهم .

وبهذا اذا فهم التطور الاجتماعي على نحو ما شرحنا ، وفهمت مقتضيات العصر فى ظل التطور الاجتماعي — كان الاسلام مصدر دفع لهذا التطور ، مصدر تقدير لهذه المقتضيات التي من شأنها ان تدفع الى هذا التطور .

اما اذا اريد بالتطور الاجتماعي مذهب سياسي خاص ، او مذهب سياسي معين فالاسلام نظام مستقل يتلاءم مع ما يتفق معه فى الهدف والخطة ويتنافر مع ما يختلف معه فى هذا وذلك .

واذا اريد بمقتضيات العصر ضروب خاصة من التصرفات فى المجتمات القائمة — فقبل ان يحدد موقف الاسلام : سلبا او ايجابا منها ، يجب توضيحها اولا .

والاسلام على كل حال ليس الا ذلك النور الذي يهدي الى الصراط المستقيم . وليس الصراط المستقيم الا ذلك الطريق الموصل الى غاية الانسانية .

الى الآخر امرا واضحا ، وبذلك يكون « التعويض » والتعويض مبدأ دوري فى الحياه ، لانه يتجاوب مع مبدأ آخر هو اصل الحياه نفسها ، وهو « الثنائية » : الفاعل والقابل . والموجب والسالب . فلولا هذه الثنائية ، ولولا هذا التقابل بين القابل والفاعل ، والموجب والسالب لما اجتمع اثنان ، ولما وقع انسجام فى الحياة اطلاقا .

ان « التشابه » التام بين شيئين سبب من اسباب الاحتكاك والاصطدام وليس سببا من اسباب الالتقاء والانسجام . اذ عندئذ كلاهما لا يشعر بحاجة الى الآخر ، او كلاهما لا يرى ان به فراغا يسده الطرف الآخر . فتساوى الرجل والمرأة فى الارادة او عدم الارادة مدعاةالى الفرقة بينهماوليس اللقاء والانسجام، رغم ان هناك مفارقة اخرى بينهما هي الذكوره والانوثة . والتشابه فى الصفات الجسمية وفى تكوين البدن ، وفى ملامح الوجه بين الرجل والمراة . سبب من سبب الفرقة ، وان كانت هناك مفارقة اخرى هي الذكورة والانوثة ، فالمراة تريد رجلا . اي تريد انسانا مقابلا لها فى الخصائص النفسية والبدنية . والرجل يريد امراة ، اي يريد انسانا مقابلا له فى الخصائص النفسية والبدنية . عندئذ يكون اللقاء بينهما امرا طبيعيا ، ويكون الانسجام ظاهره اللقاء الاول . اي رجل يريد امراة تكون لها عضلات الرجل ؟ وأي رجل يريد امرأة تتجرد من عاطفة الانوثة ، وتكون لها الارادة الصلبة التي للرجل . ذلك الانسان الذي مارس الحياة ، وارتاد صعابها وازماتها ؟ وأية امراة تريد رجلا له التكوين الرقيق الذي للانثى فى عضلاتها ؟ واية امراة تريد رجلا تسيطر عليه العاطفة فيكون مترددا فى قوله وفى تصرفاته ؟ . يميل حسبما تتجه به الريح ، وحسبما يكون التاثير عليه ؟

وهنا تكون « الرئاسة » او « القيادة » فى المجتمع امرا طبيعيا يقوم على طبيعة هذا المبدأ الضروري . على معنى ان يكون هناك راع ، وتكون هناك رعية ، وان يكون هناك قائد او رئيس ، ويكون هناك من يتوجهون بتوجيهه ، ويتبعون قيادته . ولو فرض ان الافراد جميعا ارادوا ان يكونوا رؤساء لما كان احتكاك بينهم . ولو فرض انهم جميعا مرؤوسون بدون رئيس لما كان هناك مجتمع ، ولما كان هناك سبب يحملهم على الانقياد فى اتجاه واحد ، وغاية واحدة . وعندئذ يكون الاحتكاك والاصطدام هو السائد على العلاقات بينهم ان كانت هناك علاقات .

وهنا ندرك : لماذا يعبد الله ؟ ولماذا يجب على الناس جميعا ان يخضعوا لقيادة موجه واحد ، هو الله سبحانه وتعالى :

ان عبادة الله يفرضها هذا المبدأ الطبيعي للوجود. وهو مبدأ « التقابل » الذي هو اصل الانسجام فى الحياه ، ومطلوب الانسان فى حياته ان يكون منسجما مع نفسه ومع من عداه فى وجوده الخاص والعام :

والتطور الصناعي فى وقتنا المعاصر اذا كان فى خدمة الانسانية فهو فى خدمة التطور الاجتماعي ، وعندئذ تكون من مقتضيات العصر .

ومعنى كونه فى خدمة الانسانية ان يبقى الانسان ذا سيادة والا تكون الآلة هي السيد . معنى ذلك ان يستخدم الانسان الآلة فى رفع مستوى معيشته ، وفى وضعه الاجتماعي وفى تخفيف المرض . وفى ازالة الجهل والامية وفى التنوير والتبصير بالحياة والكشف عنها لا ان تكون عبدا ذليلا لها تفرض عليه الرق والعبودية وتكون مسخرا لها . اذ عندئذ تصبح مصدرا للقلق والاضطراب . وبذلك تكون معوقا له عن ان تصل الى الهدف الاخير للتطور الاجتماعي ، وهو التعاون والتواد . والتحاب بين الناس جميعا .

الاسلام وموقفه من التطور الاجتماعي وفقا لمقتضيات العصر :

الاسلام هو رسالة السماء الى البشر على هذه الارض . وهو رسالة الله للناس جميعا ، لا فرق بين عربي واعجمي ، اي لا فرق بين فرد وءاخر ، جاء ليهدي البشرية الى الطريق الذي يصل بها الى تحقيق معنى الانسانية فى حياة الانسان .

فاذا كان معنى الانسانية الاخير — كما شرحنا — هو لقاء الانسان بالانسان ومودة الانسان للانسان ، واخوة الانسان للانسان ، وتعاون الانسان مع الانسان ومحبة الانسان للانسان — فالاسلام جاء ليوقظ فى الانسان هذه المعاني وينميها فيه ، ويحثه على رعايتها وعلى ان يتمثلها فى سلوكه وتصرفاته .

بطريقة نفسها لم توجد قط حشرة ضخمة الجسم ، وهذا الحد من نمو الحشرات منعها من الطغيان والسيطرة ووقفها عند حدها ، ولولا وجود هذا القانون الطبي ما امكن وجود الانسان فتصور الانسان في اول اطواره يصادف زنبورا في حجم الاسد او عنكبوتا مثل ذلك .

ولم يكتب الا قليل من انظمة انواع الحيوان الكثيرة بتلك الانظمة الفيزيولوجية العجيبة التي بدونها لا يمكن وجود حيوان ولا نبات ايضا ، واذا وجد الم يمكن استمرارهما ، وتلك الحقائق بلغت من الاهمية غايتها حتى صار ذكرها واجبا حتما ، لقد انتبه العالم الى وجود هذه الحقيقة ، وهي ان هناك اشياء كالفيتامينات ، وكان الناس من قبل يجهلونها وعرفوا ان فقد هذه الفيتامينات يسبب امراضا : نحو بلاكرا ، وبربرز وسكرفوي وسائر الامراض التي نعرف بامراض سوء التغدية ، ولابد ان الانسان قد عاش ملايين السنين قبل ان يعرف هذه المواد التي هي ضرورية لاستمرار حياته ، فان الاسفار الطويلة في البحر بدون غذاء تام تفضي الى مرض (سكرفوي) وقد اكتشف أن عصير الليمون دواء نافع لهذا المرض. وكان الملاحون في السفن الكبيرة في الزمن القديم يسمون عاصري الليمون ، ولم يكن الملاحون الاقدمون يعرفون سبب مرض سكرفوي وهذا الدواء البسيط اكتشفه فاسكودي غاما لما كان ملاحوه يموتون في مدغسقر . غير انه مضى قرن من الزمان او اكثر قبل ان تكتشف العلاقات بين الليمون وبين اختفاء مرض سكرفوي ، وقد زال هذا المرض الفتاك وانقطع عن المسافرين في البحار بسبب ما ذكرنا ، انقضى قرن اخر او اكثر قبل ان يعرف الانسان قيمة الفيتامينات التي توجد في الليمون ، ولكنه لم يكن يعرف حينئذ ما تشتمل عليه هذه الفاكهة ، كذلك عاش ملايين السنين ايضا قبل ان يعرف وظائف المعامل الكيميائية الصغيرة المعروفة بالغدد الصم ، التي تمده بالتركيبات الكيميائية التي هي جد ضرورية له ، وهي تصنعها وتسيطر على حركاته واعماله ، اضف الى ذلك ان تلك المواد التي هي جد ضرورية له ، وهي تصنعها وسيطر على حركاته واعماله ، اضف الى ذلك ان تلك المواد التي بلغت من القوة ان جزءا من بليون منها يحدث اثارا بعيدة المدى ، هي منطقة ، ينظم كل منها غيره ويحفظ توازنه ، وقد علم يقينا ان هذه الافرازات المعقدة اذا اختل توازنها حدث اختلال عقلي وجسمي في غاية الخطورة ، ولو عمت هذه المصيبة لاضمحلت المدنية وانحط الجنس البشري الى حالة الحيوان الاعجم ، هذا ان امكن بقاؤه ، على اننا لو اعتمدنا على هذه الضوابط والموازين وحدها التي بدونها لا يمكن وجود الحياة كما نعهدها لواجهنا بقاء الانسان بمسألة حسابية تستحق قدرا كبيرا من الاهتمام عند المدافعين عن عقيدة المصادفة .

تعقيبات :

1) نعجب المصنف من التوازن الذي جعله الله بين اجناس المخلوقات بسبب التضاد الذي فطرت عليه حتى لا يطغى بعضها على بعض ويستمر بقاء كل منها بالقدر الذي يصلح به نظام الحياة وعمارة الارض ، وكل ذلك سخره الله للانسان فهو السيد الحاكم المتصرف المستغل المستمتع ، وقد جاء في كتاب الله من التنبيه على هذه القاعدة ما فيه عبرة لاولي الالباب المنصفين الاحرار . قال تعالى في سورة البقرة (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين) وقال تعالى في سورة الحج (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) الصوامع (معابد الرهبان والراهبات التي انقطعوا فيها الى العبادة وتركوا امور الدنيا يريدون بذلك التقرب الى الله والبعد عن فتنة الدنيا حسب اعتقادهم كما قال تعالى في سورة الحديد : (ورهبانية ابتدعوها) وقد امر النبي (ص) المسلمين اذا وقع بينهم وبين النصارى قتال ان يحترموا الرهبان والراهبات ولا يتعرضوا لهم بسوء الا اذا اشتركوا في القتال . والبيع جمع بيعة وهي في الاصل الكنيسة التي بنيت قبتها على شكل بيضة ، لان البيعة باللغة السريانية هي البيضة . قلبوا الضاد عينا كما فعلوا ذلك في ضاد الارض فقالوا (ارعا) ومن المعلوم عند من يعرف اللغة السامية ان الضاد تصعب على السريانيين والعبرانيين فيقلبونها ويبدلونها بحرف اخر ، ثم عم لفظ البيعة كل كنيسة للنصارى ، والصلوات جمع صلاة ، وهي معبد اليهود ويسمى في اللغة العبرانية المستعملة الى اليوم (بيت تفلا) اي بيت الصلاة ، والمساجد معابد المسلمين وقد جاء الاسلام باحترام هذه المعابد وسلط على كل ظالم مقاوما يردعه ويرده عن غيه وما احسن قول الشاعر :

وما من يد الا يد الله فوقها ولا ظالم الا سيبلى بظالم

الموازين والضوابط

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 17 -

ما اعجب نظام الضوابط والموازين الذي منع اي حيوان ، وان بلغ من الضراوة والقوة وعظم الجسم والمكر كل مبلغ ، من التحكم فى اهل الارض والسيطرة عليهم منذ عصر الحيوان القشري المتجمد ، لكن الانسان وحده قلب هذه الموازين الطبعية بنقله الاشجار وسائر النبات والحيوان من مكان الى مكان . الا انه قد ادى ثمن تلك السيطره وعوقب عقابا شديدا بسبب تطور الحيوان والحشرات والنبات وما نشا عن ذلك من الآفات .

والحقيقة التالية مثال واضح يدل على اهمية تلك الضوابط وذلك التوازن بالنسبة لوجود الانسان . قبل سنين عديدة زرع نوع من التين الشوكي (الهندية) فى استراليا على شكل سياج (زرب) وقائي ، ولا توجد فى استراليا حشرات مضادة لشجر التين الشوكي . فلذلك نمي بسرعة غريبة حتى غطى مساحة واسعة تساوي مساحة البلاد الانكليزية كلها وضايق اهل المدن والقرى ، واتلف مزارعهم ، وحال بينهم وبين الزراعة ، ولم يستطع اهل تلك البلاد ان يجدوا وسيلة لوقفه عن الانتشار ، واصبحت استراليا فى خطر من جراء جيش من الزرع الصامت يكتسحها ، لاطاقة لها بدفعه . وعند ذلك اخذ علماء النبات يبحثون فى جميع انحاء الدنيا عن وسيلة تقاوم انتشاره ، حتى عثروا فى نهاية بحثهم على حشرة لا تعيش الا على التين الشوكي ، ولا تأكل شيئا اخر ، وهي سريعة النمو والتكاثر وليس لها عدو يقاومها فى استراليا ، فاخذت فى اكل التين الشوكي حتى قضت عليه ، ثم قل عددها ولم يبق منه الا القدر الكافي لوقف ذلك النوع من النبات عند حده الى الابد .

وكذلك خلق الله الضوابط والموازين لوقف كل نوع من المخلوقات عند القدر الصالح حتى لا يطغى بعضها على بعض .

لماذا لم تسيطر بعوضة الحمى الناقض (ملاريا) على اهل الارض فتجعل اسلافنا عبر الاعصار والقرون يموتون بسببها او يكتسبون مناعة ؟ ومثل ذلك يقال فى بعوضة الحمى الصفراء التي انتشرت شمالا فى احد الفصول حتى وصلت نيويورك . والبعوض كثير جدا فى المناطق المتجمدة ، ولماذا لم يتطور ذباب (تسي تسي) حتى يعيش فى غير المناطق الحارة . وحينئذ يقضي على البشر ويمحوهم من الوجود ؟ ، وهنا ينبغي لنا ان نذكر الطواعين والاوبئة القتالة التي لم يكن للناس ما يحميهم او يمنعهم منها الى امس القريب ، ويذكر ما كان عليه الانسان من الجهل التام بقواعد الوقاية الصحية ، ليعلم ان بقاء الجنس البشري مع كثرة اعدائه امر عجيب تحير فيه الالباب هذه الحقائق العجيبة من اسرار الطبيعة تستحق الذكر والاعتبار ، وان كانت لا تكون بالضرورة برهانا تاما على وجود العناية الربانية من طريق مباشر ، ولكنها تضاف الى البراهين السابقة فتزيدها قوة ووضوحا .

ان الحشرات ليست لها رئتان كما للانسان ، وانما تتنفس بواسطة انابيب ، فاذا نمت وكبرت اجسامها لا تنمو تلك الانابيب بنمو الحشرات ، فيتوقف نموها بسبب ذلك ، فلا تجد حشرة تزيد فى طولها على بضع بوصات (البوصة هي الانتش باللغة الانكليزية ، وقد تقدم وهي تساوي ثلاث سنتمترات الا قليلا) ولا تطول اجنحتها الا قليلا ، وبسبب تكوينها الجسمي

القرآن واصول اللغة

للدكتور ابراهيم السامرائي

لقد بهرت لغة التنزيل المسلمين فى عصورهم الاولى ، فاقبلوا عليها يتدارسونها فيجدون فيها كل جديد . ومن اجل ذلك فالقرءان بداية لنهضة فكرية للعرب تعكس مستوى عاليا للتفكير والحضارة ذلك انه لم يكن للعرب قبل الاسلام ، فى ظلال الوثنية الاولى، شيء حضاري كالذي جاء به الاسلام مفصحا به الكتاب المنير ؛ فالعلوم الاسلامية اعتمدت اصولها فى كتاب الله، وظل الباحثون فى مختلف العصور يجدون فيه المادة الجديدة والالوان المبتكرة فيقيمون عليها بحثهم ، ولم ينصرف المسلمون عنه فى اي عصر من العصور الماضية، فقد تمسكوا به حين بهرتهم الفلسفة الاغريقية فاقبلوا عليها واردين ، وظل الفلاسفة المسلمون متعلقين بآية الكريم واجدين فيه معينا لا ينضب ، مفيدين منه اعظم الفائدة مسترشدين به فيما اخذوا من سبل المعرفة الجديدة القائمة علىالفلسفة الاغريقية وهكذا تم لهم شيء موحد منسجم اقيم على الاسلام واتخذ له اطارا فلسفيا ، وبقيت الفرق المختلفة والتيارات الفكرية المتضاربة تجد فى كتاب الله اساس دعوتها ومادة ءارائها ، فلقد اعتمده اهل السنة كما عول عليه الشيعة ، واستند اليه الخوارج فى ءارائهم الجريئة كما اعتمده المعتزلة وتمسك به المتصوفة .

وقد نشأت علوم العربية نتيجة لاقبال المسلمين على كتاب الله يدرسونه ويتبينون اختلاف الصحف فيه بين اقليم وءاخر ، وقد الف فى هذا الباب المصنفات فكان من ذلك ــ « اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق لابن عامر » وكتاب « اختلاف مصاحف اهل المدينة واهل الكوفة واهل البصرة للكسائي » وكتاب « اختلاف المصاحف » لخلف بن هشام وكتاب « اختلاف المصاحف وجامع القراءات » للمدائني ، وكتاب « اختلاف المصاحف » لابي حاتم ، وغير هذا كثير نجد ذكره فى المجاميع الضخمة من كتب التراجم والطبقات ، وفى مادة « قراءات » فى كثير من المصادر ولكننا لم نحظ من هذه الوفرة الكبيرة الا بكتاب ابي داود السجستاني ابن الامام ابي داود المحدث المشهور وصاحب السنن .

وباب القراءات من الابواب التي كثر التأليف فيها لما شاع بين المسلمين من وجوهها بحيث اضطر عثمان الى ان يجمع مصحفه المشهور ويوزعه فى الامصار ليكون المسلمون على بينة من نصوص الكتاب الكريم ، وندب لذلك زيد بن ثابت ، واستعان بالصحف التي احتفظت بها حفصة بنت عمر زوج النبي (ص) وبهذا سلم للقرآن وجه لغوي واضح تأثر اكثر ما تأثر به بلغة قريش ، وندب عثمان لزيد بن ثابت من كتاب الوحي لهذا الغرض الجليل امر مهم ؛ ذلك انه اغفل غيره كابن مسعود الذي كان متأثرا بلهجته الهذلية ، ففي الاخبار ان عمر قد بعث اليه ان يقرىء الناس بلغة قريش ولا يقرئهم بلغة هذيل ، وذلك حين سمع احدهم يقرأ « ليسجننه عتى، حين » ويريد بها « حتى حين » وكان عمر يقول « انا لنرغب عن كثير من لحن ابي » والمراد باللحن هو اللغة او ما نسميه اليوم باللهجة ، ولم يسلم مصحف عثمان من هذه « الالحان » بالرغم من الطريقة التي تم بها ، وبالرغم من ابطال كثير من الصحف لما اشتملت عليه من وجوه القراءات الضعيفة او الشاذة ، التي رغب عنها عثمان ، فقد روي عن عامر القرشي انه قال « لما فرغ من المصحف اتي به عثمان فنظر فيه فقال قد احسنتم واجملتم ولكني ارى فيه شيئا من « لحن » ستقيمه العرب بألسنتها » . على ان مصحف عثمان هذا قد خلا من النقط والشكل وكان ذلك دافعا للقراء على الاختيار فى قراءاتهم وهكذا نشأ لكل مصر من الامصار قراءة خاصة به معتمدين فى ذلك على نصوص المصحف العثماني وعلى المصاحف الاخرى التي منع عثمان ان يؤخذ بها الى ان جاء ابو بكر بن مجاهد (سنة 322 للهجرة) فاختار من هذه القراءات الكثيرة ما صح عنده فكانت القراءات السبع المشهورة اخذا بالحديث الشريف « انزل القرءان على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسر منه » ، على ان ءاخرين لم يستحسنوا اختيار ابن مجاهد ورجحوا قراءات اخرى فكان من ذلك القراءات العشر وربما زادت هذا العدد بكثير .

هذا فيما بين البشر وكذلك انواع الحيوان ياكل بعضها بعضا ، ولا ينقرض اي نوع من الانواع المفيدة الصالحة للبقاء واذا انقرض يخلفه نوع اجود منه وقد يقع التصاول بين النبات والحيوان فيكون احدهما غذاء للاخر ، والاكثر ان يكون النبات هو الماكول .

2) قوله : لكن الانسان وحده قلب هذه الموازين الطبيعية) ولقد كرمنا بني ءادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) وانما ساد الانسان وتحكم في نواصي غيره من الحيوان وان بلغ الغاية في القوة وضخامة الجسم بالعقل والتفكير والنطق الذي فضله الله به .

3) في قصة شجر التين الشوكي ويسمى عند بعض المغاربة (بالهندي) وعند بعضهم (بكرموس النصارى) والكرموس بالمغربية هو التين . ويسمى في بلاد الشام (بالصبير) ، ويسمى في الحجار (بالبرشوم وبابي برشوم) وله اسماء اخرى عند شعوب اخرى ، ومن العجيب ان المغاربة ينسبونه الى الهند، مع انه لا يوجد في بلاد الهند ولا يعرف ، في هذه القصه عبرة تدل على تسليط بعض المخلوقات على بعض حفظا لبقاء كل نوع منها، وكنت اتحدث مع احد العلماء المفكرين فقال لي : ان الاستهلاك لا ينقص النوع المستهلك ، بل يزيده ويوفره ، اذ على قدر الاستهلاك تكون العناية والعمل على تكثير ما يستهلك من حيوان ومزروعات وغيرها ، ففي كل يوم نذبح الاف من الغنم والبقر في كل بلاد يستحل اهلها اكل اللحم ولا ينقص ذلك الغنم والبقر بل يزيدها اقول وهذا نظر صحيح لان بلاد الهند واسعة الارجاء يعد اهلها بمئات الملايين ومساحتها واسعة جدا ، واهلها لا ياكلون اللحم الا المسلمين والنصارى ، وعددهم قليل خصوصا بعد انفصال الباكستان عن الهند ، فلم يبق في الهند من المسلمين الا اربعون مليونا وعدد النصارى بضعة ملايين فلو كان الاستهلاك ينقص الغنم والبقر لكانت بلاد الهند اكثر البلاد غنما وبقرا والواقع ان الغنم قليلة ، ونوع الضان منها لحمه رديء حتى ان الاغنياء هناك لا يضحون الا بالمعز او بالبقر ان امكنهم ، لان ذبح البقرة في البلاد التي يكون سكانها خليطا من المسلمين والهناديك يكلف ثمنا غاليا تزهق فيه ارواح وتقع حروب اهلية لاجل ذبح بقرة واحده والمقصود هنا الاستدلال على ان الاستهلاك لا ينقص الجنس المستهلك .

4) قوله : على انا لو اعتمدنا على هذه الضوابط والموازنات وحدها . . الخ . يريد المصنف ان يوضح انه مع استحالة بقاء الانسان والحيوان والنبات بدون تلك الضوابط وتلك الموازن فهي غير كافية وحدها لحياته وبقائه على ما هو عليه ، بل لابد من وجود العناية الربانية التي تتكفل بوجوده واستمراره الى ما شاء الله ، ويحتاج القائلون بان العالم وجد بالمصادفة وهو يسير بالمصادفة الى الجواب عن مشاكل حسابية عسيرة لاقبل لهم بها . وقد تقدم في هذه المقالات السبع عشرة من قيام الحجج عليهم واقامة البراهين الخانقة شيء كثير فله يقنع المنصف فضلا عن جله وبالله التوفيق .



التكسير راجع الى اللهجات الاقليمية ، ومعنى ذلك ان جماعة ما الفت صيغة من صيغ الجمع لاسم معين، فى حين ان الجماعة الاخرى جرى استعمالها لصيغة اخرى ، وربما وجدنا صدق هذا فى استعمالنا الحديث، الا نرى ان عربية المغرب الفصيحة قد تستعمل صيغا من الجموع لم يؤلف استعمالها في عربية المشرق مثلا كانت لا تجد من يجمع « الحمار » على « احمرة » فى المشرق فى ايامنا هذه ، ولكنك تجده على السنة التونسيين فى كتاباتهم ، والمألوف فى استعمال المشارقة هو « الحمير » اما جمع « الحمار » على « حمر » فلم يعرف فى لغتنا الحديثة وهو فصيح جاء فى لغة التنزيل فى قوله تعالى « حمر مستنفرة » ومثل هذا كثير .

وجاء فى شواذ سورة الاعراف « الجمل » فى قوله تعالى « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » بضم الجيم وتشديد الميم وفتحها ، وهي قراءة ابن عباس، ومعلوم ان صيغة « فعل » من صيغ جموع التكسير بضم الفاء وفتح العين وتشديدها ، لا يكون مفرده الا « فاعل » مثل « راكع » وجمعها « ركع » فى حين ان مفرد « جمل » هو « جمل » بضم فاسكان ومعناه الحبل . وقد قرأ ابو السمال بفتح الجيم واسكان الميم .

ومن شواذ سورة طه قراءة عكرمة « اهس » بالسين فى قوله تعالى : « اهش بها على غنمي » .

ومن شواذ سورة الانبياء قراءة ابن عباس « حضب » بالضاد فى قوله تعالى « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » وقرىء « حضب » باسكان الضاد . وقرىء « حطب » بالطاء .

ومن شواذ سورة الحج ما جاء فى قراءة « صلوات » من قوله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات » فكلمة صلوات قرئت فى احدى عشرة صورة وهي « صلوات » بفتحتين و « صلوات » بضمتين وهي قراءة ابي العالية والكلبي والضحاك و « صلوات » بضم واسكان وهي قراءة جعفر بن محمد و « صلون » بضم الصاد فلام وواو ونون ، و « صلوب » بالباء ، و « وصلوات » بفتح فاسكان ، و « صلواث » بضم الصاد واسكان اللام وثاء مثلثة فى الاخر و « صلوثا » بثاء فى الاخر من الف للاطلاق ، والكلمة جمع صلاة وهي تعني الكنيسة فى السريانية بخلاف ما ذهب اليه الزمخشري من انها عبرانية فى « الكشاف » وغير ذلك من الصور .

والذي يثبت هذا الذي نذهب اليه من دلالة هذه الصيغ على اختلاف استعمال الجماعات المختلفة، او قل على لهجات الاقاليم ما يوجد فى اللغة الحبشية من صيغ جموع التكسير وانصرافها الى الموضوع نفسه .

والقراء يختلفون حتى فى موضوع الاعراب الذي التزم به جميعهم فهذا يرفع ما ينصبه ذاك ، وذاك يخفض ما يرفعه هذا . وقد حمل هذا على انه خطأ من كتاب الوحي ، فقد روى ابو معاوية محمد بن خازم التميمي السعدي عن هشام بن عروة بن الزبير المتوفى سنة 146 للهجرة عن ابيه عن عائشة انها قالت « ثلاث احرف فى كتاب الله هن من خطأ الكاتب وهي قوله تعالى : « ان هذان لساحران » ، وفى قوله تعالى « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ، والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » ، وفى قوله تعالى « ان الذين ءامنوا والذين هادوا والصائبون » ، وقد حقق النحويون فى حديث عائشة حول غلط الكاتب ، وحديث عثمان فى قوله « ارى فيه لحنا » فاعتلوا لكل حرف منها ، واستشهدوا بالشعر فقالوا فى « ان هذان لساحران » هي لغة بلحارث بن كعب ، واشارة النحويين الى هذه اللغة نكتة لطيفة ذلك ان النحويين واللغويين كانوا كثيرا ما يصدقون عن موضوع اللغات الخاصة التي هي فى اصطلاح اليوم اللهجات السائرة ، فقد وسموا العنعنة والعجعجة والفحفحة وغير ذلك باللغات المذمومة وهي اشكال للمألوف الدارج من الاستعمال نطقا وتركيبا .

وقد اكثر هؤلاء من الاستشهادبالشعر وربما كان ذلك اكثر من استشهادهم بالقرءان والحديث ، ولعل الاصمعي اشدهؤلاء فىاجتناب الخوض فى مجاز القرءان قال ابو حاتم سألت الاصمعي عن « الصرف » و « العدل » فلم يتكلم فيه ، وقلت له هل معنى « الربة » الجماعة من الناس فلم يقل شيئا لان فى القرءان (ربيون) .

وهكذا فلغة القرءان تقدم نماذج لغوية جديدة ربما جهل اسرارها المسلمون الاولون كما اسلفنا فى قوله تعالى « وحنانا من لدنا » فقد جهل ابن عباس ما المراد بالحنان » ومثل هذا « التسنيم » فى قوله تعالى: « ومزاجه من تسنيم » وحار المفسرون فى رد هذه الكلمة الى اصولها فقالوا فيها اشياء كثيرة ، وهذه الاستعمالات هي التي حفزت الاقدمين على الكتابة فى موضوع المجاز القرءاني والالفاظ الاسلامية .

وهكذا يتبين للباحث الصابر ان القرءان من مصادر اللغة الاولى التي تكشف صورة عن التاريخ اللغوي الذي انقطعت عنا حلقاته الاولى .

ولم يجد هذا الاختيار وهذه الجهود النافعة شيئا ، بل ظلت اللهجات الخاصة تؤثر فى القراءات ، وهذا ما اصطلح عليه الاوائل بالقراءات الشاذة ، وقد الف فى هذا الموضوع التصانيف الكثيرة كما نعرف ذلك من تاريخ القرءان مما تحدثنا به كتب التراجم والمجامع الاخرى ، فقد كتب فيه كثير من النحويين الاقدمين كالفراء وابن خالويه والعكبري ، والداني ، ولم يصل الينا من هذه التصانيف الكثيرة الا الشيء اليسير مثل كتاب البديع لابن خالويه وكتب التفسير حافلة بهذه الوجوه من القراءات .

ومادة « القراءات » فى مجموعها مصدر مهم من مصادر التاريخ اللغوي ، ذلك اننا لا نعلم كثيرا عن مراحل تطور العربية من اقدم عصورها ، وذلك لقلة المكتشف المكتوب من صحف ونقوش وغير ذلك من نصوص هذه اللغة القديمة على عكس ما حصل فى كثير من اللغات السامية الاخرى التي دل التنقيب الحديث على تاريخها القديم ومراحلها المتعاقبة ، غير ان شيئا من هذا لم يتم فى العربية ، فالذي نعرفه من نصوصها القديمة هو الشعر الجاهلي ولا نستطيع ان نعد ، النصوص الجاهلية مرحلة اولى او قريبة من الاولى فى التاريخ اللغوي ، فهي نصوص تكشف عن مستوى عال من تاريخ اللغة وليس صحيحا ان تبدأ لغة ما بمثل هذه النصوص الفصيحة البليغة ، ومن هنا فلا بد ان نسأل انفسنا اين نجد معالم وءاثار ذلك التاريخ اللغوي القديم ، والجواب اننا لابد لنا ان نتوجه الى كتاب الله الكريم لنتبين ذلك فى لغة التنزيل، ومعلوم ان القراءات على اختلافها تقدم مادة للباحث ، ثم ان لغة القرءان بخصائصها الخاصة مفيدة فى هذا الباب ، ذلك ان القرءان حدث من اهم الاحداث فى تاريخ العربية ، فهو انطلاقة بهذه اللغة لتعبر عن حضارة جديدة ذات مثل وافكار جديدة عالية ، وهكذا دفع الاسلام هذه اللغة خطوات الى الامام .

وقد بهرت لغة التنزيل جموع العرب وسيطرت على افكارهم وكانوا يقفون منها موقف السائل المتحير والمعجب المأخوذ ، فقد اثر عن عبد الله بن عباس انه قال : « والله ما ادري ما الحنان » وذلك من قوله تعالى « وحنانا من لدنا » ومثل هذا الخبر كثير تكشف عنه مصادر القرءان من كتب التفسير والقراءات . ومن اجل ذلك زخرت المكتبة العربية بالدراسات القرآنية منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا ، وربما لم يقيض لكتاب من الكتب ان تدرس نصوصه وتفسر وتحلل فى طرائق مختلفة مثلما تهيأ للقرءان الكريم ، وما زالت البحوث والدراسات تجد فى ايامنا هذه وتقوم على ناحية من نواحي القرءان المتعددة .

وكتب القراءات والتفسير تعكس نماذج من هذه اللغة المتطورة كما هي تعكس لونا من الوان العربية التي ضاعت وعفى عليها الزمان ولم يهتم بها علماء اللغة انفسهم وذلك لاهتمامهم بالفصيح والافصح ، ولان لغة الشعر الجاهلي ولغةالقرءان قد فرضتا عليهم حدودا لا يستطيعون مبارحتها الا تراهم قالوا بالمولد والفصيح ، وان الاصمعي من علماء اللغة الاقدمين انكر استعمال « زوجة » بدلا من « زوج » محتجا بقوله تعالى « امسك عليك زوجك » فقيل له ان الشاعر ذا الرمة يقول :

اذو زوجة بالمصر ام ذو خصومة
اراك لها فى البصرة اليوم ثاويا

فقال : ذو الرمة ليس بحجة اذ طالما اكل البقل والمالح فى حوانيت البقالين ، وهكذا قد حصروا الفصيح فى حقبة معينة لم يتجاوزوها الى غيرها ، الا ترى ان بعضهم قد اعتبر جريرا والفرزدق بداية لهؤلاء المولدين ، وانه لم يأخذ بشعر نفر من الشعراء الاقدمين لان هذا وذلك ممن نسب الى هذيل مثلا ، او انه اتصل بمواطن لم تسلم لها عروبتها .

وطبيعي ان هذا المنهج لا يعني بموضوع اللهجات بل قل ان كثيرا من معالم اللهجات اعتبر من الصفات المذمومة الحقيرة الا نرى ان ابن فارس من علماء اللغة الاقدمين يعقد فصلا عن اللغات فى كتابه « الصاحبي » . ولكننا لا نعدم ان نجد شيئا من ذلك فى كتب القراءات ولا سيما ما كان منه فى القراءات الشاذة ، فقد جاء فى مختصر ابن خالويه فى شواذ القراءات ان يحيى بن وثاب قرأ فى سورة البقرة قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة » بكسر الشين وبابدال الباء بالجيم ومعلوم ان هذا الابدال علامة مميزة للجهة من اللهجات الدارجة وهي ما زالت موجودة حتى يومنا هذا فى كثير من الاقاليم القروية فى جنوبي العراق مثلا واذا اضفنا الى ذلك كسر الشين اتضح الشكل الدارج الذي سرى فى قراءة يحيى بن وثاب .

وقرا مسلمة بن محارب « بعولتهن » من قوله تعالى « وبعولتهن احق بردهن » بجزم التاء من « البعولة » ، ومعلوم ان « البعولة » جمع « بعل » كالسهولة جمع سهل والفحولة جمع فحل ، وعندي أن اختلاف القوم فى صبغ الجموع ولا سيما جموع

تلك الحقيقة واجهتهم عند ممارسة العمل والاتصال بالاوساط الشعبية المختلفة ، ومن شعورهم بنفور المغاربة من كل دعوة لا تمت الى الدين ، ولولا (رد فعل الظهير البربري ما كانت الوطنية بتلك القوة ولعل التفسخ الذي نشاهده فى الحياة السياسية هو نتيجة لغياب (العامل الديني) .

ولكن المشكلة القائمة الان هي : كيف ستكون القيادة الجديدة التي ستقود هذا الشعب الذي اصبح اكثر ايمانا من ذي قبل بان الاسلام هو الخلاص الوحيد من قبضة الازمات الاجتماعية والانحرافات الخلقية التي ترجع اليها المسؤولية الكبرى عن الامراض المتزايدة فى مجتمعنا وعن كثير من المظاهر المؤلمة والسلوك المخجل .

اننا فى اشد الحاجة الى قيادة عقائدية ثقافية تتوفر فيها شروط الايمان والاخلاص والعفة والنزاهة والتدبير والصرامة ، والزهد والايثار ونكران الذات ، والوعي الصادق والعقل العلمي المنهجي ، واذا كانت الصين قد استطاعت ان تخلق من شعب دوخه الافيون ، وانهكه الفقر ، واعترته عوامل الانحطاط ، وتسلط عليه الاستعمار والاقطاع والظلم — اذا استطاعت ان تخلق منه قيادة مكونة من امثال سن يات سن ، وماوتسي تونج وامثالهما ، فان الشعب المغربي المسلم لمتوفر على امكانيات وخامات تستطيع ان تمدنا — لو توفرت بعض الشروط — بقيادة من طراز رفيع لا توفر اسباب السعادة لشعبها فحسب ، وانما تساهم فى اسعاد البشرية بحظ كبير .

وقد حاولت مثل هذه القيادة ان تظهر بالشرق الا أن عوامل ذاتية واخرى خارجية تعاونت على اخمادها وعرقلة دورها ، غير ان الفكرة الاسلامية التي لها الفضل فى ابراز تلك القيادات فى فترات مختلفة من التاريخ ما تزال حية ، نابضة بالقوة ، خالدة خلود الانسان ، لا تعرف الوقوف ولا الجمود ، فهي فى حركة دائبة ، تتطاير انوارها من هنا الى هنا ، ولن تعرف الرجوع الى الوراء ابدا ... لانها فكرة متجسمة مع نفسها ، منطقية مع عناصرها ، لا تحتوي على تناقض ذاتي ، او تخلف عن تزويد البشر بما يحتاجون من المبادىء الانسانية الثابتة ، والتنظيم الرائع للمجتمعات على اسس من الاستقرار والثقة والفضيلة .

واذا كان معظم تلك القيادات التي ظهرت فى الشرق قد منيت بالفشل فى بعض الميادين الرئيسية ، فان القيادة الاسلامية فى المغرب يجب ان تتجنب عوامل الفشل ، واسباب الانحراف او الاضطراب ومع ذلك يجب ان تستفيد من التجارب الناجحة لتلك القيادات التي كان لبعضها اكبر الاثر فى تحويل تاريخ المسلمين فيما بعد الحرب العالمية الثانية تحويلا افضى بهم الى كثير من التحرر والاستقلال .

وقيادتنا الجديدة يجب ان تقدر رسالتها حق قدرها ، وان تعي الدور الخطير الذي ستقوم به فى مغرب يعيش فى عصر الذرة والصاروخ ، عصر التخطيطات الاقتصادية والانظمة العلمية، والتصميمات الثقافية ، والاتجاهات الاشتراكية ، وفى قارة عذراء تتطلع لمستقبل يضمن لها الحياة الحرة الكريمة ، ولمبادىء تستلهمها فى سيرها ، وتستمد منها العون على تحقيق آمالها ، وهي تبحث عن تلك المبادىء ؛ وان اصحاب التيارات العقائدية فى العالم — ما عدا اصحاب الاسلام — ليحاولون ان يظفروا بتلك القارة ويسلكوها فى افكارهم وثقافتهم ، وان صراعا دينيا وثقافيا يشتد يوما فيوما فى افريقيا السوداء ولعل الاوضاع المريضة والفراغ الروحي فى بعض المناطق ، وعدم وجود دعوة للفكرة الاسلامية ، يعمل كل ذلك على تهييئها لاعتناق نزعات خطيرة تهدد الفكرة الاسلامية فى القارة كلها ، ولهذا كانت القيادة الاسلامية الثقافية ليست ضرورية لانقاذ المغرب المسلم فحسب ، وانما لانقاذ افريقيا المتخلفة والمهددة باستعمار من نوع جديد واقوى .

ومن اهم ما يحقق للقيادة الجديدة النجاح — زيادة على التقوى والفطنة والكياسة والحزم — ان تتجنب الاساليب السياسية البالية التي تسرف فى الوعود ، وتمني بالحقوق ، وتخاطب الشهوات ، وتشتري الضمائر ، وتتعلق بالمظاهر ، وتكتفي بالكم دون الكيف ، وبالتكديس دون البناء ، ولهذا يجب ان تربي نفسها على الصراحة فى الحق ولو على نفسها ، وعلى العمل الجدي المتواصل الذي لا تصرفه عن اهدافه كراسي ، او تزعزع نشاطه اماني ، ويجب ان تربي المجتمع تربية جديدة اساسها القيام بالواجب وبذل الجهود ، والشعور بالمسؤولية ، وتقدير عظمة الرسالة ، تلك التربية التي كان يسلكها الرسل مع اصحابهم ، ويطبقها قادة الشعوب التي تلمع فى

القيادة الجديدة

للاستاذ عبد السلام الهراس

الظاهرة التي اصبح يشعر بها كل واحد منا فى هذه البلاد هي اننا نعيش فى فراغ روحي خطير ، واننا نمر ازمة روحية وفكرية غامضة لا ندري نتائجها العمياء ، وان مستوى الاخلاق يتداعى شيئا فشيئا ، والناس يساقون فى حياتهم سوقا لاهداف لايتبينون فيها معالم واضحة ، ولا يحسون لها نتائج سارة ، ولهذا اصبح الشعور ينتشر ويقوى بالحاجة الى استعادة الفكرة التي ستعزز السلوك الاخلاقي الذي يستطيع وحده ان يجدد العلاقات الفردية والاجتماعية على نحو امتن واجمل ، وان تذكي فى النفوس الشعور بالقيم والمثل العليا ، وتربط الوجدان بمعنى الواجب نحو هذه الامة التائهة .

ولا اكاد اجتمع بفرد او جماعة الا والمس ذلك لمسا ، واجد الحديث يدور حول انتقاد الهيكل الثقافي الذي بناه الاستعمار واصبح يغذيه بمراكزه الثقافية، والوسائل القوية التي يمتلكها والاجهزة الفعالة التي يتوفر عليها ، وذلك من اجل الابقاء على القيادة الفكرية والثقافية والروحية التي تتجاوب واغراضه وتسير بنا وفق رغباته ومراده ، وهذه القيادة هي التي تعمل على اعاقة النمو الطبيعي لشعب يؤمن بالاسلام ويعمل على تحسين صلته بالله وبالرجوع الى منابع الدين الحقة والتزود منها لخلق مجتمع متحضر كفيل بالقضاء على اسباب المرض وبالتالي على القضاء على الاستعمار بجميع اشكاله والوانه ، وقطع دابره ، واجتثاث عروقه ، وقتل عناصر وشروط حياته .

ولهذا كان تدمير هذا الجهاز وسحق كل معوق لنمو الشخصية المغربية ونضجها من الاهداف التي تستدعي الاسراع بالتنفيذ ، ثم ان الضرورة تقتضي تخطيطا ثقافيا اسلاميا من اجل بناء اجتماعي متين ، وان يضعه ابناء البلاد الذين يشعرون اكثر من غيرهم بطبيعة المرض ، ومكامن الداء ووسائل العلاج وتلك رسالة القيادة الجديدة التي ابتدات ملامحها تبدو فى الافق المغربي ، واصبحت عناصرها تتلاقى صدفة أو تدبيرا لتتحمل المسؤولية الثقافية والاجتماعية عن وعي وتبصر وايمان .

ومما يساعد مهمة تلك القيادة ان بلادنا غنية بمنابع الخير والقوة والانتاج وتتوفر على سواعد قوية، وكواهل متينة ، ونفوس صابرة ومصابرة ، وعزائم صامدة ، وعناصر بشرية لا ينال منها الكلل ، ولايفت فى عضدها ونشاطها جسامة العمل ، وضخامة الواجب ... وهنا استعداد للتطور بشكل سريع ومتقن ، وهنا نيات طيبة ، تحسن الظن بالمخلصين ، وتثق بكلمة (الرجال) ، وهنا مزاج عقلي يؤمن بالفكرة ويعمل لها ويضحي فى سبيلها ، ويكره الصنمية ويقاومها ، وهذا حب للوطن واعتزاز بالتاريخ ، وتمجيد للسلف الصالح، وتطلع للمستقبل الباسم ، ورغبة جامعة فى القيام بدور جدبد فى المحيط العالمي ، يتيح لهم ان يتمموا رسالة اجدادهم ، وان يستأنفوا مهمة دينهم المعطلة فى الداخل والخارج .

وهذه الظاهرة استيقظت فى النفوس نتيجة عوامل مختلفة منها افلاس تجارب سابقة حاولت ان تتنكر للماضي ، وان تزور المستقبل ، ولهذا فاني اكاد اعتقد ان هنا شبه اجماع شعبي على ان خير ما يؤلف القلوب ويوحد الاهداف ، ويلم الشعث ، ويبعث على الجد ، هو الاسلام ، تلك حقيقة اقتنع بها حتى اولئك الذين لم تتح لهم ارادتهم الضعيفة ان يطبقوا اخلاق الاسلام في حياتهم ، وان كانوا بتظاهرون به كلما دعت الضرورة لذلك ، وكان من الممكن ان يقتنعوا بغير ذلك لولا ان

ان مجتمعنا يجب ان يصاغ صياغـة جديـدة على اساس من الروح الدينية المتنورة الواعية لينقذ من المسخ والتردي الذي يعيش فيه ، والانحلال الخلقي الذي اخذ يستشري بشكل يبعث على التشاؤم واليأس، وان هذه الصياغة لهي رسالة القيادة الجديدة ، فهل ما نرى حان الوقت لتنبثـق هذه القيادة في المغرب ؟ هل ستبزغ شمس المثالية من جديد ؟ ان الارهاصات لتسير الى ذلك ، وان الشروط لتتداعى لتلتئم علـى احقاد الحق وازهاق الباطل ، ولتبرز للوجود طائفة الموحدين التى على الحق ولا يضرها من خالفها ، وان النفسية المغربية الاصيلة لتتعطش لتلك القيادة لتسير بهذه الامة نحو غزوات وفتوحات ثقافية واجتماعيـة في افريقيا ، ولتحقق انتصارات جديدة في عالم اصبـح يمقت (القوة) لانها تدفعه دفعا نحو الخراب الشامل ، وءامن او هو يحاول ان يؤمن بان خلاصه لن يكون الا بالفكرة الشاملة والقيم الاخلاقية السامية و (ان هذا القرءان يهدي للتي هي اقـوم) .

فان كانت تلك الارهاصات صادقة فبشرى نزفها للمنتظرين لعهد الفضيلة ، والا فقـد اقترب للنـاس هلاكهم بفتن تدع الحليـم حيـران .



الدياجي الحالكة لتخرج اممها من انحطاط الى رقي ، ونحن نشاهد ذلك فى التجربة الصينية الخارقة ، وفى الاصلاح الياباني الجبار ، لان التربية التي تقوم على التمني والتهريج ، والتبشير بالحقوق الكثيرة ، والاستزادة منها ، ومخاطبة الاغراض الخاصة هي اعظم الوسائل لتخريب كيان الهيئة القائمة ، وتدمير وجودها وتحويلها من اداة اجتماعية بناءة الى اداة هدامة مخربة ، ويتبع تلك التربية ـ تربية التهريج ـ من يريد تحقيق اغراض شخصية بحتة ، والوصول الى الحكم من اسهل طريق ، يحقق اهدافه البسيطة تلك ، وقد يصل الى غايته التي يسعى اليها ويجمد ، ولكن المشاكل الاجتماعية تظل كما هي بل تستفحل دون ان يمسها احد بسوء ، لان الامراض الاجتماعية ليست من السهولة كما يتصور اصحاب نزعة (الحكم) و (القلة) ، بل ان وجود مثل هذه النزعات فى مجتمع ما ليكون مضاعفة مرضية خطيرة اذ ان هذه النزعة غالبا ما تكون مكونة من اقزام الثقافة ، ومشوهي الضمائر ، ومتعفني الباطن ، ومستهتري بالقيم الاخلاقية ، وهكذا تتضاعف ـ بهم ـ الامراض الاجتماعية ويصبح من شروط العلاج استئصال هذا الميكروب الخطير ، وبما ان المرض قد استشرى فعملية الاستئصال فى اعظم مظهرها يجب ان تكون تغييرا جذريا فى التركيب النفسي والثقافي ، واعادة التربية عن طريق التخلية ، ومن لم تنفع فيه تلك الطريقة فيجب ان يعالج بطريقة العزل الاجتماعي ، حتى لا يؤذي المجتمع بجذام خلقه ، وسرطان كيانه

والقيادة الاسلامية الجديدة ـ بما انها تنتسب الى الله يجب ان تدرك حق الادراك قيمة المصدر الذي تعتمد عليه ، واي قوة تتحدث باسمها ، فقد يستطيع الشخص ان يخدع الحاكم او الشعب ـ ولو الى حين ـ ويبدي له انه يتفانى فى حبه ويعمل من اجله ، ويسير فى طاعته ، ويستطيع ان يستغل ضعفه وغروره وغباوته فيقوم باسمه بادوار انتفاعية انتهازية ، ولكن هذا الشخص كائنا من كان لن يستطيع ان يخادع الذي يعلم السر واخفى ، فان حاول ذلك فان ربك لبالمرصاد .

ثم ان اي اعوجاج يصيب القيادة الاسلامية فانما هو طامة كبرى ، وعرقلة خطيرة للفكرة الاسلامية ذاتها ، من ذلك ان اعداء الاسلام الذين يتربصون به شرا سيقعون على الحجة الدامغة لاعلان فشل الاسلام فى حل المشاكل الاجتماعية ، وسيهتبلونها فرصة لاذاعة الامرين بين الشاكين والمذبذبين ، مع ان الذنب فى الفشل ليس ذنب الاسلام وانما الامر يتعلق بجريمة المتنفعين به ، والمجترين باسمه . زيادة على الاثار السيئة التي سيتركه فى نفس الراجين ، والضعفاء من المؤمنين ، وسيؤخر الدعوة الاسلامية فى البلاد الافريقية مثل ما قرانا من ان بعض المسؤولين فى تركيا عرضوا الاسلام على قادة يابانيين فرد عليهم هؤلاء بانه لو كان فى الاسلام خير لانقذ المسلمين الذين يعتنقونه .

ولهذا كانت مسؤولية انصراف الناس عن الاسلام وعن مجرد العرف عليه ليست واقعة على عاتق الاسلام بل على اولئك الذين يزعمون انهم اصحابه ، اولئك الذين اهانوا الاسلام فاهانهم الله ، وحاولوا استغلاله فاذلهم الله ، ونسوا الله فانساهم انفسهم ، اولئك الذين يقيمون الدليل تلو الآخر بسلوكهم الذي يصادم اخلاق الاسلام وعقيدة التوحيد بان الاسلام دين قد انقضى دوره فى الحياة ، وانه لا يليق بانسان متحضر ناضج قد تجاوز طور العقل الديني والعواطف المبتافزيقية ، وان كان الاسلام ـ فى الحق ـ اسمى من ان يكون ذلك الذي يشاهده السطحيون فى سلوك المجتمعات (الاسلامية) الحاضرة، واعظم من ان يكون وسيلة للطامعين ، ومطية للجبابرة المتسلطين .

ولهذا كانت رسالة القيادة الاجتماعية الجديدة لا تنحصر فقط فى الترويج للفكرة الاسلامية بوسائل المحاضرات والاذاعة ، والتمثيل والمقالة وانما اكثر من ذلك يجب ان تقيم من سلوكها القويم اعظم داعية للخير ، واعظم طريقة تربوية عملية ، اما الكلام والشعر والخطب ، والموعظة فقد اصبح كل ذلك عديم الجدوى ، ميت الاثر ، مسلوب النتائج .

وعلى هذا يكون عود الضمير ـ المتقدم فى الذكر ـ فى (كتاب مكنون) بعيدا كل البعد لتقرير حكم من احكام الطهارة من الاحداث ـ كما ذهب اليه بعضهم ـ في مقام يقتضي الرد بالتوكيد البليغ ، والقسم العظيم العظيم من الله ، وذلك ما يتعثر به الفهم ، ولا يكاد يسيغه الذوق السليم الا بتأويل بعيد ، وتكلف شديد للشبهات .

ايها المفسرون .. ايها الفقهاء.. ان ءايات سورة الواقعة قد نزلت لتقرير امر عظيم ، ورد زعم باطل افتراه المشركون وتقولوه على الرسول الامين ، الذي هو تنزيل من رب العالمين ، وذلك من شأن القرءان المكي فى تقرير اثباته من عند الله ، وبيان حقيقة من حقائق النبوة ، وصدق الرسالة ، ورد مزاعم المشركين ومفتريات الملحدين ، على ان الامر لو كان المراد به فى هذه الآيات نهي المحدث من الناس عن مس القرءان لكان الاسلوب غير هذا كما هو الشأن فى القرءان المدني لدى تقرير الاحكام ، وهي على كثرتها ما عهد فيها بيمين ولا اقسام من الله كما جاء فى ءايات الواقعة التي لا علاقة لها بتاتا بنهي المحدثين ـ سواء كانوا مؤمنين ام غير مؤمنين ـ عن مس المصحف المعهود ، وهو يومئذ لم يكن تاما ولا مجموعا فى كتاب ، وان كان هناك نهي عن مسه ولو جزءا منه ـ كما يقول الفقهاء ـ فبنص الحديث الشريف ، لا بنص القرءان الكريم ، كما يأتي ذلك قريبا فى هذا البحث .

وعلى هذا جرى مفسرو السلف من الائمة الهداة الثقات ، وفى طليعتهم الامام محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى ، فقد اتى فى تفسيره الكبير (جامع البيان) بعدة روايات لهذه الآيات الثلاث : (انه لقرءان كريم فى كتاب مكنون، لا يمسه الا المطهرون) عن الصحابة والتابعين المعتمدين من اصحاب ابن عباس وغيره ، كمجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير ، وعكرمة، وجابر بن زيد ، وابي نهيك ، وابي العالية الرباحي . وعندما ختم ابن جرير هذه الروايات المتفقة كلها على ان المراد بالكتاب المكنون : هو الذي فى السماء ، و (المطهرون) هم الملائكة وامثالهم من عباد الله المكرمين ـ عقب على ذلك بقوله ـ كعادته ـ مما يصح عنده ويرجحه ويختاره من الروايات ، فقال :

والصواب من القول فى ذلك عندنا : ان الله جل ثناؤه اخبرنا انه لا يمس الكتاب المكنون الا المطهرون ولم يخصص بعضا دون بعض ، فالملائكة من المطهرين، والرسل والانبياء من المطهرين ، وكل من كان مطهرا من الذنوب فهو ممن استثنى .

هذا ما قاله الامام ابن جرير الطبري ، وما اتى به من الروايات من دون ان يأتي برواية واحدة ـ ولو ضعيفة ـ تقول بنهي المحدثين عن مس المصحف القرءاني ، فما السر فى ذلك يا ترى ؟

اما المفسرون الآخرون ـ قديما وحديثا ـ فالكثير منهم يأتي « بالوجهين » وبعضهم ينتصر لهذا والبعض الآخر ينتصر لذاك ، حسب الاطلاع والتعمق ، او تبعا للميول الخاصة ، والتأثر بالمذاهب.

على انه قليل ـ وقليل جدا ـ من اقتصر منهم على ان النهي فى الآية يراد به الخبر ، وان « الكتاب المكنون » هو القرءان نفسه ، « والمطهرون » هم المتطهرون من الاحداث ، كما قاله جلال الدين المحلي فى التفسير المشهور بالجلالين ، وهو التفسير المتداول بين عموم القاصرين ، ويكاد يكون عند هؤلاء هو الحجة القاطعة ، والقول الفصل .

وماذا عسانا ان نقول فى اقتصار هؤلاء على هذا الوجه القاصر ، فهل كان ذلك اختصارا ؟ وتبعا للمذهب الخاص ؟ ـ كما ذهب اليه بعض من الف فى احكام القرءان ـ قد يكون هذا او ذاك ، مجتمعين او منفردين .

ولك ـ ايها القارىء الكريم ـ ان تراجع ذلك بامعان وانصاف ـ متجردا من كل تأثر ـ وقابله بما اتى به الامام ابن جرير الطبري فى تفسيره الكبير ، وما ساقه الامام ابن حزم من الادلة والشواهد والردود فى كتابه القيم « المحلى » فانك تقف على فوائد جليلة وعلم غزير .

وانظر ـ كذلك ـ فيما روي عن قتادة فى ءاية « لا يمسه الا المطهرون » انه قال : ذاكم عند رب العالمين « لا يمسه الا المطهرون » من الملائكة ، فاما عندكم فيمسه المشرك النجس ، والمنافق الرجس .

وقد روي عن الامام مالك رحمه الله ، انه قال احسن ما سمعت فى الآية « لا يمسه الا المطهرون » انها

أضواء على آيات قرآنية

للأستاذ
حسن بغدادي القادري

- 2 -

عــودا على بدء لانهاء بحثنا المنشــور بالعــدد السـالف ، تحت العنوان اعلاه حول الآيات الثلاث مــن سورة الواقعة ــ وذلك قول الله عــز وجل : (انــه لقرءان كريم فى كتاب مكنون ، لا يمسه الا المطهــرون تنزيل من رب العالمين) ــ وكيف فهمها بعض المفسرين وطائفة من الفقهاء المقلدين ، فهما لا يتفق وما عنــاه الله فى كتابه المبيــن ، وهو الساطــع نــوره ، تكشف اضواؤه المنبثقة من الآيات الاخرى فى اللفظ والموضوع فتزيد المعنى وضوحا واشراقا .

ان القرءان لا يتجزأ فى معانيه بتناقض او اختلاف وكثيرا ما يفسر بعضه بعضا ، فما تجد منه مجملا فى ءاية فهو مفصل فى ءاية او ءايات اخــر ، وما اسهــل ذلك على من يستقرىء ءايات التنزيل ويتتبعها بتدبر وامعــان .

ولكن ، كيف غاب كل ذلك عن هــؤلاء واولئك ؟ فذهبوا يتخبطون ويشطون عن الصواب ، مبتعدين عن الفهم القريب السليم ، بل اخذوا يتكلفون ما لا لزوم له ، فجاء تأويلهم مجحفا ، وتفسيرهم مخلا بالمعنــى المراد ، اخلالا يتنزه عنه القرءان ــ وهو اعظم سفــر واجل كتاب فصاحة وبلاغة ، لا يتضارب ولا يتناقض ، ولا يختلف فى مبناه ولا فى معناه ، يؤيد ءاخــره اوله ، ويوافق لاحقه سابقه ، من غير انتقاض ولا اختلاف ، قال تعالى : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كبيــرا) .

نعم ، كانت تأويلاتهم بعيدة عن فهم كتاب اللــه الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) .

نقول هذا ونكرره ، وحجتنا القــرءان نفســه ، ودليلنا كلام العرب الذين نزل بلسانهم المبين وكفــى بالله حجــة ودليــلا .

ومما يزيد المعنى وضوحا ــ فى الآية الكريمة ــ من ان المراد غير ما ذهب اليــه بعضهم من الفهــم والتأويل : هو عود الضميــر ــ فى قولــه تعالــى : (لا يمســه الا المطهرون) الى (كتاب مكنون) وهو اقــرب مذكور ، حسب (القاعدة المعروفة) ولا قرينة هنا تصرفه الى البعيد ، فيكون من الأسبق بل من الاولى والاحق ان يعــود الضمير الى القــريب وكفى . وذلك مــا يتبادر الى الفهم ، فان البسـاط يخصص ، والقرينة حاكمة : ان المــراد من الاية الكريمة هو نفي وصــول الشياطين الى هذا « الكتاب » ومسه يكون بالتلقي عن الله ، وبالاخذ والانزلاق من السـماء ، وهذا الكتاب عند الله مكنون مصون « لا يمســه الا المطهرون » وهــم الملائكة ، اما الشياطين الانجاس فما ينبغي لهم ذلك وما يستطيعون ، (انهم عن السمع لمعزولون) كما جاء فى ءاخر سورة الشعــراء .

وقد يعجبني ما قرره شيخ الاسلام ابن تيميـة رحمه الله ان الاستدلال بالآيـة علـى ان المصحف لا يمسه المحـدث بوجه ءاخر ، فقال : هذا بـاب مـن التنبيه والاشارة ، اذا كانت الصحف التي فى السماء لا يمسها الا المطهرون ، فكذلك الصحف التي بايدينـا من القرءان لا ينبغي ان يمسها الا طاهـر ، والحديث مشتـق من الآيــة .

هذا ، وقد يقول قائل : ما قولك فى الرواية التي تحكي عن اسلام عمر بـن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين دخل على اخته وزوجها مقتحما عليهما الباب وهو فى غضب وهيجان لاسلامهما ـ او صبئهما كمـا يقول المشركون ، ومنهم عمر قبل اسلامه وقد وجدهمـا يقرءان فى صحيفة (سورة طه) فقال لاخته ناولينـي الصحيفة ، فاجابته : انك مشرك نجس ، والقرءان لا يمسه الا المطهرون ، فامتثل عمر وتوضأ .

اقـول : الله اعلـم بثبوت هذه الروايـة ـ او بصحة بعض ما جاء فيها ـ وفى نفسي منها شيء ، منها امتثال عمر ولينه لقول اختـه ـ بهـذه السهولـة ـ واستجابته لامرها فيغتسل فورا ليقرأ هذه الصحيفة وهو لا يزال باقيا على شركه وعناده ، وفى ذلك مـا يخالف المعهود من طبع عمر ، وشدة بأسه ومراسه ، واذا سلمنا ان الله عندما اراد هـدايته ، الان قلبـه واسلس قيـاده .

فما قول سادتنا الفقهاء فى صحة طهارة الكافر المشرك ؟ هل تصح منه الطهارة ؟ او هي مشروطـة بالايمان والدخـول فى الاسلام او لا ؟ ليصح منـه الغسل او غيره من انواع العبادات .

وعلى تقدير ثبوت هذه الروايــة ـ بكل ما جـاء فيها ـ وبصحة هذا الحكم ـ فهناك شيء يتعـارض معها . وهو مكتوب النبي (ص) الذي بعث به مع دحية الى هرقل عظيم الروم ، وفيه شيء مـن القـرءان ، والمبعوث اليهم نصارى ، والنبي (ص) يتيقـن انهـم يمسونه من غير طهـارة .

وشيء ءاخر ان هناك رواية ـ لم اتمكن مـن صحتها بعد ـ تقول : ان الآية (لا يمسـه الا المطهرون) وهي من سورة الواقعة ـ قد نزلت بعد سورة طه فى رواية جابر بن زيد التابعي المشهـور ـ وهـو ثقـة جليل ، وقد جاء ذلك فى تحقيق الامام ابراهيم البقاعي فى كتابه « نظم الدرر فى تناسب الآيـات والسـور » مخطـوط .

وكذلك قول اخت عمر له : (انك مشرك نجس) وهذا ما عرف ـ بين المسلمين ـ الا بعد الهجرة وفى ءاخر ما نزل من القرءان فى سورة بـراءة : (انمـا المشركون نجس) فليتأمل المتأملون .

وعليه ، فاذا تحقق لديك هذا ادركت الصواب من القول ، والراجح من الوجوه المذكورة ، وما بعـد البيان الالهي من بيان (ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب) ومن يتدبر كلام الله ويعتصـم به (فقد هدى الـى صراط مستقيم) نور على نور يهـدي الله لنوره مـن يشـاء .

وختامـا ـ نضع هذا ـ وكل ما ذكر قبله ـ فى هذا البحث من اوله ـ تحت اضواء الكتاب والسنـة وبلاغة العرب ـ امام اخواننا العلماء المتضلعيـن مـن علوم القرءان والحديث ، متشوقين الى زيادة ما عندهم من تحقيق او مراجعة فى الموضوع بكل ما له او عليه مع كامل القبول ومزيد الترحيب ، تنويرا للاذهان ، وخدمة للحقيقة المنشودة التي هي ضالة الجميـع ، وفـق اللـه واعـان .

والى اللقاء فى بحث ءاخر ان شـاء اللـه .

يتبـــع

بمنزلة الآية ــ فى سورة عبس ــ (فمن شاء ذكره فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة)

وهذا النوع من تفسير القرءان بالقرءان هو اجل تفسير ، وابلغ بيان ، باتفاق جميع العلماء .

وكذلك هذه الآية من سورة الواقعة (انه لقرءان كريم ، فى كتاب مكنون) هي بالضبط نظير قوله تعالى فى سورة البروج (بل هو قرءان مجيد فى لوح محفوظ)

فالآيتان متشابهتان فى اللفظ والمعنى ف (قرءان كريم) هنا ، مثل قوله (قرءان مجيد) هنا و (فى كتاب مكنون) متيله : فى لوح محفوظ ، سواء بسواء ، فكل واحدة من الآيتين تفسير للاخرى تماما وكمالا من غير تناقض ولا اختلاف .

وخلاصة القول : ان (سورة الواقعة) هي فى الواقع نزلت لامر هام اهم من تقرير حكم بطلب شيء أو تركه، وقد ساقها الله تنزيها للقرءان ان تتنزل به الشياطين ، وردا لافتراء المبطلين من اهل الشرك والالحاد ، فجاء سبحانه وتعالى بالقسم العظيم : ان هذا القرءان لكريم ، وان محله لفي اعلى عليين ، لا يصل اليه ولا يمسه الا المطهرون من عباد الله المكرمين . فيستحيل على اخابث خلق الله وانجسهم ان يصلوا اليه فضلا عن أن يمسوه او يتنزلوا به (وماينبغي لهم وما يستطيعون) كما جاء فى ءاخر سورة الشعراء وما ورد فى اول سورة الزخرف من قوله تعالى : (انا جعلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون ، وانه فى ام الكتاب لدينا لعلي حكيم) وكذلك فى سورة عبس : (فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة) فوصفه تعالى ومحله بهذه الصفات بيانا ، ان الشيطان لا يمكنه ان يتنزل به ، وتقرير هذا المعنى اهم واجل وانفع من بيان كون المصحف لا يمسه الا طاهر ، وانه ابلغ فى الرد على المكذبين ، وابلغ فى تعظيم القرءان من كون المصحف لا يمسه الا طاهر .

وزيادة على ذلك : فان قوله تعالى : (لا يمسه) (برفع السين) هو خبر لفظا ومعنى ، ولو كان نهيا لكان منصوبا (شأن المضارع المضاعف) ومن حمل الآية على النهي ، احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهي ، والاصل فى الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته ، وليس هنا ما يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهي .

وهناك نظرة اخرى فى المستثنى حيث قال تعالى (الا المطهرون) بتخفيف الطاء وتشديد الهاء المفتوحة (اسم مفعول) ــ ولو اراد به منع المحدث من مس المصحف لقال (الا المتطهرون) ــ (اسم فاعل) ــ كما قال ــ فى سورة البقرة ــ : (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وفى الحديث (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) فالمتطهر فاعل التطهير والمطهر الذي طهره غيره ، فالمتوضيء متطهر والملائكة مطهرون .

وهناك ــ ايضا ــ وجه ءاخر من الوجوه المرجحة فيما ذهب اليه المحققون ، وذلك انه لو اريد به المصحف الذي بأيدينا لم يكن فى الاخبار عن كونه مكنونا كبير فائدة ، اذ مجرد كون الكلام مكنونا فى كتاب ، لا يستلزم ثبوته ، فكيف يمدح القرءان بكونه مكنونا فى كتاب ، وهذا امر مشترك ، والآية انما سيقت لبيان مدحه وتشريفه وما اختص به من الخصائص التي تدل على انه منزل من عند الله ، وانه محفوظ مصون لا تصل اليه شيطان بوجه ما ولا يمس محله الا المطهرون . وهم السفرة الكرام البررة .

وعليه ، فبحسب هذه الوجوه المقررة ، وما اتينا به من الدلائل قبل ، يتضح المعنى لمن يتدبره بادراك حر ، وفهم نزيه ــ بعيد عن التقليد والتعصب الذي يحجب الفهم ويغلق باب الادراك ــ انه لا دليل من الآية الكريمة على مس المصحف كما هو السائد الشائع عند اكثر الناس ، فان الآية فى ناحية ، وفهم المقلدين فى ناحية اخرى ، وان ما يذهب اليه بعضهم من كتابة قوله تعالى ــ على جلدة المصحف الشريف ــ بارزة او مزخرفة ــ هم فى ذلك مخطئون كل الخطأ ، ولا دليل لهم من الآية الا التقليد .

على انهم لو رجعوا الى السنة لوجدوا بها الذى يطلبون ، فقد روى اصحاب السنن من حديث الزهري عن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده أن فى الكتاب الذي كتبه النبي (ص) الى اهل اليمن فى السنن والفرائض والديانات) ألا يمس القرءان الا طاهر) وقد رجح العلماء صحة ما رواه ابن حبان فى صحيحه ومالك فى الموطأ ، ثم الآثار بعد ذلك كثيرة .

الجزائري دامت نحو العقدين من السنين استطاع المستعمرون احتلال البلاد الجزائرية حتى اعماق الصحراء وذلك سنة 1857 .

وهكذا ظلت حركات التسرب الاستعمارية مستمرة طيلة القرن التاسع عشر فى افريقيا وءاسيا وعلى الرغم من محاولات البرتغاليين احتلال الشواطيء المغربية فقد وقف الشعب المغربي ، وكان وحده فى المعركة ، ان يرد كيد الغزاة ، لكن الضربات المتوالية من قبل الاسبان ثم الفرنسيين ادت الى انهاك قوى البلاد والزج بها فى حالة مزرية من الفوضى والاضطراب انتهت باحتلالها واقتسامها من طرف الدول الكبيرة المستعمرة .

وكذلك مرت بالتجربة كل الاقطار الاسلامية فى الربع الاخير من القرن الماضي حسب التسلسل المعروف لدى الجميع ، وكانت الظاهرة الهامة فى هذا الاحتلال هي التجزئة لتلك الغنائم ، واخذ الاقاليم او المناطق الاسلامية كل على انفراد مما سهل مهمة المستعمرين المقامرين .

لكن هذا التدهور السياسي للعالم الاسلامي لم يكن نتيجة بلا سبب ، فقد حلت بهم الكارثة حين تفرقوا فى المذاهب ، وحين انقسموا شيعا فى النواحي الفكرية والفلسفية ، ثم حين عجز الفكر الاسلامي عن مسايرة التطور فى البحث فجمدت القرائح واغلق باب الاجتهاد واقفلت ابوابه حيث لم يعد هناك من هو فى استطاعته ان يبحث ويحقق فى الدين ويأتي بجديد ، هذا الجمود فى التفكير ، صاحبته ايضا روح التواكل والقدرية مما ادى الى التشبث بالقشور وترك اللباب وهو الذي عمت به البلوى حيث سمح للجهل ان يتفشى فى جميع اقطار الاسلام بلااستثناء . الامرالذي ادى بدوره الى انتشار الخرافة والفوضى الدينية التي لا تزال الدعوة الاسلامية تعاني منه فى كثير من اجزاء الوطن الاسلامي .

وهكذا وقع الاختلال فى الحياة الاجتماعية للبلاد الاسلامية التي كانت مصدر الاشعاع ، لقد اختل التوازن بين هدف الدعوة الاسلامية وبين الوضعية الاجتماعية ، ذلك ان الاسلام دين القوة بكل مظاهرها دين النظر فى الكون دين البحث والعلم ، دين الثقافة والوعي الانساني ، لا دين الخرافة والسطحية .

لقد كانت الدعوة الاسلامية فى العصور الاسلامية الزاهرة تنتمي ، لمذ قرون ، الى دولة قوية ذات فعالية بمجتمعها الحي اليقظ ، وذات تأثير هام فى حركة التقدم الانساني ، وقد اتضح ذلك على الخصوص فى عهد الامبراطوريةالعربية ، ثم العباسية ، ثم بعد قيام الدويلات الاسلامية فى الشرق والمغرب حتى منتصف القرن الثامن الهجري .

ومهما كان تاثير الانقسامات السياسية التي فتتت وحدة الامبراطورية الاسلامية بعد العباسيين فان تلك الدويلات كانت فى الواقع تتنافس على الحكم وعلى العمل الجدي من اجل التقدم الحضاري ، كان تنافسها فى صالح خدمة العلوم المعروفة ءانذاك واستجلاب العلماء الافذاذ والادباء الفطاحل واكرامهم والافتخار بهم ، وكان ذلك عاملا من العوامل المشجعة لروح النشاط والوعي ولقوة العالم الاسلامي لكن الخلافات المذهبيةقد ادت الى نوعمن القطيعة والتنافر الشديد بين الطوائف الاسلامية وطالت تلك الخلافات وتشعبت منذ القرن السابع والثامن ، فاصبح هناك فقهاء ، وفلاسفة ، ومتصوفة ، الى جانب الشيعة واصحاب السنة ، واهل الراي والمحدثين ، وكل طائفة من هذه انقسمت على نفسها فذهب المسلمون شيعا متناحرة ، وكان لهذه الانقسامات الفكرية والعقائدية الى جانب الانقسامات السياسية ، كان لذلك كله ءاثار سيئة بعيدة المدى فى الرابطة الاسلامية فحل الضعف والانحلال فى معاقل الاسلام وفى تلك الاثناء خلال القرن السابع قام بعض علماء الاسلام يدعون الى الوحدة والتسامح والبعد عن التناحر ثم الرجوع الى الدين الصحيح الصافي فى اصوله ومنابعه الاولى وهي القرءان والسنة ، كان زعيم هذه الحركة هو ابن تيمية ومن بعده ابن القيم الجوزية صاحب الارجوزة المشهورة ، لكن الواقع هو ان الكارثة حلت ولا محيص عنها ، فقد توجه ابن تيمية الى جميع الطوائف المتناحرة فلم يجد منها طائفةتريد ان تسير على صواب،

التلقائية في انتشار الاسلام

للاستاذ رشيد نجار

- 2 -

في الحديث السابق عالجنا باجمال بعض المظاهر والمراحل الهامة فى تطور انتشار الاسلام تلقائيا، وعرفنا بشكل مجمل ايضا كيف ان هذه التلقائية قد توقفت نسبيا فى الاعصر الاخيرة ، بعد ان كانت حركة واسعة النطاق ، ادت الى نتائج باهرة ستظل خالدة فى تاريخ التطور الانساني .

لقد ثبت لي من خلال ملاحظة تعداد السكان فى جزر الهند الشرقية مثلا او جنوب ءاسيا بشكل عام ، ان حركة التلقائية فى الاسلام قد كسبت كثيرا من الكتل البشرية ، بعد ان توقف سيل الاسلام ، ولا شك ان لهذه الظاهرة علاقة بالروح السلمية التي جاء بها الاسلام من جهة ، وروح المسالمة التي تمتاز بالتشبث بها شعوب ءاسيا الهادئة من جهة اخرى . وبودي ان اتعرض لبعض الظواهر التي اعتقد انها ستفسر ولو بعض الشيء الاضطراب والتوقف احيانا فى انتشار الاسلام ، بالاضافة الى ركود هذا الاشراق والاشعاع الروحي فى الدعوة الاسلامية داخل الاقطار العربية على الخصوص : هذا الركود الذي يجب ان نحاربه باعصاب هادئة وقلوب مؤمنة ، لان الحقيقة الساطعة هي ان فاقد الشيء لا يعطيه كما يقال .

والعالم العربي هو الذي كان المركز الاول لاشعاع الاسلام بلا مراء لا لانه يحتكر الدعوة الاسلامية التي جاءت هديا للعالمين ، بل لان هناك عاملا اساسيا لا يمكن التغاضي عنه فى امور الديانات والدعوات او فى نشأة الامم بصفة اعم ، ذلك هو عامل اللغة ، واللغة العربية هي التي تلقت احكام الاسلام فى نصوص بليغة واضحة يعجز عن مثلها حتى العرب الفصحاء انفسهم ، وهو مضرب المثل فى الفصحاء ، وهذا يعني ان طالب القوة والوضوح فى الدعوة الاسلامية لابد له من تعمق العربية ، او الاخذ منها بنصيب وافر .

وفى اعتقادي ان اهم الظواهر فى توقف حركة التلقائية ، او روح الاشعاع الاسلامية ترجع فى اساسها الى حالة المسلمين من جهة ، ثم الى تقهقر اللغة العربية من جهة ثانية ، وعجزها عن متابعة الدعوة الاسلامية ومصاحبتها الى الاقطار النائية ، واخيرا الى طغيان الحركات الاروبية الاستعمارية وما صاحبها من مذاهب وحركات وافكار منحرفة ، وفى مقدمة تلك المذاهب او الحركات نجد المذاهب المسيحية او حركات التبشير ، وهي التي وطدت للقوات الاستعمارية المادية والفكرية بجميع مظاهرها ، وهنا ايضا نلاحظ الاساس الاول فى نجاح تلك الحركات ، فاللغات الاروبية التي انتشرت بين الشعوب المستعمرة وانشأت بينها وبين الدول المستعمرة نوعا من الرابطة الضرورية او الاجبارية ، منحتها اسلحة حادة ستظل الشعوب المستعمرة تعاني من سمومها اجيالا طويلة .

حالة المسلمين : كانت اهم نقط الارتكاز للاستعمار الاروبي الحديث بالنسبة للشعوب الاسلامية ثلاثة : اولها السيطرة على جزر الهند الشرقية منذ بداية القرن السابع عشر من قبل هولاندا ، وذلك بعد السيطرة الاقتصادية التي قامت بها شركة الهند الشرقية الهولاندية منذ سنة 1609 ، اما نقطة الارتكاز الثانية فكانت بلاد الهند حيث تأسست بها ايضا شركة الهند الشرقية البريطانية سنة 1600 ، وعملت على السيطرة على جميع مقدرات وامكانيات البلاد اقتصاديا ، ثم انتهت العملية باحتلال الهند سياسيا ، وتم ذلك رسميا فى سنة 1857 ، وكانت نقطة الارتكاز الثالثة للاستعمار هي محاولة النزول فى افريقيا : ولما فشلت حركة السيطرة على مصر فى حملة نابليون اتجهت انظار الاستعماريين فى فرنسا الى الجزائر التي تم لهم النزول فيها منذ سنة 1380 ، وبعد مقاومة عنيفة من طرف الشعب

أبحاث ومقالات

الشخص وشخصانية

بقلم الدكتور
محمد عزيز الحبابي

كان سقراط يدعو معاصريه الى التأمل الصحيح ، في ذاتهم ، لكي يشعروا ، في اعماقهم ، بما هو انساني نوعي عند كل شخص . ومنذ ذاك ، اصبحت ، ولا زالت ، مشكلة معرفة الذات ، المشكلة الرئيسية في الفلسفة المدرسية ، وصار ، ولا زال ، المنهج التأملي اداة هذه المعرفة . بيد ان الفلسفة اكتسبت ، عقب ذلك ، غنى ، بسبب ظهور مشاكل جديدة ، فكان لزاما ، اذن ، تجديد منهج البحث الفلسفي . نتجت هذه الانقلابات ، بطريقة مباشرة ، وحتمية ، عن الكثافة الجديدة التي يكتسبها مدلول « شخص » دونما انقطاع ، في الحقل التشريعي (قانونيا وسياسيا) وفي الحقل الفلسفي الانساني العام .

ان الشخص لا يعرف ، كما حاول ءاخرون ان يعرفوه ، بالتيار الحيوي ، ولكن الحركة الهدفية التي تجعله دائما مقدما عليها ، هي المحددة له . فالبنية الوظيفية ، لكل شخصية ، تخضع لقابلياتها وامكانياتها ، كما تخضع للمواقف والحاجات ، واخيرا للبيئة . ان احصاء مجموع هذه العوامل ينحصر في التحديدات الحالية ، في فترة معينة من الحركة المشخصة . فمن وجهة السيكولوجيا المجتمعية ، لا توجد تحديدات اخرى غير السابقة . يقول جيوم : « لا يمكن القيام بأية دراسة واقعية ، لنمو الشخصية ، الا اذا اعتبرنا الوسط الذي يجب على الطفل ان ينسجم فيه . لكن الوسط المجتمعي على الخصوص ، هو الذي غالبا ما يجعل الانسان امام المشاكل الاكثر تعقيدا وصعوبة » (*) . فالفيلسوف الميتافيزيقي لا يقف عند حدود المشكل السهل ، الحاضر عند حدود المظاهر البسيطة القابلة للتغيرات ، الا ليجاوزها . انه لا يقف عند الاشياء المقنعة الا ليثب من مستواها الى مستوى ما لم يلبس القناع بعد . هكذا يفعل بالنسبة للكائن البشري . يرتفع من الشخص المحرر من العوائد ، وضغط رقابة المجتمع ليصل الى الانسان . لا يجوز لنا ان نقول ، بأن الشخص ليس الا شخصية أزيل عنها القناع ، ما دام الشخص صيرورة تطغى على كل تحديد ، لما لها من غنى وامكانيات ، انها ترمي الى تحقيق الانسان ، كما يرمي جهاز ما الى تحقيق حالة توازنه ، الشخص هو الممكن في توتر نحو اللانهائية . فمحاولة تعريف الشخص ، بالنسبة الى الشخصية ، محاولة تحدد من ديناميته ومن امكانياته ، وتجمده في مراحله الاولى . لقد وصف (لاورانس) الصعوبات التي نلاقيها حينما نريد ان نتخلى عن شخصية لنتظاهر بشخصية اخرى . فلننصت اليه يحدثنا عن تجربته في هذا الموضوع : « حينما صرت اعيش بزي العرب ، وأتكيف في قالب ذهنيتهم ، شعرت بان شخصيتي الانجليزية انتزعت مني : هكذا استطعت ان اشاهد الغرب وعاداته بعيون جديدة ، كاني صرت منفصلا عن الغرب كامل الانفصال. لكن ، كيف السبيل الى اكتساب ما يجعلني عربيا ؟ لم تكن محاولاتي الا تصنعا محضا . انه من السهل أن يضيع لشخص ايمانه ، ولكنه من العسير ، بعد ذلك، ان يصل الى ايمان جديد . فكوني تخليت عن شكل دون ان اكتسب شكلا جديدا افقدني كل استقرار . . » (*)

* * *

الشخصية هي المنتهى المشترك لظاهرات تتعلق بالسيكولوجيا الفردية، وبالسيكولوجياالمجتمعية

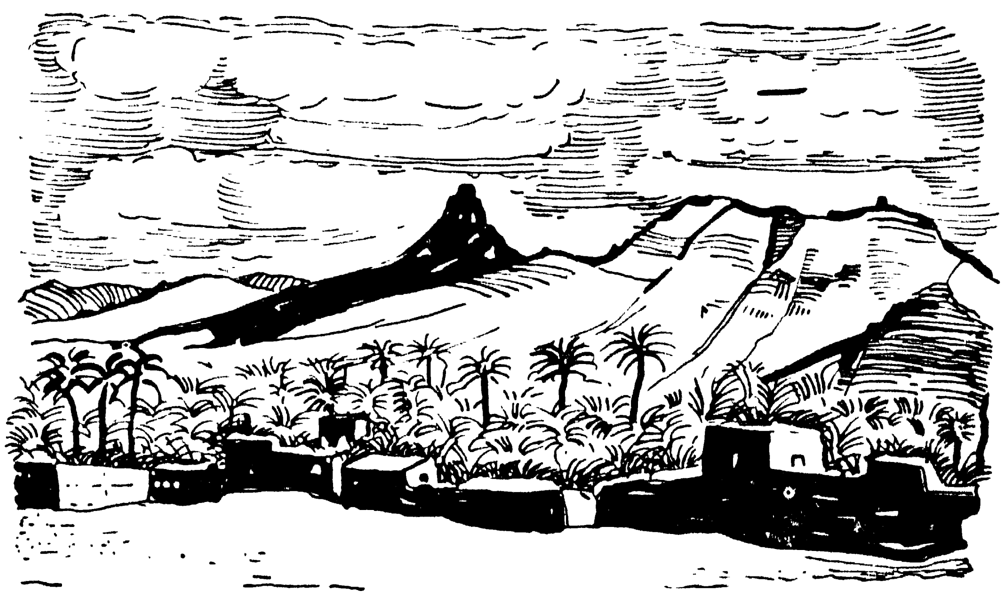
---

* L. Guillaume, La psychologie de l'enfant, p. 52
* T. E Lawrence, **Les sept piliers de la sagesse,** p 43.

بل كل يسفه الاخر وينتقده ويصمه حتى بالكفر ، وهكذا اتهم المصلح الكبير ابن تيمية بالخروج عن الجادة ، لانه لم يترك احدا لم يهاجمه ، فكاد له الجميع ، وانتهى امره الى السجن حتى مات .

هذه هي الحال المزرية التي حلت بالمسلمين وادت الى طمس معالم الدعوة الاسلامية : انقسامات فى الميدان السياسي ، وانشقاق فى الناحية الفكرية ، وجمود بعد ذلك فى التفكير فكان لابد من ان تتوقف تلك الاشعاعات الروحية الخالدة التي عرفتها الدعوة الاسلامية فيما قبل ، لكن هناك عامل اهم من كل ذلك قد ادى الى سيطرة العجمة والجهل فى الاقطار الاسلامية ولاسيما العالم العربي، وذلك هو التأخر المخزي الذي حل بلغة القرءان على عهد الخلفاء العثمانيين . فما هي اسباب ذلك ؟ وما هي نتائجه المباشرة على الدعوة الاسلامية ؟

ذلك ما سنراه فى البحث القادم عن اللغة العربية وتخلفها عن مصاحبة الدعوة الاسلامية ، ثم ضغط اللغات المسيحية الاروبية واثره فى الصراع بين المسيحية والاسلام .



...سفة المدرسية : فاللحظة موجودة ، وغير موجودة ...ان واحد ، فهي من هذه الوجهة ، تماثل النقطة الهندسة ، توجد النقطة ، ما دمنا نتحدث عنها ، ... دمنا نرسمها على الورقة وعلى السبورة ، ولا ...جود لها ، اذ انها لا تخضع لاي وضع من الاوضاع . ...لحظة تنطبق تماما مع الشخصية ، نقول « هذه ...لحظة » كأننا نتكلم عن موجود ، ولكنا لما ننتهي من ...الكلام عنها حتى تكون قد انعدمت . فالفاصل بين ...الوجود والعدم ، غير ثابت ، ولا محسوس ، ولا دقيق. ...الماضي **ما لم يبق** ، انه **ما** قد كان . لقد اصطدم ...رجسون) بمشكل اللحظة ، وعبر عنها معتمدا على ...ما كان له من نظريات حول الماضي . اللحظة في نظره ، هي في نفس الوقت ، ما يقوم ، حاليا ، بنشاط ، وما ...يجرد ، نهائيا ، عن النشاط ، انها تحيا ، وعند الآونة التي نحيا فيها ، تكون قد جاوزت حياتها وبما ان

فلسفة برجسون ، فلسفة التطور والحركة ، فالديمومة لا تقبل الا استرسال المطلق . فالكائن ملقى ، في تتابع لحظات ، يجاوز بعضها البعض ، دون انقطاع. من هنا انقلبت مشكلة اللحظة الى مشاكل التتابع ، ففي داخل الشخص ، تمتد الشخصيات وتسترسل ما دام كل شخص يحمل ، في صميمه ، كل الشخصيات الممكنة ، ويحتفظ بمجموع الشخصيات الماضية ، فلنفرض اننا نستطيع ان نرجع القهقهرى في تاريخ شخص لنكشف عما انتجته صيرورته من شخصيات ، فشخصيته الحالية ستكون الحلقة الاولى في سلسلة مراحل التشخيص ، تنقلنا من شخصية لاخرى ، حتى نصل الى نقطة البداية ، اي اللحظة التي ليس وراءها شيء ، اللحظة التي ظهر فيها الكائن الخام ، لقد صدق (وليام جيمس) في قوله ، ان الذي يملك الانا الاخير : يملك كذلك الانا الذي قبل الاخير ، اذ ان الذي يملك المالك يملك المملوك » (*)

* W. James, **Précis de psychologie**, p. 265 (2e édition de la trad. fr., Paris, 1910).



داخل مجموعة من الشروط اللازمة للسلوك ، ازاء المواقف الحالية .

ينطبق هذا التعريف على الناحية من الانا التي لها من بعض الوجوه وحدة واستقرار يشبهان الوحدة والاستقرار اللذين نطلقهما على الموضوعات . ويصبح هذا التعريف غير صالح بمجرد ما يريد ان يدخل فيه ما ليس **هنا ـ الآن** ، ويجاوز «الحاضر» ، اي كل ما لا يمكن ان يتصف بـ « الحضور » حالا او استقبالا) لانه دائما يحيا ، **سابقا** على حاضره اي يحيا في المستقبل . فللطالب ، مثلا ، شخصية حالية ، هي الشخصية المحددة في ورقة هويته ، والتي تملأ حقل وعيه في « **الآن** » . بيد ان الطالب يشعر بتوتر داخلي ، اي بقوة تدفعه الى « الشخصية » التي يرمي لان يصبحها ، وهذه **الشخصية ـ النزوع** ليست حدا نهائيا ، فمن الممكن تجاوزها ، لان امكانيات الطالب لا تعطى ، برمتها ، دفعة واحدة ، انها تبرز حسب تتابع تصاعدي ، كسلسلة من الشخصيات يمكن تصورها . من الجائز ان تنضب امكانيات الطالب، فيبقى دون ما كان يصبو اليه ، على أن الشخصية التي يرمي اليها غاية ، بالنسبة للوضع الحالي ، ولو استحال تحقيقها في المستقبل .

اذا صح ما تقدم ، جاز ان نقول بان الشخص ليس بشخصية واحدة ، ولكنه عدة شخصيات ، فهو في كل فترة من حياته ، **ما لم يكن من قبل** ، وسيصير **ما لم يكن ابدا** . ذلك أن الامكانيات تستطيع ان تذهب الى ابعد مما يتوقع منها ، كما ان التشخيص يمكن ان يتخذ سرعة تتعدى نزوع البداية . ولنضرب لذلك مثلا : (باستور) حينما كان طالبا ، عوضا من ان ينغلق على ذاته ، فينحصر تشخصنه في النزوع الى شخصية استاذ ، دفعته امكانياته الى مرحلة اصبح معها ، يشعر انه ملك لمجموع البشرية ، لا لذاته فحسب. ويقال مثل هذا عن اعلام الانسانية ، مثل طاليس وابن سينا .. فقوة التفتح التي اكدت شخصيتهم وفرضتها ، جعلتهم ملتزمين بالعمل على تحقيق اهداف تتعدى نطاق اشخاصهم ونزوعاتهم الاولية . فالفعل الذي يؤكد وجود الشخص ويفرضه ، هونفس الفعل الذي يفتح له مجال التعالي . كل نشاط نقوم به ، يحدث تغيرا فينا . كانت (ماري كوري) ، وهي ما تزال طالبة ، تصبو الى أن تصير استاذة ، ولكن تشخصنها ذهب بها الى ابعد مما كان يخطر بالها ، فقامت ببحوث خطيرة لتقدم العلم ، ولصالح الانسانية . فاحترقت اصابعها وتعرضت لاخطار اخرى ، ولكن ذلك لم يحدث اي فتور في عزيمتها : فالتفاني ، في خدمة العلم ، يحدث حماسا لايضاهى ، ينسى معه العالم ذاته ، كالفناء الذي يدعيه الصوفية. فيصبح الباحث او الفنان في عالم يتعدى حدود الاسرة والوطن وتمتزج نزوعاته في الحياة بأهداف الانسانية جمعاء : اسرته هي البشرية ، ووطنه هو المخبر ، لقد جاوز مستوى الشخص ، وحقق الانسان .

في هذه المرحلة ، ينفصل الانا عن الانانية ، فيندمج مصيره في مصير النوع البشري ، مما يكسبه ثروة وحرية لا حد لهما . فالشخص لا يكتمل في الانسان ، الا بقدر ما يشعر انه هو مجموع الآخرين ، يتكون الشخص ابتداء من شخصيات ، وكل شخصية لا تتاكد الا باستنادها على الارادة والنشاط : النشاط يظهر الارادة ، والارادة تخلق في الوعي الانارات الاولية التي تطبعه بطابع الحيوية ، فلقد كان الرواقيون على صواب بحصرهم كل الشخصية في الفعل الارادي .

فالشخص ، على هذا ، سلسلة من الافعال الادارية ، اختلط بعضها ببعض ورممها مجهود وحد بين مراحل الحياة المتتابعة ، كما وحد بين الاهواء العديدة ، والاشارات والفعالبات الماضية ، وبين الوانها العاطفية ، وتجارب النجاح والفشل ، والاهداف المختلفة التي يرمي اليها الانا . كل هذا يتضامن مع نزوعات حالية ، يلتزم فيها «الآن» و « البعد » . فالتشخصن ، اذن ، « حاضر » في **مجموع** الميادين ، وليس في اي ميدان .

هكذا ، ليست **الشخصية** الا فترة من التشخصن، تزمن في الحال ، الكائن البشري . وعلى عكس ذلك ، ان **الشخص** ، قبل كل شيء ، هو كل الشخصية الحالية ، بما فيها من ماض ونزوعات للمستقبل : انه مجموعة شخصيات . لكن كل شخصية حالية شيء مستغرب ، اي مشكلة . ذلك ان كل شخصية ، من حيث انها فترة من فترات الشخص ، ليست مسلكا تمر به الحركة المشخصنة ، وليست بالحد الاخير ، ان كل لحظة من حياتنا توازي النزوع الذي نعمل على تحقيقه ، اي الطاقة الحيوية لوجودنا . بيد ان اللحظة ، هي ايضا ، مشكلة كما تفطنت لذلك

لازمه حيال التعقيدات السياسية والدولية التي نمت عن الافكار والآراء المنطوية عليها هذه الرواية ، ومن ذلك يمكن ان يحمل على الزعم بان المقاصد السياسية البحتة كان لها دور ثانوي فى البادرة الفكرية التي اقدم عليها الكاتب الروسي الكبير ، بل انه من الجائز ايضا الا يكون لهذه المقاصد وجود على الاطلاق ، لكن ماذا يجوز ان تعني فى هذه الحالة رواية ذات مضمون سياسي انتقادي كالدكتور جيفاكو ؟ ما هو المفهوم الذي يمكن ان ينتحل فى هذه الحالة للرواية التي غدت شهرتها ذات صبغة عالمية بعد ان غدت — لفترة ما — عنصرا ملحوظا من عناصر الحرب الباردة بين الشرق والغرب ؟ ان المضمون الفكري لرواية الدكتور جيفاكو بالرغم عن المظاهر ، لا يعكس — كما يبدو — روحا ثورية نضالية حقيقية ، ولا يعبر عن ارادة الكفاح السياسي المنظم المستند الى قوة الاصرار والتصميم والتنسيق ، فالواقع ان المفاهيم التي يمكن استخلاصها من ظروف وضع الرواية قد لا توحي باشياء جوهرية من هذا القبيل ، ومع ذلك فان الدكتور جيفاكو يجب ان تعتبر روايته هادفة تنطوي فعلا على معان عميقة لها مدلول واسع بعيد المدى ، وهي — وان لم تكن تعكس اراده الكفاح السياسي المنظم فانها — مع ذلك — تدل على اتجاه حتمي نحو الانطلاق العقلي غير المقيد ، وتنم فى جوهرها عن وجود ميل شديد كان يعتمل فى نفسية باسترناك ويحدوه الى مفارقة التمسك الشديد بمقتضيات الالتزام الفكري الملتصق بحرفية المذاهب اكثر من ارتباطه ببواعث نموها واستمرارها، هذا النوع من الالتزام الذي يمكن ان يرادف « الدوكماتية » « Dogmatisme » او المذهبية فى بعض الجوانب المعينة ، ولا حاجة للتأكيد بان هذه الدوكماتية قد اصبحت تلقى كل صدود واعراض من كافة الاوساط العقائدية الماركسية سواء داخل الاتحاد او خارجه وتوجد فى اساس النزاعات الجديدة الناشئة بين الاتحاد السوفياتي ونزعة انور خوجة فى البانيا . وسواء اكان علينا ان نفسر تفكير باسترناك على انه يعبر عن الميل الى مجانبة المذهبية — وليس هناك ما يؤكد ذلك تأكيدا مطلقا ، فقد تكون هناك عوامل دقيقة اخرى اقل جلاء وبروزا — او كان من اللازم ان يفسر هذا التفكير باعتباره مظهرا لاتجاه انحرافي Deviationniste او نزعة تراجعية Revisioniste سواء كان علينا ان نراه بهذا المنظار او ذاك فان هذا التفكير — مهما كانت الحال — نوعا من الاتجاه الى عدم الالتزام الفكري الناشيء عن خطأ او استقامة فى الرأي وذاك جانب من القضية يعسر على المرء ان يستبين وجه الصواب فيه بكل وضوح عن طريق الاعتماد على بعض التحليلات المقتضبة ، والركون الى جملة من الاستنتاجات السريعة المبتسرة .

وعلى كل ، وبالاغضاء عن قيمة المدلول الحقيقي لتفكير باسترناك وحقيقة المشكلة التي اثارها ، وموقفه من الاحداث التي انتهت اليها هذه المشكلة ، بغض الطرف عن كل ذلك ، فان هناك — على وجه العموم — مجالا لملاحظة بعض الظواهر الهامة التي بدات جوانبها تتضح اكثر فأكثر ، وتأخذ سبيلها الى التبلور داخل المعسكر الاشتراكي ، وتتجلى هذه الظاهرة فى تطور موقف بعض الاوساط الادبية والثقافية من قضية الالتزام الفكري المطلق ، وجنوح البعض من الكتاب فعلا داخل بلاد اشتراكية معينة الى التخفف من شدة الاستمساك بمبدأ هذا الالتزام ومقتضياته .

لقد تتراءى فى افق الادب الاشتراكي المعاصر ارهاصات نزوع حقيقي نحو احتضان بعض الاتجاهات الليبيرالية فى التفكير والتحليل والانتاج ، وهذا الاتجاه — وان كان يبدو فرديا محدودا — فانه — مع ذلك — يؤذن بانفتاح بعض الامكانيات التطورية فى مناهج واساليب التفكير الادبي الاشتراكي قد تبيح له — فى بعض الحدود المعينة — ارتياد آفاق اكثر رحابة وسعة مما كان عليه الامر فى ظلال العهد الستاليني المدبر ، والذي يبدو واضحا ان اللاستالينية « Déstalinisation » التي تكاد تصبح من بين المميزات الاساسية لاوضاع الحكم والاتجاه فى اغلبية اقطار اوربا الشرقية الشيوعية — توجد متلائمة — الى حد ما — مع ممكنات هذا التحول الاتجاهي على صعيد الادب والفكر ان لم تكن هي نفسها من بين عوامل هذا التحول وفى اساس التيارات الحتمية الحاسمة التي قد تكون عجلت بحدوثه .

وقد شهدت الاسابيع الاخيرة فى الجمهورية الشعبية البولونية مظهرا جديدا ومثيرا من مظاهر الاتجاه «الفردي» نحو التحلل من موجبات الالتزام العقائدي فى نطاق الاشتراكية ، كان ذلك يوم ان بوغتت الاوساط الادبية فى « وارسو » (10 اكتوبر الماضي) بظهور آخر كتب الناقد الادبي الشيوعي البولندي « اندري سطافار » الذي كان قد توفى خلال الربيع الماضي بباريس ، والذي احتفت السلطات البولندية بوفاته احتفاء رسميا ومهيبا باعتباره احد الرواد الاشتراكيين البارزين فى شرقي اوربا ، واحد رجال الطليعة فى عالم النقدالاشتراكي الحديث .

الالتزام الفكري بين الواقعيين والمثاليين

بقلم الاستاذ المدني الحجالي

كانت سنة 1956 بداية القصة المثيره التي استأثرت باهتمام الاوساط السياسية والادبية فى العالم ردحا طويلا من الدهر ، وربما لا تزال لها فصول لم تفض الى نهايتها بعد ، كان ذلك يوم ان استطاع الكاتب الروسي الكبير (بوريس باستيرناك) ان (يهرب) روايته الشهيرة (الدكتور جيفاكو) خارج الاتحاد السوفياتي بواسطة احد الصحفيين الايطاليين، ريضعها بين يدي احد كبار الناشرين (السيد فلترينيللي) فى ايطاليا ، البلد الغربي العريق ، والعضو الهام المرموق فى منظمة حلف الشمال الاطلسي .

وبلغت الازمة التي احدثها « باسترناك » اوجها سنة 1958 وذلك حينما « نطوعت » الاكادمية السويدية بمنح جائزة « نوبل » للكاتب الكبير كتقدير عالمي رائع لروايته التي كان قد رفض نشرها من قبل اتحاد الكتاب السوفاتيين ، والتي تشكل فى جوهرها ـ بحق ـ شبه ادانة غير مباشرة لطبيعة الظروف التي اكتنفت الثورة الشيوعية الكبرى فى روسيا ، والملابسات التي رافقتها من قريب أو بعيد.

وفى شهر مايو من سنة 1960 ختمت انفاس الكاتب الثائر الصامت ، والاديب اللائذ بحمى العزلة والانفراد ، ذلك الذي استطاع ان يحدث فى العالم ضجة ادبية وسياسية مدوية ، على الرغم من انه لم يكن يتحول عن ملاذه الهادىء الوديع ، ولم يتنكر يوما ما لاسلوب حياته اليومية الرتيبة ومنهاج سلوكه البسيط المتواضع وافضى باسترناك الى نهايته بعد ان عاش تجربة فكرية ووجدانية عميقة اصيلة ، وبعد ان عانى من خطورة البادرة الانتاجية التي قادته اليها هذه التجربة ، وبعد ان شاهد اقصاءه من حظيرة الكتاب السوفياتيين ، وتعرضه لحملات نقدية شديدة ذات طابع ادبي تارة ، وسياسي تارة اخرى . وذلك كله كنتيجة حتمية للتجربة التي ساقته طبيعة تفكيره الادبي الانساني الى خوضها .

وهناك من يمكن ان يجد بعض عناصر المقارنة والموازنة بين القضية التي تكونت فصولها حول باسترناك وبين القضية الادبية والسياسية الكبرى التي لمع فيها اسم الكاتب الروسي المضاد للشيوعية « كرافشنكو » صاحب كتاب « ءاثرت الحرية » تلك القضية التي اثارت بالفعل ومنذ سنين عديدة ضجة كبرى فى الاوساط الغربية والشيوعية على السواء .

وقد يكون تمت بعض اوجه المقارنة بين القضيتين المتماثلتين فى بعض الجوانب المعينة ، الا ان هناك ـ مع ذلك ـ اساسا لملاحظة الفروق الجوهرية التي توجد بينهما ، والتي لا تبيح الاعتماد على نتائج هذه المقارنة اعتمادا صحيحا ، ومن بين هذه الفروق ملاحظة نسبة الارتباط بين كل من القضيتين وبين العوامل الادبية والسياسية التي توجد كامنة وراءها ، فقد كانت بادرة « كرافشنكو » ذات صبغة سياسية مذهبية اكثر بروزا واشد وضوحا ، على الرغم مما يمكن ان يقال عن دواعيها الفكرية والادبية المحتملة ، اما قضية « باستيرناك » فقد كانت اهم العوامل التي اسهمت فى حبك خيوطها ـ كما يبدو ـ لا تلتصق بالاغراض السياسية الصرفة التصاقا قويا ملموسا، وشخصية « باسترناك » وظروف حياته وعيشه وطريقته فى السلوك والتصرف ثم الاسلوب البسيط الذي احتذاه فى الزج بروايته الى عالم النشر خارج الاتحاد السوفياتي ، هذا الى طبيعة الموقف الذي

الذي كان داعيا لاستغراب المراقبين واندهاشهم ، وتساؤلات الكثير من الاوساط الادبية والفكرية سواء داخل البلاد الغربية او غيرها وخاصة فى بولندة ، وطن الكاتب ومستقرة الاصيل .

وعلى الرغم من بروز كتاب سطافار فى ظروف مثيرة حقا ، انطبعت بها الحياة الفكرية فى بولندة خلال الشهور الاخيرة ويتمثل البعض من هذه الظروف فى قضية الكاتب البولندي جيرزي كوناركي Zersi Konarcki الذي دأب اخيرا على تحرير بعض الكتابات الانتقادية المستغربة ، وترويجها بصورة رومانتيكية مثيرة ، وقضية الاديبة السيدة هيلينا راسزينسكا Héléna Rassynska امينة سر الجمعية الادبية البولندية « الدائرة الموترة » وقد ارتبط اسم هذه الكاتبة اخيرا بجملة قضايا ادبية ذات طابع سياسي بارز على الرغم من ظهور كتاب سطافار فى مثل هذه الظروف المثيرة فانه — مع ذلك — لم يؤد الى شىء حالات من رد الفعل الحاد شبيهة بتلك الحالة التي افضى اليها كتاب باسترناك « الدكتور جيفاكو » ولعل منشأ ذلك ان كتاب سطافار كان يعكس — كما قدمنا — مجرد حالة عابرة من حالات عدم الالتزام الفكري اكثر مما يدل على حقيقة اتجاه سياسي متناسق العناصر ، وواضح الاهداف ، هذا بالاضافة الى ان تأثيراته فى العالم لم تكن فى اهميتها وسعة مداها من نوع تلك التأثيرات التي احدثتها رواية الاديب الروسي الكبير ، ويجدر بنا — بعد كل هذا — ان نتساءل : ماذا يعنينا من كل هذا اذن ؟ وما هو المفهوم الحقيقي الذي يجب ان نقيم على اساسه مثل هذه القضايا الفكرية المتمثلة فى حالة باسترناك وسطافار وغيرهما ؟

اننا اذا كنا قد استبعدنا العنصر السياسي من هذه القضايا لان مدلولاته لا تعنينا عمليا فى شىء — فان ذلك لا يصدنا عن اعتبار الجوانب الاخرى من نفس هذه القضايا .. تلك الجوانب التي تتصل بقضية الفكر على العموم ، والتي هي اقرب ما تكون الى طبيعة الاهداف والمقاصد الحافزة لنا فى الحياة نحن ابناء الشعوب المنحازة ، ان الفكر يكتسي — بالنسبة الى وجودنا الدولي والعالمي اهمية بالغة وعميقة المدلول لاننا سنستند الى هذا الفكر كاداة — .. كاقوى اداة عندها — بعد الله — فى تأكيد وجودنا الحيوي امام عوامل القوى المادية التي تستأثر بمقاليد كثير من الامور فى عالمنا المعاصر ، وبالتالي فان هذا الفكر يزداد ارتباطا — مع مرور الايام — بطبيعة مصايرنا ومستقبلنا وكذا مستقبل الاوضاع الحياتية التي تكتنف وجودنا من قريب او بعيد .

ومن هنا كان مصدر هذا الاهتمام الذي يجب ان يحدونا الى مراقبة وقع الفكر وتطوراته فى عالم اليوم ، هذا الفكر الذي لابد ان تتوافر له الشروط الضرورية والكفيلة بتحريره وتوسيع نطاق تأثيره على ما جريات الامور فى حياتنا العالمية المعاصرة ، ومن البديهي ان هذا التأثير الذي يفترض للفكر على حياة الانسان المعاصر لا يمكن ان يكون فعالا وذا جدوى الا اذا تمكن هذا الفكر والمصادر التي ينبثق عنها من التلاؤم مع مدلول المبادىء التي تحدد رسالته فى الحياة . ان القضايا الناشئة عن حالة باسترناك وسطافار ربما لا تكون — كما اسلفنا — ذات اساس فكري « تمردي » بعيد المدى وعميق الدلالة ، الا ان الذي يجب ان يستأثر بنظرنا — فى الاساس — هو اعتبار مجموع الحالات الفكرية على العموم التي قد تكون متقاربة مع حالة الكاتبين الشيوعيين البولندي والسوفياتي ، وقد تكون متباعدة عنهما بشكل او باخر . هذه الحالات لابد ان تثير اهتمامنا جميعا — وبصورة جدية — وذلك لما يتمثل فيها احيانا من مظاهر الاصطدام بين مثالية الفكر السوي وواقع الحياة المنحرف تارة نحو « اليمين » وطورا نحو « اليسار » هذا الاصطدام بين مثالية الفكر المجرد وانحراف الواقع القائم يعكس — فى الواقع — مظهرا اساسيا من اشد مظاهر الخطورة التي تكتنف سلامة الفكرة الانسانية العامة فى عالمنا الحاضر . وقد يفضي هذا النوع من التصادم الى تفوق الواقع السياسي او الاجتماعي القائم ، وبكل ما ينطوي عليه من عناصر الزيغ والانحراف ، وحينذاك ينزع هذا الواقع — بالقوة او بالفعل — الى الاستكمال من مصادر الفكر الانساني المتحرر ، وترويضها على التلاؤم معه ، واستدراجها بالتالي الى مصانعته وممالاته ، وتعبيد الطريق امامه بشكل او بآخر .

ان السبل التى يتم سلوكها لتحقيق حالات السيطرة المباشرة او غير المباشرة على مصادر الفكر والنظر ، هذه السبل هي من التعدد والكثرة بدرجة كبيرة وتختلف صفاتها باختلاف الاتجاهات التي يتبناها الواقع المسيطر ، ودرجة تلاؤمه فعليا مع مثالية الفكر او تميزه عنها ، ومن بين هذه السبل :

لقد كان لسطافار سجل حافل فى مضمار الكفاح الادبي ــ السياسي من اجل الاشتراكية ، وقد عانى طويلا من النظام الستاليني الذي كان يعم بلاده مثل ما كان يعم غيرها من الجمهوريات الشعبية الاوربية ، ولكنه استطاع ــ بعد ذلك ــ ان يسترد مكانته الطلائعية المرموقة غداة نجاح الثورة اللاستالينية فى وارسو وانتقال ازمة الحكم الى الزعيم الشيوعي المعتدل « كومولكا » وشيعته سنة 1956 .

والى الايام الاخيرة من حياة سطافار ــ تلك الحياة التي افضت الى نهايتها فى جو عادي وظروف طبيعية ــ فقد كان هذا الكاتب يعتبر ــ كما كان من قبل ــ كابرز النقاد الاشتراكيين المعاصرين فى بولندة، واحد الكتاب العقائديين المرموقين ، ولا شك ان اتجاهاته الفكرية العامة ، وطبيعة المقاصد الايديولوجية ذات الطابع الاشتراكي التي كانت تنضح بها كتاباته المختلفة ، لا شك ان كل ذلك كان من شانه ان يضمن لانتاجه كل هذه المنزلة التي ينعم بها فى مضمار الادب الاشتراكي الحديث ، ويضفي على ءاثاره الفكرية بصورة عامة قدرا من الاعتبار بعيد المدى وعميق الحدود . وعلى الرغم من ان نهاية حياة « سطافار » كانت نهاية طبيعية عادية ، الا ان المصير الذي ءالت اليه افكاره الادبية والانتقادية كان مصيرا غريبا حقا ينطوي بالفعل على كثير من العناصر المثيرة للاهتمام ، اما صورة الغرابة فى هذا المصير فتتمثل فيما خلفه هذا الكاتب الماركسي من ءاراء ونظريات تدور كلها حول هذا الواقع الاشتراكي الدولي الذي كان يتبناه ويتولى المنافحة عنه وتتناول هذا الواقع وحتى بعض المبادىء التي يقوم عليها ــ بعبارات النقد والتفنيد ، التي يذهب بعضها الى مدى بعيد جدا . وقد عبر عن هذه الآراء والنظريات التي كانت مفاجاة مذهلة لكثير من المراقبين والملاحظين ــ عبر عنها فى كتاب جديد صدر له حديثا فى فرنسا ، وكان من ابرز الاحداث الفكرية التي شاهدتها اقطار اوربا الشرقية وبولندة بالاخص خلال الشهور الاخيرة .

وضع الكاتب تاليفه بين (وارسو) و(باريس) وفى عاصمة بلاده اتم القسم الاول من الكتاب حيث ضمنه كثيرا من الانتقادات الصارمة (للستالينية) كسياسة ومنهاج ، والحق ان جملة هذه الانتقادات تبدو كظاهرة عادية مألوفة بعد ان اصبح النهج الستاليني موضوع عديد من المؤاخذات الجورية سواء داخل الاتحاد السوفياتي او فى غيره من الاقطارالاوربية التي تسودها انظمة الجمهوريات الشعبية باستثناء البانيا والصين . بل ان مناواة الستالينية قد غدت بالفعل فى مجموع هذه الاقطار قاعدة انطلاق لكثير من المواقف السياسية والعقائدية التي يكتسي بعضها طابعا رسميا ودوليا بارزا ؛ اما القسم الثاني من الكتاب فقد سوده (سطافار) فى (باريس) العاصمة التي ءاثر الحياة فيها فترة من الوقت قبيل نهاية حياته ، والنظريات التي يحويها هذا القسم هي ــ بحق ــ مثار المفاجاة في الكتاب بمجموعه اذ ان هذه النظريات تنطوي ــ كما يبدو ــ على مدلولات عقائدية مختلفة فيها من الغرابة ــ كما قدمنا ــ قدر غير قليل فالى جانب انتقاد الكاتب لنتائج المؤتمر العشريني الشهير للحزب الشيوعي الروسي الذي ساعد على تعديل ملامح الوضع السياسي والعقائدي سواء فى الاتحاد السوفياتي او فى كثير غيره من اقطار الجمهوريات الاشتراكية الشعبية وخاصة بولندة ــ الى جانب انتقاد نتائج هذا المؤتمر فقد انطلق الكاتب الاشتراكي البولوني ايضا الى تعييب بعض مظاهر الحكم وصور الحياة فى اقطار العالم الاشتراكي ، بل انه عدا ذلك الى حد ابداء ءاراء تشاؤمية مفرقة ، وذلك فيما يتصل بمستقبل الماركسية كفلسفة ومنهاج ، ومدى فاعليتها فى التاثير على وجدان الانسان المعاصر ، وتوجيه افكاره وعقائده ، وتنظيم سلوكه وتصرفاته فى الحياة .

والواقع ان القضايا التي يثيرها (سطافار) فى كتابه المثير هذا لا تعنينا كثيرا من حيث المضمون السياسي والمذهبي الذي تعبر عنه ، فالاعتبارات السياسية والعقائدية ــ فى هذا المضمار ــ هي من التعقد والالتواء بدرجة كبيرة جدا ، والنظر فى هذا المعقد ومحاولة معالجته على الصعيد النظري امر لا تثير عنايتنا كثيرا ، لانه لا يمس اي جانب هام من جوانب اهتماماتنا القومية ــ الانسانية الملحة ، هذا بالاضافة الى ان الحالة الماثلة فى قضية « سطافار » لا تدل ــ بالضرورة على وجود انقلاب جوهري فى الخط السياسي الذي كان يتبناه الكاتب البولندي الكبير ويحتضنه بمزيد من الايمان والحماس ، فالاراء (المتمردة) التي عبر عنها فى كتابه قد لا تكون ــ فى الواقع الا انعكاسا بسيطا لحالة من عدم الالتزام المذهبي كما هو الامر بالنسبة لكثير من الحالات من هذا النوع ، ولكل ذلك فالذي يبدو واضحا ان هذه الآراء لا تشكل بالفعل موقفا سياسيا معينا بقدر ما تدل على واقع فكري متحول يصعب تحديد اهميته ومدلوله ، وهذا الواقع الفكري ذي الصبغة (المباغتة)

لول التبعية البليدة ، والناجم احيانا عن حالات يعة من الارتشاء فى شكل مادي او معنوي وعلى اساس هذا الاختيار يتوقف الحكم على ما قد يكون ناك من حالات التزام فكري عديدة تختلف صورها نتائجها باختلاف الظروف والملابسات التي تتصل بها والنتائج المستهدفة منها بوجه او بآخر .

ان من المعقول جدا ان يلتزم الفكر الادبي او الفلسفي — فى كثير من الحالات — بالدفاع عن نهج معين من السلوك فى مجال السياسة او الاقتصاد او الاجتماع او غير ذلك ويتقيد به الى اقصى حدود التقيد ، بل ويتجرد فى سبيل ذلك عن ضروريات حريته وانطلاقه وتلقائيته ، وان من المقبول كذلك ان يتقيد الشعور الفني الجمالي فى ميادين الموسيقى والنحت والرسم بمثل هذه الانواع من القيود والالتزامات ، ويخضع لمقتضياتها وموجباتها بوجه او بآخر ، ان التقيد والالتزام الادبي والفني قد يكون — اذن — وفى كثير من الحالات معقولا وضروريا الى حد بعيد ، الا ان التجربة الفكرية او الشعورية التي تتطور فى حدود هذا الالتزام المتقيد يجب ان تكون منبثقة عن وعي انساني حقيقي ومتحررة من قيود المصانعة والارتشاء وعلاوة على التصاقها بالمعطيات المثالية النبيلة ، فانها يجب ان تكون متأثرة دائما بوامع الانسان كانسان يحس ويتألم ، يسعد ويكره ، ينفعل لما فى الحياة ويتفاعل مع حقائقها وظواهرها .

ان الواقع الانساني سيبقى باستمرار اساس الحكم على قيمة التجربة الفكرية والفنية الملتزمة ، ومن الضروري ان يكون علاج هذا الواقع واصلاحه من بين المحاور الرئيسية التي يجب ان تدور حولها مثل هذه التجربة وذلك على اساس ان يكون هذا الاصلاح اكثر انطباقا على صالح الفرد والمجموع ، واقل تعرضا لاسباب التناقض والاصطدام بين المصالح المعقولة والمصالح الجماعية المقدسة .

والواقع ان الحرص على التخفيف من هذه التناقضات الاجتماعية والاجتهاد فى ذلك قد يؤدي احيانا — كما تم فى بعض البلاد الطامحة لسرعة التطور — الى اتباع بعض المناهج والسبل المتشددة ، مما يقتضي اتخاذ عدد غير محدود من المواقف قد تبدو قاسية غير انسانية من حيث الظاهر ، ولكنها ذات مضمون اصلاحي حقيقي لا تظهر نتائجه الا فى الامد البعيد ، وفى احوال من هذا النوع يكون من المقبول ان يساير الادب الملتزم بعض اساليب التشدد والقسوة ، ويتقيد احيانا بتبريرها وابراز مشروعيتها الى مدى بعيد وذلك وان كان يشكل مظهرا ما من مظاهر التحدي لبعض الاعتبارات الانسانية الفردية الا انه — وهذا هو الاهم — يلتقي فى صعيد واحد مع كثير من المعطيات المبدئية الاخلاقية التي تقر مصلحة الجماعة اذا كانت تتناقض ومصالح الافراد — ولو انه من الضروري بذل العناية بالتخفيف من هذا التناقض — كما قدمنا — طالما كان ذلك ممكنا وميسورا اما اذا كان الامر يتصل بمواقف لا يستطاع تصور اي مفهوم انساني لها سواء اكان قائما على اعتبار واقعي او كان مرتكزا على مبدأ اخلاقي مثالي وذلك كمشاهد التقتيل الجماعي بالجزائر او الاجتراء على تفجير اجهزة حرارية نووية من صنف الخمسين ميكاتون فى غير ما مقصد سلمي او شبه سلمي ، والتطويح بقيم مالية ضخمة فى ميادين سلبية غير انسانية كالاستعداد لحرب عالمية محتملة ، والتهيؤ لصراع ذري وهيدروجيني متوقع ، اذا كان الامر يتصل بمواقف وحالات كهذه ، فان التزام الفكر بها يفقد حينذاك مدلوله المبدئي ، وصفته المبررة ، ويصبح مجرد ظاهرة ناشزة تتراءى من خلالها صور من التبعية الرخيصة ، والذنبية المرتشية والتهافت الذبابي الوضيع ، وحينذاك يغدو من العسير جدا ان يحافظ الفكر الادبي والفلسفي على قداسة رسالته التوجيهية ، ونجاعة مهمته القيادية الطلائعية ، وليس من الممكن — فى احوال مثل هذه — ان نجد للكلمة او اللحن او الرسم كل ذلك المظهر الناصع الذي تكتسبه حينما تكون مجرد انعكاس لما ينفعل به الضمير الواعي ، وليس من الجائز فى هذه الاحوال ايضا ان نلمح فى الفكر او الشعور تلك الصورة البهيجة المشرقة التي يتجلى فيها عند ما يغدو مجرد سبيل للانطلاق نحو الحق ، ومجال استكشاف لمواطن الخير ونقطة ارتياد لآفاق البهجة والجمال .

ان هناك مجالا واسعا لتبادل الاصداء الفكرية والشعورية بين الكتاب والفنانين الانسانيين فى مختلف انحاء العالم ، وليس يعنينا من امر الاوضاع الفكرية فى العالم الاشتراكي والرأسمالي او غيره ، الا بقدر ما يساهم به ذلك فى توفير اسباب التجاوب والتصادي بين هؤلاء الكتاب والفنانين وتواطؤهم على استبعاد

1) التحكم تحكما مباشرا فى نفسية رجل الفكر ، والتأثير على منابع وعيه وادراكه وذلك عن طريق العمل على احاطة حياته باجواء نفسانية ذات مفعول سلبي عميق المدى .

2) مصادرة ضمير المفكر ، والاستيلاء على مواطن احساسه بالمثل والقيم وغيرها ، ونحويل هذا الاحساس نحو سبيل التكيف مع اتجاهات الواقع القائم ، ولو كان ذلك على نقيض هذه المثل والقيم ، وكل هذا عن طريق اللجوء الى وسائل من الاغراء الرخيص ، والاسترضاء المبتذل ، المستند احيانا الى دغدغة الغرائز واشباع النزوات .

3) اضطرار الفكر — بحكم بعض الضرورات القومية والانسانية الملحة — الى النزوع للتلاؤم مع كثير من الحالات الواقعية التي ربما يكون بعضها على درجة من المناقضة للمبادىء ذاتها التي يجب ان يقوم عليها وجود هذا الفكر .

وهذه الحالة الاخيرة هي اكثر حالات التبعية الفكرية واعظمها اعتبارا ، ذلك ان مظاهر السيطرة على الفكر عن طريق التأثير السلبي (كالترهيب) او الايجابي (كالاغراء) لا يجب ان تلفت الانتباه كثيرا ، لان مثل هذه المظاهر تعتبر — بالفعل شيئا عاديا بسيطا يسهل الحكم عليه فى الغالب ،وكثيرا ما ينتهي الى ثورة الفكر ضده حالما يتم ارتفاع الظروف المجبرة القاهرة والوسائل المغرية الجاذبة ، انما الذي يستلفت النظر اكثر من ذلك هو الحالة المتمثلة فى وقوع الفكر بصورة او باخرى تحت تأثير بعض الضرورات القومية والانسانية الخاصة ، واضطراره الى مسايرة كثير من المقتضيات الناشئة عن هذه الضرورات — مع ما قد يكون فى هذه المسايرة من محاذير عقائدية ومبدئية ربما تكون عظيمة الاهمية والخطر احيانا .

وهذا ما يمكن ان ندعوه فى بعض الحالات بالالتزام الفكري او المذهبي الذي يتمثل — كما تمكن ملاحظته — فى هذا النوع من الترابط الجزئى او المطلق بين الفكر وواقع الحياة السياسية او الاجتماعية التي تسود بلدا ما ، وتتحكم فى توجيه امكانياته ومقدراته ، وهذا الترابط الذي يتسم احيانا عن طريق القسر ويحصل احيانا اخرى عن طريق الاقتناع ، هذا الترابط يستقطب — كما راينا — كثيرا من الصور التي تتراءى من خلالها بعض مشاكل الفكر المتحرر فى عالمنا الحديث ، وخاصة بالنسبة لبعض البلاد التي تجتاز الحياة العامة فيها مراحل محرجة واستثنائية

والالتزام الفكري — كالتخطيط الاقتصادي قد يكون — مبدئيا — وفى كثير من الحالات — ضرورة اكيدة من بين الضروريات التي تستوجبها مراحل التطور الجذري الحاسم فى مختلف البيئات والمجتمعات النامية ، الا ان التركيز على هذا الالتزام واعتبار المقدرات الفكرية والادبية — على اساسه — كمجرد قيم عادية تندمج فى مجموع قطاعات التخطيط العام بمختلف فروعه وامتداداته — ان ذلك — وان كان له محاسنه وموجباته فى بعض الحالات ، غير انه يؤدي — حتميا — فى حالا تاخرى — الى مجرد تعرية التجارب الفكرية والاختلاجات الوجدانية من مضامينها العبقرية الخلاقة ، واحالتها فقط الى مطلق ايحاءات وايعازات موجهة وعاطلة — فى جوهرها — عن كل مفهوم انساني جدير بالاعتبار ، ان هذه الحالات من الالتزام الفكري المتجمد توجد لها مظاهر مختلفة وصور عديدة فى كثير من انحاء العالم سواء بالنسبة لبعض الدول التي تتبنى قيما عقائدية ذات طابع عالمي او بالنسبة لبعض الدول الاخرى التي تحتضن مبادىء التفكير القومي المحلي او التفكير القومي الترابطي او بالقياس ايضا لبعض الاقطار التي تعتنق — واقعيا او نظريا — مبادىء النظام الديمقراطي البرلماني ، وسواء فى هذه الحالة او تلك فان الفكر الملتزم قد يكون موجها احيانا الى خدمة بعض العقائد والمبادىء التي تمتزج بجملة من الاهداف الانسانية النبيلة ، ويفضي تطبيقها الى اقرار اوضاع صحيحة ومشروعة ، ولكن هذا الفكر الملتزم ايضا قد يوجد احيانا اخرى — مسوقا — بالقوة او بالفعل — الى مظاهرة مبادىء وعقائد معينة لا تنسجم — كما قدمنا — فى جوهرها ونتائجها مع ما يجب ان يستهدفه الفكر الانساني — فى نسقه الاعلى — من خدمة مثل الخير والصدق والجمال ، وتجسيم هذه القيم الخالدة فى اشكال حية وواقعية .

ان قضية الالتزام الفكري الادبي هي اذن قضية — وان كانت بسيطة واضحة من حيث المبدأ ، الا انها باعتبار النتائج المنبثقة عنها تبدو على درجة ما من التشابك والتعقيد ، ومنشأ التعقيد فى هذه القضية يعود — فى الاساس — الى مشكلة الاختيار بين الالتزام الخير الهادف وبين الالتزام السلبي المتجمد المرادف

رحلة العبدري الحاحي

للأستاذ عبد القادر زمامة

- 2 -

* نعرف الرحلة العبدرية باسم الرحلة المغربية ، ولكن هذا الاسم لا يطابق المسمى ، فليس فيها من اخبار المغرب ، وما كانت عليه حواضره وبوادبه ، الا النزر اليسير ، نجده فى صدرها عندما حدثنا فى دهابه عن بلاد سوس وماحل بها من خطوب مجتاحة.. وبلاد ـ القبلة ـ ويعني بها ما كان شرق سوس ، من الجنوب المغربي ، فى درعة وتافيلالت .. فيقول عنها : « وهي بلاد مات فيها العلم » ، ويصف حصونها وانهارها وعوائد اهلها فى الحرب والسلم ، ويبني على احلاقهم .. كما نجده فى خاتمتها وقد وصل الى تلمسان ، فاختار الرجوع الى حاحة عن طريق وجدة وتازة وفاس ومكناسة وازمور واسفي .. وكان المنتظر ان يجرد قلمه لوصف هذه الحواضر ولكنه اثر السكوت ومر عليها مر الكرام كما يقولون .. ولم تفته أن يصف خراب وجدة واطلالها .. كما لم تفته ان ينشد هذه الابيات وقد ادركه عيد الفطر بمدينة فاس :

قالوا تعيد فى فاس فطب فرحا
فقلت مالي بها دار ولا عطن

فاس ومكناسة وطنجة وسلا
عندي كزديك (*) لا اهل ولا وطن

بغداد قفر اذا لم تحولي سكنا
والقفر بغداد ان اهلي بها قطن

ثم يمر على مكناسة وياخذ عن بعض شيوخها ..

واذا تذكرنا ان العبدري خرج من بلاده فى ذي القعده من سنة 688 اي بعد قيام المرينيين بنحو العشرين سنة .. واذا تذكرنا تلك الاهوال والفواجع التي حلت بالبلاد المغربية وهي تعاني حروبها الداخلية والخارجية .. واذا تذكرنا الصراع بين الموحدين والمرينيين من جهه .. والصراع بين المرينيين وبني عبد الواد وبني الاحمر من جهة اخرى .. واذا تذكرنا انهيار الامبراطوريه الموحدية وقيام دويلة بني الاحمر فى غرناطة .. وبنى عبد الواد فى تلمسان .. وبني مرين فى فاس .. وبني حفص فى تونس وبجايه ـ علمنا أي ظروف كانت تحيط بالمغرب واي عصر كان يعيش فيه صاحب الرحلة .

فالتشاؤم والانقباض وسوء الظن بالحياة والاحياء كانت مسيطرة على صاحبنا الى ابعد حد حيث يقول : « وقد تعطل فى هذا العصر موسم الافاضل وتبدد فى كل قطر نظام الفضائل .. وقد صار الملك الذي هو نظام الامور وصلاح الخاصة والجمهور فى اكثر الارض منقوص الدعائم ، مهدم القوائم ، يدعيه كل غوي كالمكبشي (*) وعبد القوي (*) .. او ليس من الامر الخارج عن كل قياس ان المسافر عند ما يخرج عن اقطار مدينة فاس لا يزال الى الاسكندرية فى خوض ظلماء وخبط عشواء ، لا يأمن على ماله وعلى نفسه ، ولا يؤمل راحة فى غده ، اذا لم يرها فى يومه وامسه » .

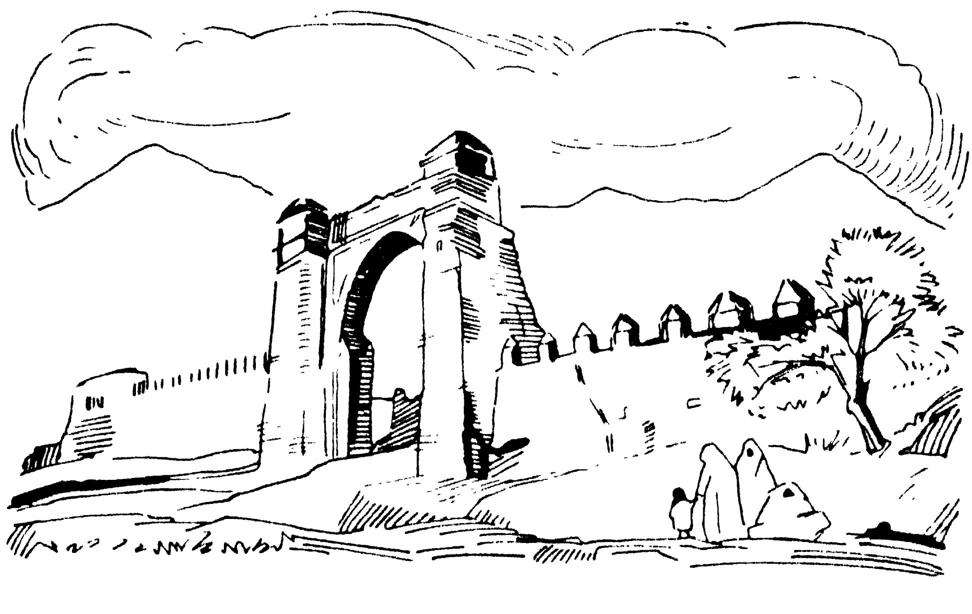
---

* راجع البحث الاول فى العدد الثاني من دعوة الحق لهذه السنة
* هدمها يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 670 هـ
* من المفازات التي مر بها العبدري فى طرابلس .
* * كلاهما من رجال القبائل المتمردة ايام حروب المرينيين مع بني عبد الواد .

عوامل التدمير الذاتي التلقائي التي باتت تزلـــزل ضمير الانسان ووجدانه في كل مكان، فليس من الحتمي مطلقا ان ينهزم الفكر الانساني الواعي امام عوامـل الصناعة الضخمة التي انطلقت من عقالها عن طريــق هذا الفكر ذاته ، وليس من اللازم ايضا ان تتضاءل العقلية الانسانية المفكرة وتتصاغر تجاه الحقائق المادية الرهيبة التي يزخر بها عالم اليوم ، والتي ينبثــق بعضها عن اجتهاد هذه العقلية واتساع ءافاق نشاطها.

على انه لكي يمكن بالفعل تلافــي هذا الانهـــزام والتصاغر فلابد ــ لذلك ــ من ازديـاد الشعــور بالمسؤولية التاريخية عند هؤلاء المتصدرين لشــؤون الفكر والابداع الفكري في مختلف انحاء العالم ، ولابـد ايضا من اقتناعهم جميعـا بضرورة الحفاظ علـى قدر من الالتزام الانساني في صور انتاجهم ، ومظاهر تفكيرهم وشعورهم لانه ــ وان كـان من الواجب ان يتقيدوا ــ في حدود معينة ــ بما يتفـق وحاجيـات البلاد التي ينتسبون اليها ، والشعوب التي يلتحمـور بها فانه يبدو معقولا كذلك ان يتقيـدوا ــ مـن جانب ءاخر ببعض المعطيات التـي تنصب ــ في جوهرها ــ على خدمة اهداف الفكر ذاتـه ، خدمـة اهـداف الانسان ، والالتـزام للانسان كانسان يهفو للخبز ولكن مع توافر الحب ، ويصبو للعزة على ان تسودها روح الاستقرار والطمأنينة ، ويطمح للعدالة ولكن في ظلال السـلام .

ذلك هو الالتزام الفكري الحق : تفتح على ما في المثاليات الاخلاقية من سمو ونبالة ، وتقيد الواقــع الانساني الماثل ، وبكل ما يعبر عنــه هذا الواقع مـن حقائق اساسية ، وما يعكسه من ظواهـر وصـــور مختلفة ، وفي ذلك جماع المقاصد الرفيعـة التي يجب ان تعطي للالتزام الفكري العقائدي مدلوله المبدئــي المقبـول .



واجبات الجمركية ، فقد انفجر هناك انفجار البركان ورفع عقيرته بالنهي عن هذا المنكر .. كما انفجر قلمه الرحالة الاندلسي ابن جبير الذي رفع قصيدة في الموضوع للسلطان صلاح الدين الايوبي ..

بعد هذا الانفجار اخذ فى البحث عن الاشياخ والاخذ عنهم فاتصل بالشيخ ابي الحسن بن المنير وغيره من اشياخ الاسكندرية وملأوا صابه من الروايات والاسانيد والاخبار والاشعار وسطر جميع ذلك بقلمه في الرحلة ..

فى القاهرة : للقاهرة وسكانها صورة قاتمة فى دهن العبدري وقلمه لا نناقشها لانها اقرب من المسائل السعورية التي لا تخضع للمنطق .. ولانها ثانيا سجلت باسلوب صبياني سخيف ..

ورغم ذلك فقد اقبل العبدري على اشياخها ليستفيد منهم ولكنه نعى عليهم اشتغالهم بعلم المنطق فقال اولا : « ومن الامر المنكر عليهم ، والنكر المالوف لديهم تدارسهم لعلم الفضول وتشاغلهم بالمعقول عن المنقول » .

ومكث العبدري فى القاهرة فى بيت من بيوت مدارس الطلبة كانه طالب من الطلاب .. لا عالم من العلماء يستحق الاكرام وحسن الضيافة .. ومزيد الاهتمام .. ولعل فى ذلك ما يفسر لنا بعض اسباب ثورته النفسية بالقاهره ..

واخذ عن ابن دقيق العيد المحدث الشهيد صاحب المدرسة الكاملية .. كما اخذ عن الدمياطي ولقي منهما برا وعطفا واهتماما .. كما اخذ عن غيرهما من اعلام ذلك العصر وحشر مروياته فى الحديث والفقه والشعر واللغة كلها فى الرحلة ..

ثم وصف مصر وصفا جغرافيا وعمرانيا وتاريخيا يدل على اطلاع واسع ودقة فى الملاحظة .. واثنى مرارا على السلاطين الايوبيين الذين يسميهم ، الاتراك .

وبخرج فى شوال من سنة 689 من القاهرة صحبة الركب المصري ويقطع صحراء سيناء الى العقبة وهناك يسطر معلوماته الجغرافية فينقل عن الجغرافي الاندلسي ابي عبيد البكري بعض المعلومات ويفندها ، وقد قدمنا نموذجا لذلك فى القسم الاول.

ومن العقبة يتابع طريقه صحبة الركب فيصف الطريق وصفا جامعا مفيدا يتعرض فيه لضبط الاعلام وتقدير المسافات ووصف البيئة وغيرها .. ويدخل مكة يوم التروية وهناك يطلق لعاطفته الدينية العنان فيسطر قلمه ما شاء من ابتهاج وسرور بالوصول الى هذا البلد الامين مهبط الوحي .. وكعبة الدين .. وقبلة المسلمين ويصف المعالم والمآثر والاضرحة والمناسك .. ولا يفوته انتقاد بعض اعمال الجاهليين باقامة المناسك .. ويتاسف لكثير من مظاهر الفوضى عند زمزم .. والمقام .. والحجر الاسود .. وكان عارما على « المجاورة » بمكة والاقامة بها فاكترى دارا للسكنى وصرف بعض ما كان معه من الاسباب ليتفرغ للعبادة .. ولكن حال دون ذلك نزاع شب بين الركب وامير مكة ادى الى اصطدام وقتال وفوضى.. فخرج العبدري مع الركب يذرف دموع الحسرة واملى علينا فصلا فقهيا طويل الذيل فى الحج والمناسك يدلنا على باعه الطويل فى هذا الفن .

ويعرج على المدينة المنورة فيزور قبر المصطفى عليه السلام ولا يقيم الركب فيها الا يوما وبعض يوم ولكن رغم ذلك فقد رأى العبدري كثيرا من المعالم والبقاع ، ووصف المسجد والروضة الشريفين وتاسف على خلو مدينة الرسول من العلم والعلماء .. وانشد قصيدة دالية يمدح فيها سيد الكائنات .

وكان رجوعه الى مصر عن طريق فلسطين فزار حرم الخليل وبيت المقدس وشاهد مقابر الانبياء وسطر كل ما يعلمه من تاريخ هذه البلاد .. وما شاهد من ءاثار الحروب الصليبية هناك وقد كان وصفه لمشاهدته طريفا مفيدا مركزا حول اهم الاخبار والآثار .. وبالمقارنة التاريخية يظهر انه استفاد كثيرا من رحلات من قبله ولا سيما ابن جبير .. وبعد زيارة قصيرة لعسقلان وغزة وذكره للعلاج فى بيت من بيوت المدرسة الظاهرية عند شيخه شرف الدين الدمياطي .

ومنها يقصد الاسكندرية فيمكث بها سبعة ايام عند شيخه ابن المنير ومنها يقطع تلك المفازة التي عرفها في صحراء برقة وطرابلس ولكنه هذه المرة لا يسخط ولا يغضب لان ثورته النفسية قد انطفأت جمرتها وسكنت حدتها ..

ولا يسعه الا ان يستنجد بملك البرين يوسف بن يعقوب المريني ملك المغرب اذ ذاك لينشر الأمن ، ويرفع الظلم ، ويرفع اليه قصيدة ميمية طويلة يضمنها شكواه مما شاهده من تعسف وانتهاك للحرمات وتطاول الاقوياء على الضعفاء .

في تلمسان : « ثم وصلنا مدينة تلمسان فوجدناها بلدا حلت به زمانة الزمان ، واحلت به حوادث الحدثان فلم تبق به علالة ، ولا تبض في ارجائه للظمآن بلالة »

ويستمر صاحبنا في هذه السجعات الخاقانية فيصف البلاد عمرانيا وعلميا وصفا لا يخلو من نقد جارح واسف شديد على انحطاط المستوى العلمي بين طبقة القضاة والمدرسين هناك ، ولا يرى من اهل العلم بها الا الشاعر ابن خميس فيركن اليه ويذاكره في اللغة والادب والعروض ويسجل بعض شعره في الرحلة مع التعليق عليه .

ويغادر تلمسان بعد ان مكث بها طويلا الى مليانة ثم الجزائر ثم بجاية التي يقول عنها (بقية قواعد الاسلام ومحل جلة من العلماء الاعلام) ، والحقيقة ان بجاية كانت مدينة لامعة الشهرة في الشمال الافريقي وكانت مأوى كثير من عباقرة العلم والادب وكتب المعاجم طافحة باعلامها .. وكتاب الغبريني – عنوان الدراية – شهير مطبوع .. وكانت تابعة لتونس ايام وحدة الدولة الحفصية ثم انفصلت عنها ايام انفصام الدولة ..

ويغتنم العبدري ايام مقامه القصير في بجاية فيأخذ عن شيخها محمد بن صالح الكناني الشاطبي(*) .. ثم يتابع السير الى قسنطينة فيصف معالمها وءاثارها العمرانية ويذاكر شيخها ابن باديس ويسأله عن قصيدة ابن الفكون اليائية وصاحبها .. ثم يأخذ طريقه الى عنابة ثم باجة .. وهو لا يفتأ باحثا عن الشيوخ والرواة ليروي حديثا .. او يستفيد خبرا .. او يسمع اثرا .

في تونس : « ثم وصلنا الى مدينة تونس مطمع الآمال ومصب كل برق ومحط الرجال من الغرب والشرق ، وملتقى الركاب والفلك ، والعبدري معجب بتونس وبجمالها الطبيعي وازدهارها العمراني وتقدمها العلمي .. وكثرة شيوخها واعلامها فشمر عن ساعده لاقتناص الشوارد واغتنام الفوائد ، ولم يترك شيخا الا اخذ عنه واستجازه لنفسه ولابنه محمد ، ويطول بنا الحديث لو سطرنا قائمة هؤلاء الشيوخ الذين اخذ عنهم العبدري في ذهابه الى الديار المقدسة ثم في اوبته منها ، وكأنه لم يرو ظمأه في المرة الاولى ، فاردفها بثانية .. والحق ان تونس كانت اذ ذاك عاصمة الحفصيين وقد ورثوا مجد الموحدين ولجأ اليهم كثير من اعلام الاندلس وازدهرت الحركة العلمية بسببهم ازدهارا نلمس اثره واضحا في مؤلفات ذلك العصر ، وكانت عناية العبدري متجهة الى مزيد من رواية الحديث والشعر واللغة والفقه والنحو فوجد ضالته هناك .

ومن تونس توجه الى القيروان وهناك راى مدينة ذهب الدهر بجمالها ، وخلف مزيدا من ذكرياتها وءاثارها فاتصل بالشيخ عبد الرحمن الدباغ صاحب معالم الايمان كما قدمنا في القسم الاول من هذا البحث ومن القيروان بعث بقصيدة الى ابنه محمد ينصحه فيها ويتشوق اليه . ونظهر في القصيدة روح العبدري المتصوفة المتزهدة المتبرمة بالحياة والاحياء .

ويودع القيروان ويودع معها لهجته المعتدلة المتزنة ويصل قابس – ذات الخبر الخبيث والمحيا العابس – ومنها الى طرابلس ومسراته وبرقه وقد اطنب في وصف اعرابها وعوائدهم ولغتهم وقاسى الامرين في اجتياز تلك الصحراء الشاسعة الى مدينة الاسكندرية .

في الاسكندرية : « مدينة الحصانة والوثاقة . وبلد الاشراف اللامع والطلاقة ، وطلاوة المنظر وحلاوة المذاقة كل عنها ظفر الزمان ونابه ، ومل منها جيش الحدثان واحزابه » .

وكان وصف العبدري للاسكندريه رائعا جامعا فلم يترك شاذة ولا فاذة الا سجلها وابدى رايه فيها بصراحته المعهودة التي تبلغ احيانا حد الانتقادات المرة والسب الصريح الذي تشمئز منه النفس . ولكن العبدري هكذا خلق .. ولا تبديل لخلق الله .

والشيء الذي اثار حفيظته في الاسكندريه هو نظام الجمارك في تفتيش الصادر والوارد واستخلاص

(*) انظر ترجمته في عنوان الدراية ص 48 .

الموشحات في المغرب

للأستاذ عباس الجراري

- 3 -

تطور الموشحات ونشأة الزجل :

رأينا في تطور الموشحات في القرن الخامس على يد ابن ماء السماء وابن بقي والطليطلي الذين عملوا على كمالها ورفع مستواها الى مكان القصيده العربية المقلدية . ويذهب كثير من الباحثين الى أن تطورا آخر حدث لهذا الفن بظهور الزجل الذى اعتبروه فرعا منه . يقول ابن خلدون : (ولما شاع فن التوشيح في أهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع اجزائه نسجت العامة من اهل الامصار على منواله . ونظموا طريقه بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا فيها اعرابا . واستحدثوا فنا سموه بالزجل) (*) ، في حين يرى غير هؤلاء أن الاصل واحد في نشأة الموشحات والازجال ، فقد ذهب الدكتور الاهواني الى وجود أصل مشترك ظهر في البيئة الاندلسية منذ عهودها القديمة كان له الفضل في ظهور التوشيح وكان له اثر في استقلال الزجل وتطوره . ذلك الاصل هو الاغنية الشعبية) (*) وقد سبق الى هذا الراي المستشرق الاسباني بالنثيا الذى يرى أن (الزجل والموشحة في واقع الامر من شعرى واحد ولكن الزجل يطلق على السوق الدارج منهما ولابد ان يكون في اللغة الدارجة فقد كان يتغنى بها في الطرقات ، اما الموشحة فلا تكون الا في العربي الفصيح واسمها كذلك عربي كما هو واضح) (*) وعلى هذا القول يوافق الدكتور شوقي ضيف الذي كاد أن يظن باسبقية الزجل حين قال (فالمعقول أن يكون الزجل قد نشأ معه (اي مع الموشح) مباشرة ، وربما سبقه ويمكن ان نقول أنهما جميعا فن واحد ذو شعبتين شعبة تغلب عليها الفصاحة وشعبة تغلب عليها العجمة) (*) .

ولكنا اذا عرفنا ان نصوص الازجال الاولى لم تصل الينا كما لم تصل الينا توشيحات الفترة الاولى من نشأة هذا الفن ، واذا عرفنا ان اول زجال وصلتنا نماذج صحيحة النسبة اليه هو ابن قزمان المتوفى سنة 554 هـ وأن أول وشاح هو عبادة بن ماء السماء المتوفى سنة 419 هـ انتهينا الى أن الموشحات سبقت الازجال وبالتالي الى أن الازجال تفرعت عن الموشحات، وان ذلك كان في القرن السادس ايام حكم المرابطين الذين كانوا قليلي المحافظة على التقاليد العربية ، اذ كان مستبعدا جدا أن ينشأ هذا الفن في ظل ملوك الطوائف الذين كانوا يقدسون كل ما هو شرقي ، ويحاولون تقليد الخلفاء العباسيين في ممارسة كثير من الوان الحياة وفي تهييء بلاط ادبي يجتمع فيه الشعراء لمدحهم ، ولو لم يلتزم الوشاحون في نظمهم لغة عربية فصيحة لا يتجاوزونها الى العامية الا في الخرجات لما تسنى لفن التوشيح ان يسير في طريقه منذ هذا العصر قبل ان يصل الى عهد المرابطين حيث اكتمل وازدهر في ظله وربما كان هذا الالتزام الذي عمل في نطاقه الوشاحون سببا في استقلال فنهم عن اصله الغنائي الشعبي .

---

* المقدمة ص 548

* الزجل في الاندلس ص 2

* تاريخ الفكر الاندلسي ص 143

* الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 356

وفى تونس تنشرح نفسه من جديد للمدينة التي احبها واحبته فجلس الى شيوخها من جديد . وجدد العهد باسانيدهم ومروياتهم .. كما اتصل بشيوخ اخرين عرفهم فى اوبته كابي العباس الغماز الخزرجي البلنسي (*) ، وابي الحسن بن ابراهيم التجاني(*) وهو ابن عم التجاني صاحب الرحلة التونسية الشهيرة .. وقد استفاد العبدري من ابي الحسن التجاني كثيرا وروى عنه بعض قصائد ابن الابار وحازم القرطاجني وغيرهما واثنى على ادبه وعلمه واطلاعه . كما استفاد من اخرين ..

وعلى طريق بجاية وتلمسان ووجدة يرجع الى وطنه بعد ما فارقه نحو السنتين ..

ورغم ان اسلوب العبدري يبدو فيه كثير من التكلف والاهتمام بالمحسنات .. ففد استطاع ان يكتب رحلة نفيسة خلدت صاحبها وشرفت عصره .. واحتلت مكانتها كتراث مغربي جدير بالدراسة والبحث والنشر .

(*) انظر ترجمته فى عنوان الدراية ص 70

(*) انظر ترجمته فى الرحلة التجانية ط تونس ص 11



الموشحات

للأستاذ عباس الجراري

- 3 -

تطور الموشحات ونشأة الزجل :

رأينا فى تطور الموشحات فى القرن الخامس على يد ابن ماء السماء وابن بقي والطليطلي الذين عملوا على اكتمالها ورفع مستواها الى مكان القصيدة العربية التقليدية . ويذهب كثير من الباحثين الى أن تطورا آخر حدث لهذا الفن بظهور الزجل الذي اعتبروه فرعا منه . يقول ابن خلدون : « ولما شاع فن التوشيح فى أهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع اجزائه نسجت العامة من اهل الامصار على منواله . ونظموا طريقته بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا فيها اعرابا ، واستحدثوا فنا سموه بالزجل » (*) . فى حين يرى غير هؤلاء أن الاصل واحد فى نشأة الموشحات والازجال . فقد ذهب الدكتور الاهواني الى وجود أصل مشترك ظهر فى البيئة الاندلسية منذ عهودها القديمة كان له الفضل فى ظهور التوشيح وكان له اثر فى استقلال الزجل وتطوره ، ذلك الاصل هو الاغنية الشعبية » (*) وقد سبق الى هذا الرأي المستشرق الاسباني بالنثيا الذى يرى أن الزجل والموشحة فى واقع الامر فن شعرى واحد ولكن الزجل يطلق على السوق الدارج منهما اذ لابد ان يكون فى اللغة الدارجة فقد كان يتغنى بها فى الطرقات ، اما الموشحة فلا تكون الا فى العربي الفصيح واسمها كذلك عربي كما هو واضح » (*) وعلى هذا القول يوافق الدكتور شوقي ضيف الذي كاد أن يظن باسبقية الزجل حين قال « فالمعقول أن يكون الزجل قد نشأ معه (أي مع الموشح) مباشرة ، وربما سبقه ويمكن ان نقول انهما جميعا فن واحد ذو شعبتين شعبة تغلب عليها الفصاحة وشعبة تغلب عليها العجمة» (*) .

ولكنا اذا عرفنا ان نصوص الازجال الاولى لم تصل الينا كما لم تصل الينا توشيحات الفترة الاولى من نشأة هذا الفن . واذا عرفنا ان اول زجال وصلتنا نماذج صحيحة النسبة اليه هو ابن قزمان المتوفى سنة 554 هـ وأن أول وشاح هو عبادة بن ماء السماء المتوفى سنة 419 هـ انتهينا الى أن الموشحات سبقت الازجال وبالتالي الى أن الازجال تفرعت عن الموشحات، وان ذلك كان فى القرن السادس ايام حكم المرابطين الذين كانوا قليلي المحافظة على التقاليد العربية ، اذ كان مستبعدا جدا أن ينشأ هذا الفن فى ظل ملوك الطوائف الذين كانوا يقدسون كل ما هو شرقي ، ويحاولون تقليد الخلفاء العباسيين فى ممارسة كثير من الوان الحياة وفى تهييء بلاط ادبي يجتمع فيه الشعراء لمدحهم ، ولو لم يلتزم الوشاحون فى نظمهم لغة عربية فصيحة لا يتجاوزونها الى العامية الا فى الخرجات لما تسنى لفن التوشيح ان يسير فى طريقه منذ هذا العصر قبل ان يصل الى عهد المرابطين حيث اكتمل وازدهر فى ظله وربما كان هذا الالتزام الذي عمل فى نطاقه الوشاحون سببا فى استقلال فنهم عن اصله الغنائي الشعبي .

---

* المقدمة ص 548
* الزجل فى الاندلس ص 2
* تاريخ الفكر الاندلسي ص 143
* الفن ومذاهبه فى الشعر العربي ص 356

وفي تونس تنشرح نفسه من جديد للمدينة التي احبها واحبته فجلس الى شيوخها من جديد . وجدد العهد باسانيدهم ومروياتهم .. كما اتصل بشيوخ ءاخرين عرفهم في اوبته كأبي العباس الغماز الخزرجي البلنسي (*) ، وابي الحسن بن ابراهيم التجاني(*) وهو ابن عم التجاني صاحب الرحلة التونسية الشهيرة .. وقد استفاد العبدري من ابي الحسن التجاني كثيرا وروى عنه بعض قصائد ابن الابار وحازم القرطاجني وغيرهما واثنى على ادبه وعلمه واطلاعه .. كما استفاد من ءاخرين ..

وعلى طريق بجاية وتلمسان ووجدة يرجع الى وطنه بعد ما فارقه نحو السنتين ..

ورغم ان اسلوب العبدري يبدو فيه كثير من التكلف والاهتمام بالمحسنات.. فقد استطاع ان يكتب رحلة نفيسة خلدت صاحبها وشرفت عصره .. واحتلت مكانتها كتراث مغربي جدير بالدراسة والبحث والنشر .

---

* انظر ترجمته في عنوان الدراية ص 70
* انظر ترجمته في الرحلة التجانية ط تونس ص 11



ـر شوقي لهـم ووفـى وزيـد
فى ضماني اش ما نقـول صدقوك

ـا لـس يتهمونـي فى حبهـم
ولا ات فى الـرسالـة يتهمـوك

لا يرمونـي فى الهـوى بالملـل
ولا ات يصنـا بالكـذب يرمـوك

اى زمان بعد قل هو قد كان يجي
انمـا هـو فى قـرطبـة مملـوك

لابـو يحيـى سيـد الامـرا
وفريد الزمـان وزير الملوك (*)

وواضح فى هذه القطعة ان صاحبها نسج علـى منوال القصيدة العربيـة فى التزامه الوزن والقافية لا لا يميزها غير الفاظها العامية الملحونة .

واذا تركنا ابن قزمان ومدغليس وجدنا اسمـاء عدد كبير من الزجالين والزجالات نذكر من بينهم ابـن الزاهد الاشبيلي ، وام الكرام بنت المعتصم بن صمادح، وبرهـون بنت القلاعى الغرناطية ، وعلي بن جحدر . وابن حسب الجزرى ، لم يحفظ لنا من انتاجهم غيـر نصوص قليلة متفرقة فى بطون الكتب يحتاج قراءتهـا وفهمها الى معرفة اللهجة التى نظمت بها ومـا كانت تمتاز به من صفات صوتية وخصائص فى النطق .

وانتشر الزجل فى مختلف البلاد العربيه التـي اخذت تنظم بلهجاتها الى ان اصبح اليوم يطلق علـى الوان من النظم العامـي لا حصـر لهـا ، لا تحدهـا موضوعات الغنـاء والمدح التي ازدهرت فى الاندلـس وانما تتسع لكل فنون القول من سياسة واجتمـاع وقصه وتمثيليـة .

قيمة الموشحات واثرهـا فى الادب العربي :

يبدو واضحا مما سبق ان الموشحات بتغييرهـا فى الوزن وتنويعها فى القافية تحـررت من المنهـج التقليدي الذي سارت عليـه القصيـدة العربيـة فى شكلها ، دون ان تحاول التحرر من الموضوع الذي لم تكن ظروف نشاتها ولا ظروف ازدهارهـا تسمـح بالخروج عليه ، وربما كان التزام الوشاحين للموضوعات السائدة فى الشعر العربي وخاصة الغناء والمدح سببا فى اقبال الملوك والامراء عليها ، وقد سبق ان قلنـا انه لولا هذا الاقبال لما تسنى لهذا الفن الجديد ان يقف على قدميه . وكان اصحابـه كانـوا يهدفون من وراء طرق الموضوعات التقليدية الى اظهار قدرته ومرونته، ولعلهم حاولوا تجاوزها الى موضوعات اساسها الحوار كان يمكن ان تكون بداية للشعر التمثيلي والقصصي فى الادب العربي ولكنه ليس لدينـا نصوص على ذلك ، وقد يكون قرن من الزمن وهو مدة الحكم المرابطـي الذي ازدهر فى ظله فن الموشحات غير كاف بان يطورها ولم تكن قد استقرت بعـد .

وربما كان فى امكان المشارقة ان يضيفوا شيئـا الى هذا الفن الجديد ولكنهم جمدوا عند ما قننه ابن سناء الملك لم يحاولوا غير اظهار قدرتهم على النظـم بتنميق وتحسيـن الاسلوب منصرفين عن اي ابتكـار وتجديد فجاءت موشحاتهم متكلفة خالية من اي روح ابداعي ، وربما كذلك كان كتاب ابن سناء الملك سببـا فى هذا الجمود الذي وقف عنـده المشارقة ، فهو ان عرفهم بموشحات الاندلسيين وبطريقة نظمها محـددا لذلك تحديدات دقيقة ، فقد حصر افقهم ومنعه عن اي انطـلاق .

ومهما يكن فقد استطاع الاندلسيون ان يحدثوا فنا جديدا يضاف الى فنون الشعر العربي وان يظهروا فيه شخصيتهم متميزة عن غيرها ، وقد غالى بعـض الباحثين فانكروا ما فى التوشيح ـمن جديد وبالغـوا فى القول بضعف الشخصية الاندلسية فيه ، والدكتور شوقي ضيف ، وقد سبـق ان اوردنا قوله فى نشـأة الموشحات ، من الذين يمثلون هذا الراي ، فهو يقول «والحق ان الموشحات وما تفرع عنها من ازجال لـم تحدث ثورة واسعه على الاوضاع القديمة فى الصياغة الفنية للشعر الفصيح وخاصة فى صياغة التفكير (*)

اما عن صياغة الشكل ففي فصول هذا البحث ما يدل فى وضوح وكفاء ، على ان التوشيح ليس فنـا مشرقيـا طوره الاندلسيون ، وان ظهوره كان ثـورة على قيود الشعر العربي لا يصورها غير قول المرحـوم كامل كيلاني بأنها حطمت «اكبر قيد رزىء به الشعر العربي وهو التقيد باوزان وقواف خاصة لا يتخطاها احد ولا يجسر انسان على الانتقاص عليها بل ولا يؤذن

(*) الزجل فى الاندلس ص 109
(*) الفـن ومذاهبه فى الشعر العربي ص 357

واذن فاننا نذهب الى ان الزجل تفرع من الموشحات وان ظهورهم كان نتيجة لاستقلالها عن الاصل العامي بل هو رجوع اليه .

اما بعد هذا فالزجل كبير الشبه بالموشح فى تنويع الوزن والقافية وفى اعتنائه بالخرجة التي هي فى الزجل ابسط واقل اجزاء ، وربما اتخذت مطلعا له او لزجل ءاخر غيره .

مثال هذا زجل ابن قزمان الذي يبداه بقوله :

ماع معشوقا مليح ووفى
جيد يكون ان لم تجيه طزع

حتى فال اذا بلغ الفصن الاخير قال :
معي زجيل معلم الطرفين

كالدنار الشقر من جهنين
والخرج دو متن عملين

ماع معشوقا ....

وواضح بعد هذا ان الفارق الاكبر بين الفنين هو اللغة التي تستعمل فى كل منهما فالموشح يلتزم اللغة العربية الفصيحة ، فى حين ان الزجال ينظم باللغة العامية التي يتحدث الناس بها فى الشوارع والاسواق .

ولا ينبغي ان يبالغ فى الظن بان جمهور هذا الفن كان محصورا فى طبقات العامة من الناس ، فقد كان الى جانب حياته فى بيئة يعيش فى بيئات خاصة وعند طبقات بعيدة عن السوقية والعوام كطبقة الصوفية الذين كانوا ينشدون الازجال فى حلقاتهم يرقصون على الحانها، وطبقة شباب المدن الارستقراطي العاطل الذي لم يكن يشغل باله بغير ما يمس لهوه ولذته وما يكون فى مجالسهما من شراب ورقص وغناء وقد وجد الزجل فى كل هذا بيئة صالحة اكتسب منها كثيرا من خصائصه ومميزاته لا بالنسبة لروحه الخفيف فحسب ، وانما كذلك بالنسبة لموضوعاته وخاصة المدح حيث نراه يمتزج بغزل مكشوف لا يتحرج فيه المادح من رسم كثير من الصور المادية للممدوح .

ويعتبر ابو بكر بن قزمان القرطبي اول زجال يتفن فنه وينظم فيه ديوانا كاملا ، يقول فى زجل له معبرا عن فلسفته فى الحياة :

دنيا هي كما تراها فاجتهد واربح زمانك
كل يوم وكل ليلة لا تخلى مهرجانك
واشتفي عليه من قبل ان يجيء الموت فى شانك
لس ذي عندك مصيبة ان تموت والدنيا حي
ساع دون شريب عندي لا شكل ولا ملامة
لس نعد اللذ لذة ولا يد الراح راحة
حتى تدخل شفة الكاس بالشراب بين شفتيا

ولعل اهم زجال بعد ابن قزمان هو ابو عبد الله احمد بن الحاج المعروف بمدغليس فقد كانت له عناية خاصة بتنقيح اسلوب ازجاله التي حاول ان يصلها بالقصيدة العربية رغبة فى الوصول الى بلاط الخليفة . اذ ان الموحدين على عكس المرابطين الذين عاصرهم ابن قزمان كانوا متشبثين بتقاليد الشرف العربي يحاولون التشبه بالخلفاء العباسيين . فلا غرابة ان نرى الزجال فى هذا العصر يقتني الاساليب البلاغية ومعاني القصيدة العربية يدخلها في ازجاله مبتعدا عن البيئة الشعبية والبيئات الخاصة التي ازدهر فيها الزجل على عهد المرابطين الذى يعد بحق ازهى عصور الزجل .

وهذه مقدمة غزلية لزجل مدح به احد الوزراء جعلها حوارا بينه وبين النسيم يقول فيها :

لقد اقبلت يا نسيم السحر
بروائح قد بورت المسوك
توقد انفاسك الذكية شمع
فى قلوبنا متى ما نستنشقوك
انما حقا لش وصلت ضعيف ؟
قال لي دراما دار لك اذ ودعوك
لما جالي الفراق وودعتهم
لبسوني النحول كالبسوك
ذكر الله من قد ذكرت بخير
كذا يصنا سمعتهم يدكروك
قلت من حق يذكروني الملاح
قل لي كيف لا نعم وينتظروك
قلت ان كان نرجع لهم عن قريب
قل لهم عني بصنا ان بسالوك

* الزجل فى الاندلس ص 40

ربما طوروها عن قصد الى ما نجد فى قصائدهم اليوم تشابك فى القوافي لم يكن يعرفه الشعراء فى الاندلس. شعر لوكنت دي بواتيي le Comte de Poitiers راهب مونتدون Le moine de Montandon مجريت Magret منظومات الحان الروندي Rondel التي كانت شائعة فى القرن السابع عشر دليل على هذا التأثر الذي كاد ان يختفي بعد عصر النهضة حيث كانت الغلبة للغة الشمال التي كان شعراؤها يعرفون بالتروفير .

وفى ايطاليا كان التاثر ظاهرا الى ابعد الحدود بسبب اتصالها عن قرب بالمسلمين فى صقلية وقد اهدى المستشرق الاسباني ميلاس فليكروزا (*) Millas Villiorosa الى التشبه الكبير بين موضوعات الوشيح وموضوعات شعر الفجريات ، وبين قالب الكنترستو Contrasto والبلات M. Ballata وقالب الموشحات .

ولعل التروبادور البروفانسيين هم الذين نقلوا هذا الفن الاندلسي الى ايطالية ، ففي كتب التاريخ ان الامير برنجر حين ذهب الى مدينة ميلان الايطالية لبقابل الامبراطور فريديريك الاول ليتسلم منه ظهير تولينه رئاسة عمالة بروفنس ، صحب معه عددا من هؤلاء التروبادور ففتن بهم الامبراطور لما كانوا ينشدون من اشعار يغلب عليها الطابع الاندلسي، وعن هؤلاء مباشرة اخذ الشاعر الايطالي الكبير بطرارك قوالب فن الموشحات .

اما عن اسبانيا فقد بحث الكاتب الاشبيلي ارجوتي ديمولينا(*) Argote do Molina Gensalo مدى تاثير التوشيح والزجل فى الشعر الاسباني واشار الى ان الايام التي سبقت سقوط غرناطة ونلنها كانت بعيدة الاثر فى خيال الادباء الاسبانيين ، وربما كانت القصائد الموريسكية التي تحكي قصص المسلمين، ترحمات لبعض الاغاني العربية التي كان ينشدها الاندلسيون والتي كانت من نظم التوشيح والزجل كما ذهب الباحث الاسباني بيدال Menendez Pidal الى ان منظومات الشاعر الاسباني قسيس هيتا Hita التي كانت تتغنى بها الجماعات الاسلامية التي ظلت تعيش بعد الحكم العربي فى الاندلس كانت على نمط الاغاني العربية .

---

* انظر تاريخ الفكر الاندلسي ص 619
* انظر تاريخ الفكر الاندلسي 228 .

ولا شك ان المغنين والمنشدين المسلمين الذين اضطرتهم ظروف الحياة الى البقاء تحت الحكم المسيحي ساعدوا الى حد بعيد على بقاء فن العرب ، فقد حكى المؤرخ رامول بيدال انه فى بلاط سانشوا الرابع ملك فشتالة كان عدد المنشدين الذين يتقاضون مرتبا من القصر سبعة وعشرين من بينهم ثلاثة عشر مسلما منهم امراتان .

وربما كان ينظم هؤلاء اغانيهم بلغة عربية قد تكون فصيحة وقد تكون عامية ثم ينقلونها الى اللغة الاسبانية قبل انشادها فى مواسم الاسبان وحفلاتهم ، وقد كانوا فيما بينهم يتناشدون موشحات وأزجالا يحنون فيها الى مجد الاندلس العربية يضمنونها ابتهالات الى الله وتوسلات برسوله كقول احدهم :

يا اله العالمين   كن فى عون المسلمين
لم يكن قبلك احد   انت هو فرد صمد
لارتضا خير العباد

وكقول ءاخر :

صلى الله عليه   نزور قبر النبي
من جمال ان اعطاه   الجبال افتتن
وتزلز اله طيبوا   رب انعم عليه
وصلوا عليه   يا عارفين به

وقد ضاعت كل هذه المنظومات كما ضاعت نفائس التراث العربي فى الاندلس ولعل اصحابها هم الذين دمروها حتى لا يقعوا فى قبضة محاكم التفتيش التي انتشرت فى مختلف انحاء البلاد تبحث عن مبطني الاسلام لتنكل بهم وتعذبهم .

وسرعان ما ضعفت عربية هذه الجالية الاسلامية فلجا شعراؤها الى الاسبانية ينظمون بها فى نفس الموضوعات التي كانوا يعالجون من قبل من مدح للنبي وتوسل اليه .

اما بعد هذا فمن شعراء الاسبان الذين ساروا فى نظمهم على طريقة الزجل والتوشيح الفريز جاتو وجيمزدي اوريا Jimmez Diunea وهرننده دي كاستيو وديجو ديفلنسيا Diego di Valencia وجارسيا فرننذ وغيرهم (*) من الشعراء الذين ظلوا حتى القرن السابع عشر يقلدون فى نظمهم شعر الموشحات والازجال .

له ان يفكر فى ذلك . . وليس يستطيع ان يقدر اهمية هذا التطور الذي نشأ عن اختراع الموشحات او يتبين خطورته الا من تتبع الحركة النقدية عند العرب وعرف ان التقليد الاعمى كان رائدها فى أغلب الاحايين وان شدة تفانيهم فى المحافظة على محاكاة من تقدمهم من العرب وتتبع اساليبهم فى التفكير قد وصلت الى حد يدعو الى الحيرة) (*) .

واما عن صياغة التفكير ففي كلام الدكتور غير قليل من المبالغة والاسراف ، وأول ما نقول ان الشعر حين وفد الى بلاد الاندلس كانت لا تزال صبغته بدوية جافة فيها كثير من سمات الابل والصحراء ، ولكنه لم يلبث انتحرر منها ليستبدلبها صبغة متأثرة بالبيئة الاروبية الجديدة ، حقا ان الشعراء كانت تأخذهم شدة الحنين الى موطن اجدادهم فى الشرق فيلجأون الى ادب يستقون منه بعض اساليبهم وافكارهم ويتخذونه نموذجا لهم ينسجون على منواله، ولكن هذا لم يكن ليبعدهم عن الوطن الجديد الجميل الذي يعيشون فيه فيغفلوا عن طبيعته الخضراء بازهارها المزركشة المتمايلة واشجارها الباسمة المثمرة وجداولها المترقرقة ونوافيرها السالية وحدائقها الغناء ومنتزهاتها الليلية وقد انعكست على شلالاتها اشعة القمر ، او يغفلوا عن سمائه الصافية حينا والممطرة احيانا وما يلجأ الناس اليه من مجالس يسودها الانس والغناء والشراب ، او يغفلوا عن ءاثار الفن النصراني المنتشرة فى كل مكان من كنائس وتماثيلوغيرهما مما يسترعيالنظر فى البلاد الاروبية.

جال الشاعر الاندلسي فى كل هذا او كثير سواه فتأثرت به نفسه وانفعلت قريحته فوصف كل ما وقعت عينه عليه ، لم يترك شيئا فى بيئته الا اتخذه موضوعا لفنه واصبح التحدث عن الطبيعة وجمالها عنده مدخلا لكل فنون القول فى الشعر .

وهو اذا وصف لا يحاول انتقاء صوره وانما هو يريد ان يصف كلمشاهداته يحشد لهاالصور المتزاحمة والتشبيهات المتنوعة لا يتردد ان يشبه اي شيء بأي شيء ءاخر مهما كانت الرابطة قوية او ضعيفة وهو فى اغلب ذلك يعمد الى الخلق والابتكار وابداع المعاني الرقيقة والصور الجميلة يمزج ذلك كله بموسيقى عذبة خفيفة تجعلنا نحس فى شعره رشاقة تكاد تسيطر عليه فى الفاظه ومعانيه وذوقه وغير هذا مما يميز اغلب الشعر الاندلسي ولم يكن يعرفه المشارقة .

وربما كان هذا الجمال المبسوط فى كل مكان وما يزدحم فى ذهن الشاعر من رسومه وصوره سببا فى صرف الشاعر عن اطالة النظر واعمال التفكير اذ لم تترك له وقتا للتركيز والتعميق .

واذن فللموشحات قيمتها واثرها فى الادب العربي مهما انكر ذلك المنكرون ، ولولا عوادي الزمن التي جارت على فنها وعلى موطنه ، ولولا التقليد الجامد الذي وقف عنده المشارقة لكان لهذا الفن مكانته فى الادب العربي غير ما هي عليه ، وربما صادفت فترة انحدار فن التوشيح ان الادب العربي عامة كان قد بدأ يتخذ طريق الانحطاط .

ولعل مما يزيد فى الدلالة على قيمة هذا الفن واثره فى ادبنا العربي تلك المحاولات التي قام بها لاحيائه بعض الشعراء المعاصرين فى البلاد العربية والمهاجر الامريكية الذين يسعون الى التجديد والتحرر من قيود القصيدة التقليدية فقد وجدوا انه يساير أذواقهم العربية وميولهم فى التطوير والتجديد .

الموشحات واثرها فى الادب الاروبي :

ولا نريد ان نختم هذا البحث دون ان نشير الى تاثير فن الموشحات فى الادب الاسباني وغيره من الاداب الاوربية التي اتصلت به منذ اواخر العصر الوسيط .

ففي فرنسا كان التروبدور les troubadours وهم شعراء بروفنس (*) Provence المتجولون يرحلون من منطقة الى اخرى فى فرنسا واروبا عامة يتنقلون من قصر الى ءاخر ويمدحون الملوك والامراء فى اشعار خالية من الوزن والقافية ليس فيها ما يبعث الموسيقى غير اتخاذ الحروف الصوتية Assounance ولكنهم لم يلبثوا بعد انتشار الموشحات ان اسرعوا الى تقليدها فأصبحت اشعارهم اكثر ايقاعا واعذب لحنا

---

* نظرات فى تاريخ الادب الاندلسي ص 246
* فى جنوب فرنسا

هل كان ذلك بسبب امتياز **العرق** كما يزعم جل علماء الاجناس الذين يعتبرون المميزات الفيزيولوجية الجسمية هي المحرك الاول ، فكأن هنالك امتيازا لجنس خاص (هو الابيض) على الاجناس الاخرى ، وجواب توينبي ان استقراء بسيطا لتاريخ الحضارات يثبت انها لم تكن منحصرة فى عرق واحد بل نرى كل الاجناس لها نصيب واسهام . اذن هل للبيئة الطبيعية والظروف المناخية شأن فى نشوء الحضارات على اساس ان الاقليم المعتدل والموقع الجغرافي المواتي هما من جملة الحوافز البيئية على الازدهار الحضاري ؟ ان توبني يرفض مرة اخرى هذا الراي لان البيئة وحدها عاجزة عن تفسير هذا الانتقال من طور جامد الى طورحي، لأن وحدات اجتماعية كانت عديدة موجودة فى ظروف جغرافية متشابهة ولكنها مختلفة كل الاختلاف من حيث السمة الحضارية المميزة .

ان التفسير الوحيد الذي يشرح لنا تماما فكرة النشوء الحضاري تفسير نفسي النزعة قائم على مفهوم التحدي والاستجابة : تحدي من الطبيعة والظروف البيئية والاجتماعية الصعبة واستجابة ناجحة من طرف الانسان أي رد التحدي الخارجي بالتحدي البشري النفسي على هذه العوارض فى طريق الانطلاق الحضاري .

وهنالك ادلة « تاريخية » تؤكد رأي توينبي فى مفهوم التحدي : قبل فجر المدنية كانت البوادي الافريقية الاسيوية ــ الصحراء الكبرى وبلاد العرب ــ ملأى بالاعشاب والمياه ثم ان جفاف هذه السهول الخصبة كان عبارة عن تحدي للسكان ، فقابلوه بطرق مختلفة فالبعض ظلوا مقيمين فيها انما بدلوا عاداتهم واصبحوا بدوا رحلا ، والآخرون انتقلوا الى المناطق المدارية فى الجنوب حيث الغابات وحافظوا على حياتهم الابتدائية ، واما الآخرون فقد دخلوا مستنقعات وغابات وادي النيل والدلتا وقبلوا التحدي وعملوا على تجفيفها واعدادها للزراعة وأتوا بالحضارة المصرية. وكذلك الحضارة السومرية فقد ظهرت بنفس الاسلوب فى دلتا الدجلة والفرات ، وكذلك حضارة الصين فى وادي النهر الاصفر ، لا ندري من اي نوع كان التحدي ولكن الاحوال كانت صعبة ، والحضارة الاجية المينوسة كان اصلها تحدي البحر للسكان ورد هم على تحدي البحر بالتغلب باقامة السدود والحواجز وغير ذلك .

ويمكن حصر هذه التحديات الخارجية والدوافع النفسية فى خمسة انواع :

1 ــ **دافع الاراضي الصعبة :** كما فى المانيا ووادي الرين حيث نجد فيها الظروف الطبيعية صعبة ولكن الانسان قهرها وتغلب عليها حينما عبد الجبال واقام السدود وازال الاحراش وجفف المستنقعات .

2 ــ **دافع الارض البكر :** اي ان الارض الجديدة تثير الهمم والارض البكر تولد رد فعل اقوى من ذلك الذي تولده ارض ذات حضارة سابقة ، وهكذا ازدهرت الحضارة المسيحية والاسلامية خارج مهود نشأتها الاولى .

3 ــ **دافع النكبات :** ان الهزائم العسكرية والاحتلال الغاشم كثيرا ما يكون حافزا على التغلب على هذه النكبات مثال ذلك هزيمة العثمانيين على يد تيمورلنك استثارت نخوة محمد الفاتح فاستولى على القسطنطينية ــ وكذلك المانيا بعد الحرب الاولى .

4 ــ **دافع الضغط :** هذه الحالة كثيرا ما نلاحظها عند الشعوب المتاخمة على حدود دولة دائمة التحفز العدواني فهذا الخطر الداهم على الحدود من شأنه ان يخلق عندهم تحديا له واستعدادا متواصلا كما حدث فى تاريخ الحضارة المصرية مع هجومات وغارات البدو المتواصلة .

5 ــ **دافع العقوبات :** ان ما لاقته بعض الاجناس البشرية والطبقات الاجتماعية من الوان الاضطهاد على ايدي الفئات الطاغية المستبدة كان باعثا لطوائف تلك الاجناس على خلق ارقى وازهى الحضارات فالحرمان من المفقود يحفز المحرومين على التعويض عما فقدوه من حق المشاركة فى بعض الميادين بالتبرز المبدع فى ميادين اخرى .

واذا كانت هذه العوامل من شأنها ان تشرح لنا اسلوب الحضارات فهي غير كافية لتوضيح نمو الحضارات اي ان الحضارة قد تنشأ ولكن قد لا تنمو، فاذا كان التحدي يشرح لنا سر النشأة الاولى فلابد من شيء آخر لاستمرار التقدم الحضاري فالتحدي يجب ان يستدعي رد فعل ولكن لابد من تحد ثان وثالث ورابع ، ورد فعل ثان وثالث ورابع وهكذا ، اي هناك مرحلة تخلخل فتوازن فتخلخل فتوازن ، وكلما استمرت هذه الدورة نمت الحضارات ، واذا ما توقفت حركات التحديات وردود الفعل توقف النمو ، فهنالك اذن تحقيق غاية وصراع جديد او حل مشكلة ومجابهة اخرى .

فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي

للأستاذ
جمال بغدادي القادري

مفكر انجليزي معاصر اتى بنظريات جريئة في مجال الدراسات الحضارية واستطاع بذلك رفع الستار عن بعض الحوافز الخفية التي دفعت شعوبا ابتدائية الى الازدهار الحضاري واخرى انحدرت الى التقهقر والعقم ـ انه لسؤال حير كل من اشتغل في حقل الحضاريات وهذا السؤال الكبير يدور حول العوامل الاساسية التي خلقت هذه الحضارات الشهيرة ، وهل حدث ذلك عفويا ام بفضل العناية الالهية ام لامتياز عنصر عرقي وهل للظروف الطبيعية الجغرافية دخل في هذا الاعتبار ام ان الثورة الاقتصادية هي الشرارة الاولى التي حفزت الهمم .

ان تاريخ الفكر الفلسفي اعتنى ـ في جملة ما اعتنى ـ بهذا اللغز وتصدى له بعزم مفرطا في التحيز متواضعا حينا ءاخر ، وءاخر هذه المحاولات ما كتبه الفيلسوف الانجليزي « ارنولدتوينبي » في كتابه « دراسة في التاريخ » حيث عرض باسهاب نظريته الشهيرة حول العوامل التي جعلت الشعوب البدائية تنشىء الحضارات الخالدة وكيف تنحدر بعضها الى الخمود والموت .

وقد بدا كتابه بانتقاد المفاهيم الشائعة في هذا الموضوع فهو لا يقبل ربط الحضارة بالامة لان مدلول الحضارة اوسع مجالا واشمل رقعة فانجلترا تدخل في حقل الحضارة الغربية او الحضارة المسيحية ولم تكن هي بنفسها حضارة خاصة بها ـ ولهذا امكن تقسيم الحضارات المحلية ـ ان صح هذا التعبير ـ الى وحدات اجتماعية ذات سمات حضارية مشتركة مع الحضارة الام ـ وهو ينتقد بشدة تلك الاسطورة التي تزعم ان الغرب شعب الله المختار ، وان الشرق لا سبيل له الى الابداع الفني او الاختراع العلمي الاصيل مع ان التاريخ الحضاري يثبت ان الشرق لم يكن جامدا مقلدا في كل حين وان الغرب لم تجد الجهالة سبيلا اليه .

ومن الخطإ ايضا الظن بان المخطط البياني لتطور الحضارات يسلك الخط المستقيم بدون انحراف او اعوجاج ، فالواقع ان التطور سلك دوما مسلكا « لولبيا » ، فتارة يرتفع وتارة اخرى ينحدر وينخفض المستوى ـ وليس صحيحا ايضا ان مصر ، هي أم الحضارات كما نجد هذا الزعم عند اغلب من اهتموا بدراسة الحضارات لان الحفريات تكشف لنا كل حين عما وصلت اليه شعوب ما قبل العهد الفرعوني من تقدم مادي وفكري .

ومفهوم التصنيف الحضاري عند توينبي يقوم على اساس ما لهذه الحضارات من قوة حية دينامبكية او مالها من صحة الجمود والانقطاع ، ولهذا نراه يقسم الحضارات البشرية حسب هذا الراي الى احدى وعشرين حضارة منها خمس عشرة حضارة استطاعت ان تنقل من حالة الجمود الى طور دينامبكي خلاق ، وست حضارات بقيت على حالتها البدائية الجامدة .

وبعد هذا التقسيم ندخل مباشرة في صميم المذهب التويني حينما نتساءل عن الاسباب التي جعلت هذه الشعوب البدائية تنسلخ من حالتها الجامدة الى طور حي فعال هو الطور الحضاري الحقيقي وما هي الدوافع الفعالة التي كانت العامل الاساسي في هذا العبور .

ابو محمد السجلماسي وكتابه المنزع البديع

بقلم الاستاذ
سعيد اعراب

كنت اشرت في مقال سابق (*) الى ان من نوادر المخطوطات العربية ، وذخائر المكتبة المغربية (كتاب المنزع البديع) في تجنيس اساليب البديع .. ـ لابي محمد السجلماسي ، واعطيت صورة مختصرة عنه ، لكنني كنت اجهل كل شيء عن مؤلفه ، والآن ـ وقد تصفحت الكتاب وقرأت كثيرا من مباحثه وفصوله ـ احببت ان اعود الى الموضوع ، واعرف بالكتاب وبمؤلفه ، سيما والكتاب صفحة مشرقة من تاريخنا الادبي ، والمؤلف من الشخصيات الغامضة التي طواها الاهمال من سجل التاريخ ، وكان الذي دفعني الى هذا امرين :

1) ان ابن خلدون ذهب في المقدمة ، الى ان المغاربة لم يؤلفوا في البلاغة والبيان ، لدقة انظارهما ، وغموض معانيهما (*) ، وشايعه على هذا الرأي طائفة من مؤرخي الادب العربي في العصر الحاضر (*) ، وخير وسيلة ـ في نظري ـ لتصحيح هذا الخطأ ان نعرف ببعض الكتب التي الفها المغاربة في البلاغة والبيان ، قبل عصر ابن اخلدون ، ونعرض نماذج حية منها على انظار القارئ ليشاطرنا الراي .

2) فتح قوس لترجمة عالم مغربي فذ ، لم تذكر كتب التراجم حتى اسمه ، فضلا عن تاريخ حياته ، شأنها في ذلك مع كثير من نوابغنا ، وقديما وسم اهل المغرب بالتقصير ، واهمال تاريخهم . وما لنا نذهب بعيدا ! فالى عهد قريب كنا لانعرف اي شيء عن المراكشي مؤلف المعجب ، وابن عذاري صاحب البيان المغرب ، واضرابهما ولولا كتابهما الخالدان اللذان عثر عليهما مؤخرا ، وكان الفضل في نشرهما لبعض المستعربين ، لما كان لذكرهما وجود ، ولظلت آفاق في تاريخنا من مجاهل التاريخ .

وابو محمد السجلماسي من هذا القبيل ، فقد اخطات عين الزمان ـ وهو البصير الحاد ـ نسخة فريدة من كتابه (المنزع البديع) فكانت كنافذة يشع منها بصيص من النور على جنبات من حياة المؤلف ، ومن خلال هذا الكتاب يستطيع الباحث ان يضع الخطوط الاولى لترجمته . والمؤلف هو ابو محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الانصاري السجلماسي ، وما ذكره بروكلمان في المجلد الثاني من ملحقه ص 16 ـ من ان مؤلف المنزع البديع ، هو ابو القاسم محمد .. اعتمادا على ما في فهرس الدحداح ـ فلعله تصحيف او فيه تقديم وتاخير ، والاصل ابو محمد القاسم .. ويؤيد هذا ماجاء في ديباجة المخطوطة التي بين ايدينا قال : قال شيخنا الاستاذ الاكمل العالم الاوحد الافضل ، القدوة الصدر المتفنن ، المتقن الاحفل ، ابو محمد القاسم بن محمد .. وجاء في الخاتمة : قال الامام ابو محمد مؤلفه رضي الله عنه كمل هذا الوضع وفرغ من املائه وتاليفه بحمد الله ـ في الحادي والعشرين لصفر (عام) اربع وسبعمائة ه

ويبدو ان واضع الديباجة والخاتمة هو ناسخ الكتاب ابراهيم بن محمد الفساني ، الذي ذيل المخطوطة ـ على عادة الناسخين ـ بقوله : كمل بحمد الله .. على يدنا نسخه ابراهيم بن محمد الفساني الشهير بالوزير وذلك بمدينة فاس ـ حرسها الله ـ

---

* نشر هذا البحث في العدد العاشر (الممتاز) من مجلة دعوة الحق ص 67 السنة الثالثة .
* ـ ص 1036 ـ ط دار الكتاب اللبناني .
* وحتى الزيات ـ على تحريه وتثبته . انظر ص361 : تاريخ الادب العربي .

والتقدم الحضاري هو تقدم بشري لا مـــادي او تقني ، لان الاعتبار فى الحضارة اعتبار كيفي لا كمي . والحضارة لا تقوم على مجهود افراد منفرديـن او على جماعات مستقلة عن الافراد ، وانما على التفاعل الجيد بيـن الفرد والمجتمع ، او بعبارة اوضح الى وجـود القوة الخلاقة المنحصرة فى الاقلية الموجهة التي تدفـع بالمجتمع الى الامام .

والحضارة تسقط وترجع القهقرى اذا ما توقفت الردود الفعلية على التحديات الخارجية او حينمـا تضعف هذه الفئة الموجهة فى القيادة وتعجز عن ايجاد الحلول الناجحة للصعوبات الخارجيـة ، او نراهـا تصبح فئة مسيطرة لا خلاقـة .

ويعلق توينى على فكرة التحدي فيقول بان التحدي يجب ان نفهمه ضمن الاستطاعة البشرية اي ان تحدي الطبيعة يجب الا يكون فوق ما يتحمله البشر ، اذ ان لهذه التحديات الطبيعيـة والبشرية مدى معينـا يجب الا تتعداه حتى تكون الاستجابة الخلاقة ممكنة ــ فهي ليست مما يعجز الجهد البشري ولا مما ينقاد له بسهولة كل الانقياد ؛ فالرخاء المفرط فى البيئة عـدو الحضارات اللدود (كما فى المنطقة الاستوائية حيث كل المواد الغذائية متوفرة) ، وكذلك قسوة العوائق قسوة خارقة من شانها ان تشل كذلك النشاط الانساني ، وتسقط الاجنحة الحضارية قبل اوانها (سكان المناطق القطبية والصحراوية) فالتحـدي المقصود اذن هـو التحـدي المستطـاع .

فالحضارة تنمو اذا ماتوفرت هذه الشروط ، وهي تبدأ فى الانحدار والضعف متى مازالت هذه الشروط . ورأى توينى حول الحضارة المعاصرة راي يتأرجح بيـن حلين لا ثالث لهمـا :

اما ان تقوم حرب عالمية ذرية ماحقة لان الفئـة الحاكمة فشلت فى ايجاد الانسجام بين حاجيات الناس وبين واقع البيئـة .

واما ان تقـوم حضارة عالمية واحدة تنهض بهـا الديانة الرباعية المنشودة وهـي المسيحية والاسـلام والبوذية والهندوكية ، ولابد من هذا التعاون لان كل دين من هذه الاديان الاربعة يكمل نقص الآخر : فالمسيحية غنية بالمفاهيم الانسانية ولكنها فى حاجـة الى واقعية الاسلام ــ والهندوكية والبوذية لابد مـن ان تطعما بالفلسفة الاسلامية والمسيحية ــ والاسلام كما يدعي توينى فى حاجة الى القيم الانسانية الرفيعة للاديان الثلاث الاخرى ، فخلاص العالم وانقاذ الحضارة المعاصرة سيكون على يد هذه الديانـة الرباعيـة لان توينى يستبعد النظرة المتشائمة الاولى فى قيام حرب طاحنة عالمية ، ولكن الحل الثاني صعب التحقيق ولابد من افراد يتحدون التناقض الحضاري المعاصر باقامه فلسفة دينية جامعة وبها فقط يكون خلاص العالم .

ان اهمية فلسفة « توينى » التاريخية راجعة الى تحويل المفاهيم الحضارية من الحقل المادي الاقتصادى البحث الى الاعتبارات النفسية الباطنية التي لـم تكن فى حسبان فلسفة القرن التاسع عشر واوائـل القرن العشرين ، وكذلك تأتي جدة هـذه النظرية فى اعادة ارجاع الحق المهضوم للدين كانقاذ البشريـة وكطريق للخلاص ، فكأن توينى يعكس ميـل العصـر ويلخص الطابع الذي اصبـح هـو السائـد فى كتابة الكتـاب ودراسة الدارسيـن ، وهـو بذلـك اعـار للنفس البشرية وللروح الدينية مكانتهما فى حل الغاز الماضي السحيق ، وفى قيادة الحضارة الانسانية الـى هدفها الحقيقي هـذا الهدف النبيل الذي لا ينكره الا جاحد متعصب كافر بالقيم الخالدة .

ومن شيوخه — كما قال في نوع الترصيع — ص 143 — قال : قال لي شيخنا ابو عبد الله — قدس الله روحه — ان سورة الواقعة من نوع الترصيع ، وتتبع اجزائها يؤذن بان فيها موازنة قال : ويحتمل كلام الشيخ (ض) وجهين : احدهما ان تكون تسمية السورة بجملتها ترصيعا ، اعتبارا لاحد جزايها ، والثاني ان يكون سماها بجملتها ترصيعا ، الفاء الفصلين بين الترصيع والموازنة كما فعل ابو الفرج قدامة ، فانه جعل الترصيع والموازنة بابا واحدا وترجم عليها باسم الترصيع ، وبالجملة فما لم يكن منها في نوع الترصيع فهو في الموازنة ، وهما متقاربان وكل ذلك مما ورد في التنزيل ، وما ورد منهما فيه ففي اعلى طبقة لتوفر الشروط فيهما .

واوردت هذا النص برمته ليعلم القاريء من خلال هذا النقاش بين الاستاذ وتلميذه — ان مدارسنا في هذا العصر كانت تدرس البلاغة في مستوى عال ، وفي جو قرآني ادبي ، وكان لكتاب ابي محمد السجلماسي صدى في الاوساط الاندلسية ، وتقبل حسن من علمائها ، فهو لم يكد يظهر الى الوجود ويرى النور حتى رأينا عالم المرية ابن ليون سعد بن احمد بن ابراهيم التجيبي 750 ه يقدم له خدمة جليلة وما احراه بها — فيهذبه ويزيل ما به من منطقيات وفلسفيات ، وربما كان هذا الفرع افيد من اصله (*) .

واذا اوضحنا بعض جوانب من حياة المؤلف فلنعد الى الكتاب ، ولنبدأ — باديء ذي بدء — بالتعريف بالمخطوطة وهي — فيما اعلم — نسخة فريدة لا اخت لها ، توجد بمكتبة المعهد العالي بتطوان تحت رقم 932 ، والمخطوطة مجلد ضخم يقع في 236 — صفحة من القطع الكبير ، النوع القديم ، في كل صفحة 26 سطرا بخط مغربي جيد ، وتعتبر هذه النسخة على مايبدو — الفرع الثاني للاصل وهو منقول عن الفرع الاول لتلميذ المؤلف : ابراهيم الغساني السالف الذكر

والنسخة كثيرة التصحيف والتحريف ، مما جعل القاريء يقف طويلا في قراءة كثير من فصول الكتاب ، ويحار احيانا في فهم بعض عباراته ونصوصه .

والكتاب يبدأ بمقدمة ابان فيها المؤلف ان الغرض من كتابه : (احصاء قوانين اساليب النظوم التي تشتمل عليها الصناعة الموضوعة لعلم البيان واساليب البديع ، وتجنيسها في التصنيف وترتيب اجزاء الصناعة في التاليف ، وتحرير تلك القوانين الكلية ، وتجريدها من المواد الجزئية) ، ثم بين ان كتابه يشتمل على عشرة اجناس : الايجاز ، التخييل ، الاشارة ، المبالغة ، الرصف ، المظاهرة ، التوضيح ، الاتساع ، الانثناء ، التكرير) .

وقد اوضح المؤلف في هذه المقدمة ، وفي كثير من ابواب الكتاب ان موضوع كتابه ليس علم البديع فقط — كما يوهمه عنوان الكتاب — بل ما يشمل البيان ، على ان اطلاق البديع على ما يشمل علوم البلاغة استعمال قديم منذ عهد الجاحظ الى ما بعد القرن الخامس الهجري ، وربما كان السكاكي اول من قسم البلاغة الى معان ، وبيان ، وبديع ، وجعلها علوما ثلاثة واقام الحواجز الفاصلة بينها ، وهو تقسيم لم يقل به احد قبله ، ولا ينبني على اساس صحيح (*) وقد يكون مؤلفنا السجلماسي استوحى فكرة تقسيم البلاغة الى عشرة اجناس من ابي بكر الباقلاني (430) في كتابه اعجاز القرآن ، فهو بعد ان سرد انواعا من البديع بما فيها التشبيه والاستعارة والمماثلة ، قال ان ذلك باب من ابواب البراعة ، وجنس من اجناس البلاغة ، وذكر ان البلاغة عشر اقسام الايجاز ، التشبيه ... الخ .

والرماني (384) يجعلها في كتابه النكت ثمانية : الايجاز ، الاستعارة ، التشبيه ، البيان ، النظم ، التصرف ، المشاكلة ، المثل) وابو محمد اعتمد كثيرا على هذين الكتابين ، وان كان نقد ابا بكر في عدة مسائل ، على ان فكرة التجنيس والتنويع ذهبت ببعضهم الى ابعد من هذا ، فهذا ابو القاسم عامر بن هشام القرطبي ، كاتب ابي عبد الله حفيد ابن عبد المومن — المتوفى 623 ه — الف كتابا في اجناس التجنيس ، وطريقة الاجناس والانواع وان كانت تقوم مقام الابواب والفصول ، وفيها تجديد وضبط لقواعد الفن ومسائله ، فهي طريقة فلسفية عميقة ، تخضع لحدود ورسوم منطقية ، لاعلاقة لها بجو البلاغة ، ولا تمت بصلة الى موضوعها الفني .

(*) انظر درة الحجال المرجع السابق .

(*) انظر تاريخ علوم البلاغة للمراغي ص 111 \ 115 .

وكان الفراغ منه سابع رجب عام تسعين واربعمائة هـ ــ «كذا» ولعل الصواب : سبعين وسبعمائة بالباء الموحدة فيهما ، والخطأ من الناقل لا من الناسخ الاول (الفساني) ويجوز ان يكون ابو القاسم بن محمد بن ابراهيم الفساني المعروف بالوزير ، الطبيب المغربي المشهور ، صاحب المؤلفات العديدة فى الطب المتوفى 994 هـ ــ من حفائد الفساني المذكور ، ومهما يكن ، فالذي يترجح ان كنية المؤلف هي ابو محمد ، واسمه الخاص القاسم .

وابو محمد من العائلات الانصارية التي وردت على المغرب فى فترات تاريخية ، وهي منتشرة بكثرة فى الاوساط المغربية والاندلسية ، ويوجد مكتوبا على ظهر الورقة الاولى من المخطوطة فى زاوية الى اليسار بخط خفي : (الانصاري النجار ، السجلماسي الدار) .

ويبدو مما جاء عرضا ــ فى درة الحجال ــ ج 2 469 ــ : ان النسبة الاصلية لابي محمد تنوسيت وتنوسي معها ان ابا محمد ولد ونشأ بسجلماسة ، ورحل الى فاس للاخذ عن علمائها ، وجلس للتدريس بها ، وهناك ، ومن احد كراسي (القرويين) املى على تلاميذه كتابه (المترع البديع) وفرغ من املائه اواخر صفر عام اربع وسبعمائة هجرية ، وممن تلمذ له ابراهيم بن محمد الفساني الشهير بالوزير ، اما متى ولد ؟ ومتى توفى ؟ واين ؟ فذلك مالانستطيع تحقيقه الآن ، وكل ما نستطيع ان نقول هو ان ابا محمد السجلماسي من مواليد النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، وان وفاته ربما كانت فى العقد الثاني او الثالث من المائة الثامنة للهجرة .

وعاش ابو محمد فى العصر المريني ، الذي ازدهرت فيه علوم العربية ، وبلغت ما لم تبلغه فى اي عصر كان ونال علم البيان اعتناء كبيرا ، والمرجح انه فى هذا العصر ابتدأ تدوين البلاغة بالمغرب ، وربما كان ابو محمد السجلماسي اول مؤلف فيها بالمعنى الصحيح . وممن اسهم فى هذا الميدان من علماء هذا العصر :

1) **ابن البناء المراكشي** : ابو العباس احمد بن محمد بن عثمان (721 هـ) له كتاب (الروض المربع فى صناعة البديع) وتكلم عن كثير من مسائل البلاغة فى تفسيره لسورة الكوثر ، حتى قال بعضهم : ان ابا عبد الله الضرير المراكشي استقى منه كثيرا فى نظمه لمصباح ابن مالك فى المعاني والبيان (1) .

2) **ابن رشيد** : ابو عبد الله محمد بن عمرالسبتي (721 هـ) واكثر مباحث ابن رشيد فى البديع ، وله فى ذلك كتابان : احكام التاسيس فى احكام التجنيس ، ــ وايراح المريع لرائد التشجيع والترصيع .

3) **ابو القاسم الشريف** : محمد بن احمد السبتي (760هـ) له شرح على مقصورة حازم سماه رفع الحجب (المنشورة) ، على محاسن المقصورة ، تناول فى مقدمته دراسة اصناف البديع ، وكثيرا من مسائل البيان كالتشبيه والكناية والاستعارة .

4) **ابو عبد الله المراكشي** : محمد بن عبد ارحمان الضرير (807هـ) له رجز فى علوم البلاغة ، حاذى فيه مصباح ابن مالك ، قيل انه التقطه من الحلية ، والطيبي ، والتجديهي ، والصناعتين للعسكري .. واخذ كثيرا من تفسير سورة الكوثر لابن البناء ــ كما اشرنا الى ذلك سابقا . ولابي عبد الله الضرير شرح على هذا الرجز املاه على تلاميذه فى حلقات دروسه بمراكش

ويجب ان نلاحظ ان هناك ظاهرة تبدو جلية على مؤلفات هذا العصر ، وهي انها اتجهت اكثر الى الصنعة اللفظية ، والمحسنات البديعية ، حتى الذين الفوا فى البلاغة والبيان ، حاولوا ان يكسوها حلة بديعية ، وجعلوا عناوين كتبهم (البديع) ولعل للعصر الذي عاشوه اثرا فى ذلك ، ومعلوم ان العصر المريني كان عصر الزخرف والصنعة ، طفت علىرجال الادب فيه اموضة) التفنن والابداع ، وربما كان هذا هو الحامل لابن خلدون ان يقول فيهم ماقال .

وكان ابو محمد السجلماسي على جانب كبير من الثقافة اللغوية والادبية ، وله تضلع فى النحو ومذاهبه ومشاركة فى التفسير والحديث ، والفقه والاصول ، وله المام بعيد فى الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، وكان متاثرا بفلسفة ارسطو ، وله آراء فى البلاغة والنقد تتجلى فى كثير من مباحث كتابه (المترع البديع) .

* الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام ــ عباس ابن ابراهيم ج 4 ــ ص 127 .

معرض الكتب

افريقيا الجديدة

قرأه وعلق عليه :
الدكتور محمد عيسى مكي

فى السطور التالية نقدم عرضا لكتاب « افريقيا الجديدة » الذي وضعه الكاتب الالماني الاستاذ رولف ايتاليياندر المتخصص فى الشئون الافريقية ، وهو كتاب نرى انه يجدر بكل افريقي ان يقراه حتى يعرف بلاده خيرا مما يعرف ، واذا كنا نقول ذلك عن اهل افريقيا فان كل اوربي وامريكي اولى بان يطالع هذا الكتاب ، ولو انهم فعلوا لاقنعهم بانتهاج طريق غير الذي انتهجوا حتى الآن ازاء قارتنا القاسية المكافحة ، وهو اخيرا كتاب يدل على انه ما زال فى اوربا كتاب ومفكرون استروحت قلوبهم نسمات الانسانية والعدالة بصورة تستحق الاعجاب والتقدير .. هو كتاب يدل على ان الدنيا ما زالت بخير ....

حضارة اوربا :

ليست الحضارة الاوربية الا جهازا هائلا لنشر الدمار والخراب، فهي لا تستهدف الا امتصاص طاقات الشعوب التي تبسط سيطرتها عليها ، وابادة الاجناس التي تجرؤ على الوقوف فى طريقها ، انها على الرغم من كل ما تصطنعه من مظاهر الرقي والتطور لا تعدو ان تكون « حضارة آكلي لحوم البشر » ، فهي تقوم على اساس اضطهاد الضعفاء والاغنياء على حسابهم ، وبذر الكراهية والحسد بين مختلف الاجناس والامم . انها مدنية علمية ــ لا ننكر ذلك ــ ولكنها متجردة من الانسانية .. هي قوية جبارة ليس فى ذلك شك . ولكن قوتها تعود الى انها تركز جهودها من اجل الوصول الى هدف واحد : هو جمع الثروة ، وهي ــ باسم القومية ــ لا تتورع عن الخيانة واخلاف الوعود ، ولا تكف عن نصب حبائل الاكاذيب وخداع السذج البسطاء .. هي حضارة وثنية وان اصطنعت غير ذلك . فنحن نراها فى كل مكان تسيطر عليه مقيمة اصناما هائلة للاله الوحيد الذي تدين له بالعبودية : اله الترف ..

ترى الانسانية راضية بان تقودها مثل هذه الحضارة الى هاوية الخراب ؟) .

هكذا تساءل (رابندرانات طاغور) فيلسوف الهند الاكبر حينما نشبت الحرب العالمية الاولى فى سنة 1914 ، وبهذه العبارة ختم الكاتب الالماني الحر « رولف ايتاليياندر » كتابه عن « افريقيا الجديدة »

ولعل هذا الكاتب احد الاوربيين القليلين الذين حاولوا ان يتفهموا مشاكل القارة الافريقية بعيدا عن التعصب والغرور اللذين يطلان دائما من سطور ما تكتبه عن افريقيا اقلام الاوربيين ، وهو استاذ جامعي يتولى تدريس تاريخ افريقيا وحضاراتها فى عدد من الجامعات الامريكية ، كما انه عضو فى كثير من معاهد اوربا وامريكا المتخصصة فى دراسات علم الاجناس ، وقد نشر من قبل كتبا كثيرة حول القارة الافريقية من اذيعها واوسعها انتشارا كتاب « القارة القلقة » ، وكتاب « متى تذهب ايها الرجل الابيض ؟ » وكتاب « من الغابة الى الصحراء » ، وفيه ضمنه انطباعاته حول زيارته للكونغو وتشاد والصحراء الكبرى .

طريق السلام :

ونعود الى كتاب «افريقيا الجديدة» الذي اختار مؤلفه لخاتمته تلك الكلمة المأثورة عن رابندرانات طاغور ، وفى هذه الخاتمة يعلق الاستاذ ايتاليياندر على هذه العبارة ، فيقول ان الحق يقتضي من الاوربيين جميعا ان يعترفوا بانها صادقة صحيحة بريئة من

واذا كان هناك ما يؤخذ على المؤلف ، فهذه التقسيمات الفلسفية ، والتعريفات المنطقية التي دفعته اليها طريقة التجنيس والتنويع ، والتي اصبح خاضعا لها ــ اراد ام لم يرد ــ مع كل جنس من الاجناس العشرة التي بني عليها كتابه ، فهو مضطر لان يعرف لنا ما هو الجنس ؟ وهل هو عال ، او متوسط ، او اسفل ؟ وما هي الانواع التي تندرج تحت كل جنس ؟ وما هناك من فروق ذاتية ، وعرضية ؟ فبينما نرى المؤلف في ظلال ادبية : تشبيهات بديعية ، وكنايات جميلة ، مع البحتري ، والمتنبي ، وابي نمام ، او مع ابن خفاجة ، وابن زيدون، اذا به مع ارسطو ، والاسكندر ، والفارابي ، وابن سيناء ... وربما اقحم نفسه في حرب عنيف مع المشائين والسفسطائيين .

وهنا ننشد مع البحتري قوله :

كلفتمونا حدود منطقكم
والشعر يكفي عن صدقه كذبه (*)

---

* ويعني بالكذب في الشعر ــ كما يقول عبده ــ التخيل ، والذهاب بالنفس الى ما ترتاح اليه من التعليل .



واعتدنا كذلك ان نتحدث فى كثير من الاحتقار والسخرية عن الامية المنتشرة فى شعوب افريقيا ، ناسينا انه اذا نظرنا الى بلد اوربي مثل المانيا فى اوائل القرن التاسع عشر فاننا نجد ان نسبة بالغة الضآلة كانت هي القديرة على تذوق ادب « غيتة » وتفهم (شيللر) وان الامية كانت بلا شك منتشرة فى العالم القديم التي انتجت لنا حضارات خالدة نرمقها اليوم فى اعجاب يكاد يصل الى حد التقديس ، ثم ان الامية تختفي اليوم من اوساط الشعوب الافريقية فى سرعة مذهلة ولا سيما بين البلاد التي نالت استقلالها اخيرا ، وهو امر يدلنا من ناحية على طموح هذه الشعوب واقبالها على العلم والثقافة فى حماس يستحق الاعجاب ، ومن ناحية اخرى على ان الدول المستعمرةلم تسع اطلاقاالى رفع مستوىالتعليم بين تلك الشعوب كما درجت على ان نزعم .

ارستقراطية اللون :

وقد اعتدنا ان نتحدث فى فخر وعجرفة عن الحرية والاخاء والمساواة ، واعتبرنا انفسنا — نحن الاوربيين — خالقي هذه المبادىء ، وعلى الرغم من ذلك فاننا لم نجد بأسا فى ان ننادي بنظريات تناقض تلك المبادىء كل التناقض ، بل نصور الى اي حد يصل بمفكرينا من السخف والغرور ، حينما قام كثير من مفكرينا فى القرن التاسع عشر بوضع تلك النظريات التى لا تقوم على اي اساس علمي والتي ترعم ان للاوربين فضلا على الساميين وللبيض امتيازا على السود او الصفر . ولنذكر ما كتبه الفريد روزنبرج « مفلسف » الحركة النازية حينما قال ان الرجل الابيض ينبغي ان يتخذ قرارا حاسما فى مسألة ابادة الجنس الاسود والقضاء عليه حتى لا « تتلوث » به قارتنا الاوربية ، ولنذكر ما كتبه الكونت « جوبينو » الذى ضمن امثال هذه الاراء رسالةله سماها «اختلاف الاجناس البشرية » ، وكانت اساسا لكل ما كتبه حول ذلك المفكرون المدافعونعن مبدأ التفرقة العنصرية ومما أصدق ما كتبه عن هذا المبدأ المفكر سومرسون اذ قال : (لقد ابتليت البشرية بكثير من الوان الارستقراطية ، ولكني لا اعرف منها اكثر قبحا ولا حماقة من ارستقراطية اللون والبشرة) .

سيدي ... الولد :

واعتدنا كذلك على ان نعامل الافريقيين معاملة (قاسية) .. على انهم اقل بدرجات فى مراتب الانسانية عن امثالنا من البيض الاوربيين ، ولم تفلح دعوات المصلحين الانسانيين فى تحويلنا عن تلك المعاملة .. ولاذكر على ذلك مثلا بسيطا شهدته بعيني فى الكونغو قبيل استقلاله ، فقد جرت عادة البلجيكيين هناك على ان يتوجهوا بالخطاب الى اي فرد من افراد شعب الكونغو بكلمة (الولد) مهما كان مركزه او ثقافته او سنه ، ثم ارادت الحكومة البلجيكية قبل ان ينال الكونغو استقلاله بقليل ان تخفف من اثر الوقع السيء الذي يتركه مثل هذا التعبير ، فاصدرت امرا بان يستخدم رعاياها مع اهل الكونغو لفظ (السيد) اسوة بما يستخدمونه فى الخطاب بين بعضهم البعض، فماذا كانت النتيجة ؟ كان البلجيكي اذا تحدث مع اي مواطن من الكونغو ناداه بقوله : ايها السيد.. الولد .. واطلق ضحكة ساخرة .. اترانا نعجب بعد ذلك اذا نظر البنا الافريقي اليوم بعيون ملؤها الكراهية ؟

* * *

وليعذرنا القارىء اذا كنا بدانا فى عرض محتويات هذا الكتاب من آخره ، فالواقع ان خاتمة الكتاب التي سقنا موجزا لبعض فقراتها المهمة انما تتضمن ناحية من ابرز نواحيه .. اذ ان هذا الكاتب الاوربي يتحدث فيها بصراحة مرة عن موقف اوربا ازاء قارتنا الافريقية ، وحديثه اشبه ما يكون (بالاعترافات) ولكنه لا يكتفي بذلك ، بل يدعو الضمير فى مختلف بلاد العالم ولا سيما الاوربية والامريكية الى التكفير عن كل تلك الخطايا بانتهاج سياسة جديدة لا تقوم على الارتجال والتسرع ، وانما على تربية (وعي جديد) ، ولا سيما فى طبقات شباب المثقفين . وهو يطلقها صيحة جريئة داعية الى (مراجعة حساب اوربا) فى هذه القارة ، والى تطهير النفوس والنوايا قبل ان تستمر اوربا فى سياستها الغاشمة الحمقاء .

وهو يختم كلامه بقوله : اني اخشى ان تكون الفرصة قد فاتت ، ومع ذلك فاننا اذا اخلصنا الضمائر واستمعنا لصوت الحق والعدالة فقد يكون هناك مجال لاصلاح بعض ما افسدت أيدي السفهاء منا .. وانهم لكثير ..

* * *

والمؤلف بعد ذلك يستعرض صورامن حياة القارة الافريقية يرسمها فى صدق ودقة من خلال زيارته الاخيرة لبلاد هذه القارة ولقائه لكثير من زعمائها

التعصب او المبالغة ، وهو امر مؤسف الا انه اذا اردنا ان نصلح اخطاء الماضي وننتهج طريقا جديدة يؤدي بالعالم الى السلام فانه لابد للمفكرين الاوربيين الاحرار ان يتحملوا تبعيتهم فى « تحرير » شعوبهم من تلك الجرائم التي طالما ارتكبوها ولوثوا بدمائها ارض القارة الافريقية .

ماذا فعلت باخيك ؟

وقد كان من اول هؤلاء المفكرين الاحرار الذين رفعوا صوتهم منادين بذلك الكاتب الفرنسي رومان رولان الذي قضى الشطر الاعظم من حياته مدافعا عن الثقافة الاوربية حتى فطن اخيرا الى مدى ما فى هذه الثقافة من عناصر الفساد والانحلال ، فاذا به فى سنة 1916 يكتب قائلا :

(ان حضارتنا الاوربية اصبحت تفوح منها رائحة الجيف .. انها جسد ميت ندعو اليه الدافنين حتى يريحوه ويريحوا منه بمواراته فى التراب) .

ويذكر رومان رولان فى معرض الحديث بين الرجل الابيض وافريقيا السوداء ان هناك اسطورة شائعة بين الافريقيين يفسرون بها علة بياض بشرة الاوربي ، اذ يقولون ان الله تعالى سأله : ماذا فعلت باخيك الافريقي ؟ فشحب وجهه وابيض من فرط الخجل والخزى . وبقي هكذا الى الابد ..

على من تقع التبعة ؟ :

ان التبعة فى كل ما قاسته شعوب القارة الافريقية فى الماضي وما تقاسيه فى الحاضر انما تقع على الاوربيين وحدهم، واذا كنا نريد اليوم – نحن الاوربيين – ان نكفر عن جرائمنا فينبغي علينا ان ننسى غرورنا واعتقادنا الخاطىء باننا أسمى من غيرنا .. علينا ان نحاول اقامة علاقاتنا بشعوب افريقيا وآسيا على اساس جديد من الاحترام والحب والاخاء .. علينا ان نطهر انفسنا من شوائب الماضي قبل ان ندعو الشعوب الافريقية الى احترامنا او الثقة فينا ، فاننا ما دمنا على ما نحن عليه فانه ليس من شك فى اننا غير جديرين بأي ثقة ولا احترام ..

التبشير :

لقد اعتدنا مثلا على اعتبار ديننا هو المثل الاعلى للقيم الروحية دون ان نحاول تفهم ما فى الاديان الاخرى من فضائل ، وساقنا الغرور الى محاولة فرض المسيحية على كثير من الشعوب الافريقية المسلمة عن طريق سياسة تبشيرية حمقاء ، كان التبشير يسير فيها مع الاستعمار فى ركاب واحد ، لقد تدخل المبشرون فى السياسة بشكل مباشر واصبحت مهمتهم هي تخدير الافريقيين واتخاذ نشر الدين ذريعة لمد السيطرة الاستعمارية عليهم وابقائهم خدما ان لم نقل عبيدا للرجل الابيض ، أترانا نعجب اذا رأينا الافريقيين يسعون فى اول عهدهم بالاستقلال الى طرد هؤلاء المبشرين الذين لا يمثلون الا ظلم الاستعمار وطغيانه واما المسيحية فانها منهم بريئة ..

الثقافة :

وقد اعتدنا الا نعترف بثقافة الا ان تكون ثقافتنا الاوربية وكان العالم خلا من الثقافات قبلنا ، وكأننا نسينا ان حضارتنا لم تولد الا على اساس ما اغترفته مع منابع الحضارات الوثنية التي قامت فى العالم القديم والحضارة الاسلامية التي ازدهرت فى العصور الوسطى ، وقد اثبتت الابحاث التاريخية ان كل « المجاهل » الافريقية التي غزاها الرجل الابيض فيما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر لم تكن من « المجاهل » فى كثير ولا قليل ، وانما كانت مهاد حضارات عظيمة عريقة فى القدم ، وان سكان تلك المناطق لم نكونوا من التأخر والجهل بحيث يتصورهم الاوربيون فى العصر الحاضر ، وقد كان من ابشع الجرائم التي ارتكبها المستعمرون البيض هو تدمير معالم تلك الحضارات حتى يصوروا للناس بعد ذلك ان افريقيا لولاهم لكانت فريسة للجهل والوحشية ، ولنذكر من امثلة ذلك ان المستعمرين البيض حينما حلوا فى جنوب افريقيا عثروا هناك على آثار ترجع الى الاف السنين وتدل على أن هذه المنطقة كانت قد ازدهرت فيها حضارة عظيمة لعلها اقدم حضارات العالم، غير ان التعصب – ولا ابالغ اذا قلت التوحش – قد بلغ بهؤلاء المستعمرين الى حد طمس جميع تلك المعالم والاثار حتى لا يخالج الناس شك فى ان اوربا هي التي جعلت من سكان هذه البلاد بشرا بعد ان كانوا احدى الفصائل الحيوانية ..

« اصلاح زراعي » من نوع جديد :

وقد اقبل الانجليز منذ حكمهم لهذه البلاد على التطور بها تطورا سريعا ، فسنوا لها قانونا للاصلاح الزراعي، والاصلاح الزراعي فى كل بلاد العالم يستهدف توزيع الاراضي توزيعا اقرب الى العدالة ، ولكن اصلاح الانجليز كان شيئا جديدا يمتاز بالطرافة والاصالة، فقد اصبحت بمقتضاه كل اراضي كينيا الخصبة الصالحة للزراعة او لتربية الماشية من نصيب الاوربيين ، اما الكينيون فقد تركت لهم معظم المساحات المجدبة من البلاد .

وواصل الانجليز جهودهم فى سبيل نشر الديمقراطية فى كينيا ، ففي سنة 1954 طبق القانون المعروف باسم « ليتلتون » واصبح مجلس الوزراء على اساسه يتألف من ستة اعضاء : ثلاثة اوربيين واثنين هنديين وعضو افريقي واحد .

ويبدو ان هذا الطراز من الديمقراطية لم يعجب اهل كينيا ، ومن ثم ولدت الحركة الوطنية فى تلك البلاد ، وتزعمها جوموكينياتا ثم توم مبويا حينما زج بكينياتا فى السجن ، وكانت مطالب هذه الحركة هي اعادة توزيع الاراضي على اساس يضمن للافريقيين حقوقهم ، ثم زيادة نسبة تمثيل الافريقيين فى اجهزة الحكم والمجالس النيابية .

روديسيا ونياسا :

لعل اول ما يصدم الداخل الى سالزبوري عاصمة اتحاد روديسيا ونياسالاند وهو ما زال بعد فى المطار هو ذلك البيان الطويل المعقد الذي يقدم للاجنبي لكي يملأه ، واول ما ينبغي ان يثبته فى هذا البيان ليس ذكر وطنه الذي ينتمي اليه ، وانما هو النص على جنسه : ابيض ، افريقي ، اسيوي ، مولد .

للاوربيين فقط :

والعاصمة مدينة جميلة فى وسطها عدة ناطحات السحاب ، وفى ضواحيها بيوت ريفية على الطراز الانجليزي القديم ، والذي يستوقف نظر المتردد على معالم هذه المدينة الجميلة لاول وهلة هو خلوها من الافريقيين . على ان المتسائل عن ذلك لا يلبث ان يجد الجواب فى اللافتات التي يراها حيثمر فى انحاء المدينة (للاوربيين فقط) ، وقد حاولت مرة ان ادعو فى فندقي سياسيا افريقيا مرموقا يتولى منصب (الوزارة) فى حكومة الاتحاد ، وتاجرا هنديا معروفا الى تناول الفداء معي ، فلم تسمح لي بذلك ادارة الفندق ، بل نظر الي موظفوه فى مزيج من الدهشة والاشفاق والغضب ، كأنني ارتكبت جرما لا يغفر لي منه الا الجهل والسذاجة ..

وتبلغ مساحة الاتحاد الفيدرالي بين روديسيا الشمالية والجنوبية ونياسالاند خمسة اضعاف مساحة بريطانيا ، اما عدد السكان فيبلغ اكثر بقليل من سبعة ملايين ونصف من بينهم نحو 187 000 اوربي ، وقد بدأ النفوذ البريطاني فى الامتداد الى هذه البلاد منذ ان قدم اليها سيسل روديس (1853 — 1902) ، وهو الذي اطلق اسمه على هذه البلاد ، ثم استولت عليها (الشركة البريطانية لجنوب افريقيا) فى نهاية القرن التاسع عشر (من اجل النهضة بالتجارة والصناعة والثقافة فى ظل حكومة صالحة تقدمية) ، وما زالت هذه الشركة تباشر عنايتها بالتجارة والصناعة والثقافة (كذا) حتى اصبحت المقاطعات الثلاث جزءا من ممتلكات التاج البريطاني .

الدكتاتور اليهودي :

اما الاتحاد الائتلافي الذي اقيم بين تلك المقاطعات الثلاث فهو حديث العهد ، اذ انه يرجع الى سنة 1953 ، بفضل سياسي استعماري انجليزي هو السير اندرو كوهين الذي يدلنا اسمه على اصله اليهودي .

ولعل فى ذلك ما يفسر لنا كيف يحكم هذا الاتحاد الآن يهودي آخر بولوني الاب هولندي الام هو روي فيلينسكي رئيس وزراء الاتحاد منذ سنة 1956 ، وحياة هذا الرجل يمكن ان تكون صورة مصغرة من حياة امثاله من الاوربيين الذين يتحكمون حتى الآن فى مصائر البلاد الافريقية .

ولد روي فيلينسكي فى سالزبوري فى سنة 1907، وكان ابوه صاحبا لاحدى الحانات ثم لفندق متواضع، ولم يأخذ هو الا قسطا ضئيلا من التعليم ، ثم اشتغل اجيرا فى بعض المناجم والمزارع ، وقضى فترة من حياته جزارا وخبازا وبائعا ، ثم احترف الملاكمة حتى سنة 1928 ، وبعد ذلك اصبح سائق قطار ، وارتفع نجمه بسرعة بفضل بعض الارستقراطيين الانجليز

وقادتها ، هذا وان كان لم يكتف بذلك بل حاول ان يعرف آراء رجل الشارع العادي فى كل بلد زاره مما اتاح له الالمام باتجاهاته المختلفة وتطور الحركات القومية فيه ..

* * *

اوربا لا تسمع :

ولنمض فى جولتنا مع « رولف ايتاليالندر » حول افريقيا .. لنتوقف قليلا عند هذا الساحل الطويل الذي يدور مع البحر الابيض فى الشمال الغربي من افريقيا ، لنتأمل هذه الارض الطيبة الدافئة التي اصبحت تجري فيها انهار من الدماء والدموع والآلام .. الجزائر ، (الجزائر الفرنسية) التي لا تقل فى (فرنسيتها) عن نورماندي او بريتاني ، واى باس فى ان يعترض على ذلك عشرة ملايين من الافريقيين المسلمين ما دام نحو مليون من الاوربيين يرددون تلك (الحقيقة) صباح مساء ؟

« الجزائر الفرنسيه » .. وان احتج على ذلك اغلبية هذه البلاد من المسلمين الذين لا يريدون ان يصبحوا فرنسيين ، وماذا يهم ؟ ان اوربا لا تسمعهم ولا تعيرهم التفاتا .. هكذا قالملك فرنسالويس فيليب فى سنة 1835 حينما نشبت حرب الجزائر : (.. وماذا يضيرنا اذا انطلقت فى سماء الجزائر مائة الف قذيفة؟ أن اوربا لا تسمع) .

واوربا فى ذلك الوقت كانت هي العالم .. هي الضمير البشري .. هي كل شيء .. وهكذا تعتقد حتى الآن اولئك الملبون من الاوربيين المستعمرين ممن لا يزالون مؤمنين بان اوربا هي سمع العالم وبصره وان الناس فى خارج اوربا – اذا جاز انيعتبروا ناسا – ليس لهم عيون ترى ، ولا آذان تسمع ..

ويقول جان بول سارتر : هناك « حقيقة » لا يعرف هؤلاء المستوطنون الاوربيون غيرها فى الجزائر: هي انهم اختصهم الله بنعمة البشرية ، وان اهل البلاد الاصليين « اشياء » لم ترتق بعد الى هذه الدرجة .

وقد كنت قمت باول رحلة الى الجزائر فى سنة 1931 حينما لم يكن الشعور القومي فى هذه البلاد قد نضج ولا تشكل فى صورته الحاضرة ، وكان اول ما صدمت به هناك ان هؤلاء الاوربيين الذين تعاقبت اجيالهم منذ قرن من الزمان لميوفقوا الى فهمها قط.. بل لم يحاولوا ذلك حتى مجرد محاولة ، ولهذا لم يكن من العسير على اي عقل قدر له نصيب من التحرر ان يتنبأ بما سوف يحدث ..

ومن الغريب ان اوربا التي لم تكن ترى ولا تسمع فى سنة1835 ظلت عاصبة عينيها ومصمة اذنيها اكثر من مائة سنة ، ففي 8 مايو 1945 قام الجزائريون المساكين وفى نفوسهم بقية من ثقة محتفلين بانتصار الحلفاء « الديمقراطيين » على المانيا النازيه، ومطالبين « اصدقاءهم » الفرنسيين بتحقيق وعودهم لهم بمنحهم نصيبا من الحرية ، فماذا كانت النتيجة ؟ انطلقت المدافع الفرنسية الى صدور الجزائريين فقتلت منهم فى سطيف بضعة آلاف فى ساعة او بعض ساعة..

وماذا بهم ؟

ان فرنسا – ومعها اوربا – ما زالت بعد لا ترى ولا تسمع ..

« الديمقراطية » فى كينيا :

ولنترك الجزائر ، وننتقل الى طرف آخر من اطراف افريقيا .. الى كينيا التي تسمى مع تنجانيقا واوغندا « افريقيا الشرقية البريطانية » . وكينيا بلد تسوده الديمقراطية الخالصة التي اجتهد الانجليز فى تلقينها للافريقيين . وقد بدا حكمهم لها فى سنة 1885 – كما هو المتبع فى السياسة البريطانية – عن طريق الشركات التجارية ، وكانت « الشركة البريطانية لشرق افريقيا» هي التي وقعت على عاتقها « تبعة » نشر الحضارة والديمقراطية فى كينيا ، وسرعان ما اصبحت هذه البلاد ملكا (بكسر الميم وسكون اللام) للتاج البريطاني حتى يضطلع فيها بمسؤوليته الكاملة .

ويعيش الآن فى كينيا نحو ستة ملايين ونصف من البشر منهم 152 000 من الهنود ، و000 33 عربي ونحو 57 000 من الاوربيين ، ولا تزيد نسبة السكان البريطانيين فى كينيا على (9ر0٪) من مجموع السكان .

مدينة كيبتون في سنة 1795 ، ووفد عدد آخر من البريطانيين في سنة 1820 ، وسرعان ما نشب النزاع بين المستعمرين الهولنديين والبريطانيين اذ حاول كل من الفريقيين الاستئثار بخيرات البلاد ، ومن ثم استعرت نار الحرب المعروفة باسم حرب البوير فيما بين سنتي 1899 و 1902 ، واخيرا اعلن (استقلال) اتحاد جنوب افريقيا في سنة 1909 في نطاق جامعة الدول البريطانية (الكومنولث) ، وظل الامر على ذلك حتى خرج الاتحاد من تلك الجامعات اخيرا، واذا كانت الكراهية لا تزال حتى الآن على اشدها بين الهولنديين والبريطانيين فان هناك شيئا واحدا يجمع بين الفريقين : ذلك هو ابغاض الافريقيين وصب كل الوان الاضطهاد والعسف عليهم .

وبلغ عدد سكان الاتحاد خمسة عشر مليون نفس ، من بينهم نحو احد عشر مليونا ونصف من الافريقيين والمولدين ونصف مليون اسيوي ، وثلاثة ملايين من الاوربيين .

التفرقة العنصرية قانون الهي :

ويرأس حكومة الاتحاد في الوقت الحاضر الدكتور هندرك فيرورد الذي ولد في هولندا سنة 1901 واشتغل في شبابه مدرسا ، ثم اصبح رئيسا لتحرير جريدة (دي ترانسفالر) الناطقة بلسان الهولنديين البوير ، وتولى بعد ذلك عدة مناصب في حكومة الاتحاد، كان آخرها رياسة الوزارة منذ شهر اغسطس سنة 1958 .

ولعل فيرورد هو اكثر الساسة الاوربيين في افريقيا تعصبا واغلظهم قلبا واجمدهم تفكيرا ، ويكفي ان نذكر ان هذا الرجل يصرح دائما بان التفرقة العنصرية (الابارتهيد) انما هو قانون الهي ينبغي ان يطبق في كل مكان يحل فيه اي اوربي ، وان هذه التفرقة ليست ظلما لما يسميه (العناصر المنحطة) اي الافريقية ، وانما هي الاجراء العادل الذي يكفل لها ان تعيش (في المستوى الذي خلقت له) .

ولهذا لم يكن من الغريب ان يلاقي الافريقيون في هذه البلاد على يد هذا الرجل ما لم يشهد له التاريخ مثيلا ، فدستور الاتحاد ينص على ان الافريقيين لا يمكن ان يكونوا اعضاء في البرلمان ولا محامين ولا قضاة ولا ضباطا في الجيش ولا في الشرطة ، وكل ما سمح لهم هو ان يشتغلوا مزارعين اجيرين او عمالا بشرط الا يتخصصوا في اي عمل فني او صناعي ، اما الاعمال التي تتطلب مستوى عاليا من التخصص كالهندسة او الطب او الصيدلة او العمارة فكل ذلك محرم على غير الاوربيين ، واما ملكية الارض في هذه البلاد فانها تصور بشاعة ما يجري بها، فالاحد عشر مليونا من الافريقيين لا يملكون من ارض بلادهم الا نحو 13٪ من جملة مساحتها ، والمليونان ونصف المليون من البيض يستأثرون بالباقي ، هذا وتتصرف الحكومة والسادة البيض في الشعب الافريقي كما لو كان قطعانا من البهائم ، اذ يكفي ان يطلب احد الاوربيين بضعة آلاف من الافريقيين للعمل في مزرعته او منجمه حتى يصدر قرار حكومي بنقل سكان قرية كاملة الى حيث يريد السيد الابيض لخدمته بدون مقابل ، وليس للافريقي ان يحتج او يطلب استبدال سيده بآخر اذا اراد ان يتجنب عقوبة الجلد او السجن او الاعدام في بعض الاحيان ، اما الاوربي فانه ليس مطالبا بدفع اجر للعامل او الفلاح الافريقي الذي يعمل في خدمته من شروق الشمس الى غروبها ، وكل ما يلتزم به هو ان يلقي اليه كل يوم قليلا من الذرة والدقيق والملح ، ولا يستطيع الافريقي ان ينتقل من منطقة الى اخرى الا بتصريح من الحكومة ، وهذا التصريح يعين السلطات على ان تجمع العدد الذي تريده من العمال تحت تصرفها في اي وقت وفي اي مكان .

وقد اصدرت الحكومة اخيرا قانونا يحرم على الرجل الابيض ان يصافح الافريقي بيده طيلة حياته ، فاذا مات (اعني الافريقي) فانه لا يسمح لجسده بان يدفن في المقابر المخصصة للبيض .

وقد كان من نتائج هذا (الارهاب الاسود) الذي يباشره البيض هناك ان وقع ذلك الانفجار الشعبي الشديد في مارس سنة 1960 ، والحركات الوطنية وعلى راسها رجال مثل ايزيكيل مفاليلي والبرت لوتولي تسير بخطى سريعة الى الامام ، هذا ولست اريد ان اصرح باسماء بقية القادة الوطنيين الذين تعرفت اليهم اثناء اقامتي هناك حتى لا اتسبب في مزيد من الاضطهاد لهم على ايدي زبانية (الاتحاد الافريقي) .

* * *

وهكذا يمضي الكتاب في عرض صور من حياة افريقيا والافريقيين ، فيحدثنا طويلا عن مدغشقر والكاميرون والكونغو ونيجيريا وغانة وغينيا ومالي

حتى تولى منصب النيابة فى المجلس التنفيذي فى سنة 1940 ، وفى السنة التالية اسس الملاكم اليهودي السابق (حزب العمال لشمال روديسيا) وقد بدا يطالب بفكرة الاتحاد الائتلافي بين المقاطعات الافريقية الثلاث منذ سنة 1948 ، وهو ما تحقق اخيرا على يد اندرو كوهين ، وهكذا اصبح فيلينسكي بفضل ذلك رئيسا لوزراء الاتحاد .

« بدعة » الاستقلال :

ويشرح السير روي فيلينسكي مبادىء سياسته، فيقول من خطاب القاه فى جوهانسبورج اخيرا : (ان من الظواهر المؤسفة التي اصبحت «بدعة» هذا العصر ما نراه الآن من مطالبة الشعوب المتخلفة بما تسميه استقلالها وحريتها ، وكان هذا الاستقلال سلة من الخبز يتقاسمون ما فيها فور حصولهم على الاستقلال لقد حانت الساعة لكي نفهم هؤلاء الفوغاء الرعاع ان ذلك ليس الا حلما تقبع وراءه الحقيقة المرة .. ان ما يسمونه « الاستقلال » لن يغنيهم من فقر ولن يسمنهم من جوع ، وانه يجب ان يعرف هؤلاء المخدوعون المضللون أن الوطن الصحيح لا يقوم الا على دعامتين رئيسيتين: اقلية مثقفة مستنيرة تعرف كيف توجه الحكم وتديره ، واغلبية تضطلع بما يسند اليها من عمل فى طاعة ونظام .. بهذا يكفل الرخاء والاستقرار فى البلاد ، والا اصبحت امورها فوضى تعود بالكوارث على الجميع ، ان البلاد الافريقية جميعا بلا استثناء ما زالت فى حاجة الى جهودنا — نحن الاوربيين — ورعايتنا واخذنا بايديها ، وانا اصرح بان هذا الوضع قد يستمر قرونا قبل ان نسمح لاولئك الملونين المتخلفين بالاخذ بنصيب فى حكم بلادهم وادارتها بانفسهم ، وحتى اذا حانت هذه الساعة لذلك اليس من حقنا نحن الذين ضحينا بالكثير من اجل اسعاد هذه الشعوب ان ننال نصيبنا من الجزاء وان يعترف بفضلنا عليها ؟) .

ولست اظن هذه الكلمات التي تصور صفاقة صاحبها وتجرده من الانسانية محتاجة الى اي تعليق ..

7 000 ابيض = 500 000 افريقي :

ويعتبر السير روي فيلينسكي نفسه كما يعتبره الاوربيون البيض هناك من (ابطال الاستقلال) ، فالجميع يعترفون بان نفوذ وزارة المستعمرات البريطانية فى توجيه سياسة الاتحاد الائتلافي قد تضاءل حقا فى عهده ، غير ان مفهوم (الاستقلال) هنا يختلف عن مفهومه فى سائر بلاد العالم ، اذ ان معناه فى روديسيا هو ان تنتقل السلطات من اجهزة الاستعمار البريطاني الى يدي روي فيلينسكي نفسه وايدي امثاله من الاقلية الاوربية الحاكمة .

ولروديسيا ونياسالاند برلمان فريد من نوعه . اذ يتألف من تسعة وخمسين عضوا من بينهم 15 يمثلون الاغلبية الافريقية و44 يمثلون الاقلية البيضاء، ومعنى ذلك ان كل نصف مليون من اهل البلاد يمثلهم عضو واحد ، اما الاوربيون فلهم نائب عن كل 7 000 شخص .. اترانا فى حاجة الى مزيد من الامثلة على مدى (الديمقراطية) التي طالما امتنت اوربا على الافريقيين بأنها لقنتهم اياها ؟

وقد ظل العالم لا يعرف الا القليل عن الحياه فى هذا البلد الافريقي حتى استطاع الزعيم الروديسي موانجانكو مبولا ان يطلع الرأي العام العالمي فى مؤتمر اكرا سنة 1958 على حقائق تقشعر منها الابدان .

وفى نفس هذا المؤتمر تحدث زعيم افريقي آخر هو كاموتزوباندا عن احوال نياسالاند التابعة للاتحاد الائتلافي الذي يحكمه روي فيلينسكي ، وقد قضى باندا اربعين سنة من حياته فى المنفى وسنوات اخرى فى السجن لا لشيء الا لانه قال للبريطانيين ولربيبهم اليهودي : اخرجوا من بلادي .. وقد ادى ذلك اخيرا الى نشوب تلك الاضطرابات الدامية التي وقعت فى فبراير سنة 1959 .

قابيل وهابيل فى جنوب افريقيا :

ولنترك اتحاد روديسيا ونياسالاند الى اتحاد جنوب افريقيا فى الطرف الجنوبي الاقصى من القارة حيث كان مهبط آدم وحواء من الجنة بعد ان طردهما الله من الفردوس على ما يعتقد بعض علماء الحضارات القديمة . ترى لو ان ابا البشر عاد اليوم الى عالمنا الارضي ورأى ما يفعل بعض ابنائه فى مكان مهبطه .. اتراه يشعر بالندم والاسف على خروجه من الجنة بقدر خجله من هؤلاء الابناء الذين انحدروا من صلبه !

ان قصة قابيل وهابيل تتكرر فى كل لحظة فى هذا الميدان الذي يسمونه (اتحاد جنوب افريقيا) . وقابيل هنا هو هذا العدد من الاوربيين الذين وصلوا الى تلك البلاد فى القرن السابع عشر ، وكان معظمهم من اصل هولندي ، ثم زاحمهم الانجليز الذين احتلوا

ديوان دعوة الحق

رمضان شهر الله

للشاعر عبد المالك البلغيثي

رمضان وافى ، نحها ياساقي … واسبق لبيت الله فى السباق

ما كان اقصره على الافه … اهل التقى والدين والاخلاق

لم لا نواصل صومه وقيامه … والصوم لله الحكيم الباقي

افتح له ابواب قلبك كلها … ليبث فيه خشية الخلاق

شهر كضيف جاء بيتك طارقا … فاستقبلنه ببهجة وعناق

ضيف نظيف لا يلوث منزلا … لطهارة الانفاس والاعراف

ضيف طبيب دون اجر سابق … او لاحق او فتح او اغلاق

ودواؤه فى كونه ونظامه … لا ما يخط الطب فى الاوراق

يكفي تتبع ما يشير بفعله … لتصح دون تجرع الترياق

هو مرشد ، ولكم يحول بهديه … ما بين نفسك والهوى الزلاق

ضيف عفيف لا يسوء مضيفه … او يقتضيه كثرة الانفاق

لبس الكفاف من العفاف تزينا … فاراك قصد الصوم عند الباقي

ضيف من الله الكريم موجه … لعباده فى هذه الآفاق

لم لا يلاقى بالبرور حلوله … والوجه فى بشر وفى اشراق

* * *

يا مرشدين : ادعوا اليه وشوقوا … فالصوم مشتاق الى مشتاق

حثوا عليه شبابنا ، وليلزموا … باداء واجبه بلا اشفاق

قولوا لهم : فى اي دين لم يرد … امر بصوم العبد للرزاق ؟ ؟

قولوا لهم : فى ديننا وصيامنا … ما ليس عند الغير من اخلاق

وليبيريا والسنغال وغيرها ، وتصويره لكل ذلك يفيض بالحياة والصدق الى جانب تحري العدل والبعد عن العصبية .

واذا كان هناك ما ينتقد على الاستاذ ايتاليانذر في هذا الكتاب فهو انه لم يوجه مثل هذا الاهتمام الى شؤون افريقيا العربية ، اذ ان فصوله عن المغرب وليبيا وتونس والجمهورية العربية المتحدة والسودان ليست في مستوى ما كتبه عن بلاد القارة الافريقية ولعل عذره في ذلك ان تخصصه انما كان في شؤون تلك البلاد التي ذكرنا قبل ، وهو مشكور على ذلك على اية حال .

وفي خلال كل ما كتب يردد الاستاذ ايتاليانذر سؤاله الى اوربا : ترى هل لدى الشعوب الاوربيه من الشجاعة الادبية ما يحملها على الاعتراف ببشاعة ما ارتكبته او ما ارتكبه بعض اهلها من الجرائم في القارة الافريقية ؟ .

وهل بوسعها ان تهتدي الى طريق الاخاء الانساني .. الى طريق السلام ؟

هذا هو ما نرجو ..

محمد علي مكي

وكيل معهد الدراسات الاسلامية بمدريد



* بنتي *

للشاعر
أبي بكر المتوفي

هي فرحة لا تنقضي ، ومسرة ... لا تنتهي ، ومدامة لا تنضب
بنتي ، وما بنتي سوى كبدي ، فهل ... شاهدت من كبد تجيء وتذهب
انثى – على قصر السنين – احار فى ... ما تبتغي واحار فى ما تطلب
ولعل عجمتها وقاء تصدعي ... فلو انها طلبت وعز المطلب
لبكيت عجزي والهوان ، وليس فى ... دنيا المصائب مثل ان يبكي الاب
فد الهمت قبل الكلام انوثة ... تسبي بها قلبي الكئيب وتسلب
اخلو الى كتبي فتأتي طفلتي ... تلهو بما اخلو اليه وتلعب
فاذا رضيت من الكتاب بقبلة ... ومطلت من شفتي ، تروغ وتهرب
ويقال : لقنها احترامك طفلة ... فاجيء افتعل الخطى واقطب
فاذا انحنيت على الحذاء افكه ... قفزت الى ظهري الموطأ تركب
وبهز مهجتي اعتقاد صغيرتي ... ان امتطائي حقها المتكسب
ترنو الي اذا حظرت ركوبها ... بعبون مبهوت يحار ويعجب
هي بسمة البيت العبوس وسكر ... يحلو به طعم الحياة ويعذب

* * *

نبهت من نومي على فكر لها ... لفح اللظى ولسانه المتلهب
تأتي على زهر الرجاء بمهجتي ... فتردها وكأنما هي سبسب
اين الخلاص ؟ فما ورائي موحل ... مما عرقت وما امامي غيهب
هذا السرير علالة ، والمرء ان ... لم يحتمل قسو الحقائق يكذب
اني كبوت من المتاعب مثلما ... تكبو المطي اذا تكد وتتعب
لا فرق الا انها فوق الثرى ... تكبو واني فى سرير ينصب
وغدا اتابع رحلتي فى موكب ... فظ السياقة يستحث فيضرب

قولـوا لهم : فى الصوم وحدتنا التي
عـاشت زمانا ، لم تسـم بفـراق

فـاذا تنكـر للصيـام شبـابنـا
ورمـوه بالاغـراق والارهـاق

فلكـم اريـد بديـن ءابـاء لهـم
سـوء ، ومنه كـم حمـاه الواقـي

* * *

وطنيـة الدين الحنيف اعـز مـن
وطنيـة لـم تلتحـم بخـلاق

قويت وسـادت واستطـاع رجـالها
ان يخرقـوا بالعـزم كـل نطـاق

قولـوا لهم : ما فى الصيـام موانـع
لمسايـر عصر الحضـارة ، راقـي

كـم فيه من خيـر ومن فضل ومن
اشياء عن فهـم الفريـر دقـاق

ما فى الصيـام عـوارض لنظامنـا
وشئـون عصـر الـذرة البـراق

قولـوا لهم : كنـا شبابـا مثلكـم
لكـن لـه كنـا مـن العشـاق

كنـا نصومـه والمواسـم قبلـه
او بعـده ، بالحـب لا بنفـاق

اولستـم منـا ، ودينكـم الهـدى
وبـه فتحنـا معظـم الآفـاق ؟ !

ديـن النبـي ، محمـد ، ما مثلـه
فى الصدق الا الشمس فى الاشراق

لمـا دابنـا ناهجيـن سبيلـه
ما كـان يطمـع خصمنـا للحـاق

* * *

قولـوا لهم : اسلافنا كم جاهـدوا
فى الصـوم ، واستولوا على آفـاق

حتى لقـد ظـن الخصـوم بانهـم
جـن ، لبأسهـم وشـد وثـاق

فمتانـة الايمـان تفعـل فعلهـا
ولكـم تظـن خـوارقـا لنطـاق

لكننـا لمـا تـركنـا ديننـا
هنـا ومزقنـا عضـال شقـاق

هنـا ، واسرائيل حـل محلنـا
فى موطـن الاسرا ، مكـان بـراق

* * *

رمضـان شهـر اللـه فى ايامنـا
يمضي سريعا والذنوب تواقـي ؟ !

من لم يطهره الصيـام ، فلم يكـن
لحلـول هـذا الشهـر بالتـواق

رمضـان ذكـرى كل نـاس دينـه
فاذكـر بـه فضل العزيـز الباقي

وانسف بـه تلك الخطيئات التـي
قـد خلفتك ، وجد فى استلحـاق

واعمـل بصف المومنيـن مـؤيـدا
لتسوقك الاعمـال حسـن مسـاق

ثلاث قصائد

ترجمها عن الفرنسية
للأستاذ
محمد برادة

كان القدماء يصفون الترجمة بالخيانة ، لانها تشوه الاسلوب ، وتضعف قوة المعاني ، وتشل سحر الالفاظ .. ولعل هذا الحكم اكثر صحة بالنسبة الشعر الذي يكون وحدة متماسكة بين اشكال التعبير ، وموحيات الصور .. ورغم ذلك ، فاز الشعر بنصيب وافر من الترجمات في كل اللغات ، لانه دعامة أساسية في الثروات الجمالية الانسانية .

وأنا لا ادعي في ترجمتي لهذه المقطوعات الثلاث ـ انني اضفيت عليها حلة شعرية تضاهي تلك التي كتبت بها ، ولكن شفيعي في هذا الترجمة انني اعتمد على ما تتضمنه من صور رائعة ـ رغم بساطتها ـ ، فهي وحدها قادرة على التسلل الى نفس القارىء لتنقل اليه خلجات الصدق التي نفثها هؤلاء الشعراء ((الشاعرون))

الآخر

للشاعر الكوبي
روبرتو فيرنانديس

نحن الذين قدر لنا ان نعيش بعد الآخرين ،
لمن ندين بالحياة ؟
من ذا الذي هلك بدلا مني في غياهب السجون ؟
ومن تلقى رصاصتي ،
الرصاصة التي وجهت الي ، تلقاها في قلبه ؟
وعلى جثة اي ميت احيا انا ؟
ذاك الذي ستظل عظامه ملتحمة بعظامي ،
وعيناه المنزوعتان من محجريهما
ستظلان تبصران من خلال عيني ،
واليد التي لم تعد يده
وليست يدا لي وحدي ،
هل يمكنها ان تخط كلمات موزونة
دون أن تجعله يحيا من خلالها ؟

فــاذا ونيت وداعبت جفني الرؤى   فيــه ، اطيــر عــن رؤاي وارعــب
كبرت همومي فى الحياة ولم يــزل   بــرق الامانــي يستــدق ويشحب

* * *

واقــوم افتتــح النــوافــذ لا ارى   الا همــودا فى المشــاهــد يكــرب
مت ان اردت من الشقاء فلن تــرى   عشبــا يميــل ولا ذبــابــا ينحب
واروح التمــس الضيــاء لعلــه   شجن يذوب مــع الضيــاء ويغرب
فيلــوح لي وجــه ابنتــي وكانــه   فــوف الوســادة بــرعــم يتثقــب
متهلــلا فى صــمــتــه متكلمــا   ينعــي علــي تضعضعــي ويــؤنب
وسنى يناغيهــا الملاك وتمتطــي   وســط الحنــان فراشــة تتــوثب
تــرتــاد ءافــاقــا وفى قسمــاتهــا   ممــا تــرى اثــر وممــا تطــرب
فى وجههــا مــن كــل فــن ءايــة   وبثغرهــا مــن كــل خمر مشــرب
تحمي حماهــا هالــة لا تعتــدي   وتــذود عنهــا بسمــة لا تغلــب
حوريــة فى زورف مــن فضــة   مــن تحتــه ينســاب بحر مذهب

* * *

ياللسنــي ــ ياللجلالــة ــ كيف لا   اشقــى ، ولا اعنــى ، ولا اتعــذب
لولا عنائي لــم يلح هــذا السنــى   يوما ، ولم يفتــر هــذا الكوكــب

الى اللقـــاء

للشاعر الروسي سيرج إيسينين

سيرج اسينين (Serge Essenine) ، شاعر روسي في طليعة الشعراء الثوريين الذين وقفوا انتاجهم على تصوير مآسي روسيا القيصرية ، وتطعيم الوعي الشعبي بدماء جديدة وقد وضع لحياته نهاية ماساوية عندما انتحر سنة 1925 لكنه قبل أن يلفظ انفاسه ، لم ينس أن يعزف نغمات مشرقة تفتح ابواب الامل ، فكتب هذه المقطوعة التالية ، كتبها بدمه : (1)

الى اللقاء يا عزيزي ، الى اللقـــاء
يا صديقي اني اضمك بين جوانحـــي
اننـــا نفترق ، ولكـــن أملا في نفســي الآن ،
يرســـم صـــورة جميلـــة للقائنـــا

* * *

لتبدأ المســـير دون ان نتلفظ بكلمـــات
ودون ان نضغط على يـــدي ..
لتبـــدأ المســـــير ..
وجبهتك الناصعة لا تفقدها اشراقها باكتئابك
اذ ما جدوى الاكتئـــاب ؟
حقـــا نحن لا نتطلع الى اكثر من الحياة
امـــا الموت ـ موتنا ـ فليس بجديـــد .

(1 انظر كتاب L'Anthologie de la poésie russe du XVIII^e siècle à nos jours - Gallimard.

السلام للجزائر

للشاعر الفرنسي
جان تيرس

نوارات الصبار تغازل الشمس
وولد صغير منكب على منحني الطريق
مسبلا جفنيه
لان وهج الشمس محرق .
كانت الدموع تترقرق فى مآقيه
وهو يحدج التراب ،
المتطاير بين قدميه العاريتين ،
وجلبابه المهترىء
بقضم ساقيه ..
جلبابه المخرق الذي ينجذب الذباب اليه
من كل الثقوب ..

★ ★ ★

نوارات الصبار تغازل الشمس ،
والسماء طاس ازرق كبير
مدلي من فوق ،
وفى « الواد » الاجرد
كانت اوراق الدفلى
تتثنى تحت ثقل الغبار

★ ★ ★

وهناك بعيدا
على حافة الطريق ..
كان عربي صغير يرسم
— لانه لا يعرف الكتابة —
كان يرسم ،
صورة لبندقية كبيرة
اردت اباه قتيلا .

وانتهى النساء من غنائهن وزغاريدهن ، وكـان الخدم مصطفين امام القائد علال ينتظرون منه ادنـى اشارة وتفرس القائد في وجوه الحاضرين على ضـوء الشموع والقناديل الزيتية وقال لهم :

« رجعنا اليكم ، والحمد لله ، منتصرين ، لقـد غلبنا العدو في كل قتال نشب بيننا وطاردناه في الوديان والجبال ، وقتلنا منهم عـددا كبيـرا ، وقد اخذنـا منهم اكثر من سبعين راسا سترونها غـدا في حفلـة « البارود » وما اتأسف الا على الذين لم يحضروا معنا في هذه الغزوة ، اما نحن فلم نفقد من جانبنا الا عشرة رجال ، رحمهم الله رحمته الواسعة ، وان ابناءهـم سيصبحون ابنائي ونساءهم سيكونون تحت حمايتي ورعايتي .. والآن اطلب منكم ، يا اخوتي ويا ابنـاء عشيرتي ان تبقوا كلكم عندي حتى تتناولوا العشاء ».

ثم التفت الى الخدم ونظر اليهم نظـرة السيـد وقال : « هيا ، قدموا للناس الطعام » .

وتفرق الحاضرون في الحجرات الفسيحة حيث تصب لهم فيما بعد القصاع الكبيرة المملوءة بالطعـام بينما دخل القائد علال الى بيت نسائـه ، حيث كانت تنتظره حفله اخـرى هي احب الى نفسه واشهى .

* * *

لقد اعتاد ، كلما عاد من غزوة ، ان يدخل باحدى الكواعب الابكار المختارة من بين بنات القبيلة الموصوفة بالجمال والاصالة ، وقد حرص في المرة الاخيـرة ان ان يختار هو بنفسه الفتاة التي ستـزف اليه ليلـة رجوعه من مغامراته الحربية .

وبالفعل ، فما اقبل على صحن البيت حتى وجد نساءه الكثيرات مصطفات وبايديهن الدفوف والدرابيك وهن في ايقاع حار ملتهب يـرددن اهازيـج الترحيب بالفرح ، واخترق صفوفهن شامخ الانف واتجه نحـو القبة ، وتبعته امراة بدا يطفو على وجهها ماء الكهولة، ودخلت معه الى القبة ، وما ان استوى به المجلـس حتى انحنت عليه لتقبل يديه ، فاشار اليهـا بالجلوس وقـال :

كل شيء مهيـأ ، يا فاطمـة ؟

ــ نعم ، سيدي ، كل شيء مهيـا .. ولعلك ، محتاج الى تناول شيء من الطعام اولا ؟

ــ لا .. هاتي البنت .. والطعام معـا

ــ حالا ، سيـدي

ولكنهـا مـا وقفـت حتـى تذكـرت شيئـا مهما ، وقالت : « ولكن ، يا سيدي ، لابد ان تعلم ان..

فقاطعها مغضبا : قصي علي الامر فيما بعد .. هل فهمت ؟

وخرجت المرأة وهي لا تكاد تصدق بخروجهـا سالمة من بين يديه ، وغابت برهـة وجيزة وعـادت وبجانبها الفتاة العروس وهي ممسكة بيدها وخلفهما الخدم يحملون اطباق الطعام والنساء خـارج القبـة مسترسلات في الاهازيج والاغاريد والتراجيع .

وضع الخدم الاطباق في احد ابهاء القبة ، ثم خرجوا سراعا ، وعند ذلك اقتربت فاطمة وبجنبها الفتاة وهي تشجعها وتقول لها : « افرحي ، يا يزة واسعدي ، ان القائد سيحبك اكثر منا جميعـا ، وستكوني اثيـرة عنده ، عزيزة لديه .. ابسمي واضحكي ، فالقائـد يحب في المراة ان تكون طروبا لعوبا ضحوكا .. وجميلة بالطبع ، واذا كانت كذلك ، فانه يعطيها كل ما تتمناه.

وكان القائد ينظر الى عروسه نظرة جدية ليس فيها ابتسام ، ولكنها نظرة فيهـا كثير من الرضـى والارتياح ، نعم ، ان العروس اجمل مما كان يتصور ، ولكنها صغيرة لا تعرف ما يراد بها ، يدل على ذلـك ارتعاشها وقفزان صدرهـا .

وما هو الا ان قام القائد اليها وامسكها مـن ذراعيها واجلسها الى جنبه ، وانسلت فاطمة وخرجت الى النساء تامرهن بهز « عمارة » جديـدة بالدفوف و « التعاريج » .

وهكذا ، دخل القائد علال بعروسه الجديدة وسط الاناشيد والزغاريد وبين اهليه وذويه ونسائه ووسط اعيان القبيلـة ووجهائهـا .

* * *

وبعد ساعة خرج من القبة وتوجه الى الحمام واغتسل ودخل الى حجرة بجنب الحمام يستريـح

قصة العدد

السيف على الحلقوم

للاستاذ
محمد زنيبر

كان ذلك فى ايام « السيبة » قبل مجيء الفرنسيين الى هذه البلاد بعدة سنوات .

البرد قارس والثلوج تتساقط باستمرار على قمم الجبال الشاهقة وفى منحدراته ، وفى الوادي حيث تجمعت القرية كلها حول دار القائد علال يخيم ظلام دامس وسكون رهيب لا يقطعه من حين لآخر الا نباح الكلاب وصفير الرياح العاتية ولا يسمع اي صوت للبشر ، رغم كون القصبة آهلة بالسكان .

وفى هذا الفضاء القاتم ، دوت بغتة بين منعرجات الاطلس الكبير طلقة نارية قوية ، وكان دويها ينذر بأنها انطلقت من بنادق عديدة ، وفى الحين ، انقلبت القصبة الهادئة الصامتة الى سوق حامي الرواج وخرج النساء فى زينتهن ، وخرج الاطفال وملأوا الممرات التي سيمر منها القائد علال الى داره ، واحتل اصحاب الدفوف والمزامير مراكزهم العادية وعمت الزغاريد والافراح ، وانطلقت الالسنة من عقالها

وكان من عادة القائد علال ، وهو من زعماء « السيبة » فى الاطلس الكبير ، ان يعلن عن رجوعه ، كلما عاد من غارة على الاعداء والمخالفين ، بواسطة طلقة نارية قوية يشارك فيها كل اصحاب البنادق ويتردد صداها فى الوادي بين النجود والوهاد ، فيخرج النساء مع اطفالهن فى زغاريد متتالية وهن فرحات بعودة ازواجهن ، وخائفات فى ءان واحد من سماع خبر موتهم او فقدانهم ، ولكنهن على كل حال مستعدات لينقلبن فى الحين من الغناء الى البكاء ومن الفرح الى الحزن .

وبدأ اهل القصبة ، المعلقة فى حضن الجبل ، يسمعون تصاهل الخيول ووقع حوافرها على الارض المكسوة بالجليد ، واخيرا ، ظهرت جموع الفرسان امام باب القصبة يتقدمهم القائد علال ، وكلهم ملتحفون فى برانيسهم الصوفية ، متقلدون للبنادق الطويلة والخناجر الفضية اللماعة ، ولا برى من تحت عمائمهم الكثيفة الا احداق ذات نظرات مخيفة .

اما القائد علال ، فكان يتميز عن الكل بقامته المديدة وبهيئته وطلعته المهيبة ، وكان يحدق فيمن حواليه بعينين يتطاير منهما الشرر ويعلوهما حاجبان كثيفان كبيران قد اختلط فيها الشعر الاسود بالابيض

* * *

وتقدم الشيوخ والكهول يسلمون عليه ، بينما الدفوف تضرب والمزامير ترفص الهواء ، والرجال والنساء يتجاوبون فى حوار غنائي نارى الايقاع ، ودخل القائد علال الى القصبة وتبعه الفرسان ، ثم جاء من بعدهم الجرحى وهم محمولون على ظهر البغال ، واخيرا الاسرى والسبايا والمغانم والاسلاب والاخراج الكبيرة المملوءة برؤوس الاعداء التي قطعت اثناء المعارك والتي ستعرض على القبيلة فى حفلة كبيرة تلعب فيها الفرسان ويطلق الرصاص .

دخل القائد علال الى داره ودخل معه اصحابه الذين رافقوه فى غزوته ، وكذلك اعيان القصبة ، فملأوا صحن الدار التي هي فى الواقع قصر عظيم شاهق البنيان يحتل اكثر من نصف القصبة .

وسكتت برهة ، ثم قالت بقوة وحماس : واذا دللتك على حيلة ناجعة ، ماذا يكون جزائي ؟

ـ اطلبي ما تريدين ..

ـ انا لا اطلب منك شيئا لنفسي ، لا مال ولا حلي .. وكل ما ارجوه هو ان تطلق سراح ذلك الشاب ابن عم « يزة » .

فنظر اليها متعجبا وقال : انك لمشغولة القلب بهذا الشاب ، هل هو من اقاربك ؟

ـ لا ، ولكن ، يا سيدي ، ليس له ذنب الا كونه يحب ابنه عمه .

ونظر اليها القائد نظرة ملؤها الغطرسة وقال : انا ليس من عادتي ان اسامح واصفح .. ولكن في هذه المرة ، ساحاول ، على شرط ان تكون حيلتك ناجحة ، فاذا ما قبضت على القائد ابراهيم واتيت به مكبلا ، مسلسلا ، فسأطلق سراح ذلك الشاب الجرىء ، والا فلن يكون حظه الا الموت ، هل فهمت ، هل فهمت ؟

ـ نعم ، سيدي

ـ والآن ، ما هي حيلتك ؟ اشيري علي بها وعجلي

ـ ان اذنت لي ، يا سيدي ، ان اخرج لاتصل بأخي فان له دورا مهما يقوم به في هذه المسالة ، ثم اعود لابين لك ما استقر عليه راينا .

ـ تخبئين علي ، يا ملعونة ! قومي لعنك الله ، ولك اجل الى غد عند اذان الظهر ، فاذا لم تعطيني جوابا ، فانا في حل من قتل الشاب ، والآن قولي ليزة ان تاتي حالا عندي .

* * *

وفي الغد ، عند الضحى ، دخلت فاطمة على القائد ومعها اخوها عسو المدعو « القنفد » لكثرة ما ينكمش في جلسته وهيئته ، وكان القنفد احد ادباء الاطلس الشعبيين ، شاعرا ، مضحكا ، ماجنا ، منشدا ، وممسا يتجول بين القبائل ويجلس مع القواد والكبراء في خلواتهم ، مقبولا لدى الجميع لنكتته وخفة روحه ، والى جانب هذا ، كان رؤساء الاطلس يستشيرونه في المسائل الجدية ، فيجدون لديه الراي السديد والفكرة الثاقبة

واستقبله القائد بشوشا : على سلامتك ، يا قنفد ، ما بالك لم تحضر البارحة ؟

وحدق فيه القنفد بعينين ساخرتين : وهل بحثت عني ؟ وهل انا امراة جميلة حتى اتقدم اليك ليلة عودتك ؟

ـ قاتلك الله ، انت لا تعرف الا الضحك والمزاح ، ولا يعرف الهم الى صدرك طريقا .

ـ وماذا يفعل الهم برجل مسكين مثلي ، هو لا يحب الا مرافقة الكبراء .

وظلوا في حديث ومداعبة الى ان قال القائد : لعل فاطمة تحدثت اليك فيما يشغل بالي ؟

ـ نعم ، واذا عملت بمشورتي فستنتهي المشكلة.

ـ وما هي مشورتك ؟

ـ الراي الذي سأشير عليك به سيجعل القائد ابراهيم في قبضتك ، وسيترك لك الخيار بين ان تقتله او ان تتخذ منه صديقا ، والراي عندي هو ان تتخذ منه صديقا .

ـ ولماذا ؟

ـ لان القائد ابراهيم يستحق ذلك ، انت لا تعرفه، اما انا ، فلي معه صحبة قديمة تتجاوز العشرين سنة، واذا انصت لي واسكت العدواة في قلبك ، فسأتكلم لك عنه بكل انصاف وحق ، انه رجل شهم ، شريف وهو احسن من كل هؤلاء القواد الذين يحيطون بك ، لانه ليس بالمنافق ولا بالغدار ، وكلمته كلمة الرجال ، واذا ما رايته استمر في حربك ، فلانه لا يرضى ان يخضع للقوة ، ولو اظهرت له الاستعداد للصلح والصداقة وظهر له منك العزم الصادق ، فانه يمد اليك يده ويعتمد عليك ، هذا هو القائد ابراهيم .

ـ والآن ، ما هي خطتك ؟

فيها ، وصلى ما فاته من اوقات ، وعنـد ذاك دخلت عليه فاطمة وهي من اولى زوجاته واذكى نسائـه وتفرست في وجهه خفية وفهمت انه قلق من شيء ، فقالت : انك ، يا سيدي ، متعب ، وفي حاجـة الـى شيء من النوم والراحة ..

ـ لا ، لا ..

او لعل ، سيدي ، غير راض عن عروسه وانكـر منها شيئا ؟

ـ لا ، لا ، بالعكس .. ايه ، يـا فاطمة ، الآن ، اعيـدي علي قصتـك .

ـ كنت اريد ان اخبرك ان يزة لما ذهب اصحابك ليأتوا بها واخرجوها من بيتها ، تعرض لهم ابن عمها في الطريق ومعه صاحبان له ، واوقفهم ، وامرهم بان يتخلوا عن البنت لانه خطبها من عمه ووعـده بهـا ، وطلب منه اصحابه ان يتركهم وشأنهم ويفسح لهـم الطريق ، فلم يقبل ، ونشب بيـن الفريقيـن جدال انقلب الى قتال ، وقد وقع ابن عم يزة في الاسر ، وهو الآن سجين في المطمورة التـي بجنب الـدار ، وكنت اريد ان اشير عليك باطلاق سراحه حتى تكون يـزة منشرحة النفس طيبة الخاطر ، وقد حدثتني هـي نفسها في الموضوع واستعطفتني .

وسكت القائد برهة ثم قال وعلى وجهه امارات الاحتقار والغضب : « قبحكن الله ، يا نساء ، فما اوهى عزائمكن واضعف قلوبكـن وايمانكن .. والله ، لولا اني مصاب بداء الحلـم لقطعت راسك وراسها ، وجعلتكما عبرة لنساء القبيلة ، ولكن ، انذريها انهـا ان عادت الى الخوض في هـذا الموضوع ، فانها لـن تأمـن غائلتـي ..

اما ابن عمها ، فقد ساقته الاقدار الى الموت .

وبهتت وجحظت عيناها لما سمعت ذكر هـذه الكلمة ، ولم تتمالك ان صاحت : المـوت ! المـوت ! اللـه ! اللـه !

ـ نعم ، نعم ، الموت .. انني احارب الاعداء خارج القبيلة ، ولا اريد ان يكون لي اعـداء في داخلهـا .. انصتي ، اني سآمر بقتله الآن ، والذي اطلبه منك هـو ان تقولي ليزة انـي اطلقت سراحه وامرته بالخـروج من القبيلة والابتعاد عن الاطلس بالمرة .

وسكتت فاطمة ، وسكت القائد علال برهة مـن الزمان ، وتفرست فاطمة في وجه زوجها وكانت اعرف الناس به ، وقرات في ملامحه انه هـذه المرة لم يعـد راضيا ، مرتاحا من غزوته ، فلم تتمالك ان بادرتـه قائلـة :

ـ والله ، يا سيدي ، انك لم تعد مسرورا فرحان من رحلتـك .

ـ ومن قال لك هذا ؟

ـ هذا ظاهر على وجهـك .

ـ ذلك لاني لم اقتل ما يكفي من الاعداء .

فأجابته متعجبة : وهذه الاخراج الملأى بالرؤوس المقطوعة ، وهذا العدد الضخم من الاسارى والسبايا؟ اليس ذلك كافيـا ؟

فارتعش شارباه ، وقال لها وقد التقى حاجباه وتقطب جبينه : والله لو قتلت كل هـذه القبائـل المجاورة ، ما كان ذلك يشفي غليلي ، وما دام القائد ابراهيم حيا يرزق ، فلن يطيب لي منام .

ـ ومن هو القائد ابراهيـم ، يا سيدي ، حتـى نعبأ به وتحسب له كل هذا الحساب ؟

ـ انه نذل ، خسيس ، لئيم ، ولكنـه مـا دام معتصما برؤوس الجبال ، وما دام يسبنـي وينتهـك حرمتي وانا لا اعرف الراحة ولا يهدأ لي بال .. لقـد دانت لي كل القبائل المجاورة ، واصبح كل القواد مـن اقصى سوس الى بـلاد الحوز يخطبـون مودتـي ويهابونني ، ولم يبق الا ابراهيم ذلك الوغد السافـل .. ولابد لي من راسه ، طال الزمان ام قصر .

ـ مع مثل هذا الرجل لا تنفع الا الحيلة .

ـ واي حيلـة ؟

ـ لابد ان توجد حيلة تقضي عليه ، وقد قيـل قديما : رب حيلة انفع من قبيلة ..

فحدق فيه القائد متعجبا وقال : قل لي من ... وسأفرجك عليه .

— اذا كنت تتعهد لي بذلك ، فانا اقول لك من هو .. خصمي ايها القائد هو انت .. فهل تستطيع ان تنصفني من نفسك ؟

واندهش الحاضرون وازداد تعجب القائد وقال له بقوة : انك تتهمني ايها الشيخ دون ان تعرفني نفسك ، والآن سنتحاكم الى الجماعة ، فاذا تبين انك تظلمني فماذا سيكون جزاؤك ؟

وما اتم القائد ابراهيم كلامه حتى انطلق الشيخ بضحكة عالية مدوية وازاح اللثام عن وجهه وكم كانت دهشة الحاضرين عندما عرفوا في وجه الرجل « القنفذ » احد شعراء الاطلس المعدودين واحد ظرفائه ومضحكيه .

وضحك الجميع وقام اليه القائد فعانقه واجلسه الى جانبه ، والتفت القائد الى اعضاء الجماعة وقال لهم : ايها الاحباء ، انتم ضيوفي في هذا النهار ما دام الشيخ عسو جاء ليزورنا ويسمعنا من شعره ونوادره .

وذبحت الاكباش ونصبت الموائد ، وكان يوم كله ضحك ولهو وقصف وعزف ، وكلما انتهى الشيخ عسو من لون انتقل الى غيره ، مما جعل الحاضرين كلهم ينسون اهليهم وذويهم وينسون كذلك هموم الحياة ومتاعبها ويمرحون في جو كله سرور وسحر وسلو . وغرور .

وظل القنفذ في ضيافة القائد اسابيع وهو في ارغد عيش واطيب مقام الى ان اغتنم خلوة مع مضيفه ففاتحه قائلا : بعد هذه المدة التي قضيتها عندك في احسن ضيافة ، لا اخفيك ايها الاخ تعجبي من شيء لا يفارق بالي ، والآن ولم يبق لي الا ان اودعك لست ارى بدا من التحدث اليك في ذلك بكل صراحة حتى يطمئن قلبي .

— وما الذي يثير في ءان واحد تعجبك وتألمك قل لي بكل صراحة ، فانا احب ان اسمع الحقيقة .

— الذي يثير تعجبي هو عداوتك مع القائد علال .

— ولمه ؟

— لاني اعرف كل واحد منكما حق المعرفة ، فكلاكما راشد عاقل ، والعاقل لا يقبل ان يصير عدوا الا لاسباب معقولة ، وانتما اي شيء بينكما ؟ حقا لقد كان ابواكما متعاديين ، ولكن عدواة الاباء قد تنقلب الى صلح وصداقة بين الابناء .

فاجابه القائد بهدوء وصرامة : لا تحدثني عن صهرك القائد علال ، فكلما تذكرت اسمه تذكرت مصائبه واسودت الدنيا في عيني .

فضحك عسو وقال : سبحان الله ، انتما تتشابهان حتى في طبعكما ، فهو كذلك يقول نفس الشيء عندما يذكر له اسمك ، ولكن ، في الايام الاخيرة، شعرت انه يتضايق من هذه العداوة ويحمل هما كثيرا بسببها الا ان انفته تأبى عليه ان يصرح بشيء

— انصت ، يا عسو ، ان كان القائد علال وجهك الي رسولا من عنده ، فتفضل وابلغني الرسالة ، والا فلنترك الحديث في هذا الموضوع .

— عجبا لكم ايها القواد ، انتم لا تعترفون الا ببعضكم ، فمن جاءكم رسولا من عند قائد مثلكم تنصتون اليه ، واذا جاءكم احد ليدافع عن ضعفاء ومظلومين تغلقون ءاذانكم وتسدون في وجهه الابواب ، لست انا ايها القائد ابراهيم ، رسولا من عند القائد علال ، واذا اراد القائد علال ان يوجه اليك رسولا ، فلن يختار شيخا خرفا مثلي ، وانما انا ، في الواقع ، رسول للثكلى والارامل واليتامى الذين فقدوا الابناء والازواج والاباء في هذه الحروب التي تشعلون نارها انتم معشر الكبراء ، اما ترفقون بهم وتنهون الخصومة فيما بينكم ؟

— هل فكرت في ما تقول ، يا عسو ؟ من المسؤول عن هذه الخصومة ؟ ومن بداها ؟ ومن استمر فيها ؟

— كل هذه مسائل الحق فيها بجانبك ، ولكن ، هل من الصواب البقاء على حال كهذه ؟ اليس من الممكن اطفاء نار الحرب بطريقة تحفظ لكل من الخصمين شرفه وكرامته ؟

ــ خطتي هي ان تزوجه احدى بناتك واذا ما تم ذلك نشأت بينكما الثقة ، واذا ما قدم عندك ، فلك ان تفعل به ما تشاء .

فاجابه القائد مستنكرا : هرمت يا قنفد وخرف عقلك ولم يبق لك رأي .

ــ ولماذا ؟

ــ لانك تقترح علي أن ازوج احدى بناتي من الد عدو لي .. واذا امسك بنتي عنده واستمر فى محاربتي ورفض ان يقدم عندي كما تقول ، فاي وجه سيبقى لي ، وكيف تكون حالي امام الناس ؟

ــ انا اعرف القائد ابراهيم واعرف طبعه ، وعلى كل حال ، اذا وقع شيء ، مما تخاف ، فدونك رأسي فاقطعه .

ــ ومن سيدبر هذه الخطة ؟

ــ ما عليك الا ان تكل الى الامر ، حتى آتي اليك لاخطب بنتك نيابة عن القائد ابراهيم ، وكل ما تهتم به الآن هو ان تزودني بما يكفي من المال والزاد وان لا تكون فى ذلك مقصرا مقترا .

وفكر القائد مليا ثم رفع راسه وقال بصوت قوي، صوت الذي اتخذ قرارا حاسما : طيب ، اني اقبل ان امشي معك فى هذه التجربة ، فان نجحت ، اطلقت سراح ذلك الشاب وجازيتك بجائزة اترك لك اختيارها، وان فشلت قتلتك وقتلت فاطمة اختك والشاب ايضا ، ففكر قبل ان تجازف بنفسك ، واذا قبلت هذه الشروط جهزتك بالمال وبما يلزم لتذهب حيث ترمي شبكتك .

ــ ايها القائد ، لست فى حاجة الى شبكة، وانما الى صنارة ، لاننا لا غرض لنا الا بسمكة واحدة ، اما شروطك ، فقد قبلتها ، ولا احتاج معها الى روية وتفكير .

وهنا نطقت فاطمة التي ظلت صامتة الى تلك اللحظة : لعل سيدي يقبل الآن ان يخرج ذلك الشاب من المطمورة ويضعه تحت الحراسة فى احدى الحجرات .

فنظر اليها شزرا وقال لها بصوت مغضب ، ذلك امر موكول الي ، وتيقني اني لست فظا غليظ القلب .

فابتدره عسو : هل افهم من هذا انه اذا قدم عليك القائد ابراهيم ليصطلح معك ، فستمحو من قلبك كل ضغن وستستقبله كصديق ؟

ــ هذه مسألة اخرى نتركها للزمان هو الذي يفصل فى شأنها .

وبعد ما اتفق عسو مع القائد على ترتيبات السفر ولوازمه وجهزه بكل ما يحتاجه لمهمته ، خرج من القصبة وانصرف على بغله يخترق نجود الاطلس ووديانه ، متجها نحو احد المرتفعات حيث يربض القائد ابراهيم وسط عشيرته .

* * *

جلس القائد ابراهيم وحوله جماعة القبيلة ، الساعة ساعة الحكم وفض النزاعات، يتقدم المتحاكمون اليه وهو يفصل فى قضاياهم بسرعة ، واعضاء الجماعه لاينبسون ببنت شفة ، ذلك ان القائد ابراهيم كان فى نفس الحين قاضيا موفقا موهوبا يهتدي بسرعة الى الاحكام التي تسوي بها القضايا الشائكة ، هذا مع كامل النزاهة والتجرد .

والواقع انه ما كان احد ، سواء من اعيان القبيلة او غيرهم ، يستطيع ان يجرؤ على القائد ابراهيم لانه يفوق الجميع بدماثة اخلاقه وشجاعته ورجولته وتواضعه وايثاره وكرمه واحسانه ، وقد بلغ من السخاء مع الضعاف والمحتاجين انه صار فى الآخر لا يملك اي ثروة شخصية ، الى جانب هذا فقد كان شابا بهي الطلعة مهيب السمت .

وكان ءاخر من تقدم اليه فى ذلك اليوم للتحاكم شخص محدودب الظهر ، معتم بعمامة غريبة ، ملثم ، اقترب منه وهو يتكيء على عصاه وقال له : لقد بقيت انا الآخر ، ايها القائد ، لان لي شكاية طويلة .

فنظر اليه القائد متعجبا وقال : ومن هو خصمك؟

ــ خصمي ؟ .. انك اعرف الناس به .. واخشى ان لا تأخذ لي منه حقي .

رجلان للوداع ، وركب القنفد بغلة مسرجة اهداهـا القائد ابراهيم وانصرف قافلا الى بلدته .

* * *

وسارت الامور بسرعة وبسهولة ، عاد عسـو فخبر القائد علال بنتيجة رحلته ، فارتاح القائد لما سمع وطلب من عسو ان يعود الى القائد ابراهيم ليبلغه استعداده للصلح معه وتزويجه من ابنته عائشة .

وعاد عسو الى القائد ابراهيم فى جبله الشامخ واطلعه على كل ما تم فى الامر ، وبعد اسابيع زفت عائشة بنت القائد علال فى موكب من فرسان القبيلة ورجالها الى القائد ابراهيم وكان عرس وكانت افراح وولائم تناقلت اخبارها قبائل الاطلس .

ومرت الشهور والاعوام ، ورزق القائد ابرهيم اولادا من عائشة ، واحبها كما احبته ، ووجد فيها اكثر مما قاله عسو ووصفه .

ونعم الاطلس بالصلح بين القائد علال والقائد ابراهيم ، وامنت السابلة ، وتنوسيت الاحقاد ، ولحد تلك الساعة لم ينزل القائد ابراهيم الى صهره ولم يزره ، وانما كانت الرسل تتناقل بينهما بدون انقطاع ، وكانت العلاقات على احسن ما يكون من الود والمحبة ، ولم يكن ثمة اي حيطة او حذر من جانب القائد ابراهيم ، وانما اقعده عن زيارة صهره نوع من التعفف والاحترام ربما كان ناتجا عن ايام العداوة والحرب .

وفى ذات يوم جاءت المناسبة ليزور صهره ، فقد وجه القائد علال يطلب بنته عائشة ان تزوره هي واولادها وينزلوا فى ضيافته اياما .

وفهم القائد ابراهيم ان الفرصة سنحت ليتلاقى مع صهره فوجه اليه يخبره بقدومه ، وتهيأ للسفر فى جماعة صغيرة من اصحابه وساروا ومعهم زوجه واولاده فى منعرجات الجبال يتنقلون بين الوديان والهضاب الى ان اشرفوا على قصبة القائد علال والمؤذن ينادي لصلاة العصر .

وكان القائد علال فى تلك الاثناء جالسا فى دهليز بيته مع شيخ يظهر من سحنته وهيئته انه تاجر اتى من احدى المدن الحضرية ، وكانا جالسين على طنفستين من دوم وهما غارقان فى حساب طويل ، الى ان فاجأهما المخزني بدخوله وقال للقائد علال وعلى وجهه علامات الجد : سيدي لقد وصل القائد ابراهيم ومعه العيال والاصحاب فلم يفكر القائد علال طويلا ، وانما قال له :

ـ العيال يدخلن عند العيال ، والاصحاب ينزلون فى ضيافة الخليفة احمد .

وسكت ، فقال له المخزني : والقائد ابراهيم ؟

فنظر اليه القائد علال بهدوء ووضع اصبعيه على عنقه وامضاهما من الوريد الى الوريد ، مشيرا اليه بالذبح .

خرج المخزني والتفت القائد الى صاحبه التاجر قائلا « لنعد الى حسابنا » ولكن التاجر كان قد اغمي عليه ، فنادى القائد على مخزني ءاخر وقال له : « رش الحضري بالماء حتى يستيقظ ، فسأعود بعد قليل .

ـ انصت ، يا عسو ، كلمة اخيرة ، اذا كان صاحبك يرغب في الصلح ، فانا لا اقول له : لا ، وانما يجب ان يكون رجلا معي

ـ اني متيقن انه في قرارة نفسه يرغب في الصلح، ولا يحول دون هذا الصلح الا حاجز العناد من الجهتين ، واذا اذنت لي وتركت نسيم الخير والسلام يهب على نفسك ، فسأفكر بما بقي لي من عقل ضعيف في اشرف طريق للوصول الى صلح الاخوة وتطهير النفوس من الضغن وادران العداوة .

ـ كل هذا حسن ، ولكن ، انا لا استطيع ان امد يدي انا الاول ، فلست البادىء بالشر ، وعلى كل ، فليعلم صهرك انه اذا اراد الاستمرار في الحرب ، فانا مستعد لها ، واذا جنح الى السلم ، فانا رهن اشارته .

وتهلل وجه عسو وانطلقت في تجاعيده ابتسامة تدل على رضى وارتياح ، وقال بلهجته المرحة : الحمد لله .. الحمد لله .. ان اجري عند ربي يكون عظيما، فقد ساعدتني الاقدار على حقن الدماء واصلاح ذات البين .. والله لقد انشرحت نفسي حينما تحققت ان كل واحد منكما له رغبة اكيدة في الصلح ورجائي الى الله ان يتم الامر بينكما على احسن حال ويستحكم التقارب حتى تنسينا الايام المقبلة ما مر من ساعات النحس والنكد ...

قال ذلك بلهجة الاولياء الصالحين وبصوت فيه رقة وحنان ، ولم يتمالك ان تلألأت في عينيه دمعتان عند ذكره لساعات « النحس والنكد » ، وسكت لحظة ثم قال : والآن ، ايها القائد المغوار ، اذا اذنت لي ، فقبل ان اودعك غدا ، سنجدد الكلام في هذا الشأن حتى نصل الى الغاية المنشودة .

ـ انصت ، يا عسو ، انا لا اريد ان اسمع منك كلمة الوداع ، وسيؤلمنا ان تفارقنا هكذا بهذه السرعة ، فاجلس ، معنا فان لنا رغبة اكيدة في انسك وحديثك ، اما ما ذكرت ، فسيأتي باجله .

* * *

وقضى عسو اياما اخرى مع القائد ابراهيم ، ثم جاء ليودعه واعاد الكرة من جديد ، مرغبا اياه في الصلح عارضا خدمته ووساطته ، وصادف من القائد ابراهيم نفسا كريمة وقلبا صفوحا لا يعرف الضغن اليه سبيلا ، حيث سمع منه هذا الكلام : اذا وجدت طريقا لاصلاح ذات البين فانا مستعد لقبولها لا اشترط عليك الا شرطا واحدا ، هو ان يتجنب القائد علال كل اعتداء على اراضينا واولاد قبيلتنا ويحترم حريتنا .

فنظر اليه عسو مبتسما ابتسامته العريضة وقال له : ضع يدك يا قائد ابراهيم في يدي ، وتوكل على الله وعلى صحبتي ، لقد وجدت الطريق ، وما اوسعها واحسنها واسهلها من طريق ، هل عرفتها ؟

ـ لا ، والله .

ـ لقد فكرت وفكرت في الامر وتبين لي ان احسن طريقة لانهاء العداوة هو ان تصبح صهرا للقائد

ـ هذا امر صعب ، بعد كل ما مر من الاحداث .

ـ والله ما هو بصعب ولا شاق ، واذا لانت القلوب من الجانبين فأحسن ما يؤلف بينها هو علاقة الزواج ورباط المصاهرة ، وعلى كل حال ، فاتمام الامر موكول الي ، مادمت قد قبلت ان اكون واسطة خير . وازيدك ايها القائد ان المسألة لها جانب مغر ، خصوصا بالنسبة للشباب امثالك ، انت لا تعرف عائشة بنت القائد علال ، عائشة وما ادراك ما عائشة ! صدقني ، والله لو رأيتها في جمالها وطول قامتها وبياضها لصحت من غير شعور ورميت بعمامتك ونسيت نفسك والزمان وبقيت تنظر اليها بدون انقطاع ، كل هذا مع العقل والعرض والاخلاق وحلاوة الطبع وخفة الروح ، والله ، يا قائد ابراهيم ، ما نلت من الدنيا شيئا ان لم تتزوج عائشة بنت القائد علال .

فاجابه القائد ابراهيم بدون تفكير : انا لا اطلب كل هذا ، ويكفيني العرض والعقل ، قاتلك الله من شاعر ، انت لا تكون مسرورا حتى ترى صاحبك مستسلما امام بلاغتك .. ومعنى هذا انني لا ارى من جانبي اي مانع من المصاهرة مع القائد علال اذا كان يرغب في صلح حقيقي .

ووضع القنفد يده في يد القائد وصافحه بحرارة وايمان ، مفهما اياه انه متفق معه على كل شيء، وتعانق

التي جعلتها جامدة لا تجتر الا الموات من تفكير الاموات فاصبحت لا تغني عن الحياة شيئا .. وقد استغل الاستعمار هذا الجمود لصالحه حتى لا يستيقظ العقل العربي ماردا جبارا يحطم الاغلال ويعيد التاريخ ويقهر الدخيل ، وجاءت اليقظة وعم الانبعاث وتحقق الاستقلال ورجعنا الى موارد الثقافة نستمدها فاذا هي سلاح افناه الدهر واكله الصدأ ووجدنا تراثنا عاجزا عن مسايرة الركب متاخرا عن التمدن الحديث وكانت الانتكاسة فاصبحنا نهاجم كل قديم ونكفر بكل موروث ، ونتعلق بكل جديد ونؤمن بكل وافد ، وما انصفنا حضارتنا وتراثنا فى واقع الامر وانما ظلمنا ذلك الارث الخالد الذي ولد ولم يجد من يحضنه ونبت ولم يلق من يتعهده ..

وعسى ان تكون هذه الخطوة فاتحة عهد جديد للدراسات الاسلامية فتعيد لحضارتنا رونقها الجميل وسيرتها الاولى يوم كانت تحلق بجناحين : جناح الخلق والايمان والروح ، وجناح العقل والعلم والاختراع ، وحينئذ نحقق ما يدعو له الاسلام ويؤمن به من ازدواج فى التكوين الانساني يعتني بالروح اعتناءه بالمادة ، ويعمل للحياة عمله للاخرة ..

وعندئذ سيكون الاختصاص فى ثقافتنا غير الاختصاص الذي عرفناه ، ذلك الاختصاص الذي حرم ثقافتنا الاسلامية زمنا طويلا من منابع الحياة ، وروافد المعرفة مما قضى على عقولنا وجمد تفكيرنا وحصرنا فى دائرة ضيقة لا نعرف شيئا عما حولنا ، ولا نتاثر ، ولا نؤثر وغير الاختصاص الذي ابتلي به هذا العصر فكان سببا لضيق الافق الفكري وعاملا من عوامل الجهل النسبي مما ادى بالانسانية الى الطبقية الفكرية ،وحرم الانسانية من طاقات مثمرة جبارة لو وسعت آفاقها الى جانب اختصاصها لاوجدت قاسما مشتركا يجمع المختصين ، هذا القاسم الذي يدفع بنا جميعا الى التعرف على جوانب متنوعة والوان مختلفة من المعارف الانسانية ويكون سببا فى ازدهار الحضارة ، وعاملا فى الاستفادة من الجهود المبذولة والعقول المبدعة ..

وفى بلاد الرافدين :
الام مدرسة :

لاول مرة فى تاريخ العراق الحديث يسمح للمرأة بالدخول لكلية الشريعة لتشارك اخاها الرجل فى الدراسات الاسلامية ، ولتعمل معه متعاونين على خدمة مجتمعنا العربي المسلم وتوجيهه توجيها سليما، والحق ان هذا القرار الذي اتخذته كلية الشريعة العراقية والخطوة التي خطاها الازهر الشريف بارض الكنانة حيث قرر فى اول هذه السنة الدراسية واحد وستين واثنين وستين قبول الطالبات فى مختلف كليات الجامعة الازهرية يعتبر نصرا كبيرا للمراة العربية المسلمة ، ولعل الفضل يرجع الى جامعة القرويين بفاس التي كانت اول جامعة اسلامية فتحت صدرها للمراة واعادت لها حقوقها المسلوبة فى الثقافة الاسلامية وبواتها المكانة التي وضعها فيها الاسلام .

والواقع ان المراة فى مجتمعنا الاسلامي على قدر ما رفع الاسلام من قدرها ، وعلى قدر ما اعطاها من الحقوق وجعلها اختا للرجل تشاركه الحقوق وتشاطره الواجبات ، بقدر ما ظلمها المتزمتون من المسلمين حيث جردوها من مكاسبها جميعا ، وحرموها من حقوقها والزموها البيوت وقصروها على المقاصر وخدروها بالخدور ، وسلبوها نعمة العلم ، ونور العقل فاصبحت عضوا اشل لا يقوم باية مهمة ، وشتان بين عصر يؤخذ فيه الدين عن النساء العالمات (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميرى) وبين عصر يتحرج ابناؤه من تعليم البنات وتثقيف النساء ، وشتان بين دين يوجب العلم والثقافة على الذكر والانثى ، وبين متدينين حصروا معرفة الدين على طائفة خاصة من الرجال اسموهم رجال دين ... وليت شعري متى كان للاسلام رجال دين او نساء دين انما نحن جميعا رجالا ونساء مكلفون بتبليغ ما نعلم ، ومن هنا كان المسلم رجل دين وعقيدة ولو اعوزه التخصص والتبحر .

وعسى ان تحقق الاخت المسلمة بدخولها الى ميدان حرمت منه اكثر من الف سنة اماني الامة العربية ، وتعبد لنا تاريخ الامجاد ، وتشارك اخوانها فى الكفاح المرير من اجل اسعاد شعبنا وبناء امتنا وتوجيه مجتمعنا توجيها سليم الاتجاه ، قويم الخلق ، قوي التكوين ، وان اغلب مصائب امتنا واقوى اسباب تاخرنا يرجع الى تخلف القاعدة الاساسية التي يبنى عليها كيان المجتمع ويتوقف على مستواها مستقبل الشعب الا وهو المراة مربية الاجيال ، ومكونة الشعوب وصانعة المعجزات ومبدعة التاريخ وموجهة الامم ، وما احوج المراة المسلمة للدراسات الاسلامية ، والتكوين الروحي الذي يجعل منها نورا يهدي شبابنا ويعدها للدفاع عن معتقدات امتنا وحراسة تراثنا بتكوين ابنائنا تكوينا خلقيا صحيحا وتنشئتهم على المبادىء الاسلامية الصحيحة ، وتطهير عقولهم من خرافات الجاهلين وسموم المغرضين :

الام مدرسة اذا اعددتها ❊ اعددت شعبا طيب الاعراق

اعداد : موساوي زروق

الحياة الثقافية في الوطن العربي

في المغرب العربي : التعريب واجب وطني :

تلك هي الحقيقة التي آمن بها الشعب وتبنتها الحكومة ونفذها صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس حين امر جلالته بتنظيم دورات خلال كل سنة للموظفين الذين هم وجه الحكومة واداة الدولة ومرآة الاستقلال ، وفعلا فقد تم فتح دورة في السنة الماضية كانت دورة تجريبية ، رأى فيها المسؤولون عوامل النقص ، وادركوا اسباب النجاح ، وعملوا على ان تكون هذه الدورة الثانية التي ابتدات هذا الشهر دورة مثمرة ، وحملة موفقة خصوصا بعد ان قسم المشتركون الى فئتين ، فئة مبتدئة وهي التي يجب ان يعنى بها عناية خاصة لانها احوج الى التعريب ، وفئة متوسطة تستطيع بمجهود قليل ولكنه منظم ومخلص ان تتدارك النقص وتلتحق بالركب ...

والحق ان مشكلة التعريب الاداري من مخلفات الاستعمار الذي عمل جهده على محاربة لغة البلاد ، وهدم كيان الامة العربية في هذا الوطن العربي ... وما اكثر ما خلفه الاستعمار من مشاكل ولكن اعظمها واخطرها فيما اعتقد امران اولهما تنظيم الوظيفة العمومية ، وثانيهما تعريب الادارة ومغربتها ، ومن الاسف انه رغم المجهودات التي تبذل لاصلاح الوظيفة العمومية فلا تزال الادارة تسير حسب ما رسمه الاستعمار وخططه الفنيون المفرضون ، مما جعل الوظيفة لا تعتمد على اساس يضمن لها الاستقرار والتخصص والاستفادة من الكفاءات مما دفع بالموظف الى ان يصبح مساوما يبحث عن المنصب الذي يدر الربح الوفير ، والتعويضات الكافية ، والانديس المرتفع والعمل المريح ، فخلت بذلك بعض الوزارات التي لا رواتبها تغري ولا تعويضاتها خالية من الحراس، واكبر مثال على ذلك وزارة التعليم ، وبناء الفصول ، وتكوين الاطارات لا يؤمها الا مضطر ، ولا يعمل بها الا من لفظته الابواب واوصدت في وجهه النوافذ فيدخل الى التعليم راضيا بالغبن مؤمنا بالاجحاف ، لاعنا للظروف ، ساخرا من نفسه ومن الحياة ... انها مشكلة ، ومشكلة خطيرة ارجو ان يوفق المغرب في عهد ملكه الشاب الى حلها واصلاح فسادها وتوحيد اطارات الوظيفة العمومية وتسوية الشهادات وتوحيد الترقيات .

اما التعريب فهو مشكل معقد لانه عمل لا يتعلق باعادة تنظيم او اصدار قانون ولكنه عملية تكوين وخلق ، والتكوين يستلزم امكانيات، ويتطلب مجهودات ويستغرق وقتا . وافضل حل له أن تعطى الدروس باللغة القومية طول السنة ، وان يقوم بالتعليم اساتذة مختصون لهم خبرة وتجربة الى جانب الثقافة والكفاءة ، وقبل ذلك لابد من رغبة وشعور يجعل الموظف يقبل على العربية بدافع وطنيته ، وايمانا بقوميته .

وفي الجمهورية العربية المتحدة :

الدين والدنيا رسالة الازهر :

الان اصبحت جامعاتنا الاسلامية وعلى راسها الازهر الشريف تشق الطريق الى التقدم الحقيقي حين اعادت للدراسات الاسلامية شمولها ، وارجعت لجامعاتنا رسالتها الاولى ، رسالة العلم والنور والخلق فاحدثت كلية جديدة لا لتكوين الفقهاء والقضاة والمفتين والوعاظ فقط ، ولكن لتخرج لنا رجالا قادرين على الحياة مساهمين في بناء حضارة امتهم ، لتخرج لنا المسلمين الاولين الذين لم يلههم الدين عن الدنيا ، ولم تفتنهم الدنيا عن الدين ... وحسنا فعل الازهر حين فتح هذه الكلية الجديدة للمعاملات والادارة وجعل الدراسات فيها متنوعة تشمل النواحي الاقتصادية والتجارية والقانونية وقسمها الى شعب متعددة اهمها: الاحصاء ، ادارة الاعمال ، المحاسبة ، الادارة العامة ، وبذلك حقق حلما طالما راود المصلحين ورفع وصمة عن جبين الدراسات الاسلامية في عهودها المتأخرة ، عهود التخلف الفكري والتتريك العثماني والغزو الاستعماري

ويبدو ان الاجترار اصبح ملكة اصيلة لدى ... الحلوي ، حتى انه لا يستطيع حتى حين يحاول ان ... ضرب مثلا ما الا ان يسرق هذه الامثال ايضا من ... المتقدمين ، فهو حين اراد ان يصفنا بمرض الذوق ... المتعامي عن رؤية الحقائق الفاضحة لم يشعر الا وهو ... يجتر امثال الشاعر المتنبي :

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا

وليس يصح في الافهام شيء
اذا احتاج النهار الى دليل

واذا كان الحلوي يرى ان من الاصالة وربط الحاضر بالماضي والمستقبل الاستمداد من افكار الآخرين ، فله رأيه الخاص ، ونحن لا نناقشه في مدى ايمانه بهذه النظرية ، وانما الذي نريد ان ننبهه اليه ونثبته ، هو اننا نرى خلاف ما يعتقد ، فان الظروف والتيارات والتفاعلات التي واكبت حياة وحضارة عصر ما ، لا يمكن ان تكون هي هي نفس التيارات التي تماشي وتواكب مختلف الحضارات الاخرى ، والا لما استطاع الانسان ان يصل الى ما وصل اليه من اكتشافات واختراعات .. اننا حين نحاول دراسة الماضي للمعرفة والاعتبار والوقوف على التاريخ الحضاري لامة ما ، ولفترة ما من حياة ما ، انما نحاول ان نستكنه الاسباب والظروف التي كونت تلك الحضارة وكيفتها . ونعرف الانجاهات الاصيلة التي عملت على صبغها بهذه الصبغة دون تلك ، اما ان نحاول عن طريق الاجترار ان نكيف وجودنا طبق ما توجبه رسوبات الآخرين من الوان واذواق فهذا شيء لا يمكن ان يخطر ببال انسان يملك ذرة عقل مميز سليم .. ان الاصالة كل الاصالة في ان نضيف — او نحاول أن نضيف — صورا ناطقة واحاسيس حية نابضة الى الصور والاحاسيس الحية الخالدة التي استطاع اولئك الخالدون ان يرسموها في ظلال والوان زاهية قاومت الفناء واستطاعت ان تنفذ الينا ... بالحياة ، فياضة بالمعطيات قوية بالمعاني، زاخرة بالعواطف والخلجات الانسانية .. والادب منذ كان ... والشعر اصدق صورة للاداب الانسانية — عمل ... ابدا وسيظل يعمل على ربط الصور النابضة في ... مختلف حيوات الخالدين النابهين وافكارهم حتى ... يظل النبراس الكشاف الذي يستضيء به السائرون في مجاهل المستقبل المجهول . ولكن لا ليجتروه ويقفوا عنه ، وانما ليضيفوا اليه اضواء كاشفة اخرى ويرسموا من كل ذلك صورة زاخرة بمختلف احاسيسهم الواقعية وغير الواقعية ، لا ان يظلوا في دوامة من الأفكار المجترة ، فلو ان الانسان عمل على اساس فكرة الاجترار مهما فسرت ، لما وجد مختلف النظريات التقدمية في جميع الميادين ، ولما استطاع الرعيل البشري ان يقطع كل هذه المراحل الطويلة التي قطعها عبر مسيره نحو النور والانطلاق ، ولكن الشيء المحقق والذي لا يحتاج الى دليل هو ان الاقطاب والخالدين كانوا دوما خلاقين ومبدعين ، وكانوا ابدا يبتكرون الافكار التي تعتبر الخلية وتعد النواة.. ثم يأتي بعد هؤلاء آخرون قد لا يهمهم من الحياة الا صورها الظاهره الباهتة لانهم يعلمون ظاهر الحياة الدنيا وهم عن الحقائق الازلية غافلون ، هؤلاء هم اصحاب الافكار الضحلة الفطيرة الذين لا ينفكون يجترون ويدورون في دوامة من افكار من سبقوهم .. ونحن عندما نحاول ان ندرس الشعر او الادب برمته كظاهرة انسانية حضارية لا يمكن ان ننظر اليه الا من جهة الخلق والابداع ، فما كان للمتنبي ودانتي وبيرون وفيكتور هيجو وويلز وشوبان وفولتير وابن الرومي ان يخلدوا لو ان اثارهم اقتصرت على لوك افكار من سبقوهم ، لا ابدا ، انما دخلوا التاريخ حين حاولوا فاستطاعوا — وقد يكون الى حد ما — ان يفتحوا نوافذ جديدة على آفاق جديدة من الحياة الانسانية واستطاعوا ان يفتحوا اعين الناس في تركيز على هذه المناحي التي ظلت مجهولة لدى الرواد قبلهم ، ولكل هذا ارجو ان يفكر الاستاذ الحلوي في ان الشعر الاصيل انما ينبثق عن الروح المومنة بالخلق والابتكار في معناهما الواسع الدقيق ، ولا يمكن ان يفسر قولنا هذا بأنه تنكر للماضي المجيد او غير المجيد وانما هو امتداد له ، وتأكيد للوحدة والوشائج الانسانية الراغبة رغبة جامحة في ان تعمل على تحقيق الافضل والارغد من العيش والاسعد من الحياة ، ونعتبر — وهذا ما يجب — ان الشعر سوف يظل الى الابد القاسم المشترك الاعظم في جميع الاتجاهات الحية في خلايا الانسان الخالد ولا يمكن هذا الا اذا تصورناه وجسمناه حسب معطيات الحياة المتجددة في كل وقت وحين ؛ ومن حق الحلوي اذا كانت افكاره لا تتسع لهذه الاجواء البعيدة الاغوار في مجاهل الكيان الانساني ان يكتفي بالاجترار وان يصوره له خياله السجين بانه التعبير الاصيل والطريق الوحيد للمحافظة على ما

مناقشات

حول قصيدة: إننا أخوان

للاستاذ عبدالكريم التواتي

وبعد ...

كنت انتظر من الاخ الحلوي وفى تعليقه الثاني بالذات على قصيدتي اننا اخوان ان يركز انتقاده حول موضوعية القصيدة وشكليتها ومدى استجابتها لما وضعت من اجله ، او على الاقل ان يضع النقط على الحروف ويفتح اعين القراء على الجوانب التي استرعت اهتمامه من حيث يريد ، وان يكون قبل هذا وبعده موضوعيا الى اقصى حدود الامكان او على الاقل الى الدرجة التي تظهره بمظهر الناقد البصير النزيه والذي يحاول جهد امكانه ان يبين الحقائق المجردة وان يلقي عليها من انوار مجهره الدقيق الاضواء الكشافة التي تقف المتتبعين للحياة الادبية فى هذا البلد الكريم على المواضع المغموزة — فى نظره — فى القصيدة التي كانت — ويجب ان تظل — محوركل هذه التعليقات — ولو انه فعل — وله الاختيار — اذن لاراح نفسه من عناء البحث وراء سراب خادع ، ولجنب قلمه هذه الكلمات النابية — المنافية لمكانته كاديب ممتاز — التي اوردها فى غير ما موضع من تعليقه الثاني والاول ، ولابعد كذلك عن اذواق القراء هذا الاسلوب المهلهل الذي حاول وراءه وبه ان يبين عن هذا اللاشيء الذي اقام حوله زوبعة فى فنجان .

وكنت انتظر من الاخ الحلوي كذلك ان يركز نقده حول النقط التي كان اثارها فى تعليقه الاول فلا يخبط خبط عشواء او ينهافت فى هذا العديد من النظريات المتناقضة، والافكار اللامحدودة المعالم او الاهداف والتي اوردها فى سياق مشوش الانفام ، عديم الارتباط .. ولكن اذا كان من الحقائق المسلمة ان الانسان — يجب ان يتقبل احيانا الواقع بوصفه حقيقة راهنة ان طائعا او مكرها، فانا لن نحاسب الحلوي على هذا التهافت الذي دعاه اليه فيما يبدو ما كان يعانيه من انفعالات نفسية عصبية حين وجد نفسه فى الميزان وهو الذي كان يصور له خياله المجنح انه فوق الاعتبارات وكل القيود .. وانما سنحاول فى رفق وهدوء ان نعالج ما ساقه فى حقائقه الخمس .. وكم يؤسفني ان اجد نفسي مضطرا من جديد ومنذ بداية الحديث على محاسبته على ما كنت اكدته فى تعليقي الاول حين وصفت معدته بعسر الهضم ، وانها لا تستطيع ان نهضم الا بعد الاجترار المتكرر . وفى هذا الموضوع حلا للاستاذ الحلوي هذه المرة فى رده على تعقبي لا ان لا يخرج عما اعتاده والفه من تقليد الآخرين فى كل شيء بما فى ذلك تنظيم كتاباته فحسب ، وانما شاء ان يقلدني انا بالذات حين قسم بحثه الى حقائقه الخمس .. واذاكنت قدرميت الاستاذالحلوى بالاجترار — وفى عرف الحيوان الناطق هذه المرة حتى لا يغضب ، فيضطر الى شرح المفردات اعتقادا منه انه فى درس من دروسه التقليدية — فما قلت منكرا من الفول ولا زورا، وتعليقه الثاني اعظم شاهد على ما اقول ، وهو نفسه اكد وفى حرارة واسلوب خطابي مبسط استغرق صفحة كاملة من مجلة دعوة الحق هذه الفكرة ، بل ودافع عن احقيته فى ان يجتر ، وهو بعد هذا لا يتوانى ان يقول : ان هذا الاجترار هو وحده الذي يربطه وادبه بماضيه السعيد ، وهو الذي يجعل لمعاني شعره الاهداف العليا ، والمثل السامية التي تتوخاها الانسانية الحافزة فى تطوافها نحو استكناه المجهول ، ويؤكد ان الاجترار هو السبيل الوحيد الذي يعطي معطيات الشعر — فى نظره — الروافد القمينة بجعله يتطلع الى الخلود ، ويطمع فى البقاء .. وليستر هذا الاجترار المتعمد يضفي عليه كلمات براقة هي بدورها اجترار لما كان قد قاله الشاعر العربي :

اترانا نقول الا معادا او معارا من قولنا مكرورا

.. سياء الموازين .. اما عند ما يراد استقصاء الاسباب والدوافع الحقيقية لانتاج هذا اوذاك، فان المدارس تتعدد، والمناهج تختلف ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى اذا كان الحلوي قد رضي لنفسه ان يتحصن وراء اسوار المدرسة القديمة ، فاني انا من جهتي اتحاشى ان احكم لنفسي بهذا او ذاك او بما لم يستحي الحلوي ان يجعله قسما ثالثا ويثبته في مقاله الثاني فان مثل هذه الاحكام كان يجب ان تترك للتاريخ وللنقاد ، ومن السماجة ان يحكم الانسان لنفسه بالجودة والاصالة او ان يدعي أن مجرد كلمات عابرة صادرة من اشخاص مهما تكن منزلتهم ، كافية لان تحمل الانسان العاقل على التباهي باصالته ، فان كتب التاريخ الادبي القديمة مليئة بكثير من امثال هؤلاء الذين يجدون من معاصريهم التأييد والتصفيق ولكنهم عندما اريد ادراجهم ضمن الخالدين اختفوا باختفاء المصفقين والهاتفين .. افيرضى الحلوي ان يكون مثل هؤلاء .. اما انا فيعلم الله اني لا اهتم بما يقول الناس بقدر ما اهتم برغبتي الاكيدة في ان احاول الاستجابة لجيشان نفسي ورغبتها الصادقة في ان تعمل شيئا من اجل الخلود الادبي . وكان بودي – وكنت قلت هذا في تعليقي الاول – لو ان الحلوى انتقد القصيدتين مقطعا مقطعا ، وبيتا بيتا ، لنرى الى اي مدى يختلف اتجاهانا تعبيرا وشكلا وفنا ومضمونا ..

واعود الى موضوع الحقيقة الرابعة لاذكر الحلوى بانه وقف من هذه القضية موقف السفسطائيين فهو قد وضع مقدمة مغلوطة حين اعتقد بأن الانسان يجب ان يكون شيئا واحدا لا ينفك عن ماضيه الا بمقدار ما يبقيه متعلقا بحاضره وكان من الطبيعي ان تؤدى هذه المقدمة الفاسدة الى نتيجة واحده هي عدم التمييز بين منطقي العقل والعواطف ، ولو ان الحلوي حمل نفسه بعض العناء فدرس الجوانب الشكلية والموضوعية لحياة بعض الخالدين حتى اولئك الذين يعرفهم هو لوجد لهم اتجاهات قد تبدو في نظر قاصري النظر متناقضة وما هي في واقع الامر سوى التعبير المجسم للانطلاقات الحافزة التي تجعلهم يمتازون عن بقية الناس ، وللتمثيل ، لا شك ان الحلوي قد قرا كثيرا من الاشعار الغزلية لفقهاء كانوا يتصدرون مراكز الافتاء والقضاء ، وكانت مراكزهم تلك لا تسمح لهم – في عرف اجوائهم الخاصة – بأن يخوضوا ميادين التشبيب والغزل ، ولكنها النفس الانسانية الكثيرة الجوانب والمتعددة الميول ، وان من يحاول ان يقصر النفس على اتجاه خاص دون غيره ويرغمها على سلوك طريق معين انما يجهل حقيقة بسيطة بساطة ان النار تحرق ، وهي ان قيمة الانسان انما تتجسم في مدى قدرته على ان يخلق من نفسه ولنفسه وللاخرين اجواء قد تبدو غريبة وفي صور متناقضة في بعض الاحايين ، ولعل فن المقامات في الادب العربي كان محاولة لبواعث الايمان بفكرة تعدد ميول الانسان وتباين سلوكه تبعا للتيارات المتباينة والحوافز المختلفة ولعل الشعراء العرب كانوا مثالا حيا لهذه الظاهرة الشيء الذي حمل النقاد الاقدمين على اعتبارها من اجمل وابرز مميزات الشعراء ، ولعله ايضا من هنا جاءت لمؤلفي التاريخ الادبي نظرية اختيار الانتاج الادبي للشعراء والادباء على اساس ما انشأوه وقالوه في جميع ميادين الشعر من غزل ومديح وهجاء وتصوف الخ..

.. ويثير الاستاذ الحلوي من جديد موضوع الحديث عن القومية والاعراف والدساتير ويقف حيث وقف من النقطة السابقة التناقض .. ولا بأس هنا ايضا من ان اذكر الاستاذ بحقيقة اخرى بسيطة ما انفك يرددها ما دام استاذا للاداب ، وهي ان الاسلوب العلمي غير الاسلوب الخطابي وهما غير الاسلوب الادبي ولو انه تذكر هذه الحقيقة لما غاب عنه كيف يعلل حديث التواتي وهو يحلل القومية واسسها . وحديث التواتي وهو يدعو الى التحلل من القوميات الضيقة ويدعو الى الايمان بالوحدة الاسلامية كعقيدة يجب ان تحل محل القوميات جميعها .. وانا لا اعتقد – كما يعتقد – اننا كسبنا ربحا ما – غير التهريج والديماغوجية – من الجامعة العربية على وضعها الحالي ، كما اعتقد ان لا عرقلة ابدا في طريق الدعوة الى وحدة اسلامية على عكس الدعوات الى القوميات ، لان هذه تقوم على اسس مادية صرفة ومنافع مؤقتة ومحدودة باعتبار الزمان والمكان بينما الدعوة الى الوحدة الاسلامية تراعي كل ذلك وتزيد عليه حين تريد ان يكون الارتباط بين مختلف الاعضاء على اساس من رضا الله ومبايعته ، وفرق بين ما يباركه الله وما يباركه الناس ، وبهذه المناسبة احب ان اسجل هنا حادثة قصها علي الامام الشنجيطي وزير التعليم في المملكة الاردنية حدثت له مع شخصية اقتصادية بارزة في احدى الجمهوريات العربية ، قال الامام الشنجيطي لمحدثه – والموضوع في ايهما افضل واجدى

يسميه تاريخ الامجاد وامجاد التاريخ ، اما نحن فما زلنا نؤكد وفي حرارة بان الشعر ، بل الحياة لايمكن ان تكون ذات قيمة حقيقية اذا لم تتجدد في كل شيء ، لا في صورالناس وازيائهم وافكارهم السطحية الضحلة وانما في نظرتهم العميقة الى تفهم اسرار الكون وخبايا الوجود ، وما كان في مقدور غير الشعر ان يسبر هذه الاغوار وان يصل الى تحديد مفاهيمها واعطاء مضامينها الصور المتحركة المعبرة ..

ويثير الاستاذ الحلوي في حقيقته الاولى مشكلة دقيقة هي مشكلة حكم القراء على الانتاج ، والحلوي في هذه القضية يكاد يؤكد بانه لولا القراء لما استطاع ان يكتب شيئا او ينتج انتاجا ، والى هنا قد تكون للحلوي اعذاره الخاصة ، ولكن الشيء الذي لايمكن ان يعتذر له عنه هو ادعاؤه بأن اي شاعر ما كان ليكتب الا ليقراه الآخرون .. وهنا ايضا اقول للاخ الحلوي باني اعتقد ان اي شاعر من هذا النوع لابد انه يشكو مركب نقص فظيع حين يربط انتاجه بالآخرين ، لان معنى هذا ان مثل هذا الشاعر لا يجد من نفسه الدوافع الغريزية والميول الانسانية التي تجعله بخلق ويبتكر لمجرد الايمان برسالة الخلق والابتكار ما دام المفروض فيه ان يحتل مركز القيادة والزعامه ، اذ الشعر ليس بضاعة مجردة او نظريه اقتصادية بمعناها الجاف تبور اذا لم تجد مستهلكا ، وان على المعمل في مثل هذا الحال ان يوقف عجلة الانتاج ، لا ابدا ان الشاعر لا يمكنه ان يوقف انتاجه لان هذا الانتاج هو في الحقيقة المسيطر عليه ، ولانه الطريق الوحيد للتعبير عن الوجود الذاتي للشاعر ، والشاعر لا يمكنه ان يتأثر ابدا — في حدود ذاتيته وكيانه — بالاحكام التي يصدرها عليه الآخرون مهما تكن تلك الاحكام صائبة او جائرة، لان الرسالة التي يتحمل اعباءها عن رضا وطواعية واختيار لا يمكن ان تترك له مجالا للاختيار في الانتاج وعدمه ، فنحن يا اخي الحلوي لا ننتج ليقرا لنا الناس ، والا امسكنا عن الانتاج ، لا يااخي ولو حدث هذا مرة واحدة في التاريخ لما امكن لكثير من النظريات التي اثبت محك التجربة صلاحيتها ان ترى النور ، ان التوالد الطبيعي لكل الكائنات لا يمكن ان يخضع لغير الرغبة الاصيلة في الانتاج ، هذه الرغبة التي نعد هذ االتوالد نفسه التعبير الصادق المجسم — بالبناء للفاعل — للوجود ، فلو ان ابيقور مثلا وهو اول فيلسوف — فيما اعرف — عالج موضوعا حسابيا في نظرة الناس للحياة : اللذة والالم — (راجع كتاب الدكتور اسماعيل مظهر في الموضوع) عمل على ضوء نظريه الكتابة للقراءة من الآخرين لما امكن لنظرياته ان تصلنا الآن في المذهب الوجودي الذي يحاول بعض الناس لهذا السبب او ذاك ان ينسبوا ابتكاره لسارتر الاديب الفرنسي المشهور ، ان الاديب — كما قلت سابقا — عند ما يحس في اعماقه برغبة الانتاج والتوالد ، انما يكون مدفوعا بقوة لا منظورة الى تسجيل ما يحسه ويجول بخاطره ثم لا عليه اقرا الناس ما انتج ام اهملوه ما دام هو قد ادى رسالته . ولو ان هذا المبدا الذي يدعو اليه الحلوي ساد الحياه لكان على الحياة نفسها ان تغير الكثير منها لان الناس لا يحسون له وجودا ولا يجدون له طعما ولا لذة .. انها الرغبة الاجبارية في الانتاج تلك التي تدفع الشاعر الاصيل الى تسجيل افكاره وخواطره ، لهذا فليس من حق احد ان يرغم ءاخر على قراءة الآخرين او قراءة انتاجهم ، على ان القراءة الموضوعية المركزة تستحسن اكثر فأكثر عند ما يتعلق الامر بالنقد والتوجيه ، ومن الغريب ان الحلوي بعد ان حمل علي حملة شعواء لاني قلت اني لا اقرا انتاجه وعد هذا نقصا في اى انسان ينتسب للادب ارتكب نفس (الخطا) وفي شكل افظع حين ناقض نفسه في هذه القضية ، فهو في حقيقته الثالثة يقول بالنص : (.. ولكني مع الاسف لم اجد ما يغريني بالوقوف فتناولت منها ما اثار اهتمامي وتركت الباقي لحكم التاريخ اشفاقا على نفسي وضنا بوقتي ..) بينما يعود في ءاخر فقرات مقاله ليقول بالنص ايضا (.. وانا اؤكد له انني مغرم بقراءة جميع المحاولات حتى ولو كانت فاشلة لاني اعرف كيف استفيد منها . الخ) فأينا المتهافت والمتناقض مع نفسه .. ؟

واما حديث الاخ الحلوي عن مدارس الشعر فهو يحاول فيه — والاجترار ايضا هو الذي اوقعه في هذا المازق — ان يبدو قاضيا مطلقا ، حاكما بأمره بضع الناس حيث يشاء دون اي اعتبار لغير احكامه . والا فمن ابن جاءه هذا الادعاء الفارغ بأنه هو يمثل المدرسة القديمة بخصائصها وسماتها ، وان الاخ الطنجي — واعتذر عن اقحامه ضمن هذه المناقشات — يمثل المدرسة الحديثة ، ان المدارس الادبية تعنى اولاوبالذات الطرق الواضحة لمعالجة الافكار الادبية الصادرة عن النفس الانسانية تجسيما لميولها ورغباتها وتصويرا لنزعاتها التي لا يمكن ان تنحصر — في نظر المومنين بشمولية الادب — في قديم وحديث الا عند ما لا توضع

.. الاداب لا تعدو ان تكون مقالا تجتر فيه الالفاظ فى
...سات لفظية بحتة على حساب المعنى ودون مراعاة
... اعتبار ، افلا تصدقوني الآن ان قلت ان الاستاذ
...لوي قد اختلطت فى ذهنه الحقائق الثابتة
المفاهيم العصرية حين يحاول ان يتهرب منها على
...ساب الماضي ، وحين يفضل طريقة بديع الزمان
الصاحب بن عباد فى معالجة القضايا الادبية التي هي
...قضايا الانسانية فى محتواها البعيد والقريب . ان
الشكل والاداء يجب اعتبارهما – فى نظر العقلاء
...اوبين وبجب اعتبار المضامين الغاية والمقصد اولا
وبالذات فالناس – او انا على الاقل – لا اعجب
بالمتنبي ، او ابي تمام ، او البحتري ، وأبي نواس ،
وابن زيدون واضرابهم لمتانة اللفظ وسلاسة التعبير
كما يقول النقاد الاقدمون . لا ياأخي وانما اعجب
بالافكار والمعاني والاخيلة التي استطاعوا ان يبتكروها
ويخترعوها ثم يصوغوها فى قوالب من الشعر الحي
الجياش النابض بالمعطيات ..

بقيت كلمة قبل الاخيرة يجب ان اهمس بها فى
اذن الاخ الحلوي حول البحث اللغوي الذي اثاره عن
لفظة الجهم والجاهم فاقول : انه وان لم تذكر المعاجم
اللغوية هذا التركيب بالذات فأرى ان القياس لايمنع
صوغها على البناء للفاعل . ففي اللسان مادة جهم
ما نصه (.. جهمه يجهمه (بالبناء للفاعل) استقبله
بوجه كريه قال عمرو بن الفضفاض الجهني :

ولا تجهمبنا ام عمرو فانما
بنا داء ظبي لم تخنه عوامله

وقد يستانس لاجازة القياس فى هذه المادة بما
جاء فى اللسان فى آخر نفس المادة (.. وبنو جاهمة بطن
منهم) اي جهيمة ..

وبعد فارجو من الاخ الحلوي ان قدر له ان
يعود للتعليق مرة ثالثة ان يحدد الاهداف من هذا
النقاش وما اذا كانت – فقط – القصيدة (اننا
اخوان) هي دائما محوره .. وليطمئن الى انى
سوف لا اتاخر عن مناقشته الحساب على اي طريق
اراد ، على طريق مصارعة الثيران او مغازلة
القيان ...

الحديث ذو شجون



على العرب ، الدعوة الى العروبة ام الى الاسلام — أنا لست اقتصاديا ومع ذلك فاني ارجوك ان تجيبني عن هذا السؤال الاقتصادي وهو ايهما اكثر فائدة ربح اثنين او عشرة ؟ قال الامام الشنجيطي لقد اجابني الاقتصادي الخبير العشرة بالطبع ، قال الامام الشنجيطي قلت فلم اذن تعملون على اغتصاب اربعمائة مليون مسلم من اجل ارضاء نصف مليون من المسيحيين ...؟ واقول بدوري ما هي الفوائد الحقيقية التي جنيناها حتى الآن وراء الدعوة الى القومية العربية التي لم تتجاوز حتى عند دعاتها منطقة الدعاية والآراء والشعور ..؟ انه من الجميل حقا أن نكون شعراء ولكن عندما نعالج الحقائق الصارخة والتي لا تتلاقى والاخيلة العاطفية يجب ان نكون مع انفسنا واقعيين الى اقصى الحدود المكنة لهذه الواقعية . لكل ذلك فما زلت اعتقد على — خلاف الاستاذ الحلوي — ان وحدة اسلامية هي وحدها الكفيلة باخراج — لا العالم الاسلامي وحده — من هذه الحيرة والبلبلة والخوف والاضطراب التي يشعر بها الجميع وانما العالم اجمع، واقولها صراحة ان الدعوة الى الوحدة الاسلامية لا يمكن ان تقابلها الدعوة الى اليهودية أو المسيحية ، وان تكن الدعوة الى اليهودية والمسيحية قائمة فعلا وواقعيا فهل قامت اسرائيل فى قلب العالم العربي المسلم والمؤيدة من طرف الهيأة الاممية الا على اساس من الدعوة اليهودية ؟ وهل يعيش الفاتيكان الدولة فى قلب دولة الا على اساس من الدعوة المسيحية ؟ فاذادعونانحن الىوحدةاسلامية رمينابالجمودوالرجعية ووصفنا بالدعوة الى القبلية والنعرة الجاهلية ، اللهم ان كانت الدعوة الى الوحدة الاسلامية دعوة جاهلية فاحيني عليها وامتني عليها .. ثم ان الاسلام حين ردد الآية الكريمة التي اوردها الاستاذ الحلوي (يا ايها الناس انا خلقناكم .. الآية) انما اوردها فى مقام التذكير بان هذه الوحدة لا يمكن ان تتم وعلى اسس صحيحة متينة الا فى ظلال الايمان بالاه واحد ، وبان الاسلام وحدة شاملة كاملة تستطيع فى مفاهيمها الانسانية ، ومضامينها الالاهية ان تتغلب على جميع العقبات التي ما انفكت تعترض سبيل الانسانية المتعثرة نحو النور والحياة ، ومحاولات الانسان الوصول الى حياة الكمال والعزةالحقيقية لم تتجسم الامرة واحدة عند ما استطاع محمد (ص) ان يقنع الناس بضرورة الايمان بوحدة الاهداف والاغراض المنبثقة عن الايمان بوحدانية الله التي هي خلاصة العقيدة الاسلامية، واذا كان العالم الغربي حتى الآن لم يستطع رغم جميعما احدثه من نظريات اقتصادية وغيرها وبما سنه من قوانين ووضعه من شرائع وكونه من منظمات ان يجعل الانسان يطمئن الى مصيره وينجيه من الارتباك والخوف من الحياة ومن اخيه الانسان ، فانما ذلك لان اي دعوة لا تقوم على اساس الدعوة الى الله ولا تستند الى وحدة روحية تكون فيها المادة احدى الاسس لا انها الأس وكل شيء لايمكن ان تستمر او تنجح او تبقى ، لهذا يا اخي الحلوي فاني اومن بان الطريق الوحيد لصلاح الانسان وتحقيق مبادىء التعايش السلمي انما تتحقق عند ما يسود الارض الدين الاسلامي ، وسيرى الجاحدون لهذه الحقيقة كيف انهم بعيدون عن تحقيق اهدافهم متى ظلوا بعداء فى افكارهم وءارائهم عن الاسلام بمعناه الانساني الكامل الشامل ، وفى اسسه التي وضعت من اجل اسعاد المجموع البشري على ضوء الواقع الذي يحياه ومع مراعاة ظروفه وملابساته . واما عن الجانب الشكلي الذي اورده الحلوي كخاتمة لحقائقه الخمسة فيؤلمني ان يكون الاخ الحلوي ارتكب خطأ فاحشا قد يكون عن غير قصد حين قال بالنص (.. ان الالتفات الى الجوانب النفسية والاجتماعية والتاريخية والفلسفية فى اي عمل ادبي مرحلة ثانوية — كذا — يمر اليها الناقد عن طريق الشكلية وجمال الاداء ..) ذلك أن هذا قلب فاضح للحقيقة التي يجب ان تهدف اليها الاداب والشعر فى مقدمتها — فان كل من يفكر ويومن بان الادب انما ينبع من صميم الحياة بجميع مظاهرها ومتناقضاتها لا يمكن ان يعتبر اولية الاداء والشكل وثانوية المفاهيم والمضامين ، فان من ابسط الامور الملموسة ان الاداء والشكل انما كانا — وجودا — من اجل المضمون والمفهوم ، اللهم الا اذا أصبحت الحقائق كلها معكوسة فى نظر استاذنا الحلوي واصبح لا يفكر — حين يكتب — فى غير البهرجة اللفظية والاداء الموسيقي ان صح التعبير ولو على حساب الغاية والاهداف .. واريد ان يفكر الاستاذ الحلوي معي فيما كانت ستؤول اليه الاداب الانسانية الخالدة العالية التي انجبتها قرائح شوامخ الاقطاب العالميين لو لم يراع فيها الاحسن الاداء وصياغة الشكل ؟ ان هذا الذي يدعو اليه الحلوي يدعو الى مزيد من الدرس والتعليق قد نفرد له فصلا خاصا فيما بعد وعليه ان يتحمل تبعات ما قد ينشأ عن هذه الافكار .. انها افكار تسوقنا الى استذكار عهود الخوارزمي ، وبديع الزمان ، والصاحب بن عباد ، والحريري ، يوم كانت

خي انني وانت على رغم الديانات فى الدنى اخوان
ديانات مذ توالت على الارض دعتنا للحب والايمان
انا وانت خليقان بان نحيا فى صفا وامان
الارض امنا والسماوات ظلال ترعانا فى اطمئنان

واستطاع بواسطة ابتهال صوفي ان يضع يديه على المشكل الذي خلقه الانسان وتعذب به :

ومسابيح شع منها هدى الحق مضيئا فى احلك الاحزان
فلماذا اخي تنكر قلبانا لما وطدت يد الرحمان

وكان هذا الابتهال ذا صبغة وعظية لم تذهب ببناء الصورة وعمقها . واذا كان لم يستغل مشاهد الطبيعة ليغدقها على موضعه ، فيزيده خصوبة ، فانه عوض عن ذلك باعطاء تشابيه غزلية ، كان يقصد منها الى جعل الصورة فى مكانها المقدس بصفة نهائية :

ابدا يا اخي (فانا ابتسامات العذارى لمغريات الاماني).

وبعد هذا ، التفت الى تلك المؤثرات التي تجعل اخوة الانسان حتمية لاتقبل الجدل ، تلك المؤثرات هي وحدة المصير ـ القدر المحتوم ـ انصهار المبادىء واللون والجنس فى بوتقة الانسان لدرجة انها تصبح عديمة المعنى اذ يتلاشى كل شىء فيها ما عدا انسانية الانسان ـ القوميات ـ الدساتير ـ القوانين ـ تسم الحضارة الانسانية فى شمولها وابعادها :

وحدت بيننا المصائر والاقدار مذ كنا فى ضمير الزمان
المبادىء واللون الفاظ بلا روح او بدون معاني
والقوميات والدساتير والاعراف من وضع عابدي الاوثان

ويقول :

الحضارات ملكنا نحن الاثنين خلقناها بالدما والجنان
والحروب المدمرات عدو لكلينا البيض والسودان

ثم بدا يتساءل فى حسرة عن هذا التطاحن الموجود بين الدول ، وعن العلم ، هل وجد من اجل سعادة الانسان او شقائه ؟ وكان يقصد من وراء هذا التساؤل الى اظهار فداحة الخطأ الذي يتركه الانسان وهو يحصد عمره بيده ، اذ يصنع بها الاسلحة الفتاكة ، ويعيش بفكره يحلم بالسلام والامن :

يا اخي لم تسابق الدول الكبرى لانتاج افتك النيران؟
الملا الارض الجميلة رعبا باسم حفظ السلام والاوطان ؟
التدمير ما بنينا من الاحلام او شدنا من صروح الاماني؟

ولكي يكتسب هذا العمق عنده شكلا فلسفيا فقد تبنى فكرة الحلول ، ولهذا بدأ يطالب كل انسان بالعمل معه على تحقيق رغبة الحياة فى الانسان ، وهنا عاد الى ايمانه يستلهمه ، فالله لا يترك الذين يسعون فى الخير يتعثرون فى الديجور :

(يا اخي ما اراك الا وجودا وامتدادا لروحي الهيمان)
فلنسر فى طريقنا نحقق فى صبر رجاء الحياة فى الانسان
فالاله الرحيم يكلأ بالتوفيق مسعى الانسان فى الاحسان

ويمكن ان نلخص ان هذا العمق اتى من تعدد الصور فى القصيدة ، مما جعلها حركية ، ولولا تلك التساؤلات المتكررة فى بعض الاحيان ، لكانت القصيدة خالية من كل ركود .

اما بالنسبة الى الحلوي ، فاننا نرى ان الشاعرية تكاد تقفز من كل بيت من ابيات قصيدته ، ولذلك نجده يتناول موضوع الحرب والاخاء من وجهة نظر اخرى : فهو ربما ارجع المسؤولية فى فوضى العالم الى خطيئة ءادم الاولى ، هذه الخطيئة التي وحدتنا كبشر ، لاننا انحدرنا من سلالة مرتكبها :

يا اخي نحن فى الحياة على رغم هوانا وانفنا اخوان
فعلى ما نعيش فى هذه الدنيا ذئابا فى صورة الانسان ؟
نحن ابناء والد جرع اللذة سما من ناضرات الجنان
اغضب الله لاهيا فتهاوى من خلود الى وجود فان

وهو يستفظع ظمأ الانسان الى الدماء ، فى الوقت الذي يسعى فيه للحب ، مما يجعله يشجب حيوانية الانسان وغابيته :

ولماذا نهيج شوقا الى الحرب نعاني من نارها ما نعاني ؟
ظامئات نفوسنا للدم المسفوح تختال منه احمر قاني
نتساقى كأس الصداقة والحب بأيد مضرجات البنان
نتفانى على الحطام وما يبقى حطام ولا يزول التفاني

رأي في القصيدتين معاً

للأستاذ محمد السرغيني

ان هذه الحركة الانتقادية التي دارت بين السيدين : الحلوي والتواتي ، على منبر مجلة (دعوة الحق) ، بمكن ان نجعل منها نقطة انطلاق نحو ايجاد حركة نقدية نحب لها ان تلتحم ، فتدفع الذين تعودوا ان يسكتوا ، الى ان يخوضوا هذا الغمار ، معتمدين على حاستهم النقدية فقط ، من غير تعرض الى اشياء اخرى خارجة عن نطاق العمل الذي يحلل ويدرس .

وعليه ، فلا حاجة بنا للتأكيد على خطورة النقد بالنسبة لكل حياة أدبية ، ولا الى التنبيه على الانواع والمدارس النقدية ، فذاك لا يتسع له المجال . والحق ان ما قرأته لهذين السيدين ، لم يكن من باب النقد الخالص ، ومع أن المجال كان متسعا لكليهما ، اذ كان فى امكانهما ان يستخرجا عن طريق المقارنة بين القصيدتين كثيرا من اللفتات التي تساعد النقد فى اظهار مواطن الرداءة والجودة فيهما ، الا انهما عزفا عن ذلك ، وخاضا فى أمور بعيدة بعيدة .

التقاء القصيدتين : انه من الممكن أن نقسم وجوه التقاء القصيدتين الى مضمون والى شكل :

فمن ناحية المضمون ، نجد ان المعنى الرئيسي فيهما ، يهدف الى شجب الحرب ، والدعاية الى السلم. وذلك عن طريق ارشاد الانسان الى انسانيته ، من حيث يراها اخوة كائنة فى كل المخلوقات بقطع النظر عن اللون والجنس والدين . اما من ناحية الشكل :

1 — فهما يلتقيان فى الوزن والقافية ، اذ انهما على وزن الخفيف ذي التفاعيل الستة ، تارة نجد بعض ابياتهما مدورة ، واخرى نجدها ذات شطر وعجز ، كما ان القافية النونية التي تحدث رنينا اخاذا هي احدى وجوه التشابه بين القصيدتين ، فهي فى كلتيهما نون مكسورة قبلها الف لينة .

2 — ونجد بعض التعابير موحدة فيهما . يقول التواتي :

يا اخي انني وانت على رغم هوانا وانفنا اخوان .

ويقول الحلوي :

يا اخي نحن فى الحياه على رغم هوانا وانفنا اخوان .

ويكرر هذا البيت فى راس كل فقره فى قصيدته. فكانه الفكرة الاولى فيها .

3 — ونجد ان ادوات الاستفهام عندهما تتشابه ، مما يؤكد هذا التشابه ويبلوره . فهما قد استفهما بعلى ما ، ولم ، والهمزة ، وان كان التواتي قد سكن ميم لم لضرورة الايقاع .

افتراق القصيدتين :

ووجوه الافتراق ايضا تتناول المضمون والشكل: فمن ناحية المضمون ، نجد أن التواتي فلسف موضوعه وعمقه ، اذ جعل الدعامة الاولى للاخاء ، هي الوحدة الايمانية التي تطالب بها الديانات على اختلافها ، وذلك الحب الذي تدعو اليه العقائد المختلفة :

ـده الطوال التي تقال فى المناسبات ، يظهر عليها ـر البحتري بجـلاء ، ولا ينقصها لكي تعبر عنه ، ـجو الذي كانت تنشـد فيه .

والتواتي يصدر عن عاطفة دينية ، اذ انه لا ينسى ـالديانات ومفعولهما فى توحيد البشر ، ولا يفتـأ ـ ذلك فى اول القصيدة :

ـخي انني وانت على رغم الديانات فى الدنا اخوان
ـالديانات مذ توالت على الارض دعتنا للحب والايمان

وفى وسطها :

فلماذا اخي تنكر قلبانا لما وطدت يد الرحمان ؟

وفى ءاخرها :

فالاله الرحيم يكلأ بالتوفيق مسعى الانسان فى الاحسان

بينما نجد ان الحلوي لم يستغل هذه العاطفة ، لاظهار مدى طغيان الانسان وجوره ، واعتقد انه عوض عن ذلك باستغلاله مشاهد الطبيعة ، لتشخيص صوره:

نحن فى زورق تقاذفه الموج عديم الشراع والربان
فى ظلام كالموج ادعو فما نسمع صوتي واشتهي ان تراني
ساع منا المجداف وامتلأ الزورق فى ماء ولج فى الخفقان

ويقول :

لم نبكي وفى الطبيعة سحـر وجمال وصفوة واغاني ؟

فذاك اقرب الى الشاعرية ، اما استغلال المشاعر الدينية فى القصيدة ، فانه يكتسب طابعا وعظيا ، وان كان يمكن ان تحول هذه الطاقات الوعظية الى خميلة شعرية اذا احسن استغلالها .

مقارنات : ان القصد وراء المقارنة هذه، ان نقيس مدى نسبة الاصالة فى كلتا القصيدتين ، لنستطيع من خلال ذلك ان نقدر الجهد الذهنـي والعاطفي اللذيـن ـبذلهما الشاعران من اجل انشاء قصيدتيهما ، ومـن ـيمكن الحكم بدقة على مظاهر الاخلاص للشاعرية ، المظاهر التي تنعكس على القصيدتيـن معـا ، لان الاخلاص للشاعرية ، يقتل فى نفس الشاعر تلك النزعة الى التقليد ، وذلك الشوق الى ان يلوك الصور التـي سبق اليـها .

فالحلوي ينتهج اسلوبا مهجريـا حين يجسـد الطبيعة ويحييها ، ليجعلها ناطقة بصوره وتجاربه :

نحن فى زورق تقاذفه الموج عديم الشراع والربان .

وهو فى هذا شبيه بالشاعر ايليـا ابي ماضي فى قصيدتـه (ابتسم) :

فاضحك **فان الشهب تضحك والدجى متلاطم ولذا نحب الانجما**

وكذلك جبران فى (النبي) : (ان ما تشعرون به من الالم ، **هو انكسار القشرة التي تغلف ادراككم ، وكما ان القشرة الصلدة التي تحجب الثمرة يجب ان تتحطم حتى يبرز قلبها من ظلمة الارض الى نور الشمس)** وهذا اسلوب نراه شائعا فى الانجيل . والحلوي حين تحدث عن غرور الانسان وسفالتـه :

يا غليظ الطباع يا سافل الاطماع يا عار هذه الاكوان !

ذكرنا ذلك بقصيدة (الطين) ، لابي ماضي ايضا :

نسي الطين ساعة انه طين حقير فصال تيها وعربد
وكسى الخز جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرد

ولكن ، يلاحظ ان شاعرنا واجه الحقيقة بكثيـر من الصراحة المباشرة ، اذ خاطب الانسان بغليـظ الطباع ، وسافل الاطماع ، بينما حاول ابو ماضي ان يشير الى حقارة الانسان عن طريق لا مباشر، فالانسان حين يتاح له ان ينتعش ، ينسى انه حقير كالتـراب اصله. ونستطيع ان نجد فوق هذا تأثيرا لطه المهندس فى قصيدة الحلوي ، وذلك ان هذا الشاعر ، يكثر مـن ترديد الصور البحرية فى شعره ، نتيجة لاسفـاره المتعددة ، فهو يرسم لنا فى قصيدته (الجندول) تلـك الروعة التي استشعرها وهـو بمدينـة (البندقية) ، ويكفي ان نعرف انه فضل ان يسمي احدى دواوينه : (الملاح التائه) ، لتحقيق هذه الغاية. والحق ان الحلوي كان موفقا فى تقديم تجربته من خلال الصورة البحريـة التي جعل ادواتها الخام هي : (البحر ــ الموج ــ الزورق

وهو يتحسر على الحق الذي عيي لسانه ، فيتوجه الى الانسان يعاتبه فى قسوة ، ويخاطبه بكلمات مرة :

يا غليظ الطباع يا سافل الاطماع يا عار هذه الاكوان !

ويتساءل فى مرارة عما يهدف اليه هذا الانسان من حياته ؟

اكذا اختار انيعيش بنو الدنيا وقودا يضيء ركبالزمان

ويقول :

الهذا اخي اتيت الى الدنيا ، اهذي رسالة الانسان ؟

وبعد هذا يعود فى شاعرية شفافة ليعكس موضوعه على صفحة لازوردية من صفحات الطبيعة ، تلك هي صفحة البحر بموجه وزورقه وربانه . والحق انه استطاع بمهارة ان يخضع جميع العناصر التي تكمل هذه الصورة البحرية ، لتجربته : فالزورق هو الحياة ، والامواج هذه المشاكل التي تعترض سبيل الانسان ، والربان هو العقل الذي يقوده نحو النور ، اما المجذاف فهو الحكمة والصبر اللذان يفضيان به اذا تمسك بهما الى الشاطىء الامين :

نحن فى زورق تقاذفه الموج عديم الشراع والربان

ويقول :

ضاع منا المجذاف وامتلأ الزورق فى ماء ولج فىالخففان

فتعاون معي لنجذف بالايدي فنرسو على جناح الامان!

وهناك تساؤلات شاعرية بعيدة كل البعد عن ان تكون عميقة ، لانها مجرد خواطر فقط :

لم نحيا على اختلاف ونسعى فى افتراق كاننا ضدان ؟

لم نذكي اجيج نار فنصلاها كانا من عابدي النيران ؟

ومن ناحية الشكل ، فاننا نجد فى قصيدة التواتي بعض السقطات النحوية والعروضية ، ولكنها رغم ذلك قابلة للاحتمال ، اذ انه يمكن ان تكون المطبعة قد اخطأت فى رسمها ، وهو امر معتاد فى بلدنا . وعلى هذا الاساس ، نستطيع ان نقسم السقطات العروضية التي لاحظناها الى قسمين :

1) تلك الزحافات والعلل التي غزت هذا الايقاع فجعلت من المتعذر على الذي لا يملك اذنا موسيقية ان يشعر باحتفاظ الوزن بالدبدبات التي يتكون منها ايقاعه ، وهذا وان كان جائزا ، الا ان الاكثار منه يفتصب من القصيدة رواءها النغمي . والظاهرة الكثيرة من هذا الزحاف عند التواتي ، هي انه يلجيء قارئه الى ان لايضفط على حرف علة ، ذلك الضفط الزحافي الذي يسمى بالمد :

وكلانا انا وانت خليقان بأن نحيـ (ا) فى صفا وامان

فكلمة نحيا لا يستقيم معها الوزن الا اذا لم نضغط على الياء فى ءاخرها .

2) وهناك بعض الابيات لا تستقيم بوضعها فى القصيدة ، مع وزن الخفيف ، ويمكن ان تكون المطبعة قد اخلت بواجبها ازاء هذه الابيات ، فصارت ذات عاهة ايقاعية :

المبادىء واللون والجنس الفاظ بلا روح او بدون معاني

والقوميات والدساتير والاعراف من وضع عابدي الاوثان

وهذا البيت :

والحروب المدمرات عدو لكلينا (أ)لبيض والسودان

لا يستقيم الا بجعل همزة الوصل فى : (البيض) همزة قطع . اما السقطات النحوية ، فهي :

1) النيران بدل النيرين ، فهي معطوفه على مجرور :

وتهادى جمالها الرائق الاخاذ كل الوجود و (النيران).

واذا كان الشاعر يعني بها جمع نار ، فالمعنى لا يستقيم ابدا . وهناك بعض ملاحظات لغوية ، وهي : استعمال ننمى مكان ننتمي ، فننمى مضارع من انماه كبره او جعله ينتمي اليه ، واعتقد ان الوزن هو الذي منع هذا ، ثم جمع (وسام) على وسامات ، لارضاء الايقاع .

اما الحلوي ، فلا نكاد نعثر له على سقطات من هذا النوع ، وان كنا نلاحظ بعض الفاظ او تعابير ذات استعمالات كلاسيكية ، : مضرجات البنان ، عي ، لم فى ، نذكي اجيج نار فنصلاها ، ولكنها لا تجعلنا نذهب الى القول ان الحلوي بحتري معاصر . والحق ان

من ابناء والد جرع اللذة سما من ناضرات الجنان
غضب الله لاهيا فتهاوى من خلود الى وجود فان

ملاحظات : واخيرا ، نرى من اللازم توجيه بعض الملاحظات :

1 ـ عدم الاخلاص فى الصورة الشعرية المزاولة عند كل من الشاعرين ؛ وخصوصا منها ما كان متعلقا بالحرب .

2 ـ الرنة الوعظية التي تتجلى فى تلك الاوامر : (استعمال فعل الامر) التي يلقيانها معا ، وهي تقل فى قصيدة الحلوي ، وتعنف فى قصيدة التواتي .

3 ـ تكرار ذلك التساؤل بشكل مفاجىء ، يجعلك تفقد لذة الاستمتاع بالفكرة التي سبقته ، بالاضافة الى ان هناك تساؤلات ساذجة :

يقول الحلوي :

ولماذا نهيج شوقا الى الحرب نعانى من نارها ما نعاني؟

ويقول ايضا :

الهذا اختاران نعيش بنو الارض وقودا بضيء ركب الزمان؟

ويقول التواتي :

فلماذا اخي تنكر قلبانا لما وطدت يد الرحمان ؟

ويقول ايضا :

فلم الحرب يا اخي وامانينا سواء وأننا اخوان ؟

ويرجع سذاجة هذه التساؤلات الى انها لا تهدف الى خلق جو مبهم باستفهامها يعيش فيه القارىء ويجعله فى شوق لمعرفة الصور الشعرية التي ستاتي بعده .

4 ـ ونلاحظ ان بعض المعاني لا تنتظم فى سلسلة متراصة تبدا من الاسفل وتنتهي الى الاعلى ، يقول الحلوي :

يتفانون كي يعيشوا فيفنون ضحايا مطامع واماني
يا غليظ الطباع يا سافل الاطماع يا عار هذه الاكوان !

فهو يتحدث عن اطماع الانسان الجشعة ، ثم ينتقل فجأة الى شتمه، لاظهار غروره وكبريائه . وهذه الظاهرة تقل عند الحلوي عنها عند التواتي ، فهو يقول:

ولماذا ندوس فى فورة الجهل تماثيل حبنا الفينان ؟
ولماذا اخي نحطم بالحقد دنانا كأننا يائسان ؟

ابدا يا اخي فانا ابتسامات العذارى لمغريات الاماني

هذه التساؤلات ، لا تنسجم مع القرار الهادىء الذي حمله الينا هذا البيت الثالث . واقرأ الفقرة الثانية من هذه القصيدة ، لتجد أن العلاقة بين معانيها يأخذها بعض وهن .

5 ـ ورغم هذا كله، فنحن نجد ابياتا فى القصيدتين معا ، من الروعة بحيث تستطيع ان تغنينا عن كل ما عداها ، وذلك لانها كانت فى المستوى الفكري اللائق بموضوع مثل هذا .

يقول التواتي :

ووسامات ساحة الحرب ليست غير خزي الانسان للانسان

ويقول :

املأ الارض الجميلة رعبا باسم حفظ السلام والاوطان؟

ويقول الحلوي :

نتفانى على الحطام وما يبقى حطام ولا يزول التفاني

ويقول ايضا :

فعلى م نعيش فى هذه الدنيا ذئابا فى صورة الانسان ؟

ويقول ايضا :

يا غليظ الطباع يا سافل الاطماع يا عار هذه الاكوان !
الهذا اخي اتيت الى الدنيا ، اهذي رسالة الانسان ؟

الربان ــ المجذاف ــ الشراع) . اما التواتي ، فحين تحدث عن الاخاء وفلسفة الالوان ، كان ذلك كفيلا بأن يذكرنا بكثير من القصائد التي قيلت في هذا الموضوع . ولكن الذي نلاحظه ، انه لم يستطع ان يستغل صورة فلسفة الالوان استغلالا دقيقا ، بعد ان كانت قصيدته تمتاز بهذه الصورة على قصيدة الحلوي ، اننا نجد هذه الصورة براقة مشعة عند ابي ماضي في قصيدته (الطين) :

يا اخي لا تمل بوجهك عني
ما انا فحمة ولا انت فرقد

فأبو ماضي يلقي اليك صورته ببساطة ليزف خطورة هذا الوضع الانساني الشاذ ، وكثيرا ما تكون البساطة سببا في تهويل وتعميق الشعور بالمآسي بينما اكتفى التواتي بلفتة عابرة اشار فيها للتفرقة اللونية ، ولو استغلها ذلك الاستغلال الجدير بها ، لكانت قصيدته ذات عمق عميق . والواقع ان هذا الاسلوب البسيط ، جدير به ان ينفع في مثل هذه المواضيع ، اذ انها مكرورة ، كتب فيها الانسان منذ اجياله الادبية الاولى ، ولهذا ، فاذا لم يغير منهـا الاسلوب المعهود في كتابتها ، ربما تكون ذات رنة وعظية ، تفقدها روعة الخلق الكامنة فيها . ولعل الذين يخرجون الاشرطة التي تعالج مشاكل الحرب في فرنسا قد ادركوا ذلك ، فعادوا يلقون قصصهم في كثير من العفوية والبساطة في الاخراج . ونفس الشيء يمكن ان يقال في الاشرطة التي تعالج قضية الميز العنصري ان في فرنسا او في امريكا ، والحق ان الشاعرين معا ، لم يستطيعا ان يحملانا في قصيدتيهما الى حيث نشعر بخطورة الموضوع الذي يزاولانه . هناك صخب عاطفي ما في ذلك شك ، ولكنه مشوش متداخل ، يجعلك تشك في مدى اخلاص كل من الشاعرين في اضفاء روحه على صوره الشعرية التي يلقيها موزونة حينما تأخذ صيغتها النهائية . وكنت احب ان يكونا من الشاعرية بحيث يبرزان حقيقة الحرب امام قارئهما بشكل يجعله يستفظعها ، ويومن بخطرها على الانسان والحضارات ، ويمكن ان يكون هذا الفشل في انجاح هذه الصورة ، راجعا الى ان كلا منهما لم يعش ظروفا حربية قاسية ، تخصب في نفسه القلقة كل معاني العطف على الانسان . وعليه فهما زاولا صورتهما من خلال ما سمعاه عن الحرب وليس من رأى كمن سمع . ولكي نتأكد من امكان نجاح الشعراء في وصفهم للحرب بعد ان عاشوها ، نسرد هذه الاسماء لشعراء فرنسيين بلغوا القمة في هذا المضمار ، وهم : بول ايليار (1865 ــ 1952) ولويس اراكون وجاك بريفير (*) .

وعلى هذا الاساس ، يمكن ان ندين شاعرينا بتقصير فظيع ، ــ وان كانا غير مسؤولين عنه ــ ادى الى فشل صورهما الشعرية عن الحرب ، لانهما لم يستطيعا محاكاتها ، واستقطاب الفظائع التي تصيب الانسان منها ، الا من خلال تلك الرنة الوعظية التي ذهبت بكل روعة محتملة .

ونجد في كلتا القصيدتين بعض افكار اجنبية ترفرف في ملل من خلال ابياتهما ، لانها ليست في مكانها . فالتواتي يشير الى حلولية مسيحية ، ويجعلها احدى الوشائج التي تربط بين الانسان والانسان :

يا اخي ما اراك الا وجودا وامتدادا لروحي الهيمان

وهي نفس الحلولية التي يتبناها المهاجرون المسيحيون ، كميخائيل نعيمة ، وابي ماضي ، يقول هذا الاخير :

خلت اني في القفر اصبحت وحدي
فاذا الناس كلهم في ثيابي

والحق ان هذا يمكن ان يرجع الى نفس الشاعر الصوفية ، التي افصحت عن نفسها في قصيدته غير ما مرة . اما الحلوي ، فقد اشار الى اسطورة آدم ، وهي وان كانت مشاعة بين الديانات الوحيدية كلها ، الا انني اعتقد انه زاولها من طريق اشارة لا مباشرة الى الخطيئة الاولى ، فكأنه يقول : « نحن ابناء اب خاطىء فلماذا نستمر في الخطأ ؟» وهذا تأثير مسيحي :

---

* فيما يخص الشاعرين الاولين ، انظر عنهما : سلسلة : شعراء اليوم : مختارات من شعرهما . اما الاخير ، فانظر قصيدته (بربارا) في ديوانه : كلمات .

* عقد فى الرباط مؤخرا مؤتمر الاذاعات ...ريقية تحت رئاسة السيد محمد المختار ، المدير ...ام للاذاعة الوطنية ، الذي انتخب رئيسا لهذا ...مر ، شاركت فيه عدة وفود من الوطن الافريقي .

* شارك المغرب فى المؤتمر الاسلامي الذي عقد ...خرا بالقدس ، بوفد من علماء المغرب يتركب من ...سادة : عبد الرحمن الدكالي ، الحاج حسن بوعياد ، ...راهيم الكتاني ، الحسن بناني ، محمد المدور ...ين انتدبتهم وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية ، للمشاركة فى هذا المؤتمر .

* اسندت رئاسة قسم الادب واللغات الشرقية ...كلية الآداب المغربية الى الاستاذ محمد بن تاويت عن طريق الانتخاب .

* اصدرت الاذاعة الوطنية المغربية جريدة اسبوعية بعنوان « صوت المغرب » مديرها الاستاذ محمد المختار مدير الاذاعة الوطنية .

* شارك المغرب فى مؤتمر اليونيسكو لتنمية الانباء بافريقيا . الذي عقدته منظمة اليونيسكو بباريس ، وعقد فى أواخر الشهر الماضي . وكان يتركب الوفد المغربي من الكاتب العام لوزارة الانباء ، والسيد محمد المختار المدير العام للاذاعة المغربية ، والسيد عمر غنام مدير المركز السينماتوغرافي والسيد المهدى بنونة المدير العام لوكالة المغرب العربي للانباء .

* « الاسلام الحق » كتاب لمؤلفه محمد الكامل التونسي سيصدر قريبا .

* جمع الشاعر التونسي الهادى لقمان قصائده التي كتبها فى أيام شبابه ليصدرها فى ديوان .

* سيصدر قريبا الشاعر التونسي نور الدين محمود ديوانا بعنوان « نبضات قلبي » .

* نشر فى تونس اخيرا كتاب (الخيال الشعري ...د العرب) وهو من تراث الشاعر التونسي المرحوم : « ...ى القاسم الشابي » يتناول فيه موضوع الخيال ...الشعر العربي والقصص والاساطير العربية .

الطبعة الاولى من الكتاب ظهرت سنة 1933 ، اي قبل وفاة الشاعر بسنة واحدة . يعتبر هذا الكتاب اعنف هجوم على الشعر القديم رغم انه مكتوب بأسلوب عربي جميل مشرق .

* اصدرت مجلة « الفكر » التونسية عددا خاصا بمؤتمر الادب العربي الذي عقد فى شهر اكتوبر فى روما .

* سيصدر فى القاهرة ديوان « العروبة » للشاعر السوداني عبد الله عبد الرحمن الامين .

* عقد مؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين فى القاهرة فى شهر فبراير .

* من المنتظر ان يعقد مؤتمر الفنون الشعبية بالقاهرة فى منتصف شهر مارس المقبل .

* جرت اتصالات بين بعض الشركات السينمائية فى هوليود ، وبعض الادباء الذين ترجموا مسرحيات وقصصا لتوفيق الحكيم ، بقصد الاتفاق على اخراج احدى روايات الكاتب العربي الكبير على شاشة السينما . وتحويلها الى فيلم تنتجه هذه الشركة السينمائية .

* السيدة « انطوانيت بطيخة » ترجمت الى الفرنسية بعض قصص وروايات لتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، ويحيى حقي ، ومحمود البدوي ، وعبد الحليم عبد الله ، وأمين يوسف غراب .

* « ترجمات عالمية « للشعر العربي » بدأت لجنة الشعر بمجلس الفنون والآداب فى ترجمة الجزء الثاني من أعمال الشعراء العرب الى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، ويضم الجزء الثاني قصائد لابراهيم ناجي واحمد رامي وعلى محمود طه وصالح جودت وعلي الجندى .

* تصدر فى اول الشهر القادم المسرحية الاولى للدكتور لويس عوض واسم المسرحية « الرهيب » تتحدث عن ثورة قام بها المصريون ضد الاستعمار الروماني واستمرت هذه الثورة ثمانية اشهر .

أنباء ثقافية

✻ تستعد جمعية « نبراس الفكر » فى نطاق نشاطها الثقافي ، لعقد مهرجان كبير يستمر خمسة أيام فى عطلة الربيع المقبلة ، وذلك بمدينة تطوان وتحت عنوان :

« المغرب والتيارات العقائدية فى العالم »

وقد وضعت الجمعية التصميم العام لهذا المهرجان . وكان قد سبق لهذه الجمعية ان نظمت بتطوان فى ابريل 1960 مجرجانا فلسفيا ، واصدرت فى الايام الاخيرة كتابا بعنوان : « فلاسفة الاسلام فى الغرب العربي » يضم محتويات هذا المهرجان

وتجري الاستعدادات ليشارك فى هذا المهرجان أكبر عدد ممكن من قادة الفكر واصحاب الاختصاص فى الميادين الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية .

✻ كان الاكتشاف الهام فى مهرجان ابن طفيل الذي أقيم فى لبنان بمناسبة مرور 850 عاما على ميلاده هو ما أعلنه مندوب المغرب الاستاذ محمد التازي فى الدراسة التي القاها فى هذا المهرجان نيابة عن كاتبها الاستاذ محمد العابد الفاسي ، محافظ جامعة القرويين الذي عثر مؤخرا فى مكتبة الجامعة المذكورة على مخطوطة :

« رجز ابن طفيل فى الطب العام » .

ويذكر الاستاذ الفاسي فى دراسته هذه أن هذا الكتاب يقع تحت رقم 30158\30 فى مجلد ضخم مكتوب بخط اندلسي صحيح متقن غفل من تاريخ النسخ واسم الناسخ . ويبلغ عدد اوراقه 150 ورقة ، ومقياسه 20 × 22 فى ورق متلاشي ، وبعض أوراقه مبللة . وفى القليل منها تلاشي شديد ، ومع ذلك فهي تقرأ بوضوح ، وورقته الاولى والاخيرة بخط جيد . وبظهر اول ورقة منه وثيقة الوقف ، والكتاب تام تنقصه ورقة واحدة بين الباب الثامنة والخمسين، والواحدة والستين من احدى مقالاته . والكتاب نظم رجزي من نوع الاراجيز العلمية المعروفة فى أوساط الاندلس . ويبلغ عدد أبياته 7765 بيتا رتبه صاحبه على سبع مقالات .

✻ وجه معهد الدراسات العربية العالمية بالقاهره الدعوة الى الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون ليحاضر فى قسم الدراسات الادبية عن « الحياة الادبية فى المغرب » .

✻ نظمت المندوبية السامية للشبيبة والرياضة المغربية معرضا للرسوم التي يرجع تاريخها الى ما قبل سنة 1860 وضعها تحت تصرفها منظمة اليونيسكو العالمية . وذلك بقاعة باب الرواح بالرباط .

✻ « الاستقلالية والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة » كتاب صدر أخيرا بالمغرب لمؤلفه الاستاذ عبد الحميد عواد .

✻ شارك عميد الجامعة المغربية الاستاذ محمد الفاسي فى مؤتمر تكوين الاطارات العالمية لوزارة التهذيب الوطني للوطن العربي .

✻ نظم المركز الثقافي العربي خلال الشهر الماضي عدة ندوات ومحاضرات ومناقشات ثقافية وفكرية فى مدينتي الرباط وفاس .

✻ صدرت عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية جريدة بعنوان « الحسنى » ، وهي أسبوعية تعنى بالشؤون الاسلامية والثقافية عامة ، يديرها الاستاذ السيد محمد المدور .

✻ تأسست فى وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية لجنة للتأليف والترجمة والنشر .

* اقيم فى وست هول بالجامعة الامركية فى بيروت مهرجان ادباء العربية فى البرازيل لتكريم الاخطل الصغير الشاعر بشارة الخوري .

* توفي فى بيروت يوسف غسطين الذي شغل منصب مدير جريدة « الاهرام » .

* قريبا يصدر فى بيروت « نشيد الرخام الشمس » بضم مقطوعات نثرية فنية لنقولا قربان.

* تصدر دار الشرق فى بيروت سلسلة دراسات عن الشعراء المعاصرين ستظهر فبها حلقات نتناول الاحياء والاموات .

* « الفراغ الابيض » مجموعة شعرية لالياس الجبيلي ، نهج فيه نهج جديدا اذ اعتمد على طريقة المقاييس الشعرية الغربية فى النظم .

* « فى هيكل اللبنانية » كتاب جديد يصدر قريبا فى بيروت لجورج غريب .

* يصدر قريبا عن المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد الثاني من كتاب « النوادر » لابي مسحل .

* ظهر فى دمشق كتاب « الحياة الادبية فى البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجرى » للكاتب احمد كمال زكى .

* « مثالب الوزيرين » رسالة أبي حيان التوحيدى المشهوره والتى كان الباحثون فى ادب ابي حيان يجزمون بضياعها صدرت اخيرا عن دار الفكر فى دمشق بتحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني .

* ستصدر وزارة الثقافة والارشاد بدمشق مجله خاصة يتولى الاشراف عليها فؤاد الشايب .

* قام الاستاذ لؤي عجان بترجمة مسرحية اسكار وايلد « اهمية الحريق » الى اللغة العربية .

* سيقدم الشاعر العراقي عبد الله الجبورى قريبا للطبع بعنوان « اشباح وظلال » .

* صدر عن اتحاد الادباء العراقيين ببغداد ثلاث مجموعات شعرية هي « الطوفان » لألفريد سمعان ، و « قصائد كانت ممنوعة » لعبد الرزاق عبد الواحد و « شاهد القرية » لحامد الفربي .

* ستصدر جمعية اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد مجلة بعنوان « الكتاب » .

* صدرت رواية « اليد والارض والماء » لمؤلفها ذو النون مترجمة الى اللغة الروسية .

* انتهى الاستاذ عبد القدوس الانصاري من تأليف كتاب اسماه « تصحيح اخطاء المستشرقين فى دراسة الآثار العربيه القديمة » وقد حلل فى هذا الكتاب الاخطاء على ضوء اللغة العربية الفصحى وما توصل اليه فى دراسة الآثار والنقوش العربية ، كما صحح ايضا فى الكتاب الاخطاء التي وقع فيها الكتاب العرب ، الذين ترجموا تلك الآثار من اللغات الاجنبية

* « قصائد معفرة » ديوان شعري جديد سيقدمه الى القراء الشاعر السعودي عباس مهدى خزام .

* اصدر الشاعر السعودي محمد سعيد المسلم ديوانا جديدا بعنوان « شفق الاحلام » مشتملا على 26 قصيدة .

* يعد الآن الشاعر سعيد الهندي ديوانا للطبع بعنوان « من وحي العقيق » .

* اللغتان الانجليزية والفرنسية ستكونان ضمن المناهج الدراسية فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنوره .

* عثر فى ايران ، على نسخة خطية من القرآن الكريم . يرجع تاريخها الى سنة 198 هـ . وتعد أقدم نسخة من القرآن مكتوبة على الورق ، عثر عليها حتى الآن .

* عقد فى يناير فى (دكا) بباكستان الشرقية المؤتمر الدولي للمؤرخين بحثت فيه الموضوعات المتصلة بتاريخ الاسلام والثقافة الاسلامية

* الدكتور نجيب الكيلاني فرغ من كتابة ثلاثة كتب : الربيع العاصف (رواية) ، ودموع الامير (مجموعة قصص) ورأس الشيطان (رواية) . تظهر الكتب الثلاثة خلال هذا العام .

* « اللص والكلاب » رواية من تأليف نجيب محفوظ تصدر قريبا .

* الدكتور لويس عوض يكتب دراسة عن « تحرير المراة » في الفكر العربي الحديث يدرس فيها آراء قاسم أمين ، ولطفي السيد ، وطه حسين ، وغيرهم من دعاة تحرير المراة .

* قررت جامعة عين الشمس شراء مكتبة المؤرخ الاستاذ محمد شفيق غربال ، وقد الفت لجنة برئاسة الدكتور احمد عزت عبد الكريم عميد كلية الآداب ، لفحص محتويات المكتبة وتقدير ثمنها وهذه هي المكتبة الثالثة التي تشتريها الجامعة بحبث اشترت من قبل مكتبة الدكتور احمد عيسى ، ومكتبة المعهد البريطاني .

* اصدرت لجنة نشر المؤلفات التيمورية التي تشرف على نشر مؤلفات (احمد تيمور) كتابا جديدا له هو « الموسوعة التيمورية » التي تتحدث عن آراء العرب في عدد كبير من الموضوعات (خلق الانسان وصفاته ... الخ) كما اصدرت اللجنة كتابين هما (خيال الظل واللعب والتماثيل عند العرب) و (علي بن أبي طالب : شعره وحكمته) .

* تقوم لجنة المسرح في مجلس الفنون بوضع المصطلحات الخاصة بفنون المسرح ، والسينما ، والموسيقى ، والاذاعة والتلفزيون ...

ومن بين المصطلحات التي اقرتها : « الاذاعة المرئية » بدل التلفيزيون ، « والمطولة الموسيقية » بدل السيمفوني ، « والمحترف » بدل الانيليه ، « والماشط » بدل الماكير ، « والمستحدث » بدل الموضة .

ومما يذكر ان هذه المصطلحات نفسها عرضت على المجمع اللغوي .

* يترجم الدكتور محمد مندور دائرة المعارف المسرحية الفرنسية الى العربية .

* اسند الى الدكتور طه حسين الاشراف على معهد الدراسات العربية العالية خلفا للمرحوم محمد شفيق غربال .

* قررت لجنة التوجيه والتبادل الثقافي بمجلس الآداب والفنون انشاء جائزة سنوية باسم « جائزة غربال » .

* ترجم المستشرق الاسباني بيدرو مرتينت 15 قصة مصرية الى اللغة الاسبانية للكتاب المصريين: محمود تيمور ، محمود طاهر ، يحيى حقي ، نجيب محفوظ ، يوسف ادريس ، يوسف الشاروني ، عبد الرحمن الشرقاوي ، مصطفى محمود ، عبد الحليم عبد الله .

* منح الدكتور عبد الجبار جرمود جائزة المؤلفين العرب ، وقدرها ألفا ليرة ، عن كتابه « يزيد بن مزيد الشيباني » ... وهي الجائزة التي قدمها مجلس بيروت البلدي لجمعية اصدقاء الكتاب لتمنحها لافضل كتاب نشر في لبنان باللغة العربية في عام 1961 .

* منح في الايام الاخيرة الاديب اللبناني الكبير ميخائيل جائزة رئيس الجمهورية اللبنانية للاداب .

* صدر في بيروت كتاب بعنوان « قضايا جديدة في الادب الحديث » للدكتور محمد مندور في منشورات دار الآداب .

* انهت مجلة « الاديب » اللبنانية في دجنبر الماضي عامها الحادي والعشرين . ولا شك ان هذه المجلة خدمت الادب العربي خدمة كبيرة واسعة . وانشأت جيلا من الكتاب وعرفت بهم في البلاد العربية

* اقيم في بيروت مهرجان شعري لذكرى شاعر الارز شبلي الملاط .

* صدرت في بيروت مجلة نسائية باسم « الحسناء » .

* الصحف الفرنسية والانجليزية تتحدث عن كاتب جديد فى الادب الفرنسي هو جان كوا الذي فاز مؤخرا بجائزة جونكور للادب وهي من اشهر الجوائز الادبية فى العالم .

* ظهرت فى فرنسا كتب كثيرة تتعلق بالعالم العربي تزيد على الخمسين كتابا يتناول اكثرها مشكلات المغرب بالنسبة لفرنسا .

* صدر فى باريس مجلد يضم انتاج الشاعر الرومانسي فيكتور هيكو مشتملا على 153 الف و 837 من الابيات الشعرية واحتفل فى ستراسبورج بفرنسا بمرور 100 سنة على ظهور كتابه « البؤساء » الشهير .

* الف المستشرق الايطالي فرانسيسكو جابريلي استاذ العربية فى جامعة روما كتابا عن النهضة العربية يقرأ الآن فى أميركا باقبال ملحوظ بعد أن ترجمه راندم هاومس الى اللغة الانجليزية وهذا الكتاب يؤرخ للنهضة العربية الحديثة ويصور نضال العرب فى سبيل الاستقلال والحرية ، وقد لاحظ النقاد أن جابريلي شديد التحمس للجمهورية العربية المتحدة والناصر بالرئيس جمال عبد الناصر فى مقدرته ونزاهته وخطواته التي تسجل التقدم نحو الوحدة العربية .

* تحتفل ايطاليا بذكرى مرور 25 عاما على وفاة كاتبها المسرحي الكبير بيراندللو .

* آخر رواية للاديب الايطالي البرتو مورافيا اسمها « السأم » . زار مورافيا البرازيل والهند اخيرا ويكتب الآن كتابا عن الهند .

* عثر بين انقاض مدينة بومبيي التاريخية فى ايطاليا على هيكل عبد مكبل بالسلاسل ، وعثر على مقربة منه على تمثال من البرونز يمثل اميرا شابا فى وضع غرامي . ويعتقد علماء الآثار بأن تحت خرائب بومبي آثارا نفيسة اخرى من الرخام والبرونز يمكن العثور عليها فى عمليات التنقيب .

* صدر فى لندن كتاب يتضمن مجموعة من رسائل الشاعر الايرلندي جورج راسل .

* اكتشفت احدى جامعات لندن نصا عربيا جديدا لألف ليلة وليلة يحتوي على اجزاء غير معروفة ، ستسافر الدكتورة فاطمة موسى الى لندن فى الصيف القادم لتحقيق هذا النص .

* آخر كتاب اصدره اشهر الادباء الشبان فى انجلترا كولن ولس وهو كتاب يتضمن تحليل ثلاثمائة جريمة .

* من الكتب التاريخية التي صدرت فى اميركا فى الشهر الماضي كتاب عن « تاريخ الطب » فى اوائل عهد اليونان والهندوس والفرس ، وكتابا : (العلم منذ نابليون) و (نحو علم حديث) وهما يتحدثان عن الثورة الكبرى التي حدثت فى الاسكندرية أيام كانت العاصمة العلمية للعالم .

* سجل النقاد أن أهم كتاب ظهر فى اميركا فى الشهر الماضي هو الكتاب الذي ألفه (سولينبورج) عن تاريخ حياة (ويليام راندولف هيرست) الرجل يملك الآن ثلاثا وعشرين دارا صحفية ويصدر خمس عشرة جريدة اسبوعية وتسع مجلات ، بالرغم من انه ولد فى اسرة امية ، ليس فيها ــ تقريبا ــ فرد واحد متعلم .

* عثرت ارملة الكاتب والقاص العالمي هيمنكواي على ثلاثة مؤلفات ضخمة بين اوراقه الخاصة الاول يحكي فيه ذكرياته وحياته فى باريس بعد الحرب العالمية الاولى ، والثاني بعنوان (الصيف الخطير) .. وهو عبارة عن بحث فى مصارعة النيران . والمؤلف الثالث قصة طويلة كتب عليها هيمنجواي بخط يده (كتاب ضخم عن الارض والبحر والهواء) ولم يختر له هيمنجواي عنوانا بعد .. وانما سيختاره له ناشر مؤلفاته الذي قال انها احسن ما كتب هيمنجواي .. بل تفوق قصة « العجوز والبحر » التي جعلته يفوز بجائزة نوبل .

* عقد فى نيودلهي مؤخرا مؤتمر عالمي يدور موضوعه حول التاريخ الاسيوي .

* كتاب « ام النبي » للدكتورة بنت الشاطيء تم طبعه فى جاكارتا مترجما الى اللغة الاندونيسية بقلم الدكتور ضياء شهاب الاستاذ بجامعة جاكارتا . ويشتغل الدكتور ضياء الآن بترجمة كتابي « نساء النبي وبنات النبي » استكمالا لهذه التراجم الادبية للشخصيات النسوية فى بيت النبوة .

* يقوم الاستاذ خير الدين محمد من الملايو بترجمة قصص ابراهيم المصري « شروق الاسلام » و « الجارية والامير » و « حجاب العراق » و « حلم سميرة » الى لغة الملايو .

* قام المستشرق الهولندي « دكتور شومان » بترجمة كتاب تربية « سلامة موسى » الى الهولندية وقد ترجمت مكتبة الكونكريس الامريكي هذا الكتاب الى الفرنسية سنة 1952 ايضا ومن الغريب ان المجلس الاعلى للآداب والفنون بالقاهرة بريد ان يترجم هذا الكتاب نفسه الى الانجليزية .

* فى متحف مدنته ساتوماري فى رومانيا كتاب هام اكتشف اخيرا . هذا الكتاب يضم حوار العالم الايطالي جاليلو الذي عارض فيه نظريات بطايموس في الكون .

* سأل الصحفيون الاديب اليوغسلافي ايفو اندريش الحائز على جائزة نوبل فى الادب لهذا العام : عما شعر به عندما سمع بالخبر فقال : « يجب علي ان لا اعترف بان الاحساس الذي تولد فى وجداني فى هذه اللحظة اصعب بكثير جدا مما يمكن لي ان اصفه . لقد فكرت فى الحال بأن هذا اليوم هو يوم عظيم بالنسبة لبلدي وبالنسبة لي أما المجد ؟ فلا استطيع ان اقول بانني قد حلمت به . وانني ارجو من كل قلبي ان اتمكن من التخلص من العذاب الذي سألاقيه عن طريق الاجتماعات وحفلات الاستقبال والاحاديث التي سأكون مطالبا بها .

كتب ايفو اندريش دراسات عن كبار الكتاب اليوغوسلافيين ، وعن جويا ، وجوركي ، وبترارك .

ويعتبر اندريش من المتخصصين فى اللغات فهو يعرف الفرنسية والالمانية والايطالية والانجليزية والاسبانية .

والشخصيات التي يتحدث عنها فى رواياته وقصصه هي شخصيات من تركيا والصرب .. وقناصل ووزراء ورجال دين وفلاحون ولصوص .

* من اشهر الكتب التي صدرت عن حياة امبراطورة روسيا كاترين العظمى ، كتاب اسكندر دوماس الذي حلل فيه شخصية الامبراطورة التي عاشت حياتها فى حلم ليلة عربية وكتاب فالسفسكي الذي يعتبر وثيقة تاريخية حيث جمع كتابه كل الوثائق عن عصر كاترين وحللها واصدر كتابه الذي أصبح اهم مرجع تاريخي عن حياة القيصرة وعصرها.

وآخر كتاب صدر عن حياة كاترين الفه كاتب انجليزي اسمه (بان جراي) وجعل مراجعه محصورة فى الكتابين السابقين عن الامبراطورة ، وقد تعلم المؤلف اللغة الروسية ليقرأ كتاب فالسفسكي .

* ظهر اخيرا كتاب عن تولستوي ، مؤلف الكتاب هو سيرجي تولستوي الابن الاكبر للاديب الروسي .. والكتاب فى الاصل مجموعة من الذكريات كتبها الابن عن والده العظيم ، وقد وجدت هذه الذكريات ضمن الاوراق الخاصة للابن بعد وفاته سنة 1947 ولكنها لم تظهر فى كتاب الا فى الفترة الاخيرة .

* دار الطبع والنشر للآداب الشرقية فى موسكو نشرت مجموعة من المختارات الشعرية لعدد من شعراء الاقطار العربية المعاصرين مترجمة الى الروسية باشراف معهد الدراسات الشرقية فى اكاديمية العلوم السوفييتية .

* اكتشف النقاد مسرحية قديمة للكاتب الالماني (برتولت بريخت) وقد صدرت المسرحية هذا الشهر فى دار نشر (لارشي) . المسرحية اسمها (الخطايا السبع الرئيسية) وقد كتبها بريخت سنة 1932 . تحكي المسرحية قصة اختين احداهما ترقص، والاخرى تغني وترغبان فى كسب المال لبناء بيت وترتكبان فى سبيل ذلك اية خطيئة .

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد الخامس ★ السنة الخامسة
رمضان 1381 ـ فبراير 1962
ثمن العدد : درهم ونصف

فهرس العدد الرابع - السنة الخامسة

الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

يعيش المغرب هذه الايام فرحة كبرى بمناسبة اعلان اتفاقية ايفيان وعودة الزعماء الخمسة الى ترابه مظفرين معززين بعد ما اقدمت فرنسا بكل وقاحة على اختطافهم والزج بهم فى السجون مدة تزيد على الخمس سنوات ، ان كل متتبع للثورة الجزائرية فى مختلف مراحلها كان يومن بحتمية انتصارها ذلك لانها ثورة من اجل قضية عادلة ، ولانها نبع قوي من تيار تحرري عارم يغمر شعوب العالم اجمع ، ولان قيادتها برهنت فى كل مناسبة عن وعي ونضج وتبصر ، واذا كنا نهنىء انفسنا بهذا المكسب الاول الذي حققته الثورة الجزائرية فى زحفها المقدس فما زلنا نتطلع الى الاهداف الكبرى البعيدة التي كانت تجول فى ضمير كل مغربي ثائر وتلهب حماسه وتفجر فيه طاقات ثورية جبارة .

ان الاستقلال ليس غاية ينبغي ان ينتهي عندها كل عمل ثوري وانما هو وسيلة لخلق مجتمع جديد تحقق فيه الامة وجودها الكامل وارادتها الفاعلة ، ونحن المغاربة العرب تجمعنا اكثر من ءاصرة ، ويوحد بيننا اكثر من هدف ولقد عشنا خلال فترة كفاحنا المرير يراودنا حلم كبير وعميق فى بناء وحدة كاملة للمغرب العربي الكبير ، فالفرحة التي تهزنا اليوم تمس جملة من الاهداف والرغائب والمطالب الثاوية فى صميم شعورنا ، وقد آن الاوان للشروع فى رسم الصورة الحية للمغرب العربي ، الصورة التي تتجاوب مع مشاعر شعوبه ومطامحه ، وتلبي حاجات كل فرد بصورة يستطيع معها أن يصبح انسانا مبدعا خلاقا قادرا على ان يسهم بدوره فى بناء المجتمع الانساني ، ويمده بروافد جديدة من الخير والحق والجمال .

دعوة الحق

العدد الخامس
السنة الخامسة
رمضان — 381
فبراير — 962

دعوة الحق

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



صاحب الجلالة
الملك الحسن الثاني
أيده الله

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» — قسم التحرير — وزارة عموم الاوقاف — الرباط — المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 15 درهما ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 — 485 — الرباط —
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» — قسم التوزيع — وزارة عموم الاوقاف — الرباط — المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنيه والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع — وزارة عموم الاوقاف — الرباط
تليفون 308.10 — الرباط

نص الخطاب الذي ألقاه صاحب الجلالة

بمناسبة الذكرى الأولى لجلوسه على عرش أسلافه الكرام

الحمـد للــه

والصلاة والسلام على رسول اللـه

شعبنا الوفي :

يقتضينا واجب البرور والوفاء ـ ونحن نخاطبك بمناسبة الذكرى الاولى لجلوسنا على عرش اسلافنا المنعمين ـ ان نتوجه بقلوبنا وافكارنا الى منقذ الامة ومحررها ، ومحيي مجدها ، وخالق نهضتها ، جلالة والدنا المرحوم ، سيدنا محمد الخامس ، طيب الله ثراه واحسن مثواه ، فلقد فارقنا في مثل هذا الشهر من السنة الماضية ، والتحق بمولاه ، بعدما حرر الوطن وشرع في استكمال وحدة ترابه ، وجدد شباب الدولة وارسى قواعدها ، وخط لامته مثلى السياسات واقربها الى الحق والصواب ، وعبد لها محجة بيضاء ليلهـا كنهارها ، وطبعها بطابعه الذي ستبقى معالمه واضحة بينة ، وان طالت الدهور وتعاقبت العصور .

ولئن دهشنا بموتـه ، ونكبنا افدح نكبة بفقده ، وحرمنا من رشيد قيادته ، وجميل هدايته ، ونحـن احوج اليهما في امس الحاجـة ، فان عزاءنـا كان التـراث الروحي والرصيد المعنوي الثمين الذي سيبقى خيـر زاد تعتمد عليه اجيال عديدة مقبلة ، في سيرها المتواصل عبر مسالك الزمـان .

ولقد كان من نعم الله على جلالة الملك المقدس ، ان [illegible] ـ وهو بقيد الحياة ـ بواكير تربيته وتكوينه وسـ[illegible] ءاثار جهوده وجهاده ، حتى اذا اختاره لجواره فارقنا ـ رضوان الله عليه ـ قرير العين مرتـاح البال تاركا وراءه شعبا يقظا واعيا متماسكا ، مدركـا في قرارة نفسه ان الوفاء للهداة المرشديـن ، والقـادة المحبوبيـن ، لا يتمثل في الجزع علـى فراقهم بقـدر ما يتمثل في الوفاء لمبادئهم والتمسك بتعاليمهم وخدمة المثل العليا التي كانوا يتعشقون ومواصلة السير نحو الغايات التي كانوا اليها يجدون .

وان من مئاثر محمد الخامس ان شعبـه الذي بكاه بما لم يبك به ملك قط وجزع على فقده جزعا قلما حدث عن مثله التاريخ ، لم يجد وهو في غمرة الحزن والاسى عن التعاليم والنصائح والوصايا التي لم يفتأ ـ رضي الله عنه ـ يردده بها في حياته بمجرد ما طرق سمعه نبأ الفاجعة ، اولانا من الحب والولاء مثل الذي اولاه ، واظهر من التعلق بشخصنا والتشبث بعـرش اسلافنا ، والارتياح لاستخلافنا الـذي لا يعادلـه الا ارتياحنا لتقلد امور شعب مخلص مثله ، ما دل على كرم طباعه وحسن وفائه ، وما يغمره من وعي وطنـي ونضج سياسي فاستمـرت الدولة تواصل سيرهـا المعتاد طبق الخطط المرسومة ، والبرامج الموضوعـة وتأكد القاصي والداني ، ان مقومات الدولة في هـذا البلد الامين عريقة الاصول ، سامقة الفروع ، لا تؤثـر فيها الاحداث وان عظمت، ولا يزعزعها فقد الرجال وان عزوا وكرمـوا .

لقد كان الارتياح الذي قابل به شعبنا خلافتنـا لوالدنا المقدس ، خير مسل لنا عـن الاحـزان التـي

تهنئة

بمناسبة الذكرى الأولى لجلوس صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله على عرش اسلافه المقدسين تتقدم أسرة المجلة وعلى رأسها معالي وزير الأوقاف الحاج احمد بركاش الى العاهل المفدى باسمى آيات التهاني والتبريك راجية من المولى أن يكلأه بعين رعايته حتى يحقق لشعبه اهدافه الكبرى فى العزة والرفعة والسؤدد .

« دعوة الحق »

...صادي والاجتماعي والفكري الذي كانت البـلاد ... منه اشد الآلام ، وان الذين يثنون عنان الذاكرة ...لا الى الوراء ليدركوا اي اشواط واسعة قطعناها فى ...ل تحقيق مرامينا ، وبالرغم عن تزايد الاحتياجات ...اثر المتطلبات ، واتساع نشاط الدولة ، لم يبــق ...م الا عدد قليل من الخبراء الاجانب الذين كانـــوا ...فون خمسين الفا سنة 1956 ، اذ بدأت الجهـود ...وية التي بذلتها حكوماتنا لتعويضهـم تؤتي ثمارهـا ...مسودة وشرعت الكليات والمعاهد نخرج لنا كل سنة ...ات المهندسين والاطبـاء والقانونييـن والاداريـين ...المتخصصيـن .

السياســة الخارجيــة

شعبنـا الوفـي .

لقد اخذنا على انفسنا ان نرسم خطى والدنـا المرحوم . ونستمد من مبادئه التحررية التقدمية التـي تجاورت فى تطلعها حدود وطننا لترنو الى ءافاق عالم فسيح تخيم عليـه الوية العدالة والتعاون ، ومتخذين من الاتجـاه القويـم ، والنهج السليم الذي رسمـه لسياستنا الخارجية نبراسا نستضيىء بنوره ونهتدي سنـاه .

ففى الميدان الافريقى واصلنا الجهود لتشييـد صرح افريقيا موحده متحررة متشبثين بميثاق الدار البيضاء التاريخي ومقرراته الهامة ، وان مـن بواعث الارتياح ان هذه المقررات اخذت تدخـل فى حيـز التطبيق ، غير ان قوة ايماننا بضرورة توحيد النضال فى افريقيـا من اجل القضاء على كل شكل من اشكـال التخلف والاستعمار تحدونا لان نبدي اسفنا من الوضع الذي ببعض القارة الافريقية التي تتنازع فوقها طوائف وجماعات فى وقت هـي احوج ما تكون فيه الى لـم شتاتها ، ودعم كيانهـا ، وتوحيد صفوفها وتنسيـق خططها لسد كل منفذ فى وجه الاستعمار الجديد .

ولعل الوقت قد حان للدعـوة الى عقد مؤتمـر ا...مي شامل يهدف الـى اقامة تعاون على اســاس م...دىء ترمي الى توحيد افريقيا وتحررها وانســاء م...وعة افريقية متضامنـه متعاونـة ، وان فى ارادة ش...ب افريقيا القوية ، ووعيها لخير ضمان لتحقيق ه... الغايـة .

ولقد اصبح اليوم لزامـا علينـا نحن الافارقـة ان لا نفكر فى شؤوننا داخل اقطارنا فحسب ، بـل فى نطاق المجموعة الافريقية ومصالحها العليا لذلك ظلت سياستنا الخارجيـة متمسكـة بمناصـرة الشعـوب الافريقية المناضلة فى سبيل استرجاع حريتها وصيانة كرامتها ، ونحقيق ارتباط بعضها ببعض باوثق الروابط واقواها ، وفى الرغبة الاكيدة فى ان تكون صفا متراصا، وكتلة متماسكة ، من شأنها ان تواجه كل تكتل يتحيـن الفرص لاستغلالها وجعلها سوقا يغري بالمساومـة ، وبهذه الروح التحررية ، وعمـلا بالمبدأ الذي ما بـرح قاعدة لسياستنا الخارجية ، وهو مبدأ عدم التبعيـة توجهنا بانفسنا للمشاركـة فى اعمال مؤتمـر بلغراد للدول غير المنحازة فى وقت اشتد فيه التوتر العالمي ، تحدونا رغبة المساهمة فى التخفيف مـن حدة هـذا التوتر والعمل على ان يسودالوفاق والتعاون والتعايش بين مختلف الانظمة ومتبايـن الاتجاهات .

وقد استطعنا بعون الله ان نظهر المغرب خلال هذا المؤتمر فى مظهره اللائق بماضيه وامجاده ، بلدا لا ينقطع عن العمل المتمر البناء فى الداخل والخارج ولا تفتـر عزيمته عن مساندة قضايا التحـرر فى العالم وتثبيت دعائـم السلام والوئـام .

ولم ننس فى وقت من الاوقات ، رغم ما تضطرب به ارجاء الدنيا من احداث جسام ان المغرب جزء من العالم العربي ، وان بيننا نحن العرب فى الشـــرق والغرب روابط ماسة يجب علينا فى كل وقت وحين ان نعمل على تنميتها وتعزيزها ، ونحن واثقون مـــن ان الجهود ستتكاثف وتتغلب على الصعـاب ونقضـي على كل ما من شأنه ان يحدث الفل ، ويفرق الشمـل فتستطيع حينئذ للامة العربية ان تنهض وتقوم بالدور الجدير بماضيها وموقعها وطاقاتهـا .

وان مما يدعم الكيـان العربي ، ويعزز مكانته ، ذلك الحدث السعيد الـذي لاحت تباشيره فى سماء جناحنا الغربي ، ونقصد به ميثاق اقطـار المغـرب العربي ، ولا شك ان هذه الوحدة التي صهرتها ءامال وءالام شعوب هذه الاقطار ، وغذتها ارادتها المشتركة، ستكون عامل قوة لها ، وتفتح الآفاق لتقدمها ورقيها.

واننا اذ نرقب دنو ساعة تحرير الجزائر المكافحة لنسجل بارتياح عميق الجهود الكبيرة التـي تبـذل

اصابتنا بصفة خاصة ، كما تصيب كل ابن بار فقد ابا حفيا ، واكبر مقو لنا على تقلد الامانة العظمى ، وتحمل الاعباء الثقيلة التي كانت ملقاة على كاهل والدنا ، فواجهنا — ونحن فى غمرة الحزن والاسى — مأموريتناالكبرى بعزيمة قوية، وارادة ثابتة مستنيرين بنصائح سيدنا المقدس ووصاياه ، سائرين فى الطريق القويم الذي عبده ، مترسمين خطاه فى السهر على مصالح الامة ، والدفاع عن حقوقها ، ونصح الرعية والرفق بها والحنو عليها والتسوية بين افرادها ، وضمان الامن والعدل لها ، وتوسيع آفاق الرقي والتقدم امامها ، وتيسير اسباب السعادة وابلاغها الى ما تصبو اليه من رفعة ومجد وفخار .

ومن عناية الله بنا ان يسر لنا اسباب مواصلة العمل دون انقطاع ، فقد كانت الاهداف التي يتعين بلوغها محددة مجمعا عليها من طرف الملك والشعب والسياسة التي يجب سلوكها واضحة بينة ، ومن حسن حظنا نحن بصفة خاصة ان كان والدنا المرحوم يحبونا بعطفه السامي ونفته الغالية ، فائتمننا على مكنون اسراره ، واطلعنا على سديد آرائه ، وصائب انظاره ، واشركنا تكرما منه وتلطفا — قبل المنفى وخلاله وبعده — فى تخطيط السياسة القومية واعداد مشاريع بناء المغرب الجديد ، وعهد الينا بتنفيذها ، فلما التحق بالرفيق الاعلى ، لم نكن نحن ولا شعبنا فى حاجة الى تخطيط سياسة ، ولا الى البحث عن قواعد فلسفية جديدة لاقامتها عليها ، فمذهب والدنا المقدس هو مذهبنا ، وروح رسالته هي روح رسالتنا ، شاركنا فيها مخططين ومنفذين ، ورضيها الشعب واعتنقها بالتفافه حول الملك وتأييده .

نعم ! من الطبيعي ان تختلف الوسائل ، وتتنوع المناهج ، وان تتأثر السياسات نفسها بما يحيط بها من عوامل وظروف ، وتتطور تبعا لتطور المفاهيم والمقاييس وتجدد الوقائع والاحداث ، ولكننا مع ذلك سنظل متمسكين بالمبادىء الاساسية التي تنبني عليها سياستنا ، لانها مبادىء مستوحاة من واقعنا ، معبرة عن امانينا ، كفيلة بتحقيق مطامحنا .

شعبنا الوفي :

يتميز العصر الذي نعيش فيه بتقدم العلم وطغيان المادة ، مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وارشد الحكومات حكومة عرفت كيف تحسن الاختيار وسط هذا الخضم العالمي الصاخب المتلاطم بالآراء والنظريات المختلفة ، وتخط لشعبها سياسة مستمدة من حقائقه وشخصيته ، مرتكزة على مقوماته ، ملبية لعبقريته واحتياجاته ، سواء فيما يخصه كشعب له مميزاته ، او فيما ينوبه كعضو مسؤول فى الاسرة الانسانية الكبرى ، وقد اختار المغرب بالفعل — وما كان فى اختياره مقلدا — فنحن وان كنا قليلي العدد متوسطي الامكانيات امة ذات قيم روحية وتقاليد قومية ، وايمان راسخ ، وحماس متأجج وقدرة على التفكير والابتكار، وان الاتجاه السليم بالنسبة لنا يجب ان يدخل فى اعتباره هذه الحقائق، ويراعي هذه المميزات لذلك كانت السياسة الرشيدة المناسبة هي الديمقراطية فى الميدان السياسي ، والعدالة فى الميدان الاجتماعي ، والتوازن فى الميدان الاقتصادي وعدم التبعية فى الميدان الخارجي ، سياسة تحرير الفرد المغربي واشراكه فعليا فى تسيير الشؤون العامة ، وجعله فى مأمن من الفقر والمرض والجهل ، وضمان الامن والعدل له ، سياسة استغلال الثروات الوطنية لفائدة المجموع ، وتوزيع الدخل القومي توزيعا عادلا ، مع احترام الفرد فى حريته ومواهبه وابتكاراته حتى يتسنى لكل مغربي ان يسند بمجهوده الخاص البرامج التى نضعها ونسهر على تنفيذها ، قصد تشييد صرح نهضة وطنية تشمل جميع الميادين .

وعندما استرجعنا استقلالنا منذ ست سنوات وجدنا انفسنا امام جهاز معقد مصطنع ، اذ كان كل شيء بيد الاجانب ، كما كانت المبادىء والوسائل والاهداف لا تتطابق مع الاحتياجات الحقيقية للبلاد والمنافع الخاصة لسكانها الاصليين ، وكنا يومئذ مخيرين بين الاستجابة لداعي مطامحنا القومية ولو ادى ذلك الى سلوك اوعر المسالك وبين ان نترك الحالة على ما كانت عليه راضين بالمظاهر البراقة ، قانعين بالفوائد التافهة العاجلة ، ولكن قوة ايماننا ورعاية والدنا الذي كان يسهر سهرا متواصلا على المقومات الخلقية لهذه الامة ابتا الا ان نستجيب لداعي المطامح ، ونركب اصعب المراكب ونكافح فى عدة ميادين لدعم استقلالنا ، واصلاح نظمنا ، واعداد الوسائل الانسانية والمالية والتقنية للقضاء على التخلف

. جير صيانة للارض الطيبة وحماية لها من الضياع، . استجاب لـه رعايانـا ، فبلغت مساحات الارض مصلحة واحدا وعشرين الف هكتار ، وبلغ عـدد جـار الغابات والفواكه التي غرست سبعـة عشر ..نـا .

وفي نفس الوقت تمت بنجاح كامل سلسلة من العمليات . اصة ففي نطاق عملية المدرسة اصبح المغرب يتوفر . اقل من ثلاثة اشهر على الف ومائتـي قسم جديد ، . نت حملة لمحاربة الامية اسفرت عن نتائج مدهشة . اقليم بني ملال الذي جعلناه نموذجا لهـا ، وشرع . ان في بنـاء الدور الجماعية ، وستكون هذه العمليـة محور سلسلة من العمليات المتنوعة يتحسن بفضلهـا . جه البادية ، والى جانب هذا فان حملة الانعـاش الوطني سيتسع نطاقها ويتنوع مجالها خلال سنـة 1962 بفضل التجارب التي اكتسبت من المرحلة الاولى.

ويتعزز الانعاش الوطني بانشاء الخدمة الوطنيـة التي ستكون بمثابة مدرسة للتدريب والتكوين .

واننا لنعبر ونحن في هذا الصدد عن ارتياحنـا للدور الفعال الذي قامت به اطارات مختلف الوزارات وبالاخص اطارات وزارتي الداخلية والفلاحة ، فقـد اسهم كـل منهما بالنصيب الـذي كان له الاثـر المحمود في حملة الانعاش الوطنـي .

الشـؤون الفلاحيـة

وقد اولينا عناية خاصة لبادتنا ، علما بـان حياتنا الاقتصادية تتسم بالطابع الفلاحي ، وان موارد الكثرة من رعايانا تتكون من المنتوجات الزراعية .

ولهـذه الغاية ادخـل علـى وزارة الفلاحـة والمؤسسات التابعة لها تعديل عميق يتمثل في توزيـع جديد لمهامها قصد تقريب مجهود الدولة من الفـلاح حتى يستفيـد من هذا المجهود فائدة محققة .

وبعد تأسيس المكتب الوطني للري الذي شرع الآن في . . برامجه ، انهت حكومتنا طور اصـلاح الوسائل ال . تملكها الدولة في الميدان الزراعي وذلك بتأسيس . . ب الوطني للتجديد القروي والصندوق الوطنـي . . س الفلاحي والمعهد الوطنـي للابحـاث الفلاحية .

وهكذا يمكن لوزارة الفلاحة ان تصرف الآن جهودها للبحث والتخطيط الراميـين الى التطور القروي في الميادين الفلاحية والاجتماعية والاقتصادية .

واننا نعتقد ان نظام التعاونيات مـن انجـع الوسائل لهذا التطور، لذلك اوصينا بتعميمه، الا ان تطبيق البرامج الهامة للتطور الفلاحي سيبقى عديم الجدوى اذا لم يكن مصحوبا بتطـور سريع للتعليم الفلاحي ، لان امداد الفلاحين بالاطارات الكافية يعتبر العامـل الاساسي للتجديد القروي . واذا كان تكوين المهندسين تم الآن بصورة مؤقتة في الخارج ، فمـن المقـرر ان يشهد بلدنا قريبا احداث تعليم فلاحي عالي ، وان مما يبعث على السرور ان تختار المصالح الفنية التابعـة لمنظمه الامم المتحدة المغرب لانشاء قسم عال للفلاحـة الخاصة بحوض البحر الابيض المتوسط .

ان نهج سياسة متبصرة تعتمد على استعمـال الوسائل الجديدة في جميع الميادين لخليق ان يساعـد الفلاحة الوطنية على اجتياز مرحلة حاسمة في طريـق تطورها ، وسيكون ازدهارها ولا ريب ، من اقوى العوامل لازدهار سائـر مرافق الاقتصاد الوطنـي .

شعبنـا الوفـي

اذا تضاعفت العناية خلال هذه السنة في الفلاحة فلانها هي العنصر الاساسي لاقتصادنا ولان الفلاحين هم الذين يكونون السواد الاعظم من المستهلكين فكـل تطور وتجديد في الفلاحـة يهيىء لا محالـة الاسباب لازدهار الفلاحـة ونمو التجـارة .

الاقتصـاد والتصميـم

ولا ريب في ان ازدهارنا الاقتصادي رهين بتحويل وجهتنا الفلاحية والمعدنية تحويلا صناعيا فوق ترابنـا الوطني ، وبانشاء صناعـة حديثة تسد احتياجاتنا ، ولهذه الغاية تساهم الدولة مساهمة فعالة في جميـع المنشئات الصناعية الحيوية التي يعجز غيرها عن انجازها وتشجع جميع محاولات توظيف رؤوس الاموال الخاصة التي تود ان تشارك في تجهيز البلد وتصنيعه .

وفي هذا الصدد ادخلت تعديلات على القانـون المتعلق بتوظيف رؤوس الاموال ولم تغب عنا اهميـة

لاقرار السلم فى ربوعها على اساس الاعتراف لها باستقلالها ووحدتها ، وكما كنا بجانب الجزائر فى كفاحها سنظل متضامنين معها الى ان تتبوا مكانتها كدولة مستقلة متمتعة بسيادتها وكرامتها .

ولئن كان جلالة والدنا طيب الله ثراه ، لم يدخر وسعا اثر الاستقلال فى سبيل تحقيق جلاء الجيوش الاجنبية عن الوطن ، فقد تابعنا من جانبنا تلك الجهود وسرنا على سننه المحمودة ، ومن منن الله علينا ان كان اول نبأ زففناه الى شعبنا بعد جلوسنا على عرش اجدادنا الكرام ، نبأ الجلاء التام عن وطننا ، على ان هذا كله لم ينسنا ولن ينسينا تشبثنا الدائم بتحرير جميع الاجزاء المغتصبة من وطننا فى الشمال والجنوب ، وان استمرار تئامر الاستعمار الجديد على اقليمنا الوطني ــ موريطانيا ــ وبقية الاقاليم المغتصبة من وطننا ومساعيه لفصلها عن الوطن ، لن يفل عزمنا القوي وعزم مواطنينا هناك على مواصلةالعمل لتحريرها واسترجاعها .

واننا اذ نستعرض مظاهر سياستنا الخارجية ، ليجمل بنا ان نسجل النشاط الديبلوماسي الملحوظ الذي شهدته بلادنا خلال هذه السنة ، والذي تمثل على الخصوص فى مساهمتنا فى مؤتمرات دولية ومنظمات اممية ، ولئن دل هذا على شىء فانما يدل على الخصوص فى مساهمتنا فى مؤتمرات دولية ، وذيوع صيت يتسع مداه يوما بعد يوم وما ذلك الا نتيجة لما اتسمت به سياستنا الخارجية من وضوح واستقرار واستمرار .

الانعاش الوطني

شعبنا الوفي

لقد ورث المغرب المستقل عن الحماية مجتمعا منعدم التوازن ، اذ كان اهل البادية البالغ عددهم 80 فى المائة من مجموع السكان محرومين مهملين لا يستفيدون من التطور الجديد ، وبينما كان الجفاف يعرضهم ومواشيهم لاخطار المجاعة كانت السيول من جهتها تعرض التربة التي هي مورد رزقهم لخطر التبدد والانحلال ، حتى بلغ المعدل السنوي للمساحة التي تذهب السيول بتربتها الصالحة ستين الف هكتار . ومن البديهي ان هذا يجعل اقتصاد البلاد مختلا ، وبالتالي عيش جميع سكانها غير مضمون فاذا اضفنا الى هذا ان سكان المغرب يزداد عددهم 720نسمة كل يوم ، وانالدولة يجب ان تهيء لابنائها العيش والسكن والتعليم والعمل ، تصورنا بوضوح جسامة المسؤوليات وثقل الاعباء التي اصبحت تواجه امتنا منذ الايام الاولى لاستعادتنا الحرية والاستقلال .

ولقد كانت لوالدنا المقدس رغبة قوية فى القضاء على كل تفاوت رغبة فى ايجاد توازن متناسق لا بين اهل البادية واهل الحاضرة فقط ، ولكن بين مرافق الاقتصاد نفسها ، وهي رغبتنا التي سعينا جميعا معه فى تحقيقها ونواصل السير بعد التحاقه بالرفيق الاعلى لتحقيقها . ومنذ اكثر من سنة اصبح العمل الذي تباشره حكومتنا فى هذا الميدان يسير طبق مخططات التجهيز .

فلقد كانت ميزانية التجهيز تبلغ 354 مليون درهم سنة 1959 و351 مليون درهم سنة 1960 ؛ وارتفعت الى 451 مليون درهم سنة 1961 ، ثم ارتفعت الى اكثر من 505 ملايين درهم سنة 1962 . واننا لعازمون على ان نصرف هذه السنة جميع هذه الاعتمادات المخصص جلها للفلاحة والري والاشغال العمومية والتعليم والصحة والتصنيع ، او بعبارة جامعة لتجهيز البلاد ، واهتماما منا بتشغيل اكبر عدد ممكن من اليد العاملة والتعجيل بالتطور فى ميدان التجهيز ابتكرنا هذه السنة طريقة فعالة سميناها الانعاش الوطني ، انصرف اليها جانب مهم من مجهودنا ، وعم مفعولها جميع الاقاليم والميادين .

لقد تطورت حملة الانعاش الوطني التي برزت الى الوجود فى أثناء سنة 1961 تطورا سريعا ونجحت نجاحا مرضيا ، ولم تكن هذه الحملة مجرد عملية لمكافحة البطالة ، بل انها سياسة جماعية ترمي الى ادراج سكان المملكة فى حركة التنمية واحداث تحول عميق فى تفكيرهم وطرق عملهم .

لقد بلغت ارقام التشغيل لحد الآن فى مختلف اوراش العمل بانحاء المملكة اكثر من عشرة ملايين كان لها الاثر البين فى احياء الاراضي واستصلاحها . ويسرنا ان نسجل ان النداء الذي وجهناه لفائدة صيانة

وان عملنا فى هذا الميدان ليرتكز على دعامتين [illegible] .

اولاهما : انشاء جهاز حضري وقروي يرمي الى تقوية طاقاتنا الاستشفائية وذلك بانشاء مركز استشفائي لكل خمسة واربعين الفا من السكان ومستوصف لكل خمسة عشر الفا .

وثانيتهما : مضاعفة تكوين الاطارات الصحية، وفي هذا النطاق تمكنا منذ اعلان الاستقلال من فتح ثلاثين مدرسة تضم اليوم 1200 من التلاميذ الممرضين، بينما لم تكن المدارس الثلاث الموجودة سنة 1955 تضم اكثر من ثمانين تلميذا .

وتعد سنة 1961 سنة ممتازة لم يشاهد نظيرها سواء فيما يخص التجهيز الصحي او تكوين الاطارات ، فقد فتحت عشر مستشفيات جديدة وعشرون مستوصفا كما ان عشرين مستوصفا آخر هي على وشك التمام وثلاثين اخرى فى طريق التجديد، وامدتنا مدارسنا الثلاثون بما يقرب من الف ممرض وممرضة سيكون لهم وللافواج اللاحقة اثر بين فى رفع المستوى الصحي بالبلاد .

وما زالت جهودنا منصرفة الى ضمان العدل لرعايانا وحياطتهم بسياجه المتين ، واهم الاحداث التي شاهدها هذا الميدان خلال هذه السنة الشروع فى توحيد مرافقه بادماج المحاكم العصرية فى المحاكم العادية على مراحل وتحضير القانون الجنائي الذي سمح بفضله توحيد الدورات الجنائية وتعديل قانون المسطرة الجنائية على ضوء التجربة تعديلا يساعد القضاة على السرعة فى البت فى القضايا واستعمال شيء من الصرامة فى دائرة احترام حقوق الافراد .

وقد اولينا مزيدا من العناية الى قواتنا المسلحة التي ما فتئت منذ تكوينها وانشائها تؤدي واجبها المقدس فى خدمة الشعب لانها من الشعب واليه فعملنا على تزويد وحداتها المتنوعة بما تحتاجه فى مهماتها من اجهزة حديثة وعتاد .

وكان من نتائج الجلاء ان تسلمنا المطارات التي كانت بيد الجيوش الاجنبية فأصبح البعض منها يستعمل لتكوين طيارين مغاربة مدنيين وعسكريين واسست بمراكش مدرسة جوية تضطلع بهذه المهمة الفعالة التي سيستفيد منها المغاربة والافارقة على السواء . وخلال هذه السنة وضعنا الحجرة الاساسية لمعمل صنع الاسلحة بفاس وسنكون قد وصلنا باحداثه حاضرنا بماضينا ، ولا نرتاب فى ان انشاء هذا المعمل زيادة على ما له من دور عسكري سيساهم فى الحياة الاقتصادية للبلاد .

ومنذ ان انشأنا سلاحا بحريا وعززنا به جيشنا لم نأل جهدا فى تقويته وسنعضد جانبه فى مستقبل قريب ان شاء الله بقطعتين اخريين تضافان الى قطع السابقة التي تسهر فى الوقت الراهن على حراسة شواطىء البلاد .

وانتم تعلمون انه منذ ان انشأ والدنا قدس الله روحه القوات المسلحة الملكية كنا وما نزال شديدي الحرص على ان تقوم وحداتها ــ علاوة على ما يناط بها عادة من مهام ــ باعمال فى الميدان الاجتماعي .

وهكذا فان وحدات من جيشنا ادت خدمات جلى وقامت باعمال مشهودة فى نطاق برنامج الانعاش الوطني .

ولا يعزب عن الاذهان ان نجاح السياسة التي رسمناها فى الميدانين الاقتصادي والاجتماعي رهين بسير بعض اجهزة الدولة سيرا حسنا ونعني بهذه الاجهزة جهاز وزارة الاشغال العمومية وجهاز وزارة البريد ، فلقد عمل كلاهما وفق ما حددنا من برامج واوضحنا من سبل فاستمرت وزارة الاشغال العمومية تعمل على تحسين المواصلات البرية والجوية وانماء الطاقة الكهربائية وبناء العمارات لاسكان من تحول قلة ذات اليد بينه وبين الحصول على سكنى صحية سليمة مقابل كراء رخيص .

واننا لنود ونحن فى هذا الصدد ان يعرف رعايانا الخطى التي خطوناها خلال سنة 1961 لاعادة بناء اكادير فبعدما استأنفت المصالح العمومية نشاطها بالمدينة المنكوبة وظفر السكان الذين كانوا لجأوا الى الاخبية بمساكن ملائمة بوشرت فى اثناء هذه السنة الدراسات التقنية الضرورية التي هي اساس المنجزات المرغوب فيها وبعد ما وضع التصميم لاعادة بناء المدينة وضعنا طابعنا الشريف على النصوص التشريعية وبذلك يكون بناء مدينة اكدير قد دخل فى حيز التنفيذ ، كما درست ملفات المنكوبين ليستفيدوا من المساعدة المالية المقررة الكفيلة بان تجعلهم قادرين على ان يضموا جهودهم لجهود الدولة تحقيقا للغاية التي نستهدفها جميعا .

التعاون الدولي فى الميدان الاقتصادي لذلك عقدنا مع عدة دول اتفاقيات مختلفة تكفل التعاون وتوظيف رؤوس الاموال .

وقد جاء احداث الصندوق الوطني لتوظيف رؤوس الاموال مكملا لسياسة التوظيف هذه ومتوجا لها ، اذ انه يقوم فى ميدان تعبئة الوفر بالدور الذي يقوم به الانعاش الوطني فى ميدان تعبئة السواعد .

ومن جهة اخرى فقد قررنا سلوك سياسة جبائية جديدة دخلت فى حيز التطبيق منذ اول السنة الجارية وهي سياسة تتسم بطابع العدل والتشجيع اذ انها تعفي الضعفاء ولا سيما صغار الفلاحين من الانقال الجبائية التي لا تتفق ومستوى دخلهم كما انها تحمل فى طياتها العوامل الكفيلة بالتنمية السريعة والتجديد المطرد فى الميدانين الصناعي والفلاحي معا .

ولقد كان اهم حادث امتازت به السنة المنصرمة فى ميدان التصنيع وضع الحجرة الاساسية فى بناء المركب الكيماوي الاسفي ودخول مصافي سمير لتكرير النفط بالمحمدية فى طور الانتاج وقطع اشواط اخرى فى اتمام الدراسات المتعلقة بانشاء مصانع وطنية للصلب واخرى للزنك وافران لصهر الرصاص واحواض لبناء السفن .

وسيشرع قريبا فى انشاء مصنع وطني للسكر بسيدي سليمان وتطبيقا لسياسة مغربة الاقتصاد قررنا مغربة بعض مرافقه الحيوية كالابناك ومؤسسات التأمين وتأميم قطاعات اخرى حيوية ، ويسرنا ان نخبر شعبنا الوفي اننا قررنا تأميم الطاقة الكهربائية والسكك الحديدية واننا لنهنىء انفسنا بذلك .

وقد سجل ارتفاع فى مبادلاتنا التجارية كما تضاعفت وحدات اسطولنا التجاري .

ولا ريب فى ان من اهم العوامل التي تبعث على خلق الازدهار الاقتصادي توفير الاطارات المتخصصة وصيانة حقوق الطبقة العاملة ، وفى هذا الصدد ما فتئت وزارة الشغل والشؤون الاجتماعية توالي جهودها بتوفيق ونجاح ، وان القوانين الاجتماعية التي ترعاها تطبق وتتحسن باستمرار .

رعايانا الاوفياء

ان التقدم الاقتصادي لم يكن هو الهدف الوحيد الذي نسعى اليه ولا الميدان الفريد الذي يستأثر باهتمامنا ، بل ان هذا التقدم نفسه لا يمكن ان يثمر ثماره المنشودة ولا ان يأتي بالنتائج المتوخاة الا فى اجواء ثقافية وصحية ملائمة وفى ظلال العدل والامن والاستقرار ، لهذا كانت عنايتنا وستبقى منصرفة فى كل آن الى السعي فى خلق تقدم مادي ورقي اجتماعي متوازيين فى البلاد ، ومن البديهي ان كل تقدم ورقي رهن بانتشار الثقافة وتعميم التعليم ، لهذا واصلنا الجهود فى هذا الميدان ولم نتردد فى اعتماد كل المبالغ المالية التي يتطلبها تحقيق مطامحنا فيه تلك المبالغ التي بلغت اربعمائة مليون درهم فى السنة الدراسية الحالية بينما لم تكن هذه الاعتمادات تزيد على مائة وخمسين مليون درهم سنة 1955 .

وبسبب هذه العناية التي ازدادت تحسنا بعملية المدرسة امكن لمائتين وخمسين الفا من اطفالنا ان يجدوا لهم مقاعد فى المدارس فى اول اكتوبر الماضي.

وقد ارتفع عدد تلاميذ التعليم الثانوي هذه السنة الى خمسة وسبعين الفا وبلغ عدد الناجحين فى الباكالوريا نحو 1600 طالب وبلغ عدد الحاصلين على شهادة الليسانس سبعمائة وادى اتساع نطاق التعليم العالى الى انشاء جامعة محمد الخامس بفاس .

ويتجلى هذا المجهود العظيم اكثر وضوحا اذا علمنا ان عدد التلاميذ الموجودين الآن بالمدارس يتعدى مليون نسمة ، بينما لم يكن هذا العدد يجاوز 220 الفا سنة 1955 .

وكما ان تعميم الثقافة والمعرفة شرط اساسي لرقي البلاد وتطورها فان سلامة الابدان من الشروط الاساسية ايضا ، ولهذا كان من جملة اهدافنا الاساسية والمستعجلة رفع المستوى الصحي لرعايانا ووقايتهم من الامراض كافة .

ونظرا للاعتبارات الجديدة لسياستنا العامة واتجاهات حملة الانعاش الوطني اصبح عملنا موجها نحو تعميم المستشفيات وخصوصا فى البوادي واعطاء الاسبقية للطب الوقائي والطب الجماعي .

بمناسبة الذكرى الاولى لوفاة

الملك الانسان

للأستاذ
محمد عبد الواحد بناني

مــــاذا عساي ان اقول فى ذكرى وفاة جلالــة محمد الخامس ـ طيب الله ثراه ، وجعــل الفردوس مثواه ـ ؟ انه ليس فى الامكان ابدع مما كان . .

اجل : ان ابرع قصيدة ، واروع خطبة ، واسمى آيات البلاغة والبيان فى كل مجالات القول والــوان الكلام . لتقف خجلى امام ذلكم « التعبير الشعبي » المعجز عن فداحة الكارثة ، وحرقة المصاب ، ولوعة الفراق . يوم اعلن النبأ العظيــم .. فهب الشعب الوفي مــن اقاصي البلاد ودانيها لتشييع حبيبه الغالي الى منــواه فى جــوار اللــه .

ماذا عساي اقول . وان اسمى درجات التأثــر والانفعال . لهي تلكم التي يسمر اللسان معها فى الحلق فيعجز عن التعبير الواعى ، وتجف الدموع فى المآقي فتجمد .. ولهى تلكم التــي يضطرب فيهــا القلب اضطرابا . وتلتاع الروح التياعا ، وتتعطل فيها حركة العقل الواعى . ليحل محلها طغيان العاطفة الجياشة ، والشعور الجارف ، والوجدان الممض . فيصير العجز عن الكلام ابلغ واعجز واسمى آيات الكلام .

وشعبك يا مولاي ذلكم حاله كان ، فى كل مكان . . لقد كنت معه « الملك الانسان » فتعلم شعبك منك كيف يكون « الشعب الانسان » . . لقد اخلصت له الحب ، واخلصت له الود ، واتخذته اخا وصديقا ، وآثــرت مصلحته على مصلحتك ، وراحته على راحتك، وجعلت الــ . . فى شخصك لا يبدأ الا حيث ينتهــي التفكير فى . . مصيره ، فتلقى شعبك منــك مبــادىء الحب والـ . . . والاخوة والصداقة ، والاخلاص والوفاء هذه، و . . . : فالنــاس على ديــن ملوكهم .

ومع ذلك .. فان مــن الاخلاص لما علمتنا مــن مبادىء ، وما عودتنــا من مثل وقيم ، ان نتخذ مــن كل حادث درسا ينفعنا فى الحاضر ، ويكون عدتنا فى المستقبل، وان فى الذكرى الاولى لوفاة جلالتك لدرسا، يجب الا ينسى . اننى اذ استلهم روح جلالتك الطاهرة بهذه المناسبة اشعر بهــا شعور المؤمــن كشف لــه الحجاب .. حبة وتابة ، فى لهجــة ملــؤها التواضــع النبوي ، والعطف الابوي تناديني : « ايها الابن البار ، قل لشعبي فى ذكرى وفاتي (ايها الشعب : كمحمــد الخامس كــن ، او .. لا تكن)

نعم ابناه ، مثلك ايها الكريــم العظيم يجب ان نكــون . والا فلن نكــون ..

اننا حين نستعرض حياة العظماء والابطــال الذين صنعوا الحضارة الانسانية ، ومدنيتها المشرقة الصاعدة ، محاولين الوقوف علــى ســر عظمتهــم ، وسبب خلودهم ، نجد النتيجة الحتمية ابدا واحدة ، هي انهم (حققوا مبدأ الانسانية فى شتى مجالات الحياة)

حققوا مبدأ الانسانية مع انفسهم اولا

وحققوه مع مجتمعهم الصغير الذي هو اسرتهم

وحققوه مع مجتمعهم الكبير الذي هو امتهم

وحققوه مع مجتمعهم الاكبر الذي هو « المجتمع الانساني ، الذى ينتظم كل الناس ، من كل الاجناس » .

*

وكذلك كنت ايها البطل العظيم ، انسانا فى كل مكان ، ومع كل انسان ، فاحبتــك الانسانية كلها لا

اما وزارة البريد فقد سارت من جهتها فى الطريق المخطط لها تعمل على تحسين الاجهزة لاستعمال احدث الوسائل سواء فى المواصلات البريدية او فى المواصلات السلكية واللاسلكية وخصوصا مع الدول الافريقية .

وحرصا منا على بعث قوى الروح الاسلامية واحياء جديد للفكرة والعقيدة ونشر عام للوعي الاسلامي وتركيز لدعائم الدين القويم انشانا بعد ان تربعنا على عرش اسلافنا الكرام وزارة للدولة تعنى بالشؤون الاسلامية وانطنا بعهدتها تحقيق ما نتوق اليه من بث العقيدة وتركيزها فى النفوس بمختلف الوسائل وربط اواصر الاخوة بين المغرب والشعوب الاسلامية فى كل مكان .

وتأييدا لهذه الفكرة دابت وزارة الاوقاف العمومية من جهتها على احتذاء الخطة الرشيده التي انتهجها والدنا طيب الله ثراه لتوفير المساجد للمصلين والمتدارسين ولا سيما فى الاماكن النائية ليتيسر لرعايانا ان يؤدوا شعائرهم الدينية .

شعبنا الوفي

كان قصد والدنا رحمه الله وقصدنا نحن ايضا هو انشاء نظام اجتماعي يقوم على اسس سليمة ثابتة، فلم تكن المنجزات التي حققناها فى مختلف الميادين غاية فى حد ذاتها بل وسيلة لاقامة هذا النظام .

فالاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية كالاصلاح الزراعي وعمليات التصنيع والتاميمات والنهوض بالتعليم من جهة والاصلاحات السياسية والاقتصادية كصيانة الحرية الفردية وضمان ممارسة الحريات العامة واقرار الحقوق الاجتماعية وفصل السلط وتأسيس المجالس المحلية من جهة اخرى ، كل ذلك انما هو بمثابة قواعد لبناء صرح مجتمع سليم متماسك يشد بعضه بعضا ، ونحن الآن عازمون على تتويج عملنا بنظام تمثيلي يضطلع فيه رعايانا بمسؤولياتهم بواسطة مؤسساته شعورا منا بان القواعد التي ارسيناها نحن ووالدنا اصبحت الآن متينة ، واقتناعا برشد شعبنا الذي برهن فى مختلف المناسبات على انه شعب واع متبصر مقدر للمصلحة العليا للوطن وانه اهل لممارسة المسؤوليات فى ثقة متبادلة بينه وبين ملكه .

تلك غايتنا ووسائلنا وتلك منجزاتنا ومشاريعنا ولئن حققنا ما استطعنا تحقيقه ووضعنا التصاميم لما ننوي القيام به رغم قلة الزاد فى الوسائل والمال والرجال فاننا نتوق الى المزيد من التقدم والازدهار وان ذلك لا يتطلب الوسائل المادية فحسب ولكنه يتطلب بالاضافة الى ذلك التشبع بروح الوطنية الحقة والعزيمة القوية ، والرغبة الدائبة فى الشغل والابتكار واذا كنا قد استطعنا ان نحقق بتضامننا وتضحياتنا الحرية والاستقلال فاننا لقادرون على بناء الاستقلال بنفس هذه الفضائل التي استطعنا ان نتغلب بها على قوات السيطرة والاحتلال .

وانا لعلى يقين من ان رعايانا يتوفرون على هذه الروح ، روح الاخلاص والعمل والتجرد والثقة بالنفس ونكران الذات ، وتلك هي القيم التي تعين على البناء والتشييد ولو مع قلة الوسائل .

واذا كنا جادين فى خلق نهوض شامل يتفيء رعايانا ظلاله الوارفة ، فانه يجب ان يكون هذا النهوض مسايرا لتقاليدنا السليمة وقيمنا الروحية ، ومبادىء ديننا الاسلامي الحنيف ، اذ ما كان ولن يكون الاخذ باسباب الحضارة والرقي منافيا للمحافظة على القيم الاخلاقية والروحية وعلى الفضيلة بوجه عام ، ولهذا يجب ان تكون شخصيتنا الاسلامية بارزة فى جميع مظاهر هذه النهضة وان تاريخ المغرب نفسه ليشهد بأن ازهى عصورنا هي العصور التي كان التمسك بالاسلام فيها من ابرز المميزات وان كل حركة تحريرية اصلاحية انما قامت على اسس القيم الروحية .

ففي اطار ديننا الاسلامي السمح سنصوغ كل عمل وكل اصلاح لان المكاسب الدنيوية ليست غاية فى حد ذاتها لانها مكاسب محدودة ، اما المكاسب الروحية فليست لها حدود لانها هي الوجود ولانها هي التي تمكن الفرد من حسن التصرف فى مكاسبه الدنيوية ونكيف تصرفه بالخصال الحميدة حتى لا نكون فى المجتمع شحناء ولا بغضاء ولا تفرقة .

شعبنا الوفي

هذا هو صراطنا وصراط والدنا قدس الله روحه وانعم مثواه ، واننا لنعتبره صراطا مستقيما يكفل لشعبنا العزة والكرامة والرخاء والازدهار حددنا فيه وسائلنا واهدافنا وشيدنا بنيانه على تقوى من الله ورضوان .

واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ، وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم .

الرباط يوم السبت 26 رمضان 1381
الموافق 3 مارس 1962

م المبادىء الخالدة ، مبادىء الحق والخير
جمال ، ونشر العدل والفضيلة ، وتدعيم السلام ،
ت نفسك وشعبك بمبدأ « الحياد الايجابي »
يقف من قوى الشر المتطاحنة فى العالم موقف
م ، يلطف من رعونتها بعدم الانحياز الى اي منها ،
م كل فرصة تسنح للتقريب بين ما تنافر من
ل ، وتباعد من الامم ، ابعادا لشبح الحرب
ض ، وتدعيما لاسس السلم العالمي ، مطمح
البشرية الاسمى ، ونشيد الانسانية القدسي الخالد .

*

وهكذا عشت يا مولاي — قدس الله روحك — ملائكي الاخلاق ، اسلامي النزعة انسانيها ، عربي الروح والطموح ، عالمي التفكير والشعور ، فانقذت شعبا واحييت امة ، وبنيت لها مجدا جديدا ، ومستقبلا سعيدا ، وكنت فى حياتك الخاصة والعامة مثالا نموذجيا يحتذى ، وقدوة سامية عالمية لمن اراد ان يكتب اسمه فى سجل الخالدين باحرف من نور .

انها لسيرة ، اغلب اليقين انه لو قدر لذلك الفيلسوف الذي كان يغربل الرمل ان يطلع على بعض جوانبها ، لما قال قولته المشهورة فى تبرير عمله هذا : (اني ابحث عن انسان) .

*

رحمك الله « يا محمد الخامس » والهمنا الصبر على فقدك ، والتوفيق للاهتداء بهديك ، والسير على نهجك ، ان الخسارة فى انسانيتك المثالية لا تعوض، لقد عشت كالشعلة ، تحترق بقوة ، لتنير للغير طريق الخير واليمن والانسانية والسلام .

طنجة — محمد عبد الواحد بناني



لانك ملك ، ولا لانك زعيم ، بل لانهم راوا فيك الصورة المثالية النقية الطاهرة لوجودهم على الارض ، كاسمى ما يكون الوجود الانساني عامرا بالقيم الخالدة : الخير والحق ، والجمال .

والا ، فبماذا نعلل انفعال العالم كله من اقصاه الى اقصاه بسبب المصاب فيك ، حيث بكاك الباكون ، واعول عليك المعولون ، رغم اختلاف الاجناس والاديان، والمشارب ، والاهواء ؟

ان ما فعلوه ليس الا تعبيرا تلقائيا عن شعورهم المفجع « بالفراغ الهائل » الذي احدثه فى وجودهم توقف وجودك !

*

لقد حققت مبدا الانسانية مع نفسك اولا ، مذ استجبت لهاتف الرحمن ، يناديك بلغة القرءان : «وفى انفسكم ، افلا تبصرون ؟ » « فاستقم .. كما امرت » ومذ حققت فى شخصك صدق هذه النظرية العربية الخالدة :

ابدا بنفسك ، فانهها عن غيها
فاذا انتهت عنه فانت حكيم

والنظرية المماثلة القائلة :

اقبل على النفس فاستكمل فضائلها
فانت بالنفس لا بالجسم انسان

*

وحققت مبدا الانسانية مع اسرتك يوم اضفيت عليها قبسا من نور نفسك المؤمنة الطاهرة ، فانرت لها طريق المستقبل بنور الثقافة والعلم ، وربطت بين افرادها برباط التعاون والتراحم والايثار ، وهديتها السبيل القويم الذي يجب ان يكون عليه كل مسؤول دائما ، لين فى غير ضعف ، وصرامة فى غير عنف ، تواضع للشعب وتفان فى خدمته ، وان يعطي اكثر من ان يوخذ منه ، وان تؤثر سعادته على كل سعادة ، وحياته على كل حياة .. واصطفيت منها اقدر عناصرها على تحمل المسؤولية ومواصلة الرسالة من بعدك ، فشحذت عزيمته ، وانضجت عقليته ، ونفخت فيه من روحك روحا خالدة ، وهمة وثابة ، حتى اذا اكتملت رجولته ، وتأكدت مقدرته وكفاءته وكنت على ميعاد للقاء ربك ، كان جلالة « الحسن الثاني » — سدد الله خطاه — قد امسك دفة القيادة لامتك بيد من مهارة وذكاء ، خائضا غمرات المستقبل فى حزم وعصامية وتفاؤل .. فكان جلالته بعدك امتدادا مباركا لجلالتك ، ومثالا حيا عن تحقيقك مبدا الانسانية السامية فى اسرتك .

*

وحققت يا فقيدنا الغالي مبدا الانسانية مع مجتمعك الكبير الذي هو امتك ، فلم تعش لشخصك كما عشت لها ، ولا لمصلحتك الخاصة كما عشت لمصلحتها ، واعطيت على ذلكم الف برهان وبرهان يوم ان ءاثرت التضحية بالعرش جملة وتفصيلا ، وفضلت النفى بعيدا عن الاهل والوطن ، مع سحق الدار ، ووحشة الطريق ، على ان تساوم فى شرفه او مصلحته . وكان فى استطاعتك — وحاشاك — ان تؤثر على ذلكم العيشة الرخية الهنية فى الابراج الذهبية، بعيدا عن انات الشعب وويلاته ، لو لم تحس باحساس امتك فتربط مصيرك بمصيرها ، وتجعل مصلحتك ومصلحة عرشك واسرتك جزءا لا يتجزأ من مصلحتها ، بل هي دونها خطورة واهمية .

*

وحققت ايها الملك الانسان » مبدا الانسانية باوسع مفاهيمه مع مجتمعك الاكبر الذي هو المجتمع الانساني فى عصر طابعه العام الانانية الدولية ، والاثرة الاممية ، والنعرة الشعوبية ، فوهبت نفسك وشعبك لتبني وخدمة وصيانة المثل السامية الخالدة .. اخذتهما بمبدا « التعايش السلمي » الذي يجعل الناس — كل الناس على اختلاف اجناسهم وادياتهم ولغاتهم —متساوين فى الحقوق والواجبات ، اكرمهم عند الله اتقاهم ، لكل منهم ان يعيش فى امن على روحه وممتلكاته ، ومعتقداته وتراثه ، وعلى كل منهم ان

.. ن المطلق الذي نقيســه بحركات الاجـــرام
.. باوبة . فالمكروب يتوالد ويتكاثر في ساعة واحدة .
.. لانسان فلا يتناسل الا في سنين عديدة . وذبابة
.. لا نستطيع ان تقيس الزمـان تحت الماء ، لكـن
.. جيـل من نسلهـا يعيش في حياة سعيـدة تحت
.. س . هل يمكن ان يكـون العلماء على صواب في
.. ، اننا اذا صرنا الى دار الخلود سنقيس الزمان
.. وادث ، لا بالفلك ؟ .

والاسماك في البحر لها وقتها الذي تضع فيـه .. ها ، ولكنها في ذلك انما تطيع قانون الطبيعة ، ولا .. ف لماذا تفعل ذلك . والزرع والحصاد لهما وقتهما، .. نحصد مساحـات شاسعات مـن الزرع ، اي .. ن وقت حصادها في يوم واحد . اما الاشجار فلا .. مر الا بعد مضي سنين عديدة على غرسها . وحلقاتها السنوية تسجل اعمارهـا .

وقد وجد ان بعض العصافير تصـر مـرات معلومة طبقا لدرجات الحرارة ، وقـد احصيت مرات .. رها بدقة ، فوجد انها تسجل درجات الحرارة مع .. ق درجتين . وقد روقب صرصور لمدة ثمانية عشر يوما فوجد انه يبدأ اغنية حبه او فرحه كل يوم قبل الساعة الاصلية بخمس دقائق . وهناك نوع مـن البط في قناة باوربا يجيء بانتظام الى جسـر لاجـل الغداء كل يوم في ساعة معينة ويضرب جرسا قد اعد له . والطير لها وقتها الذي تطير فيه من الشمال الى الجنوب ، وكل فرد منها يلحق بسربه في الـوقت المعلوم ، ثم يطير كل سنة في يوم يكاد يكون محـددا معلوما . وذباب مايـو يخرج مـن البحيرات فيطيـر طيران العرس ، وتسقط منه ملايين ميتة في الشوارع في اليوم نفسـه .

والجراد البالغ مـن العمر سبع عشرة سنة في .. انكلاند) يعيش في غيران تحت الارض ، حيث يقيم في الظلام مع تغير قليل في الحرارة ، ويظهر بملايـين في شهر مايو من سنته السابعة عشرة . وقد يتخلف بعض المتعثر منه عن سائره بالطبع ، ولكن اكثره يتم .. في تلك السنوات المظلمـة ، ويضبط يوم ظهوره .. سابقــة ترشده الى ذلك .

ودودة البوصة تدب بانتظام عظيم من مكان الى .. ، ولو استطاعت ان تعد لامكنها ان تقيس الوقت .. سافة بعدد قفزاتها . ولكـن لا حاجـة بها الى ان تقيسهما . فلا تضحك من قفزتها ، لاننا معشر البشر نقيس المسافة بالقدم ، (وانما نسبت الى البوصة لان كل قفزة من قفزاتها بقدر بوصة) .

كل حي على العموم يراقب الزمان ويسجلـه بالعمل ، ولكنه لا يبدي دليلا على توقيت واع . ويظهر ان الفصول الاربعة ، ودرجة الحرارة ، والنهار والليل، والمد الفائض ، كلها ضوابط لاطراد الحياة . وقد اوجد التطور عادات لقياس الوقت بغير شعور ، وهي تعمل بطريقة اوتوماتيكية كنبضات القلب والهضم . وكثير من الناس يعتاد ان يستيقـظ في ساعـة بعينهـا ، فيستيقظ في ذلك الوقت بالضبط بدون ساعة منبهة، وسواء انام في الوقت المعتاد ام بعده ، لابد ان يستيقظ في ذلك الوقت . وقد اضاف الانسان الزمان الى المادة التي لا زمان لها . والزمان لا يمكـن وزنه ولا تحليله . فهو بالنسبة الينا ينعلـق بهـذه الارض وحدهـا ، ومقاييسنا للزمان يمكن ان لا يكون لها تعلق بالعالـم في مجموعة ، ولكن الزمان يملـي علينا دوافع بـدون شعور منا ، وقد بلغت هذه الدوافع في القوة الى حـد انها تتحكم في كل كائن حي . والانسان من حيث هـو حيوان ليس له شعور خاص بالزمان ، ولكنه يستطيع ان يضبط الى حد محدود اثر الزمـان في دوافعه . فالانسان البدائي لا يستطيع ان يخبركم كم عاش من الزمان الا بمقارنة الحوادث . فالاعداد بالنسبة اليـه تدل على قليل او كثير لا يميز بينهما . اما الانسـان العصري فقد ينسى مثلا ايام ذكرياته السنوية ، ولكن زوجته لا تنساها ، فهل المرأة مرتقية اكثر من الرجل ام تطالع التقاويم خفية ؟ لا هو ولا هي يستطيعان ان يحددا اليوم الرابع والعشرين من مايو بعد سبع عشرة سنــة كمـا يفعل الجراد في الظلام .

تـعـلـيـقـــات :

1) قوله ان الزمان لا اهمية له بالنسبة الى العناصر، وهي الذرات التي تتألف منها الاشياء ، هذا مبني على راي الفلاسفة وغيرهم من العلماء الذين يقولون ، ان المادة لا تفنى ، وانما تتحلل لتتركب من جديد وتكون شيئا اخر . وكان ابو العلاء المعري على هذا الرأي ، وقد صرح بذلك في قصيدته الدالية التي يقول فيها :

صـــاح هـــذي قبورنـــا تمـلأ الار
ض فايــن القبور مـــن عهد عـــاد

دراسات إسلامية

الزمان

بقلم الدكتور تقي الدين الهلالي

- 18 -

الكلام فى الزمان وما اودع الله فيه من الاسرار ، هو الفصل الثالث عشر من كتاب (ليس الانسان مهملا) قال مؤلفه : ان العلم التام بوجود الزمان خاص بحياة الحيوان . والانسان وحده هو الذي يقيسه ويزنه. والعناصر التي تتالف منها الاشياء كلها من النادر ان تتغير على مر الزمان . وقد تتالف العناصر الكيميائية او تفترق ، غير ان الزمان وان كان ضروريا لانجاز تغير كيميائي ، فلا اهمية له بالنسبة للذرات . ومع ذلك نرى عصا من الديناميت تتحول من مادة صلبة الى غاز فى جزء من خمسة وعشرين الف جزء من الثانية ، ولكن الذرات لا تتغير .

يمكن ان يرتفع جبل من مكانه ثم ينفسف ويصير هباء منثورا ، ولكن الذرة المحبوسة فى قلبه لا تنتظر بقلق الوقت الذي تتحلل فيه الصخرة لتخرج من سجنها وتصير حرة ، ولو ان الكترونانها تدور كالمغزل فى افلاكها على الدوام . ان كامرتك تلتقط الصورة فى جزء من مائة جزء من الثانية باهتزاز قدره الف وتمانمائة ميل فى الاثير الفضائي لاحداث التغير الكيميائي . وهكذا تسجل الافلام بالالوان كل ما فى المنظر من جمال . فالذرات تهتز ويعاد تنظيمها ولكنها لا تتغير .

ويظهر ان الاشياء الحية تقيس الزمن ، غير ان الجمادات الخالية من الحياة هي التي تسجله . ان مياه الانهار الجليدية التي سالت بعد ما ذابت فى العصر الجليدي قد تركت طبقات من الصلصال تدل على كل سنة مضت على حدتها ، وتخبر ولو بطريق غير دقيق على مراتب درجات الحرارة التى كانت سائدة فى ذلك الزمان ، وكذلك الطبقات الكلسية التي تتكون فى سقوف الكهوف . والطبقات التي تعلو ارضها من الرواسب باشكال مخروطيه تفعل مثل ذلك لمائة الف سنة واكثر ، ولكنها لا تدري ماذا صنعت .

ان الراديوم والرصاص تتغير نسبهما فى الصخور الصم فتخبر ببلون من السنين منذ استقرار الارض . ولا تفكر فى الماضي اصلا . ولا تستطيع الكائنات الحيه ان تدرك كنه الزمان ، لان الحياة لها غايتها ، والفرد وجوده ينتهي وينقضي قبل انقضائها ، وليس هنالك كائن حي فى حالته الطبيعية يستطيع ان يقيس الزمان فى وعي وانتباه ، ولكن الزمان يأتي على جميع الكائنات الحية ويسود تقلباتها واعمالها من الولاده الى الوفاة .

وقد انكشف ان هناك شيئا يسمى الزمان البيولوجي (اي الخاص بعلم الاحياء) . ويظهر ان الزمان بالنسبة للصبيان يسير ببطء . اما بالنسبه للطاعنين فى السن فيظهر انه يجري بسرعة عظيمه . وهذه الظاهرة المعروفة قد وجد انها مرتكزة على دورة حياة الخلايا . ويمكن ان يعبر عن ذلك بايسر طريق فيقال ، ان خلايا كل مخلوق حي تتطور بسرعة فى ابتداء الحياة ، ثم تأخذ فى البطء كل ما دنت من نهايتها . واذا تكلمنا على ذلك من وجهة علم الاحياء نقول : ان كثرة حوادث الخلايا التي تقع فى الطفولة تجعل الطفل يشعر بطول الزمان كالمسجون على حين ان بطء عمل الخلايا فى الكبير، يشعر المسن ان الزمان يجري بسرعة . ويظهر ان دورة الحياة لا علاقة لها

(8) قوله : ومقاييسنا للزمان يمكن ان لا يكون لها تعلق بالعالم فى مجموعه الخ . بيان ذلك ، اننا نقيس الزمان على حسب طلوع الشمس وغروبها ، وبعبارة اخرى حسب دوران الارض . فاذا كانت الكواكب الاخرى كالمريخ مثلامأهولة بمخلوقين عاقلين، يقيسون زمانهم ، فان قياسهم للزمان يخالف قياسنا ، هذا مع ان المريخ اذا قابلناه بالشعرى نجده قريبا منا . واذا واذا كان فى الكواكب التي تدور حول الشعرى عقلاء يقيسون الزمان ، فلا بد ان يكون قياسهم مخالفا لقياس سكان المريخ. واذا كان الزمان مرتبطا بالشمس بالنسبة الينا والى كل من يستضيء بها فى سائر الكواكب السيارة ، ان كانوا موجودين فقبل وجود الشمس كان الزمان معدوما ، وبعد عدمها سيكون كذلك . وكل ذلك يبرهن على نقصان علم الانسان وضيق معرفته . وصدق الله اذ يقول (انه كان ظلوما جهولا) .

9) قوله : لا هو ولا هي يستطيعان ان يحددا اليوم الرابع والعشرين من مايو بعد سبع عشرة سنة كما يفعل الجراد فى الظلام . تقدم فى المقالات السابقة ان الله الذي خلق فسوى وقدر فهدى قد وهب بعض انواع الحيوان من الغرائز والالهام ما يعجز عنه الانسان العاقل ، فسبحان الذي اتقن كل شيء خلقه.

مكناس — الدكتور تقي الدين الهلالي



خفف الوطء ما اظن اديم الار
ض الا من هذه الاجساد

وقبيح بنا وان قدم العهـ
ـد هواذ الاباء والاجداد

وتسمى المادة التي اشار اليها المصنف عند فلاسفة العرب، الهيولي. فكل مركب عندهم اذا تحلل يعود الى هيولاه. فالذي يتغير، انما هو المركبات بصورها واشكالها، واما الهيولي فلا تتغير ابدا.

2) ضرب المصنف المثل بعصا الديناميت، وبين ان عصا الديناميت اذا انفجرت تتحلل وتعود الى عناصرها الاولى فى لحظة قصيرة جدا لا تزيد على جزء من خمسة وعشرين الفا من الثانية التي هي جزء من ستين جزءا من الدقيقة. فتعلق الزمان بتعلق المادة وانتقالها من التصلب الى الهباء، انما بين الجزء الذي يقع فيه التحول من شكل العصا وتصلبها الى حالة الهباء، والزمان لم يؤثر شيئا فى ذلك التحول، وانما هو ظرف له. وقد يقال فى بادىء الراي، ان الزمان فيما يظهر يؤثر فى اجسام الحيوان، اذ بمروره تفنى تلك الاجسام وتنحلل. قال الشاعر العربي.

افنى الشباب تقلب الشمس

وطلوعها بيضاء صافية

وغروبها صفراء كالورس

فنسب الشاعر افناء الاجسام الى الزمان، ولكن علماء اللغة يجعلون هذا من المجاز العقلي، وهو اسناد الفعل او ما شابهه الى غير ما هو له، لان تقلب الشمس ليس هو الذي افنى الشباب فى الحقيقة، وكلام شعراء العرب فى هذا المعنى كثير.

3) ثم ضرب المثل بالجبل والذرات التي تتألف منها الصخور، واخبر انها لا تشعر بسجن فى وقت تركيبها فى صخرتها ولا بحرية فى وقت تفتت الجبل. والكتروناتها تدور فى افلاكها كما تدور الاجرام السماوية. فالزمان عندها سواء فى وقت التركب وفى وقت التحلل.

4) ثم ضرب المثل بالتقاط ءالة التصوير للصور فى لحظة قصيرة بالاهتزاز الذي يحدث تفاعلا كيمياويا معروف القدر تسجل به المناظر بالوانها وجمالها دون ان يؤثر ذلك على الذرات.

5) قوله ويظهر ان الاشياءالحية تقيس الزمان الخ يريد بذلك ان الحيوان العاقل وغير العاقل هو الذي يهتم بالزمان ويقيسه بالعصور، فالقرون، فالسنين، فالايام، فالساعات، فالدقائق، فالثواني، وهلم جرا، ولكنه يستعين بالجماد على قياس الزمان، ثم مثل لذلك بالانهار التي كانت جامدة فى العصر الجليدي ثم ذابت بعد ذلك وتركت طبقات من الصلصال تدل على السنين الماضية، فقد استعان الانسان على معرفة الزمان بالجماد. وكذلك يقال فيما ذكر بعده من طبقات الكلس التي فى سقوف الكهوف وما يعلو ارضها من الرواسب.

6 قوله، ولا تستطيع الكائنات الحية ان تدرك كنه الزمان الخ. امر واضح، لان الزمان محيط بالكائنات الحية، فيه ننشأ وفيه نفنى، فلا يمكن ان تحيط به علما، واذا كانت الكائنات الحية حتى اشرفها وهو الانسان عاجزة عن ادراك كنه الزمان، فكيف تستطيع ان تدرك كنه صفات خالق الزمان ومجريه، العالم باوله وءاخره ؟ وصدق الله العظيم اذ يقول : (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما). ثم سأل المصنف عن امكان صحة الراي القائل: اننا معشر البشر اذا انتقلنا الى الدار الباقية نقيس الزمان بالحوادث، لا بحركات اجرام الفلك. والجواب عن هذا السؤال (طارت به فى الجو عنقاء مغرب)، فمن ذا الذي يستطيع ان يجزم بالنفي او الايجاب، وهو بعد فى سجن الحياة ؟. والتفكير فى هذه المسألة من النهم الذي يصيب العلماء. وما اصدق الخبر القائل: منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب مال.

7) قوله : وقد تحصد مساحات شاسعات الخ. يقال احصد الزرع اذا حان وقت حصاده.

« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا »

« ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » .

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ، وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين » .

ذلك قليل من كثير مما صوره لنا القرءان من موقف اعداء الاسلام من ديننا الحنيف ، هؤلاء الاعداء الذين اصروا على محاربة الدعوة الجديدة التي استهدفت تقويض الاصنام البشرية والمصطنعة ، وحاربت الانحطاط العقلي ، والرجعية الروحية ، واعلنت للانسانية جمعاء ان عهد « الفكرة » قد اشرق اكمل ما يكون الاشراق ، ولكن الذين في قلوبهم مرض ، وفى غرائزهم انحراف ، وفى ارادتهم ضعف ، لم يرضوا عن تلك الدعوة التي ازالت لهم كل مبرر للزعامة والفت لهم كل شرعية للاستغلال ، وانزلتهم من بروجهم واستخرجتهم من قصورهم الى المستوى الذى يجب ان يتساوى فيه ابناء ءادم ، لا فرق بين ابيض واحمر واغنى وافقر .

ولهذ لم يكن من الممكن ان يظل هؤلاء الذين رزئوا فى زعامتهم ، وطعنوا فى شرعية استعباد اخوانهم ، وانزلهم الحق من باطلهم صامتين ينظرون ، ومكتوفين لا يعملون ، بل ان اخلاصهم لانحرافهم ، وايمانهم بشيطانهم لا يقلان قوة عن اخلاص المسلمين لاستقامتهم، وايمانهم بربهم فمنازلتهم الاسلام امر طبيعي ومنطقي . .اذ كان على الاسلام فى الناحية المواجهة ان يسلم نفسه للدفاع عن كيانه ، والذود عن حياضه فى خضم هذا الصراع الهائل بينه وبين اعدائه .

وتاريخ الاسلام من اول الدعوة الى الآن سلسلة من ذلك الصراع العنيف ، فلقد نازله المشركون واليهود والنصارى والمجوس والمغول والصليبيون ، ولم تقتصر محاربتهم له فى ميدان الوغى ، وانما كان نزالهم اعنف واقوى واخبث فى الميدان الثقافي والعقائدي ، فكم زورت على الرسول من احاديث ، وعلى الاسلام من افكار ، ولذلك راينا الامة الاسلامية تنقسم الى شظايا ، والشظايا تنقسم بدورها الى ان وصلنا الى امة تصل فرقها بل اممها الى رقم خطير . .

ولقد ظن الجنرال الفرنسي غورو ان هذا الصراع قد انتهى عندما وقف على قبر صلاح الدين الايوبي بدمشق وقال بكل حقد : الآن قد انتهت الحروب الصليبية ، كما ظن ذلك الجنرال الانجليزي عندما قال على قبر صلاح الدين ايضا : ها نحن قد جئنا يا صلاح الدين ، ولكن الحركات الاسلامية التي انفجرت فى كل مكان جعلت كلام هؤلاء وابناءهم لا يأخذ مركز النهاية ، وانما جعلته حلقة فى تلك السلسلة الطويلة غير المنتهية من الصراع بين الاسلام واعدائه .

وحياتنا المعاصرة ليست سوى حلقة من ذلك الصراع الخطير بين الحق والباطل والنور والظلام ، والفكرة والصنمية وان كانت الظروف العالمية الحاضرة قد ادخلت على ميدان الصراع الفكري والحضاري عوامل جديدة وسريعة من وسائل النشر والاذاعة والتقارب الزمني والمكاني لدرجة جعلت اجزاء الكرة الارضية اكثر التصاقا واتصالا ببعضها مما مضى .

وقد اقحم العالم الاسلامي ضمن هذا العالم وقدر له ان يدخل ميدانا جديدا من الصراع مع اعدائه التقليديين الذين تسلحوا بالعلم والقوة والوحدة ، فواجههم متفرقا ، ونازلهم وهو لا يملك ما يملكون وكانت النتيجة ان وجد نفسه يستسلم جزءا فجزءا ووجد ان الذين يستعمرونه هم اولئك الحاقدون على الاسلام منذ ان قوض لهم افكارهم وسفه احلامهم . . اي منذ بداية الدعوة . . ولمس فيهم تلك الروح التي لمسها اجداده فى اجدادهم فى الحروب الصليبية. . اذن ما ينتظر العالم الاسلامي من عدو قد ءامن اشد الايمان بشرعية محاربة الاسلام ، حتى اصبح هذا الايمان يكون له نسيجا لشخصيته ومركبا طبيعيا لنفسيته .

وقد اتيح للاستعمار ان يخطط البرامج الشاملة والدقيقة والبعيدة المدى لتحقيق آمال اجدادهم في تخريب العالم الاسلامي من ناحية الفكرة والمادة ، ولكن باسلوب جديد وخبيث ، ويتمثل هذا الاسلوب فى التوجيه الثقافي والعلمي الى النواحي التي تعوق العالم الاسلامي عن كل هدف حيوي ، وجعل المستوى فى اطار لا يتعدى « الثقافة الاهلية »

مستقبل الإسلام في المغرب

للأستاذ
عبد السلام الهراس

هذا موضوع يشغل بال الكثير من اخواننا الذين وهبوا غيرة على الدين واعتقدوا جازمين ان مشاكلنا هو بعدنا عن تحكيم ديننا والرجوع اليه جماعات وافرادا .

وهؤلاء يتساءلون : هل ما يزال هناك امل فى ان يعود الاسلام لهذا البلد كقوة تسود ضمير الفرد والمجتمع وتسيطر على جميع الاجهزة الاجتماعية والسياسية والحكومية ؟ وتصبح مصدرا لها فى السلوك والعلاقات العامة والخاصة ؟

ان التطورات العالمية والتيارات الالحادية التي اصبحت تجوب العالم بسرعة وقوة فائقتين اصبحت تهدم ما تبقى لهم من تفاؤل بعثته فيهم بعض المناسبات السارة والمواقف المثيرة ..

ثم مما يتعاون مع العوامل الخارجية على تهديم ذلك التفاؤل ما راوا فى حياتنا الحاضرة من انصراف الشباب عن تعاليم الدين ، ومن نفورهم من المساجد ، وتقليدهم الغرب فى مساوئه ، ومما يزيد تشاؤم هؤلاء صرامة وتعقيدا ما يشاهدون ايضا من عدم وجود تخطيط ثقافي عام يطبع الفرد بطابع الاسلام ويجعل المجتمع مكونا من عناصر متجانسة ، ومتوافقة ، ومتفاعلة بالفكرة الاسلامية ، ولذلك لم يجدوا مندوحة من الاستسلام الى اليأس والانطواء على النفس ، واعتزال الناس ، والابقال فى ادخال التشاؤم .

وهكذا خسرت الفكرة الاسلامية ما يمكن ان يقد مها هؤلاء من خدمات فعالة ، وهكذا فضلوا ان يطفئوا شموعهم بحجة ان الظلام يسود وانه لا غالب له ، وقد لمست مثل هذا اليأس والانطواء فى بعض رجالنا الافذاذ فى الشرق مما ضيع كثيرا من الامكانيات فى خدمة الفكرة الاسلامية .

وقد انزوى بعض هؤلاء الافذاذ فى بيوتهم يكونون ذخائر عظيمة يفخر بها التاريخ الاسلامي الحديث علما وفضلا وقد رغبهم فى الانزواء زيادة على ما تقدم ما لقوه من عقوق وجحود من اوساطهم .

ولكن هل استسلام هؤلاء الى الواقع المر يجب ان يكون سنة متبعة ؟ ويجب ان تتخذ حجة للاخرين لكي يفروا من الميدان ليتركوه خاليا لدعاة الافكار المعادية للاسلام ؟

ان الفرار من الميدان ، فيه اقرار بالهزيمة ، واعتراف بما قد يكون هناك من تزييف .

اننا مطالبون قبل كل شيء بالدعوة الى الفكرة بجميع الوسائل الممكنة اما النتيجة فهي على الله .

ثم اذا كنا نعيش معركة ثقافية خطيرة ضد الاستعمار فان هذه المعركة ليست بشيء جديد فى التاريخ الاسلامي ، وها هو القرءان الكريم يصف لنا بعض مواقف اعداء الاسلام منه ، قال تعالى : « وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . »

« ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم » .

الخصائص الأساسية في الشريعة المحمدية

للأستاذ محمد كمال شبانه

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس ، فأتاه رجل ، فقال : ما الايمان ؟ قال : الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث .

قال ما الاسلام ؟ قال : ان تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان .

قال : ما الاحسان ؟ قال : ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك .

قال : متى الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . وساخبرك عن اشراطها ...

اذا ولدت الأمة ربها . واذا تطاول رعاة الابل البهم فى البنيان فى خمس لا يعلمهن الا الله ، ثم تلا النبي (ص) : « ان الله عنده علم الساعة ... » الآية — ثم أدبر ، فقال النبي : ردوه ، فلم يروا شيئا ، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم » رواه البخارى فى كتاب « الايمان » بهذا اللفظ .

وقد روى هذا الحديث مسلم عن عمر بن الخطاب من عدة طرق مع زيادة او نقص ، وكذا رواه ابن ماجة والترمذى وغيرهم من اصحاب السنن مع اختلاف فى الروايات .

شرح الحديث

قوله : كان رسول الله (ص) يوما بارزا .

البروز : الظهور ، مأخوذ من برز اذ اخرج الى البراز وهو الفضاء .

وسبيل بروز النبي (ص) بين اصحابه انهم كانوا قد بنوا له مكانا عاليا يجلس عليه ، فيظهر ولا يلتبس بغيره ، ويدلك على ذلك ما جاء فى رواية أبي داوود والنسائي عن أبي فروة : « كان رسول الله (ص) يجلس بين اصحابه ، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو ، فطلبنا اليه أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب اذا أتاه ، قال ، فبنينا له دكانا من طين كان يجلس عليه » .

فانت ترى فى حديث أبي فروة انهم بنوا له مكانا عاليا يظهر به للغريب ، وفى حديثنا الذي نحن بصدده انه كان يوما بارزا وانه اتاه رجل . ومن بقية الحديث نعرف انه غريب ، وهو جبريل .

ويؤخذ من حديث أبي فروة انه يحسن ان يختص العالم بمكان يجلس عليه يكون به ظاهرا بين من يجالسهم . ولا بأس بان يكون مرتفعا اذا دعت الضرورة لذلك .

قوله : « فأتاه رجل » ظاهر من آخر الحديث ان هذا الرجل جبريل ، وانما قال : « رجلا » ولم يقل « ملكا » ، لانه كان فى صورة رجل حينما جاء الى النبى . ولم يذكر البخاري شيئا من الاوصاف التي كان عليها جبريل فى حديثنا الذى نقلناه عن البخارى ، ولكن مسلما فيما رواه عن عمر رضي الله عنه ، ذكر هذه الاوصاف حيث قال : « اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر » .

وقد وصلوا الى نتائج عظيمة فى تنفيذ برامجهم اثلجت صدورهم وجعلت احدهم يقول : لقد استولينا على افكارهم وارواحهم ، ولم تزل المحاولات تتوالى للاجهاز على الفكرة الاسلامية ، وما تزال فى كثير من البلاد الاسلامية هياكل ثقافية بناها الاستعمار ، وعند ما خيل الينا انه خرج كانت هذه الهياكل اشد ما تكون عملا وخدمة وتخريبا .

ولكن هل تسلمنا هذه الحقائق الى اليأس والعجز ، والانطواء ؟ وهل انتصار الباطل فى بعض جولاته يجعلنا موقنين بانه سيكسب الجولة الاخيرة ؟ لا ابدا .. خصوصا والتجربة القاسية التي مرت بها العقيدة الاسلامية فى تركيا تجعلنا اكثر يقينا من ان الفكرة الاسلامية متغلغلة فى النفوس ، وانها اصبحت تكون جزء طبيعيا من النفس « المسلمة » سواء فى المشرق او المغرب ، وهذه الطبيعة النفسية تبرز بشكل واضح هذا فى بلادنا ولن يخبفنا عليها فترات من الغفلة والذهول التي قد تعطل بعض حركاتها ، وتجعلها ضامرة وسلبية ، اذ انها رغم كل ذلك فان فيها قابلية الاستجابة الى دعوة الله ، وفيها عوامل اليقظة والانفجار ، فيها استعداد للاندفاع والبروز ، ومما بجلي ذلك الاستعداد ويبرز تلك الطبيعة المغربية الاسلامية بعض الظروف كالكوارث والتحدي للاسلام كما شاهدنا في « رد فعل » الظهير البربري ، الا ان دعاة الاسلام يجب انيستفيدوا من هذه الاستعدادات ويترصدوها ويحاولوا نفجيرها وننظيم حركاتها واندفاعاتها .

ومما يؤكد القول بان المستقبل للاسلام فى هذه البلاد هو هذا الفشل الذريع الذي منيت به الحضارة الجديدة عندما اعتمدت فى حل مشاكلها على القوة واصبحت تعتنق المبدأ القائل : البقاء للأصلح ، بمعنى الاقوى ، فالهبت القوة وصرفت الاموال الكثيرة فى سبيلها حتى طغى هذا المعبود وتجبر حتى اصبح خطرا حتى على عباده الذين تغيرت دوافع عبوديتهم له من رغبة الى فزع ، ثم ان فلسفة القوة مع انها لم تستجب لرغبة الأصلح بمعنى الاقوى فى السيطرة على العالم فانها ايضا كانت كارثة على الاخلاق مما فرض على الامم اتجاهات في السياسة والاقتصاد وغيرهما ابعد ما تكون عن الانسانية .

ولهذا فان فشل الحضارة المغربية في حل مشاكلها من ناحية ، وفى تزويدها ابناءها بسلوك اخلاقي يربط بينهم وبين البلاد المستعمرة والضعيفة من ناحية اخرى ، جعلت ابناء تلك الحضارة واتباعهم من البلاد المتخلفة يفقدون الثقة بها ، وقد اعلن بعض اولئك وهؤلاء الكفر الصريح بمبادئها وطبيعتها ، ولهذا كان على ابناء البلاد الاسلامية ان يبحثوا عن الحل الاخر ، وبما ان الطبيعة المغربية كما قلنا منسوجة على منوال الاسلام وبلحمته وسداه ، فان الاتجاهات التي ستحل مشاكلنا الاجتماعية لبست سوى الاسلام ، ولقد ابتدانا نلمس تحركات رائعة فى الضمير الاسلامي بالمغرب ، واصبحنا نشاهد ابناء هذا الدين يتداعون على الحق ، واصبحنا نشاهد والحمد لله فى الشعب المغربي المسلم استجابة قوية لداعي الله ولهذا الدين القيم بعد ان كنا نظن ان النفوس قد طال عليها الامد فقست ، وان بعض التجارب التي يقوم بها انصار هذا الدين جعلتنا موقنين بان المستقبل فى المغرب للاسلام .

واذا كانت الحروب الصليبية والترية والمغولية قد دفعت بعض المتشائمين الى ان يعتقدوا ان شمس الاسلام قد غربت ، فان الاحداث التي تمخضت عنها المقاومة الجبارة لتلك المناورات والاعتداءات ازالت عن شمس السلام مااعترضها من سحب ، وما اكتنفها من ظلام فسطعت من جديد ، واني لاعتقد ان اليقظة الجديدة للاسلام فى المغرب والعالم الاسلامي يقظة تحمل معنى جديدا ، انها يقظة جماعية من اجل اعادة بناء المسلمين على اسس اسلامية محضة ، بعيدة عن العقلية الخرافية التي كانت تقتل الحيوية والخصوبة والانتاج فى الفكرة الاسلامية ، واني اعتقد ايضا ان الوقت قد حان لكي يقوم المغرب برسالته الحقة فى الميدان الافريقي والعالمي ، فى نشر مبادىء الاسلام التي تتطلع اليها الانسانية ، ولهذا كان على المغرب ان يطبق الاقوال الكثيرة التي صدرت عن المسؤولين ، والتي يعبر عنها المسلمون فى كثير من احاديثهم ومناسباتهم فيما يخص تقويض اركان الجهاز الثقافي الاستعماري والاجهاز على ما تبقى له من اعمدة للتفرغ لرفع راية الاسلام خفاقة تستظل بها الشعوب الافريقية ، ويحملها ابناء عبد الله بن ياسين والمهدي ابن تومرت ...

تطوان — عبد السلام الهراس

والايمـان فى حديثنـا التصديق بوجـود الله ووحدانيته وانه متصف بكل كمال ، منزه عـن كـل نقص ، والايمان بالملائكة ، التصديق بوجودهم ، وانهم كما وصفهم الله عباد مكرمون ، لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . اما لقاء الله هنا فيراد به الموت ، كمـا يدل عليه فى رواية لهذا الحديث « وبالموت وبالبعث » وحينئذ لايكون فى الحديث تكرار كمـا ظـن بعضهم ، حيث جعل اللقاء داخلا فى مفهـوم البعث ، فيكـون مذكورا صراحة ثم ضمنـا .

والايمان بالرسل التصديق بكل ما يتعلق بهم من امور الرسالة ، فيشمل ذلك الايمان بأنهم رسـل الله الى الناس . وأن ما جاءوا به من تشريـع انما هو من عند الله ، وانهم صادقون فيما أخبروا بـه عن ربهم ، اما مالا يتعلق بأمور الرسالة فليس مطلوبا هنا ، فـلا تجب معرفتهم باسمائهم الا اذا نص عليهـا .

قوله : **« وتؤمن بالبعث »** البعث هو القيام مـن القبور ، اي نصدق بأن الناس سيحيون بعد موتهـم للحساب . وانما ذكر الايمان بجانب البعث هنـا ولم يجعله من عطف المفردات ؛ لأن المشركين كانوا شديدي الإنكار له حتى جعلوه علامة لكذب الرسل ، وقد ورد ذلك فى القرآن كثيرا ، كما فى قوله تعالى : « ااذا كنـا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون ؟ » الى غير ذلك . . .

وفى رواية لمسلم بدل أن تؤمن بالبعث « وتؤمن باليوم الآخر » وهذا أشمل ؛ لأن الايمان باليوم الآخر ينتظم الايمان بحدوثه وحدوث كـل ما يقـع فيـه ، فيشمل القيام من القبور والحساب والميزان والجنة والنار . وسياق الحديث يدل بظاهره على أن الايمان لا يتحقق الا بالتصديق بكـل الأمـور التي ذكـرت فى الحديث انها من الايمان ، مع ان الفقهاء اكتفوا باطلاق الايمان على كل من صدق بالله ورسله ، فمن فعـل ذلك قالوا عنه مؤمن ، ولا تعارض فى ذلك ، لان الايمان بالرسول يشمل الايمان بانه صادق ، وان ما جاء بـه من عند الله ، فيدخل فى ذلك جميع ما ذكر فى الحديث من مقتضيات الايمـان . . .

وقوله : **« الاسلام أن تعبد الله »** الاسـلام فى اللغة الانقياد والاذعان مطلقـا ، وشرعـا الانقياد لله بقبـول ما جاء بـه الرسـول (ص) بالتلفـظ بكلمـة الشهادتين ، والاتيان بالواجبـات ، والابتعـاد عـن المنكرات ، والاسلام بهذا المعنى : أعمال قولية وهـي الشهادة ، وغيـر قوليـة وهـي الصـلاة والصيـام والزكاة . . . الخ ما ذكر فى الحديث . وكمـا اطلـق الاسلام على ما تقدم فى لسان الشرع فقد اطلـق على دين الاسلام كله ايضا ، بما فى ذلك الايمان ، كما يفهم من قوله تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » وقوله: « ورضيت لكم الاسلام دينا » وقوله (ص) « ذاق طعم الايمان من رضي بالله تعالى ربا ، وبالاسلام دينا » .

ومن هذا نجد ان معنى الاسلام بالاطلاق الثاني يتفق مع ما قلناه فى الايمان الكامل المنجي لصاحبه من النار ، أما الاسلام بالمعنى الاول فهو العمل الظاهري .

وقوله : **« أن تعبد الله »** فى روايـة مسلم عـن عمر « ان تشهد ان لا اله الا الله ، وأن محمـدا رسول الله » بدل روايتنا ــ ان تعبد الله ــ وهذا يـدل على ان المراد بالعبادة هنا النطق بالشهادتين .

وعدم ذكر الحج فى اعمال الاسلام فى رواية ابي هريرة لايدل على انه لم يكن قد فرض فى ذلك الحين ، بل لانه نسيه او ذهل عنه . ففي رواية اخرى « وان تحج البيت ما استطعت اليه سبيلا » .

والمراد بالصلاة المذكورة الصلاة المفروضة ، وقد ورد تقييدها فى رواية مسلم لحديث عمر حيث قال : « والصلاة المكتوبة » ويـدل عليـه حديث السائـل للرسول عن الاسلام فقـال لـه فيما قـال : « خمس صلوات فى اليوم والليلة » فقال : « هل علي غيرها ؟ » قال : « لا الا ان تصدق » ، ثم ادبر الرجل وهو يقول: « والله لا ازيد على هذا ولا انقص » فقال عليه السلام: « أفلح ان صدق » .

قوله : « ما الاحسان » . يطلـق الاحسان لغـة على معنيين : أحدهما يتعدى بنفسه ، والثاني يتعدى بحرف الجر ، ومراد حديثنا « الاول » ؛ لأنه يرجـع الى اتقان العبادة ومراعاة الله ومراقبته ، كمـا يـدل عليه جواب الرسول بقوله : « ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » وجواب الرسول ينتظـم مقامين لمراقبة الله فى العبـادة

الاول : أن يعبد الانسان ربه متذكرا أن يـرى ربه بقلبه حتى كأنه يشاهده بعينه ، ومن يتذكر هـذا لايسعه الا أن يخلص فى عبادته ، باتمام الخشوع وفراغ

كذلك لم يذكر البخاري شيئا في حديثنا هـذا مما كان عليه جبريل حين سؤاله الرسـول ، وكفـى مسلما ذكر ذلك في رواية عبيد الله ابن معاذ العنبري ، التي وصلت في الاسناد الى عمر ،

حيث يقول : « جلس الى النبي (ص) فأسنـد ركبته الى ركبته ، ووضع كفه على فخذيه »

وعمل جبريل هذا مع النبي مما ينبه الى الاصفاء اليه ، ويبالغ في اخفاء امره عند اصحـاب الرسـول حتى يشتد الظن انه من جفـاة الاعـراب ، الذيـن لا يحسنون الدخول على الناس .

قوله فقال : « ما الايمان ؟ »

الايمان في اصل اللغة مطلق التصديق بالقلب ، وشرعا ورد بعدة اطلاقات :

1 ـ فهو حينا يـدل على اصـل الايمـان وهـو التصديق القلبي ، من غير تقييد بكونه مقرونا بالعمل، اي التصديق القلبي بما جاء به الرسول (ص) وذلك كما في قوله (ص) « يخرج من النار من كان في قلبـه مثقال ذرة من الايمان » وكما في قوله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفـردوس نزلا » فان الحديث استعمـل الايمـان في التصديـق القلبي ، والآية عطفت الاعمال الصالحة على الايمان ، فدل ذلك على ان الايمان غيرها ، فهو التصديق دون تقيـد بالعمـل .

2 ـ وجاء حينا بمعنى الايمـان الكامـل ، وهو المقرون بالعمل الصالح ، كما في قولـه تعالى « انمـا المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون » وكما في قوله عليه السلام ، اذ قال لهم « أتدرون ما الايمان بالله وحده ، قالوا : الله ورسوله اعلم ، قال : شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمد رسـول اللـه ، وايقـام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس » .

3 ـ وحينا يطلق الايمان ويراد : العمل ، كمـا في قوله تعالى « وما كان الله ليضيع ايمانكم » فقد انعقد الاجمـاع على أن المراد بالايمـان الصـلاة ، والايمان الكامل الذي هو التصديق والعمـل هو الذي ينجـي صاحبه من دخول النار ، لقوله تعالى : « ثم ننجـي رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين » واما اصل الايمان فهو يدخل الجنة ويمنع صاحبه من الخلود في النار ، كما يدل عليه حديث ابيذر « ما من عبد قال لا اله الا الله ، ثم مـات على ذلك الا دخـل الجنة » قلت : وان زنى وان سرق ! قال : « وان زنى وان سرق » . وقوله عليه السلام « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمـان » وعلى هـذا يكون المراد للذين قالوا : ان الايمـان مجرد التصديق الايمان الذي يمنع الخلـود . اما الذيـن قالـوا : ان العمل ركن من اركان الايمان فمرادهم الايمان الكامل ، اي التصديق القلبي والعمل الصالـح ، واما الذيـن يعملون اعمال المؤمنين ولكنهم لايعتقدون ولا يصدقون بقلوبهم فهم المنافقون ، الذين اخرجهم الله من زمرة المؤمنين ، وهم الذين ينطبق عليهـم قولـه تعالـى : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ، ولكـن قولـوا اسلمنا ... الآية » غير أن هذا الايمان القلبي لايمكن معرفته الا بدليل يدل على حصولـه ، وقـد بين لنا الرسول (ص) هذا الدليل بقوله : « امرت أن أقاتـل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم ، الا بحقهـا ، وحسابهـم على الله » ومن هذا نرى أنه جعل الاقرار باللسان شرطـا لاجراء احكام الايمان عليه ، اذ الاصل في الاحكـام ان تكون مبنية على الامور الظاهرة ، اذا كانت اسبابهـا الحقيقية خفية لا يمكن الاطلاع عليها ...

وعلى هذا يحكم بايمان من يتلفظ بالشهادتين ، سواء كان قائلها مصدقـا بقلبـه ، أم لم يكـن كذلك بالنسبة لاجراء الاحكام عليـه ، ولذلك نجـده عليـه السلام قد قال لاسامة حين قتل من قـال : لا اله الا الله ، معتذرا بأنه لم يقلها عن عقيدة : (هلا شققت عن قلبـه) ؟

اما بالنسبة لما يكون في الآخرة من خلود في النار او عدمه فيرجع الى معرفة الله بحقيقته ، ولذا قـال عليه السلام : « وحسابهم على الله » .

وحينئذ نرجع الى بيان الايمـان في حديثنـا ، فنجد انه الايمان القلبي الذي هو اصل الايمان ، ويدل على ذلك جواب الرسول عليه السلام لجبريل .

فمن ادعى علم شيء منها ــ غير مستند فى ذلك الى حديث على الرسول ــ كان كاذبا فى دعواه ، اما ظن الغيب فقد يكون .... ولكنه ليس بعلم ، وهو الذي نفاه الله عنا ، وقد روي عن ابن مسعود انه قال : « أوتي نبيكم عليه السلام علم كل شيء سوى هذه الخمس ، فاياكم ان تغتروا بما يرويه من لاثقة له بالعلم بشيء من هذا » .

وقوله : « جاء يعلم الناس دينهم » . يدل على ان الدين يطلق على ما هو اعم من الاسلام والايمان والاحسان ، وان جاء فى بعض الاطلاقات بما يرادف الاسلام ، واسناد التعليم الى جبريل مجاز ، لان الذي كان يجيب ويذكر التعاليم هو الرسول ، ولكن لما كان جبريل سائلا كان سببا فسمي معلما ....

أهم ما يستنبط من الحديث

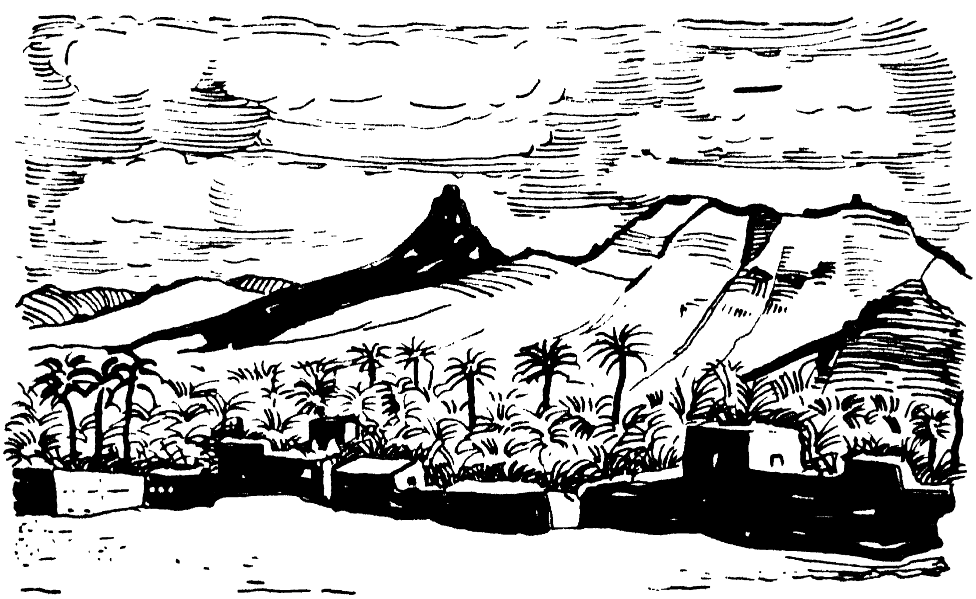
1) وجوب الوقوف عن الفتوى عند عدم العلم ؛ فان ذلك لا ينقص من جلال من توقف .

2) ان الملائكة قد اعطوا القدرة على التشكل باشكال ، مصداقا لقوله تعالى : « فتمثل لها بشرا سويا » وان جبريل ــ كما كان يتمثل للرسول بصورة دحية الكلبي ــ كان يتمثل بغير صورة دحية ؛ لاننا ذكرنا فى رواية الحديث ان جبريل أتاه فى صورة رجل حسن الهيئة ، لكنه غير معروف ، وكان دحية معروفا عندهم .

3) ان من الامور امورا اختص الله تعالى بعلمها ، فلا يصح فيها اللجاج ، وعلى رأس هذه الامور تلك المغيبات الخمس التي سلف ذكرها فى الآية المعروفة .

طنجة ــ محمد كمال شبانة

عضو البعثة التعليمية العربية بالمغرب



البال ، اذ من طبع الانسان الغفلة عن القيام بما يجب عليه لمن يحسن اليه ، ويثوب الى عقله فيجد فى عمله متى رآى من يحسن اليه ، وعلم انه بحضرته . وبالقياس على هذا متى تنبه بأن الله موجود ــ حتى لكأنه يراه بعين المشاهدة ــ جد فى اتقان العبادة حقا .

الثاني : افترض ان الانسان لايرى ربه ، فلا يجوز له ان يغفل عنه بأن الله يراه . والطفل اذا علم ان اباه يراه احجم حتما عن كل ما يشين ، واجتهد فى عمل ما كلفه به ابوه . والنفس الانسانية كالطفل تحتاج الى حوافز كما ترتاح الى المشجعات ، ورؤية الله لعبده متحققة للمقامين ، ولذا قال الامام النووي فى شرح هذا الحديث : « هذا من جوامع الكلم التي اوتيها النبي (ص) ؛ لأننا لو قدرنا ان احدنا قام فى عبادته وهو معاين ربه لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت ، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها الا اتى بها . فقال صلى الله عليه وسلم : « اعبد الله فى جميع احوالك كعبادتك فى حال المشاهدة » . وهذا موجود مع عدم رؤية العبد ، فيجب ان يعمل بمقتضاه . فتقدير الحديث : فان لم تكن تراه فاستمر على احسان العبادة فانه يراك ...

وقوله : **« متى الساعة »** ؟

متى ــ لا يسأل بها عن الذوات ، وانما يسأل بها عن الازمان ، وعلى ذلك يكون التقدير : متى تقوم الساعة ، اي : فى اي وقت تقوم الساعة ؟ .

وجواب الرسول عليه السلام « ما المسؤول عنها باعلم من السائل » يدل على ان ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه ؛ لقوله بعد « فى خمس لا يعلمهن الا الله » ، ولكنه مع ذلك اخذ يبين العلامات التي تدل على قربها ، فقال :

« وسأخبرك عن اشراطها » الاشراط : جمع شرط ، والمراد بالعلامات الدالة على حينها ، ثم بينها ، فقال :

« ان تلد الامة ربها » وفى رواية «ربتها» ، والمراد بالرب : السيد والمالك ، ولعل معنى ذلك احد أمرين :

1) ان السبي يكثر ، فيسبى الولد وهو صغير ، فيعتق ويكبر ويصير مالكا ، ثم تسبى الام بعد ذلك ، فيشتريها ويستخدمها استخدام الجواري

2) ويجوز ان يكون المراد بالرب المربي ، والمراد حينئذ : حدوث مثل هذه الحالة المستغربة التي تدل على فساد الاحوال وانعكاسها ، اي : ان الساعة يقرب قيامها اذا انعكست الامور ، فصار المربى مربيا ، والسافل عاليا ، وهذا مناسب لذكره صلى الله عليه وسلم العلامة الاخرى :

« واذا تطاول رعاة الابل البهم فى البنيان » .

البهم : جمع ابهم ، وهو الاسود ، او المجهول النسب ، وعلى ذلك يصح ان تكون وصفا للابل بالنسبة للمعنى الاول ، ويصح ان تكون وصفا للرعاة بالنسبة للمعنيين : مجهول النسب او الاسود .

ويمكن ان تكون البهم جمع بهماء وهي : السوداء، وحينئذ تكون وصفا للابل فقط ، وفى رواية أخرى « البهم » بالفتح وهو لا يتمشى مع ذكر الابل فى هذه الرواية ، حيث قال : « رعاة الابل البهم » لان البهم جمع بهمة ، وهي الصغير من اولاد الضأن والغنم ، وهو مما يضعف هذه الرواية ، نعم يجوز الفتح اذا لم تذكر الابل ، مما يتفق مع رواية مسلم « رعاة الشاء يتطاولون فى البنيان » .

قوله : **« فى خمس لايعلمهن الا الله »** يريد انها مغيبة عنا ، وقد جاء ذلك مصرحا به فى رواية اخرى « فى خمس من الغيب » وهذا يدل على انه لا مطمع لاحد فى علم هذه الخمس ، وهي المذكورة فى قوله تعالى : « ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الارحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس باي ارض تموت ، ان الله عليم خبير » .

كان ذلك منذ اربعين سنة (وانا اعرف الشخص الذي قام بهذا الدور متعمدا الكذب على الله والافتراء عليه وعلى الناس) بان قال لاحد كبار المستعمرين من الذين حصلوا على نصيب من الكتابة العربية والتهجي الاعرج على طريق الترجمة ، وكان الشخص القائم بهذه اللعبة الملعونة قد ادعى بانه شريف Noble والقى في روع صاحبه الاجنبي : بان كل شريف مذكور اسم اسرته في القرآن ، وكان اسمه دادي ثم جاء اليه بمصحف كبير ففتحه على الآية ــ التي صادف ان كانت بآخر الصحيفة ــ وهي قوله تعالى : (عند ذي العرش المجيد) وكانت نقطة الذال باهتة او ازالها بالفعل ــ وأراها له واضعا طرف احدى يديه على الحرفين (العين والنون) فقرأ النصراني (ددي العرش المجيد) ولما كان الاجنبي لا يعرف القراءة جيدا ــ او لا يفرق ما بين (دادي الاسم ــ ولا (ددى) المختزلة ، صدقه مندهشا مع تقديم خالص التحية واحتراماته الشخصية بعد ما ترجم له بان احد اجداده كان ذا عرش مجيد ، وصاحب ملك كبير. وهناك شخص آخر (آخر عينه من هذا الطراز) كنت اعرفه واعرف صاحبه اجنبي ، وكان من كبار المحامين يدعى : مسيو كوك Coq يود ان يختلط بالمسلمين العرب ، وهو يتحبب اليهم كثيرا ليتعرف عنهم وعن عقائدهم وعوائدهم اكثر فاكثر (لحاجة في نفس يعقوب) ومن جملة ما عرف عن القرآن : ان كل شيء ــ مما كان ويكون ــ موجود في القرآن ، ولا يفهم من هذا التعميم الا ان اسماء الاشخاص مذكورة في القرآن ، فقال لصاحبه العربي ــ الاندبجان ــ وهو يحاوره : الا تجد لي اسمي مذكورا في كتابكم ؟ فاجابه ان نعم ، ثم سعى ليأتي اليه بالمصحف مع احضار نصيب من الطيب والبخور ليريه الاسم المطلوب ، بعد ما استعد لذلك . واضعا طرف كفه على الحروف الثلاثة ــ الواو والتاء والراء ــ كما وضعها اخ له من قبل ، فامكن لهما ان نقرا جميعا (كوك قائما) بعد ما حجبت الحروف المطلوبة سترها من قوله (وتر) ثم افهمه بان معنى « كوك قائما » اي قائما باعمال المسلمين ومصالحهم فشكر له ذلك والحقه بمكتبه الخاص لشطارته وغزارة علمه .

والى عهد قريب كان الناس الذين عاصروا زمن الحكايتين يتحدثون بهما ويتندرون قائلين : ان هذا الشاطر او ذاك ضحك كل منهما على ذاك النصراني المغفل .

وما درى ان هذا النصراني هو الذي ضحك على دقنيهما لغباوتهما عند ما كان يتغابى حتى يمكنه ان يطلع على الاسرار والخفايا فيراسل بذلك الجرائد والمجلات الغربية ، او كتابا يدر عليه الارباح .

وبمثل هذا الالعاب الف احدهم كتابا ــ وكم كتبوا والفوا ــ سماه (العقائد والعوائد والفوائد)طبع بالجزائر وفيه ما يندي له الجبين من المساخر ، من العقائد والعوائد .. وهو وحده الذي جنى الارباح والعوائــد .

نثبت هذا للتاريخ ، والاسى يملأ قلوبنا باحر الزفرات ، كلما علتنا ذكريات الايام الخوالي من التاريخ البغبض ، لا اعاده الله ولا اعاد ايامه السود بفضل رجالاته الغر الميامين ، وفتيان الاسلام المجدين في ميادين العز والمجد من ابناء يعرب وقحطان .

هذا وقد تذكرت بهاتين الحكايتين ما قراته في تفسير الامام السلفي المرحوم جمال الدين القاسمي ناصر السنة وقامع البدعة في مرابع الشام الخضر، في تفسيره المطبوع بالقاهرة قريبا في سبعة عشر جزءا ، والحكاية بنصها كما يلي :

سأل بعض الملحدين بعضهم عن طبخ الحلواء اين ذكر في القرآن ؟ فقال في قوله تعالى : (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) .

ثم استطرد ــ في هذا الموضوع ــ حكايات ، منها الفث والسمين ، وذلك بالجزء السادس من تفسيره « محاسن التأويل » عند تعرضه لتفسير آية (ما فرطنا في الكتاب من شيء) سورة الانعام .

وفي تفسير المنار للشيخ محمد رضا حكاية مماثلة جاء بها عند تفسيره لهذه الآية ، واليك هي ، لنطلع على ما لم نعلم ، للعبرة والاتعاظ :قال (ومن الناس من قال : ان القرآن قد حوى علوم الاكوان كلها ، وان الشيخ محي الدين بن العربي وقع عن حماره فرضت رجله ، فلم يأذن للناس بحمله الا بعد ان استخرج حادثة وقوعه ورض رجله من سورة الفاتحة .. وهذا القول لم يقل به احد من الصحابة ، ولا علماء التابعين، ولا غيرهم من علماء السلف الصالحين ، ولا يقبله احد من الناس الا من يرون ان كل ما كتبه الميتون في كتبهم حق ،وان كان لا يقبله عقل ولا نقل ، ولا تدل عليه اللغة، بل قال ائمة السلف : ان القرآن لا يشتمل على جميع فروع احكام العبادات الضرورية بدلالة النص ولا الفحوى ، وانما اثبت وجوب اتباع الرسول (ص)

أضواء على آيات قرآنية

للأستاذ حسن بغدادي القادري

- 3 -

البحث الثاني :

قال الله عز وجل : (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) سورة الانعام ، الآية 28 ، ان هذه الآية الكريمة وامثال امثالها مما سبق او ياتي ذكره فى بحوتنا التي اخترنا ادراجها تحت العنوان اعلاه ، وذلك من الآيات التي اشكل امرها والتبس فهمها على بعض المفسرين ، فاختلفت فيها الآراء والانظار بالترجيح والتصويت ، وتعددت المفاهيم ، بالوجهين او الوجوه، وقد يتعدى تفسيرها من الواضح البين ــ الذي هو الحق والصواب ــ الى تفسيرين او اكتر مما ياتي به الروايات المختلفة ، فنرى بعضهم يقدم هذا الوجه او ذاك ، مما يراه احدهم احق واولى بالتقديم والتصويت فى حين يراه الآخر بالعكس ، فيؤخر ما يستحق التقديم ، ويقدم ما يستحق التاخير او الرفض تصويبا واستحسانا . وذلك حسب تمكن المفسر وتعمقه فى العلم والفهم ، وما عنده من استعداد للبحث والاستطلاع ، وقد يكون ذلك تبعا للميولات الخاصة من المشارب والمذاهب ، وهذا شر انواع التفسير ، واضرها بالعقل ، واضلها للفكر ، وبالاخص قاصر الفهم الذي لا يستطيع ادراكا ولا يهتدي سبيلا، وقد يفتتن هذا بالاشخاص المقلد رايهم فيصبح من المقلدين الذين لا يهتدون ولا يرعوون .

ان هذه الآية الكريمة : (مافرطنا فى الكتاب من شيء) لا يفهمها كثير من الناس ــ ان لم نقل جلهم ــ الا على احد الوجوه التى فسرت به الآية وعرفت به لديهم ، من ان (الكتاب الوارد ذكره فى هذه الآية هو القرآن الكريم ، حسبما شاع وذاع ، وتقرر فى الاذهان منذ امد بعيد ، وكذا قوله (من شيء) ، فالشيء عنده على حقيقته للاستغراق والشمول بعلم كل شيء ولا يخرج عنه شيء ، على ان صاحب هذا الفهم لو تامل قليلا لكان هذا حقيقة (الكتاب المبين) الذي يراد به اللوح المحفوظ ، لا للقرآن الذي يكون استغراق فيه مجازا كما جاء فى قوله تعالى فى صورة النحل (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) .

ولكنه هكذا فهم ــ وهو لا يريد ان يفهم ما سبق له ان فهم ــ فهما لا يبغي ان يحيد عنه ولا يريم ولو جئته بالادلة الساطعة كالشمس ، ولسان حاله ينشد:

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى
فصادف قلبا خاليا فتمكنا

حتى ان بعضهم يتكلف شططا فيرهق نفسه ، ويجهد فكره واعصابه تمحلا ليجد فى القرآن حتى اسم دابته وعلفها ، حتى اذا لم تسعفه الالفاظ ذهب ليجدها بحساب « الجمل » الابجدي او ياخذ بعض الحروف من اوساط الكلمات واطرافها عسى ان يعثر على ما يبتغي .

وقد ياخذ احدهم شيطانه فيتعمد انتهاك حرمة القرآن وقداسته ، ليظهر للناس شطارته بانه يستطيع ان يجد كل شيء ــ او ما يبتغي على الاقل ــ فى القرآن من اسماء الناس والحيوان حتى اسم شخصيته المحترمة ، واسم حاكمه المستعمر ليجد عنده حظوة.

روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يقول : مالي لا العن من لعنه الله فى كتابه ــ يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة والمسترصلة ، فجاءته امراة ــ وقد قرات جميع القرآن ــ فقالت : يا ابن ام عبد ، تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم اجد فيه لعن الواشمة والمستوشمة ، فقال : لو تلوته لوجدته ، قال الله تعالى : (وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وان مما اتانا به رسول الله انه قال : لعن الله الواشمة والمستوشمة .

واما ما جاء فى سورة الانعام من هذه الآية الموضوعة الآن على بساط البحث ــ وهي قوله تعالى: (مافرطنا فى الكتاب من شيء) فالموضوع يختلف ، والمقام غير المقام ، وان « الكتاب » هنا يطلق على القرآن ، وقد يطلق على غيره ــ كما ياتي قريبا ــ وكذلك قوله (من شيء) فانه فى هذه الآية وارد على حقيقته استغراقا وشمولا ، لا يند عنه شيء ، ولا يخرج منه اى شيء مما كان او يكون ، فى ظلمات البر والبحر ، فى السماء والارض وما بينهما وفيهما من رطب ويابس ، كل شيء فى « كتاب مبين » وهو اللوح المحفوظ المعبر عنه فى آيات اخرى ب « ام الكتاب » وب « امام مبين » .

وهذا الموضوع قد تكرر فى القرآن مرارا فى نحو عشرين آية باساليب مختلفة ، والفاظ متقاربة ، وكلها ضارب على وترة واحدة ، ومورد واحد ، والجميع مساق لبيان حقيقة واحدة من شؤون علم الله الغيبي ، وقدره الازلي ، وعلمه الشامل المحيط بكل شيء ، وان ما من شانه من كل ما كان وما يكون الا وهو مسطر عند الله فى كتاب احصى فيه كل شيء من مقادير المخلوقات وارزاقهم وموالدهم ، وآجالهم واعمالهم ، ما قل وجل ، ما طار وما نزل ، ما استقر فى الارض وما سكن ، ما ظهر من الكون وما بطن ، حتى ما انزله الله على انبيائه ورسله من سر وحيه ، ومسطور كتابه ، وكل منها فى كتاب مكنون مصون محفوظ ، اجلها واعظمها القرآن ، آياته بينات،وكلماته مجليات ، ولفظه واضح مشرق ، يفسر بعضه بعضا فى كثير من آياته واحكامه .

اليس قوله تعالى فى سورة الانعام (وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء) ؟ هي نظير ما جاء فى اول سورة هود (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين) ومثلهما ايضا فى سورة الانعام ــ مرة اخرى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) .

اما ما استظهره الرازي من ان المراد بالكتاب : « القرآن » واحتج بان الالف واللام اذا دخلا على الاسم المفرد انصرف الى المعهود السابق ، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن .

اقول : ان هذا ليس بصحيح ، فكم من مرة جاء فى القرآن « كتاب » معرفا كما قال ، ومع ذلك يدل على شيء آخر مثل قوله تعالى : (قال اني عبد الله آتاني الكتاب) وقوله : يسالك اهل الكتاب) وقوله : « كان فى الكتاب مسطورا » وقوله « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها » وقوله «فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم » وقوله وان فريقا يلوون السنتهم بالكتاب ، لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب » وقد تكرر الكتاب فى هذه الآية ثلاث مرات ، ولكل واحد معنى يخالف الآخر :

ــ فالاول ــ ما كتبوه بايديهم ــ وهو المذكور فى قوله تعالى « فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم »

ــ والثاني ــ التوراة .

ــ والثالث ــ لجنس كتب الله ، ومثله قوله تعالى فى سورة يونس : « وما كان هذا القرءان ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين » فانما اراد بالكتاب ها هنا : ما تقدم من كتب الله دون القرءان ، الا ترى انه جعل القرءان مصدقا له .

وكذلك قوله : (فالذين آتيناهم الكتاب) اي القرءان وغيره بالحجج والعلم والعقل ، وقوله : (قال الذي عنده علم من الكتاب) اريد به : علم الكتاب، وقيل : علم من العلوم التي ءاتاها الله سليمان فى كتابه المخصوص ، وبه سخر له كل شيء.

وقوله : (وتؤمنون بالكتاب كله) اي بالكتب المنزلة فوضع ذلك موضع الجمع ، لكونه جنسا

فصار دالا على كل ما ثبت فى السنة ، واثبت قواعد القياس الصحيح ، وقواعد اخرى ، فصار مشتملا على جميع فروعها وجزءياتها ، ولا يخرج شـيء من الدين عنهـا) .

وان قبول الناس للخرافة المزرية عن ابن العربي هى التى جرات مثل مسيح الهند احمد القادياني على ان يقول ذلك التفسير الذي فسر به الفاتحة ، وزعم انه معجزته الدالة على كونه هو المسيح المنتظر ، وكله لغو وهذيان ، ومن اغربه زعمه ان اسم الرحمن فى الفاتحة دليل على بعثة خاتم الرسل محمد (ص) ، واسم الرحيم دليل على بعثته هو .. ا هـ ج 7 من تفسير المنار ص 395 ط الثالثة (دار المنار) .

اعود فاقول : لا نكران ان الآية (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) قد فسرت بالوجهين من كون « الكتاب » هو اللوح المحفوظ ــ كما فسره المحققون من العلماء قديما وحديثا ــ وقد اعتمدوه واقتصروا عليه ، حيث راوا ذلك الفهم هو الحق وانه اكثر صوابا واقوم قيلا لعدم تكلفهم التأويل الذي يرغب عنه السلف ما وجدوا لذلك سبيلا .

او ان « الكتاب » الذي جاء فى الآية هو القرآن ــ كما فهمه الآخرون وفسروا الآية مضطرين الى ارتكاب التأويل فى ان « من شيء » فى الآية مجاز ، وليس الشيء فيها من عمومه وشموله ، حيث ان القرآن ــ كما شهد به الواقع ــ لا يوجد فيه كل شيء منصوصا عليه لا باللفظ ولا بالتلويح فذهبوا يؤولون من هنا ومن هناك ليستقيم لهم الفهم الذي ذهبوا اليه معضدا بالروايات الواهية ، والاوهام الخيالية .

وفى القرآن ــ والحمد لله ــ ما يغني عن تأويل المؤولين ، وفلسفة المتنطعين ، وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى فى سورة النحل (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) .

فليكن التفسير هناك بما يناسب التبيان وتنزيل الكتاب على الرسول الكريم ، والكتاب هنا هو القرآن قطعا لا شك فيه ولا ريب .

هذا وغني عن البيان والتدليل ان نقول : ان القرآن ــ وهو كتاب الله الخالد ــ فيه حقائق وتفصيل كل شيء مما يتعلق بسعادة البشر واسعادهم فى الحياة والمعاد ، ما فرط فى شيء ، ولا اهمل شيئا من طرق الهداية الا ارشد اليها ، ودلل عليها ، وفيه تبيان كل شيء من اصول الدين والخبر ، وامهات الفضائل والاخلاق ، واسس الاحكام وقواعد الدين ، عقيدة وشريعة ، فيما يرجع الى الخالق تعالى فى توحيده وربوبيته ، والى المخلوق فى حقوقه ومعاملته، وكل ما يصلح حاله ومئاله ، فى دينه ودنياه .

ومن هذه الناحية جاء الاثر : ان القرآن لا تنقضي عجائبه ، ولا تنتهي غرائبه ، فيه نبأ من قبلنا وخبر ما بعدنا ، وكل ما تقتضيه المصلحة او يتطلبه التشريع . وهذا ما يستفاد من قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) .

حقيقة ان كلمة (شيء) فى هذه الآية ليست على حقيقتها ، بل هي مجاز (قطعا) فلا يعم الاشياء كلها بحيث لا تخرج شيء من الاشياء .

وهذا التعبير جاء على ما تعرفه العرب من لسانهم وطريقة استعمالهم وتفننهم فى اساليب الكلام وبراعة الخطاب ، بلاغة وتلحيما . ومبالغة التهويل والتكثير ، ذلك فنهم ، وتلك طريقتهم . وذلك ما يعرف او يعلم بالقرائن الدالة ، والحقائق الكاشفة التي يفصح عنها الواقع الملموس ، او الامر المحسوس.

ومن ذلك قوله تعالى فى سورة النمل : (واوتيت من كل شيء) مع ان بلقيس لم تؤت مثل ما اوتي سليمان وانما المراد المبالغة فيما اوتيته ملكة سبأ من متاع الدنيا فى كل ما يحتاج اليه الملك المتمكن ومن هذا النوع فى القرآن كثير لمن يستقريء ويتدبر.

والقرآن تبيان لكل شيء وفيه كل شيء من كل ما يقتضيه انزاله ، وتتطلبه مقاصده العليا من أمور الدين ، وبيان احكامه نصا على بعضها ، واحالة على السنة حيث امر الله فى القرآن باتباع الرسول وبطاعته فى كل ما امر به ونهى عنه ، فيكون ذلك من القرآن ، قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

عدالة الشريعة الاسلامية

للأستاذ : احمد الزيدي

ان لكلمة العدالـة تقديسا واجـلالا فى افـواه البشر ، وفى الفطرة الانسانية السليمة ايضا ، وقـد شهد الواقع بذلك فى الطبائع الآدميـة على تفـاوت طبقاتها واعصارها وتباين بلدانها واختلاف السنتهـا واجناسها وعلى تخالف كثير او قليل فى فهم العدالـة نفسها ، وكثيرا ما يسمع من احد المتنازعيـن — وقد صدر ضده الحكم التسخط والتاسف ، متهما الحاكم باهانة العدالة وهضم حقها فى جانبه .

وقد يكون الامر كذلك فيما اذا وقع انحراف فى تطبيق العدالة ، او كانت بنود القانون من بنـات الافكار البشرية ، التي هي عرضة للاخطاء والسهو ، او روعى فى وضع القانـون صلاحيته لامـة خاصة ، اعتبارا بوضعها الخاص .

فمن الاحسن لسعادة البشرية جميعها وجـود قانون قد استمد فصوله من العدالة الحقة ، المعصومة من الخطا ، ليكفل للافـراد والجماعـات حرمتهـا ونظامها ، حتى لا نهدر الحقوق ، ولا تسود الفوضى ، وينال الكل ما له من الواجبات ، ويحترم — عن طيب نفسه — ما لغيره من الحقوق ، اينما حل وارتحل مـن الكرة الارضية التي قد يصير سكانها فى يوم ما — بفضل التقدم العلمي — كعائلة واحـدة ، او كامة واحدة ، فمن المعلوم انه لا بقاء لامة بلا عـدل ولا نظام ، بـل الحيوان والمعدن والسموات والارض ، لا قيـام لها الا بالعـدل والنظـام .

ونحن الآن نعيش فى النصف الثاني من القـرن العشرين ، الذي خطت فيه الانسانية خطوات واسعة فى التقدم العلمي والفكري ، وقطعت فيه اشواطا كبرى فى طريق الرقي المادي ، وبلغ النوع البشري فى الميدان الاختراعـى الى حـد محاولـة اختـراق الاجـواء ، والطمع فى غزو الكواكب السابحة فى الفضاء ، غير اننا لم نسمع من حاول ان يشق غبار الشريعة الاسلاميـة فى خلق قانون يفوز بالصلاحيـة لتحقيق حاجيـات المجتمع البشري فى الميدان العدلي ، ولم نر مثـل الشريعة الاسلامية فى تحقيق ذلك ، على اختـلاف الازمان ، وتباين الافكار وتباعد الاقطار ، ولم نـر مثل الشريعة الاسلامية فى اجتثاث واستئصال كل ما قد نتعثر به العدالة فى طريقها الـى القيام بمهمتهـا ، او يكدر صفوها من الاعتبارات الدينيـة او العاطفية او القرابة او غيرها ، مـن الامور التي اعلـن الاسـلام اهدارها — فى جانب العدالة — منذ اربعة عشر قرنا .

لقد اثار المشركون حفيظة المسلمين بالتصـدي لهم بالمنع — ظلما وعتوا — فى واقعة « الحديبية » من ممارسة الشعائر الدينية ، ومزاولة مناسك العمرة ، وقد كان من الطبيعي ان ينتقم المسلمون — عنـد القدرة — رادين على الاعتداء بالمثل ، قضـاء لحـق المظلومية ، وارضاء لغريزة التشفي .

ولكن القرءان ذكرهم بان روح الاسلام الكريمـة تحتم الضرب عن كل ذلك صفحا ، ويلفت نظرهم الى وجوب الوفاء بحق اداء الشهادة لله ، واحترام جانب العدالة ، واطراح كل ما تقتضيـه طبيعـة الشنئـان والبغض لقوم ، ويلفت القرءان الكريم نظرهم الى وجوب سد كل المنافذ التي قد تتسرب منها عواصف تطفىء نور العدالة ، او عوامل تفل الشهادة لله .

ويعتبر القرءان كل ما خالف ذلك مـن قبيـل الاعتداء الذي لا تعترف به ولا تقره الشريعة الاسلامية ، ويعلن ان الواجب يقتضي التعاون على البر والتقوى الذي كان من ابرز مميزاتها — فى نظر الاسلام — الاخذ بيد العدالة ، وسد باب الملاحظات التي تعرقل السير فى سبيل نصرة الحق ، وان التقصير فى شيء من ذلك معدود — فى راي الشريعة الاسلامية — من قبيـل التعاون على الاثم والعدوان الممقـوت فى ملة الاسلام ، وبالتالي تعتبر الشريعـة المتهاونين فى امر القيـام بالعدالة كما يجب ، قد تعرضوا لشدة عقاب الله تعالى الدنيوي والاخروي ، اقرأ هـذا باعتبـار وامعـان فى

كقولك : كثر الدرهم فى ايدي الناس ، والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابكم ، انتهى من مفردات الراغب الاصبهاني بزيادة وتصرف .

وقد جاء فى كتاب « الوجوه والنظائر » لقاضي القضاة محمد بن علي الدامغاني ، وكتاب « نزهة العيون النواظر فى الاشباه والنظائر » لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (مخطوطان) كل منهما فى باب « الكتاب » قال ابن الجوزي : ذكر بعض المفسرين : ان الكتاب فى القرءان على احد عشر وجها :

احدها : (اللوح المحفوظ) ومنه قوله تعالى فى الانعام « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » .

والثاني : (الكتابة) ومنه قوله تعالى فى ءال عمران (ويعلمه الكتاب والحكمة) .

والثالث : (العدة) ومنه قوله تعالى فى البقرة « حتى يبلغ الكتاب اجله » .

والرابع : (التوراة) ومنه قوله تعالى فى ءال عمران « يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم » .

والخامس : (الانجيل) ومنه قوله تعالى فى ءال عمران « يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » الى ءاخر الوجوه التي ذكرها الدامغاني وابن الجوزي ، وقد اقتصرنا على خمسة منها — وهي ما جاء فيها ذكر الكتاب معرفا ب « ال » والباقي غير ذلك مما لا يدخل فى باب الاحتجاج به على الرازي المستظهر بان « الكتاب » ب « ال » فى القرءان لا يطلق الا على الفرءان ، وكفى ما به الحاجة .

ولهذا البحث تتمة نأتي بها فى العدد الآتي — ان شاء الله — وسنذكر فيه ما جاء فى القرءان من الآيات المماثلة لآية (الانعام) المذكورة اعلاه فى مطلع البحث الثاني ، مع اقوال مشاهير المفسرين ، ودلائل اخرى ، فالى اللقاء بتوفيق الله تعالى . (*)

— يتبع —

الرباط — حسن بغدادي القادري

ملاحظة : صدر البحث الاول وكان لازما فى آخره بكلمة (يتبع) ليلعم القارىء ان لذلك البحث بقية، وكان من ذلك فى النفس شيء لعدم اتمام البحث مدعما بالادلة والشواهد القاطعة على ان الاية لا علاقة لها بالمصحف المعروف ، ونهي المحدث عن مسه ، وانما النهي جاء فى السنة النبوية كما ورد ، وذلك ما اثبتناه فى تتمة البحث المنشور بالعدد الموالي ، مرحبين بما تجود به قرائح المنتقدين ، ونفثات المعترضين عما نشر او ينشر فى باب (اضواء على آيات قرءانية) ، خدمة للحقيقة ، وبيانا لما هو اولى واحق ، وكل ذلك من باب التعاون على البر والتقوى من غير اثم ولا عدوان ، مذعنين شاكرين .

كذلك نلاحظ للخطأ المطبعي الواقع فى العدد الموالي من كلمة « والانزلاق » من السماء ، وصوابها : (والانزال) الصفحة 24 العمود الثاني السطر 18 . وربما يكون غير ذلك من الاخطاء التي تقع رغم الارادة عند الطبع بعد التصحيح الاخير ، راجين من القارىء اللبيب اصلاح ذلك مع الاعتذار وتقديم خالص الشكر .

صاحب المقال

بعض اعيان المسلمين الذين يرومون الانفلات من قبضة العدالة ، والتقصي عن حد من حدود الله ، واقسم بالله ان لو سرقت بنته وفلذة كبده فاطمة لقطع يدها ارضاء للعدالة ، وقد قال عليه السلام فى هذا الصدد على ما رواه الشيخان وغيرهما ، انما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، اما نظر الشريعة الاسلامية بالاجلال والتعظيم لمن بر بالعدالة وتوخى رضاها من الحكام ، فقد ورد فى ذلك ءايات كريمة واحاديث نبوية فى الوعد لهم برحمة الله ورضوانه ، كثيرة ، فمن ذلك قوله تعالى « وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ، ان الله يحب المقسطين » وقوله عليه الصلاة والسلام ، على ما روى مسلم وغيره ، ان المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمان ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا .

وقد نظر الاسلام بنظر شزر الى المتهاونين بشأن العدالة واعد لهم عذابا اليما ، فمن ذلك قوله تعالى : « اما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » ، وقوله عليه الصلاة والسلام كما رواه الشيخان ، ما من عبد يسترعيه الله رعيته يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة .

ان كل من نظر ودرس عدالة الشريعة الاسلامية يكون مضطرا الى القطع بان المسلمين لو حافظوا عليها كما ينبغي وطبقوها كما يجب ، لكانوا حكام الامم جميعا ، ولصاروا سادة العالم باسره .

كيف لا وهي من وضع الله الذي خلق العوالم فقدرها تقديرا وكان بمصالح عباده خبيرا بصيرا وليس لمحمد بن عبد الله فيها الا تبليغها بكامل الامانة كما امره ربه ، فالبشر مهما ارتقوا الى اعلى الدرجات فى سمو التفكير واوتوا من العلوم اوفر الحظوظ وحاولوا وضع القوانين ، فلن تعدو ان تصلح – على فرض صحتها – الا لامة خاصة لها طبائع وعادات خاصة وفى مكان وزمان خاصين .

فليت شعري كيف يسمح امرؤ – ينتسب للاسلام – لنفسه بارتياد عدالة من غير عدالة الاسلام ، او كيف يقال انه مومن بالله وبرسوله وانه حسن النية يريد بامته تقدما ، ويروم لها اصلاحا وهو يرضى بحكم غير حكم القرءان ، او يستمد قانونا من سوى كتاب الله العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد افحكم الجاهلية يبغون ، ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون .

ءاية مــن ءايات سورة المائدة ، وهي قوله تعالى « ولا يجرمنكم شنئان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب »

على ان شريعة الاسلام لم تقف عند هذا الحــد فى ميدان تحقيق الحق وابطال الباطل ، بل ذهبت الى ما هو اوسع من ذلك ، فهي تقتلــع جــذور الجور ، وتجتث عروق الحيف وتبيد جميع الطفيليات التي قد تنال من ترعرع شجرة العدالة ، وامتداد عروقها ليثبت اصلها ، وتصعد الى السمــاء فروعها ، ويمتد ظلها ، وتوتي سلطتها كل حيــن .

لقد فرضت العدالة الاسلامية رقابتها حتى على الضمائر ، ونادت قلوب المومنين طالبة الاستواء على ساق الجد والتيقــظ فى القيــام بالقســط ، واداء الشهادة على وجهها الواقعي ، وبكيفية ترضي اللــه وترضي الضمير ، لا على المشهــود عليه فقط ، بــل وعلى ذات الشاهد ، وعلــى نفسه التي بين جنبيه ، وعلى امه وابيه واقاربه الادنين ، وان داعي الايمــان يوجب التصريح بالواقع المر ، من الشهادة على النفس، وعلى الوالدين والاقربين ولو كانت النتيجة ستنتهي الى الاعدام وانهاء هذه الحياة ، ورضوان من الله اكبر.

فمن اعظم واجبات النظام الاسلامي — فى بساط القيام بحق العدالة واداء الشهادة — تناسي الاعتبارات كلها ، التي منها التماس رضى الغني لغناه ، او مراعاة عاطفة الشفقة على الفقير لفقره ، بــل الواجب هــو الانسحاب من ميادين هذه الاعتبارات كلها ، وتــرك شأنها لله وحده ، فهو اولى بالجميع ، وانمــا نحــن مأمورون بارضاء جانب العدالة ، ومجانبة اتباع الهوى الذي قد يضلنا عن الحق وينكبنا طريق الصــواب ويقودنا الى هاوية الحيف .

يقول الله تعالى « يا ايها الذين ءامنوا كونــوا قوامين بالقسط شهداء لله ولــو علــى انفسكــم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيــرا » .

فانت ترى من ختام الآية الكريمة ، كيف سدت علينا جميع منافــذ التملص عن القيام بالقسط واداء الشهادة على وجهها ، بحيث لا يتاتى فيها ادنى التواء او تحريف او اعراض عنها وكتمانها مهددة المخاطبين على كل ما عسى ان يقع من التقصير فى ذلك .

واذا لوحظ سبب نزول الآية الكريمة فسيزداد ذو العقل السليم اعجابا بعدالة الشريعة الاسلاميــة، ويقر — طوعا او كرها — بانها العدالة الوحيدة التي لا تقيم وزنا لاي اعتبار عنصري ، ولا لاية عداوة دينيــة مهما ارتقت الى اقصى درجاتها فى الاستحكام والشدة، وان الواجب يقضي برفع العدالة فوق كل اعتبار .

فقد ذكر المفسرون عن سبب نزول الآية الانفــة الذكر ، ان شخصا — يدعى طعمة بن ابيرق — قد هم قومه بالدفاع عنه بالكذب والشهادة على يهــــودي شهادة زور باطل ، وانت ترى الآية قد ختمت — كمــا ذكرنا — بتهديد ترتعد له فرائص المتفيــن .

وبسبب هذه القضيــة نفسها ورد فى القرءان الكريم • نهي عن المرافعة والدفاع عمن ثبتت ادانتــه وتحققت خيانته قال تعالى : « ولا تكــن للخائنيــن خصيما ، واستغفروا الله ان الله كان غفورا رحيمــا، ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيمــا ، يستخفــون مــن النــاس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضــى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ، هانتم هــؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة امن يكون عليهم وكيلا » فى حق من يا نرى فرد القرءان الكريم هذه الاحكام ؟

انها فى حق قوم يرون ان جميع مــن ســـوى جنسهم وكل من ليسوا على ملتهــم يباح لهم ماله ، وانه فى امكانهم تناول كل ما يملك متى سمحت لهــم الظروف وسنحت لهم الفرصة — بدون خوف تبعــة ولا توقع حرج — وقد بيــن القرءان الكريم نفســـه سلوكهم ذلك فى هذا الميدان بقولــه « ومنهم مــن ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ، ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل » .

وللشريعة الاسلامية موقف حازم ودقة ملاحظة عند التطبيق واستيفاء حق العداله حتى لا يتخــذ التنفيذ شكلا صوريا او يتخلله تقاعس ، بل يكــون التطبيق حقيقيا واقعيا لا هوادة فيه ولا شفقة تعتريه ولا تردد ، وفى هذا المعنى يقول القرءان الكريم فى شان القيام بحد من حدود الله « ولا تأخذكــم بهما رافة فى دين الله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر ، وليشهد عذابهمــا طائفة من المومنين » .

وقد ثبت فى كتب السنة الصحيحة ان رســول الاسلام عليه الصلاة والسلام قد انحى باللائمة علــى

البنك الزراعي الذي انشأته واسمت التعامل معه مبايعة شرعية ، ومن العجب ان الاستاذ اقرها ووجد فيها المخلص وكان التحايل على الدين يغير من الواقع شيئا ، ذلك أن التعامل مع البنوك وانا اعتقد الحرام واستغفر الله كلما انبني الوازع الديني واحاول الاقلاع افضل واشرف من ان ارتكب حراما محللا بالتلفيق والتحايل على الذي يعلم الظاهر وما اخفي ... واما اهل العلم فالاستاذ رشيد رضا يذكرهم بقاعدة السير ودفع الحرج، ويقول من اضطر من اهل العلم والتحرى وهم اعرف الناس بالاضطرار اقدم من غير حرج فى ربا النسيئة ، ومنه على ما يفهم من كلامه ربا البنوك ولكن هناك من علمائنا من كان صريحا جريئا كالاستاذ شلنوت ، وخلاف ، والابراهيمي ، قالوا باباحة التعامل مع البنوك اباحة مطلقة ، واعتبروا ذلك نوعا من التعامل التجاري لا استغلال فيه ولا تضعيف او ما يشبه التضعيف فى الفوائد الماخوذة على القرض ...

ونجد فى مقابل هؤلاء موقفا معاكسا من الاستاذ سيد قطب احد اقطاب الاخوان المسلمين الذى يرى ككثير من علماء المسلمين انه لا توجد ضرورة للتعامل مع البنوك . ولا يجوز الاستقراض منها بفائدة سواء كان القرض للاستهلاك او للانتاج ، وهو اذ يقرر هذا المبدأ لا ينسى المضطرين . بل يرى ان النظام الاسلامي فى الدولة الاسلامية يقسم الناس فئتين : فئة محتاجة مضطرة ومن الواجب ان تقرض من غير فائدة ان لم نعط ما تحتاجه صدقة من غير رد ، واما غير المحتاج فلا داعي لان نفتح امامه ابواب الثراء الفاحش على حساب الطبقات المحرومة . ويبقى امامنا شيء واحد هو ان الغينا البنوك التى تعطى وتاخذ بفائده فلا يمكن للاقتصاد ان يزدهر نتيجة لقلة استثمار رؤوس الاموال فى مؤسسات مصرفية ، وهو يرى ذلك حقا ولكن هناك طريقان لاصحاب رؤوس الاموال لكي يستثمروا مدخراتهم وفائضهم المالى :

الاول ان يعتمدوا على انفسهم فى استثمار اموالهم . والثاني ان يستثمروه فى شركات مساهمة تربح اسهمها او تخسر ، وكلا الحلين يقرهما الاسلام ويرغب فيهما ، اما استثمار الاموال فى معاملات مصرفية فهو عمل ربوي آثم اساسه غير مشروع لانه اثراء من غير عمل وربح من غير خسارة .

البنوك فى وضعها الحالي : والواقع ان البنوك فى وضعها ونظامها الحالي لا يقرها الاسلام ولا يحلها الا اضطرارا لانها لا تخدم الا طبقة معينة ، ولا يستفيد منها الا اصحاب الضمانات المادية ومن له ضمان من ملكه يفوق ما يأخذه من البنك ، فهو ليس بمحتاج او مضطر وانما يجد من البنوك سندا قويا ليزداد ثراء وغنى ، ومن هنا كانت البنوك التجارية اداة فعالة لجعل المال دولة بين الاغنياء فقط اما المستضعفون فلا امل لهم ولا معين ...

غير ان هناك البنوك التعاونية والرسمية كبنك الدولة او البنك الزراعي الذي تؤسسه الدولة وهذه مضطرة للتعامل مع الخارج بالربا لكي تؤدي مهمتها وتحقق المصلحة المتوخاة منها ، ثم من الضروري ان يعاد النظر فى نظام البنوك جميعا حتى تصبح عاملا مساعدا فى جميع الطبقات ، اما أن تبقى مقصورة على الموسرين فذلك مايتنافى مع العدالة الاجتماعية وروح الاسلام . وذلك ان يعاد تحديد الصفة اللازمة للمنتفع منها وندخل فيها عناصر جديدة كحسن الخلق ، ووجود الاستعداد فنيا ، وتحقق الاحتياج ، ولو فعلنا ذلك لساهمنا فى رقى الشعب خلقيا وماديا وانقذنا كثيرا من ابناء شعبنا الذين لا ينقصهم فى الحياة الا راس المال الذي استاثر به ارباب الملايين واصحاب الضمانات .

وبعد فهناك طرفان فى قضية البنوك : الدولة والشعب . اما الدولة فهى مضطرة للتعامل مع الدول المرابية ولذلك لا مانع مطلقا من ان تستقرض وتقرض بفائدة للطبقات التي تستحق ، وهناك الشعب هذا الشعب الذي حرم الله الربا من اجل حمايته والدفاع عن مصالحه والحيلولة دون استغلال ضعفه والعمل على انقاذه من سيطرة اصحاب الاموال يجوز له كلما دعته الحاجة والزمته الظروف ان يتعامل مع البنوك وان يستقرض منها بفائدة الى ان يتحقق الامل الذي يراود المصلحين وتؤمن به الرسالات وتدعو له الديانات وذلك بوجود بنوك ومصارف لا تستعمل من اجل الربح ولكن من اجل الشعب ولصالح الشعب وعندئذ تقل الفروق بين الطبقات وينعدم الاثراء من غير عمل ويصبح المجتمع فى امن من ان تستغل فاقته ويشعر الناس جميعا حاكمين ومحكومين اغنياء ومعوزين بالاخوة والمحبة وتعيش الامة فى تعاون مثمر وسعادة شاملة ذلك ما نرجو ان يتحقق وعسى ان يكون قريبا .

الرباط ــ موساوي زروق

المصارف والبنوك في نظر الاسلام

للأستاذ موساوي زروق

ما حكم الاسلام فى المعاملات المصرفية ؟ ذلك هو السؤال الذي لا يزال المجتمع الاسلامي يعيشه بما فيه من حيرة وقلق نفسي ، ولم نجد لحد الان جوابا من اهل العلم من ائمة المذاهب الاسلامية يكون فيه المخرج من هذا الارتباك الذى نحياه فى معاملاتنا ، صحيح ان هذه الحيرة لم توقف التيار ، ولم تعرقل سير القافلة فاغلب الناس يتعاملون مع البنوك اخذا وايداعا ، وكل المجتمعات الاسلامية تعيش هذا الواقع، وهو واقع املاه العصر بحيث اصبحت فيه البنوك امرا لا مفر منه الا بتغير النظم الاقتصادية واعتناق مذاهب بعيدة لا تتفق مع ديننا فى بعض مبادئها وفى كثير من اساليبها ، او اقامة دولة اسلامية لها من الاكتفاء الذاتي ما يغنيها عن الاستيراد والتصدير لمن تحتاجه من الامم او يحتاجها وذلك ما لايمكن ... وليس معنى ذلك انني اصدر حكمي مسبقا بضرورة وجود المصارف والبنوك بشكلها الحالي ونظامها السائد . كلا ، وانما اقصد من كلامي اننا نعيش مشكلة كان من اللازم ان نحل من زمان ، وان يصدر فيها رأي قاطع بالتحليل او التحريم من هيأة مسؤولة كهيأة كبار علماء الازهر، وكلما نجده فى موضوع البنوك والمصارف مجرد آراء شخصية ، تارة تحلل بشرط ، وتارة تحرم مطلقا ، وحار المتحرجون بين الاباحة والتحريم ... وانا نفسي فى هذه الكلمة لا ازعم انني ساقدم حلا شافيا مخرجا من المأزق . وانما سابدي برأيي الذي اومن به ثم ادعو رجال الحل والعقد من علمائنا الى أن يجمعوا على راي يكون فيه الخلاص والاطمئنان ...

أصل البنوك : نظام البنوك ماخوذ من نظام ابتدعه اليهود فى المدن الساحلية التجارية من ايطاليا وفرنسا ، كانوا يعرضون المسكوكات فوق المناضد ليقرضوها بفائدة ، واول بنك عرفه التاريخ هو بنك انكلترا الذي أسس على هيأة شركة اهلية تالف من اجل ان تقرض للملك وليم الثالث سنة 1694 مبلغا كبيرا من المال يفوق المليون جنيه لظروف قاهرة وفى مقابل امتيازات وفوائد ، ولا يزال الى الان كذلك .. فالمهمة الاساسية للبنوك هي اقراض المحتاجين بفائدة مئوية تزيد وتنقص حسب قانون العرض والطلب زيادة على تقبل الودائع ، ولكن المشكلة تكمن فى هذه الفوائد التي تؤخذ على القروض او تعطى للمودعين والمتعاملين احلال هي ام حرام ؟ الواقع ان العلماء مختلفون فى ذلك ، فهناك الامام محمد عبده والاستاذ المراغي يجيزون صراحة ان يقترض المحتاج فى العقد الاول بفائدة ولا يحرمون الا الزيادة المضاعفة الفاحشة او الربا المركب عند حلول الاجل وعجز المدين عن الدفع مستندين فى ذلك على ما فهمه الصحابة وخصوصا ابن عباس من الربا المحرم الذى هو ربا الجاهلية المذكور فى الاية الكريمة " لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة ، وقد سبق لنا ان راينا فى المقال السابق تفسير ابن جرير الطبري للاية ولذلك يصرح محمد عبده والمراغي ويقولان : ولا شيء منها اي من الزيادة المحرمة او المعبرة ربا — فى العقد الاول كان يعطيه المائة بمائة وعشره او اكثر او اقل ، وبناء على رايهما فى تفسير الربا المحرم تكون المعاملات المصرفية من الربا الجائز لانها غير مضاعفة عند حلول اجل الدين، واما عند العقد الاول فلا شبهة مطلقا فى التحليل ...

وهناك الاستاذ رشيد رضا الذي اختار للعامة استعمال الحيل الشرعية التي اجازها الشافعي وابو حنيفة واستعملتها تركيا فى عهدها الخليفي للتعامل مع

وذلك ان المؤدبين انما كانوا يعانون اقامة الصناعة فى تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها وتقريب المعاني لهم فى ذلك ، ولم يأخذوا انفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها والاعتلال بمسائلها ، ثم كانوا لا ينظرون فى امالة ولا ادغام ولا تصريف ولا ابنية ، ولا يجيبون فى شيء منها حتى نهج لهم سبيل النظر واعلمهم بما عليه اهل هذا الشأن فى المشرق من استقصاء الفن بوجوهه واستيفائه على حدوده *) .

وهنا لا نغفل الاشارة الى ظاهرة كان لها اثرها فى منهج الاندلسيين العلمى الا وهي اخذهم بمذهب مالك ونبذهم لمذهب الاوزاعي الذي كان عليه اقليم الشام ، والذي ساعد على انتشاره اول الامر ان كان اغلب الوافدين على الاندلس من اهله ، وبالرغم عما قيل من ان السبب فى هذا التحول راجع الى النقص الذى كان يحسه الاندلسيون تجاه المشارقة والى الرغبة فى مخالفتهم ، فان السبب الحقيقي يكمن وراء العلماء الذين درسوا مذهب مالك بالشرق ، وسعيهم الحثيث فى نشره بعد ان عادوا الى بلادهم ، ثم الى طبيعة المذهب نفسه ، فهو مذهب لا يعتمد على المنطق والقياس بقدر ما يعتمد على النص والنقل ، وهذا يوافق مزاجهم الذي ينفر من الفلسفة والتفريع ويتمسك بالاثر والرواية . فهم كما قال المقدسي فى احسن التقاسيم : (لا يعرفون الا كتاب الله وموطأ مالك فان ظهروا على حنفي او شافعي نفوه وان عثروا على معتزلي ربما قتلوه) .

ولعل انشاء اول مدرسة للعلوم اللسانية كان بعد وفود القالي الى الاندلس سنة 340 هـ حيث اخذ يقرىء اماليه محاولا بواسطة نصوصها الادبية تعليم اللغة والنحو ، ولبس ابو علي بدعا فى هذه الطريقة فمثله فعل المبرد فى كامله والمرتضى فى اماليه .

ولم يكتف القالي بتطبيق قواعد النحو على اماليه ، بل زاد على ذلك فالف رسالة عن « المقصور والمدود » واخرى عن الافعال عنوانها « فعلت وافعلت » ، وفى هذه الفترة نجد عالما اندلسيا آخر كان له باع فى كثير من فروع الثقافة هو ابو بكر محمد بن القوطية المتوفي سنة 367 هـ ، يسير على نفس النهج فى مبحث الافعال فيؤلف « المقصور والممدود » و « تصاريف الافعال فى اللغة » وهي كتب روى اغلبها ابن القطاع وكانت له بمثابة المعلم فى هذا الباب افاد منها كثيرا فى تآليفه .

والحقيقة اننا فى هذه الفترة من تاريخ الاندلس العلمي لا نستطيع ان نتبين معالم بارزة لدراسة النحو بالرغم من ميل الاندلسيين الواضح الى منهج السماع وتتبع القراءات ، فهم لا زالوا عالة على المشارقة يهتمون بمصنفاتهم ايما اهتمام ، يدرسونها لطلابهم ويشرحونها فى كتب لم يصل الينا منها غير القليل ، وربما ان حاولوا التأليف صاروا على مناهجها فى كثير من التقدير والاعجاب ، فأبو الحجاج يوسف بن عيسى المتوفى سنة 475 هـ يشرح كتاب سيبويه • وعبد الله بن محمد البطليوسي المتوفي سنة 521 هـ يضع شرحا لجمل الزجاجي تحت عنوان « الحلل فى شرح ابيات الجمل » كما يضع نقدا لها يسميه « اصلاح الخلل الواقع فى الجمل » الى جانب تأليف له هو كتاب « المسائل المنثورة فى النحو » * ، وابن سيده الضرير المتوفي سنة 458 هـ يؤلف فى النحو

كتاب « العالم والمتعلم » ويشرح كتاب الاخفش (ويغلب ان الاخفش هو علي بن فضل الذي توفى فى بغدادسنة314 * هـ) ولا نريد ان نترك هذه الفترة دون ان نشير الى ابي بكر الزبيدي صاحب الطبقات المتوفى سنة 379 هـ فقد الف كثيرا من الكتب المهمة فى النحو منها (الواضح فى النحو) و (ابنية الاسماء) و (لحن العوام) ، والزبيدى وان لم يسر على منهج الشروح فى تاليفه النحوى فقد سار عليه فى تاليفه اللغوي بوضعه مختصرا لكتاب « العين » .

ومع ذلك فقد ظل الاندلسيون يشرحون مصنفات المشارقة حتى بعد هذه الفترة حيث نجد ابن خروف الاشبيلي المتوفى سنة 602 هـ يشرح كتاب سيبويه وجمل الزجاجي ، واذن فالنحاة الى

---

* الطبقات ص 335 .
* ذكره السيوطي فى البغية لدى ترجمته
* هكذا يقول المستشرق بالنثيا فى « تاريخ الفكر الاندلسي » ص 185

مناهج الأندلسيين في دراسة النحو

للأستاذ عباس الجراري

كان لاقبال الاندلسيين على الاسلام اثر كبير في انتشار اللغة العربية حتى بين المسيحيين الذين كانوا يرون فيها لغة الدولة والحضارة ، وقد ساعد على ذلك اول الامر كثرة الوفود العربية التي كانت تهاجر من المشرق والتى كان اغلب اعضائها من رجال الدولة والجيش ، ليس لهم من غاية غير ارساء قواعد الحكم العربي وحمايته من الثورات والنزاعات التى كانت تنشب حتى بين العرب انفسهم ، ومع ذلك فقد كان لهم دور خطير فى نشر اللغة بين السكان ، خاصة وقد رافقهم بعض الصحابة والتابعين الذين كانوا الى جانب مهمتهم الاولى وهي الافتاء فيما يعرض للفاتحين من مشاكل تتصل بالغنائم والضرائب ، يعملون على تعليم الناس وتفقيههم فى امور الدين الجديد وافهاهم كتاب الله وسنة رسول الله ، فلم يلبث الاندلسيون وقد تغلغل الاسلام فى قلوبهم ، ان اتقنوا لغته واخذوا يستعملونها الى جانب لهجتهم العربية العامية واللغة الرومانية اللاتينية التي هي لغة السكان الاصليين .

ثم كان ان استقرت الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى ظل الامويين ، فكثرت وفودهم على الجزيرة الجديدة ، لاسباب ربما كان اهمها الفرار من العباسيين ، وكان لاغلبهم علم واسع بالثقافة الاسلامية وخاصة ما يتعلق منها باللغة والدين فأنشأوا مساجد كانت بمثابة المدارس والجامعات ، اهمها مسجد قرطبة الشهير الذي لعب دورا علميا خطيرا ليس فحسب بالنسبة للاندلس والاقطار العربية المجاوره ، وانما كذلك بالنسبة للبلاد الاروبية التي لم تكن قد عرفت بعد هذا اللون من التعليم .

ولعل الكتاب والسنة كانا مدارى الدراسة فى ظل هذه المرحلة الاولى ،فهم يقرأون القرآن ويحفظونه ويحاولون تفسيره والنظر فى قراءاته ، وهم يهتمون بالحديث ويروونه ويشرحونه موفقين بينه وبين نص الكتاب فى استنباط الاحكام ، ثم هم من خلال هذا او ذاك يلجأون الى الشعر العربي واخبار الادب ربما لمجرد الاستشهاد على صحة قراءة او رواية . وزاد فى اثناء هذه النهضة الثقافية عودة البعثات الاندلسية الاولى التى كانت تتعلم فى الشرق ، والتى تتلمذ اعضاؤها على كثير من اعلام اللغة والدين فى العراق والحجاز اوفى مصر والشام . فجودي بن عثمان النحوي المتوفى سنة 198 ه قابل الكسائى والفراء وبعض اصحابهما . وهو اول من ادخل كتاب ابن الحسن ، والغازى بن قيس المتوفي سنة 199 ه لقي الاصمعي والامام مالك ، وكان يحفظ موطاه ، وهو اول من حمله الى الاندلس ، كما ادرك نافع بن ابي نعيم وقرا عليه ، وصحح مصحفه ثلاث عشرة مرة ✻ وهو اول من ادخل قراءته ، والأفشنيق المتوفي سنة 307 ه لقي ابا جعفر النحاس وروى عنه كتاب سيبويه ، ثم روي عنه بعد ذلك وقرأ عليه ، وكان يعقد للمناظرة فيه مجلسا كل جمعة ، وذكر الزبيدي انه (لم يكن عند مؤدبي العربية ولا عند غيرهم من عني بالنحو كبير علم حتى ورد محمد بن يحيي عليهم

✻ كما عند الزبيدي لدى ترجمته

ومع ذلك فابن مضاء لا يرفض العلل الثواني عامة وانما يجيز بعضها كالحال فى التقاء الساكنين حين يحرك الاول ، فان قيل : لم حرك ؟ اجيب بانه لقي ساكنا وكل ساكنين التقيا فان احدهما يحرك وهي علة اولى ، وان قيل : لم لم يتركا ساكنين ؟ رد بان النطق بهما ساكنين لا يمكن الناطق وهي علة ثانية ولكن ابن مضاء يراها ضرورية .

ثالثا : الغاء القياس كقولهم بان الفعل المضارع اعرب لشبهه او قياسه على الاسم ، وكان الاسم اصل فى الاعراب والفعل فرع له ، وهو لا يرى مانعا من ان يكون الاعراب اصلا فيهما جميعا بدلا من الاغراق فى الشرح والتخمين فى التعليلات ، ولذلك لوجود علة الاعراب فى الفعل كما توجد فى الاسم وهي الاحوال المختلفة التي يتعرضان لها من نفي وابات واستفهام وغير ذلك .

رابعا : الغاء التمارين غير العملية او الواقعية والتي لم ترد فى كلام العرب كقولهم (ابن من البيع مثال فعل فيقول قائل : بوع اصله بيع فيبدل من الياء واوا لانضمام ما قبلها لان النطق بها ثقل *) .

واول ما يلفت نظرنا فى اراء ابن مضاء وضوح النزعة الظاهرية التي سادت عصره والتي كان ممثلا سادقا لها ، فهو حين يتحدث عن العوامل التي يحذفها النحاة ويقدرونها ينبه الى فساد تأويلاتهم خاصة بالنسبة للقرآن ، وهذا من باب الظاهرية التي لا تقول سير النص ولا تحيد عن حرفيته ، ثم هو حين يدعو الى الغاء القياس والعلل الثواني والثوالث يبدو متأثرا ابلغ التأثير بنزعتها التي تنفي التعليل وترفض القياس والقياس كما هو معروف يدخل فى باب العلل لانه يقوم على اساسها .

اما الملاحظة الثانية فهي ان ابن مضاء وجه حملة نحو نحاة البصرة خاصة ، ربما لانهم كانوا اكثر ميلا للتقنين والتنظيم على اساس من التعليل ، وربما كذلك لان النحو البصرى كان اكثر شيوعا وانتشارا.

اما الشيء الذى يسترعى النظر فى محاولة ابن مضاء فهي انه قرأ كتاب سيبويه وانتصار ابن ولاد وغيرهما من كتب النحو التي كانت سائدة فى عصره مع الشروح المتعددة لها ونقل منها بعض النصوص فى كثير من مواضع كتابه ، اكثر من هذا انه يذكر ابن جني وينقل من خصائصه فى صفحات عدة معتمدا عليه فى غير قليل من الاراء التي اوردها كرجوعه اليه فى فكرة تزييف العامل واستناده اليه فى تبرير معارضته اجماع النحاة على العامل .

ولكن احدا لم يستجب لدعوة ابن مضاء سواء فى المغرب او المشرق ربما لهدفها الهدام ، وطويت صفحاتها بعد عصره وبقي النحاة فى الاندلس ، امثال ابي علي الشلوبيني صاحب « التوطئة » المتوفي سنة 561 هـ ، يسيرون غير مستقرين على منهج محدود الى ان كان القرن السابع وظهر عالم لعله اوسع نحاة العرب شهرة ، هو جمال الدين محمد بن مالك المتوفي سنة 672 هـ الذى سار على منهج السماع والاحتجاج بالقراءات وروايات الحديث ، لا يجد آية او خبرا حتى يستشهد بهما على حكم ربما خالفه النحاة فيه ، ولا غرابة فى هذا فقد كانت له عناية فائقة في الحديث لدرجة اسند اليه امر تصحيح رواية البخاري ، كما كان اماما فى القراءات بشهادة ابن الجزري الذي ذكر فى طبقاته لدى ترجمته انه حين ذهب الى دمشق ، نزل بالعادلية الكبرى وولي مشيختها الكبرى وكان من شروطها القراءات كما ذكر ان له فيها منظومتين ، ويظهر عنايته بالحديث والقراءات فى كثير من الاحكام التي ذهب اليها معتمدا على خبر او رواية كاجازته الاتيان فى فعل مسند الى الظاهر بعلامة تدل على التثنية او الجمع مستشهدا على ذلك بحديث (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) وكزعمه انه يصح الفصل بين المضاف والمضاف اليه بما نصبه المضاف كالمفعول محتجا بذلك بقوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم) فى قراءة ابن عامر . ولكنه فى اغلب احكامه سائر البصريين او الكوفيين وقد يخالف بعضهم او يخالفهم جميعا .

وقد الف ابن مالك مصنفات عدة منظومة ومنثورة لا زال يتناقلها الطلاب والدارسون الى اليوم منها « التسهيل » و « المقصور والممدود » و « الفوائد فى النحو » وهو الذى لخص منه التسهيل

---

* كتاب الرد على النحاة ص 161 .

هذه الفترة لم تتضح بعد معالم دراستهم ولو حتى في التحيز الى مدارس الشرق فهم يدرسون الكسائي الكوفي ، وسيبويه البصري ، ويشرحون كتبهما في غير تعصب لهذا او ذاك .

ولكنا لا نصل الى القرن السادس والى عصر الموحدين حتى نقابل ثورة عارمة ضد الشرق تدعو الى نبذ مذاهب الفقه بما فيها مذهب مالك ، والى الاخذ بظاهر الكتاب والسنة ، وقد حمل لواء هذه الثورة الظاهرية الخليفة الموحدي يعقوب بن يوسف الذي (امر باحراق كتب المذاهب بعد ان يجرد ما فيها من حديث رسول الله والقرآن) (*) قصده من ذلك (محو مذهب مالك وازالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث)

والحقيقة ان الموحدين كانوا يسعون الى اخضاع العالم الاسلامي لسيطرتهم ، خاصة وانهم لم يكونوا راضين عن سلوك العباسيين والفاطميين في الشرق ، فتسموا بالخلفاء وجعلوا من مراكش عاصمة تضاهي مدينة السلام ، ووصلوا في فتوحاتهم الى حدود مصر ، والدعوة في واقعها ثورة على المشرق تحاول في عنف رد بضاعته اليه . سواء في الفقه او في غيره من فروع الثقافة ، وكان رافع لواء هذه النزعة في النحو قاضي القضاة ابو العباس احمد بن مضاء القرطبي المتوفى سنة 592 ه ، فقد الف « المشرق في النحو » و « تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان » ، وبالرغم من ان الكتابين لم يصلا الينا فقد رجح الدكتور شوقي ضيف (*) انهما ضد النحو المشرقي الفهما ابن مضاء معارضة لعلماء المشرق وآرائهم في النحو ، اما الكتاب الذي وصلنا والذي نظهر لنا من اولى صفحاته حملة ابن مضاء على النحاة المشارقة فهو « كتاب الرد على النحاة » الذى دعا فيه الى الاخذ بظاهر النصوص والابتعاد عن جدل المناطقة والفلاسفة ، معتمدا على اربعة آراء

اولا : الغاء نظرية العامل لفظيا كان او معنويا ، وذلك مثل ادعاء النحاة من « ان النصب والخفض والجزم لايكون الا بعامل لفظي ، وان الرفع فيها يكون بعامل لفظي ومعنوي ، وعبروا عن ذلك بعبارات توهم في قولنا : ضرب زيد عمرا ، ان الرفع الذي في زيد والنصب الذي في عمر انما احدثه ضرب (*) وهو في هذا يهاجم البصريين الذين يذهبون الى ان الفاعل مرفوع بالفعل ، والخبر بالمبتدا ، وهذا بالابتداء ، وفي رايه (ا نالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم انما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره) ، وفي استدلاله على فساد هذه النظرية يشير الى العوامل التي يحذفها النحاة ويقدرونها ليبين فساد تاويلاتهم وبطلان تقديراتهم خاصة بالنسبة للقرآن ، كما يشير الى الضمائر المستترة وفساد تقديرات النحاة فيها ، والى ضمائر التثنية والجمع فيرى انها ليست ضمائر كما يزعم النحاة ، وانما هي علاقات تدل على التثنية والجمع كما تدل التاء الساكنة على التانيث ، ثم يعقد ابن مضاء فصلين عن التنازع والاشتغال ليبين (ماتجره نظرية العامل من رفض بعض اساليب العرب بضع النحاة مكانها اساليب لاتعرفها العربية) (*) ولم ينس في ختام حديثه عن الغاء العامل ان يتعرض لفاء السببية وواو المعية وما يذهب النحاة اليه من ان الفعل المضارع بعدهما منصوب بان محذوفة ، غايته اظهار فساد نظرية العامل وتقديراتها الغامضة .

ثانيا : الغاء العلل الثواني والثوالث ، وان كان يعترف بضرورة الابقاء على العلل الاولى ، ومن الامثلة على ذلك في الفاعل ما يسوقه النحاة من ان كل فاعل مرفوع . وهي علة اولى وضرورية ولكنهم غالوا في التعليل . فقالوا ان الفاعل رفع للتمييز بينه وبين المفعول به ، وزادوا علة اخرى فقالوا ان الفاعل رفع لقلته والمفعول نصب لكثرته . وما دام الرفع ثقيلا والنصب خفيفا فللقليل الثقيل وللكثير الخفيف.

(*) المعجب ص 157 .
(*) في مقدمته لكتاب « الرد على النحاة » لابن مضاء ص 12 .
(*) كتاب الرد على النحاة ص 58 .
(*) نفس المصدر .
(*) كتاب الرد على النحاة ص 27 .

التكاملية فى الادب

للاستاذ
عبد القادر السميحي

الادب ليس الا التعبير عن طبيعة الاشياء فى صورها الحالمة ، او التعبير عن الحقيقة كلها ! .. وانه لذلك ، وبصفته كائنا حيا يتجاوب وطبيعة النمو ، ونموه يتمثل ويتم دائما عن طريق تعدد ، وتجدد صور المرئيات البصرية ، والمدركات المعنوية . وانه لذلك ايضا تعد عملية استقبال الصور البصرية ، فى مناحيها المختلفة ، بمثابة عناصر الغذاء الضرورية لنمو الكائن الادبي ، واستمرار نضارة الحياة فيه ..

والادب بهذه الصفة الحيائية الانطلاقية يخضع بالصورة لسنن حركات التجديد والتطور الثانوية فى روح الحضارة . وعلى هذا الاعتبار ، اذا ما نحن قارنا مثلا صورة لبيئة فطرية ساذجة ، مقوماتها الحسية حمار مربوط الى جذع نخلة ، وكوخ قائم من القش ، وكلب هزيل ينبح وشياه تجتر ، وراع يترنم بنايه المثقب ، وثلاثة احجار فوقها قدر كابية ، وشاعر محدود الثقافة يستوحي فنه البسيط من جو هذه البيئة الجدباء ، ويختلق حبه وحبيبته ، واحلامه الجنسية المكبوتة من احلام الخيال . وله ذوق خاص فى الجمال ، فعيون حبيبته واسعة كعيون البقرة الوحشية ، وطولها كالنخلة ، وبطنها منبعج « كالزبلين » لدرجة ان شاعرا وصف امرأته بأنها تدخل البيت اليوم وعاجزتها فى الغد !..

شاعر بيئة كهذه ، لا يمكن ان نقارن انتاجه الادبي بشاعر ، او كاتب يعيش فى جو حضارة القرن العشرين ، ويطوي صدره على جانب خصب من الثقافة الانسانية ، ويشهد الكلب ، ولكنه فى هذه المرة ليس مربوطا الى جذع نخلة ، وانما هو يقود قمرا صناعيا يطوى به ابعاد الارض فى لمح البصر ! .. وهو كذلك يشهد معجزات الراديو ، والتليفيزيون ، والرادار ، وارسال الصور المطبوعة بالبرق الى الصحف العالمية فى كل مكان من العالم فى بعض لحظات .. وكذلك الاكتشافات الفيزيائية الذرية ، والالات الالكترونيكية ، ويشهد مسرحيات شكسبير ، ودوستويفسكي والبير كامو ، والروايات السينمائية بالالوان الطبيعية بآلة « سكوب » او « السينيراما » وعرض الباليه فى الاوبرا ، وكنوز لوحات الفن الخالدة فى متحف « اللوفر » وروما ، ويشبع حاجاته الجنسية ، ويركب عربة شبروليت الفخمة ، ويتناول فطوره فى « بكين » وغذاءه فى « السويد » وعشاءه فى « باريس » ويعيش الحياة فى عمق ، فى عالم مسحور ، بالدهشة والافتتان !..

على هذا الاعتبار ، اذا ما نحن اردنا اليوم ان نقارن بين صورة متكاملة من صور الادب الحديث بجميع خصائصه الفنية ، بمعطياته الوجودية ، بمضامينه واشكاله ، وبفلسفته الهادفة المعاشة والملتزمة ، او غير الملتزمة . وبين صورة من الادب الجاهلي العربي ، وغير العربي فى ابعادها التاريخية ، فان التفاوت سيكون كبيرا .. ومع ذلك كله ، فان هناك بعض الادب يعطينا الحقيقة الانسانية كلها مهما بعد به الزمن وانبعث من قلب الصحراء الملتهبة ! ..

كيف نستقبل النص الادبي ؟

لقد مر النص الادبي بمراحل تطورية . فقبل ظهور الكتابة سواء على الحجر ، او الجلد والاوراق ، كان الانسان يستقبل الكلمات عن طريق حاسة السمع فقط بالرواية والحفظ ، ومع ظهور الكتابة التي دون بها افكاره على الورق ، بدأ الانسان يستقبل النص الادبي عن طريق حاسة السمع والبصر ايضا ..

كما اشار الى ذلك السيوطي فى البغية ، ومنها « الكافية » ثم « الألفية » التي اختصر فيها الكافية والتي ظلت على مر العصور مدار دراسة النحاة يضعون لها الحواشي والشروح ربما لما فيها من تنظيم للقواعد وتنسيق فى الاحكام .

ولا نريد ان نذكر ابن مالك دون ان نشير الى معاصره « شيخ النحاة » ابو حيان الجياني الذي غادر الاندلس الى بلاد الشرق * حيث قابل ابن النحاس فى القاهرة واخذ عنه وخلفهفى استاذيةالنحو، وذكر السيوطي فى البغية لدى ترجمته انه التزم الا يقرىء احدا الا فى كتاب سيبويه او التسهيل او مصنفاته ، وبلغ من انتصاره لامامه البصري ان وقعت بينه وبين ابن تيمية مسألة نقل فيها ابو حيان شيئا عن سيبويه ، فقال ابن تيمية : لقد اخطأ سيبويه فى ثلاثين موضعا من كتابه ، فاعرض عنه ابو حيان واخذ يرميه بكل سوء وكان من قبل يعظمه .

وذكر السيوطي كذلك انه هو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك ورغبهم فى قراءتها وشرح لهم غوامضها ، ومن مؤلفاته « التنخيل فى شرح التسهيل » و « الاسفار » شرح فيه سيبويه ، و « التجريد لاحكام كتاب سيبويه و « المبدع فى التصريف » و « غاية الاحسان فى النحو » و « اللمحة الشذرة » و « عقد اللآلي فى القراءات » و « نحاة الاندلس » و « نهاية الاعراب فى التصريف والاعراب» و « شرح الشذا فى مسألة كذا » وقد ذكر لي استاذي الجليل الدكتور شوقي ضيف انه يقع فى حوالي ثمانية مجلدات مخطوطة بدار الكتب المصرية ، وانه يعتبر الاصل الذي رجع اليه السيوطي فى « جمع الهوامع » بل يرى ان كتاب السيوطي هو تلخيص لكتاب ابي حيان ، هذا الى جانب تفسيره المحيط وكتب كثيرة الفها فى نحو الفارسية والتركية ، واغلب الظن انه لم يصل الينا من هذه الكتب غير تفسيره الذي تبدو فيه عناية واضحة بالتوجيهات والمسائل النحوية.

ولن ننتظر كثيرا بعد ابي حيان لنرى الوطن الاندلسي يسلب من اهله ويستولي النصارى عليه ، فيغادره كثير من رجال العلم ، وكان فيهم غير قليل من النحاة ، ليستقروا فى المغرب الاقصى ويقيموا فيه نهضة علمية اصبح بفضلها ولا زال مركزا من اهم مراكز دراسة النحو ، وليس معنى هذا ان المغرب لم ينجب نحاة من قبل اذ يكفي ان نذكر ابا موسى الجزولي المتوفى سنة 607 هـ صاحب المقدمة المشهورة باسمه والتي الفها املاء على جمل الزجاجي والتي كانت لاهميتها مدار عناية العلماء الذين وضعوا لها الشروح العديدة ، ونذكر محمد بن هشام المتوفي سنة 570 هـ صاحب كتاب « الفصول والجمل فى شرح ابيات الجمل » و « شرح فصيح ثعلب » ، او نذكر محمد بن آجروم الصنهاجي المتوفي 723 هـ صاحب المقدمةا المشهورة باسمه ، لتظهر لنا مكانة المغرب المرموقة فى علم النحو العربي قبل سقوط غرناطة ووفود علماء الاندلسء ليه .

وبعد ، فهذه مناهج الدراسة النحوية عند علماء الاندلس حاولت فى هذه الصفحات القليلة ان ابرز معالمها بالرغم من الصعوبات التي تعترض الباحث فى هذا الموضوع والتي ترجع فى اغلبها الى قلة المصادر ، ولعلنا لا نستطيع ان نقول ان هناك مدرسة اندلسية فى النحو تقف الى جانب مدرسة الكوفة والبصرة وان كان الاندلسيون قد اصطنعوا السماع والنقل والاثر معتمدين على القراءات مبتعدين عن القياس ، فهم كوفيون تارة وبصريون تارة اخرى وهم بين هذا وذاك مرات كثيرة .

وربما كان الاندلسيون بحكم اعجمية بلادهم اكثر حاجة الى دراسة نحوية حرة تصنع قواعد قياسية لتنظيم اللغة وتقنينها ولو على حساب بعض الشواذ ، ولكنهم ساروا حسبما كان يمليه عليهم مزاجهم الذي كان ميالا الى الاخذ حتى بالشواذ فى غير كثير من حرية التصرف ، وما احوج لغة واسعة كاللغة العربية الى مثل هذه الحرية لتنظيمها وحصر قواعدها وتصفيتها من الشوائب وحمايتها من الاضطرابات خاصة في بيئة اعجمية كالاندلس .

باريس — عباس الجراري

---

* وكان ذلك سنة 678 .

الحديثة وتعالج المشاكل الاجتماعية المعاشة . وهكذا ارتفعت اصوات النقد من جديد ، حول مقدرة الشعر بقيوده الرصينة على تصوير الحياة الواقعية الحديثة ، وهل فى مقدور الشعر ان يجاري طبيعة المسرحية النثرية ، بما وصلت اليه من شيوع ومرونة ، ويسر ، وطواعية فى الاداء ، والتعبير عن شتى الحالات النفسية الانفعالية . ومهما يكن من شأن هذا الخلاف ، فالذي يعنينا نحوه ، هو ان قراءة مسرحية العزيز ، وهي مطبوعة فى كتاب ، تختلف فيمنها الادبية باختلاف وسائل الاداء والعناصر التأثيرية والقيم الجمالية التي تتوفر على خشبة المسرح او الاذاعة ، فهناك فرق بين الوضعين لان المؤثرات الصوتية ، والالقاء باصوله الفنية ، والغناء ، والالوان والمناظر ، والاضواء والظلال والحركات والانفعالات كل ذلك من شأنه ان يخلق النص الادبي خلقا جديدا !. والامر كذلك بالنسبة الى الاذاعة ، فقراءة القصة او الشعر عن طريق الاذاعة تصاحبها البوم موسيقى تعبيرية ، الى جانب عنصر الالقاء الفني والمؤثرات الصوتية .

واما النص الادبي فى الرواية السينمائية ، فانه يختلف اختلافا بينا عن طبيعة النص الادبي فى الكتاب او الاذاعة . لان السينما بامكانياتها المادية الضخمة ، ومجالها الواسع فى الحياة والابعاد الزمانية والمكانية التي تشغلها ، تجعل اداءها يتسم بطابع خاص ، يتمشى وطبيعة الحياة ! .. فالزمن فى الرواية السينمائية يطوى فى ساعتين ، وان كان يشمل حياة الابطال ، وهم فى سن الطفولة ، وينتهي وهم شيوخ فى بعض الاحيان ، ولهذا فان للسينما طبيعتها فى اخراج النص الادبي ليشهد الحياة . فالمخرج لو اراد ان يصف لنا طبيعة الشخصية الروائية ، ولتكن طبيعة هذه الشخصية مثلا شاذة ، متصفة بالقساوة ، وعدم المبالاة فى هذه الحالة . لا يلجأ المخرج الى عملية الراوي القاصي ، وهو الوصف فيقول مثلا عن هذه الشخصية انها قاسية القلب تتعدى بالضرب المؤلم على الصغار الابرياء ، ولا يسلم من اذاها الحيوان الضعيف الوديع، ولكن المخرج لكي يشعرنا بطبيعة الشخصية ذات المزاج الحاد ، يلجأ الى لقطات صامتة ، تشعرك فى الحال بطبيعة الشخصية ، كأن يظهر هذا الشخص ، وهو يدوس بقدمه تعمدا على ذنب قطة او يجذب فى عنف عش طير ، فيهوى على الارض ، بما فيه من افراخ صغار ، لا تزال ترتعش لحداثة ولادتها . فالوصف هنا بالكلمات لا يكون له موضع للنفاذ فى بعض الاحيان، لان هناك مواقف انسانية يعجز فن القول عن التعبير عنها .. هنا فقط تقوم « الكمرا » او الموسيقى التعبيرية ، او المناظر باضوائها وظلالها بعملها التأثيري المطلوب . ولتوضيح هذه النظرية نعرض لثلاثة امثلة حية تصور لنا مدى تأثير بعض العناصر من القيم الفنية والجمالية على طبيعة النص الادبي الصامتة ، وكيف ان الكلمة تفقد تأثيرها فى بعض المواقف الانسانية وفى مآسيها وافراحها ، وضعفها وانتصاراتها وصراعها ، حتى يمكن القول بوجاهة احدى نظريات علم الجمال القائلة ، بانه « ليس هناك شيء جميل فى ذاته ، وانما هو جميل فى المجموع » ! .. وان بعض القيم تضاعف التأثير بوجه عام ..

ومن امثلة ذلك رواية الاشباح لـ « ابسين » فقد شاهدت تمثيلها فى دار الاوبرا بالقاهرة. والحوادث فيها تصور لنا ان الجريمة الاخلاقية يتوارثها الابناء عن الآباء، وانها تخلق فى دمهم. فالاب «الكابتان الفنج» يأثم فى حق خادمته الشابة ويكون لهذا الاعتداء الاخلاقي ثمرته الآثمة ، فتقلق زوجته الفاضلة مسز « الفنج » وترسل ابنها الصغير « اوزفالد » ليدرس فى الخارج ، حتى تبعده عن جو البيت الفاسد ، ويعود الفتى بعد ان كبر الى البيت بعد ان مات والده . ويظهر المنظر التالي على المسرح : متكأ عريض فى الوسط تجلس فوقه مسز « الفنج » وبجانبها القس صديق العائلة ، وقد اخذا يتحدثان عن مستقبل « اوزفالد » وكيف انها كانت على صواب حين ابعدته عن جو الرذيلة ، التي خيم ظلها على البيت ، وتدور فجأة فترى ابنها يقبل الخادمة ، ولم تكن سوى اخته من ابيه ، تلك الثمرة الآثمة فتصيح الام : « انها الاشباح ظهرت ثانية » !

ان المخرج لم يظهر الفتى ، وهو يقبل الخادمة ، بل اظهر باب الصالة الزجاجي الكبير ، ولم يظهرهما للعيان ، وانما سلط عليهما الاضواء وراء باب الصالة وهما متعانقان فى ركن الصالة المختفي ، ولم يظهر لنا سوى ظلهما ممدودا على الحائط الذي ظهر من الباب الزجاجية ، فى هذا المثل نرى اثر عملية الاضواء والظلال فى اعطاء النص الادبي كل هذه القوة ، وهذه الروعة ، التي كان يمكن ان تفقد اثرها ، لو ان المخرج اظهر المنظر مجسما امام جمهور المشاهدين . فالجديد هنا هو الاخراج .. هو عنصر الاضواء والظلال ..

المخرج تمثل النص الادبي فى عمق ، وجعله ينبض بروعة الحياة ، ومع هذه الحياة اثارة ، وتحليل للطبيعة الانسانية فى ضعفها وقوتها . وقد

وبتقدم المعارف والحضارة الانسانية اكتسب النص الادبي قيما جمالية هي من طبيعة الخلق الفني . كانت في حقيقة الواقع منفصلة ، وخارجة عن طبيعته الاصلية ، ولكنه اكتسبها عندما ظهر المسرح . والسينما والاذاعة .

اولا — المؤثرات الصوتية المستمدة من حيوية الطبيعة كجمجرة العاصفة ، وا نهمار المطر ، ونباح الكلاب ، وخوار البقر ، وشذو الطيور ، او المستمدة من واقع الحياة المعاشة الصادرة عن الافعال والانفعالات الانسانية ، كعملية تمزيق الاوراق ، والثياب ، ودفع الباب في عنف .. فهذه الحركة المثيرة مقصوده لذاتها في تشخيص طبيعة الشخصية في النص الادبي سواء في المسرح ، او السينما او الاذاعة .. فهذا السلوك يعبر عن ثورة مكبوتة في النفس ، او على عذاب الضمير، او القلق ، والضجر .. هذه المؤثرات على اختلاف فعلها ووقعها على النفس ، وقدرة ايحائها ، مقصودة لذاتها عند المخرج في لقطة يقتضيها موقف من مواقف الحركة الدرامية ، وغير الدرامية . فهذا السلوك يعبر عن طبيعة عدم المبالاة او الثورة النفسية ، او القساوة ، وغير ذلك من شتى ردود الفعل . والانفعالات ..

فوقع الاقدام جيئة وذهابا يدل على القلق . كذلك ضرب وسط الكف اليسرى بقبضة اليمنى ..

فالنص الادبي الذي يقدمه المسرح او الاذاعة او السينما ، ليس هو ذلك النص المكتوب بحروف سوداء على الورق ، بل هو شيء ءاخر يختلف كل الاختلاف ، انه « مخلوق اجتماعي » ينبض بحراره الحياة ، وخصائص الاحياء !..

ثانيا — مادة الالوان ، والصور ، التي تشكل عنصرا حيويا من عناصر الجمال والاثارة ، وخلق الاجواء من مناظر واضواء وظلال على نحو يتوافق ومواقف المسرحية ، وروح موضوعها . كما ان عنصر الصور الملونة يكون اليوم قيمة جمالية في فن الطباعة الحديثة في عالم الكتب والمجلات . فالصورة المعبرة اصبحت اليوم تكمل الفكرة المكتوبة بل انها اصبحت من عوامل رواج الكتب . وهناك صور معبرة تغني عن فكرة حية مكتوبة ! ..

ثالثا — الطبيعة الاتساقية ، واعني بها الموسيقى التصويرية ، فانه حين يعجز فن القول بوسائله واداته اللفظية عن التعبير عن موقف من مواقف الطبيعة الانسانية في مئاسيها وافراحها ، حيث لا يكون هناك مايقال ، وان قيل ، فلا يكون له موضع للنفاذ والتأثير ، عندئذ فقط تقوم الموسيقى التعبيرية بهذا الدور على ابلغ وجه وافضله ، واروعه واعمقه واصدقه ..

رابعا — طبيعة الالقاء ، بأصوله الصوتية التأثيرية ، وقيمة الفنية الجمالية . وقد اصبح يمثل مدارس ، وانجاهات في عالم المسرح ، وعملية الالقاء تتمشى مع ما يلائم مختلف المواقف وطبيعة الشخصيات فضلا عما يضفيه فن الالقاء على النص الادبي من قيمة جمالية ترفع من درجته .

وقد اهتدى عميد الادب الدكتور طه حسين الى هذه الحقيقة فقدر ما للالقاء من اثر ، ووقع على النفس ، بصرف النظر عن قيمة النص الادبي ، من الوجهة الفنية والجمالية . فقد كان الشاعر حافظ ابراهيم يجيد القاء الشعر وكان بذلك يؤثر على نفسية الدكتور طه حسين فينصرف عن نقد شعره، وقد كان من شأنه ان يتناول بالنقد شعر حافظ وشوقي ، في جريدة السياسة . ويذكر الدكتور طه حسين ، انه عندما كان يرجع الى البيت ويعيد قراءة قصيدة حافظ ، مجردة من العوامل التأثيرية كان يجد بها عيوبا تعرضها للنقد ، والتقويم . لذلك حرم على نفسه ان يستمع الى الشاعر حافظ ، حتى لا يقع مرة اخرى تحت تأثير العوامل الخارجة عن طبيعة النص الادبي !

وهكذا الامر في المسرحية الشعرية ، فقراءتك لها في الكتاب ، تختلف عن سماعك ومشاهدتك لها على خشبة المسرح ، وقد اضفى عليها الجو المسرحي عناصر جمالية متعددة ذكرنا منها اربعة .

ورغم ان المسرحية الشعرية لم تعد تحظى باقبال جمهور المشاهدين بعد ان انتهت فترة ازدهار المسرحية الشعرية بانقضاء عصر شوقي ، فان شاعرا ءاخر تقبلته الحياة بعد شوقي ، عز عليه ان تموت المسرحية الشعرية ، فأخذ يغذي المسرح المصري بالمسرحيات الشعرية التاريخية على نحو ما كان يفعل شوقي . هذا الشاعر هو الاستاذ عزيز اباظة وقد اختلف النقاد في قيمة هذا الانتاج ، واشتد الجدل والخلاف حينما فوجيء القراء بالشاعر العزيز يقدم اليهم مسرحية شعرية تمثل واقع الحياة اليومية

فاس في ثورة دائمة

للاستاذ
ابراهيم حركات

ثارت فاس اكثر من مرة في تاريخها ، وكانت ثوراتها راجعة الى عوامل مختلفة بعضها سياسي ، وبعضها اجتماعي . ورفع الفاسيون علم الثورة ضد عدد من ملوك المغرب وعمالهم ، وسنرى بعد عرض شيء من هذه الثورات الاسباب الحقيقية التي أدت بالفاسيين الى ان يكونوا ثائرين بطبعهم على الظلم وفساد الاوضاع ، ونظرا لكثرة هذه الثورات في تاريخ فاس فانني اعتذر عن عدم استقصائها في هذه العجالة واكتفي منها بما يلي :

في عهد الادارسة :

كان يحيى محمد بن ادريس ملكا على المغرب بعد والده يحيى ، ولكنه كان فاجرا ، وقد دخل على النساء يوما في احد حمامات فاس فثار عليه اهل فاس وكادوا يفتكون به . ثم عينوا عليهم اميرا منهم هو عبد الرحمن بن ابي سهل ، وتمكن يحيى بعد هذه الحادثة من استرجاع فاس . وتولى بعده علي بن عمر ابن ادريس ، فخرج عليه ثائر خارجي بجبال مديونة يدعى عبد الرزاق الصفري ، وتمكن من الاستيلاء على عدوة الاندلس بينما صمدت ضده عدوة القرويين .

ولما ظهر العبيديون واعتقل مصالة يحيى بن ادريس الذي مات مغربا عين عاملا على المدينة يدعى ريحان الكتامي ، فثار ضده الحسن الحجام بمساعدة اهل المدينة وقتله كما قتل كثيرا من اشياعه .

وثار الفاسيون مرة اخرى ضد الشيعة سنة 322 وعينوا عليهم عاملا هو احمد بن بكر الجذامي وقتلوا عامل الشيعة حامد بن حمدان وجرد اليهم العبيديون جيشا بقيادة ميسور الخصي فاغلقوا فاسا دونه وبقي محاصرا لفاس مدة سبعة اشهر ، واخيرا صالحوا ميسورا على ان يحتفظوا بعاملهم الجديد الذي عينوه بانفسهم وهو حسن اللواتي

في عهد الزناتيين :

بعد اختفاء الادارسة من فاس وظهور الزناتيين عين اهل فاس عاملا لكل من العدوتين ولكن زيري الصنهاجي قتلهما معا .

ولما ضعف زيري بن عطية تجاه الامويين وانهزم امامهم قرب طنجة رجع الى فاس فاغلق اهلها ابواب المدينة في وجهه واخرجوا له اسرته وزادا ودواب .

ولما تولى الفتوح بن دوناس نشبت الحرب بينه وبين اخيه عجيسة في فاس ، فمال بعض السكان الى الاول ، والبعض الى عجيسة ، واستمرت الحرب داخل البلد ثلاث سنين الى ان استولى الفتوح على مجموع فاس .

في عهد المرابطين :

فتح يوسف بن ناشفين فاسا مرتين ، الاولى سنة 455 بعد ان اهلك من اهلها ومن احوازها اربعة ءالاف نفرا ، ولكن تميم بن معنصر استعادها وعاد يوسف لفتحها سنة 622 ، وفي هذه المرة كان القتال بين المرابطين من جهة والزناتيين من جهة اخرى ، وكان القتال في شوارع البلد وازقته وحتى في بعض المساجد كالقرويين وجامع الاندلس حيث قتل ازيد من ثلاثة ءالاف زناتي .

اصبح اليوم للاضاءة مكانها فيعالم المسرح الحديث حتى ان فرقة المسرح الوطني الشعبي في فرنسا اخرجت رواية « لورنجاسيون » LORENZATION للفريد دي موسيه بطريقة الاضاءة التي استغنت بها عن المناظر « الديكور » .

وهذا مثل ثاني من احدى الروايات السينمائية ، لا اذكر عنوانها ، ولا مؤلفها ، ولكني اذكر موضوعها وحوادثها . امراة شبقة جميلة رشيقة ، رقيقة الشعور (هي الممثلة ريتايونج) متزوجة من رجل ذي شخصية شاذة ، لان المرض اقعده في السرير ، لا يتحرك من شدة ءالام اطرافه ، فتحيطه الزوجة برعايتها ، وتفني في تمريضه . وعندما تخرج لقضاء حاجات البيت ، واستشارة طبيبه الشاب ، تدور في راس الزوج فكرة خاطئة وءاتمة حول سلوك زوجته مع طبيبه . وتبدا الحركة الدرامية تشتعل ، فهو يكتب تقريرا مطولا ليرسله الى محاميه يتهم فيه زوجته بانها تتآمر على قتله بالاتفاق مع طبيب العائلة الشاب، حتى يخلو لهما الجو ، وانها كانت تناوله الحبوب المخدرة اكثر مما صرح به الطبيب بغية القضاء عليه !. ولكي يؤكد صحة دعواه اخذ هو نفسه يغافل زوجته ، حين تخرج لقضاء حاجيات البيت ، فينزل من السرير زاحفا ، متألما ، ويتناول الحبوب بزيادة !. ثم هو يسلم تقرير الاتهام الى زوجته داخل رسالة مغلقة ، ويرجوها ان ترسلها الى البريد لانها رسالة تخص بعض شؤونه !. وتذهب الزوجة بحسن نية بالرسالة ، وتسلمها لساعي البريد العجوز الذي كان مارا بالحي صدفة ، وعندما تعود الزوجة الى البيت ويتأكد الزوج من انها سلمت الرسالة الى البريد ، ينفجر بالضحك الساخر ، ويخبرها بالحقيقة وان الرسالة لم تكن سوى دليل موتها ! فتصعق الزوجة وتخرج هائمة تبحث عن ساعي البريد العجوز لتسترد منه الرسالة !. وبعد ان تجده ترجوه ان يعيدها اليها ، ولكنه يخبرها في سذاجة ان القانون يمنع ذلك !.. وانه اذا كان ولابد من استرجاعها ، فعليها ان تذهب وتتصل بمدير البريد مباشرة !. وتذهب اليه ، ولكن المدير يشرح لها سلسلة من الاجراءات القانونية تجعلها تيأس ، وتعود الى البيت مذهولة من هول المفاجأة .، وعندما تصل الى مدخل البيت تسمع طرقا على الباب ويفاجئها ساعي البريد فيناولها الرسالة في بساطة ، والتي لم يكن قد ذهب بعد بها الى البريد .. وهنا تتجلى روعة الطبيعة الانسانية ، وعبقرية المخرج في هذه اللقطة الخالدة في الفيلم كله ، فقد امسكت البطلة الرسالة في ذهول ، ولم تصدق ما تراه ، فاسندت مؤخر راسها الصغير على الحائط ، وصدرها يتنفس ، واستسلمت لنوبة من الشهيق الممزوج بدموع الفرح ، والالم ، والانتصارات الانسانية على الظلم والموت ، ولم تفه بكلمة فلم يكن هناك ما يقال .. ولان الكلمات في مثل هذه اللحظة لا يمكن ان تؤدي رسالتها .. وهنا تقوم الانفعالات المعبرة على الوجه بجانب المؤثرات الصوتية ، والموسيقى التعبيرية التي عملت عملها المثير .. هنا كما قلنا من قبل تظهر اهمية القيم الفنية الخارجية ، التي تؤدي تظافرها الى اعطاء النص الادبي حيويته يتسم عن طريقها التمثل الحي للادب ..

وهذا مثل ثالث وهو الاخير ، من رواية «الاصابع الخمسة » والحوادث في هذا الفيلم واقعية ، حدثت اثناء الحرب العالمية الاخيرة للسفير البريطاني في تركيا . فقد استغل خادمه « شرشون » ثقة سيده فيه ، وبدات تسول له نفسه ان يعمل في الخفاء لخيانة سيده من اجل الثراء بسرعة . فنجده يتصل بالسفارة الالمانية في تركيا ويخبرها انه مستعد بأن يزودها بالوثائق الحربية البالغة الخطورة مقابل ثمن . وهكذا اخذ يعمل في نصف الليل ، عندما يكون سيده قد نام ، فيذهب الى مكتبه ، ويفك رموز مفتح الخزانة الحديدية ، ويصور المستندات بآلة تصوير دقيقة كاصبع اليد !. ثم يضع كل شيء في مكانه .، وفي النهار يتصل بالسفارة الالمانية ، ويسلمها الوثائق، ويأخذ الثمن باوراق المارك الالماني ! . الى ان جمع ثروة طائلة ، وسافر الى امريكا الجنوبية قبل ان يفتضح وليعيش في النعيم الذي كان يحلم به .، وينزل في افخم فندق في المدينة .. وهنا تنكشف له الحقيقة ، حينما يطرق البوليس عليه الباب ليقبض عليه لان اوراق المارك التي يروجها مزيفة !. وفي لحظات انهارت احلامه ، ولم يفه بكلمة !. لانه لم يكن هناك ما يقال !. بل بعثر اوراقه المالية في الهواء !. وانفجر في نوبة من الضحك المثير ، الضحك الممزوج بالمرارة والخيبة ، وسخرية القدر !. وكانت لقطة خالدة تنبيء عن عبقرية المخرج ، فلم يكن في مقدور الكلام ان يصور هذا الموقف الانساني بهذه الروعة التي قامت بآدائها المؤثرات

اعود فأقول ، ان النص الادبي لم يعد اليوم كلمات سوداء مطبوعة على الورق ، بل اصبح مخلوقا اجتماعيا ، اصبح هو الحياة نفسها .

الرباط — عبد القادر السميحي

واتخذ جنده وبطانته من شراقة عرب احواز تلمسان، وكانوا سفلة يجاهرون بالمنكر ، ويقتحمون على الناس دورهم حتى ضج منهم اهل فاس ، وثاروا بزعامة ابي الربيع سليمان الزرهوني الذي اتى قتلا على شراقة وانصار السلطان ، وحاول عبد الله بن الشيخ استرضاء اهل فاس واصلاح ذات البين بينهم وبين شراكة فرفضوا بكل شدة وامعنوا فى قتالهم حتى قضوا على كل اثر لاستبدادهم ، ثم ان شراقة نصبوا لاهل فاس كمينا حيث وضعوا ايديهم فى ايدي الملالقة سرا وطلب هؤلاء مساعدة الفاسيين ، فتقاطرت جموعهم بخولان وخرج شراكة من كمينهم ثم حكموا السيف فى رقاب من خرج من اهل المدينة وكانوا عدة مئات .

ورفض اهل فاس دخول عبد الله بن الشيخ من سلاطين السعديين الى مدينتهم حيث كرهوا دولة السعديين بعد تسليمهم العرائش الى البرتغال ايام الشيخ . وبينما كان ابو الربيع من انصار السلطان الجديد كان الفاسيون ضده حيث عينوا عليهم زعيما اخر هو ادريس بن احمد الجوطي فقتله ابو الربيع وتعصب له فريق من السكان ، وعمت الفتنة البلد حتى حدث مجاعة اودت بحياة كثير من اهله وانتهى امر ابى الربيع باغتياله سنة 1026 فخلفه فى رئاسة فاس الفقيه المربوع . فكانت فاس فى هذه الاثناء خارجة عن طاعة السعديين ، وعمل المربوع على تنصيب رجل كان يتعبد فى زرهون واسمه عبد الرحمن الحنادفي : نصبه ملكا بفاس ، وقام وزير عبد الله بن الشيخ بحارب انصار الملك الغير الشرعي حتى قتله . ولجأ الفاسيون الى الاعتراف بسلطة عبد الله ابن الشيخ بعد ان ضاقت بهم الحال ثم قتل المربوع سنة 1028 بعد ان تابع ثورته ضد عبد الله بن الشيخ فى قليل من انصاره ، ولم يحسن عبد الله السيرة فى سكان فاس ولا فى رعيته عموما ، فكان يبعث بقواده لينهبوا الدور والمتاجر ويرجعوا اليه مثقلين بالاموال والامتعة ، وظلت فاس يتداولها رؤساء من اهلها طيلة حكم السعديين منذ موت عبد الله بن الشيخ سنة 1032 .

وضاق اهل فاس بحكم السعديين ، وكانوا قساة على الشعب منذ وفاة عظيمهم احمد المنصور ، ولا ينكر مع هذا نضالهم ضد النصارى الغاصبين من برتغال واسبان ، ولكن بعد ضعفهم اصبح الشعب نفسه يقود الجهاد فى شخص زعمائه وصلحائه وخصوصا العياشي الذي اعترف اهل فاس بزعامته وسلطته متحدين الحكم السعدي الفاشل ثم اعترفوا بسلطة محمد الحاج الدلائي ، وحدث سوء تفاهم بينهم وبين عامله ابي بكر التاملي فلجأوا الى محمد بن الشريف الذي كان قد بدأ محاولاته لتأسيس الدولة العلوية . ولم يكن جيش المولى محمد من القوة بحيث يمكنه ان يرد حامية الدلائيين عن فاس ، وهكذا حاصر التاملي المدينة حتى قطع عنها الماء مدة طويلة ، فاضطر الفاسيون الى الانقياد الى الدلائيين من جديد ولم يخضعوا بسهولة للمولى الرشيد حتى لقد اصابوه برصاصة فى اذنه وهو يحاصرهم .

ثم استولى المولى الرشيد على فاس من الدلائيين . فاقتحم فاس الجديد اولا ثم فاس القديم بعد مقاومة شديدة سنة 1076 هـ .

وثارت فاس مرة اخرى فى عهد المولى اسماعيل بسبب سوء تصرف القائد العسكري زيدان العامري وحولت الدعوة الى ابن محرز الذي قضى المولى اسمعيل فى محاربته ومطاردته سنوات طويلةمن حكمه، ولبثت فاس خارجة عن طاعة المولى اسماعيل ازيد من سنة حتى عادت الى حكمه سنة 1084 .

وعندما عزم المولى اسماعيل على تمليك العبيد رفض علماء فاس الموافقة على ذلك فاصدر السلطان منشورا يوبخهم على تمردهم ويأمر بعزل عدد منهم من وظائفهم .

ثم تولى احمد الذهبي ولد المولى اسماعيل ، وفى عهده نهب جيش الوداية فاسا فثار اهلها لحربهم وحضر السلطان لحصار فاس التي اغلقت ابوابها دونه ، واستخدم فى حصاره الاسلحة المستحدثة يومئذ من مدافع ومهاريس وبنادق ، ثم عرض السلطان نفسه الصلح على اهل فاس تلافيا لسوء المغبة ، ثم خلع السلطان المذكور فى خبر طويل ، ورفع من جديد الى الحكم بعد ان فشل اخوه ابو مروان فى اقرار السلطة وعاد احمد الذهبي يحارب فاسا بعد ان فسد ما بينه وبين اهلها بسبب جور جيش الاوداية ، وكان ابو مروان اخوه فى قبضتهم وبينه وبين احمد الذهبي عداوة شديدة ، وحاول ان يسترضي الفاسيين باطلاق سراح مساجينهم الذين كانوا فى يده ، ودخل ممثله الى فاس يخطب فى اهلها ويدعوهم الى الطاعة ، فحملوه الى حيث قتلوه وصلبوه ، وخرج جماعة من ثوار فاس الى ناحية البلد ، فاستولوا على كثير من مواشي الاودايا وطال حصار احمد الذهبي لفاس ما يقرب من نصف عام وكانت المدينة خلال ذلك تتلقى

وما كاد المرابطون يدخلون فاسا حتى هدموا الاسوار التي كانت تفصل بين عدوتي القرويين والاندلس ، وقيل ان يوسف كان يقول : انما اسوارنا سيوفنا وعدلنا ، وقد نسبت هذه العبارة الى عبد المومن الموحدي ايضا .

فى عهد الموحدين :

فى سنة 540 حاصر عبد المومن الموحدى فاس حصارا طويلا وقطع الماء عنها ثم حبسه مدة فى سد وارسله بعد ذلك فاغرق قسما من البلد الذي اعتصم به اهله وتهدمت من اجل ذلك دور عديدة بلغت الفين، ومات كثير من سكان البلد ، واخيرا استولى عليه عبد المومن وهدم قسما كبيرا من اسواره ثم جددها يعقوب حفيده .

فى عهد بني مرين :

لما تولى ابو بكر المريني حاول ان يستولي على فاس من غير لجوء الى القوة ، وقد توصل الى ذلك فى البداية عن طريق الشيخ ابي محمد الفشتالي الذي وقع ما يشبه ميثاق ود مع الامير المريني خارج باب الشريعة ، وبعد دخوله فاسا سنة 646 اخرج عاملها الموحدي السابق من غير ان يسيء اليه ثم عين عاملا جديدا للمدينة من الحشم ، وكان اسود اللون واسمه السعود بن خرباش ، وقبل ان يغادر فاسا لمتابعة فتوحه ترك بضع مئات من جند الموحدين بينهم مائتان من النصارى على راسهم شريد الفرنجي ، وقد وزعت هذه الحامية بين رجال الدولة الجدد وكانت فرقة النصارى فى عداد جند العامل المريني ، وفكر اهل فاس فى الثورة ، والرجوع الى طاعة الموحدين فاتصلوا بالقاضي ابي عبد الرحمن المغيلي واقنعوه بتزعم الثورة والفتك بالسعود ريثما يصل عامل الموحدين ثم يتم الاتفاق مع شريد الفرنجي الذي كان يقود الحرس الخاص بالعامل . وفى صبيحة يوم من سنة 647 دخل على العامل جماعة من زعماء الثورة وبينهم ولد القاضي المذكور ، ثم خاطبوه بكلمات عالية ، فهم باعتقالهم ، وحينئذ دخل شريد وعصابته ففتكوا بالسعود وطافوا براسه فى انحاء المدينة تشهيرا به ثم نصب شريد واليا موقتا ، ولكن المرتضى الذي استصرخ به اهل فاس كان اعجز من ان يسترجع بلدا اصبحت ضواحيه كلها فى قبضة بني مرين فطلب تدخل يغمراسن داهية بني زيان الذي كان يرى فى هذا التدخل فرصة لضم اطراف المغرب الى مملكته

واثناء ذلك كان ابو بكر المريني قد احاط بفاس احاطة السوار بالمعصم ، وظل ينتظر فرصة اقتحامها مدة تسعة اشهر ، ثم عندما علم بهجوم يغمراسن المحتمل انسحب نحو الشرق ليصطدم بجيوش يغمراسن فى ايسلي حيث دارت معارك كثيرة قبل الموحدين وبعدهم، ولم يفز يغمراسن من المرينيين بطائل ، بل انهزم امامهم تاركا وراءه اسلابا وافرة ، وعاد ابو بكر يشدد الحصار على البلد الذي سبق ان عاهده على الوفاء ، والظاهر ان اهل فاس كانوا يخشون من بني مرين ما كانوا يخشون من بني عمومتهم المغراويين واليفرانيين الذين تداولوا فاسا خلال حروب طاحنة ، وما كاد ابو بكر يخيم بجيوشه على مقربة من البلد حتى خشي اهله مغبة مغامرتهم ، وطلبوه الصفح عما صدر منهم ، فوافق على دخول البلد سلما ، ولكنه اشترط عليهم ان يعوضوه عن الخسائر المادية التي تكبدها المرينيون فى هذه الثورة فادوا اليه مبلغ مائة الف دينار وهو قدر عظيم بالنسبة للوضع الاقتصادي يومئذ ، وهكذا عادت فاس الى طاعة بني مرين سنة 648 بينما كان نفوذ الموحدين فى طريق الزوال .

ولما ثار ابو عنان المريني على والده ابي الحسن واستبد بملك المغرب دونه ، نزع الى طاعته اهل فاس القديم وامتنع اهل فاس الجديد من بيعته ، واغلب الظن ان ذلك يرجع الى ان سكان فاس القديم كانوا محافظين ، بينما كان اكثر سكان فاس الجديد من المتعصبين الذين قطنوا المدينة المستحدثة ، وحاصر ابو عنان البلدة مستخدما المنجنيقات ، ولكن لم يفد منها شيئا سوى ان اهلها ضاقت حالهم حتى دخل عليهم ادريس بن ابي العلاء موهما اياهم انه يشايع عاملهم منصور ، وتبعه جماعة فتمكن من اعتقال العامل وقتله ، ثم استسلمت المدينة الى الملك الجديد .

فى عهد الاشراف :

ظل اهل فاس متمسكين بطاعة بني وطاس مدة بعد ان خضعت لطاعة السعديين مناطق كثيرة من المغرب ، كمراكش ، واسفي ، والسوس ، ورفع علم الثورة ضد السعديين الفقيه ابو عبد الله الونشريسي الذي راى ان بيعة الوطاسيين ما تزال فى عنقه ، ولم يستطع ابو عبد الله الشيخ ان يفتح المدينة فدس الى الشيخ الونشريسي جماعة من السفلة الذين اغتالوه امام باب من ابواب القرويين ، ثم استولى على البلد سنة 956 هـ بعد عراك عنيف ، وبعد وفاة زيدان بن احمد المنصور تولى عبد الله بن الشيخ بفاس

وهكذا شكلت الصناعات والعلوم والفنون التي نقلت عن الاندلس نوعا من التركز فى فـاس ، مما جعـل سكان هذا البلد ينظرون الى انفسهم نظرة اعتـزاز وتفوق ، وهذه الحالة النفسيـة من شانها ان تؤدي الى التمرد على كل وضع يحاول النيل من اصحابها .

3 — لم يحسن الملوك دائما معاملة السكـان ولم تكن فـاس التي طبع اهلهـا على رهافـة الحس والثقة المفرطة بأنفسهم لترضـى بعمـال يسومونهـا الخسـف . لذلك كان الفاسيـون يعمدون الى خلـع العمال الذين لا يحسنون التصرف وينصبون عليهـم عمالا من بينهم فى انتظار ان تقبـل السلطة الرسميـة الامر بالواقع او تعين من جهتها من يقبله اهل البلد .

4 — كان تهتك بعـض العمال والملوك وسـوء اخلاق الجيش من اكبر دواعي الثورات الفاسية ، كما راينا فى عهد يحيى بـن محمد بن ادريس وزيـدان السعدي ، وفى ثورة الفاسيين ضد زيدان العامـري قائد المولى اسماعيل ، ومحمد الصفار عامل المولى سليمان

ومن اهم ما يلاحـظ فى معظم ثـورات فاس ان الطبقات الارستقراطية كانت تشترك فيها جنبا لجنب مع الطبقات الفقيرة ، واحيانا كانت السلطة المحليـة تؤول الى شعبيين مما يدل على الوعي الذي كـان يسود فاسا منذ قديـم .

فـاس — ابـراهيـم حركـات



قنابل المدافع وحجارة المجانيق حتى سقطت مبان كثيرة منها وعمت المجاعة بسبب انقطاع الموارد الخارجية ثم انعقد الصلح على تأمين اهل البلد وتسليم ابي مروان الى اخيه بعد ان توثقوا منه حتى لا يناله منه مكروه ، ولكنه غدر به وقتله خنقا ثم مات بعده ببضعة ايام .

وتولى بعده المولى عبد الله بن اسماعيل فانقاد اليه أهل فاس ثم حدث بينه وبينهم سوء تفاهم حيث طالبهم بالتنازل عن بساتينهم لصالح الدولة فرفضوا محتجين بحقهم فى الملكية ، وبأن شروط البيعة لا تتضمن هذا التنازل فقام يحاصرهم ويخرب بساتينهم وزروعهم ، وطال الحصار حتى اذعن الفاسيون للسلطة الحاكمة ، واحتفظوا مع ذلك باملاكهم ، وكان المولى عبد الله شديدا على من كانوا يسمون بجيش العبيد ، فثاروا به وولوا اخاه عليا .

وكان عامل فاس فى عهده اولا مسود الروسي وكان متهورا ، فقتل احد زعماء البلد ، وقام الفاسيون لحربه حتى عزله السلطان الجديد .

وفى عهد السلطان المولى سليمان ثار اهل فاس على عاملهم محمد الصفار بسبب تهتكه وخلاعته فكتب اليهم السلطان خطابا طويلا ذكر نصه كاملا صاحب الاستقصا . ومما جاء فى رسالته :

« واما الفسق فهو عادة وديدن كل من قام فى الفتنة . وكم مرة رمت قطعه فلم اجد اليه سبيلا ، لان جل كبرائكم بالمصاري والعرصات ، وانما اولي عليكم البراني لانكم لا تحسدونه وان اكل وحده .. »

ثم يضيف الخطاب :

« .. وانظروا ما اجبتكم به وما كتبتم لنا به واعرضوه على فقهائكم فمن قال الحق منا ، ومن قال الباطل اختتم بحظكم من الفتن » .

وفى اواخر عهد السلطان المذكور اعتدى عبيد الاودايا على اليهود فنهبوا اموالهم وهتكوا اعراضهم ثم قتلوا منهم عددا كبيرا ، وراموا ان يفعلوا مثل ذلك بمسلمي فاس فقاموا ضدهم قومة رجل واحد، وعينوا عليهم لجنة تمثل الاقسام الرئيسية من البلد فدبرت اموره حتى غرم الاودايا ما اتلفوه للسكان مسلمين ويهودا .

وفى عهد السلطان الحسن الاول امتنع اهل فاس من اداء المكس الذي كان قد فرضه السلطان محمد ابن عبد الله على البضائع الواردة من المدينة ثم خلعوا عاملهم محمد بنيس واستصفوا امواله وكادوا يقتلونه حتى اضطر الى الالتجاء الى ضريح الامام ادريس ، وتزعم الثورة الدباغون خاصة ومنعوا العامل الجديد ادريس السراج من الالتحاق بالسلطان بعد ان كادوا يأتون على حياته هو ايضا ، وقد كانت له يد فى سوء تصوف بنيس ، فاضطر السلطان الى حربهم وحصارهم ثم مال الى الرفق فى اجتذابهم وبعث اليهم منشورا يحذرهم مغبة تمردهم فركنوا الى الطاعة ونفى السراج الى مراكش .

واذا اضفنا الى ما تقدم ثورة اهل فاس ضد اقرار نظام الحماية ، هذه الثورة التي سبقت اقرار النظام المذكور بشهور عديدة وجرت معها ثورة بني مطير وغيرهم ، ثم قيام الحركة الوطنية بهذا البلد نفسه وظهور زعماء اقوياء كانوا على راس الثورة الشعبية العارمة التي ادت الى استقلال المغرب فسنستخلص من ذلك سلسلة طويلة من الثورات التي لا يسع المجال لذكرها كلها فى هذا البحث الوجيز

فما هي العوامل الحقيقية التي جعلت من عامة أهل فاس توارا بطبعهم ؟

1 — ان الاصول الاولى لسكان المدينة اصول عربية تقاطر معظمها من الاندلس وخصوصا من قرطبة وبالتالي اثر وقعة الربض، بالاضافة الى هجرات اخرى فى عهد الادارسة والزنانيين وغيرهم ، وقد ورثت هذه الاصول العربية عن سكان قرطبة لثغة لسانهم كما نقل فقهاء فاس عن فقهاء الاندلس صراحتهم وجدبتهم وتدخلهم فى سياسة الدولة بشكل مباشر او غبر مباشر ، ولم يكن فقهاء الشرق يبلغون تعصب فقهاء الغرب وشدتهم ، ولكن يبدو ان وضع المسلمين فى الاندلس بين الممالك المسيحية ، وقد كان وضعا خطيرا فى معظم تاريخهم ، حدا بالفقهاء الى ظهورهم باستمرار على مسرح السياسة فى الاندلس ، وحيث ان فقهاء فاس درسوا بقرطبة ايام عزها فقد نقلوا عن فقهائها كما تقدم نفس الاهتمام بالشؤون السياسية

2 — ان التجاء العناصر العربية الراقية من الاندلس الى فاس جعلها تشكل مجموعة لها من المقومات والخصائص ما تمتاز به كثيرا عن باقي المناطق المغربية،

هيهات لا ابتغي منهم هوى بهوى
حسبي اكون محبا غير محبوب

ما كل من سيم خسفا عاف مورده
ان الاباء لظهر غير مركوب

يا دهر ان نوسع الاحرار مظلمة
فاستثنيني ان غيلي غير مقروب

ورب عاو على اثري بليت به
بلاء ليث الشرى فى الليل بالذيب

اسكنت عنه ولو لم يزد جر غضبي
وشمت صارم تانيبي وتشريبي

سرى بذكري الى اسماعهم ادبي
مسرى النسيم الى الاناف بالطيب

ولقد تلقى المعتمد قصيدة ابن عبدون واجاره عليها بسخائه الذي عرف به مع الشعراء الذين كانوا يقصدونه وينشدونه مدائحهم فيه ، ولكنا نحسب ان القصيدة لم تنل من اعجاب المعتمد الدرجة التي كان يقدرها لها الشاعر ومن ثم فقد اكتفى بان منح ابن عبدون جائزة ولم يامر بان يضم الى شعرائه ، ولم تقع جائزة المعتمد من نفس ابن عبدون موقعا حسنا فقد كان هذا يمني نفسه بما هو اكبر من الجائزة كما سبق ان اسرنا ، على انه لم ييأس وبدأت آماله ستيقظ من جديد لتحقيق الامل الذى اخرجه من بلده يابرة وجعله يقصد اشبيلية ... فليحاول اذا محاولة اخرى ولينشد المعتمد قصيدة ثانية يصف فيها حاله وينفض مجمل امره ويجعلها مدحا مباشرا عله ان يبلغ بها من نفس المعتمد ما يبتغي فينخرط في حاشيته ويكتب فى ديوان شعرائه ، ولقد كان حرص ابن عبدون على بلوغ مرتبة سامية فى بلاط المعتمد يعني اكثر من معنى ، فبالاضافة الى الترف الذي كان معروفا به المعتمد مما عساه ان يذكي رغبة شاعر كابن عبدون ان يعيش الى جواره ، فالمعتمد كذلك شاعر رقيق واديب متبصر فهو ان الحق ابن عبدون ببلاطه كان ذلك شهادة منه يعتز بها ابن عبدون ، وهكذا قدم ابن عبدون الى المعتمد قصيدة ثانية نقتطف منها ما يلي :

*) ان الممالك والسيوف شهود
لكم اماء والملوك عبيد

شامتكم فى المكرمات عزائم
جار على احكامها التاييد

من معشر اخذوا باطراف العلا
والافق غفل والليالي سود

جاءوا فنارت فى البسيطة انجم
وسطوا فثارت فى السماء اسود

ياروضة وصف النسيم اريجها
رقي علي فانني غريد

لا ذنب للامال الا انها
اصف الاوار وماؤها مورود

ركبت اليك جناح كل عزيمة
شهب لها من ان تراك سعود

مالي ارفرف حول دوحك ضاحيا
حوض الردى من خلفها مورود

لقد كانت قصيدة ابن عبدون هذه تمثل اصدق تمثيل صرخات نفسه وحرمانه وتعثر حظه ، فهو يصرح بانه لم يدخر جهدا فى سبيل تحقيق آماله ، والوصول الى هدفه ، فاذا ما حيل بينه وبين مايبتغي فالذنب ليس ذنبه وانما هو ذنب الاقدار التي سدت دونه سبل اهدافه ، فلم تتصل اسبابه بالمعتمد ولم يظفر منه باكثر من الجائزة التي تعطى لكل شاعر عابر يمدحه . صبر ابن عبدون فى انتظار ان يستدعيه المعتمد ليسند اليه وزارة او ولاية ، فكان موقفه اشبه مايكون بموقف المتنبي من كافور الاخشيدي ، فكلا الشاعرين قد ذهبت آماله سدى ، وكما عيل صبر المتنبى فاعتزم الرحيل ، كذلك فكر ابن عبدون ان يرتحل ولكن الى اين ؟ انه وقف حائرا لايعرف له وجهة يقصدها ، ولا مملكة يؤمها بعد ان فشل فى تجربته مع المعتمد ، وربما استطعنا ان نتصور بانه خلال موقفه هذا فكر فى العودة الى بلده يابرة قانعا من الغنيمة بالاياب ليقف نفسه على العلم والادب ، او ليقوم بالتدريس ... ولكنه ما لبث ان ابتسمت له

*) القسم الثاني من الذخيرة ورقة 436\437

من تراثنا الفكري في الاندلس

للأستاذ محمد الامين محمد

أبو محمد بن عبدون اليابري

- 2 -

* يمم ابن عبدون وجهه شطر اشبيلية يحدوه امل كبير فى ان يظفر لدى المعتمد بالشهرة والجاه اللذين كان يهفو اليهما منذ حداثته واللذين شغلا فكره منذ ان احس بتفتح مواهبه فى الشعر وفى الادب بوجه عام ، ولم يكن سوء الحظ الذي مني به اثناء مقامه لدى المنصور بن الافطس بالامر الذي يضعف عزيمته، ويفقده الثقة فى نفسه فيعدل فيه عن ميدان الادب الى ميدان آخر يظفر فيه بالمال ويحقق ما تصبو اليه نفسه فيقعد مثلا لاقراء علوم اللغة والادب كما كان يفعل الكثيرون من معاصريه ممن كان لهم مثل حظه من الثقافة والمعرفة ، ولكننا نحسب ان مما اطمع ابن عبدون ان يقصد المعتمد باشبيلية هو ما عرف عن المعتمد من انه يكرم الشعراء والادباء ويعلي من منازلهم ويغدق عليهم امواله وعطاياه بغير حساب ثم ما شاع عنه من انه لايستوزر الا شاعرا او اديبا . ثم اذا ما اضفنا الى ذلك ان ابن عبدون قد سبق له ان وفد على المعتمد حينما كان هذا وليا على «شلب» فاكرم وفادته ، نستطيع من هذا كله ان نعلل لارتحال ابن عبدون الى اشبيلية بالذات وعدم توجهه الى ملك آخر من ملوك الطوائف الذين كان ابن عبدون نفسه يعلم دون شك تسابقهم على اجتلاب فحول الشعراء ، واغداق الاموال عليهم حتى لقد بلغ الامر باحد الشعراء ان اقسم الا يمدح احدا من ملوك الطوائف بقصيدة الا اذ دفع له مائة دينار (*) . فابن عبدون اذا لم يكن يلتمس الرفد فقط بذهابه الى اشبيلية ، ولو كان يلتمس ذلك وحده لاختار مملكة غير اشبيلية يقل فيها تنافس الشعراء ويخلو له فيها الجو ، وانما كان يطمع فى الوزارة ، ولما لايمني نفسه ان يكون وزيرا فى بلاط المعتمد مثلا وهو يرى الشاعر ابا بكر بن عمار الذي كان افاقا يتكسب بشعره لدى ملوك الطوائف جميعا قد رفعه شعره الى مرتبة الوزارة ، بل لقد اصبح من اقرب المقربين الى المعتمد ، فليجرب ابن عبدون حظه وليمدح المعتمد فقد يكون ذلك من الاسباب التي تنهض به الى الوزارة ، ثم من يدري فقد يصبح شاعر المعتمد المقرب ... وكذلك فعل فرفع الى المعتمد قصيدة افرغ فيها كل امكانياته كشاعر وكأنما اراد ان تكون عنوانا لشاعريته ، فصور فيها رحلته الى المعتمد والمع الى ما يتحلى به هو من فضائل، ولم ينس ان يدل بنفسه وبادبه الذي يحسده عليه الكثيرون .... (*)

ساروا ومسك الدياجي غير منهوب
وطرة الشرق غفل دون تذهيب

على ربى لم يزل شادي الذباب بها
يلهو بآنق ملفوظ ومضروب

كالفيد فى قبب الازهار اذرعة
قامت له بالمثاني والمضاريب

فرحت استخبر الانفاس لا الطم الـ
ـلادراس عن موعد فى الحي مكذوب

---

*) راجع الجزء الاول من هذا البحث فى العدد الثالث من هذه السنة .
*) نفح الطيب ص 2 ص 128 .
*) القسم الثاني من الذخيرة ورقة 432 .

بعضهـا مـن المخـاف جامـد
وبعضهـا مـن الحيـاء ذائـب

فقبلهـا المتوكـل وكتب اليـه :

قـد وصلت تلـك التـي زففتهـا
مكـرا وقـد شـابت لها ذوائـب

فهـب حتـى نسـتـرد ذاهبـا
مـن انسنـا ان استـرد ذاهـب

فتقدير المتوكل اذا لابن عبدون كان تقدير خبير بالادب بصير بنقده ، ولقد ظل ابن عبدون الى جـوار المتوكل طوال اربع عشرة سنة كانت اسعـد ايامـه ، وكان شعره فيها كشعر المتنبي فى سيف الدولة قائمـا على الحب الصادق الذي يكنه الشاعر لممدوحه ، وهو الامر الذي نستطيع ان نلمسـه فى كل مدائحه للمتوكل تلك المدائح التي تتسم بصدق العاطفة وحرارة المشاعر ودقة الانفعالات ولو اننا ذهبنا نوازن بين مدائح ابـن عبدون للمعتمد ومدائحه للمتوكل لوجدنا فروقا ظاهرة لاتكاد تخفى على الناقد فقصائد ابن عبدون فى المعتمد كانت مدحا تقليديا قـوامه وصف الممدوح بالجـود والشجاعة وكرم المحتد وهي الامور التي الفها الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي لايكـادون يتعدونهـا وان اختلفوا فى طرق تصويرها وعرضها ، بينما نرى ابـن عبدون فى مدائحه للمتوكل قد نهج نهجا آخر مختلفـا فهو لايخفي بان ما حرك لسانه لمدح المتوكل انما هـو حب جارف لايستطيع ان يكتمه لانـه حب مـوروث قديـم ، وهو حب باق لن تستطيع الايـام ان تذهب بـه ، ولسنا نلمس فى مدائـح ابن عبـدون للمتوكـل صيحات الحرمان التي كنا نحس بها فى مدحه للمعتمد عندما كـان يقـول :

ما لـي ارفرف فوق دوحك ضاحيـا
اصـف الاوار ومـاؤهـا مـورود

وانما اصبحت قصائده فى المتوكل عليها طابـع الاطمئنان النفسي الذي يحس به الشاعـر .

هذا وسنعالج فى بحث مقبل المؤثرات الخارجية التي شكلت مدح ابن عبدون بوجـه خـاص وشعـره بوجـه عـام .

تطـوان ــ محمد الامين محمد

عضو البعثة التعليمية العربية



الامال مرة اخرى عندما تلقى رسالة من صديقه القديم المتوكل بن الافطس يطلب اليه فيها العودة الى بطليوس ، فتملك ابن عبدون اذ ذاك شعور من السرور لايمكن ان يوصف ، فقد كانت هذه الرسالة تعني ان آماله توشك ان تتحقق ، كما كانت تعني كذلك انه سوف يسترد كرامته ويثأر لكبريائه لان المتوكل بن الافطس هو العدو اللدود للمعتمد ، ولا شك ان انتقال ابن عبدون الى بلاط المتوكل هو الشيء الوحيد الذي ستشتفى به نفس ابن عبدون الذي قضى فى اشبيلية فترة قاسية كان فيها مجهولا لايحس بوجوده احد ، ولا يعرف عنه اكثر مما يعرف عن اي شاعر آخر يتكسب بشعره ، ومن يدري ؟ فربما كان فى بلاط المعتمد من يعرفون لابن عبدون قدره وينفسون عليه مواهبه فعملوا على ان يوصدوا من دونه ابواب المعتمد حتى لايزحمهم عنده ولا يشركهم فى منازلهم لديه . وربما كان المعتمد نفسه لم يرقه شعر ابن عبدون ولم ير فيه ما يراه فى شعر غيره من شعرائه المقربين .

مهما يكن من امر فان ابن عبدون لم ينس ان يشغل نفسه بالبحث عن الاسباب التي قعدت به عن تحقيق آماله لدى المعتمد ، واعتزم السفر الى بطليوس تاركا من ورائه اشبيلية والمعتمد غير آسف ولا نادم وانشأ قصيدة فى مدح المتوكل ، وما كاد يدخل الى بطليوس ويلتقي بالمتوكل حتى انشده اياها فوقعت من نفسه اجمل موقع ، فخلع عليه المتوكل واجزل عطاءه ، وانا لموردون هنا بعض ابيات من هذه القصيدة :

(*) وافاك من فلق الصباح تبسم
وانجاب عن غسق الظلام تجهم

والليل يبغي بالاذان وقد شدا
بالفجر طير البانة المترنم

خبطت بنا ورق الظلام سوابح
ملء النواظر سيرهن توهم

فاذا سرت فالليل منها ابيض
واذا غدت فالصبح منها ادهم

من كل هفهاف العنان كأنه
نفس المشوق تعاورته اللوم

شامت لساني فيك يا ابن محمد
مقة اذا كتم الهوى لا تكتم

ومحبة موروثة مكسوبة
بديء الزمان بها وعنها يختم

واليك من بيت الضمير حديقة
غناء تنجد بالرواة وتتهم

لله درك هل لمجدك غاية
الا وانت بها معنى مغرم

وعلاك لي درء وجودك فى يدي
ماض كرأيك فى الخطوب مصمم

وتعلمت منك الغمامة شيمة
تهمي وفيها للبروق تبسم

ولقد كانت هذه القصيدة قطرا تلاه غيث ، اذ اعقبتها قصائد كثيرة كانت كل واحدة منها سببا يزداد به ابن عبدون من المتوكل قربا وبه تعلقا ، وكانت عطايا المتوكل تنهمر عليه انهمار المطر فغذت شاعريته والهبت احاسيسه وتفتح بها معين الشعر فى نفسه ، ولم يمض وقت طويل على دخول ابن عبدون بطليوس حتى اتخذه المتوكل كبير وزرائه وصديقه الذي لايكاد يفارقه فى ظعنه او اقامته ، ولم يكن عمل ابن عبدون اذ ذاك مقصورا على الشعر فقط وانما كان يكتب عن المتوكل رسائله الخاصة كذلك ، ولا شك ان تقدير المتوكل لابن عبدون كان تقديرا قائما على الاعجاب بمواهبه الادبية فالمتوكل نفسه كان اديبا كاتبا وشاعرا ، ومع ان ماروي من شعره ونثره قليل الا انه يدل على جودة واصالة لاتقل عما نعرفه عن المعتمد بن عباد مثلا ، بعث ابن عبدون الى المتوكل بقطيع خمر وطبق ورد وكتب اليه :

(*) البكها فاجتلها منيرة
وقد خبا حتى الشهاب الثاقب

واقفة بالباب لم يؤذن لها
الا وقد كاد ينام الحاجب

(*) المرجع السابق ورقة 424

(*) المطرب من اشعار المغرب ص 24 ـ قلائد العقيان ص 45

تلك الاساءات المتعددة من جانب المسلمين انفسهم ، ممن تسمم تفكيرهم ، وساء فهمهم للاسلام جملة وتفصيلا ، ففتحوا بذلك نوافذ الشك والتشكيك في صلاحيتها ، وفعاليتها ، وتصرفت حظوظهم المختلفة تصرفا غير لائق ، سواء في ذلك حاملو الثقافة القديمة او الثقافة الجديدة ، فان كلا الفريقين لم ينطبع بالطابع الثقافي الاصيل الذي يتصل بتاريخ الامة الطويل ، ليغذي فيهم ذلك الشعور المشترك الممتد مع غرائز قوميتهم المجيدة التي يكافحون من اجلها ، ولست بمتجاوز درجة الاعتدال اذا قلت ان هناك جانبا من المثقفين يتسم بطابع الجفاف والجمود عن تفهم خصائص هذه الثقافة . وتكون في ظل هذه الفترة الكاسفة نفسيات ضعيفة ، ومجتمعات متخلفة ، وشعور امي بالدين وبالثقافة وبالواقع في زحمة عالم متطلع الى حياة جديدة ، لها مفاهيمها ولها مطالبها .

كان من النتائج السيئة لذلك ان ذرت فرون – في مختلف العصور – من سدنة الفكر الاسلامي وحملة ميراثه – في زعمهم – ملأوا فراغهم الواسع بدراسة ذابلة وفي نطاق ضيق متصلة بشعور فردي وظلوا يدورون حول نفوسهم ، ويتحللون من واقع حياتهم ، ويعقدون هذه الثقافة ويمجدونها ويهملون كل الفرص لربط ما بين دين الناس ودنياهم من صلات ترفع من قيمة الفرد وترعى نظام الجماعة .

وقد وجدوا في المدونات والمصادر التشريعية الاسلامية مهيعا ناضرا ومجالا خصبا لاستثمار هذه الحياة الفكرية القاصرة ، وترويجها من اجل تنمية ملكة عقلية ومران فكري كما يدعون ، مع انه ما كانت تلك الوثائق الاسلامية في يوم من الايام لتهدف الى هذا وتسوق الى الناس الخيبة والضياع .

وانما سيقت اليهم – فضلا من الله تعالى ونعمة – لتصون مصالحهم ، وتقيم عدل الله بينهم ، وتستجيب لما جد في الحياة ، وتلائم بين حاجات الناس وبين مئاخذ الاسلام الكبرى .

وان يكن لابد من هذه الدراسة على هذا التشكل في كتب مشحونة بالمواخذات والافتراضات والمحاكات، فلن تكون هذه الدراسة الا على انها دراسة تاريخية يعلق بها الترف الفكري على النحو الذي يطلع الناس بلون التأليف ، ولون الفكر المتحكم ، ولون المؤثرات الذي تأثرت به الطبقة المثقفة في جدالها وفي تفكيرها وفي فهمها للاشياء .

وما كان هذا ليشغلنا عن النظر في الاوضاع الثقافية الحديثة التي يبدو من اهتماماتها الاولى انها تبذل مجهودات جمة لاستيصال ذلك الارتباط العميق التاريخي بين الناشئة ودينها ، وتحرير الاجيال الصاعدة من ربقته ، وطبعهم بطابع متميز يعمل على تنمية قوى مجهولة في نفوسهم لا تنتهي في مصادرها ولا في مواردها الى راي واضح . وهناك اتجاهات مرسومة تعمل باكثر من وسيلة معتمدة على وسائل النشر والاذاعة والافلام والارساليات التبشيرية ، واكداس الكتب والابحاث ومناهج الدراسات ونشاط السفارات – لاجتذاب العقول الضعيفة واستضعاف العقول القوية ، وانتزاع ما فيها من نزوع الى الفكرة القومية لتحل محلها ذهنيات وانطباعات يكون لها تأثيرها السيء على مستوياتنا عن طريق الفن والفكر والادب .

وقد كان كمال الدين حسين المصري وزير التربية على علم بخطورة هذه المنافسة الثقافية الكاسحة وعلى حق فيما قال : يجب على المعلمين ان يستأصلوا من اذهان الناشئة كل ءاثار السيطرة الثقافية الانكليزية والفرنسية – . وايا ما كان الامر وكيفما كان ثقل هذه الاوضاع الخاطئة لهذه الطبقة من المثقفين من الطائفتين، فان الاسلام لا يكتفي بالاستغناء عنهم ، بل يؤكد على ضرورة مكافحتهم والتمييز بين الخلط الذي احدثوه ونحن نحرص الحرص كله على ان ينتهي هذا المظهر السخيف للدين – لان العدو يعتبره امضى سلاح في يده ، لانه يعمل في صمت ، وفي هدوء صوت وتستر عن العيون – وينتهي هذا الفهم المنحرف للدين ولثقافته ولكن لا ننتهي بانتهائه تلك الرسوم الحقيقية لهذا الدين السالمة من الاضافات المدسوسة . كل هذا مما سبق ذكره فتح امام اعداء الاسلام مجالا للحديث عنه وهم راضون عن انفسهم فيما يلفقون من تهم وفيما يتصيدون من شبه وفيما يفرضون عليه من مواقف ، فانك قد تراهم يتحدثون باعجاب عن الحركات الثقافية وعن المواقف الفكرية في العالم ، ولكنهم حينما يتحدثون عن الاسلام وعن ثقافته تراهم تحجبهم عوامل عن النظر الى ذلك نظرة مخلصة لوجه الحق ولوجه التاريخ .

ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل اضافوا الى ذلك : انه اذا صحت الشكوى من ثقافة الاسلام ، فلان طبيعتها يخالفها الصواب دائما لانها تنظر الى الاشياء

في سبيل ثقافة إسلامية صحيحة

للأستاذ
محمد العيسوي

كلنا نعلم ان التصميمات الاصلية للانظمة الثقافية فى كل امة هي خير ما يسعد به المجتمع ومن خير الوسائل لانماء ضمير المواطنين وتقوية احساسهم وكفالة مستوياتهم وانعاش المعاني السامية فيهم . وليس بوسعنا ان نتحدى هذا النظام او نوقف تياره — متى شق طريقه — او نقيس مدى قدرته وتصرفه فى توجيه الحياة الانسانية بمذاهب وتيارات وبمواقف اخرى فى الحياة بالفة ما بلغت صلتها بالانسان وبئافاقه وبانطلاقاته .

وربما يكون لهذه المواقف بعض النجاح فى فترة من فترات التاريخ ، ولكن فى الحقيقة ليس ذلك راجعا الى اصالة هذه المواقف وهذه المئاخذ ى الدفع والعطاء البعيدة الصلة باللون الثقافي ، وانما لعوامل اخرى قد تكون ايضا من معطيات الثقافة ساءت نسبتها الى غيرها .

ان اكبر ما نعتمد عليه التطورات الانسانية فى تفاعلها المستمر هي الانظمة الثقافية التي ارادها الله لتكون اداة لتصفية جميع متناقضات الحياة ، ولتمثيل الظاهرات الحضارية ، وعاملا قويا من عوامل الاستمرار القومي ، وباعثا على خلق وحدة منسجمة واعية مطبوعة بطابع الشمول والتمثل والخلود . وجدير بنا ان نعرف ان اية وحدة كيفما كانت — لا يمكن لها ان تعيش الا على اساس وحدةثقافية مشتركة وداخل حدودها ، فلن تبنى على اساس اقتصادي او عسكري او سياسي ، واذا قدر لاية وحدة ان تعيش على غير حرارة الرصيد الثقافي فغالبا ما تكون حاملة لعناصر فنائها ويقضى عليها فى اهابها .

مثل هذا يدفعنا الى القول ان من شأن الثقافات — فى صفاء جوهرها — ان لا تعكس خلافات ولا ان تسهم فى ميلاد مشاكل قد تسيء الى الناس ، ولا ان تبعد بهم عن مجرى الحياة ، ولا ان تفصلهم عن مجتمعاتهم ، ولا ان تعهد للانسان فى اعقاب التاريخ ان يهدم ما بناه الانسان الاول بدمه ودموعه وعرقه المتصبب . وانما ابتعدت عن اداء رسالتها يوم ابتعد الناس بها عن مسالكها المألوفة ، وجفت عن الاستجابة الطبيعية لها فى اليوم الذي طغى عليها الفساد والتعمل والجمود . تلك الاستجابة التي ارادها الله تعالى لتعوض الانسان عما يجد فى نفسه من شفاء ، وفى مجتمعه من تخلف ، وفى خلقه من انتكاس .

واذا قسنا الثقافات المختلفة بعضها الى بعض وعجمنا نتائجها ، ووقفنا على اهدافها ، نجد ان الثقافة الاسلامية — فى خصائصها الاولى — هي اجدى ثقافة على الانسانية . وخير نظام ثقافي تتمثل فيه العقيدة والشريعة والمجتمع والدولة والسياسة وادب الناس وسلوكهم وحربهم وسلمهم — تمثيلا يهدف الى بث الروح الجماعية ، وخلق ضمير حي، وشعور قومي مشترك ، وادماج حياة الفرد وهو راضي النفس فى حياة الجماعة ، وقد مرت عليها قرون طويلة دلت فيها التجربة والاختبار الدقيق على نجاحها الواسع ، وعلى انتصاراتها المتصلة ، وعلى مسايرتها للتمدد الانساني العام .

واذا كنا نشهد مشاهد جديدة على مهاد واقعنا الثقافي المرير الذي نعيش فيه اليوم — مشاهد تجر وراءها ظلالا من الريبة والخطيئة والعقوق والفراغ المهول — فليس ذلك راجعا الى انتهاء امد انطلاقها ، او تأخرها عن اداء مهمتها ، وانما يعود بالذات الى

كرامته ، وتساعد الناس على فهم ما فى الثقافة الاسلامية من معنى صحيح وشامل لاستدرار اخلاق الثقافات كلها والاستفادة منها وافراغها فى قالب اسلامي . وكان اعظم مظهر لذلك فى مطلع نهضة الاسلام الفكرية نشوء فكرة المعتزلة — كتفكير تجريدي — فقد استطاعوا ان يخلقوا جوا فكريا متحررا رائعا وسط سلطة زمنية محافظة فاهرة ، وقد كان فى الامكان ان تنال منهم البلاد مواريث ضخمة ويصيبها منهم كسب كبير لولا تدخل عوامل سياسية كان من نتائجها السيئة ان تدفقت فيها تضحيات ، وكان لها ضحايا كثيرون من ذوي الافكار المخنوقة .

وانت تذكر بعض الرجال المعدودين من مفاخر الثقافة الاسلامية فى كل عصر من العصور الاسلامية فى القديم والحديث حتى تصل الى القرن العشرين ، فنضع ايدينا على امثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده والكواكبي ورشيد رضا والخولي وغيرهم قدس الله ارواحهم . فلماذا بقيت اسماؤهم لامعة مع مرور الزمن ، وعالقة باذهان الناس ، ومرتبطة مع التاريخ ؟

لا لشيء ، الا لان دعوات المصلحين تقوم على اساس تمثيل فكرة يراد لها الانتصار ، لا على اساس شخصية يراد لها البروز والظهور والشهرة على حساب الجماهير ، ثم اذا تحدثوا تحدثوا عن مواقف فكرية خالدة خلطوها بدمائهم ، وصنعوا منها ملاحم تملأ الدنيا بتلك الصيحات التي تعلو بين جوانب امتهم ، وقد استطاعوا — من اجل هذا كله — ان يؤلفوا من مجهودهم الثقافي ، ومن واقع حياتهم العملية ، ومن اوضاع بلادهم الاجتماعية وحدة لا تتجزأ من مفهوم حياتهم الثقافية وساروا على هذا المنوال — بعد ما استلوا سيوف شخصياتهم من اغمادها — يحددون لتلك الاوضاع مناهجها ، ويكافحون من اجل تطبيقها ، وينطلقون بها الى ميادين لا حد لها .

فان تك افنته الليالي واوشكت
فـان له ذكرا سيفني اللياليا

وعندما يذكر الانسان ذلك ، ولا يدخل الى هذه الثقافة من بابها الضيق ، يجزم باستمرار فعلها فى جميع العصور ، وباصالتها فى تادية رسالتها ، وبصلابة قناتها الفكرية التي تصل بين مختلف الثقافات .

ولعلنا نستفيد اكبر استفادة مما سبق ، السر فيما يشكو منه الناس من الجمود الفكري والركود الادبي وخفة وزن الانتاج الثقافي فى بلادنا الذي اشترك فى تاليفه عدة عوامل ، ليست من نصيب المثقفين وحدهم ، هذه الظاهرة السلبية التي لها مجالها الواسع فى حياتنا الاجتماعية كانت هي المدد الاول والاخير فى فتورنا العام ، وتاخرنا الى الصفوف الخلفية من صفوف الناس .

ولم يقتصر ذلك على التخلف الثقافي وحده ، بل تعداه الى ميادين اخرى كان التخلف الثقافي اساسها . وكلما حاولنا التخلص من هذه المآزق وهذه المشاكل وهذه الصراعات الفكرية فى الوطن الواحد فلن ينتهي اثرها حتى تنتهي ظروف ظهورها ، فتجد المشاكل وضعها الصحيح وحلها العملي، فيلتمس الناس الحلول لمشاكلهم من انفسهم ، ويسعون الى خلق وسائل المساهمة فى التطور العام للمجتمع الذي يعيش فيه .

هذا هو الحل الايجابي لهذا الفقر الثقافي الذي يتوقف على مساهمة الناس وجراتهم وتحررهم من الاسر الفكري والاجتماعي وتكوينهم التكوين الصحيح من جهة ، واماطة الاذى عن طريقهم ، وافساح المجال لهم وتشجيعهم بشتى ضروب التشجيع من جهة اخرى .

وانا لنؤمل — كما يؤمل قادة الحركة الاصلاحية — ان تكون الشعوب الاسلامية قد استفادت — على الاقل — من دروس الفترات القائمة التي تتسم بطابع التخلف والعزلة ، وصبغت جميع اعمالها وانتاجها ونهضاتها بالسطحية والارتجال ، والتي كانت ظروفها قاسية لا زالت تتعثر فى اذيالها ، لعلها تكون قد وجدت تعبيرات واضحة جديدة لمشاكلها القائمة المختلفة، ولاخطائها السالفة ، ومحترسة من الوقوع فى مثلها ، ومقتنعة بضرورة اتخاذ جميع الوسائل الوقائية ، لضمان سير المبادرات الجديدة الدافعة الى العمل الجاد المنظم المثمر السريع فى جميع الميادين، لاسترجاع تلك القوة الكبيرة الجسيمة الاثر ، المستوحاة من تلك المنابع الثرية الاسلامية ، لاستئصال جذور الفساد ، وتوحيد القوى النضالية المتأصلة فى النفوس .

على هذه الاسس الموضوعة ـ عندهم ـ بدقة : ضعف حس الواقع ، والكفر بمبدأ النطور ، وسيطره الاوهام والخرافات .

لذا كان مما لا محيد عنه ـ في نظرهم ـ ان تتولد عن ذلك عدة مشاكل ، شغلت بال الراصدين منهم ـ للسير الثقافي الاسلامي ، وخاصة بعد ما شاهدوا ميلاد تركيبات فكرية وثقافية نشأت عنها نظم اجتماعية وثقافية ، واختلفت وسائل التعبير والاداء عنها ، ووسائل نشرها واستيعابها ، واختلفت الاشكال الدراسية ، واحتكت بهذه الاشكال مفاهيم جديدة، وجدوا في ذلك كله دافعا قويا الى ان يشغلوا انفسهم ويشغلو الناس معهم بميلاد هذه المشاكل التي كان فعل الاسلام فيها سلبيا في نظرهم ـ وكان اثره فيها عديم اللون ، فامتدت المشاكل بحكم مرور الزمن ـ الى ميادين ضحلة انتهت به الى نقطة التخلف والاستحالة ولربما يكشف عن هذه المشاكل الواقع الثقافي الاسلامي كما يقولون في صوره الآتية : ما مدى التلاؤم بين مستويات الثقافتين ، وما مقدار الاستفادة التي تنهل منها البلاد ازاء مشاريعها الجديدة ، وازاء ملحمة التصنيع ، واخضاع الحياة للوسائل الحديثة : في نظام القربة ، وفي نظام العمل ، وفي نظام الحكم ، وفي نظام الاسرة ، وفي جميع الانظمة الاجتماعية ، لتغير نظامها المتخلف القائم وتحيله الى نظام اسعد وانفع ؛ وما هو السبيل الى تجنب الازدواج الضار في نظم التربية ـ في النظام الثقافي والمناهج المشتركة الذي لا قبل لنا به ، والذي هو واجب مفروض على حساب الثقافة الاسلامية ، لان توقف سير هذه الثقافة عن مسايرة باقي الثقافات ـ كما يقولون ـ وعدم استجابتها لمطالب الحياة ـ كدراسة لا صلة لها بالواقع ولا بمستويات التطورات العالمية الاخرى ، قد ساعد كثيرا ان لم يكن العامل الرئيسي ـ على خلق هذا الازدواج ، كما ساعد على ايجاد جو قاتم بين الطبقة المثقفة في الوطن الواحد ، وساهم في خلق مصاعب وموجات تحررية ضاعت وسط ضجتها جهود وامال معقودة بنواحي الفكر الصحيح .. ونتاج الوعي السليم في انتشال المجتمع من ءافاقه ، وتقدير خطواته وفي الاخلاص له ، والاستجابة لمطالبه وحفظ التوازن بين قوى التطور فيه ، هكذا يقدمون لنا هذه التفسيرات تبريرا لمواقفهم .

وان يكن لا مناص لنا من الاعتراف بسوء حظوظ المسلمين من ثقافتهم وبسوء عرضهم لها حيث صار طابع العصر الحديث يكمن في حسن العرض والاداء ، وبفهمهم المنحرف الناشيء عن تلك الايحاءات الثقافية المتباينة التي ليست من وحي التراث القومي المشترك الذي يجمع الناس في صعيد واحد ويطبعهم بطابع الشمول والعمق في الهاماتهم الانسانية المشتركة، ويعين ـ بالتأكيد ـ على ربط الشعور والتفكير برباط واحد ـ فانه لا مناص لنا من الاعتراف ايضا بسوء تقويم الناس للخلق الثقافي الاسلامي ممن يريدون انتزاع الكفالة التاريخية منه التي وهبها له الله تعالى .

ولم يبق امرا مكتوما عن الناس ما لقيه الاسلام منهم من تهوين وتشنيع وتزوير وخلط جاهل او متعمد بين الاسلام وثقافته ، وبين المسلمين وثقافتهم خلطا لا يعدو ان يكون مظهرا لمنطق الاحقاد والاطماع . وقد لا اكون مغاليا اذا ما قلت انه اصبح من العسير جدا ان نوفق بين منطق الثقافة الاسلامية ـ في جوهرها ـ وبين فهم الناس لها طالما بقيت تلك الدوافع الاولى والاخيرة من دراستهم مستمدة من دراسات غير نزيهة ملفقة مجزئة لاسرار الاسلام ولمقاصده على غرار تجزئتهم لاممه وشعوبه ، وقد كان في الامكان ـ لو تجردوا عن الملابسات ـ ان يظفروا باحسن حظ من دراستهم وتتكون لديهم فكرة ممتدة سليمة عنه قد تتجاوز بصر اقدامهم ، وتتجاوز حدود الغرض الى ميدان القصد والاعتدال في البحث لوجه الحق .

وقد يكفينا في سياق الرد على هذه التجنيات ـ في صور مشاكل واستنتاجات ـ أن نذكرهم ـ واخال اننا في حل وفي غنى عن الرد التفصيلي ـ بامتداد الحياة الاسلامية بفضل تمدد ثقافتها ؛ فقد استوعبت امما وشعوبا وانتظمت فيها شؤون دنيا الناس انتظامها لدينهم واستظلوا بظلالها في غير قسوة ولا اكراه .

وكل ما يعلمه الانسان من بين التطورات الثقافية انها تفسح صدرها لكل التركيبات الفكرية ـ وخاصة عندما تجد الالف الحضاري منذ اللحظة من حياة الاسلام يقفز من بلد الى بلد لا يحرم معه اتباعه من استمتاعهم بثمرات الاحتكاك العلمي ، ولا من كل ما يقع على سمعهم وعلى بصرهم من كل ما جد في الحياة .

وقد كانت نماذج من ذوي الافكار الحيةالواعية من المسلمين تظهر من حين لآخر تقيم ما مال من تعاليم الاسلام ، وترد عليه هيبته ، وتحفظ عليه

عن الكلمة باعتبار اصلها ، فلا تجد اية كلمة الا اذا كنت عالما باصل وضعها ، او مصدرها ، او مجردها بحيث يتعذر على الجاهل بقواعد اللغة العربية العامة ان يبحث فى المعجم عن كثير من الكلمات التي يجهلها، لان هاته الطريقة ان كانت غير مبهمة بالنسبة الى الكلمات الواضحة الاوزان الظاهرة للعيان ، فانها بالنسبة الى الكلمات التي دخل عليها الابدال او الاعلال ، او التي تغيرت تغيرا كبيرا حينما جمعت جمع تكسير لا تبدو يسيرة او سهلة التناول .

فالكلمات الآتية مثلا : اينق وقسي واتقياء جموع تكسير لابد قبل ان تبحث عنها فى المعاجم القديمة ان ترجعها الى مفرداتها ، ويتصور مؤلفو تلك المعاجم بانك تعرف ارجاع الجمع الى مفرده بدون كبير عناء ، فهم يتخيلون انك ستدري بدون صعوبة كيف ترجع لفظ اينق الى ناقة ، وقسي الى قوس ، واتقياء الى تقي ، ثم هم يعتبرون انك ستكون عالما بان الف ناقة منقلبة عن واو ، وان الاصل نوق ، ويظنون انك تعرف ان لفظة تقي صفة من التقوى ، وان التقوى اسم من اتقى ، وان اتقى فعل خماسي مزيد بالهمزة والتاء وزنه افتعل ، وانك تعلم القاعدة الصرفية التي تقرر بان كل فعل مجرد اذا كان ثلاثيا مبدوءا بالواو وزيدت فيه الهمزة والتاء ابدلت واوه تاء ، وادغمت احداهما فى الاخرى ، وعليه فاصل اتقى وقى ، والبحث عن تقي او اتقياء يجب ان يكون فى مادة الواو ، وهذا مما يصعب على الباحث معرفته فى اول عهده بتعلم اللغة ، ولذلك فبحق نلاحظ بعد تقديم هذه الامثلة ان المعجم العربي القديم لم يكن معجما تعليميا ، وانما كان موضوعا لمن يحسن اللغة العربية ويعرف اصولها ويربط المفردات بجموعها ، والافعال المزيدة بمجرداتها والمشتقات بمصادرها ، وانها لم تكن معاجم صالحة ليتناولها التلميذ فى المدرسة ليتعلم بها لغته ، او لتقدم الى الاجانب الذين يرغبون فى تعلم لغتنا .

وبصفتي استاذ اللغة العربية فانني الاحظ عدم اعتناء التلاميذ بتحضير كثير من القطع الادبية لانهم لا يستعملون المعجم العربي الا لماما ، فاذا سألتهم وجدتهم يشمئزون من الطريقة التي يسير عليها المعجم، فهم ما زالوا حديثي عهد باللغة ويعملون على تعلمها ولكنهم يجدون انفسهم امام معاجم تتطلب منهم ان يكونوا خبيرين بقواعد الصرف والنحو ، والاطلاع على السماعي من اللغة وعلى القياسي منها وهذا ما يرهقهم ويبعدهم عن الاستمتاع بمطالعة الكتب العربية والاهتمام بها ، فهم يتمنون لو كان المعجم مهيئا لهم تهييئا يقربهم من الغاية شأن المعاجم الاوربية .

والحقيقة ان معاجمنا لو كانت مرتبة على الترتيب اللفظي لكان انتشار اللغة العربية بين التلاميذ اكثر مما هو عليه الآن .

فالمعجم الفرنسي مثلا حينما تريد ان تبحث فيه عن او او

فانك تبحث عن مبتدأ اللفظ من غير اعتبار اصله

، وهذا مما يسر اللغة الفرنسية وجعلها فى متناول الراغبين فى تعلمها .

ولذلك لاحظ الاستاذ الوفي الصقلي مدير المدرسة الادارية حاليا حينما كان مفتشا للغة العربية ان التلاميذ لا يستعملون المعجم العربي لانهم لا يجدونه موضوعا بكيفية واضحة وقام حينئذ بجولة عامة يدعو جميع اساتذة اللغة العربية الى التفكير فى وضع معجم عربي جديد يسير على نسق البحث عن اللفظ لا عن الاصل ويكون معجما مدرسيا يحبب التلاميذ فى لغتهم وييسر لهم سبيل الاطلاع عليها .

وحيث كنت اشعر بنفس شعوره فقد حاولت ان اضع هذه النظرية فى حيز التطبيق وشرعت فى تنظيم المعجم الجديد وجمع مادته منذ سنة 1958 ، وقمت بندوات شرحت فيها النظرية الجديدة فى تنظيم المعجم العربي التعليمي الذي سيفيد كثيرا من اراد تعلم اللغة العربية من ناشئتنا ومن الاجانب .

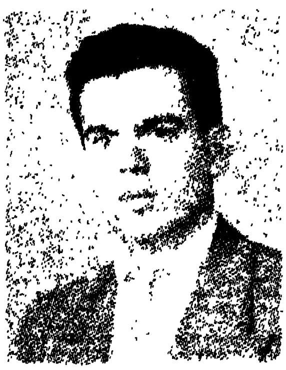
ومما حفزني الى العمل على تحقيق هذا المشروع الجديد فى تطور المعجم العربي شعور كثير من ادباء العرب وعلماء اللغة بما ينجلي من ضعف فى ترتيب معاجمنا ، وعقم فى شكلها ، فلقد ذكر الاديب اللغوي المشهور ابراهيم اليازجي المتوفى سنة 1906 فى سياق الحديث حول اصلاح **المعجم اللغوي العربي** قوله : (.. وان ترتب الالفاظ على وجه سهل المراجعة لا يكلف عناء ولا بحثا طويلا بحيث تكون كتب اللغة عندنا على مثل ما هي عليه فى اللغات الاوربية) (*) .

وقد حاولت وزارة التعليم بمصر سنة 1904 ان تقرب اللغة الى اذهان النشء فامرت الاستاذ محمود افندي خاطر بترتيب كتاب مختار الصحاح للجوهري الذي صحح

* المختارات للأب رفائيل نخلة اليسوعي ، الجزء الثاني طبع 1931 صفحة 10

خطة جديدة في المعجم العربي

للأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ



اللغــة وسيلة التعبير ورسول التفاهم البشري تتطور بتطـور العصور ، وتختلف باختلاف البيئــات وتنمو مع الحضارات ، ولا شك ان العناية بحصــر اللغة ودراسة تطورها ضرورة من ضرورات احيائها ، فلست ترى اية امة اهملت دراسة لغتهــا وتخلت عن تعهدها ثم كان المجد حليفها ، لان اهمــال اللغة قــد يجر الى القضاء على مجد الامة سواء من الناحيـــة العلمية او الادبية او غيرهمـــا .

واللغة العربية كانت فى العصر الجاهلي تصــور مقتضيـــات الحياة العربية ، وتعطي الاسماء لما يحيط بها من مظاهــر ، ثم تطورت بعد ذلك بتطـور العرب لان اللغة تخلق مع الاضطرار ، فاننا نــرى ان العرب ايام العباسيين قاموا بحركة النقــل لكثير من الكتب اليونانية والفارسية والهنديــة وادخلـوا كثيرا مــن المصطلحات العلمية ، فحوروا بذلك بعض الكلمات عن معناها الاصلي الى معنــى اصطلاحي ، وعربوا بعــض الكلمات الاعجمية فادخلوها فى قالبهم العربي .

وفكر العرب حينئذ فى جمع لغتهــم وحصرها فى معجم حتى اذا اراد الباحث انيعرف المهمل والمستعمل من الالفاظ استطاع ان يصل الى ذلك .

وقد ذكر احمد امين فى كتابه ضحى الاسلام (*) ان جمع اللغة مر على مراحل ثلاث :

المرحلة الاولى : جمع الكلمات حيثما اتفق ، مــن غير اختصاص بموضوع او ترتيب حسب الالفاظ .

المرحلة الثانية : جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد فى موضوع واحد او جمــع الكلمــات المتقاربــة اللفظ والمعنى ، او جمع الكلمــات التي تتغير معناهــا ولا يتغير لفظهــا .

المرحلة الثالثة : وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع اليه مــن اراد البحث عن معنــى كلمــة .

ونحن فى بحثنا هذا يهمنا الطور الثالث الــذي يتعلق بوضع المعجم اللغوي الشامل لمفردات اللغــة . وقد ابتدأ هذا الطور بكتاب العين الذي اختلف مؤرخو الادب فى واضعه فذهب جماعة الى انه للخليل بن احمد الفراهيدي ، وذهب ءاخرون الى انه لتلميذه الليث بن المظفــر .

ولقد حاول علماء اللغة العربية ان يهذبوا هــذه المرحلة فكثر بسبب ذلــك وضع المعاجــم اللغوية ، واختلفت طرق البحث فيها كمــا اختلفت الفكــرة فى اختيار مادتها ، فمن المؤلفين مــن اختار لمعجمــه الفصيح من اللغة واهمل ما دونه كثعلب ، ومنهم مــن اعتبر بعض الكلمات غير صحيحة الوضع فلم يستعملها فى معجمه كالجوهري الذي الف كتاب الصحاح ، ومنهم من الف معجمه مختصرا ومنهم من اطال فيه كابــن منظور فى كتابــه لسان العرب .

ومن اشهر المعاجــم اللغوية كتاب القامــوس للفيروزبادي الذي استعمله الناس كثيرا حتى اصبح لفظ القاموس لكلمة معجم فى اللغة العربية .

واذا ما استقرانا كثيرا من هاته المعاجم فاننــا نجد ان طريقة البحث فيهــا انما ترجــع الى البحث

(*) ضحى الاسلام لاحمد امين الجزء الثاني الطبعة الثالثة صفحة 263 .

معرض الكتب

مع اللهب المقدس

بقلم الأستاذ رابح منصر

اود قبل ان اسطر هذه الكلمات حول ديوان (اللهب (*) المقدس) ان اقدم على صفحات هذه المجلة تحية الى استاذي الكبير شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء ، اقدم له هذه التحية لا على ما تضمنه ديوانه الشعري من ءابات الشعر ، ولا على ما فى هذه الابيات من صور فنية ترتفع بعواطفنا وبعقولنا الى مستوى رفيع ، وانما اقدم هذه التحية مصحوبة بانحناءة الى الشاعر زكرياء تقديرا مني للمجهود العظيم الذي بذله فى اخراج هذا الديوان الحافل بمعاني الحياة الثورية فى هذا الوقت الذي اجتازت فيه الثورة الجزائرية مرحلة الطفولة ان صح هذا التعبير الى مرحلة النضج والاثمار .

وهنا اجد نفسي حائرا امام (اللهب المقدس) . وهذه الحيرة تتمثل فى الجوانب العديدة للديوان فهو لا يصور فقط فترة ثورية من اعنف ما عرفت الفترات الثورية فى تاريخ الانسانية من عنف وانما يصور زحف شعب كامل نحو النور ، يصور فوق ذلك جيلا كاملا يحمل مشعلا مقدسا ليبدد به كثافة الظلام الذي يعم جوانب حياته المختلفة ، واخيرا يصور الشاعر زكرياء فى (لهيبه المقدس) الشعب الثائر والامة التي امتزجت بهذه الروح الثورية فتمخضت عنها حالة نفسية ثائرة تندفع نحو الهدف فى قوة واصرار ، وعن وعي انساني عميق باذلة كل التضحيات من اجل تجسيم هذا الهدف وجعله حقيقة انسانية اجتماعية كانت خلال قرن وما يقارب نصف القرن خيالا جميلا يداعب العواطف والعقول والقلوب جميعا .

واللهب المقدس يمثل مرحلة متميزة من حياة الشاعر النضالية ، مرحلة انفعل فيها مع الاحداث الثورية انفعالا شاعريا عميقا فقد عاش التجربة الثورية فى جانبها العنيف كما عاشها فى جانبها السياسي الهادىء ، ومزية الشاعر فى (اللهب المقدس) انه عانى الزحف الثوري بجميع ابعاده ، ولذلك استطاع ان يرسم لنا خطوط هذه الابعاد فى اطار شعري انيق ومؤثر وزاخر بالانفعالات الثورية الملتهبة ، وغير هين ولا يسير ان يجمع شاعر ما بين هذه الاشياء جميعا دون ان يضحي بقدر معين من صناعة الفن الشعري ومن الاناقة فى التعبير التي هي ظاهرة جمالية يفقد الشعر معها كيانه العضوي ان هي اعوزته .

وشاعرنا مفدي زكرياء قد وفق فى الجمع بين هذه المظاهر الفنية التي تضفي على العمل الشعري طابعا اصيلا ، والحق ان هذا التوفيق لم يكن حدثا مفاجئا للذين كان لهم اتصال بانتاج صاحب (اللهب المقدس) ، فقد عرف باصالته الشعرية وبعمق احساسه وقوة استجاباته العفوية لما يواجهه من وقائع واحداث ، خاصة اذا كانت مرتبطة بالواقع القومي الذي يحتل مكانة ممتازة فى عدسة الشاعر .

وقد كان جميلا من الشاعر حين تواضع عند ما قال : لم اعن فى (اللهب المقدس) بالفن والصناعة عنايتي بالتعبئة الثورية وتصوير وجه الجزائر الحقيقي بريشة من عروق قلبي غمستها فى جراحاته

(*) اللهب المقدس : طبع مطابع دار الكتاب ، نشر المكتب التجاري ببيروت .

اوضاعه الاستاذ حمزة فتح الله ، وقد رتبه محمود خاطر حسب اللفظ بالنسبة الى الكلمات التي دخلها اعلال او ابدال او ادغام ، ولكنه لم يرتبه كذلكبالنسبة الى باقي المشتقات ، (*) قال : (الاشتقاق وما يلحق ابنية المشتقات من عوارض الادغام والاعلال ، وما يتصل بهما من اشد الامور التباسا فى هذه اللغة ، فكثيرا ما تخلف على الناظر مظانه وتنفرج فيه مسافة الحدس لتعدد وجوه التغييرات بين الاصل المشتق منه والفرع المشتق ولتردد الكلمات فيه بين اصلين حتى كان منه بعض المرية عند كثير من الباحثين والمستفيدين ، وادى بهم تقليب النظر فى سبيله الى الحيرة والملل .

ثم قال .. (واني يسهل على المبتدىء فى اول الامر ان الميزاب يطلب فى مادة (وزب) وتجاه الشىء فى مادة (وجه) ، وتترى فى (وتر) وان السلسبيل فى (سبل) ، وان السنة فى (سنه) او (سنو) والسنة للنعاس فى (وسن) ، وان قولهم عم صباحا فى (نعم) وايم الله فى (يمن) الى غير ذلك مما لا يهتدي اليه الا بعد المزاولة وطول التدريب) .

وليس بعد هذين النصين من ينكر فضل هاته الطريقة على المبتدىء فى اللغة وعلى ما سنستفيد منه لغتنا ان شاء الله فى المستقبل القريب بعد ان اتمم تنفيح معجمي الجديد ويصبح فى متناول التلاميذ وغيرهم من الذين يعملون على نشر اللغة العربية فى بلادنا .

واليكم بعض النماذج لتلاحظوا الفرق بين الطريقة الجديدة التي اتبعها فى المعجم التعليمي العربي وبين الطريقة القديمة :

فمثلا :

نجد	فى المعجم الجديد	فى المعجم القديم
تهمة	فى التاء والهاء ..	فى وهم
تراث	فى التاء والراء	فى ورث
تقي	فى التاء والقاف	وقى
اتقياء	فى الهمزة والتاء والقاف	
ديمومة	فى الدال والياء والميم لخ	دوم
آبار	فى الهمزة مع المد ثم الباء	فى الباء ثم الهمزة ثم الراء
آرام	فى الهمزة مع المد ثم الراء	فى الراء ... ثم الميم
قسي	فى القاف والسين والباء	فى القاف والواو والسين
آلات	فى الهمزة مع المد ثم اللام لخ	فى اول
توخى	فى التاء والواو والخاء لخ	فى اخو ..
ماء	فى الميم الممدودة ثم همزة	فى موه
ابابيل	فى الهمزة مع الباء الممدودة	فى ابل
اخدود	فى الهمزة والخاء	فى الخاء والدال
ارنب	فى الهمزة والراء	فى رنب
اسارير	فى الهمزة مع السين الممدودة	فى سر
اسلوب	فى الهمزة مع السين	فى سلب
بسمة	فى السين والميم والتاء	فى وسم

وبعد الاطلاع على هذه النماذج سنشعر بفائدةالطريقة الجديدة فى وضع المعجم العربي التعليمي وما سيحدثه من تغيير فى الطرق التعليمية لكثير من قواعد التصريف .

(*) مقدمة مختار الصحاح المرتب طبع سنة 1928 الطبعة الثانية .

فاس ـ محمد عبد العزيز الدباغ

والابيات الشعرية السالفة الذكر تعطي صورة حية عن ديوان (اللهب المقدس) فهو يتضمن مجموعة شعرية من ارفع ما عرفت العربية من شعر منذ عهد المتنبي والبحتري والمعرى ، ولا اجد غضاضة فى وضع شعر مفدي زكرياء فى مستوى شعر هؤلاء الفحول من شعراء العربية ، فالمتانة فى التعبير والدقة فى التصوير ، ظاهرتان يتميز بهما شاعر الثورة الجزائرية ، الذي جاء شعره واضحا وضوح الثورة متدفقا تدفقها ، لقد فتنت حقا بالصورة المعبرة لهذا البيت :

وامتثل سافرا محياك جلا
دي ولا تلتثم فلست حقودا

لقد استنطق الشاعر الشهيد فعبر بذلك عن واقع الثورة هذا الواقع الضخم فى بيت من الشعر ، ان الشهيد الذي يدفع الى المتنقة مختالا يتهادى يندفع نحو جلاده يخاطبه ليؤكد له خلاصة ما فى الثورة من جلال وعظمة ومن تسامح ونبل ، فليكشف الجلاد او الاستعمار عن وجهه فلبس من طبع الشهداء الابطال الحقد ، وليكشف الاستعمار عن وجهه فلا مجال للتستر فالشعب قد وعى مصيره .

هذه لقطة من اروع لقطات مفدي زكرياء الشعرية وهى لبست الوحدة فى الديوان فهو يكاد يكون مجموعة من الروائع الفنية التي تصور بصدق مراحل نضال الشعب الجزائرى ، هذا النضال الذى يسمو احيانا ويكاد يكون اسطورة فى تلك الاساطير التى يحدثنا عنها الادب اليوناني القديم .

وهذه ابيات اخرى من قصيدة (وتكلم الرشاش جل جلاله) (*) لا استطيع ان انكر القارىء ان اعجابي بها قد تجاوز كل حد ، سواء من ناحية البناء الفني او من ناحية هذه المعاني الزاخرة التي تحفل بها ، وقد ذكرني مفدي زكرياء فى هذه القصيدة بشاعر العراق الفحل (محمد مهدي الجواهري) فى قصيدته (اخي جعفر) التي تعد من اروع وافخم ما قيل فى الشعر العربي منذ عهد ابي الطيب المتنبي حتى الآن ، والحق هؤلاء الشعراء الثلاثة لا اتردد فى القول بانهم : يصدرون جميعهم عن معين واحد ، مع ضرورة مراعاة ظروف العصر وبيئته ، وان كانت العبقرية الخلاقة لا تحفل كثيرا بمثل هذه الظروف ،

والآن لنعد الى قصيدة : **وتكلم الرشاش جل جلاله :**

اكباد من ... ؟ هذي التي تتفطر ؟
ودماء من .. ؟ هذي التي تتقطر ؟
وقلوب من .. ؟ هذي التي انفاسها
فوق المذابح للسماء تتعطر ؟
ورؤوس من ..؟ تلك التي ترقى الى
حبل المشانق طلقة تتبختر ؟
ومن الذي ..؟ عرض الجزائر شبها
من كل شاهقة لظى تتسعرا ؟

اجهنم .. هذي التي افواهها
من كل فج نقمة تتفجر
ام ارض ربك ، زلزلت زلزالها
كما طغى فى ارضه المستعمر
غضب الجزائر ذاك .. ام احرارها
ذكروا الجراح فاقسموا ان يثأروا
ارض الجزائر والسماء تحالفا
فاختط حلفهما النجيع الاحمر

ونكلم الرشاش جل جلاله
فاهتزت الدنيا وضج النير
وتنزلت اياته لهابة
لواحة اصغى لها المستهتر
والنار للالم المبرح بلسم
يكوى به العظم الكسير فيجبر

لو ان مجال النشر يسمح لما توقفت عن ايراد هذه التحفة الشاعرية يسمح لما توقفت عن ايراد هذه التحفة الشاعرية كاملة غير منقوصة ، ولكن انصح القارىء بالعودة الى الديوان ان اراد الاستمتاع بهذا الفن الشعري الثائر الذي يمكن القول دون اسراف بان الشاعر مفدي زكرياء اول رواده فى شعراء العربية فيما اعتقد ، ولي رغبة جامحة فى ان احلل هذه القصيدة او بادق تعبير الابيات السالفة الذكر ، ولكن ايماني بأن الشعر يتعالى عن كل تحليل وانه ليس من طبيعة الفزياء او الكمياء ، ايماني هذا هو الذي جعلني احجم عن عملية التحليل لادع القارىء الكريم يستجيب عفويا مع هذه المقطوعة والتي قبلها لان لذة الشعر تكمن فى الاستجابة التلقائية العفوية .

الرباط — رابح منصر

(*) الديوان ص 133 .

المطلولة .. والشعر الحق فى نظري الهام لافن ، وعفوية لا صناعة » . حقا لم يعن الشاعر زكرياء بالفن والصناعة لانه فى نظري ايضا فى غنى عنهما ، ما دام شاعرا اصيلا ولا تستقيم الاصالة مع العناية ، وما دام الشعر الهاما كما قال شاعرنا — والالهام لا يعدو ان يكون حالة نفسية او رعشة ذاتية تعتري الفنان دون وعي منه ، اقول ما دام الشعر الهاما ، فلا مجال هنا لاعداد سابق او عناية حسب تعبير الشاعر لان الشاعر الاصيل لا يمتلك مصير التعبير عن ذاته فى جميع الاوقات ، وانما هي لحظات يعتريه فيها

نوع من الذهول الشعري لا يجد معها من سبيل سوى ان يقول شعرا ، ان يقول فنا تهتز له العواطف والقلوب والعقول جميعا ، تلك هي ساعات الوحي او الالهام او الاجهاض الشعري كما عبر لنا ذلك مرة شاعرنا زكرياء فى احدى امسياته الشعرية بالرباط .

وايا كان الامر فاننا فى حديثنا عن (اللهب المقدس) يجب ان تظل حقيقة واحدة كبرى هدفنا فى الحديث دون سواها اذا اردنا ان نفهم الجانب الممتع فى ديوان مفدي زكرياء واقول (جانبا) لان جوانبه كلها ممتعة ، غير ان جانبا واحدا هو اكثر امتاعا ، ويجب ان يكون هو مركز الاتجاه ، وهذه الحقيقة التي اعينها هي الحقيقة الثورية فى الديوان ، فالديوان صورة معبرة لواقع ثوري تمتد جذوره فى اعماق الشاعر زكرياء الى عشرات السنين ، واكاد هنا لا اجد فارقا كبيرا بين القصيدة التي قالها الشاعر فى زنزانته فى سجن (بربروس) فى الوقت الذي كان فيه لهيب الثورة يكتسح معاقل الاستعمار والقصيدة التي قالها فى مناسبة قومية قبيل اندلاع الشرارة الاولى من ثورة الجزائر المقدسة ، فثورية الشاعر الاصيلة هى التي تضفي على الديوان ظاهرة ثورية خاصة ، هي هذه الحالة الثورية الناضجة الواعية لمعنى الثورة ولدلالتها البعيدة المدى ، والايمان بحتمية الثورة هو الاخير سيجده القارىء فى اكثر قصيدة فى هذا الديوان .

ولعله اجدى للقارىء ان نقدم له بعض الامثلة المعبرة عن اصالة الشاعر وثوريته وايمانه بحتمية الثورة فى تحطيم واقع الاستعمار :

الذبيح الصاعد (*)

قام يختال كالمسيح وئيدا
يتهادى نشوان يتلو النشيدا

باسم الثغر ، كالملائك او كالطفـ
ـل يستقبل الصباح الجديدا

شامخا انفه ، جلالا وتيها :
رافعا راسه يناجي الخلودا

حالما كالكليم كلمه المجـ
ـد فشد الحبال يبغي الصعودا

وتسامى كالروح فى ليلة القدر
سلاما يشع فى الكون عيدا

وامتطى مذبح البطولة معرا
جا ووافى السماء يرجو المزيدا

وتعالى مثل المؤذن يتلو
كلمات الهدى ويدعو الرقودا

صرخت ترجف العوالم منها
ونداء مضى يهز الوجودا

اشنقوني فلست اخشى حبالا
واصلبوني ، فلست اخشى حديدا

وامتثل سافرا محياك جلا
دي ولا تلتثم فلست حقودا

واقض يا موت في ما انت قاض
انا راض ان عاش شعبي سعيدا

انا ان مت ، فالجزائر تحيا
حرة ، مستقلة لن تبيدا

قولة ردد الزمان صداها
قدسيا فاحسن الترديدا

هذه ابيات من قصيدة « الذبيح الصاعد » كم وددت لو اني عرضتها هنا ليرى القارىء ويحكم ، ونظرا لطولها ولروعتها جميعا فضلت تسجيل هذا الصدى اليسير منها ، وكان بودي ايضا ان انتقي (العيون) منها ولكنها كلها (عيون) فليعد القارىء الى الديوان فهو اهون سبيل واجداه .

---

* الديوان ص 9

ووقع فى فتنة عمياء سفك فيهـا كثير من دمـــاء المسلمين ، وصرفوا بها عن جهاد عدو من اعدائهم الى قتل انفسهم) .

وليس معنى هذا ان المؤلف يبرر موقف الحجاج من قتل هذا السيد الجليل ، ولكن معناه انـه يتعمق الحوادث ويهضم الاسباب ، فظلـم الحجاج وسفكـه للدماء اشهر من نار على علم .

ولا ادري لم اغفل المؤلف قضية مصادرة فاتـح الاندلس العظيم موسى بن نصير ، ومأساته الشهيرة مع انها من صميم القضايا ومن اهمها فى عصر الامويين؟

وتتبع المؤلف قضايا عصر بني العباس بما فيها من ضرب الامام ابن حنبل ، وفتنة الحـلاج ، وقضية الافشين وغيرها .. فعرضها عرضا رائعا واضـح المعالم ، وتتبع سير الاحداث بمهارة واطلاع وسعـة افق ، فلم يجار المؤيدين لسياسة الدولة ، كمـا لـم ينتقد الا ما وجب نقده من انحراف عن جادة الحـق والصواب .

وافرا ما كتبه عن ادانة المنصور فى حبسه لابـي حنيفة حين امتنع من ولاية القضاء ، ثم ضربه وموته من اثر الضرب ، فعمل المنصور كان مشينا ازاء رجل بلغ من نزاهته وعفة ضميره ان هجر وظائف الدولـة لكي لا يتورط فيما تورط فيه كثير من الناس ..

ويطول بنا الحديث لو تتبعنا جميع القضايا التي عرضها المؤلف كنفى بن رشـد ، وجدال ابن تيمية للاشاعرة ومحنة هـذا السلفي العظيـم ، غير اننـا لا نطوي الحديث عـن هـذا الكتـاب دون ان نتعـرض لقضيتين هما قضية كتاب ـ الاسلام واصول الحكم ـ للاستاذ علي عبد الرازق وكتاب ـ فى الشعرالجاهلي ـ للدكتور طـه حسيـن .

فالقضية الاولى احاط المؤلف بجذورها عندمـا ابان موقف الاتراك فى اسقاط الخلافة الاسلامية وطمع الملك فؤاد فى تقمصها .. ومعارضة حزب الاحــرار الدستوريين الذين كان الشيخ علي عبد الرازق مـن اعضائه البارزين .. وقـد الف كتابه موضحـا ان الاسلام عقيدة وسلوك .. لا شان له بالحكم والدولـة فقامت عليه ضجة حوكم على اثرها وحرم مـن لقب ـ العالميـة ـ .

والقضية الثانية عالجها بسعة افق وانصاف ايد فيها البحث العلمي .. وقدم طه حسيـن كنابغة مـن نوابع العصر ولكنه لم ينزهه عـن الخطأ والتناقض ، فقال عن مؤلف (فى الشعر الجاهلي) ما نصه :

(فالمؤلف قد تورط فى هذا الموقف الذي لا صلـة بينه وبين العلم بغير ضرورة يقتضيها بحثه ، لان مـا اراده من انكار قضية تعلم اسماعيل للعربية من العاربة لم يكن يستدعي التشكك فى صحة اخبار القرءان عـن ابراهيـم واسماعيل) .

وهكـذا يختم الشيخ عبد المتعـال هذا المؤلف الطريف بعد ان يثير اعجابنا باطلاعه وانصافه وتعمقه.

فـاس ـ عبد القـادر زمامـة

القضايا الإسلامية الكبرى

تأليف
عبد المتعال الصعيدي
قرأه وعلق عليه
الأستاذ عبد القادر زمامة

في تاريخ الاسلام قضايا سياسية ومدنية وجنائية وعقائدية اختلفت فى معالجتها وتصويرها والحكم لها او عليها اوجه النظر بين الناس سواء منهم من عاصرها او من لم يعاصرها من الباحثين مسلمين وغير مسلمين .. وهذه القضايا مبعثرة بين كتب التاريخ والشريعة والادب كما ان منها الجديد الطريف الذي عاصره الناس فى عصرنا الحاضر .. والقديم المطوي فى بطون المدونات التاريخية الكبرى .

والكتاب الذي بين يدي الآن يعرض لكثير من هذه القضايا وجمعها ورتبها ترتيبا زمنيا مبتدئا بعصر الرسول عليه السلام ثم ما تلاه من عصور الى الآن .. اما مؤلفه فهو الاستاذ عبد المتعال الصعيدي العالم الشهير صاحب الاثار المعروفة فى اللغة والتاريخ والادب والشريعة ، وترجع اهمية هذا الكتاب الى التنوع فى عرض القضايا ، فهو لا يعالج قضايا ذات موضوع خاص .. او عصر خاص كما لايقتصر على الشهير المعروف .. بل يجاوز ذلك الى الخفي المجهول فيعرض الجميع عرضا لا يخلو من طرافة وروعة ودقة واتزان .. ومعرفة بجذور القضية التي يعالجها .. وتعمق كبير فى اسبابها .. فقضايا عصر الرسول من قصة الافك .. وطلاق زينب والتجسس لفائدة قريش .. وقتل بني قريظة .. والثلاثة الذين خلفوا .. وغيرها يعالجها المؤلف من وجهة النظر التاريخية والشرعية .. من غير ان يأتي بجديد غير طرافة العرض ووضوح الاسلوب وهضم الاسباب والمسببات هضما غاب عن كثير من المؤرخين وان لم يغب عن جميعهم ..

وقد سبق للدكتور هيكل فى ـ حياة محمد ـ وغيره ان عالجوا نفس القضايا وتفهموا ملابساتها تفهما عميقا .. لكن الشيخ عبد المتعال اغزر مادة .. وهؤلاء اغزر منطقا وحجة ..

وقضايا عصر الخلفاء الراشدين بما فيها من قتل خالد بن الوليد لابن نويرة ، وثورة عمر بن الخطاب لذلك .. وقذف المغيرة بن شعبة .. والتحكيم فى الخلافة .. وقتل الهرمزان .. واستشهاد عثمان ..والتحكيم بين علي ومعاوية .. يعالجها المؤلف بوعي وتبصر واستقصاء لوجهة النظر التاريخية النزيهة .. من غير ان يولد الاحداث توليدا .. ومن غير ان يبني فروضا على فروض كما يقع لكثير من الباحثين الذين يجهلون المادة التاريخية جهلا فيعمدون الى مادة الخيال فى الفرض والاستنتاج والتوليد ، ولا ادري لم اغفل المؤلف واقعة الجمل وموقف ام المؤمنين السيدة عائشة من قضية عثمان ، وموقف طلحة والزبير من نفس القضية .. ؟ ولعله رأى السكوت عنها لانها قضية سياسية وحربية وهو شديد الاهتمام بالقضايا المدنية والجنائية .

اما قضايا عصر بني امية فاهمها فى نظر المؤلف قضية استلحاق معاوية لزياد وقتل سعيد بن جبير وحبس سعيد بن المسيب .. وحبس يزيد بن المهلب ، وليس فى هذه القضايا من جديد عند المؤلف سوى انه جمع المتفرق .. وضم الشتيت واستنتج نتائج مهمة من سير القضايا ووجهة نظر المشرعين فيها مثل قوله فى قضية سعيد بن جبير الذي قتله الحجاج : (ان سعيد بن جبير اسرف فى القرب من الحجاج ، فلما اراد ان ينكر عليه اسرف فى الانكار ،

نرجو من الله الكمال لنعمة　　اسديتها كذخيرة النصاح
يسمو به العرش المفدى كلما　　هبت بنصره اطيب الأنفاح
ورضاك عنه خير ما ورثته　　لرعاية الرحمن كالمفتاح
نم هانئا فى نعمة الله الكريـ　　ـم منعما بثوابه الفياح
اما البلاد ففى النعيم بنجلك الـ　　ـحسن المثنى خدن كل سماح
والاك محسن كل ما كلفته　　بوصاية رقي العلا برباح
اهتز بند العرش يوم صعوده　　اذ بالصلاح بدا وبالاصلاح
تشدو البلاد لانها فى نعمة　　يفدو بها للعز والافراح
بالجد والاها وبالسعي الحثيـ　　ـث مؤسسا ومتوجا بفلاح
هذي المدارس للثقافة تبتنى　　كي نستفيد طهارة الارواح
وبهذب النشأ الفتي فليس للـ　　ـأقوام اس كاهتدا بصلاح
هذي الفلاحة فى ابتهاج تجدد　　بوسائل الانتاج والارباح
هذي العمارة بالمشيد وقاية　　من موبقات الفقر والأرزاح
هذا النظام مؤسسا بعناية　　تعلي النهي كزواهر الامراح
يفدو على فكر الرشاد ليكسب الـ　　ـشعب الكريم ضمانة الاشباح
اما الوسائل فى مواصلة البلا　　د الخارجية كلها بسماح
بحذو مناهجك الكريمة موقنا　　ان اقتفاك بها ضمان نجاح
احيي بذكرك عهد اسلاف الهدى　　بمجامع التدربس والأمداح
مولاي زد جدا لعز كرامة　　فى نعمة بتزايد الافراح
دامت لك العلياء كي تزهى بك الـ　　ـأوطان كل عشية وصباح

الرباط ــ محمد معمري الزواوي
وزير القصور الملكية

ديوان دعوة الحق

سعدنا بعيد العرش

للفقيه
محمد معمري الزواوي

مولاي جئنا اليوم للافصاح ... عما دهانا من اسى فضاح
كنا فجعنا عند موتك مصعقيـ ... ـن وهائمين بغدوة ورواح
تتساءل الافواج فى الحزن العميـ ... ـق عن المآل وهل مواسي جراح
من يجمع الاشتات بعد محمد ... من يزهر الاوطان بالاصلاح
من يملأ الآذان نصحا مثله ... وينير رشدا اعمق الارواح
من تقصد الركبان من اقصى البلا ... د لتستنير برايه الوضاح
من يرحم الضعفاء مثل محمد ... ويزيح عنهم انقل الارزاح
من ينشر الحرب العوان على الجها ... لة كي ينير عقولنا بصلاح
ويقول جدوا فى العلوم لتصلحوا ... والعلم ضد الجهل خير سلاح
من يرشد الفلاح للسير الجديـ ... ـد ويعتني بنصيحة الفلاح
ليقينه ان الفلاحة منبع الـ ... ـيسر العظيم مبلغ الاطماح
هي مورد الارزاق فى كل الجها ... ت بها الحياة ونعمة الفتاح
ظنوا القيامة انشبت اظفارها ... بمصابنا فى المغرب المجتاح
فتداركتنا رحمة من ربنا ... بولي عهدك مفرج الأتراح
لم تقتصر بالسعي ايام الحيا ... ة لمغرب انقذته بنجاح
بل كنت تسهر فى وسائل نفعه ... فى حاضر ومآله المنزاح
فجعلته خير ابنم لكرام اسـ ... ـلاف توارث ملكهم برجاح
كنت المهذب روحه بعناية ... وتعده ذخر اهتدا وكفاح
لقنته رشد الحياة موضحا ... سبل السعادة اكمل الايضاح

وكفاحه للصامدين عناية   ضمنت لركب الزاحفين وصولا
هزم المنية بالحياة ... فراعها   وأراح من أزماته ... عزريلا
هو بيننا .. فتبينوا .. تجدوا له   من صلبه – فى المهرجان – مثيلا
هو ذا ..هنا..فى شعبه ..فتأملوا   تجدوا ابن يوسف ما استطاب رحيلا

* * *

ما ذا أرى ؟ .. امحمد فى عرشه   يتلو البيان مفصلا تفصيلا ؟
آمنت ... لما ان سمعتك قائلا :   « عهد ابن يوسف لم يزل موصولا»
انا ظله ... أنا نفحة من روحه   مهما بذلت ، رأيت ذاك قليلا
انا ذرة من طينه ، خلاقة   تبني الحياة ، ولا تهاب جليلا
انا جذوة من نوره ... أنا كوكب   من افقه ... ما ان يربك أفولا
انا فكرة من روعه ... أنا قصة   من مجده ... لا تقبل التبديلا
أنا نبتة من غرسه ... وخلاصة   من درسه ، لا تبتغي التحويلا
انا صارم فى كفه ، يحمي الحمى   وكما عهدتم ... لن يزال صقيلا
ودعامة كبرى ، لوحدة مغرب   كم شاد مجدا للبقاء اثيلا
انا للجزائر ، لن ازال مقدسا   عهد ابن يوسف ... لن احيد فتيلا
مهما طغى المستعمرون ، واجرموا   فسليل مكة ... لا يخاف الفيلا..

* * *

حسن فدينك – كنت اصدق ناطق   هزم النفاق ، وزلزل التدجيلا
ملك الشباب ... وللشباب مطامح   حققت منها الارشد المعقولا
وغزوت مشبوب الحماس روية   ومن الشبيبة من يكون عجولا ...
تحدو مواكبها بخبرة ملهم   ونقود فيها للكفاح رعيلا
سقت الشراع على الخضم بحكمة   فمضى شراعك ، كالشعاع ذلولا
وسمعت عن كبش الفداء حكاية   فسبقت فيه أباك : اسماعيلا
ونزلت معركة الجلاء ... فلم تلن   للغاصبين ... ولا أجرت دخيلا
ورفعت شعبك فوق تاجك عزة   ففدوت فيه ، الرافع المحمولا
وفتحت صدرك للعتاب ، تسيغه   ما لم يكن كذبا ، ولا تضليلا
للراى فى عصر التقدم حرمة   ما لم يكن فوضى ، ... ولا مدخولا
والشعب فى ذمم الملوك وديعة   مهما يكن عبء الشعوب ثقيلا
والملك فى ذمم الشعوب امانة   ما دام ظلا للصلاح ظليلا

الشعب في ذمم الملوك وديعة

للشاعر الجزائري مفدي زكرياء

لمن السواجع ، ينطلقن هديلا ؟ … والروض ، وضاح السمات ، بليلا ؟
ولم البراعم يرتعشن ، وقد سرى … فيهن مسحور النسيم عليلا ؟
وعلى من تحمر الورود ، من الندى … بهوى على وجناتها تقبيلا ؟
ولم الحناجر ، بالبشائر لعلعت … فتصاعدت نغماتها تهليلا ؟
ولم العذارى ، زغردت ، فعنا لها … سمع الزمان ، مرنحا ، مثمولا ؟
ولم البلاد ، ازينت ، وتبرجت … وتناهلت كاس الهنا معلولا ؟
والباسقات السمر من وحداتها … نشوى ، تدق مزامرا وطبولا
والارض تمعن فى النميمة بالسما … ولطالما حسد الجميل جميلا
الاجل عيد الشعب .. صفت نجومها … آذار — فوق جبينها اكليلا ؟
آذار .. ها أناذا .. بعيدك ماثل … ولكم أقمت على الوفاء دليلا
ولكم نزلت على رباط بموطني … ووجدت من اهلي الكرام قبيلا
أرباط ... هل بك مثل ما بي لوعة … ام كان حظي من هواك ضئيلا ؟
طارت بي الاشواق نحوك ، بعد ما … غالبتها .. حينا .. وكان طويلا
وهفا الفؤاد الى حماك .. وما انقضى … هذا الفؤاد بعدوتيك نزيلا
وسما بي الالهام فيك ... وانه … لولا التقى ... لحسبته تنزيلا
والشعر ، وحي من سمائك .. جئته … ممن يعلم فى سماك ... الجيلا
لا تعجبوا ... اما ذكرت محمدا … فى الخالدين ، ذكرت جبرائيلا
وكلاهما اقتعد الخلود ، فعبدا … للصاعدين الى الخلود سبيلا
وكلاهما صدق الرسالة .. فاغتدى … هذا لذاك .. خليفة وزميلا
ان كان تحرير الشعوب رسالة … فلم ابن يوسف لا يعد رسولا ؟
ومن الذى ينفى رسالة مصلح … ما انفك يصنع بالحفاظ عقولا ؟
ومن الذى لا ينحني لمعلم … فتح العيون وارشد الضليلا ؟
كلماته بالمعجزات نواطق … وحديثه ... لا يقبل التأويلا

عيد الشعب

للشاعر محمد الحلوي

عيد اظل سناه العرش والوطنا ... وبايع الدهر فيه العاهل الحسنا

اهل والدمع رطب فى محاجرنا ... والجرح دام فأجرى الدمع والشجنا

على الذي صنع التاريخ وامتلأت ... منه القلوب واعيا سعيه الزمنا

وصابر البغي والاهوال كالحة ... فخاض لجتها ، واستعذب المحنا

تغفو الملوك وتلهو فى مباذلها ... وهو الملاك الذي لم يالف الوسنا

ابر من والد حان وارام من ... ام واطهر من صان الحمى وبنى

قضى صفوف العلا مستشهدا ومضت ... به لما نال من اعلاقها ثمنا

فكفكف الدمع لا تجرع فقد تركت ... لنا العناية بعد الخامس الحسنا

غرس سقته يد ميمونة فزكا ... وافعم الكون عطرا منعشا وسنى

وصارم من سيوف الله اصلته ... والليل داج فجلى الخطب والحزنا

وقادها لضفاف الامن مجهدة ... والموج طام فأرساها وما وهنا

وكان ملاحها الهادي ورائدها ... ومن وقاها الرزايا السود والفتنا

سل الخطابة من اعلى منابرها ... وبذ فرسانها بالنثر متزنا

من راض آبدها ؟ واقتاد جامحها ... واعلن الحق صداعا به لسنا

بحكمة كالمثاني فى بلاغتها ... وقدسها تتحرى الروح لا الاذنا

ومنطق لا تكاد الاذن تسمعه ... حتى تراه بصدق الفعل مقترنا

سل المحافل والآراء مجهدة ... عن كوكب عبقري يهتك الدجنا

عن المعي بنى للسلم قاعدة ... من الحياد فقوى الاس واللبنا

وسل دهاقنة الدنيا وساستها ... عن عاهل كان رمزا للهدى ومنى

اكرم بها دوحة طابت مفارسها ... اذا اختفى فنن اهدت لنا فننا

والوحدة الكبرى ... رفعت لواءها / ورسمت مناهجا لها واصولا
صرخت بها — ملء العروق — دماؤنا / وزكا بها الحب العميق أصيلا
والمغرب العربي اقدس وحدة / صنعت وشائجها ، القرون الاولى
غنيت فى فجر الحياة نشيدها / ووضعت فى (ثالوثها) انجيلا
ووقفت فى دنيا العروبة ، ضارعا / متبتلا بجلالها تبتيلا
واناشد الاحرار ... علي واجد / حرا ، تعفف ان يكون عميلا ...
ولعل فى العرب الكرام بقية / ترعى الضمير ... وعهده المسؤلا ..
وتوحد العزمات ... حتى لا نرى / فى أرض يعرب ... ظل اسرائيلا
الصدر ضاق .. وما استطعت فصاحة / ولرب صمت الحر ، اقوم قيلا
وبخاطري سر ، ينوء بحمله / رضوى ، وكنت لما ينوء حمولا
لا تسألوني ... انتم ادرى به / وكفاحنا ... ما أن يزال طويلا
وتقلبات الدهر ، اكبر واعظ / يجلو الغموض ، ويكشف المجهولا

* * *

يادار ... والبشرى تلوح بنودها / خفاقة ... عرض البلاد ، وطولا
والموكب الميمون ، يزحف زاخرا / جرف البلاد ، هضابها ، وسهولا
والذكريات الضارعات ، اعدن لي / ايام كنا لا نخاف عذولا
والامسيات الحالمات ، يخلنني / ما زلت أجمع بالصباح اصيلا
رفقا بقلب ... فى دروبك لم يزل / رغم الوقار ... متيما متبولا
قلب ... كأن نياطه بمراكش / شدت ، فحط جناحه المبلولا
وكأنما نبضاتها ، دقاته / ما ان يطيق لجرسها تعديلا
هذى التي منها نظمت خوالدى / غررا على قسماتها وحجولا
وبها اهني الشعب .. والحسن الذى / ما انفك فيها حارسا وكفيلا .

قصر دار السلام
الرباط 11 — 3 — 62

تسعون يوما بنت للعلم معجزة   كبرى ، وشدت بها ما ادهش الامما
آمنت ان حياة لا يشرفها   عقل وعلم حياة تشبه العدما
وان من شاء ان يبني على اسس   فليطلب البانيين : السيف والقلما
فاهنأ بسبقك فالأيام لاهثة   تجري وراءك يا سباقها النهما
قد قر شعبك عينا بالذي صنعت   له يداك فوالى سيره قدما
فادفعه للمجد صفا واسترد به   امجاده ليعود الشمل ملتئما
فقد تعود ان يرقى الصعاب وان   يرتد بالنصر فى الهيجا اذا اقتحما
يابن الذي فتح الدنيا وزلزلها   تحت البغاة وقد الهام واللمما
وجاء بالدين والدنيا وفى يده   سيف يقيم به القسطاس والنظما
انا نريدك للحسنى رسول هدى   وللغواية سيفا يقذف الحمما
فما استقامت بغير العدل مملكة   ولا تحلى بغير الحزم من حكما

* * *

ودعت عاما سيبقى فى جلائله   ملء العيون ويحيا للعلا مثلا
لم يمض يوم ولم تنهض لمأثرة   ولا نفضى ولم تنجز به عملا
بهمة لسوى الاصلاح ما انصرفت   يوما وقلب بغير الشعب ما اشتغلا
راى المواهب والايدي معطلة   والشعب يخترق الابواب والسبلا
فهب للارض يجري من سوائلها   خيرا وشمر فى تصنيعه بطلا
وشاد بالوحدة الكبرى لمغربنا   على ضحاياه صرحا يرعب الدخلا
فعش لاعوامك الاخرى لتصنع من   امجادنا دولة نعلو بها الدولا
واسلم فان عيون الله ساهرة   ترعاك وارق الى ان نبلغ المثلا
لولا صنائعك البيض التي غمرت   هذي المغاني واحيا فيضها الاملا
ما ارتضت فيك القوافي وهي نافره   ولا امتلكت لسانا كان معتقلا
انا لنرقب يوما نجتليك به   ابا يناغي ويستجدي ابنه قبلا
والشعب يرفل فى النعماء مغتبطا   اذا انتضى حللا البسته حللا

فاس ــ محمد الحلوي
استاذ بجامعة القرويين

تحــدث الدهر والاحداث راسيــة — على اســاس من الاخلاص لن يهنــا
ترعرع الشعب فى اخضانها ومشــى — للمجد فى ظلها حتى ارتقى القننــى
كم اطلعت فى سماء المجد من شهب — وانجبــت عبقريــا ملهمــا فطنــا
فاختــار من حبهــا دينــا ورتلــه — لحنا وعــاش بهذا الحب مفتتنــا

* * *

فقل لمــن عميت عينــاه واحتجبت — عنه الحقائق : انا لم نصب بعمــى
نعيذكم ان تخالوا الشمس مظلمــة — ونورهــا يمــلأ الاغــوار والاكمــا
فالشمس شمس وان اعمت اشعتها — عيــونكــم فرأيتــم نورهــا ظلمــا
فمــن لهــا كحفيــد المصطفى ملكــا — تربع العرش والعليــاء مذ فطما ؟
ومن لها كالعصامي الــذي بهــرت — صفاته من تولى الحكم او حكمــا ؟
ومن لها كالــذي ضحــى براحتــه — لشعبه واستطاب النفي والالمــا ؟
جــاءت اليه الهوينى وهــي طائعــة — تقبل الترب اذ لــم تلحق القدمــا
فبايعــوا اللــه لمــا بايعــوا يــده — على الــولاء وادوا عنده القسمــا
لو صــح فى عقــل انسان تطلعهــا — لغيره كــان معتوهــا راى حلمــا
يهنئــون وليــس الملــك تهنئــة — وليس تاجــا ولا عرشــا ولا نغمــا
ولا ارتشــاف لمــى حسنــاء ناعمــة — ولا كؤوســا ولا سيفــا ينــز دمــا
وانمــا هــي اعبــاء مقــدســة — ورغبــة اللــه يلقيها لمــن عظمــا
هفت اليــه حرامــا نستظــل بــه — فسرها انــه لا يرخــص الحرمــا
لــم تاتــه بيعــة لكنهــا رحــم — قدسية وصلت فى شخصــه رحمــا
فبوركت من يد ضمت صحيفتهــا — وبوركت همــة لا تعــرف السأمــا
طويت عامــا ولــو امهلته لشكــى — اليــك انقــال مــا حملتــه كرمــا
نهضت بالعبء فى حــزم غنيت بــه — عن ان تشــد لمــا تمضي له حزمــا
وثرت بالشعب تبني من سواعــده — مشاعلا للهدى تحيي بهــا الرممــا
وكان زحفك ميمونــا فتحت بــه — للعلم دنيــا تحــدى فتحها الهممــا
انــى اتجهت رأيت العلم خافقــة — اعلامــه ورايت الجهــل منهزمــا

العيد القومي

للأستاذ الحاج أحمد بن شقرون

الشعر عاود بعد طول زمان   سلس المقادة مرخيا لعنان
وغدت قوافيه تدفق غضة   لما استبان الصبح للعيان
راودتها ردحا فجاءت سهلة   تصف المليك الخالد البنيان
ملك البراعة واليراعه والحجى   والمجد مرتكزا على اركان
من وطد الاسلام بين ذوى النهى   واقام عزا فى ذرى كيوان
ومن الذي يعنو لسابغ حلمه   متعاظمو الدنيا على استحسان
السيد البطل الهمام المرتضى   المفرد العلم المعظم الشان
ذاك ابن يوسف سيد من سيد   من سيد من سادة اقران
فجعت به الدنيا فطال حدادها   تنساب ادمعها باحمر قان
يا من بنى فى كل قلب موطنا   نم فى الجنان مخلدا يابانى

* * *

الله اقدر للامانة بعدكم   بطلا يناصر حرمة القرآن
والشبل من اسد وسرك سره   فى كل مأثرة وكل بيان

* * *

يرعى العلوم ويحفز الهمم التي   وهنت ويغدق لامع العقيان
ويجود بالوقت الثمين معبئا   هممـا لرفع دعائم البنيان
حتى نشيد فى المصيف مدارس   لتعلم الالاف من صبيان
وبوجه الوزراء نحو عزائم   بناءة ويفوز بالايقان
وبنفسه يغدو لكل مبرة   ويحوطها ببراعة الربان
وتخاله مختص كل جماعة   لما يحدثها : اخا سحبان

تحية وتهنئة

للأستاذ عوض عبد الرحمن الترابي

الى صاحب العرش المفدى تهانيا ... يحف بها ازكى الولاء واصدق
مليك على عرش القلوب متوج ... يرجى نداه مغرب ثم مشرق
هو الحسن الثاني الذي عز شانه ... هو البدر فى كبد السما يتألق
هو الحسن الثاني الذي ذاع صيته ... ويملأ اسماع الزمان ويطرق
هو الحسن الميمون سعدا وطالعا ... شذا المسك من اردانه يتفتق
يقول فيزجى السحر فى كل لفظة ... وان قال قولا فالفعال تصدق
تجيء وفود الارض تخطب وده ... وتسعى اليه جهدها تتملق
اذا ما رأوه مشرقا فى سمائه ... تساموا اليه بالعيون وحدقوا
تعالت هتافات فبحت حناجر ... وظلت له الايدى طويلا تصفق
بعيد مدى الادراك فى كل امره ... فحينا له عزم ، وحينا ترفق
فللباس اوقات اذا حان حينها ... تفر صناديد الرجال وتفرق
وللحلم اخرى والسياسة حنكة ... وذو الملك اولى بالدهاء واليق
له من ابيه الملك خير صفاته ... ومن جده الاعلى الرسول تخلق
وفى قلبه نور النبوة والهدى ... على وجهه منه رواء ورونق
اذا سابقته الريح جورا ومنة ... تراه يفوق الريح جودا ويسبق
وان طاولته الشهب عزا ورفعة ... فلا هي تعلوه ولا هي تلحق
وان نازعته الاسد باسا وقوة ... تجدها لدى صولاته تتفرق
ولو فاخرته الناس مجدا ومحتدا ... يكون له مجد اعز واعرق
عرفناه شهما كابرا وابن كابر ... لاسلافه ترنو العيون وترمق
وقد عطر التاريخ منهم محمد ... ابوه الذي بالخلد اجدى واخلق
ومولاي اسماعيل لم ينس فضله ... ومن قبل هزام الجحافل طارق
لاسيافهم دانت رقاب اعزة ... ملوك حواليها خميس وفيلق
لنا فى تهانيكم بملك مؤثل ... مدائح شعر تنتقي وتنمق
وان الذي يشدو بوصف خلالكم ... ليسمو فخارا وهو يشدو وينطق
سجايا لنا فيها اقتداء واسوة ... ونأسى لها الاعداء غيظا وتحنق
مكانكمو فى كل عين ضياؤها ... وحبكمو فى كل قلب موثق
اياديكمو البيضاء نعمى ورحمة ... وعطفكم السامي قريب محقق
وان عم هذا المغرب الحر فضلكم ... فانتم بابناء العروبة اشفق
وما ننس لاننس العظيم محمدا ... وذكراه نار فى القلوب تحرق
بكينا وقد فاضت دماء عيوننا ... وكادت من الدمع الحلاقيم تشرق
عليه سلام الله حيا وميتا ... ورحماته تترى عليه وتفرق
فما مات من يحيا بذر مخلد ... ومن كان فى كل الامور يوفق

عوض عبد الرحمان الترابي
عضو البعثة التعليمية العربية

والتاج يلمع كلما لمعت بـه ... همم المليك الدائم اللمعان
باني المعاهد والسدود ورافع ... شان البلاد وغارس للجاني
والجامعات برعيه وعهاده ... زخرت بعلم لذ للظمان
يستاف عطرك كل انف شامخ ... في الناطحات فينحني لك عان
ويراك ذو بصر حريا بالعلا ... ويراك مكفوف بناظر ران
واذا رجاك مؤمل نال المنى ... قبل السؤال وصين من طغيان
واذا امتشقت على الخطوب مهندا ... خرت لعزمك طاقة الازمان

❋ ❋ ❋

بطل الجزيرة قد اتاك مهنئا ... بالعيد مغمورا بكل تهاني
صلة لود بين والدك الرضا ... وولي عهد في ربيع زمان
هذا سعود على السعود محلق ... هذا سعود معانق لك دان
بطوي المراحل حاملا في ردنه ... قبس القداسة من قرى العدناني
ان المهابة لم تزل وضاءة ... في شخصه عطربة الاكنان
قد ضمخت بالطيب من حرم الهدى ... وبمغرب طفحت على الاركان
هو في العلو مكانة وجلالة ... وعبيره سار بكل مكان
نابى عليه طوية محمودة ... الا تجشم رؤية الاخوان
وكانه وكأن وجهك نحوه ... قمران دون سناكما القمران
وكان عيدك ــ والمليك اتى له ... عيد لعرشك حوله عيدان

❋ ❋ ❋

لازال ملككما بقصد ظافرا ... ما غردت ورق على افنان

فاس ــ الحاج احمد بن شقرون
عميد كلية الشريعة

والعلم انفس ما تسابق نحوه   فكر ، واخلد ما اتيح لبان
واذا الملوك تعلمت حكم الالى   نقشت عظائم فى جبين زمان
والعلم آية ربنا وفريضة   والعلم بعدهما حصيل ثان
وملبكنا الحسن الاغر موطد   للدين بالحسنى وبالسلطان
شهر العبادة بالقداسة شاهد   لموجه الدنيا الى الديان
اعطى المثال بنفسه متصدرا   درس الحديث معظما متفاني
ان الرسول دعا لنا قل قوله   ببهاء وجه مشرق نوراني

* * *

وبشاء ربك ان يكون جلوسه   فوق الاربكة منعرا بامان
فالليلة العظمى نحف بعاهل   فى عرشه فيحاط بالرضوان
الله اكرمها وعظم قدرها   وحبا المليك بها سنى الايمان
عرش تأثل واصطفى متاثلا   قطب المحامد واحد الشجعان
العرش فخر والمليك فخاره   والتاج مزهو على التيجان
والعيد بنهما طروب ساحب   ذيل الاناقة عاطر الاردان
عنوان رمز للمحبة والولا   بين الملك وشعبه اليقظان
شعبية العرس الاسل تعانقت   وجلال ملك من قديم زمان
فاخال عبد العرش بالملك الرضا   وبشعبه فى الريف والبلدان
برنو الى مجد تجسم شامخا   وبريك عقل الشيب فى الشبان
دنيا السياسة والرجاحة والهدى   نفزوك من خطب عذبن دواني
فاذا توجه بانيا او عاطفا   ابصرت عزما صيغ فى انسان
يحلو له القلم البليغ وتارة   بالسيف يعلو منن خير حصان
والجيش - منتظما - بخط طريفه   رهن الاشارة فائزا برهان

* * *

يا ايها الملك الحبيب المرتجى   لنوائب الازمان والاحدان
انت الذي غذى المعارف يافعا   والملك غضا فى زكي بنان
فحملت اعباء الامارة وارثا   عرش الجدود منابع العرفان
السادة الصيد الذين بنوا لهم   عزا يطاول صولة الازمان
فبرزت فى عرش الجدود متوجا   بحصافة ونوفد وسنان
والعرش يشرف بالابي يصونه   ويذود عنه عوادي الحدثان

ذكرى الملك الراحل

للفقيه السيد
محمد معري الزواوي

الحمد لله وحده   والصلاة والسلام على رسول الله

مــــولاي

تملأ الذكرى افكارنا والحنان قلوبنا حينمـا نترحم على تلك الروح الزكيـة المطهـرة روح والـدك المقدس الذي يتنعـم اليوم فى كرامة ربه وجميل رضاه ، ونملي على مسامعك الكريمة مـا كنـا ننشده امام جلالتـه المقدسـة لما كان حيا بيننـا .

انى العيـد يستوفي السرور جديده   وعـزة عرش ان يجـدد عيده

ولا نزال اذ ما نكرر هذه التهنئة لجلالتك الكريمـة نشكره على مـا اسدى للدين والوطن من النعمـة العظمى اذ انبت لنا خلفا كريما يذكرنـا بجليل اعماله مزايا صالح السلف متقنا كل التدابيـر العصريـة بعلـم وحزم ، راجين من الله الكريم الوهاب ان يزيدك نصرا وتاييدا لتعاد هـذه التهاني لجلالتك الفخيمة مرارا عديدة وسنين زاكيـة مديدة انه السميع العليـم يجيب كل من دعاه الرؤوف البر الرحيم ينيل عبده المخلص كـل منـاه ءاميـن .

سعدنا بعيد العرش للحسن الثاني   وبعده عبد الفطـر موسم غـفران
هنئا امبـر المومنين بفالـه الــ   ــمشر بمنا ان تواصل عيـدان
كذاك بفيض اليسر اثر جهودك الـ   ــعظيمة نزهي كل صقع وميدان
صعدت على عرش الجـلال موطـا   بقينك فى الرحمن اكمـل ايمـان
فتحت بخير عهـد زهـو ونعمـة   بتدعـم اس اليمن اوثـق اركـان
جمعت باعراس السعـادة اسـرة   ونسقتها نظمـا قـلاده عقيـان
وزينت ذاك الحفل فى جمع امـة   حواليك بدني لبها خيـر احسـان
فاسديت للشعب الوفي براهن اعـ   ــتنائك تزهيه عواطـف تحنـان
ولما فشا داء البطالـة ابنعـت   عنايتـك الجلـى بانفـع اعـلان

شاعر الثورة الجزائرية
مفدي زكرياء

أنا خالد لاتندبوا الاحياء

مالي اراكم تنشدون رثاء   وتجددون مآتما وعزاء ؟
عجبا لكم ... اتؤبنون محمدا   ومحمد من دوح الاحياء ؟
اتؤبنون محمدا ... ؟ ومحمد   صنع البقاء .. وعلم الاسماء ؟
ايموت من وهب الحياة لجيله   فمضى بشيد على الخلود بناء ؟
ايموت .. ؟ والنفحات من انفاسه   قد عطرت في المغرب الارجاء ؟
ايموت ... ؟ والفلذات من اكباده   تفزو الحياة عزيمة ومضاء ؟
ايموت والوحدات من ذراته   درجت توحد بيننا الاهواء ؟
ايموت والبركات من صلواته   تفشى الجزائر غبطة ورجاء ؟
مامات ... يا من ابنوه ... وانما   ضاقت به الدنيا فحل سماء
اسرى الى الملكوت ينتر سفره   ويشع حول الصاعدين سناء
وينزل الآيات نورانية   يهدي بها المتطلعين سواء
ويبارك الزحف المجيد (بمغرب)   ما انفك يرفع في ذراه لواء
ويقود للبشرى سفينا ماردا   نسجت يداه شراعه الحمراء
فرض الجلا ... فمضى يجند في السما   شهبا تحقق في البلاد جلاء
لاتندبوه ... فليس يطرب للبكا   من هز اعطاف النجوم غناء
ما كل من سكن التراب بميت   ولرب حي يستحق رثاء
ولرب اصنام تحرق حولها   علب البخور ضراعة وولاء
والانهزام يشل من سرطانها   قلب البلاد شيع فيه فناء
الفاس اجدر بالجذوع ... فحطموا   هذي الجذوع ... وهشموا العملاء
واللحد اولى بالخوالف ... فاعصفوا   بالخانعين وزلزلوا الجبناء
محمد هزم الخطوب شجاعة   وسما على خدع الحياة اباء
ان نكبروه ، فلا نقيموا مأتما   او تكرموه ... فاصلحوا الاخطاء
واستعرضوا ذكراه في ناديكم   واستبدلوا هذا الرثاء ثناء
يا ملهم الاجيال ... سعيك خالد   ابدا ... يبث بروعنا الايحاء
ومعلم الاحرار روحك لم تزل   ابدا ... تواكب من بروم فداء
ومقوم الاخلاق ... هديك لم يزل   للعاملين محجة بيضاء
ومفتح الابصار ... نهجك لم يزل   للحاكمين مشاعلا وضياء
وخليفة المختار ... من اوليته   لم يأل بعدك في الكفاح عناء
(حسن) .. وماحسن سواك .. محمد   فيه حللت .. وحل فيك صفاء
والشعب شعبك .. انت قائد زحفه   ناديت ... فاستصرخت فيه دماء
والمغرب العربي كم اسمعته   للوحدة الكبرى ـ هناك ـ نداء
والشعر شعرك منه صفت روائعي   اوليس وحيك يلهم الشعراء ؟
دم كالوجود ... وقل لمن قد ابنوا: انا خالد ... لاتندبوا الاحياء

تبين لنا طرق النجاح بهذه الـ ـحياة وسبل الفوز فى المرجع الثاني

فكل شؤون المرء فيها موضح رشيد اهتداء فى سلامة عرفان

كرامة اخلاق وسبل سلامة بخير حياة لا هتدا كل انسان

وتدبير شأن فى اقتصاد توسط وعدل لدى الاحكام فى ايما شأن

اذا حث (لا تجعل) على البذل فى الغنى عليك بلا (تبسط) وقابة مديان

وشكر الايادي موجب لدوامها ومن ينكر المعروف يجز بحرمان

وحث بتوحيد الجهود محذرا عواقب نفريق يتم بخذلان

وخفض جناح الذل للوالدين يضـ ـمن اليسر فى كل الشؤون برجحان

وطاعة اولي الامر كرامة الـ ـشعوب ومفتاح الهنا كل احيان

بهم للرعايا عزة وكرامة بتدبيرهم نظم الحياة باتقان

بهم يدرك السراء كل مهذب يميز فى الناس رجحان ميزان

فيا قوم جدوا طاعة لأميركم وفوزوا ببذل النصح فى كل ميدان

ليسعدنا رب الورى بوقاية الـ امير بفضل من عدا أي فتان

امولاي واصل جد حمد لنعمة كوابل غيث بالسلامة هتان

نؤيد فيك السعي للدين مرشدا رعاياك كي يزهي الهدى كل انسان

فحيا كريما شاكرا متنعما متال كمال بين اهل واخدان

يديم لك التأييد عزا ونصرة منوج شكر فى سعادة رضوان

الرباط — محمد معمري الزواوي

وزير القصور الملكية

فأسست تجنيد الجنود بوفرة ... لينفع كل القطر تعميم بنيان

ويحظى جميع المبلسين بنعمة الـ ... ـتكسب اذ فى جده خبر اتيان

وجندت حزبا وافرا لتعمم الـ ... ـمدارس كي يحظى الشباب بعرفان

لتخرج من ليل الجهالة شعبك الـ ... ـكريم الى نور الهدى بعد حرمان

ويبصر طرق السعي نحو صلاحه ... ويحظى من الفوز القوي بريان

يزاحم كل الناس فى هذا الحيا ... ة سعي مجلي السبق فى كل ميدان

وتزهر ارباع البلاد بنشر ما ... يصرها خصبا كأحسن بستان

تشجع اعمال الفلاحة ناشرا ... لها راية التجدبد فى كل امكان

هنا تغرس الاشجار ما بين متمر ... وما بين نفع العود او ظل افنان

هنا ترتئي للناس جمع جهودهم ... لتحسين انتاج بتسميد بلدان

ولم يكفك الارشاد فى مبدء الـ ... ـصلاح بل ازددت امتنانا باتيان

فجدت بما اورتته من نفائس الـ ... ـبلاد على المحتاج فى خىر احسان

تؤسس فى كل الشؤون نفائس الـ ... ـجديد باسباب الرفي باتقان

ففي الطب آيات اهتمامك بالأسى ... دليل ضمير ملؤه جد تحنان

تعدد انشاء المفاحص ساهرا ... على راحة المرضى لتفريج احزان

وتعني بتكثير الاطباء مسعدا ... جماعاتهم سبرا بتدريب اعوان

بعد لكل ما يسهل مهنة ... دواء وآلات الشفا كعنوان

تعمم اصلاح الرعايا مسهل الـ ... ـتدابير فيها واضعا خبر بنيان

بكل قبيل مركز لجماعة ... تيسر فيه حاج روح وجثمان

كناد لأعضاء المجالس مجمع ... لنشر مناهيج الحياة باعلان

ففي (امرهم شورى) كريم هداية ... لينجد كل فى ازدها خير اوطان

وتبنى مساجد الهدى فى عنابة ... لتنبثق الانوار فى خير اديان

ويشرق للاسلام نور هداية ... ونفعم اعماق القلوب بايمان

وتصفو ارواح العباد زكية ... تشرف بالأخلاق فى طهر احسان

بيوت صلاة اذن الله رفعها ... ليذكره كل بسرو اعلان

يسبحه فيها عباد تمكنت ... بهم طاعة الرحمن اكرم ديان

ايا امة القرآن زيدي تمسكا ... بآياته الجلى بافصح تبيان

عليك تعاليم الكتاب فانها الـ ... ـمنار الى رشد الورى خير عنوان

فلا رشد الا فى التخلق باهتدا الـ ... ـحنيفة فى صفو وكامل ايقان

لهم شرف فى السلم والحرب واحد — وليسوا كمن يحتال فى حربه مكرا
مواقعهم حمر على كل بارز — ينابذهم بالحرب ، بيض على الاسرى
فقل للذي يرتاب فى العرب :هل درى — بموقفهم فوق (الجزائر) والصحرا؟
هنالك شاء الله آخر وقعه — بديل بها للعرب من دول كبرى :
فرنسا واهل الحلف من كل دولة — تشايعها فى الغصب مذ اضمرت شرا
فجاءوا باعداد الحصى وبعدة — كمن لقتال الجن والانس قد اسرا
وجاؤوا بجيش الغزو ثم بمثله — من الكيد والارهاب بل طبقوا القطرا
فسدوا فضاء الارض بالجند كثرة — وغطوا ضياء الشمس واستوعبوا البحرا
وجاؤوا بمال الارض من كل وجهة — ودسوا دعاة المكر كي يبهموا الامرا
واهل الحمى عزل فليل اذا بدوا — كثير شداد باليقين وبالبشرى
كانهمو فى العين — عدا وعدة — نواة على البحر المحيط اذا استشرى
ولكنهم فى الباس والصبر عصبة — معدية الاعراق تستسهل الوعرا
لهم فى الوغى آيات صدق فريدة — سير بها الامثال معجزة كبرى
تقاليد اقدام وعزم ونخوة — مقدسة الاسرار محبوبة الذكرى
توارثها العرب الاباة ذخيرة — عن الفر من اجدادهم سنة غرا
وعدتهم فى الحرب عزم مضرم — يبيد جيوش الارض بل يفلق الصخرا
ملاحمهم بالشرق والغرب لم تزل — احاديثها الغراء تستوقف الفكرا
وملحمة فوق (الجزائر) لم تزل — تهز الدنا طرا مواقعها الحمرا
بها انتصف الحق الهضيم واخفقت — جيوش من الاعلاج واستسلمت قسرا
بها ختم الفصل الاخير لقصة — وملحمة للعرب والغرب لا تقرا
فصول من الحرب العوان تاججت — على العرب فاستجلوا غواشيها الغبرا
بها حول الدهر المعاند وجهه — عن الغرب نحو العرب يمنحهم بشرا
بها حول التاريخ سير حياته — الى موكب للعرب فاستأنف السيرا
يجر الى العلياء امة يعرب — على عجلات طالما وقفت دهرا
فعاد لدنيا العرب سالف عهدها — كان لم يحل يوما الى امة اخرى

ملحمة الجزائر

للشاعر: المدني الحمراوي

اعد ايها التاريخ مجدنا والفخرا ... وصغ من معالينا المخلدة الدرا
ورتل على سمع الزمان مدائحا ... تبيض وجه العرب ما دامت الغبرا
ونبيء بني الدنيا جميعا باننا ... لنا همم في العز لا تقبل الحصرا
لكل شعوب الارض يوم مخلد ... وايامنا الغراء تستوعب الدهرا
فبالعز نحيي كل يوم وليلة ... ولسنا بغير العز نصطحب العمرا
ففيه لنا ماء وخبز ، وغيرنا ... له فبهما عيش ولو صاحب القهرا
ولا عجب ، فالعرب اول امه ... على الارض سنت عزة النفس والفخرا
ففي دمهم عز عريق وسؤدد ... ولا يعرفون الذل سرا ولا جهرا
اماجد احرار بطبع وفطره ... وغير همو امسى — بتعليمهم — حرا
وهذه دنيا العرب في كل حقبه ... تسجل للاجيال امثلة غرا
مآثر — عبر الدهر — تشهد اننا ... اباة حماة لا نباع ولا نشرى
شغلنا حياة الناس فتحا وعزه ... ففي كل صقع نجمنا يسبق الفجرا
شمائلنا فاحت على الكون فانتشى ... وهام بها حبا وماد بها سكرا
روائع من عدل وعلم وحكمة ... بها استغنت الغبراء عن انجم الخضرا
مفاخرنا في السلم والحرب لم يطق ... سوانا لها شفعا فما فتئت وترا
فما امة كالعرب تبلغ شأوهم ... وان اغرقت برا وان ايبست بحرا
وان ابدعت للمحق كل قذيفة ... نحرق اقصى الارض في لمحة صغرى
هم الناس ، والاقوام شبه وان ابت ... عقول نظن الترب — في رايها — تبرا
وما عرفت ارض الورى من مزية ... فنسبنها للعرب لا تعرف النكرا
الم يخرجوا للناس نورا وحكمة ... ومن ينكر الشمس المضيئة والبدرا؟
الم يملكوا شرقا وغربا فاقسطوا ... وامرعت النعماء في ظلهم دهرا ؛
وهل عرف المعمور كالعرب ساسة ... طووا صفحة الآلام وانتهجوا اليسرا؟
وهل عرف النصر الشريف سواهمو ... فان حاربوا لادس يستجلب النصرا؟

احقا نرى الدنيا على العرب اجمعت ... تحاربهم البا وتوسعهم مكرا ؟
فما بال هذا الشعب ان كان محسنا ... يكن اجره وزرا ومعروفه نكرا ؟
وما ذنبه والله غير فضائل ... على جنسه وقف ، تحلى بها طهرا
وملته البيضاء خص بفضلها ... وقام بها يدعو الى الوحدة الكبرى
فان يكن الاحسان جرما فاننا ... على حقنا والله لا نرهب الزجرا
وليس يضير المرء ان كان صالحا ... حسود ، ولا تثنيه السنة تضرى
لقد طال ليل العرب فى الهم والاسى ... ولو تركوا والامر كانوا به ادرى
دهتهم بلايا البغي من كل وجهة ... فهدمت البنيان واستاصلت جذرا
مغول واحزاب الصليب ونقمة ... من الترك والافرنج قصمت الظهرا
ومكروب صهيون يشمر ساريا ... يدب دبيب النار فى الغابة الشجرا
خطوب واهوال على العرب لم تزل ... مكايدها العمياء فى جمعهم تترى
باي خطوب العرب اقرع مسمعا ؟ ... وليس لها عد نظاما ولا نترا
ومن ابها اجلو وابرز عبرة ... اسوء بها قطرا واهدى بها قطرا ؟
ولكنها والله للعرب واعظ ... نعلمهم — بالجد — ان يلزموا حذرا
وبستلهموا التاريخ هديا وخطة ... وان ينبذوا الاعداء ان عزموا سيرا
وان يرتفوا فتقا نضاعف خرقه ... وان يقفوا صفا وبلتحموا سطرا
كفى فرقة يا قوم فالامر مرهب ... وداء شعوب الارض ان تعرف الشطرا
وهذه احداث الجزائر لم تزل ... نواطق عن جد وليست ترى عذرا
فهل جربت منها العروبة محنة ؟ ... وهل كونت رأيا ؟ وهل قررت امرا؟
وهل تكتفي بالنصر فى ساحة الوغى ... وننسى اقتصادا مستقر البنا حرا؟
فما النصر كل النصر الا تحرر ... بشد اقتصاد العرب كي يدفع المكرا

***

اليكم اشقائي واهلي وجيرتي ... بني الحرة العرباء عاطفتي الحرى
اليكم تحايا العرب فى كل موطن ... وتهنئة تسري الى ربعكم عطرا
صبرتم فكان النصر خير نتيجة ... هنيئا لشعب العرب اذ نلتم النصرا
كان السنين السبع يوم وليلة ... ولولا كموفاقت بعدتها عشرا

اظن علوج الغرب ان عداءهم ... سيورد شعب العرب كلهم القبرا ؟
اما عرفوا ان الحياة بدونهم ... سراب ؟ فهم بالعيش فى عزة احرى
اذا لم يكن فى الارض عرب فمن ترى ... يجمل وجه الارض او ينثر الخيرا ؟
فهم زينة الدنيا واشرف عنصر ... وفى لبني الانسان والتزم البرا
ايقتل شعب العرب ظلما وفضله ... على الارض لا تحصى مواهبه الزهرا؟
فكم سفكت فوق (الجزائر) مهجة ... من العرب الاحرار لم تقترف وزرا
وكم رملت انثى ويتم صبية ... وقتل آباء وابناؤهم صبرا
وذبح اطفال صغار ونسوة ... محجبة فى الدور تلتزم السترا
وكم هتك الاوغاد عفة حره ... تنادي قبيل العار : فلتقتلوا البكرا
وكم حرقوا دورا وكم نسفوا قرى ... فهام ضعاف الحي فى مهمه الصحرا
وكم نهبوا مالا وقوتا وسلعة ... وكم غصبوا الانعام وانتزعوا الازرا
وكم فجروا فى العزل عمدا ونقمة ... قنابل لا تبقى – اذا انفجرت عمرا
مجازر من هول ومحق وفتنة ... تطيش عقول السامعين بها ذعرا
فظائع لم تعرف لها الارض اخوه ... فلا قيصر بدري بهن ولا كسرى
بدائع من صنع (الفرنسيين) سودت ... وجوههم الصفراء واستبشعت ذكرا
تلوث بالعار المقيم قبيلهم ... فتلعنه فى الدهر اجباله طرا
قبيل له فى الغصب والنهب نهمه ... بريد الورى قنا واملاكهم ذخرا
يرى كل من فى الارض عبدا لحكمه ... وليس يطيق ان يرى غيره حرا
فجر عليه الشؤم اغرب نكبة ... وجر على الدنيا بها فتنا حمرا
ايزعم ان الناس ليسوا بكفئيه ؟ ... ام الطمع الكذاب اورده شرا ؟
اظن بلاد العرب تقبل ظله ... فجن بها حتى استحل لها عفرا ؟
اما عرف المغرور ان بلادهم ... حرام على الاعداء لاهل يجهل الامرا؟
كاني به لم يدر للعرب مخبرا ... ولا سمعت اذناه عن شأنهم شعرا
ولم يعرف المعتوه ان شعوبهم ... درت قبله الامجاد وانتزعت فخرا
وكانوا سراة الناس اذ كان لبسه ... جلود وحوش الغاب فليسأل الدهرا
ولولاهم لظل فى الجهل سادرا ... يخال من الاطباق (ساعتنا) سحرا

شكليات

مسرحية في فصل واحد

للأستاذ عبد القادر المقدم

شكليات مسرحية فى فصل واحد ـ المنظر متجر لعرض الازياء النسوية والمجوهرات الصناعية والزهور الشكلية .. الوقت مساء .. الاشخاص ـ صاحب المتجر ـ الزبونة ـ اصوات ...

*

هي ـ هل سمح بمناولتي تلك القطعة ..

هو ـ بكل فرح .. ها .. بفضلي .. انها جميله .. جميلة جدا ولا يوجد لها نظير فى غير هذا المكان .. والحقيقة ان حصولي عليها كان مجرد .. صدفة حسنة .

هي ـ لعلها من صناعة الخارج ..

هو ـ آ .. هذا امر معقول فى هذه الظروف .. لان صناعتنا بالنسبة لغيرنا لا تزال فى طور النشوء .

هي ـ ومتى ستكون لناصناعة كالتي عند غيرنا..

هو ـ لا نستطيع ان نرجم بالغيب .. ولكن البلاد اذا اتيحت لها فرصة التطور وشعر كل فرد بواجبه واخذ كل بمبدا التعاون المثمر بين مختلف الطبقات عندئذ تبلغ المدى الذي تسعى اليه .

هي ـ ومن يضمن لنا نحن نساء هذا الجيل ان نجني ثمار هذا التطور المنتظر ..

هو ـ ما دام الانسان فى انتظار شيء جميل فهو يجني ثمار الفرح .. فرح الانتظار .. وفرح الامل ..

هي ـ هذا النوع من الثمار لا يستهوي عادة الا الرجال .. اما النساء فقل ان يومن بغير الموجود المحسوس .

هو ـ ولعل هذا هو السبب فى الخلاف الذي ينشأ عادة بين الرجل والمراة او بلفظ اوضح بين الزوجين ..

هي ـ لا اخالك تجهل ان سبب الخلاف هو اختلاف النظر الى الاشياء .. فقد ينظر الرجل الى قيمة الشيء ويعتد بهذه القيمة بينما تنظر المراة الى شكله ولونه دون اي اعتبار آخر .. ولكل وجهة هو موليها ..

هو ـ ومن هنا تتولد المشاكل العائلية ..

هي ـ وتكون لها اخطر العواقب متى تمسك كل جانب برايه فى حين يصر على تسفيه رأي صاحبه

هو ـ (يتشاغل باطراف ثوبه .. مفكرا) وهل يحدث خلاف بينك وبين زوجك ؟

هي ـ كان عليك ان تضيف الى مادة سؤالك كلمة « غالبا » وحينئذ لا يزيد جوابي على كلمة اجل ..

هو ـ اذن يحدث بكثرة ..

هي ـ بكثرة ..

هو ـ ومنشأ هذا الخلاف ربما كان التفاوت فى درجة التفكير ..

هي ـ انما هناك تفاوت فى السن ..

كذا فليكن عزم الشعوب اذا صحت — تنال الذي ترتاد او تبلغ الحشرا
فطيبوا نفوسا لا ترى العين مثلكم — بررتم وايم الله بالملة الغرا
بحق وصلتم ماضيا متألقا — لامتنا بحاضر زادها فخرا
رعاكم من الرحمن عون مؤيد — وبارك ما شدتم ، وشد لكم أزرا
وبشرى لابطال الكفاح بنصرة — ستبقى مدى الآباد انشودة عذرا
احيي ابن بلا والرفاق وانحني — لموقفهم اذ جد ما اذهل الحجرا
هم الخمسة الابطال خيب عزمهم — ظنون فرنسا اذ احاطت بهم غدرا
وللحسن الثاني مؤيد عزمهم — وحافظ عهد العرب استخلص الشكرا
مليك ولكن الملوك بجنبه — ظلال فلا تفني غناءه والقدرا
دعا صادقا شعب المغارب فانبرى — يؤسس بنيانا على الوحدة الكبرى
مواهبه الجلي وقوة عزمه — وآماله في المجد لا تعرف الحصرا
فذيته من فذ تقدم مسرعا — بشعبه نحو المجد فاقتعد الصدرا

استطاع ان يجتاز الامتحان بدرجة متفوق وكانت جميع الظروف فى صالحه حتى قوي املنا معا فى حسن النتيجة .. واخيرا !.

هو — (يقاطعها) مـــاذا ؟ .

هي — واخيـرا تسلم رسالة من لجنة الامتحـان تشهد بتفوقه فى مختلف مراحل الامتحان .. ولكنها تحمل اعتذارا ..

هو — ممـــاذا ؟ .

هي — من كون لجنة الامتحان تلقت مـن المكلف باجراء الفحص الطبي بل الاختبار الجسمي ان قوام زوجي ينقص عن الطول المطلـوب ثلاث بوصات وثلث بوصـة تقريبا .. اي انه خسـر فى الامتحـان !! افلا تستغرب معي من الدور الـذي تلعبه الشكليات فى حياتنـا .؟.

هو — مجاملا فى المسألة ما يستغرب حقيقـة ! .

هي — ان ثلاث بوصات وثلث بوصة فقط اضاعت على زوجي المسكين كـل مجهوداته .. وفى نفس الوقت خيبت ءامالي التي علقتها على ذلك النجاح .. الست تسلم معي بسخافة هذه المقاييس التي تجعل الناس يخضعون للمظاهر الشكلية قبل القيـم الروحية .. اليس كذلك ؟ .

هو — بلى .. بلى .. هو كذلك ..

هي — وهل تريد امثلة اخرى بل ادلة على ما ارى؟

هو — انني جـد مقتنـع

هي — انني استطيع ان اؤكد بانى فى حياتي الخاصة وحيث اشعر بالاختبار والبعد عن كل مؤثر خارجي لا انخدع بشكليات الاشياء .. مع علمي بان هذا يخالف ما جرى عليه عـرف الناس .. واذكـر فى هذا الباب المثـل القائل : «ثيابك ترفعك قبل جلوسك وعلمك يرفعك بعد جلوسك ... »

هو — نعم .. نعم .. هذا هو عرف غالب الناس وعامتهم ..

هي — وارحمتـاه للنـاس ..

ستـــــار

طنجة ـ عبد القادر المقدم



هو — والمآل واحد .. لان التفاوت فى التفكير غالبا ما يكون نتيجة التفاوت فى السن

هي — واني اعلم سلفا ان خلافا جديدا سينشأ بيني وبين زوجي بمجرد ما يعلم بعزمي على بيع عقدي القديم لاشتري ببعض ثمنه هذا العقد الجميل فهو يصر على تقدير الاشياء بثمنها .. اما انا كغيري من النساء فاني افضل جمال الشكل وروعة اللون على كل اعتبار .

هو — ولماذا تصرين على هذا الراي مع ما فيه من خطأ واضح ولا تعترفين بصواب رأي زوجك .. ومن الواضح ان الشيء الثمين لا يقارن بالشيء الجميل الرخيص ..

هي — ان هذا ما عودنا عليه الرجال .. انهم يغالون فى تقدير الفتيات والنساء اللائي لهن اشكال ومظاهر جميلة .. ويغضون الطرف عما تنطوين عليه من مثالب .. المثالب الخلقية والروحية .. ولا يظفر منهم غير هؤلاء الا بمجرد الامتداح الاجوف والاعجاب المصطنع .. وهدا ما يبرر انهماكنا نحن النسوة والفتيات فى حب الشكليات .. اي اننا معذورات فى اقبالنا على كل ما له لون وشكل لطيف دون اعتبار شيء ءاخر بعد ذلك .

هو — اظن ان هذا لا يحدث الا نادرا ، وفى ظروف خاصة .. وليس معقولا ان سوي بين قطعة نقدية ووردة غضة جميلة.. فكلتاهما لها مكانتها واعتبارها .

هي — اليس من الخطل ان يقارن بين القطعة النقدية والوردة الفضة .

هو — نعم .. على ان الوردة ليست من قبيل الاشياء التي يقتصر جمالها على الشكل واللون .. فان لها قيمة ..

هي — مثل قيمة القطعة النقدية ؟

هو — لا .. لا .. ان قيمتها معنوية رمزية ..

هي — ماذا تعني والى ماذا ترمز ؟

هو — تعني اللطف والجمال والابداع .. وترمز الى الحب ..

هي — الحب .. الحب .. (تطرق فى تأمل) .. آ .. انها كلمة عذبة . ولكن مدلولها من قبيل التطورات .. ومن الصعب العسير ان نعثر على علاقة يكون رباطها الحب .. الحب الذي لا شائبة فيه ..

هو — اتعتقدين هذا ..

هي — اشعر به واعتقده .. ولي على هذا ادلة قوية وحجج دامغة .

هو — (يحملق فيها مندهشا) آ .. مثلا ..

هي — انا شخصيا لم اكن اشعر بدافع من الحب الخالص نحو خطيبي بالرغم مما كان يصرح لي به عقب كل لقاء .. لانني كنت وقتئذ من النضج الفكري بحيث لم احس ان ذلك ينال بمجرد التفكير فيه ، ولهذا اعتدلت ولم اشترط فيه ان يكون مناليا ولكنه جاء زوجا فوق ما قدرت ودون ما احببت منه .. وكان يغربني بمحاسنه الشكلية اكثر مما يغريني بمحاسنه الباطنية ..

هو — وهل هو على بينة من شعورك هذا ؟

هي — ان المعايشة والمعاشرة كفيلة باطلاعه على كل شيء خفي كما قبل :

ومهما تكن عند امرىء من خليفة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

هل سمح بان أورد لك امثلة اخرى ..

هو — كما ترين

هي — ان المثال الذي اتيت به كان فيما يخص علاقتي بزوجي .. واليك مثالا ءاخر فيما له علاقة به مع الناس .. ذلك ان زوجي كان يتوسل للحصول على وظيفة وقد

وفعلا لقد جمع هـذا المؤتمر عقولا انضجتهـا معارك الحرية ، وصقلتها تجارب الحياة ، وضجرتها مصائب الاستعمـار ، فكانت بوجودهـا وتعاونهـا تعبر عن تضامن اممنا فى القارتين من اجـل الحريـة والكرامة والعدالة والسلام ومن اجل مستقبل اشرف وحيـاة افضـل . .

وما احوجنا نحن الافريقيين والاسيويين فى هذه المرحلة الحرجة ، ما احوجنا الى التعارف والتعاون، وتوحيد الصفوف ، ونبذ الخلافات ، وسد النوافـذ والتفوق فى وجه الغزو الاستعماري الجديد المقنـع بالفكر والثقافة تارة ، والفنية والاقتصاد تارة اخرى ، فما نحن فى واقعنا الحالي الا اهل مصاب واحد وعدو مشترك ، مشاكلنا واحـدة ، ومصائبنا متشابهـة ، وظروفنا متقاربة ، وشعوبنا جميعـا لا تزال تعانـي من مخلفات الاستعمار الذي هدم كيانها ، وسمـم دماءها ، وتركها تتخبط فى ظلمات من التخلف والعجز، فاستطاع ان يخرج مـن الباب ليدخل من النافذة ، ليرجع الى اقطارنا مرة اخرى باسم الفنية والاعانـة وفعل الخير . . وهيهات هيهات ، لقد استيقظ المارد الجبار واهرت هذه الامم المظلومة ، واصبحت رشيدة تحسن التصرف وتعرف الـداء ، وتصنـع الدواء . ذلك ما اظهرته قرارات هذا المؤتمر العظيم وتبنـاه قادة الفكر فى القارتين ، وما تلك التوصيات والقرارات الا تشخيصا لامراضنـا التي يجب ان تداوى ، ومـا هى الا ضربة للاستعمار وعملائه واذنابه ، وما هي فى واقعها الحقيقي الا تعبيرا صادقا لما يحسه المواطـن الافريقي الاسيـوي .

فالدعوه الى تقوية الثقافات القومية والعنايـة بها ، واتخاذها اساسا للتعبير الفني والادبي والعلمي، وسلاحا فى نضالنا ضد الاستعمار الثقافي وسيطـرة الايحاءات الهادفة الى تحطيم مقوماتنا، وغرس مركبات النقص ، والشعور اخيرا بالتبعيـة الحتمية لاحـدى القوى المتصارعة ، كل ذلك مما تتمناه امما وتعمل من اجـل تحقيقـه ، وما تبني كتابنـا لذلك الا ضمـان لتحقيقه لانهم قمة وعينا ، وشعاع بصائرنا ، واقـدر الناس على الدفاع عن تراثنا وحضارتنـا وثقافتنا .

ولعل افضل سبيل لتنظيم الجهود وتنسيـق الكفاح ، وبالتالي الوصول الـى الغاية هو التعـرف الحقيقي الواعي على انتاجنا وعبقريتنا ، والتفاعـل مع عقولنا الموجهة فى القارتين ، وافكارنا المخططة فى كل قطـر من اقطارنا ، ومن هنا ندرك اهمية الترجمة فى تنمية التبادل الثقافي ، وتقوية روح التضامـن ، وتحقيق التعاون بين قوانا العاملة جميعا ، ولذلـك اهتم المؤتمر بهذه الوسيلة الفعالة واتخذها نقطة مـن نقاطه الرئيسية ليحقق بها الوحدة المنشودة ، والعمل المشترك لتصحيح تاريخنا ، وبعث شخصيتنا ، وتسهيل مهمة الكتـاب فى الوقوف بجانب الشعوب المكافحـة والامم المناضلة ، والسهر على تعريف العالم بحضارتنا، والوقوف ضد اولئك الذين كفروا بشعوبهم ولفاتهـم واصبحوا اذنابا لاسيادهم ، وعبيدا لاعدائهم ، والعمل اخيرا من اجل اسعاد البشرية وتحقيق السلام ، تلك بعض مهمات كتابنا الابطال وتلك امانينا وعسى ان نخرج هذه المرة من التوصيات الى التطبيق ومن القرارات والاماني الى العمل والتنفيـذ .

وفى لبنان الاشـم :

يارا عنوان للهدم : الاستاذ سعيد عقـل ثائـر على كل شيء ، ثائر على الشعر بقواعده وقيوده كمـا يسميها ، ثائر على الفصحى المعقدة كما يظن ، ثائـر على الخط العربي المبهم الغامض كما يعتقد ، ونحـن لا نلومه على الثورة ، ولكن نلومـه على الحلول التـي التي نؤمن كما يؤمن بانهـا هـدم لحضارتنا وتراثنـا لا يتورع من الاقدام عليها ، وكانمـا يريد ان يجعـل البلاد العربية امام الامر الواقع ، وكتابه (يارا) الذي اصدره بالحروف اللاتينية اول عمل تنفيذي يقـوم به كبرهان لاخلاصه فى الدعوة الى الحرف اللاتيني .

ونحن لا يهمنـا ان يكتب سعيـد عقل بما شـاء ، فللتاريخ حكمه ، ولكن يهمنا حين يتحامل على الخط العربي ويراه غير صالح لتحقيق تقدم الشعب العربي، ويعتقد او على الاصح يعتقد غيره ويعبر هو ان الحل فى التخلص من هذا الخط العربـي الصعب والاخـذ بالحرف اللاتيني الذي لا صعوبة فيه ولا حيـرة ولا عزلة ، والواقع ان هذه الاتهامات للخط العربي مفرضة،

الحياة الثقافية في الوطن العربي

في المغـرب العربي :

بصراحـة : نقولها بصراحـة لمؤتمـر التعريب الثاني المنعقد في الرباط، نحن نؤيدك ونؤمن بمجهوداتك بل ونعتقد ان امثال هـذا المؤتمر واجب ضـــروري لتقدمنا وتطعيم ثقافتنا وتوحيد جهود المخلصين مـن ابناء وطننا العربي ، بل وندعو الى ان يقع التنسيـق بين هذا المؤتمر وبين المجامع اللغوية العربية ، بحيث لا تبقى مجامعنا في القاهرة ودمشق وبغداد تـوزع امكانياتها على الترجمة واحياء التراث العربي وتتبـع المستحدثات اللغوية والاطالـة في بحثهـا ، وتوزيـع القوائم باسماء المخترعات ونشر التقارير والعمل على تطوير لغتنا بما يرتئيه كل مجمع ، كـل ذلك جميـل ولكن الا نرى انـه لو وزعت المسؤوليات وحـــدد الاختصاص لكل مجمع بناحية معينة ، هذا لتيسير اللغة وتطويرها ، وهذا للبحث العلمي التقني ، وذلك الترجمة والتعريب ، والاخير لاحياء التراث العظيـم اليتيم ، ثم عينا للجميع ادارة مشرفة منسقة جـادة لو فعلنا ذلك لوصلنا الـى النتيجة باقرب الوسـائـل وايسر السبل ولكانت تلك النتيجة اعظم ما حققتـه الجامعة العربية في حياتها المملوءة بالعقبات ، ذلـــك ما نرجو ونتمنـى .

ولكن لنا مع المؤتمـر كلمة صريحة نقولها نحـن ابناء هذا الجزء الاقصى من بلاد العروبة ونؤكدها مـن غير تحفظ : نحن في حاجة الى تعريب العقول والنفوس فيما نعتقد ، وذلك الذي اكدته الحوادث والايام اكثر من حاجتنا في هذه الظروف الـى تعريب المصطلحـات وتكوين المعاجم ، وماذا يفيد لغتنا لو ترجمنا لها كـل ما انتجه العالم ، ثم سرنا على هذا الطريق الملتـوي البعيد عن احترام لغتنـا المهين لقوميتنـا الطاعن في صدقنا ، والا فأي شيء يتوقف عليه تعريب تعليمنـا الابتدائي والثانوي ؟ انزعم ان لغتنا عاجزة عن ســد هذه المرحلة ؟ ام هنـاك شيء ءاخر .. نحـن نفكر في اللغة العربية ومستقبلهـا ، ولكـن نتناسى واقعنـا الذي يتنافى مع ما ندعيه ، وافضل للعربية واكرم لها لو صممنا على تعريب تعليمنا في المرحلتين ، حتى اذا بلغنا الى المرحلة العليـا التي تتطلب دقة فنية كنـا متحصنين مطعميـن ومزوديـن بلغة ثانية نفتح بهـا أبواب الثقافـات الاجنبيـة من غيـر ان نخشى على انفسنا او ثقافتنا ، وعندئـذ ستتحمـل المجهـودات الفردية اكبر نصيب في تطعيم اللغة وسيرتاح المؤتمرون من عناء السفر وكثرة المصاريف .

وفي ارض الكنانـة :

مؤتمر الابطال : ومن احق بالبطولة من الكتـاب الوطنيين والادباء الثائريـن والشعـراء المناضليـن ، انهم لب البطولة ، ونور الحق ، وشعاع الامل ، ودبيب الحياة يسري في شرايـيـن شعوبهم وماء الحريـة في اوطانهـم .

وما وطن الكاتب الحر الا الانسانية وما كفاحه الا كفاح للظلم والاستعمار والاستغـلال اينما وجـد وحيثما كان .. تلك هي الحقيقة التي ءامن بها قـادة افريقيا وءاسيا العقليون والذين لهم الفضل في انتصار شعوبهم ، ويقظة اوطانهـم ، ومن اجل تحقيق ذلـك عقد هذا المؤتمر الثانـي في عاصمة الفكر ، القاهرة ، ليكون رابطة تجمع الجهود وتكتل القوى وتوحد النضال في هاتين القارتين اللتيـن مـا برحتـا تتجرعان ءالام المستعمريـن وعذاب المستغلين .

رأي في قصيدة ماسح الاحذية

للأستاذ محمد برادة

يحتل الشاعر محمد الحلوي مكانة خاصة في الشعر المغربي الحديث ، ذلك انه يمثل الاتجاه الشعري « التقليدي » في بلادنا تمثيلا صحيحا تنعكس فيه خصائص متميزة في الاسلوب والصياغة ، والواقع ان كلمة « تقليدي » المستعملة هنا يجب ان تفهم على نحو خاص ، لا يتسع المجال الآن لتحديد ابعاده . ولكنني اشير الى ان الوصف لا يعني الخصائص المعروفة للقصائد المسجلة في تراثنا الشعرية القديمة ، وانما اقصد به ذلك التيار الذي كان تجديديا عند بداية هذا القرن ، ثم اصبح « تقليديا » بعد ظهور تيارات «جديدة» تقلدت اللقب بحكم الدور «الزمني» والمنحى الاتجاهي .

من اجل ذلك فان شعر الاستاذ الحلوي صالح لان يكون نقطة انطلاق لدراسة مقارنة تكشف لنا عن المسار الذي حلق فيه الشعر المغربي الحديث ، وعن مدى الاضافات الابداعية ، والعيوب المعوقة التي تكتنف ساجنا الشعري ، وطبيعي ان هذه عملية يصعب على الناقد القيام بها ما دام شاعرنا يبخل علينا بنشر دوانه ، وكأني به يريد ان ينهج طريق الاولين في الاحتفاظ باشعارهم الى بعد مماتهم — اطال الله عمره —!

ان الاستاذ الحلوي — على كثرة ما نشر — لا يذلل الصعوبات التي تواجه النقاد ، لان عملية نشر الدواوين هي التي تعطينا نتاجا مصفى يتحمل الشاعر مسؤولية اختياره ، ويقدمه للقراء نموذجا صادقا لطاقته الشعرية وخصائصه الفنية ..

عند ما اردت ان اسجل انطباعاتي عن قصيدة « ماسح الاحذية » واجهتني اسئلة متعددة تتلخص كلها في التعارض الجذري بين مدرستي الشعر التقليدي والتجديدي، كما تحددهما الدراسات النقدية الحديثة ، وبما انني اتحدث عن قصيدة بعينها ، فليس بالامكان ان اسرد وجود الاختلافات كما افهمها، وقد اعود الى ذلك في دراسة مستقلة ، ولكنني من خلال هذا النقد سابين الخصائص التي تميز قصيدة « ماسح الاحذية » والتي تعكس — بصورة مصغرة — خصائص المدرسة « التقليدية » .

في البداية يستعمل الشاعر اداة النداء « ايها » ليخاطب « الراكع المكب على الاقدام » ويواسيه في وضعه المزري ، مقدرا فيه تضحيته ونكرانه للذات.. فالخاصية الاولى للمقدمة هي الاسلوب المباشر التقريري :

يا مثال النكران للذات لقن ادعياء الفدا دروس الفداء
لا يضرك امتهان جسمك ما عشت بروح علوية شماء
انت اتقى من عابد يقطع العمر ركوعا بدافع من رياء
انت تحت الاقدام اسمى ولو كانوا جميعا من ساكني الجوزاء

بعد هذا الخطاب المباشر ينقلنا الشاعر الى اطار قصصي ليحكي لنا بداية المشهد الدرامي بين ماسح الاحذية وامه ، ولكنه سرعان ما يأخذ الماسح في الحديث ، فينقطع السرد وندخل معه في تمنيات واحلام يقظة ، ينفس بها عن واقعه الاسود ، وتكاد

يراد من ورائها ما لا يعلمه الا امثال سعيد عقل .. والا فانت يا حضرة الشاعر الكاتب الاديب هل عاقك هذا الخط ، وهل وقف فى طريقك حجر عثرة ، ولو فعل لما كنت من اصحاب الادب العاق .. ولكن دعنا نتصارع .. ايراد منا ان نكرر التجربة التركية التي اثبتت فشلها وعقمها وفسادها ؟ ام يراد منا بطرق خفية وباسم الاصلاح ان نقضي على العربية من اساسها وان نقطع ما بيننا وبين حضارتنا وتراثنا ، حتى يصبح الدارس لتلك الحضارة يحتاج الى تخصص فى اللغة العربية القديمة المكتوبة بالخط الذي اماتته اللاتينية ، انه لطريق اكيد وقصير للقضاء على العربية قضاء تاما يريح الحاقدين والمتربصين ، ولكنه طريق لن ينجح وفى العروبة دم يتدفق وعرق يتحرك .

لا ايها الاخ العربي ، فالحروف لا تقدم ولا تؤخر وحتى اللغة فيما اعتقد ، وقل لي ماذا افادت سهولة اللغة الاسبانية شعبها ؟ وبماذا عاقت صعوبة اللغة الروسية رجالها ؟ وهل اخر الصينيين خطهم المعقد عن الحضارة والرقي والعلم ؟

لا ايها الاخ انه التجني والظلم ، وانه لسوء حظ العربية التي اختصت دون سائر لغات الدنيا بهجوم ابنائها المحكم عليها والعمل على تحطيمها ، وياليتنا نجد مبررا لما نقوم به وما نقترفه فى حقها ولكنه التأثر باعداء شعبنا ، والخائفين من شمس حضارتنا ان تشرق مدة اخرى ولذلك يستغلون ثورة الثائرين لتحطيم هذه اللغة ، والقضاء على هذه القومية يريدون بذلك ان يطفئوا نور العربية وما هم بمستطيعين .

م — ز



ليعبر عن احساسه فى مبالغة لا منطقية ، اذ يقول له انك رغم بؤسك وتعلق حياتك باقدام الآخرين فانت تفضلهم مهما كانت منزلتهم !

المبالغة الثانية هي قوله :
ولقد يرتقي العروش رجال بدأوا مجدهم بمسح حذاء

مثل هذا الكلام كنا نقراه فى بعض القصص الاخلاقية والتربوية التي كانت تقصد الى حض الناس على العمل والمثابرة مهما كانت اوضاعهم المادية ، وهو راي فيه الكثير من التبسيط لحقائق المجتمع الحديث ومشاكله ، ولا يمكن فى ايامنا هذه ان تواسي ماسحا للاحذية برسم ءافاق مزيفة من الامل ، لاننا نعلم ان ماسح الاحذية « الجاهل » يستحيل عليه ان يكسب قوته بغير الانكباب المتواصل على ارجل الآخرين ليتصدقوا عليه بالنزر اليسير حتى يمكنه ان يواصل حياته . اما ان نمنيه بارتقاء « العروش » فهو من قبيل الايمان بالمعجزات فى عصر الذرة والصواريخ ، وهو كلام صالح لان ينشر فى باب « صدق اولا تصدق » من مجلة المصور مثلا !

وان هذا التحليل لقصيدة ماسح الاحذية يثبت انها تجربة « من الخارج » لم تستكمل خصوصية التجربة لتنقلنا الى ابعادها الداخلية ، ويثبت كذلك ان الشكل فى حد ذاته غير كاف لان يوفر للقصيدة خصائص الشعر الممتاز ، وقد كان الاستاذ الحلوي مجددا فى اعطاء القصيدة وحدة عضوية ، ولكن الاسلوب الشعري المتأرجح بين التقريرية والتصوير ، طمس كثيرا من ملامح التجربة واضاع ميزات شاعرنا فى انتقاء الالفاظ وسلاسة التراكيب ..

وللاستاذ الحلوي تحياتي وتقديري

الرباط ـ محمد برادة



تنسينا شخصية المتحدث . بعد ذلك ينقلنا الى مرحلة اخرى ليصور لنا « ماسح الاحذية » وهو يعمل ، وما نكاد ننسجم مع هذا التصوير حتى نفاجأ بالعدسة تتوقف ، ليتدخل الشاعر تسبقه تعليقاته وحكمه ، وكأنه يخشى ان نتوه بين دروب تلك الصور على قلتها ..

ان هذين المقطعين الاساسيين فى القصيدة يظهران بوضوح تأرجح الشاعر بين الاسلوب التقريري والاسلوب التصويري ، واعتقد انه لم يوفق فى المزج بينهما لانهما متناقضان ، فكان ان بهتت ملامح الصور تحت ركام الاستنتاجات واستخلاص العبرة :

ايها الآمنون غدر الليالي والليالي تفح بالارزاء
ان للدهر نكسة تسلب المغرور ما اعتاده من النعماء

لقد قرات القصيد فلم اتجاوب معها ، بل اقتصر مفعولها على تنبيه حواسي الى التنغيم الموسيقي ، وسلاسة الالفاظ ، ولكن الانفعالات التي تحفر فى الشعور لتترسب فيه ، ظلت مختفية ، واعتقد ان تعليل ذلك – اعتمادا على قراءاتي الشعرية – يرجع الى انعدام « خصوصية التجربة » فى قصيدة ماسح الاحذية فليس هناك خطوط متميزة نقل الينا ملامح خاصة بذلك الانسان الذي رأى امه تبكي ولا تجد ما تطعم به اخوته ، فأخذ يواسيها ويؤكد لها انه سيساعدها ويخرج الى الشارع لينكب على ارجل « الاثرياء » ادعياء الفدا وهي اوصاف مفترضة لان كل من يمسح حذاءه ليس بالضرورة ثريا مدعيا للفدا !!

وكدليل يدعم انعدام خصوصية التجربة الشعرية فى هذه القصيدة قول الشاعر على لسان « الفتى » :

طوحت بي الى الحياة وعرتني يداها من نعمة الاحياء
روعتني بالثكل طفلا وما افجع فقد الابناء للاباء
ورمت بي الى حياة رأيت الحظ فيها بجانب الاقوياء
وان‌ترعني الاحداث فى‌فجر عمري وتذقني‌مرارةالبؤساء
فهي اوهى من ان تنال يداها عزتي او تذل من كبريائي

ان هذه الخواطر يمكن ان يفضي بها عدد غير قليل من اشخاص المت بهم فترات يأس وقنوط ، ومن الممكن جدا ان ترد – مثلا – على لسان عبد الله ابن الزبير وهو يحاور امه ويسر اليها بذات نفسه .

لعل من الفروق الاساسية بين الشعر التقليدي والشعر الجديد ، اكتفاء الاول ب « تسجيل » المشاعر والاوصاف الحسية ، ومحاولة الثاني «احياء» التجربة فى النفوس عن طريق ايجاد صلة تعاطف قوية بين الاثر الشعر والمتلقي له ، اساسها تكثيف اللحظات الشعورية ونقلها من « الداخل » باعتبار الشاعر عنصرا يعيش التجربة ولا يكتفي بالتفرج عليها نتيجة لذلك ، نجد الشعراء « التقليديين » يستعملون كثيرا من الاوصاف والتشبيهات « الجاهزة » ، ولو جاءت غريبة عن السياق النفسي للقصيدة ، مثلما نجد عند شاعرنا :

ورآى فى المقهى تربا على تخت تمطى فى نخوة الاثرياء
يرشف الكأس فى دلال ويرنو للندامى باعين شزراء
فتدانى اليه وهو يمني نفسه من حظوظ هذا اللقاء
وانحنى فوق نعله كانحناء الغصن فوق الزهيرة الميساء

فهو هنا يتحدث عن الماسح الذي كان يتصيد الاحذية المتسخة بعد ان ودع امه المحتاجة ، واخوته الباكين ، وكل هذه الظلال لا يمكن ان يغفل عنها ، ثم يأتي الاستاذ الحلوي ليعقد علاقة تشبيه بين جانب مشرق – هو الغصن والزهيرة الميساء ، وبين كتلة بشرية بئيسة تعتمل فى داخلها عواطف البغض والكراهية لمجتمع لا يرحم او لقدر اعمى ، اظن ان السياق النفسي لا يسمح بمثل هذا التشبيه ..

شيء ءاخر تعكسه قصيدة ماسح الاحذية وهو تعلق الشاعر باستخلاص العبر والحكم ليصوغها فى طابع تقريري جامد مثل قوله :

ايها الراكع المكب على الاقدام فى وقدة الرمضاء
انت تحت‌الاقدام‌اسمى‌ولو كانوا‌جميعامن‌ساكني‌الجوزاء

ان حرص الشاعر على ان يواسي ماسح الاحذية فى مصيره التعس ، جعله يندفع فى حماس

بلاد المغرب خلال القرون الوسطى ، مزينا بصـور عن الاحداث التاريخية ، وجاء فى مقدمة كتاب المستشرقة ان هذا الكتاب انما هو اعتراف بالجميل وشكر للدين المستحق للعروبة منذ القـدم .

* صدر للاستاذ الكبير عبد الله كنون الطبعـة الجديدة اللبنانية لمؤلفه القيم « النبوغ المغربـي » فى ثلاثة اجزاء فى مجلد ضخم .

* يوجد تحت الطبع كتاب « مقاصد الشريعـة الاسلاميـة » لمعالي وزير الدولـة للشؤون الاسلامية الاستـاذ عـلال الفاسي .

* « الرق الحديث فى افريقيا » كتـاب جديـد للدكتور راشد الراوي ، يشتمـل على بيـان حقيقـة الاوضاع القائمة فى افريقيا ، والاسباب التي ادت الى الثورة القومية ضد المستعمرين .

* قررت الحكومة الغانيـة استعمـال لغتهـا الاصلية فى الادارة والتعليم بجانب اللغة الانجليزية .

* البرت لوتولي المفكر والزعيم الافريقـي الذي نال جائزة نوبل للسلام عام 1960 ، صدر له كتـاب : « اتركوا شعبي حرا .. » وفى الكتا بيتحدث لوتولي عن حياته . وظروف المعيشة البائسة التي يفرضهـا انصار التمييز العنصري على الافريقيين والملونين فى جنوب افريقيـا .

* صدر اخيـرا فى باريس مجموعـة شعريـة جديدة للشاعر الجزائري جان سينك بعنوان « صباح شعب » وقصائد الديوان كلهـا تدور حـول الكفـاح الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي ، وقد كتب مقدمة المجموعة ، الزعيم الجزائري مصطفى الاشرف .

* يصدر قريبا عن الشركة القومية التونسيـة للنشر والتوزيع كتـاب بعنـوان « محمد الخضر بن الحسين » لمؤلفه محمد الفاضل بن عاشور . والخضر بن الحسين من مواليد مدينة نفطة بتونس ، وخريـج جامعة الزيتونة ، هـاجـر الى الشـرق فـرارا من الاستعمار الفرنسي الذي حكم عليه بالاعدام غيابيا ، وبعد ان جال فى اروبا وتركيا ، واستقر قليلا بدمشق، انتقل الى القاهرة حيث اقام فيها ، واصبـح من كبار علماء الأزهر ، وكان طيلة حياته مدافعا عن الاســلام والقضايا المغربية بأحاديثه وكتبـه ، ومحاضراتـه . وتراس تحرير عدد من المجلات الاسلاميـة كمجلـة : (الازهر) وله مؤلفـات عديـدة فى الادب ، واللغـة ، والدراسات الاسلامية مع ديوان مطبوع . وتوفي فى القاهرة . والمؤلف الذي درس حياة الشيخ الخضـر هو الآن عميد الكلية الزيتونية للشريعة ، ومن علمـاء كبار الدين ، وله مؤلفات عديدة طبع بعضها ، وما زال البعض الآخر مطويا فى انتظار الطبع .

* يعكف الاستاذ أبو القاسـم ممحد كـرو على اعداد كتاب دراسي حول شاعـرات العـراق باسـم « شاعرات عراقيات » .

* صدرت فى نونس مجلـة جـديـدة بـاسـم « اللغات » تهتم بكل ما يتعلق باللغة من فقه ، وتاريخ ومعجم ، الى غير ذلك،وبآخرها قسم باللغة الانجليزية وصدرت كذلك مجلة بعنوان « المـراة » تعنـي بطبيعة اسمها بنشاط وشؤون المراة التونسية .

* صدر عن سلسلة ادباء المغرب العربي التـي ننشرها ونوزعها الشركة القومية للنشر والتوزيـع بتونس ، كتابان : « الباجـي المسعـودي » للاستـاذ محسن بن حميدة و « الورغى » بقلم الاستاذ محمد الحبيب بن الخوجة ، وسيشرف على هذه السلسلة الشيخ ممحد الفاضل عاشور .

* بصدر قريبا فى نونس مسـرحيـة بعنـوان « قصر الريح » للاستاذ مصطفى الفارسي ، وقصـة شعبية من التاريخ التونسي باسـم « برق الليـل » لمؤلفه الاستاذ البشير خريف .

*صدرت الطبعة الثانية من كتاب « كفاح واجب » لمؤلفه الاستاذ أبو القاسم محمد كرو .

* استطاع ممحود الشرقاوي ان يحصـل على نسخة خطية من كتاب « مظهـر التقـديس فى زوال دولة الفرنسيس » للمؤلف الكبر عبدالرحمن الجبرتي النسخة مكتوبة فى عصر الجبرتي ، وقد عثـر عليهـا محمود الشرقاوي فى جامعة لندن .

* اصدرت الجمعية الادبيـة المصريـة كتابهـا الثامن « ما ذا بقى منهم للتاريـخ » للشاعـر الناقد صلاح عبد الصبور .

أنباء ثقافية

* قررت جمعية اصدقاء تطوان بمناسبة مرور مائة عام على تنفيذ عقد الصلح مع الحكومة الاسبانية الذي عادت بمقتضاه تطوان الى حظيرة الوطن . قررت الجمعية الاحتفال بهذه الذكرى التي ستحل بتاريخ 20 ماي 1962 فى مهرجان كبير .

* صدر للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله كتاب بالفرنسية بعنوان « الفن المغربي » وستصدر ترجمته العربية قريبا .

* صدر العدد الاول من جريدة « الميثاق » التي تصدرها رابطة علماء المغرب ، ويديرها العلامة الجليل سيدي عبد الله كنون .
نرجو للميثاق عمرا مديدا ، وانتشارا واسعا .

* صدر عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية دليل يستعين به الحجاج المغاربة لأداء فريضة الحج بعنوان « مرشد الحاج المغربي » لمؤلفه الاستاذ السيد عبد السلام بن عبد الجليل .

* تعاقدت الشركة الثقافية التونسية للطبع والتوزيع مع السيد محمد الصباغ لطبع كتابه الجديد « فوارة الظمأ » . ومن المنتظر أن يصدر فى أواخر فصل الربيع المقبل .

*** صدر عن المطبعة الملكية بالرباط الجزء الاول من كتاب (العز والصولة ، فى معالم نظم الدولة) لمؤرخ الدولة العلوية المرحوم مولاي عبد الرحمان بن زيدان ، وقد قام بتحقيقه والتعليق عليه الاستاذ عبد الوهاب بن منصور ــ عضو الديوان الملكي .**

*** اصدر الاستاذ عبدالله الجراري المفتش بوزارة (اعتاب الكتاب) للاديب الاندلسي ابن الابار .**

*** اصدر الاستاذ عبدالله الجراري المفتش بوزارة التربية الوطنية كتابا جديدا بعنوان (تقدم العرب واساتذيتهم لاوربا) .**

* سترسم فى كل نصب تذكاري صورة بارزة لجلالة المغفور له محمد الخامس ، فى الشوارع الرئيسية للمدن المغربية الكبرى ، تخليدا لذكراه .

* عقد المجلس التنفيذي للمكتب الدائم للتعريب بالرباط دورته الاولى بتاريخ يوم الاثنين 19 فبراير الماضي ، واستمر لغاية الثالث والعشرين منه ، درست خلاله جميع النقط المتعلقة بالتنظيمات الداخلية والمشاريع التي أوصى بها مؤتمر التعريب فى دورته الاولى ، فى 3 و 7 ابريل 1961 م .

* زار المغرب مؤخرا العالم الروسي الكبير الدكتور بارون فسكي ، خليفة مدير معهد الفيزياء والمتيالوجيا ، فى مرسكو ، وهو اختصاصي فى الفيزياء والاختبارات المتلوجية .

وقد قام بالقاء سلسلة من المحاضرات والمناظرات بين طلبة كلية العلوم المغربية ، كما انه قام بزياره أهم المدن المغربية ، واتصل بالاوساط المغربية العلمية، وخاصة باساتذة وطلاب هذه المادة الهامة فى مختلف المعاهد التابعة لوزارة التربية الوطنية ، كما زار الدكتور بارونسكي كلية العلوم ووزارة التربية التي رحبت بمقدمه .

* وفد الى المغرب فى زيارة ثقافية الاستاذ السيد محمد ابو القاسم كرو ، صاحب سلسلة « البعث » التونسية ومؤلفات ادبية عديدة ، والاستاذ كرو هو الذي عرف بالشابي معرفة واسعة فى الاوساط الثقافية الشرقية .

* بعد الزيارة التي قامت بها المستشرقة والمؤرخة الالمانية السيدة زيجريد هونكة ، الى المغرب اصدرت كتابا عنه ، بعنوان « نور الله يضيء على المغرب » الذي درست فيه تاثير الثقافة العربية فى

* صدر اخيرا عن دار الفكر العربي المجموعة القصصية الاولى للاديب محمد سالم بعنوان « استاذ في الحارة» التي ساهمت في اصدارها وزارة الثقافة.

* الكتاب الجديد للدكتور مصطفى محمود ، هو مجموعة مقالاته النفسية وخواطره الفنية التي لم تضمها في كتاب واحد من قبل . وعنوان الكتاب الجديد « احلام » وقد قام الفنان رجائي بتصميم الغلاف والرسوم المرافقة للصفحات .

* « اله رغم انفه » .. كتاب جديد صدر هذا الاسبوع للاستاذ فتحي رضوان يضم خمس مسرحيات .. ومنها مسرحية « جلاد رغم انفه » التي نشرها المؤلف منذ سنوات بمجلة « المجلة » وعالج فكرتها من بعده توفيق الحكيم في « السلطان الحائر » .

* ترجم الدكتور عبد الحميد يونس كتاب « رحلة في عالم النور » للكاتبة الصحفية الامريكية اسبل روس . والكتاب يتناول قصة المكفوفين عبر التاريخ . وقد اضاف اليه الدكتور يونس بعض الابحاث عن عباقرة العرب المكفوفين من امثال بشار ابن برد وابو العلاء المعري وابن سيدة .

* عقد في منتصف فبراير مؤتمر بالقاهرة لوزراء التعليم التابعين لمختلف الدول الموقعة على ميثاق الدار البيضاء ، درست فيه تطبيق القرارات التي اتخذها اثناء المؤتمرات السابقة للبلدان المنخرطة في الميثاق وهي : الجمهورية العربية المتحدة ، والمغرب ، والجزائر ، وغانا ، وغينيا ، ومالي .

* اصدر الاستاذ عبد الرزاق نوفل كتابا بعنوان « محمد قبل الرسالة » .

* يصدر قسم البحوث الفنية للمجلس الاعلى للآداب والفنون والعلوم معجما باسم « ادباء القرن العشرين »مشتملا على ترجماتادباء العرب وآثارهم.

* سيحتفل بالقاهرة بذكرى ابن المقفع .

* صدر اخيرا « المعجم اللغوي الوسيط » عن مجمع اللغة بالقاهرة .

* قال الدكتور طه حسين في حديث له مع الشاعر كامل الشناوي انه لا يوجد في الادب العربي غير عبقريتين : « ابن خلدون ، وابي العلاء المعري » .

* اصدر علي الجندي مجلدا عن المرحوم كامل الكيلاني بمناسبة ذكراه الثانية .

* كتاب « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » لابن بسام ، عزمت على اصداره وزارة الثقافة في ج . ع . م . مع العلم بان هذا الكتاب صدر في عام 1938 بتحقيق لجنة من كلية الآداب بجامعة القاهرة .

* عادت الى الصدور في القاهرة مجلة « الادباء» بعد توقف طويل .

* شرع معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية برئاسة الدكتور صلاح الدين المنجد بوضع فهارس عامة موحدة للمخطوطات التي تقدر بحوالي نصف مليون مخطوطة .

* وضعت مديرية السكك الحديدية في الجمهورية العربية المتحدة مكتبة في كل محطة يستطيع المسافر ان يستعير منها الكتاب الذي يريده على ان يعيده في المحطة التي سينزل بها ، وذلك حتى لا يشعر بالملل اثناء سفره .

* عقد اخيرا بالقاهرة المؤتمر الثاني الافريقي الاسيوي .

* سيعاد في القاهرة طبع دواوين الدكتور احمد زكي ابو شادي .

* « تطور الحضارة من انسان الغابة الى عصر الذرة » كتاب صدر اخيرا لمؤلفه علي اسلام .

* **اصدرت دار الفكر المغربي للنشر والتوزيع بطنجة : الكتاب الاول من المطالعة الثانوية للمدارس المغربية ، تأليف الاستاذين محمد عبد الواحد بناني وابو بكر حسن اللمتوني .**

* ذكرت بعض صحف القاهرة بان « ابوللو »التي كان يصدرها المرحوم ابو شادي ستعود للصدور قريبا

* احتج علماء الدين في ايران وعلى رأسهم آية الله البهباني على احدى الشركات السينمائية

هناك اربعة كتب جديدة أخرى تنشرها الجمعية فى القريب ، هذه الكتب هي « فن كتابة السيرة الشعبية » لفاروق خورشيد ومحمود ذهني ، و « الشيء القديم » لاحمد كمال زكي و« قصائد افريقية » لعامر بحيري ، والطبعة الثانية : من « اقول لكم » لصلاح عبد الصبور .

* تتخذ الاجراءات الآن لاصدار كتاب واحد ضخم ، يشبه دائرة معارف الكتب ، تفتحه لتقرأ فيه عن اي مؤلف كبير ، اعدت ادارة الثقافة قوائم طويلة باسماء تلك الكتب ومؤلفيها ، وشرعت تتفق مع مجموعة من الادباء والعلماء ليكتب كل واحد منهم عن كاتب عالمي او كاتب عربي .

من المنتظر ان تصدر اجزاء هذه الموسوعة فى اجزاء دورية منفصلة ، ثم يتم جمعها معا ، وتجليدها فى مرجع ضخم واحد .

* مسرحية بيت برنارد آلبا ، للكاتب الاسباني المعروف جارسيا لوركا ، ترجمها الدكتور محمود مكي عن الاسبانية مباشرة وراجعها الدكتور حسين مؤنس وستظهر هذه المسرحية ضمن مجموعة روائع المسرح.

* صدر كتاب يحكي قصة الباخرة البرتغالية سانتا ماريا التي اعلنت الثورة فى العام الماضي ، الكتاب من تأليف هنريك جالفا وقائد السفينة ويقع فى 300 صفحة .

* تقدم سعد الدين وهبه عضو مجلس محافظة القاهرة باطلاق اسم الاديب الكبير سلامة موسى على شارع من احد الاحياء الشعبية بالقاهرة ،

* ينشر معهد الدراسات العربية بالقاهرة كتابا للدكتور علي الوردي الاستاذ بجامعة بغداد بعنوان « منطق ابن خلدون » يشتمل على المحاضرات التي القاها المؤلف فى معهد الدراسات العربية .

* سلسلة الكتب الكبيرة التي تنوي وزارة الثقافة والارشاد القومي ان تنشرها قريبا ، وتضم احدث ما اخرجته المطابع العالمية ، سيكون منها كتاب المفكر والسياسي والعمالي الكبير ستراشي الذي يحمل عنوان « نهاية النظام الاستعماري » .

* احمد حمروش انتهى من الفصول الاولى من الكتاب الذي يضعه الآن عن تاريخ المسرح . رجع حمروش الى المصادر المنشورة والى ذاكرة كبار الممثلين والمخرجين .. سيكون كتابه الجديد وثيقة تاريخية يكتبها صحفي ادار المسرح القومي خمسة اعوام . يضم الكتاب ملاحظات شخصية وحقائق وذكريات .. ويقتصر على المسرح الدرامي ..

* اصدرت الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطيء » كتابا قيما عن الادب العربي اثناء العصر الجاهلي وفى ظل الاسلام وفى القرون التالية الدعوة المحمدية ، وستصدر بنت الشاطيء الجزء الثاني من « القيم الجديدة » لتستكمل به بحثها العلمي المستفيض .

* الحلقة الدراسية التي تقرر عقدها بالقاهرة فى النصف الثاني من شهر مارس القادم ، للفنون الشعبية . تقرر ان تتناول دراسة الادب الشعبي فى الجمهورية العربية الى جانب الوان الفنون الاخرى . كان المقرر من قبل ان يقتصر موضوع الحفلة على الفنون المتعلقة بعادات الزواج ، تم عدل بحيث يشمل جميع الوان الفنون فى اي موضوع .

* تلقى عبد الرحمن الشرقاوي نسختين من روايته « الارض » احدهما هي الترجمة الانجليزية للرواية والثانية هي الترجمة الالمانية . عنوان الترجمة الالمانية « الجلابيب الزرقاء » .

* ديوان « اغنيات على النيل » لصالح جودت صدر اخيرا .

* « طاغور والمسرح الهندي » كتاب جديد لعبد الرحمن صدقي صدر اخيرا . يتضمن الكتاب عرضا وتحليلا لثماني مسرحيات من تأليف طاغور .

* « الجحيم او جلسة سرية » مسرحية لجان بول سارتر ترجمها الى اللغة العربية طارق فوده .

* اصدرت سلسة « اعلام العرب » كتابها الاول عن الامام المفكر محمد عبده من تأليف عباس محمود العقاد . يتضمن برنامج هذه السلسلة التعريف بالمفكرين والادباء العرب .

* « النشيد الظافر » ديوان يصدر قريبا لشاعر كربلاء المرحوم عباس أبو الطوس .

* درس المجمع العلمي العراقي في اجتماعاته الاخيرة المصطلحات الفنية للسكك الحديدية

* سيؤسس في بغداد مركز ثقافي سوفييتي .

* صدر في موسكو ديوان الشاعر العراقي معروف الرصافي ، مترجما الى اللغة الروسية .

* « دار قريش » اسم اول مسرح قرر الملك سعود انشاءه في السعودية ، والاستاذ احمد السباعي هو اول كاتب اسند اليه كتابة روايات المسرح السعودي .

* اصدر الملك سعود مرسوما يقضي بمنح الحرية التامة للصحافة السعودية ورفع الرقابة عنها .

* تطبع الآن رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية في مطابع الرياض ، وهي رسائل ضخمة تزيد على العشرين مجلدا جمعها ورتبها الشيخ عبد الرحمان ابن قاسم .

* صدرت في القدس مجلة « الافق الجديد » يرأس تحريرها الاستاذ جمعه حماد .

* صدرت في طهران طبعة انيقة من كتاب « الكاشف عن الفاظ نهج البلاغة » لمؤلفه السيد جواد المصطفى الذى درس نهج البلاغة دراسة دقيقة ثم نسق فهرس الفاظه في مدة اثني عشر عاما .

* اعلن مركز الدراسات التاريخية التابع لجامعة كمبريج البريطانية ان المركز المذكور انهى من الدراسات الاولية لتدريس تاريخ ايران منذ العصور القديمة ، وسيبدأ العمل بطبع ونشر هذه الموسوعة ، ويسمى الكتاب « دائرة معارف الحضارة الفارسية » وتعتبر هذه الموسوعة من اكبر الموسوعات والمؤلفات عن تاريخ ايران وحضارته .

* احتفل في انقرة بعيد كتب الاطفال .

* احتفلت الهند مؤخرا بذكرى ميلاد غاندي وقد اقيمت المهرجانات في مختلف انحاء الهند بمناسبة هذه الذكرى ، كما صدرت عدة كتب في هذا الموضوع

* شيخ كتاب القصة الروسية المعاصره « اهنبربج » اصدر كتابا عن نفسه بعنوان « حياتي العاصفة » .

* احتفلت مدينة مينك عاصمة روسيا البيضاء بمرور 850 عاما على مولد الفيلسوف العربي أبو بكر ابن طفيل .

* بعد نحو قرن ونصف على وفاة نابوليون بونابرت ، صدر في هذه الايام كتاب للعالم السويدي الدكتور ستين فورشوفود بعنوان «من قتل نابليون؟» وقال العالم السويدي ان بونابرت قتل في جزيرة سانت هيلانه حيث اخذ شخص مجهول يضع له الزرنيخ في الطعام قرابة ست سنوات .

* عقد مؤخرا في بروكسيل مؤتمر اثري دولي .

* ظهر في منشورات بريل في ليدن كتاب « تربيه سلامة موسى » مترجما الى الانجليزيه .

* اصدر البروفيسور تيدور هويس رئيس الجمهورية الاتحادية السابق مجموعة من مؤلفاته الادبية في كتاب عنوانه « على حائط الكتب » مشتملا على 600 سنة من الادب الاروبي .

* اجتمع اكثر من 200 من الاساتذه الفلاسفة والجامعيين من عده دول اروبية في مدينة مونيخ للاحتفال بالعيد الخمسين لتأسيس جمعية شوبنهاور الدوليه ، وقد القيت هناك عدة خطب ، ونظمت عدة محادثات في مختلف الوجهات عن أعمال الفيلسوف الكبير شوبنهاور .

* « الادب العربي في عصوره المختلفة » كتاب الفه المستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس وقد صدر اخيرا باللغتين الالمانية والمجرية .

الايطالية التي شرعت فى اخراج فلم عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطالب كذلك مفتي القاهرة برفع دعوى امام المحاكم الدولية على هذه الشركة ، كما اعدت لجنة الفتوى بالازهر بيانا يتضمن تحريم اظهار شخصيات الانبياء وزوجاتهم ، وكذلك الخلفاء على شاشة السينما او التلفيزيون او المسرح .

* يصدر كتاب جديد لتوفيق الحكيم بعنوان « عدالة وفن » .

* ترشح القاص المصري المعروف الاستاذ محمود تيمور لنيل جائزة الدولة فى الادب لهذا العام .

* اصدرت حكومة ج. ع. م. قرارا بتشكيل لجنة خاصة لوضع اسس انشاء كلية اسلامية للبنات ، كما اصدرت قرارا بانشاء معهد للفتيات بالازهر ، يضم الاقسام الابتدائية والاعدادية والثانوية ، وتنظم فيه رعاية اجتماعية كاملة للطلبات ، كما يوضع به نظام لايواء المغتربات منهن بالمجان .

* ستضم مدينة جامعة الازهر الجديدة — الى جانب المباني الحالية — عددا من المباني لتسع كليات جامعية ، ومستشفى جامعي ، ومجمع للبحوث الاسلامية ، ودار للضيافة ، وادارة جديدة للجامعة الازهرية . ويراعي فى تصميم هذه المدينة ابراز المعالم الاثرية ، لحي الازهر . وانشاء حديقة فسيحة فى صدر المدينة .

* سافرت بعثة من اساتذة الازهر للقيام بالتدريس فى المعهد الاسلامي الجديد بالفليبين . وقد حملت البعثة معها مجموعة من الكتب المقررة على طلبة الازهر هدية لمكتبة المعهد .

* صدر مؤخرا للاستاذ عباس محمود العقاد كتاب بعنوان « محمد عبده عبقري الاصلاح والتعليم »

* « الموجة العذراء » ديوان جديد للشاعر محي الدين فارس صدر فى هذه الايام

* ستصدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق المطبوعات الآتية : « كتاب الابدال » لابي الطيب اللغوي « الجزء الثاني » منه بتحقيق الاستاذ عز الدين التنوخي . « تاريخ مدينة دمشق » للحافظ بن عساكر المجلد العاشر بتحقيق الاستاذ محمد احمد دهمان . « كتاب النوادر » لابي مسلم عبد الوهاب بن حريش الاعرابي والجزء الثاني منه بتحقيق الدكتور عزه الحسن . « حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر » للشيخ عبد الرزاق البيطار بتحقيق الاستاذ محمد بهجة البيطار . « التاريخ الجامعي فى اخبار ابي العلاء المعري وآثاره » لسليم الجندي ، بتحقيق الاستاذ عبد الهادي هاشم . « فهرس المخطوطات » لدار الكتب الظاهرية للدكتور عزة حسن ، « مثالب الوزيرين » لابي حيان التوحيدي بتحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

* ستقوم وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية بطبع كتاب ضخم لشاعر الشام شفيق جبري .

* اعيد فى بيروت طبع كتاب « العظمة الاسلامية » .

* فرغ الاستاذ محمد جميل بيهم من كتابة كتاب « المرأة فى حضارة العرب » وقدمه للطبع

* تم طبع جميع المقالات والخطب والقصائد التي القيت فى حفل تكريم الاخطل الصغير فى كتاب

* احتفل فى بيروت ببلوغ الكاتب جورج حنة السبعين من عمره .

* ستظهر دراسة جديدة للاستاذ خليل هنداوي بعنوان « علي بن ابي طالب فى نهج البلاغة » .

* يعد اديب مروة كتابا عن الاخطل الصغير ، كما ستظهر دراسة مطولة عن نفس الشاعر المذكور .

* نال « اغاني مهيار الدمشقي » للشاعر ادونيس ، جائزة مجلة « شعر » لاحسن مجموعة شعرية صدرت فى عام 1961 .

* الشاعر اللبناني يوسف عضوب ، يعد ديوانا جديدا للطبع ، وسيكون كما يقول كل من اطلع عليه ، حدثا ادبيا كبيرا فى العالم العربي .

فهرس العدد الخامس ـ السنة الخامسة

صفحــة

* اصدر الكاتب الفرنسي بريس‌بران مسرحيته الاولى فى الايام الاخيرة بعنوان « اسود على ابيض » ، وسنه الخامسة والستون .

* الباحثة الانجليزية « جون فيدان » عضو معهد الصحافة فى لندن اتمت ترجمة مخطوط عربي فى مكتبة «بودليانا» فى اكسفورد ، وهو كتاب « الافادة والاعتبار » للمؤرخ عبد اللطيف البغدادي . وستتولى نشره باللغة الانجليزية .

* صدرت فى لندن رواية « مساء السبت صباح الاحد » من تأليف «آلن ميلتيتو» ، وبيع منها حتى الآن 700 الف نسخة ، واستخلص منها المنتجون الفرنسيون فلما يعرض الآن فى باريس . وفى هذه الرواية يصف « سيليتو » تطور الطبقة العمالية البريطانية .

* المؤتمر الثالث عشر للفلسفة تقرر عقده فى « المكسيك » فى المدة 17 الى 24 من سبتمبر 1962 . وجهت الدعوة الى الجمهورية العربية للاشتراك فى هذا المؤتمر .

* قامت صحف بريطانيا بحملة على مسرحية « ليدي شاترلي » التي تعرض الآن على مسرح الفن بلندن .

* ابريل بنتلي الناقد الامريكي الكبير . سيطالعه قراء العربية قريبا وذلك فى كتابه الهام « المسرح الحديث » ، انتهت ادارة الثقافة من مراجعة الترجمة وتقوم الآن باعدادها للنشر .



دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد السادس السنة الخامسة
شوال 1381 مارس 1962
ثمن العدد 1,50 درهم

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

يصادف صدور هذا العدد ذكرى مرور اربع عشرة سنة على اغتصاب فلسطين، وليست ذكرى فلسطين الا واحدة من الذكريات الاليمة والمريرة التي يحفظها الشعب العربي فى مجموع اقطاره للاستعمار .

لا شك أن قيمة الذكريات التي من هذا النوع تكمن فى استجلاء الظروف التي حل فيها المصاب ، واستعراض تطوراته ووقائعه وتقييم المرحلة التاريخية الراهنة التي نحياها ازاءه . ومختلف الفعاليات التي نواجهه بها .

تحدث الناس كثيرا عن كارثة العرب فى فلسطين وحللوها ، وربطوا اسبابها بالاستعمار ودسائسه ومكايده ، وبالتفرقة التي كان يوجد عليها الصف العربي آنذاك ، وبتخاذل القيادات العربية ، وكلها أسباب صحيحة وواقعية الى أبعد حد ، فهزيمة العرب فى فلسطين كانت كغيرها من الهزائم التي لحقت العرب ظاهرة تشير الى أدواء خطيرة فى قلب المجتمع العربي ، والى أوضاع فاسدة كانت تحياها الامة العربية. والدور الذي يقوم به الاستعمار دوما هو استغلال هذه الاوضاع ورعايتها . والسهر على استمرارها .

والهزيمة فى فلسطين لم ينحصر نطاقها فقط فى الميدان العسكري المحض كما يحلو للبعض ان يصورها ، وانما كانت هزيمة على نطاق أوسع ، كانت هزيمة للفوضى أمام التنظيم المحكم ، هزيمة لاساليب الارتجال امام اساليب التخطيط والتصميم المدروسة بعناية ودقة ، هزيمة للتخلف بكل مظاهره من جهل وفقر ومرض أمام التقدم بكل مظاهره من علم وتقنية وغنى وما الى ذلك . فمحو عار الهزيمة اذن وتصفيتها لا يمكن ان يتم الا بمحو وتصفية الاوضاع التي ادت اليها .

لقد بدأ العرب يدركون هذه الحقيقة . فما الانتفاضات الشعبية التي نلاحظها فى جميع أرجاء الوطن العربي سوى شعور حي بواقع مريض ومطالبة ملحة بعلاجه ، والاستعمار والصهيونية العالمية يدركان أيضا هذه الحقيقة اذ جميع المكاسب التي يحققها الشعب العربي فى ميدان القضاء على التخلف وجميع المعارك التي يربحها ضد اعدائه ومستغليه تعتبر من طرف الاستعمار وحليفته اسرائيل مسامير تدق فى نعشهما .

ان وعي العرب لحقيقتهم واوضاعهم وطبيعة الظروف التي يستغلها الاستعمار هو الكفيل وحده بتحطيم الصهيونية ومشاريعها .

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد السادس
السنة الخامسة

شوال 1381
مارس 1962

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



الطريق الرابطة بين فاس ومكناس عبر غابات الأرز بالاطلس المتوسط

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادى عن سنة 15 درهما ، والشرفى 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنه كامله .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنيه والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجله مستعدة لنشر الاعلانات الثقافيه .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - الرباط

يمكن ان نقدر ان جميع الحيوانات ترى الحقائق والحوادث ، والاشياء المادية ، كما هي ، وان رد الفعل العقلي عندها مباشر . فرد الفعل عندها يظهر فى سعيها فى تحصيل قوتها ، وفى هربها من اعدائها ، وفى اختفائها عند خوفها من الخطر ، وفى طلبها للراحة فى مكان تأمن فيه . ومن الممكن ان بعض انواع الحيوان المتقدمة ، كالكلاب مثلا تحلم فى نومها ، والحلم بالطبع نوع من التصور ، لا يستطيع الحالم ان يسيطر عليه .

ان التصور من اعظم المقدرات والكفاءة العقلية التي وهبها الانسان . فبالتصور يستطيع الانسان فورا ان يسافر حيث يشاء . والخطيب يستطيع ان يرحل بالمستمعين له الى اي افق يريد . فاذا وصف فى تصويره لمستمعيه احدى جزائر المرجان من بلاد الهند الشرقية ، يرى بتخيله تلك الجزيرة . ومستمعوه ايضا يرون بعقولهم سلسلة صخور مرجانية تحيط بها ويرون الشاطىء المرجاني ، ويرون تغيرات لون المحيط ، والسماء التي تظلها ، والريح تعبث بسعف النخيل ، وجزيرة فى الوسط مكسوة حلة جميلة من نبات الاراضي الحارة . ويمكنه ان يصف لهم ماء البحيرة الصافي الازرق كزرقة السماء ، وجلاء المرءاة ، واذا صار به الفكر الى ابعد من ذلك ، يرى المستمعون له اعماق تلك البحيرة. ويمكن ذلك الخطيب ان ينقل المستمعين له من ذلك المنظر الاستوائي فورا الى نهر جليدي بجريانه البطىء والوانه من ازرق واخضر وابيض ، ويسترعي افكارهم الى جبل قد توج الثلج قمته يظهر مرتفعا وراء ذلك النهر ساطعا بأشعة الشمس فى لون وردي بهي .

واذا كنت تستمع الى ذلك الخطيب يمكن ان يحملك الى كوكب بعيد ، ويكاد يحمل الى اذنيك تصادم العناصر المتطايرة ، ويكاد يشعرك ويريك فيض الضوء والحرارة ، وهما يسرعان لاعطاء الدفء والحياة وايصالهما الى الارض ، وليرى سكان الارض صورة رائعة البهاء للهلال يشرق نوره فى ظلمة غابة خضراء.

ويقدر ذلك الخطيب ان يصور لذهنك ليس فقط ما يحيط بك ، بل الصورة نفسها التي تتخيلها لزوجتك واولادك فى حركاتهم واعمالهم فى تلك اللحظة . وهنا يعوزك التصور . فيعتريه النقص وتكون الصورة الحقيقية ، بلا شك ليست هي التي تخيلتها، بل غيرها.

وقوة التصور هذه فى الطفل ينبوع سعادة عظيمة فهو يستعملها كما يشاء فى اللعب ، واذا اردت ان تعرف ذلك فلاحظ الاطفال فى لعبهم لترى ما يعتقدون فى انفسهم فالصبي الذي يحمل على كتفه بندقية من الخشب ، قد يعتقد اعتقادا تاما انه جندي حقيقة .

ان التعليم والتجربة والبيئة والمهارة ، كل هذه قد تصير الخيال قطعة فنية رائعة من الطراز الاعلى ، سواء اكانت قطعة من الموسيقى السمفونية ، ام لوحة رسم ، ام آلة ميكانيكية دقيقة الصنع . والآراء انما هي بنات التصور فهي حينئذ اساس العبقرية . واعظم نتائج العقل الانساني ، كالاختراعات ، والآلات الميكانيكية ، واستنباط افكارنا الرائع فى الرياضيات العليا ، هو التحقيق النهائي لآراء ناشئة عن التصور .

توضيحات وتعليقات

1) قوله . وكان ظهور الشمس الخ . لا شك ان العلم كله ، سواء اكان علم معاش او علم دين او ادب وفلسفة كان محتكرا عند رجال المعابد والكنائس فى الزمان القديم . وبذلك تنحصر السيطرة فى الحكام والسحرة والكهان ، ويبقى سائر الناس عبيدا لهم مسخرين لخدمتهم بسبب جهلهم ، فاذا كان الفلاح لا يكتب ولا يحسب ولا يقرا يكون مضطرا فى شؤون زراعته وصحته ودينه الى الساحر او الكاهن،فهو الذي يعين له اوقات المزروعات واوقات حصادها ، واوقات غرس الاشجار وايراقها فازهارها فاثمارها . وهو الذي يعالجه اذا مرض مرضا حقيقيا او وهميا بالرقى والتمائم ويحصنه من عين المعيان واذى الانس والجان . وهذا الساحر او الكاهن يفرض على الفلاح والعامل ان لا يعمل شيئا حتى يستشيره فيخبره بعواقب الامور . ويوهمه ان كل حركة يتحركها بدون ارشاده هي حركة طائشة توقعه فى الهلكة . وهؤلاء الكهان يحرمون التعلم والمعرفة على رعاياهم ، لانهم يعلمون ان كل من تعلم من هؤلاء المساكين يتحرر عقله وفكره ويخرج من السجن والاسر ، وفى ذلك القضاء المبرم على سلطان الطبقة الحاكمة بامرها ، وهي الحكام والسحرة ومن فى معناهم من المنجمين والمتظاهرين بالدين لنيل مآربهم الخسيسة . واعظم محرر للعقول وداع الى التسوية بين جميع البشر وجعل العلم مشاعا بين جميع الناس وجعل الدين لله والحكم لله والسيادة له وحده لا شريك له ، هو محمد رسول

دواء الشاكين وقامع المشككين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 19 -

الزمان

قال المصنف فى الفصل نفسه ، ان الانسان الاول كان يحب الزمان كالايقاع ،كالضرب المنظم على طبل . وقد رفعه التوقيت فى رقصه فوق مستوى الغريزة . والانسجام التام فى النغمات الموسيقية يوصلنا الى التلذذ العجيب الذي يهز مشاعرنا بالقطع الموسيقية المتناسقة فى النغمات والاصوات التي يقوم بها الجوق (الاوركسترا). ان الاهتزازات الموجودة فى وحدة النغم فى لحظات من الوقت ، لا تعتبر موسيقى الا عند الانسان وحده .

وقد جاءت المدنية للانسان بضرورة الضبط والتدقيق فى قياس الزمان وتسجيله . وكذلك الفصول المتتالية التي يدل عليها ظهور الشمس فى اقصى الشمال وجنوب خط الاستواء ادت الى تكوين دوائر برويد وبناء الاهرام ، وغير ذلك من علامات الوقت فى العالم . وكان ظهور الشمس او ظلها فوق هذه الاشياء عند علامة معينة سرا مكتوما عند القسيس فهو الذي يخبر بعدد الايام التي تحسب حتى يجيء وقت الغرس، او فيضان النيل . اما الآن فان التقاويم ، وان لم تبلغ الكمال تعلق فى كل بيت ، وبها نميز الايام ونعرف الاوقات .

وفوق ذلك صرنا نسجل الساعات والدقائق والثواني ، بل نسجل جزءا من الالف من الثانية . وكلما تقدمنا فى ضبط الوقت زادت حاجتنا الى معرفة الكيمياء ، والطبيعيات ، والمعادن ، ودرجات الحرارة ، وعلم الفلك، ومن اهم مايجب علينا تعلمه، الرياضيات. ونحن نحسب جدول زمان الكواكب والاقمار والمذنبات ونعتمد على معرفتنا بالوقت فيما يحدث فى حركاتها فى المستقبل ، ونحدد الساعة والدقيقة لكسوف الشمس وخسوف القمر ، فى الماضي والحاضر . ونحن نعرف سرعة الضوء ونحددها بالثانية ونعرف طبائع الاجرام السماوية التي يظهر لنا انتظامها من سيرها المتواصل الدقيق البديع فى الاماد الطويلة .

ان التطور قد بلغ بالموجودات الحية الى الاتفاق التقريبي مع بيئتها ، الا انه من الجهة النظرية على الاقل لا يمكن ان يزيد على ذلك . وتقدم الانسان فيما وراء ضروريات الحياة قد خرج به عن الحدود التي يظهر لنا ان التطور الطبعي وضعها على حدة . وان الانسان باقترابه من المعرفة التامة بالزمان ليقترب ايضا من المعرفة بقوانين العالم الابدية ، وبذلك كله يقترب من معرفة الخالق سبحانه .

واذا لم توجد فى بعض نواحي العالم مخلوقات عاقلة ، فان الانسان وحده يختص بمعرفة الزمان ، وسيطرته على معرفة الزمان تدنيه من شيء هو اعظم من المادة .

فمن اين تجيء هذه الوثبة العظيمة التي يثبها الانسان بعيدا عن الفوضى ، وعن جميع التركيبات المادية ، وعن جميع المخلوقات الحية الاخرى ؟ لابد ان تجيء من شيء اعلى واجل ، ولن تجيء من المصادفة .

(الفصل الرابع عشر)

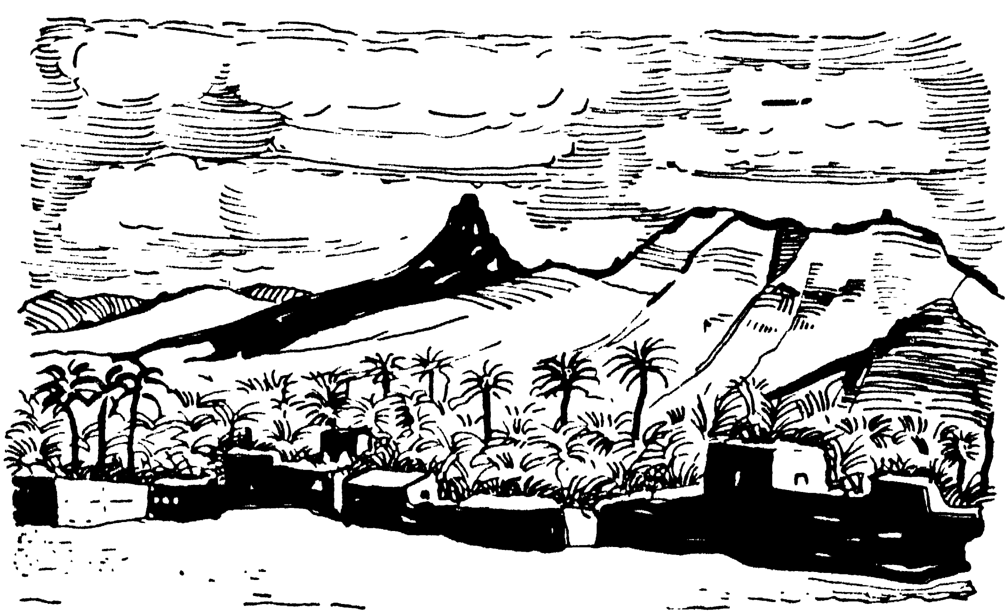
التصور الكامل

دعنا نترك العلم مليا من الزمان ونرجع الى تصورنا .

الرجال،فان منهم من يولد عقيما . فالتمس مني عنوان الطبيب المذكور فكتبته له ، فذهب اليه فعالج زوجته فحملت . وسافرت انا الى العراق فلما رجعت فى صيف سنة (1959) وزرت تلك المدينة جاءني الرجل المذكور ومعه صبي ابن بضع عشرة سنة فقال لي هذا ولدي الذي رزقني الله بسبب ارشادك وسلم على الغلام ، فقلت له يا بني ، ان والدك جنى عليك بطلبه الاولاد من الاموات وتركه الطريق الصحيح وهو العلاج . ولو ان والدك قصد الطبيب من اول الامر لكان عمرك الآن بضعا وثلاثين سنة ولكان لك اخوة واخوات ، فضحك ابوه والحاضرون . وهذا الداء الفتاك وهو طلب الحاجيات من السحرة والكهان واصحاب القبور لا يزال يفتك بهذا الشعب لكثرة سببه وهو الجهل . فتذهب اديانهم وعقولهم واعراضهم واموالهم، وذلك هو الخسران المبين . ولا يزال الدجاجلة يسرحون ويمرحون ويبتزون الاموال ويعيشون عيشة الترف بالشعوذة والدجل،وانواع الحيل.ولا منقذ لهم من هذا الشفاء الا الله ثم العلم النافع.ولا يمكن ان يوجد هذ العلم النافع الا بالرجوع الى رفع راية القرءان وما جاء به محمد رسول الله من البيان ويسير ذلك جنبا الى جنب مع علم اللغات والعلوم العصرية التي لا يقوم دين ولا دنيا الا بها . ومن طلب علم الدين وسار فى طلبه على صراط مستقيم فان علوم الدنيا تأتيه مطيعة منقادة وتخطب وده ، بخلاف من عكس فان امره ينعكس وينتكس ، واذا شيك فلن ينتقش ، كما فى الحديث ، ومعناه اذا اصابته شوكة فلن يقدر على اخراجها بمنقاش .

2) قوله، واذا لم توجد فى بعض نواحي العالم الخ. يشير بذلك الى احتمال وجود خلق عاقلين فى بعض الكواكب كالمريخ مثلا ، وما يعلم جنود ربك الا هو . وقد استطاع الانسان اليوم ان يخترق هذا الغلاف الجوي الذي خلقه الله ليحفظ به الارض وما عليها من التلاشي والاضمحلال. والانسان الآن يطمع فى اكثر من ذلك ، وهو الاتصال بالكواكب الاخرى ، ولا يعلم ما ياتي به الغد الا الله .

مكناس ـ تقي الدين الهلالي



الله الذي جاء بالعلم والنور والهدى لجميع البشر على اختلاف اجناسهم والوانهم . قال الله تعالى فى سورة سبأ (28) (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وفى الحديث الصحيح ان النبي (ص) قال . وهو يعدد الخصائص التي خصه الله بها . وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة . وعن ابي موسى الاشعري قال ، قال النبي (ص) . مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طائفة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير ، وكان منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، واصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان ، لا تمسك ماء ولا تنبت كلا ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدي الله الذي ارسلت به . رواه البخاري ومسلم . نفهم من هذا الحديث امورا ، احدهما ان الشيء الذي بعث الله به محمدا (ص) هو الهدى والعلم ، فالهدى الارشاد ، والعلم قسمان ، علم دين وهو عقائد وعبادات ومعاملات تدخل تحت احكام الشريعة وإخلاق وءاداب تسمو بالانسان الى الكمال . وعلم معاش وهو كل ما يرفع شأن الانسان ويحسن معيشته ، وانواعه كثيرة . وقد يعارض بعض الناس فى داخل الاسلام وخارجه ، فى دخول هذا القسم الثاني فى مسمى العلم الذي جاء به الرسول . ولو تأملوا لوجدوا انفسهم مخطئين ، فقد اخذ النبي (ص) بعض علوم الحرب عن سلمان الفارسي لما اشار عليه بحفر الخندق فحفره هو واصحابه وعمل فيه بيده ، وامر الناس بالتداوي فقال تداووا يا عباد الله ، فان الله ما انزل داء الا انزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله. وهويتضمن الحث على تعلم الطب . وكان عليه السلام هو نفسه طبيبا ، يصف الادوية والحمية للمرضى . وامر بتعلم الرمي وركوب الخيل وقال من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا . وقال تعالى فى حق داوود (وعلمناه صنعة لبّوس لكم ليحصنكم من بأسكم) وهم النبي (ص) بالنهي عن الغيلة ، وهي مباشرة المراة المرضع مخافة ان تحمل فيتضرر رضيعها ، فلما علم ان اهل فارس والروم لا ينهون عن ذلك ترك النهي . وفى ذلك حث لامته على تعلم علوم الصحة . الى غير ذلك من الادلة التي لا تحصى . وثانيها تشبيهه عليه الصلاة والسلام العلم الذي جاء به بالمطر والناس بانواع الارض فمن كان منهم عالما ومعلما فهو كالارض التي تنبت ما ينفع الناس من ثمرات وحبوب ومراع مخصبة والحياض التي تمسك الماءعلى الناس لشربهم وسقيهم. وشبه الجاهلين المعرضين عن التعلم بالاراضي الصلبة التي لا تمسك ماء ولا تنبت نباتا . واخبر ان الجاهلين المحرومين الذين لا خير فيهم هم ألذين لا يتعلمون ولا يعلمون ولا يهتمون بالعلم . وثالثها حصره الخير فى من تفقه وعلم وعلم . وقد جاء ذلك صريحا فى حديث ، والعالم والمتعلم شريكان فى الخير ولا خير فى سائر الناس . وامر امته بطلب العلم ولو فى الصين، فحطم بذلك القيود التي كانت تحول بين العامة وبين العلم . ومن درس التاريخ العالمي بامعان وتبصر وكان سالما من العصبية علم يقينا ان اعظم رجل حارب احتكار العلم ونظام الطبقات هو محمد رسول الله (ص) ومن دواعي الاسف ان المنتسبين الى الاسلام بعد ما تركوا القرءأن والسنة رجعوا الى الجاهلية وصاروا يحتكرون العلم والمعرفة وراجت سوق الكهانة والسحر والاكل بالدين بينهم ، فقد اخبرني رجل فى فاس ان زوجته اصيبت بمرض لازمها بضع سنين فذهب الى امام جامع كبير فشكى له ذلك فأمره بذبح دجاجةحمراء وطبخ لحمها بلا ملح ودفنه تحت شجرة عينها له خارج باب الفتوح ، ففعل ، الرجل ما امره به ، وطبعا بقيت امراته مريضة كما كانت ، فانظر الى هذه الجنايةالعظيمة التى ارتكبها هذا الامام ، وما اكثر امثاله ،ففيها تضييع الطعام ، وافساد العقيدة بايقاع الناس فى عبادة الجن ، وصرف هذا الرجل المسكين عن الصراط السوي الذي امر به رسول الله (ص) وهو التداوي . وشكى الى رجل مغربي ان زوجته لا تلد مع انها موافقة له ، وهو يحبها حبا جما ولا يستطيع ان يكدرها ، الا انه مضى عليها عنده عشرون عاما ولم تحمل . قال وقد طفت على اضرحة الاولياء فى جميع انحاء المغرب فما جاء الله بشيء ، هذا لفظه ، فقلت له انك لم تقصد الله تعالى ، ولو قصدته ما خيبك، وعلى ذلك فقد بقي لك ولي لم تقصده بعد ، فقال لي لا يستطيع احد ان يذكر لي وليا لم اقصده فى المغرب كله ، فقلت له انا اذكر لك واحدا ، فقال وما هو فقلت طبيب النساء خوس الاسباني،وليس بعيدا منك انه فى طنجة. فقال لي الله يا فقيه . تسمي هذا ولي الله ؟ فقلت انا ما سميته ولي الله ، وانما سميته وليا فقط ، وهو الذي ينفعك الله على يده ، لانه طبيب ، وقد امرنا نبينا (ص) باتيان الاطباء لعلاج الامراض ، ولم يأمرنا باتيان الاضرحة والالتجاء الى اصحاب القبور . وقد اخبر علماء الصحة انهم بعد الاستقراء التام ، لم يجدوا امراة ولدت عاقرا من بطن امها . قالوا فالعقم انما يطرا على المراة بسبب الامراض والعاهات ، بخلاف

وانما للانسان اينما وجد ، وللشعوب مهما كان بينها من فوارق اللون ، او المكان ، او الزمان : نجده يقدر الكيف والنوع في قول الرسول عليه الصلاة والسلام : (المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف) وقوة المؤمن ليست في قوة عضلاته بقدر ما هي في قوة قلبه بالايمان ، وقوة عقله بالمعرفة ، وقوة ارادته بالسلوك المستقيم ، وهنا يمكن ان يكون قول الله تعالى: (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون) موضحا لهذه القوة فالصبر الذي جعل امارة على القوة حتى يكون العدد القليل المتحلي به اشد تفوقا على العدد الكثير الذي لم يكن له هذا الوصف هو قوة نفسية وليست قوة مادية .

ونجد الكيف ايضا واضحا في تقدير الرسول عليه الصلاة والسلام عندما يقول : (يوشك ان تداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة الى قصعتها ، قالوا امن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال لا ، بل انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل) . اذ لا شك ان الكم هنا قليل الاعتبار في مواجهة النوع .

وبعد ذلك نجد القرءان الكريم في قول الله تعالى: (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم) يحدد ان الطبيعة البشرية هي الطبيعة البشرية في اي شعب او مكان او زمان ، وليس بين طبيعة واخرى فضل وتميز من حيث انها طبيعة بشرية . وانما التفاوت الذي يقع بين فرد وفرد او بين مجموعة من الافراد ومجموعة اخرى منهم يقع وراء امكانيات هذه الطبيعة ، ويرجع الى مدى ما تحقق من هذه الامكانيات في دائرة الطبيعة البشرية نفسها ، فكل طبيعة بشرية فردية لها القوى النفسية التي تتمثل في الادراك والوجدان والارادة ، واختلاف طبيعة فردية عن طبيعة اخرى لا يعود الى الزيادة او النقص في هذه القوى ، وانما الى الافادة من هذه القوى في التوجيه ، والتقوى التي جعلت في القرءان سبب المفاضلة من قوله : (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) هي حسن توجيه هذه القوى النفسية بادراك الله وحده ، وبالمحبة والاخوة بين الناس ، وبالعمل الصالح لخير الفرد والبشرية كلها ، فادراك الانسان في اصله يمكن ان يتجه به الى الايمان بالله الواحد او الى انكاره ، ووجد انه يمكن ان يتجه الى المحبة او الى ما يقابل المحبة من بغض وكراهية ، وارادته يمكن ان تحمله على كبت الهوى ، او على الاسترسال فيه ، وهنا يتصور في الانسان ـ من حيث ان طبيعته البشرية ذات قوى نفسية ثلاث ـ ان يكون ذا تقوى وان يكون غير ذي تقوى .

*

ومما يروى عن الرسول ويذكر في القرءان ـ فيما سبق ـ نجد الاسلام بقدر ما هو توجيه للبشرية مصدرا للحضارة الانسانية في الوقت نفسه ، ودعوته هي دعوة لبناء الحضارة ولبقائها ، وتعاليمه لا تتجه الى تكتيل الافراد لغزو او اعتداء وانما تتجه الى « النوعية » في الانسان ، وهي انسانيته ، واخص ما يمثل هذه النوعية في الانسان صفتان: العدل والاحسان:

فالعدل هو موازنة في الفرد بين ما يشتهي ان يحصل عليه وما يجب عليه ان يفعله ويؤديه ، وفي افراد المجتمع بين ما يؤدي من قبل كل فرد وما يؤخذ له ، ليس هناك حرمان في دائرة الفرد ولكن هناك اعتدال ، وليست هناك انانية في دائرة المجتمع ولكن هناك اشتراك في الوجود وفي حق الحياة وتوازن فيهما، ومن ثم ليس هناك مجال للطبقات ولا سبب للاحتكاك، وانما هناك حق للجميع ، والعدل كما يكون في الفعل يكون في القول ، وكما يكون بين مشتركين في هدف واحد في الحياة يكون بين اثنين لا يربطهما هدف واحد ولكن تجمعهما خصائص الانسانية ، يقول الله تعالى : (اوفو الكيل ولا تكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين) ويقول : (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا) ويقول : (ولا يجر منكم شنئان قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا ، هو اقرب للتقوى) .

والاحسان ـ بدوره ـ فوق العدل والموازنة، لانه ليس الاعطاء المادي لمحتاج ، وانما هو التهذيب في اخص صوره ، هو المنح بلا مقابل ، والرد الكريم عند عدم الاستطاعة على الاعطاء ، والمعاملة الانسانية في العشرة والمفارقة على السواء ، والقول الجميل في المحادثة ، يقول الله تعالى : (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى) ويقول : (فامساك بمعروف او تسريح باحسان) ويقول : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) ويقول : (ولا تقل لهما

الحضارة الإنسانية تقاس بالكيف دون الكم

للدكتور محمد البهي

ليس كل عمل فكري او تصوري او فني او سلوكي يصدر من الانسان يسهم فى الحضارة الانسانية وانما ذلك العمل وحده الذي يصدر من الانسان ممثلا لخصيصة من الخصائص الانسانية ويتميز به الانسان لانه انسان هو الذي يكون او ينمي الحضارة البشريــة .

فالعمل الفكري الدقيق ، والتصور الرفيع ، والفن فى صورته العالية ، والسلوك فى رشده واستقامته، هو اساس الحضارة الانسانية والعامل فى نموها او تقدمها ، لان فى كل واحد منا يتجلى جهد الانسان ، وتتجلى ارادته ، كما يبدو فيه ان الانسان ذا فاعلية ، خرج عن التأثر واضحى مؤثرا : مؤثرا بفكره وبتصوره وبفنه وبسلوكه فى التوجيه والتعبير معا ، والتوجيه والتعبير عندئذ له صلاحية تتجاوز الدائرة التي وجد ونشأ فيها المفكر او الفنان او صاحب السلوك الانساني.

وهنا يمكن ان يقال : ان الحضارة الانسانية هي مجموعة من القيم الانسانية وضعها الانسان بخالقيته او توصل اليها بالجانب الانساني فيه وحده ، ولها الصلاحية والاعتبار فيما وراء المجتمع او البيئة التي وجد فيها صاحب الخالقية او ذلك الذي بنى واسهم فيهـا .

وكلما كان تفكير الانسان ، او تصوره او فنه ، او سلوكه اوسع شمولا فى الاعتبار والصلاحية فى التوجيه كلما كان ادخل فى الاسهام فى الحضارة البشرية او فى تقدمها ونموها .

وانتاج انسان ــ لهذا ــ يتميز او يختلف عن انتاج انسان آخر ، سواء فى الفلسفة او الشعر او الرسم والتصوير والنحت والتمثل والموسيقى ، او فى القانون ، واساس الاختلاف او التمييز حينئذ ليس هو كم الانتاج ، بل نوعه وكيفه .

ويمكن ان يقال ايضا : ان الفلسفة التي توجه نحو العنصرية وتفضل جنسا من البشر على جنس آخر منه ، وتلك الاخرى التي تدعو الى الحيوانية والسخرية من القيم الانسانية ، لا تقوم عليها حضارة بشرية ، او هي اقل فى الاسهام فى هذه الحضارة من فلسفة اخرى تدعو فى توجيهها الى تقويم الخصائص الانسانية اينما وجدت فى افراد او فى شعوب . والشعر الذي يمجد امة او فردا او افرادا لانها امة بعينها او فرد بذاته ، او افراد فى مجموعتهم . ليس لخصائص او لقيم انسانية تتمثل فى تلك الامة او ذلك الفرد او اولئكم الافراد ــ قليل الحظ فى بناء الحضارة الانسانية ، وربما كان من عوامل ضعفها او فنائها ، والفن فى انواعه العديدة الذي يثير الانسان ويدفعه نحو تقويم الجانب الحيواني فيه ، او نحو تقويم الشعوبية هو فن بعيد عن مقياس الحضارة ، وبالتالي بعيد عن الاتصال بها فى قيامها او استمرارها ، والقانون الذي لا يؤسس على الحرية الفردية والعدل بين افراد المجتمع ، ورعاية السلوك الانساني الرشيد فيه ــ وكلها قيم انسانية ــ شأنه ان لا يتجاوز دائرة واضعه ، وليست له الصلاحية فى التوجيه الانساني العام ، ومن ثم ليس له الطابع الحضاري الانسانــي .

واذا انتقلنا من هذه المقومات الى الاسلام ــ كمصدر فى توجيه الانسان ــ نجده يقدر الكيف والنوع ، اكثر مما يقدر الكم ، ونجد صلاحيته فى التوجيه لا تقف عند قبيلة او شعب او جنس بعينه ،

طالب الحق ضيف الله

للاستاذ ابو العباس احمد التيجاني

اعرف للحريري صاحب المقامات كتابا ، سماه « درة الغواص فى اوهام الخواص » تصدى فيه لبيان عدد من الالفاظ خرجت مع الزمان عن معناها الاصلي واصبحت تدل على غير ما هو مدون فى المعاجم وامهات اللغة ، مثل هذا الانحراف الذي خرج ببعض الالفاظ عن المعنى الذي وضعه لها الواضع نجد نظيره وقع فى كثير من آيات الكتاب المجيد ، يرجع السبب فى ذلك الى ان هذه الآيات اخذها الناس مقتضبة مقطوعة الرحم من الآيات المنتظمة معها فى عقد واحد ، وبعبارة اخرى اخذت الآيات من غير اعتبار لسابق ولا لاحق ومن غير استحضار لما هنالك من اشباه ونظائر مبثوثة فى مختلف السور لها اتصال بوجه من الوجوه بالآيات التي هي موضوع بحثنا هنا ، فى طالعة هذه الآيات ، قوله تعالى : والله خلقكم وما تعملون ، لا اطيل الكلام عما اثارته هذه الآية من جدال ومنابذات بين اصحاب علم الكلام ومن تشيعوا لهم من اشعرية وماتريدية ومعتزلة وغيرهم مما يربو على السبعين فرقة تجدها معدودة باسمائها فى كتاب (الفرق الاسلامية) ، لا نجد لهذه الخلافات من سبب الا كون الآية ، اخذت مقتضبة كما قلت من غير القاء حساب للسياق اولا ، وللحقيقة التي جاءت لتقريرها ثانيا ، الآية جاءت فى ءاخر قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه وقومه ابتداء من قوله تعالى : « وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون ، فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة فى النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين ، فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون ما لكم لا تنطقون ، فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون » يقول ابراهيم لابيه وقومه كيف تعبدون اصناما تنحتونها بايديكم مع ان اجرامها مخلوقة مثلكم ، فاذا كان الناحت والمنحوت مخلوقا لله ، فالله احق ان يعبد ، وبهذا التخريج تتجاوب الآية مع نظيرتها فى سورة الانبياء ، ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا ءاباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وءاباؤكم فى ضلال مبين ، قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ، قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين ، فالآيتان عند من يتدبر متعانقتان تواردتا على معنى واحد ، واما اذا جرينا فى تيار اصحاب علم الكلام من الاشعرية وقلنا بأن « ما » فى قوله تعالى : خلقكم وما تعملون، مصدرية ، وان معنى الآية،الله خلق العباد وخلق اعمالهم اختل احتجاج ابراهيم وانتكس راسا على عقب ، وصار حجة عليه لا له ، لانه اذا كانت افعال العباد مخلوقة لله فماذا ينقم ابراهيم من ابيه وقومه ، الا يحق لهم ان يجيبوه ، يا ابراهيم اذا كانت اعمالنا مخلوقة لله فان من جملة اعمالنا عبادتنا لآلهتنا ، فماذا تنقم منا ، ما حيلتنا وجميع اعمالنا مخلوقة لله ، وعلى هذا التوجيه السقيم يصبح ابراهيم محجوجا وعباد الاصنام هم الغالبين ، ابراهيم محجوج والمولى جل ذكره يقول فى حقه :

« وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه »

اجل ، على هذا التخريج المصادم لفحوى قصة ابراهيم وللمنطق قامت العقيدة التي تدين بها الامة ، وهي الظاهرة المتحكمة فى معظم شؤونها ، ما تكلمت مع احد الا جنح الى التفويض ورد الامر الى الله كيفما كان ، ويرحم الله سيدنا عمر : سأل اعرابيا عن شيء فاجابه الاعرابي : الله اعلم ، فقال له سيدنا عمر : لقد شقينا ان كنا لا نعلم ان الله اعلم ، من سئل منكم عن شيء فليقل ما عنده او لا ادري ، فلم يقبل منه كما ترى الاقتصار من اول وهلة على الاحالة على المقادير والتفويض الى الله ، ذلك ليتربى الناس على الصراحة والتمشي مع ماجريات الحياة الواقعية ، وبعد هذا وذاك فان القول بان افعال العباد مخلوقة لله يصادم قبل كل شيء القرءان على طوله ، من ذلك ان الله

اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) .

ولمنزلة العدل والاحسان فى المستوى البشري وبين الخصائص النفسية طلبهما القرءان فى صورة الامر الجازم فى قوله : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان ..) فاذا تحقق العدل الفردي والجماعي واصبح التوازن ظاهرة فى تصرفات الفرد والمجتمع على السواء ــ تحققت صورة من صورة « النوعية » الانسانية ، واذا وجد الاحسان بالمعنى الذي قدمنا وجدت الصورة الاخيرة لهذه النوعية ، واضحى الفرد ذا انسانية واصبح المجتمع مجتمع الانسان فيما تؤدي اليه كلمة الانسان من معنى اصيل وخاص بها .

*

وما جاءت به دعوة الاسلام فيما وراء العدل والاحسان لا يعدو ان يكون دفعا لتحقيق العدل والاحسان او خلقا لجو يسر امرهما على الانسان كفرد وكعضو فى مجتمع . فصنوف العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج قصد منها حمل الانسان على ان يرى نفسه ووضعه فى الحياة كما يرى غيره معه فى الوجود ويشركه فى اسباب الاستقرار . فتكرار الصلاة فى الحياة اليومية عدة مرات والوقوف فيها بين يدي الله ، والسيطرة على النفس بالصيام مدة شهر فى السنة ، واخراج الزكاة عن ايمان قلبي بها كل عام ، والالتقاء فى بيت الله وفى مكان له حرماته مع تحمل المشقة فى الوصول اليه او البقاء فيه ــ كل ذلك سيخلي فى حياة الانسان مكانا للغير ويجعل لديه احتمالا قويا للتعاون مع الآخر ، وربما يصل هذا التعاون للتئاخي بعد ذلك .

وكذا ما جاء فى دعوة الاسلام من تحديد فى المعاملات المالية والتجارية وفى العلاقات الاسرية لا يخرج عن كونه دفعا غير مباشر للبقاء فى دائرة العدل او الارتقاء الى دائرة الاحسان. اي الى الصورة الاخيرة لنوعية الانسان .

الاسلام مصدر للحضارة الانسانية . وقد اسهم المسلمون ــ عندما حققوا مبادىء الاسلام ــ فى بناء تلك الحضارة . ولعل ما اسهموا به كان اروع ما فى هذه الحضارة . وقد انقطعوا عن الاسهام والمشاركة فيها يوم ان ابتعدوا عن القيم الاسلامية فى حياتهم واكتفوا بانتسابهم الى الامة الاسلامية دون ان يصنعوا صنيع المسلم المعبر فى سلوكه عن الاسلام .

ويقظة المسلمين فى حاضرنا حين تبتدىء من تقدير النوع دون الكم ، ومن تقديم المبدأ دون الشخص ومن الايمان دون الاحتراف به ، او الاكتفاء بالانتساب اليه ، يومئذ تبتدىء فى الاسهام فى الحضارة البشرية بالنوع الرفيع منها .

القاهرة : محمد البهي

التلقائية فى انتشار الإسلام

اللغة العربية والدعوة الاسلامية

للاستاذ رشيد النجار

- 3 -

* عرفنا فيما سبق ما آلت اليه حال المسلمين فى النصف الثاني من القرن الماضي ، حيث سيطرت على مقدرات حياتهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية يد اجنبية غاصبة معادية لهم ، كائدة لدينهم وملتهم ، فجردتهم من جميع امكانيات النهوض ومسايرة التقدم ، وبذلك انتشر الخمول والخمود فشمل مظاهر الحياة فى العالم الاسلامي .

وقد كانت اسباب هذا الوضع غير منحصرة فى العوامل الاجنبية، بل ان حركة الاستعمار التي شملتهم ليست الا نتيجة من نتائج التطورات التي لحقت المسلمين ، وقد كان بحثنا فى الحلقة الثانية منصبا على المظهر السياسي لحالة المسلمين فى العصور الحديثة، لكن تلك التطورات والتجارب التي عاشها المسلمون قد جرت الى نتائج فى الميدان الثقافي ربما كان لها اعمق الآثار بشكل مباشر فى الدعوة الاسلامية ، اكثر من غيرها من الاسباب .

وما دمنا نعالج ، بشكل مختصر وعابر ، مختلف المظاهر البارزة فى مشكل الدعوة الاسلامية التي كانت فى القرن الماضي وبداية هذا القرن تعاني حالة شاذة من الضعف والاضطراب ، لا فى الاقطار البعيدة النائية فى اطراف آسيا وافريقيا فقط ، بل فى عقر دارها وفى مراكزها الاولى ايضا ، فاننا سنعرض هنا الى وضعية اللغة العربية وتخلفها عن الدعوة كعامل من عوامل ضعف الرابطة الاسلامية بين الشعوب الاسلامية، ثم كعامل اساسي لفقدان تلك الدعوة سلاحها الحاد فى مقاومة الزمن .

ذلك ان التطور قد جعل من الاداة التعبيرية اقوى الروابط بين الشعوب ، وفى القديم كانت الروابط بين الامم تقوم على اساس من العقيدة اكثر مما كانت تقوم على اللغة ، لكن مع ذلك لم يكن هذا العامل قليل الاهمية فى نشأة الامم ، فاللغة ، ولا سيما بالنسبة للديانات ، عامل اساسي وضروري لمجابهة التيارات المعاكسة ، وقد قامت العربية بدورها ، كما فعلت اللاتينية ، فى جمع كلمة الشعوب التي دخلت الاسلام وكانت تلك الشعوب نفسها هي العاملة فى حقول العلم المختلفة على تزويد العربية بالذخائر والنفائس : فكان حظ الاجانب فى خدمة العربية ، بدافع الحماية والذب عن حياض العقيدة حظا وافرا وزاخرا ، ولذلك كانت العربية فى عز الحضارة الاسلامية ، وحتى القرن الرابع الهجري ، قد بلغت درجة اللغة العالمية بالنسبة للعالم القديم ، وهذه النقطة هامة جدا فى هذا المجال ، لان رقي اللغة بالنسبة للامة ، او بالنسبة للعقيدة الناطقة بها ، هو المقياس الصحيح لمدى رقيها او لمدى قابليتها للحياة والاندفاع الى الامام فى سبيل التقدم .

ولا يمكن القول بان اللغة العربية قد تخلفت منذ النهضة الاولى للاسلام عن العقيدة الاسلامية فى حركة انتشارها ، بل كانت تسير معها جنبا لجنب طيلة قرون ازدهار الحضارة الاسلامية .

لكن هذا التخلف حل بلغة القرءان منذ ظهرت الافكار الشعوبية على مسرح السياسة فى بغداد وغيرها من العواصم الاسلامية ، والعجيب حقا ان هذه الافكار المعادية للعربية هي ايضا من الاجانب اتت ، وكانت النتائج الحتمية للشعوبية ان انتعشت القوميات الاسلامية فى اواسط آسيا ، فنهضت اللغات الفارسية والتركية والاردية وغيرها ، وقوى

* راجع العددين الرابع والثالث من هذه السنة

يقول : وهو الذي خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ، تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا ، فاي معنى يبقى للابتلاء والاختبار ، اذا كان كل ما يصدر عن العباد مخلوقا لله ، اجل ثم اجل ، علة وجود الانسان فى هذه الدنيا الابتلاء والاختبار ، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم ، احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقو ل الرسول والذين ءامنوا معه متى نصره الله ـ احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ـ ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) هذه هي سنة الله فى خلقه خلقهم للابتلاء والاختبار وعلى اعمالهم من خير او شر يترتب الجزاء ـ وانما توفون اجوركم يوم القيامة ـ ولكل درجات مما عملوا، ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ـ والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بئاياتنا يظلمون ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

والى جانب هذا يقول المربي الاعظم عليه السلام :

« الايمان والعمل اخوان شريكان فى قرن ، لا يقبل الله احدهما الا مع صاحبه ، ويقول ايضا : اليوم الرهان وغدا السباق ، والجائزة الجنة ، وابلغ منه قوله ، وقوف ساعة فى سبيل الله خير من قيام ليلة القدر امام الحجر الاسود ـ لا يجتمع غبار المجاهد مع دخان جهنم ـ الامر الذي يدل اقطع دلالة بان الاسلام دين عمل تنبه لهذا حتى علماء العجم امثال جلد زهير ، الذي يقول فى كتابه : (العقيدة والشريعة) ان المؤرخ لتستولي عليه الدهشة والحيرة اذا قابل بين الاسلام كيف كان فى اوله والى اين صار ، كان فى اوله دين عمل يتجلى فى حياة المجاهد ثم اخذ يتراجع امره الى ان اصبح دين مجرد اقوال واذكار تدور على الالسنة بين الشفاه » .

ونظرا لضيق الوقت الخص للقراء ما قصدته فى هذا المقال ، وهو اني التمس بحق الاخوة الاسلامية ممن القوا بزمام قلوبهم وعقولهم الى التقليد والتمسك بالقديم لا سيما اذا شهد له ما دونه بعض اهل العلم امثال اللقاني صاحب الجوهرة فى علم التوحيد ، من من هؤلاء التمس ان يتخيلوا تمثيلية من مثل ما يسمعون صباح مساء فى الاذاعة يكون القائمون بادوارها ابراهيم ومومه ، ثم ليحكموا على اي الوجهين يستقيم احتجاج ابراهيم ، اعلى الوجه الذي يرى ان افعال العباد مخلوقة لله ام الوجه الذي يشرح أن الناحت والمنحوت فى الآية كلاهما مخلوق لله ، وعند ذلك ينهار ما بنته الفلسفة والتأويلات الكلامية ، اناشدكم سادتي بحق ما اوردته من الآيات والاحاديث وطالب الحق ضيف الله فان وجدت من يضيفني بحسن الانصات وصفاء الطوية شكرت واستبشرت بمستقبل اسعد وانقى ، والا لويت راسي تحت طي جناحي وتسليت بقوله عليه السلام ، فى حق عمر ، ما ترك الحق لعمر من صديق .

الرباط : ابو العباس التيجاني

هذه اللغات ، على الا يكون ذلك على حساب العقيدة ا المقومات الاساسية للقومية الاسلامية ، ومن هنا كانت محاولة التوفيق بين تلقي العلم والحضارة، وبين الابقاء على التراث الاسلامي اهم مشكل امام الاقطار الاسلامية عموما والعربية على الخصوص ، فالطفل المسلم يجد نفسه امام ذلك الثقل الكبير من التعرف على اللغات المختلفة الاصول : فهو لابد ان يتعرف اولا على لغته القومية المحلية ان كانت مكتوبة ، ولابد بعد ذلك ان يتعلم اللغة الاساسية فى الدراسة العلمية ، اي احدى اللغات الاروبية ، واخير لابد من لغة ثالثة من اللغات العالمية الاروبية ايضا ، وبعدها تاتي العربية وفى كثير من الاحيان تكتفي البرامج التعليمية بثلاث لغات : قومية ، وعلمية او عالمية ، ثم لغة العقيدة .

لكن الواقع الذي تسير عليه الغالبية العظمى من البلاد الاسلامية ، هو ان العربية كلغة عقيدة لم تصل الى درجة المساواة ، بل وحتى فى بعض البلاد العربية ، مع اللغات الاروبية مهما كانت ضئيلة القيمة، ولعل لهذا علاقة بضعف امكانيات العربية فى حد ذاتها بالنسبة للحضارة الحديثة ، ولكن هذا لا يضيرها من حيث انها لغة العقيدة ، والمهم هو ان المشكلة القائمة هي كثره الواجبات من حيث تعلم الطفل المسلم للغات ان نحن اردنا له ان يشب متمسكا بتقاليده وقيمه الروحية الى جانب اخذه بنصيب وافر من العلم ، ان هذه المشكلة قد سمعتها من افواه العديد من ابناء المسلمين ، والغريب ان ذلك يحصل فى بعض الاقطار الاسلامية التي كانت تحاول ان تضع دستورا قرءانيا لدولتها ، وتحاول ان تتخذ اللغة العربية لغتها الرسمية : لكنها فى الواقع التطبيقي تترك الخيار للطلبة فى المرحلة الاخيرة من التعليم الثانوي او العالي لتعلم العربية كلغة ثالثة او رابعة ، الامر الذي يتعارض مع الدعاية الرسمية مما دعا احد ابناء هذه البلاد ان يعلن صراحة فى نقاشه قائلا :) ان بلاده ستتأخر لمدة قرن من الزمن ان هي اتخذت العربية لغتها الرسمية) .

اننا نواجه فى الظروف الراهنة مشكلة تطور اللغة العربية ، ونواجه ايضا مسألة الامكانيات المادية والمعنوية التي يجب ان تتوفر عليها هذه اللغة ، اما قضية الافكار العاطفية التي تبديها بعض الشعوب الاسلامية نحو العربية فلا يحل الاشكال ابدا ، ان غينيا مثلا تحاول ان تتخذ العربية لغتها الرسمية ، وهذا اقرب الى الواقع من المحاولة التي قامت بها باكستان، الدولة الاسلامية الكبرى ، منذ ما يزيد على العشر سنين ذلك ان غينيا قد عمدت الى اتخاذ العربية كلغة رسمية بسبب من واقعها ، فهي لا تتوفر على لغة ذات امكانيات من حيث الكتابة بالاضافة الى ادراكها لمدى خطورة الاستعمار والسيطرة الفكرية التي تفرضه لغة المحتل الغاصب .

والمسيحية فى الواقع لم تعمل ، سواء فى افريقيا ام فى ءاسيا الا ان نشرت اللغات الاروبية على اختلاف انواعها ، فرنسية او انجليزية او المانية او ايطالية او غيرها ، فالمجهودات العظمى التي تقوم بها البلاد المتخلفة هي من هذا القبيل ، ولذلك وجدت من الدول الاستعمارية على الرغم من تعارض الاهداف فى الظاهر خير عضد فى حملاتها التبشيرية ، واذا كانت اللغات الاوربية تتوفر على ميزات حضارية اكسبتها شهرة وقوة، فان الامكانيات الماديةالتي تتلقاها الكنيسة من دولها ، والمساعدة التي تجدها من الادارات المحلية المنحرفة ، لهي خير ضمان لمواصلة نجاحها وبقاء سيطرتها .

والخلاصة من كل هذا ، هي ان اللغة العربية قد وجدت منذ قيام القوميات القديمة للشعوب الاسلامية غير العربية ، والتي لم تنصهر فى البوتقة العربية ، عراقيل وحواجز اضطرتها شيئا فشيئا الى الانكماش، فتخلت عن مصاحبة الدعوة الاسلامية فى المجالات البعيدة ، وقد كان هذا الانكماش خسارة كبيرة لحقت بالدعوة الاسلامية كدعوة انسانية عالمية ، ولو قدر للعربية ان تتابع انتشارها جنبا لجنب مع هذه الدعوة لتغير وجه التاريخ ، ولما اصبحت العقيدة الاسلامية على الاقل تعاني ما عانته الكوارث والنكبات .

واذا كانت الاسباب فى القرون الماضية قد عملت على قهر اللغة العربية، فان الظروف الحالية والمستقبلة لهي ظروف حسنة فى صالح العربية لتصبح لغة عالمية، لغة العلم والحضارة ، لغة العقيدة للالايين من البشر الذين اصبحوا قوة فى العالم تؤثر فى سيره وتوجيهه ، وهذه هي خلاصة هدف الدعوة التي قام بها السيد جمال الدين الافغاني منذ نحو القرن ، لقد قام يدعو المسلمين للعمل على ان يكونوا قوة ، قوة تقهر جميع القوى اذا توفرت لها الامكانيات الضرورية ، واهمها التمسك بالعقيدة وفهمها الفهم الصحيح الخالي من الجهل والخرافة .

نعم لقد اصبح المسلمون اليوم قوة ، وهذا آخر واول معقل للاستعمار يتحطم فى الجزائر ، فلم يبق للمسلمين الا خدمة الدعوة الاسلامية وتعمق فهمها لتشع على الملايين الذين لم تصلهم بعد نعمة الاسلام.

الرباط ــ رشيد نجار

امر اللهجات المحلية فى كل البلاد غير العربية ، وانحسرت اللغة العربية من جديد الى موطنها الاول بالجزيرة العربية والعراق والشام ، بالاضافة الى الاطراف الشمالية والشرقية من افريقيا حيث تمركزت بسبب من كثرة الهجرات العربية الى هذه الاصقاع وبسبب من الروابط والوشائج المتينة بين العربية نفسها ، واللغات الاصلية لجماعات البربر واهل الحبشة والنوبة .

وهنا يمكن القول بعد انكماش اللغة العربية ومزاحمتها من قبل اللغات الشرقية التي كانت خاضعة لسلطانها ، بان العربية قد ارغمت نهائيا على التخلف عن مصاحبة الدعوة الاسلامية فى انتشارها السلمي الهادىء بمجاهل افريقيا واقطار آسيا البعيدة .

لكن اللغة العربية قد قضى عليها نهائيا كلغة علم ، وكلغة حضارة ، عند ما اضطرت على عهد بني عثمان على الابتعاد عن الادارة وعن الحياة العملية ، فاحلت التركية محلها وبذلك انزوت العربية فى بعض المساجد والجوامع ، واهمها جامع الازهر ، والزيتونة ، والقرويين ، لتواصل فقط محاولات هامة للمحافظة على تراث العقيدة الاسلامية من علوم دينية ولغوية لا علاقة لها بالحياة فى اغلب الاحوال .

ان الدعوة الاسلامية ، كما هو معروف، قد قامت اساسا على اللغة العربية فى اعلى مراتب فصاحتها وكانت ظاهرة الاعجاز القرءاني اهم ظاهرة اعتمدت عليها الدعوة ايام ان كان سيف الاسلام ضعيفا ثم بعد ان قوى ايضا ، وقد ظلت الدراسات الاسلامية والعربية واللغوية خاضعة فى معظم امرها لدراسةناحية هذا الاعجاز القرءاني الرفيع ، الامر الذي يدل على مدى اهمية اللغة العربية فى فهم اسرار العقيدة الاسلامية .

فما هي نتائج هذا التخلف وذلك الانطواء الذي حل بالعربية ؟ :

لقد سيطرت العجمة ، فى القرن الماضي على الخصوص ، على مجموع البلاد العربية التي نكبت بالسيطرة التركية ، التي اسلمتها بدورها الى الاستعمار الغربي ، وعم الجهل والخرافة بين ابناء العالم العربي من اقصاه الى اقصاه ، حتى اصبح اهل العربية ، او بعض الممسوخين من ابنائها ، يطالبون فى دعوات مفرضةاتت اليهم ضمنالجيوش الاستعمارية، وجيوش الجهل ، بان يتخذوا من العاميات فى مختلف اجزاء البلاد العربية لغات محلية اقليمية لتحل محل اللغة الفصحى ، واوحى الى البعض الآخر من هؤلاء بان ينادي باستعمال الحروف اللاتينية لتسهيل الكتابة والقراءة .. الى غير ذلك من الاراء والافكار الاجنبية المفرضة التي غزت الشرق العربي .

وبهذه الحال ضعف السلاح الحاد الذي كان بيد الدعوة الاسلامية ، واذا كانت الظروف المحيطة باللغة العربية فى القرن الماضي ، قد زالت ، كما زالت الظروف السياسية الاستعمارية التي خلفتها قرون طويلة من التحكم الاجنبي فى رقاب المسلمين ، فان المشكلة التي تواجه اليوم العرب والمسلمين عموما ، هي مشكلة النهوض بلغة القرءان لتحتل مكانتها كلغة عالمية كما كانت الحال فى عصور ازدهارها ، وبذلك فقط يمكن لها ان تستعيد امجادها وحيويتها لتدفع بالدعوة الاسلامية الى الانتشار والتسرب بطرق سلمية وانسانية تتفق واهدافها .

ولكن هل الدول الاسلامية ، التي تخلصت من الاستعمار المادي ، وتحاول ان تتخلص من بقايا الاستعمار الفكري والروحي وبقايا التبعية ، هل هذه الدول تسعى اليوم وتفكر جادة فى مصير الدعوة الاسلامية ، وبالتالي فى مصير اللغة العربية كسلاح حاد فى يد هذه الدعوة ؟

وهنا نصل الى المشكلة الثقافية العويصة التي تركها التخلف والاستعمار ، وهي المشكلة التي ادخلت اضطرابات خطيرة على عقلية ابناء المسلمين واحدثت ذبذبة فيما بينهم ، ذلك ان اللغات الاستعمارية حلت محل اللغة العربية او اللغات القومية فى جميع بلاد المسلمين ، باعتبار ان اللغات الاروبية هي حاملة الحضارة والتقدم ، وان اللغات المحلية لغات متأخرة واصابها الهرم ، بل وفيها اللغات التي لا تكتب ، والواقع ان هذه اللغات مهما قيل عنها ، فهي قد شهدت حضارات ذات طابع اقليمي وذات مميزات انسانية ، وليس المهم هو ان تكون اية لغة فى مقدمة الركب الانساني ، على الرغم من ان هذا هدف يسعى اليه الجميع ، بل المهم هو ان تكون لكل جماعة ذاتيتها وطابعها الخاص ، ولكن المستعمر عمد منذ اول امره الى محاولة القضاء على اللغات الاقليمية اينما حل ، وكانت العربية فى مقدمة الضحايا .

واللغات الاروبية قدر لها فى الواقع ان تسع الحضارة الحديثة وتكون الوسيلة السهلة لتلقي العلم الحديث الذي نقلته شعوبها عن الحضارة الاسلامية وطورته ، فكان لابد للبلاد المتخلفة ان تتعلم

فى اصدار الاحكام التي لم ينص عليها ، وجعل الرضى بها شرطا فى الايمان « فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وامره باتخاذ مجلس استشاري تشريعا لمن بعده ، وتطييبا لخاطر اصحابه ، يعرض فيه القضايا المتعلقة بسير الدولة من الناحية الدنيوية « وشاورهم فى الامر » غير انه جعل له الكلمة الاخيرة فى المقررات التي يتخذها هذا المجلس « فاذا عزمت فتوكل على الله » ..

وبهذا نعلم ان سلطته صلى الله عليه وسلم احتوت على احسن ما فى انظمة العالم الحديث ، مع الابتعاد عن عيوبها التي تعرضها للنسف والتحويل حسب الاهواء واذا بحثنا عن نظام هذه الحكومة النبوية، فسنجد ان السلطات كلها كانت بيد الرسول خصوصية له ، ومع ذلك كان له اكثر من اثنى عشر وزيرا يعينونه على تسيير شؤون الامة اذكر منهم ابا بكر الصديق الذي كان بمثابة الوزير الاول . وعمر الفاروق الذي كان بمثابة وزير الداخلية . وعلي ابن ابي طالب الذي كان بمثابة وزير الدفاع وغيرهم ممن ورد ذكرهم فى حديث ذكره ابن عبد البر فى « الاستيعاب » .

وحظى بوظيف امين هذه الامة « الكاتب العام للحكومة » ابو عبيدة بن الجراح ، وكان له (ص) ديوان مركب من اكثر من اربعين عضوا ، ذكر اسماءهم العراقي فى الفية السيرة ، واصفا لهم بالكتاب ، منهم من كان يكتب الوحي ، ومنهم من كان يكتب اموال الصدقات، ومنهم من كان مكلفا بمراسلات الملوك ، ومنهم من كان من كتاب الجيش ، ومنهم من كان مكلفا بالمراسلات البدوية .

وكان على راسهم كاتب خاص يتقن عدة لغات هو زيد بن ثابت .

وكان المسجد النبوي مقرا دائما لرياسة الحكومة وللقيادة العليا للجيش . وحظى بوظيف مدير الامن قيس بن سعد بن عبادة فقد نعتته كتب السيرة بانه كان بين يديه صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة .

وكان لرئيس الدولة نشاط كبير فى كل ميدان من ميادين الحياة .

ففي الميدان الداخلي اهتم بنشر الامن فى البلاد التي اعتنقت الاسلام وتطهيرها من الاصنام وكل ما يفسد عقائدها ، وبين احكام القتل عمدا وخطأ ، والسرقة والزنى وقطع الطريق ، وحد الشرب ، وما يضمن وما لا يضمن ، والمرتد والزنديق ، وقتال اهل البغي والقسامة والقذف واللعان .

وفى الميدان الخارجي نجده قد اهتم بدعوة ملوك الارض وامرائها الى الاسلام ، ووجه لكل واحد منهم سفيرا قام بمهمته احسن قيام ، وعقد معاهدات صلح وعدم الاعتداء مع من لم يقدر له الاسلام .

وخصص دارا لاقامة الوفود والبعثات التي تأتي لعاصمة الاسلام من الخارج ، فكانت تنزل فيها الايام المتوالية على نفقة الدولة ، ووضع مبادىء العدل والمساواة ووضع اهدافها قارة للمعاهدات الدولية ، وضمن حقوق الاقليات بشكل لا يوجد فى غير الاسلام، وقضى على الميز العنصري ، وسوى بين الابيض والاسود والعربي والعجمي ، ودعا الى بناء السلام العالمي والحضارة الانسانية ، على اسس الاخوة الصادقة .

وفى ميدان الدفاع وجه سرايا لعدة جهات ، وغزا غزوات ، ووضع قوانين صارمة دعا فيها لاتخاذ وسائل القوة للدفاع عن المسلمين ، ودفع كل خطر يهدد سلامة بلادهم داخلا وخارجا ، حتى انه اوجب الجهاد على الذكر والانثى والكبير والصغير ساعة فجأ العدو، واستعمل الدبابات والمنجنيقات والعرادات وكان يشجع الجندي المتزوج فيعطيه من الفيء حظين ويعطي للاعزب حظا واحدا .

وكان يقيم الاستعراضات العسكرية لاظهار قوة الاسلام وارهاب الاعداء .

وفى ميدان التعليم نجد انه اتى العالم بالقرءان الكريم الذي يعد اوسع دائرة للمعارف استفاد منها الناس ، وبالحديث الذي هو تبيين للقرءان ، ورغب فى طلب العلم والاكثار منه وتوفير اهله ، وجعل طلبه فريضة على كل مسلم ، وفضله على العبادة والشهادة، وامر بالرحلة فى طلبه ، وامر بالتعلم فى الصغر ، وبعرض العالم نفسه على الناس ، ووضع للعالم والمتعلم آدابا ، وذم العالم الفاجر ومن تعلم العلم لغير الله ، وبين ان العلم لا يغني ما لم يصحبه العمل ، ووضع اصول العلم وحقيقته ، وبين ان القول بالراي يسبب الوقوع فى البدع ، وامر بالاجتهاد على الاصول

الاسلام دين ودولة

للاستاذ : عبد الرحمن الكتاني

اخطأ كثير من المسلمين فى القرون الاخيرة حينما اعتقدوا ان الاسلام دين يعنى بالناحية العبادية دون غيرها من النواحي ، ففارقوا العمل لصالح الدنيا ، معتقدين انهم بذلك يرضون ربهم ، وضاعف خطورة هذا الخطأ وقوعه فى الوقت الذي استيقظ فيه العالم الغربي من سباته الطويل الذي دام عدة قرون ، وتهافت على علوم الدنيا يحذقها ويتبارى فيها ، ونظم دولة تنظيما عصريا ، وكان التقدم الصناعي الذي وصل اليه الغرب الطليعة الاولى التي مهدت له استعمار العالم الاسلامي ، واستغلال خيراته .

كما اخطأ كثير من الشباب المثقف ثقافة اجنبية حينما اعتقدوا ان الدين عامل من عوامل التأخر ، وانه لا يمكن لاية دولة اسلامية ان تساير حضارة القرن العشرين الا بعد ان تفارقه ، وزادوا فتحدثوا عن وجوب فصل الدين عن **الدولة** رسميا .

ولو قدر لهم ان يدرسوا دينهم الحنيف من منابعه الاصلية ، وتاريخهم الاسلامي من مصادره العربية ، لعلموا ان الحقيقة ليست معهم ولا مع اولئك فالاسلام الذي اختاره الله للانسانية كلها دين جمع بين مصالح الدين والدنيا .

فالتوحيد يعلمنا الخضوع لسلطة واحدة هي سلطة مبدع الكون سبحانه الجديرة بالخضوع والعبادة ، لانها السبب فى ايجادنا وامدادنا .

والصلاة تربطنا بخالقنا خمس مرات فى اليوم ، فنتذكر اوامره ونواهيه اثناء قراءتنا للقرءان .

والزكاة تعد شكرا لنعمه سبحانه ، وقياما بما يفرضه علينا الواجب الانساني نحو اخواننا الفقراء والمعوزين ، ولو نظمت احسن تنظيم لكانت اساسا متينا للضمان الاجتماعي فى الاسلام .

والصوم يعلمنا تقوى الله والعطف على المساكين ، ويقرب النفوس للملائكة ويعلمها مراقبة الله فى السر .

والحج يدعونا للتجدد النفسي والتحرر الجسمي من رق العبودية لغير الله ، ويفسح المجال امامنا لعقد مؤتمرات اسلامية فى مستوى عال وشهود منافع لنا وذكر اسمه تعالى فى ايام معلومات والتكفير عن سيئاتنا واستيحاء العبر من تلك المشاهد .

واذا درسنا القرءان والسنة واضفنا اليهما الفقه الاسلامي الحر المستنبط منهما فسنرى هيكل الدولة يبهر الالباب ويحير العقول .

ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الله له بين سلطتي الدين والدنيا ، فجعله خاتم النبيئين والمرسلين ، ورئيس الدولة الاسلامية ، ومصدر السلط التشريعية والتنفيذية والقضائية والقائد الاعلى للجيش ، واعطاه الحق فى اسناد الامارة والوزارة والسفارة والعمالة لمن يشاء من اصحابه ، او عزلهم ، ومفاوضة ملوك العالم ورؤسائه باسم الاسلام ، وكان هذا طبعا فى دائرة خلافة الاهية فى الارض ، مقيدة بدستور يعد اسمى دستور عرفه تاريخ العالم ، دستور لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد اعطى هذا الدستور لرئيس الحكومة النبوية حق تبيين مواده للناس وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، كما اعطاه حق الاجتهاد

وبلغ من عنايته صلى الله عليه وسلم بالطب ان باشره بنفسه ، وفي بعض الاحيان كان يحذر الجهلة من تعاطي مهنة الطب ويتوعدهم على ذلك محافظة على سلامة الناس .

ومن تعاليمه السامية ما اخرجه البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا كان الوباء بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه واذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليها وهو ما يسمى اليوم بالحجر الصحي ، الى غير ذلك من الميادين التي يطول ذكرها .

قارئي الكريم .

الا يحق لك بعد هذا ان تصيح بملء فيك ان الاسلام دين ودولة ، وانه وضع للانسانية قوانين محكمة صالحة لكل زمان ومكان ، وبذلك ضمن للانسانية الحياة الحرة الكريمة وهيأ لها سبل العيش في امن وسعادة .

فتشبث بدينك افضل الاديان ، واهتد بهدي نبيك سيد الارسال وادفع عن شريعته كيد الكائدين ، ومكر الماكرين ، واستحضر قوله تعالى : « ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني » وكن داعية لانشاء كتلة اسلامية تشق طريقها بين الراسمالية والشيوعية ولي اليقين بانك ستنجح في دعوتك مصداقا لقوله تعالى : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

سلا : عبد الرحمن الكتاني



عند عدم النصوص فى حين نزول النازلة ، وبين فساد التقليد ونفاه ، وذم من قال فى دين الله بالراي ، وعمل غاية جهده فى محاربة الامية ونشر القراءة والكتابة . ووضع اسسا قارة للحياة الكريمة .

وفى ميدان الاوقاف دعا امته الى الصدقة الجارية، واخبرها بان عمل صاحبها لا ينقطع بعد موته ، فنشأ عن ذلك من الاوقاف الخيرية ما لم يوجد فى غير البلاد الاسلامية وقد بدا عملية الوقف بنفسه فحبس حدائق النخل التسع فى حياته وزاد فقال : « انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة » وقد اقتدى به جمع من اصحابه فحبسوا عدة املاك .

وفى ميدان الاشغال العمومية كان له عدة مهندسين يشرفون على اعمال التعمير والسكنى ، وغير ذلك منهم حذيفة بن اليمان والعلاء بن عقبة والارقم وتميم بن اسد الخزاعي ومخرمة بن نوفل بل ثبت انه كان يقوم بالهندسة بنفسه ففي طبقات ابن سعد لما اقطع صلى الله عليه وسلم الدور بالمدينة خط لعثمان بن عفان داره اليوم وفى شفا القاضي عياض انه عليه الصلاة والسلام قال وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وبلغ من عنايته بتوسيع المنازل والطرق ان بعث من ينادي فى معسكره ان من ضيق منزلا او قطع طريقا فلا جهاد له اخرجه ابو داود واخرج مسلم وغيره عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا اختلفتم فى الطريق جعل عرضه سبع ادرع .

وفى ميدان الشغل والشؤون الاجتماعية امر العمال ان يشتغلوا بجد ونشاط وشجعهم على العمل وحارب الاباحية والانحلال الخلقي والوطني واوجد العلاج لامراض الفقر والجهل والمرض والرذيلة وامر بتشجيع المشاريع التي تعود بالخير على الدين والوطن .

وفى ميدان الاقتصاد وضع اسس الاقتصاد الاداري والمالي والتأمين الاجتماعي لكل واحد ، وامر بتنمية الثروة القومية واحاطتها بما يحول بينها وبين الاضمحلال ، واوجب تحقيق العدالة الاجتماعية بين الفرد والمجتمع ، ودعا لتنشيط الصناعات المحلية ورفع من شان العامل بما لا يوجد فى غير الاسلام ونهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من باس واوجب الزكاة فى الاموال والانعام والحبوب والثمار على كل من كمل عنده النصاب ، واوجبها فى المعدن والركاز ايضا ، واقام فى كل جهة وكلاء يقبضون الاموال ووضع قوانين لبيع المرابحة والقرض وبين صورة بيع العينة وبيع الغرر وبيع السلام ، وحرم الربا الذي استفحل امره تحريما باتا الخ ..

وفى ميدان العدل شرع قوانين للتسعير والرهن والحجر والصلح والتنازع فى الجدار والحوالة والضمان والشركة والمضاربة والوكالة والاقرار والعارية والوديعة والغصب والشفعة والوقف والهبة والعمرى واللفظة واللفيظ والجعالة والوصية والفرائض وميراث الولاء والنكاح وكيفية الصفاق والوليمة والنشوز والخلع والطلاق والكنايات والرجعة والايلاء والظهار والقذف واللعان وصورة العدة والمفقود والرضاع والنفقات والحضانة ونفقة الحيوان والجناية والسارق والدية والقسامة والكفارة وذم السحر وبين كيفية الايمان وكفارة الايمان والنذر والمقاسمة فى العقار والدعاوي والشهادات والعتق والتدبير والمكاتب وحكم امهات الاولاد الخ .

وفى الميدان الفلاحي نهى عن المحاقلة والمزابنة والمخابرة وبيع الثمرة قبل بدو صلاحها وعن بيع المعاومة وهو بيع السنين وبين احكام كراء الارض بالطعام وبالذهب والورق واحكام المزارعة والمؤاجرة وبيع الطعام مثلا بمثل وحرم الاحتكار فى الاقوات .

وفى ميدان الصحة نجد انه صلى الله عليه وسلم كان اعلم الناس بالطب فكان تارة يعالج المرضى بالادوية الالاهية وآونة بالادوية الطبيعية وطورا بالادوية المركبة منهما بل كان له بمسجده الشريف مستشفى متنقل تشرف عليه امراة اسمها رفيدة كانت تداوي فيه الجرحى ، وتحبس نفسها على خدمة من كان فيه ضيعة من المسلمين ، وقد عولج فيه بامر منه سعد ابن معاد سيد الأوس ، حينما اصيب بسهم فى غزوة الاحزاب .

5 ـ الآية الخامسة ـ « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين » سورة يونس (61)

6 ـ الآية السادسة ـ « وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين » سورة النمل (75)

7 ـ الآية السابعة ـ « الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض ، ان ذلك فى كتاب ، ان ذلك على الله يسير » سورة الحج (70)

8 ـ الآية الثامنة ـ « قال علمها عند ربي فى كتاب ، لايضل ربي ولا ينسى » سورة طه (52)

9 ـ الآية التاسعة ـ « ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبراها ، ان ذلك على الله يسير » سورة الحديد (22)

10 ـ الآية العاشرة ـ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ، ان ذلك على الله يسير » سورة فاطر (11)

11 ـ الآية الحادية عشرة ـ « وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا » سورة الاسراء (28)

12 ـ الآية الثانية عشرة ـ « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ، فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا » سورة الاحزاب (6) . واريد بالكتاب فى الموضعين اللوح المحفوظ » .

13 ـ الآية ـ الثالثة عشرة قال تعالى « لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث » سورة الروح (56)

14 ـ الآية الرابعة عشرة « ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون » سورة المؤمنون (62)

15 ـ الآية الخامسة عشرة ـ « يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده ام الكتاب » سورة الرعد (28)

16 ـ الآية السادسة عشرة ـ « وكل شيء احصيناه فى امام مبين » سورة ياسين (12)

17 ـ الآية السابعة عشرة ـ « قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ » سورة قاف (4)

ايها المؤمنون المصدقون بكتاب الله عز وجل : انه تعالى اخبرنا فى هذه الآيات السبعة عشرة بان كل ما كان وما يكون فى ملكه الواسع العظيم مما هو من مشمول خلقه ، ومكنون علمه الا وهو ثابت مسطور ومحصى عنده ولديه فى كتاب مبين . فما اهمل تعالى وما فرط فى ـ هذا ـ الكتاب من شيء « وقد عبر عنه باللوح المحفوظ تارة ، و « ام الكتاب » أو « امام مبين» تارة اخرى ، كما وصفه فى بعض الآيات بانه « مكنون » و « حفيظ » و « مبين » وانه « ينطق بالحق » واحيانا ذكر من غير تعريف كقوله تعالى : « ان ذلك فى كتاب » واخرى جاء مضافا الى الله عز وجل كقوله : « فى كتاب الله » وكل ذلك مذكور فى الآيات التي جمعناها فى التنزيل ، وعددناها عدا دقيقا حسبما بلغ اليه الجهد والطاقة ، بمنه تعالى وحسن توفيقه .

وهذا بعض ما يستفاد من دراسة القرءان وعلومه الواسعة واستكناه اسراره العظيمة .

والقرءان بحر زاخر تنقضي الدنيا ولا تنقضي عجائبه ، وسيبقى الخلق جميعا ـ امام عظمته ـ قاصرين عاجزين ، بل جاهلين حائرين وان بلغوا ما بلغوا من الادراك والعلم فما اوتوا منه الا النزر الضئيل الذي لا يكاد يسمى علما بالنسبة الى ما لا يحيطون بشيء من علمه ، وصدق الله ـ وهو القائل لخلفه ـ « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

ثم اخبرنا تعالى بمنزلة القرءان المجيدة ، ومكانته السامية الكريمة : ان القرءان لديه فى « ام الكتاب » وعنده فى « كتاب مكنون » و « فى لوح محفوظ » . وذلك مصداق :

18 ـ الآية الثامنة عشرة ـ وهي قوله عز وجل انا جعلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون وانه فى ام الكتاب لدينا لعلي حكيم » سورة الزخرف (4)

19 ـ والآية التاسعة عشرة ـ « انه لقرءان كريم فى كتاب مكنون » سورة الواقعة (78)

20 ـ والآية الموفاة عشرين ـ « بل هو قرءان مجيد فى لوح محفوظ » سورة البروج (21 ـ 22)

اما اقوال مشاهير المفسرين فى الآية الكريمة : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » اي ماضيعنا اثبات شيء منه الا وقد كتبناه فى أم الكتاب ، (وهو اللوح المحفوظ) .

أضواء على آيات قرآنية

للأستاذ حسن بغدادي القادري

- 4 -

وعدنا فى آخر البحث الثاني بأن نأتي فى تتمته بأقوال مشاهير المفسرين للاستشهاد على ما ذهبنااليه من ان المراد بالكتاب الوارد فى قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » هو اللوح المحفوظ ، وليس هو القرءان . وذلك أصح التفاسير المعضدة بالادلة القاطعة واولاها بالفهم والتقدير والتقديم .

كما وعدنا بأن نأتي بالآيات المماثلة لقوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » لورودها على معنى واحد يراد به اللوح المحفوظ ، وذلك ما تجده دائرا — هنا وهناك — فى عدة ءايات على اختلاف الاساليب والتراكيب التي يقتضيها الموضوع مما يزيد المعنى وضوحا واشراقا . وذلك من خصوصية هذا القرءان العجيب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

هذا وان خير ما يفسر به كلام الله هو ما جاء فى كتابه تعالى معادا ومكررا للبيان او التفصيل. وقد قال العلماء المحققون : ان من احسن طرق التفسير أن يفهم اللفظ فى القرءان نفسه بان يجمع ما تكرر فى مواضع منه وينظر فيه بما استعمل بمعان مختلفة كلفظ « الكتاب » فى آية « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » ، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة الآية ، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه

وقد قالوا — كذلك — : ان القرءان يفسر بعضه بعضا ، وان افضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول ، واتفاقه مع جملة المعنى ، وائتلافه مع القصد الذي سيقت الآية من اجله ، او جاء له الكتاب بجملته .

واليك الامثلة من الآيات التي توفقنا لحشرها على صعيد واحد فى هذا البحث . وذلك فى عشرين موضعا من القرءان ليتبين المعنى المراد ، وهو الاحاطة والشمول الذي يتصف به اللوح المحفوظ حقيقة لا مجازا ، واحيانا تتفق هذه الآيات وتتقارب حتى فى الالفاظ ، كما تراها مرتبة باعتبار شدة المشابهة فى المعنى والاسلوب .

1 — الآية الاولى — واولها قوله تعالى : « وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شيء » سورة الأنعام (38)

2 — الآية الثانية — « وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل فى كتاب مبين » سورة هود (6)

فهاتان الآيتان متشابهتان لفظا ومعنى .

3 — الآية الثالثة — وهي اكمل واعم احاطة وشمولا — قال تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الايعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » سورة الانعام (59)

4 — الآية الرابعة — « عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ، ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين » سورة سبأ (3)

وفى تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ــ « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » اي ما اهملنا ولا اغفلنا فى اللوح المحفوظ شيئا من الاشياء ، بل جميع الاشياء صغيرها وكبيرها مثبتة فى اللوح المحفوظ على ما هي عليه ، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم . وفى هذه الآية دليل على ان الكتاب الاول قد حوى جميع الكائنات ــ ويحتمل ان المراد بالكتاب هذا القرءان وان المعنى كالمعنى فى قوله تعالى: « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء »

وفى تفسير الشيخ جمال الدين القاسمي : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » اي ما تركنا وما اغفلنا فى لوح القضاء المحفوظ « من شيء » اي جليل او دقيق فانه مشتمل على ما يجري فى العالم لم يهمل فيه أمر شيء ، والمعنى ان الجميع علمهم عند الله لا ينسى واحدا منها من رزقه وتدبيره كقوله تعالى : « وما من دابه فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين » اي مفصح باسمائها واعدادها ومظانها وحاصر لحركانها وسكناتها .

وزيادة (من) فى قوله : « وما من دابة فى الارض» لتكيد الاستغراق ــ الى ان قال : وما بيناه فى معنى « الكتاب » من انه اللوح المحفوظ فى العرش وعالم السموات المشتمل على جميع احوال المخلوقات على التفصيل التام ــ هو الاظهر لملاقاته للآية التي ذكرناها « ومن دابة فى الارض الا على الله رزقها ــ الى مبين » رصدا للنظائر القرءانية .

وقيل المراد منه القرءان كقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » قال الخفاجي : قيل حمله على القرءان لا يلائم ما قبله وما بعده . ا هـ

أقول : والذي قاله الخفاجي هو ما ذهب اليه ائمة السلف ، واقتصر عليه المحققون من علماء التفسير او رجحوه على غيره من الروايات او الوجوه التي لاتتفق مع ما جاء من الآيات المماثلة لآية الانعام فى الاسلوب والموضوع احاطة وشمولا .

وقد جئنا بهذا ــ البحث وما تبعه من الاستطرادات دحضا للروايات الهزيلة التي تقول : ان القرءان فيه تفصيل كل شيء ــ على حقيقته ــ اخذا من قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » والامر واضح بين ــ (ويتلوه شاهد منه) من ان القرءان ليس فيه تفاصيل علم الطب والفلك ، وتفاصيل علم الحساب والهندسة ، ولا الجغرافية ولا الهيئة ، ولا تفاصيل كثيرة من المباحث والعلوم زيادة على المخترعات والمكتشفات العصرية الى آخره ، وليس فيه ايضا تفاصيل مذاهب الناس ودلائلهم فى علم الاصول والفروع بل ولا حتى تفاريع الاحكام وفرائض العبادات واركانها من صلاة وصيام وزكاة وحج ، الى آخره .

فليتأمل المتاملون فيما تقدم ، وقدمنا بيانه وتفصيله على بساط هذا البحث فى هذه الآية الكريمة « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » ، راجين من اخواننا اهل العلم ممن عنده توجبه مفيد او استدراك على الموضوع فليتحفنا به مشكورا خدمة للحقيقة ــ التي هي ضالة المؤمن ــ وتنويرا للاذهان بزيادة العرفان، (نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) والى اللقاء فى آية من آيات اخرى من الذكر الحكيم ، من مثل ما تقدم من البحوث تحت الاضواء الكشافة ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

يتبع

الرباط : حسن بغدادي القادري

فابن جرير الطبري — وهو امام المفسرين — لم يات في تفسيره الكبير الا بوجه واحد ، رواه من ثلاث روايات : الاولى من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » اي ما تركنا شيئا الا قد كتبناه في ام الكتاب .

الثانية — قال حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب ، قال ابن زيد في قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » قال : لم نغفل ، ما من شيء الا وهو في الكتاب ، اي في ام الكتاب ، كما هو مبين في الرواية الاخيرة عنه .

الثالثة — قال حدثني به يونس مرة اخرى قال في قوله « ما فرطنا في الكتاب من شيء » قال : كلهم مكتوب في ام الكتاب . ا هـ

وهذا ما جاء في تفسير ابن جرير ، وهو الوجه الاحق الذي يتفق والآيات الاخرى من امثالها في القرءان مشاركة في الموضوع الواحد بالقرائن الحاقة والبساط المخصص ، وبشهادة الواقع الذي يكشف عن الصواب بحق وصدق . ومن اعظم الشواهد — جملة وتفصيلا — تفسير القرءان بالقرءان ، وكفى به تفسيرا واضحا يقطع الشك باليقين ، ويزيد الذين اهتدوا هدى واطمئنانا .

وفي اقتصار الامام الراوية محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى على هذا الوجه الوحيد من غير ان يذكر غيره مع كثرة اعتنائه بجلب الروايات وشدة حرصه على استقرائها ، وسرد اقوال الصحابة والتابعين — فيه ما فيه ، وذلك ما يدلنا — فيما يظهر — على انه لم يوجد وجه ءاخر ، أو كان موجودا الا انه لا يعتمد عليه ، او هو مما لا يلتفت اليه عند المثبتين من المحققين ، فوجوده كالعدم .

وكذلك الامام ابن كثير — على توسعته في الرواية — لم يذكر في تفسيره سوى هذا الوجه الذى اقتصر عليه ابن جرير من قبل .

وهكذا جار الله الزمخشري صاحب الكشاف لم يذكر فيتفسيره الا الوجهالمقتصر عليهلدىالمحققين .

وفي تفسير الجلالين ما نصه بالحرف عند قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء »اللوح المحفوظ — « من شيء » لم نكتبه ، ولم يزد على هذا شيئا آخر .

وممن اقتصر من المتاخرين — على تفسير ءاية سورة الانعام بوجه واحد لم يتعده الاستاذ الرباني سيد قطب في تفسيره العجيب « ظلال القرءان » عند قوله تعالى : « ما فرطنا فيالكتاب من شيء » — اي — ما تركنا في الناموس الذي ينتظم الوجود من شيء الا وانتظمه ذلك الناموس ودبر امره ونظم علاقاته بما سواه في هذا الوجود الى ان قال : هذه ءاية كونية واضحة معروضة على الابصار والبصائر ، فما يكذب بها الا المطموسون الذين يعطلون جوارحهم وادراكهم عن تملي هذه الآيات — التي جاءت بعد قوله تعالى : «ما فرطنا في الكتاب من شيء،ثم الى ربهم يحشرون»— « والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات ، من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » واذا فقد المرا حواسه ونطق وهو في الظلام فقد تعطلت حواسه الهادية ، وكان مصيره الى الضلال

اما المفسرون الذين قالوا بالوجهين او جاءوا بالروايتين ، مقدمين في تفاسيرهم الوجه الاول على الوجه الثاني الذي اغفله المحققون ، جاعلين له الصدارة في تفسيرهم ، مما يدل على ترجيحهم اياه ، واعتنائهم بتقديمه ، واحتفالهم بالفهم الاول دون الثاني ، معبرين في حقه بكلمة « قيل » الدالة على ضعف الرواية ، وفي مقدمتهم الامام القرطبي في تفسيره الشهير .

واستمع اليه يقول — في الآية : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » اي في اللوح المحفوظ ، فانه اثبت ما يقع فيه من الحوادث ، **(وقيل)** اي في القرءان اي ما تركنا شيئا من امر الدين الا وقد دللنا عليه في القرءان ،امادلالة مبينة مشروحة ، واما مجملة يتلقى بيانها من الرسول صلى الله عليه وسلم او من الاجماع الخ .

وفي تفسير البيضاوي : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » يعني اللوح المحفوظ ، فانه اشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد — او القرءان فانه دون فيه ما يحتاج اليه من أمر الدين والدنيا مفصلا او مجملا .

وفي تفسير النسفي — « ما فرطنا في الكتاب من شيء » اي في اللوح المحفوظ « من شيء » من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت — او (الكتاب) اي القرءان ، وقوله « من شيء » يحتاجون اليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به عبارة واشارة ودلالة واقتضاء.

ـ في ـ ذاته ، ولكن الادراك ، هو الاتصال الفعال ، بين شعور المدرك والعالم الحي الذي يوجد فيه الشيء المدرك .

فقطعة من القماش ، زيادة على نسيجها الذي يدخلها في النوع الخاص من الاشياء المسمى « بالقماش » ، لها قوة ذاتية تلفت الانظار وتجعلها موضوع انتباه . فما كان هذا القماش ليرى ، لولا تلك الفعالية السرية الغامضة التي ، بواسطتها تجذب النفوس او تنفرها . وعليه فاني لا ارى القماش الا لانه « يعمل » على ان يرى . انه حينما يرشح نفسه لانتباهنا ، يجعل من نفسه عالما كله معاني وذكريات . انه موجود ، وموجود كشيء « يصلح ـ لـ ـ كذا » ، و « يساوي ـ كذا » . . . فكل ادراك (حسي او كلي) يحتوي على مجموعة من الاحكام ، والمقارنات . أفلا يكفي النظر الى قطعة القماش لاثارة سلاسل من تداعي المعاني ؟ انه يذكرنا بكثير من الاشياء ، لولاه ما خطرت بالنا .

فلون القماش ، وثخونته ، و . . . تذكر بالصيف او الشتاء ، بالشاطيء او الجبال . . . فبهذه المجموعات ، من تداعي المعاني ، تستدعي قطعة القماش الى معرفة . يبدو في نهاية الامر ، انها سلسلة من المعرفات (اي اعادة ـ معرفة) .

ومن جهة اخرى ، فان كل تذكر يصطحب بفكرة عن العمل . فكل صورة تنطبع ، في شبكية العين ، تفتح المجال لصور ومعاني كثيرة . فديناميكية كل ادراك ترتبط ارتباطا وثيقا بدرجة فعالية الصورة . ثم ان الصورة ، من جهتها ، تستمد قواها من منابع الشيء المدرك . لانها ليست في الحقيقة الا مرحلة في عملية متصلة تربطنا ربطا لا انفصام له بالاشياء . اني حين ادرك ، اعي الاعمال التي يمكن ، ماديا ، وقوعها بمشاركة جسمي والعالم . ولنزد ان لهذا الوعي جانبين : فهو فعالية ذاتية ، وفعالية اخرى تدعو الموضوع الا يبقى جرما جامدا ، بل ان يقوم بحظ من النشاط . فلنقترب من شيء : ان نظرتنا اليه تتغير بقدر ما نقترب منه (ان ابعاده تكبر في حقلنا البصري ، فتتغير هيأته العامة بالنسبة الينا . فهو يتكيف بما حوله ، ويكيف ما حوله) . اننا ننسجم مع الاشياء ، بقدر ما تنسجم معنا . وحتى في الحالة التي يصعب فيها الاقتراب من الشيء ، يتصور امكانية الاقتراب منه ، لان الصورة الحالية ليست الا جزئية ومؤقتة .

* * *

تكلمنا عن العالم الخاص بموضوع مدرك ، عالم « شيئية » الموضوعات ، وما تكنه من امكانيات لاستغلالها ، والقيم التي يعتمد عليها ، والنشاط الذى لصاحب الادراك .

هناك عالم آخر ، يتصل بالاول في معية زمنية : هو عالم الصور التي تدور حول المدرك فتؤكد وجوده ، لا ككائن فحسب ، ولكن كمنبع لممكنات يقبلها التصور ، ومظاهر يقبلها التخيل . ان حياة امريء كاملة تنفذ قبل ان نكتشف كل الامكانيات التي تكون عوالم شيء مدرك .

ان فكرنا هذه بدعة ، بلا شك ، بالنسبة للنظرية المتفق عليها ، عادة ، فيما يخص الموضوع . لقد بينا ، فيما تقدم ، ان الموضوع ليس بالجسم الجامد . فاذا اعتبرنا الاستدعاءات التي يوجهها كل موضوع مرشح للادراك الى المدركين ، فهمنا بوضوح القوى الديناميكية التي تنطوي عليها هذا الموضوع. أليس الموضوع بداية لعمليات استذكار ، وتخيل ، وتقويم ، او استعمال ، ينتج عنها الشروع في حركات بالجسم او بالتصور ؟.

حقا ، ان الموضوع لا يخلق الذات . ولكن الذات، من جهتها ، لا تخلق الموضوع: انهما يتعاونان بالتساوي، كلاهما يفرض ، ضمنيا ، وجود الآخر ، بل ان وجود احدهما شرط حتمي لوجود الآخر . فبطواعية الموضوع للذات ، تثبت الموضوع الذات لذاتها ، تصيرها شاعرة ، لا بالعوالم الموضوعية المدركة والعوالم التي يمكن ادراكها فحسب ، بل يجعلها واعية كذلك ، لعالمها الذاتي ، انه يساهم ، بحظ وافر ، في تشخص الكائن البشري ، بقدر ما يضفي هذا الاخير صبغة انسانية على كل الاشياء التي تدخل في أفقه .

سير العالم ليس رهن اشارتنا ؛ انه لزام علينا ان نقرأ الحساب للقوى المحركة للعالم ، بما فيها من قوى خاصة بالذوات الشاعرة ، وقوى خاصة بالظاهرات والموضوعات. أليس التشخص الذي يغذي

ترميم الكوجيطو الديكارتي على ضوء الشخصانية الواقعية

للدكتور : محمد عزيز الحبابي

ان المعرفه تبدأ من الشعور التلقائي الساذج ، لتصل الى الشعور ـ بالذات. لكنها لاتستطيع بانفرادها ان تفسر ماهية الموضوع ، بل ولا حقيقة المعرفه . انها تبرز الاشياء ، وقد ازيل عنها الغطاء سابقا ، تبرزها كمشهد ، او كطرف من الاطراف في نسبة تتقدم وجودها على عملية المعرفة . ان اول ما يفعله الموضوع الذي يريد معرفته ، هو تنبيه الشعور الساذج ، ومن هذا الشعور ، يقع الانتقال الى الشعور ـ كمعرفة . ثم ان هذا الشعور الاخير ، ينقلنا من الموضوع الى كائن آخر ، كائن اكثر كثافة من الناحية الانتولوجية . فمن طريق الشعور ـ كمعرفة ، نصل الى المعرفة النظرية التي هي مظهر ذو امتياز مرموق من بين مظاهر الشعور ـ بالذات ، ثم ان المعرفة والشعور يجدان اساسا لهما ، وهو حتمية تحقيق الـ « أنا » ، تحقيقا مثبتا ، كذات عاقلة .

هناك الشعور ، والوعي ، والذات الواعية ، وموضوع الشعور . ان الشعور يميز ، ويخصص الذات ، ولكنه لا يحددها في تعريف تام ، فليس الشعور عند الرضيع شعورا بالشعور ، أي وعيا. فوجود وعي يستلزم وجود شعور سابق عليه . والشعور من جهته ، يستلزم وجود الارواح الأبية : « انا ـ انت » و « انا ـ هذا » و « انا ـ ذاك » . . . فلا شعور ، ابدا ، الا مع اتصال وتنسق بمحور الذات ـ موضوع ، حيث يتمتع الـ « أنا » بفوق بموضع الذات «كما في الكوجيطو مثلا» وفي الحالة التي يوجد فيها « الأنا » وجها لوجه مع ذاته كموضوع لها ، يصير الوعي انعكاسا للشعور على نفسه ، فامتزاج المعرفة بالشعور ، امتزاج كلي ، دون ان تكون دائما كاملا . وعلى عكس ذلك ، حينما يختلف الموضوع عن الذات ، تحدث ظاهرة مزدوجة : نشاط يتصل بالمعرفة ، ونشاط للانارة يصاحب الاول ، ويصدر عن الشعور . اذن ، هناك ميدانان تتواجدان وبختلفان في نفس الحين . وفي هذه الحالة ، يكون موضوع المعرفة موضوعا ، في ـ موضع ـ هنا ـ الآن ـ امام . . .

فالى جانب المدرك يوجد الشيء المدرك ، ولكن ان اختلف بعض بنيانهما ، فانهما يتصلان عن طريق الادوار التي تقوم بها كل واحد منهما ، في عملية الادراك المشتركة . نقول انها عملية مشتركة ، لانه لا يمكن حصول اي ادراك اذا انغمس المدرك او المدرك في سكون تام . فالذات المدركة لا تتحرك الا اذا لفت انتباهها الموضوع المدرك ، اي الا اذا هيج الشعور ودعاه الى المعرفه . هناك الف شيء وشيء يقع في الحقل البصري . لكن ، لا يصير موضوعا لا دراكي الا القليل منها،لان جميعها لا تشارك بالتساوي،وفي نفس الوقت في الفعالية التي تجعلني ادرك ، اي اميز هذا من ذاك . فالصورة التي تنطبع في شبكية العين تصدر عن مركز اوحد ، حيث الاشياء يغطي بعضها البعض في تزاحمها ، مما يضيق نطاق ما يقع عليه نظرنا في العالم . فنحن ، هكذا ، محدودون من الناحية الفيزيولوجية .

لكن ، حتى في داخل هذه الحدود ، نلاحظ ان الاشياء المرئية ، لا ترى الا طبقا لقانون الاختيار والتدرج . لنفرض اني اجد محبرة بين الأواني ، فوق مائدة الاكل . فوجودها ، في هذا المكان ، يلفت نظري ، ويثير انتباهي ، كذلك ، الفراغ الذي خلفه تمثال اعتدت ان اراه في ساحة المدينة . هكذا يمكن لتغيير ولو حقيقي ، او لفراغ ، ان يكون قوى التعبير والبلاغة، مما يثير حدة انتباهنا . من هنا ، يتبين أن الادراك ليس مجرد نظر يلقى على الموضوع بصفته موجودا

المغرب
في مجمع اللغة العربية بالقاهرة
للاستاذ: عبد الله كنون

من المعلوم ان الاستاذ عبد الله كنون قد عين فى السنة الفارطة عضوا عاملا ممثلا للمغرب فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وقدشارك فى مؤتمر المجمع الذي يعقد الآن دورته الثامنة والعشرين ببحث لغوي ، وموضوع تاريخي ، وهذا خطاب الدخول الذي خصنا بنشره :

سيدي الرئيس ، سادتي

ان الدعـــــــوة التي توجهت من مجمعكم الموقر الى ممثل المغرب الماثل بين يديكم للمشاركة فى العمل العظيم الذين تقومون به من اجـل المحافظة على اللغة العربية والسير بها الى الامام ، كانت نداء عاليا رددت صداه جبال الاطلس الشامخة، وحلل الصحراء الكبرى ، ومعاهد العلم فى ذلك الركن القصي من بلاد العروبة العزيزة . وطبعا ليس هـذا التجاوب مع تلك الدعوة من اجل شخص الممثـل ، وانما من اجل التمثيل نفسه ، فان مما يعني كل مغربي مغربي ، او كل مواطن عربي فى المغرب ، ان يكون هذا القطر ممثلا فى مجمع اللغة العربية ، الذي هو المصنع الرئيسي لهذه المادة العضوية التي تؤلف بين الشعوب الناطقة بالضاد فى المشرق والمغرب ، ولعلى لا ابالغ اذا قلت ان ذلك مما يعني المجمع ذاته، فان هذه المجهودات التي تبذل ، وهذه الطاقات التي تصرف بجـب ان تستفيد منها جميع الاقطار العربية ، وان يروج لهـا بين ابناء العروبة فى كل مكان، لتحصل النتيجة المرغوبة من اعتزاز العرب بلغتهم ، وايمانهم بمسايرتها لركب الحضارة والعلم والاختراع ، شأنها فى ذلك شأن سائر اللغات الحية التي يخدمها ابناؤها، ويمهدون لها سبيل البقاء والنمو والازدهار ، وبالضرورة فان ممثلي هذه الاقطار فى المجمع ، هم الذين يقومون او عليهـم ان يقوموا بنشر مقرراته بين مواطنيهم ، وهم الذيـن يعملون لتعريف من يمثلونهم بكل ما جد فى الحقـل اللغوي من أوضاع ومصطلحات، والا بقيت تلك المقررات وبقي ذلك الجديد من الاوضاع والمصطلحات حبرا على ورق ، او معلومات مخزونة فى اذهان المجمعيين الذين لا يؤدون مهمتهم هذه فى البلاد التي لها مجمعيـون فكيف بغيرها ؟

اذا كان هذا الدمع يجري صبابـة
على غير ليلي فهـو دمـع مضيـع

واني لاعزو هذه الضجة التي تثار آنا بعـد آن ، على المجامع اللغوية زعما بانها لم تعمل شيئا فى سد مفاقر اللغة العربية بالنسبة الى متطلبات العصر الحديث ، وهذا التندر العث على المجمعيين الذيـن اصبح حجة كل ثرثار متفيهق بعبارة الشاطر والمنطور وبينهما كامخ ، بل اصل الابهام للغة العربية الذي كثيرا ما يردده الجاهلون بغزارة مادتها ، وقابليتها العظمى للتطور ، فيصفونها بالجمود والموت ، ويدعون الـى نبذها واستعمال غيرها من اللغات الاجنبية ، سواء فى البيت او المعمل او المدرسة ، وانهم ليستعملونها فعلا فى حالة التخاطب بينهم وبين ابنائهم ومن كان على دينهم من الخوارج على الامة العربية ، اني لاعزو ذلك كله الى عدم العلم بالاعمال الطائلة ، والفتوح الكبرى التي تمت فى سبيل ترقية هذه اللغة الخالدة منذ أوائل هـذا القرن على يد ابنائها البررة من ادباء وصحفيين وعلماء،

حيـاة الـ « نحن » والـ « انا » في الـ « نحن » ... هو قبل كل شيء ، وبالاخص ، توافق متصل مع سير العـالـم ؟

على هذا ، فان عالم الموضوعات يلح في أن يعترف له بثبوت وجوده في الواقع ، بقدر ما يعترف بوجود الشعور عند الكائن البشري . فلا بد اذن من اعتبار وجود العالم وجودا مستقلا ، عن الفكر الخاص ، وعن الفكر العام ، **ان الكائنات توجد مستقلة عن الفكر البشري** ، نعم ، العقل يدرك معاني الاشياء ، ولكن الاشياء **توجد بذاتها** ، فبالنسبة «لشيء» غير موجود، يستحيل وجود معنى ، ان الذات العارفة ، وموضوع المعرفة ، يرتبطان ارتباطا وثيقا ، حتميا . فنظريتنا هذه ، تبعدنا كل البعد ، عن النظرية التي تعتقد بوجود عالم لا يتركب الا من التصورات (الحالية منها او الممكنة ، والمادية او الشكلية) .

فقولنا ان الصور الخارجية لا توجد (بصفتها **صورا**) مستقلة عن علاقتها بالذات ، ليس معناه ان **الذات تخلقها** . انها تنشأ (كما راينا) بفضل الفعالية المشتركة بين الذات والموضوع .

يدعي المذهب المثالي ان الفكر مستقل عن الاشياء ، لكن لنا ملحوظة على هذا : فبما ان الواقع ، بمجموعه ، لا يخرج عن محيط الفكر (كما يزعم المثاليون) كيف يمكننا ان ننتقل من الـ « انا ـ فكر » (او الوعي) الى الـ « نحن » ؟ هل يقصدون بالفكر ، فكر الفيلسوف عند قيامه بنشاط عقلي ، ام مجموع الذوات المفكرة الخاصة ؟ ايجب ان نضحي بما بين الذوات الشاعرة من تواصل ، او ان نجعل هذا التواصل يتعلق بفكر شامل؟

هكذا ، لا نرى كيف يمكن اتقاء الفخ الذي ينصبه لنا اللاتواصل . انه لو لم يكن في العالم الا ذاتان اثنتان تفكران لاحدث تواجدهما مشكلا ذا وجهين :

1) اما ان العالم لهما معا ، في نفس الوقت ، وبمقتضى هذا يجب ان يحتوي على عناصر مشتركة، في فكرهما ولفكرهما ، وهذا مما يستلزم ان الفكرين يتواصلان ، حتميا (على اساس انتسابهما ، معا ، للعالم الواحد) وان طرق التواصل خارجة عن كليهما.

2) واما ان يكون لكل ، من هاتين الذاتين المفكرتين ، عالم خاص ، لا شريك لها فيه . وفي هذه الحالة ، سنقع في مشكلة تعدد العوالم ، وبالتالي في تعدد الذوات اللا متواصلة .

ان العالم الخارجي لا يصدر عن عقول خاصة ، ولا عن عقل اكبر ، واع ، شامل ، كما لا يصدر عن نظام من المعاني والافكار ، مستقل عن الذوات الشاعرة. ان العالم موجود ، وهو موجود ككائن لا يفتر ، ابدا ، عن تقديم اجزاء منه للادراكات المتآنية او المتلاصقة ، المنتبهة ، او الخاطفة ، انه يعرض ، ابدا ، مشاهد تتغير دون انقطاع ، بواسطتها ، وابتداء منها ، يشيد المدرك صورا عديدة (1) . اليس هذا مخالفا لما يوصف به المدرك من جمود وسلبية ؟ لابد اذن ان نؤكد بان كل موضوع مدرك مشارك ، فعال ، ومؤسس لعمليات الشعور ـ كمعرفة . ان لكل موضوع فعالية، لكنه لا يشعر بها دائما . وفي الحالة التي يعي فيها الموضوع فاعليته (وبالتالي يعي نفسه كجزء من الشعور ـ كمعرفة) نجدنا أمام وعي نموضعت ذاته . ان كل موضوع مدرك (وحتى في الحالة التي لا تكون فيها الذات مموضعة يقوم بفعالية للوساطة . داخل الشعور ـ بالذات ، ليتعرف على الغير ، وليعرفه الغير ، وبفعالية مباشرة داخل الشعور ـ كمعرفه . فقولنا « موضوع للشعور ـ كمعرفة » معناه ان الموضوع ليس بـ « انا » ، ولا يمكنه ان يصير « انا » ، بل انه يتمحور حول مصالح لـ « انا » او لـ « نحن »، وانه يوجد داخل افق انساني (من المعقولات الى الكائنات التي تملأ حقل الادراك : مثل الكائنات الآلية ، اي الصالحة للانتفاع ، وكذلك الكائنات ـ كمشاهد).

الرباط : محمد عزيز الحبابي

---

1) ان معنى عبارة « بواسطة » معنى فعالي ، اي ان الموضوع والذات يشتركان في النشاط ، دون امتياز لأحدهما عن الآخر .

وما لنا والاحتجاج بالاقوال ، وباستطاعتكم ايها الزملاء الكرام ان تتعالوا معي الى بلادكم المغـــرب ، تشاهدوا بام العين معالم هذه الحضارة ماثلة امامكم في اسلوب البناء ، وفن المعمار وما يزينه من زخارف ونقوش ، وتوريق وتذهيب وتطعيم وتنزيل ، وهــذه (المقربصات) الجميلة التي تخرم السقوف خشبية او جبصية بتجويفها البديع ، وتلك (البخاريات) البارعة التي تملأ الاركان وتتوج (الباحات) ببروزها العجيب، وما يتقاطر ويتقاطع خلال ذلك من أعمدة رشيقـــة واقواس لطيفة ، وشبابيك مشغولة أحسن الشغل ، (وشمسيات) مرصعة بقطع الزجاج الملون اجمــل الترصيع ، الى (البلاطات) المفروشة بأفخر انـــواع الرخام المجزع والجدران المكسوة بأزر (الزليـــج) الدقيق الصنع ، الناصع التلوين ، كأنه خمائل الزهر، تستند اليها هنا وهناك (السقايات) الرائعة التـــي تنوق في وضعها وتجمليها اعظم التنوق ، متدفقـــة الانابيب بالمياه ذات الخرير المطرب ، على حين تنتصب (الخصات) المرمرية الانيقة في وسط الصحن تقذف الجو بخيوط الماء الفضية المتواثبة ، كأنما تحـــاول الرجوع الى المكان الارفع الذي هبطت منه فلا تكاد تبلل غصون البان المترنحة بعليل النسيم ، او تطالع (شراجيب القبب) الخضر حيث تجلس الحور العين، حتى تعود متناثرة الى الارض في شكل قطرات كمـا يتناثر العقد اذا انفرط .

ربما يقول قائل اننا نصف حمراء غرناطة ، والامر ان كان كذلك فانه يتعلق بحمراوات عديدة ، في فاس ومراكش والرباط والبيضاء وتطوان وغيرها من مدن المغرب . واذا كانت الحمراء وهي خاوية على عروشها تستهوي افئدة الزائرين من كل حدب وصوب ، فان نظراءها هذه تجلي للناظرين وهـي مفروشـة احسن الفرش منجدة اجمل التنجيد ، بكللها واروقتها وبسطها و (لحفها) وزرابيها المبنونة ، و (اسطرمياتهـــا) المعونة ، و (الحائطيات) خوخاتها) من الديبـــاج وشرفاتها من (الاطلس) ، والوسائد مطروزة بابـــدع الطرز ، ومفشاة بنسيج الدمقس ، الى كل ما ينسجم مع هذه الاشياء من ارائك ونضائد ، و (صينيـــات) موائد ، واثاث رفيع وماعون بديع ، نقدم فيه أفخر انواع الاطعمة ، ويسقى منه بآنية اجمل آنية فـــان الحضارة ايها السادة اعظم ما تظهر في المطعوم والمشروب، ولذا قال بعض الحكماء « أرني مطبخ اية امة ، أحدثك عن حضارتها » .

وماذا اقول عن هذه الاطعمة وقد خصها احـــد المؤلفين في عصر الموحدين بكتاب احصى فيه اكثر من خمسمائة لون من الوان الطعام والشراب والحلــوى والمربى وما الى ذلك ، مما كان يعمل للخلفاء الموحدين والامراء منهم ، ورجال دولتهم على العموم ، ومنها ما يحمل اسم بعضهم لكونه يعجبه كثيرا ، أو لكونه مـن اقتراحه ، ومنها ما يعرف باسمه العلم ، ومنها ما يعرف بصفته ، وكثير من هذه الاسماء لا يزال مستعملا عندنا الى الان ، والمهم ان من هذه الاطعمة ما ينسبه بعـض الناس الى الاتراك ، ويعتقدون انه مما اخذ عنهم اثنـاء حكمهم لجارتنا الجزائر فظهر بعد الوقوف على هـــذا الكتاب انه كان موجودا قبل ظهور امر الاتراك ووصولهم الى المغرب بكثير .

ولا يتم هذا الوصف بدون احضار جوف الطرب الاندلسي والاستماع الى نغمات هذه الموسيقى العربية الخالدة ، التي وضع أصولها زرياب وسجل اغانيهــا الحائك ، فهي لانسجامها زمانا ومكانا مع المظاهـــر الحضارية الموصوفة تعد عنصرا نفسيا من عناصـــر الحضارة المغربية . اما زمانا فلأن قطعها الغنائيةمقسمة بحسب ساعات الليل والنهار ، فمنها ما يختص بالعشية ومنها ما يختص بالصباح ، وقل مثل ذلك في بقيـــة الاوقات ، واما مكانا فلان من هذه القطع ما لو شئتم ان تتمثلوا انفسكم في دار الخلد تصغون الى الحانهــا العلوية، لامكنكم ذلك بالاستماع الى نوبة الاصبهـان التي يقال انها من نغمات الجنة .

ما جنة الخلـــد الا في دياركـــم

ولو تخيرت هذي كنـت اختـــار

لا استرسل في وصف هذه المباهج وهي انما تمثل الجانب المادي من حضارة بلغت القمة في اصطناع العلم ، واعتماد المعرفة حتى في مجال الحكم والعمل السياسي، بحيث تحقق في ظلهاالقول المأثور « اذا حكم الفلاسفـة وتفلسف الحكام سعدت الدنيا » ، الم يرعها يوسف بن عبد المؤمن وهو الخليفة الفيلسوف ويستوزر امثـال ابن طفيل وابن زهر وابن رشد وهم الفلاسفـة الدين ملأوا سمع الدنيـا وبصرهـا !

ولكن هذا مجال رحب ، وللكلام منه ذيل سحب ، فلنكتف بالاشارة الى ما نحن بصدده من مباحث اللغـة والنحو وتيسير الكتابة ، وهي مجال عملنا في هـذا

ولا سيما المجمعيون منهم ، حتى صارت اداة طيعة للتعبير عن كل ما يختلج بالنفس البشرية من ادق المشاعر واعمق الاحاسيس ، وتصوير كل ما تقع عليه عين انسان من مختلف المرئيات ، ومتنوع المشاهد ، واصبحت تتوفر على عشرات الالاف من المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ، التي وضعت حديثا ولم يكن لها وجود قبل جيل واحد فقط من عصرنا هذا ، ثم هي بعد ما تزال تكافح فى الميدان ، وتطوى مراحل التخلف بعزيمة لا تكل ، وستربح المعركة لامحالة وتحل من بين اللغات الحية والعالمية المحل اللائق بعظمتها وخلودها . فلو علم العققة من ابنائها بعض هذا العلم ، لخجلوا من انفسهم ، ولراوا ان ما بينهم وبين اخوانهم المؤمنين بعربيتهم ، المتجندين لخدمتها ، لهو ما بين المتناصرين الثابتين فى الصف ، والمتخاذلين الفارين من الزحف .

وكيف يعلمون ، وهذه المساعي البارة يكاد أمرها يخفى حتى على المهتمين بهذا الشأن ، ولا يسمع لها صدى عند غالب الادباء والمعلمين والمثقفين بعامة ، فأحرى باقي طبقات الشعب . فالمصطلحات العلمية والفنية لاتجد طريقها الى الكليات والمعاهد بله المدارس، والمصطلحات الحضارية قلما يتردد منها شيء على الالسنة او تسيل به الاقلام . والا فمن اين تاتي فوضى الوضع وتعدد المصطلحات ان لم تكن من التقصير فى تبليغ عمل المجمع الى كل من يهمه امر اللغة العربية ، ويحرص على تقدمها بتقدم المعرفة فى هذا العصر . ومن اين ياتي تمرد هذا الفرد العربي او ذاك على لغته الاصلية ونكران صلاحيتها للحياة العصرية ، وهي بالحالة التي وصفناها من الانبعاث والنهوض .

ليس هذا تشنيعا فى ضمن التنويه بما يقوم به المجتمعون الكرام من عمل عظيم فى سبيل المحافظة على لغة الضاد وتجديدها ، ولكنه تدليل على ما يلزم لهذا العمل من اعلان واشهار فى كل الاوساط الثقافية ليأخذ كل طرف بما يعنيه منه ولتعم فائدته جميعالبلاد العربية . ولعل قرار رئاسة الجمهورية العربية المتحدة بتوسيع المجمع وتمثيل الاقطار العربية التي لم تكن ممثلة فيه من قبل ، انما اتخذ لذلك ، وانها لخطوة مباركة يرجى ان تتبعها خطوات يصبح بها هذا المجمع الى جانب الجامعة العربية ثاني مظهر من مظاهر توحيد الامة العربية توحيدا كاملا ، فتكون الجامعة العربية على الصعيد الدولي منار الساسة العرب الذي به يهتدون ، ومجمع اللغة العربية فى المجالي القومي كعبة أهل العلم والادب التي اليها يحجون .

سيدي الرئيس ، سادتي

اذا كان هذا من اثر توسيع التمثيل فى المجمع على العموم ، فان اثر تمثيل المغرب فيه على الخصوص انه ضم اليه بلدا من اعظم بلاد العرب تاريخا واعرقها حضارة ، فان مما لا يخفى على احد ان المغرب هو الذي فتح الاندلس وركز راية العروبة فى ارضها وحماها وذاد عنها مدى القرون الثمانية التي خفق ظلها فيها ، وانتشر سلطانها عليها ، واسس اكبر دوله عربية عرفها شمال افريقية ، اذ كانت تمتد ما بين حدود مصر الغربية الى جنوب اوربا ، وامتازت حضارته بما تحتفظ به من عناصر عربية اصيلة ، فانها وان كانت بحكم نشأتها على الصعيد الافريقي وحول البحر الابيض المتوسط ، لا تخلو من بذور تكوين اولية ترجع الى هذه البيئة الخاصة ، الا ان تأثرها بحضارة دمشق ايام حكم الولاة كان اقوى ، وزادها التفاعل مع حضارة قرطبة ايام حكم المروانيين قوة ، فاصطبغت بالصبغة العربية التي لم تزايلها بعد . ولئن بقيت الى عهد المرابطين آخذة ومعطية ، فانها فى عهدي الموحدين والمرينيين كانت صاحبة اليد العليا حتى فى الاندلس التي تنطق آثارها المتخلفة عن هذين العهدين بأنها وليدة العظمة الموحدية والعبقرية المرينية . وعلى ذلك فانه حين كانت موجات دول المماليك التركية تتدفق على مشرق البلاد العربية ، كان مغربها يتمحص عن دول عربية حسنة الرعاية للتراث العربي ، والحفاظ عليه .

وقامت خلافة الاتراك العثمانيين فطم الوادىعلى القرى ، اذ ان سيطرتها لم تقتصر على بلاد المشرق ، بل امتدت الى نهاية المغرب الاوسط ، وانتظمت فى حكمها بلاد طرابلس الغرب ، التي هي مملكة ليبيا الان، وبلاد تونس والجزائر ولم يبق من المغرب العربى غير خاضع لها الا المغرب الاقصى الذي كان يعرف ببلاد مراكش ، وبذلك أحرز كيانه ، واحرز فى الحقيقة كيان الحضارة العربية التي بقيت فيه محتفظة بمظاهرها وخصائصها لم يمسسها سوء من هجنة ولا تزييف . حتى لقد قال العلامة التونسي محمد بيرم الخامس المتوفى اواخر القرن الماضي فى كتابه صفوة الاعتبار « لعمري ان صناعة الانشاء فى الدول العربية كادت تكون الان قاصرة على دولة مراكش » ، وهو قول من تقرى البلاد العربية واطلع على احوالها فوصفها وصف العارف فى كتابه المذكور الذي قال فيه المستعرب ادوارد فنديك : انه أوفى كتاب باللغة العربية فى الجغرافية العمومية .

فى كتابه الرد على النحاة فانه يشتمل على اقتراحات عملية لتيسير قواعد الاعراب والتخفف من التعليلات المنطقية التي عقدت هذا العلم ، وكان ابن مضاء يتولى منصب قاضي الجماعة فى مدينة مراكش ، وله صلة بالخليفة الموحدي يعقوب المنصور ، فلا شك ان ءاراءه هذه كانت وليدة الحركة العلمية الشاملة ، التي قامت فى ذلك العصر .

وتأدت فكرة اصلاح النحو وتيسير قواعد الاعراب الى العصر المريني فظهر اول نحوي طبقها بالفعل فى كتاب تعليمي صغير طار صيته فى المشرق والمغرب وصار هو الكتاب المفضل فى الدراسة الاولية لعلم النحو عند العرب كافة ، ذلك النحوي هو ابن ءاجروم ، وكتابه هو مقدمة الآجرومية المعروفة ، ان هذا الكتاب الصغير الحجم كان تجربة ناجحة لتبسيط النحو العربي وجعله بمتناول الجميع لان صاحبه الذي كان نحويا متمكنا من مادته ومعلما مخلصًا لمهنته اختار له من المذاهب النحوية او فقها ، ونبذ المسائل النظرية مقتصرا على ما له نتيجة فى تركيب الجمل او نطقها ، وفضلا عن انه لم يكن يتقيد بمدرسة البصرة ، ولا بمدرسة الكوفة ، فانه كان يجتهد فى بعض الاحيان ، ويستقبل بالراي فمثلا الاعراب عنده امر معنوي كما قال الكوفيون ولكنه قسمه الى اربعة اقسام فذكر الجزم كما عند البصريين ، ولم يذكر فى التوابع عطف البيان اكتفاء عنه بالبدل وهي طريقة الكوفيين ، وطرد باب النواصب فجعلها كلها ناصبة بنفسها واستغنى عن تقدير ان المضمرة وجوبا او جوازا بعد هذه الاداة او تلك كما هو مذهب الكوفيين فى بعضها ، وهكذا لم يكن ابن آجروم متحجرا ولا جبانا ففكر فى الاصلاح واقدم عليه ، وان يكن فى دائرة صغيرة . ولو ان المصنفين فى النحو بعده درجوا على متل طريقه لسهل النحو ودنت قطوفه للطالبين .

وانتقل ايها السادة الى الكلام على تيسير الكتابة العربية فلا ادعى انه كانت هناك محاولات من هذا القبيل ، وانما احب ان اوجه نظركم الى دراسة الخط المغربي واشكاله المختلفة ، من مسند ومجوهر ومبسوط ، والاصل الكوفي الذي تفرع عنه ، وهذا له هندسة خاصة ، يخالف بها الكوفي المشرقي الذي هو الاصل الاصيل ، وابادر فأقول ليس المراد من هذه الدراسة الا الاستعانة بها على تيسير الكتابة العربية بما يمكن ان يقتبس من هذا الخط من بعض الخصائص، كنقطة القاف الواحدة من فوق ، بدل نقطتين فى مقابل نقطة الفاء الواحدة من تحت ، واحيانا يستغنى عن نقطهما بالمرة ، وكعطفة الياء بعد الكسرة فى مثل على - والعربي والذي منعا لالتباسها بياء الالف فى مثل على والمصطفى وبلى ، وبعض الحركات المختصرة كالشدة المضمومة التي تمثل بصورة الرقم (٨) الهندي فوق الحرف المشدد المضموم ، والشدة المفتوحة التي تمثل بصورة الرقم (٧) الهندي فوق الحرف المشدد المفتوح والشدة المكسورة التي تمثل بصورة الرقم (٨) الهندي تحت الحرف المشدد المكسور ، وغير ذلك من التسهيلات التي توخاها الخطاط المغربي ، ويمكن ان يستفاد منها فى تيسير كتابتنا العربية ، بل وان يقرب بها بين الخطين المشرقي والمغربي .

وما دمت قد ذكرت الخط المغربي والارقام الهندية ، فاني اشير الى الارقام المستعملة عندنا والمعروفة فى بلادالغرب عموما بالارقام العربية. ان هذه الارقام تسمى عندنا فى كتب الحساب القديمة بالحرف الغباري او حرف الغبار ، ويقال ان البابا سلفيسطري الثاني هو الذي ادخلها الى اوربا واشاعها هناك حتى حلت محل الارقام الرومانية لسهولتها وضبطها . وكنا دائما نرى ان العرب اولى باستعمالها لانها منهم واليهم ، ولان الارقام الاخرى المستعملة عندهم تنسب الى الهند ، فالصواب ان يرجعوا الى ارقامهم التي اهدوها الى العالم المتمدن معتزين بها ومتوحدين فى الوقت نفسه مع شعوب هذا العالم . على اننا لم نكن نحقق اصلها ومصدرها ولم نزل نتتبع تاريخها واقدم كتاب ذكرت فيه حتى وقفنا فى العام الماضي على كتاب تلقيح الافكار فى العمل بحروف الغبار للرياضي المغربي ابن الياسمين ، وهو مخطوط محفوظ فى المكتبة العامة بالرباط فوجدناه يذكر ان حروف الغبار هذه لها شكلان احدهما هذا المستعمل فى المغرب والمعروف عند الاوربيين بالارقام العربية ، والثاني هو هذا المعروف بالارقام الهندية المستعمل فى بلاد المشرق ، ورسم اشكالها على المعهود فيها ، فتبين لنا ان كلا الرقمين عربي ، وان المشرق اخذ شكلا والمغرب اخذ شكلا ، وهي حقيقة مدهشة لم نملك ان اطلعنا عليها جميع المهتمين بهذا البحث واحلناهم على الكتاب المذكور . وبما ان هذا المؤلف هو من اهل القرن السادس الهجري ، وانه يشير فى كتابه الى شدة تطلبه لهذه الارقام وضياعها منه اولا ، ثم عثوره عليها ثانيا عند بعض اصدقائه ، فان تاريخ ظهورها هو هذا القرن بالذات .

المجمع ، لننظر كيف اسهم المغرب قديما فى خدمة العربية كما تخدمونها اليوم بموضوعية واختصاص ومنطق ، اي بالطرق العلمية والاساليب المنهجية مستهدفا ما تستهدفونه من اصلاح الفاسد ، وتقويم المعوج ، مع اثراء اللغة وتسهيل مداركها للعموم .

فالابحاث التي حررها الامام السهيلي دفين مراكش فى تطور دلالة كثير من المفردات العربية خلال الزمن ، واودعها كتابه القيم « الروض الانيق » الذي طبعه ملك المغرب الاسبق مولاي عبد الحفيظ ، هي مما لا يقل شأنا عن الابحاث التي يقوم بها المختصون فى هذا الشأن من علماء العصر . ومثلها ابحاث العلامة ابي القاسم الشريف فى شرحه لمقصورة حازم ، الذي طبع بعناية احد الولاة المغاربة ، واما الكتاب الذي الفه العلامة ابن هشام اللخمي فى الرد على الزبيدي وابن مكي فيما زعما انه من لحن العامة ، فقد كان دراسة تحليلية للالفاظ واشتقاقاتها ، ونقضا لمآخذ هذين العالمين بالحجة والبرهان ، وهو لا يزال مخطوطا ينتظر النشرالعلمي الجدير به، ومثله كتابالعلامة ابن هانىء السبتي المسمى « انشاد الضوال وارشاد السؤال فى لحن العامة » وامتازت تحقيقات ابن الطيب الشرقي بالعمق والاصالة فى كل ما كتبه من موضوعات لغوية شتى ، ولاسيما حاشيته على القاموس المحيط التي استقى منها السيد مرتضي الزبيدي فى تاج العروس ، وعول عليها وعلى مؤلفها اذا كان استاذه المعتمد فى علم اللغة تعويلا كاملا ، وهي لا تزال مخطوطة ايضا .

ولون ءاخر من البحث اللغوي قريب من المعاجم العلمية التي تهتمون بوضعها الآن ، وهو يتمثل فيما الفه جماعة من اهل الاختصاص فى الطب على الخصوص من كتب لتعريف المفردات الطبية ، وذكر مرادفاتها فى اليونانية والرومية ، يعنون اللاتينية ، وفى العامية المغربية والبربرية ، وذلك كما فعل ابن الحشا فى كتابه « مفيد العلوم ومبيد الهموم » الذي فسر فيه الالفاظ الطبية الواقعة فى الكتاب المنصوري للرازي ، وهو مطبوع فى الرباط ، وكما فعل ابو القاسم الوزير فى كتابه « حديقة الازهار » المعروف بمفردات الوزير وهو ما يزال مخطوطا ، وكما فعل اخيرا السيد عبد السلام العلمي وهو ممن درس الطب بمصر فى اواخر القرن الماضي ، فكتب رسالته « ضياء النبراس فى حل مفردات الانطاكي بعامية اهل فاس » وهو يعني بالانطاكي الشيخ داوود صاحب التذكرة المعروفةفى الطب القديم . . على انه ذكر اصطلاحات طبية حديثة. ومسائل اخرى مما يتعلق بعلم الكيمياء والتشريح وقعت فى كتاب « كنوز الصحة » من مؤلفات اوائل عصر النهضة .

وشرع فى كتاب ءاخر قال عنه فى طالعة هذه الرسالة « لما توجهت بالاذن الشريف لمصر القاهرة بقصد المزيد مما يخصني من علم الطب الجديد ووجدته مطلسما باصطلاحات غامضة ، واسماء غريبة شرعت فى مؤلف خاص ببيان تلك الاصطلاحات كاشف لرموز تلك العبارات وهو مؤلفنا المسمى « بالاسرار المحكمة فى حل رموز الكتب الطبية المترجمة » فلما راى ذلك بعض المحبين ممن لا تمكنني مخالفته وعلم أن لابد لاتمام ذلك الكتاب من زمن طويل ، طلب مني ان اقدم عليه كتابا مختصرا مفيدا ، لمن كان للطب القديم مستفيدا الخ . . ورسالة ضياء النبراس هذه مطبوعة بفاس .

هذا فى ميدان العمل اللغوي البحت ، وفى النحو كانت محاولة الاستاذ ابي موسى الجزولي لتقنين هذا العلم فريدة من نوعها ، وبقيت كراسته المسماة بالقانون وبالاعتماد ايضا ، موضع الدراسات والتعاليق والشروح من نحاة القرن السادس الهجري الى ما بعد ، حتى قال فيها بعض ائمة العربية المشار اليه فى وقته كما حكاه عنه ابن خلكان « انا ما اعرف هذه المقدمة وما يلزم من كوني ما اعرفها ان لا اعرف النحو» وكان ابو موسى الجزولي من كبار النحاة فى عصره ، ويحكى ان ابا علي الشلوبي قصد مراكش وهو بدل بما يحويه من بضاعة نحوية عظيمة فدخل اليها من باب دكالة ، ومر بمسجد هناك سمع فيه لغطا فدخله فاذا ابو موسى فى مجلسه ، والطلبة ملتفون حوله ، فدنا منه وانصب اليه ، فعجب من تبحره وسعة اطلاعه ، وغوصه على الفرائد ، وقال فى نفسه اذا كان هذا حال رجل منهم منعزل فى ناحية نائية ، ومسجد صغير من البلد ، فكيف يكون حال غيره ممن هو اكبر منه قدرا واعلى شأنا ؟ ورجع من حيث اتى الى بلده وكان بعد ذلك ممن شرح الكراسة الجزولية بشرحين كبير وصغير . وما تزال الكراسة وشروحها لم تعرف طريق المطبعة .

ولقد شهد القرن السادس فى المغرب نشاطا كبيرا فى مجال الدراسات النحوية ولكنا لا نشير الا الى الاعمال الطريفة الرامية الى الاحياء والتجديد، ومن ذلك مشروع العلامة بن مضاء لاصلاح النحو المضمن

قيمة اللحظة

الاستاذ محمد زنيبر

تطلع علينا الحياة كل يوم بوجه جديد ، ولعل هذا سر تعلقنا بها ، فلو كنا نعلم سابقا ما تخبئه لنا فى الغد لبطل سحرها وفترت جاذبيتها ولم يبق امامنا الا الفراغ والعدم ، فالحياة ، فى الواقع ، ما هي الا رواية طويلة متسلسلة نتتبع فصولها واحدا واحدا ونبقى متلهفين ومشتاقين الى معرفة الفصول الباقية ، ونحن تجاه هذه الرواية قد نقف مواقف مختلفة .

فتارة نبقى على الهامش ونتفرج من بعيد ونضحك على هذه الحادثة ونتألم من تلك ، ونسخر من هذا ونرثى لذاك ، ولكننا ، فى كل هذه الاحوال يخيل الينا اننا اذكى من الغير وادهى منهم لاننا نتفرج عليهم ولا نتركهم يتفرجون علينا ولاننا نبقى فى موقف القوي بينما هم يظهرون ضعفهم ، ولكن ، لنترو قليلا ونبحث فى انفسنا بشيء من التمحيص ، فلربما تبين لنا ان ما كنا نعتقده قوة ومناعة ، انما هو فى الحقيقة برودة طبع وفقر فى الشعور ونضوب فى الخيال ، فالشخص الذي يبدي عواطفه امامنا بدون تحفظ او حياء مزيف ويغضب فى ساعة الغضب ، ويفرح فى ساعة الفرح ، ويجرؤ امام المجتمع على الافصاح عن افكاره ورغباته، انما هو الرجل الذي يتمتع بشخصية حقيقية ، لانه يذهب قاصدا نحو الاهداف التي رسمها لنفسه ويتحمل مسؤولية اعماله بشجاعة امام الابصار الشاخصة اليه من كل جانب ، فهو لا يكذب على نفسه ولا يذهب ضحية الغرور ، ولا ينخدع بالسراب بل انه يعيش حياته بكامل جوارحه ويقبل عليها اقبال صدق وجد ويحاول ان يصنع منها شيئا ، اننا نضحك على مثل هذا الشخص ونهزأ من انفعالاته وحركاته الفجائية وثرثرته ، ولكنه بالرغم من ذلك يبقى متفوقا علينا فى جوهر الامور ، فهو البطل الذي يعيش قصته ، بل يصنعها من العدم يوما بعد يوم ، اما نحن فماذا نكون؟ اننا لا نزيد على كوننا نقنع بمقعد المتفرج العادي .

وطورا نندفع نحو الحركة ، نحو العمل ، ونريد ان نبرز بشيء فى الحياة ، شيء يجعل لوجودنا معنى فى اعيننا وفى اعين الغير ، وما نخطو خطواتنا الاولى فى هذا السبيل حتى ندرك اننا تحملنا مسؤولية جسيمة، لقد كنا مستورين وسط الجمهور لما كنا فى ركن المتفرج ، اما وقد برزنا وسط المسرح ، فقد اصبح لنا وجه وشخصية يجب ان نصونهما ونحافظ عليهما وندافع عنهما ، لقد اصبحنا معرضين لنقد الناقدين وقذف الاعداء وملاحظات الاصدقاء ونفاق الاعداء الذين يلبسون ثوب الاصدقاء، ها نحن الآن نجد انفسنا وسط الخضم وحولنا الامواج تصطخب من كل جانب ماذا نعمل ؟ هل نختار طريق السلامة فنرجع تائبين مستكينين الى زاويتنا المتواضعة ، زاوية المتفرج ام نتقدم نحو الخطر والهول والمجهول ونستمر فى السير ؟

ان شاطىء السلامة والدعة والراحة لازال قريبا منا ولا زال يبسم لنا من بعيد ويعرض علينا كل مغرياته وما لنا وهذا العناد ؟ وما لنا وركوب الخطر والمشقة والحياة حلوة مرينة بجانبنا ؟ لنترك المغامرة ، اذن ولنعد الى الشاطىء .

وهكذا نتراجع شيئا فشيئا وننزوي بصمت وتواضع فى مقعدنا لاننا لا نريد ان يرانا الغير وقد ذهبت عنا دواعي الفخر والكبرياء .

لقد خانتنا الشجاعة فى وسط الطريق واجفلت نفوسنا امام ضخامة المجهود الذي ينتظرنا ، وفى وسط الطريق يحتاج الرجل الذي ينشد البطولة الى الثبات والجلد ، وفيه يقبض على مصيره بيديه فيرفعه او ينخفض به ، ان طريق البطولة يكتنفها الترغيب والترهيب ، ولكنها تغري كل رجل حر ابى لانها تخرجه

سيدي الرئيس ، سادتي

بعد هذا العرض الوجيز ، اسمحوا لي ان ارجع عودي على بدئي لا قول ان المغرب الذي هذا وزنه في خدمة العلم واللغة العربية قديما ، والذي يحتوي على كنوز رائعة من حضارة عربية اصيلة سبق وصفها، اذا كان قد اصبح ممثلا في مجمعكم الموقر فلن يكون حاضره اقل شأنا من ماضيه في خدمة العربية والبر بها ، والغيرة عليها ، والتعاون معكم على مواصلة العمل الذي بداتموه في غيابه لاعلاء رايتها ، واعزاز جانبها ، والبلوغ بها الى اوج الرقي والكمال ، علما منه بان حياة امتنا العربية ، وانبعاث حضارتها من جديد رهن بحياة لغتها ، ومجاراتها للنهضة العلمية الحديثة ، ولانه وهو شعب مؤمن بعروبته اشد الايمان ، ومؤمن بالتطور كذلك ، فان رجاله الغيارى وشبابه الابرار لن يهدأ لهم بال ، ولن يقر لهم قرار ، حتى يروا الكلمة العربية والحرف العربي وقد رد لهما اعتبارهما يغزوان كل مكان من الوطن العربي ، ويحلان في المدرسة والمعمل والبيت محلهما الذي لا ينازعهما فيه غيرهما وهذا من عمل المجمع الذي يجب ان تتظافر عليه جهود جميع الشعوب العربية حتى يتحقق الجلاء الاكبر ، جلاء الرطانة الاعجمية عن لساننا ، والفكرة الاجنبية عن ثقافتنا ، فنتحرر التحرر الكامل ، وتصبح القومية العربية حقيقة ثابتة يلتف حولها العرب اجمعون في مشرق البلاد ومغربها من الخليج الى المحيط ، حيث يرابط اخوانكم المغاربة ابناء طارق بن زياد وادريس بن عبد الله ، ويوسف ابن تاشفين ، وعبد المؤمن بن علي ، وابي الحسن المريني والمنصور الذهبي ، ومحمد الخامس .

طنجة : عبد الله كنون



كنا، ومهما انشغلنا بالعمل المسترسل او بالفن او باللذة او بغير ذلك نظل متطلعين الى ما ياتي به الغد المجهول وننتظر وفي انتظارنا خوف وشوق ، وهذا هو السر الذي تجتذبنا به الحياة اليها ، من حيث لم نكن نريد ونتوقع ، وما اضعف جيلنا ووسائلنا الانسانية امام اغراء المجهول .

نعم اننا كلنا ننتظر شيئا من الحياة ، في لهفة واشتياق ، ولكن ، كلما حصلنا فيها على مرغوب نقول ليس هو الشيء الذي كنا نبحث عنه ، بحيث اننا نظل الى ساعة الممات ونحن في حالة الانتظار ، فماذا ننتظر؟ انه يصعب علينا ان نعين شيئا بالذات ، وكل ما نعلم هو اننا لا يمكننا ان نعيش بدون ذلك الانتظار ، فنحن اشبه ما نكون بالذي ياتي للموعد آملا ان لا يلقى صاحبه حتى يبقى دائما في انتظاره .

وهذا ما سماه بعض المفكرين في هذا العصر بعبث الوجود ، وسخافته ، ويكفي ان نقف في كل لحظة من لحظات حياتنا فاحصين مستكشفين لنجد صورة او صورا للعبث ، ويكفي ان نعود الى فكرة الانتظار لنرى فيها صورة للتناقض الجدلي الذي ينم عن مأساة الانسان في الوجود ، فكل الناس يتضايقون بساعة الانتظار في المقهى ، في محطة القطار ، في اي مكان . ولكن، كم مرة وجدوا ان ساعة الانتظار كانت احسن من ساعة اللقاء ، وهكذا فالزمان الذي كان يعتبر ثانويا ضائعا اكتسب من بعد اهمية وامتيازا في اعيننا ، بينما الزمان الذي كنا نراه اساسيا ملآن بالنسبة الينا وجدناه باردا ، خاليا من المفاجأة التي كنا نطمع فيها ، ونجد في النهاية ان ترتيبنا للاشياء في هذا العالم يصطدم بترتيب آخر لا يحفل مطلقا بسلم القيم الذي آمنا به واتخذناه معيارا لنا في الحياة .

وهذه صورة اخرى للعبث ، لقد رايت منذ ساعة وردة جميلة يتلاعب بها الريح في شجيرتها ، فوقفت مبهوتا انظر اليها واحدث رفاقي عنها ، وكلي اعجاب وطرب ، ولم اتمالك عن قطفها وانا فرحان ، ولكن انتهى كل شيء مع الاقتطاف ، فما وقعت في حيازتي حتى نسيتها ولم اعد التفت اليها ، اننا لا نتعلق الا بما هو بعيد عنا ، وقيمة الشيء مرتبطة بصعوبة ادراكه ، واي جوهر يبقى للقيم ، اذا نظرنا اليها بهذا المنظار النسبي؟

ومثال الوردة هو مثال العاشق الذي يدنفه الغرام فيعيش في الم وسهاد وصورة من يحب لا تفارق فكره ، حتى اذا ابتسم له الحظ واجتمع بمحبوبه ، نزل من عالم الاحلام الى الواقع وادرك ان خياله كان يكذب عليه ويذكي جذوة الشعور في نفسه ويوهمه ان لقاءه بالمحبوب حدث عظيم وعجيب تنتهي عنده كل الاحداث وتقصر دونه كل الغايات ، ولكن . ها هو الان امام الواقع وقد طارت النشوة من راسه ، فماذا بقي من احلامه ؟ وكم ليال سهر ؟ وكم دموع سكب ؟ وكم كابد من اشجان واحزان ؟ كل ذلك لهذا السراب الذي يسمونه الحب ، الم يكن العوبة في يد الاحداث وفي يد نفسه قبل كل شيء ؟

ويغلق العاشق المخدوع عينيه حتى لا يرى من قريب هذه الحقائق المرة ويكره الحياة وييأس منها ، ويختم هذا الفصل من الرواية التي لا تنتهي في الجو البارد ، المعتاد ، المبتذل ، لينتقل الى الفصل التالي مشوقا متلهفا وقد اخذ القنوط والسآمة من نفسه كل مأخذ .

وتسألني : اين نقطة الارتكاز التي تعود اليها الانسان كلما ضل عن الطريق وتاه ؟ اين هي الحقيقة النهائية التي يتمسك بها وتجعله قويا امام الاحداث الطارئة ؟

واجيبك انه لا توجد اي نقطة للارتكاز ، فنحن نسبح في بحر واسع بعدت عنه الاراضي . وكل نقطة منه تشبه اختها ، فالمهم هو ان نقطعه بدون تعب ولا ملل ، اجل ، ان كل ساعات الحياة تتشابه مثلما تتشابه قطرات الماء ، فلنمر من الساعة الى التي تليها دون ان نفقد شجاعتنا ويختل توازننا ، فساعات العمر ما اكثرها .

ولكن المصيبة ، كل المصيبة ، هي في ان تاتي احداهن فتفسد علينا ما بقي منها ، فلنضعها امامنا اذن كما يضع البخيل دراهمه نصب عينيه لينملى برؤيتها وينفق منها بتأن وحيطة وحذر .

سلا : محمد زنيبر

من تلك الحياة الرخيصة المبتذلة السهلة التي يهوى فيها كثير من الناس ويقبرون انفسهم وكأنهم دخلوا في قبور من زجاج ينتظرون الموت .

ها نحن اولاء نقوي عزائمنا ونسلك هذا السبيل المحفوف بالاخطار ، ولكنه ، على ما يتراءى لنا ، سبيل الحياة الحقيقية ، وقد يطول سيرنا فيه ، وقد لا نجد في نهايته اي شيء ما عدا هذا الانتصار الذي حققناه على نفوسنا وعلى ضعفنا وعلى تلك الوساوس والمغريات المثبطة التي كانت تتهامس في افئدتنا .

ومهما يكن ، فالبون شاسع بين الموقفين : الموقف السلبي للرجل المتفرج الذي لا طموح له ، والموقف الايجابي للرجل الذي يريد ان يقترن وجوده في الحياة باثر يشهد عليه ويتوازن مع حجم شخصيته ، وبديهي ان العالم ما كان ليسير ويتطور لو لم يوجد الرجل الثاني وان التاريخ مدين له بالشيء الكثير .

وليس من الضروري ولا من المفيد ان يكون كل الرجال من الصنف الثاني ، ففي كل مجتمع حي لا توجد الا اقلية من المبتكرين والمؤسسين ، فهم كالملح في الطعام لا ينبغي ان يتجاوزوا مقدارا معينا .

* * *

وهنالك موقف ثالث ، وهو الذي يجعلنا ننظر الى الحياة لا نظرة الواقع ، ولكن نظرة من ينشد الجمال اي نظرة الفنان . وليس معنى هذا ان الفنان يجهل الواقع ولا ان الجمال يتنافى وجوبا مع الواقع ، وانما كون الفنان يكيف بشعوره وخياله عالما آخر قد يقترب من الواقع وقد يبتعد عنه ، ولكنه عالم ينبني على فكرة جمالية .

فاذا كان الفنان يجد في الواقع الصورة التي ينشد ، فيكفيه ان يمسك ريشة الرسام ليقدم لنا المشاهد والمناظر التي تعطي في رايه فكرة حقيقية عن الحياة وكنهها .

وقد يكون مقبلا على الحياة ينسجم ويتجاوب معها بشعوره وفكره ، فينعكس ذلك على فنه وتجد فيه المصور المتحمس الذي يكشف لك عن الوجود صورا ضاحكة مشرقة طريفة ، فهو الشاعر الذي يتغنى بسعادته وهو المنشد الذي يسحره الكون بانواره المشعة والوانه الزاهية وبهجته فلا يفتأ في ترانيمه وتراجيعه ، ففنه ، على كل حال ، ملحمة شعرية ذات فصول مختلفة كلها مدح للحياة وتغزل فيها .

وقد يكون الفنان ، بالعكس، برما بالحياة متضافيا متضايقا منها لا يرى فيها الا شقاء وتعبا وبؤسا ولا تثير في نفسه الا الشعور بالعبث والسخف والدمامة، فيكون فنه تصويرا لمأساة الانسان في العالم وما يكابده من اهوال ومحن ، وما يلاقيه من انواع القساوة والجور من الطبيعة ومن اخيه الانسان وما يحمل في نفسه من تناقض وضعف ، انها صورة تبعث تارة على التشاؤم واليأس وطورا على الغضب والنقمة والثورة، ولكنها صورة تنتزع الانسان من مقعد الراحة والاستسلام .

وقد ينصرف الفنان عن الحياة الواقعية بالمرة ليصور لنا عالما مثاليا ، العالم الذي يتمنى ان يعيش فيه ، عالم الصدق والطهارة ، عالم الملائكة ذوي النظرات الواضحة الصافية والعواطف النبيلة السامية ، انها صورة ترتبط بالواقع لانها مقلوبة عنه ، انه العالم الذي ترتاح اليه نفوسنا ونفر اليه باحلامنا عندما نضيق بعالمنا الواقعي وما يخيم عليه من بؤس وسخافة .

ومهما يكن ، فالفنان وان كان هدفه هو الجمال فهو لا يأتيه من جهة واحدة وانما من جهات متعددة لا حصر لها ، ومن هنا امكن ان يكون لكل فنان حقيقي شخصيته واسلوبه اللذان يتميز بهما .

* * *

تلك بعض المواقف التي يمكن للانسان ان يقفها من الحياة ، موقف المتفرج ، وموقف الرجل العامل ، وموقف الفنان ، فالاول يبقى في سلبيته مستريحا من كل مسؤولية ، والثاني لا يرى معنى لوجوده الا في تحمل المسؤوليات الصعبة وتأكيد ذلك الوجود بالعمل الايجابي ، والثالث يعيد خلق العالم حسب حاسته الجمالية .

ولكن هذه المواقف وان اختلفت وتباعدت في اتجاهها ، فانها تلتقي عند نقطة واحدة وهي ان الحياة لابد وان تمسك الانسان في شبكتها وتجرفه في تيارها وتستبد بالجزء الاوفر من تفكيره واهتمامه، فكلنا، مهما

الشعور ، نفس الشعب التواقة للحياة الحرة الكريمة وشعوره فى ان عليه ان ينهض وينفض غبار الخمول ، وابرز هؤلاء عبد الرزاق كرباكة شاعر النفس والوجدان ، ومحمد بوشربية وكانت تطغى عليه روح الكآبة والتشاؤم ، ومصطفى خريف وكان يرى فيه الشابي شاعر تونس الاول ، لما كان يصادف فى شعره من تحقيق للمقاييس التي كان يدعو اليها

وقبل هؤلاء جميعا ، وقبل مطلع القرن ، عرفت تونس كثيرا من الشعراء الذين ثاروا على التقليد ، جددوا فى الموضوع وحافظوا على الاسلوب ، نذكر منهم صالح السويسي ، وحسين الجزيري ومحمد الشاذلي خزانة دار ، وسعيد ابو بكر ، وكان يغلب عليهم قول الشعر الوطني لايقاظ الشعب وبث الحماس فيه .

فالشابي اذن كان مسبوقا من الشعراء الشباب الذين كانوا يسعون الى البعث والتجديد فى الادب والحياة ، بل ربما كان فى ثورته ودعوته للتطوير صدى لاصوات هؤلاء الذين سبقوه او عاصروه ، ولكنه لم يلبث ان سما عليهم بحكم عبقرية فذة لا شك ، وبحكم مطالعاته المستمرة فى الادب العربي والادب الغربي مما صقل شاعريته وهذب قريحته وارتفع بروحه درجات عليا فى سماء الفن الاصيل .

ولا ريب انه كان يكثر من قراءة الادب الحديث ، وخاصة ما كان ينتجه شعراء المهجر فى الغرب، وشعراء مدرسة التجديد فى الشرق سواء منه ما كان موضوعا او منقولا .

ويكاد يجمع الدارسون للشابي ، ومواطنوه بصفة خاصة ، انه كان يدمن على مطالعة الادب المهجري ويحفظه شعرا كان ام نثرا ، وانه تأثر فى اسلوبه وتفكيره ، وخاصة بما كتبه جبران ، وحاولوا مبالغين رد كل صغيرة وكبيرة الى هذه المدرسة المهجرية ، ولكن اغلبهم لم يحاولوا تفصيل القول او اثباته ، وانما هم اطلقوا احكامهم فى كلام عام يظهر واضحا فيه التحمس لادباء المهاجر ، بالرغم من ان مشكلة التأثر هذه تكاد تعتبر فى عداد المسائل النفسية التي لا ينبغي للباحث ان يقطع بحكم فيها ما لم تتوفر له الدلائل الكافية والمستندات اللازمة .

وقد يحاول بعضهم اثبات ما يقول ، فيعمد الى قصيدة للشابي واخرى لشاعر مهجري ويستدل بهما، لوجود شبه فى الموضوع او غيره ، على هذا التأثر ، كأن يلاحظ ان الشابي فى قصيدته (فى ظل وادي الموت) التي يستهلها بقوله :

نحن نمشي وحولنا هاته الاكـوا
ن تمشـي لكـن لايـة غايـة

قد تأثر بطلاسم ايليا ابي ماضي التي اولها :

جئت لا اعلم من اين ولكني اتيت
ولقد ابصرت قدامي طريقا فمشيت

مع ان الفرق شاسع بين القصيدتين ، فخواطر الشابي ذاتية نابعة عن نفس حائرة مضطربة ، فى حين ان خواطر ابي ماضي تتسم بالعمومية والشمول ، ولعلها جاءت نتيجة تفكير عميق ، وقريب من هذا ما ذهب اليه الاستاذ ابو القاسم كروجين :قارن بين قصيدتين للشابي وجبران لمجرد تشابههما فى صدر المطلع ، يقول جبران :

وما السعادة فى الدنيا سوى شبح
يرجى فان صار جسما مله البشـر

ويقول الشابي :

وما السعادة فى الدنيا سوى حلـم
نـاء تضحـى لـه ايامهـا الامـم

ولو قرانا بقية الابيات لوجدنا اختلافا فى الاتجاه يؤكد لنا ان التشابه بين صدر المطلعين لا يعني ان الشابي قلد جبران ، وان كان لا ينفي انه قرا قصيدته وتاثر بها ولو فى مطلعها .

وربما كان كتاب الاستاذ التليسي (الشابي وجبران) اكثر موضوعية فى هذا الباب ، ولكن البحث خانني فى العثور عليه فلم استطع قراءته ، ومع ذلك فانا اذكر نقدا للكتاب لاحظ فيه صاحبه على المؤلف ، انه جمع مظاهر التشابه بين الشاعرين فى الحب والحرية والتمرد ، وهي عناصر عامة ، وانه نظر الى جبران كشاعر فرد ولم ينظر اليه كعضو فى مدرسة ادبية هو رائد من روادها لاشك .

تجديد الشابي بين روافد الشرق والغرب

للاستاذ عباس الجراري

بـــدا لي الشابي كما يبدو لكل من يـدرس اشعاره واقواله في الادب والنقد ، انه يتقن لغة اجنبية يجيد بواسطتها فهم كثير من آداب هذه اللغة وغيرها تذوقا وتأثرا ، فهو مجدد في شعره ووجداني في نزعته، ثم هو معجب بالادب الغربي ومتحايل علـى الادب العربي ، مما لا يدع مجالا للشك في انه درس لغة اروبية حديثة ربما كانت الفرنسية . وكم كانت دهشتي وانا اطالع بعض ما كتب عن حياته ، حين علمت ان حدود معرفته لا تتجاوز اللغة العربية والثقافة الاسلامية ، فهو خريج جامعة الزيتونة التي لا تختلف كثيـرا أو قليلا عن الازهر والقرويين ، أي ان دراسته تقليدية لا تتعدى العلوم الشرعية واللسانية ، واذا تعدتها فالى الادب القديم ومحاولة تمثله ومحاكاته .

لكن شيئا كاد يحول دون اقتناعي بهذه الحقيقة، ذلك هو التحاق الشابي بكلية الحقوق بعد حصوله على شهادة (التطويع) من الجامعة الاسلامية ، واذا كنا نقبل ان تكون الزيتونة معهدا عربيا خالصا فاننا لا نقبل ان تكون كلية الحقوق عربية كذلك لسبب بسيط هو ان الاستعمار الفرنسي قد فرض لغته وجلعها اجبارية، بل هي اللغة الاولى في جميع مراحل التعليم ، واذا كان قد تخلى عن الزيتونة ، لم يحاول فرنستها لعوامـل واسباب ، فهو لن يترك معهدا للحقوق ، ينشأ في كنفه ، ان تكون العربية لغته الوحيدة ، هذا بالاضافة الى ان التعليم العالي حتى في البلاد العربية المستقلة لا يخلو من تدريس لغة اجنبية الى جانب اللغة الوطنية .

ولم البث في غمرة من الشك ان اتصلت ببعض مواطني الشابي ، وكان فيهم من زاول التعليم بهـذا المعهد الحقوقي ، فتبين لي انه منذ انشائه حتى الان ، ليس اكثر من مدرسة متوسطة يلتحق بها من حصل على ثانوية الزيتونة ، يلقن فيها خلال ثلاث سنـوات وباللغة العربية وحدها ، مبادىء بعض القوانيـن الوطنية منها بصفة خاصة ، ثم يحرز على شهـادة تسمح له بالاشتغال في المحاكم الاهلية ، وانتهيت الى ان الشابي لم يدرس اية لغة اجنبية تخوله القـراءة في آدابها ، وانه ثقف نفسه ثقافـة شعرية عربية هذبت طبعه وسليقته ، وان ما نرى من تحامله علـى ادب قومه واعجابه بالادب الاروبي ان هو الا مظهر من مظاهر روحه الثائر الطموح ورغبته الملحـة في التطويـر والتجديد . وبعد ان كان في عزمي ان اتخذ من تاثر الشابي بالادب الفرنسي موضوعا لدراسته ، عدلت عنه الى ما ستكشف عنه سطور هذا البحث القصير الذي لم تكتمل له اسباب دراسة عميقة من مراجع وافية ووقت طويل .

ولا شك ان الشابي في نشأته الاولى ، وقبـل ان يتأثر بالعوامل الخارجية، كان قد تتبع حركة التجديد التي عاصرته في تونس ، وشارك فيها متأثرا بمبادئهـا ثم مؤثرا فيها ، وهي الحركة التي قاربت بين الادب والشعب وطرق شعراؤها موضاعات في الاجتمـاع والسياسة والوطنية عامة .

فالهادي المدني كان يؤثر بحماسياته على جماهير الشعب ، والطاهر الحداد كان يدعو الشعب في شعره الى النهوض والكفاح ويكثر من تصوير مآسـي الاستعمار ، وظهرت عند بعضهم ممن تأثروا بـالادب الفرنسي نزعة رومانسية تدعو الى الثورة على الادب العربي والتركيز على الوجدان وضرورة التعبير عن النفس وشعور الفرد ، ومن وراء تلك النفس وهـذا

رسالة فليس هناك من شاعر) (*) ويقول محمود شريف: (الشعر عبقرية او رسالة تولد مع الانسان نسب وتكبر معه حتى اذا نضج طفت على نفسه وقادتها وانطقتها، والشاعر روح قدسي خلق للانسانية بلسما على جرح الملكوم) (*)، ويفصل الشابي القول من هذه الرسالة، متأثرا خطى المهجريين الذين كانوا يحسون الحاجة الملحة الى فلسفة علوية تقف فى عالمهم الجديد جنبا الى جنب مع الفلسفات المادية يظهرون بها روحانية الشرق السامية، فيرى ان الشعراء انبياء يرتفعون بارواحهم الى آفاق فسيحة ارحب واسمى من سماء البيئة المحدودة متغزلين بدنيا رائعة لم يخلقها الحياة الا فى اعماق قلوبهم الملأى ببهاء الكون ومثل الحياة العليا ... وهم اولئك الموهوبون الذين يسبقون عصورهم فيغنون اشهر اغاني الجمال واعذب اناشيد القلب البشري لاجيال لم تخلق بعد، وهم اولئك الذين لا يصورون عادات العصر المتغيرة المتحولة بل عادات الحياة الخالدة على الدهر، ولا يصفون احاديث الوعاظ والمتكلمين والمتفلسفين بل احاديث نفس الانسان التائهة فى بيداء الزمان ولا يعلنون اسرار القصور والمجالس بل اسرار الازل والابد) (*).

واما عن الشكل فالحقيقة ان الشابي لم يتأثر بشعراء المهجر او غيرهم من دعاة التجديد فى بناء قصيدته، وانما تأثر فى ذلك بنفسه وحدها يسير مع خواطرها واحاسيسها حتى يستنفذها، لا يهتدي فى ذلك بغير فطرته السليمة وشاعريته المتقدة والحاجة الملحة الى استنزاف قلبه ووجدانه. ومع ذلك فهو قد تبع المهجريين فى العودة الى الموشحات الاندلسية والاقبال عليها مع بعض التعديل فى نظامها، وكان جبران يرى فى تعدد اصواتها (ما يزيد فى وقع القصيدة ومداها ويسترعي انتباه القارىء اكثر من صوت واحد).

وفى احدى الموشحات يقول جبران متحدثا عن البحر:

فى سكون الليل لما تنثني
يقظة الانسان من خلف الحجاب
يصرخ الغاب: انا العزم الذي
انبتته الشمس من قلب التراب
غير ان البحر يبقى ساكنا
قائلا فى نفسه: العزم لي

ولقد عدد الدكتور فروخ اشكال الموشحات عند الشابي فردها الى سبع كل شكل منها يسير على نظام خاص فى ترتيب القوافي والاشطار، ومن اشكاله قوله:

رفرفت فى دجية الليل الحزين
زمرة الاحلام
فوق سرب من غمامات الشجون
ملؤها الآلام

*

شخصت لما رات عين النجوم
بعثة العشاق
ورمتها من سماها برجوم
تكسب الاحراق*

واذا كان الاسلوب عامة قد ينزل عند شعراء المهجر الى مستوى لغة وضيع، نتيجة تساهلهم وبعدهم عن ديار العربية، وسعيهم وراء الرزق (الذي لم يترك لهم متسعا من الوقت للانصراف الى التعمق فى درس اللغة من حيث هي لغة، ولا للمطالعة الواسعة فى آثارها القيمة) (*) فان الشابي بحكم ثقافته العربية المتينة لم ينجرف فى تيار التساهل اللغوي مما جعل فى شعره رونقا واصالة لانجد هما فى كثير من الاحيان عند الادباء المهجريين.

يتبع

باريس : عباس الجراري

---

* التجديد فى شعر المهجر لمحمد مصطفى هدارة ص 78
* نقلا عن « كفاح الشابي » لكرو ص 25
* انظر كتابه (الشابي شاعر الحب والحياة) ص 149
* قصيدة : (فى الظلام) ديوان ص 19.
* ميخائيل نعيمة، نقلا عن التجديد فى شعر المهجر ص 191.

ولو عدنا الى ديوان الشابي وحاولنا حصرمواطن التجديد فى شعره ، وما يقابلها من مظاهر تجديدية فى الشعر المهجري لانتهينا الى ثلاث نقط تنحصر فى مفهومه وشكله وموضوعه .

اما عن المفهوم فلنصغ الى الشابي وهو يخاطب شعره :

يا شعر انت فم الشعور وصرخة الروح الكئيب
يا شعر انت صدى نحيب القلب والصب الغريب
يا شعر انت مدامع علقت باهداب الحياة
يا شعر انت دم تفجر من كلوم الكائنات

*

يا شعر يا وحي الوجود الحي يا لغة الملائك
غرد فأيامي انا تبكي على ايقاع نايك

*

يا شعر هل خلق المنون بلا شعور كالجماد
لا رعشة تعرو يديه اذا تملقه الفؤاد ؟

*

فيك انطوت نفسي وفيك نفخت كل مشاعري
فاصدع على قمم الحياة بلوعتي يا طائري *

والشعر عنده هو * ما تسمعه وتبصره فى ضجة الريح ، وهدير البحار وفى نسمة الوردة الحائرة يدمدم فوقها النحل ويرفرف حولها الفراش ، وفى النغمة المفردة يرسلها فى الفضاء الفسيح وفى وسوسة الجدول الحالم المترنم بين الحقول ، وفى دمدمة النهر الهادر المتدفق نحو البحار ، وفى مطلع الشمس ، وخفوق النجم ، وفى كل ما تراه وتسمعه وتكرهه وتحبه وتالفه وتخشاه) ، وهو عنده (تصوير وتعبير تصوير لهذه الحياة التي تمر حواليك مغنية ضاحكة لاهية ، او مقطبة واجمة باكية ، او وادعة حالمة راضية، او مجدفة ثائرة ساخطة ، وتعبير عن تلك الصور او هاته الاثار باسلوب فني جميل ملؤه القوة والحياة) .

والشعر عند نعيمة (هو غلبة النور على الظلمة ، والحق على الباطل ، هو ترنيمة البلبل ونوح الورق وخرير الجدول وقصف الرعد هو ابتسامة الطفل ودمعة الثكلى وتورد وجنة العذراء وتجعدوجه الشيخ، هو جمال البقاء وبقاء الجمال ، الشعر لذة التمتع بالحياة والرعشة امام وجه الموت ، هو الحب والبغض والنعيم والشقاء هو صرخة البائس وقهقهة السكران ولهفة الضعيف وعجب القوي .. هو الحياة باكية وضاحكة وناطقة وصامتة ومولولة ومهللة وشاكية ومسبحة ومقبلة ومدبرة (*)

ولو امعنا النظر فى المفهوم عند كل من الاديبين لوجدنا تشابها كبيرا يكاد يمس الالفاظ : فالشعر عندهما هو شذو الحياة وتغريدها بما فيها من لمسات رقيقة ومشاعر انسانية ، وبما فيها من صدق وجمال، فبالحياة وللحياة يكون لحن الشعر واشراقته وخلوده، وبالحياة وللحياة يتحرك وينفعل فيؤثر فى القلوب والارواح وكل ما يحس معانيها السامية الرفيعة .

ثم ان للشعر رسالة مقدسة على الشاعر ان يؤديها فى اخلاص وصدق ، وان يذيعها كما نزلت عليه رفيعة طاهرة يتمثل فيها نقاء الوجود وجمال الحياة ، وما هذه المهمة او الرسالة سوى انارة الطريق للبشرية وقيادتها نحو المثل الاعلى فى الحياة حتى يسمو ابناؤها عن شوائب الارض ، ويرتاحوا من عناء الدهر ، ويرتفعوا الى عالم روحي يشاطرهم ما يختلج فىنفوسهم من نبضات حية واحاسيس صادقة ، فالشاعر كالنبي قائد روحي ينير السبيل امام الانسانية التي تحذو حذوه متتبعة خطاه ، ومستضيئة بنبراس الفن الذي يحمله ليكشف به مجاهل الحياة ومخابئها ، ويتحدث جبران عن هذه الرسالة فيقول : (انما الشاعر رسول يبلغ الفرد ما اوحاه اليه الروح العام فان لم يكن هناك

---

* قصيدة (ياشعر) ديوان اغاني الحياة ص 35
* من رسالة بعث بها الشاعر الى صديقه محمد الحليوي ، نقلا عن زين العابدين السنوسي فى (ابو القاسم الشابي حياته وادبه) ص 53
* الغربال : فصل (الشعر والشاعر) ص 63

ومن الموضوعات التي تتباين في مقاييسها حتى الان ، اوجه الراي بيننا ، شكل الاجهزة الثقافية نفسها ، ومسألة الحكم على شهادة كلية ما ، بانها نظير ثقافي لما يقابل تلك الشهادة من كلية اخرى .

ولا خلاف في صحة المعادلة بين الشهادات المتوازية ، فيما يكفل لحملتها عموما نفس التقدير الاجتماعي والاداري ، اما ان تعتبر الشهادات المتوازية بانها جميعها مخولة من حيث مضمونها لنفس الدراسات العليا ، فذلك امر له من الخطورة ما يتعدى اثره الاطر التعليمية ببلادنا ، الى مضامين الشخصية الثقافية ذاتها ، عندنا ، **اذ ان مشروع معادلة الشهادات العلمية في بلد ما ، لا يقتصر نتاجه على تلك الناحية الشكلية فقط ، ولكنه يصور ايضا مدى تناسق تقييم الامة للاشياء ، وتحديدها للمعايير .**

وان قضية معادلة العالمية — او الاجازة — في الشريعة مثلا بما يوازيها من شهادات كلية الحقوق ، وكلية الاداب من التعليم الحديث لم تكن قضية تلفت الانتباه ، لو ان المعادلة اقتصرت على الوجهة الادارية منها ، ولكن المعادلة اثارت دويا بين طبقة المثقفين عندما اعتبرت ايضا من الوجهة التعليمية ، ذلك انها اتاحت للمجاز من التعليم الاصلي ، ولزميله من التعليم الحديث ، فرصة متساوية في المدة الزمنية ، للحصول على دبلوم الدراسات العليا في العلوم القانونية ، وفي العلوم الانسانية من التعليم الحديث .

والذي يعنيه هذا المشروع ، هو تخويل صاحب العالمية او الاجازة في الشريعة حق الالتحاق بقسم الدراسات العليا بالحقوق ، وقسم الدراسات العليا بالآداب ، وقسم الدراسات العليا بالشريعة في حين لم يقيم المشروع الطالب المجاز في الادب او في الحقوق نفس التقييم .

وفهم المعنيون بهذا ، ان تقييم المسؤولين للاجازة في التعليم الاصلي ، يختلف تمام الاختلاف عن تقييمهم للاجازة في التعليم الحديث ، وباجتهاد موضوعي منا في تعليل هذه النظرة المختلفة ، يمكننا ان نلفي سببها في انحراف التقييم عن منهجه المعين له ، الى اعتبارات اخرى ، ليس من بينها الناحية العلمية على الاطلاق .

فالذين اخرجتهم المعاهد الاصلية ، كانوا في بداية تاريخ اليقظة الاجتماعية في المغرب خلال هذا القرن اول من كشفوا عن جديتهم وعمقهم وقدرتهم على خوض كثير من معارك مجتمعنا الحديث ، كما ان شهادتهم التي اجيزوا بها تشعر بانهم مطلعون على التشريع الاسلامي — وهو من مواد كلية الحقوق الحديثة — وعلى اسرار اللغة العربية — وهي من مواد كلية الاداب ، ولا اقل في الاعتراف بالجميل لما اسداه اولئك الرواد ، من ان تتاح لهم ولهؤلاء المحدثين من زملائهم فرصة حيل بينهم وبينها في عهد الطغيان الاستعماري، اذ ان حكومات الاستعمار الفرنسي — الاسباني — كانت تعرقل حياة هؤلاء الشباب ، وتوصد في وجوههم سائر ابواب المعرفة ، وترفض الاعتراف بالشهادة التي افنوا من عمرهم اثنتي عشرة سنة دراسية للحصول عليها ، ولا تسمح بمجرد نقل مدلولها في العربية الى الفرنسية او الاسبانية لفتي الادارة ، حتى لا يكون لها اعتبار في الوظيفة العمومية ، ولا في الوسط المدرسي .

فالتفكير من المسؤولين اذن بعهد الاستقلال في معادلة العالمية او الاجازة في الشريعة ، بما يوازيها في الطرف الاخر من التعليم الحديث ، هو في حقيقته العميقة تفكير في رد الاعتبار الادبي الى العالمية بعد ان رد اليها اعتبارها المادي منذ فجر الاستقلال .

ولكن المعادلة في راي المجازين في التعليم الحديث ، ما كان لها ان تقيم نواحي التخصص العلمي بمعايير خارجة عن نطاق الجامعة ، طالما ان الهدف من المعادلة هو احلال مختلف الشهادات محلها اللائق بها في اشواط الثقافة الجامعية. واذا فان قبول اجازة التعليم الاصلي في قسم الدراسات العليا في التعليم الحديث ، هو اجراء لا يتوخى مستقبل الثقافة في البلاد ، ولا احتياجات الاطار الاداري ، وانما هو حدث مخل بمعنى الحرية والاستقلال السياسي اللذين احرزنا عليهما بعد كفاح مرير ، وانه لمن مصلحة المجازين في التعليم الاصلي ان يستمروا في التخصص في نطاقهم الجامعي ، لانهم في كلية الشريعة اكثر كفاءة وافادة ، وان التحاق اجازة الشريعة بالدراسات العليا في الحقوق ، او بالاداب ، انما هو ضرب من الفوضى الثقافية ، والتحلل من المسؤولية ، والخروج بالاختصاص عن سبيله ، وهو بالتالي ضرر لن تعود آثاره الوخيمة على الفرد فحسب ، ولكنها سوف تعم المجتمع الحديث الذي نسعى الى تكوينه ، **ولن تقوم للمجتمع قائمة اذا لم يهتم فيه كل بما يسر له ، اذ ان التخصص والاهتمام به ، والدقة فيه ، هو عنوان التقدم السريع بمجتمعنا الحديث ، وان اي محاولة تخالف هذه القاعدة ، مآلها الى انحلال اجتماعي ، وتدهور ثقافي ، وانحطاط سياسي ، وذلك فساد عانينا منه ما عانيناه ، فيتعين تلافيه اليوم في عهد الاستقلال .**

مستقبل الثقافة في المغرب

ابرهلين

للأستاذ جعفر الطيب الكتاني

لو سئلت ان اعرف الثقافة ما هي ، لقلت **انها مجموعة من المدركات الحسية، تتبلور في صيرورتها اخلاقا ، ثم تنعكس على تصرفات الافراد والجماعات في تقييمهم للاشياء ، وتحديدهم للمعايير .**

وبمدى تناسق التقييم للاشياء بين فرد وآخر وبين الافراد والجماعات ، تتقدر نوعية الثقافة التي تلقاها اولئك الناس .

ولا نهوض بمجتمع ما على وجه الارض ، دون ان تتوفر لمن بوجودهم يقوم المجتمع ، ثقافة موحدة في الشكل والمضمون .

وللثقافة في اي ظرف كانت ، مرايا مبينة « عاكسة » من بينها باطراد ، ولو في المجتمعات المتبدية، تصرفات الشخص في معاملاته ، كما ان منها في المجتمعات المتطورة الكتاب والصحيفة ، والمسرح والاذاعة والسينما . وللثقافة في هذا الشوط ، اجهزة مكيفة هي المدرسة والمعهد والجامعة .

وتحديد الاستفسار عن مستقبل الثقافة بالمغرب هو تقييم ضمني من المستفسر ، لما تعكسه مظاهر الثقافة ببلادنا ، مما يخشى منه على مستقبل الثقافة ذاته ، وهذا خليق بان يوجه مجال الحديث الى اجهزة الثقافة باعتبارها الملاذ الاول والاخير ، في تغيير هذه الدنيا التي نعيش فيها ، والتي نامل جميعا في ان تتغير الى ما هو افضل ، ذلك ان الحديث عما تعكسه الصحيفة والاذاعة او الكتاب والمسرح والسينما في بلادنا ، لن يكون في رايي دراسة جدية ايجابية بسبيل التطلع الى مستقبل افضل ، بقدر ما يصورنا لانفسنا مجتمعا مشوشا متخلفا .

وليس بيننا من المثقفين من لا يلمس هذا التخلف في **قدرتنا** ـ باعتبارنا وحدة اجتماعية ـ **على تقييم الاشياء وتحديد المعايير .**

وان السبيل للانعتاق من هذا التخلف هو اهتمام المثقفين والمسؤولين باجهزة الثقافة ببلادنا كيما يهيئوا للاجيال المقبلة في المغرب ثقافة موحدة في الشكل والمضمون فنستطيع ان نكون مجتمعا في بلادنا، اما جيلنا هذا فقد قال عنه محمد الخامس ـ رحمه الله ـ انه جيل التضحية .

وان قضاء فترة من العمر في مجتمع ما كفيلة بتهييء المرء ـ ان هو اراد ـ لان يكون فكرة عن ثقافة ذلك المجتمع من خلال مظاهر النشاط الثقافي لديه ، ولو حاول واحد منا ان يكون موضوعيا في اعطاء صورة عن ثقافتنا من خلال تصرفاتنا ومما تعكسه وسائل الاعلام عندنا ، لاحتار في اي صنف من الحضارات يضعنا .

ولا شك في اننا امة عريقة بامجادها ، وتلك مفخرة لنا ـ ان كنا في ميدان التفاخر ، ولكننا ونحن امة من اخص مميزاتها دقة الملاحظة ، يجب ان نعترف بان العراقة اذا اقتصرت على اقفال الحدود المكتسبة في وجه الدخيل ، في وقت فتحت فيه حدود اخوة لنا في التاريخ المشترك على مصراعيها ، فانما تقتصر اوجه الافتخار بهذه العراقة على نواح ، لن تكون منها على كل حال ناحية المستوى الثقافي الراهن بيننا ، والموضوعي الجاد في تصويرنا ، لن يعنى بالتاريخ عنا ، ولا بالاجيال المخلفة منا ، بيد انه ، لن يلفينا شرقيين ولا غربيين بين حضارة من الحضارات الحية .

وطنيا . حتى وان كان منهم ، من استطاع ان يكون ثقافة سليمة متينة ، لا لعذر لدى المستعمر ، الا، لكون ذات المتعلم يجهل لغة الثقافة ، اما لغة الثقافة هذه ، فهي الفرنسية او الاسبانية ، ومتعلمها هو المثقف ، حتى وان كان لا يقرأ بها ، الا جرائد الصباح ، ونشرات ادارة الحماية ، وتقارير المخابرات ضد سلامة مجتمع المواطنين ، ومن هنا بدات العقدة .

توهم المتعلمون بالفرنسية او الاسبانية انهم فعلا، حصلوا على ثقافة العصر ، وتوهم المتعلمون بالعربية انهم ليسوا على شيء ، يبرر ذلك لدى نفسياتهم انهم دائما فى المؤخرة ، يدخلون ادارة فلا يتفاهمون مع المشرفين عليها . يكتبون كتابا او يتلقونه فيحتاجون دائما فيه الى مترجم، فاحسوا بانهم وضعوا على الرف، ولما كان الحاكم فى كل زمان ، يستطيع ان يوهم المحكوم بانه هو الاقوى ، وكان المحكوم فى كل زمان ايضا يقتفي اثر الحاكم ، فان الذي توهمه جل المثقفين بالعربية فى بلادنا ، هو ان الفرنسية او الاسبانية هي لغة العلم الحديث ، وان من لا يعرفهما ، اقل مستوى وكانت تصرفات الذين يتحدثون ويقراون بغير العربية ، تنم عن مدى غرورهم ، وكان يسندهم منطق الغلب للاقوى فاثروا نفسيا فى المثقفين بالعربية وبدات العقدة النفسية تدب وئيدا الى نفسية اصحاب التعليم القومي ، وعندما اشتدت كانت شعورا بمركب النقص.

ــ للحديث صلة ــ

الرباط : جعفر الطيار الكتاني



اولم يكن من خير مستقبل الثقافة فى بلادنا ، ان نستفيد من تجربة الجامعات التي سبقتنا ، فما من جامعة فى الشرق تأذن لمجاز من احد فروع كلية ما ، ان يستأنف دراسته العليا فى غير فرع تخصصه،بالذات، فعلى اي مقياس اعتمدنا ، نحن فى بلادنا ، عندما نأذن لمجاز فى كلية ما ، بان يتم دراسته العليا فى كلية اخرى؟ افما كان يثير اهتمامنا معادلة أولى ؟ تلك التي ترتبط بالوظيفة العمومية ؟ فبأي معيار ننهج اطرنا ، عندما لا نسوي من الناحية الادارية مجازا يعمل فى وزارة التربية الوطنية ، بزميل له يعمل فى وزارة الخارجية ، او بآخر فى وزارة العدل ؟ .

اترانا مثلا نطبق على المجاز المدرس فى تعليمنا ، نفس القوانين التي تركها الاستعمار ، غفلة منا عما ترمي اليه نتائج تلك القوانين ؟

ان التعليم عندنا ، طالما هو لم يفرغ فى قالب موحد من اول سنة ابتدائية الى ءاخر سنة جامعية ، فان اي نوع آخر من الجهد تبذله وزارة التربية الوطنية او غيرها من الوزارات انما ينتهي الى نقيض الغاية المتوخاة من الثقافة فى جملتها . ولن يريث التعليم العالي فى توحيد مقاييسه ، انتظار ما عساها تسفر عنه منهجية التوحيد من أدنى ، وانما ينبغي ان يشرع فى توحيد منهجية التعليم بالنسبة لجميع مستوياته ، وفى آن واحد . حتى تتكتل جميع الجهود فى دفعة هائلة ، بقصد التخلص من النتائج الوخيمة التي خلفها الاستعمار فى ميدان التربية الوطنية مرة واحدة .

وخذ لتلك البذور الاستعمارية التي يتطلب المستقبل منا تغييرها فورا فى كون هؤلاء المجازين ، فى التعليم الحديث انفسهم ، ليس يربطهم من وحدة الثقافة ، ما يمكن ان يجعل تقييمهم للاشياء قائما على نسق مشترك ، فهم بين خريج من فرنسا ، وآخر من اسبانيا ، وخريج من الشرق العربي وثان من بلاد اروبية اخرى كالمانيا وبريطانيا لا يكاد يوجد بينهم سوى ارض الوطن والجنسية المغربية، ولا يكاد يعرف الواحد منهم عن الآخر مؤهلا ثقافيا من اية درجة ، فبعضهم اتم دراسته الثانوية من حيث حصل على دراسته العليا الاولى ،وبعضهم غير فى دراسته الثانوية نفسها قطرا بقطر ، وقليل منهم من اكمل ثانويته بالمغرب ، وحتى من اكملها منهم كانت مناهج دراسته فرنسية او اسبانية ، ونتيجة لذلك كله ، فان اي مجموعة من هؤلاء المثقفين تشكل عالما قائما بذاته ، هذا اذا لم يوجد داخل المجموعة الواحدة عوالم متعددة لكل منها قيمه ومعاييره ومثله ، انضم اليها مؤخرا مجازو جامعة الرباط التي تتفرع بدورها الى تعليم فرنسي وآخر عربي ، بالاضافة الى المجازين الاصليين ، **فكان من كل ذلك فى مجتمعنا ، هذه الاشتات من الثقافات التي استحالت الى اخلاق، تنعكس على تصرفات الفرد منهم والمجموعات فى تقييمهم للاشياء وتحديدهم للمعايير،** وما من مجموعة بينهم ، الا وبحسبانها ان مظاهر ثقافتها ومنهج تفكيرها خير انموذج يحتذي ويقاس عليه .

وتلك بعض نتائج التفرقة التربوية التي خلفتها نظم التعليم الاجنبية فى بلادنا . **فالاجنبي كان يعمل فى بلادنا على ان نعيش بتفكير وبيئة 1912 ، حتى وان كنا تجاوزناها الى سنة 1953 مثلا ، ولكي يكون امينا فى تطبيق عقد الحماية ، كان يجعلنا نعيش داخل قنينة من صفيح ، بلعومها لا يكفي لمجرد القاء نظرة واحدة على ما يجري فى العالم ، وكان الاستعمار يوهمنا بانه ، هو ايضا يعيش معنا داخل القنينة التي هي المغرب المقفل، ولكنه عندما كان يفرض على مجتمعنا ان يتجه الى بلعوم القنينة الضيق ، كان هو يعطينا بظهره ، ليفتح مؤخرة القنينة على سعتها ، له ولرعاياه من الاجانب ، او ممن يسيرون فى فلكه الثقافي ، ثم يضع المائدة له ولاصحابه ولا يدعونا ، بدعوى ان على مائدته ما يحرمه علينا ديننا ، وهو اي الاستعمار حريص على ان يطبق عقد الحماية ، ومن جملة ما يحرمه علينا ديننا – وهو من اصناف ما على مائدته – الثقافة الحديثة ، والتي لا تؤخذ يومئذ الا بلغة ما على مائدته.** ومعنى ذلك فى النهاية ان يبقى الاستعمار على مواد التعليم فى بلادنا ، كما كانت عليه قبل القرن العشرين ، وبالضرورة ، هو لن يشغل فى اطر الوظيفة العليا لسياسة الدولة الا الذين يعرفون لغته ، اي الذين تمكنوا من اللغة الصالحة للسياسة ولادارة الحكم فى البلاد .

واستطاع نفر من مجتمعنا ، ان يتسلل الى التهام بعض ما على مائدة الاجنبي ، فاخذوا اللغة ، ولكن حيل بينهم وبين محاولة استعمالها اداة للثقافة ، وذرا للرماد فى الاعين اخذ المستعمر من هؤلاء النفر عددا للوظائف الحكومية ، برغم جهلهم بالثقافة ، ولكنه لم ياخذ من اولئك المتعلمين فى المعاهد الوطنية من يشغل

وهذه التهديدات التي تمارسها اسرائيل باستمرار تكون في الواقع عنصرا هاما من عناصر المشكلة الدولية العامة بالشرق الاوسط وتتداخل عواملها وتفاعلاتها مع كثير من الاتجاهات المريبة التي اتخذتها هذه المشكلة في الماضي او يمكن ان تسلكها في المستقبل .

واذا اشرنا الى التهديدات الاسرائيلية ، واتجهت اذهاننا الى تصور المخاطر التي تنطوي عليها ، فانه سرعان ما تمثل امامنا وضعية جيش اجنبي كامل الاستعداد كالجيش الاسرائيلي الذي يرابط بوحداته وجموعه في جزء هام واساسي من عالمنا العربي وتتوافر له امكانيات العدوان السافر وغير المباشر ، وذلك نتيجة لوجوده مرتبطا بتوجيه سياسي تسلطي ، تحدوه اهداف توسعية امتدادية ، وتذكي عزمه مقاصد اكتساحية ، هذا بالاضافة الى ما هو مهيأ لهذا الجيش من وسائل التسلح الهجومي بمختلف اصنافه وانواعه وما ينعم به من تواطؤات دولية واسعة النطاق تمتد شبكاتها المعقدة عبر القارتين الامريكية والاوربية .

والتهديد الاسرائيلي يتمثل لنا ايضا فيما تبديه السلطات الصهيونية من حرص على تحقيق اكبر قسط من التوسع الاقتصادي والتبادلي والفني والمالي عبر القارتين الافريقية والآسيوية .

ان عالم الدول النامية في آسيا وافريقيا هو عالم زاخر بالامكانيات البكر من كل نوع ، طافح بمصادر الطاقة والقوى الطبيعية على اختلاف مصادرها وصلاحيتاتها ، متهيىء لاستيعاب الانتاج والتنمية بكل فروعها وتشعباتها ، متفتح — كسوق عالمي ضخم — لاستقبال واستهلاك ثمرات النشاط الصناعي والاقتصادي القائم على اسس هذه المشاريع .

والتطورات السياسية والدولية الهامة التي افضت الى تصفية النظام الاستعماري القديم وقيام اوضاع سياسية جديدة مرتكزة على اساس الحكم القومي في اغلبية ارجاء القارتين الملونتين ، هذه التطورات قد كان من بين نتائجها ان ساعدت اسرائل على استشراف آفاق جديدة للامتداد والتوسع الاقتصادي واستدراج كثير من الحكومات الافريقية والاسيوية الى احتضان بعض المشاريع الاقتصادية الاسرائيلية المقترحة تتيح لهذا التوسع والامتداد ان يبلغا مداهما . ولا شك ان استمرار هذه المظاهر وتطورها من شانه ان يشكل تهديدا مباشرا للمصالح العربية في افريقيا وآسيا سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية . والى ذلك فان التهديد الاسرائيلي يتجلى لنا في صور اخرى عديدة غير هذه . يتجلى فيما يحدثه وجود هذه الدولة الواغلة من تاثير على استقرار الاحوال السياسية والدولية بقطاع الشرق الاوسط ومنطقة المتوسط الشرقي . وما تثيره اتجاهاتها الملتوية الغامضة من ارتجاجات وتعقدات سياسية بهذا القطاع ، ذلك ان واقع الكيان المنبثق عن قيام اسرائيل والملابسات السياسية والدولية والاقتصادية والاجتماعية المعقدة التي تحيط حتميا بوجوده ، هذا الواقع المبهم ، وهذه الملابسات الملتوية من الطبيعي ان تكون لهما انعكاسات حقيقية على منهج السلوك السياسي الاسرائيلي ، والاسلوب الذي تتقفاه هذه الدولة في ممارسة نشاطها السياسي والديبلوماسي ، والطريقة التي تنهجها في تعاملها الدولي وتفاعلها مع تطورات الاحداث المتلاحقة على الصعيد العالمي بصورة عامة وفي منطقة الشرق اولاسط بصفة اخص .

وليس هناك من ريب في ان التواءات التخطيط السياسي الاسرائيلي وانطواءه على عناصر تآمرية وتسللية بارعة واستناده اساسا الى جملة من المعطيات المبدئية ذات الصبغة المكيافيلية المعقدة ، لاشك في ان هذا التخطيط السياسي يقوم كعامل رئيسي في استمرار بعض حالات الارتباك الدائم في منطقة المتوسط الشرقي ومظاهر عدم الاستقرار العام الذي تسود بعض ربوعه .

ان الكثير من التداخلات الدولية التي نعاني منها هذه المنطقة ، والتي تتخذ احيانا صورا سافرة واحيانا اخرى اشكالا مقنعة ، هذه التداخلات تسهم فعليا في تعقيد الاحوال العامة بالشرق الاوسط ، ومن الجلي ان السياسة الاسرائيلية في الحقل الدولي والاقليمي تستتير بطبيعة اتجاهاتها ومراميها مثل هذه التداخلات والتعقيدات ، اما تعليل ذلك فيتجلى في حرص اسرائيل على اصطناع اجواء البلبلة والغموض في المنطقة العربية التي تجثم على جزء منها ، وذلك باعتبار ان هذه الاجواء تؤثر — الى حد بعيد — في تعزيز بوادر التسلل السياسي عبر دول هذه المنطقة، وتركيز عمليات الحرب النفسانية بين ربوعها بشكل دائم ومستمر .

العالم العربي ومستقبل اسرائيل

للاستاذ المهدي البرجالي

ان مرور اكثر من ثلاث عشرة سنة على قيام النظام الاسرائيلي فى فلسطين يجب ان يكون كافيا لتطوير مفهومنا الكلاسيكي المالوف عن المقاومة ومقتضياتها ، وحافزا لنا على الشعور بضرورة توسيع نظرتنا الى هذه المقاومة والسعي فى تطويرها على شكل يضمن مراقبة ادق واحكم لنشاط الدولة الصهيونية ومظاهر نموها الذاتي ، وامتدادها الخارجي بمجموع المقدرات والممكنات التي تتوافر لها ، والنفوذ بعد ذلك الى تحديد القوى الايجابية الكامنة فى هذه المقدرات والممكنات .

لا مشاحة فى ان الوجود الاسرائيلي الماثل فى فلسطين ـ يعد فى حسبان المراقبين المحايدين غير المتاثرين ـ من اكثر الظواهر السياسية تاثيرا على منطقة الشرق الاوسط واستقرار الاوضاع العامة فى ربوعه . وتنبني هذه الملاحظة على اعتبار ان طبيعة الوجود الاسرائيلي ومتطلبات بقائه واستمراره لا يمكن ان تكون متفقة مع الاحوال الطبيعية التي تتاكد فى ظلالها مفاهيم المعقولية والمشروعية بكل ما لها من اشكال وصور سياسية واجتماعية وغيرها ، بل ان نوعية الوجود الاسرائيلي والاوضاع الخاصة المنبثق عنها تقتضي فى سبيل الحفاظ عليه وضمان بقائه واستمراره . الاعتماد على حالات مصطنعة واوضاع مفتعلة . يحوطها الغموض والريب والالتواء ، وتقوم ـ فى الدرجة الاولى ـ على وسائل المدافعة والمزاحمة والتوغل المستند الى روح التهديد المباشر وغير المباشر .

وهذا التهديد الذي يشكله وجود اسرائيل قد اتخذ بالفعل ومنذ سنة 1948 اشكالا مؤسية قاتمة كان من اللازم ان تفضي الى ما افضت اليه من مشاكل سياسية دولية معقدة لم تفتأ تغمر جو الشرق الاوسط وتضفي عليه رداء من البلبلة وعدم الاستقرار ، غير ان مجموع هذه التطورات التي نشأت عن قيام الواقع الاسرائيلي الجديد فى المنطقة والحقائق التي اسفر عنها ، هذه التطورات والحقائق ، قد اصبحت الآن اكثر ارتباطا بالماضي منها بالمستقبل ، بل ان بعض مظاهرها قد غدت منفصلة انفصالا نهائيا عن الماضي ولم تعد تشكل فى جوهرها الا مجرد اصداء لقصة الصراع الطويل بين هذه القومية العربية المنبعثة وبين مختلف القوى التوسعية الدولية فى عالم اليوم، ان احداث الماضي القريب قد غدت اذن مجرد عبر وعظات اكثر من اي شيء آخر ولم تعد بالطبع تعكس صورة التهديد القاتم الذي كانت تمثله منذ سنوات لكن هل يعني ذلك ان التهديد الاسرائيلي قد اصبح اخف وطأة مما كان عليه فى السابق ؟ بالطبع لا ، فهناك الى جانب ذكريات الماضي المرير بوادر واحتمالات تهديدية اخرى ناشئة عن امتداد البقاء بالدولة الصهيونية فى صميم منطقة الشرق الاوسط ، واستمرار قيامها ووجودها بكل ما ينطوي عليه هذا الاستمرار والوجود من تعقيدات ومضاعفات .

الاحتمالات الانشائية ، فان هذا الشذوذ مع ذلك من شأنه ان يحدو بالسكان الاسرائيليين الى السعي الدائب للتغلب على ءاثار هذه الوضعية التي تحوطهم بالشرق العربي ، وذلك عن طريق الاعتماد على وسائل الانجاز المادي التقني في مختلف الميادين ، واستغلال الفرص التي تتوافر لهم في مجال التعاون والتواطؤ الدولي ومضاعفة عمليات التسلل العلمي والاقتصادي على اختلاف درجاته ونسبه ، والاستفادة من كل ذلك في اصطناع نوع من التوازن في الامكانيات التي تتوافر لهم من جهة ، وللعالم العربي الشرقي من جهة اخرى.

والواقع ان المسيرين الاسرائيليين يغالون كثيرا في تقدير قيمة هذه الامكانيات التي تتوافر لهم ، وهم يركنون الى الاعتماد على بعضها وذلك الى درجة غريبة تجافي والمنطق السليم . غير ان هؤلاء المسيرين لابد ان يدركوا ـ مع ذلك ـ ان الاتكال على مشاعر الجاليات اليهودية العالمية، والاستناد الى مظاهرة الدول الاجنبية العاطفة لا يمكن ان يستمر الى ما لا نهاية له ، وان المغالاة في تقييم اهمية العون الخارجي وتأثيره على مستقبل الدولة اليهودية ليس من الحكمة والحصافة في شيء . ولهذا فقد كان من الطبيعي ان يزداد حرص اسرائيل على توسيع ءافاق نشاطها التطوري في بعض الميادين الحيوية الضرورية ، وكان من المعقول ايضا ان تستبد ولعها باستكمال بعض عناصر النمو الداخلي في صوره المختلفة المتعددة حتى يكون لها من ذلك سبيل الى توفير المزيد من الطاقة التي تمكنها من الاستغناء عن العون الخارجي في المستقبل وتيسر لها وسائل الاكتفاء الذاتي في مختلف الميادين ، ولا يقتصر اهتمام المسؤولين الاسرائيليين ـ في هذا المجال ـ على النواحي التقليدية المألوفة من مشاريع التوسع والانماء . بل انهم يبدون ـ الى ذلك ـ قدرا كبيرا من الحرص على تطوير مجموع القطاع الاقتصادي العام وادماجه في القطاع العلمي المختبري بكل ما يتصل به من ميادين البحث والاستكشاف والابتكار ، وهذه الناحية بالذات ـ ناحية التطور العلمي الحياتي في اسرائيل هي من ابرز نواحي التهديد الذي تشكله هذه الدولة على مجموع البلاد العربية ، خاصة وان هذا التطور يكاد يتخذ شكل «تواطؤ» دولي منظم يستهدف احداث قدر من التفاوت في الطاقة والاستعداد بين الدولة الصهيونية من جهة وبين مجموع دول الشرق الاوسط العربي من جهة ثانية ، ولذلك كان من اللازم ان تصبح الاوساط العلمية في اسرائيل وهي تكاد تلتقي في خط واحد من التعاون والتساند مع الكثير من الهيئات والمؤسسات العلمية في فرنسا وغيرها ، وليس من غريب الصدف ان ينفسح اطار هذا التعاون والتساند ويتسع مضمونها اتساعا بعد ازمة السويس وفشل الحملة الثلاثية على مصر ، ومن الطبيعي ان نفضي الجهود الدولية في ميدان هذا النوع من التعاون مع اسرائيل الى بعض نتائجها المتوقعة هذه النتائج التي كان من ابرزها في الفترة الاخيرة : النجاح في اقامة مفاعل ذري في صحراء النقب ، مع ما يمكن ان يكون هناك من ارتباط بعيد المدى بين تنصيب هذا الجهاز وبين الاتجاهات المريبة التي يتبناها الاسرائيليون ويقيمون على اساسها قواعد وجودهم واستمرارهم بالمنطقة العربية في الشرق الاوسط .

وقد اعلنت السلطات الاسرائيلية ـ منذ عدة اشهر ـ عن نبأ التوصل الى طريقة علمية حديثة تمكن الدكتور جرجي على اساسها من عزل العناصر الكيميائية التي تسبب ملوحة مياه البحر ، وغدا في الامكان اعتماد هذه الطريقة في اعذاب كميات لا حصر لها من مياه البحر الابيض المتوسط الذي تتوفر اسرائيل على خط طويل من شواطئه .

وقد استغلت الاجهزة الدعائية الاسرائيلية فرصة الاعلان عن هذا النبأ ، فكان لها من ذلك سبيل الى توسيع نطاق حملاتها السيكولوجية المنظمة ، والاغراق في اصطناع التظاهرات الدعائية المحبوكة التي تستند اليها كثيرا في تركيز وجودها الدولي بمنطقة الشرق الاوسط .

وليس هناك من التفاصيل الدقيقة ما يمكن ان يبلور في الاذهان صورة واضحة عن القيمة العملية لجهاز الدكتور جرجي الباحث الاسرائيلي ، وقد تكون نسبة كبيرة من هذه القيمة ذات فاعلية دعائية اكثر منها علمية تطبيقية .

وان الاساليب النفسانية التي تم الاعتماد عليها في الاعلان عن هذا الجهاز قد توحي بذلك وتؤكده بعض الشيء ، وقد ذهبت المصالح السيكولوجية الاسرائيلية في استغلال هذه الاساليب الى حد الادلاء بمدعيات غريبة تستهدف ابراز حكومةالجمهورية العربية المتحدة في مظهر المشدوه من طرافة جهاز الدكتور جرجي ، الحريص على الاستفادة منه ، والانتفاع به في تنفيذ برامج الري واستصلاح الاراضي الصحراوية .

ان مظاهر التسرب الاسرائيلي فى المنطقة تمتد ـ فى الواقع ـ على ابعاد مختلفة وواسعة ، وتشكل فى مجموعها تهديدا اساسيا وبعيد الخطورة يستهدف المستقبل القريب والبعيد للامة العربية .

ونحن على هذه الرقعة الارضية الشاسعة الممتدة من الخليج الى المحيط يتوافر لنا ـ بالفعل ـ بعض الادراك والوعي لحقائق الواقع الاسرائيلي، وما يجسمه من احتمالات ذات خطورة متناهية تمس اهدافنا وغاياتنا ، ومطامحنا فى الوجود والاستقرار والنمو والتطور ، وتتوافر لنا ايضا ارادة قوية مشتركة تضمنا على « القول » بوجوب مجابهة هذه الاحتمالات ومواجهة ما تنطوي عليه من تعقيدات ممكنة ، وهذه الارادة المبدئية الجماعية قد كانت بالفعل اساسا لحدوث هذا التطور النسبي على مفهوم مقاومتنا للتوسع الاسرائيلي فكان لنا من ذلك سبيل الى اصابة قدر من النجاح فى تحديد النطاق حول هذا التوسع ، وعزل الميادين التي يمتد عليها عزلا جزئيا او شاملا ، ومن مظاهر ذلك :

1 ـ احكام حلقات الحصار الاقتصادي حول الدولة الصهيونية وذلك بصورة ـ وان كانت محدودة ـ الا انها ذات فاعلية وتأثير لا تنكر اهميتها .

2 ـ تحديد المجال الذي يمتد عليه نشاط هذه الدولة فى المضمار الدولي والعالمي وتدمير كثير من عناصر التخطيط السياسي التوسعي الذي تعتمده فى هذا السبيل .

3 ـ اجبارها على البقاء باستمرار داخل دوامة الحرب والتأهب للحرب سواء على الصعيد النفساني او العملي واضطرارها الى استنفاذ المزيد من طاقاتها وممكناتها المالية والاقتصادية والتنظيمية من اجل هذا التأهب وفى سبيل احكامه . ان ظواهر المقاومة العربية هذه تمتد ـ كما تمكن ملاحظته ـ على جوانب حيوية وهامة ، ان لم تكن تنال من جوهر الاساس الذي يقوم عليه بناء اسرائيل ، فانها تمس ـ فى الوقت الحاضر على الاقل ـ قدرا مهما من المصالح الاسرائيلية الضرورية فى ميادين السياسة والمال والاقتصاد ، وتسهم ـ علاوة على ذلك ـ فى تجميد بعض الامكانيات التي تتوافر للدولة الصهيونية فى مجال العلاقات الدولية العامة .

غير ان مرور اكثر من ثلاث عشرة سنة على قيام النظام الاسرائيلي فى فلسطين يجب ان يكون كافيا لتطوير مفهومنا الكلاسيكي المألوف عن المقاومة ومقتضياتها ، وحافزا لنا على الشعور بضرورة توسيع نظرتنا الى هذه المقاومة التي يتوقف عليها استمرار وجودنا الدولي الفعال ، والسعي فى تطويرها على شكل يضمن مراقبة اكثر دقة وتنظيما . واشد فاعلية وعمقا لنشاط الدولة الصهيونية ومظاهر نموها الذاتي وامتدادها الخارجي بمجموع المقدرات والامكانيات التي تتوافر لها ، والنفوذ بعد ذلك الى تحديد القوى الايجابية الكامنة فى هذه المقدرات والامكانيات .

ان الدولة المقامة فى عقر الوطن العربي ـ على الرغم من عدم طبيعية الاساس الاقتصادي والديمغرافي والسياسي الذي ترتكز عليه فانها ـ مع ذلك تعتمد بعض الامتيازات الهامة التي تتهيأ لها ، والتي هي نتيجة حتمية لطبيعة تكوينها الخاص القائم على هذه الصفة غير الطبيعية . ومن هذه الامتيازات :

1 ـ صفة سكانها ، واكثريتهم من اولئك الذين تم تهجيرهم على اساس برنامج منظم ومنهج مدروس يستهدف تزويد الدولة الجديدة باقوى العناصر الديمغرافية واكثرها ملاءمة لعمليات التطور والتوسع والانماء واوفرها استعدادا من الناحية الذهنية والتنظيمية والمالية وغيرها .

2 ـ ارتباطاتها شبه العضوية ببعض دول الغرب ذات الامكانيات الواسعة الضخمة ، كالولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا ، وعلاقاتها القوية المحكمة بدول اخرى لها اهميتها الاقتصادية والسياسية فى القارة الاوربية والامريكية على الاخص.

3 ـ سيطرتها المعنوية على عدد من العناصر السكانية فى كثير من بلاد العالم بحكم اصلية هذه العناصر واعتزائها جذريا الى السامية اليهودية ، وتأثرها بجواذب الحملات الدعائية التي يشنها الصهيونيون فى هذا المضمار ، ولا شك ان ما يصل اسرائيل بهذه العناصر يكفل للدولة الصهيونية الحصول على عدد من المنافع السياسية والمالية والاقتصادية مختلفة الاهمية والقيمة .

4 ـ الوضعية الناشزة التي تعينها اسرائيل فى قلب الوطن العربي ، وعلى الرغم من ان شذوذ هذه الوضعية يعتبر حالة سلبية لا تحفل بالامكانيات

الشأن بالنسبة للقطاع الاقتصادي من حياة الدولة الصهيونية ومحاصرة العرب له بجميع الوسائل الممكنة، وانما هي قضية تلاؤم مع المقتضيات الخطيرة التي يخلفها الوجود الصهيوني فى فلسطين ، وتحتمها التطورات العالمية المعاصرة ، والحرص على الاستجابة لمقتضيات هذا التلاؤم هو سبيلنا ابدا الى مواجهة الواقع الاسرائيلي الماثل بما يشكلهمن تحديات سياسية واقتصادية وغيرها ، وذلك عن طريق التطور الدائم للقواعد التي نعتمدها فى مجابهة هذا الواقع وتلك امثل الطرق للعمل على تحديد خطورته وتجميد امكانياته ومحاولة تصفية وجوده من الاساس . ولناخذ قضية الحصار الاقتصادي العربي كمثال ، فهذا الحصار من اقوى الوسائل التي نستند اليها فى مقارنة نمو وامتداد النظام الصهيوني القائم فى فلسطين ، ويقوم مبدأ هذا الحصار فى الدرجة الاولى على مراعاة العامل الاقتصادي فى تطور اسرائيل ، وبالنتيجة محاولة تحديد نموه وترعرعه . ووسيلتنا الاساسية فى ذلك هي ممارسة انواع من الضغط المباشر على الحكومات والهيئات والشركات الاجنبية التي تقدم على التعامل مع الصهيونيين . والتلويح لها بامكانية اللجوء الى تطبيق نظام من المقاطعة ضدها تنسحب على مجموع علاقاتها مع العالم العربي اذا لم تمتنع عن الاستمرار فى توثيق روابطها من اسرائيل، وبالفعل فانالكثير من الشركات العالمية تتحاشى لحد الآن جانب التعامل مع الدولة الصهيونية خشية الوقوع فى محاذير الاصطدام مع البلاد العربية . والتعرض لنتائج مقاطعتها الصارمة ، ومن الجلي ان هذه الشركات لا تبني اختيارها فى هذا المضمار الا على اساس الموازنة بين مصالحها فى البلاد العربية ، وما يمكن ان تكون لها من مصالح ناشئة عن التعامل مع اسرائيل . والاوضاع الحالية فى الشرق الاوسط تتحكم كثيرا فى تحديد اختيار الكثير من الشركات التي تتنكب سبيل الاتجار والتبادل مع الاسرائيليين مؤثرة على ذلك مصالحها القوية الواسعة فى الوطن العربي . غير انه من الضرودي ان ندرك جيدا ان هذه الاوضاع الملائمة لمقتضيات المقاطعة العربية يمكن ان تتعرض لبعض التقلبات فى المستقبل البعيد . والعامل الاساسي فى ذلك هو حالة توازن القوى الاقتصادية والانتاجية والطاقية بين الاقطار العربية ومحور الصهيونية العالمية فى فلسطين . اما القاعدة الرئيسية التي يمكننا ان نرتكز عليها فى هذا المضمار فتتجلى فى المحافظة على نسبة التفوق الاقتصادي والعلمي العربي ، والحرص على مضاعفة عناصر هذا التفوق ، وتركيز اساسه حتى يمكن بذلك التأثير على اتجاهات الاوساط الاقتصادية الدولية ويسهل استدراجها الى الاستمرار فى مقاطعة اسرائيل ، والاحجام عن التعامل فى مختلف الميادين ، وبذلك فقط يجوز لنظام الحصار العربي ان يحافظ على فاعليته القوية ، وقدرته على تطويق الدولة الواغلة فى فلسطين ، والاخذ بتلابيب نموها الاقتصادي والانتاجي بشكل جدي وعميق .

ان هناك قدرا كبيرا من الترابط والتفاعل بين مقتضيات التقدم الاقتصادي فى بلد من البلدان وبين تطور البحث العلمي والمختبري فى ربوعه ، ومن نافلة القول التأكيد على الصلة الوثيقة – فى هذا المجال – بين المعامل والمختبرات والحقول فى مضمار الاقتصاد المتطور عصريا .

ولهذا فليس ثمت من داع الى التأكيد بان الاوضاع العلمية فى العالم العربي توجد كأساس ضروري لامكانية تحقيق الاقتصاد المنشود ، والتغلب على عوامل النمو والامتداد الصهيوني فى الشرق الاوسط ، وبالتالي ربح المعركة بين القومية العربية والصهيونية الدولية تلك المعركة التي تمتد على كثير من الجبهات ، وخاصة جبهة الصراع من اجل النمو الاقتصادي المؤدي الى اكتساب القدرة على قهر العدو وابتلاعه .

ان من اللازم اذن – لكي يكون النضال العربي ضد الصهيونية مركزا ومثمرا – ان نعني فى جميع انحاء الوطن العربي بتطوير الاداة الاقتصادية والانتاجية فى جميع انحاء هذه البلاد ، واخضاع الحياة المادية فى مجموعها لنظام صارم من التخطيط والتنهيج الدقيقين على اسس علمية وتكنولوجية حقيقية . هذا الى العمل على توسيع آفاق البحث العلمي الابتداعي وتنظيم النشاط المختبري تنظيما يساعده على ان يصبح عاملا ايجابيا وفعالا له اثره فى تقدم الحياة العربية العامة بالنسبة لكثير من الميادين والقطاعات ومن النتائج التي يمكن استحصالها من كل ذلك :

1 – تعزيز ومضاعفة اسباب التحول الاجتماعي بمختلف مراحله وصوره ونتائجه فى مختلف ربوع الوطن العربي .

2 – « ابتلاع » قيمة التطور العلمي الاستكشافي الذي يمكن ان يحققه التعاون الدولي فى اسرائيل ، وتجريد هذا التطور من محتواه التهديدي الناشىء عن امكانيات التفوق والرجحان .

وهناك من الدواعي ما يبرر الاعتقاد بان الجهاز المعلن عنه قد لا يكون موازيا في قيمته الفعلية لتلك الهالة الدعائية التي اجتهد في احاطته بها بصورة مضجرة .

وقد عنيت الاوساط المسؤولة في حكومة العربية المتحدة بابراز حقيقة الفعالية العملية التي قد تفترض لجهاز الدكتور جرجي ، مؤكدة — في نفس الوقت — بان مشاريع الري العربية لا توجد مطلقا في حالة افتقار الى استخدام نماذج عالية من هذا النوع وذلك بالنظر الى ضخامة الموارد المائية العذبة التي تتوافر لكثير من البلاد العربية ووجود الوسائل الضرورية التي تمكن هذه البلاد من تخطيط سياسة مائية ناجحة وبعيدة المدى .

وهذا صحيح الى حد بعيد ، لكن القيمة التي يضعها الجهاز المائي المعلن عنه في اسرائيل — ليست — في جوهرها — قضية افتقار العرب الى الانتفاع بهذه الوسيلة المبتدعة — ان صح ان لها قيمة عملية — او استغنائهم عنها ، بل ان القضية الاساسية تتمثل فيما تحرص عليه اسرائيل من ايجاد الوسائل الكفيلة باستصلاح اراضي النقب وامكانية تحويلها الى مناطق زراعية منتجة، وبالتالي تهيىء قاعدة جديدة لاستيعاب اعداد اخرى من المهاجرين والواردين بكل ما يحدثه ذلك من مضاعفات سياسية وعسكرية واسعة المدلول. ان ما تبديه اسرائيل من كلف بتحويل مجرى مياه الاردن قد يكفي للبرهنة على ان الدولة الصهيونية لا تزال تعاني — فعلا — من معضلة المياه وما يتصل بها من مشاكل السقي واستصلاح الاراضي القاحلة التي تشكل جزءا كبيرا وهاما من فلسطين المحتلة ، واستمرار وجود هذه المعضلة — كما تعكسها تصرفات اسرائيل — يمكن ان يوحي — في الواقع — بان الجهاز المنسوب للدكتور جرجي لا يزال كثيرا دون المستوى الذي يفترض له كاداة كافية لتنفيذ برامج التوسع الزراعي . هذه البرامج التي تعد من بين القطاعات الهامة في مجال النشاط الاقتصادي الاسرائيلي .

غير ان امكانية التسليم بهذه الملاحظات لا تحجب — في الواقع — بواعث التساؤل عن الطريقة التي تقوم على اساسها تركيب هذا الجهاز ، وهل من الجائز ان تؤدي — في الاجل البعيد — الى آفاق هامة من حيث مناهج التطبيق واساليب الانتفاع بها على نطاق واسع جدا ؛ ان طبيعة الارتباطات التي تصل اسرائيل بكثير من الاوساط الصناعية والعلمية بالغرب لا تبيح الجواب على مثل هذا التساؤل بالنفي . فمن الطبيعي جدا ان يشتد حرص السلطات الصهيونية على الاستفادة من نتائج هذه الارتباطات التي تتوافر لها بكل سهولة ، ومن المعقول كذلك الا يتوانى الاسرائيليون — والحال هكذا — في استنزاف اكبر قسط من المساعدات العلمية والفنية التي تتيحها لهم الاوساط الموالية في الغرب من اجل تحسين فاعلية الطريقة المعزوة للدكتور جرجي وتجويد اساليب استخدامها بصورة اكثر دقة واوفر جدوى وكل ذلك في سبيل العمل على تعديل الوضع الزراعي في صحراء النقب ، وبالتالي تطوير الوضع الاجتماعي والديمغرافي في هذه البقعة العربية الشاسعة مع كل ما يؤدي اليه ذلك من تجميد لقضية اللاجئين . وتنشيط لحركات التهجير الدولي الى القطاع المحتل من فلسطين .

ان علينا — امام هذه الآفاق الجديدة الباعثة على الاهتمام — ان نعنى بوضع مجموع قضية التوسع الاسرائيلي في اطارها الحقيقي الذي يعكس الصورة الواقعية المتكاملة لمظاهر هذه القضية . وما تحدثه من تأثيرات على مصالحنا القومية والانسانية وحقوقنا الدولية والقانونية ومطامحنا في العودة واعادة الفتح والاستقرار .

الا انه من غير الممكن مطلقا ان نستطيع الاحاطة بجوانب هذه القضايا المعقدة الا على اساس النظر الى واقعنا العلمي الانتاجي نظرة موضوعية مجردة ، واستيعاب مواطن النقص الهائل الذي تتمثل في هذا الواقع ويساهم في رسم ملامح الحياة العربية بكل ما تعكسه من مظاهر التخلف بل والبدائية احيانا .

الا ان الاوضاع العلمية التجريبية في الوطن العربي تفتقر — ولا شك — الى كثير من عمليات التطوير والتركيز والتحويل لان هذه الاوضاع لا تزال تتحرك في مستوى لا يناسب وحقائق الواقع السياسي والاقتصادي الذي يكتنف وجود العرب الدولي في عالم اليوم ، وبالاخص ما يثيره استمرار الوضع الصهيوني في فلسطين من مشاكل ومعضلات تمتد آثارها على ابعاد مختلفة وشديدة التعقيد .

وليس المهم في الامر السعي في توقيف وعرقلة النشاط العلمي الدولي في اسرائيل . فالقضية هنا لا يمكن ان تكون قضية حصار او تطويق — كما هو

العدالة في انجلترا



للاستاذ محمد بن تاويت

المحاكمة المدنية The Civil Trial

حينما يحل اليوم المعين ، تزدحم قاعة المحكمة بالمحامين والشهود ، والذين لهم علاقة بالقضية ، وآخرين ممن يرغب فى الحضور ، كما يحضر مراسلو الصحف ايضا ، لان جميع القضايا بانجلترا، سواء منها المدني والجنائي ، تسمع علانية وبين العموم ..

ويوجد فى المحاكم القانونية للندن ، ومنها المحكمة العليا ، رواق للعموم ، اما فى اول الصف ، فيجلس المتهمون ووكلائهم ، ويخصص الصف الثاني لمستشار الملك او الملكة ، Queen's Counsel ثم ياتي الصف الذي يخصص للمحامين Barristers الذين ليسوا مستشاري الملك ويجلس الشهود والاقرباء والاصدقاء فى الصفوف الاخرى ، وفى جانب القاعة تقع اريكة يؤدي فيها الشهود شهاداتهم ، ويقابلها فى الجانب الآخر اريكة اخرى تخصص للمحلفين .

وكلا الطرفين فى النزاع له ان يطلب هيئة المحلفين ، الا ان الرئيس او المسجل Registrar هو الذي يقرر ما اذا كان لازما حضور المحلف او لا ، وفى بعض القضايا المدنية ، لابد من وجود المحلفين ، وهذه هي قضايا القذف ، والهجو ، ونكث الوعد بالزواج ، والاغواء لهتك العرض ، والسجن بغير موجب ، والمحاكمة الجائرة Malicious prosecution

ثم ان الصحفيين يكون لهم مكتب خاص ، وفى اعلى وسط القاعة عند نهايته وتحت الشعار الملكي Royal arms يجلس القاضي بمقعده المخصص له .

وهكذا يأتلف الجمع فينادي الحاجب «السكوت ، رجاء السكوت» . ويخرج القاضي من غرفته التي تقع فى صدر المحكمة ، فيقف جميع الحضور اجلالا له ، فلما يأخذ القاضي مكانه يبتدىء السماع ..

وتتبع المحاكمة المدنية نفس الاجراءات ، وتخضع لكل الترتيبات التي تتبعها المحاكمات الجنائية ، فالمدعي المدني Plaintiff يكون مكان المدعي الجنائي Prosecutor والمدافع Defendant يكون مكان المتهم Accused ويبتدىء المدعي بعرض القضية فيذكر الاضرار ، او يذكرها محاميه بالنيابة عنه (وفى محاكم الاقاليم قد يقوم بذلك الوكيل Solicitor) ثم يدعو شهوده ليؤدوا شهادتهم فيما يقول . ثم يستنطق المدافع هؤلاء الشهود ، ثم يضع الدفاع قضيته بنفس الطريقة ، ويدعى شهود الدفاع ، ويختبرون ويستنطقون ، ثم يقوم المدافع او محاميه بالمرافعة الثانية لتعضيد قضيته وتقويتها .

وحينئذ يتكلم المدعي او محاميه مرة اخرى.

ونلاحظ انه فى جميع المحاكمات ، سواء منها ما كان مدنيا وما كان جنائيا ، ان المدعي يضع قضيته فى مرحلتين، فهو الذي يفتتح الدعوى وهو الذي يختتمها ، اما الدفاع فيقع جميعه فى مرحلة واحدة ، يتبع قسمه الاول باستدعاء الشهود ثم يتابع دفاعه ويزكيه بكلامه النهائي .

وهذا يمكن الدفاع من الفرصة ، حيث ان جميع دعواه قد القيت مرة واحدة ، بينما دعوى المدعي توزع على قسمين ، فتفقد بذلك بعض قوتها ، ومن ناحية اخرى تكون للمدعي الكلمة الاخيرة ..

فان كان هناك هيئة محلفين ، فى القضية المدنية، فان القاضي يوجه اليهم كلامه اخيرا ، بعد ما يختتم مرافعته المدعي ، وذلك تماما كما هو الشأن فى القضية الجنائية ، فانه يقرر الحجج ويعتمد على الحقائق الهامة ، ثم يصرفهم اي المحلفين لينظروا فى فتواهم ، فاذا عادوا سألهم القاضي :

يا اعضاء هيئة المحلفين ، هل اتفقتم على فتواكم؟

نحن كذلك يا سيدي (وفى محاكم الاقاليم ، نحن كذلك يا صاحب الفضيلة)

3 – مسابقة العوامل والمؤثرات التي تبيح لاسرائيل مجالا اوسع للبقاء والاستمرار ، وتيسير الوسائل المادية والتنظيمية العربية التي تعين على اختصار قوة هذه العوامل ، واختزال ما تنطوي عليه من طاقات وامكانيات .

ان شعاعات من الوعي القومي الفعال قد استطاعت – بحق – ان تتسرب الى عقلية بعض الاوساط العربية المسؤولة في هذا المضمار . وقد بدا – كنتيجة لتركز هذا الوعي – ان بعض البلاد العربية قد طفقت تتخذ من مشاريع التوسع العلمي والاستكشاف المختبري نهجا منظما متناسقا يجوز الاعتماد عليه كاداة للتطور الذاتي اولا وكوسيلة لتطوير اساليب العمل النضالي ضد الوجود الاسرائيلي من جهة اخرى .

ومن مظاهر هذا التطور العربي ما اخذ يبدو على حكومة الجمهورية العربية المتحدة من مزيد الاهتمام بمناحي البحث العلمي والمختبري ، وبوادر الحرص على تنظيم مناهجه وتنمية طاقته الابتداعية الايجابية . وكان من آيات العناية المدولة في هذا المجال انشاء وزارة فنية خاصة بشؤون العلم والبحث العلمي تستهدف تنوير الاوضاع العلمية ، واخضاعها لمقتضيات التطور الصناعي والتكنولوجي والاجتماعي في ربوع الجمهورية العربية المتحدة . هذا الى تعدد المنشآت ذات الصبغة العلمية والاستكشافية في كثير من مرافق الحياة ومناحيها كمركز البحوث القومي الذي يضم اكثر من ثلاثين وحدة علمية ، وتتوافر له شبكات من التجهيز الفني العالي تتصل بميادين الكيمياء والفيزياء وعلوم الحياة وغير ذلك . والمؤسسة العامة للطاقة الذرية التي تمتلك في ضاحية القاهرة مختبرا للفيزياء النووية ومفاعلا نوويا وقسما للنظائر المشعة والكيمياء ذات الطبيعة النووية بالاضافة الى مراكز علمية متعددة ترتبط بشؤون الزراعة والطب وغير ذلك من فروع التخصص العلمي التطبيقي في مختلف الحقول والميادين . والواقع ان مثل هذه المظاهر من التطور العلمي التطبيقي في النطاق القومي العربي تنطوي بالفعل على مدلولات هامة في مجال الانبعاث العام الذي تتدفق تياراته في شرايين الامة العربية الا ان الذي يبدو واضحا اكيدا ان انهيار سياسة التخطيط العلمي هذه في اطار اقليمي وبحدود الابعاد – بالرغم من توافر بعض الوسائل والممكنات – لا يمكن ان يؤدي الى التوصل لانجازات عربية عملاقة ضخمة تكون في مستوى التحدي العلمي والحضاري الذي تجسمه ظواهر التطور العالمي المعاصر ، وتمتد مفاعيلها على مجموع ارجاء الوطن العربي مشرقه ومغربه .

وبعد ان تطورات الواقع العالمي حولنا من شأنها ان تؤكد مدى الاهمية التي يكتسيها التطور العلمي التطبيقي في وطننا العربي ، وذلك في حالة ما اذا تم اخضاع ميادينه لتخطيط عقلاني مشترك يلائم الحاجيات العربية في مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصادية والعقلية وغيرهما ويكون جديرا باستيعاب المشاكل العربية المعاصرة في صورها الانسانية والمادية ، هذا الى كفايته في الاحاطة بالمقدرات والممكنات المتوافرة في العالم العربي وضبط استغلالها فيما يكفل النهوض بالانسان العربي والارض العربية في مختلف الحقول والميادين ، ومن ملاءمة الظروف ان هذا النوع من التعاون لا يجوز ان يصطدم بالتناقضات السياسية العربية الا اذا كان ذلك تحت تأثير بعض العوامل المفتعلة التي قد لا يوجد لها اي مبرر معقول .

وهذه الحصانة التي تتوافر لمبدأ التعاون العلمي العربي امام التعقيدات السياسية المختلفة هي – في واقع الامر – ميزة عظيمة جدا تخول السير في طريق هذا التعاون الى مدى بعيد حقا ، والارتكاز عليه في ضمان فاعلية وتناسق التطور الاقتصادي والتكنولوجي والدفاعي والانساني الذي قد يعرفه العالم العربي – مشرقه ومغربه – في غضون الاربعين سنة المقبلة اي قبل نهاية القرن الحالي (بمشيئة الله طبعا) فهل في الافق العربي ما يؤذن بامكانية الاحساس ببعض عناصر التفاؤل في هذا المضمار ؟ قد لا يبدو ذلك شديد الاحتمال كثيرا ولكنه – مع ذلك – ممكن جدا على كل حال .

سلا : المهدي البرجالي

وكلا المدعي والمدافع يمكنه ان ياتي بالشهود ، وفي القضايا الجنائية ينتج وقع سيء اذا هما لم يفعلا ذلك .

قسم ديوان المستشار The Chancery Division

جميع القضايا المدنية يمكن ان تسمع لدى الاريكة الملكية ، بالمحكمة العليا ، الا اذا كانت قضايا محاكم الاقليم الصغرى) وهناك قضايا خاصة مستثناة تحول على قسم ديوان المستشار ، وكذلك قضايا الوصية ، والطلاق ، والبحرية ، الا ان القاضي مع ذلك قد يسمع قضية الطلاق لدى المحكمة الدورية . ويقع قسم ديوان المستشار من المحكمة العليا فى نفس البناية (المحاكم القانونية) مثل الاريكة الملكية ، ونظريا يمكن ان يوتى باية قضية الى قسم ديوان المستشار ، لانه كما قد راينا متفرع من اختصاص السيد المستشار لاقامة العدل To administer Equity ولكن بعض النزاعات يقضي فيها القانون بصفة خاصة ان تسمع لدى قسم ديوان المستشار دون غيره .

واهم القضايا التي تسمع بقسم ديوان المستشار هي ما يلي :

وصية متوفى بعقار

قضايا الشركة

جميع قضايا تسديد الرهن او استرداد العقار المرهون .

المطالبة بانجاز العقود (الاجراء النوعي) .

جميع النزاعات حول الاطفال (ويعني هذا فى القانون الاشخاص الذين هم دون 21 سنة فى عمرهم)

قضايا الوصية ، والطلاق ، والبحرية .

هذه الاقسام من المحكمة العليا ، تتناول ثلاث قضايا جد مختلفة

1 — فقضية الوصية تتناول صحة الوصية . كل الوصايا يجب ان تكون مسجلة ، ومصادقا عليها من محاكم تحقيق الوصية ، وهذا التحقيق يقرر ما اذا كانت الوصية صحيحة ، وصدرت قانونيا . والنزاع حول معناها يسمع فى قسم ديوان المستشار ، كما تقدم .

2 — والطلاق ، كان من قبل مائة سنة خلت ، ممكنا بواسطة حكم البرلمان ، ولكن المحاكم الكنسية استطاعت ان تمنح وتقر التفريق Separation بين الزوج وزوجته بدون فسخ الزواج ، اما الآن فان الدولة تستطيع ان تزوج ، وان تفرق ، وتطلق .

والتفريق يصدر عن المسجلين حماية للزوجات المظلومات او الازواج وحينئذ يؤدي نفقة Livelihood احدهما الطرف المسيء ، كما يقع الطلاق لدى المحكمة العليا بقسم « الوصية ، والطلاق ، والبحرية ، » لما يلي :

الزنى من الزوجة او الزوج

القساوة الدائمة

اختلال العقل الذي دام خمس سنوات

الهجران « Desertion »

فكل هذه الدواعي تلزم الزوجة والزوج ، وكلاهما يمكن ان يطالب بالطلاق ، من اجل ذلك .

3 — والبحرية ، فان المحكمة قد ورثت اختصاص السيد امير البحر الاعلى The Lord High Admiral الذي كان من اختصاصه ان ينتزع السفن من يد المغتصبين (فى بعض الاحيان من المتمردين او القراصنة) فيدها على اصحابها الملاك الحقيقيين . وان يطرد رؤساء السفن ، الذين يستوجبون ان يزالوا، وان ينهوا الخصام بين ملاك السفن المختلفين ، ويمكن هذا القسم ان يباشر قضايا السفن الاجنبية ، ولكن لا يمكنه ان يفعل ذلك بدون مصادقة ممثلين للبلاد التي ينتمي اليها اصحاب السفن المذكورة .

كما انه يمكنه ان يفصل فى المنازعات التي تقع حول جميع السفن التجارية ، فى انجلترا او ولز ، وله كل الصلاحية لسماع جميع الدعاوي بالضرر الواقع على اية سفينة من السفن المذكورة او شخص فيها ، سواء كانت فى البحر او البر او فى النهر بانجلترا اولز.

ولا سلطة له على السفن الحربية ، وكذلك سفن الملك او الملكة ، فلا يمكن ان تحجز مثلا ، وكل ما يقع من ضرر بواسطة السفن الحربية فان الاجراء يكون بان ترفع دعوى على قائد السفينة ، كما ان هذا القسم يباشر القضايا المتعلقة باجر لانقاذ السفينة من الغرق، او الحمولة او انقاذ حياة ركابها ، وقد عطبت سفينتهم بالبحر .

تطوان : محمد بن تاويت

هل انتم مع المدعي او مع المدافـع ؟

فان كان الجواب ، مع المدافع ، فان ذلك يكـون نهاية القضية ، الا ان كانت هناك دعوى فرعية

فان كانت هناك دعـوى فرعية ، او ان هيئـة المحلفين كانت مع المدعي ، فان القاضي يوجه السؤال: على اي مبلغ ؟ فيقرر المحلفون هذا المبلغ . وهذا هـو الفرق بين القضايا الجنائية ، حيث ان هيئة المحلفين ليس لها الا ان تقول : « مذنب » ، او « غير مذنب » والقاضي او المسجل هو الذي يقرر العقوبة . امـا في القضية المدنية ، فان هيئة المحلفين هي التي تقـرر – معا – الذنب في احد الخصمين وماذا تكون عقوبته .

وحينما لا تكون هناك هيئة محلفين ، في القضية المدنية ، فان القاضي هو الذي يقرر الحكـم . لكـن القاضي ، بخلاف هيئـة المحلفين ، عليـه ان يبيـن تماما الشواهد والعلل التي اعتمد عليها في اصدار حكمه ذلـك .

فان لم تتفق هيئة المحلفين على حكم ، فان المدعي يمكنه ان يطلب محاكمة اخرى، تكون فيها هيئة محلفين غير هـذه .

المصـاريـف

ان النظام المتبع في القانون الانجليزي ، ان المصاريف تكون تابعة لنتيجة الحكم ، ومعنى هذا ان الطرف الذي حكم عليه ، عليه ان يؤدي كل تكاليف القضية ، قضيته التي خسرها ، وقضيـة خصمـه الـذي حكم لـه ، والرئيس او المسجل هو الذي يقدر هذه المصاريـف المعقولة ، الا ان هذه المصاريف الرسمية (المصاريـف التي تؤدى ضريبة كما يدعونها) ربما تكون اقل بكثير من المصاريف الحقيقية ، اذ ربما يكون طرف النزاع او الطرفان معا قد استعملا الوكلاء المعروفين باجورهـم المرتفعة ، وكذلك المحامون Barristers . كما انهمـا ربما يكونان قد انفقا اموالا كثيرة على الشهود ، حيـن حشدهم كحجج للقضية ، فيكون ذلك اكثر مما يقدره المسجل ، ويحسبه تقديرا معقولا . وعليه فالشخص الذي يسترجع جميعمصاريفه يعد نفسه محظوظا جدا، ومع هذا فان العدالة في انجلترا تجري في سرعة ، وفي بساطة ، وعدل متناهي الدقة ، فلم يقع مطلقا ان احدا ادعى ان قاضيـا او مسجلا يمكن ان يرتشي ، او ان يتأثر بالدولة في اي حال من الاحوال ..

والمصاريف في المحاكم الاقليمية اخف بكثير من غيرها في المحكمة العليا ، ولهذا فان الخصوم يتوقـون الى ان تسمع قضاياهم في المحاكم الاقليمية ، مـا استطاعوا الى ذلك سبيلا . وفي جميع جهات انجلترا توجد هذه المحاكم الاقليمية ، وحتى في لندن نفسها .

اختصاصـات محاكم الاقاليـم

ان القضايا المدنية الصغيرة تسمـع بالمحاكـم الاقليمية ، اما القضايا الاكثر اهمية فتسمع بالمحكمة العليا ، اما في لندن او بالمحاكم الدورية وبهذه المناسبة يجب علينا ان نكون اكثر ضبطا ، فنبين مـاذا نعني بالقضايا الصغـرى ؟

ان كل قضية يكون فيها النزاع على ما قيمته اقل من 100 لبرة ، تعتبر قضية صغيرة ، فتسمع لـدى محاكم الاقاليم .

اما ان كان المبلغ المدعى به اكثر من 100 لبرة فان المدافع له ان يصر على عرضها لـدى المحكمة العليـا ، وهذا يكون سواء في العقود وفي الجنـح .

الا ان محاكم الاقاليم لا يمكنها ان تباشر قضايا القذف ، والهجو ، ونكث الوعد بالزواج ، والاغـواء لهتـك الاعراض .

وبالرغم من ان المصاريف تتبع نتائـج الحكـم في كثير من القضايا ، فان القاضي يمكن ان يخالف المعتاد فيأمر بان يؤدي طرفاالنزاع هذه المصاريف، كل حسب ما ينوبه . فان كان المدعي في المحكمة يدعي بقضيته نكث اتفاق يؤدى فيه كتعويض خسارة اقل من 40 لبرة ، فـان المصاريف التي تنوبه لا توخذ من المدافع ، كمـا انه في الجنح لا توخذ منه ان لزم المدافـع اقل من 10 ليرات كغرامة .

الشهـود في القضايـا المدنيـة

ان اجراءات الشهود في المحاكم المدنية هي نفسها في المحاكم الجنائية ، ونفس القواعد حول القضايا التي تفضي اسئلة الشهـود فيهـا الى اسئلـة اخـرى « Leading questions »

ويحلف الشاهد انه : « سيقول الحق ، وكـل الحق ، ولا شيء الا الحق » . ويقـول هذا علانيـة ، حينما يذهب الى منصة الشهود . فان اتضح انـه ادى عن عمد شهادة زور، فانه يحاكم بتهمة خطيرة ليمينه الغموس .

واذا كانت الاسباب النفسية قد تشرح ظاهرة الطلاق فى حياتنا فان العامل الاجتماعي يمكن ان يلقي بعض الاضواء على هذه الظاهرة ، فمثلا نرى ان الحياة المعاصرة حررت الى حد كبير المراة من الواجبات المنزلية التي كانت تقعدها فيما مضى فى المنزل طيلة اليوم فبدات المراة تهتم بالحياة الاجتماعية فى العالم الخارجي حيث الاندية والجمعيات ودور اللهو، والعمل المباح للمراة قد يشجعها على الطلاق ما دامت تستطيع الحصول على المال اللازم لتوفير ضروريات الطعام والايواء واللباس ، والعمل قد يعطيها الشعور بالتحرر والاكتفاء الذاتي بل قد يكون عندها الشعور بالتعالي والافضلية على الزوج ، وهذا الزهو يجعلها تتحرر بسهولة اذا ما وقع اي خلاف بينها وبين زوجها . والمدرسة المعاصرة تهتم بالفرد كفرد مستقل له شخصيته المستقلة وله كيانه دون تمييز بين الرجل والمراة ، فتكاد التربية تكون تربية انانية لانها لا تهتم - الا قليلا - بغرس الشعور بالمسؤولية والتدريب على الحياة الزوجية على اساس ان الحياة المشتركة فى الاسرة لها مشاكلها الخاصة بها ، والمدرسة لا تؤهل الشباب الى حل هذه المشاكل ، فكأن النظام الاجتماعي المعاصر يشجع على تفويض الاسرة ما دام لم يقدم اي اعداد لها ، فهو يحرر المراة ويشجعها على هذا التحرر ، ثم يقدم للرجل جميع المغريات التي تجعله يعبث بالواجبات الزوجية ، ومن جهة اخرى نرى برامج التعليم لم تقدم الوقاية اللازمة منذ فترة المراهقة بان تخصص للطلبة حصصا اسبوعية تتناول كافة مشاكل الزواج والحياة الزوجية ، بل تركت الشباب والمقبلين على الزواج يستقون الاخبار حول الزواج من افواه العوام والجهال والمغرضين والفاشلين، فيقبلون على الزواج وهم يحملون بصفة سلبية الاستعداد للطلاق بطريقة لا شعورية ، وهذا هو الذي يشرح لنا الاسباب التي جعلت الطلاق فى امريكا مثلا تصل الى نسبة حادثة طلاق فى كل اربع زيجات وكانت هذه النسبة فيما قبل تصل الى نسبة واحده فى خمسمائة عقود زواج .

ومن جملة هذه الاسباب الاجتماعية البون بين مستوى الزوجين فى الاعتبار الثقافي والتربوي والعقائدي والعائلي ، فكلما كانت المسافة شاسعة بين الحدود الثقافية والعقلية ، كانت الاسباب متوفرة للنزاع والخلاف فالطلاق ، فالجامعي الذي يتزوج فتاة جاهلة يصعب عليهما تحقيق التفاهم المنشود ، وكذلك اذا كانت التربية الاجتماعية مختلفة ، كأن يتزوج شاب محافظ نشا فى وسط متدين بفتاة متحررة الفت الاستقلال فى الراي والسلوك او العكس ، وكذلك اختلاف الدين عند الزوجين فهو من دواعي الشقاق والنزاع .

وهنالك سبب آخر يتعلق بالقوانين السائدة كأن تكون القوانين تستجيب بسهولة لكل راغب فى الانفصال فان النهاية المحتومة تعدد حوادث الطلاق ما دام الامر بهذه السهولة وكلما اشتد القانون فى عدم مجاراة العابثين بعرى الزوجية كلما قلت حوادث الطلاق الذي لا يسمح به الا فى الظروف القاهرة التي لا مناص منها .

ويلاحظ ان الاسباب الاجتماعية للطلاق لا تكون ذات مفعول الا اذا كان هنالك استعداد نفسي لها فكان العلل الاولى مستمدة من اعماق النفس قبل ان تخرجها الى الوجود الدواعي الاجتماعية .

ويخطىء الظن من يعتقد ان الطلاق هو نهاية ماساة اي زواج فاشل ، فالطلاق هو نفسه مشكل معضل لان آثاره النفسية السيئة على الزوج والزوجة لا تقل خطورة عن مشاكل الزواج .

فالطلاق فى معظم الاحيان لابد من ان يقترن بالكثير من المشاكل المتعلقة بالنفقة وتربية الاولاد ومؤخر الصداق وشتى التسويات المادية وهذه جميعها تكون سببا فى التوتر الوجداني والصراع النفسي ، وبمجرد ما يتم الطلاق فان المطلق يجد نفسه فى عالم جديد لم يالفه فيبدأ فى التكيف مع الوضعية الجديدة ، ولعل اول هذه التبدلات ما يصيب العادات الجنسية ، فهو اما ان يرتمي فى احضان الفجور والفساد ويعيش حياة

التشريح النفسي للطلاق

للاستاذ
جمال الدين البغدادي القادري

اذا كانت الاسرة هي الخلية الاولى للبنية الاجتماعية فان سلامتها هي سلامة المجتمع ولذلك وجبت المحافظة عليها بشتى الطرق ، لان المجتمع المستقر يبدا انحلاله يوم تتفسخ هذه الحجيرة الاساسية وهي الاسرة ، وقد بدا العلماء يقومون بدراسات جدية منذ اواخر القرن التاسع عشر (واخص هذه المذاهب بالذكر مدرسة « فريديريك لويلي » صاحب حركة الاصلاح الاجتماعي سنة 1870) فالقوا الاضواء على اساليب التعاون والعلاقات فى صميم الاسرة .

وهذا الاهتمام التشريحي بكيان الاسرة هو بمثابة دراسة الخلية او الجسم حينما يكون سليما من الامراض ، فلابد من ان يتبع بمرحلة اخرى حول تشخيص الاخطار والامراض التي قد تحف او تصيب الاسرة ، ولا شك ان ظاهرة الطلاق هي الداء العضال او الميكروب المميت الذي يتحقق بمفعوله التقويض الشامل لاقدس بنيان اجتماعي ، وتشريح هذه العلة من مستلزمات العلاج ولو ان علاج الامراض النفسية والاجتماعية لا يتوقف على ظاهرة واحدة حيث ان الجوانب متداخلة متشابكة .

ان الزواج السعيد يقوم اساسا على جملة من الشروط ولعل اهمها شروط اربعة : النضج العاطفي عند الزوجين ، والاحترام المتبادل ، والاستعداد للتضحية فى سبيل الآخر وابداء مظاهر الاهتمام والحنو ، واخيرا التجاوب الجنسي ، ومن النادر ان نجد هذه الشروط متوفرة جميعها قبل الزواج بل كثيرا ما نرى هذه الاستعدادات تنمو ابان الحياة الزوجية المشتركة وقد تتحقق وقد لا تتحقق ، ولعل الزواج الناجح هو فى المحاولة الدائمة والرغبة الحرة فى خلق هذا الانسجام النفسي الاجتماعي الجنسي ، فهنالك جهد مبذول متبادل لتحقيق التوازن من طرف الزوجين اولا ثم من البيئة الاجتماعية اخيرا

ويرى بعضهم ان التجاوب الجنسي هو هذا الشرط الاساسي الذي اذا لم يوجد يجعل الاسرة تعيش فى جحيم ، لان عدم الارتواء الجنسي يخلق ردودا على كافة التصرفات من قبل الزوج والزوجة، والواقع ان فقدان التوازن الجنسي آت من اسباب نفسية اخرى كعدم قبول المراة للحمل اذ يجعلها تمانع ولا تقبل على العلاقة الجنسية بكل ابتهاج ، وهذا النفور يؤثر على التصرف الجنسي للرجل فينعدم التجاوب ، وكذلك اذا صمم الرجل على عدم احترام الرابطة الزوجية كأن يتعرف على امراة اخرى فيبدا النفور من الزوج . وهكذا نجد فى اغلب الاحيان ان البرود الجنسي له سبب او اسباب نفسية اخرى .

ومن العلل الاخرى اللانضج الانفعالي والنفسي اذ الكثير من الناس لا يستطيع الحياة الزوجية بطبيعتهم ، لكن قلما نجد اباء يدركون هذا فلا يتصورون ان هناك اشخاصا لا ينسجمون مطلقا مع الزوجة لصغر السن مثلا ، او لنقص فى التربية الاجتماعية ، فاذا هم تزوجوا وقعوا فى ازمات نفسية قد تؤدي بهم الى الجنون ، وهنالك اخرون لم يدربوا بعد على الحياة المشتركة ، لان نموهم الانفعالي متأخر وهؤلاء يجب اعدادهم لهذه الحياة ، وهنالك من اخذوا افكارا خاطئة عن الزواج على اساس انه تقييد للحرية وقضاء على الشخصية ، وهؤلاء جميعا اذا ما تزوجوا فقد حملوا معهم البذور للطلاق وكانوا زبائنه المقربين

في الحكم الأدبي

للاستاذ : عبد العلي الوزاني

كثيرا ما نقرا او نسمع المحاولات النقدية للاعمال الادبية ، فنرى اصحابها يسارعون الى اصدار احكامهم الادبية الجازمة وكانها القول الفصل الذي لا مرد عليه ، وقل ان نرى منهم من يحتاط لنفسه ويتحرى الدقة والتريث فى التحليل ، حتى ينتهي الى الحكم الذي يأتي كالنتيجة الطبيعية لما سبقه من مقدمات او كالمرحلة النهائية التي تستريح عندها النفس والفكر بعد جولة فى مطاوي العمل الادبي وما فيه من دروب العمل او معارج العاطفة ، فما اشد شغف النقاد بالوصول سريعا الى ابقاء الحكم الادبي على العمل الادبي بانع غث او سمين ، رفيع او وضيع ، وكان الحكم غاية يقصد لذاته ، ليؤكد لنا ان للناقد رايا جب ان نعرفه فى الاداب والفنون ، وما اشد ما نضيق بهذه السرعة وهذا الارتجال فى اصدار الاحكام ، ذلك انها تفوت علينا لذة التحليل الفني العميق الهادىء ، وتحرمنا متعة التعرف الى شخصية الاديب المنتج ، والجو النفسي الذي تهيأ له فيه أن يقول قصيدته ، او يكتب قصته او مقالته ، طالما ان هذا هو المفتاح الذي نفتح به مغاليق الاثر الادبي ،فنغوص الى اعماقه وابعاده النفسية والفكرية ، ففي اعتقادي ان الناقد يخطىء عندما يستاثر بمتعة القراءة النقدية المتانية ، حتى اذا فرغ منها القى الينا بحكمه النهائي ، اذ فاته اننا لا يمتعنا شيء كما يمتعنا ان يشركنا معه فى قراءته ، وتفاعله مع الاثر المنقود ، وان ياخذ بيدنا ليضع اصابعنا على نواحي القوة ونواحي الضعف فى اعمال الادباء .

ونحن لا نبعد اذا قلنا ان التسرع فى اصدار الاحكام علامة على ضعف الوسائل ، وعدم استكمال الاداة النقدية الصحيحة ، فاشد النقاد ولعا باصدار الحكم قبل التريث والاناة وحسن التاني ، هم اولئك الذين يخطون الخطوات الاولى فى ميدان النقد الادبي، ولكن كثيرا ما نرى حتى النقاد الذين تقادم العهد بهم ، لم يتخلصوا من هذه السذاجة ، سذاجة السرعة فى اصدار الاحكام ، اما لانهم لم ينموا ثقافتهم النقدية واما لانهم لا يحترمون القارىء ، فما ان يتناولوا عملا ادبيا بالنقد حتى يبادروا الى الانتهاء منه بعد نظرة جد سريعة .

اما بعد ، فان هذا الذي نسميه (حكما ادبيا) يعد فى عرف نقاد الادب امرا خطيرا يخضع لمؤترات ولعوامل معقدة ، ويترك آثارا كثيرة فى التاريخ الادبي ، ولهذا سنحاول ان نوضح بقدر الامكان خطورة الحكم الادبي وما يكتنفه من عوامل ، ويحيطه من ملابسات ، وما يتاثر به من ظروف .

ان الحكم علي الاشياء المادية المحسوسة سهل ميسور ، فما ايسر ان نرى امراة فنحكم بانها جميلة او غير جميلة ، وما اسهل ان ندخل الى حديقة وبمجرد ان نشملها بنظرة نحكم بانها رائعة اولا ، وقل هكذا فى جميع المحسوسات ، ذلك لانها نتصل بها اتصالا مباشرا عن طريق الحواس ، وسرعان ما تنشىء فينا اثرا واضحا يقذف الى لساننا بالحكم للشيء او عليه ، ولكن تعال لننظر الى الامور المعنوية كالادب ، فاننا سنجد ان الاحاطة بخصائصها ومميزاتها ـ وهي ضرورية للحكم ـ فى منتهى التعقيد والغموض ، وان التفاعل معها يحتاج الى قوى روحية وفكرية اعمق وابعد مدى ، ومن تم جاءت كثرة اختلافات الادباء والنقاد فى المذاهب والاتجاهات ، فالامر يتعلق بالمعنويات ، وهي مما يتفاوت الناس تفاوتا كبيرا فى تصوره والشعور به ، والاستجابة له ، والحكم عليه ، اضف الى ذلك ان رصيد القارىء للادب من التجاريب ، له اثر كبير فى مدى ما يعنيه النص الادبي بالنسبة اليه ، فالناقد ذو الرصيد الضخم يدرك من النص الادبي اعمق اسراره ، ويشعر بسادق نواحيه الفكرية والعاطفية ، وهذا ما لا يستطيعه الناقد المتوسط الرصيد او الضئيل الرصيد ، واذا قلت

بوهيمية تحفها المشاكل والاخطار والامراض ، واما ان ينطوي على نفسه فيقع فى امراض عشــق الــذات وفى الاساليب المنحرفة للاشباع الجنسي ، وهذا ما يقـع تقريبا للمراة ولو ان الدواعي لذلـك مختلفة حيث ان المراة بعد الطلاق غالبا مـــا تعود الى اهلها وهنالك فى هذا الوسط الجديد الغريب عليها قد تشعر بالنقــص والفشل والتفاهة ، فتحاول التخلص بشتى الوسائـل واغلب الاحيان ما تكون هذه الوسائل شاذة منحرفة .

واضرار الطلاق تصيب اكثر ما تصيب الاولاد ، لان الابناء يجدون انفسهم فى وسط بيت محطم واسرة مفككة ، فالاطفال فى حاجة ماسة ومستمره الى الســنـد العاطفي ، ولا يمكن لاية هيئة اجتماعية او لاي فـــرد كان ان ينوب عن الام او الاب ، وهكذا تتكون لديهــم العقد النفسية، كالشعور بالنقص، والانطواء على النفس والاضطرابات الجنسية بالاضافـــة الـى الافـــات الاجتماعية الاخرى كالتشرد وسوء التربيــة .

وصفوة القول ان مشكلة الطلاق مشكلة نفسية اجتماعية معقدة المظاهر خطيرة العواقب ، وعلاجهـا لا يكون آنيا بل يجب ان يحصل منذ المراهقة ان لـم يكن قبل ذلك ، واذا كان الطلاق ظاهرة طبيعية لا سبيل من القضاء عليها كل القضاء فـان لدينا الكثير مــن الوسائــل لتخفيف مئاسيها ، والمسؤولية تقـع اولا واخيرا على المؤسســات الاجتماعية مــن الاسرة الــى الدولة لان الزواج السعيد هو وحده الكفيل باعـــداد الجيل الصالح والناشئة الصالحة هي المستقبل المشرق باتفاق كافــة الآراء والمذاهب .

الرباط : جمال الدين البغدادي القادري



الادب عبء الاحكام التي كثيرا ما تكون ارتجالية غير مبنية على نوع من البحث الجاد المخلص ، ولكني ارى ان هذا النوع من النقد الوصفي لابد ان يشي بذوق الناقد ، وبموقفه من العمل الادبي الذي ينقده ، فياتي حكمه حينئذ ضمنيا لا صريحا ، بل نذهب الى ابعد من ذلك فنقول : ان مجرد اختياره لعمل ادبي بالذات ليجعله موضوعا للنقد او التحليل يتضمن حكما من نوع ما بالنسبة لهذا العمل ، غير معقول اختار – مثلا – قصيدة لشوقي او لمطران لانقدها دون ان اكون قد اعطيتها نوعا من الافضلية الضمنية ، ومعنى هذا اني باختياري لها قد حكمت لها ضمنيا بانها مما يستحق النقد ، دعك من طريقتي فى التحليل ، واسلوبي فى ابراز الخصائص والسمات ، وما يبدو من اعجابي ببعض الصور ، وفتوري امام اخرى ، فلفتي ولهجتي وكلماتي وما بين سطوري ، كل ذلك يشي بموقفي من القصيدة، ويوحي بمكانتها عندي ، مهما بذلت من جهد لاخفي حكمي على جمهور القراء .

وعندي ان الحكم على الاثار الادبية او لها امر لابد منه ، وهو ضرورة تقتضيها اعراف النقد الادبي وتوحيها الرغبة الملحة فى وضع الامور مواضعها ، وتصحيح اوضاع الحياة الادبية ، فكم يملأ الكتب والمحلات الادبية من اخطاء كثيرة فى الاراء والمذاهب والاتجاهات ، فلو لم يكن لها النقاد بالمرصاد ليبرزوا منها الصحيح والزائف ، والاصيل والمموه المزور ، لتفاقم امرها ، ولاصبح الادباء المنتجون فى منجى من هيبة محكمة النقد التي ترد الامور الى نصابها ، وتصحح الاوضاع ، وتصون القيم ، وتحفظ للادب حرمته ان يعتدي عليها معتد زائف ، بالامس القريب طلع الدكتور طه حسين على الناس بفكرة اطاحت بالنشاط الادبي لدى العرب الجاهليين ، وانكرت كل ما نسب اليهم من شعر ، فأي ضرر كان سيلحق تاريخ الادب العربي لو لم يقل النقد كلمته فى الموضوع ، ويبين ما فى الفكرة من خطأ فاضح ؟ اذن فلابد من الحكم ، وكل ما نطالب به الناقد ان يجنب احكامه الجزم والقطع والتعميم ، ما دام الادب لا يعرف الكلمة الاخيرة فى مسالة من مسائله كما هو معروف .

والاحكام الادبية نوعان : نوع صادر عن النقاد المتخصصين الذين انصرفوا الى هذه الصناعة فحذقوها والموا بدقائقها ووقفوا جهودهم عليها ، فكانوا كالصيارفة الذين تربت فيهم المقدرة على التمييز بين الدرهم الصحيح والدرهم الزائف ، ونوع صادر عن الجمهور الذي يحتوي على اصناف متباينة من القراء من حيث شكل الثقافة ومداها ونوعيتها ووجهتها ، وقد استقر الان فى اذهان الباحثين ان حكم الجمهور على عمل ادبي لا يصح ان يكون مقياسا لتقديره ووضعه فى مكانه اللائق به ، كما ان شدة اقبال الجمهور على عمل ادبي واعجابه به ، ليس دليلا دائما على سموه واستحقاقه للبقاء ، ذلك ان اوسع الاثار الادبية انتشارا لدى الجمهور هي تلك التي غالبا ما تتملق غريزة ، او تدعو الى بدعة فى الحياة ، او تتناول قضية من قضايا الساعة، فتكون قيمتها موقتة ، فاذا ما مرت اسباب الافتتان بها اصبحت منسية مهملة ، ولكنا فى الوقت الذي نقول فيه هذا الكلام يجب ان نعترف بان الجمهور قد يعجب باثر ادبي عظيم حقا وقد يستمر اعجاب الاجيال به آمادا طويلة ، ولكن نادرة هي تلك العبقرية الادبية التي تستطيع ان تخلق من الاعمال الادبية ما يجمع الى عمق الفكرة وسمو الوسيلة ، القدرة على التسلل الى قلب الجمهور والاستحواذ عليه .

فالحكم الذي يصدره الجمهور على عمل ادبي – بناء على ما تقدم – لا يصح الاخذ به ، طالما ان الجمهور – واغلبه من القراء العاديين – تاتي احكامه مرتجلة ، وبعيدة عن الدقة والتحقيق الجديرين بالناقد الحق ، وللادبية المصرية سهير القلماوي راي فى هذا الموضوع ، وهو ان الجمهور يصح ان يؤخذ رايه فى الفن الادبي ذي الصبغة الاجتماعية كالمسرحيات ، ذلك ان هذه تتجه بطبيعتها اولا الى الجمهور ، لتنشر فيه فكرة او تثير عاطفة معينة ، ولكني اعقب على هذا الراي بان الجمهور لا يدرك من المسرحية الا اقل جوانبها شأنا ، وهو الجانب الحسي ، فالحركة الحسية التي قوامها الاشارات وسلسلة الاعمال التي تتوالى على انظار الجمهور ، هي التي تستبد باهتمامه وانتباهه ، وكلما كانت هذه تمثل ما يجري فى الحياة تمثيلا صادقا كلما اشتد اعجاب الجمهور بها ، ولكن الجمهور لا يقف ليتساءل عن العناصر الفنية للمسرحية ، هل بينها انسجام اولا ، وما مبلغ البناء الفني للمسرحية ، هل بينها انسجام اولا ، وما مبلغ البناء الفني فيها من التنسيق والجمال ، وعن اسرار الحوار ، – وهو العمود الفقري للمسرحية – وما مبلغه من القدرة على رسم الشخصيات ، وخلق الجو ، والقاء الظلال ، وما مكانة هذه المسرحية بالذات بين اعمال الاديب الذي انتجها، وهل كان فيها مبتكرا او مقلدا ، وهل قفز بها الى الامام او ارتد الى الوراء ، او وقف عند مستواه المعهود ، ثم ما مكانة مسرحيته بين الوان الانتاج المسرحي فى الادب

التجارب فانما اعني بها المواقف الفكرية والعاطفية التي وقفها الشخص امام صور الحياة والوانها المختلفة ووجوهها الكثيرة .

والحكم الادبي يتطلب دقة فى البحث ، وتانيا فى الدرس ، وتثبتا من خصائص المنقود ، لوضعه فى مكانه الصحيح ، حتى لا تختلط القيم ، وتضطرب الموازين ، وتوضع الامور فى غير مواضعها ، فيرفع من الادباء من كان من شانه ان يوضع ، ويوضع من كان من شأنه ان يرفع ، ولا ننسى ثقافة الناقد ، فانها من اسس النقد الادبي ، وهي عدة الناقد — الى جانب الذوق الجميل — فى الوصول الى احكام صادقة عادلة، فكم من ادباء ظلموا لانهم ابتلوا بنقاد ليسوا من الثقافة الممتازة فى شيء ، فشوهوا مزاياهم ، ومسخوا خصائصهم ، وزوروا اقرارهم ، واساءوا الى الحقيقة والتاريخ ، وشر ما يبتلى به اديب ناقد جاهل ، فمن يتصدى للقضاء الادبي خليق به ان يتخذ العدة ، ويستكمل الوسائل ، من ثقافة صحيحة ، واطلاع واسع ، وادراك شامل لمشاكل الادب والنقد ، وتمكن من ناصية اللغة .

وشيء آخر . فالحكم الادبي له ارتباط متين بالجو النفسي الذي عاش فيه الناقد عند اصدار حكمه، من انقباض او انبساط من تفاؤل او تشاؤم ، من صحة او مرض ، من قلق او استقرار ، من صفاء او كدر ،وكل هذه الاجواء تلقي ظلالا كبيرة على احكامنا الادبية ، وتعطيها لونها الخاص ، لهذا قد يناقض الناقد نفسه فى اليوم الواحد ، تبعا لتطوراته النفسية ، وقد يقرا عملا ادبيا فلا يثير فيه كبير اهتمام فتمر بضعة ايام فيعيد قراءته،فيدهش ان يرى ان فيه نواحي جديرة بالاهتمام لم يفطن لها من قبل ، فليكن الناقد على حذر من مزاجه وحالته النفسية ، فكثيرا ما تفسد عليه عمله ، وتجعله — عن غير قصد — يتلاعب بمصير الادباء واقرارهم . ومن هنا وجب الاخذ بمقاييس النقد الادبي ، ومحاولة التوفيق بينها وبين الذوق الخاص بالناقد ، حتى نامن الفوضى والاضطراب فى تقرير مصير الاعمال الادبية ، وحتى نكون موضوعيين ما امكن ، نتخذ من تلك المقاييس ضابطا لاذواقنا المتباينة ، وامزجتنا المتقلبة .

ويخطيء الناقد خطأ فادحا عند ما يحكم على اديب او له بالسمو او الانحطاط ، مقتصرا على نموذج واحد من اعماله الادبية ، فالحقيقة ان شخصية الادب ذات جوانب وابعاد ، وهذه لا تظهر فى عمومها الا بالنظر الى كل ما انتجه او جله ، والشخصية الادبية اذا كانت لها جوانب قوية رائعة ، فهي لا تخلو من جوانب اخرى ضعيفة باهتة ، واذن فالاقتصار على لون واحد من انتاج الاديب قمين ان يجعلنا بعيدين عن الالمام بشخصيته الكاملة ، ومن هنا جاء ضعف النقد الادبي العربي القديم ، فغالبا ما كان يقضى للشاعر او عليه بقصيدة من قصائده ، بل ببيت من قصيدته ، بل بشطر من بيته ، ان ملامح الاديب تتوزع بين اعماله الادبية . فاذا شئنا الالمام بها كلها وجب ان نقرا له جميع ما انتج او اكثره ، واذا امتنع عندنا ان نحكم على اديب بالنظر الى اثر واحد له ، فان من الممكن ان نحكم على الاثر نفسه ، منفصلا عن بقية الاثار الادبية الاخرى لصاحبه ، فانا مثلا اقرا كتاب (زهرة العمر) لتوفيق الحكيم ، فان لي ان احكم له او عليه ، مستقلا عما عداه من كتب الحكيم الاخرى ، ولكن لا ابيح لنفسي الحكم على توفيق الحكيم نفسه بالنظر الى هذا الكتاب فقط . هناك فرق اذن بين الحكم على العمل الادبي ، وبين الحكم على الاديب نفسه .

والحكم الادبي يجب ان يكون بعيدا عن الحسم والجرم ، اذ الاحكام الجازمه الفاطعه . من شانها ان تغلق الباب امام الباحثين الاخرين ، وهي تسد الطريق على صاحبها نفسه ، اذ لا يمكنه ان يغيرها بسهولة متى عن له خلافها . او ظهر له ان فيها تجاوزا عن الحقيقة. الحكم الادبي الجازم الفاطع غل فى عنق مافيه ، يفقده المرونه ، ويجعل كلمة تخرج من فيه او من سنان قلمه ضربة لا رب ، نعم هو يستطيع ان يلغيها بجرة قلم ، ولكن كم يكلفه ذلك من فقدان ثقة القراء باحكامه ، ومن وقوع فى التناقض وتخبط فى مزالق فكرية وعرة ، وعلى هذا ليكن الحكم الادبى مرنا محتملا للتغيير ، قابلا للتحوير ، لنفرض انني مثلا عثرت على قطع ادبية لاديب غير معروف ،فلو تعديت للحكم عليه من خلالها للزمني ان اجعل حكمي من المرونه بحيث يمكن تعديله فيما لو اكتشفت له نماذج اخرى اقتضت اعادة النظر فى ادبه على اسس جديدة فلو اني حكمت عليه حكما جازما قاطعا اصعب علي جدا ان اغير من اسس هذا الحكم .

وقد غالى بعض نقاد الادب، فذهبوا الى ترك الاخذ بمبدا الاحكام الادبية ، والاستعاضة عنها بذلك النقد التحليلي الوصفي الذي يكتفي بابراز الصفات الفنية والعاطفية للعمل الادبي دون ان يحكم لها او عليها ، تاركا امر قبولها او ردها الى اذواق القراء ، وهم يستانسون بان التحليل المحايد يعوضنا عن الحكم بنعمة الدرس العميق ، والتحليل الدقيق ، ويخفف عن

الممالك الإسلامية القديمة في افريقيا السوداء

للاستاذ
قاسم الزهيري

يتعرض الباحث فى تاريخ افريقيا السوداء الى صعوبات جمة ناشئة عن انعدام المصادر . وخاصة منها المصادر البعيدة عن الاغراض والتي لايتطرق الشك الى صحة رواياتها . وهناك عقبة كأداء لم يستطع الباحثون لحد الآن ان يذللوها لمعرفة حقيقة المدنيات التي تعاقبت على افريقيا السوداء وهي فقدان الكتابة خلال قرون عديدة، الى القرون الوسطى حين ادخل الفتح الاسلامي فى الجزء الغربي بالخصوص من هذه القارة الكتابة العربية فأصبحت لغة التراسل والمعاملات والعقود وما الى ذلك . واذا عرفنا ان نشوء الممالك الافريقية يرجع الى بدء التاريخ ، ادركنا ما اضاعه عدم استعمال الكتابة من اخبار الدول والمدنيات التي نشأت فى افريقيا السوداء .

وان الباحث ليندهش من وفرة الدول والممالك التي شهدتها هذه الارض والتي لم يبق من اغلبها الا الاسماء . فلقد عفت اثارها تحت مفعول الاحداث الجسام التي مرت على افريقيا السوداء منذ فجر التاريخ الى الآن . اذ كانت على الدوام مسرحا لقيام دول وزوال اخرى . وكل دولة تأتي انما كانت تقوم على انقاض سابقتها . فلا يبقى من اثارها ـ بسبب انعدام الكتابة ـ الا ما يتناقله المنشدون والعامة من اساطير وخرافات مما جعل الباحثين المعاصرين ييأسون من كتابة تاريخ مضبوط لافريقيا السوداء وكثير منهم يدعون ان تاريخ هذه القارة عبارة عن مشاجرات قبلية لاتستحق الذكر . وهو زعم باطل كما سنرى من خلال حديثنا عن بعض الممالك الاسلامية .

ثم ان الغزو الاوروبي منذ القرن السابع عشر الى اليوم قضى على ما تبقى من المصادر التي يمكن ان يرجع اليها الباحث فى تاريخ افريقيا السوداء . اذ زيادة على ضياع الكثير من الكتب التاريخية خلال الاحقاب الاخيرة بسبب الاهمال والحروب ، فقد نقلت وثائق كثيرة الى المكاتب الاوربية ولم يعرف ما تضمنه لحد الآن . بينما اخذ بعض ادعياء التاريخ من الاوروبيين يضعون مؤلفات ابعد ما تكون عن النزاهة فيرفعون من شأن الغزو الاوروبي ويحطون من قدر المقاومين الابطال الذين اعترضوا سبيله ، كما ينالون من مكانة الدول التي نشأت قبل هذا الغزو بعدة قرون . واغرب من هذا وذاك ان تاريخ افريقيا السوداء فى نظر هؤلاء انما يبتدىء من الغزو الاوروبي. وكل ما سبق هذا الغزو انما هو لغو واساطير ان لم يكن همجية ووحشية .

على هذا الاساس كان يلقن تاريخ افريقيا السوداء الى الناشئة .

ومن حسن الحظ ان استرجاع هذه القارة لحريتها اقترن بنهضة تاريخية بدانا نشاهد بوادرها الآن ، حيث راح كثير من الباحثين الافارقة ينقبون على دفائن تاريخهم، ويحاولون استكناه اسرارها . وظهرت بعض المؤلفات التي تشير الى المدنيات التي تعاقبت على هذه القارة . ويشارك فى هذا المجهود بعض المنقبين الاوروبيين كذلك .

انه مجهود ما يزال فى طور الابتداء ، لكنه ينبىء عن حضارات زاهرة سبقت الحضارة الحديثة بقرون.

وفيما يخص الموضوع الذي جعلناه حديثنا اليوم وهو الممالك الاسلامية فى افريقيا السوداء . فان هناك بعض المصادر التي يمكن ان يرجع اليها الباحث . فهي وان كانت لا تفي بكل جوانب الموضوع الا انها تعطي صورة تقريبية عما بلغته هذه الممالك من ازدهار ورقي .

وفى المقدمة نجد المصادر العربية لاشهر المؤرخين والجغرافيين والرحالة . وذلك ان افريقيا السوداء مذ كانت وهي متصلة بالمغرب وافريقيا الشمالية عموما. خصوصا بعدما دخل الجمل الى هذه القارة قبل فجر التاريخ بقليل فأحدث ثورة فى طرق المواصلات لا تقل فى ذلك العصر عن الثورة التي احدثتها المواصلات الجوية فى تقارب الشعوب فى عصرنا هذا .

الذي ينتمي اليه وهلم جرا . فكل هذه النواحي وغيرها من الدرس ، لا تعني الجمهور ، وانما تعني الناقد المتخصص ، الذي يسلط على المسرحية من شعاع فكره الناقد ، فاذا هي تتكشف عن موضوعات كثيرة للدرس والتحليل .

وقد يعن لاحد ان يعترض : ولكن الجمهور متى كان واسع الاطلاع ، عميق الثقافة ، بعيد مرامي التفكير، لا يصدق عليه ما تقول ، وانما يصدق على ذلك الجمهور البسيط في ثقافته وذوقه الفني ، ويكون جوابي على هذا الاعتراض المفترض ، ان الجمهور ولو بلغ ما بلغ من الثقافة ، لا يستطيع ان ينصرف لنقد اثر ادبي كما ينصرف اليه الناقد المتخصص ولا يملك من وسائل النقد الادبي وادواته ما يملك ذلك الناقد الذي وهب للنقد الادبي حياته واعصابه وفكره ، وجعله المحور الاساسي لنشاطه الادبي .

وعلاوة على ما تقدم فالجمهور تتفاوت درجات تجاوبه مع المسرحية حسب اختلاف انواعها، فالمسرحية الاجتماعية اقرب الى مداركه من المسرحية التاريخية، وهذه اقرب اليه من المسرحية الاسطورية او الرمزية ، ثم ان المسرحية النثرية اقرب اليه من المسرحية الشعرية ، وهكذا نجد ان هناك انواعا من المسرحيات شكلا وموضوعا لا ينفذ اليها الا الناقد المتخصص ، فمسرحية (اهل الكهف) لتوفيق الحكيم عندما عرضت على الجمهور ممثلة على خشبة المسرح ، لم تلق نجاحا كبيرا ، لان الحركة الفكرية فيها اقوى من الحركة الحسية ، ولكن في الوقت نفسه ذهب الدكتور طه حسين الى انها حدث ادبي جديد في الادب العربي ، ذلك لان طه حسين يملك من وسائل النقد ما لا يملكه الجمهور ، ولان فلسفة الحكيم فيها مما لا يدركه الا الناقد الفذ ، فهي كشيء يقرا تعتبر حدثا عظيما ذا خطر ، ولكنها كشيء يمثل ، تعوزها صفات المسرحية الناجحة ، واولاها الحركة الحسية ، هذه التي هي محور اهتمام الجمهور .

فاس : **عبد العلي الوزاني**



الموروثة عن عهد ما قبل الاسلام . ولم يتعمقوا فى هـذا الدين الا على عهد المرابطين . ولا محل هنا لذكـر تفاصيل الدعوة التي قام بها عبد الله بن ياسين ويحى ابراهيم الكدالي والصعوبات التي لقياهـا فى نشـر الاسلام الى ان اقاموا رباطهـم علـى ضفاف نهـر السينغال ، فكان لهذا الرباط الدور الحاسم فى قيـام دولة المرابطين وامتداد نفوذهـا فى المغرب باسـره والاندلس ، كما كان له الاثر البعيد فى تغلغل الدعـوة الاسلامية باعماق افريقيـا السـوداء .

ان دور صحراءموريتانيا فى نشر الدعوةالاسلامية بافريقيا السوداء وحمل مشعل الحضارة العربية بصورة عامة والمغربية منها بوجه خاص دور عظيم لم يقدر له ان ينشر بعد ليعرف النشء الحديث كيف ان الاجداد لم يكونوا يقيمون وزنا للفيافي والقفار وانهم اخذوا من هده الصحراء القاحلة جسرا يعبرونه بـدلاً مـن ان يعتبروها حاجزا يتوقفونعند حده . هذا فى وقت كانت فيه المواصلات تقتصر على الابل ، وهو امر يدعو الى الاندهاش والاعجاب فى ءان واحد .

ان الامبراطورية الرومانية رغم اتساع رقعتها لم تستطع ان تتوغل فى القارة الافريقية . والمعـروف ان زحفها وقف عند حدود معينة فى المغرب ، فلم يتعدها. بينما امتد الفتح الاسلامي الى القارة السوداء فى سرعة فائقة . لم يكد العرب المسلمون يمهدون افريقيـا الشمالية والصحراء الغربية اي موريتانيا بالاصطلاح الحديث حتى جردوا فصيلـة لغزو السـوادين . فمـا كاد يمضي قرن على وفـاة الرسول صلى الله عليـه وسلم حتى دخل الغزاة العرب الى الجزء الغربي مـن افريقيا السوداء بقيادة حبيب بن ابي عبيدة « ومـن ذلك التاريخ لم ينقطع الاتصال بين العالـم العربـي وافريقية الغربية السـوداء » (1) .

وذكر احد علماء الآثار المعاصرين (2) ان الفترة المتراوحة بين 622 و 1434 تمتـاز بصفة جديـرة بالاشارة ،وهي « تاثير المدنية العربيـة – البربريـة الاسلامية وحدها من الخارج على افريقيا الغربية : ان الاتصالات التي استمرت طوال ثمانية قرون كان لهـا الاثر الحاسم على هذه البلاد وخاصة على الصحـراء والسهول التي اصبحت تحمل علامة ثابتة لهذه المدنية. لقد استعمر العرب الصحراء الغربية فكونوا باختلاطهم مع البربر الشعب الموريطاني . ثم اعتنقت الاسـلام شعوب الصحراء وكذلك سكـان سهـول افريقيـا السـوداء . واخذت تـرد على هذه النواحي آثـار المدنية العربية على اختلاف انواعها . وجعل سكـان المغرب من هذه النواحي مناطق تابعـة لهم من الوجهة الاقتصاديـة » .

واشار نفس المؤلف فى موضع ءاخر الى ان غرب افريقيا ظل متجها نحو افريقيـا الشمالية حتى بعـد تسلط اوربا على القارة السوداء .

(يتبـع)

الرباط : قاسـم الزهيري

(1 L'Ouest Africain au Moyen-Age R Mauny, p 25

(2 نفس المؤلف ص 18

ومن العرب الذين عنوا باخبار افريقيا السوداء نجد ابن حوقل فى القرن العاشر . وقد رحل الى افريقيا ، والبكري فى القرن الحادي عشر ، والادريسي فى القرن الثاني عشر ، وياقوت الحموي فى القرن الثالث عشر ، وابن خلدون ، والعمري فى القرن الرابع عشر . ثم ابن بطوطة فى القرن الرابع عشر كذلك وحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الافريقي فى القرن السادس عشر وكلاهما رحل الى افريقيا السوداء .

ثم خلف هؤلاء مؤرخون سود من بينهم محمد الكوتي من ابناء النيجير ، وقد الف تاريخا اسماه « تاريخ الفتاش » وعبد الرحمن السعدي من مواليد تيمبكتو وهو صاحب كتاب تاريخ السودان . ونجد ايضا مؤلفا ثالثا اسمه تذكرة النسيان لمؤلف مجهول.. ثم بدات اوروبا تشرئب لتملك الاقطار الافريقية واخذت تزحف بارسالياتها وجيشها لاحتلال القارة السوداء . ومنذ القرن السابع عشر ، عنى المؤلفون البرتغاليون والهولنديون على الخصوص باخبار هذه الاقطار، وتبعهم باقي الكتاب من مختلف الاجناس .

من خلال الاخبار التي رواها المؤرخون والجغرافيون والرحالة العرب ثم المؤرخون السودانيون نستطيع ان نكون فكرة عن الممالك الاسلامية التي نشأت بافريقيا السوداء ومدى ازدهارها . ويجدر ان نشير بادىء ذي بدء ان عدد هذه الممالك من الوفرة بحيث لا نستطيع ان نلم بها، فضلا عن استقصاء اخبارها ، فى هذا الحديث . ولهذا فسنقتصر على ذكر الممالك التي نشأت بالخصوص فى افريقيا الغربية والتي كانت لها علاقات مكينة ببلادنا من اقدم العصور . واثر فيها المغرب تأثيرا مباشرا . ونعني بهذه الممالك على الاخص : مملكة غانا ومملكة مالي ومملكة السغاي . ويحسن قبل ان نتعرض الى اخبار هذه الدول ان نشير اشارة خفيفة الى اصل امتداد الاسلام الى افريقيا السوداء .

امتداد الاسلام الى افريقيا السوداء

لقد امتد الاسلام الى هذا الجزء من قارتنا عن طريقين : طريق المغرب متخطيا جنوب بلادنا تجاه موريطانيا ومتغلغلا فى السوادين الغربية الى ضفاف النيجير ، وطريق مصر على طول النيل او طرابلس الى البلاد الافريقية الشرقية الواقعة على البحر الهندي . ولم يكن اشعاع نور الاسلام من هذين الطرفين بدعا ، فهما الطريقان اللذان سلكتهما كل من مصر الفرعونية وقرطاجنة وبيزنطة قبل ذلك لحمل مدنية البحر المتوسط الى اعماق افريقيا . وقد كانا طريقي المبادلات التجارية بين افريقيا الشمالية وافريقيا السوداء قبل التاريخ بعدة قرون .

ونجتزىء فى هذا الحديث بالتعرض الى امتداد الاسلام عن طريق المغرب ، لعلاقة ذلك بالممالك التي سنفصل الحديث فى شأنها .

لقد دخل الاسلام الى افريقيا الغربية عن طريق المغرب كما تقدم لنا عبر صحراء موريطانيا التي كان يسكنها الملثمون من قبيلة صنهاجة البربرية على ما ذكره المؤرخون وفى مقدمتهم ابن خلدون . واقام الملثمون دولة قبل الاسلام فى الصحراء بعدة قرون وكانوا يدينون بالمجوسية . فقد روى ابن خلدون : « كان دين صنهاجة اهل اللثام المجوسية شأن برابرة المغرب ، وما يزالون مستقرين بتلك الفالات الصحراوية حتى كان اسلامهم بعد فتح الاندلس » وروى صاحب كتاب الاستقصاء ابو العباس احمد بن خالد الناصري ان امتداد الاسلام الى صحراء موريتانيا كان على يد القائد العربي والصحابي الجليل عقبة بن نافع فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه . وفى هذا الصدد يقول صاحب الاستقصاء : « وصل عقبة بن نافع الى جبال درن ودوخ بلادهم ثم اجاز الى بلاد سوس لقتال من بها من صنهاجة اهل اللثام ، وهم يومئذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية .. »

وغير خاف ان الفتح الاسلامي الاول لبلاد المغرب بمفهومه العام اي شمال افريقيا قد اعقبته فتن كثيرة امتدت عدة اجيال ، فاصطدم هذا الفتح بعراقيل ، ومقامات . وكان السكان يعتنقون الديانة الجديدة ثم يرتدون عنها ، ونشأت عدة فرق اسلامية تبعا لما اصبحت عليه الحال من تفريق كلمة المسلمين بعد موت عثمان . ولم تتوطد اركان الدعوة الاسلامية فى المغرب الا بعد مجيء ادريس وقيام دولة الادارسة. ومن ذلك الحين اصبح المغرب القاعدة الامامية للاسلام، وشعت من جوانبه الرسالة المحمدية نحو الصحراء وما تلاها من افريقيا السوداء الى حدود نهر النيجير .

دور الصحراء فى نشر الاسلام

واذا كان سكان الصحراء الملثمون من برابرة صنهاجة قد اعتنقوا الاسلام تدريجيا ، فان اسلامهم كان سطحيا حيث احتفظوا بتقاليدهم واساليبهم

فانباء « الفرستون » فى ليبيريا و « الاتحاد المعدني» فى كاطانكا وغيرهما كانت قد وصلت الى اسماع اعضاء هذا المكتب مما لا ريب فيه ، اذ لم يلبثوا ان عملوا على خلق (دولة مفيرما) داخل موريطانيا واصبح المسيو لورو بوليو رئيس مجلس الادارة ملكا غير متوج على الاقليم بما تتوافر له من اسباب السلطة والنفوذ وبما يسعى بين يديه من الدرك والبوليس والسيارات المصفحة وما يضلل شخصيته المرموقة من بنود واسلحة .

فما هي حقيقة المفيرما ؟ وما هي قصتها ؟ ، وما هي الخطط الموضوعة لتكون هذه الشركة الجسر الذي تنتقل عليه خيرات موريطانيا الى الخارج دون ان ينتبه احد ودون ان يحرك ساكنا اذا انتبه ؟ .

اما قصة المفيرما فهي تبتدىء مع الاعوام الاولى من هذا القرن .

فقد لاحظ الغزاة الاول الذين شرعوا فى احتلال صحراء المغرب عام 1901 ان الاهالي يعرفون بعض مكامن الحديد والنحاس فى جهات مختلفة من البلاد ويستغلونها بوسائلهم وادواتهم الابتدائية .

ومن ثم لم يغب امر هذا المنجم عن اصحاب الاستثمارات والاوساط المالية .

وفى السنوات التي اعقبت الحرب العالمية الثانيةجمع المكتب المعدني لفرنسا ما وراء البحار معلومات مهمة عن المعدن ، واكدت تلك المعلومات ان المنطقة القريبة من فورغور والمعروفة بكدية الجلد غنية باصناف الحديد الذي يصل المعدن الصافي فيه الى 67 من المائة (وهي نسبة لا توجد الا فى السويد والبرازيل وشمال المغرب) ، واوصلت حساباتهم الكميات الموجودة الى مليارين من الاطنان يمكن استغلال 144 مليون طن فيها بصفة مباشرة ، وهكذا تقدموا بعرضهم الذي لا يمكن وصفه بالاغراء — الى الادارة الفرنسية التي كانت تباشر حكمها على الاقليم الموريطاني ، وكان ذلك العرض يقوم على اساس عجيب ، وهو ان تلتزم الشركة ببناء طريق من مكان المنجم الى البحر ومد خط حديدي نحو « نواذيبو » واقامة قرية نموذجية بعين المكان ، وذلك مقابل ان تستغل الحديد الموجود لمدة خمس وعشرين سنة تنتهي فى عام 1977 بدون ان تؤدي اي ربح للحكومة الموريطانية المزعومة .

واذا كانت تلك الحكومة استبشرت خيرا بهذا العرض الذي ظنت ان فوائده ستكون عظيمة وعامة بعد ربع قرن ، فان اصحاب الشركة تصوروا ان الكميات الفنية التي يمكن استثمارها بصفة سهلة وباوزان كبيرة سيقع ايصالها الى البحر قبل متم 1975 .

.. ورصدت الشركة التي اطلقت على نفسها اسم «شركة مناجم حديد موريطانيا» او مفيرما 3ر83 مليارا من الفرنكات الافريقية اي ما يفوق 165 مليارا من الفرنكات المغربية واستطاعت فى سنة 1960 ان تقنع البنك الدولي للانشاء والتعمير بان يساهم فى هذا المبلغ بما قيمته 34ر32 مليارا (اي 60 مليوندولار) بفائدة نسبتها 6 فى المائة .

وحيث كان المساهمون الفرنسيون يتخوفون من المضاربات الدولية بقدر ما يشكون فى امكانية اختصار الوقت للوصول الى الربح العاجل ، فقد عملت الحكومة الفرنسية للحصول على مساندة بعض الاقطار الاخرى ، فاستطاعت ان تقنع انجلترا والمانيا وايطاليا بفوائد المشروع وان تجعلها تساهم عن طريق الشركات المستقرة بها باربعينفى المائة من مجموع الاسهم، واصبح تمويل المشروع على النحو الاتي :

فرنسا : مكتب الابحاث الجيولوجية والمعدنية 25 ٪
ايزينور ومساهمون آخرون 16 ٪
كوفيمي 6 ٪
الخطوط الحديدية الشمالية 5 ٪
شركات متنوعة 7 ٪
انجلترا : بريتش ستيل كوبوريشن 20 ٪
المانيا : تيزن هويت 5 ٪
ايطاليا : فانسيدير 16 ٪
المجموع 100 ٪

ولقد كانت فرنسا بالاضافة الى ذلك تتصور انه بمجرد ان يصل الحديد الموريطاني ذي الخواص النادرة الى الاسواق فانها ستتمكن من اقتصاد مبالغ مهمة من العملة الصعبة تعادل 40 مليون دولار سنويا ذلك لان ايطاليا وانجلترا سيكون من مصلحتهما شراء الحديد الذي تفتقران اليه ، بحكم اشتراك ممثلين بريطانيين وايطاليين فى راس مال الشركة، غير ان وقوع مركز الشركة فى باريس يلزم هاتين الدولتين باجراء عملياتا لبيع والتحويل عن طريق منطقة الفرنك وذلك ما يعزز المدخر الفرنسي من القطع النادر .

بعض مراكز الاستعمار الجديد في موريطانيا

للاستاذ احمد العربي

ان طبيعة التطور التاريخي في البلاد التي كانت خاضعة للحكم المباشر ، المتمثل في الجيوش المقيمية والحاكم العام ، والجهاز الاداري ، وان ازدياد الوعي عند الشعوب المغلوبة وتوفر اسباب الاتصال بين القوات التحريرية في مختلف الاقطار ، ان كل ذلك دعا دهاقنة الاستعمار الى احداث تغيير لا في اهداف مشاريعهم الاستغلالية وحرصهم على تخليد نفوذهم السياسي ، ولكن في الاسباب التي يتوسلون بها للوصول الى تلك الاهداف وتكريس ذلك النفوذ .

ان هذا التغيير الظاهري يدعوه المعلقون السياسيون ومؤرخو النصف الثاني من هذا القرن بالاستعمار الجديد .

غير ان اختلاف الدول التي تاخذ اليوم بهذا الاسلوب الجديد من الاستعمار في الكياسة والتحايل اللذين تتستر وراءهما المرامي الاستغلالية يجعل مظاهر هذه الطريقة تبدو جالية واضحة او تضمر وتحتجب حتى لا تكاد تبين .

والقارة الافريقية تقدم لنا امثلة حية عن النوع الاول بصفة خاصة .

فالقارىء الكريم يعلم الكثير عن شركة « فايرستون » التي لا تستغل مطاط ليبيريا منذ عدة قرون فحسب ، ولكنها تسمح لنفسها بان تقيم ضمن تلك الجمهورية الافريقية دولة داخل دولة لها بوليسها الخاص ، وادارتها المستقلة وخطوط مواصلاتها المحتكرة وميناؤها الى غير ذلك من الاشياء التي تجعل عمليا جميع المرافق العامة بل وحتى مظاهر السيادة في يد افراد مغامرين حملتهم سفن الاستكشاف من العالم الجديد في القرن الثامن عشر الى هذا الساحل الافريقي .

والقارىء يعلم الكثير كذلك عن الشركة المعدنية لشمال كاطانفا ، وشركة الماس في جنوب افريقيا ، وشركة النحاس في روديسيا الشمالية ، وغيرها من الشركات الاحتكارية التي اباحت لنفسها هي الاخرى ان تستغل خيرات افريقية قهرا وغلبة ، وان تبسط سلطانها على الحكام المحليين مقيمة بذلك، وبصفة تعسفية كذلك دويلات داخل الدول الافريقية ، تقدم لها فتات الموائد متى شاءت وتبذل لها من اسباب القوة والحماية متى رات ان ذلك يضمن استمرارها ويؤمن أرباحها .

ان ذلك بالضبط هو ما فكر فيه « المكتب المعدني لفرنسا ما وراء البحار » التابع للدولة الفرنسية عندما عقد اتفاقية مع الحكومة الصورية عام 1952 لاستغلال معادن الحديد في موريطانيا .

لقد استفاق اصحابنا وافتقدوا جهاز اللاسلكي والتمسوا سيارة ليلحقوا بالفارين وبحثوا عن الرشاشات ولكن عصا الساحر كانت قد لمست كل هده الاشياء كما لمست غيرها ولم تات دورية الدرك الموريطاني الا بعد ان كان المسافرون قد ابتعدوا مسير ثلاثة ايام وقطعوا ربع الطريق ، نحو هدفهم .

وتهتز بعد ذلك اسلاك البرق نحو المراكز الامامية للحدود ، ويجتهد الطيران المنطلق من قاعدتي اطار ونواذيبو فى البحث عن القافلة فى هذه الصحراء التي لا يرسم فوقها طريق ولا تحتفظ باي اثر ولا تستقيم معها القيافة ، ويمضي هذا البحث عشرة ايام دون جدوى .

وفى اليوم الحادي عشر يجد احد مخافر الحدود ان سيارة كبيرة للشحن تداهم المركز وتجرد حراسه من اسلحتهم ثم تتقدم وتدخل ارضا لا تقع ضمن اراضي موريطانيا ، ولا يمكن للمتعقبين ان يلجوها .

ان هذا العمل البطولي الذي قام به مناضلون موريطانيون اشاوس كان نعيا تلقاه المساهمون فى مفيرما فى مطلع العام الجديد، وكان درسا بليغا لاشك ان عباقرة الاستعماريين « الجدد » قد وعوه (1) .

1) سبق للكاتب ان نشر بعض المعلومات الواردة فى هذا المقال ضمن مواضيع كتب عن موريطانيا .

سلا : احمد الغربي



واذا فلم يبق الا ان يعمد السيد بوليو الى تدشين العمل والخروج به الى حيز التنفيذ في هذه الصحاري التي لا يوجد فيها اي تجهيز ، ولا يمكن ان تقدم لرجال الاعمال والمقاولين الا العقبات واقصى ما يتصوره العقل من العراقيل .

فكيف سارت الاعمال منذ ان توافرت الاموال وابرمت العقود بين الشركة والحكومة الفرنسية ؟

لقد كتب صحفي زار موريطانيا وكتب انطباعاته عنها في جريدة شنقيط عام 1959 هذه الفقرة عن نشاط مفيرما الى ذلك الوقت (.. ان الاتفاق الذي ابرم بين الحكومة الموريطانية وشركة استغلال الحديد لموريطانيا تنص على ان تبدأ الحفريات بعد سنة من التوقيع ، ولكن تلك الاعمال اجلت سنتين كاملتين اي الى عام 1955 ثم ارجئت الى سنة 1956 وكانت هناك عقبات اخرتها عاما آخر ثم عادت فؤجلت الى سنة 1958 ثم ارجئت الى 1959 ولكن ظروفا قاهرة جعلت التنقيب يتاخر ، ولاشك انه سيبتدىء في مستهل 1960) .

هذا ما كتبه صحفي زار موريطانيا ، والواقع ان حدسه ـ من حيث المبدأ ـ كان في محله اذ ان ميناء بور اتيان لم يلبث ان استقبل في 19 يوليوز 1960 اوائل الحفر والقضبان الحديدية ومختلف الاجهزةوالسيارات وعشرات الفنيين الاروبيين، وبدات الاوراش تعج بالحركة ، بل واخذت مدينة اروبية مستوفية شروط السكنى تقام بالقرب من بور ايتيان اطلق عليها (كونسادو) واخذ العمال الاوروبيون والسنغاليون يعملون على خلق (الميناء المدني) ويقومون بمد خط حديدي طوله 650 كيلو مترا .

وفجاه اذيع بلاغ قصير من باريس اعلن فيه السيد بوليو ان الاعمال ستوقف مرة اخرى ثمانية عشر شهرا ـ ابتداء من فبراير 1962 .

فماذا حدث حتى اضطر المسؤولون عن مفيرما لوقف نشاط شركتهم وما هي الظروف التي لم يدخلوها من قبل في حساباتهم والتي عصفت بحملهم الاول وهو ربح (معركة الزمن) ؟

الامر هذه المرة لا يتعلق بانعدام المياه الضرورية لتموين الاوراش الموجودة (بكدية الجلد) ولسد حاجيات المحطات المقامة على طريق فور غورو ـ بور اتيان ، ولا بغزوات التلال الرملية على الخط الحديدي وطمسها لمعالمه ، ولا بتعثر المفاوضات بين الشركة وبين الحكومة الاسبانية التي تحتل منطقة من الصحراء المغربية يجب ان تمر فوقها فلزات الحديد الموسوقة نحو البحر ، ولا بالصعوبات الناتجة عن محاولة توفير وسائل الحياة الضرورية للاطارات الفنية التي يتعين عليها ان تعيش في ظروف هي اقصى ما يمكن ان تصل اليه القسوة والعسر ..

ليس لهذه العلل او لبعضها على الاقل تجمدت اعمال المفيرما كما حصل في السنوات العشر المنصرمة ولكن لاسباب اخرى لم تخطر ـ كما قلنا ـ ببال عباقرة العمليات الحسابية وارباب الاموال الذين سال لعابهم عندما راوا بام اعينهم طبقات الحديد الفنية بالمعدن الجيد دون ان يستطيعوا تدبير شحنة نحو الاسواق الاوروبية .

اما بالنسبة الى الذين حكموا على الشركة بالموت، واوقعوا الاسهم في هاوية التردي والافلاس فكان الامر بسيطا لم يكلفهم عناء ولا جهدا ولم يتطلب منهم عمليات حسابية او هندسية .

ففي ليلة من ليالي دجنبر الماضي اجتمع ثلاثة عشر شخصا من ابناء موريطانيا ، وممن دربتهم الشركة واعتقدت ان الفتح المبين سياتي على يدهم وتعاونوا فيما بينهم على نقل منشآت مفيرما الموجودة في مكان الاستثمار على ثلاث سيارات للشحن ، وكان من بين ما نقلوه اجهزة الحفر ومقاييس الحرارة والماء وجهاز الرصد وآلة الاتصال اللاسلكي ، وعدة صناديق من قطع الغيار واربع بنادق سريعة الطلقات وصندوق للذخيرة وبضعة احزمة من المتفجرات التي تستخدم لتكسير الحجارة ، ولم ينس اولائك الرجال ان ياخذوا معهم ما كان يضمه المكان من مواد غذائية وقرب الماء العذب ومن الحيوانات المعدة للذبح ، وبعد ان انتهوا من تحميل كل هذه الاشياء وغيرها على سيارات الشركة اخذوا في سلوك الطريق الشرقي نحو مالي ، وكان ذلك قبل ان يطلع الفجر وينتبه السادة الذين كانوا يحتفلون بعيد الميلاد ويملؤون بطونهم من المشروبات الروحية وينشدون حول الظبي المشوي الذي اصطادوه في المساء

وقصة الاستيلاء على منشآت مفيرما في كدية الجلد وحملها نحو مالي عبر صحراء موحشة طويلة لا يمكن ان تكونَ شبيهة بالاساطير التي تطرفنا بها كتب العجائب والغرائب الا اذا اتممنا فصولها منذ تلك الليلة الى ان دخل القوم اراضي مالي .

بالتفكير الذي يبرز ذاتــه من خلال اعمال ملموسة . فالمطلوب من المفكرين اليوم هو الاسهــام فى معركـــة الانسان ضد الطبيعة وضد اختلال المجتمع ، وتطبيق ما يعتقده من افكار ، اما اذا ظل المفكرون يحافظون على استقلالهم ويطالبون بالحرية ، فان ذلك سيترك المجال فسيحا لانحرافات الساسة، ولن يجدينا نفعا ان نسمع الاحتجاجات ونداءات الضمائر الحرة لان العمل اصبح هو جوهر التفكير ومظهره الرئيسي ، ولعلنا من كثرة ماترددت على مسامعناعرائض الاحتجاجات والانذارات يبعثها ائمة الفكر والعلم ، قد انتهى بنا الامر الى نــوع من الرثاء لهؤلاء « الجبابرة الضعفاء » فنحن نذكر ، مثلا، الرسالةالتيبعث بها اينشتاينالىالرئيسروزفيلت يعلن فيها ميلاد القنبلة الذريــة ويحذر من عواقبها ، فهل اثر ذلــك الاحتجاج فى شيء ، انه ما يزال يوجــد فاصل بين مسؤولية العالم ومسؤولية السلطة كمــا لاحظ ذلك العالم الامريكي ليــون سزيلار الذي عمــل على تكوين مجلس اعلى يضم كبار العلماء فى الولايات المتحدةمهمته الدفاع عنالسلام والحيلولة دون تسخير اكتشافات العلم للتخريب والتدميــر .

وفى المقال المعنــون بانتكاس الحضارة ، يســرد المؤلف بعض المظاهر التي تعكس اختلال توازن الحضارة وطغيان الجانب المادي على الجانبالروحي ، وبعد هذه المقدمة يقف عند نقطتين هما تفجير القنابل والميــز العنصري ليتخذ منهما دليلا على افلاس الحضارة ، والنتيجة التي يستخلصا الاستاذ المؤلف هي ان ثورة افريقيا ضد الاستغلال وضــد الميــز العنصري مــن شأنها ان تخط خلاص الحضارة وتطهرها مما علق بها من الرواسب العفنة ، واظن ان الاستاذ غلاب انساق لعاطفته فلم يعط للموضوع ما يتطلبه من التدقيـــق والعمق . فمثلا تفجير القنبلــة الفرنسية فى صحراء الركان لا يمكن ان نتخذه دليــلا على « لا انسانية » الحضارة الاوربية ، انــي اعتقد ان هناك حضـــارة انسانية واحدة تقترن بدايتها بوجود الانسان وتمتــد الى آفاق المستقبل المجهول ، ونحن فى دراستنا لبعض الخصائص الحضارية نخضع فى ذلك التقسيم لمراحــل معينة ، ولعل المرحلة المعاصرة تثبت بقوة انسانيـــة الحضارة واشتراكيتهــا بين الامم .. فمن خـــلال الانتصارات الباهرة والاخطاء الفادحة التي ارتكبتهــا الحضارة فى مراحلها السالفة ، يتبلور وعي جديد لدى كل القوات الحية فى العالم ، ويشتد الاحساس بضرورة تشييد صرح حضاري جديد تتضافر فى بنائه جهــود مشتركه ومفاهيم تقدمية ثورية فى جميع اقطار العالم.

ولا جدال فى ان الدول الناميــة بمــا فيها افريقيــا ، ستضطلع بنصيب وافر فى هذا البناء ، لانه يتحتم عليها ان تقنع الاحتكاريين والكرماء الحاتميين من « الــدول الكبرى » ان عهد الوصاية والاستغلال قد اندثر ، وان دول ثلث العالم تعي مسؤولياتها فى بناء اسس حضارية جديدة تتلاءم ومعطيات التطور الجديد .

فكرة اخرى وقفت عندها غير قليل ، وهي التي عنونها الاستاذ الكاتب بأزمة القلق ، والحقيقة ان هذا الموضوع يحتاج الى كتاب خاص ، لانه من موضوعات الساعة التي تشغل الجيل المغربي الصاعد ، ومن راي الاستاذ غلاب ان اساس الازمة مصدره فقدان الايمان بصفة عامة ، ولكن كيف نستعيد ذلك الايمان الضائع؟ تلــك هي المشكلــة .

اعتقد شخصيا ان ازمة القلق بالنسبة للانســان العربي او بالنسبة لانسان الدول المتخلفة بصفة عامة ، تفوق فى حدتها ازمة القلق عند الامم التي بلغت مستوى حضاريا لا بأس به ، ذلك ان قلقنا ينعكس فى مظهرين اثنين ، وهذا الازدواج يضيف قلقا على قلق فيشتــد اوار الازمــة :

1) المظهر الاول هو المظهر المشترك الذي تتجلــى فيه الازمة ممن اعتدنا تسميتها بالدول المتحضرة ،واهم هذه الازمة هي العبثية ، والشعور بالخيبة ، والخوف من نشوب الحرب وقسوة المدنية .. الخ .

2) المظهر الخاص بالمثقف لعربي الذي يحس بعد الشقة بين ما تلقاه من ثقافة مجردة ، وبين واقع امته المرير وتخلفها المادي والحضاري ، ونتيجة لانعــدام ثقافة قومية متماسكة نابعة من اعماق الشعب وداعية الى تغييره وتطويره ،ونتيجة لتغلب طابع الاستيرادعلى ثقافة شبابنا ، فانهم يحسون بقلق حاد مصدره الشعور بالعجز امام المسؤوليات الجسام التي يفرضها الكفــاح ضد التخلف ومحو الرواسب .

هذا المظهر الخاص لازمة القلق لا يوجد فى الدول « المتحضرة »، لان مجتمعاتها توجد فى حالات «طبيعية» وقد سبق لي ان عبرت لبعض الاصدقاء الاوربيين عن هذا الراي فعارضوه بدعوى ان شباب البلاد المتخلفة يوجدون امام مشكلة واضحة الجوانب ، ذات اطــار مادي ، اما شباب الاقطار المتحضرة فانهم يعيشون ازمة شاملة ، مبهمة الملامح ولا يستطيعون الوصول الــى تحديد هيكلهــا بالالفاظ .

معرض الكتب

نبضات فكر

بقلم

للاستاذ عبد الكريم غلاب

قرأه وعلق عليه الأستاذ محمد برادة

اعتقد ان عرض ونقد كتاب نبضات فكر للاستاذ عبد الكريم غلاب ، من الصعوبة بمكان ، لان الشكل الذي كتب به يجعل الناقد متأرجحا بين اعتباره مجموعة مقالات ، او اعتباره مجموعة خواطر صحفية، فاذا استعملنا المقاييس المحددة لفن المقالة وجدنا انها لا تنطبق على محتويات نبضات فكر ، لانها تفتقر الى التأني اللازم لتتبع ظاهرة ما او فكرة معينة ، واذا اعتبرناها مجرد خواطر صحفية كتبت فى ظروف خاصة من العجلة وملاحقة سرعة المطبعة ، فاننا لن نطمئن الى هذا الاعتبار لانمضمون هذه الخواطر يحرك ادمغتنا بقوة ، ويدفعنا الى دوامة التفكير المتصل الذي يسلمنا الى طرح اسئلة عميقة تخرج عن نطاق ما نألفه فى الخواطر الصحفية العابرة من ارتباط باحداث معينة .

مهما يكن فان هذه الاشارة تجعلنا ندرك دقة موقف الناقد الذي يتصدي لمناقشة نبضات فكر، لانه يجب ان يحتاط فى اصدار الاحكام ، ولعل من جملة الاحكام التي تغري الناقد باصدارها ، وانا استعمل اللفظة عن حسن نية ــ الحكم بالتبسيط ، ذلك ان الكاتب يطرق موضوعات ذات اهمية بالغة فى العصر الحديث مثل : « تضامن الفكر » ، سلطة الفكر ، هل يقبر الفكر ، انتكاس الحضارة ، ازمة القلق ..لخ ، فيتوقع من يقبل على قراءة هذه الموضوعات عمق الابعاد التي سيحمله الكاتب اليها ، وجفاف الاجواء والمصطلحات .. ولكن الاستاذ غلاب يتناول موضوعاته من زاوية واحدة لا دخل فيها لتعقيدات الفلسفة ومصطلحات علم الاجتماع .. انه يعبر عن رايه فى لغة مشرقة وبكيفية مباشرة دون ان يجعل القارىء يلهث لادراك المعاني مثلما الفنا ممن يتصدون لدراسة هذه الظواهر ، من اجل ذلك فانني فى نقدي لنبضات فكر ، سأكتفي بتسجيل بعض الايحاءات التي اثيرت فى نفسي عند القراءة ، وستكون ــ فى الواقع ــ خواطر ورؤيات استجابت لحرارة تلك النبضات فسارعت الى التعبير عن نفسها لولوج عالم الفكر الرحب ..

فى مقال او خاطرة « سلطة الفكر » يحمل المؤلف رجال العلم والفكر مسؤولية السير فى ركاب الساسة والانقياد لانحرافاتهم ، ويطالب بأن يسترجع الفكر حريته وسلطته حتى يستطيع اداء مهمته .. الواقع ان من اهم مظاهر تأزم الحضارة المعاصرة ، انفصال الاخلاق عن السياسة (الاخلاق فى معناها العام) ، مما فسح المجال لظهور الساسة المحترفين والمغامرين العاملين على خدمة مصالح ذاتية او مصالح فئات احتكارية ، وقد عبر نيتشه عن هذه الظاهرة فقال : « ان العالم يدور حول محور بقيمه مبتكرو القيم الجديدة ، وهذا الدوران يظل غير ملحوظ .. ولكن الشعب والمجد يدوران حول رجال السياسة ، وهذا ما يسمى بمجرى العالم .

هذا التشخيص لضعف الفكر صحيح ، ولكن هل يكفي ان نطالب له بالحرية والسلطة ؟

اعتقد ان حرية الفكر من الاقانيم الجميلة التي لم يعد لها وجود فى المجتمع الحديث ، لان الفكر اصبح مطالبا فى عصرنا بان يبرر وجوده ، اي ان يخرج من هالته النظرية ليثبت صلاحيته فى دنيا الواقع ، ومن ثم كانت النظرية الماركسية التي تشترط اندماج الفكر بالعمل ، تترجم خيبة الناس فى كل تفكير لا يتجاوز التخطيطات النظرية ، وتعبر عن التعلق

اسلام بلا مذاهب

بعنوان

للدكتور مصطفى الشكعة

قراه وعلق عليه الاستاذ عبد القادر زمامة

موضوع الخلاف العقائدي فى الاسلام من الموضوعات الخطيرة والقضايا الكبرى التي شغلت اذهان المفكرين المسلمين ايام ازدهار الحضارة الاسلامية ، فكتب الامام ابن حزم الظاهري وكتب الشهرستاني ، والبغدادي وغيرهم ابحاثا طويلة الذيل عالجوا فيها تحليل المذاهب والآراء لمجموع المذاهب الاسلامية الشهيرة : من سنة ، ومعتزلة ، وشيعة ، وغالبه . والظاهرة العامة لكتابة هؤلاء المفكرين والمؤرخين تبدو فى شكل صراع فكري ترتفع درجة حرارته كلما كان الكاتب متعصبا لمذهب معين، او فرقة معينه . وتنزل كلما كان الكاتب معتدلا متسامحا مع مخالفه . فضاعت كثير من الحقائق ، وغمضت كثير من المواقف ودبست كثير من القضايا بالحق تارة وبالباطل اخرى .. وكانت ردود الفعل عنيفة من الجهة التي تتعرض للنقد او التجريح ..

فالباحث الذي يحاول معرفة الحقيقة عن احدى الفرق الاسلامية مضطر لمراجعة كتب انصارها وخصومها على السواء .. لان ضالته المنشودة لن يقتنصها الا من غبار المعركة التي احتدمت بين اقلام الانصار والخصوم .

واصوات — الوحدة — والاتحاد بين المذاهب والنحل ، كانت ترتفع احيانا فى شكل صيحات ينادي بها رجال الاصلاح الاسلامي من (السلفيين) وغيرهم ، ولكنها كانت صيحات لاتلبث ان يخفت صوتها ويضمحل امام الضجات العنيفة التي يثيرها — المذهبيون — دفاعا عن الوضعية — المذهبية — فى المجتمع الاسلامي ..

ولعله لم يخطر على بال هؤلاء ان هذه الوضعية ستكون فى يوم ما ثغرة واسعة لاعداء الاسلام والمسلمين ينفذون منها بسهولة لضرب بعضهم ببعض كفرق متناحرة ، متعادية ، حتى اذا آنسوا الضعف من الجميع فوقوا وصوبوا القذائف للعقيدة نفسها ، بما فيها من من شريعة ونظام ومقدسات ..

واغرب الغرائب فى قضية الصراع المذهبي والصراع بين الفرق والنحل الاسلامية .. ان كثيرا منها نشأ حول خلاف سياسي توفرت اسبابه الحزبية والشخصية ، فى فترة معينة من تاريخ الاسلام ، ثم زالت تلك الاسباب وانطوت تلك الفترة بخيرها وشرها وانعدمت كل دواعي الخلاف .. ولكن الفرقة ظلت قائمة وتلك الفرق ظلت متمسكة بما سنه المؤسسون لها كقانون متحجر لايعاد النظر فيه على اساس وحدة اسلامية نادى بها كتاب الله الذي يومن الجميع بقوله : (واقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .

وجاء الغزو الاروبي لشعوب الاسلام ، وتغلغل حربيا واجتماعيا ، وفكريا فى اعماق الاعماق ومرت ظروف قاسية بالمسلمين استعمل فيها خصومهم اسلحة فتاكة من جملتها استغلال العداوة بين الفرق الاسلامية واثارة دفائن الاحقاد .. ومعذلك بقي الوضع قائما ..

وهذا ما اثار غيرة كثير من الاساتذة والباحثين فى العصر الحاضر .. وهذا ما اثار همة رجال الاصلاح الاسلامي فى نهاية القرن السالف واوائل هذا القرن وكل عالج الموضوع على طريقته الخاصة واسلوبه الخاص .. منها السياسي .. ومنها الاجتماعي .. ومنها الديني .. ومنها العلمي .

على كل ، فانا متفق مع المؤلف في ان القلق بحد ذاته ، دليل على الحيوية والتفاعل ، وانه بمثابة المخاض السابق لمرحلة الاختيار ، اختيار اسس الايمان الجديد

ننتقل الآن الى موضوع يتصل بالادب ، وهو الذي عنونه الاستاذ غلاب بضمير الكاتب ، ونفهم من قراءته ان التزام الاديب يجب ان يستوحيه من ضميره، وان يكون منسجما مع صدقه في جميع الحالات ، ان مثل هذا التحديد للالتزام فيه كثير من الاعتماد على ذاتية الكاتب، وهو بعد ، يقتضي منا ان نحدد مفهوم الضمير وصدقه ، الى غير ذلك من العناصر التي يصعب البحث فيها لافراطها في الخضوع لمقاييس شخصية تتباين بتباين الافراد ، واعتقد ان مفهوم الالتزام كما وجد اليوم ، اكثر انضباطا وواقعية لانه يضع الاديب امام مسؤولية اختيار اجتماعي شامل ، ويخرج به من نطاق الذاتية الضيقة ، فلم يعد كافيا – كما قال سيكوتوري – « ان يكتب اديب نشيدا ثوريا ليقال عنه انه ساهم في الثورة الافريقية ، بل يتحتم عليه ان يخوض غمار الثورة عمليا مع الشعب ، وبعد ذلك تأتي الاناشيد عفوية على لسان الثوار » .

اريد ان اختم مناقشتي لنبضات فكر بالوقوف قليلا عند المقال المعنون بالشعر ومادية الحياة ، لاشك انه موضوع يتطلب مجالا اوسع ، لانه من موضوعات الساعة في النقد الحديث ، وانا متفق مع السيد المؤلف في ان المظهر المادي الصارخ للحضارة هو اساس الانصراف عن الشعر .. ولكني اريد ان اضيف بان الرواية والمسرحية هما اللتان زحزحتا الشعر عن عرشه ، لانهما تتوفران على امكانيات اكثر للتحليل وتشريح مظاهر حياتنا المعقدة ، وقد اصبح المثقف العادي اكثر وعيا عن ذي قبل ، فاصبحلا يقبل ان ينكب على قراءة قصائد تطفح بالعاطفة والاحلام ، ان الانسان المعاصر يحاول جهده التكيف مع الظروف الجديدة للحضارة ، ومن ثم يأتي تجاوبه مع الوسائل التي تهيىء له سبيل هذا التكيف ، يقول المؤلف بعد ذلك ، ان الشعر بالرغم من كل شيء سيستمر « لانه وجد منذ وجدت الطبيعة ، ومنذ وجدت الاحساسات الانسانية ، وحالف الانسان في محنته ، وسعادته . في حروبه وسلامه » وانا اخالفه في هذا الراي وارى ان الشعر سيستمر لانه تفطن الى امكانيات التطور التي يجب ان يستغلها ، وقطع اشواطا لا بأس بها في الاستجابة لها ، فخرج عن الطابع العاطفي المحض . وارتاد آفاقا الميتولوجيا والفلسفة ، وتطلع الى تسجيل اللحظات الحضارية بكل ما فيها من عمق وسعة ، ولا تفوتنا – في هذا الصدد – الاشارة الى مدى التطور الذي حققه الشعر المعاصر على يد شعراء امثال ت.س اليوت ، وابولنير ، وسان جون بيرس ، وبليز سندرار ، وبدرشاكر سياب ، وصلاح عبد الصبور .

ويذهب الناقد ماثيو ارنولد الى ان الشعر هو الملجأ الذي ستأوي اليه القلوب الخاوية من كل ايمان .. يقول في هذا المعنى :

(ان للشعر مستقبلا هائلا ، لان الانسانية ستجد في الشعر الجدير بهذا المستقبل ، مستقرا لها تجدد الاطمئنان اليه على مر الايام ، لقد بدات المعتقدات كلها تتزعزع ، واخذ الشك يتطرق الى المذاهب التي كان الناس يجتمعون على صحتها كلها ، كما اخذت التقاليد تؤذن بالتداعي والانهيار .. اما الشعر فانه يقوم على المعنى ، والمعنى بالنسبة اليه هو كل شيء) .

اننا لو تتبعنا جميع الافكار الواردة في « نبضات فكر» لاستطعنا ان نجعل منها منطلقا لافكار ومناقشات اخرى لا يتسع لها المجال . والواقع ان نبضات فكر عنوان يدل على منهج المؤلف الذي يمزج بين الفكر والشعور في توازن متماسك ، واسلوب مشرق ؛ ولو انني لم اقراه بعقلية الناقد الذي يريد ان يفهم قبل ان يتأثر ، لاعفيت القارىء من كل هذه المنافشة العقلية الخالية من النبض .. مهما يكن ، فان دنيا الفكر رحبة متسامحة تتقبل كل الاراء .

الرباط – محمد برادة

ويختم هذا الباب ــ وهو اهم ابـواب الكتاب ــ بحديث موجز عن المعتزلة واهل السنة ، والسلفيين ، ولم يات فى هذا الحديث بشيء طريف ، لان الموضـوع مطروق مدروس بقلـم كثير من الباحثيـن شرقييـن وغـربيين .

اما الباب الثالث من الكتاب فهو ــ حرب وقتال بسبب المذاهب ــ فقد عالج فيه المؤلف الطور الدموي من صراع المذاهب .. وما تخلله من مئاس جر اليها التعصب الاعمى والمصالح الحزبية التي كانت تستغـل احيانا عواطف الجمهور وحماسته فتنكل بخصومهـا تنكيلا .. مما اضعف السلطـة .. وفرق الكلمـة .. واوهن الدولة .. واورث الاحقاد ..

وبعد فلعلي اديت بعض الواجب ازاء هذا الكتاب القيم وازاء هذا الباحث العربي الـذي تقمـص روح العلم ، ونزاهة الضمير .. وجاذبية الاسلوب والعرض منذ ان خط اول سطر فى مؤلفه .. الى ان ختمـه بهذه الجمل :

(تلك هي فكـرة الاسلام بلا مذاهب نادينـا بها فى ظل هذه الدراسة ، ولم يكن هناك مـن دافع سـوى ما لمسناه من الشر والضر والاذى الذي يقع علـى المسلمين متفرقيـن .. والخير والنفع والعزة التـي يعيش فى ظلها المسلمون ما كانوا متكاثفين متحدين .. هذا فضلا على أن لب العقيدة واحد ، ومصدرها واحد، والهها واحد ورسولها واحد) .

فـاس : عبد القادر زمامـة



ولعلك ادركت من هذا الحديث الذي احدثك به ان الكتاب الذي اقدمه اليك يتناول هذا الموضوع بالذات ، وهو من عنوانه : ـ اسلام بلا مذاهب ـ الفه الاستاذ الدكتور مصطفى الشكعة المستشار الثقافي لسفارة الجمهورية العربية المتحدة فى واشنطون ، ومدرس الحضارة الاسلامية بكلية الاداب بجامعة عين شمس ، وهو الآن من المع الشخصيات بين شباب الجمهورية العربية المتحدة فى ميدان البحث الادبي والتاريخي ، قرات له عدة ابحاث قيمة اهمها ـ دولة الادب عند الحمدانيين ـ كان موفقا فيها الى ابعد حد ، وكتابه الجديد ـ اسلام بلامذاهب ـ قدمهالشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر الى القراء بمقدمة طريفة قدر فيها الكتاب ومؤلفه ، كما قدر الموضوع واهميته ، وهو الخبير المختص فى هذاا لميدان ..

والكتاب وان كان صغير الحجم (304 صفحة) فهو الى جانب ذلك جامع لاطراف الموضوع ، من ناحية تاريخ الفرق الاسلامية منذ نشأتها الى الآن ، مع عرض ارائها ومذاهبها فى لطف ولين ، وامانة تدعو الى الاعجاب ، فهو امين فى النقل .. نزيه فى العرض .. هادىء فى المناقشة .. داع الى الوحدة بحكمة .. لا يثير حقدا ولا غضبا .. ولا يسرف فىتأييد او انتقاد ..

وقد قسمه ابوابا .. تكلم فى الاول على ماهية الاسلام كشريعة ونظام خالد لتنظيم المجتمع الانساني ، ووقف الاستاذ مصطفى وقفة مجيدة مشرفة من قضية الاسترقاق ، وابان بحججه القوية ومنطقه الواضح الرزين براءة الاسلام من تهمةالدعوة الى الرقواستعباد الانسان لاخيه الانسان .. تلك التهمة التيلازال يرددها بيفاوات اوربا وسدنة التعصب من ابنائها .. مع انهم يعمون ويتصامون عن امتهان الرجل الملون فى ظل بريطانيا .. وامريكا .. وجنوب افريقيا .. وابادته فى استراليا ...

وتناول فى الباب الثاني انقسام الاسلام الى مذاهب وفرق وقد كان عميق البحث ، ريان من المادة التاريخية .. خارجا عن سلطان التعصب .. عارفا بالجذور والاصول قبل النتائج والفروع ..

فالخوارج كحزب سياسي كانت الظروف السياسية دائما فى خدمته .. يحلل موقفهم التاريخي بوضوح .. ولاسيما من ابن الزبير حيث كانوا يحاولون ضمه الى صفوفهم .. ثم قلبوا له ظهر المجن بعد محاورة طريفة .. واضاعوا الخلافة من يده .. وهم كفرقة دينية ذات طابع خاص فى اقامة بعض الشعائر نجد المؤلف لا يهمل طابعهم ، وان كانوا فى الواقع حزبا سياسيا ذا راي خاص فى الخلافة ..

والشيعة كفرقة دينية مبنية على عقيدة فى راي بعض الباحثين .. او كحزب سياسي فى راى آخرين .. يقف المؤلف منها موقفا نزيها يصور الحقائق كما هي لا كما ينبغي ان تكون ..

ويعدد فرقها الشهيرة غالية ومعتدلة وبعض اوجه الخلاف بينها وبين اهل السنة .. ويربط ذلك بالوضع الحاضر فى البلاد الاسلامية فى دقة وحذر وانصاف .. ولا ينسى الدكتور مصطفى بعض الطرائف التاريخية حول كثير من القضايا .. كنكاح المتعة الذي ابطله عمر بن الخطاب واقره اهل السنه على ذلك فى مذاهبهم الشهيرة .. وتمسك الشيعة باباحته الى الآن .. ورووا فى كتبهم ان عبد الله ابن الزبير عير بتحليله لنكاح المتعة .. فاجابه ابن عباس قائلا :

سل امك كيف سطعت المجامر بينها وبين ابيك ..

ومشكلة الاسماعلية وغموض مذهبها عالجها المؤلف بدقة عجيبة حيث حكم النصوص والادلة التاريخية لها وعليها من غير اسراف ، وربط كل ذلك بالطوائف المتفرعة عنها فى الهند والباكستان والبلاد العربية .. ولاسيما طائفة الدروز فقد اوضح كثيرا من افكارهم واسرارهم .. مما يعد ـ بحق ـ طريفا ـ فى هذا الموضوع .

انا من فيض وحيها نبع الها   مي ، ولولا العذاب ، ما كنت شاعر
انا من همت بالجبال قديما   وتغنيت بالعيون الفواتر
وعشقت الاصيل ، والنهر ، والـوا   حة ، والرمل ، والمها ، والجئاذر
والصباح الطروب ، والورد ، والشا   طيء ، والليل ، والنجوم الزواهر
منذ عرفت الجمال آمنت باللـ   ـه ، وآمنت بعده بالجزائر
منذ عرفت الجلال ، آمنت بالمغرب ،   فردا ، موحدا ، متئازر
لا حدود ، لا مذهب ، لا امتياز   لا جدود ، لا نزعة ، لا عناصر

شرعة المغرب الموحد ، ديني   بسوى دين وحدتي ، انا كافر
وطني ... انت بدعة صنعتها   من طلاسيم فنها يد ساحر
وطني ... انت بسمة الرب فى الار   ض ، ومرآة حسنه المتواتر
وعلى الاطلس المريد يداه   تقدحان الزناد فى كف ثائر
وبساح الفداء ، صرخته الكبـ   ـرى ، تدوى ، فتستفز القساور
وطني ... لو دخلت جنة عدن   وعدوني ، لم افتتن بالمظاهر
واذا كان من جمالك فيها   تبت لله من جميع الكبائر
لك اخلصت — قانتا — صلواتي   وتعلقت — خاشعا — بالستائر
وبأنفاسك الزكية تسمو   كلماتي ، واستمد الخواطر
وبأرض الكرام ، فى يوم عرس   قمت ، والشعب بالهتافات هادر
وجموع البلاد تزحف كالسيـ   ـل اندفاعا ، وكالحيا المتقاطر
والبنود المرنحات تشاوى   راقصات ، محمومة ، تتخاطر
والصبايا ، ذكرن حواء بالتفـ   ـاح يرتج ، نافذ الحكم آمر
وسرت رعشة الزغاريد فى آ   دم ، فاهتز يستزيد السواحر
وشياطين للصحافة حيرى   فى المطارات ، بين ساه وساهر
من عجول ... الى سلا ... يتنادى   وملول ... مهرول للنواصر
وعيون المصورين سهارى   تعصر الوهم ، من خلال المناظر
ان تنفست ، او تبسمت ، طارت   نشرات عبر الدنا تتناثر
والاعازيف ، (مرحبا بابن بلا)   فى الحنايا تهتز منها المناشر
حدث رائع ... وامر جليل   طيروه ... لا تحفلوا بالمصادر
واقبسوه من كل ومضة برق   واخطفوه من كل خفقة طائر
نبأ فى السماء ، تجهله الار   ض ، سلوا عنه حائمات الكواسر
الفت رؤية الصواريخ فى الجـ   ـو ، فحامت على الشجاع المغامر

ايها النازلون ، بعد طواف   نووي ، مكلل بالمفاخر
اعبروا هذه القلوب دروبا   واجعلوا هذه العيون معابر
من رباط ، صعدتم ، لتعودوا   بعد ست ... كما يعود المسافر



همة الشعب ذمة نا رسولها

لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء

صدق الوعد ... فاطفحي يابشائر   ودنا السعد ... فامرحي ياجزائر
ومضى الزحف ، يجرف السد لما   ان طغى المد ، من دماء المجازر
واستوى الفلك ... بعد ان قيل بعدا   وانطوى الشك عن ضمير الدياجر
واجتلى الرب ، يوم كلمه الشعـ   ـب ، وناجاه فى الذرى كل ثائر
ودنا من كليمه فتدلى   قاب قوسين ، عاصفا بالجبابر
وصدقنا الفدا فرعنا المنايا   وسبقنا المدى ، فسقنا المقادر
واردنا البقا ، فدسنا غرور الد   هر ، فانقاد راغم الانف صاغر
وسحرنا من مزعجات الليالي   وهزانا من كبرياء المخاطر
واتى امرنا ، فاطرقت الد   نيا خشوعا ، واذعنت للاوامر
ووضعنا شريعة ، فاحتكمنا   بتعاليم شرعنا فى المصائر

يا سماء اقلعي ... ويا ارض غيضي   واسم يا عقل .. واخلصي يا ضمائر
اينع الفرس من رماد الضحايا   ونما الزهر من رفات المقابر
ونفوس المضرجين تصاعد   ن ، بخورا ، من عابقات المجامر
حولوا هذه المشانق عيدا   انا ، والواحها الفضاب مزاهر
وافتلوا من حبالها الحمر اوتا   را ، بها تعزفون لحن البشائر
وصرير الاغلال فى السجن اوزا   نا ، واقفالها الفلاظ مزامر
وانين المعذبين تسابيـ   ـح ، بها تلهبون أسمى المشاعر
والحنايا من الضلوع محاريـ   ـب ، واكبادها الحرار منابر
وابعثوا من تنهدات الصبايا   فى سراديبها ، نبوغ العباقر

صوت الشهيد الى السماء

للشاعر
عوض عبد الرحمن الترابي

فجر اطل على الوجود سناؤه ... واهل مشبوب اللهيب ضياؤه
وغدا يبشر بالسلام وامنه ... ويعم آفاق الحياة نداؤه
قد اعقب الليل المجلل بالاسى ... والمفزعات تثيرها ظلماؤه
صوت الشهيد الى السماء وقد دعا ... عند الشهادة فاستجيب دعاؤه
ارض الجزائر والبطولة والفدا ... والسيف لاح صقيله وجلاؤه
والمدفع الرشاش فى ساح الوغى ... يصلي المدائن والقرى لاواؤه
وترابك القدسي من نيرانه ... لم ينج عامره ولا صحراؤه
لله يا وطن الاباة مخضبا ... بدم الجهاد اديمه وسماؤه
تسعون شهرا فى الكفاح ولم تهن ... عزمات شعبك او يلين بلاؤه
لم يستذل لظالم مستعمر ... بل ظل خفاقا عليه لواؤه
ضربت به الامثال فى الباس الذي ... خضعت له عند اللقا اعداؤه
واذا تمنعت النفوس على الفدا ... فالزاكيات من النفوس فداؤه
يا بن الجزائر لا عدمتك ثائرا ... يحمي حماه وليس يخبو مضاؤه
ولكم رددت على العدو وناره ... بالصاعقات وهذه اشلاؤه
ما استطاع حلف الاطلسي وجيشه ... نصرا يفوز به وخاب رجاؤه
فدعا الى وقف القتال مفاوضا ... ندا كريما كلهم اكفاؤه
شهدوا بحق الشعب فى حرية ... وكرامة نادى بها زعماؤه
والخمسة الابطال فك اسارهم ... والجيش عن قرب يتم جلاؤه
هو ذاك الاستقلال ليس بمنحة ... تعطى ولكن بالدماء شراؤه
والحق يؤخذ عنوة وجلادة ... وبدونهن خداعه ومراؤه
حييت يا بطل الجزائر من اخ ... يسمو الى هام السماء علاؤه
وليهنأ الشعب الابي بنصره ... فى العالمين ترددت اصداؤه
يبني وينشيء فى البلاد بهمة ... قد عز بناء وعز بناؤه
ويعيد للارض الطهور حياتها ... ويظل يزكو غرسه ونماؤه
الله اكبر يا جزائر كبري ... واثني عليه فانها آلاؤه
سبحانه غمر العباد بعطفه ... وتتابعت من فضله نعماؤه

كالوليد السعيد ، كالفرحة الكبـــ   ـــرى ، كما عاد للديار مهاجـــر
كنزول المسيح ، كالوحي ، كالايمـــ   ـــان ، كالوعد ، كالحظوظ البواكـــر
والاماني العذاب ، مـلء الحنايـــا   والتهاني الطراب مـلء الحناجـــر
وصفي ابن يوسف : الحسن الثانـــ   ـــي ، بعز المعاد ، جذلان ظافـــر
قدس الشعب فيه قائده الاعـــ   ـــلى ، كما قدس الغزاة العساكـر
هل رايتم في الصاعدين اباه ؟   ووقفتم عليه وقفة زائـــر ؟
فحملتم رسالة الاب لـــلابـــ   ـــن ، كما يحمل الرسول البشائـر
ونشرتم قميص يوسف في الحفـــ   ـــل ، على الشعب فاستنارت بصائر

أيها العائدون عودة نصـــر   يوم دارت على العدو الدوائـــر
وبناة الخلود ، في قصـــر (انـــوا ،   فوق انقاض ماردات القياصـــر
انتم مطمح الجزائـــر في الجلـــ   ـــى ، واشعاع روحها في الدياجـــر
والالى اضرموا شرارتهـــا الاو   لى ، واذكوا لهيبهـــا المتطايـــر
وصمام الامان في وحدة الشعـــ   ـــب ، اذا رام كيدها متئامـــر
ورجاء الفد السعيد اذا مـــا   غاث مستهتـــر ، وخان مكابـــر
طهروها من الرواسب ، والاطمـــ   ـــاع ، والدس ، واعصفوا بالسماسر
وافطموها على العروبة فكـــرا   ولسانـــا ، ومهجـــة ، وضمائـــر
واحرسوا شعبها ، من الحية الرقطـ   ـــاء ، فالسم في النواجذ ضامـر
ثقة الشعب ذمة ، فارقبوهـــا   واحذروا الشعب ، يوم تبلى السرائر
ان فعلتم ... فالمجد ، للمغرب الجبـــ   ـــار ، والعز والبقا للجزائـــر

تونس : مفدي زكرياء

كم عذبوا من مخلص متحمس   لا القتل يردعه ولا الموت زاجر !
كم من فتاة لم يصونوا عرضها   لو يقدر الجنس اللطيف مغامر ؟
منعوا الفضاء فلا مرور لطائر   وكذا البحار فلا تمر بواخر
وتفننوا في مكرهم ودهائهم   وتعددت بعد الدمار مناكر

* * *

ياويح من زعم الجزائر تربة   عجمية ادماجها متبادر
ان الجزائر امة عربية   « ما ذا يقول مجاحد ومكابر ؟
ابناؤها عرب اباة خلص   اخذوا العروبة منهلا وبرابر
وقبائل الاوراس صان عرينها   جيش من الاحرار بالعرب زاخر
سل جبهة التحرير يوم تأسست   من جاء يسلك نهجها ويبادر ؟
وسل ابن بلة يوم قام مناديا   اين الملبي للندا والناصر ؟
ان العروبة للثوار رسالة   والمسلم العربي حر ثائر

* * *

حييت يا شعب الجزائر اننا   بك في العوالم لا نزال نفاخر
انت الذي احييت امة يعرب   فغدت لركب الطامحين تساير
انت الذي اذكيت جذوة ثارها   فبدت لها نحو الكمال بوادر
اضحى كفاحك للعروبة آية   يهتز مغربنا لها ويناظر
بعث الشجاعة والحماسة فى الورى   شعب له فى العالمين مفاخر
نفخ التضامن فى العوالم كلها   فرعته فى ذاك الكفاح اواصر
انت الذي انقذتنا من كبوة   فغدت لنا بعد السبات مظاهر

* * *

حسب الطغاة هلاك شعب كامل   امرا يدبره العدو الجائر
فتجمعوا وتجمهروا وتظاهروا   ايفيد جيش الظالمين تظاهر ؟
وعصوا اوامر من يسير حكمهم   فأتتهم بالزاجرات اوامر
ان انس لا انسى تمرد جيشهم   فى شهر مايو والدماء موائر
وفلولهم فى ساحة قد تجمعت   والجنرال مشجع ومناصر
والمجمع الرجعي جن جنونه   والجيش حام للفلاة مظاهر
ياويحهم ظنوا التمرد حيلة   يجثو لها مامورهم والآمر

موكب النصر

شعر : عبد اللطيف احمد خالص

اليوم تظهر فى الوجود بشائر ... ويعم هذا الكون سر ظاهر
اليوم يعلو للسلام لواؤه ... وتزول عن افق الشمال دياجر
اليوم تنتصر الجزائر امة ... وحكومة ويتيه شعب ظافر
فالكون يرقص والطبيعة تحتفي ... والجو طلق والنجوم زواهر
والارض ترفل نشوة وسعادة ... والافق ضمخه العبير الزاهر
والمغرب العربي يطرب زاهيا ... والعرب تهتف والشعوب تشاطر

***

الله اكبر لا مرد لأمره ... ختم الا لاه لتنصرن جزائر
الله اكبر قد ارانا نعمة ... ظلت تراود فكرنا وتساور
ارض الجزائر تستعيد كرامة ... ايعيث بعد اليوم فيها فاجر ؟
شعب الجزائر يستقل ويرتقي ... درج الكمال ويحتفي ويثابر
شعب غدا بعد الكفاح محررا ... والخصم منكسر الجوانب صاغر
شعب ارانا فى الكفاح صفائحا ... بيضا يزينها ثبات نادر
منذ اندلاع الحرب صمم عزمه ... وغدا يقاوم صابرا ويفاور
لم يستكن لعدوه يوما ولا ... رضي الحياة يسودها متآمر
ما لان قط ولا تردد لحظة ... ان المناضل للتردد هاجر
خاض الغمار مجاهدا ومواظبا ... يسطو على جيش العدى ويخاطر
حتى اتاه النصر يحبو جائيا ... والخصم منطرح صريع خاسر
خارت قوى ذاك العنيد بأرضه ... وانجاب غيم قاتم وسمادر
وانهار الاستعمار في ابراجه ... وانحل عهد بالمعاكر جاهر
وتضعضع الطغيان رغم صموده ... ومراكز الطغيان رسم داثر

جعلت مثالك في المعارك آية ... تتلو بواد ذكرها وحواضر

واليوم انت مناطها في فترة ... بعد القتال مصيرها بك دائر

فاسلك بها نهج الكرامة والعلا ... ان الكرامة للشعوب ذخائر

* * *

يا أيها الشعب الشقيق تحيتي ... اديتها والقلب زاره طاهر

لتنافس الاقلام فيك وفكرتي ... يزهو بها هذا البيان الساحر

ان النفوس اذا تناهر حبها ... ثارت وصورها اللسان الشاكر

ملأ الفخار رجوا نحى ومداركي ... فانا بنصرك فى العوالم شاعر

ملك انتصارك خاطرى ومشاعري ... آن انتصارك فى التفاوض باهر

يشد والقريض بما احس معبرا ... والشعر الهام صدوق غامر

فلك التهاني من فؤاد خالص ... فهي القلائد والبيان جواهر

الرباط : عبد اللطيف خالص

لكنهم خابوا وضلوا رشدهم ... لما انبرى شعب قوي قاهر
جمع الفداء صفوفه مرصوصة ... وتوحدت وقت الجهاد مشاعر
وبدت له في النائبات مواقف ... خر العدو لها وخاب الغادر

* * *

ركب المفاخر مرحبا بقدومكم ... وبموكب الاحرار حق التفاخر
آساد ملحمة الجزائر مرحبا ... فالمغرب الاقصى طروب فاخر
هذه البلاد تزينت وتبرجت ... للقائكم فهي الرياض الناضر
بالأمس كانت في حداد دائم ... تبدي معالم حزنها وتجاهر
ديست كرامة اهلها ومليكها ... فشعورها بالعار داء ناخر
واليوم يغمرها السرو، فتحتفي ... طربا بمقدم ركبكم وتكاثر
انتم حماة الضيم في ارجائها ... واسود ثار جر الوغى ومساعر
كنتم بدور النفي بعد اختطافكم ... واليوم انتم سؤدد متوافر

* * *

لله درك يا ابن بن بلة من فتى ... شهم له في الكائنات مآثر
قدت الجزائر للتحرر شاهرا ... سيفا يجاهد في العدى ويخاطر
انت الذي اضرمت ثورة امة ... عبث الدخيل بارضها والكافر
حسبت فرنسا ان سيف الخوف في ... كفيك يوقفه اختطاف بائر
ونوت فرنسا ان نار الحرب في ... قطر سيطفئها احتيال غادر
فطغت على ليث الشرى وتطاولت ... وعمادها ظلم وبغي كاشر
ما ضر سيفا ان يعود لغمده ... كلا ولا هابت اسود خوادر
خسروا معاركهم وشوه امرهم ... وبدت لهم رغم الصمود خسائر
امل الجزائر كنت يوم دعوتها ... للثأر في يمناك سيف باتر
ثارت على الباغي العنيد وغامرت ... وعلت لها فوق الحديد زماجر
يوم النضال رأتك بدرا لامعا ... يقضي على ظلم العدو ويحاصر

وفقدت كل صداقة من مسلم … فى المشرقين اما دريت المازقا
اما المطامع لم يعد فى وسعها … تضفي عليك برفدها فاسترزقا
والمغرب الحر الابي وحلفه … متضامنان لصد بغيك فاشهقا
وشقيقنا شعب الجزائر صامد … نحو الكفاح حماه صعب المرتقى
بالله اقسم لا تلين قناته … حتى يحز بسيفه لك مفرقا
ويذيقكم مر النكال مجسما … ويبيد ارواح الطغاة فتزهقا
باعانة من ربنا الباري الذي … املى لحزب الظالمين فامحقا
وبجاه قدر محمد من نوره … عم البرايا كلها وتالقا
صلى عليه الله جل جلاله … ما لاح نجم في السماء وابرقا
وعلى ذويه وصحبه وعلى الذي … ضحى لمجد الدين كيلا يمحقا
ثم الدعاء لمالك العصر الذي … اعطى لنا درس الكفاح مدققا
حسن الخصال امير سر فقيدنا … وعزيزنا من بالكمال تطوقا
فبحزمه وسديد حكمة رايه … زال العنا وبدا السلام محققا
وبفضل ما اولاه ربه من رضى … وانار من سبل له فتفوقا
عظمت عواطفه الكريمة فانبرى … لفكاك اسر ضيوفنا فتوفقا
ابقى الاله جلاله وجماله … شمسا لمغربنا يزول به الشقا
فيرى الفلاة وقد تبعثر شملهم … ويرى الطغاة وحزبهم قد مزقا
وترى الجزائر فى بهى استقلالها … فترى النعيم وشمسها قد اشرقا
ويرى السلام مخيما بربوع مغـ … ـربنا الكبير منظما ومنسقا
وعليه الوية العروبة والهنا … رغم الانوف وسهوق قد احنقا
فليهنا الملك الغضنفر نصره … وليهنا الزعماء فاتحة اللقا
وليهنا الشعب الشقيق باسره … والعرب والاسلام غربا ومشرقا
ما قال منشد الانطلاق تلهفا … الله اكبر نور حق اشرقا

سلا : محمد بن عمر العلوي

فرحة اللقاء

للشاعر محمد بن عمر العلوي

الله اكبر نور حق اشرقا ... فمحى الظلام عن العباد ومحقا
سبحانه من راحم سبحانه ... يجزي بعفو بعد امراض الشقا
يعطي لخلقه ما يشاء لحكمة ... فى علمه سبقت وفضلا مرتقى
عمت مواهب جوده وتكاثرت ... ومن المواهب خصمنا قد اخفقا
خصم تظاهر بالوداد كمخلص ... وحقيقة منه العداء تحققا
لشعوب مغربنا العزيز تحاملا ... كيما يصول بجرمه ويفرقا
ما شئت من مكر وتضليل ومن ... اخزى مكايد تحاك تحنقا
كم من جليل ذاق باس نكاله ... او بيت مجد قد اهان ومزقا
او معهد للدين هد كيانه ... فقضى عليه بعسفه او ضيقا
ومظالم وبوائق ومجازر ... بجزائر وبمغرب قد طبقا
ومفاسد ومئاتم وفواحش ... يندي الجبين لها وتبكي المشفقا
تلكم فعال المجرمين وعسفهم ... وخداعهم قد اظهروه منمقا
داسوا الكرامة والحقوق وبينوا ... غدرا شنيعا بل جحيما محرقا
نكثوا العهود تجبرا وتكبرا ... وعميدهم فى الخزي اضحى احمقا
خبث الصهاينة اللئام ومكرهم ... لك مبدء يا فاجرا يا اخرقا
خطط تسيرها اليهود تكتما ... ضد الاسلام تئامرا وتزندقا
امن المروؤة والبطولة ان يرى ... ضيف تخفر ان يضام ويسرقا
ضيف حماه بعطفه وذمامه ... ملك الدنا رمز الفداء المنتقى
فخر الملوك محمد من حبه ... سكن القلوب باسرها وتفوقا
قبحا لكم من كاشح يسعى الى ... كبح السيادة ان تضارع مشرقا
سحقا لكم فمتى اتيت بمشكل ... صعب المراس فلن تكون موفقا
او ما اتعظت بدرس هند سالف ... والخيبة الكبرى بمصر المطلقا
وفدائح الافلاس تنعي شعبكم ... حتى تدين لليهود تملقا
فرفضم لغة الوساطة عند ما ... جاءت لخير الجانبين ومرفقا
من عاهل نشد السلام محبة ... بين الشعوب وبالوئام تخلقا
فاقمت بالعدوان تذكي ناره ... والفتك فى العزل الاباة وما بقى
من كل اكرم لا يقاس شهامة ... يا مجرما اخطات رايا اوفقا

ودموع النخل تدريها الليالي ، للاسى للموت من وادي السآمه
وصلاة الزهر للصبح جديدا ، بتراتيل السنونو والحمامه
ووميض البرق تغشيه الدياجي ، وشماعا غامضا تجلو المدامه
تلك الحان واوتار تمطت ، بقيائير سقاها الصاب جامه

هي مثلي منه عبث غير اني ، زدت عنها الف زق الف رشفه
عشقته النفس حتى خيلت لي ، وشفاهي فوقه اعصر شفه
ثم الفيت غزيرا بعد حين ، تحت طيات من اطيافه عنفه
لم تدم حتى اذابتها رؤى الدفء بانفاسي في رعشة رفه

لا تلمني ان ارم تكبيره ، بل لا تسلني عن مصيري ونشيدي
فشبيه يومي الآتي وماض ، قد تخفى من قريب او بعيد
انما الدهر باحضان حياة ، لقم يجتر في حلق وجودي
كررت ايامه نوحا وضحكا ، كصدي المعروف من الحان عود

لا تحدثني عن الفجر جديدا ، ان سيبدو من وراء الدجنة
انما حظي منه لحظات ، سوف تمضي ثم تبقى وحشتي
هل ترى ارجو مع العاصف شيئا ، من وميض بفتيل الشمعة ؟
ومتى كانت مدامي من تراب ، وسنا ببذر الدجنة ؟

القصر الكبير : محمد الخمار

ألحان وأوتار

للشاعر :
محمد الخمار

(شاعري ، الجام الذي ذقت جناه ، ان ترم من غضب الغصة كسره ..
ما مصير انت تلقاه ولحن ، لنشيد قد تهادى الخلد عبره ؟
قلب الطرف تجد فجرا جديدا ، من بعيد آتيا يحمل نوره
فالمدام الحلو بعض من تراب ، وسنا الفجر من الدجنة بذره)

فتهادت من فؤادي زفرة مثل رفيف من جناح طائر
كسرت اوصاله موجة ريح ، قد تخطته بخطو العاثر
كشراع مزق الليل نداه ، صفقت اشلاؤه للعابر
زفرة شفت عن النفس وعما قد توارى من اتوني العامر :

« اسمعت البوم من بين الدياجي ، مزق الصمت انينا وشكاية ؟
وعويلا اسمرا يخنقه الدمع ولما يحكنا بعد الرواية
وزفير القلب تدميه الولاويل واشباح الاسى تنفخ نايه ؟
ومياه البحر ترتج صعودا وهبوطا ، اترى تنشد غاية ؟

ارايت الطير يهتز ذبيحا ، من جراح الاسهم الطيش الطليقة ؟
وارتعاشا ظامئا فى حلق زهر ، جففت شمس الهجير المر ريقه
وغديرا اخضرا يروي السواقي ، شرب الدود من الارض عروقه
وصباحا قدسيا ابيضا قد أخرت سحب الدجى الرعن شروقه

وبدا قلبه يدق بعنف وهو يجذب الباب لينفتح ..

وانفتح الباب الى تحت .. نزل اعلاه على الارض، واذا بسلم حديدي ملصق بباطن الباب واطل بداخلها واذا ظلام حالك يسمع بداخله وقع قطرات ماء تنزل من السقف على الارض ..

وبحث في جيبه عن الوقيد ، فاشعل عودا ثم صعد السلم ، ودخل ..

كان داخل المكان عبارة عن قبة عالية تتدلى منها استار كثيفة من العنكبوت ، وعلى الارض فردات رحي تتدرج في الضخامة والوزن ... واختار هو واحدة كانت اصغرها واخفها ، فرفعها من مكانها فاذا تحتها بئر على جداره سلم حديدي .. فاشعل عودا آخر ونزل البئر الى نهايته ، فاذا به امام باب قديم ضيق ، وحين دفعه هوى الى الارض غبارا مسحوقا .. واشعل عودا آخر وتقدم ، فاذا به وسط قاعة اضاءت الوقيدة فيها فجأة اضياءه باهرة .. ونظر حواليه فاذا الجدران والسقوف والارض كلها تلمع وتعكس اشعة وقيدته الصغيرة ..

وبقي مبهورا فاغر الفم حتى احرقت الوقيدة اصابعه لتنبهه انه ليس في حلم فاضطر الى اشعال اخرى

كان المخبأ كنزا قديما يحتوي على صناديق معدنية وخوابي فخارية وتماثيل حجرية كلها ملآنة عقودا او جواهر ودنانير بحجم الكف الكبيرة ، وسيوفا وخناجر واحزمه وتيجان مرصعة الى كل ما يدركه وما لا يدركه الخيال .

وكاد شويدن « يجن وهو ينظر الى مايرى حوله ... وفي النهاية قرر ان يعود وحده ليلا ليحمل على بغلته كل ما يستطيع حمله ، كل ليله قليلا ، حتى ينقل الكنز الى بيته ..

وحين هم بالخروج انحنى فالتقط دينارا من الدنانير الذهبية العملاقة ووضعه في جيبه وخرج ...

ومن فرط تأثره لم يستطع الصبر على لقاء مع زميله . فقال له انه اصيب بدوار مفاجيء . وان عليه ان يصحبه الى البيت . وعاد الاثنان الى المدينة .

ومع منتصف الليل كان البحر في جزره الاقصى .. وقد هرب الماء عن الكهوف .. وخرج « شويدن » ببغلته يشق طرقات المدينة الخالية حتى الشاطيء ، وحين وصل الى كهفه المعلوم ، ربط البغلة على صخرة ببابه ، واشعل فنارا كبيرا .. ودخل ومعوله في يده قاصدا باب الكنز .. وفي مكانها بالذات بدا يبحث عن الحلقة الذهبية التي كان قد غطاها ببعض نبات البحر ..

وبحث مرة واثنين وثلاثة دون ان يجد لها اثرا .. واقبل على النبات بمعوله يزيله عن الصخرة الصماء حتى عري المنطقة كلها من نباتها .. وبدا يبحث بفناره عن اطار الباب الحجري المدفون في الصخرة فلم يجده ..

وكاد يجن .. بدا يشك في شيء حتى في انه مستيقظ ، وبدا يضرب على الصخور بقبضتيه ويصرخ ليعرف انه صاح .. فكانت اغوار الكهف تردد صراخه ثم تعود الى صمتها الازلي ..

وقعد على صخرة هناك ينظر الى فناره في شبه غيبوبة بليدة ..

وبدا المد ..

ودخلت موجة فاطفأت الفنار .. وبدات البغلة المربوطة خارج الكهف تحمحم وتحاول الفكاك من رباطها حين بدا الموج يتكسر على قوائمها ..

ولم يستيقظ « شويدن » حتى كادت الامواج تغطيه فافاق من غيبوبته وخرج يجري . كانت البغلة قد قطعت رباطها وعادت الى المدينة .. وعاد هو وحده يهذي بكلام غير مفهوم

وبعد ايام قلائل شاع خبر جنون « شويدن » ..

وفسره الناس تفسيرات كثيرة مختلفة .. فمنهم من قال انه راى « عيشة قنديشة » جنية البحر التي تختار الشباب وتخطف عقله .. ومنهم من قال انه الكيف والحشيش ..

واحتفظت امه « العباسية » وحدها بالسر .. لقد وجدت الدينار في جيب ابنها كدليل على صدق ما حكاه لها عن الكنز ..

وبعد يومين جاء احد اهل الساحل الى المدينة يخبرهم انه راى رجلا يدخل البحر متجها غربا نحو

قصة العدد

القصة الملعونة

للاستاذ : احمد عبد السلام البقالي

يصل المد والجزر غايتهما القصوى عند منتصف كل شهر قمري .. وعند الجزر الاكبر يهرب البحر عن شواطىء المدينة الساحلية الصغيرة فيترك صخورا سوداء وخضراء ورمادية ، ومروجا عميقة زرقاء ، وبحيرات كبيرة بين تلال الرمال .. وكلها تعكس اشعة الشمس الغاربة بحمرتها وشاعريتها .

هذا المنظر كان دائما يلهب خيالي ويغرقني فى اغفاءة لذيذة كلما شاهدته .

وفى ذلك الصباح بالذات كان الجزر قد بلغ منتهاه وكنت اقود جماعة من صغار الكشافة نحو الضاحية الجنوبية للمدينة الصغيرة ، حيث توجد الكهوف والشقوق المظلمة ، التي يعشش فيها الحمام والخفافيش ، ويملاها البحر حتى منتصفها عند المد الاكبر ..

وبدات علامات الاعياء تبدو على الاوجه الصغيرة ، وانقطع الحديث ، ولم يبق يسمع الا صوت تكسر الامواج على الصخور البعيدة داخل البحر ..

ولاصرف اذهانهم عن التفكير فى طول المسافة، بدات احكي لهم قصة ارتجلت كل حوادثها فى الحين .. بداتها بمقدمة حتى اضفي عليها نوعا من الجدية ، وابعد بها عن لغو « مداحي » السوق ..

سالت : « من يعرف العباسة ؟ » فاجاب اكبرهم « العجوز العمياء ؟ » .

قلت : « نعم » .

قال : لقد ماتت ، اليس كذلك ؟

قلت : « نعم منذ عدة اشهر .. وقد اوصت لابي بصندوق فيه كثير من الوثائق والاوراق القديمة هذه الايام كنت انشر محتويات الصندوق على السطح للشمس فعثرت على كراسة بها قصة عجيبة كتبها احد العدول بخط يده .. »

وسأل احدهم بلهفة :

« وما هي القصة ؟ »

وتنحنحت قبل ان ابدأ :

« القصة حدثت قبل اربعين او خمسين سنة .. طبعا قبل دخول الاستعمار .. كان بالمدينة صياد شاب يدعى « شويدن » من اقارب العباسة ، كان يعيش هو وعائلته فى فقر مدقع .. يعمل صياد سمك فى الصيف وحائكا فى الشتاء .

وفى يوم خرج هو وزميل له لجمع محار « السرنباق » . وكان البحر فى زجره الاقصى .. مثل اليوم .. وتفرق الزميلان على صخور الساحل وبين المروج يقتلعان المحار الكبير الممتليء بمعاول صغيرة متينة .. »

ودخل « شويدن » الكهف متتبعا حقلا مستطيلا من المحار النابت بداخله .. وبينما هو يضرب على الصخور ، دخل طرف المعول فى شق صلب بين النبات البحري الذي يكسو الصخرة ..

وازاح « شويدن » بيده النبات عن راس المعول ، فوجده داخلا فى حلقة ذهبية لامعة ..

وفوجىء بما وجد ، فهم بمناداة رفيقه .. ولكنه آثر ان يعرف ما وراء الحلقة اولا ، حتى اذا وجد شيئا كان له وحده . وادخل المعول فى الحلقة مرة اخرى وبدأ يجذبها بقوة .. وبعد عدة دقائق من الجهد شعر ان بابا كبيرا ينشق حوالي الحلقة ..

الحياة الثقافية في الوطن العربي

فى المغـرب العربـــي :

الاذاعة فى خدمة الثقافة : ممـا لا شك فيـه ان الاذاعة والتلفزة والسينما اصبحت جميعا مـن الادوات التثقيفية لدى الامم الحية واستغلت جميعـا كوسائل تكميلية فى ميدان التعليم والتثقيف ومحاربـة الامية فى المجتمعات المتخلفة ، وخصوصا الاذاعة التـي تعتبر من احسن الوسائل السمعية فى دعم الثقافـة وتعليم اللغات فلا عجب من ان يسارع المغرب البلـد الناهض الى استغلال الاذاعة فى كفاحه ضد الجهـل كمدرسة سمعية مفيدة وبذلك حقـق المغرب عمـلا سيكون له الاثر الكبير فى مستقبل البلاد الثقافـي فى القريب العاجل .

ومن عوامل النجاح للاذاعة التربوية التي دشنها صاحب الجلالة فى هذه السنة الدراسية انها لـم تقتصر فى برامجها على نوع واحد وانما جعلت مـن برامجها مدارس لثلاثـة انـواع :

1 — برنامج اول موجـه للطفولة المدرسيـة فى مستوى المتوسط الاول والثانـي .

2 — برنامج ثان موجه للطفولة المحرومة مـن التعليم والتي لم يساعدها الحظ لتجـد مقاعدهـا فى المـدارس .

3 — وبرنامج ثالث للكبار ليرفعوا عن انفسهـم ظلام الجهل ويرتفعوا بعقولهم الـى مستوى العصـر الذي يعيشونـه .

ومن هنا تتأكد من حسن التوجيه الـذي سارت عليه الاذاعة التربوية من يوم افتتاحهـا خصوصا بعـد ان جعلت من اهدافها زيادة على محاربة الامية وتعزيز الثقافة وتيسـر التعليـم لجميـع طبقـات الشعب ، جعلت هدفها رفع مستوى الاطارات التعليمية التـي هي فى حاجة اكيدة الى تكونها واعدادهـا والاخـذ بيدها الى المستوى اللائق برسـل الثقافـه ومنشىء العقول فهنيئا للمغرب بهذه الخطوه المباركة وما زلنـا ننتظر من وزير الانباء والسياحة والفنون الجميلة الذي قطع على نفسه عهدا بأن يجعـل السينما فى خدمـة الشعب ، فاذا الخطوة الاولى لـم تتحقق بعد هـذه الخطوة التي نعتقد انها ضرورية فى بلـد اغلبيته لا تعرف اللغة الاجنبية ، ثم هي ملزمة بان ندخل لجميع الافلام لترى من غير ان تفهم ، فعلا اقدم الوزير علـى عمل فيه خدمة البلاد وانقاذ اللغة القومية واسترجاع لكرامة البلاد ودخل وافر لابناء الشعب ، وهل فكـر المسؤولون فى استغلال السينمـا كوسيلـة فعالـة فى الناحية الثقافية فى بلد يحتاج الـى جميع المجهودات وجميع الوسائل ذلك ما نتمنى وعسى ان يكون قريبا.

وفى الجمهورية العربيـة المتحـدة :

انقـذوا الفلم العربي : تعتبر مصر الشقيقة رابع دولة فى كرة الانتاج السينمائي ، ولكـن مـع الاسف انها من الناحية الفنية لا تتلاءم ولا تتساير مع منزلتها الانتاجية مما دفع بكثير من المصابين بمركب النقص امام اسيادهم وبالتالي علـى ابناء قوميتهم ، اولئك الذين يتهمون كل انتاج عربي فنيا كان او ادبيا من غير ان يشاهدوه او يتعرفوا عليه ، دفع هـذا النقص فى الافلام العربية الى ان تعدها هؤلاء المفرضون فى المرتبة الاخيرة ويدعون ضدها ويشمئزون منهـا ويستنكفون من مشاهدتها بحجة الضعف والسخافـة والبدائية ، والحق ان كثيرا مـن افلامنا العربيـة لا تخضع فى الاكـثر الا لعامل الربح دون مراعاة للعوامل

المياه الزرقاء ولا يعود .. وقال انه ناداه، ولكنه يشك فى انه سمعه لبعد المسافة بينه وبين الشاطىء ...

وخرج كثير من الصيادين فى مراكبهم للبحث عنه .. وقضوا ليلة باكملها يجذفون ويبحثون بفناراتهم القوية وينادون ..

وفى الصباح عادوا وعلى اوجههم خيبة وارهاق ..

وحين خلا الشاطىء من الناس ، بقيت العباسة وحدها تبكي ، حتى اخذتها خادمتها المخلصة عائدة بها الى بيتها ...

وهكذا انتقلت هذه القصة مع بقية وثائق العباسة الى بيتنا .

*

وسال احد الصغار : « واين الدينار » ؟

« الدينار ؟ اوه ... لا ادري .. قد تكون صرفته العباسة فى طور حياتها الاخيرة » !

وتركت قصتي على اوجه الصغار اثرا عميقا .. وسكتوا جميعا يفكرون فى تفاصيلها .. ثم بدات المناقشة ..

ولم تمض يومان على حكايتي لهذه القصة حتى انتشرت كالنار فى البنزين فى المدينة ..

وانتهت عطلتي ، وعدت الى مقر دراستي الثانوية ، وفى اول ليلة لي بالقسم الداخلي طلبت مني الجماعة ان احكي لهم قصة

فسالت هل يعرفون قصة « شويدن » تمهيدا لحكايتها .. فقالوا كلهم انها قديمة : لقد حكاها لهم طالب من مدينتي بالامس ، وانتشرت بين طلبة القسم الداخلي انتشارا سريعا ..

ثم نزلت الى المدينة الكبيرة لتكتسحها ..

وفى داخل الفصل من السنة ، وقد نسيت انا عن القصة ، ترامت الى مسمعي من مدينتي الصغيرة اخبار عجيبة ..

جاء احدهم يحكي ان جماعة من رجال السحر والارصاد قدموا من سوس الى المدينة للبحث عن كنز فى ناحية الكهف .. وقد وجدوا مساعدات كثيرة من بعض السكان ومن المراقب العسكري نفسه ..

وبدا الحفر داخل الكهف وخارجه .. وكان اهل المدينة يضيفون الفقهاء السوسيين ضيافات فخمه طمعا فى جوهرة او عقد من الكنز المنتظر :

وكان الفقهاء يوزعون الوعود والناس تغدق لتمويل مشروع الحفر .

وحفر العمال نفقا عميقا فى جدار عال بداخل الكهف ، ونفرعوا فى داخله يمينا وشمالا ونزلوا الى تحت مستوى مياه البحر .

وفى صباح يوم فوجىء العمال بوجود جثة فى قاع النفق .. وبعد فحص الجثة تبين انها لرجل من فقهاء سوس تعرف عليه احد الفقهاء الموجودين بالمدينة ..

وكثرت الاشاعات على ان للكنز توابع وارصادا .. وان الحفر قد وصل نهايته ..

وبعد يومين وجدت جثة احد الفقهاء بداخل النفق .. لم يكن غريبا .. بل كان واحدا من الباحثين الثلاث ..

وتسرب الخبر الى الجرائد فكتبت عنه «اسانا» بايجاز واعدة قراءها بتفاصيل القصة ..

وخاف المراقب العسكري ان يقع فى ورطه فاوقف عمليات الحفر .

وفى تلك الليلة اختفى الفقيهان الباقيان .

وحين نزل المحقق الى قعر النفق وجد اثار جرة كبيرة فى طين الحائط .. واستمر البحث حوالي النقطة ليسفر عن وجود قطع من الجرة مبعثرة هنا وهناك !

لقد هرب الفقيهان بالكنز الموعود .. وخرج البوليس ورجال الجيش للبحث عنهما فلم يعثر لهما على اثر ..

وهكذا انتهت القصة الملعونة التي بدات فى صباح يوم صيفي وديع ، فقط ، لتبعث الدفء فى قلوب الصغار وتنسيهم متاعب الطريق الطويل .

الرباط : احمد عبد السلام البقالي

الطب والدواء .. وانه لمن الظلم الفاحش للمواطن العربي الذي يتخبط في حرمان الفقر وآلام المرض ان يؤخذ دواؤه ما يزيد على الخمسين في المائة من قيمته الاصلية ما بين الضرائب والارباح،هذا المواطن الذي يقطع من لحمه ودمه ويشتري بقوته ومعاشه هذا الدواء ، وعوض من ان نقدمه له مجانا لا نخجل من ان نرهقه زيادة على ثمنه بالضرائب والارباح الخيالية التي يتقاضاها الصيادلة وخصوصا في شمالنا العربي ومن غير مقابل اللهم الا عملا بسيطا يقوم به المساعدون ، واما الطب فهوا يضا مشكلة امتنا العويصة ، فالاطباء قله والاجر مرتفع تعجز عنه الاغلبية والمستشفيات الحكومية غير كافية والموجود لا يقوم بالواجب كما يلزم . والاطباء العاملون بمستشفياتنا يشعرون بالغبن ولهم الحق في ذلك اذ لا يعقل ان يتقاضى الطبيب مائة الف فرنك شهريا في حين يستغل زميله الحر ضعف ذلك في الاسبوع الواحد ، والحل الصحيح هو التأميم المطلق لكي نوفر للشعب حقه في الحياة والصحة وليس معنى ذلك هضم حقوق اطبائنا ، كلا ، بل يجب ان نضمن لهم حياة تتناسب مع مجهوداتهم الانسانية وان نضمن الاطمئنان على مستقبلهم فنجعل منهم ملائكة للرحمة ورسلا للسلام والهناء .

ولعل في هذه التجربة الجريئة ما يدعو نقابات الاطباء الى مراجعة موقفها والاستماع الى صوت الضمير المنادي والاقدام على انقاذ شعوبهم والمساهمة في تخفيف آلام اخوانهم والعمل على تقدم اوطانهم ورقي امتهم .. وشكرا لاطباء اسوان واسيوط واكراما لعامل اسوان واسيوط الذي ساعد على تطبيق الفكرة وعمل على انجاح التجربة وعسى ان يكون لنا فيكم المثل الاعلى والقدوة الصالحة فنحقق اشتراكية العلاج كمرحلة اولى لتحقيق مجانية الدواء بفضل التضحية والاخلاص والعمل المشترك .

الرباط : الموساوي زروق

تنبيـــــــــــه

وقع خطأ مطبعي في ركن « الانباء الثقافية » من العدد الماضي حيث تزحلقت بعض السطور فنسب اصدار كتاب « اعتاب الكتاب » للاستاذ عبد الله الجراري خطأ، والصحيح ان الذي اصدر هذا الكتاب هو المجمع العلمي العربي بدمشق فمعذرة .

الفنية التي هي اساس النجاح الحقيقي لكل عمل خالد اللهم الا ما جاء عرضا او تلقائيا من غير ان تعطى له الاسبقية او يقرأ له الحساب او يتوقف من اجله ، الانتاج ، وبذلك اصبح المقياس الذي يقاس به نجاح الفلم لدى منتجينا هو ما يدره من الارباح ولذلك لا يعمل المنتج الا على ارضاء الجماهير التي نقاد بغرائزها ولو على حساب المقاييس الفنية ولو على القيم الاخلاقية .

ومن هنا اصبحت السمة الواضحة — ولم تكذب حتى الآن — فى اكثر انتاجنا السينمائي هي الاخراج الهزيل والقصة الضعيفة والتمثيل المتكلف .. والارتجال الصارح والتهريج الصبياني السخيف ، اما المناظر الخليعة التي تحشر حشرا سمجا فى كل فلم . واما الرقصات الشرقية المثيرة والتي يخلق لها الجو خلقا لتتكرم على المكبوتين من النظارة بسطحات البطون وتمايل الارداف ولتعرض للناس كث الشرف وجنون الفريزة البهيمية فيه ، فذلك شيء ضروري فى كل فيلم تقريبا وهو لازم لكل افلامنا لزوما لا يقبل الجدال .

وماذا يراد بذلك ؟ وما الغايه من ذلك ؟ القصد واضح والغاية ظاهره لا يمكن ان تخفى الا على منتجي افلامنا الذين يتعامون ويتجاهلون ما دام الاقبال موجودا والربح وافرا ، انهم يريدون من وراء ذلك تغطية النقص وستر التكلف . واللعب على الذقون الجاهلة . وتملق الجماهير باستثارة الغرائز تلك هي وسيلتهم التي جربوها اول الامر فنجحت ماديا فاستمروا عليها مضحين بكل القيم ، وانها لوسيلة رخيصة منحطة جعلت من اغلب افلامنا ادوات للافساد الخلقي والاساءة الى الشعب العربي بشكل مزعج وبعيد عن الذوق ، واصبح الفلم العربي نتيجة لتقصير كثير من منتجيه واصرارهم على الارتجال والسرعة الجنونية وتقليلهم من التكاليف على حساب الانتاج ، اصبح على العكس من رسالته الاصلية وسيلة لتشويه سمعتنا . ومدعاة للاستهزاء بنا ، وللامم الحق ، وكامل الحق فى ان تتخذ من افلامنا صورة مصغرة او مكبرة حسب الاهواء لامتنا ، فالفلم فى واقعه سفير يمثل الامة وفيه من فن الشعب وحضارته ما يجعله مرآة صادقة فى كثير من الاحيان وافلامنا مع الاسف لا تصلح لتمثيل شعبنا العربي فى واقعه الثوري .

وعسى ان يعمل المجلس الاعلى للفنون على تلافي هذا الانحطاط وانقاذ الامة العربية من هؤلاء السفراء المشوهين ؛ ولعل مؤسسة دعم السينما فى وزارة الثقافة بذلت جهدا كبيرا فى ذلك ولكن مع الاسف ان المشرفين على توزيع افلامنا لا يراعون مصلحة وطنهم ، ولا مصلحة العروبة حين يسمحون بالسخافة تصدر الى الخارج، وكان الاحسن كخطوة اولى لاصلاح الاوضاع منع التافه من تجاوز الحدود المصرية ، وكم نتمنى معشر العرب عملا حاسما من المسؤولين فى القطر الشقيق لانقاذ صناعة السينما ، وافضل وسيلة فيما اعتقد تأميم هذه الصناعة فالتأميم وحده هو الذي سيجعل منهافنا خالصا لا تجارة فيه ويصبح الانتاج موجها حسب تخطيط ما يجب انتاجه من افلام روائية كانت ام علمية ثقافية وتصبح السينما العربية معتمدة فى تمويلها على الدولة وفى تسييرها وتقدمها وفنيتها على العقول غير التجارية وعندئذ فقط يمكن لجمعية الفلم التي تأسست اخيرا ان تقوم بمهمتها لتنشر الثقافة السينمائية الصحيحة والتي لا تشوهها ارتجال ولا يسيء اليها حب الربح وروح التجاره، فالتأميم هو الوسيلة النافعة والطريق الوحيد لخدمة الامة العربية فى انتاجها السينمائي ذلك ما نرجوه مخلصين .

عمل عظيم من اجل الشعب : فى اقليمي اسيوط واسوان من الجمهورية العربية المتحدة تجري تجربة خطيرة لانقاذ البشرية من آلامها يترقب نجاحها الملايين من ابناء مصر العزيزة وعشرات الملايين من ابناء العروبة ومئات الملايين من ابناء افريقيا وآسيا ، هذه التجربة الانسانية هي تأميم الخدمات الطبية فى هذين الاقليمين فى مقابل راتب يتقاضاه الطبيب على ان يشتغل نصف النهار مجانا .. انها لتضحية عظمى وعمل جبار سيخلده التاريخ لاطبائنا المخلصين وما احوجنا نحن العرب الى ان تتكتل الجهود وتتعاون المهن جميعا ، وتتظافر القوى العقلية والانتاجية فى التخفيف من آلام امتنا والتعجيل بيوم نجاتها والاخذ بيدها الى الحياة الكريمة الشريفة .

والحق ان هناك اشياء كثيرة وضرورية فى حياتنا الجديدة يجب على قادة الشعب العربي ان يعيدوا النظر فيها وان يحاولوا تنظيمها تنظيما يتماشى مع حاجياتنا ويستجيب لرغباتنا وخصوصا

* شارك الدكتور يوسف بن العباس وزير الصحة والمكلف بوزارة التهذيب الوطني في اعمال المجلس التنفيذي للجنة الثقافية لدول ميثاق الدار البيضاء الذي عقد في القاهرة . كما حضره بمعيته السادة : محمدالشرفي مدير الشؤون الثقافية . وعبد الهادي التازي رئيس قسم الشؤون الثقافية في وزارة التربية الوطنية .

* بدا المجمع اللغوي بالقاهرة دورته الثامنة والعشرين ، وقد وافق على ضم احد عشر عضوا من مختلف البلاد العربية من بينهم السيد فاضل بن عاسور من تونس ، والسيد البشير الابراهيمي من الجزائر ، والسيد عبد الله كنون من المغرب الذي حضر هذه الدورة .

* يصدر الاستاذ محمد الباقر الكتاني كتابا تاريخيا عن المغرب .

* صدرت في تونس صحيفة يومية بعنوان « الشباب الافريقي » .

* سلسلة الاعلام ، وسلسلة تأريخ الحضارة وسلسلة التراث الانساني . هذه السلاسل ستصدرها وزارة الثقافة بالقاهرة .

* « العسكري الاسود » مجموعة قصصية للقاضي المصري يوسف ادريس صدرت في المدة الاخيرة

* سيطلق اسم محمد امين حسونة على احد شوارع مدينة « حيت نمر » في القاهرة .

* يصدر الاستاذان مصطفى السحرتي وهلال ناجي في القاهرة كتابا بعنوان « 20 دراسة نقدية » يشتمل على نقد دواوين الشعر التي صدرت في عامي 1959 و 1960 .

* ساهم الباحثون العالميون مع علماء العرب في مشروع اعداد دائرة المعارف الاسلامية ، ثم تقسيم فروع هذه الدائرة الى سبعة اقسام يشرف على كل منها احد العلماء المختصين . سيتولى رئيس كل قسم الاتصال بجميع العلماء والباحثين من مختلف الدول الذين تخصصوا في الدراسات الاسلامية للكتابة والمشاركة في اعداد هذه الدائرة .

* صدر مؤخرا كتاب « بين الحقيقة والمجاز، والاعجاز » للاستاذ محمد عبد الغني حسن .

* استدعت ادارة الازهر الدكتور محمود حب الله مدير المركز الاسلامي في وشنطن وذلك لشغل احد المناصب الكبرى ، بجامعة الازهر .

* صدر هذا الاسبوع الكتاب المهدي للدكتور طه حسين بمناسبة بلوغه السبعين والذي اشرف على اخراجه الدكتور عبد الرحمن بدوي واشترك في كتابة مادته كبار المستشرقين وعدد من الاساتذة والنقاد العرب .

* صدر اخيرا في القاهرة الجزء الثاني من الدراسة التي كتبها الاستاذ محمد ضبري عن القصائد المجهولة لشوقي .

* اكتشفت احدى جامعات لندن نصا عربيا جديدا لالف ليلة وليلة على اجزاء غير معروفة . وستسافر الدكتورة فاطمة موسى من مصر الى لندن لتحقيق هذا النص .

* يعد الاستاذ الدكتور عبد الرحمن زكي ، في طليعة الباحثين الأثريين المعاصرين ، في تأريخ « السلاح » في العصور الاسلامية . وهو الآن يتولى – بمشاركة بعض المستشرقين – اصدار مجلة فريدة في بابها ، هي مجلة «كلاديوس» تتناول موضوع « السلاح القديم » في الشرق والغرب ، وهي تصدر في الدانمارك مرة في السنة .

* اصدر الاستاذ انور الجندي كتابا بعنوان « المعارك الادبية » .

* صدر في لندن كتاب « رجال الجمعة » للمؤلفة ديزموند ستيوارت يعالج فترة القلق السياسي قبل الثورة وحريق القاهرة ومؤتمرات السراي ، كما صدر كتاب آخر في لندن باسم « آخر المنقبين » يناقش ثورة 23 يوليه .

* يصدر قريبا ليوسف السباعي كتاب بعنوان « طارق ابن زياد » .

* « حقي ناصف شاعرا وناثرا » كتاب جديد صدر مؤخرا للاستاذ محمد خلف الله .

* سيطلق اسم العالم الاثري سليم حسن على احدى قاعات مكتبة جامعة القاهرة التي تبرع لها بمكتبته الخاصة .

أنباء ثقافية

*** اصدرت وزارة عموم الاوقاف نشرة باسم « منجزات واهداف » تتضمن مجموعة من الوثائق التاريخية المهمة، بالاضافة الى عرض شامل عن التنظيم الاداري للوزارة المذكورة ومصالحها الخارجية فى عموم مدن المملكة المغربية ، الى جانب عرض اخر يتعلق بنشاطها فى الميدان الديني والفكري والاصلاحي والاجتماعي ، مع قائمة تشمل نوادر المخطوطات الحبسية الموجودة فى خزانة القرويين ، او فى الخزانة العامة بالرباط .**

والنشرة مزينة بصورة المغفور له محمد الخامس، وصورة صاحب الجلالة الحسن الثاني مع صور اخرى وتصميمات وبيانات . وتعد وثيقة مهمة تشمل كل المعلومات حول جميع ما يتعلق بهذه الوزارة ونشاطها ومشاريعها واهدافها فى المستقبل .

* نظم فى مدينة مراكش من 27 ابريل من الى 4 ماي مهرجان للفلكلور المغربي تحت اشراف وزارة الانباء والسياحة .

* صدرت للشاعر المغربي الاستاذ حسن الطريبق مسرحية بعنوان « وادي المخازن » نرجو لها كامل التوفيق .

* افتتحت فى كلية الآداب بالرباط دروس فلسفية عامة يحاضر فيها الدكتور محمد عزيز الحبابي .

* اصدرت وزارة البريد المغربية سلسلة من الطوابع البريدية بمناسبة اسبوع الدعوة لقضية البلاد العربية .

* اعلن الامين العام للمكتب الدائم لمؤتمر التعريب ان المكتب ينكب الآن على دراسة وضع اللغة العربية والجهود المبذولة فى سبيل التعريب فى العالم العربي ، لاعداد بحث شامل عن نشاط مختلف البلاد العربية فى هذا الميدان لنشره واذاعته باللغة العربية والانلجيزية والفرنسية والاسبانية والالمانية والروسية وغيرها حتى يتسنى الوقوف على جهود العرب فى حقل التعريب . وسيتم ذلك فى شهر نوفمبر من هذه السنة ، خلال اسبوع التعريب فى العالم العربي .

* زار المغرب اخيرا الاديبان الصينيان تشون ، وهانبيك تلبية للدعوة التي وجهتها اليهما وزارة الخارجية المغربية .

* عاد الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون الى المغرب ، بعد ما قضى أكثر من اسبوع فى القاهرة ، فى اجتماعات مجمع اللغة العربية . وقد كان نشاط الاستاذ هناك ملموسا فى مجال البحث ، بتقديمه شتى الابحاث اللغوية والتاريخية .

* قررت وزارة التربية المغربية انشاء كلية للطب والصيدلة فى المغرب خلال السنة الدراسية المقبلة .

* اصدر اتحاد كتاب المغرب العربي الحلقة الثانية من نشرته ، تضمنت النشاط الادبي الذي قام به اعضاؤه خلال المدة الاخيرة من محاضرات وندوات واجتماعات ، وما يعتزم القيام به فى المستقبل.

* استشهد الاديب الجزائري مولود فرعون ضحية قوة البغي ، وسقط بجانبه خمسة اشخاص من المثقفين الجزائريين .

* سيصدر « اتحاد كتاب المغرب العربي » مجلة شهرية ادبية تتسم بشؤون الثقافة والوانها فى المغرب والبلاد العربية .

ـ التوسع فى تدريس اللغات الافريقية والاسيوية العربية فى الجامعات ومعاهد التعليم المختلفة والعمل على تحويل اللغات السمعية الى لغات مكتوبة .

ـ انشاء دائرة معارف تتوسع فى التعريب بدول المؤتمر .

ـ تبادل الزيارات بين كتاب الدول الافريقية .

ـ التوصية بعقد بروتوكول بين دول المؤتمر ينص على حماية الملكية الادبية وتقوية الثقافات القومية، وتنمية الشخصية الافريقية الاسيوية وبعث الفنون والآداب القومية الشعبية والتقليدية ودراستها .

ـ اصدار مجموعات سنوية من المختارات فى الشعر والقصة والمسرحية وسائر الالوان الادبية.

ـ تجنيد وسائل الاعلام فى الدول الافريقية الاسيوية للتعريف بالكتب فى افريقيا وآسيا ، وتتبع الآثار الادبية وتقديم نماذج من انتاجهم بطرق منظمة .

* يوجه المجلس الاعلى للاداب والفنون بالقاهرة الدعوة الى علماء العالم للاشتراك فى الاسبوع العلمي لتحليد آثار الامام محمد عبده فى شهر سبتمبر المقبل . هذا وقد اطلقت جامعة الازهر اسم الامام على قاعة المحاضرات الكبرى بها . كما وضع السيد نائب رئيس الجمهورية العربية حجر الاساس لدار الامام محمد عبده للرعاية الاجتماعية .

* « السماء والخريف » قصة جديدة يكتبها الاستاذ نجيب محفوظ سجل فيها احداث مصر من سنة 1950 الى 1957 .

* اتم المجلس العلمي العربي بدمشق نشر كتاب « فهارس المكتبة الظاهرية » .

* تقرر تاسيس ناد للقصة فى دمشق .

* اعيد انتخاب الشاعر محمد مهدي الجواهري رئيسا لاتحاد ادباء العراق .

* صدر اخيرا فى العراق كتاب « الشعر السياسي العراقي فى القرن التاسع عشر » لمؤلفه ابراهيم الوائلي .

* يصدر قريبا فى بغداد ديوان « الامطار » للشاعر محمد سعيد العطار .

* صدر اخيرا كتاب « مشكلة اللاجئين العرب » بقلم الاستاذ ادوار سيدهم .

* تقرر اخيرا فى العراق تاليف لجنة عليا من ممثلين عن وزارات الارشاد والخارجية والمالية وجامعة بغداد والمجمع العلمي العراقي وامانة العاصمة بدراسة الامور المتعلقة باقامة مهرجان للاحتفال بالذكرى الالفية لتأسيس مدينة بغداد .

* قرر المجمع العلمي العراقي انتخاب خمسة اعضاء مراسلين وهم الاساتذة : 1) محمود تيمور عضو المجمع اللغوي فى القاهرة . 2) الدكتور عبد الجبار جومرد المؤرخ والاديب ووزير الخارجية العراقية السابق . 3) الامير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العربي بالشام وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة . 4) ابراهيم مصطفى عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة. 5) البروفيسور هنريس لنزنعالم الآثار الالماني ورئيس البعثة الاثرية الالمانية .

* صدر فى العراق كتاب ضخم بعنوان « القول السديد فى شرح التجريد » للعلامة السيد محمد الشيرازي الحائري .

* ينوي فضيلة العلامة الشيخ عباس الحائري اعادة طبع كتابه « بلاغة الامام علي بن الحسين » .

* انجز الاستاذ خضر العباسي تاليف كتاب « العراق فى عهد الاستعمار المغولي » ويقع فى ثلاثة اجزاء وكذلك كتاب « العراق فى عهد الاستعمار العثماني » ويقع فى اربعة اجزاء .

* طلبت هيئة اليونيسكو من وزارة المعارف العراقية اعداد ابحاث عن الادب العراقي والفنون وتعليم المراة والموسيقى باللغة الانجليزية ، وستتولى الهيئة اعداد وطبعهذه الابحاث وتوزيعها على الجامعات والكليات فى انحاء العالم .

* صدرت فى موسكو رواية « الارض والماء » للقصاص العراقي ذوالنون ايوب مترجمة الى اللغة الروسية تحت عنوان « قصد مجيد رحيم » بتقديم الكاتب السوفياتي سيمونوف .

* يقوم فريق من ادباء النجد باعادة طبع كتاب « الهيئة والاسلام » لمؤلفه هبة الدين الشهرستاني .

* يوجد تحت الطبع كتاب « تأريخ القصة العربية » للاستاذ جعفر الخليلي .

* يقوم فنانون عراقيون باصدار موسوعة عن تاريخ الفن الحديث فى العراق .

* انتهى الدكتور عبد الرحمن زكي من ترجمة احدث كتب جورج سارتون عن « حضارة عصر النهضة »

* احتفل بالقاهرة بذكرى سلامة موسى المتوفي سنة 1957 .

* سيقوم الدكتور حسين فوزي بترجمة جميع المصطلحات الموسيقية الى اللغة العربية .

* «المدنية الجديدة وراي الاسلام فيها» ستكون اول الموضوعات التي يبحثها مجمع البحوث الاسلامية الجديد الذي يشترك فيه علماء من كل الدول الاسلامية

* «الطريق الى الله» عنوان كتاب جديد للاستاذ عبد الرزاق نوفل .

* يقوم ابن شقيق الاستاذ العقاد بتاليف كتاب عنه يشتمل على آراء العقاد الخاصة فى الادب والحياة لم يعلنها لاحد .

* « دراسات فى الرواية المصرية » عنوان لكتاب سيظهر قريبا للدكتور علي الرياحي .

* انتهى الاستاذ محمد جميل بيهم من اعداد دراسة مسهبة عنوانها « المراة فى حضارة العرب » .

* « المؤرخة » اسم لمجلة اصدرتها اخيرا وزارة الثقافة بالقاهرة .

* قرر مجلس كلية الآداب بجامعة القاهرة انشاء دبلوم للاعلام وطلب المجلس من قسم الصحافة اعداد مشروع هذا الدبلوم .

* انتهت اللجنة المؤلفة لوضع مشروع القرار الخاص بتاليف « مجمع البحوث الاسلامية » وهو المجمع الذي نص على انشائه قانون جامعة الازهر الجديد وسيكون هذا المجمع هو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية . ويتولى دراسة كل ما يتعلق بتلك البحوث . ويقدم الخدمات الاسلامية فى مجال الثقافة الاسلامية .

* يبدا فى الصيف القادم تنفيذ برنامج تبادل اعضاء الاتحادات الطلابية بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة الامريكية .

وسيقوم الطلاب من كل بلد بدراسة نظم رعاية الشباب والتنظيمات الطلابية فى البلد الآخر .

* افتتحت ادارة رعاية الوافدين والمبعوثين بالقاهرة فصلا خاصة لتعليم اللغة العربية لابناء الدبلوماسيين الاجانب . ويقبل هؤلاء على دراسة اللغة العربية باهتمام وجدية .

* قررت جامعة البندقية « فينسيا » انشاء كرسي للادب العربي ، وبذلك تكون الجامعات الايطالية قد انشأت اربعة كراسي للادب العربي فى ايطاليا بعد انشاء كراسي مماثلة فى جامعات « روما » و « نابولي » و « بالرمو » .

* يقيم معهد الدراسات الاسلامية بمدريد بالاشتراك مع جامعة غرناطة معرضا تعرض فيه مجموعات من الصناعات والقطع الاثرية الاسلامية فى اسبانيا . ويقام مهرجان فى مدينة غرناطة بهذه المناسبة وتشترك فى هذا المهرجان وزارة التعليم العالي بالقاهرة .

* وصلت الى القاهرة 10 فتيات مسلمات من الفلبين لدراسة الدين الاسلامي ، على نفقة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

* اعلنت ادارة المعاهد الازهرية عن مسابقة لتاليف كتب مبتكرة فى الفقه الاسلامي وفى قواعد الاعدادية والثانوية . وستمنح جوائز للكاتب الفائز بالمرتبة الاولى .

* تنفيذا لقانون تنظيم الازهر اصدر السيد الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بتعيين عدد من الاساتذة فى مجمع البحوث الاسلامية الذي يقوم بدراسة كل ما يتصل بالبحوث الاسلامية وتجديدها وتطهيرها مما يتعلق بها من شوائب وبيان الراي فيما يجد من مشكلات مذهبية واجتماعية تتعلق بالعقيدة الاسلامية .

ويبلغ عدد هؤلاء الاساتذة 19 عضوا من بين 50 عضوا يتكون منهم المجمع الجديد ، ومن بين هؤلاء الخمسين سيختار عشرون عضوا من خارج الجمهورية العربية المتحدة .

* اتخذ مؤتمر الكتاب الافريقي الاسيوي الذي انعقد اخيرا بالقاهرة عددا من القرارات الهامة نذكر منها :

— اقامة مركز للترجمة داخل اطار المكتب الدائم بكولومبو ، ويكون من مهمة هذا المركز تقويم اهم ما يترجم من والى اللغات الاسيوية الافريقية سنويا ، وتخصيص جائزة للمترجمين ، والاتصال بالهيئات والمنظمات الدولية والمترجمين .

* صدر مؤخرا فى جدة فى الايام الاخيرة كتاب « تصحيح اخطاء المستشرقين فى دراسة الآثار العربية » لمؤلفه عبد القدوس الانصاري الذي حلل فيه اخطاء المستشرقين على ضوء اللغة العربية الفصحى وما توصل اليه من دراسة الآثار والنقوش العربية ، كما صحح الاخطاء التي وقع فيها الكتاب العرب الذين ترجموا تلك الآثار من اللغات الاجنبية .

* اكتشف المؤرخ اللبناني يوسف ابراهيم يزبك خلال تنقيباته بين المحفوظات فى مكتبة روما وثائق تتعلق بالامير فخر الدين المعنى ، من شأنها القاء نور جديد على الحقبة التي حكم فيها فخر الدين لبنان .

* صدر فى بيروت « الصيد والطرد عند العرب» وهو مخطوط نادر حققه وقدم له وزينه بالصور الدكتور ممدوح حقي .

* كتاب « النظم الاسلامية » للمستشرق الفرنسي م. غودفروا ترجمه الى العربية الدكتور فيصل السامر والدكتور صالح الشماع وصدر اخيرا

* سئل ميخائيل نعيمة عن انطباعاته وتأثراته بعد فوزه بجائزة رئيس الجمهورية فقال : « هذه المظاهر لا تؤثر في ، انما لها قيمة كبادرة من الحكومة، بادرة اعتراف بقيمة الادب واهميته بحياة الامة » .

* صدر مؤخرا كتاب « العرب ماضيهم وحاضرهم » باللغة الانجليزية ، لمؤلفه ادوار عطية .

* « سيناء بلا حدود » قصة جديدة لسميرة عزام ستصدر قريبا ، وهي عبارة عن تصور للمشابهة الكبرى التي يعانيها جيلنا .

* سيصدر قريبا كتاب للاستاذ واجن بارودي تناول فيه اوضاع الادب العربي المعاصر فى لبنان والبلدان العربية .

* دخلت فى حوزة المتحف البريطاني نسخة من مصحف اثري يرجع كتابته الى اكثر من 700 سنة ، ويحتمل ان يكون قد انتقل من الاندلس الى المغرب .

* اذاع راديو لندن انه قد تم طبع ترجمة للقرءان الكريم باللغة التركية وان النص العربي قد احتفظ به فى هذه الطبعة الجديدة الى جانب الترجمة التركية وكان موضوع ترجمة القرءان مطلبا شعبيا من تركيا.

* تحتفظ المانيا بارل طبعة بالعربية للمصحف المطبوع فى العالم . كانت الطبعة فى مدينة هامبورج التي اخرجتها مطابعها سنة 1694 للعالم الالماني هاينكيلمان

---

* سيطبع في العراق شعر الشاعر المعروف الدكتور صالح جواد الطعمة .

* « رسالة السلام » عنوان مجلة اسبوعية صدرت اخيرا في العراق .

* عكف الاستاذ عز الدين اسماعيل على كتابة مؤلف بعنوان « قضايا الانسان في ادبنا الحي » .

* صرح المستر مانويل ساسوت القائم باعمال السفارة الاسبانية في بغداد ان (85) عراقيا يتلقون الآن الدراسة في المعهد الاسباني ببغداد ، وان حكومة اسبانيا تساعد على احياء الثقافة العربية بأكبر قدر من الاهتمام ، وان عدة جامعات اسبانية تخصص الآن جانبا من دراستها للمسائل العربية الثقافية .

* خمس لوحات فنية كتبها سعد مكاوي عن عباقرة الموسيقى : بيتهوفن ، فاجنر ، ليست ، شوبان ، شوبير ، تظهر في كتاب بعنوان « ارض العباقرة » ، يتناول الكتاب تحليل نفسيات هؤلاء العباقرة واعمالهم الفنية والظروف التي ظهرت فيها تلك الاعمال .

* اصدرت مجلة « الجمهور » في بيروت عددا خاصا ممتازا احتفاء بيوبليها الفضي .

* في نابلس صدر مؤخرا كتاب « تأريخ نابلس والبلقاء » للاستاذ احسان النمر .

* انتهى الاستاذ عيسى الناعوري من ترجمة رواية « فونتمارا » للكاتب الايطالي ايناتسيو سيلونة ، كما سيصدر للناعوري كذلك رواية « ليلة القطار » و « ادباء مستشرقون عرفتهم في ايطاليا » .

* احتفلت ايطاليا في الشهر الماضي بذكرى مرور 25 عاما على وفاة كاتبها المسرحي الكبير بيراندللو .

* في احصاء اخير اجري في مدينة نيويورك تبين ان في المدينة الاميريكية 1600 محلل نفساني ، والف عالم نفساني ، و1200 عيادة في الامراض النفسية والعقلية .

* الف المستشرق الايطالي فرانسيسكو كابريلي استاذ العوبية في جامعة روما كتابا عن النهضة العربية .

* تحت رعاية الجامعة العربية سيقوم بترجمة مؤلفات شكسبير الى اللغة العربية ، وقد رحب البرفسور روبرت مارجنت بمشروع هذه الترجمة.

* « هل للانسان مستقبل ؟ » اسم لآخر كتاب اصدره برتراند راسيل.

* آخر كتاب اصدره ولسن هو كتاب يتضمن تحليل ثلاثمائة جريمة .

* انتخبت الآنسة مارجريت بيري عضوا في اكاديمية العلوم الفرنسية ، وبذلك كانت هي المراة الاولى التي تدخل في هذه الاكاديمية .

* صدر في باريس مجلد لانتاج الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو يضم 153 و 837 بيت من الشعر .

* قام المستشرق الهولندي الدكتور شومان بترجمة كتاب « تربة سلامة موسى » الى اللغة الهولندية .

* تحتفل مدينة جنيف ، مسقط راس الكاتب الاجتماعي جان جاك روسو بمرور 250 عاما على ميلاد مؤلف الاعترافات .

* ستخرج موسكو قصة الروائي الخالد تولستوي « الحرب والسلام » في انتاج سينمائي ضخم .

* كتاب ام النبي للدكتورة بنت الشاطىء تم طبعه في جاكارتا مترجما الى اللغة الاندونيسية بقلم الدكتور ضياء شهاب .

* اقامت مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر المؤتمر الثاني في الشرق الاوسط في لاهور بالهند .

* سيصدر للامير عبد الله فيصل ديوانه الثاني بعنوان « خريف العمر » .

* عكف الاستاذ ميخائيل نعيمة على تأليف كتاب جديد بعنوان « اليوم الاخير » .

* نعت لبنان الشاعر وديع نقولا حنا صاحب مجلة « المعارف » الشهرية .

* « الفكر العربي » مجلة جديدة صدرت مؤخرا في لبنان .

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد السابع السنة الخامسة
ذو القعدة 1381 ابريل 1962
ثمن العدد 1,50 درهم

فهرس العدد السادس ـ السنة الخامسة

صفحة

نظرة في الاعجاز

للأستاذ : مالك بن نبي

لم يتح لهذا الكتاب ان يرى النور في صورته الكاملة . فالواقع اننا قد أعددنا تأليف أصوله التي احرقت في ظروف خاصة . وهو كما هو الآن ، لا يكفي في علاج فكرتنا الاولى عن المشكلة القرآنية ، فان الموضوع يستلزم عملا شاقا طويل الانفاس ، ومراجع ذات أهمية قصوى ، لم يكن بوسعنا الحصول عليها في محاولتنا الثانية . غير اننا لا زلنا نشعر بقيمة الفكرة التي ساقتنا الى هذه الدراسة ، حتى لقد آمنا بضرورة بذل ما نستطيع من الجهد في سبيل تحقيقها ، مهما تكن صعوبات المشروع ، ومهما تكن المعوقات دون تحقيقه .

ولذا حاولنا أن نجمع العناصر التي بقيت من الاصل مكتوبة في قصاصات ، او مسجلة في الذاكرة ، قاصدين بذلك — على ما نعتقد — جوهر الموضوع ، وهو الاهتمام بتحقيق منهج تحليلي في دراسة الظاهرة القرآنية . وهو منهج يحقق من الناحية العملية هدفا مزدوجا هو :

1 — انه يتيح للشباب المسلم فرصة التأمل الناضج في الدين .

2 — وانه يقترح اصلاحا مناسبا للمنهج القديم في تفسير القرآن .

وهذه المهمة وتلك ترجعان الى اسباب مختلفة . يتصل بعضها بالتطور الثقافي الذي حدث في العالم الاسلامي بصورة عامة ، وبعضها يرجع الى عنصر آخر ، يمكن ان نسميه « تطور نظرتنا في مشكلة الاعجاز » بصورة خاصة ، ولابد اذن من عرض هذه الاسباب بترتيبها :

اولا : الاسباب التاريخية :

ينبغي ان ندرك ان التطور الثقافي في العالم الاسلامي يمر بمرحلة خطيرة ، اذ تتلقى النهضة الاسلامية افكارها واتجاهاتها الفنية عن الثقافة الغربية وبخاصة من طريق مصر . هذه الافكار الفنية لا تقتصر على اشياء الحياة الفكرية الجديدة التي يتعودها الشباب المسلم شيئا فشيئا ، بل انها تمس ايضا ، وبطريقة غامضة ، ما يتصل بالفكر ، وما يتصل بالنفس، وفي كلمة واحدة : ما يتصل بالحياة الروحية .

وانه لمما يثير العجب ان نرى كثيرا من الشباب المسلم المثقف يتلقون اليوم عناصر ثقافية تتصل بمعتقداتهم الدينية واحيانا بدوافعهم الروحية نفسها، من خلال كتابات المتخصصين الاوروبيين .

ان الدراسات الاسلامية التي تظهر في أوربا بأقلام كبار المستشرقين واقع لا جدال فيه ، ولكن هل نتصور المكانة التي يحتلها هذا الواقع في الحركة الفكرية الحديثة في البلاد الاسلامية .

ان الاعمال الادبية لهؤلاء المستشرقين قد بلغت في الواقع درجة خطيرة من الاشعاع لا نكاد نتصورها . وحسبنا دليلا على ذلك ان يضم مجمع اللغة العربية في مصر بين اعضائه عالما فرنسيا . وربما امكننا ان ندرك ذلك اذا لاحظنا عدد رسالات الدكتوراه ، وطبيعة هذه الرسالات التي يقدمها الطلبة السوريون والمصريون كل عام الى جامعة باريس وحدها ، وفي هذه الرسالات كلها يصورون — وهم اساتذة الثقافة العربية في الغد وباعثو نهضة الاسلام — يصورون كما اوجبوا على انفسهم ، على ترديد الافكار التي زكاها اساتذتهم الغربيون .

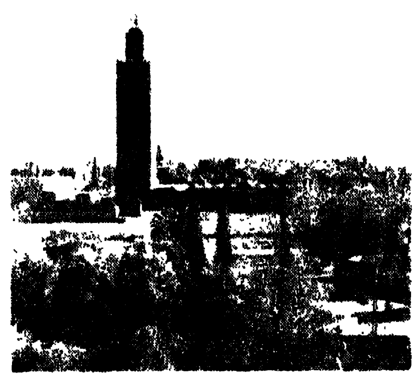
العدد السابع السنة الخامسة
ذو القعدة 1381
ابريل 1962
ثمنه العدد
1,50 درهم

دعوة الحق

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



مدينة مراكش وصومعتها الشهيرة الكتبية كما تبدو في فصل الشتاء

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «**دعوة الحق**» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 15 درهما ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« **دعوة الحق** » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجله «**دعوة الحق**» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامه ، والنوادي والهيئات الوطنيه والثقافيه والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجله مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تلفون 308.10 - الرباط

... التفسير القديم تعديلا يناسب حكمة وروية ...ـيات الفكر الحديث . ولكن يخيل الينا ان ...لبوث اراد بفرضه ان يفرض على المشكلة تطورا ... ، حين ادخل في الوقت المناسب ما يشبه ...ساميت) الذي قد ينسف كل مناهج التفسير الـ...ـم .

لقد قام اعجاز القرآن حتى الآن على البرهان القاهر على سمو كلام الله فوق كلام البشر ، وكان لحد... التفسير الى الدراسة الاسلوبية لكي يضع لاعجاز القرآن اساسا عقليا ضروريا ، فلو اننا طبقنا ...ائح فرض مارجليوث كما فعل الدكتور صباغ لانهار ذلك الاساس . ومن هنا توضع مشكلة التفسير في صورة خطيرة بالنسبة لعقيدة المسلم ، اعني بالنسبة الى اعجاز القرآن في نظر هذا المسلم . وربما لم يكن التطور العقلي ليقصر عن دفع شبابنا الجامعي الى ملاحظة تقادم المقياس القديم ان آجلا او عاجلا ، ذلك المقياس الذي كان يقدم حتى ذلك الحين الدليل القاطع على المصدر الغيبي للقرآن . اما بالنسبة للعقل ذي الصبغة « الديكارتية » فاية قيمة تبقى لبرهان يبدو منذئذ وقد فقد موضوعيته ، واصبح ذاتيا محضا . وهذا الموضوع لا يتصل ببيان القرآن الذي بقي على ما هو عليه حين نزوله ، ولكن بوضع المسلم نفسه .

والحق انه لا يوجد مسلم — وبخاصة في البلاد غير العربية — يمكنه ان يقارن موضوعيا بين آية قرآنية وشعرة موزونة او مقفاة من آدب العصر الجاهلي ، ومنذ وقت طويل لم نعد نملك في اذواقنا عبقرية اللغة العربية ، ليمكننا ان نستنبط من مقارنة ادبية نتيجة عادلة حكيمة ، ومنذ وقت طويل ايضا تكتفي عقائدنا في هذا الباب بالتقليد الذي لا يتفق وعقول المتعلقين بالموضوعية . فمشكلة التفسير توضع اذن في ضوء جديد ، وربما نظر اليها علماء مصر المحدثون في هذا الضوء الجديد .

ولكن يبدو ان جهود هؤلاء العلماء رغم انها لا ...مل الجانب الاجتماعي في علم التفسير لم تحدد ...نهجها الكامل ، فالتفسير الكبير الذي الفه الشيخ ...طاوي جوهري انتاج علمي اشبه بدائرة معارف ، ... ينطوي على أقل اهتمام بتحديد منهج ، اما تفسير ...شيخ « رشيد رضا » الذي اتبع فيه امامه الشيخ ...محمد عبده فلم يضع هو الآخر هذا المنهج ، فقد كان ...همه ان يخلع على المنهج القديم صبغة عقل جديد .

ومع انه لم يعدل طريقة التفسير القديم تعديلا جوهريا فانه قد خلق في الصفوة المسلمة التي تعشق التجديد الادبي اهتماما بالنقاش الديني . ومع ذلك فمشكلة التفسير تظل خطيرة بالنسبة لاعتقاد الفرد الذي شكلته مدرسة « ديكارت » من جهة ، وبالنسبة لمجموع الافكار الدارجة التي هي اساس الثقافة الشعبية من جهة اخرى .

ومن المعلوم ان كل مجتمع يحتوي مشكلة افكار دارجة تحرك الجماهير ، كما يحتوي مشكلة افكار علمية تخص المثقفين ، وكما ان هذه تحدد لدى القادة والعلماء حلولا نظرية لبعض المشكلات ، فان تلك تحدد السلوك العملي للجماعات ازاء هذه المشاكل التي تصادفهم في الحياة ، ففي العالم الاسلامي توجد الآن طبقة متثقفة مقتنعة بحركة الارض ، ولكن هناك جمهورا كبيرا من الدراويش ، وشعبا من الجهال من كل نوع يصر على اعتقاده « بأن الارض ساكنة تحملها العناية على قرن ثور » . وهذه الفكرة الدارجة قد تؤثر في توجيه التاريخ اكثر من الفكرة العلمية ، لانها تستند الى خرافة مفسر غير موفق يرى الارض على قرن ثور، ولنأخذ على ذلك مثالا : « البوصلة ومقياس الزاوية » فعلى الرغم من انهما من انتاج افكار المسلمين الفنية ، فان العالم الاسلامي لم يستخدمهما مثلا في اكتشاف امريكا ، لانه كان مشلولا آنذاك عن التقدم العقلي والاجتماعي بأفكار شعبية ميتة . أليست هذه هي المأساة التي أراد الغزالي ان يعبر عنها في بيته المشهور :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد
لغزلي نساجا فكسرت مغزلي

ان مشكلة التفسير القرآني على اية حال هي مشكلة العقيدة الدينية لدى المتعلم ، كما انها مشكلة الافكار الدارجة لدى رجل الشارع . ومن هاتين الوجهتين ينبغي ان يعدل منهج التفسير في ضوء التجربة التاريخية التي مر بها العالم الاسلامي . وبالتالى فاذا كانت هذه الاسباب التي قدمناها تدل على ضرورة هذا التعديل فهناك أسباب اخرى تدل على محتواه ، اعني على صورة المنهج الذي يجب ان نسلكه في مشكلة الاعجاز .

يتبع

القاهرة : مالك بن نبي

وعن هذا الطريق اوغل الاستشراق في الحياة العقلية في البلاد الاسلامية ، محددا بذلك اتجاهها التاريخي الى درجة كبيرة .

تلكم هي الازمة الخطيرة التي تمر بها ثقافتنا الآن ، منيرة هنا وهناك صدى مناظرات مدوية ، كما حدث في مصر بين الدكتور زكي مبارك والدكتور طه حسين ، حيث عبرت مناظرتهما في انشودة ادبية يهزها الحماس عن المأساة الحديثة للفكر الاسلامي .

ولكن لهذه الازمة العامة مظهرا يهم موضوع دراستنا هذه ، واعني به تأثير دراسات المستشرقين على الفكر الديني لدى شبابنا الجامعي ، الشباب الذي يتجه الى المصادر الغربية ، حتى فيما يخص معارفه الاسلامية الشخصية ، سواء اكان هذا الاتجاه ناشئا عن افتقار مكتباتنا ام لمجرد التجانس والقرابة العقلية.

لقد نضبت فعلا المصادر المحلية من كنوزها الثقافية ، مولية وجهها شطر المكتبات الاهلية في اوربا، والحق ان مصر قد بذلت جهدا عظيما كيما تضع في متناول الفكر الاسلامي ادوات جديده للعمل وذلك بما اتيح لها من مطابع حديثة ، وعمل جاد اضطلع به شبابها الفتي المتعلم ولكن هذا الجهد نفسه يعيش في كنف الدهاء الاداري الموروث من عهد الاستعمار .

وايا ما كان الامر ، فان الشباب المسلم المثقف في بعض ديار الاسلام يرى نفسه مضطرا الى ان يلجأ الى مصادر المؤلفين الاجانب خضوعا لمقتضيات عملية جديدة ، ولعله بقدر الى حد كبير منهجها الوضعي الديكارتي ، حتى اننا نجد قضاة وشيوخا معممين يتذوقون فيها رشاقتها الهندسية .

وهذا كله لا غبار عليه لو اقتصر الاستشراق بمناهجه على الموضوع العلمي ، ولكن الهوى السياسي الديني قد كشف عن نفسه احيانا وبكل اسف في تآليف هؤلاء المتخصصين الاوروبيين في الدراسات الاسلامية ، رغم انها تدعو الى الاعجاب حقا .

فلم يكن الأب لامانس R. P. Lamance المثل الفريد للمستشرق الطاعن على الاسلام ورجاله ، والحالة الوحيدة التي يمكن ان نلحظ فيها العمل المتضامن لتقويض دعائم الاسلام ، فقد كان لهذا الرجل (الشاطر) على الاقل — فضل في الكشف عن بغضه الشديد للقرآن ، ولمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولا شك ان العمل في ظل هذا التعصب الصاخب خير من تلك المكيافيلية الصامتة المستهجنة التي اتبعها مستشرقون آخرون ، متسترين بستار العلم .

ومن العجيب ان نذكر ما تتمتع به هذه الافكار الحمقاء من مجاملة ، ولا سيما في مصر عندما تصدرها جماعات الغرب ، واصدق مثال على ذلك وبلا جدال — الفرض الذي وضعه المستشرق الانجليزي « مارجليوث » عن (الشعر الجاهلي) ، فقد نشر هذا الفرض في يوليو عام 1925 في احدى المجلات الاستشراقية ، وفي خلال عام 1926 نشر « طه حسين» كتابه المشهور (في الشعر الجاهلي) ، فهذا التسلسل التاريخي معبر تماما عن تبعية بعض قادة الثقافة العربية الحديثة للاساتذة الغربيين (*)

وربما لم يكن فرض « مرجليوث » ليحتوي على شيء خاص غير عادي لو انه حين نشر لم يصادف ذلك الترحيب الحار من المجلات المستعربة ، ومن بعض الرسالات التي تقدم بها دكاترة عرب محدثون ، حتى لقد كسب هذا الفرض قيمة « المقياس الثابت » في دراسة الدكتور صباغ عن « المجاز في القرآن » . فقد رفض هذا الدكتور رفضا مقصودا مفروضا الاعتراف بالشعر الجاهلي كحقيقة موضوعية في تاريخ الادب العربي .

فالمشكلة بوضعها الراهن — اذن تتجاوز نطاق الادب والتاريخ ، وتهم مباشرة منهج التفسير القديم كله . ذلك المنهج القائم على المقارنة الاسلوبية معتمدا على الشعر الجاهلي كحقيقة لا تقبل الجدل .

وعلى اية حال ، فقد كان من الممكن ان تثور هذه المشكلة تبعا للتطور الجديد في الفكر الاسلامي ، وانما بصورة اقل ثورية لان ضرورات التطور تقضي بتعديل

(*) ذكرنا هنا فرض مرجليوث لكي نبرز أمام القارىء المسلم ضرورة تطبيق منهج تحليلي جديد في تفسير القرآن ، ويستطيع القارىء ان يدرك قيمة هذا المنهج القائم على دراسة الظواهر (La Phénoménologie) وعلى طرق التحليل النفسي وسيدرك ايضا اننا لا ندرس آراء مرجليوث او من يتلمذ عليه مثل « طه حسين » ، وانما نريد به دراسة « الظاهرة القرآنية » .

تاريخية عن طائفة وجدت في الاسكندرية في سنة 200 كانت تسمى « الصوفية » وكانت تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ولسنا نعرف عن تلك الطائفة الا اشتراكها في الاحداث الواقعة في المدينة من حروب ممن كانوا فيها حلفاء لاولئك الاندلسيين الربضيين الذين احتلوا الاسكندرية في ذلك الوقت ، ولا نعلم ما اذا كانت هذه الطائفة تدين بعقيدة روحية تسمح لنا بان نعتبرهم صوفيين بمعنى الكلمة ، على انه ربما كانت هذه أول جماعة يطلق عليها ذلك الاسم في العالم الاسلامي . وهو امر لا يخلو من دلالة .

وعلى اية حال فان اول صوفي كبير برز في مصر في هذه الفترة المبكرة ــ اواخر القرن الثاني واوائل الثالث ــ هو ذو النون ثوبان بن ابراهيم المصري الاخميمي . ولا يتسع المجال للترجمة لذي النون والحديث عنه بالتفصيل ولكنا نكتفي بعرض سريع لحياته وآرائه ، وانما سنقف عنده وقفة خاصة لانه يمثل الاتجاه المصري في التصوف الاسلامي خير تمثيل، ثم للاثر العظيم الذي باشره ذو النون في تصوف المغرب والاندلس بصفة خاصة .

ولد ذو النون في اخميم بصعيد مصر في حدود سنة 180 ، من اصل نوبي على ما يظهر ، وكان اول ما طالعه وتفتحت عليه عيناه تلك الآثار المصرية التي كانت تؤجج في نفسه الرغبة في الاستطلاع والتشوف الى المعرفة . ويذكر المترجمون له انه اخذ الفقه عن امام المدينة مالك ابن انس وامام مصر الليث بن سعد ، وهو امر نظنه مستحيلا اذ ان مولده يقارب وفاة هذين الامامين . ونعتقد ان ذا النون ما كان ليهتم كثيرا بالفقه ونوازله ومسائله ، وان اهتمامه كان موجها منذ البدء الى الرياضات الروحية ، ويذكر آخرون من مشايخه في طريق التصوف فاطمة النيسابورية وسعدون واسرافيل وهما شيخان لانكاد نعرف عنهما الا ما ورد في ترجمة ذي النون نفسه . وربما كان أهم هؤلاء شيخ قيرواني هو شقران بن علي المعروف بالفرضي ، اذ كان الى جانب حياته المتزهدة الناسكة فقيها عليما بقسمة المواريث ، على انه يبدو ان ذا النون كان استاذ نفسه وانه كان يكل تكوينه الروحي الى تأمله وعبادته ، ولعله كان يعمل بما اوصاه به سعدون في مقبرة البصرة :

يا طالب العلم ها هنا وهنا
ومعدن العلم بين جنبيكا

ان كنت تبغي الجنان تسكنها
فلتذرف الدمع فوق خديكا

وقم اذا قام كل مجتهد
تدعوه كيما يقول لبيكا

وكان ذو النون كذلك كثير السياحات فبينما نراه بين الحقول الخضر على الضفاف اذا به بعد ذلك تائها في صحاري الحجاز ، او ضاربا في شعاب سيناء او منزويا في بعض كهوف بيت المقدس او مصعدا في جبال لبنان ، بل يحمله الظمأ الى علوم الروح على الرحلة الى الغرب فاذا بنا نراه في القيروان قابعا اربعين يوما على باب شقران ليستفيد منه وصية ، ويوصف له عابد في تاهرت فيمضي ليسأله كيف عرف الله ، ولا شك في ان افريقية والمغرب بوجه عام كانت جديرة بان تستهوي قلب هذا الصوفي بما حفلت به من عباد وزهاد ضربوا مثلا عاليا في الاخلاص له والتعبد اليه .

ولكن كلام ذي النون بدا غريبا لفقهاء مصر ومحدثيها الذين لم يعتادوا هذا الضرب من التعبيرات الصوفية فسعوا به الى الخليفة المتوكل وحمل الى سر من رأى الى حضرة الخليفة فسمع كلامه وما عتم ان اطلق سراحه فانحدر الى بغداد فاقام بها مدة مديدة ثم عاد الى مصر .

وقد كان تاثر ذي النون بالبيئة المصرية عظيما ويبدو انه احتك بكثير من رواسب الثقافات والديانات القديمة بهذه البلاد . وفي الاخبار المأثورة عنه كثير مما يشير الى معرفته بقراءة ما على البرابي المصرية من نقوش والمامه باللغة السريانية ، كما نرى في كلامه نقولا عن التوراة والانجيل . وكلمة « الرهبانية » من اكثر الكلمات دورانا في حديثه ، ومن امثلة ذلك قوله في وصف الصوفية انهم (رهبان من الرهابين ملوك في العباد) . وقد نسب الى ذي النون الاطلاع على اسرار الكيمياء لا بطريق المعالجة وانما بطريق الالهام والكشف ، ولهذا فقد قرن بكبار الكيميائيين من امثال جابر بن حيان ، وما زالت بعض الكتب المنسوبة اليه من ذلك مخطوطة بعد ، ولو انها كتب لم تصح نسبتها اليه .

التصوف الاندلسي ، مبادئه وأصوله

بقلم
الدكتور محمود علي مكي

لم يختلف الباحثون المحدثون – ولا سيما الغربيون منهم – حول شيء قدر اختلافهم في نشأة التصوف الاسلامي ، وقد عني المستشرقون انفسهم من تلمس مصدر اجنبي للتصوف ، فنسبه بعضهم للرياضات الروحية التي كان يقوم بها الهنود . ونسبه آخرون الى اصول ايرانية قديمة ، وقال آخرون ان جذور التصوف الاسلامي يهودية او مسيحية . وكان كل لون من الوان الفكر العربي ينبغي ان يرد الى اصول غريبة عن الاسلام .

والواقع ان التصوف اسلامي محض ، له شخصيته المتميزة القوية . وقد كان يستمد اولا وقبل كل شيء من حياة الزهد والتقشف التي كان الرسول (ص) وبعض الصحابة رضي الله عنهم يحيونها ، ثم تطور هذا الزهد والتبتل كما تتطور سائر الوان الفكر وتسير من البساطة الى التعقيد ، وهكذا انتهت الى التصوف كما نعرفه على مر العصور ، وهذا لا يمنع ان يكون التصوف قد تأثر تأثرا قويا من خلال هذا التطور والنمو الطبيعيين برواسب الثقافات القديمة ولا سيما بالرهبنة المسيحية وبالافلاطونية الحديثة ، على ان التصوف الاسلامي ظل دائما محتفظا بشخصيته المستقلة القوية ، وقد باشر بعد ذلك آثارا عميقة في تفكير مسيحية العصور الوسطى كما هو معروف .

كذلك اختلف في اصل اشتقاق لفظ التصوف ، والارجح انه يرجع الى ان اللباس الذي كانت تتميز به هذه الطائفة من الزهاد كان ثياب الصوف رمزا الى الخشونة والتقشف .

وقد ارتبط التصوف منذ نشأته بالزهد كما ذكرنا ، غير انه بمرور الزمن فرق رجال الصوفية بين طائفتهم وبين الزهاد . اذ اصبحوا في مرتبة اكثر سموا ، بل كانت نظرتهم الى الزهاد مشوبة بشيء من التعالي كما جاء في هذا الخبر الذي يرويه ابو نعيم الاصبهاني عن الصوفي المصري ذي النون حيث يقول : (العارف ملوث الظاهر صافي الباطن . والزاهد صافي الظاهر ملوث الباطن) وليس معنى ذلك ان الزهد لم يعد من لوازم المتصوف . وانما ارادوا به ان الزهد في ظاهره يمكن ان يكون مصطنعا لسبب من اسباب الدنيا وان التصوف الحقيقي لا يرتبط بهذا المظهر الخارجي .

وقد ارتبطت البيئة المصرية منذ قديم بالتصوف حتى قبل تحول مصر الى الاسلام . فالرهبانية في المسيحية مثلا مصرية النشأة منذ أن أسس القديس المصري باخوم في القرن الرابع الميلادي اول مجموعة من الاديرة ، وقد انتشر هذا النظام الرهباني بعد ذلك الى سائر بلاد المسيحية في العالم ، بل كانت مشاركة مصر في التصوف سابقة على ذلك منذ نشوء الافلاطونية الحديثة في رحاب هذه البلاد ، وربما كانت البيئة المصرية بما احتوت عليه من آثار قدماء المصريين الرائعة مما أوحى بالكثير الى اهل التفكير الصوفي منذ زمن عريق القدم ، فان تلك الآثار كان من شأنها ان تثير لدى هؤلاء المنقطعين الى عبادة الله رغبة في التأمل الباطني العميق ، وسنرى ذلك ظاهرا في التفكير الصوفي عند أول صوفي مصري جدير بهذا الاسم وهو ذو النون الأخميمي .

وهكذا كان لمصر نصيب كبير في نشأة هذا اللون من الحياة الروحية الاسلامية ، وتحدثنا المراجع

حسن انه (مخاطبات واشارات الى الحق اودعها الله طيب وطيبة) ، وفى السماع انه (وارد حق يزعج لوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى ه بنفس تزندق) وقد قال مرة لبعض تلاميذه ممن حسنون الفناء (انت بلا قلب) ونحن نعلم ان مسالة جويز السماع او تحريمه كانت من المسائل التي انتقل يها النقاش من الفقهاء الى الصوفية ، وربما كان أهم دافع عن السماع واباحته ، بل اصبح من الشائع ذ ايام ذي النون ان يكون فى المجتمعات الصوفية قوال) يغني بصوت عال .

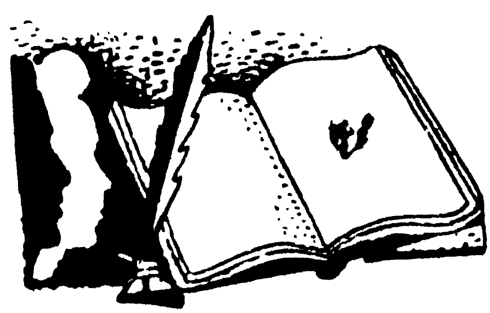
وينسب محيي الدين بن عربي فى الفتوحات المكية الى ذي النون رايا فى العرش يبدو انه كان الاصل الذى استمد منه ابن عربي نظريته فى النفس الرحماني وروحه المدبر له ، وهي نظرية كانت من الاسس التي قامت عليها فلسفة وحدة الوجود .

ونشير اخيرا الى أن ذا النون بعد ان تعرض للاضطهاد والمحاكمة مرتين كان حريصا فى سلوكه حذرا فى ابداء آرائه ، فكان يتبع فى ذلك مبدأ التقية الذي سار عليها الشيعة ، فيبدو للناس مجرد زاهد او ناسك بينما يحتفظ بكثير من آرائه التي قد لا تعجب الفقهاء والعامة لنفسه أو لخاصة تلاميذه ، وهكذا كان يلح دائما على التفريق بين سلوكين : سلوك للعامة وآخر للخاصة ، ويدور هذا التفريق فى كلامه كثيرا . فالتوحيد توحيدان ، والتوبة توبتان الى غير ذلك من التفصيل الذي يتضح لمتتبع آرائه واقواله ، وناحية اخرى كانت تقرب بينه وبين آراء الشيعة ، تلك هي استخدامه للتاويل الرمزي فهو كثيرا ما يفرق بين الظاهر والباطن وقد احتفظت لنا المجموعات الصوفية بكثير من تاويلات الرمزية ، ومن ذلك تفسيره للحج وغيره من العبادات مما نراه مثلا فى حلية الاولياء لابي نعيم .

وقد اطلنا بعض الشيء فى الحديث عن ذي النون المصري ، غير اننا نرى ان هذا الصوفي المصري لايمكن ان نفصل عن تاريخ الحياة الروحية فى الاندلس ، وسنرى فيما يلي كيف كان لآراء ذي النون اثر كبير فى تصوف هذه البلاد .

يتبع

مدريد : محمود علي مكي
وكيل معهد الدراسات الاسلامية بمدريد



واما تصوف ذي النون فانه وجداني بسيط نابع من نفس فياضة الشاعر دقيقة الحس ، وهو في هـذا يختلف عن الوان ذلك التصوف العقلي المعقد الـذي نراه في صوفية العراق وايران ، ومن اجل ذلك ذكرنا انه هو الذي يمثل البيئة المصرية في بساطتها البعيدة عن التعمق واستقامتها الراغبة عن التطرف والشطح ، وهو من اجل ذلك نصوف كان من الطبيعي ان يتأثـر بالحياة الروحية في غرب العالم الاسلامي ويتأثر بها .

واشهر ما يعرف من آراء ذي النون الصوفيـة ما قاله حول المقامات والاحوال أي تصنيف الصوفية في درجات وطبقات لاينبغي ان يتعدوها ، ثم تصنيف احوال النفس الصوفية وانتقالها من درجة الى درجة فوقها حتى تصل الى المعرفة الحقيقية ، ولننظـر الى قول ذي النون في ترتيب تلك الاحوال فهو يبدأ بدرجة الخوف ، ثم الهيبة ، فالطاعـة ، فالرجـاء ، فالمحبـة فالشوق ، فالانس بالله ، فالاطمئنان اليه ، فاذا اطمان الى الله كان ليله في نعيم ونهاره في نعيم وسره في نعيم وعلانيته في نعيم ، اما طبقات المريدين فان حـرص ذي النون على ان يلتزم كل درجته يظهر لنا من هذا الخبر الذي احتفظ لنا به السراج في كتاب اللمع : وفيه ان ذا النون لما دخل بغداد اجتمعت اليه جماعة الصوفية ومعهم قوال يقول ، فاستأذنوه بان يقول شيئا فـأذن لهـم فابتـدأ يقـول :

صغيـــر هـــواك عـــذبنـــي
فكيـــف بـــه اذا احتنكـــا

وانــت جمعـت مـــن قلبـــي
هـــوى قـــد كـان مشتركـــا

امـــا تـــرثـــي لمكتئـــب
اذا ضحـك العـــذول بكـــى

فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطـر من جبينه ولا يسقط على الارض ، قال : ثم قام رجـل من القوم يتواجد فقال له ذو النون : الذي يراك حين تقوم ، فقعد ، وشرح ذلك السراج فقال انه اشار الى قيام هذا الرجل ومزاحمته لغيره بالتكلف فعرفـه ان الخصم من دعواك بقيامك ليس غير الله ولو كان الرجل صادقا في قيامه لم يجلس وذلك ان المشايخ منهم ــ أي من الصوفية ــ مشرفون على احوال من دونهم بفضل معرفتهم ولا يجـوز لهم ان يسامحوهم اذا جـاوزوا حدودهم وادعوا حـال غيرهـم .

وربما كان ذو النون من أول الصوفية الذين تكلمو عن اسم الله الاعظم الذي يتعلق بذات الله لا بصفاته وقد اشار الدباغ والمالكي في حديثهمـا عـن لقاء ذي النون لشقران العابد القيرواني ان هذا هو الذي ادلى اليه بهذا الاسم الاعظم الذي جعل ذا النون محيطـ باسرار الكيمياء وقادرا على الكرامات ، وقد الح عليـ احد تلاميذه وهو يوسف بن الحسين الرازي لكـي يطلعه على هذا الاسم فاجرى عليه ذو النون اختبـار في قصة طويلة يذكرها ابو نعيم الاصبهاني في حليـة الاولياء ويتبين بعد هذه التجربة ان ذلك التلميذ لـم يكن خليقا بان يطلع على الاسم الاعظم .

والحب الالهي يدور كثيرا في كلام ذي النـون ، وقد كان هذا الصوفي من اكثر من تحدثوا عن هـذا الحب وفصلوا مراتبه ، وحديثه في ذلك كثير متناقـل في مجموعات الادب الصوفي ، وكثيرا ما كان يخـرج الى شاطيء البحر اذا جن الليل فينظر الى السمـاء والمـاء ويتغنـى بقولـه :

اطلبـــو لانسكـــم
مثلمـا وجـــدت انـــا

قـد وجـدت لـي سكنـــا
ليـس في هـــواه عنـــا

ان بعـــدت قـربنـــي
او قـربـت منـــه دنـــا

او يترنـم في جـوف الكعبـة :

حبـــك قـــد ارقنـــي
وزاد قلبـــي سقمـــا

كتمتــــه في القلـــب والـــ
ـأحشـاء وحتـى انكتمـا

لا تهتكـن ستـري الـــذي
البستنـــي تكـرمـــا

ضيعـت نفســي سيـــدي
فـــردهـــا مسلمـــا

كذلك يعتبر ذو النون من أول الصوفية الذيـن اهتموا بمسالة السماع اي ادخال الغناء والموسيقـى في التمارين والرياضات الصوفية وعملوا على نشرها بعد ذلك في التصوف الاسلامي ، وكان رأيه في الصوت

جلس روح الانسان مطمئنة على شاطىء جزيرة من جزائر المرجان وامواج البحر المتلاطمة تغني لها ، وبتصورها الكامل يمكن ان تلاحظ العازات المنحدرة من الشمس البعيدة ، وقد يطوي الزمان فيراها من بداياتها السديمية ويتتبع تطورها حتى تبرد وتصير غير مرئية .

ولو ان روحا خالدة تستطيع ان ترى الاشياء كما هي ، فانها تستطيع ان تكتسب جميع الحواس الدقيقة المختلفة المنفرقة فى جميع انواع المخلوقات الحبه ، وبذلك تستطيع ان تدخل فى ميادين جديدة عجيبة من المعرفة والخبرة والشعور ، وحينئذ ترى ـ ان شاءت ـ الذرات وهي تكون نفسها جزيئات ، والجزيئات وهي تبيد الجراثيم المغيرة ، وربما تستمتع بموسيقى جديدة تتولد من اهتزاز الاثير غير المحدود من آلاف نغماتها المتجاوبة ، وهناك الوان هي اجمل وازهى من ان نقدر على رؤيتها العيون البشرية ، وهي تنتظر تطور مقدرتنا على الادراك الذي يستوعبها ، وهنالك افراح لا نهاية لها تنتظر روح الانسان بعد ان تتحرر من الجسد .

ولا ندرى الى اى حد تنتهي قوة التصور الكامل للانسان ان ادرك ذلك فى الحياة الاخرى ، ولايمكن ان نبحث هاهنا فى القيود التي سوف تحمي حقنا المقدس في العزلة الفردية ، وانما نعطي هنا فكرة مجردة ، كما لا يمكن ان نصف الجنة التي يتمناها كل فرد ، ولكن يمكننا على الاقل ان ندعي ان هناك اجوبة عن مثل هذه المسائل التي يسأل عنها الناس .

ان الروح الخالدة التي لا يستطيع الزمن ان يمنعها، تستطيع ان ترى احبابها وتضمهم الى صدرها، ولما كان تصورها قد تكامل الان تستطيع النفس ان ترى على الحقيقة الحق الاعظم ، وهو الخالق سبحانه والجنة حيث اراد هو سبحانه ان تكون .

دعنا نعتقد ان تصورنا سوف يتكامل وان نعلم علم اليقين ان الصم سوف يسمعون اصوات الجمال وراء احلام البشر ، وان البكم سوف يتكلمون بكل لغة ، وان العمي سوف يبصرون كل عجيبة من عجائب خلق الله .

وهكذا يستطيع الانسان بمقدرته الروحانية ان يدرك العظمة الربانية ، وبتطوره الروحاني يزداد دنوا من معرفة جلال الله وقدرته ومجده .

تعليقـــات :

1) قوله : لا يقيم التصور اعتبارا لفكرة الزمن الخ .. جاء فى الخبر ان علي بن ابى طالب كان يضع رجله فى الركاب ويقرأ القرآن كله قبل ان تستقل الرجل الاخرى فى الركاب الاخر ، وقد استشكل هذا بعضهم واراد آخرون ان يجعلوه من باب خوارق العادات فلم يصب احد منهما شاكلة الصواب ، وانما ذلك من اسرار التصور ، فكل حافظ للقرآن حفظا جيدا يستطيع ان يمر بفكره على القرآن من اوله الى آخره فى لحظة بواسطة التصور الذهني ، ولو سالته عن كلمة كزيد مثلا اهي موجودة فى القرآن ام لا لاستعرض القرآن امام تصوره فى لمحة واحدة واجابك بنعم ، ان هذا الاسم موجود فى القرآن فى سورة الاحزاب ، فى قوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) اما الذي لا يحفظ القرآن فلا يمكن ان يجيب عن هذا السؤال حتى يقرأ القرآن من اوله الى آخره ولا يتم له ذلك الا فى ايام كثيرة ، وكذلك اذا كان ضعيف الحفظ، ولما كنت فى جامعة بون مدرسا وطالبا سنة 1936 اقترح رئيس القسم الشرقي فى الجامعة الاستاذ باول كالي ان اترجم معه كتاب البلدان فى الجغرافية العالمية لمحمد ابن الفقيه البغدادي المتوفى فى اواخر القرن الثالث الهجري فاخذنا فى الترجمة وقال لى اتحفظ القرآن قلت : نعم ، قال : اذا جاء شيء من القرآن فى اثناء الكتاب فاخبرنى به .

فصرت كلما ذكر المصنف شيئا من آيات القرآن اخبر به فيقول : هل تستطيع ان تجد ذلك فى المصحف اذا جئتك به ، فاقول : نعم ، فآخذ المصحف واوقفه على الآية فى الحين فيقهقه ضاحكا اعجابا واستغرابا ، ومن كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني فى شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن تيمية قوله : لقد جعل

دواء الشاكين وقامع المشككين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 20 -

ثم قال المصنف مباشرة ، ولكن التصور على كل حال يصادف دائما عوائق من بيئته المادية ، فهو لذلك لا يبلغ الا درجة قليلة من الحقيقة حتى تحققه الملاحظة او التجارب او الاكتشاف ، وحتى فى اذهاننا المادية ، لا يقيم التصور اعتبار الفكرة الزمن او المسافة ، فهو يبلغ فورا هدفه ، سواء اكان ذلك الهدف كوكبا فى السماء ام ولدك الذي فى حجرك ، ولابد لنا ان نصل الى نتيجة ، هي ان قوة التصور ، متصلة بالقوة الروحانية ، فان كان هناك خلود للروح فهناك ايضا خلود للتصور .

وكلما ادرك الفلاسفة ذلك العنصر الا على من طبيعة الانسان ، وهو نشاط روحه ، واجههم صعاب لا تعرض لمن هو اقل منهم تفكيرا .

فهم ان قالوا بخلود الروح ، وجدوا من الصعوبة بمكان ان يحددوا مكان هذه الروح الخالدة ، فالشخص العادي يتصور ان الجنة مكان ، ويفكر فيها على انها مادية فيها شوارع مرصوفة بالذهب وابواب مصنوعة من اللؤلؤ ، واذا كانت غاية الروح بعد انطلاقها هي الجنة ، فمن الطبيعي ان يسأل المرء (اين الجنة ؟ وكم تبعد عنا) اما الفيلسوف الذي له نفس يقظة فلابد ان يخطر بباله ان الجنة ليست مكانا كما يتصوره البشر ، ولكنها اجل بكثير من ان ندركها بعقولنا القاصرة . ومثل ذلك يقال فى الخلود الذي لا نهاية له . والحقيقة اننا قد نضطر لفقدنا التجارب البشرية التي ترشدنا، ان نحسب ان الجنة يمكن ان تكون الفضاء نفسه .

ومن الطبيعي ان كل انسان يكره ويخاف ان يكون ساكنا فى الفضاء وحده ، وقد يخطر ببال العالم حقيقة : هي اذا ارادت روحه ان تصل الى مكان فى الفضاء سواء اكان فى جزيرة من جزائر المرجان ، ام فى سديم بعيد المدى ، فان المسافة التي يجب ان تقطعها ، سواء اكانت قصيرة ام طويلة ، تحتاج الى زمان ، فان امكن ان يكون سفره على شعاع من اشعة الضوء ، فلابد ان يستغرق الف سنة ضوئية ليصل الى شمس قريبة نسبيا من شمسنا ، ومن اجل ذلك نقول : ان الانسان المقيد تقييدا شديدا بصلاته المادية البشرية بالبوصات والاميال وسنوات الضوء والزمان ، يخيل له انه لايعقل ان توجد سعادة فى الفضاء الابيض الذي لا حد له ، ولا فى الابد الذي لا نهاية له .

وهنا يجيء ايحاء التصور الكامل . اننا على الارض مرتبطون بكل شيء مادي وموثقون بكل تلك المقاييس التي تقدمت الاشارة اليها . وكيفما كان الامر يجب ان نذكر ان تصورنا ، كما تقدم ، يتغلب فورا على المسافة وينقلنا الى اي مكان ، ويأتينا بالالهام الذي يدنينا من الحقيقة ، ويفتح اذهاننا لانواع من الجمال تفوق الواقع ، والاراء التي تتولد عن الافكار يمكن ان تصبح حقائق مادية يدركها غيرنا ، كما قد يحلم المهندس المعماري ، ونضرب لذلك مثلا . الاهرام وتاج محل ، او ناطحة سحاب حديثة ، واذا صح ان الروح التي اصبحت خالدة ، لاترى الا الحقيقة . فان الروح تبصر الاشياء فورا بواسطة التصور الذي بلغ الكمال ، والافكار هي حقائق روحية خالدة ، سواء تجسمت فى شكل تمثال . ام تحدث بها اصحابها على انها حقائق تحدث ثورة فى الفكر البشرى .

والعالم باحوال الارض (الجيولوجي) قد يتتبع بتصوره الروحي طبقات الارض حتى يصل الى جوفها الذي بلغ حد الذوبان من الحرارة ، وما يراه هو العلاقة المحققة بين كل طبقة من الارض وبين قشرتها ، وقد

2) قوله فى الروح والجنة الخ.. قال الله تعالى:
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم
س العلم الا قليلا ، وما اضل المفكرين الا انهم بقيسون
كل ما لا يعلمونه على ما يعلمونه كأن العلم منحصر فى
ما وصلوا اليه : ولو وصف شخص الكهرباء واعمالها
والاذاعة فضلا عن القنابل الذرية والصواريخ والاقمار
الصناعيه التي تسبح فى الفضاء الخارجي ، بل مركبات
الفضاء التي يدور بها الراكب على الكرة الارضية فيرى
الشمس فى شروقها وغروبها فى كل تسعين دقيقة ،
لو اخبر بذلك شخص قبل هذا الزمن لرجمه الناس
بالحجارةاو ادخلوهالى مستشفىالامراض العقلية. مع
ان هذه امور وقعت فى عالمنا هذا .

وقل لمن يدعي بالعلم معرفة
علمت شيئا وغابت عنك اشياء

والتكذيب سهل لانه جهل ، ومن كان مرتبطا
بالارض والشمس لا يستطيع ان يفكر الا تفكيرا موثقا
مقيدا بالمكان والزمان ، كيف يستطيع ان يحكم بجهله
على عالم آخر ليس مقيدا بما يقيد به هو ، لاجرم ان
من فعل ذلك سد على نفسه باب العلم والمعرفة وبقي
مسجونا فى ظلمات جهله .

3) قوله الاهرام وتاج محل وناطحة سحاب
حديثة : الاهرام من آثار الفراعنة، وقد عجز من بعدهم
من الدول عن هدمها فكيف ببنائها . وتاج محل قصر
من آثار ملوك المغول فى الهند بلغ الغاية فى الجمال الفني
والاتقان يزوره الناس من البلدان البعيدة ، وناطحة
سحاب القصور العصرية الشامخة فى امريكا .

مكناس : تقي الدين الهلالي



الله الاحاديث كلها لابن تيمية نصب عينيه ياخذ منها ما يشاء ويدع منها ما يشاء . وقال فيه ايضا : كل حديث لايعرفه ابن تيمية فليس بحديث. فقوة التصور وسعة الخيال من اسرار الروح العجيبة كما قال المؤلف ، وتقدم قوله ، انما يراه النائم فى منامه راجع الى التصور والخيال واستمرار التفكر فى وقت النوم ، الا ان سلطان الروح عند النوم يكون اقوى منه فى اليقظة ، فلذلك تتجسد الخيالات والافكار وترى ببصر البصيرة ، وليس كل ما يراه النائم من بنات فكره ، فهناك امور يلقيها الله تعالى اليه ويريه اياها لا حيلة له فى ادراكها بالفكر ، ومنها الامور المغيبة التي يراها النائم فتقع كما يراها ، وهذا شيء محقق ثابت متواتر عند الناس لا يمتري فيه الا المادي الجاهل الذي انحصر علمه فيما يدرك بالحواس الخمس كالعجموات ، وقد قسم النبي (ص) الرؤيا الى ثلاثة اقسام : تبشير ، وهو من الله سبحانه ، وتحزين، وهو من الشيطان ، والقسم الثالث ، ما يحدث الانسان به نفسه فى اليقظة ، هذا معنى حديث رواه ابو داود فى سننه ، وقوله ، ما يحدث الانسان به نفسه فى اليقظة، هو الذي عبر عنه المؤلف باستمرار الفكر فى حالة النوم، ولكن لا ينحصر ما يراه الانسان فى منامه فى افكاره ، بل هناك امور اخرى يريه الله اياها تبشيرا او انذارا ، وامور يلقيها الشيطان تخويفا وتحزينا ، وفتنة واضلالا ، وقد علمنا النبي (ص) وهو طبيب القلوب والارواح علاجا ناجعا يقينا شر الاحلام ويعرفنا بما ينفعنا من رؤيا المنام ، فمن ذلك الحديث المتقدم الذكر، ومنه انه عليه السلام قال : اذا راى احدكم ما يكره فلينفث عن يساره ثلاثا ثم يقول : اللهم اني اعوذ بك من شر ما رايت ان يضرني فى ديني ودنياي ، ولا يقص ما راى على احد فانه لا يضره ، وامرنا اذا راينا رؤيا صالحة ان لا نقصها على جاهل او مبغض لنا ، والحكمة فى ذلك والله اعلم ، ان الجاهل يفسرها ويخطىء فى تفسيرها فيضر من حيث اراد ان ينفع ، واما المبغض فانه يؤولها تأويلا سيئا على عمد ليسوءنا ويحزننا ، فاذا سمعنا منه ذلك توقعنا شرا وصرنا نرتقبه حتى اذا اصابنا شيء من مصائب الدنيا ، وهي كثيرة ، قلنا هذا هو الذي اخبرنا به فلان ، على ان توقع الشر فى حد ذاته شر كبير ، ومن اجل ذلك نهانا رسول الله (ص) عن اتيان الكهان والعرافين ، ففي الحديث من اتى عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد (ص) ، وفى حديث آخر ، لم تقبل له صلاة اربعين يوما ، وقال النبي (ص) : ليس منا من تطير اوتطير له اوتكهن، اوتكهن له، وقال رسول الله (ص) الطيرة شرك ، والطيرة هي التشاؤم برؤية الاشخاص او بعض انواع الحيوان كالغراب والكلب الاسود او بما يسمعه الانسان من الكلام ، او بالايام والشهور وغير ذلك مما هو كثير ومشهور، يفتك بعقول الشعوب التي فشا فيها الجهل ، ومن ذلك ما سمعته من اهل تطوان ان كثيرا من جهالهم لا يشترون مكنسة فى شهر صفر ويعتقدون ان من ادخلها بيته فى ذلك الشهر تكنس اهله وماله ، واخبرني البشير بن محمد وهو اغنى رجل فى مدينة المشرية بالجزائر ان له عبدا اسود تركه له ابوه وهو مشئوم جدا فى اعتقاده كلما رآه فى الصباح وكان اول من رآه من اهل بيته تصيبه مصيبة فى ذلك اليوم ، قال فانا لذلك اذا قمت من النوم صباحا اخرج مغمض العينين ولا افتحهما الا اذا سمعت صوتا غير صوته . فان سمعته هو لم افتح عيني حتى القى غيره فافتحهما عليه ، ثم بعد ذلك لا تضرني رؤيته اذا رايته، ولا يتسع المقام لذكر ما يقع للناس من هذا القبيل ، ولا نجاة للناس من شرور الاوهام والخيالات والوساوس الا بمعرفة سنة النبي والتمسك بها ، ثم ذكرت الآن حكاية ترجح عندي ذكرها ولو افضت الى التطويل والملل لما فيها من الفائدة لبعض القراء على الاقل ، توجد ناحية فى بغداد اسمها الوزيرية فيها السفارة المغربية وغيرها من السفارات ، ويقال انها ارض مغضوبة ومشؤمة ، بنى فيها احد اخواننا قصرا انفق على بنائه مالا كثيرا ثم انتقل اليه هو ووالداه واخوته واهل بيته فاصيب بالامراض وغيرها من المصائب وتشاءموا بسكناهم فى الوزيرية فجاءني وشكى الي ذلك ، فقلت له : هذا من الوساوس والطيرة وهي شرك وعلمته دعاء علمنا اياه رسول الله (ص) وامرنا ان ندعو به اذا وقع فى انفسنا شيء من التطير وهو: اللهم لا خير الا خيرك، ولا طير الا طيرك ، ولا اله غيرك . فتعلمه وعلمه اهل بيته وصاروا يدعون به ، فبعد شهرين جاءني واخبرني انهم استقروا واطمانوا وشفاهم الله وذهب ما كانوا يجدونه فى انفسهم .

وقد كان لليون غوتييه ، فضل تبيين موقف ابن رشد الحقيقي من الدين تبيينا نهائيا ، والكشف عن الاغلاط التي ارتكبت في حق هذا الفيلسوف نتيجة الافكار المسبقة .

ونظرية ابن رشد اخذت بناءها العام النهائي من الوجهة النظرية وفي ناحية من الوجهة العملية في كتاب الفصل ، اما كتاب الكشف فهو تطبيق لمنهج التوفيق ، باستخراج الدلائل على الحقائق الدينية الاساسية (كوجود الله ، وبعث الرسل ، والايمان باليوم الآخر ...) من ينبوعي الدين الاساسيين في الديانة الاسلامية القرءان والحديث .

ومما يهجا الخيال ويمتع الحاسة الفنية ، في اسلوب عرض هذه النظرية ، تلك السهولة والبساطة في التعبير ، اللتان اقتبسهما ابن رشد ولا شك من فلاسفة اليونان . فهو يبدا كتابه (فصل المقال) بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله قائلا : (فان الغرض من هذا القول ان نفحص على جهة النظر الشرعي ، هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع ام مامور على جهة الندب واما على جهة الوجوب بمول. (*) .

وكذلك مما يبعث على الاعجاب تلك الصفة العلمية التي تسود بحث ابن رشد . وقدرته الخارقة على ساعة المعضلات الدقيقة . وتفريع المسائل تفريعا واسعا . واتيانه بالحلول البسيطة المستقاة من اصفى الينابيع الشرعية وابعدها عن الكدر والاختلاط بالآراء المستحدثة . ثم احلاله ذلك كله في نظرة تجمع في انسجام غريب وكامل ، جمع تلك التفصيلات في وحدة متراصة .

ومن المناسب ، ان ننبه من جديد الى ان هذه النظرية — في خطوطها العامة — مشتركة بين جميع الفلاسفة العرب الذين تبنوا الفلسفة اليونانية ، اعني من الكندي الى ابن رشد ، وابن رشد كانه المتحدث عن هؤلاء الفلاسفة ، وبوضعه هذه النظرية في اطار خاص ومعالجته اياها في بحث مستقل وبروح علمية صحيحة حاز الاولوية في هذا المضمار من بين زملائه الآخرين، فعمله اذن يبرهن على اولويته ، اذ هو يعتبر العمل الوحيد في الفلسفة العربية من هذا النوع والفلاسفة الآخرون كما ذكرنا لم يجشموا انفسهم مشقة تاليف كتاب في موضوع التوفيق بصورة مباشرة .

فلا حاجة اذن لسوق البراهين والحجج على افضلية ابن رشد في هذا الميدان ، فيكفي ان نعرض آراءه ونكون على علم بانه الوحيد الذي عالج هذه المسألة باستقلال تام ، لنعرف مقدار فضله .. على ان نظريته تفرض نفسها علينا مانطلع عليها، وهي بعناصرها المتعددة المستفاده من هنا وهناك تكاد تكون — او هي تكون فعلا — مذهبا مستقلا بذاته ، بالرغم من تكامله مع باقي فلسفته .

* * *

يحل ابن رشد المشكلة المدرسية او علاقة الدين بالفلسفة من الوجهة النظرية العامة في كتاب الفصل كما ذكرنا ، على الشكل التالي (*) :

يبدا ببيان غرضه من تاليف الكتاب ، ذاكرا انه الفحص على جهة النظر الشرعي هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح « بالشرع او محظور ام .. »

وابن رشد في الحقيقة لا يعالج فقط ، هل النظر في الفلسفة وعلم المنطق مباح ام لا وما يتفرع عن ذلك . اي علاقة الدين بالفلسفة فحسب ، بل هو يدرس علاقات الدين والفلسفة وعلم الكلام . اذ كما اشرنا الى ذلك من قبل ، نجد صدى عداوة علم الكلام للفلسفة والصراع الذي كان محتدما بينهما ، قويا واضحا في كتابات ابن رشد هذه التي تمس موضوع التوفيق .

---

* ص 2 من الطبعة العربية — القاهرة بدون تاريخ وتحت اسم « فلسفة ابن رشد»
* نعتمد في الاكثر في عرض نظرية ابن رشد على تحليل ليون غوتييه الدقيق لهذه النظرية في كتابه السابق « ابن رشد » الفصل الثالث .

نظرية ابن رشد في التوفيق بين الشريعة والفلسفة

للاستاذ :
عبد اللطيف مليني

عـــرض ابن رشد نظريته فى التوفيق فى كتـاب يجمع بين ثلاث مؤلفات هى : (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) وضميمة لمسالة القديم وهي ملحقة بالرسالة السابقة يبحث فيهـا المؤلـف موضوع علم الله بالجزئيات ويحاول ان يحل المشكلة، واخيرا (كتاب الكشف عن مناهج الادلة فى عقائد الملة) هذه الكتب الثلاثة تجمعها دفة مجلد واحد . يعتبرهـا غوتيه اعظم عمل قام به الفيلسوف العربي ، ويعتبـر غوتيه انه هو نفسه اول من كشف عن حقيقة مقصد الفيلسوف فى مسألة الاتصال بين الدين والفلسفة مـن خلال هذه الرسائل . وذلك فى كتابه السابق الذكـر (نظرية ابن رشد فى علاقة ..) ويمكننـا ان نضيـف كمكمل لنظرية ابن رشد هذه ، بعض الملاحظات الواردة فى تهافت التهافت ، عن صلة الدين بالفلسفة ، حيث تعرض لبعض النقاط كمسالة بعث النفوس والاجساد من غير الناحية التي تعرض لها فى الكتب الاخرى .

واول من كشف عن كتـاب الفصل ولواحقـه وطبعه بالعربية هو المستشرق الالماني ج موللر سنـة 1859 ، والى هذا التاريخ ، كانت هـذه الكتب مخطوطات ، وهي لا تعد فى جملة ما ترجم من كتب ابن رشد الى اللاتينية ولذلك فلا العالـم الاسلامـي ولا العالم المسيحي كان مطلعا عليها ، لانهـا فى العالـم الاسلامي لم تلاق الاهتمام الذي تستحقه ، وفى العالم المسيحي كانت غير معروفة لانها لم تترجم الى اللاتينية كما هو شان كتبه الاخرى ، اعني شروحه على ارسطو وكتبـه الاخـرى .

وقد افلتت نظرية ابن رشد فى هذه الرسائل من الباحثين ، حتى المتاخرين منهم ـ كما يذكر غوتيه* ـ الذين لم تكن ينقصهم الالمام بالعربية ولا كانت تعوزهم المصادر فى اصولها العربية .

كانت نظرية ابن رشد فى التوفيق بين الشريعـة والفلسفة ضحية اخطاء سببتها الافكار المسبقة التـي كانت شائعة منذ القرون الوسطى عن هذا الفيلسوف . كزندقته وبعده عن الدين، او «ازدواج الحقيقة» لديه. اي اعتناقه مذهبا ذا اتجاهيـن : فلسفيا فى ميـدان الفلسفة ، وآخر ايمانيا عندما يتعلـق الامر بالعامة . وترجع هذه الاخطاء فى الحقيقة الى شهرة ابن رشد فى الغرب المسيحي منذ القرن الثالث عشر على انه صاحب مدرسة مبطلة تنكر مبادىء جميع الديانات ، بدعوتهـا الى مبادىء كعدم بقاء النفوس الفردية ، وخلود النفس الكلية فحسب ، وان الفلاسفة هـم الحكمـاء الوحيدون * ..الخ.. وقد كان لابن رشد المزيف هذا اتباع عرفوا باسم « الرشديين » يحملون هذه المبادىء التي تختلف فى اكثر الامر عن حقيقة راي ابن رشد . واستهدف اسم « الشارح الاعظم » للوصم بالزندقة واستهدفت مبادئه المزيفة وخصوصا شهرته المزيفـة كعدو للدين لغضب الكنيسة الكاثوليكية وتحريمها ، وكذلك اتباع ابن رشد الوهميون تعرضوا لسخـط الكنيسة وانتقامها ، وكانوا ضحية الاضطهاد الـذي كثيرا ما وصل الى الموت حرقـا .

---

* انظر فى كل ما يتعلق بهذه النظرية ليون غوتييه فى كتابه الاساسي « نظرية ابن رشد » وكذلك كتابـه « ابن رشد » الفصل الثالث » .

* انظر فى هذا الصدد كاردوفو فى المرجع السابق ورينان فى « ابن رشد والرشدية » .

والحد الاوسط الذي يوصلنا الى ذلك هو هذه الفكرة « وجوب استعانة المتقدم بالمتأخر » هـــذه الفكرة هي المفتاح السري فى يد ابــن رشـد . ولنـر كيف تتـم ذلك .

اذا كنا قد وصلنا الى نتيجة صحيحـة وهــي وجوب معرفة القياس العقلي شرعا ، فينبغي ان ننظر اذا كان المتقدمون قبلنا قالوا شيئا فى هذا القيـــاس وقرروا احكاما ووصلوا الى نتائج .

فان لم نجد من ذلك شيئـا وجب علينا ان نبدأ بالفحص عنه بانفسنا . وانظر كيف يمهد ابن رشـــد الطريق امام الهدف الذي جعله نصب عينيه من هذا البحث كله. يقول ابن رشد متابعا كلامه «وان يستعين فى ذلـك المتاخر بالمتقدم حتى تكمل المعرفـة به (*) ، فانه عسيرا او غير ممكن ان يقف واحد من الناس من تلقاء نفسه وابتداء على جميع ما يحتاج اليه فى ذلك ، كما انه عسيرا ان يستنبط واحد من الناس جميع مـا يحتاج اليه من معرفة انواع القياس الفقهي ، بل معرفة القياس العقلي احرى بذلك » ص 4 .

من هذا سنستنتج وجوب الاستعانة بما قالــه المتقدمون فى هذا الامر . وهو يقصد بذلك منطـــق اليونان خاصة . اذ يمكن ان يبدو صعوبـه جديدة ، وهي ان اصحاب هذه الآلة الذين سناخذ عنهم العلم بها قد يكونون غير مشاركين لنا فى الملة (اي من غير ديننا) . ولكن هذه المشكلة محلولة فى نظر ابن رشد، اذ « الآلة التى يصح بها التذكية (كما فى نحر الضحيـة مثلا . او الاناء الذي يغتسل به فى الوضوء) ليـــس يعتبر فى صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا فى الملة او غير مشارك . اذ كانت فيها شروط الصحة (ص4) هكذا الامر فى آلة العلوم التي هي المنطق ، وابن رشد يقول انه يقصد بغير المشاركين لنا فى الملة « القدمـاء قبل ملة الاسلام » ولا شك انه يتجه بنظره الى اليونان خاصة ، فيجب ان نستعين اذن فى هذه الآلة بمـا قاله المتقدمون ، فما كان موافقا منها للحق قبلناه وما كان مخالفا نبهنـا عليــه .

وكذلك نفعل – متى فرغنا من النظر فى الآلة – فى الفحص عن الموجـودات ، اي فى صميم الفلسـفة ، فقاعدة استعانة المتاخر بالمتقدم تطبق هي نفسها ايضا هنا « اذ صناعة اصول الفقه ، والفقه نفسه لم يكمـل النظر فيها الا فى زمان طويل . ولو رام انسان من تلقاء نفسه ان يقف على جميع الحجج التي استنبطها النظار مـن اهل المذاهب فى مسائـل الخلاف التـى وضعت المناظرة فيما بينهم فى معظم بلاد الاسلام ما عدا المغرب لكان اهلا لان يضحك منه ..ص5 .

فيجب اذن ، اذا وجـدنـا للمتقدميـن نظرا فى الموجودات . ان ننظر فيـه ونستعين به – وذلك كمـا سبق فى المنطق – على شرط ان « ما كان منها موافقا الحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه ، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليـه وحذرنـا منـــه وعذرناهم .. ص 6 » .

وهذا قول يدل على ما كان يتمتع به ابن رشد من مرونة فكرية – وهو يدحض القول الذي يدعى ان ابن رشد كان مستعدا دائما لان يتبع معلمه ارسطو فى كل ما يقوله . ومما يؤكد هذا قوله السابق : ان المعرفـة تكمل – ويجب ان نلح على كلمة تكمل – باستعانـة المتاخر بالمتقدم . فهذا يتنافى مع اعتبار ان ما جاء به ارسطو هو الكامل النهائى . ومع ذلك لا يمكن انكـار اعجاب ابن رشد بارسطو . ولكن المستبعد هو تقليده الاعمى له . وكذلك لا يمكن انكار ان الفلسفة التـي يعنى ابن رشد بجعلها موافقة للدين هـي الفلسفـة اليونانية او الفلسفة الارسطية . وذلك بطبيعة الحال لانها مذهبه الفلسفي الشخصي ، الـذي كان يؤمـن به ، والذي اضاف اليه الكثير من عنده ، وهذه النقطة يتفق فيها جميع الفلاسفة العرب من اصحاب المذهب اليونانـي .

– يتبــــــــع –

الرباط : عبد اللطيف مليـن

---

* يذكر غوتييه ان هذا القول يذكر بنظرية باسكال فى اعتباره الانسانية من ناحية المعرفة شخصا واحدا يتكامل ، وهذا القول من ابن رشد يدحض ايضـــاادعاء انه كان مقلدا اعمى لارسطو .

وهو يعرف الفلسفة ويعرف الدين . فالفلسفة لبست (شيئا اكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع لمعرفة صنعها) ص 2 من الطبعة العربية . اما الشرع فان مقصوده (انما هو تعلم العلم الحق والعمل الحق ، والعلم الحق هو معرفة الله وسائر الموجودات على ما هي عليه ، وبخاصة الشريعة منها ومعرفة السعادة الاخروية والشقاء الاخروي . والعمل الحق هو امتثال الافعال التي تفيد السعادة وتجنب الافعال التي تفيد الشقاء) ص 19 . وهناك علم الكلام ، الذي يمكن ان نستخرج تعريفه الضمني من خلال كلام ابن رشد ، فهو النظر العقلي في النصوص الدينية او في الحقائق التي تحويها تلك النصوص . ويلاحظ هنا لبون غوتييه ان كثيرا من الباحثين قد اخطأوا في عدم التمييز بين الدين وعلم الكلام . وذلك ان اولئك الباحثين حسبوا ان علم الكلام هو الدين نفسه في درجة عليا من الترتيب ، والتنظيم العقلي ، كما هو الشأن في الديانة المسيحية ، وليس الامر كذلك فيما يتعلق بالاسلام ، لانه ليس هناك سلطة في هذا الدين تتولى الاشراف على العقائد وتحديدها كالسلطة البابوية في الكنيسة المسيحية . فعلم الكلام في الاسلام يمكن ان يكون نسخة مشوهة عن الدين بعيدة عن الحقيقة ، كما يعتبره ابن رشد ، وكما سنرى بعد قليل .

وابن رشد يستنتج من تعريف الفلسفة ومعرفة مقصد الشرع ان الموضوع الذي يبحثه الفلسفة والذي يبحثه الدين موضوع واحد هو « الموجودات على ما هي عليه » وسنرى كيف وبماذا تختلف الحقيقة الدينية عن الحقيقة الفلسفية .

ولنستعرض قبل كل شيء الجواب على السؤال الاول الذي القاه ابن رشد واعتبره « الغرض من قوله» هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح ام محظور ام مأمور به الخ . .

فالشرع ندب الى اعتبار الموجودات . وهذا نجده في غير ما آية من القرآن : فيبين « ان ما يدل عليه هذا الاسم (اي الفلسفة وعلوم المنطق) اما واجب بالشرع او مندوب اليه . فاما ان الشرع دعا الى اعتبار الموجودات بالعقل وطلب معرفتها به . فهذا بين في القرآن « فاعتبروا يا اولي الابصار » « او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء » « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت » ويسوق ابن رشد آيات كثيرة في هذا المعنى ويعتبر انها غيض من فيض وقليل من كثير لا يحصى .

يستنتج ابن رشد من ذلك وجوب النظر العقلي في الموجودات من الناحية الشرعية ، والاعتبار الذي ورد ذكره في القرآن الكريم هو القياس ، اي القياس العقلي ، لذلك يجب على من يريد معرفة الموجودات (الله ، والملائكة الخ . .) ان يتقدم فيعلم انواع البراهين وشروطها اي يعلم الآلة التي تؤدي الى العلم الحقيقي الذي هو الفلسفة . وهذه الآلة هي المنطق .

واستنتاج ان الاعتبار الوارد في القرآن هو القياس العقلي سيكون احد الاسس التي يبني عليها ابن رشد كل نظريته في التوفيق .

ولكن قد يقال ان هذا بدعة . اذ لم يكن معروفا في الصدر الاول من الاسلام . ولكن ابن رشد يرد على هذا الاهتمام بان الآلة التي تعين على التفقه في الاحكام المأمور بها من جانب الشريعة هي القياس الفقهي ، واذا كان الفقيه يستنتج من الامر بالتفقه في الاحكام وجوب معرفة القياس الفقهي فاحرى ان يستنتج العارف من الامر بالنظر في الموجودات . وجوب معرفة القياس العقلي اي المنطق . والقياس الفقهي شيء «مستحدث في الاسلام لم يكن في الصدر الاول※» ولم يعتبر مع ذلك بدعة . « فكذلك يجب ان نعتقد في النظر في القياس العقلي » .

بهذا يدحض ابن رشد حجة من يزعم ان معرفة القياس العقلي بدعة في الاسلام ، ويبقى عليه بعد ذلك ان يزيل الصعوبات من الطريق ليصل الى النتيجة التي يريدها . وهي استنتاج وجوب معرفة الفلسفة اليونانية نفسها وليس اي فلسفة ، والاطلاع على المنطق الارسطي او المنطق اليوناني عامة ، وليس كل منطق وقياس عقلي .

※ استقر نهائيا كاصل من اصول الشريعة في القرن الثاني للهجرة .

« خطبتي الجمعة » اللتين هما شرط من شروط صحتها ، اي انهما جزء لا يتجزأ من التركيب العام لصلاة الجمعة ...

وهنا تبرز المسؤولية العظمى التي تقع على عاتق « خطيب الجمعة » ، هذه المسؤولية التي تزداد فداحة وخطورة بالنسبة للخطيب في كل بلد اسلامي جمهوره احوج ما يكون الى الارشاد والتوجيه كالجمهور المغربي الذي يعتبر « خطيب الجمعة » استاذه الاكبر ، فهو عقله المفكر ، ووجدانه الشاعر ، يأتمر بما يلقي اليه من احاديث ، ويعتبرها قطعة من التنزيل ، وقبسا من الذكر الحكيم ، وكيف لا ؟ وخطيب الجمعة لا ينطق عن هوى . وانما يفتح مغاليق القلوب بمفاتيح الشريعة الاسلامية المطهرة ، وينير جنباتها بانوار الحنيفية السمحة .

* * *

واذن فلسنا مبالغين اذا قلنا ان « صلاة الجمعة » بالنسبة للجمهور المغربي هي الفرصة الاسبوعية الذهبية التي يجد فيها نفسه وجها لوجه امام معالم الدين الاسلامي الحنيف ، وتوجيهاته السامية ، التي هي ضمان سعادة المسلم في العاجلة والآجلة .

* * *

ومعلوم ان الاسلام « دين التطور » بمعنى انه يساير قانون الحياة المتغيرة المتطورة المتجددة ، ولهذا كان خاتم الاديان ، وكانت رسالته آخر رسالة سماوية الى جميع بني الانسان ، في كل زمان ومكان .

وهنا نصل الى جوهر المشكل الذي يريد ان يعالجه هذا المقال ، وهذا المشكل يتجلى في « التفاوت المتبر ، والهوة السحيقة بين ما هي عليه جل خطب الجمعة في مغربنا العزيز ، وبين ما يجب ان تكون عليه من صدور عن روح الاسلام وجوهره اللذين يسعان كل معقول ومنقول من جهة ، وبين ظروف المجتمع المغربي الذي يجب ان تلعب فيه خطب الجمعة دور الاستاذ الموجه نحو ما فيه عافيته الاجتماعية من كل النواحي الجسمية والعقلية والروحية .

* * *

واعترف ان كلامي هذا سيبقى غامضا ما لم اقدم بين يديه هذه النماذج من اقوال بعض خطباء الجمعة عندنا ..

هذا خطيب مشهور بالتحامل على الفواحش والمناكر ، يفجأ يوما بمحطات الاذاعات العالمية ، ووكالات الانباء الدولية ، بل بجنبات الدنيا الاربع تردد « ان جاجارين » قد استطاع ان يخترق اجواء الفضاء ويدور حول الارض بقمره الصناعي عدة مرات ، ثم يرجع اليها سالما ، فينتهز سيادة الخطيب هذه الفرصة لا لكي يشيد بما قطعته الانسانية من مراحل في ميدان التطور العلمي ، والتقدم الحضاري، وذلك بفضل الاسلام الذي انار امامها الطريق بما دعا اليه في اول آية من القرآن « اقرأ » ، وبالآيات والاحاديث العديدة التي ترفع من شأن العلم وتحض عليه ، في وقت كانت فيه اوربا كلها تعيش في جهالة القرون الوسطى الجهلاء وضلالتها العمياء.. ولا ليحض المغاربة على التنافس في هذا المضمار ، ومحاولة استدراك ما فاتهم بهذا الصدد .. لا ، بل قام سيدنا الخطيب ليصيح في جمهورنا المسكين قائلا : « ان هناك بعض الكفار الذين يدعون انهم قد اخترقوا الفضاء ، وصعدوا الى السماء ، وانهم سيطلعون يوما الى القمر .. ان هذا كفر والحاد ، وخروج عن الدين ، نعوذ بالله من امثال هؤلاء ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وانا لله وانا اليه راجعون » ، ويقع البسطاء من جمهورنا في حيرة وذهول وتشكك ، ولا يدرون ، اي التعاليم يتبعون واي الاخبار يصدقون ؟ وتكون النتيجة في النهاية اضطرابا في عقيدتهم ، وتبلبلا في ايمانهم ، سببه سيدنا الفقيه الخطيب الذي ضاق عقله ومحيط تفكيره عن ان يتصور ان الاسلام ــ عقيدة ومذهبا وسلوكا ــ يسع مثل هذا التطور العلمي ، والتقدم الحضاري .

* * *

وهذا نفس الخطيب يقرر في مناسبة اخرى على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام ان « خير الاماكن المساجد ، وشرها الاسواق » دون ان يقيد الشطر الثاني من الحديث بكون الرسول لايقصد به التنفير من التجارة التي هي عصب من اعصاب الحياة ، وعماد من اعمدتها المهمة ، بل يقصد حمل المسلمين على تجنب الحلف بالله ، والغش والتدليس ، والتطفيف في الكيل والميزان ، وذلك عن طريق الايحاء النفسي ، نظرا لكون هذه الاوباء مما يتفشى عادة في الاسواق .

من وحي الجمعة

للأستاذ :
محمد عبد الواحد بناني

يقوم « المسجد » بدور خطير في حياه المجتمع الاسلامي ، فهو « المصنع » الديني الذي يصوغ عقلية السواد الاعظم من المسلمين ، ويصقل ارواحهم ، ويبني نفوسهم ، ويوجههم الوجهة الاسلامية الصحيحة التي لهم فيها اليمن والسعادة والفلاح .

ولقد كان المسجد ـ لعهد الرسول (ص) ومن تبعه باحسان ـ مصلى ومدرسة ونادبا في آن واحد ، فيه تؤدى الصلوات الخمس ، وفيه يتلقى جمهور المسلمين دروسا في شتى الوان الثقافة والتوجيه ، وفيه يجتمع الناس للنظر في « شؤونهم العامة » ، يقلبون وجهات النظر في المشاكل التي تعترضهم ، ويشحذون الهمم للوصول فيها الى حلول تنفق والصالح العام ، ويكفي القاء نظرة ، ولو عجلى ، على سير الحياة العامة في عصر الرسول والخلفاء الراشدين وما تلاه من عصور ، للظفر بعشرات الدلائل على صدق ما نقول .

واذن : فقد وجد المسجد في الاسلام لكي يعيش مع جمهور المسلمين ولفائدتهم ، يحيى حياتهم العقلية والروحية والمادية جميعا ، ويقوم تلك الحياة من جميع نواحيها السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية، والدينية ، والثقافية .

* * *

ونحن في المغرب اليوم احوج ما نكون الى ان يقوم المسجد بدوره الكامل هذا فينا خير قيام ، وعلى اكمل وجه ، فالكل يعلم ان الاغلبية الغالبة والاكثرية الكاثرة من المغاربة اما اميون ، او محدودو الثقافة ، لم يتح لهم منها الا الاقل اليسير ، وهم في ايامهم العاديه منصرفون الى اعمالهم التي تستلزمها الحياة الماديه التي يحبونها هم وعائلاتهم ، وهم وان اتيحت لبعضهم فرص التردد على المساجد لاداء الصلوات الخمس يوميا ، فالسواد الاعظم منهم لا يتاح له ذلك ، اللهم الا بالنسبة لصلاة اسبوعية واحدة تحرص جمهرة المسلمين على حضورها ، لما تعلمه من كونها فرض عين مستقل ليست بدلا من الظهر ، تثبت فريضتها بالكتاب والسنة والاجماع ، فبالكتاب لقوله تعالى : « يا أيها الذين ءامنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع .. » وبالنسبة لما رواه احمد والحاكم وصححه ، وقوله (ص) (من ترك ثلاث جمع متواليات من غير عذر ، طبع الله على قلبه) ولما رواه مسلم ، وهو قوله : (ص) (لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ، ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة في بيوتهم) ، واما بالاجماع فلا تفاق الامة الاسلامية على فريضتها .

نعم : ان هناك اعذارا تبيح التخلف عن حضور الجمعة شرعا ، ولكن هذه الاعذار ان منعت واحدا او اثنين في المائة من حضورها ، والى اجل فقط ، فهي لا تمنع الباقين ، ومن ثم تبق النظرية قائمة ، وهي ان صلاة الجمعة يحضرها جمهور المسلمين .

* * *

واشتراط الجماعة بالنسبة لصلاة الجمعة ـ فقد جعل الشافعية اقل ما تنعقد به الجماعة فيها اربعين مصليا ـ ليس له من حكمة فيما يظهر سوى حرص الشارع الحكيم على استفادة جمهور المصلين من

التوجيه الاجتماعي في الإسلام

للاستاذ
كمال شبانة



روى البخاري عن ابي هريرة أن رسول الله « ص » قال :

« اياكم والظن ، فان الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا »

— الشرح —

قد روي البخاري هذا الحديث عن أبي هريرة من طريقين ، وروي عن انس حديثا بهذا المعنى ولكن بنص : « اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث » وزيادة : « ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة أيام » في آخر الحديث مع اختلاف يسير فيما بقي ، ورواه مسلم كلفظ البخاري عن أبي هريرة ايضا .

الظن : يطلق على اليقين احيانا كما جاء في قوله تعالى : « وانها لكبيرة الا على الخاشعين ، الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » وقوله : « انى ظننت اني ملاق حسابية » ويطلق احيانا على ما يقابل اليقين كقوله تعالى : « وما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يظنون » وقوله : « ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين » والظن الذي هو يقين لا يحدث الا عن ادلة وامارات ، اما غير اليقين فانه حديث للنفس ينبعث عن غير دليل ، وهذا النوع الثاني قد يكون ظن خير ، كأن تظن بانسان حبا للخير فتقصده ، ليعاون في المساهمة على انشاء مؤسسة خيرية ، ومن ظن الخير ظنوا ان الحكم الشرعي في حادثة معينة اذا استندت الى دليل ظني ، وقد يكون ظن سوء كأن تظن بفلان سوء السيرة او انه يدبر لك مكيدة ، او انه خائن لبلاده وليس عندك في كل ذلك دليل او ما لا يصح ان يكون دليلا كشائعات كثيرا ما تكون مختلقة .

ونحن اذا نظرنا الى النهي عن الظن نجد انه لا يمكن أن يتوجه الى الظن بمعنى اليقين ، اذ لا معنى للنهي عن اليقين مع ورود القرآن به في مثل قوله : « فتبينوا » كما انه لا معنى للنهي عن العمل بما يقضي به اليقين ، وعلى ذلك اذا تيقنت أن فلانا حليف الشر وجب عليك ان تقاطعه وتهجره حتى يرعوى ، وكذلك لا يتوجه الى الظن الذي ليس بيقين اذا كان ظن خير ومنفعة ، فاذا ظننت في نفسك القدرة على تقديم مصلحة لاخوانك او لأمتك لا تكون مخاطبا في هذا الحديث عن هذا الظن ولا الكف عن العمل بموجب هذا الظن . اما ظن السوء فانه يكون منهيا عنه الا فيما يتعلق بمصلحة الظان نفسه كأن يدعوه هذا الظن الى الاحتراس من خصمه والحذر من مكائده ، ولا يصح أن يتجاوز ذلك كأن يعمل على الاضرار بمن ظن فيه السوء ، وهذا هو المنهي عنه في الحديث ، وليس الفرض النهي عن نفس الظن لان الظن هواجس وأحاديث نفسية

تلكم خواطر طالما كبحت نفسي عن الكتابة فيها ، ملتمسا لامثال هؤلاء الخطباء بعض الاعذار — أو على الاصح منتحلا لهم اياها — حتى كنت الاسبوع الماضي مدعوا لوليمة غذاء فى احدى ضواحي طنجة زوال يـوم الجمعة ، وكان من جملة المدعوين تلميذان احدهمـا بمدرسة ابتدائية امريكية ، وثانيهما بمدرسة ثانويـة مغربية ، وقد اديا صلاة الجمعة فى المسجد الجامـع بتلك الضاحية صحبة والد الاول وعم الثاني ، وعندما جمعتنا الوليمة المذكورة مع من جمعتنا بهم نطق الثلاثة بلسان واحد متسائلين : هل صحيح ان الرسول (ص) قال ما معناه : ان الفقراء سيدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام ؟ قلت : من قال لكـم ذلك ؟ قالوا : ان ان السيد خطيب الجمعة قـد روى ذلك عنـه (ص) مؤيدا هذه الرواية معضدا اياهـا . قلت : ان الـذي اعلمه من دراساتي الاسلامية وفهمي لروح الشريعـة المحمدية ان الله فضل — بنص القرآن — بعض الناس على بعض فى الرزق ، وان الغنى او الفقر ليسا المقياس الذي به توزن اعمال العبد التي ترشحه اما للجنة واما الى النار ، بل المقياس الصحيـح هو التقـوى : (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) مضافا اليها العمل الصالـح ورضى الله ورحمته ، بقـول الرسول عليـه السلام : « والله لن يدخل احد الجنة بعمله ، قالـوا : ولا انت يا رسول الله ، قال : نعم ، الا ان يتغمدني الله برحمته»

واذن فقد تساوى الغني والفقير فى هذا المضمار، وبقي ان نذكر ان جميع الديانات السماوية — وخصوصا الدين الاسلامي — اعتبرت « المـال » من المصالـح الضرورية التي بعث الرسول من اجل المحافظة عليها وتحصينها لكون الحياة تتوقف عليها ، ولا تستقيم الا بها ، وهذه المصالح خمس كما نصت عليه كتب اصول التشريع الاسلامي ، وهي المحافظـة على كـل مـن : النفس ، والنسل ، والدين ، والعقل ، والمال ، ولاجل المحافظة على المال مثلا شرعت التجارة والصناعـة وغيرهما ، ومن اجل الدفاع عنه شرع حـد السارق وما اشبهه . ومن جهة اخرى فقد ثبت عـن الرسول (ص) قوله : « اليد العليا خير من اليد السفلى الـى يوم القيامة » وقد فسرت اليد العليا بانها « المعطية »، وفسرت اليد السفلى بانها « الاخـذة » .

وبناء على كل هذا يكون الغني — اذا كد وتعب حتى اغتنى بالحلال ، وهو مع ذلك لا يترك سانحـة لفعل الخير والبر تمـر الا واقتنصها ارضـاء للـه ، واهتداء بهديه — احب الى الله واقرب اليه من كثيـر غيـــره .

* * *

وعلى اية حال فان الذي يجب ان يفهمه السادة خطباء المناسبات الدينية عندنا ان ظروف المغرب التي يجتازها الآن ، وما يعانيه حكومة وشعبا مـن اجـل القضاء على البطالة والتخلف الاقتصادي وما شابههما ، يستلزم من هؤلاء السادة — مربي الجمهور وموجهيه — كثيرا من الذكاء واللباقـة فى اختيـار الموضوعـات ومعالجتها ، وان يتجنبوا كل ما من شأنه بعث الخور فى النفوس او الارواح او العقول ، وان يقدموا الاسلام ومبادئه الى الناس — وما اكثر البسطاء السذج فيهم ، فى اطاره النقي « محجة بيضاء ، ليلها كنهارها ، مازاغ عنها احد الا هلك » .

وليس لهؤلاء السادة ان ارادوا تحقيق ذلك الا سبيل واحدة : هي الرجوع أولا وقبل كل شيء الـى القرآن المجيد ، ومحاولة فهمه فى نصه وروحه ، ثـم الى السنة النبوية الطاهرة ، يستأنسون منهـا بمـا لا يتعارض مع القرآن شكلا وموضوعا .

وانا زعيم لهم انهم اذا فعلوا فسوف يخرجـون من عملهم هذا بمفهوم جديد للاسلام ، وسيجـدون فى هذا المفهوم النبر الشعلة الوهاجة التـي تنيـر لهـم ولغيرهم الطريق ، وتشحذ منهم الهمم وتدفعهم الـى القمـــــم .

وان لم يفعلوا فما احـرى « المهتميـن بشؤون الاسلام والمسلمين فى وطننا العزيز هذا » ان يتدخلوا ، حتى لايبقى الاسلام فى ذهن السواد الاعظم من جمهورنا المجنى عليه — كما هو فى ذهن البعض من خطبائنا — مادة مخدرة ، يصدق عليها ما ينعت به الماركسيون الاديان عموما — باطلا وزورا — من انها « افيون الشعوب » .

طنجـة : محمد عبد الواحد بناني

يكون النهي متوجها للبحث عن العورات لنفسه او غيره ، ولكن هذا لا يكون على اطلاقه ، بل يجوز التجسس والتحسس اذا تعين طريقا لمصلحة ، كاثبات حد او تعرف مواطن الضعف من الاعداء فى الحروب فقد كان الرسول يستعمل الجواسيس على أعدائه فى الحروب .

ثم نهى بعد ذلك عن خلة اخرى تعد من الطبائع البشرية وهي « الحسد » فقال : ـ (ولا تحاسدوا) اي لا يحسد بعضكم بعضا ، فيتمنى زوال النعمة عن غيره ، لانه لم يرزق منها ، سواء كان ذلك مع تمني ان تحول اليه أم لا ، وهذا داء وبيل يغرس البغضاء ، ويذهب بالوحدة فى الجماعات ، وهو من الادواء التي لا يمكن دفعها الا بمجاهدة النفس وعدم الاستمرار فى خطورها ، فاذا لم يستطع كان عليه الا يعمل ما يؤدي الى زوال النعمة عن المحسود . وهذا اقل ما يلزم فقد قال عليه السلام : « ثلاثة لا يسلم منهن احد . . . » الحديث . وروي عن البصري انه قال : « ما من ءادمي الا وفيه الحسد فمن لم يجاوز ذلك الى البغي والظلم لم يتبعه منه شيء » ولكن اقول فيه اسلام لنفسه ، وعدم رضاء بالمقدور ودفع لهمته الى تدبير المكروه للمحسود . فقاوموه ما استطعتم .

ثم بعد ذلك نهى عن التدابر وهو التقاطع فقال : « ولا تدابروا » وهو مأخوذ من الدبر . ودبر كل شيء مؤخره . ومنه جئتك دبر الشهر أي آخره ، وتدبرت الامر اذا نظرت عواقبه . والمراد هنا النهي عن التقاطع ، لان الرجل اذا قاطع صاحبه ولاه دبره وقفاه واعرض عنه ، ثم نهى بعد ذلك عما يزيد الوحده انفكاكا فقال : « ولا تباغضوا » أى لا يبغض بعضكم بعضا ولما كان البغض من الامور النفسية التي ليس لانسان قدره على دفعها ابتداء يكون النهي عن الاسباب المؤدية اليه ، فلا يفعل الانسان شيئا يزرع البغض فى نفس اخيه ، ولا يظن باخيه ما قد يؤدى الى بغضه هو لاخيه ، ولا يتبع الاهواء والنزوات الشيطانية التى تؤدى الى ضلاله فيزرع بذلك التباغض والعداء ، واصل تباغضوا تتباغضوا كما أن الاصل فى الافعال السابقة كلها « تتفاعلوا » . واصل الماده تدل على التعمل والتكلف والمعالجة اى لا تتكلفوا كل ذلك بعمل ما يكون سببا فى وجودها فابتعدوا عنه ، واذا لم تستطيعوا فلا تعملوا بما قد يترتب عليه من اضرار ، وليس كل البغض مذموما ، فان بغضك لصاحبك لحق الله وحق الناس مما يثاب عليه فقد كان الرسول لا يبغض الا لله ولا يحب الا لله ، كما ورد فى الآثار . . .

وبعد ذلك قال : « وكونوا عباد الله اخوانا » اي كونوا كالاخوان فى النسب من حيث الشفقة والرحمة والمواساة وحسن المعاملة وكف الاذى وحب الخير وعلى الجملة كونوا متصفين بجميع ما يحقق الاخوة ويؤدي الى ان تكونوا كتلة واحدة مرهوبة الجانب ، فان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

ومما تقدم يتضح لنا ان الكلام جاء على التشبيه، كما قيل : « اخوان الوداد أقرب من اخوان الولادة » كان لنا أن نفهم ان الاسلام ورد مورد الحقيقة ، وعطف هده الجملة على ما قبلها من عطف العام على الخاص ، فان الاخوة تتضمن الاتصاف بضد ما نهى عنه وبغيره من كل ما يحقق الاخوة . ورأى ابن حجر : « ان هذه الجمله كالتعليل لما سبقها ، ولكن العطف بالواو ووجود الامر « كونوا » يبعد ذلك ، وقد زاد مسلم فى رواية له لهذا الحديث قوله : « كما امركم الله » أي كونوا اخوانا كما أمركم الله . وذلك لان أمر الرسول أمر من الله لقوله تعالى : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» او للاشارة الى قوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » وهذه الجمله وان كانت اخبارا عن الحالة التي شرعت للمؤمنين فهي بمعنى الامر . اي فهى انشائية .

وبعد ذلك : نذكر لك ان بعض العلماء زعم ان صدر هذا الحديث وهو قوله « واياكم والظن » ينهي عن العمل فى الاحكام الشرعية بالاجتهاد والقياس الذى يسمونه بالراي . ولا ادري كيف يتاتى هذا الفهم من الحديث ؟ !! مع ان الاجتهاد والقياس فى الاحكام الشرعيه انما يكون عن دليل ونص ورد فيه حكم المقيس عليه . مع ان الظنون كما تقدم لا تعتمد على ادلة ولا امارات . بل كيف يتاتى هذا مع قوله بعد: « فان الظن أكذب الحديث » ؟ !!! . فهل الاجتهاد عن دليل يقال فيه اكذب الحديث ؟ وعلى فرض صحة ذلك فكان الرسول يكون قد قال : « واياكم وظن الاحكام الشرعية التى يكون لكم منها النفع فى دينكم ودنياكم . ولا تحسسوا ولا تجسسوا . . . الحديث » فاى ذوق عربى يجيز هذا القول ؟ بل اي فكر سليم يستبيح ان يجعل الرسول كالقائل لمثل هذا ؟ واي رابطة بين النهي عن الاجتهاد والنهي عن التحسس . . . الخ ؟ اللهم الا الافكار التي اعماها التعصب وحب التغلب الجدلي ، ولا يصح ان يقال : ان مرادهم الظن

نهجم على الانسان ولا قبل له بدفعها باديء ذي بدء ولا تكليف بما لا يطاق ، ولذا روي ان رسول الله « ص » قال : ــ « تجاوز الله للامة عما حدثت بــه نفسهــا » وروي عنه « ثلاثة لا يسلم منها احد ، الطيرة والظــن والحسد » قيل فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « اذا تطيرت فلا ترجع ، واذا ظننت فلا تحقق ، واذا حسدت فلا نبغ » بل الفرض النهي عن الاسترسال فى الظنون الشريرة والنهي عن العمــل بموجبهــا ، فان الاسترسال فيها قد يدفع الانسان بمن ظن به السوء مع انه قد يكون بريئا .

ولذا امر الله باجتناب كثير من الظنون فقــال : « يا ايها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم » وقال : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » فقد علل الامر باجتناب الظن فى الآبة الاولى بأن بعض الظن اثم فيخشى بان يقع الانسان ــ اذا لم يتثبت ــ فى هذا الظن الآثم الذى فد ينجم عنه من الاضــرار ما يزرع العداوه ونفرق الوحدة التــي كنــرا ما حــث الاسلام على التمسك بها . وعلل أمره بالتبين فى الآبة الثانية بخشية ان نصيب غير المتثبت قومــا ابريــاء بسبب جهله بالحقائق التي تخالف هذا الظن الكاذب ، نتيجة للسماع من هذا النمام الفاسق . وحينئذ تبين لنا أن الظن المنهى عنه هو الظن الناشيء عن هـــوى وشهوه او عن دسيسه دساس ، وأن النهي عنه يقصد به النهى عن الاسترسال فيه استرسالا يدفع بصاحبه الى ايذاء المظنون به فى نفسه او رزقــه او عرضــه ، وبالتالي نكون نهيا عن الاضرار بهذا الظنين اخذا بهذا الظن الذى لا دليل عليه ، واما العمل بمثل هذا الظــن فى خاصة نفس الظان كالاحتياط من الخصم والحــذر منه فلا يراد النهى عنه ولذا قيل : « احزم الحزم سوء الظن بالناس » وقيل « سوء الظن عصمة » كما انــه لا يتجه النهي عن الظن الذي لا ضرر فيه لأحد كأن تظن ان فلانا لم يسافر او انه فعل ما قد كلفته به او انــه ليس يعرف ما تريد سؤاله عنه او نحــو ذلك ، وقــد روى البخارى عن عائشة انها قالت : قال النبي «ص» « ما اظن ان فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا » قال الليث : ــ وهو من رواة الحديث ــ : كانا رجليــن من المنافقين .

وبعد ان حذر من الظن تحذيرا دل على النهــي عنه بقوله « اياكم والظن » قضى على ذلك ببيان العلة التي اقتضت هذا النهي فقال : « فان الظــن اكــذب الحديث » والكذب كما نعرف نقيض الصــدق . فاذا كان الصدق مطابقة الخبر للواقع كان الكذب عــدم مطابقته للواقع ، ومنه قولهم : « **كذبتك عينــك** » اي أرتك ما لا حقيقة لــه .

والحديــث : حديثان : حديث اللسان ، وحديث الجنان ، والكــذب فى الحديث يطلــق فى الاصــل على الكذب فى حديث اللسان ولكن الرسول (ص) اطلقــه على حديث الجنان ايضا على سبيل التجوز ، لان كلا من الحديثين لا يعتمد على شيء يصح الاعتماد عليــه عند التحدث ، وهو الامر الواقع بالنسبــة لحديــث اللســان ، والدليل او الامارة الصادقة بالنسبة لحديث الجنان . وانما كان حديث الجنان المنهي عنه وهو الظن السيء بالناس أكذب الحديث لان الكذب اللســانــي لا يجزم صاحبه بانه حقيقة ، فيجزم بــه ويبنــي عليــه تدبيراته الضارة بالمظنون به . فضلا عن ان اثره اشد لخائفه عن الناس ، فلا يمكن الاتقاء منه . أما الكــذب فانه لابد ان يظهر فيتقي ؛ ولذلك كان أجدر بالــذم والتنفير منه بوصفه بانه اشد الاحاديث كذبا ، وبعــد ان نهى عن الظن السيء والعمل بما يقتضيه من اضرار بالمظنون به وبين علة ذلك ، مع العلم بأن الظن من غرائز النفوس البشرية ومشتهياتها فى كثير من الاحيــان . عطف عليه نظيره ما تصبو اليه بعض النفوس لانه من طبائعها الشريرة ، فنهى عنه كما نهى عن صاحبه فقال: « ولا تحسسـوا » وهذه الكلمة ترجع فى مادتهــا الى الحس . يقال : تحسس من كذا ، أى عالج علمه بحاسه من حواسك وتكلفه باستخدام هذه الحواس كالعيــن والاذن . ثم توسع فى هذا التعبير فصــار يطلــق على العناية بالكشف عن الاشياء ، والمراد هنا : ــ انما هو النهى عن تتبع عورات الناس من اى طريق بغيــة ان ينشرها او تكون لهم وسيلة الى التشهير بأصحابهــا سى شاءوا ، ومما يؤيد ذم هذا قولــه تعالــى : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين ءامنوا الآية» وبعد هذا عطف عليه النهي عن التجسس فقال : « ولا تجسسوا » والتجسس مأخوذ من الجس باليد وهــو اللمس بها لاختبار الشيء ، ثــم استعمــل فى تعــرف السيء بالنظر الحاد . قالوا : جسه بعينه اذا حــدد النظر اليه ، ثم سار يستعمل فى العناية بتعــرف اي شيء . والذي يظهر ان المراد من التجسس هنــا هــو المراد من التحسس ، وهو تتبع عورات الناس ويكــون التكرار للمبالغة فى الزجر ، وبعضهم جعل التحســس بالبحث عن هذه العورات لنفســه ، والتجسس البحث عنها لغيره ، وهو متمش ايضا مع سياق الحديــث ،

أبحاث ومقالات

عوامل الوحدة في المغرب العربي

للاستاذ : محمد زنيبر

من بين الافكار التي سيكون لها شان هام بالنسبة لمستقبلنا فكرة توحيد المغرب العربي . وهي فكرة قديمة لها جذور عريقة في التاريخ ويشهد عليها ما من اثر خلفه اجدادنا منذ اجيال واجيال ، وانما عاق عن الشروع في تحقيقها بصورة جدية وملموسة الوضع الاستعماري الذي كانت تعيش فيه شمال افريقيا الى عهد قريب ، وبتحرير آخر جزء من الشمال الافريقي الذي هو الجزائر ، سيتسنى لرجال السياسة والاقتصاد ان يدرسوا بكيفية علمية وعملية مسالة توحيد المغرب العربي وان يخرجوا بها من طور الفكرة المجرده الى طور الواقع المجسم .

وفكره توحيد المغرب العربي ليست من تلك الافكار الساطعة البراقة التي تخلب الانسان لاول وهلة، بل انها على العكس من ذلك ، فكرة عملية ضرورية تفرض نفسها شيئا فشيئا مع تقدم الزمان واتساع مسؤوليات دول المغرب العربي كدول حرة مستقلة لها مركزها في المجتمع الاممي ، فقد كانت هذه الدول في الواقع ، وهي تكافح ضد الاستعمار غير متفرغة للتفكير في بناء مستقبلها وفي تخطيط البرامج الواسعة العملية للنهوض بمستواها المادي والفكري . اما وقد احرزت استقلالها وتسلمت القيادة بيدها ، فقد اصبحت تسيطر على مصيرها بنفسها ولوحدها ، بمعنى هذا اصبحت تتحمل مسؤوليات جسيمه وتواجه مشاكل عديدة متشعبة ، وهذا كاف وحده لان يدفعها الى التضامن فيما بينها ، والتعاون على تذليل الصعوبات الناجمة وتسوية القضايا المستعصية .

واهم هذه القضايا هي قضية التخلف العام في سائر الميادين ، حقا ان معالجة التخلف لا يقع طفرة ، بل يتطلب زمانا ووسائل قد تتوفر وقد لا تتوفر ، ولكن مهما كان الزمان وكانت الوسائل ، فان العلاج يكون ايسر واقرب ، اذا تضافرت الجهود ، وعبئت الموارد والوسائل ، فان العلاج يكون ايسر واقرب ، اذا تضافرت الجهود ، وعبئت الموارد والوسائل في نطاق مشترك بين دول تجمع بينها روابط وثيقة دائمة، وذلك شان دول المغرب العربي .

على ان مسالة وحدة المغرب العربي لا تنحصر في نطاق محدود ، بل انها تعرض لنا في كل ميدان من ميادين الحياة العامة وتواجهنا في سائر المستويات الفكرية .

فاذا وضعناها في المستوى العاطفي الذي هو مستوى الجميع بغض النظر عن التكوين الثقافي ، فانها تلاقي ترحيبا شعبيا حارا وتأييدا اجماعيا ، ولربما لا يوجد من يعترض عليها او ينتقدها ، والحقيقة ان وحدة شمال افريقيا تثير في النفوس نشوة حماسية ، لانها تعود بالذاكرة الى عهود تاريخية مجيدة ، ولانها تشعرنا بالقوة والعظمة ، وامة تضم عشرات الملايين من السكان ، وتمتد بقعتها على آلاف الكيلومترات لا شك وانها تبعث في نفوس ابنائها روح الفخار وترفع معنويتهم ، ولا شك ان فكرة العظمة هذه والامجاد التاريخية هي التي اجتذبت اول مرة شباب افريقيا الشمالية الى التغني بالوحدة والهتاف لها .

وقد اخذ هذا المظهر العاطفي في بعض الاحيان شكلا قويا مروعا يذكر بالملاحم التاريخية الكبرى المليئة بمواقف البطولة والاستماتة ، ولنقتصر في هذا الباب على ذكر يومين لهما شان في تاريخ المغرب العربي وهما 20 غشت 1955 بالجزائر و22 اكتوبر 1956

الذي لم يعتمد على دليل من كتاب او سنة او اجماع ، لانا نقول : ان الظن المنهي عنه هو الظن السيء او الذي يؤدي الى ضرر بالفرد او المجتمع ، والاجتهاد المظنون حتى وان لم يعتمد على هذه الادلة انما يراد به النفع .

وخلاصة القول : ان الحديث حوى من الاسس الاجتماعية ما يدعم بناء الامة ، ويجعلها مهيبة الجانب بين الامم ويتفق فى كل ما جاء به مع روح الاسلام ، فان الاسلام دعا الى كل الاخلاق التي تقوي الامة ، حتى تسير قدما فى نشر الدين ، ونهى عن كل خلق يؤدي الى الذلة والخنوع ، وبذا يقول الله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » فانظروا اين نحن من مصداق هذه الآية ؟ وكلما ابتعدنا عن تعاليم الاسلام ابتعدنا عن حقيقة الايمان ، فان الرسول الكريم يقول : « لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » ويقول : « ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ... الحديث » ويقول : « لاايمان لمن لا امانة له » وعدد شعب الايمان فى احاديث متعددة ، ولو نظرنا الى هذه الشعب لوجدنا انفسنا قد خرجنا منها ، فهل يصح لنا ان نقول : كيف لم يتحقق فينا وعد الله « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » ؟ حاشا ان يخلف الله وعده ، ولكننا الذين أخلفنا .

فما أحرانا ان نكون على الجادة التي أمرنا الصادق المصدوق بها ، حيث يقول : « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقده ، بحسب امرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه ، التقوى ههنا ــ واشار الى صدره » وحيث يقول : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه » وحيث يقول : «المسلم من سلم المسلمون .. الحديث وحيث يقول : « والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، الا ادلكم على شيء ان فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم » وليس المراد هنا ان يقال : السلام عليكم ، بل يراد نشر السلام والامان بين المؤمنين حتى يثمر التحاب ولا تقولوا كما يقولوا المتأولون يكفي فى الايمان الذي يدخل الجنة مجرد الشهادتين .

أما الاوصاف الذي ذكرت فى هذا الحديث وأمثالها فانها خاصة بمن كمل ايمانهم ، فان ذلك يكاد لا يتفق مع قوله : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ثم بين المراد من الايمان ، ولقد احس ابن سيرين لما قيل له : « أليس لا اله الا الله مفتاح الجنة » ؟ حيث قال : « أرايت لو جئت بمفتاح ليس له أسنان أكان يفتح لك؟ وما ذا تقولون فى رجل آمن بلسانه ثم اتخذ الاعداء لاذلال المسلمين نظير دراهم معدودة او سلطان زائل فاذا امتصوا منه ما يبلغهم ما يريدون لفظوه لفظ القاذورات ، أتقولون : انه ما دام قد قال : لا اله الا الله محمد رسول الله مع انه لم يعمل بموجبها يكون ممن يشمون نسيم الجنة » ؟ اللهم ان هذا طمع قد فاق طمع اشعب ، وباعثه أمران : عدم المبالاة بوعيد الله ، وسوء الذوق معه .

اللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم ، بالفقه فى الدين والوقوف على حدود اليقين ..

طنجة : محمد كمال شبانة

عضو البعثة الثقافية العربية بطنجة



في الحقيقة راسمال المغرب العربي ، وهنالك شبكة صالحة للطرقات والسكك الحديدية والموانىء تسهل بكسر التبادل بين اقطار المغرب العربي ، كما تسهل عليها التبادل مع الخارج ، وهنالك انواع من الطاقة التي لا يمكن بدونها تأسيس صناعات عصرية كبرى ، ولنذكر منها الكهرباء، والفحم والبترول والغاز، على ان احصاء الموارد لا زال لم تتم في افريقيا الشمالية ولا زالت الابحاث جارية عن الامكانيات الموجودة في كل القطاعات ، بحيث انه لا يمكن الخروج من الآن بقول نهائي في الموضوع .

ومع ذلك ، فان المعلومات المتوفرة من الآن تخول للاقتصاديين ان يقدموا نظريات مبنيه على اسس حقيقية ومعقولة ، واول ملاحظة يمكن ان نبديها في هذا الصدد هي ، كما ذكرنا في الاول ، ان دول المغرب العربي متخلفة من الوجهة الاقتصادية ، والدولة المتخلفة يصعب عليها اليوم ان تتمتع باستقلال اقتصادي حقيقي ، ان هي بقيت منعزلة ، فكلما حاولت الخروج من وضعيتها ، تجد نفسها مضطرة للمساعدة الخارجية باجتلاب رؤوس الاموال الاجنبية ، وهذه المساعدات يستحيل عليها ان تحرزها بدون مقابل ، بحيث ان تلك الدولة تجد نفسها في النهاية ملزمة برهن جزء من سيادتها ان ارادت المحافظة على شيء من التوازن في اقتصادها .

فاذا امكن لدولة متخلفة كهذه ان تدخل في وحدة اقتصادية مع دول متخلفة مثلها ، فانها ستصبح اقوى بكثير على مواجهة مشاكل التخلف ، وهذه ملاحظة يمكن تطبيقها على المغرب العربي .

فالمغرب العربي اذا تكون كوحدة اقتصادية متماسكة ، سيستفيد من جهتين : من جهة علاقاته مع الدول الراسمالية الكبرى ، ومن جهة انمائه الاقتصادي والزيادة في دخله القومي .

فاذا نظرنا الى علاقاته مع الدول الراسمالية الكبرى ، نجد انه باتحاده ستصبح له مكانة اكبر لدى هذه الدول ، وبالتالي ، سيحصل على مساعدات هامة مع شروط خفيفة ، ذلك ان تلك الدول ستحرص على صداقة المغرب العربي ، نظرا لموقعه الجغرافي ولمركزه في القارة الافريقية وتاثيره عليها .

ثم ان الدول الراسمالية المعروفة بسياستها المتقلبة ستفقد ، امام اتحاد المغرب العربي كل امكانيات المراوغة والتلاعب واستغلال الخلافات الطارئة ، لانها ستجد نفسها امام وحدة متلاحمة قوية ، فلابد لها اذن، من ان تتفاهم معها على اسس جديدة

يضاف الى كل هذا ان المغرب العربي سيكون سوقا تجارية يقطن بها زهاء الثلاثين مليون نسمة ، ولربما تضاعف هذا العدد بعد مرور جيل واحد ، وهو ، بهذه الصورة ، سيغري كثيرا من الدول بالتبادل معه والتعاون على اسس حرة سليمة .

ومن جهة اخرى ، فهنالك حادثة اقتصادية هامة ستضطر دول المغرب العربي لا محالة الى السعي من اجل توحيدها الاقتصادي ، ذلك هو تأسيس السوق الاوروبية المشتركة ، الذي سيخلق تعاونا وتضامنا بين دول اوروبا في الميدان الاقتصادي ، وستصبح هذه الدول بالطبع يتمم بعضها البعض ولربما استغنت في كثير من حاجاتها عن الخارج ، وبما ان معظم التجارة الخارجية للمغرب العربي تقع مع اوروبا ، فغير خاف ما ينطوي وراء انشاء السوق الاوروبية المشتركة من مساس بالمصالح التجارية لدول المغرب العربي ، ولهذا ، فان الاتحاد فيما بينها هو الذي سيجعلها اقدر على مواجهة المشاكل من هذا القبيل التي يمكنها ان تنجم في المستقبل .

واذا نظرنا الآن الى المسألة من جهة الوضع الاقتصادي الداخلي للمغرب العربي الموحد ، نجد ان امكانياته ستتسع من كل الوجوه ، فالتبادل داخل مجموعة المغرب العربي سيتضاعف ، وسينفتح الباب لرواج المنتجات الوطنية ويتسع السوق الوطني الداخلي ، كما انه سيوضع حد للفوضى في التبادل مع الخارج وذلك بتنسيق الانتاج والاصدار وتحديد الاثمان وغير ذلك من التنظيمات التي هي وحدها الكفيلة بصيانة مصالح المجموع .

فهنالك منتجات متشابهة في البلدان الثلاثة مثل الفوسفاط والحلفاء والزيتون والحوامض والعنب وغيرها ، وسيسهل الدفاع عن هذه المنتجات في الاسواق العالمية في دائرة الوحدة اكثر مما لو بقيت كل دولة تعمل لحسابها الخاص ، وهنالك موارد اخرى ينفرد بها كل قطر على حدة ، ولنأخذ مثال منجم الغاز بحاسي الرمل في الجزائر ، فالخبراء يقدرون ان هذا المنجم ينطوي على مدخر عظيم من الطاقة يكفي

بمكناس ، ففي 20 غشت 1955 قام الجزائريون بمظاهرات عظيمة في القطر الشقيق تضامنا مع المغاربة في يوم ذكرى اختطاف ملكهم ، وقتل ذلك اليوم آلاف من الجزائريين تحت وابل الرصاص الاستعماري ، وفي تاريخ 22 اكتوبر 1956 ، كانت حوادث مكناس المشهورة التي جاءت كرد فعل من المغاربة على اثر اختطاف الزعماء الجزائريين الخمسة وهم ذاهبون الى تونس في طائرة مغربية .

ومثل هذه الاحداث الجسيمة كافية للدلالة على ان ابناء المغرب العربي يشعرون شعورا عميقا بوحدتهم وتضامنهم ، لكن العواطف ان كانت ضرورية لتدعيم كل بناء سياسي ذي شأن ، فانها لا تكفي وحدها لضمان تماسك البناء واستمراره ، ولذلك ، فلابد من اعتبار عوامل اخرى لها ثقلها في الميزان .

*

وفي قضية كقضية توحيد المغرب العربي ، فالذي يجب اعتباره في الاول هو الوضع الدولي والعالمي ، وفي هذا المستوى نجد ان تحقيق الفكرة لربما كان ضرورة ملحة لا يمكن الاستغناء عنها ، فنحن نرى بالقرب منا دول اوربا الغنية بثرواتها المكدسة ، القوية بصناعاتها ومخترعاتها وانظمتها وثقافتها لا تأمن على نفسها من ان تبقى منعزلة عن بعضها ، مشتتة الشمل وتسعى بكل الوسائل والمحاولات لضم صفوفها ونحقيق وحدتها ، وها هي اليوم تسير بخطوات ايجابية نحو ادراك هذه الاهداف ، ونرى كذلك في القارات الاخرى امما كثيرة نسعى للتكتل فيما بينها لتصبح اقوى على مواجهة المشاكل التي تعترضها ، فعصرنا عصر تكتل بين الدول وخلق مجموعات كبرى من الشعوب التي كانت بالامس منفصلة عن بعضها .

واذا كانت دول قوية ، متقدمة تشعر بضرورة التوحيد فيما بينها ، فكيف بدول ناشئة ، متخلفة مثل اقطار المغرب العربي ؟

ان التوحيد فيما بينها هو الذي سيحفظ كيانها واستقلالها ازاء الخارج ، وهو الذي سيضاعف وسائلها وامكانياتها للدفاع عن نفسها وعن مركزها في عالم اليوم ، سيما وقد اصبحت الدول العظمى اليوم لاتحترم الا الدول التي لها مناعة وقوة والتي لها تفل في النطاق الدولي ، والمتتبعون للاحداث العالمية يرون امثلة كثيرة عن ذلك ، فالمغرب العربي ككتلة واحدة يستطيع ان يفرض وجوده في العالم بصورة اقوى مما لو بقي كل بلد من بلدانه يعمل لحسابه الخاص ، ويمكننا ان نقول دون ان نخشى أي مغالاة انه لو كان المغرب العربي اليوم موحدا ، لكانت له الزعامة في افريقيا وفي العالم العربي ، دون منازع ، وحصوله على مركز ممتاز في هاتين الناحيتين المهمتين من الدنيا سيجعل له هيبة وحرمة لدى سائر دول العالم وسيمكنه من ان يلعب دورا فعالا في النطاق الاممي .

*

فاذا نظرنا الآن الى الموضوع في مستوى الوضع الداخلي لدى المغرب العربي ، فاننا لا نلاقي اية صعوبة ولا نصطدم باي عقبة ، بل اننا لا نجد في طريقنا الا المشجعات ، فنحن لسنا بازاء شعوب مختلفة في ارومتها وعقليتها وثقافتها ولغتها ، بل انه في الحقيقة شعب واحد من الغرب الى الشرق يتكلم لغة واحدة ، وله عادات وتقاليد متشابهة ، وهو شعب يتكون من سلالتين اساسيتين عربية وبربرية ، وذلك وضع له اهميته ، فدول اوربا التي تنشد الاتحاد تختلف في كل شيء : فهنالك اللاتيني وهنالك الجرماني ، وهنالك السكندنافي ، وهناك السلافي ، وكل دولة تعتز بقوميتها وحضارتها وثقافتها ، بحيث سيصعب على تلك الدول ، ان لم نقل يستحيل ان تندمج بعضها في بعض .

اما في المغرب العربى ، فمشاكل الاختلاف لاتوجد بحيث ان التونسي ينتقل الى المغرب فلا يشعر بانه غير وطنه ، كما ان المغربى لا يجد نفسه غريبا في تونس ، وتلك وضعية لها فوائد جمة ، انها اولا ستسهل الاتصال بين ابناء المغرب العربى ، وغير خاف ان اختلاف اللغات والعقليات يقف حاجزا دون تفاهم الشعوب وتقاربها ، كما ان تلك الوضعية ، من جهة ثانية ، ستساعد على حل سائر المشاكل الادارية وتكون عامل توحيد للانظمة والقوانين المعمول بها في كل من اقطار المغرب العربي .

*

لكن بناء عظيما مثل توحيد المغرب العربي لا يمكن ان يثبت ويرسخ الا اذا كانت له اسس اقتصادية .

ونحن اذا نظرنا الى توحيد المغرب العربي في المستوى الاقتصادي ، نجد هنالك مشجعات كثيرة منذ البداية ، فهنالك موارد فلاحية ومعدنية تكون ثروة ضخمة قابلة للاستغلال والتحويل والتنمية ، وهي ،

ازمة الفكرة التوحيدية العربية

بقلم الاستاذ المهدي البرجالي

هل هناك بالفعل ازمة حقيقية تعاني منها حركة التوحيد العربي فى اطوارها الراهنة ؟ وما مدى هــذه الازمه وامتداد ابعادها الفلسفية والواقعية ؟ .

ان استعراض الصور التي يتراى فيها واقــع هذه الحركــة فى الوقت الراهن . واتجاهاتها العامة المختلفة كل ذلك من شانه ان يوحي للمراقب ــ اجنبيا كان ام عربيا ــ ببعض الانطباعات التي لا تبعد كثيــرا عن مفهوم الازمة . بل يساهم ــ الى حد ما ــ فى تكوين هذا المفهوم . وتعميق دلالته . وابرازه كحقيقة ماثلــة ومؤثره . فالواقع ان الاتجاهات التوحيدية فى دنيانــا العربيه لا تزال تتشابك فيما بينها تشابكا معقدا ملتويا لا تعكس فى حقيقته مظهر نزوع الى التمازج والالتحام. بل صورة تصارع وتزاحم قد تكون لهما مبرر احيانا . وقد تنعدم فيهما كل المبررات احيانا اخرى . ولا ريب فى ان من نتائج هذا التشابك بمعناه المتقدم وجود كل هذا القدر من الغموض السطحي غير الطبيعي الــذى يسود القضية التوحيديــة العربيــة كثيرا فى الوقــت الراهن . وهذه الملابسات الطارئة غير اللازمــه التــي تكتنف القضية اكتنافا تحيلها احيانــا الى ركــام من المتناقضات الفكرية والاتجاهية .الامر الذى تغمض معه سبيل استبانة عدد من المفاهيم والمثل والقيم ، وتنعقد نسجة لاستمراره حقائق الواقع الملموس . وليس لنا ان نقتحم سبيل التحليل والتقصي للعوامل المباشرة التي توجد كاساس لوقوع سلسلة التطورات الاخيرة فى العالم العربي مما له صلة بمستقبل الفكرة التوحيدية العربية . الا ان ذلك لايجوز ان يصدنا عــن مراجعــة النظر فى مجموع الظواهر البعيدة التي تشكل صــورة محتوى هذه الفكرة كما هي اليــوم ، واستخــلاص بعض الاستنتاجات المتأصلة عن طبيعة هذه الظواهــر واتجاهاتها . ان الفكرة التوحيــة العربيــة تجتــاز ــ كما اسلفنا ــ ازمة ذات خطورة نسبية ، وهــذه الازمة ــ وان لم تكن ــ فى الواقع ــ ازمة مصير ومآل لانها لا يمكن ــ كما لا يجوز لغيرها من الازمات العابرة ــ ان يؤثر فى توجيه مصير التيــار الوحــدوي العربــي الاسلامي او يحدد له سبيلا آخر غير السبيــل التــي تتلاءم مع حتميته التاريخية ــ ان الازمة بهذا الاعتبار ليست ازمة مصير . وانما هي فى الواقع ازمة اتجــاه وازمة استهداف : ازمة اتجاه الى المقصد والغايــة ، وازمة استهداف لنوعية المفاهيم والقيم والمثل التــي تتمثل فى هذا المقصد والغاية ، ومن الطبيعي ان تقصر الوسائل احيانــا عن الوصــول الى الاهــداف ، ومن الطبيعي ايضا ان يكون هذا القصور احيانا سببــا فى كثير من التخبطات العشوائية قبل ان يتم الاستقرار فى النهاية على اساس صحيح ومتين . وقد تقود هذه التخبطات الى كثير من العثرات والزلات . وذلك قبل ان تستنفد الحتميــات التاريخيــة كل مضامينهــا وتاثيراتها . وتقضى بما لها من قوة التسلسل والتدافع الى المرحلة التي تتخذ فيها الفكرة شكلا نهائيا تصبح معه وهى متكاملة الجوانب ، واضحة الملامح ، ثابتــة الوسائل والنتائج .

ان حدوث مثل هذه السقطات والنعثرات يبدو اذن كضرورة محتومة لا مرد لها باعتبار انهــا ظاهــرة طبيعية تلازم كثيرا من مجالات التطور التاريخــي ذي الصبغة التحولية الراديكالية الصميمة مثل ما هو عليه الامر بالنسبة لقضية الوحدة او الاتحاد بين البــلاد العربية الاسلاميــة . والمستشــرف لافــاق التاريخ الانساني يرى ان النظريات الايديولوجية من هذا النوع

لحاجيات امم عديدة فى مـدة طويلة ، ومعنى هذا ان دول المغرب العربـي ستستطيع ان تنشيء صناعاتها الكبرى لانها تتوفرعلىالطاقة الضرورية ، وكلهذا لايتم بالطبع الا فى دائرة الوحدة المغربية .

وهكذا ، فان تنظيم الاقتصاد داخل مغرب عربي موحد سيكون هو العامل الاساسي للاسراع بالنمـاء الاقتصـادي والقضاء على التخلف فى تلك الناحية من العالـــم .

وما دمنا فى ميدان الاقتصاد ، فلا ننس ان نقف لحظة امام مسالة تكتسب اهمية خاصة فى الاعــوام الاخيرة ، الا وهي الصحراء الكبرى ، ولنترك الآن جانبا مسائل السيادة التي ستحل فى نطاق الوحدة المغربيـة لنحصر انتباهنا فى الناحية الاقتصاديـة .

لقد بينت الدراسات والاكتشافات التي وقعت فى الصحراء منذ الحرب ان تلك المناطق الناسعة التي كانت تعتبر فيما قبل قاعا صفصفا لا ينتظر منهـا اي خير ، هي بالعكـس اراض تكنـز فى جوفها ثـروات معدنية نفيسة ، فلم تعد سلسلة من الهضاب الصخرية والكثبان الرملية التي يتغنى بها الشعراء ويزورهـا السواح المغامرون للاطلاع على عجائب المخلوقات ، بل انها اصبحت منطقة تكتنفها البحوث العلمية من كل جانب وتستهوي كذلك اصحـاب رؤوس الامـوال الطامعين فى انماء ثروانهم ، ولا غرو ، فهنالك انفـس المعادن المطلوبة فى العالم من بترول وحديـد ونحـاس وغاز وغيرها ، ولا زال لحد الساعة لم يعرف الا القليل من موارد الصحـراء .

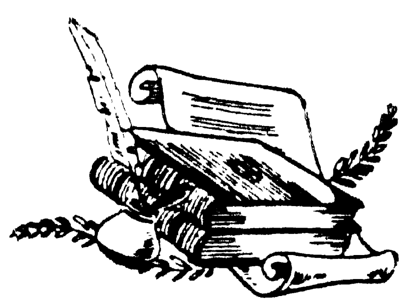
وهذه الموارد الصحراوية لا زالت كلها اما فى يد الاجانب يستغلونها واما مواد خام مكتنزة فى مناجمها ، بحيث انها لم تساهم لحد الساعة بشيء فى الدخـل القومي لاقطار المغرب العربي ، ومن المحقق ان المغرب العربي اذا بدأ يستثمر ثرواته الصحراوية على الوجـه الاكمل فسيحصل على مداخيـل تكفيه للخروج مـن التخلف والدخول فى عهد من الرخاء والازدهار .

الا ان استغلال الصحراء لا يمكن ان يتم بالصوره المنشودة الا فى دائرة المغرب العربي الموحد ، والا فـان المجهود عظيم وشاق نعجز عن القيام به كل دولة على حـدة .

*

يتبين من هذه النظرة العجلى ان دول المغـرب العربي ستستفيد كثيرا وفى سائر الميادين من اقامة نظام للاتحاد فيما بينها ، وفكرة الاتحاد ان لم تتحقق دفعـة واحـدة فـانهـا ستفـرض نفسهـا رويدا رويدا لانها ، بالنسبة لشعوب المغرب العربي ، هي السبيل الوحيد للخروج مـن التخلف وللحياة فى عالم شـاق لا يؤمـن الا بالقـوة .

سـلا : محمد زنيبـر



وهناك الرومانسيون المثاليون الذين يتبنون في الغالب عن مبدأ الوحدة افكارا جميلة متناسقة ، واحيانا رائعة الى حد بعيد ، غير ان هذه الافكار — بالرغم عن وجاهتها وقوتها وعمقها احيانا ، فانها قد لا تعدو في المحط الاخير نطاقا نظريا متجردا يصعب تحديد جوانبه ومقتضياته فبالاحرى اعتماده كشيء له سمته الحقيقية وفاعلياته المؤثرة في مجال التحقيق والتطبيق .

ان الفكرة الوحدوية على هذا الاساس فكرة مشتركة ومشاعة بين مجموع عناصر النخبة العربية مع الاغضاء بالطبع — عن المتأثرين بالنظريات الاقليمية والانطوائية الضيقة — وهذه الفكرة لها — بالفعل جذور عميقة في العقلية العربية الواعية بصورة عامة ، بل انه يوجد لها — فوق ذلك — قدر كبير من التأثير الجذري على وجدانات الجماهير والكتل الشعبية . وتغلغل قوي في اعمق مواطن احساسها وتعقلها مع اختلاف درجات هذا التأثير وسطحيته في الاعم الغالب . واذا كان المبدا الوحدوي على هذه الدرجة من الاهمية في مجال التفكير العربي الاسلامي الحديث . واذا كان التسليم بهذا المبدا يعتبر ظاهرة فكرية عربية اسلامية ليس لنكرانها من سبيل . فان الاساليب التي توصل الى تحقيقه . والروح التي يجب ان تسيطر على اتجاهاته ومراميه . والنتائج البعيدة التي تنبغي ان تفضي اليها كل ذلك لا يزال — على العكس —وبصورة مستمرة — العامل الاساسي فيما نلاحظ من مصاعب وتعقيدات عديدة تواجه الاتجاه العربي في هذا المضمار .

ومما لاشك فيه ان كثيرا من هذه المصاعب والتعقيدات . يعود في منشئه واستمراره الى اصول مصطنعة ومتعمدة . . بل ويؤول احيانا الى عوامل موجهة لمعاكسة حتمية التاريخ ومنطقية الوقائع والاشياء . لكن ايمكن ان تصل هذه العوامل المصطنعة الى مستوى التحدي للفكرة الوحدوية سواء من حيث المبدا او النتيجة لا ليس في التجارب والظواهر الملحوظة عبر الاحداث والوقائع ما يبرهن على ذلك او يؤكده بصورة او اخرى . لكن الذي يبدو ثابتا من جهة ثانية ان مظاهر التناقض احيانا في تصور المفهوم التوحيدي ومناهج تحققه وتركيزه وملابسات وجوده وتأكده هو ما يشكل — في بعض الحالات — وبصورة من الصور — مجموع هذه التحديات « الداخلية » التي لها في الواقع — كثير من قوة التأثير على اندفاعية التيار التوحيدي العربي ، وتحديد مدى انطلاقه وامتداده .

ان هذه التحديات ليست مناقضة — احيانا — لمبدا التفكير الوحدوي العربي ، والقيم والمثل الاساسية التي يستند اليها في الاساس ، لكنها — مع ذلك — تفتأ تواجه القضية التوحيدية العربية بكثير من المشاكل والمعضلات التي يتخذ بعضها شكلا كثير الحدة والتعقيد الى مدى بعيد ، ويمكن للمراقب البسيط ان يلاحظ صورة عن هذه المشاكل والمعضلات في واقع الفكر العربي الحالي حيال قضية الوحدة على العموم . وما يعكسه هذا الواقع من ظواهر خاصة تثير في الذهن عديدا من التساؤلات والاستفهامات المختلفة . ذلك ان الفكرة الوحدوية وان كانت في اساسها — كما قدمنا — تشكل صورة مشتركة في افق التصور العربي . الا ان وجهات النظر ، المنبثقة عنها يمكن ان تسم — نوعا ما — ببعض التباين المحدود — في بعض الحالات . وذلك بالنتيجة للاختلاف في درجة الادراك ومقاييس التقييم والاستنتاج ، ومن هنا كان ثمت مجال لتعدد الاراء حول درجات الوحدة ومراحل تطورها وطبيعة اهدافها ، وترابط حلقاتها ترابطا عملانيا سواء في الحال او في المصير ، وضمن هذا الاعتبار — وبغض الطرف عن الاتجاهات المصلحية التافهة — فاننا نلاحظ وجود كثير من ظواهر الاهتمام بالجوانب الاقتصادية والسياسية والثقافية لقضية الوحدة . وتعدد البراهين على اولوية هذا الجانب او ذاك ، واحمية هذا الاسلوب او الآخر في مضمار العمل والتصميم والتطبيق . ان موضوع الموازنة هذا بين عوامل الوحدة ومظاهرها الاقتصادية والسياسية لا يزال اساسا لكثير من المجاذبات الفكرية التي عرفتها بعض البلاد العربية خلال السنوات الاخيرة مع العلم بان طريقة النظر في هذا الموضوع تختلف شكلا وروحا ونتيجة بالنسبة لهذا البلد او الآخر . وتكتسي لذلك احيانا طابع الرصانة والموضوعية والجدية ، وتصطبغ طورا آخر بصفات ديماغوجية تهريجية ليس من الجائز ان تفضي الى نتائج صحيحة ذات محتوى ايجابي هادف . وعلى كل فقد كان من المعقول عموما ان يكون للتطورات العالمية الحديثة سواء على الصعيد الاقتصادي (السوق المشتركة في الغرب ، ومنظمة التنسيق الاقتصادي لدول الشرق الشيوعي) او في الميدان السياسي (البرلمان الاروبي مثلا) ، كان من المعقول ان يكون لهذه التطورات تأثير هام على واقع التفكير الوحدوي العربي بكل ما يعكس ذلك من ازدياد الحنين الى مبدا الوحدة ، والحرص على البحث فيها وتقليب اوجه الراي في مدلولاتها ونتائجها ، وتعدد الافكار والنظريات حول هذا الموضوع .

ينحتم ان تلقي في طريق نزوعها الى التحقق والوقوع الخارجي كثيرا من الارتجاجات المعنوية ، والارتباكات الاتجاهية التي قد تخمد فيها جذوة التطور والتقدم احيانا بصورة نهائية . وقد تكون على العكس من ذلك باعثا على هذا التطور ، ومؤثرا في الاسراع به ، وتنمية اسبابه ودواعيه — وان كان السبيل الى ذلك يقتضي التعرض لكثير من العثرات والانتكاسات ، وكل هذا متوقف في الدرجة الاولى على حقيقة الاصول الايديولوجية التي تستند اليها الدعوة ، ومدى استجابتها لمقتضيات الواقع الفكري والاقتصادي والاجتماعي الذي تتغيا تطويره او تعديله ، وطبيعة الظروف التي تحيط بها . والعوامل التي تؤثر في سيرها بوجه او بآخر .

وما ذا يعني كل ذلك بالنسبة للحركة التوحيدية العربية ، والارتجاجات التي واجهتها هذه الحركة خلال الفترة الاخيرة والتي اصبحت فعلا من صميم التاريخ ؟ ان الدعوة التوحيدية العربية تقوم — من حيث المبدا — على اساس ايديولوجية واسعة الجوانب متفتحة العناصر ، واقعية المقاصد والاهداف . وهذه الايديولوجية تعتمد في الدرجة الاولى على الجانب الترابطي — الطبيعي والتاريخي — الذي يصل بين الشعوب العربية الاسلامية . وتستهدف استغلال هذا الجانب وتسخيره لتحقيق هدف اكبر . وهو ذلك الذي يتمثل في تاكيد المفهوم التاريخي والحضاري والفكري للامة العربية الاسلامية سواء باعتبار وجودها الذاتي الخاص او بالنظر لوضعها العام في عالم اليوم . غير ان هذه الايديولوجية — وان كانت تصطبغ في مظهرها بصبغة سياسية بارزة . فانها لا تعبر في الواقع عن مجرد اتجاه سياسي محدود الجوانب ، مثل ما هو عليه الامر بالنسبة لبعض المذاهب والاتجاهات من هذا القبيل ، ولو كانت الحركة التوحيدية العربية بهذه المثابة لكانت اهدافها تنحصر في اطار من المثالية السياسية المجردة كالدعوة الى نوع من الوحدة في الحياة السياسية للبلاد العربية ، سواء على الصعيد الداخلي او في الميدان الخارجي ، وكالعمل على توحيد الاوضاع التمثيلية والتشريعية وغيرها ، وكالسعي ايضا الى تنسيق النظم العسكرية والستراتيجية وربط الاجهزة الديبلوماسية والدولية برباط مشترك يسوده التناسق والانسجام الى مدى بعيد ، ان معطيات من هذا النوع توجد بالفعل في اساس الفكرة التوحيدية العربية ، كما توجد كقاعدة اساسية لكثير من صور التعاون والاتحاد بين بعض الدول او المجموعات الدولية الاجنبية ، غير ان هذه المعطيات — مع ذلك — لا تساهم فعلا الا في تشكيل الاطار السياسي للفكرة التوحيدية العربية ، وهذا الاطار ليس من شأنه ان يستوعب جميع الحقائق والقضايا التي تشكل المحتوى الكلي الشامل لمبدا الرابطة العربية ، وليس من شانه كذلك ان يمتد على جميع الابعاد التي تحدد المفهوم الجذري العميق لهذه الرابطة ، ومثال الجامعة العربية في وضعها الحالي من الدلالات التي لها مغزاها البعيد في هذا المقام .

واذا ما ركزنا النظر على اساس هذه الاعتبارات حول العالم العربي في الظروف الراهنة ، فاننا نلاحظ بكل جلاء ان من اهم العوامل التي تساهم في توجيه الاحداث بين ربوعه عامل الصراع الحاد المستمر الذي لم يفتأ منذ سنوات يدور حول موضوع الوحدة والاتحاد بين الاقطار العربية ، مع ما يولده هذا الصراع من اختلافات بارزة في وجهات النظر ساعد بين كثير من المواقف في هذا المجال ، فهناك بالفعل مجال لملاحظة نوع من الاجتماع المدني يسود الكثير من الاوساط العربية حول الوحدة . الا ان هذا الاجتماع يفقد في الواقع — كل مميزاته وفعاليته عند ما يصبح الامر منوطا بتحديد مفاهيم هذه الوحدة . وتعيين مدلولاتها الانسانية والاجتماعية والفلسفية وغيرها . فمنظرو اليسار العرب لا يمارون في امر الوحدة مطلقا . بل انهم كثيرا ما يتسافون وراء الدعوة الى هذه الوحدة احيانا لاسباب تكتيكية . والتحمس لها بشكل او بآخر . الا انهم — في نهاية ذلك يبدون — كما هو طبيعي — اكثر تحفظا حول التفاصيل ، واشد جمودا امام بعض البوادر الوحدانية التي يمكن ان تتم ضمن اطار معين يستهدف التشديد على الخصائص العربية الاسلامية اكثر من سواها ، ويرمي الى التعاون العربي — الدولي ولكن خارج نطاق التكتلات الدولية المتناحرة ، وبمنأى عن ميادين الصراع الايديولوجي الاجنبي ، والتقليديون من جهتهم لا يبدون اقل حماسا — بشكل من الاشكال — للفكرة التوحيدية العربية وتسليما بضروريتها ومعقوليتها في بعض الحدود المعينة ، لكن الصورة التي تتراءى فيها هذه الفكرة من خلال مفاهيمهم ومعقولاتهم لا تنسجم دائما وبالضرورة مع الروح العامة التي يجب ان تصاغ فيها اية بادرة توحيدية قومية ، والجو الذي ينبغي ان تترعرع في ظلاله هذه البادرة : جو التحرر والتقدم وعدم الانحياز .

العملي ، وذلك بعد ان جازت مراحل عدة فى مضمار التطور الفكري الممتزج احيانا والمستند الى معطيات العمل الرصين احيانا اخرى ، ومن الطبيعي فى مثل هده الحالات ان تعتورها عوامل التأرجح والتقلب ، وتعترضها من العقبات مثل ما يعترض كل تجربة فكرية او مثالية مبدئية تدخل الى طور الاختبار والامتحان ، ولو ان لها جذور بعيدة فى مكامن التاريخ الثابت او استمداد من معطيات الواقع المادي والانساني الماثل .

ان المعاني التي تعكسها الازمة التوحيدية العربية ـ على هذا الاساس ـ لا يجب بالضرورة ان تكون مرادفة لمدلول التدهور والاعتلال ـ كما نترآى ذلك من مفهوم « الازمة » فى بعض الحالات ، انها ـ كما اسلفنا ـ ازمة تطور ، والتطور ، وان كان يتخذ فى بعض الوقت ـ شكلا متأرجحا بين التقدم والتقهقر ، والصعود والانحدار ، فانه ـ مع ذلك ـ يعتبر فى كثير من الحالات مظهرا للنزوع الى التغيير الايجابي الخلاق ، وخاصة اذا كانت القاعدة التي يقوم عليها قاعدة ايجابية خلاقة كما هو الشأن بالنسبة لامكانياتنا العربية والاسلامية سواء فى الميدان المادي او الروحي ، على انه مهما يكن من امر ، فان هناك اساسا لضرورة التوفيق بين اهدافنا فى الوحدة ، وبين وجودنا كمجرد وحدة جغرافية من وحدات هذا العالم الاسلامي الكبير ، الذي تتوافر لسكانه جميعا امكانيات مبدئية للعمل والخلق والنشاط ، فوحدتنا لابد ان تكون وحدة متفتحة متجاوبة ، وتفتحها هذا هو الذي سيتيح لها اكبر الفرص لكي تكون عاملا هاما فى تحقيق عناصر التطور الانساني العام ، وذاك هو الجانب الاكثر ايجابية فى كل بادرة توحيدية بناءة من هذا القبيل .

سلا : المهدي البرجالي



واذا كانت الجوانب السياسية والاقتصادية ما تزال تحتل هكذا من ميادين الفكر الوحدوي العربي قسطا هاما وغير يسير ، فان ثمت ايضا جوانب اخرى لها اعتبارها الكبير ، ولها ايضا تأثيرها المهم فى هذا المقام ، ومن بين هذه الجوانب ما يتصل بمشاكل التكتل الدولي فى عالمنا المعاصر ، وعلاقة ذلك بالعروبة عموما ، وبالفكرة التوحيدية العربية على الاخص ، ان النزوع الى الترابط الدولي والاممي سواء على اساس قومي او مذهبي او مصلحي او غير ذلك ، هذا النزوع هو من ابرز الظواهر وابعدها اثرا فى حياتنا العالمية الراهنة ، ويعتقد الكثيرون ان المآل الذي يحتمل جدا ان تنتهي اليه العلاقات الدولية هو الترابط والتلاحم فى اي شكل من الاشكال ، وتتوالى الوقائع والتطورات فى الفترة التي نعيشها لتؤكد هي الاعتقاد ، وتركز احتمالاته وامكانياته ، الا ان هناك ملاحظة اساسية فى هذا المجال ، وهي انه بقدر ما يشتد النزوع الى الترابط والانسجام بين الوحدات الدولية المتمايزة بقدر ما تبدو المشكلات القانونية والنفسية الناشئة عن ذلك كثيرة الحدة والتعقيد ، خاصة وان عوامل الوحدة بالنسبة لبعض التكتلات الدولية القائمة هي عوامل مصطنعة ومبتسرة ، وبالتالي فهي دائما عرضة للتأرجح والتعقيد ، وفى العالم العربي تتركز اهتمام البعض حول بعض المشاكل المماثلة التي يمكن ان تعترض موضوع الوحدة المفترضة ، وهم يتحدثون كثيرا فى هذا الصدد حول علمانية الوحدة العربية وتجردها مع العلم بان هذا الموضوع لا يشكل فى الواقع اية عقبة رئيسية ، وليس لطرحه على محك النظر اي مبرر معقول ، ما دام ان الاسلام لم يعرف فى جوهره أي مظهر للتعصب او الاضطهاد العنصري او العقائدي وما دام ان صلة الاسلام بالعرب كصلته بغيرهم من الاجناس الاخرى التي تحتضنه لا يمكن ان يشكل اي عامل تفهقري حقيقي ، بل ان الاسلامية بالعكس هي اساس صحيح لامكانية تحقيق كل تقدم خير وبناء فى مختلف المجالات والميادين ، هذا واذا ما ركزنا النظر حول نقط اخرى من مواضيع الحوار العربي الطويل حول الوحدة امكننا ان ندرك قيمة العامل الانساني والاجتماعي فى مفهوم هذه الوحدة ، ومدى اهمية الارتباط القائم — فى هذا النطاق — بين صيرورة الانسان العربي من جهة ، وبين مضمون المثالية التي ينطوي عليها المبدأ من جهة اخرى ، ثم بين واقع النتائج المتوخاة من جهة ثالثة ، لقد كانت الفكرة الوحدوية فى بدايتها وتدرجها — غداة قيام الحركة التحررية العربية فى العهد العثماني — كانت هذه الفكرة — في خطوطها العامة فكرة قومية من حيث المبدأ ، ومن حيث الحوافز النفسانية المحركة ، ومع اعتبار المدلول السياسي الصرف لكلمة « قومية » ، لكن التطورات العالمية من جهة ، وانعكاساتها على واقع الفكر العربي الحديث المطعم بعناصر الثورة الاصلاحية الاسلامية من جانب آخر ، كل ذلك كان من شانه ان يوسع من مفهوم المبدأ الوحدوي العربي ويمنح مضمونا اكثر شمولا واستيعابا ، واعظم قدره على الاستجابة لحقائق الواقع الجديد وحتمية الوجود والتطور ، وبذلك فانه سيكون فى امكاننا — على هذا الاساس — ان نلاحظ بان محتويات الايديولوجية الوحدوية الحديثة لابد ان يكون لها — الى جانب العنصر القومي — السياسي — عناصر اخرى ذات طابع انساني اجتماعي مثل ما هو عليه الامر بالنسبة لكافة الايديولوجيات الاخرى ذات الاهداف الكلية الشمولية ، فالغاية دائما وفى جميع الحالات هي تطوير الارض العربية والانسان العربي والاستفادة من جميع الامكانيات العربية من اجل الوصول الى هذه المقاصد بالذات ، والوحدة — فى جوهرها — يجب ان تقوم كوسيلة واداة لتحقيق فرص النجاح المتوخاة فى هذا المضمار ، ولتاكيد المدلول الانساني الخير الذي تعبر عنه هذه الوحدة وتعكسه فى جوهرها الاصلي ، وهذه هي بعض العناصر الرئيسية التي تشكل حقيقة المضمون الاجتماعي للفكرة الوحدوية كما نعانى كتجربة فكرية فى الوقت الحاضر ، ومن الطبيعي ان تتباين بعض الاتجاهات النظرية حول هذا الموضوع — مع الاغضاء عن الاتجاهات المصلحية الرخيصة — وذلك بالنظر لصفته الراديكالية الصميمة وامتداده على ابعاد حساسة تلتزم المجتمع العربي المعاصر وتحدد له كثيرا من خطوط مستقبله ، ولا مناص لكل ذلك من ان تتعدد النظريات المعقولة فى هذا المجال وتتارجح بين هذا الاتجاه او ذاك قبل ان يصبح ممكنا توافر العناصر الضرورية لبناء نوع ما من الوحدة الاصلية الحاسمة .

ان الفترة المرحلية التي يجتازها الفكرة التوحيدية العربية اذن ليست مطلق فترة سلبية تافهة — كما يتراءى لكثير من المراقبين الاجانب الذين يعنون بتتبع الماجريات العربية ، وينطلقون من ذلك الى تكوين استنتاجات منحرفة احيانا وغريبة احيانا اخرى ، فالفكرة التوحيدية العربية — باعتبار الواقع العملي الذي تعيشه الآن — هي فى دور التطور التجريبي

كان هذا الرحالة معجبا ببني مرين نظرا لمواقفهم ال... مة في تاريخ المغرب ، فهم سعوا في توحيده وا... الفرقة بين حدوده ، واعانوا سكان الاندلس على مقا... الاسبانيين ، ولذلك كان لا يفتر عن ذكر ... منهم ، ولا يغفل عن نشر محامدهم .

ولما رجع الى المغرب وجد على سرير الملك ابا عنا... المريني الذي عمل على لم شتات المغرب العربي ونشر الثقافة العربية بين اجزاء البلاد ، وكان من بين وزرائه ابو زيان بن ودرار الذي استأنس بابن بطوطة واعجب باخباره ، ودافع عنه في كثير من المجالس حينما شاع الخبر بانه يكذب في روايته ويبالغ في احاديثه ويقول ما لا وجود له ، فقد ذكر ابن خلدون انه كان يشك في اخبار ابن بطوطة نظرا لتواتر الالسنة بتكذيبه، ولكنه قال ان ابن ودرار حذرني من الانسياق الى اقوال الناس لما في ذلك من التحكم ، ونهاني ان استنكر شيئا من اخبار الامم ما دمت لم ار بعيني ما يخالفه .

ولما اصبح ابن بطوطة يذيع مشاهداته وينشرها بين الخاصة والعامة ، امر ابو عنان كاتبه ابا عبد الله محمدا بن جزي بان يضم اطراف ما يمليه هذا الرحالة في كتاب يكون جامعا لفوائده مكملا لمقاصده مع العمل على تنقيح الكلام وتهذيب معانيه .

قال ابن جزي : (ونقلت معاني كلام الشيخ ابي عبد الله (*) بالفاظ موفية للمقاصد التي قصدها ، موضحة للمعاني التي اعتمدها ، وربما اوردت لفظة على وضعه فلم اخل باصله ولا فرعه ، وأوردت جميع ما اورده من الحكايات والاخبار ولم اتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار ، على انه سلك في اسناد صحاحها اقوم المسالك ، وخرج عن عهدة سائرها بما يشعر من الالفاظ بذلك ، وقيدت المشكل من اسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط ليكون انفع في التصحيح والضبط ، وشرحت ما امكنني شرحه من الاسماء العجمية لانها تلتبس بعجمتها على الناس ، ويخطىء في فك معماها معهود القياس) .

وكانت هاته المقدمة بمثابة تصميم خاص تقيد ابن جزي به في كتابة الرحلة والتزم بالسير على خطته في حبكها الا اننا يحق لنا ان نتساءل عن الاسباب التي دعت ابا عنان المريني ليصدر امره بكتابة الرحلة الى كاتبه . أليس لابن بطوطة القدرة على كتابة رحلته بنفسه ؟

الظاهر ان سبب ذلك يرجع الى امرين : اما اولهما فسياسي ، واما الثاني فادبي. ونحن سنخصص حديثنا في هذا البحث عن الجانب السياسي فقط ، واما الجانب الادبي فسنخصص له بحثا آخر .

الجانب السياسي يرتبط بالغاية التي كان يتوخاها ابو عنان من نشر الرحلة ، فانه كان يريد ان يستغلها للدعاية له ولاعماله ، وان يجعلها وسيلة للمس باعدائه والكشف عن مساوئهم ، بحيث لا يقتصر ابن بطوطة عن نشر الاخبار مجردة بل يضيف اليها في كل مناسبة ما يرفع به شان بني مرين على العموم .

واذا كان ابن بطوطة قد يتوقف في هذا العمل بالنسبة الى مرئياته العامة فهو ليس له المام بكثير من الحوادث السياسية التي وقعت بالمغرب ايام غيبته الطويلة ، لذلك كان من الضروري ان يضاف اليه شخص آخر تكون له دراية بالوقائع الحديثة ومعرفة باحوال الدولة القائمة ، وعلم بالسير العام الذي تسير عليه سياسة الدولة في الداخل والخارج ، ولم يجد ابو عنان من كتابه من تجتمع فيه هذه الصفات مثل أبي عبد الله ابن جزي ، لذلك أمره بجمع ما يمليه ابن بطوطة في كتاب يكون جامعا لفوائده مكملا لمقاصده .

ولقد عمل هذا الكاتب على تحقيق الغاية من اختياره ، فكان لا يتوانى عن ذكر محاسن ابي عنان وغيره من ملوك بني مرين ، ولا يقصر في الحديث عنهم مهما امكنه ذلك .

لما ذكر ابن بطوطة في رحلته الخصال الكريمة التي يتصف بها ملك العراق ابو سعيد بهادرخان ، قال ابن جزي : (كرم الله هذه الكنية الشريفة فما اعجب امرها في الكرم ، وحسبك بمولانا بحر المكارم ورافع راية الجود الذي هو آية في الندى والفضل امير المسلمين ابي سعيد بن مولانا قامع الكفار والآخذ للاسلام بالثأر امير المسلمين ابي يوسف قدس الله ارواحهم الكريمة، وابقى الملك في عقبهم الطاهر الى يوم الدين (*) .

(*) ابو عبد الله كنية لمحمد بن بطوطة وكان يلقب في الشرق بشمس الدين وفي الهند ببدر الدين .

(*) رحلة ابن بطوطة الطبعة الثانية الجزء الثاني صفحة 107 .



بنو مرين من خلال رحلة ابن بطوطة

للاستاذ :
محمد عبد العزيز الدباغ

من الضروري أن يرتبط كل مسلم في صلاته وفي حجه بمكة المكرمة . هذا الارتباط اصبح من مقومات الشخصية الاسلامية وتركز في قلوب الذين آمنوا حتى اصبحوا يأتون الى الكعبة راكبين ورجالا من كل فج عميق .

ولم تكن المواصلات سهلة ، ومع ذلك كان يطوف بالكعبة في كل سنة عدد كبير من المسلمين ، ياتون من اطراف الارض ويجتمعون في ذلك البلد الامين الذي اشع منه نور الاسلام على الكون، فاصبح مربط قلوبهم، وموئل خائفهم ، وملتجأ مذنبهم .

ومن بين هؤلاء جماعة كانت تخلد رحلاتها وسجلها لمن بعدها فقد رحل من المغرب والاندلس الى مكة عدد من العلماء كان لهم شان كبير كابن جبير الاندلسي ، والعبدري الحاحي (*) ، وابن بطوطة . الا ان هذا الاخير استهواه السفر وحببت اليه المغامرات واراد ان يطلع على العالم من أدناه الى أقصاه ، وان يقارن بين حياة الدول المختلفة ، وأن يجمع بين فريضة الحج والاستمتاع بلذة الاستطلاع ، فلم يرجع الى بلده الا بعد سنوات طوال قضاها في متعة الاكتشاف رغم ما كان يلاقي فيها من عذاب ومحن .

ورغم رجوعه الى المغرب فقد رحل مرة أخرى الى الاندلس ، ثم الى السودان ومجاهل افريقيا ، وجمعت هاته الرحلات الثلاث في كتاب سمي بتحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار .

واهم رحلات ابن بطوطة واطولها هي الرحلة الاولى التي استمرت من يوم الخميس ثاني رجب سنة 725 هـ الى يوم الجمعة من اواخر شعبان سنة 750 هـ .

خمس وعشرون سنة قضاها في رحلته الاولى بين ربوع العالم ، فساهد فيها الجزائر ، وتونس ، وطرابلس ، ومصر ، وسوريا ، ولبنان ، والعراق ، وفلسطين ، والحجاز ، وتركيا وما جاورها من البلدان، والهند ، والصين ، وجزر اندونيسيا كجاوة وسومطرة

خرج فريدا ولكنه لم يغادر مسقط راسه طنجة حتى استطاع ان يربط العلاقات بينه وبين الناس نظرا لقوة شخصيته ، وحدة ذكائه ، وسعة ثقافته الاسلامية ، وسماحة اخلاقه . فاصبح بينهم مرموقا يقدمونه في صلواتهم ويحكمونه في قضاياهم .

لم تكن سنه عند مغادرة طنجة تجاوز الثانية والعشرين فهو في مقتبل العمر وفي عنفوان الشباب . ولكنه لم يركن الى اللهو والعبث ، ولم يستأثر الدعة والخمول ، بل هاجه الشوق الى السفر لتحقيق رغبة في نفسه تدعوه لمشاهدة الاراضي المقدسة ، قال : (فجزمت امري على هجر الاحباب من الاناث والذكور وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور ، وكان والدي بقيد الحياة ، فتحملت لبعدهما وصبا ، ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا)

وكانت مغادرته لطنجة في ايام ابي سعيد عثمان ابن يعقوب بن عبد الحق المريني الذي تولى الملك سنة 710 هـ وتوفي سنة 731 هـ .

---

* نسبة الى حاحة القبيلة المصمودية الشهيرة ، اقرا عنه بحث الاستاذ عبد القادر زمامة بالعددين 2-4 من مجلة دعوة الحق السنة 5 وهاته النسبة قياسية الا ان الاستاذ عميد الجامعة محمد الفاسي يقول عنه : العبدري الحيحي لانه ذكر ان النسبة الى حاحة حيحي على غير قياس كما يتلفظ بها اهل البلاد انظر بحثه عن الرحالة المغاربة وآثارهم في مجلة دعوة الحق ايضا العدد 3 من السنة الثانية .

الثورة ضده ، حتى اذا خشي الفشل فر الى [ا]لبدرية وطاف بالشرق ينشر الدعاية لنفسه [و...] الفرصة للانقضاض على ابي الحسن مرة اخرى، [و...] اهتم هذا الاخير بفراره ، وعمل الوسائل على [...] اخباره فلم يتصل بابن بطوطة حتى ساله عنه ، [...] طمانه على الاقل بموقف المغاربة منه .

والحقيقة ان تخوفات ابي الحسن كانت صائبة [فلم] يلبث ابن تيفراجين ان رجع الى تونس في ثامن عشر جمادى الاولى من سنة 751 هـ ، وقام بانقلاب خطير في الدولة الحفصية حيث ولى على الملك ابا اسحق ابراهيم ابن المولى ابي بكر وهو يومئذ قد ناهز الحلم (*) ، وتحقق لابن تيفراجين ما اراد واصبح شأنه في تونس كشان المنصور بن ابي عامر بالاندلس عند نهاية الامويين بها . فقام بتدبير امور الدولة وكان له في ذلك شان عظيم . ولذلك يقول لسان الدين بن الخطيب عند تحدثه عن ابي الحسن المريني ونهايته بتونس وارجاع الدوله الحفصية بها : (ثم ضم نثرهم بعد نكبته وخروجه عن وطنهم بابراهيم بن ابي بكر عضد امره وجبر دعوتهم به شيخ جماعتهم وفخر اوليائهم المجتمع على اصالة دهائه وصحة تمييزه واعتدال سيرته ابو محمد بن تيفراجين) (*) .

هذا ولم يغفل ابن بطوطه حين توجه الى الاندلس الاسباب التي دعته الى ذلك قال : (فاردت ان يكون لي حظ من الجهاد والرباط فركبت البحر من سبتة في سطح لاهل اصيلا فوصلت الى بلاد الاندلس حرسها الله تعالى، حيث الاجر موفور للساكن والثواب مذخور للمقيم والظاعن ، وكان ذلك اثر موت طاغية الروم الفونسو وحصاره الجبل عشرة اشهر وظنه انه يستولي على ما بقي من بلاد الاندلس للمسلمين فاخذه الله من حيث لم يحتسب ومات بالوباء الذي كان اشد الناس خوفا منه) (*) .

ان تحدثه عن حصار الاسبانيين لجبل الفتح مدة عشرة اشهر دون ان يستطيعوا التغلب عليه ليدل على ما كان لابي عنان من العناية بحماية الدولة من الاعداء ومقاومة كل من يحاول الاستيلاء على بعض مراكزها والاستماتة في ذلك ، ولقد ذكر ابن جزي في هذه المناسبة بان ابا عنان كان يهيىء العدة في ايام السلم حتى لا يخول لمن تسول له نفسه الحرب ان ينتصر قال : (ومما شاع من افعال مولانا ايده الله في الجهاد انشاؤه الاجفان بجميع السواحل ، واستكثاره من عدد البحر وهذا في زمن الصلح والمهادنة ، اعدادا لايام الغزاة ، واخذا بالحزم في قطع اطماع الكفار ، واكد ذلك بتوجهه ايده الله بنفسه الى جبال جاناتة في العام الفارط ليباشر قطع الخشب للانشاء ، ويظهر قدر ماله في ذلك من الاعتناء ، ويتولى بذاته اعمال الجهاد مترجيا ثواب الله تعالى وموقنا بحسن الجزاء) (*) .

ومن أهم ما اهتم به ابن بطوطة في رحلته اظهار عناية بني مرين بالعلم واهتمامهم بشؤون الثقافة والعمران لانه يعلم ان هذا الجانب له اثر عظيم في الرفع من قيمتهم وتخليد مجدهم فلقد تحدث عن ابي عنان فقال : (واما اشتغاله بالعلم فها هو ايده الله تعالى يعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح ويحضر لذلك اعلام الفقهاء ، ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم ، فيقرا بين يديه تفسير القرآن وحديث المصطفى (ص) وفروع مذهب مالك رضي الله عنه ، وكتب المتصوفة وفي كل علم منها له القدح المعلى ، يجلو متشكلاته بنور فهمه، ويلقي نكته الرائقة من حفظه، وهذا شان الائمة المهتدين ، والخلفاء الراشدين ، ولم ار من ملوك الدنيا من بلغت عنايته بالعلم الى هذه النهاية) (*) .

ثم تحدث عن ابي الحسن بتونس فذكر انه كان بمجلسه عدد من العلماء وذكر منهم عالمين مغربيين وهما الامام ابو عبد الله السطي ، والامام ابو عبد الله محمد بن الصباغ ، وعالمين تونسيين وهما قاضيها ابو علي عمر بن عبد الرفيع ، وابو عبد الله بن هرون (*).

ان وجود العلماء بمجلس الملك دليل على اهتمامه بهم واسترشاده بآرائهم ، ولقد سجل التاريخ بان ابا الحسن كان يشجع العلم حقيقة ، وكان لا يسافر الا والعلماء بجانبه ولقد ذكر الاستاذ عثمان الكعاك عند

---

* الادلة البينة النورانية عن مفاخر الدولة الحفصية للشيخ احمد الشماع ، الفه في اواخر 861 هـ وعلق عليه الاستاذ عثمان الكعاك ، طبع بتونس سنة 1936م صفحة 129 .

* اللمحة البدرية في الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب طبعه سنة 1347 هـ صفحة 95 .

* رحلة ابن بطوطة الجزء الثاني صفحة 183 نفس الطبعة .

* نفس المصدر صفحة 183 .

* نفس المصدر صفحة 181 .

* نفس المصدر صفحة 178 .

ولما تعرض ابن بطوطة لذكر مآثر ابي الحسن في جبل الفتح ، تعرض ابن جـــزي لمواقفه الحربيـــة ولاستيلائه عليه من يد الاسبان فقال : (ثم فتحه مولانا ابو الحسن رضوان الله عليه واسترجعه من ايـــدي الروم بعد تملكهم له عشرين سنة ونيفا ، وبعث الى حصاره ولده الامير الجليل ابا مالك ، وايده بالاموال الطائلة والعساكر الجرارة ، وكان فتحه بعد حصـــار ستة اشهر وذلك في عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ، ولم يكن حينئذ على ما هو الان عليه ، فبنى به مولانا ابـــو الحسن رحمة الله عليه المآثر العظمى باعلى الحصن ، وكانت قبل ذلك برجا صغيرا تهدم باحجار المجانيق ، فبناها مكانه ، وبنى به دار الصناعة ولم يكن بـــه دار صنعة ، وبنى به السور الاعظم المحيط بالتربـــة الحمراء (*) .

ولما تحدث ابن بطوطة عن فضل ابي عنان وشيمه الكريمة قال ابن جزي: (لم يزل الملوك الاقدمون تتفاخر بقتل الآساد وهزائم الاعادي ، ومولانا ايده الله كـــان قتل الاسد عليه اهون من قتل الشاة على الاسد فانه لما خرج الاسد على الجيس بوادي النجارين مـــن المعمورة بحوز سلا وتحامته الابطال ، وفرت امامـــه الفرسان والرجال ، برز اليه مولانا ايده الله غيـــر محتفل به ولا متهيب منه . فطعنه بالرمح ما بين عينيه طعنة خر بها صريعا) (*) .

ثم قال : (.. لو ان عالما ليس له شغل الا بالعلم ليلا ونهارا لم يصل الى ادنى مراتب مولانا ايده الله في العلوم مع اشتغاله بامور الامة ، وتدبيره لسياســـة الاقاليم النائية ، ومباشرته من حال ملكه ما لم يباشره احد من الملوك ، ونظره بنفسه في شكاية المظلوميـــن ، ومع ذلك كله فلا تقع بمجلسه الكريم مسالة علم في اي علم كان الا جلا منسكلها ، وباحث في دقائقها واستخرج غوامضها ، واسدرك على علماء مجلسه ما فاتهم من مغلقاتها) .

وفي هذا التفريظ من المبالغة ما لا يخفى .

وليس اظهار موفف ابن جزي من بني مرين في الرحلة معناه سلبية موقف ابن بطوطه ، فان هـــذا الاخير ايضا استطاع ان يقوم بواجبه نحوهـــم وان يصور اعداءهم تصويرا مشوها ، فقد ذكر بعد خروجه

من المغرب ومروره بالجزائر ان احد المسافرين قـــد توفي وترك ثلاثة آلاف دينار من الذهب ، واوصى بها رجلا ليوصلها الى ورثته بتونس ، ولكن والي بجاية علم بذلك فانتزعها من الوصي واستبد بها دون اربابها ، قال ابن بطوطة (وهذا اول ما شاهدته من ظلم عمال الموحدين وولاتهـم

ان التحدث عن ظلم الموحدين انما هو اشارة الى مشروعية الاعمال التي قام بها بنو مرين ضد الدولـــة الحفصية بتونس ، فلقد توجه ابو الحسن المريني الى تونس وازال الحفصيين من الحكم واستقر بها ، الا انه وجد معارضة كبيرة من بعض العرب فقاوموه مقاومة شديدة ادت الى حصاره بالقيروان في سنة 749 هـ ، ولقد اتفق هؤلاء العرب على تولية احد الموحدين عليهم، واستطاعوا ان يستميلوا اليهم رجلا كان في جانب ابي الحسن هو ابو عبد الله محمد بن تافرجين ففر معهم واستغل معارضتهم لمصلحته ، ولكنه ما لبث ان فر الى الاسكندرية حينما اضطرب امر اصحابه .

ولما وصل ابن بطوطة الى تونس ذكر انه اتصل بالملك ابي الحسن المريني وكان من الاسئلة التي وجهها اليه الامير سؤاله عن ابن تيفراجين ، قال ابن بطوطه : (فدخلت المشور الكريم وقبلت يد مولانا ابي الحسن رضي الله عنه ، وامرني بالقعود فقعدت ، وسألني عن الحجاز الشريف وسلطان مصر فاجبنه ، وسألني عن ابن تيفراجين فاخبرته بما فعلت المغاربة معه وارادتهم قتله بالاسكندرية ، وما لقي من اذايتهم انتصارا منهم لمولانا ابي الحسن رضي الله عنه) .

ان ابن بطوطة هنا ايضا يظهر تعلق المغاربة بملكهم ابي الحسن رغم وجودهم في خارج المملكة لانهم حاولوا قتل رجل علموا بخيانته للملك .

ولاشك ان تعرض ابن بطوطة لابن تيفراجيـــن وتحدثه عن كراهية المغاربة له يرجع الى الدور الخطير الذي لعبه هذا الرجل في تاريخ بني حفص، والتخوفات العظيمة التي كانت تنتاب ملوك بني مرين منه ، لانهم كانوا يعرفون قوة دهائه وكثرة حيله فهو الذي كان قد اثار حربا داخلية في تونس واستطاع الفرار بعـــد اذكائها الى المغرب الاقصى ، وهو الذي استطاع في ايام لجوئه بالمغرب ان يزين لابي الحسن غزو تونس والقضاء على بني حفص ، مؤملا من ذلك ان يفوض اليه الملك المريني امر تونس بعد انتصاره ، فلما لم يبلغ هدفـــه قلب ظهر المجن ، وازور عن ابي الحسن واتصل باعدائه

---

* نفس الرحلة والجزء صفحة 184 .
* نفس الرحلة والجزء صفحـــة 180 .

تجديد الشابي بين روافد الشرق والغرب

للاستاذ عباس الجراري

- 2 -

ثم نصل الى المضمون فنلاحظ ظهور نزعة انسانية تسمو به عن اغراض الحس ونزوات النفس ، وتتجلى في كثير من موضوعات الشعر المشتركة بين الشابي واساتذته المهجريين . لا شك انه تأثرهم فيها . وان كانت له دوافعه المباشرة الى طرقها . وبتلخص هذا التشابه في ثلاثة مظاهر :

اولها تقديس المرأة التي لم تعد جسدا تكشف منه الشاعر عن مواطن الحس والغريزة . وانما اصبحت سر الوجود وسحره وباعثة الحياة فيه . وفي محراب جمالها تقف المتبتلون نسوى من عبادتهم . وقلوبهم ترن في صمت اناشيد التقديس العذاب . يقول الشابي:

انت ما انت ؟ انت رسم جميـل
عبقري من فن هـذا الوجـود

فيك ما فيه مـن غموض وعمـق
وجـمـال مـقـدس معبـود

* * *

انت انت الحياة في قدسها السـ
ـامي وفي سحرها السجي الفريد

* * *

انت فوق الخيال والشعر والفن
وفـوق النهـى وفـوق الحدود

انت قدسي ومعبدي وصباحي
وربيعي ونشوتي وخلودي (*)

وفي تقديس المرأة تقديس الحب ، واعتباره طاهرا في غايته ومفهومه . والترفع عن ادران الجسـد واهواء الحس . والسمو به الى عوالم روحية رفيعة بعيدة عن دنس الذات وانحرافها . فالحب هو ذلك النبـراس الوضاء الذي يشع النور على الكون فيمـلاه بشـرا وسعادة وسلاما وجمالا . وهو مادة الحياة التي لا توجد الا بها . وعنصر الانسانية التي لا وصول لحقائقهـا بغيره . بل هو روح الهـي يهبط الى الارض فيبث في قلب ابنائها المحبة والسكينة والوئـام ، ولنستمع الـى الشابي وهو يتحدث بهذه الصفات وغيرهـا عن الحب فيقـول :

الحب شعلة نـور سـاحـر هبطت
من السماء فكانت ساطع الفلـق

* * *

الحـب روح الـهـي مجنحـة
اياـمه بضيـاء الفجـر والشفـق

يطوف في هـذه الدنيـا فيجعلهـا
نجما جميـلا ضحوكـا جد مؤتلـق

لولاه ما سمعت في الكـون اغنيـة
ولا تآلـف في الـدنيـا بنـوافـق

(*) « صلوات في هيكل الحب » ديوان ص 121 .

التحدث عن ابي الحسن في تونس قوله : (ومن غريب ما اتفق للسلطان ابي الحسن انه اصطحب الى افريقية اكابر العلماء مثل ما فعل نابليون في زحفه على مصر).

وعليه فان ملاحظة ابن بطوطة في وصف مجلس ابي الحسن بانه كان به جماعة من العلماء تصور اهتمام هذا الملك بهم سواء كانوا ممن استصحبهم معه من المغرب او من العلماء التونسيين الاصليين .

ولم يقتصر ابن بطوطة على ذكر الاهتمام العلمي بل تحدث عن العمران العام الذي خلفه المرينيون فوصف آثار ابي الحسن بجبل طارق ، وتحدث عن المدرسة التي بناها ابو عنان بحضرة فاس فقال : (ومدارس خراسان والعراق ودمشق وبغداد ومصر وان بلغت الغاية من الاتقان والحسن فكلها تقصر عن المدرسة التي عمرها مولانا امير المومنين المتوكل على الله ، المجاهد في سبيل الله ، عالم الملوك ، واسطة عقد الخلفاء العادلين ابو عنان وصل الله سعده ، ونصر جنده ، وهي التي عند القصبة من حضرة فاس حرسها الله تعالى فانها لا نظير لها سعة وارتفاعا ، ونقش الجص بها لا قدرة لاهل المشرق عليه) (*) .

وكاني بالقارىء بعد هذا العرض العام قد عرف آثار بني مرين في الحضارة المغربية واطلع على بعض جوانبها من خلال رحلة ابن بطوطة الا انه يمكن له ان يستفهم عن وجود ملكين في آن واحد ولدولة واحدة احدهما بتونس ، والآخر بالمغرب ، بمدح كلاهما ويذكر مآثرهما بكل اجلال حتى لا يشعر القارىء باي خلاف كان موجودا بينهما فهذا ابو الحسن بتونس ، وهذا ولده ابو عنان بالمغرب الاقصى وكلاهما اثنى عليه ابن بطوطة وابن جزي معا ، فهل من المعقول ذلك ؟ الواقع التاريخي يثبت الخلاف لان أبا الحسن بعد استقراره بتونس وقعت بينه وبين الحفصيين حروب كاد يغلب في بعضها ، فقتل من جنوده عدد كبير حتى شاع الخبر بهزيمته ، ونقلت جماعة من بني مرين وبني عبد الواد الي أبي عنان بان اباه كان أحد ضحايا الهزيمة فلم يسعه الا ان يضم شأن البلاد ، وان يعلن البيعة لنفسه ولكن لم تمر ايام حتى ظهرت له الحقيقة وعلم ان اباه ما زال بقيد الحياة .

هده مشكلة عظمى حدثت لابي عنان فهل من المصلحة ان يتنازل عن الملك لابيه ؟ ام يجب عليه ان يستمر في ولايته ويلزم اباه بالتخلي عن العرش ؟ ان الشعب اصبح مرتبطا به ، وانه يخشى على شؤون الدولة اذا ما تنازل عن الحكم ، لان اباه فقد تلك الهيبة التي كان يتمتع بها ، واخيرا رأى من المصلحة استبقاء الحكم رغم ما سيحدث عن ذلك من الاحداث ، وارسل الجنود لحماية الحدود وللقضاء على زحف ابيه لكن شاء القدر ان يعبر ابو الحسن البحر وان يصاب بالزوابع ، وان يصل مع فئة قليلة من جنده الى المغرب وان يحارب ابنه ، وشاء القدر ان تكون النتيجة عليه فيقتل باحواز مراكش ، بل يذكر بعض المؤرخين بانه انتحر حزنا ، وانه قبل الانتحار ارسل رسالة الى ابنه يطلب منه ان ينتقم له من بني عبد الواد بتلمسان، ويذكر الشماع كيفية الانتحار فيقول : (ففصد نفسه في الذراعين ، وترك دمه يسيل حتى مات في عشر صفر عام اثنين وخمسين وسبعمائة) .

وبعد موته تولى ابنه دفنه واقام له الجنازة ، ولم يترك الالسنة تتحدث عن مقتل ابيه لانه كان لا يطمئن الى ذلك ولم يكن له بد من العمل على نشر بعض الاسباب التي دعته الى مقاومة ابيه وتبيان ذلك . خصوصا في اراضي السودان التي كانت مرتبطة بابي الحسن ارتباطا متينا ، فلقد كانت السفارات متبادلة بين مالي والمغرب ، وكان السفير المالي في المغرب على عهد ابي الحسن هو الحاج موسى الونجراني . ولما خشي ابو عنان من افساد العلاقة بينه وبين السودان ارسل ابن بطوطة ليقوم بذلك وليظهر فضل ابي عنان والترحم على ابي الحسن رغم ان نهايته كانت على يده ، وحضر ابن بطوطة في مالي حفلة اقيمت لتابين الملك الراحل حضرها سلطان مالي والامراء والفقهاء والقاضي والخطيب ، ثم ذهب بعد ذلك الى تكدا ليقوم بنفس العمل ولكنه جاءته الاوامر السلطانية بالرجوع الى فاس فلبى الطلب بسرعة قال : (فلما عدت الى تكدا وصل غلام الحاج محمد بن سعيد السجلماسي **بامر مولانا امير المومنين** وناصر الدين المتوكل على رب العالمين آمرا لي بالوصول الى حضرته العلية وامتثلته على الفور ... وخرجت من تكدا يوم الخميس الحادي عشر شعبان سنة 754 هـ في رفقة كبيرة فيهم جعفر التواتي وهو من الفضلاء) وان المطلع على هذا النص سيقرر معي ان الرحلة السودانية لم يقم بها ابن بطوطة الا بامر من ابي عنان ، وانها كانت مقصودة للدعاية له لان الامر بالاياب يستلزم الامر بالذهاب .

ولما رجع ابن بطوطة الى فاس ارتبط بالخدمة مع الدولة المرينية واستمر في ذلك الى ان توفي سنة 779هـ موافق 1377 م .

فـــاس : محمد عبد العزيز الدباغ

---

* نفس الرحلة ــ الجزء الاول ــ ص 252

نها ليصرفه عما كان قد آمن به واعد نفسه للتضحية اجله ، وهو بعد لا يزال فى فورة الشباب الاولى ، بزغ قلبه عن التعلق بروحها ، بل بقي على ذكراها افظا ولذكرها منشدا، وظل يتخيلها امامه وتصورها نفسه الوفية الشاعرة فيسرع الى القلم ليرسم ظرها فى مذكراته بهذا النثر الشعري الجميل :

تلك الريحانة التي انبتتها فى سبيلي انامل الحياة ها تنظر الي بعينيها الجميلتين بأحلام الملائكة ثم تشير احتها الجميلة الساحرة وبأناملها الدقيقة الوردية ها هي تطبع على ثغري بشفتيها المعسولتين رحيق الحياة (*) » .

وتاتي مظاهر هذه النزعة الانسانية المشتركة بين الشابي وشعراء المهجر يتجلى فى جانب الحزن والالم ، جانب كله شك وحيرة ، وتشاؤم وانين ، ودموع وزفرات ، ولا شك ان شعراء المهجر فى هذا المظهر قد تأثروا بمذهب ديكارت فى الشك ، وبفلسفة ابي العلاء الناقمة ، وبالمدرسة الرومانتيكية الغربية التي تمجد الالم والبكاء ، ونرى ان (ابدع) الاغاني ما سربل بالاسى (*) والحزن ، وربما كان فوزى المعلوف اصدق ممثل لهذه النظرة الكئيبة البائسة فى الحياة ، فهو يقول :

عش بين المنى يراود نفسي
خلب من طيوفها وعقام

افنيتها وفي يدي فؤادي
سم الهوى وفي يدي حطام

اي حلم سكنته ذهبيا
لم تذبه بنارها الايام

ورجاء حبكته من خيوط النـ
ـور لم تسدل عليه ظلام

اي عود حملته للتلهي
لم تقطع اوتاره الانسام

نشيد وقعته للتأسي
لم يعكره بالانين الغرام

اي كاس قربته من شفاهي
لم تحل حنظلا عليه المدام

وفؤاد ذوبت فيه فؤادي
لم يصنع عنده لعهدي زمام

ضاع عمري سعيا وراء رسوم
خططتها فى الشاطىء الاقدام

عشت ابني على الرمال وهل يثبـ
ـت ركن له على الرمال دعام ؟

واذا كان الشعور بالغربة والحنين الى الوطن الذي كان يرزح تحت نير الطغيان قد دفع الشعراء المهجريين الى السير فى هذا النحو ، فكذلك كان الشابي — ككل العباقرة والموهوبين الذين يسبقون جيلهم فلا يعترف بهم لانه لم يألف ما يدعون اليه — غريبا فى وطنه ووحيدا بين قومه الذين كانوا لا يفهمون فنه ، فلم يلبث ان رماهم بالغباء وكره النور وعدم تقديرهم لما كان يريق من رحيق نفسه وينضد من ازاهير قلبه ، فلقد مزقوا تلك الباقة التي قدم لهم وداسوها ، كما حطموا الكأس التي عصر لهم فيها خمر نفسه ، فهو يقول فى غمرة الثورة :

ايها الشعب ليتني كنت حطا
با فاهوى على الجذوع بفأسي

ولا يرى آخر الامر حلا غير اعتزال شعبه يائسا حزينا :

ها انا ذاهب الى الغاب يا شعـ
ـبي لاقضي الحياة وحدي بيأسي(*)

ولا شك ان الشابي احس بحس الغربة منذ ايام دراسته فقد كان فى طليعة الثائرين على مجتمع الزيتونة المتزمت الذي كان يرى فى الادب لعبا ولهوا لا يليق بالطلبة والعلماء ، ولكنه كان شغوفا به يقرأه ويدرسه وينشئه فى غفلة من شيوخه وعلى مسمع منهم ومرأى مما عنف اختلافه معهم .

(*) انظر كتاب « ابو القاسم الشابي » لزين العابدين السنوسي ص 25 .

(*) من كلام الفرد دي موسى Alfred de Musset نقلا عن « التجديد فى شعر المهجر » ص 115 .

(*) قصيدة « النبي المجهول » ديوان ص 101 .

الحب جدول خمر من تذوقه
خاض الجحيم ولم يشفق من الحرق

الحب غاية آمال الحياة فما
خوفي اذاضمني قبري وما فرقي؟(*)

ولنستمع الى ايليا ابي ماضي في هذه الابيات التي يبدو فيها التشابه واضحا مع مقطوعة الشابي، يقول :

احب فيغدو الكوخ كوخا نيرا
وابغض فيمسي الكون سجنا مظلما

ما الكأس لولا الخمر غير زجاجة
والمرء لولا الحب الا اعظما (*)

واغلب ما يدور عليه شعر الحب هو الشوق الى خليلة الطفولة والصبا والحنين الى ايامها الحلوة الجميلة، وما تحمله من ذكريات عذبة طاهرة، والشابي في قصيدته (الجنة الضائعة (*)) يبدو قد استبد به الشوق الى عهود قضاها مع رفيقته يوم كانا طفلين يلهوان بحبهما الصغير، فيقول :

كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضير
فضية الاسحار مذهبة الاصائل والبكور
كانت ارق من الزهور ومن اغاريد الطيور
والذ من سحر الصبا في بسمةالطفل الفرير

* * *

قضيتها ومعي الحبيبة لا رقيب ولا نذير
الا الطفولة حولنا تلهو مع الحب الصغير

ثم يأخذ في سرد ذكرياته متلهفا فيقول :

ايام لم نعرف من الدنيا سوى مرح السرور
وتتبع النحل الانيق تيجان الزهور
وتسلق الجبل المكلل بالصنوبر والصخور
وبناء اكواخ الطفولة تحت اعشاش الطيور
مسقوفة بالورد والاعشاب والورق النضير

نبني فتهدمها الرياح فلا نضج ولا نثور
ونعود نضحك للمروج وللزنابق والغدير

وهكذا يستمر في ذكرها واحدة تلو الاخرى وقد مسك بعضها برقاب بعض وكأنها اللحن الواحد لا تنفصل نغمانه الساذجة الجميلة، ولو عدنا الى المهجر لالفينا عند شعرائه اصل هذا الوتر الذي عزف الشابي لحنه عليه، فهذا رشيد ايوب يقول :

لقيتك لما نصبنا الخيام
الا تذكرين زمان اللقاء

فاسكرت قلبي بخمر الغرام
وخلفت نفسي بوادي الشقاء

ثم غبت

الا تذكرين بشط الغدير
على حفرة قد جلسنا هناك

ولما انحنينا لصوت الخرير
لمحتك في الماء مثل الملاك

حين لحت

ولما مشينا لنجني الورود
بظل فراشاتها الحوم

نسيت فودعت هذا الوجود
وقلت لاغصانها خيمي

ثم نمت

والشابي في هذه النظرة للمرأة لم يكن مقلدا او لاقطا لصور حياة لم يعرفها، وانما كان في تأثره بشعراء المهجر يغذي حبا عذريا ربطه منذ طفولته برفيقة لم تلبث ان ماتت بعد فراقه لها مضطرا للالتحاق بالزيتونة، وليس يهمنا ان كان قد احب المرأة بعد حبا ماديا لا يقصد منه غير شعور المتعة واللهو، وليس يهمنا كذلك ان كانت هذه المرأة هي زوجته التي سعد معها فترة من حياته لا شك فلسنا بصدد التأريخ للحب في حياة الشاعر، وانما الذي يهمنا ان حبه لطفلته كان قد تمكن من قلبه الغض، فلم يكن

---

* ديوان ص 45 .
* الخمائل ص 24 .
* الديوان ص 147 .

...ش رغم الداء والاعداء
كالنسر فوق القمة الشماء

الى الشمس المضيئة هازئا
بالسحب والامطار والانواء

* * *

...ول للقدر الذي لا ينثني
عن حرب آمالي بكل بلاء

لا يطفىء اللهب المؤجج في دمي
موج الاسى وعواصف الارزاء

فاهدم فؤادي ما استطعت فانه
سيكون مثل الصخرة الصماء

لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا
وضراعة الابطال والضعفاء » (*)

ولكنها حال لا تلبث ان تزول فيعود الى بكائه ونواحه كارها الحياة ، زاهدا فيها ، متعلقا بالموت الذي اصبح يرى فيه مخلصه مما يرزح تحته من ارجاع وآلام . فيغنى وعلى شفته ابتسامة الرضا بما آل اليه :

الوداع الوداع يا جبال الهموم
يا ضباب الاسى يا فجاج الجحيم
قد جرى زورقي في الخضم العظيم
ونشرت القلاع فالوداع الوداع (*)

والحقيقة اننا حين نتحدث عن جانب الالم الحزين عند الشابي لا ينبغي ان نرد كل تاثر فيه الى شعراء المهجر سواء منهم فوزي او جبران ، فالشاعر كما لا حظ دابوه ، كان شغوفا بقراءة المعري ولزومياته بصفة خاصة ، مما غذى لا شك نفسه الكئيبة ووجدانه المتوجع بل ربما كان تاثره بابي العلاء سابقا لتاثره بالمهجريين لاحتمال تعرفه عليه قبل ان يتعرف عليهم ، كذلك لا نريد ان نغفل تاثر الشابي في هذا اللحن بشعراء طليعة المدرسة الرومانتيكية في مصر امثال عبد الرحمن شكري الذي ملأت شعره نغمات حزينة كانت عصارة عنائه النفسي وشؤمه من الحياة والاحياء ، وخليل مطران الذي لم يكن شعره في حالة مرضه ئن بغير الشكوى من الحياة والحنق عليها . ولعلنا لا نعجب من هذا اذا عرفنا ان فوزي المعلوف ، وهو الذي قاربنا بينه وبين الشابي في الكئابة ، تاثرا بلغ التاثر بشاعر القطرين ، ويكفي للتدليل على هذه الابيات يقول فوزي (*) :

انا الحزن مرسوم انا السقم ظاهر
انا الحب مصدود انا الالم الراسي

انا العابد العافي انا هيكل الهوى
الم تسمع من اضلعي صوت اجراسي

وهذا نفسه ما حبره مطران :

انا الالم الساجي لبعد مزافري
انا الالم الداجي ولم يخب نبراسي

انا الاسد الباكي انا جبل الاسى
انا الرمس يمشي داميافوق ارماسي

واما وجه التشبه الثالث فهو الهرب من واقع الحياة المؤلم الى عالم الغاب حيث لا سيد ولا مسود ، ولا الم ولا حزن ، ولا موت ولا قبور ، وانما هناك الحياة حلوة سعيدة تنطلق فيها النفس على سجيتها حرة مفردة ، فيصغي لها الكون ويتجاوب معها بل هناك جنة الاحلام حيث الهدوء والطمأنينة والالفة والسعادة ، يقول الياس فرحات :

احن الى الغاب حيث الشرور
هنالك نيرانها خامدة

---

* « نشيد الجبار » ديوان ص 176 .
* « الصباح الجديد » ديوان ص 159 .
* « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية » لجورج صيدح ص 348 .

أما حبه لوطنه ورغبته في تحريره فكانا يدفعانه للثورة في وجه المستعمر وللثار لكرامة امته في قوة وتحفز بالفين ، اكثر من الغربة التي عاناها ومن حبه لوطنه ، كان هناك عامل آخر لعله اهم ما بعث في الشابي روح الكآبة والحزن فقد كان مصابا بمرض صاحبه منذ ان فارقته رفيقة صباه وهو داء القلب الذي كان يمنعه عن كثير من اوجه نشاط الحياة والذي كان سببا في نهايته وهو في ريعان شبابه وربيع حياته ، وكان يغلب عليه الالم فلا يعوديحس غير اليأس وسئامة الحياة التي يفصح عنها بقوله :

سئمت الحياة وما في الحياة
وما ان تجاوزت فجر الشباب

سئمت الليالي واوجاعها
وما شعشعت من رحيق بصاب

فحطمت كاسي والقيتها
بوادي الاسى وجراح العذاب

فانت وقد غمرتها الدموع
وقرت وقد فاض منها الحباب

والقى عليها الاسى ثوبه
واقبرها الصمت والاكتئاب

فاين الاماني والحانها
واين الكؤوس واين الشراب

لقد سحقتها اكف الظلام
وقد رشفتها شفاه السراب (*)

وزاد من صراع الشابي مع الالم انه كان يهوى العيش ويحب الحياة وانه كان شديد الاحساس لما اصابه ، نشعر ونحن نقرا قصائده الشجية اللاذعة مبلغ ما كان يقاسيه من اوجاع ومدى ما كان يتفطر على اشطارها من دموع ، وكأنها لحن الحياة المظلمة الكئيبة تجمعه اغاني الاسى والجراح ، ولننصت الى قطعة من « اغنية الاحزان » (*) :

حطمت كف الاسى قيثارتي
في يد الاحلام
فقضت صمتا اناشيد الغرام
بين ازهار الخريف الذاوية
وتلاشت في سكون الاكتئاب
كصدى الفريد
كف عن تلك الاغاني الباسمة
ايها العصفور
فحياتي الف لحن الاسى
من زمان قد تقضي وعسى
ان يثير الشذو في صمت الفؤاد
انة الاوتار
لا تغنيني اغاريد الصباح
بلبل الافراح
ففؤادي وهو مغمور الجراح
بتباريح الحياة الباكية
ليس تستهويه الحان السرور
واغاني النور
غنني يا صاح انات الجحيم
واسقني الآلام
اترع الكاس باوجاع الهموم
واسقني اني كرهت الابتسام
غنني ندب الاماني الخائنة
والليالي السود

هكذا يزداد وطاة الالم على قلبه فلا يعود يريد ان يسمع الى تغريد البلابل واغاني الصباح وانما تتوق نفسه لانات الجحيم وكؤوس الاوهام ، علها تهدىء من اوجاعه ، فالحياة قد اصبحت امامه ظلاما دامسا عميقا لا يحمل غير اصوات الموت المزعجة ، تدق اجراسه منبئة بمغيب شمس الحياة فيتطلع اليها تهوى منحدره آفلة وقد حملت في طياتها آماله واحلامه، ثم تبدو امامه اشباح الموت مقبلة عليه ، فيزداد نواحه وعويله ، وقد تنتابه حال نفسية تغير من نظرته القاتمة فيبدو صوته متمسكا بالحياة مؤكدا انه سيقهر اعداءه وانه سيبدد كل الآلام التي تفتك به وتحيط بحياته فيصيح :

---

* قصيدة « السآمة » ص 44 .
* ديوان ص 47 .

مستقبل الثقافة في المغرب

للأستاذ جعفر الطيب الكتاني

- 2 -

وتمر فترات تاريخية على مجتمعنا ، يبدأ المثقف بالعربية على اثرها في تحسس قيمته ، يتلمسها من خوف المستعمر من طبقته ومن مدى تنكيل ذلك المستعمر بمن هم من فئته ، وتذوقت نفسية حامل الثقافة الثقافة الاصلية لاول مرة المدلول الواقعي لكلمة مارشال سروى على لسان احد مرشالات فرنسا ، ملخص في قوله عن القرويين : « انها البيت المظلم » ومن كان يفهم معناها على حقيقته ، من طلبة التعليم الاصلي ، قليلون جدا ، ونادرون ، والذين كانوا منهم من تلامذة التعليم الاجنبي ، يفهمونه على ظاهره كانوا نزرا . وهذه الكرة هي التي اصيب شطرها العربي مع مرور الايام بمركب نقص . وشطرها الآخر بمركب التعالي .

والزمن الذي يمكن ان نحدد به بداية وضوح هذا الصراع النفسي ، انما يبدأ بحركة يناير 1944 بعد ما تشجع الشعب على التعبير عن شعوره بضرورة المطالبة بالاستقلال .

وكانت حركة الاستقلال مشبعة من أول يومها بالروح القومية وبالدفاع عن لغة البلاد ، وبالتنديد بالمستعمرين الذين يجعلون هذه اللغة ومعاهدها عن عمد ، دائما في المؤخرة ، وانتفضت نفسية المثقف بالعربية تحت عامل هذا التشجيع المعنوي ، وشرعت تنتعش لتبدأ في تغيير تقييمها لنفسها ولثقافتها ، وكان مشعل هذه الانتفاضات ، ومنتدى هذه الحركة ، هو بناية جامع القرويين ، حيث كانت تعقد حلقات التعليم الاصلي ، وكان الاستعمار ينكل بهؤلاء ، ويطوق منتديانهم بالدبابات والجيوش ، ويرميهم من تحت ابواب المسجد الضخمة برصاص الرشاشات والبنادق الثقيلة .

وليس معنى هذا ، ان الذين تعلموا بالفرنسية او الاسبانية لم يشاركوا يومئذ ، كلا ! وانما الذين كانوا يظهرون على مسرح الاحداث في قيادة هذه المعارك ، والذين كانت فرنسا ترتعب منهم ، هم بالذات ، المثقفون بالعربية ، وليس معنى ذلك ، ان احد فريقي الصراع لا يشتمل من بين افراده ، على بعض افراد من الفريق الآخر ، فقد تجد بين المثقفين بالفرنسية او الاسبانية ، من غلبت عليه نشأته الاولى ، فانضم الى فريق المتعلمين بالعربية ، وربما وجدت العكس لدى الفريق الآخر ، وبتضح نوع هذا الصراع الثقافي ، في كل مناحي المجتمع المغربي ، تجد له صورا في الاسرة الواحدة ، وفي الحزب السياسي الواحد ، ويتخذ له تصرفات في الافكار السياسية ، والوضعية الاجتماعية ، تنزع في رسم اتجاه معين ، يختلف عن تصرفات الآخرين في مجالات الحياة المغربية. ولكن الاحداث لم تكن تسيغ ظهوره يومئذ للعيان ، فالاستعمار ــ مهما يكن من خلاف ــ عدو للجميع ، ونقطة تتحد عندها كل الآراء المتنافرة ، وعلى الاستعمار قبل كل شيء آخر تتجمع القوى المتشتتة ، ويشتد تماسك هذه الوحدة الوطنية ، في فترة المقاومة المسلحة ، وان كانت هي الاخرى لم تخل من تصرفات

---

* تابع لما نشر بالعدد السادس

وبقول جبران :

ليس فى الغاب راع لا ولا فيها القطيع
ليس فى الغاب حزن لا ولا فيها الهموم
ليس فى الغاب موت لا ولا فيها القبور

* * *

والشابي ، لمجموع ظروفه التي مرت بنا ، يحاول ان يهرب الى الغاب ، ولنستمع اليه يقول (*)

فى الغاب سحر رائع متجدر
باق على الايام والاعوام

* * *

فى الغاب فى تلك المخاوف والربى
وعلى التلاع الخضر والاجام

كم من مشاعر حلوة مجهولة
سكرى ومن فكر ومن اوهام

فى الغاب فى الغاب الحبيب وانه
حرم الطبيعة والجمال السامي

طهرت فى نار الجمال مشاعري
ولقيت فى دنيا الخيال سلامي

ونسيت دنيا الناس فهي سخافة
سكرى من الاوهام والاثام

والى الغاب يسوق الشابي شياهه حيث الاعشاب والازهار قد رواها الطل وغدتها الاضواء وحيث تستطيع ان تربض تحت الظلال بعيدة عن الثعالب والذئاب ، وتجتر فى صمت وهدوء مصغية لاناشيد النحل العذاب :

واذا جئنا الى الغاب وغطانا الشجر
فاقطفي ما شئت من عشب وزهر وثمر
ارضعته الشمس بالضوء وغذاه القمر
وارتوى من قطرات الطل فى وقت السحر

* * *

ان فى الغاب ازاهير واعشابا عذاب
ينشد النحل حواليها اهازيجا طراب
لم تدنس عطرها الطاهر انفاس الذئاب
لا ولا طاف بها الثعلب فى بعض الصحاب(*)

والحقيقة ان الشابي فى هربه للغاب ليس متاثرا بالادب المهجري فحسب وانما هو واصف لطبيعة بلاده التي شغف بها واحبها، وغريب ان يزعم بعض الباحثين من مواطنيه انه نقل نفسه (الى الحياة الغربية التي لم يعرفها ولم يقع بصره على الوانها فالغاب والضباب والراعي النافخ فى نايه والثلج كلها امور لم يعرفها الشابي ولم يعش فى دائرتها) (*) .

فاذا كان الشابي قد ولد فى الشابية ونشا فى قفصه ، وهي كلها تقع فى جنوب البلاد التونسية الذى لم يكن يعرف من هذه الاشياء، بحكم مناخه الصحراوى غير الراعي الذي يسوق خرافه نحو الواحات ، فانه قد اقام شمالا فى العاصمة مدة دراسته وبعدها . وخرج الى ضواحيها ، وجال فى غيرها من المناطق التي لم تكن هذه الاشياء غريبة عنها ، وقد تحدث الشابي فى قطعة نثرية جميلة عن ضواحي تونس العاصمة فقال : (اما ذهبتم ايها السادة فى يوم من ايام الربيع الحالمة الى بعض ضواحي المدينة حيث البرية المهتزة الناضرة والغاب الموفق الجميل ؟ اما رايتم ذلك البلبل الانيق المتنقل بين الفصون المورقة بترنم باغاريده الرقيقة الشجية ؟ اما ابصرتم تلك القبرة المتخطرة بين مخاوف الاشجار وحول مسارب الحقول تتغنى بتلك الاناشيد العذاب الطاهرة) (*)

— يتبع —

باريس : عباس الجراري

---

* قصيدة « الغاب » ص 188 .
* قصيدة « من اغاني الرعاة » ص 152 .
* من كلام الشيخ محمد الفاضل بن عاشور نقلا عن كتاب « الشابي » للدكتور فروخ ص 125 .
* انظر القطعة كاملة فى كتاب « كفاح الشابي » لكروص ص 88 .

واذا كانت الغاية فى انتهاج اللغة الاجنبيــة ــ او الـ ـة فى فحواها ــ هو اللحاق بالركب الحضــاري ، و لا حضارة لثقافة لا تستمد مــن شلالي التــراث و ـكار ، واللغة الاجنبية لن تــؤدي بنــا الى تلــك ا بطبيعة تكويننا الاجتماعي ، وانما اللغة القوميــة ـها هي القادرة على الحاقنــا بالركب الحضاري ، و ـى لو لم تكن اللغة العربية بالنسبة لنا احد شلالي الـ ـافة ، لكان يجب ان تصبح لغتنا فى المغرب الحديث، با ـبارها القاسم المشترك الاعظم الذي يوحــد شمال المغرب بجنوبه ، بعد الاستقلال

ولكن ، ان اللغة العربية توقفت عن التطور ، رغم ارادة شعوبها ، وان القرون التي قضاها رجل اوربــا المريض والدول المحتلة الاخرى التي اعقبته فى محلتنا، اخرت تقدمنا ، وبثت التواكل فى نفوسنا ، وعاقت لغتنا عن الحركة، بيد ان ذلك لن يكون سببا فى ان يستمر المتخاذلون فينا والنواحون ، ولقد سبق ان وجد فى شعوبنا مــن دعا فيها الى اللغة العامية فلم يفلح ، ومن دعا فيها الى لغة اجنبية فلم ننتج ، وعلينا اليوم ان نستفيد مــن التجربة بان نحاول ما لم يحاوله الآخرون ، وان هــذه المحاولة المنتظرة ، انما موضوعها شكلا ، التقدم بلغتنــا في نطاق الاشتقــاق والنحت والتعريب والترجمــة ، وموضوعها مضمونا ، العناية بالكتاب المدرسي .

حدثني الاستاذ احمد الاخضر مدير معهد التعريب انه عقد مقارنة معجمية بين الكتاب المدرسي للابتدائى الاول المتداول فى مدارس فرنسا ، واسبانيا ، والمانيــا، وانكلترا ، وبين نظيره فى العربية عندنا بالمغرب ، فالفى اطفالنا يعلمون مدركات هى نصف ما يتعلمه الطفــل الاوروبي ، حيث ان هذا يقدم له فى اول سنة دراسيــة الف وخمسمائة كلمة ، بينمــا لا نقدم لاطفالنــا منها ، سوى سبعمائة كلمــة ، ولو شبهنــا مراحل التعليــم فى بنائها بهرم مقلوب الشكل ، لتمكــن تصورنا مــن تقدير ما عساها تكون عليه آفاق تلميذنا ، بعد ان يصبح طالبا فى الجامعة المغربية ، وكيفما كانت الاسباب الباعثة على هذا النقص فى كتابنا المدرسي فانه لــو كان لنــا فى المغرب هيئة للتأليف المدرسي ، على غرار اللجنــة الـ ـي افتصرت عليها هذه المسؤولية الوطنية فى فرنسا ـ لا سنة 1880 لاستطعنا ان نتغلب علــى أي اسباب ـ ـرى محتملــة .

وان معهد التعريب ، فى رأيي ، اعظم مشروع تقدمي ـ ـة العربية فى تاريخها الحديث ، ولكي يكــون جهــازا نافعا فى خدمة الثقافة العربيــة الحديثــة بالمغــرب ، يحســن بنا ان نـنيط به كل ما من شأن التربية الوطنية وتعريب الادارة ان يفتقرا اليه ، والا نحاول اشغالــه عن المسؤوليات المحلية باشياء قــد يوجــد فى ارض العربية المتسعــة ، من يتكفل بالنهوض بها .

اننا ننحدر من ثقافة عربية شئنا ام ابينا ، واننا من احدث الدول العربية استقلالا ، ومن اكثرهــــا امكانيات فى الاقتصاد والجغرافيــة والسكــان ، وان الجزائر الحرة المستقلــة ، لتتشوق الى منجزاتنــا فى ميدان التربية الوطنية ، والتعريب الاداري اكثر ممــا تتشوق الى غيرنا ، بحكم الجوار والتاريــخ المشترك فى الماضى والحاضر ، ولنسبة امكاناتنا ، واننا اليــوم لنشعر بمسؤولية مضاعفــة اكثر من اي وقت مضى ، وان العناية بالكتاب المدرسي فى مستوى هيئــة عليا سوف تؤدي الى الاستفادة الجدية منه ، فى منهجية التعليم برمته ، وصوغه فى قالب موحد من اول سنة دراسية الى آخــر سنــة جامعيــة .

وسوف ييسر يومئذ فى حكم العادي وجود جامعة مغربية مثالية ، لا تنعت بالحداثة ولا بالاصالة ، يجوز ان تحمل اسم محمد الخامس او اسم القروييــــن ، تنشأ فى الرباط او فى فاس او فى مراكش او تطوان ، او فيها جميعا استقبالا، وفى غيرها من مدن المغــرب الكبــرى ، فى متناولها ان تشتمل على كلية للشريعــة كما فى امكانها ان تشتمل على كلية للطب ، ولن يكون هنالك نشــاز على الاطلاق .

ولكن هل ننتظر ان يستقر التعليم ويعم التعريب فى بلاد لما تستقر فيها وزارة التربية الوطنية على حال ؟ فى وقت كان ينبغي ان تكون اقوى كراسي الحكومــة وادقها منهجا ووضوحا ، ولكن ان جيلنا نحن شبــاب هذه الامة ، ما يزال غير قــادر بدوره ، على شكــــل اجهزتها الثقافية ومحتوياتها ، ومن المسلــم بــه ان الشباب فى اي جيل ، هم عماد مستقبل الثقافة فيه ، ولا نزاع فى ان ما ظفرنا به من مؤهلات الثقافــة حتــى اليوم ، لايبعث على الامــل فى ان مستقبل مجتمعنــا الثقافى كفيل بتحقيق الطمانينة للمغرب .

والامر ، فى غير مراء ، انمــا هــو متوقف علــى مدى استخدام الصرامة الجادة ، فى اقرار الشكـــل القومي لمحتويات اجهزتهــا الثقافية .

تنم عن بعض الخلاف في اوجه النظر ، ولكنه خلاف بسيط جدا ، لا يكاد الامل القوي في القضاء على المحتل ، ان يترك لذلك الخلاف متسعا للظهور .

ولا اريد ان انعرض لمختلف اوجه النظر الى السياسة العامة ، التي كان ينبغي ان تسير عليها البلاد بعدما جاء الاستقلال . فهذا شيء لا يتضح لي بقدر يسمح لي بان افسره ، او ادخل في تفاصيله ، انما الذي احياه عن كثب هو اختلاف وجهات النظر ، فيما يتصل بالعربية والفرنسية ، باعتبارهما لغتين اثنتين في هذه البلاد .

الفرنسية لغة الادارة ، لان اطر الدولة وضعت اساسا بالفرنسية ، ولان المستخدمين ، منهم كثيرون جدا ممن هم اجانب موظفون . وظروف اعلاننا للاستقلال لاتساعد على طرد هؤلاء او اقالتهم ، او الاستغناء عنهم لاننا فقيرون فعلا في الكمية الصالحة للادارة من المغاربة . واذا ، فبقاء المستخدمين الاجانب كمرؤسين في مختلف الوزارات والمصالح ، امر نحتمه طبيعة امكاناتنا ، ولكي تسير الشؤون الادارية في وفاق لم يكن منطقيا ان يوظف في الادارات من لايعرف الفرنسية ، لانه لن يفيد مطلقا في مهمته ، بسبب ان التقارير التي تكتب او التصميمات التي توضع كلها وكل ما يتعلق بمصالح الادارة ، يكتب بالفرنسية ، بناء على ان كثرة عديدة من موظفي الادارات فرنسيون . ونحن فيحاجة اليهم كموظفين ، وهم لا يعرفون شيئا عن العربية ، واذا ، اذا كنا في حاجة اليهم وهملايعرفون لغة البلاد ، فيتعين في رأي المسئولين ان نستعمل نحن لغتهم ليفهمونا وبالتالى لنستفيد من خدماتهم ، وهذا الاجراء الذي كانت تفرضه الظروف ، يعني ان من ليس متعلما بالفرنسية ، ليس له مكان في الادارة ، واذا اتيح له هذا المكان فانما في اطارات دنيا ، او متوسطة تلي الدنيا . واذا فمن طبيعة ظروفنا ان يشغل وظائف الاطار العام المتعلمون بالفرنسية ، حتى ولو لم يكونوا في ثقافتهم يعرفون اكثر من القراءة بالفرنسية ، وهذا يؤدي بالنهاية ، الى عدم الحاجة الى خدمات المتعلمين بالعربية الا فيما سبق ان كانوا يشغلونه ، قبل الاستقلال او ما يشابهه فيما بعد الاستقلال .

وعندما ادرك المتعلم بالفرنسية بانه هو من يتقلد مناصب البلاد في عهد الاستقلال كالشان به في عهد ما قبل الاستقلال ازداد ما يعانيه من مركب التعالي تمكنا من نفسيته ، وكان الفريق الآخر قد شرع يقيم نفسه منذ حركة يناير 1944 ، كما انه اخذ بضرب امثلة مجسمة لقدرته في اشخاص معروفين من طبقته ، فتكون لديه شعور بالتعالي هو الآخر ، لا سيما بعد الاستقلال ، وبذلك تتهيأ عوامل الصراع الثقافي لتبرزه على أشده .

ففي فترة ما قبل الاستقلال ، لم يتعد هذا الصراع مرحلة الاحتدام ، ذلك ان المنتديات والمدارس والتجمعات التي تعمل عادة على ابراز مظاهر الصراع الثقافي ، او تحول دون وجوده اساسا ، لم يكن مسموحا بها قبل التحرر من الاستعمار ، فلما انشئت الجامعة المغربية بعد الاستقلال بدا ذلك الاحتدام يتبلور في صراع ثقافي ، طرفا موضوعه الثقافة الحديثة ، واللغة العربية ، وهو صراع ما فتيء حتى اليوم ، ينمو ، ويشتد خطره على حياة الاستقرار . تعكسه وسائل الاعلام التي في بلادنا ، بجميع حيثياته الاجتماعية والسياسية والثقافية منها ودون معاناة جهد من الذي يرغب الى التعريف بثقافتنا من خلال هذا الصراع ، وفي متناول حواس الفهم لديه ان يقول : اننا اذا لم يلفينا شرقيين في ثقافتنا ، ولا غربيين ، فلكوننا ما برحنا نبحث عما يلائم موقفنا الحضاري ، من ثقافات الغرب والشرق ، ولكن ، اما آن الاوان بعد ، كيما نحدد موقفنا من هذه الثقافات ؟ لقد مضى على تحررنا السياسي ست سنوات استطعنا خلالها ان نحقق منجزات عزيزة علينا ، ولكن ، اين منها محتوانا الثقافي ؟ .

ان فريقا من الزملاء خريجي الجامعات الاوروبية قد يذهب بان من ورد من غيرها ، انما هو ترك رأس العين ليغترف من جداولها ، وفي اعتقاد هذا الفريق ان اللغة العربية ، بما آلت اليه ، قد تخلفت عن الركب الحضاري ، فاضحت مصطلحاتها الفكرية ثابتة ، بيد ان الحضارة متطورة وتتطلب مصطلحات متحركة .

وان هذه الحقيقة لاتتعارض وما تدين به طائفة المثقفين بالعربية وخريجي جامعات الشرق العربي ، من ان اللغة العربية هي وحدها اللغة القادرة على الحاقنا بالركب الحضاري ، ذلك ان الحضارة في مفهومها الواسع ، انما هي اشعاعات للثقافة ، التي تعود في شكلها الخارجي الى لغة ، والثقافة لايست حضارة ، انما هي عبارة عن نهل مستمر من شلالين اثنين هما التراث والابتكار .

البند شعر عربي أصيل

للاستاذ
محمد رضى شرف الدين

مدخل لغوي : البند : بفتح الباء وسكون النون ، كلمة لها عدة معان ، منها البحيرة ، والعلم الكبير ، والفصل من الكتاب او الفقرة ، والقيد ، والحيلة ، فاذا قيل فلان كثير البنود : فيعني انه كثير الحيل ، ومنها القول العراقي فى اللهجة الدارجة (ضربت فلانا بندا) يعني اوقعته بحيلة ، والجمع : بنود .

والبند كلمة معربة ، اصلها فارسي نقلت الى العربية مع كل معانيها — فى اغلب الظن — ومن معانيها بالفارسية : الاغلاق ، فاذا قيل بالفارسية (دربند) يعني : الباب المغلق ، او (دربيند) يعني : اغلق الباب ، واستعمل بالعربية لكل ما يمت الى الغلق واحكامه بصلة .

والبند : ضرب من ضروب الادب العربي ، سمي (بندا) لانه ينظم فصولا يغلق كل فصل منها بقافية (را) .

تعريف البند : والبند فى المعنى الاخير هو موضوع بحثي هذا . وهو نوع من الادب العربي ، لا يعرف عنه وطننا العربي فى المغرب قليلا ولا كثيرا ، ولا يعرف عنه وطننا العربي فى المشرق شيئا كذلك ، الا العراق مبتكر البند وصاحبه ، اللهم الا نزر قليل من مؤرخي الادب فى غير العراق ترامى اليهم خبره .

والبند كلام موزون التزم بحر الهزج غالبا ، وهو متحرر من القافية الا ما جاء منها جاريا من غير عناء ، يكتب البند كما يكتب النثر : سطرا بعد سطر ، من غير عجز ولا صدر ، والقافية فيه غير مشروطة الا فى آخر الفصل ، واكثر ما ورد راء ملحقة بالف على هذه الصورة (را) والفصل قد يطول فيبلغ العشرة اسطر وقد يقصر حتى السطرين ، يتحكم الموضوع بطوله وبقصره .

وقد ينقص البند عن وزن الهزج بسبب واحد او باكثر، ووتد واحد أو بأكثر ، وقد يزيد بهما عن الوزن كذلك .

متى ولد البند ؟ فى غضون الثلاثمائة سنة الماضية من حسابنا الهجري ولد البند فى العراق ، على ضفاف الفرات الاوسط ودجلة فى النجف والحلة وبغداد ، وصعد حتى بلغ الموصل ، وسار مع المجرى حتى بلغ البصرة ومثلما وقف على مشارق سوريا غربا ، وقف عند ملتقى النهرين فى شط العرب شرقا ، فلم يتجاوز ذلك لا الى جنوب ولا الى الشمال .

كانت ولادته فى دور انحطاط وخمول ، يوم كان الوطن العربي فى المشرق يتخبط فى ظلمات فوقها ظلمات ، ظلمات من الجهل فوقها ظلمات من الحكم العثماني باعث هذا الجهل ، وسبب اسبابه .

وكان فى العراق متأدبون ، ومن الطبيعي ان يكون لهؤلاء خلجات وكان لابد للخلجات من تعبير ، وللتعبير من اداة ، وكانوا يملكون منها ما يقصر بهم عن بلوغ مثلهم الادبي الاعلى الذي تحتفظ به دواوين اسلافهم ، فان الذي يملكونه متواضع تتقطع به الانفاس لهثا فى السفح دون القمة ، على ان اغراضهم الادبية الرئيسية يومذاك ثلاثة مدح وهجاء ورثاء ، فاذا تجاوزتها فالى الاخوانيات .

وكانوا ينظمون هذه المواضيع على جميع البحور العروضية ، فيكون منها شعر ، تتعاصى عليه القوافي،

اما حكاية رأس العين وجداولها تلك التي تدين بها طائفة من زملائنا المثقفين ، فليس يعمل على تأكيد وهميتها سوى الرغبة السليمة فى مباشرة تجربتها ، ولو قدر بيننا للصرامة الجادة فى اقرار الشكل القومي لثقافتنا ، ان تاخذ طريقها صوب مدرستنا وادارتنا ، لقويت فينا ارادة جلب ذوي الخبرة من المثقفين بالعربية للاستفادة منهم فى تعريب الادارة ومناهج المدرسة .

وعندئذ لقدر المتوهمون معاينة بان للعربية كفاءات تضاهي فى كثير من الاحيان كفاءات اللغات الاخرى ، ولكنا بذلك نعمل لماهية الشخصية القومية ، شكلها ومضمونها .

ويومئذ تمسي مركبات التعالي والنقص المتفشية معنا ، فى سجل تاريخ تمكن المغاربة من القضاء عليه فى مظاهرهم ونفسيتهم ، يوم يعرض مستقبل تاريخنا للثقافة المغربية بين اجيال المستقبل .

ان تضحية جيل محمد الخامس كانت فى سبيل ان نرفع رؤوسنا ، ونتحدث بملء ارادتنا عن انفسنا ، بمنحى من ظل الكابوس الاسود الذي كان يخنق انفاسنا ، ويقيد حركاتنا ومن نتائج تلك التضحية مثلا الفاء الظهير البربري الذي فى اثره انبثق تكتلنا الوطني ضد المستعمرين ، وذلك مجهود سياسي . وتمهيد فى الوقت نفسه لتضحية مرتقبة من جيل الحسن الثاني ــ وفقه الله ــ فى سبيل توطيد ما يهدف اليه الغاء الظهير البربري ، وهو اقرار شكل الثقافة القومية ، وتعميم التعريب داخل الحواضر والبوادي .

الرباط : جعفر الكتاني



التجربة الاولى :

فالق الذرة :

(بمناسبة انعقاد مؤتمر الوزراء الكبار فى جنيف لتحريم الذرة)

الا يا فالق الذرة من علمك الاعجاز
ومن قد فتق الفكرة عن آيات ايجاز
باطناب من التفجير لم يخطىء بتعبير
له فى العالم الارحب صولات وجولات
بعيد الضب للمجحر
يرى فى عالم الانسان ، ما مجحره افضل
وما فى ذيله المشهور ، ما تعقيده اشكل
وما كان للمغرور فى عالمه الاجمل
طماحا حط فى التحليق من عال الى اسفل
فجحر الضب للانسان من عالمه آمن
فلا قلق بحيل العمر — قضما — قطعة قطعة
فينظلمها سفودا فوق نار اليأس والامل
— وذلك أفظع التعذيب —
ولا خوف من الغارات فى الاجواء
تنقض بلا انذار
تشيع الرعب فى الافكار
والادواء فى الاعمار
ولا تمييز ...
فكل الناس ، قيد القتل والترويع والتجويع
قيد المرض الاخطر
تجاريب اذا نجحت
لها السرير قد صفق
فما احمق ، ما اصفق
ويا خسر النجاحات تغلف بالمناحات
تجاريب ... تجاريب ...
تلوث افقنا الاطهر
فذرات تنادى الموت
ان ياتي على مهل ...
الى شيخ
الى طفل
الى امراة
الى رجل
يدب .. فيترك الاجسام
... فى شلل ...
الى الموت على مهل ...
اداء واحدا كانا .
وياليت ...
اذن هانا .

التجربة الثانية :

وحش الاحتكارات :

الا يا شعبي الطيب
عمالا وصناعا
وفلاحا وزراعا
سعيت لعيشك الافضل
يا اعزل ...
وحولك غابة تدعى
حضارة عصرنا الذري
لقد ابدعها وحش
وقالوا عنه انسانا ...
اقص عليك قصته ...
اذن فاسمع :
فظيع كل ما فى الغاب
وهو بما ابى افظع
فما فى الغاب من ذئب ولا ضبع ...
ولا من حية تسعى
كانسان الحضارات التي تدعى
حضارات ...
طباع الوحش فى انسانها اطبع
فضبع الغاب قد يشبع
وذئب الغاب قد يشبع
وافعى الغاب قد تلسع .. ولا تلسع ...
وانسان الحضارات
فلا يشبع
ويلسع ثم يلسع ثم يلسع
وشاء صيد ذئب الغاب
اذ يطمع
وبعض الشاء
اذ يشبع يقنع
وانسان الحضارات
فلا يقنع ...
ولن يقنع

وتتنكر لها الاوزان ، وكانوا من الادراك : حيث لا يخفى عليهم ذلك ، فقالوا : لابد لنا من الرضوخ اذا تعاصى علينا الشموخ ، ولابد من التفكير بالتغيير فى طرق التعبير بما تيسر ، نعوض به عما تعسر ، الواقع يدفعنا الى الاقرار بالعجز ، والحاجة تدفع بنا الى الاستمرار بالتجربة حتى النجاح .

وقالوا : اسلوب سهل غني بالجرس والنغم ، يعوض عن عمق التفكير وسمو الاسلوب ، وسنحمد (الهزج) اذا اخترناه للاخذ بايدينا ... وكان الهزج من الاوزان هو المختار .

وقالوا : الهزج شعر، ولابد للشعر من قافية ، والقافية تقتضي ثروة من الالفاظ لثروة من معاني ، يصرفها ترف فى الذوق ، وتمرس بالترف يتخير اللفظ المترف للمعنى المترف .. قالوا : واذن فليكن شعرا بلا قافية ، ولكن الادب يقول : لابد للشعر من قافية، وكلام لا قافية له ليس بشعر وان كان موزونا ...

وانفرجت الازمة عن اتفاق فى مصطلح جديد يطلقونه على هذا النوع الجديد من الادب فوضعوا اسم (البند) لكلام موزون متحرر من القافية ، ولاجل ان يؤكدوا كون البند ليس بشعر ، كتبوه كما يكتبون النثر ، سطرا بعد سطرا ، من غير عجز ولا صدر .

لماذا مات البند : لقد كان ازدهار البند سببا لموته ، فان ازدهاره كان نتيجة لتدرج الادب فى الصعود الى مراتبه ، وحصيلة لسعة الثقافة الادبية وعمق التفكير ، والادب عند بلوغه الكمال فى نفوس الادباء لابد ان يعود بهم الى عمود نسبه ، فعاد الشعر بشعرائه الى اوزانه وقوافيه الاصيلة ولم يكن امس ــ كما لم يكن الشعر الحر اليوم ــ الا اداة لمتأدبين لستر عجزهم ونقصهم .

ازدهر البند خلال القرن الماضي ، وفى اوائل القرن الحالي ازداد ازدهارا ، فى حين اخذ الادب العربي فى كل ضروبه وفى مقدمتها الشعر بالنهوض ، فكان البند كلما تقدم الشعر خطوة تأخر خطوات حتى تخلف ، وحتى احتل من الرفوف ومن الاصفاط مكانا منسيا ... فنسي .

وبعد ان اشبع هجرانا ونسيانا ذكره اديب وفي لادبه ، هو السيد عبد الكريم الدجيلي مفتش اللغة العربية فى وزارة المعارف العراقية ، فاشتد يبحث عنه فى الموصل والبصرة وبغداد والنجف والحلة حتى جمع شمل ما عثر عليه فى كتاب اسماه (البند فى الادب العربي) ، بعث فيه ادبا عربيا عراقيا كاد ان ينسى .

البند شعر حر : من تعريفنا البند المتقدم بانه متحرر من القافية يلتزم وزن الهزج التزاما فيه الشيء الكثير من التساهل بخروجه عنه فى (سبب واكثر ، ووتد واكثر) ، من ذلك نعلم انه اول شعر حر ظهر فى الادب العربي ، وهو فيما وصفنا حر اكثر حرية من الشعر الحر الذي عرفه ادب ناشئتنا العربية فى الآونة الاخيرة . انه اكثر حرية من ناحية مهمة جدا بنظر (الثوريين) من متأدبينا ... الذين يودون التحرر من الوزن والقافية معا .

ان الشعر الحر الذي ينظمه الشعراء والشاعرات المتمكنون من اللغة والادب لا يعرف هذه الجرأة فى التحرر التي يعرفها (البند) . فالشعر الحر الاصيل وان لم يلتزم بعدد التفاعيل فى الشطر الواحد ، الا انه التزم بالوزن الواحد فى القصيدة الواحدة ، فلم يجرأ على نقص ولا زيادة فيه ، وكذلك جاءت أو كثيرا ما جاءت شطوره وسطوره ذات قافية واحدة .

فالبند فيه للتطور قابليات اكثر من الشعر الحر اذا ما بعث بعثا جديدا يتلاءم مع واقعنا ويخدم جميع اغراضنا واهدافنا ، وبذلك نكون قد اضفنا ثروة ادبية عربية جديدة غنية بكل عناصر النجاح ، التي تقتضيها الخدمة المخلصة ــ فيما احسب ــ ولنجرب :

وهذه تجربتان فى موضوعين من مواضيعنا الحاضرة سنرى مدى نجاح هذه التجربة فيهما ، ولتطوير البند كتبتهما كما يكتب الشعر الحر ، ولم التزم بقفل الفصل بقافية (را) كما هو المعتاد :

وسائل الثقافة المغربية

للاستاذ
عبد الله الكامل الكتاني

لعله من المفيد ـ ونحن نبحث فى جوانب من الثقافة المغربية ـ الا نسلك فى هذه المرة سبيل التحليل السلبي . تلك التي نفتضينا اذا ما بحثنا عن واقع للثقافة المغربية ان نقرر ان هذا الواقع بئيس جامد غامض ، واذا ما بحثنا عن وجهة لهذه الثقافة الا نرى لها وجها ذا خصائص ومبزات ومعالم واضحة، ذلك لان سبيل التحليل الايجابى لموضوع « وسائل الثقافة المغربية » ـ فيما يبدو ـ اكثر غناء واعم فائدة.

وسائل الثقافة فى بلد كبلادنا ينبغي لها ان تكون كثيرة ومتعددة ، بحيث لا تقتصر على الوسائل الثقافية المعروفة عند غيرنا من الامم ، وانما ينبغى لها ان تسعى الى ابعد هذه الوسائل الانسانية المعروفة ، وتضيف اليها وسائل قومية خاصة ، موجهة توجيها سليما نحو الثقافة السليمة .

واذا كانت الغالبية العظمى من الناس فى مختلف الامم اليوم قد امنت بفضيلة التوجيه وضرورته فى سائر الميادين الحياتية اليومية من اقتصادية واجتماعية وسياسية وغيرها من الميادين ، فان على المثقف المغربي ـ فيما اعتقد ـ ان يومن كذلك بفضيلة التوجيه وضرورته فى ميدان الثقافة على الخصوص .

ووسائل الثقافة فى الاصل ، ذات منشأ قومي لا تلبث ان تتدرج فى النمو والتطور والتقدم لتصبح فى النهاية وسائل انسانية خالصة يستفيد من خيرها الجميع .. ولقد كانت وسائل الثقافة العربية والثقافة المغربية من ضمنها ـ فى يوم من الايام وسائل انسانية ، استفاد منها الناس جميعا فى كل مكان ، وترجموا عنها ، ونقلوا منها ، وافادوا بها ..

فاذا كان الناس من قبل ـ قد نقلوا عنا واستفادوا منا، فليس بضائرنا اليوم فى شىء ان ننقل ونترجم ونقتبس ونفيد منهم كما نقلوا ، وترجموا ، واقتبسوا ، وافادوا ..

فما هي الوسائل الثقافية الانسانية التي يمكن ان تفيدنا وتنفعنا فى ظروفنا الحاضرة ؟

يمكننا ان نذكرها هاهنا على سبيل المثال لا الحصر ، وهي :

- الكتاب اولا
- والمدرسة ثانيا
- والجمعيات الادبية والنوادي الرياضية ثالثا
- وقاعات العرض السينمائي والمسرحي رابعا
- والاذاعة المرئية والمسموعة خامسا .

الكتاب : لا نتناول الكتاب هاهنا من زاوية فائدته ومزيته وصداقته للمثقف ، ففي نثر كاتب العربية ابي عثمان الجاحظ ، وفى شعر شاعر العربية ابي الطيب المتنبي كل الغناء ..

الكتاب وسيلة من وسائل الثقافة الهامة التي تعاني ازمة الاهمال من المثقف المغربي، سواء كان مطالعا (قارئا) ام مؤلفا (كاتبا) ، اذ على الكاتب تقع تبعة التأليف الجيد والانتاج المتعدد الغزير ، الزاخر بالفوائد وباساليب « تجميع » القراء و « جذبهم » نحو الكتاب ، ومن المعلوم ان هنالك تقابلا نسبيا بين الجودة والكثرة : اذ لابد ـ على الغالب ـ من ان نجد فى التأليف الكثير شيئا من الجودة ، ولابد من ان تؤدي الجودة بالتالي الى الكثرة .. والاثنان نادران فى مغربنا الحبيب ، فليسمعها وليرعها كل من يمسك القلم بين يديه .

فاقطار ، وابحار ، واجواء
بما فيهن من نفس
ومن زرع ومن غرس
وانواع الجمادات لانواع الصناعات
.. ولا يشبع
.. ولا يقنع
ويشرب .. ثم لا يروى
وينضب كل ذي منبع
بما فيه دم الحيوان
من اقوات زراع
ومن اتعاب صناع ..
ولا يروى
وليس يعي لهم شكوى
فهم في غمرة البلوى
لهم من سيد المصنع
لهم من سيد الارض
بما يفرضه مقنع
وما المقنع ..
ومن ايديهمو فاضت
مبرات وخيرات
ومن اتعابهم سالت
على الماخور (ليرات)
ومن اعصابهم ثارت
صناعات صناعات
فللتدمير آلات
وللاحـــــرار ...
اذلال وارهاق واعنات
وثمة سيد المصنع
ولا مقنع ...
يرى الدنيا له .. طويلا بلا عرض
ولا تحوير بالتسليف ..
او تبديل بالقرض ،
.. ووعد برقه خلب
.. وقول كل زور
فوحش الاحتكارات
فظبع الادعاءات
خطير الاتجاهات .

بغداد سنة 1959



قاعات العرض السينمائي والمسرحي : وهي من القاعات التي يقبل عليها الجمهور المغربي اقبالا منقطع النظير ، ولكنه لا يفيد منها الا النزر اليسير ، فاذا ما اخذنا بعين الاعتبار قصر فترة ما بعد الاستقلال معتبرين ان قصرها مانع من حدوث نهضة في هذا الميدان ، فانه ليس هنالك من امارات تدل على محاولة تطوير السينما المغربية وتوجيهها .

السينما وسيلة حية من وسائل الثقافة الشعبية وسبيل هام من سبل انقاذ الجماهير وتوجيهها التوجيه الصحيح ، ولكنها مهملة الى حد بعيد .

وما نرى في قاعات عرضنا السينمائية الا الخلاعة والمجون ، في لغة بعيدة عنا او في لغة (عربية) مقطعة جر منها العدم ، لما تدخله في روع جماهيرنا بان تلك « العامية » هي العربية الفصحى .

اما المسرح ، فليس لنا فيه — فيما اعتقد — من ارث اجنبي ثقيل ثقل ارثنا في الميادين الاخرى مما يجعل من السهل انشاء مسرح مغربي قويم ، وهنالك محاولات مسرحية مغربية ناشئة لم تؤت اكلها بعد ، وليس من اهدافها — في الوقت الحاضر على الاقل — ان تكون من بين وسائل الثقافة المغربية الهامة ، ولعلها تسعى الى « الفكاهة » و « النكتة » و « السلوة » و « الترفيه » اكثر مما تسعى الى الفن المسرحي الاصيل . ان هذه المحاولات على ما يخالطها من نقص في الوسائل والغايات هي محاولات مغربية على كل حال ، لا يسع الانسان الا ان يشجعها ، ويتمنى لها النجاح وحسن التوجيه .

الاذاعة المرئية والاذاعة المسموعة : اما الاذاعة المرئية فلا يزال الحديث عنها سابقا لاوانه لانها لم تولد بعد ، ولكنها — فيما يبدو — ستكون احسن حالا من السينما المغربية على كل حال للظروف السعيدة المحيطة بولادتها . .

واما الاذاعة المسموعة ، فليس من اختصاصنا ان نتولى برامجها بالنقد والتعقيب ، ولكن الحديث عنها كوسيلة من وسائل الثقافة المغربية ، قد يفيد موضوعنا هذا في قليل او كثير .

مهمة الاذاعة المغربية في ان تنقذ المثقفين من كل « كسل عقلي » قد يصيب احدهم نتيجة التواضع او عدم محبة الظهور ، كما ان من مهمتها ايضا اكتشاف العبقريات المخبوءة التي تضن بثقافتها على الجمهور : على الاذاعة انزال امثال هؤلاء من ابراجهم العاجية الى اسواق الشعب وانديته في احاديثهم واذاعياتهم وسائر ما ينتجون .

والاذاعة «الموجهة» — فوق هذا — خير زاد ثقافي يتلقاه الانسان المغربي عن طريق السماع بالدرجة الاولى ، وعن طريق المشاركة في الاحاديث الثقافية بالدرجة الثانية .

اما في الصعيد الشعبي او « الفني » — ان صح التعبير — فان عليها توجيه المفتنين والمغنين توجيها عربيا فنيا صحيحا ، ذلك لان آذان جماهير الشعب انما تنتظر من الاغنية ان تذاع مرة لتتلقفها منهم ، ناشرة لها في ابعد الآفاق بما فيها من خير او من شر ، ولا شك ان التوجيه الصحيح يفرض على الاذاعة ان تشجع المفتنين ، وتكشف عن المغمورين من ذوي الفن الاصيل .

× ×

تلك جوانب ولمحات خاصة ، عرضت لها من زاوية الثقافة الصرف ، معرضا عن النظر اليها من مختلف نواحيها وزواياها حصرا للموضوع ، ويوم يأخذ الجيل الصاعد على عاتقه النهوض بهذه الوسائل الثقافية المختلفة ، كل في ميدان تفوقه ونبوغه واختصاصه ، نرى ان هذه الوسائل ترتفع بنفسها — كما ارتفعت من قبل في التاريخ — من مرحلة القومية الى مرحلة الانسانية ، ويومها نسمع عن انتشار الكتاب المغربي في الشرق العربي ، وعن ترجمات للكتاب المغربي الى بعض لغات العالم ، كما نسمع يومها عن التعاون الثقافي المتبادل والمتساوي الاطراف بيننا وبين مختلف الامم ، في ميدان الثقافة والتربية والتعليم كما يتحدث الناس ايضا عن الطابع المميز لجمعياتنا الادبية ونوادينا الرياضية كجمعيات عالمية ذات نظام ممتاز ، ويومها تكون لنا مسرحيات عالمية نرفع بها الراس ، وتبادل اذاعي قوي على مختلف المستويات .

اما القارىء فانه اذا ما شكا قلة التاليف ورداءته، فان ذلك لا ينجيه من تحمل تبعاته تامة كاملة ثقيلة .. اذ القارىء مرشح لان يكون كاتبا ومؤلفا اذا ما قرأ الكتب و « تعددت » قراءته « للجيد » منها ، فاذا لم يكفه ـ في هذا الوقت ـ الكتاب المغربي ، فان بين يديه ـ من جهة ـ الكتاب العربي (وهو كثير جيد) والكتاب الاجنبي على اختلاف السنته ولغاته ـ من جهة اخرى ـ بهما يغذي ذوقه وينمي ثقافته ليسهم بنصيبه في الثقافة ، وعلى هذا ليس الكتاب رفيقا في الغربة فقط ، وانيسا في الوحدة فقط ، ولكنه مسؤولية وتبعة ، ووسيلة من وسائل الثقافة المغربية المعاصرة .

ذلك المؤلف ، وهذا القارىء ، اما الدولة فان عليها التوجيه ، توجيه المؤلف والقارىء ، ولا يكون التوجيه بحال من الاحوال بفرض موضوع معين على الكاتب او الزامه باتجاه معين ، ولا بفرض مطالعة انواع خاصة من الكتب على القارىء ، وانما يكون التوجيه بتشجيع المؤلفين على الاجادة الكثيرة في التأليف، وبتسهيل وسائل الطباعة والنشر وتحسينهما وجعلها رخيصة في متناول المؤلف والقارىء جميعا .

المدرســة : وللمدرسة علاقة وثيقة بالكتاب ، فيها يتصل المواطن بالثقافة ، وفيها يحبب اليه الكتاب او يكره اليه ، وتستطيع الدولة ـ وهي الساهرة على التربية والثقافة والتعليم ـ ان تقوم فيها بتادية قسط وافر من مسؤوليتها في توجيه الناشئة الى الكتاب وتحبيبه اليهم . وذلك باعداد الاطارات الصالحه من الاساتذة الاكفاء الذين يؤمنون بالكتاب كوسيلة من وسائل الثقافة ويعتقدون بفضيلة التوجيه .

المدرسة ميدان من ميادين التربية الصالحة للمثقف ، واساس متين من الاسس الثقافية العامة ، ووسيلة نافعة من وسائل التثقيف والتهذيب ، ومن المؤسف ان المدرسة المغربية في وضعها الحاضر لا تؤدي هذه المهمات كلها ، ولا تقوم بهذا الدور الخطير، ولا يمكنها ان تفعل ذلك ما دام التعليم فيها ـ في اساسه ـ بغير لغة اهل البلاد ، ليس معنى هذا ان نجهل اللغة الاجنبية ، ولكن معناه فقط وفقط ان نتعلم بلغتنا القومية اولا وقبل كل شيء .. ثم ، لنتعلم بعد ذلك ما نشاء من الاسماء واللغات .

والى ان تصبح لغتنا العربية اساسا في المدارس كما هي اساس اليوم في بعض كليات جامعتنا المغربية . نحب ان نوضح ان سبيل الافادة من المدارس كوسيلة من وسائل الثقافة ، يتوقف على اخلاص القائمين عليها ، وعلى حسن توجيههم للناشئة ، ويكون التوجيه بتجهيز هذه المدارس بقاعات البحث والمحاضرات وتدريب الطلبة على القيام بالقاء الدروس واعداد المحاضرات ، واصدار مجلات مدرسية دورية تكون خالصة لهم يتولون بانفسهم كتابة مقالاتها والتعليق عليها وتنظيمها وتحريرها ، ويكون لاساتذتهم عليهم فيها حق الاشراف والتوجيه .

اما في الجامعة فيشترك الاساتذة والطلاب جميعا في اعداد ندوات ادبية ، ويتبادلون الملاحظات العلمية ويتساجلون في ابحاث ومقالات ومناظرات ، تنشر على صفحات الجرائد والمجلات ليعم نفعها الجميع .

الجمعيــات الادبية والنوادي الرياضية : اننا نعيش في عصر يبحث عن الثقافة ، ولا يحيى فيه الا المثقفون ، ومن مظاهر ذلك ان الناس بعد فراغهم من العمل في المجتمع العام ، يأوون الى مجتمعات ومنتديات خاصة يرتادون ابوابها لاكتساب الوان جديدة من الثقافة مختلفة الطعم عن الثقافة العامة التي يعرفون . وقد يسعون في ذلك الى الجد كما يسعون الى الهزل . وقد يريدون من ذلك الادب والفن كما يريدون السياسة والاجتماع . وقد يقصدون من ذلك الى الرياضة كما يقصدون الى الراحة ، تلك الوان من الثقافة المترفة يسعى اليها الناس في كل زمان ومكان . ولعل الانسان المغربي اذا تفقدها او سعى اليها لم يكد يراها .

ان الانسان المغربي اذا حرمته ظروف الحياة من الاستمتاع بصحبة الكتاب ، واذا لم يسمح له الاستعمار يوما ان يتعلم في المدرسة ، فليس بامكاننا اليوم ونحن ـ مواطنيه الاحبة ـ ان نمعن في حرمانه من التمتع بوسائل اخرى من الثقافة يمكن ان يستفيد منها ، ويمكن ان يذوق فيها للثقافة طعما ، كما يمكن ان يجد فيها لذته وراحته وهناءه ، ذلك لان جمعياتنا الادبية ونوادينا الرياضية بما تبذله من نشاط ادبي وفني ورياضي كفيلة بان تقوم بواجبها في هذا الميدان خير قيام ، فعصر النوم قد مضى ، وجاء عصر الصحو والافاقة .

كتب كيف كان الناس جميعا يحبونه ويتحدثون عنه بفيض من الصداقة والود ..

وفى شهر مايو سنة 1956 أمر بالمشاركة بصفته مديرا لمدرسة فى احياء ذكرى احتلال الفرنسيين لمنطقة « فور ناسيونال » Fort National سنة 1870 ، لكن مولود اجاب علنا دون ان يتخلى عن بشاشته المعهودة بانه يرفض المشاركة كمدير وكجزائري فى احتفال يرمي الى اهانة اخوانه الجزائريين ، فاجيب علنا كذلك بانه ان لم يقبل المشاركة فى الاحتفال فسيكون بعد ايام جثة عفنة ملقاة فى خندق . وكان الرجل الذي هدده يملك السلطة الكافية لتنفيذ وعيده، لكن مولودا لم يتخل مطلقا عن تصميمه ، وكنت انا الذي دفعته الى ان يطلب الانتقال من مقر عمله الى مقر آخر كي يسلم من الخطر ...

* * *

وفى الجزائر كان مولود دائم الشكاة من بعده عن قبيلته على الرغم من الصداقة التي كنا نحيطه بها ، وحين غادرت الجزائر اثر الحادثة التي مات فيها ابني، لم يخف عنى قلقه . وكنا نتبادل الرسائل اسبوعيا فكتب الى مره يقول :

« أقول فى نفسي احيانا لقد كان عليك ان تبقى هنا معنا رغم كل شيء ، ان الجزائر تجعلني اشعر وكانها اصبحت مثل دار اخرج اهلوها الذين كانوا يستطيعون ادارتها بنية حسنة ، واحتلها اجانب خاسرون فحولوها الى منفى للتعذيب .

نعم انا احس اننا جميعا هاربون ، سلبيون ، سواء منا اولئك الذين هاجروا يائسين ، ام هؤلاء الذين ما زالوا مقيمين عاجزين ، واني لاسائل نفسي احيانا : من الذي يضع القوانين فى هذه البلاد يا ترى، اهم الفلاة المعصوبو العيون الذين عادوا من تونس والمغرب ؟ أم هم هؤلاء الذين انتسبوا الى الوطنية منذ عهد قصير ؟؟ حقا انه لالم مبرح ...

اي صديقي ؟ أنا لا أهتم بانفسنا نحن ، لكنني اعتقد ان عليك ان تفكر فى الرجوع الى هنا والا تفكر مطلقا فى مقام مستديم بفرنسا ، ان فى الجزائر أمورا شتى نتطلب منا ان نعيدها الى نصابها . فمن واجبنا ان نمنع اولئك الذين آذوا طويلا ، من ان يتمادوا فى ايذائهم . واني اعتقد اننا لو كنا مجتمعين ومعنا آخرون فاننا سنجد لا محالة عملا نافعا نبرر به حياتنا ...

قد اكون انسانا متفائلا : لكنني سأظل مشدودا الى فكرتي هذه رغم شذاجتها ، لانها اصبحت ملاذي الوحيد بعد اسبوع من القلق » ...

قبل مولود ان يهجر المدرسة التي كان يديرها فى « كلوسلامبيير » Clos Salembier وانضم الى المراكز الاجتماعية للتربية كي يبتعد عن الاستفزازات التي كانت تلاحقه ، فكتب الي مرة يقول : « انبئك قبل كل شيء ان مناوشات الرؤساء ووقاحات المديرين الكبار بدات تضايقني ، واني لاصدقك القول بان هذه المناوشات ستقودني فى النهاية الى كره مهنتي ، هذا الكره الذي لم يملأ قلبي فى اي وقت خلا ، لقد اصبحت لا ابرح منزلي ولا أقابل اي انسان ، ولست ادري الى متى ستمتد هذه الازمة ، لكن على الرغم من معرفتي بأنك لن تستطيع عمل اي شيء فى هذه الظروف فانني اقول لك : « ليتك كنت هنا »

وفى رسالة بعث بها الي فى 20 نونبر 1960 حدثني فيها عن اتصالاته الاولى بالمراكز الاجتماعية فقال : « لست اعرف بالتحديد ما اقوله لك عن عملي الجديد ، حقا انني من الناحية المعنوية اكثر استقرارا، لكن الامور كلما كانت اقل وضوحا فى ذهني ، وكنت غير واع تماما بما اقوم به ، أصبحت غير متمسك بوافعي وعملي ...

لقد كنت فى « القبائل » اعرف العمل الذي يناسبني ، لكنني منذ ان جئت مدينة الجزائر وانا احس ان حياتي لم يعد لها الا مفهوم واحد هو مفهوم الرجل الذي يدرك انه يوجد ليشيخ ويهرم وينشيء اطفاله الذين سيأخذون مكانه رويدا رويدا » ...

وفى 8 مارس 1961 ردا على كلمة ودية كنت قد ارسلتها اليه اجابني قائلا : « ان الاوضاع لم تتغير ، فالاحزان تتخطفنا ، والامراض واللامبالاة والارهاق ، فاذا كنت نسيتك فاعذرني ، انني لاتمنى فى بعض الاحيان الموت — وابادر الى الاشارة بانني لا اهتم به — وانما اتمنى ان افقد عقلي ، انني اقول لنفسي بأن فى دنيا الحمقى انعتاقا لا يعرفه العقلاء ، فتصور يا صديقي انني لا املك حتى القدرة على فقد عقلي ؟

الشهيد مولود فرعون وصحبه الخمسة

بقلم عمانويل روبلس

ترجمة الاستاذ : ابراهيم الهواري

فى 15 مارس الماضي استشهد الكاتب الجزائري الكبير مولود فرعون مع صديقه ولد اوديا واربعة فرنسيين من اصدقائهما ، وكانوا جميعا من رجال التعليم .. وقد اصدرت جريدة «الآداب الفرنسية» التي يشرف عليها الشاعر الفرنسي الشهير اراجون عددا خاصا حول الاديب الجزائري الشهيد وصحبه الذين ذهبوا ضحية أيدي الجيش السري الآثمة ، فكتب الاستاذ الروائي عمانويل روبلس مقالا فى الموضوع لانه كان صديقا كبيرا للشهيد .. وبالرغم من أن المقال لم يتناول دراسة مؤلفات مولود فرعون فانه يلقي الكثير من الاضواء على أديبنا الراحل فى حياته الخاصة والعامة عبر علاقته المتينة مع كاتب المقال ...

انني اتساءل كيف يمكننا ان نتحدث عن مولود فرعون فى هذه الساعات التي نشعر فيها وقد نضبت قوانا وجف تفكيرنا . وهدنا الالم والتمرد الذي لا يحتمل ؟ انني لا املك امام هؤلاء الشهداء الستة الا رغبة واحدة هي الافصاح عن المي ، وسب القتلة الذين ارتكبوا هذه الجريمة ، والذين مدوهم بالسلاح ...

ليس ثمة اي تبرير لهذا السفك الشنيع ، فمولود فرعون وصحبه كانوا جميعا رجال سلام وانا قد عرفت اغلب هؤلاء الضحايا : عرفت مارشان ، وباسي ، وولد اودبا الذى كان هو الآخر صديقا عزيزا. نعم . كان مولود فرعون انسانا طيبا ، يتوفر على صفاء نفسى خاص . وقد قابلته اول مرة سنة 1932 فى الجزائر وكنت قد وصلت اليها آتيا من وهران ، اما هو فكان قادما من القبائل وسرعان ما تآلفنا ، لان اشياء عديدة موحدة كانت تربط بيننا ، اذ كنا معا ابنين فقيرين يدركان جيدا أن عليهما ان يستعدا ويكافحا ليتغلبا على متاعب الحياة ...

كان مولود ذا تواضع جم ، وما ان انتهت الحرب العالمية الثانية حتى قابلته فى تلك المنطقة الجبلية الشامخة حيث جئت اليها صحبة فرقة تمثيلية للهواة كانت تعرض مسرحية « لقارسيا لوركا » على انظار البدو الجزائريين ، ولم يذكر لي مولود حينئذ اي شيء يمكن معه ان استشف تعاطيه للكتابة ، ومرت شهور فتلقيت كتابه الاول ، وكان قد طبعه على حسابه الخاص ومهره بالاهداء التالي :

« الى عمانوبل روبلس مخافة أن أبدو لديه سخيفا » . وقرات الكتاب ثم أرسلت اليه على الفور قائلا : ان كتابه يشرف اي دار من دور النشر فى باريس وانه أخطأ فى طبعه على حسابه الشخصي ، وعاتبته على عدم اشعاري بمؤلفه عندما كنت بتاوريرت فاجابني برسالة ضاحكة لان مولود لم يفكر يوما ما أن كتابه يمكن ان يكون ذا قيمة ، وقد اندهش بالفعل لما أخرجت دار النشر لوسوي le seuil نسخة جديدة من كتابه ، وترجمته الى الالمانية والبولونية والى غيرهما من اللغات .

ان مسحة اللطف والخجل التي كانت تظهر على مولود فرعون كانت تخفي خلفها اصرارا صادقا ، وانفة القبائليين الشم ، ولقد كنت كثيرا ما اذهب الى الجزائر فأزوره فى القرى التي يعلم بها فألمس عن

بين الأدب والدين

للأستاذ : عبد العلي الوزاني

بيـــن الادب والدين اواصر قرابة ، وروابط نسب ، اذ هما يلتقيان فى كونهما ينبعان مـن أعمـاق القلوب وقرارات النفوس ، ويهدفان معـا الى تهذيب النفس الانسانية والسمو بها الى اسمى ما قدر لها من مراتب الاشراق والكمال . ويرميان الى استثمار عناصر الخير والجمال فى الانسان قصد تنميتها وتغليبها على عناصر الشر ، ويسعيان وراء التلطيف مـن حـدة الغرائز والشهوات المادية وتوجيهها الى اعلى . حتـى تنقلب الغرائز الى عواطف مهذبة رقيقة ، وتستحيـل الشهوات المادية الى شهوات وملذات روحية . وحتى تسامى الآدمي الحيوان الى آدمي انسان ، يشعـر بمعاني الخير والحق والعدل والجمال ، هذه التي هي محور كل رسالة ادبية ، وكل رسالة دينية . والحياة الروحية للانسان عالم مليء بالاسرار ، متعددة المظاهر ، ما بين دين وادب وفـن ، فالصلوات وءايـات الادب وروائع الفن ، ان هي الا اساليب متنوعة للتعبير عـن حياة روحية واحدة ، ومهما تعددت البواعث فمردها جميعا الى الطاقة الروحية التي هي كل لا يتجزا ، ومن ثم كان فى الادب قبس من الدين ، وكان فى الدين قبس من الادب ، وقبس الدين فى الادب هـو الالهام الـذي يشبه الوحي عند الانبياء ، وقبس الادب فى الدين هو الوسيلة الادبية التي يعتمدها فى التاثير والاقناع .

ولا يبتعد الادب عن الدين الا اذا كان متحررا من قيود الاخلاق ، فعندما يصور الادب الرذيلة للترغيب فيها وتحبيبها الى الناس ، او يدعو الى فاحشة محرضا عليها ، او يلهب فى القراء غرائزهم الحيوانية ، أو ينشر فلسفة الحادية تصرف الناس عن الايمـان بالمقدسات الروحية ، حين يتجه الادب الى كل ذلك او ما هو مـن قبيله ، يكون قد ابتعد عن الدين ، بل يكـون معه على طرفي نقيض . ولا يخفى اننا هنـا لانبحث موضـوع وجوب التزام الادب لقيود الاخلاق او ضرورة تحرره منها ، وانما نحن بصدد بيان عوامل التقريب والتبعيد بين الادب والدين . والادب عندما يدعـو الى المثـل العليا ، ويربط افراد البشر برباط متين من الشعور الانساني الموحد ، ويهز الضمير الانساني هزا عنيفا ، ويصور خطايا البشر لاظهار شناعتها وقبحها وويلاتها . ويتغنى بجمال الحياة وعظمة الكائنات ، ويحذر مـن طغيان المادة على الروح ، ويحقق المشاركة الوجدانية بين الانسان واخيه الانسان . فهو يخدم ــ عن قصد أو عن غير قصد ــ اعراضا دينية بالدرجة الاولى . ومن منا ينازع فى ان هذه لب لباب الدين وجوهره الصحيح .

وكثير ما التقى الادب والدين فى فنون ادبية تعد من الروائع ، فادب التصوف عند ابن الفارض وابـن عربي وابي حيان التوحيدي وغيرهم ، وقصائد المدح التي قيلت فى صاحب الرسالة الاسلاميـة ، وفى ءال بيته ، وفـن التسبيح والتحميـد ، وادب المناجـاة الالاهية ، كل ذلك امثلة حية ، لاتصال الادب بالدين فى وحدة منسجمة الخيوط متلاحمة النسيـج ، وهـذا القرءان الكريم نفسه التقت فيه المعجـزة الدينيـة السامية والمعجزة الادبية الخالدة ، الاولـى تظهـر فى المقاصدوالاغراض والثانية تتجلى فى الاسلوب والبيان ، والادب عندما يلتقي بالدين ويلقح بلقاحه ، ويتعطـر بشذاه ، يتبادلانبينهما التاثير ، فالمعانيالدينية تكتسي حلة من ناصع اللفظ ، وزخرف العبـارة ، وطـلاوة الاسلوب ، تفتح لها اقفـال القلـوب ، وتذلل امامهـا جفاء الطباع ، وتتقدم بها نحـو النفـوس الضعيفـة لتنيرها وتهبها قوة اليقين ، وثبات العقيدة ، وما ذلك الا لان الادب هو اللغة الانسانية التي تتصل بعاطفـة

لكن يجب ان نواصل هذه الحياة ونتباهى بهـا ونبتسم فيها للاوغاد ، والمكرة ، لعلهم يخلون سبيلنا ، فان مواصلة الحياة على هذا الشكل امر يسير ...

وبعد اني لا انتظر شيئا هامـا من جهتـك لان المسافة بيننا شاسعة ، وكل ما أتمناه ان تتاح لنا فرصة للحديث ، وحتى لو اتيح لي ان اطير لمقابلتك فى باريس فانني ساعود اكثر تمزقا اذ سألمس انك هناك محتاج الي قدر احتياجي اليك . لكن ما اغبطك عليه حقا هو ان لك هنـاك اصدقـاء خلصـا يشـدون من ازرك ، ويرفعون من معنويتك » ..

* * *

وجاء مولود فىالنهاية الى باريس مع المتدربين الذين سيعملون فى المراكز الاجتماعية للتربية ، وفى كل مرة كنت اسافر الى الجزائر واقابله كنت اجده اكثر اضطرابا . وفى شهر دجنبر المنصرم عادنـي رفقـة صديقنا الشهيد ولد اودبا فى الليلة التي كانا يعتزمان فيها الرجوع الى الجزائر ، وبعد ان انتهى الاجتمـاع القصير بيننا رافقت مولود الى الفندق الذ ينزل فيه ، واني مازلت اذكر تلك الليلة الممطرة عندما تركته امام باب الفندق فرفع يده الي مودعا وكان وداعا حقيقيا . اني لاجزم ان شعوره الباطني كان يوحي اليه بذلك ...

اخذت الحوادث تتوالى امام عيني مولود فى الايام الاخيرة ، فكان عليه باديء ذيبدء ان يرحل من المنزل الذي كان يسكنه فى حي « البيار » اذ كان الجزائـري الوحيد بين الاوروبيين ، وقد تلقى ذات يوم امرا باخلاء مسكنه فى اربع وعشرين ساعة والا قتل ، فاعطتـه الادارة التي يعمل بها مسكنا جديدا اشترته حديثـا لتجعله ملحقا للمدرسة ...

وفى شهر فبراير اخبرته بعزمي على القيام بجولة فى افريقيا السوداء لالقاء محاضرات ادبية فكتب الـي يقـول :

« ليس فى هذا الجو الذي نعيش فيه أي جديد، فرغم انني اقيم فى مسكن مترف فان كل ما يحيط بي مسمم ، ان كل شي ءموضوع فوق فوهة بركان ، واني لانتظر مع المنتظرين لقد عدت بالامس من مدينة بوجي « Bougie » حيث كنت اتفقد التعاونيات التابعـة للمراكز الاجتماعية ورغم جمال البلاد فان كابوسـا ثقيلا لم اعرفه من قبل قد جعلني اختصر رحلتي الى يومين اثنين » ...

وفى اواخر شهر فبراير السالف كاد مولـود ان يقتل فى هجوم خاطف لولا انه فر واحتمـى فى محـل تجاري لبيع الاحذية ، لقد اخبرتني بهذه الحادثـة احدى بناته ، اما هو فكان مريضا مرهق الاعصـاب لا يقوى على الكتابة ، وكان قد اصر على عدم الخروج من منزله لكن الموت ساقه الى اجله المقدر ، ففي 15مارس غادر مولود داره الى حي « البيار » حيث كان الموت على موعد معه ...

* * *

وفى هذا التاريخ نفسه الذيدارت فيهالمجزرةالرهيبة فقدت ــ علاوة على مولود فرعون ــ صديقا عـزيـزا آخر هو ولد اودبا ــ وآخر مرة رايـت فيهـا اوديـا « كانت حينما عاد الى باريس لاجراء تدريب ، وشعرت انه بدوره كان يحس بمصيره المؤلم ، ولشدما نصحته بتأخير رجوعه ولكنه ابى ان يتخلف عن اصدقائه ...

وفى نهاية فبراير الاخير ــ وكنت فى ساحل العاج ــ تلقيت رسالة مؤثرة من ولد اودبا قال فيها :

« اي جو هذا الذي نعيش فيه نحن ! اني لست قادرا على وصفه لك ، ها انذا أعمـل وسـط الريبـة والقلق والاسى فاشعر وكأنني اسير فى حلم ، ان الموت يرقبنا من كل جهة ، ولكن التخلي عن الواجب مع ذلك امر عسيـــر » ...

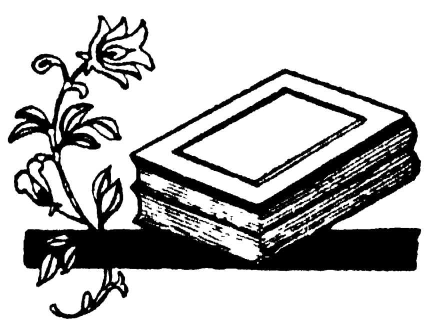
لقد كان ولد اوديا مثل مولود فرعون ومثل باقي اصدقائه انسانا مرموقا ومربيا ممتازا يتوفر على خلق رفيـــع ...

والآن ... يجب ان نعلم جيدا ان الاسلحة التي سددت الى صدور هؤلاء الشهداء العادلين ، ستظـل الى الابد مسددة الينا نحن ، لا الى حياتنا فحسب بل الى ما هو اثمن من الحياة ...

قوية مشرقة يفر اليها الانسان من واقعه المرير ، ويجعلها معتصما لشخصيته كانسان ان تعدو عليها المادة فتجرفها وتسحقها تحت كلكلها الثقيل ، ولست اعني بانفرار من الواقع الهروب من مشاكل الحياة ومن مواجهتها ، وانما اقصد الاستراحة من وطأتها ورتابتها بالعودة الى النفس بعد ضياع عنها فى معترك الحياة وصراع الوجود ؛ لصلاة اؤديها ، او قصيدة اترنمها او قصة اعيش مع ابطالها وشخوصها او ما الى ذلك ، وهذا هو الحد الادنى الذي ياخذ به الانسان من الادب اذا لم يكن من المشتغلين به ، فالصانع والعامل، والطبيب والمهندس ، والمخترع ؛ كلهم ياخذون من الادب بحظ ، لانهم يجدون فيه انفسهم باحلامها وامانيها واشواقها، اما المشتغل بالادب فهو لا بعني عنده متعة على الهامش ، بل هو موضوع حياته ، ومحور نشاطه .

والدين والادب جزء من كياننا النفسي ، وضرورة من ضرورات وجودنا ؛ وليس ادل على ذلك من ان الانسان عرفهما قبل ان يعرف العلم ، وقبل ان يعرف النظم والقوانين . ويتغلب على عوامل الطبيعة . فالانسان بطبيعته يحتاج الى قوة خفية تسنده ويفرغ اليها فى ازماته ، ومن هنا نشأ الدين ، والانسان يتأثر بكل ما يحيط به ، والتأثر يدفعه الى التعبير عن انفعالاته ، ومن هنا نشأ الادب ، فهما بذلك من لوازم حياة الانسان ، وما خالف احد عمل الطبيعة الا شقي شقاء مرا اليما ، فالانسان اذ يقاوم الدين وينبذه يعيش فى فراغ نفسي كبير ، ويصير نهبة المذاهب والاتجاهات . كريشة بين مهاب الرياح ، وهو عندما يتنكر للادب . فلا يمد روحه بالغذاء الضروري ، ولا يتركها تعبر عن اشواقها وءامالها وسعادتها وشقائها ، يفقد تدريجيا وجوده وكيانه كانسان ، ويصبح عبارة عن ءالة تتحرك ، وذلك هو الضياع والانتحار الادبي فى أبشع معانيه .

فاس : عبد العلي الوزاني



كل الناس فى الوقت الذي تعبر عن عاطفة انسان معين، ولان الادب هو الخط المشترك بين كل الناس ، فله فى كل نفس نسب وفى كل قلب قرابة ، فما ان يخاطب انسان بلغة الادب تلك الرقيقة الجميلة الموحية ، حتى تمس فيه وترا حساسا وعاطفة اصيلة ، فتقع الاستجابة المرجوة . وتحدث المعجزة ، يذكرنا هذا بقصة اسلام عمر بن الخطاب ، ذلك البدوي الجاهلي الخشن الطباع ، فقد كان يحارب الدعوة الجديدة بكل ما فى دمه واعصابه من قوة وعنف ، فما ان يستمع الى سورة من القرآن الكريم — المعجزة الادبية الخالدة — حتى تلين قسوته ، ويرهف حسه ، وتمتلىء نفسه نورا ، فيذعن وهو العصي ، ويهدا وهو الثائر ، ويسلس وهو العنيد ، ويسلم وهو الجاحد .

واما تاثير المعاني الدينية فى لغة الادب ، فهو اعطاؤها لونا خاصا يميزها عن بقية فنون الادب ، اذ يجعل منها فنا خاصا هو ذلك الادب الديني الذي يصور الشعور بالدين فى ارقى مستوياته والطف معانيه ، والشعور الديني اذا تناولته لغة ادبية تجيء كفاء له ، يعتبر من اسمى الوان الشعور التي صورتها الآداب الانسانية . ويؤثر الدين فى الادب من ناحية ثانية ، وهي ان كثيرا من الموضوعات الدينية يتخذها الادباء مجالا لنشاطهم . فهذه غزوة بدر قد قيل فيها شعر كثير ، ويكتب توفيق الحكيم مسرحية عن محمد الرسول ، كما يكتب الدكتور احمد بدوي مسرحية عن اسلام عمر ، وتوحي السيرة النبوية للدكتور طه حسين باروع مؤلفاته (على هامش السيرة) وهذا كتاب الف ليلة وليلة يحتوي على موضوعات دينية مختلفة ، ففيه ءاثار المعتقدات الاسلامية والاسرائيلية والنصرانية والمجوسية ، كما يظهر ذلك فى قصة (سيف الملوك وبديعة الجمال) وقصة (قمر الزمان بن شهرمان) وقصة (علي الزيبق المصري) وقصة (الوزيرين بدر الدين وشمس الدين) الى غيرها من القصص ، وهذه البادة (هوميروس) تدلنا على الديانات العامة والديانات المحلية الخاصة بالشعب اليوناني وكذلك الشان فى (الادويسا) فهي تعتمد على العقائد الدينية نفسها التي تعتمد عليها الاليادة (1) . ويستوحي الاديب الامريكي (مارك توين) قصة ءادم وحواء الواردة فى الكتب السماوية فيكتب (مذكرات ءادم وحواء) كما يستوحيها العقاد فى كتابه (هذه الشجرة) وهكذا نجد ان الادب كثيرا ما يتناول موضوعات دينية فى القصة والمسرحية والخرافة والملحمة والشعر واجدا فيها مادة غزيرة ما زال الادباء يتواردون عليها يستلهمونها فى كل زمان ومكان .

وان الدين السماوي ، والادب الانساني ، لهما معقد الامل فى دوام التوازن بين المادة والروح فى حياة الانسان ، فى هذا العصر الذي تزعزع فيه ايمان كثير من البشر بالمثل العليا والقيم الروحية ، وصار قانون المنفعة ، وناموس المادية هما اللذان يوجهان اغلبية الناس ، ولكن لاينبغي ان نتشاءم بسبب ذلك مادام الايمان بالله قويا فى كثير من النفوس الطيبة ، وما دام فى الانسانية قلب يتعشق الجمال فى الشمس اذا غربت والنجم اذا تالق والزهر اذا تفتح ، والفجر اذا تنفس، والغصن اذا تثنى ، والطائر اذا غرد ، فيكون لذلك صداه فى شعر الشاعر ونثر الكاتب .

وان المتتبع للحركات الادبية فى الشرق العربي ليلاحظ ان هناك حملة على الادب فى بعض الاوساط ، بحجة ان الامة العربية فى وقتها الراهن ، فى حاجة الى العلم لا الى الادب ، فكفاها خيالا واحلاما ولتوجه كل جهودها الى التصنيع والاختراع ، حتى تلتحق بالغرب الجبار . وهؤلاء الذين يقولون هذا الكلام ينسون أو يتناسون حقيقتين هامتين : اما الاولى فهي ان الناس لم يفرغوا كلهم فى قالب واحد ليصبحوا كلهم علماء . واما الثانية فهي انهم ينسون او يتناسون ان الادب لا يستعمل فى مقابل العلم ، فبينهما روابط متينة ، لان من عناصر الادب الفكرة ، ومن وسائله القواعد العلمية، وهو بمعناه العام تدخل فيه الفلسفة وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلم التاريخ ، والعلوم القانونية ، بل كل علم كتب باسلوب الادب الا ويعد ادبا بمعناه العام الواسع ، كما هو مقرر فى كتب الادب والنقد ، واذن فليس الادب كله خيالات واحلاما وضلالا فى مختلف الدروب والاودية ، وهذه الحملة ضد الادب يرافقها ضعف فى الوازع الديني فى كثير من النفوس ، بل ان الدين يهاجم باسم حرية الفكر ، والتشبع بالروح العلمية ، وتحرير الشعوب مما يسمونه مخدر الدين ، ونحن هنا لانريد ان نعيد ما كتبه الباحثون فى الرد على هذه المزاعم ، فحسبنا هذا القدر فى بيان التهم التي اصبحت توجه الى كل من الادب والدين ، وهما معقد الرجاء فى استمرار الحياة الروحية التي لولاها لكانت الحياة جافة لاتطاق . فهما ضمان استمرارها حية

1) الادب اليوناني القديم للدكتور علي عبد الواحد وافي ص 76 و 86

للصبا ، ومقرا للعز والمجد ، ثم يتحدث عن شجاعة اهلها وهمتهم وتضحياتهم ، وانهم قد بذلوا لفلسطين دماءهم فى سماحة وسخاء ، وعن رضا وارتياح ، صاغ شاعرنا كل هذه المعاني فى نغم ءاس حزين فقال ..

يا طير فى القدس لنا اخوة
اضحى حماهم نهبة للذئاب
والمسجد الاقصى له رنة الـ
ـثكلى تنادي للعذاب المذاب
كم طفلة في ظله غضة
اشلاؤها أنحت عليها الكلاب
وكم بناء شامخ هدمت
معاول الظلم ذراه الرحاب
معاهد كانت مراد الصبا
ومنزل للمجد رحب الجناب
اسود خفان حموا حوضها
بهمة ونابة واحتساب
باعوا دماهم فى سبيل العلا
فاسبحت في عينهم كالخضاب

وما كادت ماساة فلسطين تقع ، وحربها تستعر حتى اصبحت نقطة تحول كبير فى مشاعر العرب اذ فطنوا جميعا الى أن بلاد العروبة وطن واحد ، وان الدفاع عنها دفاع عن النفس ، وعن الاخ ، واللغة والتاريخ والدين . بل عن الآلام والآمال ، لذلك انطلقت الاناشيد الحماسيه ، تشد العزائم وتستنهض الهمم ، حتى لا تتكرر ماساة الاندلس ، فيقول باكثير :

قد بدانا الكفاح وشحذنا الرماح
وامتشقنا السلاح وملانا البطاح
بجيوش العرب نحن نحن العرب

ويقول الصاوي شعلان :

الى المجد هيا شعوب العرب
الى نهضة صبحها قد انار
لنا فى العروبة اعلى نسب
نسوج بالنور شمس النهار

وحين ابطأ قادة العرب عن نصرة فلسطين والثار لكرامتها ، منصرفين عنها بما يعقدونه من اجتماعات فى العواصم العربية ، صاح الشاعر (موسى الحداد) يذكر بهزيمة اليهود فى (خيبر) ويستحث فلسطين ان تنهض ، لتستعيد عزها ومجدها ، فهي ربيبة المجد ، وصاحبة التاريخ المجيد ، والماضي العريق الذي يكفل لها النصر والبقاء ، ويستنهض بني قومه ان ينقذوها ، ويذودوا عن حماها ، فهي التي ءازرت جيش الرسول فى فتوحه ، وناصرت صلاح الدين فى (حطين) و (القدس) ، وشهدت ــ غير هذا وذاك ــ مواكب انتصار المسلمين على يد عمرو ، وسجلت اروع نصر فى (عين جالوت) وفى خلال ذلك يذكرنا باللاجئين الذين يعيشون فى الفيافي مشردين كالسوائم ، يجترون ذكريات الماضي الاليم ، ويطلبون القوت فلا يجدونه ، ثم يتمنى للعرب ان يتحدوا فى نصرة فلسطين ، كما اتحدوا فى ملذاتهم ومباهجهم فيقول ..

يا ابنة المجد والعروبة هبي
واذكري خيبرا وأسد الملاحم
واذكري القدس يوم صلاح الد
ين فيها يفل الجيوش الخضارم
سرحي الطرف وانظري فى البوادي
تجدي اللاجئين شبه السوائم
وبنو أمهم عن الثار لا هو
ن سدى باجتماعهم في العواصم

اما الشاعر العربي (محمود غنيم) فيسترجع تاريخ العرب ، ويتأمل مواكبه ، فيرى فى (حيفا) ــ وقد سقطت فى يد اليهود ــ (عمورية) اخرى ، فيستنهض العرب جميعا ، ويناشدهم ان يسرعوا الى نجدتها ، وان يكون كل واحد منهم (معتصما) فى نجدته وشهامته ، فعزيز على ابناء يعرب ان يسكنوا على ضيم او يناموا على ذل ، او يروا علما دخيلا يرفرف فوق حماهم ، وبعيد جدا الا يلبوا نداء (حيفا) اخت (عمورية) ــ وقد استنجدت بهم ــ بجيش عرمرم مزود بكل وسائل القوة . يعلنها شعواء تدع الدماء سيولا تخضب الارض ، وتغسل ما عسى ان يكون قد لحق بهم من خزي وعار ، استرجع الشاعر التاريخ ، ووازن بين الاحداث والوقائع ، وانفعل بها ، فعبر عن ذلك فى شعر هو مزيج من الاسى والالم .. والفداء .. والاباء ..

حيفا فدتك ما لجفنك ساهدا
وللحنك التاجي استحال عويلا
ما بال أهلك شردوا وثراك قد
أمسى بغير ليوه مؤهولا ؟
اعزز على ابناء يعرب أن يروا
علما يرف على حماك دخيلا !
يا اخت (عمورية) لبيك قد
دقت حماتك للحروب طبولا

من أدب النكبة الفلسطينية

للاستاذ
محمد محمود مقلد



استلهمت هذا المقال من وحي النكبة الفلسطينية ، ووجهني اليه تلك المحاولة الآثمة التي تقوم بها اسرائيل ، لتحويل مجرى الاردن ، هادفا من ورائه الى تذكير العرب بالمأساة على لسان صفوة من شعرائنا المبرزين ، عسى أن يكون في تذكيرهم عظة وعبرة ، ولفت وتنبيه وأملا في أن يستيقظ الضمير العربي الحي ، فيبحث عن وسيلة للقضاء على تلك الزعنفة التي تتحرك من آن لآخر مهددة منذرة ، والذكرى تنفع المؤمنين .

رزىء الوطن العربي بشرذمة من افاقي الامم لا تجمعهم رابطة نسب ، ولا تصلهم وشيجة قربى ، ومني بحفنة من سماسرة الاستعمار . استقرت في قطعة عزيزة من ارض العروبة باسم (الوطن القومي) لليهود . مشيئة بدعايات كاذبة ، وشعارات خادعة ، ومتوسلة بهذه الدعايات والشعارات الى سادتها من امم الغرب الذين لفظوها من بلادهم ، اتقاء شرها ، ومكنوا لها في هذه الارض المقدسة . ليكون لهم في قلب العروبة بؤرة فساد ينشرون منها سمومهم ، ووكر فتنة يحبكون فيه مؤامراتهم ، وتعهد هؤلاء السادة وليدهم غير الشرعي . فامدوه بالمال والعتاد ، ليكفلوا له النماء ، ويضمنوا له البقاء ، وسلمه الانجليز بعض البلاد . تحديا لمشاعر العرب ، وغدرا بهم .

وقد نشأ عن هذا التصرف الشائن محنة فلسطين . وتقسيمها . ثم حرب خاضتها الدول العربية ضد اليهود . حتى كادت جيوشها تحتل « تل ابيب » العاصمة المزعومة لاسرائيل لولا ان تدخل حلفاؤها من دول الغرب لحمايتها وفرضوا الهدنة فرضا لمصلحتها ، حتى تظل خنجرا مصوبا الى قلب العروبة .

ومرت الاحداث تباعا ، ووقعت مأساة فلسطين . وظل جرحها داميا تنزى الما ، ويفيض حسرة وكمدا ، فاحس بوخزه كل عربي ، وهزت الاحداث مشاعر شعرائنا الذين عاصروا المحنة ، وعاشوا هذه التجربة وانفعلوا بها هزا عنيفا ، فانطلقت ألسنتهم بالشعر تصور المأساة وتشحذ عزائم العرب ، وتقذف بالحمم على العدو الغاصب ومناصريه من دول الغرب في شعر متقد حماسا ، مفعم حقدا ، كأنه الشهب ترصد كل أفاق جبان ، وحليف مخادع .

وقد امتدت جذور هذه المحنة الى عام 1917 بذلك الوعد الآثم الذي قطعه (بلفور) وزير خارجية انجلترا على نفسه لليهود ، واتخذ طابعا ايجابيا ، فسمح لليهود بالهجرة الى فلسطين ، ومضت الامور في تطور مستمر . حتى جاء عام 1936 فاشتدت المحنة ، وهب ابناء فلسطين لمقاومة الانجليز والصهاينة مقاومة عنيفة . استرخصوا فيها كل غال ، واستعذبوا كل الم ، غير مبالين بما يتهددهم على يد المستعمر الغاشم ، والدخيل المحتال . وفي غمرة هذه الاحداث رأينا الشاعر الحموي (عمر يحيى) يأسى لاساهم ويتحرك لمحنتهم ، فيعرض علينا صورا متلاحقة للكارثة وما خلفته وراءها من ضحايا ، ويبين كيف تألب عليهم المستعمر الخادع ، واليهود الغاصبون ، وكيف ان هذه البقعة الطاهرة من الارض كانت مرادا

ويفطن الشاعر العربي (محمد الاسمر) الى خداع اليهود وتغريرهم ، فينعى عليهم ظلمهم وتظلمهم ، بينما هم الظالمون المعتدون ، ويدرك مؤازرة الاستعمار الغربي لهم ، فيتحسر لفقد العدالة ، وان ليس هناك قضاة ثقاة منصفون ، يجمعون بين الخصمين فى مكان واحد ، ويفصلون بينها فى ضوء العدالة والانصاف ان حماة العدالة وسدنتها المزعومين حلفاء لاسرائيل، فهم الخصوم والحكم فى ءان واحد : فمن المحال ـ اذن ـ ان ننتظر منهم نصفة او عدلا ، وما علينا الا ان ندع كل سفسطة وجدل ، ونأخذ الامور مأخذ الجد ، ونحكم فى اليهود سيوفنا ، ونعلن لهم قوتنا ، ونكفر بكل من مكنوا لهذه الفئة الباغية ، ونطرح عهدهم وراءنا ظهريا ، فقد خانوا كل عهد ، وخفروا كل ذمة ، ومهدوا لشراذم اليهود اغتصاب ارضنا واقتحام عريننا ..

ظلم اليهود الناس ثم تظلموا
منهم ، فمن للظالم المتظلم ؟
ابن القضاة العادلون ومن اذا
ما اصدروا حكما اتوا بالمحكم ؟
غلب الهوى فدع القضاة وحكمهم
واجعل حسامك ماضيا وتحكم
لا ترتقب انصاف قاض منهم
وخذ الامور كما تشاء وصمم
ودع الجدال ، فما الجدال بنافع
جرد حسامك ثم قم فتكلم
حلفاؤنا خانوا العهود ، ومهدوا
لشراذم الباغي صعود السلم

ثم يمضي شاعرنا (الاسمر) فى تهكمه بحلفاء اسرائيل وسخريته منهم ، مبينا كيف بلغ بهم الحرص على قيامها ووجودها حدا جعلهم يأتمرون بأمرها ، ويتغاضون عن اخطائها ، وينزلونها اكرم منزل ، برغم ما اقدمت عليه من اغتيال وسيطهم (الكونت برنادوت) ولم يجزوها على صنيعها هذا الا زيادة فى الرضا ، ومبالغة فى التقرب فى الوقت الذي تجهموا فيه للعرب، معلنين الغدر ، ناقضين للعهد ، تحدث عن هذا كله فى اسلوب ساخر فقال ..

ابناء صهيون بأية حيلة
أمسى الحليف بكفكم كالملجم ؟
مهما تجد منكم فليس لكم لدى
زعمائه غير المقام الاكرم
لما قتلتم بالرصاص (وسيطه)
مرت فجيعته كأن لم يعلم
لو غيركم اودى به أودت به
وبقومه بطشات من لم يرحم
ولكم نقضتم عهدنا وعهوده
ولبستم للغدر شارة معلم
فحباكم منه الرضا متبسما
وحبا العروبة نظرة المتجهم

ومن شعرائنا العرب من وقعت المأساة من نفسه فى الاعماق ، فصام عن كل مسرة ، وانكر على العرب سرورهم وحفاوتهم بالاعياد ، ورءاهم جديرين بحزن عميق ، وحداد طويل ، لما آل اليه امر فلسطين ، فما زال جرحها غائرا داميا ـ من هؤلاء شاعر ليبيا (رفيق المهداوي) الذي يقول ..

أبعد فلسطين الشهيدة عندنا
سرور وعيد نحن بالحزن اخلق ؟
فلسطين فى الاعماق ما زال جرحها
يعج دما او ادمعا تترقرق

اما اخطلنا الصغير (بشارة الخوري) فيشتد جزعه لما كابدته فلسطين ، ويرثى لحالها ، وينسى اساه لاساها ، ويعرب عن وفائه لها ، وبقائه على عهدها، فشرف لنفسه ان تذوق الموت فى سبيلها كريمة ابية، لا يثنيها وعيد ، ولا يخيفها تهديد ..

يا فلسطين التي كدنا لما
كابدته من اسى ننسى اسانا
نحن يا اخت على العهد الذي
قد رضعناه من المهد كلانا
شرف للموت أن نطعمه
انفس جبارة تأبى الهوانا
انشروا الهول ، وصبوا ناركم
كيفما شئتم ؛ فلن تلقوا جبانا

ومن من ابناء يعرب الامجاد لا يشق عليه ان يرى فلسطين رمز السلام والكفاح حزينة كاسفة ، او يرى اردنها مهددا بتحويل مياهه على يد الصهاينة ، ثم لا يقدم روحه هدية رخيصة فى سبيل الحفاظ عليهما ، والانتقام لهما من كل غاصب ظنهما مشاعا لمن شاء، او حليف غادر قدمهما طعمة لمن اراد ؟ اليك ما قاله الشاعر (ايليا ابو ماضي) فى ذلك ..

ناديت (معتصما) فكان غياثه
جيشا شروبا للدماء اكولا
ما كان بالالفاظ جرس جوابه
بل كان قعقعة وكان صليلا
وازيز أسراب تصب شواظها
فوق الحصون فتستحيل طلولا
غضب الاباة لعرضهم فتخضبي
يا أرض ، واجري يادماء سيولا
انا لقوم ليس يمحى عارهم
حتى يرى بدمائهم مغسولا

ويشفق شاعر النكبة (ابراهيم طوقان) على مصير فلسطين ، ويهتز لمحنتها ، ويتتبعها منذ البداية ، ويأخذ على عاتقه تحذير بني قومه : واستثاره هممهم باشعاره التي تعد (ملحمة) هذا الكفاح المستميت منذ بدأ ، ومنذ باع بعض الاغنياء ارضهم لليهود ، ومنذ اوشك الخطب ان يقع ، وتتم اخته الشاعرة (فدوى) ملحمته ، وتصور ما حاق بقومها من تشريد وبؤس وحسبك ان تطلع على قصيدة (الشهيد) لاخيها ابراهيم فهي عنوان شعره الرائع النابض بالوطنية والفداء .

لقد صور (الشهيد) يبتسم للخطوب ، ويقتحم الاهوال بجاش رابط : وجنان ثابت ، غير مهتم بشيء، لانه يحمل بين جنبيه نفسا عالية ، تحكي الاعاصير في ثورتها ، والبحر في هياجه ، والجبال في ثباتها ، قد صاغها الله من عنصر الفداء والكرم ، ونفحها بعزم متقد ، استمدته من حقها في الحرية والحياة .

عبس الخطب فابتسم — وطغى الهوم فاقتحم
رابط الجأش والنهى — ثابت القلب والقدم
لم يبال الاذى ، ولم — يثنيه طاريء الالم
نفسه طوع همة — وجمت دونها الهمم
تلتقي في مزاجها — بالاعاصير والحمم
تجمع الهائج الخضـ — ـم الى الراسخ الاشم
وهي من عنصر الفدا — ء ومن جوهر الكرم
ومن الحق جذوة — لفحها حرر الامم

ويمضي الشهيد في جهاده ونضاله ، يسلك سبيل المجد والعلا ، ويبتغي لنفسه الخلد مستقرا ومقاما ، مستعذبا كل ما يلقاه من اجله ، ما دام قد الزم نفسه به، ووطد العزم على نيله ، غير مفكر في العواقب ، فسواء عنده أمات سجينا ، لا يرثى له احد ، ام ووري التراب عاريا من الكفن ، وسواء عنده كذلك اعرف الناس مكان جسمه الطاهر ام لا ؟ فحسبه ان اسمه قد اصبح انشودة التضحية والفداء في فم الزمن ، وانه سيصبح منارا لبني قومه في جهادهم وكفاحهم كلما احدقت بهم المحن وادلهمت الخطوب ، يبعث في العيون نور الامل فلا تنام عن حقها ، ويضرم القلوب بنار الحماس ، فلا تعرف حقدا ..

سار في منهج العلا — يطرق الخلد منزلا
لا يبالي مكبلا — ناله ام مجندلا

فهو رهن بما عزم

ربما غاله الردى — وهو بالسجن مرتهن
لم يشيع بدمعة — من حبيب ولا سكن
ربما ادرج الترا — ب سليبا من الكفن
لست تدري بطاحها — غيبته أم القنن
لا تقل اين جسمه — واسمه في فم الزمن
انه كوكب الهدى — لاح في غيهب المحن
ارسل النور في العيو — ن فما تعرف الوسن
ورمى النار في القلو — ب فما تملك الضغن

ثم يستقبل (الشهيد) الموت متهلل الوجه ، مثلج الفؤاد يتغنى به في اقباله ، ويعلل نفسه ويسعدها بما انشده في ءاخر لحظة من حياته ، وبما اعلنه لبني وطنه من انه قد استشهد في سبيل الله والوطن ...

اي وجه تهللا — يردد الموت مقبلا ؟
يسعد الروح مرسلا — لحنه ينشد الملا

وما كادت سياسة الحلفاء تجاه العرب تتضح ، وموقفهم من (اسرائيل) ينجلي ، حتى رأينا الشاعر الليبي (احمد الفقيه) يندد بهذه السياسة ، ويرى انها خداع وتضليل ، اذ تقوم على تقسيم فلسطين في تحيف وظلم ، وامتهان لكرامة العرب في تجاهل وغدر ، دون التفات الى ان فلسطين لم تكن في يوم ما وطنا لليهود ، ولا خاضعة لطاعة مستبد ، بل كانت رمزا لانتصار المسلمين الرائع في حروبهم ضد (الصليب) ، وعنوانا لمقاومة المستبدين من الطغاة ...

سياسة الدول الكبرى تمنينا
وبالدعاية والتضليل تفرينا
قضت وما عدلت في الحكم اذ حكمت
غدرا ، ولم تنصف العرب الميامينا
ليست فلسطين دارا لليهود ولم
تخضع لحكم الطغاة المستبدينا

وما برح شعراء العروبة يتغنون بالكارثة شرقا وغربا ، حتى ارتفعت صرخة لاجىء مشرد من ابناء فلسطين ، ممن ذاقوا قسوة التشرد ، واحسوا مرارة الضياع ، ارتفعت تنذر وتهدد ، وتعلن فى سخط وتبرم ان صاحبها لن يظل لاجئا مشردا ، ولا مغلولا مقيدا ، انه يأمل فى غد مشرق قريب ، يثور فيه مطالبا ببلاده غير مبال بهلال او دمار ، فهو صاحب حق ، يكفل له بناء مستقبل زاهر ، وبين جنبيه قلب يخفق لفلسطين، ويحمل لها اجمل الذكريات ، فهي مسقط راسه ، ومدرج طفولته ، وملعب صباه ، ومستقر داره وكرمته وناديه ، ولذلك يبرم بتشرده ، ولا يرضى بمصيره ، ويعزم عزما اكيدا على اعادة وطنه عزيزا كريما ، هذه الصرخة المدوية قد انبعثت من اعماق الشاعر الفلسطيني (هارون رشيد) الذي صاغ حنينه الى الوطن فى لحن حزين ثائر فقال :

انا لن اعيش مشردا … انا لن اظل مفيدا
انا لي غد وغدا سأز … زحف ثائرا متمردا
انا لن أخاف من العوا … صف وهي تجتاح المدى
ومن الاعاصير التي … ترمي رمادا اسودا
ومن القنابل والمدا … فع والخناجر والمدى
انا صاحب الحق الكبيـ … ـر وصانع منه الفدا
انا نازح داري هنا … ك وكرمتي والمنتدى
وطفولتي درجت على … ارض البطولة والندى
وصباي كم نهل المنى … فوق الروابي واغتدى
وطني هناك ولن اظـ … ـل بغيره منشردا
سأعيده سأعيده … وطنا عزيزا سيدا

هذه الصرخة المدوية التي اعلنها ابن فلسطين هارون رشيد قد استجابت لها صيحة اخرى من الشاعرة العراقية (عاتكة الخزرجية) استحثت بها ابناء العرب ان ينهضوا ويتحدوا ، فلا يليق بهم – وهم الاحرار – ان يساموا الهوان والذل فى وطنهم وفوق ارضهم ، ولا يجدر بهم ان يغضوا الطرف عن ابنائهم الذين يهيمون على وجوههم فى الفيافي اذلاء مشردين ، اصغ اليها تقول ..

ابناء قومي قد آنى … ان تبعثوا بعد الرقود
ايليق بالاحرار أن … يمسوا اذل من العبيد ؟
ويقسموا ويشردوا … بل يغصبوا ارض الجدود
ابناءهم فى الارض تضر … ب بين عبد أو طريد

وتلح الشاعرة العراقية على وحدة الصف العربي ، لانها الوسيلة الوحيدة التي ترغم اسرائيل على ترك البلاد لاصحابها ، وحينئذ تعم الفرحة ، وتغمر النفوس ، فيتحقق بذلك للعرب عيد حقيقي ، يفوق سائر الاعياد فى جوهره وايحاءاته ..

اليوم عيد يا بني … قومي ، ولكن اي عيد ؟
العيد أن تتوحدوا … ان ترغموا أنف اليهود

وسيرغم انف اليهود حتما ، وسيخرجون من ارضنا صاغرين ، ما دام فينا دم ينبض بحب فلسطين ، وقلب يخفق لمأساتها ، وما دام فينا لسان يردد قول شاعرها العظيم عبد الكريم الكرمي ..

يا أخي ما ضاع منا وطن
خالد نحمله فى كل قلب

محمد محمود مقلد

عضو البعثة التعليمية العربية بالمغرب والاستاذ الاول بالمدرسة الثانوية العربية بالرباط ص ب 205

ديـــار الســلام وارض الهنـــا
يشق على العـــرب ان تحـزنـــا
بنفســي اردنهـــا السلسبيـــل
ومـــن جـاوروا ذلـك الاردنـــا
لقــد دفعــوا امس دون الحمـــى
فكـانـت حـروبهــم حـربنـــا
وجـادوا بكـل الــذي عندهـــم
ونحـن سنبــذل ما عنـدنـــا
فليست فلسطين ارض مشاعـــا
فتعطـى لمـن شاء ان يسكنـــا

واني للعرب ان يقروا علينا ، او يطيبوا نفسا ، وقد اضحت فلسطين نهبا لحثالة الامم الذين دنسـوا ثراها ، واستباحوا قدسها وحماها ؟ انى لهم ذلـك وهم يحملون بين جوانحهم قلوبا فتية تخفق لمأسانها وعزائم قوية تهب لنصرتها ونجدتها ؟ فليحرموا علـى انفسهم كل مسرة وهناءة وليبادروا من كل فج وحدب الى افتداء فلسطين ، وليـرددوا دائما قول (محمـــد مصطفى الماحي) احد شعرائنا المخلصين ..

حـــرام ان تقـــر لنا عيـــون
وقـــد أصبحت نهـب الناهبينـــا
حـــرام ان تطيـب لنا نفـــوس
وقـــد امسى ثـــراك بهـم مهينـــا
وحسبك ان نـــرى فى كل صوب
قلـــوب المفتـديــن المخلصينـــا
قلـــوب لـم تنـل منهـا العـوادي
ولا هـــدت لها عـــزمـا متينـــا

وفى الوقت الذي نسمع فيه الى بلابل المشـرق والمهجر تغرد بالحان الحماس تارة ، وتوقع على قيثار الاسى والحسرة اخـرى ، نصغى الى شاعـر مغربـي يشدو بلحن الاخوة العربية الحقة فى الجناح الغربي من ارض العرب ، موصيا بني عروبته الا يخشوا حفنة من اللصوص تسللت الى قلب الوطن العربي سالبة ناهبة، ومطمئنا فلسطيـن على مصيرها ، وافتدائها بالروح ، فله بها غرام يفوق كل غرام ، وحب دونه كل حب ، لانه عربي صميم وزكاة العروبة عنده ، وحقهـا علينا موت تحت سماء فلسطين ، فنحن جندها الذين يلذ لهـم الموت فى رباها . هذا الشاعر الذي اسمعنا شـدوه معطرا بنفحات الاطلس هو السيد محمد العربي الآسفي الذي يقـول ..

امـة العـرب حـان وقت العـراك
فى سبيـل الوفـا وصون حمـاك
امـة العـرب لا تهابـي لصوصـا
حاولوا سلب قلـب مثـوى رجاك
نحـن نرعـاك يا فلسطين بالـرو
وح فهبـي ، فكلنـــا لفـــداك
نحـن نفديـك يا فلسطيـن بالنـ
ـفس مرينـا ، فنحن طوع هـواك
لـي غـرام ولـي هيـــام ، ولكـن
حبـك الاسمـى قـادنـي للهـلاك
نحـن عـرب ، وللعروبـة حـــق
بوجب المـوت تحت أرض سمـاك

ولا يمر شعراؤنا العـرب بمأساة اللاجئيـــن المشردين من ابناء فلسطين مـرورا عابرا ، دون ان تثير انفعالهم وتحرك مشاعرهم وقرائحهم ، فها هوذا الشاعر العربي (بولس سلامة) يحدثنا عـن موقف آل صهيون وحلفائهم من المشردين العرب ، ويراهم جميعا شركاء فى الجريمة ، بل انه لا يعفي دول الغرب مـــن تحمل اكبر عبء من المسؤولية ، فقد ناصروا ابنـــاء صهيون، واستبدلوا بصداقة العرب ود اليهود الاخساء، وروعوا اهل فلسطين الآمنين، وتركوا فى كل بيت مناحة ومأتما ، وخلفوا فى كل منزل (صخـرا) و (خنســاء) ، وغرسوا فى قلوب العرب حقدا لا يهدأ اواره ، وانبتوا فى نفوس الاطفال غلا لازمهـم منـذ نشأتهـم ، وافتنـوا فى اساليب الخداع والظلم ، فمكنوا للدخلاء الادعيـاء ممن ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وشردوا ابنـــاء فلسطين الوادعين ، فوجبت عليهم لعنة الشيوخ فى كل لحظة تمـر ، وصدق فيهم قول شاعرنا الكبيـر ..

شـركـاء الـذئـاب كيف غويتـم
فنصرتم صهيـون ، وهي الوبـاء ؟
بعتـم العرب بالاخسيـن قـــدرا
فلقــد سئتـم نفـوســا وســاءوا
كل بيت من شركـم فيه (صخـر)
كـل انثـى من غـدركم (خنساء)
قـــد بعثتم فى العـرب جذوة حقـد
تكتسيهـــا الاصبـــاح والامســاء
بفـم الشيخ لعنـة حيـن يمضـي
ومـع الطفـل تـولـد البغضـــاء
بدعـة الجـور ان يفـوز دخيـل
ومـــن البيت يطـرد الابنـــاء

كان ملوك هذه الامبراطورية وثنيين كعامة الشعب بيد انهم كانوا في وئام وتسامح مع الاقلية الاسلاميـــة التي كانت تعيش وسطهم كما سنرى .

فكيف كانت الحياة الاجتماعية وتمشي شؤون الدولة في امبراطورية غانا ؟ ان الوصف الذي تركـــه المؤرخون العرب لقاعدة الملك ليعطينا صورة عن هــذه الاحـــــــوال .

لقد كان الملك يقيم في غانا نفسها . وكانت المدينة تنقسم الى مركزين رئيسيين : مركـــز وثني ومركـــز اسلامي يجمع بينهما شارع طويل بنيت على جوانبــه دور بالحجر تحيط بها حدائق . اما الملك فكان يسكن الحي الوثني وسط قصر بنوافذ من زجاج وجــدران مزخرفة بالتماثيل . وتحيط بالقصر منازل للسكنـــى من الحجر واخشاب الصمغ . وكانت الطرقات مخططة تخطيطا هندسيا محكما . وقرب المدينة بنيت منـــازل الكهنة المكلفين بالسهر على الاصنام واضرحة الملوك . ومن الدلائل على التسامح الذي كان يبديه اباطرة غانا انهم بنوا مسجدا قرب القصر ليتسنـــى لضيوفهـــم المسلمين ان يؤدوا الفرائض به .

اما المركز الاسلامي فكان يحتوي على متاجـــر ومنازل المسلمين . وكان بــه اثنا عشر مسجدا ولكل مسجد امامه ومؤذنه ومقرئه . وكان العلماء والفقهاء يأتون من البلاد الاسلامية ليفقهوا النـــاس في الدين . ووفرة المساجد في حاضرة غانا تدلنا على كثرة عـــدد المسلمين ابان عظمة هذه الدولة .

كانت الحاضرة مركزا تجاريا عظيما ترد عليـــه قوافل الابل من افريقيا الشمالية وخاصة من المغرب محملة بالقماش والنحاس والتمر والعنبـــر والملـــح ، وتروح محملة بالذهب . اذ كانت ارض هذه الدولـــة تحتوي على هذا المعدن الثمين حتى ان ملكها كان يعقل جواده بكرة ذهبية تزن نحو 15 كيلو . وكـــان هــــذا المعدن متداولا بين اهلها .

والى جانب هذا النشاط التجاري كان هنـــاك نشاط مهني منقطع النظير ، فكان الصناع على اختلاف انواعهم يشتغلون في صنع الاقمشة الحريرية والصوفية والقطنية ، وصناع الحلي والمجوهـــرات لا يفتـــأون يشتغلون الى غير ذلك . وكانت آثار النعمة بادية على سكان غانا . وفي مقدمتهم الملوك الذي كانوا يرتـــدون القز والصوف وينتعلون الاحذية الرفيعة .

كان الامبراطور يخرج كل صباح وسط ضباطه وبجانبه ابناء الملوك التابعين له في ازياء زاهية فيجلس الى الناس لفض نزاعاتهم والاستماع الى تشكياتهم او آرائهم . وفي المساء يقوم بجولة في مرافق المدينة ، ولكن لا يسمح لاحد بالاقتراب منه . وكان الشعب متعلقـــا بملوكه . فكان الناس يتجردون من ثيابهم عند رؤية هؤلاء الملوك ويتخرون في التراب ويلقونه على رؤوسهم . وهي عادة ظلت مستعملة في اغلب الســـوادين . هــذه صورة مختصرة عن الحياة في قاعدة الامبراطوريـــة ولم تكن الحواضر الاخرى باقل منها ازدهارا ونهضة . فقد تحدث ابن حوقل عن حاضرة مملكة أوداغشـــت البربرية التي كانت تابعة لغانا والتي زارها في أواخـــر القرن الحادي عشر فاعجب بها وبما كان عليه سكانها من سعة العيش وتعجب من اناقة البيوت التي كانت تحيط بها الحدائق وتغمرها المياه الدافقة ، كما ذكر ازدهار التجارة بها حيث كانت تاتيها صنوف البضائع من جميع الجهات . وشاهد ابن حوقل وصلا باربعين الف دينار دينا على احد سكان تافيلالت مما يدل على وفرة المبادلات التجارية اذ ذاك بين المغرب وغانا .

ان هذه المعلومات التي تعمدنا اختصارها لضيق المقام والتي ندين بها للمؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب لتعطي صورة عن مدى مابلغته الحضارة في عهد امبراطورية غانا . واذا كانت هذه المدينة قد عفـــت آثارها . فان المنقبين والباحثين جادون في الكشف عن رسومها . وقد دلت الحفريات التي قام بها بعضهم في سنة 1939 ثم في سنتي 1949 و 50 وما عثروا عليـــه من آثار وأدوات على « رقي هذه المدينـــة ســـواء من الناحية العمرانية او الفلاحية » على حـــد قول هؤلاء العلماء (1) . فقد عثر على مجوهرات محلية الى جانب المجوهرات التي كانت تجلب من البحر المتوسط ، كما عثروا على ادوات منزلية واوزان في غاية الدقـــة ممـــا يشهد بما بلغته هذه الدولة من رقي مادي .

فكيف درست آثار هـــذه الدولـــة وزالـــت من الوجود ؟ مع ان ذكرها ظل عالقا في الاذهان عدة قرون بعد ذلك وبقي انشودة في افواه المغنين مـــن الاجيـــال

(1) Lazartiques, Raymond Maury et Paul Thomassey.

الممالك الإسلامية القديمة في افريقيا السوداء

- 2

للأستاذ
قاسم الزهيري

ان اول مملكة نشأت بافريقيا السوداء من الناحية الغربية هي مملكة غانا باتفاق كلمة المؤرخين وخاصة منهم العرب . وينبغي الا نخلط بين هذه المملكة ودولة غانا الحديثة التي تبعد عنها بآلاف الكيلومترات بعد فاس عن بنغازي مثلا . وسنرى في عرض الحديث لماذا اختار الرئيس نكرومة اطلاق لفظ غانا على قطره الذي كان يعرف قبل الاستقلال بساحل الذهب .

فما هو اصل غانا ؟ ومتى نشأت ؟ هذا ما لم يستطع المؤرخون ان يثبتوه بدقة . وقد اقتصر العرب منهم على الاشارة بان هذه المملكة نشأت في القرن الثالث الميلادي ، يوافقهم عبد الرحمن السعدي صاحب « تاريخ السودان » على هذا الرأي . ويذهبون الى ان هذه المملكة كانت تسمى بامبراطورية باقور وقد تعاقب على عرشها ثلاثون ملكا قبل ان تعرف بغانا فيما بعد ، ويقول احد المؤرخين المحدثين (1) : « ان مما لا جدال فيه أن انماء المبادلات بين السودان وشمال افريقيا عن طريق الصحراء الغربية هو الاصل في نشوء اول دولة كبرى عرفها التاريخ وهي امبراطورية غانا » . وقد ذكر المؤرخون العرب مثل المسعودي والفزاري وابن عبد الحكم ان المبادلات التجارية كانت في غاية النشاط بين شمال افريقيا والسودان . وكان مركز هذه التجارة بتافيلالت في الشمال .

وايا كان اصل غانا ، فان هذه الدولة بلغت أوج عظمتها ما بين القرن التاسع والقرن الحادي عشر الميلاد . وقد زارها ابن حوقل في القرن العاشر . واستقصى اخبارها البكري ثم ياقوت في « معجم البلدان » بعد ما كان امرها الى الزوال .

ويذكر المؤرخون العرب ان دولة من جنس ابيض نشأت أول مرة فكانت الاساس الذي تفرعت منه امبراطورية غانا وازدهرت بعد ذلك . ويرجع صاحب « تاريخ الفتاش » أن هذه الدولة كانت بربرية الاصل، ثم آل الحكم بعدها الى الافارقة السود .

اما موقع هذه الامبراطورية فكان يمتد من أدرار الى ما بعد تمبكتو ويشمل اغلب الصحراء العربية أي موريطانيا حاليا والسودان أي جمهورية مالي وبلاد التكرور أي السنغال بينما كان نفوذ ملوكها يتسع الى ابعد من ذلك فيشمل النيجير وغينيا . وكانت المناطق البربرية في شمال الصحراء تدين لهم بالطاعة وتؤدى لهم الجزية .

واما موقع عاصمة هذه الامبراطورية أي غانا ، فلا يعرف بالضبط . والتنقيبات التي قام بها العلماء قد كشفت عن مدائن تمتد على عدة كيلومترات قرب مدينة النعمة في منطقة الحوض من موريطانيا على مسافة ثلاثمائة كيلو متر من باماكوا .

والملوك المعروفون كانوا من اسرة « سيسي تونكارا » . وجدهم الاعلى « كايا مغان » هو الذي أسس هذه الامبراطورية . وكانت قاعدة الملك هي مدينة غانا . بينما كانت الامبراطورية تحتوي على حواضر لا تقل اهمية عن غانا مثل ساما قندة وغارنطل وغاديارو ودباريس وسيلا . وبين كل مدينة واخرى مسافات بعيدة تعد بالايام على ظهور الابل

(1) Jean Suret-Canale: Afrique Noire, p. 147.

ديوان دعوة الحق

هنيئاً بني أمي

لشاعر الثورة الجزائرية
مفدي زكريا

على نبضات الشعب ، رقعت الحاني ... ومن نشوة التحرير ، لحنت اوزاني
وانشدت فى افراح شعبي ، وترحه ... روائع ، لم يصدع باعجازها ، ثاني
وخلدت من مجد العروبة صفحة ... رسمت على عنوانها وجه قحطان
ومليء عروقي ، صارخ دم يعرب ... فالهمني ينبوع يعرب ، تبياني
ونيمني حب الجزائر ، فارتوى ... نشيدي فى الساحات ، من دمها القاني
وفى المغرب الجبار ، ناشدت وحدة ... سبقت بها — فى فجر عمري — اقراني
واحببت اوطاني رضيعا ، ولم ازل ... اغني مع الدنيا ، بامجاد اوطاني
وهمت بابناء العروبة ، يافعا ... ارى كل ابناء العروبة اخواني
ورضت القوافي الجامحات ، فاسلمت ... وناديت عملاق القريض فلباني
سهولتها ، تفري البسيط وانها ... من العمق ، تستعصى على كل (وزان)
وما ذاك : الا ان شعري من دم ... يفجره وعيي ، وحسي ، ووجداني
وشعرهم ، بدع من الخلق (مشكل) ... ولا رحم فيه لكعب ، وحسان ...
تعلقت بالفصحى ، فاشربت حبها ... وارغمت منها ، انف من يتحداني
اذا كان للشيطان فضل عليهم ... فشعري وحي ، لا وساوس شيطان

التي اعقبت زوالها . حتى ان ابن خلدون سمع بأمجادها وهو فى مصر اواخر القرن الرابع عشر .

ذاك ما سنذكره بشيء من الاختصار .

ان نهاية مملكة غانا كان فى الربع الاخير من القرن الحادي عشر الميلادي على يد المرابطين . ولا مناص من التذكير بظروف قيام هذه الدولة على سبيل الابجار تخلصا للحوادث التي ذهبت غانا ضحيتها .

تعرفون ان يحيى بن ابراهيم الكدالي كان رئيسا على قبائل صنهاجة فى الصحراء الغربية اي موريطانيا فى الاصطلاح الحديث . فلما رحل الى المشرق فى اوائل القرن الخامس الهجري اصطحب معه الى الصحراء — بناء على نصيحة الشيخ ابن عمران الفاسي — الفقيه عبد الله بن ياسين ليفقه الناس فى امور دينهم . فلما لقيت دعوته اعراضا وعزوفا اعتزل هو ويحيى رباطا بالسينغال . واجتمع عليهما خلق كثير . فلما اشتد باس الفقيه عبد الله بن ياسين دعا مريديه الى نشر الدعوة ومقاتلة اهل الردة حتى « ملك جميع بلاد الصحراء وكذلك قبائلها » .

ثم توفى يحى بن عمر الكدالي ، فجمع عبد الله بن ياسين رؤساء قبائل صنهاجة وولى عليهم برضاهم يحى بن عمر . وامتد الجهاد من الصحراء الى المغرب لكن يحى بن عمر ما فتيء ان عاجلته المنية فى بعض الغزوات بالسودان . فولى عبد الله بن ياسين اخاه ابا بكر بن عمر . وهذا هو الذي قهر غانا وأدال دولتها.

فبعد ما جاهد اهل الردة والبدعة صحبة عبد الله ابن ياسين الذي استشهد فى موقعة دارت بينه وبين قبائل بورغواطة ودفن بكريفلة على مسافة يسيرة من مكاننا هذا ، جددت البيعة لأبي بكر بن عمر فاستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين لاتمام الغزو وعاد هو الى الصحراء لما انتهى اليه من « اختلال امرها ووقوع الخلاف بين أهلها » .

فاقترنت عودته بمواصلة الزحف على السوادين لنشر الدعوة الاسلامية ، فانقض بجيوشه على مملكة غانا . ودار الكفاح مدة اربع عشرة سنة الى ان سقطت العاصمة سنة 1076 ، وانهارت الدولة وانفصت من حولها الممالك التي كانت تابعة لها ، ونشأت على اثر انهيارها مملكة مالي الاسلامية التي سنتحدث عنها . ثم تحت ضربات هذه الممالك خرجت غانا وأصبحت اثرا بعد عين .

ويقال ان كثيرا من اهلها فروا بانفسهم من الهلاك امام زحف المرابطين العارم وقصدوا « ساحل الذهب » فعمروها . ولهذا اختار الرئيس نكرومة اطلاق اسم غانا على دولته احياء لذكرى هذه الامبراطورية التي ضربت بحظ وافر فى مضمار المدنية.

وهكذا سقطت اول امبراطورية بافريقيا السوداء تحت طعنات المرابطين . ولم يدم حكمهم لها سوى احد عشر عاما ، ثم تفرقت كلمتهم ، فانتهز اهل غانا هذه الفرصة وازاحوا نير العبودية عن عاتقهم . فرجع المرابطون الى الصحراء من حيث اتوا . ولكن عز غانا وصولتها لم يعودا كما كانا حيث انتقضت عليها الاقطار التي كانت خاضعة لنفوذها ، ونشأت ممالك جديدة اهمها مملكة سوس . وبقيت غانا من عثرة الى عثرة الى القرن الثالث عشر حين حطم مؤسس دولة مالي الملك سوندياتا آخر صروحها ومحا معالمها من الوجود .

على ان الزحف المرابطي لم يكن له سوى هذه النتيجة ، بل كانت له نتائج اخرى من حيث انتشار الدعوة الاسلامية . فدخل الاسلام كثير من الامراء . وخاصة امراء الاقطار التي كانت غانا تخضعها لسيطرتها وأصبحوا دعاة متحمسين للعقيدة فى وسط شعوبهم . ومن ذلك الحين والاسلام يختط طريقة فى قلب افريقيا السوداء يعتنقه قوم ويرفضه آخرون . فاكتسح رقعة ممتدة الاطراف ، وقامت منذ ذلك ممالك اسلامية هنا وهناك ، وسنعرض فى الحديث المقبل بحول الله أهم مملكة نشأت بعد سقوط غانا ، وهي مملكة مالي ، وكانت هذه المملكة اسلامية عريقة بامرائها وشعوبها بخلاف مملكة غانا التي كانت وثنية .

— يتبع —

الرباط : قاسم الزهيري

فاتبعت بالاذناب ، راسا مهشما   فولى فرنسي ، وادبر اسباني
وانجدت فى الويلات ، شعبا مجاهدا   يضحي فداء فى مذابح عدوان
ويعلن بالرشاش ، حق وجوده   ويدفع للتحرير ، مليون قربان
تصوم به الآلاف عن كل لقمة   يقدمها ـ مسمومة ـ كف سجان
وكيف بطيب الاكل من كف جائع   يقابل معروف (القموح) بنكران ؟
وينسى ـ وما تنسى الجزائر ـ قصة   يرددها عن غدرهم ، كل انسان
نقمص (غاندي) فى عروق شبابنا   وعفنا رغيف الذل من يد جوعان
نذرنا : نصوم الدهر ، او يطهر الحمى   وننصف فى التاريخ ، ثورة (مفران)
وسممنا الاحجار ، نقضم صخرها   ونبلع ـ ان جعنا ـ شعاليل نيران
لئن صام (غاندي) (فابن بلا) بارضنا   نصوم ، ولا ننسى معارك ميدان
وان صام (غاندي) فانحنى (جورج) صاغرا   فديغول اعمى ، (فيه مس من الجان
وللمثل العليا ، تنكر عابسا   وهل يرتجى الادراك من خارق فان ؟
سنمضغ باديغول ، جيشك لقمة   فجبش فرنسا ، من فصيلة خرفان
ونحفر ، باديغول ، قبرا بارضنا   لمن جهلت احفادهم (دار لقمان)
بنى المغرب الميمون ، هذى مشاعرى   يطير بها شوقي ، اليكم وتحناني
خوالج الف فى حماكم متيم   ونبضة ملتاع ، وخفقة ، ولهان
فلا النيل ، فى ارض الكنانة ، مال بي   ولم يلهني عنكم ، مفاتن لبنان
ولا الغوطتان الجنتان (بجلق)   ولا بردى عن (سبو) مغرب الهاني
ولا الثلج فى (صنين) يعدل اطلسي   ولم ينسني بيروت روعة تطوان
ولا الساحرات ، السارحات ، بارضها   ولا الضبي فى احراشها السمر انساني
بلادي .. عرف الله ، فى قسماتها   وآمنت ان الله ليس له ثاني ..
بلاد ، يهيج الوجد ، ان مر ذكرها   واهوى بها الشعب النبيل ، ويهواني
بلاد بها من (فاس) فى القلب شعلة   وفيها احبائي ، وصحبي ، وخلاني
مرابع (فى مراكش) خط رسمها   من الملا الاعلى ، ملائك رحمان
خذوا من صميم الارض ، تصميم عزكم   وعن خبرة الرسام ، تخطيط بنيان !!
فمن قام يبنى مجده بيمينه   يعش آمنا فى ظل خير واحسان
هنيئا لكم ، يا رائعين بجنة   تصونكم (فى عرشها) عين رضوان ...

تونس ـ مفدي زكرياء ـ ابن تومرت
شاعر الثورة الجزائرية

وقالوا : مدحت المالكين ... اجبتهم: هل المدح فى غير المناجيد من شاني ؟
اذا ما استقام المالكون ، مدحتهم وصفت مديحي من قواعد ايماني
ولولا كفاح ... ما مدحت (محمدا) ولا جئت بالآيات ، فى (الحسن الثاني)
من العلويين الاماجد طهرت ارومتهم فى الكون ، اصلاب عدنان...
هما شرفا ملكا ، وما شرفا به فبا سعد من يقفو خطى الملك الباني
ومن لم يوف الحر شكرا ، مكابر ومن يجحد الانسان ، ليس بانسان
هما من صميم الشعب ، خاضا كفاحه وكم شاطراه ، فى عذاب وحرمان
ومن يستهن بالتاج ، من اجل شعبه يعش خالدا ، فى شعبه طول ازمان....

* * *

ورب ملوك شيدوا الملك بالدما على جنث المستضعف الكادح العاني
وناموا على حقد الشعوب ، يصونهم من الشعب — فى ابراجه — الف شيطان
وفى الشعب بركان ، اذا انشق صدره تلقف ملكا ، عرشه فوق بركان
هو العدل يحمي الملك ، (لا البيض والقنا) وفى عبر التاريخ اصدق برهان

* * *

بني المغرب الاقصى ، هنيئا بموسم به اعتز شعب ، وامحى ظل (مربان)...
هنيئا (بني امي) بعيد خلاصنا من الغاصب المستعمر ، الغادر ، الجاني
ومرحى ليوم ، صاح فيه (محمد) على المنبر الاعلى ، باقدس اعلان
وحل (رباط الفتح) فتح رباطه واغلق باستقلاله ، عهد طغيان
وقام على الانقاض يصنع مغربا ويبعث فى ارجائه ، عصر مروان
ويجمع شملا ، حول عرش ، قوامه محبة شعب ، لا مهابة سلطان
ويخلق جيلا ، من نبل كفاحه نسق به صدر العلا ، خير ربان
ويسمو به شطر النقا ، بسرع الخطى لمدرسة ، منهاجها هدي قرآن
ويدفع شعبا ، للبناء ، بهمة سرى عزه الاوطان ، فى دعم اركان
فيصعد خلدا ، مستريحا ضميره وفى شعبه — من صنعه — الحسن الثاني
الى (الاسمر العملاق) اهدي تحيتي وما غير اخلاصي لشعبك اغراني
وفى صانع التاريخ ، تسمو قصائدي ويرجح فى دنيا العروبة ، ميزاني
اقدس فيك العلم ، والفكر ، والحجى ورفعة انسان ، وخبرة يقظان
وعهدا صدوقا ، فى الجلاء حفظته وطهرت ارضا ، من رواسب ادران
وفى (ذنب الافعى) تذكرت قصة اضاع بها (فردوسنا) رأس ثعبان

وتبدو من لظى البحر　　قرون للشياطين
تصوغ صواعق المحق　　بآلاف الملايين
تذيب المال اشداق　　فيجري في الشرايين
لهم امعاء من نار　　تلوى كالثعابين
فهم في لجة البحر　　جبال من براكين

* * *

وهذا الوقت قد امسى　　قصير العمر مفتونا
فكل الناس في ركض　　من الاسراع يجرونا
دهتهم فتنة عميا　　كما تنتاب مجنونا
ومن وقفت به رجلا　　ه صار اشل محزونا
فهم في هذه الحمى　　كآلات يدورونا

* * *

وهذا الجو موبوء　　بعدوى الفتك والحمق
كأن الارض قد رشت　　بسم طال في الزق
وادهى منه مخزون　　ليوم الفصل والصعق
فان تطلق نر الدنيا　　رمادا في سنا برق
فنطوى فى السما الارض　　كحال الكون في الرتق

* * *

فويل للورى مما　　جنى تمدين ابليسا
ومن علم حوى جهلا　　وعم الناس تلبيسا
فليت الارض لم تعرف　　اميريكان أو روسا
وليت الارض قد ظلت　　كعهد قبل (بلقيسا)
تعد السيف والرمحا　　وتركب في الفلا عيسا

بحر الأغوال

للشاعر :
المدني الحمراوي

رأيت الكون محموما … يعاني ضغطة العلم
غدا كالفرن مشبوبا … يذوب كجمرة الفحم
غدا كالثور مطعونا … بلا رشد ولا حلم
يروم هناءة لكن … يصادف راعي الشؤم
فيعدو جافلا حتى … يلاقي صرعة الحتم

* * *

رأيت الناس كالحمقى … سعوا في ماحق الخطب
اقاموا للهوى عرشا … وقالوا : جل من رب
ونحوا حوله طرا … بروح العرض واللب
واجروا تحته نهرا … من اللذات والذنب
وعاموا فيه افواجا … بلا ستر ولا قلب

* * *

تقود الناس اشباههم … الى بئر بلا قعر
بدت في صورة حسنى … وكل القبح في السر
تراها دمية تسعى … بلا روح ولا فكر
خلت من سرها لما … خلت من حكمة الطهر
وغطت روحها لما … تعرى الجسم من ستر

* * *

ومال الارض مصبوب … على بحر من النار
غلى من حولها حتى … غدت سوداء كالقار
فلا تكفيه (اطنان) … ولا يروى بامطار
وفي شطيه اغوال … تصول بسود اظفار
وانياب لهم زرقا … ء في طول واذعار

اخلاقنا مركوزة في طبعنا … موصوفة بتباين وتنافر
ان رمت تقويما لها لم تستطع … تعديلها الا بقدر ظاهر
ينأى بها الطبع العسير عن الذي … ينوى اللياذ به لسهل سافر
فاكشف كوامن طبعها من سرها … بلباقة ، تبلغ مقاصد ماهر
من رام اصلاحا لها من جذرها … رغما عليها ، فهو ليس بقادر
فلربما خفيت على متصدر … ومهذب ، اخلاقه : كالثائر
فالعلم تركبه الجهالة تارة … والحلم مفزو بطيش حاسر
واذا تيقظ غافل فلربما … غفل الذكي اح الذكاء الباتر
او صال رعديد فرب شجاعة … كانت صيالا من جبان خائر
خلق البرية : وزنه من خلفها … خشن ، وسهل ، فيهما ، للناظر
لا تستطاع سياسة لنحبزة … الا بمقدار ، وخطو ظافر
كالخلق ليس بمستطاع قلبه … لنقيضه ، فدع الجهالة للغبي العاثر

* * *

ناموس ربك فى البرية شارح … قصد السبيل لكل شهم سائر
بدعو لحسم الشر كل فصيلة … ويفض خيرا من زمان غابر
ويوطد السنن التي نسمو بها … هدي النفوس الى المقام العامر
ويزين الخلق الشريف لطالب … ويفي بتنوير الطريق لسادر
ويشوق الارواح للحق الذي … نفضي لحكمته بصدق الشاكر

* * *

تتفاوت الافكار ــ تلك سجية … وتعوج فى طرق التواء قاهر
فلكل شخص طبعه ومزاجه … ينأى به عن كل طبع حائر
لكن شريعة ربنا معروضة … بالخير والحسنى لقلب طاهر
بحلو مذاق غذائها لذوى النهى … وبها الحلول لكل شأن حاضر
من كان فى درج السيادة صاعدا … فشريعة الرحمان خير مؤازر

18 ذى القعدة عام 1381

فاس ــ الحاج احمد بن شقرون

شريعة الله

للشاعر :
الحاج العربي شقرون

عبقت بروضك بانعات ازاهر … وتكشفت عن فاتنات سرائر
ونجملت بلفائف من سندس … خضر ، وتاهت فى جمال ساحر
وتعانقت مزهوة بشبابها … وتمايست مطلولة بجواهر
لبست غلائلها البديعة وارتمت … فوق البساط من السرير الناضر
فاذا الحمائم والعنادل تنتشي … فكأن داود حدا بمزامر

* * *

دنا الربيع ابيرة لكنها … مدخولة رغم الجمال الباهر
ناذا اعتبرت به مجيلا فكرة … فى بسه ، وهشيمه المتناثر
ظهرت لك الاسرار بعد خفائها … وجلت حفيقة خضرة ومناظر
فالكون لغز ، فاختبره مقدما … تظفر بصحة الاختيار الظافر
وزن الحياة بوزن عقل راجح … برنو الى الاشياء نظرة ماهر

* * *

من ساء منظره الى حوبائه … قلت نصيحته لغاو سادر
فالروح فى حمأ الجسوم غريقة … فاصقل اورمتها بنبع طاهر
كي تستطيع بها بلوغ سعادة … لا تستطاع بغير طهر غامر
كاناء ماء جاورته لزوجة … للشرب يصلح بعد غسل مجاور
فالله قد خلق ابن ءادم للعلا … واراده لمناقب ، ومفاخر
ودعاه للحال النفيسة ، عله … يرقى مدارج هيئت لمبادر
متمتعا بجوارح محسوسة … ومدارك معقولة ، ومشاعر

جاءهم «احمد» البشير المفدى مثلما ترقب الظماء الغماما
مثلما يشرق الصباح فيمحو آية الليل اذ يبيد القتاما
مثلما ينشر السلام بساطا يستقر الوجود فيه مقاما
يستظل الجميع فيه سواء فى نظام الى العلا يتسامى

* * *

جاءهم يرفع العقول مكانا ويساوي الاجناس والاقساما
ينظر الله للقلوب ولا ينـ ـظر تلك الالوان والاجساما
كيف يرقى الوجود والناس فوضى لا يصونون حرمة أو ذماما..؟

* * *

فاستهانوا به وزادوا عنادا وغدوا فى ضلالهم اصناما
ما استطاعوا جداله بعقول انما جردوا عليه الحساما
دبروا قتله وربي حفيظ ينصر الحق يبطل الاجراما
صانه منهم وكانوا حراصا حول دار الرسول باتوا قياما
فرماهم بآفة النوم حتى اصبحوا ينفضون عنهم رغاما
هاجر الصادق الامين كفاحا لا فرارا بل حازما مقداما
فأضاءت به «المدينة» والدنـ ـيا استحالت جميعها انغاما

* * *

يانبي الهدى فداؤك نفسي أنت نور لنا يبيد الظلاما
كلما عاد ذكر عيدك فينا جدد العزم واستحث النياما
فاتجهنا لمصدر النور ندعو نسأل الله ان يقر السلاما
ويفوي بي العروبة حتى يستعيدوا مكانهم أعلاما
وبعز الاسلام دينا ودنيا في اتحاد يوطد الاسلاما
ويعيد التاريخ فجرا جديدا ويجلي عن زهرنا الاكماما

* * *

ولك الحمد يا الهي وياخيـ ـر البرايا تحية وسلاما

تطوان : احمد محمد صقر

في عيد الهجرة

للشاعر : احمد محمد صقر

عطروه تحية وسلاما   انه عيد من اعز الاناما

وابعثوا اللحن في الوجود بشيرا   يملأ الكون كله انغاما

قوى الحق يوم هجرة « طه »   فاذا النور يمحق الاوهاما

واذا فاتح « المحرم » يضحي   فاتح الخير ، ينشر الاسلاما

* * *



لحظات من الخلود افادت   كتب التاريخ العطايا الجساما

اخرجت عالم الوجود الى النو   ر وهدت ضلاله والظلاما

وابادت عناصر الجهل منه   في بيان يقدس الافهاما

هي في الدهر مثل «احمد» في الخل   ق سموا وروعة واحتراما

كانت الارض قبل غابة وحش   يتبع الناب في دجاها البغاما

فقوي يسوف اين تهادى   في دجى الظلم الناس والانعاما

وضعيف يظن ان الليالي   خلقته ليحمل الآلاما

ونظام به التهكم راموا   حينما اطلقوا عليه نظاما

* * *

عالم بات سادرا في هواه   وعلى مربع الخلاف اقاما

ركب الجهل والسفاهة فيه   فتراه عداوة وانقساما

ان تشرق وجدت ايوان «كسرى»   اشعلته يد الشقاق ضراما

او تغرب فتلك دولة «روما»   اورثتها الحروب داء عقاما

وبنو العرب في الصحاري ذئاب   يجعلون الظلوم فيهم اماما

ينحتون الاصنام وهي جماد   ويقولون : نعبد الاصناما

اي درك تدهور العقل فيه   بعد هذا ؟ واي جهل ترامى ..!

قصة العدد

المحافظ

للاستاذ : عبد القادر المقدم

مسرحية اجتماعية ساخرة في فصل واحد

– المنظـــر الاول –

المكان حديقة متصلة بمنزل – وفى صالة فسيحة فخمة الرياش والاثاث

الاشخاص : خيرية ، شيبة ، فياض ، واصوات (رنين كؤوس ولغط المـارة ..)

خيرية — (مغتاظة) آه لقد تنبأت لك يا شيبة بهذه الغاية التي انتهيت اليها وانــا معــك ، فى الوقت الذي كنت مولعا فيه بقراءة الكتب التيتدعو الى حياةالتقشف ونشر الاعجاب بسـير اولئك الابطال الخرافيين الذين ابتدعهم خيال القصاصيـن والروائيين ..

شيبة — (فى غير مبالاة) تلك كانت بدعة العصـر التي استبدت باقبال الناس ، الخاصـه منهم والعامة وكان لزاما علي ان احــدو حذو هؤلاء ..

خيرية — (عابسة) لقد نلت الجزاء الوفاق الـذي يستحقه كل من بالـغ فى تقدير نفســه واعطائها ما تستحقه من الاعزاز .

شيبة — (معتدا بنفسه) لم آت الا ما كان فضيلة فى نظر المجتمع ولولا هذا ما كنت فاعــلا شيئا الام عليــه .

خيرية — (فى حدة) انت واهم .. بـل انت مغفل لا تحسن المقارنة بين ما هو ضروري وبين ما هو كمالي . فالشيء المطلوب بالفعل غير الشيء الممدوح بالقول .

شيبة — لست كما تدعين ، ان انا الا انسان عشق الكمال فسعى اليه ، ولا عليه بعد ذلك وصل او لم يصل .

خيرية — ان هذا الطريق الذي تسلكه اطول مــن صبرك ، واقوى من عزمك ، وابعى مــن زادك !

شيبة — اذا كان هذا رايــك في فانت وما تريـن .. أما ان ترغميني على الاخذ بــه فهـذا حطل ظاهر .. لان كل واحد مسـؤول عما يـرى وما يعمل ..

خيرية — (مغضبة) هذا اذا كان ضرر ذلك يقتصر على صاحبه . والا فلا حق له فى ان يـرى اي رأي او يذهب اي مذهب .. وانـــا متضررة من آرائــك وما نتحمله اليــوم من شظف العيش ان هو الا نتيجــة لذلك

شيبة — اذا كان ما نجنيه اليوم ثمار ما غرسنـاه بالامس فما يجدي علينا التلاوم .

خيرية — (متأثرة) يؤسفني انني جاريتك على هذا النمـط مــن الحيــاة طيلــة السنــوات الماضيــة . ويؤلمني اليــوم ان استمــر فى مسايرتك ..

الحلقة المفرغة

«مهداة الى معلم قديم»

للشاعر أحمد البقالي

> وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه) .
>
> قرآن كريم

سأنفض منـك يدي ،
واعرض عن بابـك الموصـد ،
الـى الابـد ...
فقد وهنت قبضتـاي ،
وصـم صـداي ،
علـى بابـك الانكـد ،

نبعتك فى الكهف بين الصخور ،
لعلي ارى فيـه اشعـاع نـور ،
وجلت بعينـي بيـن المغـاور ..
فلـم ار الا مقابـر ،
فهل مـا لكهفك ءاخـر ؟

لقد سقتنـي بيد من حديد
اليه كسـوق العبيـد ...
وعالجتنـي بسيـاط رقـاق ،
كألسنـة النار تفـرى الجلود ..
واغرقتني فى القيـود ،
لكـي لا اعـود ،
الى حيث ضـوء السمـاء ...
لاسأل عـن سـر هـذا الوجـود
وهل بعـده مـن خلود ؟

ومن بعد عشرين عـام ...
من الخبط فى الصمت تحت الظلام .
تبينت انا نـدور ،
معـا فى فـراغ كبيـر ،
ومن فوقنـا الشمس فى مهرجـان
من النور .. والبدر فى العنفوان ..
وانا نسير ، واعيننـا مقفلة ،
وءاذاننـا مثقلـة ...
لكـي لا نرى الشمس تجـري ،
ولا النـور يسـري ،
لبدفء قلب السمـاء ...

واشنطون : احمـد البقالـي

موفن من ان فظائع اخرى ذيلت بها صحيفتي دون ان يكون لي فيها يد ولو كنت اجد سبيلا لتبرئة ساحتي حتى بالتخلي عما يحوطني من شهرة وثراء وجاه لما ترددت في ذلك لحظة واحدة ، ولكن طالما حاولت ذلك فوجدت جميع المنافذ قد سدت في وجهي ، وهذا ما اقنعني احيانا بان الوقت المناسب لهذا قد فات ..

ولو كان في امكاني ان اتقمص شخصية شيبة متخليا له عن شخصيتي وما يكتنفها من المظاهر ، لعلمت وانا جد مغتبط سعيد . ان شيبة هذا الذي سئمت معاشرته ، رجل غني بنفسه وشريف ببراءة ساحته وفاضل بعفافه .. اما انا فعلى العكس من ذلك ولا يستبعد ان ياتي يوم تدعو فيه حاجة الناس الى رجل من طراز شيبه .. وما الاحداث المتعددة الا طلائع ذلك اليوم المنتظر ..

خيرية — (متطلعة) وماذا اوردك مورد هذا التندم ؟

فياض — (يغالب تأثره) التقلب هو ابرز صفات الدهر .

خيرية — اني جد مرتابة في هذا !

فياض — ولمـــاذا ؟

خيرية — لان المادة لا تزال قبلة الخاصة والعامة . والجاه انشودة المحافل . والمصلحة الدائمة هي القانون الذي تطاطا له الرؤوس . والمحسوبية دين مقدس .

فياض — ولكن هذا في طريق الزوال

خيرية — لا اصدق هذا .. ولكن سنرى !

المنظر الثالث

(حجرة صغيرة بسيطة الاثاث .. خيرة وشيبة)

شيبة — (كالمستيقظ من سنة التأمل) يعز على الانسان ان يتنكر الى مبدا طالما كان عزاءه الوحيد في هذه الحياة .. ومع هذا فان احترام مبدا لا يساير الزمن نوع من العبودية وجمود يجعل صاحبه متخلفا عن قافلة الحياة .

خيرية — (مترفقة) هذا اذا كان لا يتعرض الى مؤاخذة . فالمحافظون احيانا يكونون ذوي رسالة في المجتمع ، ويكون ذلك عندما تستيقظ في الناس روح الحفاظ على تراثهم القومي بما في ذلك سمو الاخلاق وعلو الهمة ...

شيبة — احسب انني لم اعد في حساب هؤلاء، فقد وقع ان اعلنت في جمع من الناس نقمتي على المبدا القائل « بان الفضيلة لا تخضع للتجديد » وطالبت بوجوب مسايرة الفضيلة لروح العصر ..

خيرية — (في تردد) ما كان من حقك ان تتسرع الى هذا الحد .. وعلى كل حال فقد يعتبر تصريحك هذا في جمع مصغر من قبيل الدعابات التي تقصد منها الترويح عن النفس ..

شيبة — ما احسب انهم يؤولونه هذا التأويل .. ولقد حررت رسالة في الموضوع واطلعت بعض الشخصيات على مضمونها ووعدت بنشرها وهذا ما يمنعني من التراجع عن موقفي .

خيرية — لا يجمل برجل مثلك ان يتنكب عن الطريق ويعتنق مبدا جديدا قبل النظر في العاقبة

شيبة — انت المسؤولة عن هذا كله .

خيرية — ذلك كان رايي وانت تعلم الحكمة المأثورة « مهما كان رأى المراة فهو مؤنث طبعا »

خيرية — (متبسما) ما احلى هذا الاعتراف من جانبك .. اظن ان رايي قد اصبح هو الآخر بلوثة التانيث .

خيرية — كل شيء ممكن .. (يضحكان معا)

شيبة — (فى صرامة) اسمحي لي ان اصرح لك بأن معاملتك لي هذه تضايقني اكثر مما تضايقني حقائق الحياة نفسها .

خيرية — (قلقة) ماذا تعني بهذه الكلمات الجارحة .. انت اذن مصاب فى معنويتك كرجل ..

شيبة — (ثائرا) وانت امراة مصابة فى انوثتها .

خيرية — (قلقة) أنت رجل لا تطاق .. لا تطاق .. لا تحتمل سافارقك ..

شيبة — (متأثرا) كما تشائين .. كما تشائين ..

المنظر الثاني

(صالة فسيحة مفروشة ببسط فاخر ورياش جميل .. خيرة وفياض احد اقاربها) .

فياض — (فى هدوء) ما لك تقلقين راحته .. انه رجل وديع وهو من صفت ضمائرهم فصفت لهم الحياة وسلموا من غوائلها .

خيرية — (محتدة) ماذا افاد من هذه الوداعة .. بل اين هو هذا الصفاء المتبادل بينه وبين الحياة . شيبة رجل يعيش .. يعيش فى اوهامه ، تملكه الاعجاب باشخاص غبروا مع القرون الغابرة وبقيت اخبارهم تشغل بطون الكتب ليملأ منها صغار الهمم وضعاف الارادة فراغ ادمغتهم .

فياض — (متلطفا) كل رجل عظيم فى قومه مدين لاولئك الذين صنعوا التاريخ .

خيرية — احسبك ممن يتحدثون بما لا يعتقدون امعانا فى التغرير بمرض الارادة ، ولو كان ما تقوله هو عين ما تعتقده لسلكت انت هذا المنهاج الذي تمتدحه لغيرك ولا ترتضيه لنفسك !

فياض — متى تسربت الى عقلك هذه الافكار ؟

خيرية — فياض .. فياض .. ارجوك ان تحدثني بعقلك وتترك العبارات المنومة جانبا .. فالحقيقة عند العقلاء تفوق قيمة الخيال فى سوق الافكار .

فياض — ما كان لي أن احدثك بغير ما اعتقده صوابا

خيرية — احيانا يكون للشعور سلطان على العقل فيجدها اللسان فرصة سانحة للنيل من الواقع ولي برهان هذا .

فياض — كلنا يملك البرهان ..

خيرية — اما برهاني انا فهو واضح ، ذلك ان شيبة لم يكن اقل منك ذكاء ولا استعدادا لكسب معركة الحياة يوم لفظتكما المدرسة معا الى الحياة العامة فلم تكن لاحدكما على الآخر ميزة ، وعندئذ افترقتما .. اما انت فقد آمنت بواقع الحياة واتخذت لك ابطالا من الاحياء تجاريهم دون ان تشترط فيهم عصمة الملائكة ، ففتحت لك الحياة مجالا وسع كل آمالك .. اما شيبة فقد اختار له ابطالا لا وجود لهم الا فى الاقاصيص والروايات .. وانت تعلم جيدا ان الفرق بين هؤلاء واولئك كبير جدا .. اي انك اعتنقت مذهب الحياة الواقعية بينما اعتنق هو مذهب الفن الجميل وشتان ما بين هذا وذاك .. هذه بينتي .. فاين بينتك انت ..؟

فياض — لا شك فى أنك خالطت ناسا معادين للفضيلة

خيرية — وانا لا اشك فى انك عاشت قوما معادين للصراحة .

فياض — هذا يجرنا الى موضوع آخر ، نحن فى غنى عن اثارته الآن .. لئن كنت فى نظرك انت ونظر كثير ممن يغترون بالمظاهر دون التطلع الى الحقيقة — رجلا جمع بين بعد الصيت وطول الثراء وعزة الجاه .. فقد فقدت الطمانينة وحرمت السعادة ووجد القلق فى نفسي مرتعا خصبا وموطنا صالحا وان عقارب الحسد تتطلع الي من كل جحر، وأفاعي الانتقام تتلوى من حوالي وحيثما التفت . وانا وان كنت لا ابرىء نفسي مما اجترحته من آثام او اقترفته من جرائم تارة ضد اصدقائي وتارة ضد قومي .. واخرى ضد الفضيلة ، والمثل العليا ، يوم كنت فى صف الملحدين بها — فانا

الحياة الثقافية في الوطن العربي

* في المغرب : اسبوع الكتاب المدرسي العربي

في هذا الشهر وفي عاصمة المغرب الرباط ، اقام المركز الثقافي العربي بالاشتراك مع المكتب الدائم لمؤتمر التعريب معرضا للكتاب المدرسي العربي دام اسبوعا كاملا ، واقام الاستاذ الدماطي مدير المركز حفلة استقبال لافتتاح هذا الاسبوع . كانت حفلة رائعة بكل ما فيها ، رائعة في جوها الاحوي ، رائعة في صراحة محاضريها ، رائعة في ابراز تقدم الكتاب المدرسي العربي وتنوعه ونضجه . شاهد الحاضرون النماذج المتعددة للكتب المقررة في مدارس الجمهورية العربية المتحدة ومعاهدها الثانوية في مختلف المستويات . لمختلف انواع الدراسات ، وعلى احدث الاتجاهات وافضل المبادىء التربوية .

وكان المعرض يزهو بهذا الانتاج العربي الذي لا يقل عن اي انتاج مدرسي في اي دولة من دول العالم المتحضر من جميع النواحي ، ويدعو زائريه المؤمنين بالعروبة الواثقين في المستقبل الى الاعتزاز والفخر ويدحض بواقعه المشرق حجج اعداء العروبة الحاملين على لغتنا والناقمين على حضارتنا ويكذب اباطيلهم بالواقع الملموس المشاهد الذي عميت عنه بصائرهم ، وتعامت على رؤيته ابصارهم .

ولم يقتصر المحاضر على نوع من انواع المعرفة بل اعطى لكل ناحية من نواحي المعرفة حقها ، ولم يدع مجالا من المجالات التي تتعدد سواء منها الادبية او العلمية او التقنية او الاجتماعية ، فكان بذلك اكبر دليل على المستوى الراقي الذي بلغه المؤلف العربي ، وكان حجة قاطعة على النضج الحقيقي للعقل العربي وتخطيه مرحلة الترجمة والتعريب التي لابد منها لكل حضارة تريد اللحاق ومسايرة الركب الانساني في اول حياتها ، وفي بادىء نهضتها . نعم كان هذا المعرض حجة على بلوغنا مبلغا نستطيع فيه ان ننتج في كل علم ، وان نؤلف في كل ميدان ، وان نكون لانفسنا اسلوبا يتمشى مع مقتضيات مجتمعنا ، ومتطلبات الاسس التربوية عندنا ، ولم نبق كما يظن البعض من المغرضين مرتبطين بالانتاج الاجنبي ارتباطا نترسم فيه على السنن المسطر .

والحق اننا في حاجة الى حملات ومعارض وتبشير والى معارك ان اقتضى الحال في بلد كهذا ابتلاه الاستعمار بحفنة من ابناء تربته وجعلهم ادوات لهدم هذه اللغة ، واتخذ منهم فرسانا لمقاومة لغتهم ، وتكاتفوا في عرقلة تعريب التعليم خوفا على مستقبلهم ، وسعيا وراء الخلود في المناصب التي احلتهم فيها الظروف ، ولذلك نجدهم في كل دائرة وفي كل وزارة يحتقرون هذه اللغة ، ويعارضون في سيادتها ، ويلتجئون الى سخافات يبررون بها حملتهم وعداءهم ، فهذا انساني النزعة لا يهمه الا ان يتعلم ابناء وطنه ، سواء تعلموا ما يكتب من اليمين او من اليسار ، فهو لا يتعصب للغته لان في ذلك نقصا في الانسانية بمفهومها العالمي عنده ، وهذا غيور على وطنه غيرة دفعته دفعا لكي يحافظ على الفرنسية حتى لا ينحط مستوى التعليم ، ولا ينطفيء الاشعاع الحضاري ، ويعلل هذا الضعف المشاهد في التعليم بازدواج اللغتين ويتمنى بدافع وطنيته لو حذفت لغة الكتاتيب والتمائم لتفسح المجال للغة الاسياد لغة العلم والنور والحضارة .

وآخر يعلن بوقاحة ان العربية ليست بلغة علم ولا صناعة ولا حياة ، انها لغة الاموات ، وحقا انها لغة الاموات ولغة ميتة في قلبك ، افلا تحييها أيها الغيور المكافح كما احيا بن غريون لغة دينه ولغة شعبه

المنظر الرابع

(نفس الحجرة والاثاث ـ شيبة وخيرية)

شيبة — ما كنت اعلم ان الاجتماع الذي عقد اخيرا واعلنت فيه رأيي في وجوب تحرر الفضيلة ـ كان من اجل ترشيحي كرئيس لهيئة المحافظين .

خيرية — وماذا كانت النتيجة ؟

شيبة — اعتباري من قناص المصلحة الذاتية والحقيقة ان كلامي لم يكن خاليا من هذا المعنى ، خصوصا وان هذا وقع عقب ذلك النقاش الذي كاد يفسد علاقتنا الزوجية .

خيرية — وهل دعوت الى هذا صراحة ؟

شيبة — (كأنه لم يلق بالا لكلامها) ان عقول الناس مثل هذا الموقف تنفذ الى ما وراء كلمات الخطيب ، وانتقاداتهم قلما تخطىء الهدف .. وانا اعترف بان اندفاعي اخيرا الى الجهر بهذه الدعوة كان خاليا من الرزانة بعيدا عن الحكمة شأن كل من يتنكر للفضيلة . ولهذا كان لا مناص من اعتباري احد الشخصين : ثائر على القافلة لا على شيء آخر . او معتل الفكر ..!

خيرية — (في استسلام) اقترح عليك ان تعود الى محافظتك .. واعلن في اول اجتماع يعقد اننا جميعا من دعاة الفضيلة ..

شيبة — أنا محافظ .. انا محافظ .. الفضيلة دين مقدس

صوت — (في لهجة الواعظ)

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت ايلام

الستار

طنجة ـ **عبد القادر المقدم**



المنصف ، فالمنصفون قلة وهذه القلة لا يفسح لها المجال لتأتي الينا ، وانما يبعث لبلدنا بقوم اشربوا كرهنا ، وربوا على احتقارنا ، وحقنوا بالسموم القاتلة لكل ما هو عربي ،ولذلك فالواجب يحتم علينا ومستقبل شبابنا ومسؤولية الامة والشعب تلزمنا بان نحافظ على كرامتنا ، وننقذ ابنائنا . وما ذلك بمستحيل على المخلصين منا .

وفي الكويت : مؤتمر الاعلام العربي الخامس :

وفي افريل عقد هذا المؤتمر بالبلد المضياف الكويت وبدعوة من الجامعة العربية واتخذ قرارات من أهمها مواجهة الدعاية الصهيونية في الاقطار الافريقية المستقلة حديثا ، كما اقر توصيات تتعلق بتنسيق الجهود في الدعوة والتبشير بقضايا العروبة في العالم جميعه وخصوصا قضية فلسطين الشهيدة . والعمل على تنظيم الدعاية لتنمية السياحة في الاقطار العربية .

والحق انها توصيات ومقررات جد رائعة ، بل انها اجميع ما نقرره وتوصي به مؤتمراتنا الكثيرة بحمد الله وتنساه اجتماعاتنا بمستوياتها ، ولكن – ومن الاسف ان نضطر في كل شيء الى التأسف – نتأسف حينما نعلن بصراحة بان الشعب العربي قد مل التصريحات والمقررات . وانه في حاجة الى قليل من العمل ولو بنسبة العشر مما نقوله وما نصرح به وما نقرره حتى سنسترد شيئا من الثقة بقادته في كل مكان ، وحتى نرجع اليه بصيصا من الامل في مستقبله ، لقد كثرت التصريحات حتى اصبحت في كثرتها تقارب اعداءات اسرائيل .

ايها الاخوة عجيب امرنا ، اننا جميعا نشعر بالآلام ونحس بالعذاب ونكوى بالنار ولكن رغم ذلك نتهرب من واقعنا وندفن رؤوسنا تحت اكوام المصائب ثم نسبح في الخيال ننسج منه خياما نأوي اليها من لفح الضمير الوخاز ، ونصنع منه احلاما لذيذة نجترها لتلهينا من عذاب النفس ، وخزي الحياة .. لا ايها الساسة اننا اصبحنا على شفا اليأس ، وغدا الشعب العربي يحتقر كل ما تقررون ، ويستهزىء بما توصون . واخشى ان ياتي اليوم الذي تصبح فيه اجتماعاتنا مسخرة وتسلية وفذلكة يتندر بها ، وتضرب الامثال بكثرتها وبذخها ونفقاتها وميزانياتها وبساط ريحها الذي ستنقله الطائرون من مكان الى مكان بكروش منتفخة ، ومعدات متخمة ، وعقول مجترة ، ومحافظ تشكو الى ربها الاثقال . نعم تلك هي الحقيقة المرة ، فاما ان تصدق اعمالكم الاقوال وان تحقق مجهوداتكم بعض ما قررتم في مؤتمراتكم التي تحتاج الى مؤتمر لتحصيها وتنسق فيما بينها . وبذلك تجددون الامال فيكم وتبرهنون على صلاحية بعضكم للتطور والاستجابة لواقع الشعب ، والا فاريحوا ميزانيات دولكم ، وقللوا العبء على كواهل مواطنيكم . واريحوا انفسكم قليلا حتى تتركوا لها المجال لتفكروا وتراجعوا الحساب ؛ فان التاجر اذا لم يجمع مع الثقة والاجتهاد في التصرف ودقة الحساب فانه مفلس لامحالة ، وبعد ذلك فانا اضمن لكم النجاح فيما فشلتم فيه في اجتماعات منظمتنا العتيدة في عمرها المبارك الطويل .

الرباط : موساوي زروق



وجعلهـا ومن اول يوم من تكويـن دويلتـه ، جعلهـا لغة التعليم في جميع مراحلـه ثم لغـة لـلادارة في كل مرافقهـا ..

وما ذا يفيد العربية لو ترجمت المجامع اللغويـة جميع المصطلحات ، وزودت الكتاب العربي بكل جديد مستحدث ، ما فائدة ذلك اذا كنت اعتقـد في قـرارة النفس واصرح بذلك كلما سنحت الظروف ان هـذه العربية عاجزة ميتة سخيفة حقيرة ؟ ما ذا يفيد عمل المجامع ونحن نعلم ابناءنا بغير العربية ونربأ بهم من ان يتعلموا في مدارس الشعب ونتمنى بحرارة لو خلـق الواحد منا فرنسيا لحما ودما على ان نتمتع بمثل هذا المنصب – بالطبع – .

لا ايها الاخوة نحن في حاجـة الى شـيء من الصراحة ، وكثير من الصدق والاخلاص ، وفي حاجة اكثر الى الايمان بانفسنا ، والايمان بلغتنا ، والايمـان بحضارتنا ، وعندئذ سنبعث لغتنا من جديد فنراهـا بغير هذا المنظار ، ونجد فيها ما لم نجده الآن ، نجـد فيها حياة زاخرة ، وحلاوة قل نظيرها ، وقوة لا تأخذ منها صروف الايام شيئا ، بل سنجد انفسنا ، ونكتشف حقيقتنا ، فنعمل على الرقي والازدهار ، فترقى بذلك لغتنا ، وتزدهر ثقافتنا ، فاللغات مرآة لشعوبها ، وعلى قدر عزة الشعب وقوته وتقدمه ترقى لغته وتتقـدم وتعتز ، وعلى العكس ، اذا انحط الشعب ، واصبـح عدوا لمقوماته ، فلا بد من ان تنحط لغته ، او ربمـا تموت نهائيا ولو كانت لغة علم وحضارة ، فاللـوم لا ينصب على لغة ما مهما كانت صعبة وانما اللوم ، وانما المسؤولية على ابناء اللغة ورجالها ، فهم المسؤولون في كل الاحوال وفي جميع الاحتمالات ولدى كل الشعوب .

في القـاهـرة :

المؤتمر الجغرافي العربي الاول :

في عاصمة ارض الكنانة عقد هذا المؤتمـر الاول وكانت غايته العمل على ابراز نظريات عامة وتخطيط شامل للتنمية الزراعية والصناعية واتصال كل ذلـك ببيئتنا ووسطنا العربي ، اذ المعلوم ان الجغرافية لـم تعد مجرد دراسات للارض وجبالها والسهول ووديانها والاقاليم وحدودهـا منفصلـة عن الانسـان بـل ان الجغرافية الآن مرتبطة بالانسـان وبيئته واصبحـت عاملا اساسيا في تحقيق التنمية وتخطيط المشروعات التي يتوقف عليها تقدم البلاد وازدهارها .

فالمواد الاولية ومصادر الطاقة ومنابـع الثروة وطرق المواصلات ومشروعات التنمية وتزايد السكان ومشكلة توفير الغذاء كل ذلك واكثر من ذلك من صميم الدراسات الجغرافية وقد اكد المؤتمر على ذلك والح على اهمية الجغرافية كعامل اساسي في تطوير الوطن العربي ودفعه الى الامام واخراجه من انقاض الماضي والتخلف المزري ليحقق ما يسعى اليه من تقدم صناعي، وثورة آلية ، واصلاح زراعي ، وعدالـة اجتماعيـة ورفاهية شاملة لابناء الوطن العربي .

وما ينبغي لشعب كهذا الشعب الذي كان – وفي زمن غير بعيد – استاذ العالم في الدراسات الجغرافية، وكانت كتبه واكتشافاته وخرائطه ثروة عظمى للانسانية جمعا ، وما ينبغي لشعب ينشد التقـدم والرقـي ان يغفل عن اهمية الجغرافية التي تعتبر بحق العامـل المساعد لكل الدراسات الاخرى .

وقد اقر المؤتمر ايضا تدريس مادتي التاريـخ والجغرافيا في كل البلاد العربية باللغة القوميـة وفي جميع المراحل ، علـى ان تنصب هـذه الدراسـات التاريخية والجغرافية على الوطن الاصغـر ثـم وطن العروبة الاكبر بما في ذلك خصائصه المتعددة في بيئاته المختلفة وموارده ومصادر الثروة فيه .

والحق ان الجغرافيا والتاريخ تعتبر دراستهما اساسا مهما في بناء المواطن العربي من حيث تكوينـه الوطني والعقائدي ، ومـن حيث الاعـداد النفسي ، والربط السليـم للعقل في مراحلـه المختلفة بتراثـه الحضاري ، وتراثه الروحي ، ولا يمكن ان تسند هذه الدراسات لاستاذ اجنبي لا ينظر الينا الا بمنظاره الذي اعتاده منذ نشأته الاولى والذي لا يرى من خلالـه الا الجانب المظلم من تاريخنا ، ولا يكتشف به الا السيئات وما اكثرها عند الامم الضعيفة القريبة العهد بالاستعمار السياسي ، والفارقة الى الاذنين في اوحال الاستعمار الثقافي ، فيؤلف ما يراه من السواد والسيئـات ثـم يرميه لشبابنا الطاهر فيتلقف ذلك كعلم مسلم وحقائق ثابتة وينشأ على الذلة والمهانة لكل ما ينتسب اليـه وينمو على احترام الاجنبي والنظرة اليه على انه المثال والمثل الاعلى ، وغير صحيـح ما يقـال ان في العلمـاء

تامة الجوانب ، الا ان الذي وقع هو ان حوالي النصف تخلف ولسنا ندري لماذا ؟ مع انـه حضر من كان في اشد الحاجة الى علاج ما الم به من مرض ، ومن كان غارقا في اشغال له مهمة ، ومن كان مزمعا على سفر لقضاء مصالح حيوية له .

ومهما يكن من شيء فان المهرجان قد اصاب نجاحا في مهمته ..

وهده هي الموضوعات التي عولجت فيه :

1) العقيدة بين التقليد واستقلال الفكر ـ الدكتور المهدي بنعبود

2) مشاكل التعليم وسبل حلها ـ الاستاذ عبد الكريم بن جلون

3) التنمية الاقتصادية في المغرب وفي الدول المتخلفة ـ الاستاذ عبد العزيز بلال

4) الحضارة المغربية بين الاصالة والاقتباس ـ الاستاذ محمد الحمداوي

5) التيارات الاتحادية العربية وموقف المغرب منها ـ الدكتور محمد المجذوب

6) المغرب بين الاسلام والمبادىء الحديثة ـ الاستاذ عبد السلام الهراس

7) الحقوق الاجتماعية في المغرب وفي الغرب ـ الاستاذ ادريس الكتاني

8) عروبتنا على الصعيد الفكري ـ الاستاذ محمد رباح

9) المغرب بين الاسلام والعروبة ـ الاستاذ حسن السائح

10) مستقبل الثقافة في المغرب ـ الاستاذ جعفر الكتاني

11) المغرب بين القومية العربية والتضامن الافريقي ـ الاستاذ عبد الكريم غلاب .

وقد كانت بعض المحاضرات متكاملة وتحمل اتجاها واحدا ، وهو الاتجاه الاسلامي :

العقيدة بين التقليد واستقلال الفكر ، والحضارة المغربية بين الاصالة والاقتباس ، والمغرب بين الاسلام والمبادىء الحديثة ، والحقوق الاجتماعية في المغرب وفي الغرب ، والمغرب بين الاسلام والعروبة .

وقد بين الدكتور المهدي بنعبود دور العقيدة العظيم في بناء الحضارات ، وكشف عن فراغ وخراب الحضارة الحديثة التي قال عنها انها لم تقم على دين ولا تسير على منهاج اخلاقي وانما تؤمن بالقوة ، وبالاقتصاد كئالة حديد ، فهي اذن تؤمن ايمانا اعمى بالمادة فكان من الطبيعي ان تسير بخطى سديدة وسريعة نحو الفناء والانهيار ، وما كان ينبغي لنا ان نقلد الغرب في انهياره بل كان يجب ان نعمل الفكر فيما يجب ان نعمل او ندع ، والا نسمح لاي فكرة ان تستعبدنا او تسوقنا نحو ما نريد ، فاستقلال الفكر هو الشرط الاول للسير بالانسان نحو ما يصبو اليه من حياة افضل .

وقد كان الدكتور بنعبود يحلق في اجواء عالية من الفكر والفلسفة ، واحيانا يغوص بنا في اعماق التحليل الحضاري والنفسي للواقع الذي نعيشه .

وقد استطاع الدكتور ان يقدم نفسه للمستمعين كمفكر عميق ، وعقلية جبارة ولم يكن الناس يعلمون عنه سوى انه دبلوماسي .

اما الاستاذ عبد الكريم بن جلون فقد عرض بعض المشاكل التي يتخبط التعليم فيها وما يزال ووضع لها حلولا ، ومن اهم هذه المشاكل ، ضيق الاماكن عن استيعاب العدد الكثير من اطفالنا الذين لا يجدون لهم مكانا في المدرسة . ومشكلة التعريب ، ومشكلة المذهب التعليمي .

وقد رغب الاستاذ في ان يختصر المحاضرة ليتيح للمستمعين وقتا اكثر للمناقشات ، وقد كانت المناقشات مع الاستاذ عبد الكريم صريحة وطويلة ، وقد اجاب اجابات موفقة وكان من اهم ما دار في ذلك النقاش هو ان الوزاره كانت ـ كما قال الاستاذ بن جلون ـ تسير على غير مذهب في التعليم ، وحاول هو ان يمذهبه .

وان كنا نرى ان التعليم ما يزال يسير على وتيرة واحدة ولم نلاحظ عليه من تطور سوى انخفاض مستواه ، وتضحيله ، وتسطيحه ، وظهور بوادر خلقية تهدد اطفالنا وشبابنا وامتنا بالخراب والانهيار.

وكانت محاضرة الاستاذ محمد الحمداوي قيمة لما اشتملت عليه من الحقائق العلمية ولما التزم فيها من مناهج موضوعية بحتة وقد كشف فيها عن استعداد المغاربة منذ اقدم حقب التاريخ للحضارة والتحضير ، وبين تجاوبهم العميق مع الفكرة

خواطر حول المهرجان الثقافي لجمعية نبراس الفكر

للاستاذ : عبد السلام الهراس

فى سنة 1953 شهدت تطوان تكوين جمعية من طلاب صفار ، اطلقوا عليها اسم « جمعية نبراس الفكر » وكان من المنتظر ان تسير فى الخط الذي سار فيه غيرها ، اي تمر بمرحلة تطورية من الولادة الى الشباب فالشيخوخة فالموت فى ايام معدودة ، ولكن ايمان اولئك الطلاب الشباب برسالة الجمعية واهدافها كان اقوى من ان يخضع لعوامل التلاشي والاضمحلال، ولذلك فقدنمت الجمعية مع نمواولئك الشباب وتطورهم وكان لابد ان يستجاب لنموها المطرد وتطورها الايجابي السليم ، فاصبح من الضروري ان يتناول نشاطها صورة اكبر ، وان تزاول هذا النشاط على صعيد اوسع واعمق . فاقامت منذ سنتين مهرجانا فلسفيا عظيما شارك فيه اعلام من المشرق والغرب وقليل جدا من المغاربة .

وقد ابرز هذا المهرجان دور المغرب والاندلس فى دنيا الفلسفة وفى التطور الفكري العالمي ، وقد ضمت تلك البحوث القيمة فى كتاب نفيس طبع على حساب الشبيبة والرياضة .

وفى هذه السنة فى 28 مارس شاهدت تطوان مهرجانا من نوع آخر ، وقد احسنت الجمعية اختيار موضوع المهرجان (المغرب والتيارات العقائدية) ، واهمية هذا الموضوع ترجع الى ان المغرب يعيش فترة خطيرة من حياته العقائدية وقد فاجأته التيارات العنيفة بعد الاستقلال ووجدت ردود فعل من جانب البعض ، كما وجدت بعض القلوب خاليا فتمكنت او كادت ، واصبح المغرب يسمع بمفاهيم جديدة ، وهو يسعى لان يتخلص من تخلفه غير ان السبل اختلفت عليه ، وبرزت للوجود المغربي قيادات مختلفة قد تجتمع فى بعض الاهداف العامة غير ان الاختلاف فى الوسائل والتطبيق ، والنية ايضا موجود بالفعل لا يستطيع اي واحد نكرانه ، ولهذا كان من الواجب ان يقام مهرجان ثقافي لتعرف الطبقة المثقفة الواعية التحديد الدقيق للاتجاهات الداخلية وموقفها من التيارات الخارجية ، ومدى تأثرها بالداخل او الخارج، وبذلك تكون الجمعية قد ساهمت فى وضع الاطار العقائدي والثقافي للمغرب الجديد، وتحدد ـ بالتالي ـ للدولة المنهاج الذي تطالب به النخبة المفكرة فى هذاالبلد

وقد اختص كل محاضر بمعالجة جزء معين من الموضوع ، وقد لاحظ بعضهم ان هذه الطريقة اضاعت فائدة اختلاف وجهات النظر حول نقطة معينة او جزء معين ، وكان ينتظر كثير من الحاضرين عراكا فكريا بين بعض المحاضرين والبعض الآخر ، مع تسليمنا بصواب هذه الفكرة ، الا اننا نعتقد ان المنهاج الذي سلكته الجمعية فى توزيع الموضوع وعناصره على الشكل الذي وقع كان كفيلا بتحقيق اهداف الفكرة الاولى ، فالجزء الذي يعالجه المحاضر لابد ان يحمل فى طياته عناصر الفلسفة العامة التي ينتسب اليها ، اذ من المعلوم ان وجهة نظر معينة فى موضوع اقتصادي مثلا لا يمكن ان تكون عديمة الصلة بالاجزاء الاخرى وبالمصادر الأصيلة ، لذلك فان معالجة جزء مخالف للجزء الذي يعالجه الآخر لا يتم الا على اساس فكرة عامة تشمله وغيره ، وهكذا يتبين ان توزيع اجزاء الموضوع العام على عدة محاضرين مختلفي المشارب والافكار على وجه العموم لم تفوت الفائدة التي كان يرجوها الراي السابق .

وكان من الضروري ان يحضر كل من التزم بالحضور آنفا حتى يكتمل الموضوع ويأخذ صورة كبرى،

واني مع المؤمنين بان التعريب ما كان ابدا ليكون مشكلة وانما الامر يتعلق بالاتجاه وبالارادة وان اي موقف من نصرة التعريب او عرقلته ليدل على نوعية الاتجاه وعلى حقيقة الارادة .

واعتقد اننا لو اتجهنا نحو التعريب بمنطق عملي لاختفت المشكلة من الوجود ولتقدمنا اشواطا ، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن .

وقد تعرض الاستاذ جعفر للاتجاهات الدراسية عندنا وللعقد النفسية التي تتحكم فى اصحاب حاملي العالمية اي ذوي التعليم الاسلامي المحض ، والتي تتحكم فى اصحاب الاتجاه العصري كما يقولون ، فهناك عقدة النقص وهنا عقدة التعالي ، وبين الخلط الواقع فى محاولة تغيير او تلقيم هذين الاتجاهين ، وقد اعطى الاستاذ جعفر للبحث حقه ونرجو ان لو يطلع علينا بدراسة عن مشكلة التعريب لاطلاعه عليها اطلاعا حسنا .

وقدم الاستاذ عبد العزيز بلال تصميما للتنمية الاقتصادية فى المغرب وكشف بالارقام عن بعض الحقائق الرهيبة كتمتع 3٪ بنحو 70٪ من الأرباح وكنا نود لو ساق ارقاما اخرى اكثر خطورة من هاته وخصوصا فى الميدان الفلاحي ، وفى ناحية مستوى المعيشة وفى انتشار البطالة الرهيب .

وعلى الرغم من موضوعية البحث فقد كان واضحا ان البحث متأثر بالنظرية الاشتراكية ، وان كان الاستاذ بلال اجاب عن سؤال بانه لا يعالج الموضوع فى ظل مذهب معين ، ولا اظن — كما قال — ان الاسلام يتنافى مع تطبيق برنامج التنمية الاقتصادية .

والواقع أن الاسلام يتبنى اي مشروع فيه تحقيق العدالة الاجتماعية وفيه اسعاد للامة ، فحيثما وجد العدل ، ومصلحة الامة ، فثم شرع الله ، غير ان الاسلام لا يولي الناحية الاقتصادية كل عنايته بل يجعلها جزءا من اصلاح كلي يجب ان يطبق جميعه على الامة ، اما ان نطبق جزئية او ناحية مع اهمال للنظرية الاسلامية العامة فان تلك الناحية قد لا تؤتي اكلها لانفصالها عن كلها الذي به تعيش وتحيا .

وقد كان الاستاذ بلال محترم البحث رصين التفكير ، قديرا على التعبير العربي السليم ، اما الدكتور المجذوب فقد شرح العوامل التي تجعل العرب امة واحدة من تشابه فى الجبال والصحارى ومظاهر الطبيعة والتاريخ والحوادث والدين ، وقد اثنى الدكتور على موقف المغرب من التكتلات العربية ووصف ذلك الموقف بالرزانة وقد اثار الدكتور فى محاضرته عدة نقاط قد نخالفه فى بعضها .

والشيء الذي اريد ان اؤكده للدكتور هو ان المغاربة يشعرون بالاخوة نحو العرب بدافع واحد وهو الدين الذي يوجب عليهم ذلك .

ويشعرون بنفس الاخوة نحو اخوانهم المسلمين الافارقة والاسيويين ، واذا كانت بعض الطبقات الحاكمة فى بعض البلاد الاسلامية القليلة اساءت للمسلمين بموقفها السلبي من القضية الفلسطينية ، فان الشعوب الاسلامية لا تؤخذ بجريرتهم ، وان كان بعضهم قد انزل الله بهم عقابه الصارم وستجري على الباقي سنة الله فى الذين يجرمون فى حق شعوبهم ، وفى الذين يصالحون العصابات اليهودية ضد اخوانهم المسلمين الفلسطينيين .

وقد اشار الدكتور المهدي بنعبود الى انه لمس تدينا عظيما فى تركيا ، وحبا واحتراما للعرب ، كما سمعت من غير واحد من زوار البلاد الاسلامية عن الحب العظيم الذي تكنه الشعوب الاسلامية للعرب ، الا ان الدعايات الاستعمارية والتوجيهات الثقافية الخبيثة ، والمؤامرات الصهيونية والتبشيرية تحاول ان تفرق بين المسلمين فى البلاد العربية واخوانهم فى العالم .

اما محاضرة الاساذ عبد الكريم غلاب فلم تتح لي الظروف الاستماع اليها الا أن الاخوان الذين حضروها حدثوني عنها وكان مما اثار مناقشات حادة قول الاستاذ غلاب : ان الفتح الاسلامي كان اولا استعماريا .. وبعد ذلك كان رسالة .

اما النقطة الثانية وهي تغليبه مصلحة المغرب فى التضامن الافريقي الاسيوي على القومية العربية.

وقد ناقشه كثير من الحاضرين فى النقطتين وكان النقاش — كما قيل لي — حادا وممتعا ، ومهما يكن من شيء فان الاستعمار له حقيقته الموضوعية وتعريفه الدقيق ، ولا ينطبق ذلك على الاسلام الذي كان رسالة من اول وهلة وما يزال ..

الاسلامية بحيث اصبحت ممزوجة بطبائعهم، ولن يقبل المغاربة اي فكرة غريبة عن فطرتهم التي اكتشفها الاسلام واستطاع ان يفجرها لتكون خيرا وبركة على العالم ، فالمغرب وحدة حضارية اسلامية ، لا يمكنه ان ينفك عن هذا الوصف رغم ما بذل ويبذل من اجل ذلك .

وكان الاستاذ الحمداوي موفقا كثير التوفيق فى مناقشاته كما كان موفقا فى محاضرته . وكان بحث الاستاذ المفكر حسن السائح قيما وموضوعيا ، ومركزا وبالاخص فى الجانب الاكبر منه الذي يبدو انه كتبه مسترسلا، وبناء على الحقائق التاريخية والسنن الاجتماعية والنفسية ، وقد استطاع ان يفلسف عروبة واسلام المغرب وان يمزج بين المفهومين مزجا رائعا كما هما ممزوجان فى نفسية المغاربة . والواقع اني لاول مرة استمع الى بحث قيم فى موضوع « العروبة » على اساس من التفكير السليم بعيد عن العموميات والخيالات الشعرية والاماني الطيبة الساذجة . والمصطلحات المجترة والضحلة .

ولا يفوتني ان اسجل على الدكتور محمد عزيز الحبابي تعليقه على محاضرة(1) الاستاذ السائح الذي قال فيه : اني اعتقد ان الاسلام لا يؤمن بالقوميات لان القوميات غير انسانية . وان المغرب لن يتقدم او يتحضر الا على اساس الاسلام .

وما اظن عاقلا مخلصا لبلده يخالف الدكتور فى ان الاسلام هو القاعدة الاساسية التي يجب ان يبني المغرب حياته عليها ، ولكن المهم ان نصرف طاقاتنا من اجل خدمة هذه الحقيقة فى انفسنا ومجتمعنا بالوسائل المتاحة لنا .

وقد قارن الاستاذ ادريس الكتاني بين الحقوق الاجتماعية فى الغرب وبالاخص فى كندا . والحقوق الاجتماعية فى الاسلام وابان عن اسبقية الاسلام وشموله وقدرته على استيعاب جميع الحقوق الاجتماعية ، وقد نبه الاستاذ ادريس الى ان نظام الزكاة — لو تجبى بامانة وتصرف بحكمة وامانة فيما ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي . وكان القائمون عليها من الاكفاء الامناء — لكان هذا النظام وحده كافيا للقضاء على جميع مظاهر الفقر ولكي يسد خللا خطيرا فى المجتمع الذي ما يزال يعاني من الفقر والعوز والتسول والامراض ما يخجلنا امام الله والعباد .

واجمع الحاضرون من المناقشين انه لا ينبغي ان تصرف اموال المسلمين فى العبث وفى الرفاهية والمؤسسات الاستهلاكية ، والوجوه الكمالية .

ولي ملاحظة هنا اريد ابداءها وهي ان الاسلام عندما فرض الزكاة كنظام او كاحدى الوسائل لمكافحة الفقر والمرض وغيرهما من الافات لم يجعله النظام الوحيد فهو لم يفرض الزكاة كعلاج ، منفردا ومنعزلا عن التعاليم الاسلامية الاخرى ، اذ لو اخذه بنظام الزكاة منفردا لاخذ صورة ضرائب يمكن لكثير من المتلاعبين ان يتهربوا منها بوسيلة او اخرى ، ولهذا يجب الا نفصل الزكاة عن الاطار العام الذي تتغذى منه القلوب ، الايمان بها . فالاخذ بالزكاة يجب ان يكون ضمن الاخذ بالاسلام ككل . اما الايمان ببعض دون البعض فلا يمكن ان يحقق اهداف ذلك البعض كما ينبغي .

والحق ان المسلمين ما تزال فيهم استعدادات للاستجابة الى نظام الزكاة . ولكن يجب ان يقتنعوا انهم فى نظام اسلامي عام يحقق الاهداف الاسلامية فى جميع النواحي . ويجب على الدولة هنا زيادة على الدعاية المنظمة والمعقولة بالاسلام — ان تلتزم السلوك الاسلامي والانظمة الاسلامية . وحينئذ يمكن ان نستفيد من نظام الزكاة ومن غيره مما يساعدنا على القضاء على جميع المشاكل التي تتزايد كلما قل التعاون بين الافراد والجماعات . وبعبارة اخرى كلما ابتعد الناس عن تعاليم دينهم الحنيف .

اما الاستاذ جعفر الكتاني فقد تناول فى محاضرته جوانب ونقاطا مهمة اهمها : المشكلة المزمنة : مشكلة التعريب . وقد اعطى البحث حقه . ولاحظ ان مصلحة التعريب تشتغل بقضايا خارجية لاتمس الآن حاجيات المغرب فى هذا المضمار . وكان من الممكن ان نسند تلك المهمات التي تستهلك طاقاتها الى مؤسسات عربية اخرى لا تواجه مشكلة تعريب التعليم والادارة ، وكان من الواجب ان توضع مشكلة التعريب فى اطار عملي فعال وان نخرج من اللف والدوران الذي تعيش فيه منذ مدة ليست بالقصيرة .

---

* القيت المحاضرة فى شفشاون فى اطار نشاط الجمعية .

أنباء ثقافية

* شارك في المؤتمر الاسلامي الذي عقد اخيرا ببغداد وفد من المغرب يتركب من الاساتذة : المختار السوسي وزير التاج ، والسيد محمد الطنجي ، والسيد عبد العزيز بن عبد الله ، وابراهيم الكتاني .

* عقدت في هذه الايام لجنة الدعاية والنشر للمكتب الدائم للتعريب بالرباط اجتماعا تحت رئاسة الاستاذ السيد عبد العزيز بن عبد الله الامين العام للمكتب المذكور الذى تحدث فيه عن نشاط التعريب في العالم العربي وبالخصوص في المغرب ، واوضح ان مهمة التنسيق التي يضطلع بها المكتب لا تنحصر في تنسيق وحدة المصطلحات العلمية والفنية بين الدول العربية فحسب ، بل تشمل ايضا توحيد الكتاب العربي حيث يكون في متناول كل مواطن عربي كتاب موحد من جميع الاقطار العربية في مختلف الشعب العامة والفنية كما تهدف الى اخراج معجم عربي عربي حي من شأنه ان يفيد الاوساط العلميه والفنية في العالم العربي وتكون في متناول التلميذ ، والاستاذ ، الباحث .

* ستزور الصحفية الامريكية كترين ستيرسرك المملكة المغربية خلال الايام المقبلة للقيام بدراسة حول الصحافة المغربية وسيرها .

* يشتغل قسم التاليف والترجمة والنشر بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية باصدار وترجمة بعض الآثار العربية الى اللغات الحية . من بينها طبع مصحف ، وكتاب « الاحكام الشرعية » لعبد الحق الاشبيل ، و « طبقات المالكية » للقاضي عياض . وكتابا عن موريطانيا باللغة الفرنسية وترجمة كتاب « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟ » للامير شكيب ارسلان وكتاب « الديموقراطية في الاسلام » للاستاذ العقاد و « الوحي المحمدي » للشيخ رشيد رضا الى اللغة الفرنسية . كما ستصدر للدكتور حسن ابراهيم حسن كتابا باللغة الانجليزية حول الاسلام .

* « التعريف بالمغرب » كتاب صدر اخيرا عن منشورات معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية للمؤلف الاستاذ السيد محمد الفاسي ، عميد الجامعات المغربية .

* نظم المعهد العراقي بالرباط سلسلة من المحاضرات والمسامرات الادبية يقوم بالقائها نخبة من الادباء والشعراء المغاربة .

* اصدرت منشورات معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية كتاب « ادب المغاربة والاندلسيين في اصوله ونصوصه العربية » لمؤلفه الشيخ رضا الشبيبي .

* يقوم الاستاذ عبد الهادي التازي منذ شهور بتحقيق مخطوط نادر يرجع تاريخه للقرون الوسطى ، وهو يتعلق بتاريخ المغرب والاندلس وافريقيا . وتوجد النسخة الوحيدة من هذا المخطوط في مكتبة البودليان باكسفورد . وقد قام الاستاذ التازي مؤخرا بزيارة لاكسفورد حيث يوجد اصل المخطوط وقام بالمراجعات النهائية لبعض المقاطع والكلمات ، كما قام بزيارة لمكتبة اسكوريال حيث توجد بعض الوثائق التي لها علاقة بهذا المخطوط الثمين .

* تقوم دار الكشاف بلبنان باعادة طبع كتاب « شلال الاسود » لمحمد الصباغ ، طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة وقد صدرت طبعته الاولى بتطوان ، والثانية بتونس في سنة 1956 .

* اهدى سفير المانيا الفيدرالية بالمغرب الى السيد محمد الفاسي عميد الجامعات المغربية ، مجموعة من الكتب التي اصدرتها « الجمعية الالمانية للابحاث » وتضم هذه المجموعة 80 مؤلفا عن ثقافة ومشاكل

اما مصلحة المغرب فهي فى الاتحاد مع العرب ومع افريقيا وآسيا ، وان كان الاولى ان نلم شعث العرب اولا ، وان ندخل الى التكتلات الاخرى ونحن ضمن امة العرب التي يجب ان تبحث البحث الجدي فى وحدة او اتحاد قبل فوات الاوان .. وان تخرج من المرحلة العاطفية الى المرحلة العملية .

وقد تناول كاتب هذه السطور الفكرة الاسلامية من ناحية نظام الحكم ، وموقف الاسلام من الضعفاء والاغنياء والمال ، وموقفه على وجه العموم من الانسان، وقارن بين الاسلام والمبادىء الرأسمالية والشيوعية وتطبيقات الجميع فى واقع الحياة ، وتحدث عن اصالة الفكرة الاسلامية فى العقلية المغربية وتمكنها من نفسية المغاربة ، وعلى ذلك فان الدعوة الاسلامية الحقة المنزهة عن البهتان والاستغلال هي الوسيلة الوحيدة لقيادة المغاربة ، وبدون العقيدة الاسلامية لن يفلح هنا مذهب ...

وبعد فاني استسمح القارىء الكريم اذ ليس من الممكن استعراض جميع آراء السادة المحاضرين ، واعطاؤها حقها من التفصيل والشرح والتعليق ، وقريبا تصدر جمعية نبراس الفكر كتابها الثاني محنوبا على هذه المحاضرات ..

الا انه لا يفوتني ان افضي الى القارىء الكريم باعظم ظاهرة لمستها فى هذا المهرجان ، وهي ان الاتجاه الاسلامي كان بارزا وكان التجاوب قويا بين المحاضرين والمستمعين الواعين فى هذه النقطة ، وقد تنبه لهذه الظاهرة القوية احد الصحفيين المغاربة فعلق بقوله :

لم يبق على المسؤولين اذن سوى تنفيذ ما تطالب به هذه النخبة من المغاربة ، فلقد بدا بكل وضوح الاتجاه لدى جماعة من كتاب المغرب من مختلف الطبقات والنواحي .

وانا لنرجو ان يكثر اهل الفضل من هذا النوع من الندوات ، ويشركوا ما امكن الشعب فى الادلاء برايه فى الموضوع حتى يشبع وعي اسلامي يحبط المستعمرين والمضبوعين من المعجبين بحضارتهم مؤامراتهم على هذه العقيدة . واخيرا يجب ان انوه بمجهودات جمعية نبراس الفكر ونشاط افرادها الذين ابدوا من الصبر والخلق الحسن ما كان سببا فى نجاح المهرجان .

كما ان المستمعين والسائلين والمناقشين كانوا على وعي تام بمشاكل بلادهم ، وقد كانت فرصة رائعة لمناقشة افكار نمس مصالح بلادنا وليلتقي الاخوان من المغرب والمشرق على مصلحة الوطن العربى

كما ابدى الدكتور المهدي بنعبود مقدرة على سير جلسات المحاضرات وادارة المناقشات وكان مثال الرزانة والحكمة والحزم واللباقة وقد اجمع الكل على أن يكون رئيس معظم الجلسات .

وكنت اود ان انحدث عن موقف صحافتنا العربية عن هذا المهرجان لكنني أترك ذلك لك ايها القارىء الفاضل .

تطوان : عبد السلام الهراس



ولكن هذا الاكتشاف طوته الاحداث .. واخيرا تابعت جمعية الكتاب فى العراق ، ابحاث الاديب المصري ، حتى توصلت اخيرا الى صحتها .

❋ يترجم الدكتور حازم عثمانوفتش عضو المعهد العالي للدراسات الشرقية بسيراجيفو قصة « سر الهاربة » للاستاذ حسن رشاد .

❋ يظهر قريبا كتاب الدكتور رشاد رشدي الجديد وهو يضم مجموعة المقالات النقدية التي كتبها فى الفترة الاخيرة فى الصحف والمجلات الادبية وتشمل وجهة نظره فى حركة النقد القصصي والروائي والمسرحي ..

❋ صدر هذا الاسبوع فى القاهرة كتاب « منطق ابن خلدون فى ضوء حضارته وشخصيته » للدكتور علي الوردي قضى 14 سنة فى اعداد هذا الكتاب . اثبت المؤلف ان ابن خلدون هو ثمرة الثقافة العربية الاسلامية » يعتبر الدكتور الوردي من ابرز المفكرين فى العراق صدرت سبعة كتب فى الرد على آرائه الثقافية والحضارية .

❋ «عيسى» كتاب جبران خليل جبران عن المسيح عليه السلام صدرت ترجمته العربية هذا الاسبوع .. الترجمة بقلم الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة . هذه هي الترجمة الثالثة لاعمال جبران التي قدمها وزير الثقافة للمكتبة العربية ، قدم الوزير قبل ذلك « النبي » و « حديقة النبي » .

❋ يصدر فى مشروع الالف كتاب مجموعة قصص ومقالات للكاتب الصيني لوسون من ترجمة مرسي سعد الدين ومراجعة سهير القلماوي . الصين احتفلت بمرور 80 سنة على وفاة لوسون .

❋ يصدر المجلس الاعلى للفنون والآداب قريبا اول مجموعة من مشروع « الكتاب الاول » وعددها 7 كتب ، كما يبدأ فى نشر الرسائل الجامعية التي يتقدم بها اصحابها .

❋ رسائل الشاعر الفرنسي « بول ايلوار » الذي توفى منذ عشر سنوات جمعها « روبير فاليت » فى كتاب صدر قريبا بعنوان « رسائل ايام الشباب »

❋ صدرت اول مجموعة قصص فى السلسلة الجديدة من الكتاب الماسي للكاتب مكاوي بعنوان « الزمن الوغد » .

❋ « صور من ادبنا الشعبي » . كتاب جديد للاستاذ محمد البقلي ، يتناول فيه فنون الادب الشعبي .. صدر عن دار الانجلو المصرية .

❋ ارسل الدكتور حسين مؤنس وكيل معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد بعض المخطوطات الموسيقية العربية التي ترجع الى ايام العصر الاسلامي فى اسبانيا الى المجلس الاعلى للآداب .

❋ اختار توفيق الحكيم كلا من يوسف ادريس واحمد حمروش لاعادة كتابة حوار مسرحيته « العش الهادىء » و « اللص » باللغة العامية لتقدم على المسرح التليفزيوني . يوسف سيكتب حوار « العش الهادىء » ، واحمد حمروش سيكتب حوار « اللص ».

❋ كامل يوسف يعمل فى اول موسوعة للمصطلحات الدرامية باللغة العربية . تضم الموسوعة كل المصطلحات فى الفنون الدرامية المختلفة وعرضا للمذاهب والتيارات المسرحية منذ نشوء المسرح حتى الآن .

❋ يظهر قريبا فى الاسواق كتاب انيس الصائغ الجديد « من وحي الانفصال » والكتاب يعالج بعين المؤرخ والبحاثة السياسي ، الظروف التي ادت الى الانفصال فى سورية ، والكتاب دراسة موضوعية تأريخية للاحداث القومية التي ستترتب على العرب من جراء هذه النكسة . وهذه هي الدراسة الاولى عن التطورات العربية منذ الانقلاب الانفصالي فى سورية .

❋ « الاسلام والديموشتراكية » عنوان الكتاب الجديد للاستاذ عبد الهادي مسعود يبحث الجزء الاول فى الاشتراكية الشعبية وراي الاسلام فى مختلف القضايا الاجتماعية والاقتصادية والفلسفية ويتناول الدين فى اطار المجتمع الذي نعيش فيه .

❋ اصدر المجمع اللغوي الجزء الثالث من « معجم الفاظ القرءان الكريم » اعدته لجنة من : علي عبد الرزاق ، امين الخولي ، محمد علي النجار ، والمرحوم ابراهيم مصطفى وعبد الستار فراج .

الدول العربية ، وتدخل هذه البادرة الالمانية فى اطار التعاون الثقافي بين المغرب والمانيا الفيدرالية .

* « ديوان الشاعر الاندلسي ابن دراج القسطلي نشر لاول مرة على نفقة صاحب السمو « الشيخ عبد الله ءال ثاني » عن نسخة خطية مغربية. بعث سموه مندوبا الى المغرب لتصويرها ، ثم عهد الى الدكتور محمود علي مكي ، بتحقيقها وشرحها . وقد طبع الديوان فى مطبعة المكتب الاسلامي بدمشق ويقع فى 600 صفحة من القطع الكبير .

* اصدرت مؤخرا وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية صحيفة يومية باللغة الفرنسية باسم « الامة الافريقية » يديرها الاستاذ ادريس الفلاح، رئيس ديوان معالي الوزير .

* ستنشر السفارة المغربية فى بغداد معلومات معززة بالصور عن عمليات النقش التي قام بها الفنانون المغاربة فى جامعي الشهيد ، والامام الاعظم .

* اصدر معالي وزير البريد فى الحكومة المغربية تعليماته لجميع المصالح البريدية والهاتفية والبرقية بان تعامل الجمهور باللغة العربية . وهدد السيد الوزير باتخاذ عقوبات صارمة ضد كل من يخالف هذه التعليمات التي تدخل فى دائرة التعريب .

* صادرت حكومة جنوب افريقيا رواية « عالم من الغرباء » للكاتبة نادين جورديمر .

* سيقام فى اطلال وليلي فى الايام القريبة مهرجان حوض البحر الابيض المتوسط .

* يعد الاستاذ زين العابد السنوسي تتمة تأريخه عن « الادب التونسي فى القرن العشرين » .

* وصلت الى ليبيا مؤخرا بعثة لتحديد معالم مدينة بولونيا الاثرية التي كانت قد غمرتها مياه البحر على اثر حادث زلزال قبل 2000 سنة . وقد كانت هذه المدينة التي تبعد نحو 200 ميل من ميناء العضم على الساحل الليبي فى يوم من الايام ميناء ناجحا مزدهرا ، ومركزا من اعظم المراكز التجارية فى القرن الخامس قبل الميلاد . وقد امضى الجنود ستة ايام يغوصون تحت الماء بين الخرائب والاطلال ، وقد اشتملت الاشياء التي تمكنوا من اخراجها على اوعية لحفظ الخمر ، وعجلة طاحون ، وقدمي تمثال يعود تأريخ صنعه الى 100 سنة ق.م. ومرساة سفينة رومانية ، ومجموعة كبيرة من قطع الفخار ، ومن جملة الاماكن التي نقب فيها الجنود برج الميناء . والمكاتب والمخازن ورصيف الميناء القديم ، وقد حفظت جميع هذه الاشياء لفحصها ودراستها من قبل علماء الآثار والخبراء .

* « طائر الليل » عنوان الديوان الاول للشاعر السوداني حسن عباس صبحي . قدم له الدكتور عبد الحميد يونس .

* صدرت ثلاثة مؤلفات عالمية تضم اهم المراجع الدولية عن الدراسات التي ظهرت خلال عام 1959 حول العلوم الاجتماعية .

* « اللغة الشاعرة » للكاتب عباس محمود العقاد ترجمه الى الانجليزية لويس مرقص .

* « معجم الحضارة » كتاب صدر قريبا للكاتب المصري محمود تيمور يضم الف كلمة حضارة اجنبية وما يقابلها فى العربية .

* صدر فى القاهرة ديوان شعر للشاعرة جميلة رضا بعنوان « انا والليل » .

* « قصر العذارى » عنوان المجموعة الجديدة التي ستصدر للاستاذ حسين القباني ، عن الدار المصرية للطباعة والنشر .

* ظهر سجل ثقافي لعام 1959 عن ادارة السجل الثقافي بوزارة الثقافة وبه حصر شامل لجميع المؤلفات التي ظهرت فى ميدان الفنون والآداب والعلوم فى ذلك العام .. هذا بجانب المسرحيات والافلام التي عرضت فى عام 1959 .

* فى عام 1952 ، اكتشف المرحوم الاديب عبد الوهاب عزام قبر المتنبي فى مدينة تسمى النعامية ،

اصدار هذه السلسلة ، اللجنة برئاسة الاستاذ العقاد .

* اهدى الاستاذ العقاد مكتبته الى مدينة اسوان .

* « تباريح الشباب » عنوان كتاب جديد صدر للمرحوم اسماعيل مظهر .

* المؤتمر الثالث لكتاب آسيا وافريقيا سيعقد فى جاكرتا سنة 1963 . المؤتمر الرابع سيعقد سنة 1964 فى كولومبو . الثاني كان فى القاهرة والاول كان فى روسيا .

* « معجم الحضارة » كتاب جديد صدر اخيرا للاستاذ محمود تيمور .

* ذكرت جريدة « الاهرام » ان العالم الاثري حسن عبد الوهاب انتهى من تحديد مكان دفن فيلسوف العرب الاجتماعي ابن خلدون ، وامكن تحديد مقبرته فى خارج باب النصر بالقاهرة .

* « الفكر العربي » مجلة ادبية جديدة تصدر فى القاهرة ، رئيس تحريرها صلاح نور .

* قررت وزارة الثقافة والارشاد السورية طبع مسرحيتين « الجثة المطوقة » و « الاجداد يزدادون ضراوة » للاديب الجزائري كاتب ياسين ، وقامت بترجمته السيدة ملك ابيض العيسى ، وراجعه كمال الخوري .

* ستصدر دار الشرق بحلب قريبا سلسلة من المسرحيات العالمية ، تصدر المسرحية الاولى وهي «دون خوان» لموليير ترجمة جورج سالم ومراجعة وتقديم خليل الهنداوي ، ثم المسرحية الثانية باسم «كاترين» برلندبللو ، ترجمة جورج طرابلسي ومراجعة وتقديم الدكتور ابراهيم الكيلاني ، والمسرحية الثالثة « مشهد من الجسر » لارثر ميللر ، ترجمة رينه عبودي ، والمسرحية الرابعة « الملكة والمتمردون » لايفوبتي وترجمة ليلى سالم .

* ينهمك الآن معهد الابحاث والدراسات للتعريب فى طبع اول معجم فى العالم العربي فى الرياضيات والفيزياء محتويا على 7000 مصطلح بالعربية والفرنسية والانجليزية ، وقد تضافر على اعداده اعضاء المعهد تحت اشراف الاستاذ خير الدين حقي عميد كلية الهندسة بجامعة حلب سوريا سابقا ، وجمعوا فيه كلما وصلت اليه جهود علماء المجامع والاتحادات والهيئات العلمية واللغوية والفنية وسيطبع منه 350 نسخة ، توزع على مختلف الهيئات المختصة للملاحظة والاختيار وموافاة المكتب الدائم لمؤتمر التعريب بذلك ليقوم بتنسيق هذه الحصيلة العلمية ، والعمل على توحيدها ، ولا يخفى ان هذه اول خطوة جدية يخطوها العالم العربي فى ميدان تنسيق جهوده وتوحيدها لمجاري ركب الحياة السريع ، وقد صنف هذا المعجم فى سنة ، وعكفت الجماعة على تدوينه بعد ان بذلت جهودا كبيرة فى تحرير الكتب الدراسية والبحث والتنقيب فى المراجع اللغوية والعلمية القديمة والحديثة حتى خرج للوجود معجما فريدا من نوعه .

* نعت بيروت الكاتب اسكندر حريق ، استاذ الادب العربي فى الجامعة الامريكية سابقا ، وصاحب عدة مؤلفات ومقالات وابحاث ادبية واجتماعية .

* كلف المكتب التجاري فى بيروت جوزيف هاشم بتاليف كتاب عن الشاعرين اللبنانيين الكبيرين بولس سلامة وامين نخلة .

* عهدت وزارة التربية بسوريا الى الدكتور عبدالله عبد الدائم بترجمة « مدارس الغد » تاليف جون ديوي

* يهيىء الشاعران شوقي ابو شعراء وانسي الحاج مجموعة شعرية جديدة تصدر فى هذه الايام .

* مادلين فرح ادبية امريكية من اصل لبناني تزور القاهرة الآن لاعداد كتاب عن «العقاد الفيلسوف» اختارت مادلين 17 كتابا من مؤلفات العقاد لتدرسها وتستخلص منها الجانب الفلسفي . تقول مادلين : ان العقاد لم يتزوج لانه احب فى شبابه فتاة مسيحية فوقف الدين فى وجهه يوم اراد الزواج منها .

* « موت الآخرين » هو اسم المجموعة الشعرية الجديدة التي ستصدر لرياض نجيب قريبا عن المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر فى بيروت .

* الروائي الكبير نجيب محفوظ .. يبلغ الخمسين من عمره فى نهاية العام الحالي .. قرر مجموعة من النقاد اصدار كتاب بهذه المناسبة ، عن فنه وحياته .

* اول ترجمة كاملة لمسرحيات الكاتب آرثر ميللر بالعربية صدرت عن مطبوعات كتابي يصدرها حلمي مراد .. نشرت مسرحية « كلهم ابنائي » ومسرحية « من فوق الجسر » .

* الشاعر اللبناني رشيد سليم الخوري المعروف بالشاعر القروي يقيم الآن بالقاهرة للاشراف على طبع ديوانه الجديد .

* « الفرد والمجتمع فى الاسلام » آخر كتاب للاستاذ محمود الشرقاوي صدر هذا الاسبوع .

* « قضايا الانسان فى الادب المسرحي المعاصر » عنوان الكتاب الجديد الذي صدر للدكتور عز الدين اسماعيل المدرس بكلية ءاداب عين شمس . الكتاب دراسة ضافية للتيارات الفكرية فى المسرح العالمي .

* المهرجان الرابع لشعراء الجمهورية العربية المتحدة ، تقرر ان يقام فى شهر اغسطس المقبل ، بمدينة الاسكندرية وسيختار اكبر الشعراء المشتركين فى المهرجان على اساس مكانتهم ونتاجهم الشعري ، مع مراعاة تمثيل جميع محافظات الجمهورية .

* « كتاب محمد رسول الحرية » الذى كتبه عبد الرحمن الشرقاوى . اصدرته دار عالم الكتب .. سيترجم الكتاب الى اللغات الاجنبية الحية .

* «السفارات الثقافية في الدبلوماسية الاسلامية» اسم الكتاب الذي صدر اخيرا للاديب الشاعر حسن فتح الباب .

* الدكتور عمر مكاوي مترجم (دليل المراة الذكية) لبرناردشو . يترجم الآن رواية (كولي) لملك راج اناند اعظم روائي معاصر فى الهند . يعمل الروائي الهندي الآن استاذا لكرسي (طاغور) للادب والفن فى جامعة نيودلهي ، ملك راج اناند سيكتب مقدمة للترجمة العربية من روايته . تتحدث الرواية عن الهند فى ظل الاستعمار الانجليزي .

* قررت وزارة التربية المصرية اصدار قاموس انجليزي عربي يضم مائة الف كلمة . تألفت لجنة من اساتذة كلية الآداب لاعداد القاموس .

* الدكتورة فاطمة موسى المدرسة بكلية الآداب انتهت من اعداد كتاب عن (تراث الشرق فى الادب الانجليزي) . سوف يصدر للدكتورة فاطمة خلال هذا العام ايضا كتاب عن (نجيب محفوظ) يدرس شخصيته الفنية دراسة نقدية واسعة .

* مجموعة من الحكايات الشعبية ، ظهرت مترجمة الى اللغة الانجليزية مع دراسة عن التقاليد والعادات ـ اسم هذه المجموعة « المانجو واشجار النخيل » لدرابل بيتس ويقع الكتاب فى 350 صفحة من القطع المتوسط .

* من الكتب التي صدرت فى الشهر الماضي بالقاهرة « اله رغم انفه » لفتحي رضوان والتفسير البياني للدكتورة بنت الشاطىء . وكتاب « عبد الرحمن ابن خلدون » للدكتور على عبد الواحد وافي » و « مع المسيح فى الاناجيل الاربعة » لفتحي عثمان و « النهر » لعبد الله الطوخي ، و « سنوات الحب » لامين يوسف غراب ، وكتاب غادة السمان .. « عيناك قدري » ثم « مأساة اورشليم » لعبد العاطي جلال .

* قررت وزارة الثقافة العربية نشر ديوان « المشاغل » لكامل امين وديوان « فى العاصفة » لكيلاني حسن سند و « ايام من عمري » لابراهيم محمد نجا وكان امين اصدر قبل هذا الديوان ملحمته « السموات السبع » وديوانه « نشيد الخلود » كما اصدر كيلاني حسن سند ديوانه الاول « قصائد فى القنال » عام 1957 .

* فرغ محمد عبد المنعم خفاجة من دراسته عن « بناء القصيدة العربية » متتبعا صور بنائها منذ نشأتها الاولى فى العصر الجاهلي الى العصر الحديث .

* تبدأ ادارة التأليف فى وزارة الثقافة بمصر فى اصدار سلسلة جديدة فى شهر مارس القادم ، عنوانها « التراث الانساني» وتتناول فيه دراسة وتلخيصا للاتجاهات والاعمال الفكرية التي كان لها اثر فى تقدم الانسانية ، اختارت اسماء الكتاب الذين يسهمون فى

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد الثامن والتاسع السنة الخامسة
ذو الحجة - محرم 1382 - ماي يونيه
1962 ثمن العدد 1,50 درهم

فهرس العدد السابع ـ السنة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

كانت الجزائر يوم فاتح يوليوز على موعد مع قدرها الذي صنعته صنعا بدماء شهدائها ، ودموع أراملها وأطفالها ، وآلام الملايين من أبنائها ، ولئن كان الاستقلال الوطني لا يؤخذ مجانا ولا ينتظر من الاستعمار أن يقدمه هبة للشعوب ، فلم يحدث قط في التاريخ ان قدم شعب من التضحيات في سبيله مثلما قدم شعب الجزائر .

وتقديرا لهذه البطولة ، ولهذا الصبر ، ولهذا الصمود فان شعب الجزائر لم يكن يحتفل وحده بعيد النصر ، لقد احتفلت معه شعوب المغرب العربي ، التي طالما انتظرت هذا الحدث السعيد لانها تعتبره خطوة هامة وحاسمة في سبيل استكمال وحدتها ، واحتفلت معه الامة العربية لان كيانها ووحدتها وآفاقها الثورية ستتعزز ولا شك بقيام دولة عربية فتية ذات طاقات ثورية غير محدودة . واحتفلت مع الجزائر كذلك كل الامم الافريقية ، وكل شعوب العالم ، ولعل هذا يعطي الدليل ، مره اخرى ، على أن المأساة التي كان يعيشها الشعب الجزائري لم تكن مأساته وحده بل كانت مأساة للقيم الانسانية التي يهدرها الاستعمار ، قهرا ، في الجزائر وفي غير الجزائر ، مأساة للحق ، حق كل الشعوب في تقرير مصيرها ، مأساة للحرية والكرامة اللتين ما كان الانسان انسانا الا بهما ، فتجربة سبع سنوات من الكفاح المسلح ، ومن المحن والعذاب لا تعتبر فدية من الشعب الجزائري لقضية تخصه وحده ، وانما هي فديه كذلك لقضية التحرر التي هي مطلب من مطالب كل انسان . ويكفي الجزائر فخرا أنها أصبحت بكفاحها الطويل المرير قاعدة للنضال تلهب حماس الجماهير المضطهدة في القارتين الافريقية والاسيوية وتهزها من اعماقها هزا عنيفا ، وتجدد لها ثقتها بنفسها وبقدرتها على تحرير ارادتها من المستعمر بل وبفرض هذه الارادة عليه .

ان شعب الجزائر صانع أعظم ثورة في افريقيا وآسيا ، مدعو اليوم واكثر من أي وقت مضى الى استخلاص العبر والدروس من نضاله الظافر المجيد.

فالاستعمار الذي تراجع اليوم امام صمود الشعب وزحفه العنيد لم يتنازل عن كل اطماعه ، وانما لم يعد بامكانه تحدي تيار عارم من التحرر بتدخل مسلح سافر مكشوف ، فهو مستعد ، اذن ، كعادته مع كل الشعوب الحديثة العهد بالاستقلال لتغيير خطته واساليبه ، ومواقع اقدامه ولن يتوانى عن استغلال اي تصدع يقع في القوات الثورية التي طردته .

ان الجزائر استطاعت ان تقهر الاستعمار ، وان تلحق به الهزيمة عندما جندت له كل طاقات الشعب وعزلته عزلا كاملا عن كل مشروعية ، واحكمت الخناق حوله بارادة شاملة ساحقة ، واجماع شعبي رائع .

ان شعوب المغرب العربي ، والامة العربية ، والقارة الافريقية ، وكل شعوب العالم يصعب عليها أن تلبتع مرارة اي خلاف يمكن أن يفكك الوحدة الوطنية التي حققت المعجزات في الجزائر ، واننا واثقون من ان قادة النضال العربي في الجزائر يدركون ، بعمق ، قيمة الوحدة ، وقيمة الاجماع الضروريين ، لبناء الجزائر . ان شعب الجزائر لم يفجر ثورته ، فقط ، لكي يضع حدا لمائة واثنين وثلاثين عاما من استعمار وانما ليبني مجتمعا جديدا لانسان جديد قادر على أن يلعب دوره التاريخي في صنع وحدة المغرب ومستقبل الامة العربية ومصير الانسانية جمعاء .

دعوة الحق

العدد الثامن والتاسع
السنة الخامسة
ذو الحجة - محرم
1382
ماي - يونيه
1962
ثمن العدد: 50 درهم

دعوة الحق

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



قريه اسني ـ تقع على كتله جبـل توبكال بالاطلس الكبير

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنـوان التالـي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقـاف ـ الرباط ـ المغـرب .

الاشتراك العادي عـن سنـة 15 درهما ، والشرفي 30 درهمـا فـأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعـوة الحـق » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الربـاط ـ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعـوة الحـق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقـاف ـ الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئـات الوطنيه والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خـاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشـر الاعلانات الثقافيـة .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الـى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الربـاط
تليفون 308-10 ـ الرباط

بقي بين ايدينا من آثارهم العظيمة ، تلك الآثار التي اثارت اهتمام رجال العلم ، مثل الاب ((مورو)) الذي خصص احد كتبه لدراسة تصميم الهرم الاكبر ، وما يتضمن من نظريات هندسية غريبة ، وخصائص رياضية وميكانيكية عجيبة .

كما كان اليونان مغرمين بصور الجمال ، على ما ابدعه فن « فيدياس » ، وبآيات المنطق والحكمة على ما جادت به عبقرية ((سقراط)) .

اما العرب فى الجاهلية ، فقد كانت هوايتهم فى لغتهم ، فلم يقتصروا على استخدامها فى ضرورات الحياة اليومية ، شأن الشعوب الاخرى ، وانما كان العربي يفنن فى استخدام لغته ، فينحت منها صورا بيانية لا تقل جمالا عما كان ينحته ((فيدياس)) فى المرمر ، وما كانت ترسمه ريشة ((ليونار دو فانسي)) فى لوحاته المعلقة فى متاحف العالم الكبرى .

فالشعر العربي كما قال اخي الاستاذ محمود شاكر فى مقدمة هذا الكتاب : « كان حين أنزل الله القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم نورا يضيء ظلمات الجاهلية ، ويعكف اهله على بيانه عكوف الوثني للصنم ويسجدون لآياته سجدة خاشعة لم يسجدوا مثلها لاوثانهم قط . فقد كانوا عبدة البيان ، قبل أن يكونوا عبدة الاوثان ، وقد سمعنا من استخف منهم باوثانهم ، ولم نسمع قط بأن منهم من استخف ببيانهم)) .

هذه صورة الظروف النفسية التي نزل فيها القرآن ، فكان لاعجازه أن ينفذ الى الارواح — بصفة عامة فى زمن النزول — على هذه السبيل ، أى بما ركب فى الفطرة العربية من ذوق بيان .

ثم تغيرت هذه الظروف مع تطورات التاريخ الاسلامي ، وفاض طوفان العلوم فى أواخر عهد بني امية والعهد العباسي . فصار ادراك جانب الاعجاز فى القرآن بالمعنى الذي حددناه — لغة واصطلاحا — من طريق التذوق العلمي ، أكثر من أن يكون من طريق الذوق الفطري .

وهذا يعني ان الاعجاز كما ادركته العرب وقت النزول — اصبح من اختصاص طائفة قليلة من المسلمين بيدها وسائل التذوق العلمي .

ومن الممكن ان نتتبع هذا التطور فى مرحلتيه فى مراجع التاريخ الاسلامي .

1 — فمن ذلك أن السيرة تروي لنا بعض المواقف التاريخية ، يظهر فيها أثر الاعجاز على الذوق الفطري عند العرب فى الجاهلية . ويظهر ذلك فى صورتين :

اولاهما : اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما تأثر بآيات سمعها من اخته ، او قراها فى صحيفتها .

وثانيتهما : حكم الوليد بن المغيرة حين يقول فى القرآن ((والله لقد سمعت كلاما ما هو من كلام الانس، ولا من كلام الجن ، وان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ...)) وهنا نرى الوليد يقف على قيد شبر من الايمان، وقد هزه بيان القرآن ، ولكن ما كان للحجة أن تغير امرا اراده الله . فنرى الوليد ينتكس ، ويختم كلامه منكرا صدق الرسالة بقوله : ((وان اقرب القول فيه لان تقولوا : ساحر ، جاء يفرق بين المرء وأبيه .. الخ))

وهذا هو صدى الاعجاز فى فطرة العرب فى صورتين مختلفتين . حتى اذا تقدم الزمن ، وتغيرت الظروف الاجتماعية ، وتقدمت العلوم صار الاعجاز موضوع دراسة قائم بذاته ، فكتب فيه أئمة البيان ، من أمثال الجاحظ فى كتابه ((نظم القرآن)) (وعبد القاهر ((صاحب ((دلائل الاعجاز)) .

ومن هذا الاخير نستعير نبذه لتوضيح المقام والمقال ، نستعيرها على سبيل المثال ، من تعليق له على قوله تعالى : ((رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ... » يقول معلقا : « ان فى الاستعارة ما لا يمكن بيانه الا من طريق العلم بالنظم ، والوقوف على حقيقته ، ومن دقيق ذلك وخفيه انك ترى الناس اذا ذكروا قوله تعالى (واشتعل الرأس شيبا) لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة ، ولم ينسبوا الشرف الا اليها ، ولم يروا للمزية موجبا سواها . هكذا نرى الامر فى كلامهم ، وليس الامر على ذلك ...))

ولا لزوم لذكر النص بأكمله ، وانما اوردنه فقط لابين مباشرة عجزي عن ادراك ((الاعجاز)) من هذا الوجه ، اي بوسائل التذوق العلمي ، بعد أن اعترفت بعجزي عن ادراكه من طريق الذوق الفطري . وهكذا اراني حيران ، فاقد الحيلة والوسيلة فى قضية هي امس القضايا بالنسبة لي كمسلم . وهنا تواجهنا مشكلة ((الاعجاز)) فى صورتها الجديدة بالنسبة لهذا المسلم ، اعني بالنسبة لاغلبية المسلمين المثقفين ثقافة

نظرة في الإعجاز

- 2 -

للأستاذ : مالك بن نبي

ذكرنا فيما تقدم من هذا المدخل الاسباب التي دعت الى هذه الدراسة نظرا لما حدث فى العالم الاسلامي من تطورات اجتماعية وثقافية تؤثر فى موقف المسلم المثقف ازاء الاسلام بصورة عامة . وينبغي الان ان نذكر الاسباب التي حددت المنهج المنبع فى هذه الدراسة نظرا الى ادراك هذا المسلم للقرآن ككتاب منزل على وجه الخصوص ، وحيث لا يمكن فصل هذه الاسباب عن ناريخ الاديان السماوية بصورة عامة . واننا نجد هذه الصورة فى الحديث الذي أورده اخي الاستاذ شاكر فى مقدمته حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((ما من نبي الا واوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحي الي فانا أرجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامه)) ، يجب اذن ان نحدد الاعجاز فى القرآن بالنظر الى مفهوم الاعجاز فى الاديان بعامة .

واذن لابد من تحديد هذه الكلمة لغة، واصطلاحا وفى حدود التاريخ ، حيث ان عنصر الزمن دخل فى هذه القضية اذا ما اعتبرناها من دين الى آخر ، اعني فى اتجاه تطورها .

اهل اللغة يرون ان الاعجاز هو الايقاع فى العجز. واهل الاصطلاح يرون أن الاعجاز هو الحجة التي يقدمها القرآن الى خصومه من المشركين ليعجزهم بها.

فاما حين نريد تحديد هذا المصطلح فى حدود التاريخ اي فى تطور ادراك البشر لـ ((حجة الدين وادراك المسلم لـ ((حجة)) الاسلام بخاصة . فلا بد من مراجعة القضية فى ضوء تاريخ الاديان .

وهذا هو الاعجاز من نواحيه التلاث :

اما الآيات التي ندل عليه فى القرآن ، بل وتلفت النظر اليه متعمدة . فهي كثيرة مثل قوله عز وجل : قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا))

(الاسراء)

وقوله تعالى : ((ام يقولون افتراه .. ؟ ! قل فاتو بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله ، وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون))

(هود)

وقوله جل شانه : ((وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)) (البقرة) .

ويجب ان نلاحظ أن هذه الآيات الثلاث لم يسقها القرآن لمنسيء الحجة ، وانما جاءت اعلانا لها ، واشهارا لوجودها فى سائر القرآن . كما تؤتي تأثيرها فى العقول المتربصة ، وتنتج أثرها فى القلوب التي لا زالت فى اكنتها .

فالى اي مدى بلغ هذا التأثير فى الوسط الجاهلي؟ ان لكل شعب هواية يصرف اليها مواهبه الخلاقة . طبقا لعبقريته ومراجه . فالفراعنة مثلا كان لهم اهتمام بفنون العمارة والرياضيات . يدلنا عليه ما

ثم اتى عيسى بالدين الجديد ، وبما يتطلب هذا الدين من وسائل لتبليغه ، أي ما يتطلب من حجـة ، فأتى باعجازه الخاص ، بالمعنى المحدد لغة واصطلاحا كما سبق ، فكان لعيسى ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله . ولسنا بحاجة ان نكرر بالنسبة الى الدين الجديد ماقدمنا من اعتبارات عامة بالنسبة الى خصائص « الاعجاز » في الدين السابق ، حيث ان القضيه تتعلق هنا وهناك بالتركيب النفسي الذي عليه الانسان ، من حيث هو انسان يدرك الاشياء بعقله ، مع ما في عقله من عجز عن ادراك حقيقة الدين مباشرة ، ان لم يكن هناك حجة خاصة تسند تلك الحقيقة لدى عقله في صوره « الاعجاز » .

فالاسباب تتكرر ، وانما يتغير شكلها نظرا لما حدث من تطور في الظروف النفسية والاجتماعية حول الدين الجديد ، في البيئة التي ينشر فيها عيسى دعوته ، تلك البيئة التي تسع عليها الثقافة اليونانية الرومانية .

ولكن دلاله ما اوتى عيسى من اعجاز ستزول أيضا مع زوال موضوعها ، ولنفس الاسباب التي ألغت جانب الاعجاز في دين موسى حيث يأتي – بعد عيسى – رسول جديد ؛ ودين جديد يلغيان الدين السابق – دين عيسى عليه السلام ، فيلغي ضرورة التدليل على صحة الانجيل .

وهكذا تأتي رسالة الرسول الامين ، ولكنها تتسم بصفة خاصة تميزها عما سبقها من الرسالات ، اذ انها الحلقة الاخيرة في سلسلة البعث . ويأتي محمد « خاتم الانبياء » كما ينوه بذلك القرآن ، وتشهد به مرور الزمن منذ اربعة عشر قرنا

وما كانت هذه الميزة التاريخية في الدين الجديد. دون ان يكون اثرها في كل خصائصه ، وفي نوع اعجازه، على وجه الخصوص ، حيث ان حاجة التبليغ ستبقى مستمرة فيه ، سواء من الناحيه النفسيه ، لان كل مسلم – بعكس اليهودي – يحمل في نفسه « مركب التبليغ » ، ام من الناحية التاريخية ، لان الدين الجديد – الاسلام – سيكون دين آخر الزمن ، اي الدين الذي لا يعقبه دين سماوي آخر ، بل ولا يأتي دين بعده بصورة مطلقة ، كما تشهد بذلك القرون ، حتى ان حاجة الاسلام الى وسائل تبليغه ستبقى ملازمة له ، من جيل الى جيل ، ومن جنس الى جنس، لا يلغيها شيء في التاريخ ، وهذا يعني ان هذه الوسائل يجب الا تكون ، مثل الاديان الاخرى ، مجرد توابع يتركها الدين في الطريق عبر التاريخ ، بعد مرحلة التبليغ ، مثل اليد عند موسى او عصاه التي لم يبق لها اثر ، حتى في متاحف العالم ، كما بقيت عصا « توت عنخ آمون » الذهبية .

وعليه يجب ان يكون « اعجاز » القرآن صفة ملازمة له عبر العصور والاجيال ، وهي صفة يدركها العربي في الجاهلية بذوقه الفطري ، كعمر رضي الله تعالى عنه او الوليد ، او يدركها بالتذوق العلمي كما فعل الجاحظ في منهجه الذي رسمه لمن جاء بعده . ولكن المسلم اليوم قد فقد فطرة العربي الجاهلي وامكانيات عالم اللغة في العصر العباسي ، وبرغم هذا فان القرآن لم يفقد بذلك جانب « الاعجاز » لانه ليس من توابعه ، بل من جوهره ، وانما أصبح المسلم مضطرا الى أن يتناوله في صورة أخرى بوسائل اخرى، فهو يتناول الآية من حيث تركيبها النفسي الموضوع اكثر مما يتناولها من ناحية العبارة ، فيطبق في دراسة مضمونها طرق التحليل الباطن ، كما حاولنا ان نطبقها في هذا الكتاب .

واذا كانت هذه الضرورة ملحة بالنسبة للمسلم الذي يحاول تقعيد عقيدته على اساس ادراك شخصي لقيمة القرآن ككتاب منزل ، فانها اكثر الحاحا بالنسبة لغير المسلم الذي يتناول القرآن كموضوع دراسة او مطالعـــه .

فهذه في مجملها الاسباب التي دعتنا الى تطبيق التحليل النفسي بخاصة لدراسة القرآن كظاهرة .

بيد ان تنفيذ هذه المهمة قد اظهر نقائص جهازنا الفني ، غير – تواضع – بل عن معرفة تامة بالقضية التي نعتبر تنفيذها مجرد ارشاد لما سيتلوها من دراسات ، يلزم للقيام بها ان نحشد وسائلنا الفنية ووثائقنا التي لم نستطع بكل اسف ان نجمعها للقيام بهذه الدراسه .

ومن المفيد هنا ان نذكر كم سيكون مفسر الغد بحاجة الى معرفة لغوية وأثرية واسعة ، فان عليه ان يتتبع الترجمة اليونانية السبعينية للكتاب المقدس والترجمة اللاتينية الاولى من خلال الوثائق العبرية وبصورة اعم عليه ان يتتبع جميع الوثائق السريانية والآرامية ليدرس مشكلة الكتب المقدسة .

هذه مهمة جليلة لا يمكننا الشروع فيها ، رغم رغبتنا الحارة في تحقيق هذا الامل ، والله يوفقنا .

القاهـرة : مالك بن نبي

اجنبية ، بل وربما بالنسبة لذوي الثقافة التقليدية ، فى ظروفهم الثقافية والنفسية الخاصة ، فلا بد اذن من اعادة النظر فى القضية فى نطاق الظروف الجديدة التي يمر بها المسلم اليوم ، مع الضرورات التي يواجهها فى مجال العقيدة والروح .

وعلى رغم ما يبدو فى القضية من تعقد ، بسبب موقفنا التقليدي ازاءها ، فاني اعتقد ان مفتاحها موجود فى قوله تعالى : ((قل ما كنت بدعا من الرسل، وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ، ان اتبع الا ما يوحى الي)) . فاذا اعتبرنا هذه الآية على انها حجة يقدمها القرآن للنبي كي يستخدمها فى جداله المشركين ، فلابد أن نتامل محتواها المنطقي من ناحيتين :

فهي تحمل ، اولا ، اشارة خفية الى ان تكرار النبيء فى ظروف معينة يدل على صحته ، اي أن سوابقه فى سلسلة معينة تدعم حقيقته كـ ((ظاهرة)) بالمعنى الذي يسبغه التحديد العامي على هذه الكلمة : فالظاهرة هي : ((الحدث الذي يتكرر فى نفس الظروف مع نفس النتائج)) .

وهي تحمل فى مدلولها ، ثانيا ، ربطا واضحا بين الرسل والرسالات خلال العصور، وأن الدعوة المحمدية يجري عليها أمام العقل ما يجري على هذه الرسالات. ومن هذا نستخلص امرين :

1 ــ انه يصح ان ندرس الرسالة المحمدية فى ضوء ما سبقها من الرسالات .

2 ــ كما يصح ان ندرس هذه الرسالات فى ضوء رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، على قاعدة ان ((حكم العام ينطبق على الخاص قياسا ، وحكم الخاص ينطبق على العام استنباطا)) .

ولا مانع اذن من أن نعيد النظر فى معنى ((الاعجاز)) فى ضوء منطق الآية الكريمة .

وحاصل هذا اننا اذا اعتبرنا الاشياء فى حدود الحدث المتكرر ، اي فى حدود الظاهرة ، فالاعجاز هو :

1 ــ بالنسبة الى شخص الرسول : الحجة التي يقدمها لخصومه ليعجزهم بها .

2 ــ وهو بالنسبة الى الدين : وسيلة من وسائل تبليغه .

وهذان المعنيان للاعجاز يضفيان على مفهومه صفات معينة :

اولا : أن الاعجاز ــ كـ ((حجة)) لابد أن يكون فى مستوى ادراك الجميع ، والا فاتت فائدته ، اذ لا قيمة منطقية لحجة تكون فوق ادراك الخصم ، فهو ينكرها عن حسن نية احيانا .

ثانيا : ومن حيث كونه وسيلة لتبليغ دين : أن يكون فوق طاقة الجميع .

ثالثا : ومن حيث الزمن : أن يكون تأثيره بقدر ما فى تبليغ الدين من حاجة اليه .

وهذه الصفة الثالثة تحدد نوع صلته بالدين ، الصلة التي تختلف من دين الى آخر ، باختلاف ضرورات التبليغ كما سنبين ذلك .

فهذا هو القياس العام الذي نراه ينطبق على معنى الاعجاز ، فى كل الظروف المحتملة بالنسبة الى الاديان المنزلة .

واذا قسنا به فى نطاق رسالة موسى عليه السلام مثلا ، نرى ان الله اختار لهذا الرسول معجزتي اليد والعصا ، واذا تاملناهما وجدناهما ــ ((كحجة)) يدعم الله بها رسالة نبيه ــ تتصفان بانهما :

1 ــ ليستا من مستوى العلم الفرعوني الذي كان من اختصاص اشخاص معدودين ، يكونون هيئة الكهنوت ، بل كانت المعجزة ، فى كلتا صورتيها ، من مستوى السحر الذي يقع اثره فى ادراك الجميع عن طريق المعاينة الحسية ، دون اجهاد فكر .

2 ــ هاتان المعجزتان تتصلان بتاريخ الدين الموسوي ، لا بجوهره ، اذ ليس لليد او العصا صلة بمعاني هذا الدين ولا بشريعته ، فهما على هذا مجرد توابع للدين ، لا من صفاته الملازمة له .

3 ــ ودلالة هاتين المعجزتين على صحة الدين محدودة بزمن معين ، اذ لانتصور مفعول اليد والعصا كـ « حجة » الا فى الجيل الذي شاهدهما ، أو الجيل الذي بلغته تلك الشهادة بالتواتر من التابعين وتابعي التابعين . اي أن مفعوله لايكون الا فى زمن محدد ، لحكمة ارادها الله . ولو فكرنا فى هذه الحكمة لوجدنا انها تتفق مع حقائق نفسية ، وحقائق تاريخية سجلها الواقع فعلا ، هي : ــ

اولا : ان القوم الذين يدينون اليوم بدين موسى ــ اي اليهود ــ يفقدون ، لاسباب نفسية لا سبيل لشرحها هنا ، نزعة التبليغ ، بحيث لايشعرون بضرورة تبليغ دينهم الى غيرهم من الامم ، اي : الاميين ــ كما يقولون. حتى اننا اذا استخدمنا لغة الاجتماع قلنا : ان « الاعجاز » قد الغاه فى هذا الدين عدم الحاجة اليه .

ثانيا : ان مشيئة الله قدرت أن يأتي عيسى رسولا من بعد موسى ، وأتى الدين الجديد لينسخ الدين السابق ، فينسخ طبعا جانب الاعجاز فيه ، حيث نزول الحجة بزوال ضرورتها التاريخية .

كان يختم القرآن كل ليلة ، وسعيد بن عمران القرطبي كان ابوه من التجار المياسير وكان في صباه منهمكا في البطالة ثم تاب وتصدق باكثر ماله ثم خرج للحج وتعبد حتى اصبح منقطع النظير في النسك والزهد ، وسعدون بن اسماعيل الربي كان من الزهد والتقلل بحيث لم يتزوج ولا اشتغل بشيء من الدنيا طول حياته ، واحمد بن يوسف بن مؤذن الوشقي انفق اكثر ماله في استنقاذ اسارى المسلمين ، ويذكر انه فك من اسر العدو مائة وخمسين سبية .

وقد تزايد وجود مثل هذه الشخصيات في الاندلس ولا سيما بعد ان اشتغل بعض الرحالين من الاندلسيين الى المشرق بجمع سير عباده وزهاده ، ولعل اول كتاب في ذلك يؤلفه اندلسي هو كتاب محمد بن وضاح المتوفي سنة 287 وعنوانه « العباد والعوابد» ولعله هو اول ما فتح قلوب الاندلسيين وارواحهم الى تلمس اخبار زهاد المشرق ومتصوفيه .

وفي هذا العصر بدات معالم التصوف الاندلسي تتحدد شيئا فشيئا فنحن نرى الشعب يتجه بكثير من الاجلال والتعظيم لهؤلاء الصالحين ، فتتردد عنهم اخبار تؤكد انهم كانوا مستجابي الدعوة ، ويتطور الامر حتى بدأت نسبة الكرامات اليهم ، وبدات تسميتهم بالابدال او اولياء الله .

ولعل من اول هؤلاء ، الزاهد ايوب البلوطي الذي احتفظ لنا ابن سعيد في كتاب المغرب بخبر عنه يقول فيه : ان قاضي الجماعة بقرطبة مسرورا بن محمد في ايام الامير عبد الرحمن الاوسط خرج بالناس لصلاة الاستسقاء فلما اتم خطبته قال : يا ايوب البلوطي عزمت عليك حيث كنت لتقومن . فلم يقم ايوب اليه الا بعد ان اقسم عليه في الثالثة وقال : يا هذا ، اشهرتني. اما كنت ادعو حيث انا ؟ ثم رفع القاضي راسه فقال : اللهم انا نستشفع اليك بوليك هذا . والح بالدعاء وكثر الضجيج والبكاء ، فلم ينصرفوا الا واخذ ينهم في الدبهم من كثرة المطر ، وطلب ايوب بعد ذلك فلم يوجد. ويؤثر عن ابي العجنس الزاهد الاسنجي خبر يماثل ذلك ويقال انه كان يركب اتانة حتى ياتي مجشر حريش بقرب قرطبة فيطلق الاتان ترتع ويصلي الى الصبح فلا يعدو عليها ذئب ولا غيره فاذا اصبح عاد الى منزله .

ويقال ان عبد الله بن عبد السلام بن فلمون القرطبي المتوفي في اواخر القرن الثالث انه لقي العباد في المشرق وجاور بمكة فلم يزل على منهج الابدال حتى لقي الله وهو بارض الغربة .

ويذكرون عن يوسف بن سليمان القرشي البطليوسي انه كان مقربا للثائر في هذه المنطقة على بني امية عبد الرحمن بن مروان الجليقي ، ثم سعى به الى ابن مروان فهم بقتله ، واقبل يتدبر امر اغتياله فما هو الا ان وقعت في ذلك النهار سبع صواعق على بطليوس وقعت احداها في ركن مجلس ابن مروان الذي كان يجلس فيه فارتاع لذلك ارتياعا شديدا وظن انه نذير للذي هم به في الرجل الصالح فكف عنه .

وكان ابو وهب القرطبي على ما يذكر المترجمون له معروف الكرامات معدودا في الابدال ، وقد ظل قبره في قرطبة مشهورا يتبرك به حتى فتح النصارى قرطبة سنة 633 بشهادة ابن الابار .

وكان قاسم بن ثابت السرقسطي ورعا ناسكا فاريد على ان يلي القضاء بسرقسطة فامتنع ، واراد ابوه اكراهه عليه فساله ان يتركه يتروى في امره ثلاثة ايام فمات في هذه الايام سنة 302 ، ويقال انه دعا الله ان يقبضه اليه فاستجاب دعوته .

اما لفظ « الابدال » الذي اشرنا الى شيوعه في هذه الفترة فلعله اول مظهر لدخول الاصطلاحات الصوفية المشرقية الى الاندلس ، ويقصد به هذا النفر من الرجال الصالحين الذين يقون العالم شر غضب الله ونقمته عند فشو الخطايا فيهم ، ولعل من اول المباحث الاسلامية حول هذا اللفظ ما نراه فيما كتبه الجاحظ عنهم في رسالة التربيع والتدوير ، وقد اختص الصوفية هذا الاصطلاح بكثير من الاهتمام ، فاسهبوا في العصور المتأخرة في الحديث عن توزيعهم على الاجيال الزمنية وعلى الاقاليم السبعة وغير ذلك مما نرى تفصيله في الفتوحات المكية لابن عربي .

ومن هذه المظاهر كذلك اقامة اربطة صغيرة يقيم فيها النساك والعباد افرادا وجماعات ، للعبادة والتامل ، او للجهاد والمرابطة ، ويحدثنا الخشني في كتاب تاريخ قضاة قرطبة ان محمد بن بشير المعافري الباجي حينما دعي الى تولي القضاء بقرطبة في عهد الامير الحكم بن هشام (في اواخر القرن الثاني الهجري) اقبل وهو لا يعلم ما يراد به ، فلما صار بسهلة المدور مال الى مسجد هناك كان يقيم به صديق له من النساك،

التصوف الاندلسي، مبادئه وأصوله

بقلم
الدكتور محمود علي مكي

- 2 -

وقد بدات الحركة الصوفية فى الاندلس بما كان من الطبيعي ان تبدا به اي حياة زهدية بسيطة، وهو امر لا يحتاج فى نشأته الى ان يكون متاثرا بعوامل خارجية، فقد احتفظت لنا كتب التراجم بكثير من اخبار افراد رغبوا عن الدنيا واتجهوا الى رياضات دينية قائمة على قواعد زهدية بسيطة، وقد كان لهؤلاء مكانة عظيمة بين الشعب الاندلسي فى تاريخه المبكر. واول ما نجده من ذلك لدى بعض التابعين الذين دخلوا الاندلس وكان فيهم للناس قدوة صالحة، فمن امثلة هذا ما يروى عن التابعي حنش بن عبد الله الصنعاني المتوفى فى اوائل القرن الثاني من انه كان اذا فرغ من عشائه وحوائجه، قرب اناء فيه ماء فكان اذا وجد النعاس استنشق الماء حتى يظل يتلو من آي القرآن الكريم بقية ليله.

وقد كان من الطبيعي ان يتجه الكثيرون من اهل التدين فى هذه الفترة المبكرة الى الجهاد ضد نصارى الاندلس كما يذكر عن نعمان بن عبد الله الحضرمي وكان يسكن برقة، فاتفق ان وفد بعد اشتراكه فى غزو الاندلس هو وصاحب له يدعى محمد بن حبيب المعافري الى الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك لابلاغه نبأ فتح قدر للمسلمين. فسألهما سليمان حاجاتهما، اما محمد بن حبيب فذكر له عدة حوائج فقضيت، واما نعمان فانه قال للخليفة انه ليس له حاجة الا ان يرده الى الثغر ليواصل الجهاد، وعاد نعمان الى اقصى ثغور الاندلس حتى لقاه الله الشهادة وكان نعمان من ازهد الناس كان يتصدق بعطائه كله حتى لا يبقى معه شيء ولا عليه ثوب ولا ازار.

وممن نعرفهم من هؤلاء الصالحين الاندلسيين فى خلال القرن الثاني الهجري ثلاثة يتحدث المؤرخون عنهم باعتبارهم عباد الاندلس: اولهم ميمون بن سعد، وقد كان موضع اجلال من اهل الاندلس حتى من نصاراها المعاهدين، ذكر ابن القوطية من اخباره انه دخل على ارطباش بن غيطشة القوطي وكان يتصدر مجلسه على كرسي مصمد من الذهب، وكان لديه سادة العرب والموالي. فما ان رأى ارطباش الرجل الصالح حتى قام اليه وجعل يقوده الى كرسيه الذي قام منه، ولكن ميمونا ابى الا الجلوس على الارض فجلس ارطباش معه، وكان لميمون هذا ابن يسمى داود يذكر ابن الابار انه كان واحد عصره نسكا وزهدا، اما الزاهدان الثانيان فهما ابو الفتح الصدفوري وفرقد السرقسطي. وكانا صاحبين يرابطان معا فى ثغري سرقسطة وقلنبرية (التي تقع الآن فى البرتغال) وتؤثر عن فرقد المذكور نبوءات حول الحرب التي دارت فيما بعد بين عبد الرحمن الداخل ويوسف بن عبد الرحمن الفهري. وقد تحققت كلها على ما وصف.

وقد كانت رحلات الاندلسيين الى المشرق مما اطلعهم على كثير من مظاهر الحياة الروحية التي كان يحياها العباد والمتزهدون، وهكذا نرى فى خلال القرنين الثاني والثالث صدى لهذه الحياة المتدينة مما سنعرض له امثلة فيما يلي:

فعيسى بن دينار الفقيه الطليطلي الذي توفي سنة 212 ناشر مذهب مالك فى الاندلس كان يذكر عنه انه ظل اربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العتمة، مما يدل على انه كان يقضي الليل كله فى العبادة والتهجد.

وابو المغلس القرطبي الزاهد لم يكن له طوال شهر رمضان الا ثلاث اكلات من سبعة ايام الى سبعة ايام ثم اكلة الفطر، وحفص بن عبد السلام السرقسطي تلميذ الامام مالك ادام الصيام اربعين سنة، وكان الامير الحكم يستقدمه كل عام فى شهر رمضان لكي يؤم به، وخلف بن سعد القرطبي المتوفي سنة 305

مخلد بالدعاء الى الله من اجله تكسر قيده من تلقاء نفسه ، وتكرر ذلك حتى راى رهبان النصارى ان الله قد استجاب لدعوة امه فيه ، والغريب اننا نرى ان روايات هذا الخبر كلها تنتهي الى عبد الكريم بن هوزان القشيري صاحب الرسالة الى الصوفية دون ان يذكرها من ترجموا لبقي من قدماء الاندلسيين ، وهو خبر قريب من كرامة تؤثر عن ذي النون المصري : فقد جاء في حلية الاولياء لابي نعيم الاصبهاني ان امرأة اختطف التمساح ولدها فأسرعت الى ذي النون فدعا الله بدعاء ، رد اليها ولدها بعده سليما معافى ، والكرامتان كما نرى متشابهتان لولا ان كلا منهما متاثر هذا ببيئة مصر وذلك ببيئة الاندلس .

ويذكر ابن الفرضي في ترجمة يحيى بن قاسم بن هلال القرطبي المتوفى سنة 287 انه كان من العباد وكان يطلق عليه اسم « صاحب السجرة » ويفسر ذلك انه كانت في داره شجرة تسجد لسجوده اذا سجد .

على انه كما بدا التصوف في المشرق بتلك العبادات او الرياضات الدينية والميل الى حياة مترهدة متقشفة ثم انتهى الى ان اصبح تاملا عقليا وجدانيا خالصا . فكذلك كان الامر في الاندلس . بدا التصوف يستقل عن تلك الحياة الزهدية ، وبدأت معالمه تتجسم بشكل واضح ، واننا نرى ان ذلك انعكس في مظهرين :

الاول ان هذه العبادات بعد ان كانت مزيدا من التدين يزاوله افراد متفرقون لاتجمعهم صلة اصبحت منذ اواخر القرن الثالث رابطة تجمع بين نفر من العباد يقيمون في معبد خاص بهم . فاننا نجد ابن الفرضي في ترجمة احد هؤلاء وهو اصبغ بن مالك القبري المتوفى سنة 299 انه يجتمع اليه اهل الزهد والعبادة فيتذاكرون في داره . وكان يعيش في ببشتر . وهي تلك القلعة المنيعة التي كان يتحصن بها عمر بن حفصون الثائر على الخلافة الاموية . بل ان هذه الرياضات الدينية لم تعد قاصرة على الرجال بل اشترك فيها النساء كذلك . يذكر ابن الابار ان ام الحسن بنت ابي لواء سليمان بن اصبغ المكناسة وهي من بيت بني وانوس البربري كانت قد اقامت مسجدا لصق بيتها في فحص البلوط شمال غربي قرطبة . فكان يقصدها صوالح نساء اهل ناحيتها يتذاكرن سير العابدين والعابدات ، ويقول انه كان لها ببلدها لذلك شان كبير ، ومما يلفت نظرنا في هذين الخبرين ان هذه المتعبدات التي كان يقيم اهل الصلاح والعبادة من الرجال والنساء لم تكن مثل اربطة ثغور افريقية التي كان يقيم بها عدد من النساك يقومون بالجهاد والعبادة في آن واحد ، وانما كانت اماكن للعبادة فقط اذ هي بحكم موقعها كما نرى بعيدة كل البعد عن ثغور المسلمين المتاخمة لبلاد النصارى . فببشتر تقع على الجبال المحيطة بغرناطة ، وفحص البلوط في المنطقة الجبلية المحيطة بقرطبة ، ومعنى ذلك انها كانت اشبه بالزوايا المخصصة لحياة تاملية روحية صرف ، ثم اننا نلاحظ انه قد روعي في اختيارها انها اقيمت في جهات جبلية وعرة تعين على الانقطاع والاعتكاف الكامل على نهج ما نرى في كل حياة صوفية خالصة .

اما المظهر الثاني الذي اشرنا الى بروزه في هذه الفترة دالا على تميز الصوفية عن العباد في الاندلس فهو بدء اصطدامهم بالفقهاء من المحافظين على سلامة العقيدة في جوهرها ومظهرها ، وقد راينا ان هذه الحياة المتعبدة لم تجد من الفقهاء في الاندلس اعتراضا ولا نقدا حتى الآن . بل ان هؤلاء الزهاد كانوا موضع احترام وتبجيل من الجميع اذ كانوا في نظرهم قوما صالحين مقبلين على العبادة دون ان يرى احد في افعالهم او اقوالهم ما يتعارض مع الشريعة . اما في اواخر القرن الثالث فقد ظهر من هؤلاء العباد ما بدأ الفقهاء ينظرون اليه في ريبة وتشكك .

واول من يمثل لنا هذا الاصطدام بين الفقهاء وبين هؤلاء العباد الذين لانسرف اذا سميناهم صوفية بمعنى الكلمة هو يمن بن رزق الطبلي الذى احتفظ لنا ابن الفرضي ببعض اخباره ، وكان اصله من قرية بالثغر بجوار تطيلة اى في اقصى شمال الاندلس . ويبدو انه كان من اهل السياحة اذ يذكر ان وفاته كانت بالمشرق بعسقلان وان قبره هناك كان موضع تبجيل المسلمين بهذه المدينة . وقد كانت عسقلان في ارض الشام من المدن التي استهرت باربطتها ومتعبداتها . ويظهر انه استقر فترة من حياته في القيروان ، اذ ان معظم اخباره تنتهي الى مواطن له اندلسي عاش في افريقية حتى وفاته هو يحيى بن عمر الاندلسي تلميذ سحنون . ويذكر يمن انه لما اوشك على الاحتلام راى كأن قفل نحاس على قلبه ثم نظر الى مفتاح القي بين يديه ففتح به ذلك القفل ، ومثل هذه الرؤيا اشبه بما كان يعرض لاهل التصوف مما كان يتفق للزهاد . ويذكر يحيى بن عمر انه كان يعتكف في بيته النهار كله لايخرج الا للصلاة مع الجماعة ثم

وتدور بين الرجلين محاورة طريفة يستشير فيها ابن بشير صديقه العابد فى امر قبول منصب القضاء الى آخر هذا الخبر الذي يمكن ان يراجع فى ذلك الكتاب المذكور ، ونرى من هذا الخبر كيف اقبل ناسكو الاندلس فى هذه الفترة المبكرة على الاعتكاف فى تلك المتعبدات المنعزلة ، وقد توهم بعض المستشرقين ان هذا اثر مباشر للرهبانية المسيحية فى الاندلس ، ولو ان الارجح ان ذلك لم يكن الا تقليدا لما بداه فى هذا الوقت متصوفية المشرق ، بل ولما نراه فى افريقية التي شاع فيها فى منتصف القرن الثالث بناء الاربطة مثل سوسة والمنستير وغيرهما مما كان يوجد على امتداد الساحل الافريقي ، وكان كثير من الصلحاء ينقطعون الى هذه الاربطة ليواصلوا فيها حياة هي مزيج من التبتل والجهاد مما نرى تفصيله فى امثال كتاب الدباغ « معالم الايمان » والمالكي « رياض النفوس » ، وقد بحث هذه الاربطة المستشرق الفرنسي (جورج مارسيه) ، والاسباني (خايمه اوليفرا سبن) فى بحثين شيقين ، هذا ونود ان ننبه فى هذا المقام الى ان طائفة من الاندلسيين قد انتقلوا الى افريقية واستقروا فى تلك الاربطة مثل يحيى بن عمر الكناني الذي توفي سنة 289 فى سوسة والذي كان له اثر كبير على الثقافة الافريقية والاندلسية فى عصره ، وقد افردنا بحثا خاصا بيحيى بن عمر هذا وبينا ان عددا كبيرا من تلاميذه الاندلسيين كانوا من مناطق الثغور فى اسبانيا مثل سرقسطة ووشقة وتطيلة والى ان هؤلاء التلاميذ حرصوا على ان ينقلوا الى بلادهم هذا التقليد الافريقي فانشاوا الاربطة كذلك ، وانتهجوا فيها مثل حياة اساتذتهم فى افريقية من تعبد وجهاد .

وقد بدا يشيع فى الاندلس لبس الصوف باعتبار ذلك مظهرا من مظاهر التقشف والزهد ، فقد كان ينسب الى عبد الرحمن الداخل انه كان يفضل لبس الصوف ، وقد عد ذلك من فضائله ودلائل ورعه ، على اننا نشك فى صحة هذا الخبر اذ ان اول من يورده هو ابن نباتة فى كتاب شرح العيون وعنه نقله السلاوي في الاستقصاء وهما مرجعان متأخران ، ثم انه لم يعرف عن عبد الرحمن ممارسة اي رياضة زهدية ، اما الذي نعرف عنه انه اول من ارتدى الصوف تقشفا ونزوعا الى خشونة المعيشة فهو قاضي قرطبة سعيد بن سليمان المتوفي سنة 240 اذ يذكر الخشني عنه انه كان يجلس للحكم وعليه غضارة وجبة صوف بيضاء وعلى راسه اقروف من الصوف كذلك ، وينسب الى ابن طاهر التدميري المتوفي فى القرن الرابع انه كان ايضا يرتدي الصوف .

اما اصطلاح « الصوفية » فلم يعرف فى الاندلس الا فى اواخر القرن الثالث ، وقد عرف هذا اللفظ وشاع فى المشرق من قبل ،وقد اشرنا الى احتكاك الاندلسيين الريفيين الذين طردوا من قرطبة ايام الحكم بن هشام فى اواخر القرن الثاني بتلك الطائفة التي كانت تعرف فى الاسكندرية باسم الصوفية ولو اننا لا نعرف لهذه الطائفة تعاليم صوفية بمعنى الكلمة ، على ان الثابت هو ان هذا الاسم اصبح منذ القرن الثالث يطلق على هذه الجماعات التي كانت تزاول ما نعرفه اليوم من مداول ذلك الاصطلاح ، وقد عرف هذا اللفظ بعد ذلك فى افريقية فى منتصف القرن الثالث الهجري ، وان كان بمعنى قريب مما رأيناه من قبل فى طائفة الصوفية بالاسكندرية ، اي دالا على طائفة من الرجال كانوا يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر احتسابا لله وزلفى اليه ، يذكر المالكي فى رياض النفوس ان قاضي القيروان سحنون بن سعيد ارسل يوما فى طلب الف رجل من الصوفية فاجتمعوا اليه من البوادي ، فتخير منهم مائة رجل ارسلهم لفك ظلامة بسبب شيء ارتكبه احد قواد بني الاغلب .

اما اول من نعرف انه تلقب بلفظ الصوفي فى الاندلس فهو عبد الله بن نصر القرطبي المتوفي سنة 315 وكان على ما يذكر ابن الفرضي مؤدبا فى مسجد ابي علاقة ، وكان ممن يسرد الصلاة والصوم ، الا ان هذا الاسم الذي اطلق عليه ربما دل على انه كان متصوفا بمعنى الكلمة لا مجرد زاهد بكر من العبادات فحسب .

واذا كانت هناك كرامات قد نسبت الى بعض الصالحين الاندلسيين فى تاريخ مبكر فانها كانت بسيطة لاتتجاوز ما كان المترجمون لهم ينصون عليه من انهم كانوا مجابي الدعوات ، على انها فى القرن الثالث اصبحت تتجاوز ذلك الى مظاهر اكثر تعقدا واقرب الى ما كان يعرف عن كرامات الصوفية ، وقد نسبت الى بقي بن مخلد القرطبي المتوفى سنة 276 احدى هذه الكرامات اذ يذكر ان امراة جاءت الى بقي فقالت ان ابنها قد اسره الروم وليس لها مال لتفديه ، فتمتم بكلمات فما كانت الا ايام حتى حضر الشاب الاسير الى امه معلما الناس انه فى الوقت الذي نطق بقي بن

ابن مسرة فقد ابتدع منهجا غريبا مزج فيه بين التصوف والاعتزال ، حتى ان التهمة الكبرى التي وجهت اليه هو واصحابه كانت اخذهم بما قال به المعتزلة من نفي القدر ، والاستطاعة اي حرية الارادة.

على ان ابن مسرة لم يكن هو المفكر الاندلسي الوحيد الذي استمد آراء ذي النون الاخميمي فقد ظلت قداسة الامام المصري تأسر الباب الاندلسيين بعد ذلك بمدة طويلة ، ولعل ذلك يرجع الى اعتدال ذى النون وعدم تطرفه فى تصوفه اذا قسناه بغيره من متصوفة العراق ، او ايران مثل ابي يزيد البسطامي ، أو الحلاج .

وقد الف ابن شعبان المعروف بابن القرطبي كتابا سماه « مواعظ ذي النون الاخميمي » كان متناقلا فى الاندلس ، وابن شعبان المذكور فقيه اندلسي الاصل استقر بمصر واصبح رئيسا للمذهب المالكي بها خلال القرن الرابع الهجري ، كما عرفت بالاندلس خلال هذا العصر مؤلفات منسوبة الى ذي النون نذكر منها رسالة « سؤال ذي النون المصري بعض الزهاد عن صفة المؤمن » وهي رسالة اذاعها فى الاندلس مسلمة بن القاسم القرطبي المتوفى سنة 353 والذي عرف عنه اهتمام بالفلسفة وعلوم التصوف ، ولهذا فاننا نجد ان اخبار ذي النون واقواله يتردد صداها فى الاندلس كثيرا فى ذلك الوقت وتحتفظ بها المراجع الاندلسية كما نرى فى كتاب جامع بيان العلم لابن عبد البر . والصلة لابن بشكوال الذى يقص علينا خبر توبة ذى النون اى تحوله الى الطريقة الصوفية بشكل غريب يختلف عما تذكره كتب التصوف المشرقية .

وعلى الرغم مما كانت تبديه السلطات الرسمية والفقهاء المالكيون من ضيق باقوال المتصوفية فقد ظهرت فى خلال القرن الرابع شخصيات صوفية لها مكانتها ، ولو ان الاغلب على هؤلاء هو انهم كانوا يذهبون الى تصوف معتدل مثل ما رأينا من الصوفي المصري الكبير . كذلك اتجه التصوف الى الجمع بين التأمل النظري والعبادة العملية ولا سيما الجهاد الذى كان متنفسا لهذه النزعات الروحية ولا سيما فى ذلك العصر الذي بلغ الجهاد فيه ضد نصارى الشمال ذروته فى ايام الحاجب المنصور بن ابي عامر .

ومن هؤلاء مخارق بن الحكم بن مخارق القرطبي الذي يذكر ابن الفرضي انه كان من زملائه فى الدراسة. وكان من العابدين المتهجدين ويقال انه كان مجاب الدعوة ، وانه حج على قدميه ثم عاد فكان يتقوت من عمل يديه ، وخرج الى ارض الحرب مجاهدا فاستشهد فى الغزاة التي فتح فيها المنصور العامري قلنبريه (فى البرتغال الآن) سنة 377 .

ومنهم كذلك محمد بن طاهر القيسي التدميري الذي نسميه المراجع الزاهد الشديد ، وكان قد رحل الى المشرق فسمع من الفقهاء والمحدثين والزهاد وجاور الحرمين ثماني سنوات ، وظهرت له فى المشرق دعوات مجابة وكرامات ظاهرة ثم انصرف الى الاندلس مجيبا دعوة والده وكان لايزال يكتب اليه مع حجاج الاندلس يستدعيه ، فلما قدم تدمير تنكب نزول مرسية عاصمة الاقليم لسبب رآه لم يكن يستحل معه سكنى مرسية ولا الصلاة فى مسجدها الجامع ونزل قرية بخارجها نسبت بعد ذلك اليه وابتنى لنفسه بيتا من الحطب والشعر كان يأوى اليه ، وكانت له هناك جنينة يعمرها بيده ويتقوت منها ، وكان مع ذلك لايدع الجهاد مع المنصور العامري وشهد معه فتح سمورة وقلنبرية ثم ترك سكنى قريته واستقر بالثغر وواصل الرباط وكانت له فى البأس والشجاعة حكايات عجيبة ، ثم ما زال يرابط فى طلبيرة ، وكانت ثغرا من اعمال طليطلة حتى استشهد فى سنة 379 ، وتروى عن هذا الرجل الصالح قصص فى جهاده باليد واللسان تسطر اسمه فى سجل اعاظم الرجال ، ويذكر عنه فى مصر انه كان السبب فى ان يهوديا من كبار رجال الدولة اعتنق الاسلام بعد رؤيا رآها الزاهد الاندلسي .

كذلك اهتم بعض متصوفة الاندلس بالتقليد الذي كان شائعا فى المشرق وهو السياحة الصوفية ، ومن هؤلاء عطية بن سعيد المتوفى سنة 409 والذي طاف بلاد الشرق حتى وصل الى بلاد تركستان وما وراء النهر وكانت له ببغداد مكانة جعلت اصحاب ابي عبد الرحمن السلمي صاحب طبقات الصوفية يلتفون به حتى ضاق به الصوفي البغدادي واورد له مترجموه كرامات كثيرة ، كما الف فى التصوف كتبا تناقلها الناس ، وكان له اهتمام بجمع اخبار ذي النون المصري ، وقد اورد الحميدي والخطيب البغدادي فى ترجمته ابياتا ينسبها الى الصوفي المصري يقول فيها:

اقلل ما بي فيك وهو كثير
وازجر دمعي عنك وهو غزير

بعود ، وانه لم يكن فى داره الا حصير ينام عليه ومصحف ثم الكتاب الذي وضعه هو وسماه «الزهد» وانه كان اذا اراد شراء شيء او التصدق بشيء ادخل يده تحت الحصير فاخرج دراهم صحاحا كبارا .

اما كتاب « الزهد » الذي وضعه يمن فلا نعرف عنه الا ما اثاره من حملة الفقهاء عليه سواء فى القيروان او قرطبة ، اما فى القيروان فقد افتى بالنهي عن قراءته محمد بن مسرور المعروف بابن الحجام ، واما فى قرطبة فقد صرح بمثل ذلك احمد بن خالد المعروف بابن الحباب الذي كان يصف يمنا بانه « صاحب وساوس » ، وعلى الرغم من هذا الحكم فقد عكف على كتاب «الزهد» نفر من صوفية الاندلس نذكر منهم زاهدا سجلماسي الاصل يدعى جساسا كان يذيع هذا الكتاب وينشره فى متعبد له بثغر مجربط « مدريد الحالية » خلال القرن الرابع الهجري ، وعن جساس المذكور رواه عبد الرحمن بن خلف الاقليشي المتوفى سنة 347 ، وليس لدينا شك فى ان ما احتواه كتاب الزهد ليمن بن رزق كان اكثر بكثير مما يدل عليه عنوانه اذ لو كان مجموعة من المواعظ الزهدية لما اثار ثائرة الفقهاء ، بل يبدو لنا كتابا صوفيا بمعنى الكلمة

وننتقل الآن الى اقدم شخصية اندلسية صوفية ظهرت خلال اواخر القرن الثالث واوائل القرن الرابع الهجري وكان لها اثر كبير بعد ذلك فى الحياة الروحية بهذه البلاد حتى ابن عربي المرسي فى القرن السابع الهجري ، ونعني بها شخصية ابن مسرة الجبلي القرطبي المتوفى سنة 319 ، ولا يتسع المجال هنا الى التحدث بما كنا نؤمل من تفصيل عن هذا المتصوف الاندلسي العظيم ، وقد افرد بحثا لدراسته المستشرق الاسباني اسين بلايثوس استطاع فيه ان يعيد تكوين صورة لمذهبه الذي اندثر وان كان قد ترك آثارا عميقة في الفكر الاندلسي بعد ذلك .

وقد ولد محمد بن عبد الله بن مسرة فى سنة 269 . وكان ابوه رحل الى المشرق فسمع من علمائه قبل ذلك واتجه الى الآراء الاعتزالية والكلامية مع تدينه ونسكه ثم عاد فأودع ابنه محمد علمه ثم رحل ثانية الى المشرق فتوفى هناك ، اما ابنه محمد فانه واصل اتجاه والده وكانت له كذلك رحلة الى الشرق حيث درس مع كبار صوفيته واهل الكلام فيه ، وينص ابن الفرضي على انه كان يتكلم على تصحيح الاعمال ومحاسبة النفس على حقيقة الصدق وغير ذلك من

اشارات الصوفية فى نحو من كلام ذي النون الاخميمي وابي يعقوب النهرجوري الذي كان تلميذا غير مباشر لذي النون ، وقد عاد ابن مسرة بعد ذلك الى بلده . فاستقر فى دار له بناها على جبل العروس ، او الجبل الاسود فى شمالي قرطبة ، وكان يحيط به عدد من تلاميذه ، حتى توفى سنة 319 .

على ان كتب ابن مسرة وتعاليمه حينما عرفت وذاعت كانت موضع حملة الفقهاء فى ايام هشام المؤيد بن الحكم المستنصر فاحرقت كتب المسريين بامر قاضي الجماعة محمد بن يبقى بن زرب ، وتعقبت السلطات افراد هذه المدرسة متهمة اياهم بالزندقة .

وقد نص المترجمون لابن مسرة على تأثره العميق بآراء ذى النون المصري وتلاميذه من بعده والواقع ان الذي يتتبع ما حفظ لنا من آراء الصوفي الاندلسي فى كتاب الفصل لابن حزم والفتوحات المكية لابن عربي وغيرهما من المراجع المتأخرة ليلاحظ بالفعل ان هناك تشابها بينها وبين آراء ذي النون .

واول ما نلاحظه من ذلك ان تصوف ذي النون كان خطوة فى سبيل تكوين فلسفة وحدة الوجود التي فصلها ابن عربي والتي اشار الى انها تستمد من رأى لذي النون فى العرش .

كذلك نشير الى كلام ذى النون عن اسم الله الاعظم الذي يعتبر العلم به قمة المعرفة ، وقد كان هذا ايضا من اسس الفلسفة المسرية وتناوله محيي الدين بن عربي بحديث مفصل كان له اثر بعيد فى التصوف المسيحي فى العصور الوسطى .

ونلاحظ ايضا ان ابن مسرة اتبع فى سلوكه طريقة تشبه تلك التى استنها ذو النون ، فقد اجتهد المتصوف الاندلسى فى ان تكون له ظاهر يقتنع به العامة والفقهاء باعتباره عابدا ناسكا بينما يحتفظ لنفسه ولخاصة تلامذه بآرائه التي قد تبدو للجمهور بعدا عن الشريعة او خروجا عليها ، وهو فى هذا يشبه ماكان يجري عليه ذو النون كما سبق ان اوردنا من التفريق بين سلوكين واحد للعامة وآخر للخاصة .

على ان هناك فرقا واضحا بين تفكير الرجلين : فذو النون كان صوفيا بمعنى الكلمة عدوا للآراء المعتزلية ، منابذا لاهل الكلام ، مناهضا لآرائهم فى حرية الارادة حتى انه تعرض للاضطهاد من اجل ذلك ، اما

نظرية ابن رشد
في التوفيق بين الشريعة والفلسفة

- 2 -

للاستاذ :
عبد اللطيف ملبين

ويلاحظ فيما تقدم تأثر ابن رشد بالطرائق الفقهية ، واستعانته بمعلوماته الفقهية ، وهذا كان في الحقيقة مما ساعده على النجاح في محاولة استنباط امر الشريعة بالنظر في الموجودات نظرا عمليا ، خصوصا اذا عرفنا انه كان متوجها بهذا القول — على وجه الخصوص — الى الفقهاء وعلماء الكلام ، الذين كانوا يناوئون الفلاسفة ويعتبرون الاشتغال بالفلسفة حراما .

والعقبة الاخيرة التي يعترض ابن رشد وينجح في ازاحتها ايضا ، هي انه قد يقال ان هناك اناسا ينظرون في هذه العلوم ويكون ذلك سببا في ابتعادهم عن الدين ، ولكن هذه المضار ، انما تأتي في نظر ابن رشد من عوامل خارجية — اي عرضية في لغة الفلاسفة العرب وليست ذاتية . كسوء ترتيب النظر في هذه العلوم ، او نقص الفطرة اي الذكاء ، او الافتقار الى معلم الى غير ذلك . فالفلسفة نافعة بالذات ، وقد تكون ضارة بالعرض كجميع الاشياء « وليس يجب فيما كان نافعا بطباعه وذاته ان تترك لمكان مضرة موجودة فيه بالعرض » . وهو يعتمد في تأييد رأيه الى ضرب الامثلة . « فمن منع الحكمة (اي الفلسفة) من هو اهل لها ، كمن منع العطشان الماء البارد العذب حتى مات لان قوما شرقوا به فماتوا . فان الموت بالماء عن الشرق امر عارض وعن العطش ذاتي وضروري » (ص6—7) وهو يلاحق الفقهاء في هذه النقطة ويضرب المثل بالفقه ليعزز نظرته « كم من فقيه كان الفقه سببا لقلة تورعه وخوضه في الدنيا ، بل اكثر الفقهاء هكذا نجدهم ، وصناعة الفقه انما تقتضي بالذات الفضيلة العملية » ص 7 . فهل يستوجب هذا حذف صناعة الفقه وتحريمها ؟ .

يستنتج ابن رشد من كل ما سبق ، وجوب الاطلاع على ما قاله السابقون « لملة الاسلام » في علوم المنطق والفلسفة . وهو بذلك يجيب على السؤال الاول الذي طرحه في اول الكتاب ، هو يستنتج لا الاباحة فحسب ، بل الوجوب ، وجوب النظر — بالتالي — في مذاهب ارسطو وافلاطون وغيرهما ، وذلك تطبيقا لامر الشرع وامتثالا له ، يقول ابن رشد : « فقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء واجب بالشرع ، اذ كان مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو القصد الذي حثنا الشرع عليه ، وان من منع عن النظر فيها من كان اهلا للنظر فيها — وهو الذي جمع امرين احدهما ذكاء الفطرة والثاني العدالة الشرعية والفضيلة العلمية والخلقية — فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله ، وهو باب النظر الذي يؤدي الى معرفته حق المعرفة . . » ص 6 .

ومن هنا نلاحظ الاتجاه العقلي الذي يصبغ فلسفة ابن رشد ، فلا طريق للمعرفة الا طريق العقل .

ومما تقدم ايضا — نلاحظ الصبغة الفقهية التي تصطبغ بها محاكمات ابن رشد للوصول الى النتائج المتوخاة ، فهو يرى ان الفلسفة كموضوع للفعل او الترك — وهذه مفاهيم فقهية شرعية — لا تخرج عن احدى الاحكام الفقهية الخمسة : مستحب او مندوب اليه ، واجب (اجباري) مكروه ، محرم ، مباح . وكل حكم من هذه الاحكام يجر اما ثوابا واما عقابا واما لا ثواب ولا عقاب ، وعندما استنتج ابن رشد في امر النظر في علوم المنطق انها واجبة بالشرع ، فمعنى ذلك ان من هو اهل للنظر فيها وهذا هو مفهوم القدرة او الاستطاعة وهو مفهوم شرعي فقهي ايضا ، ولم ينظر فيها ، فهو

وعندي دمــوع لـو بكيت ببعضهـــا
لفاضــت بحـــور بعـدهــن بحـــور

فـبور الورى تحت التـراب وللهـوى
رجـال لهـم تحت النبـاب قبـــور

سابكـي بأجفـــان علبـك قريحـــة
وارنـــــو بالحـــاظ اليك تشيـــر

ومن هؤلاء المتصوفة السائحين محمد بن شجاع الصوفي الذي رآه الحميدي في نحو سنة 430 وتوفى قريبا من ذلك ، وروى عنه خبر بصور اعجابه بتلك الحياة الروحية التي كانت منتشرة في مصر حتى بين فتياتهـا الصغيـــرات .

وقد دخل الى الاندلس بعض صوفـــه المشرق برسم السياحة ايضا نذكر منهـم ابراهيـم بن علـي الديلمي الخراساني دخل الاندلس سنة 358 بعـد ان اقي بالشام ابا عبد الله الروذباري وبالمغرب ابا الخير النيناتي الاقطع وغيرهما من العباد ، وجدير بالذكر ان اكثر من ذكرهم من مشايخ التصوف كانوا من بين من اتصلت روايتهم بذي النون المصري . على ان هـــذا الصوفي لم يقم بالاندلس الا قليلا ثم خرج عائدا الــى المشـــرق .

ومنهم ظاهر بن محمد البغدادي المعروف بالمهند وفد على الاندلس سنة 340 في ايـام عبـد الرحمـن الناصر ، وتكسب بشعره ثم نسك آخر عمره ويقـول ابن الفرضي ان له في الزهد رسائل عجيبـــة ومقالات على مذاهب المتصوفة الا انه كان قليل الشهود بقرطبه وتوفى سنة 390 ، اما الحميدي فيقول انه حكيت عنه اخبار تشبه اخبار الفكرية وتقابل طريقة الحلاج وغلو في ذلك سيء الظن به ؛ ولعله كان لذلك منقطعا الــى ضيعته قليل الشهود بقرطبة كما ذكر ابن الفرضي .

ومنهم حكم بن محمد القيرواني الذي تلمذ بمصر على بنان الحمال وكان من التلاميذ غير المباشرين لذي النون المصري ، ثم عاد الى افريقية فاضطهده الشيعة فخرج الى قرطبه وظل بها حتى وفاته سنة 370 ، وقد نص ابن خير في فهرسته على ان حكما هذا اذاع فـي الاندلس كثيرا من كتب الزهد او الرقائق كما كـانت تسمى وذكر من هذه الكتب : الرقائق لعبد الله بـن المبارك ، والرقائق للفضيل بن عياض ، والزهد لاحمد بن حنبل ، وفضائل التابعين لسعيد بن اسد بن موسى، وكتب ابن ابي الدنيا ، على ان حكما كما نرى من حياته وخصومته للشيعة ، ثم من الكتب التي نشرهـــا في الاندلس لم يكن من غلاة المتصوفة بل ربما كان اقرب الى الزاهد البسـيط الورع منه الى الصوفية .

وقد انتشر في الاندلس في هــذا العصـر انشاء الروابط ، وقد راينا امثلة لذلك فيما سبق ، وهـي روابط لم تكن للجهاد على ثغور المسلمين فقط ؛ بـل لمجرد الاعتكاف والعبادة ، ومن امثلة ذلك رابطة اقامها الخليفة هشام بن الحكم المؤيد اثر رؤيا لاحدى جواريه في قرطبه ، كذلك كثر انشاء الزوايا على ما يذكر ابن حزم في كتاب الاخلاق ، وكان الغرض منها علما دينيا فضلا عن اكرام الغرباء وتيسير المعيشة لهم .

وعلى الجملة فان التصوف الاندلسي ظل حتى انتهاء القرن الرابع كما عرضنا اقـرب الى البساطـه واشبه بالتصوف المصري البعيد عن التطرف . وكانت الحياة الدينية مقرونة دائما بالعمل الصالح ولا سيمـا بالجهاد ، وفي ذلك يقـول ابن سعيد : « وما طريقـة الفقراء على مذهب اهل الشرق في الدورة التي تكسل عن الكد وتخرج الوجوه للطلب في الاسواق فمستقبحة عندهم الى النهاية » وهو امر يدلنا على ان الاندلس في تاثرها بالمشرق لم تخـل حتـى في جانبهـا الدينيـة والروحيـة من خصائـص تميزها عن سائـر بـلاد الشـرق الاسلامـي .

مديـــد : محمد دكتور محمود علي مكي
وكيـل معهـد الدراسات الاسلاميـة

عادة الفلاسفة العرب اذا ارادوا ان يبينوا ضعف دليل او خطأ نظرية ان يذكروا بأن هذا الدليل أو النظرية لا تبلغ مرتبة البرهان ، او يقولون أن هذا القول هو قول « جدلي أو خطابي فقط (*) »

على هذا التصنيف الثلاثي للحجج ، اقام ابن رشد، ومن قبله الفلاسفة العرب (ويجب ان نتذكر ان نظرية ابن رشد في التوفيق هي في خطوطها العامة مشتركة بين الفلاسفة العرب) ، أقام تصنيفا ثلاثيا للعقول ، فهناك عقل برهاني كما أن هناك حجة برهانية ، وهناك عقل جدلي وعقل خطابي ، كما أن هناك حجة جدلية وحجة خطابية .

بهذا التمييز الثلاثي الجديد ، سيرينا ابن رشد من هم الاناس الذين يحق لهم الاشتغال بالفلسفة والقيام بالتأويل الجامع بين الدين والعقل او الدين والفلسفة ، وكذلك سيبين لنا حدود الدين وحدود العقل ، اي الفارق بين مستوى الحقيقة الدينية ومستوى الحقيقة الفلسفية اي الحقيقة المطلقة الثابتة ، وكذلك سيبين لنا من هم الناس الذين ينتمون الى كل صنف من هذه الاصناف الثلاثة .

فالعقل البرهاني ، هو عقل الفيلسوف الذي يتمتع بذكاء الفطرة اي « بالفطرة الفائقة » أي بمواهب عقلية تفتحت وتكاملت بالتربية والتمرين ، فهو وحده القادر — من بين اصناف الناس — على متابعة البراهين التي تؤدي الى الحقيقة المطلقة ، في تعقيدها ولفها اللذين يكونان صميم الفلسفة .

وفي المرتبة الدنيا من هذه السلسلة او الهرم ، هناك الجمهور الغالب الذي يكون وحده اغلب الجنس البشري ، وهذا الجمهور قوته العقلية قوة خطابية ، اي يقنعه الدليل الخطابي .

وفيما بين هاتين المرتبتين ، يقوم العقل الجدلي ، الذي يتمثل في رجال الكلام ، اي اصحاب المذاهب الكلامية .

وسنرى كيف رد ابن رشد كل صنف من هذه العقول الى اصحابه ويلصقه به ، وكيف يوسع دائرة ذلك على الشريعة فيما تستلزمه من تأويل يضطلع به احق الناس به ومن وكل اليهم هذا الامر في الحقيقة من جانب العناية الالهية .

النقطة الحساسة عند ابن رشد في كل هذه المناقشات ، والتي نسمع فيها صدى الصراع الطويل بين الفلسفة وعلم الكلام ، هي من احق الناس بالنظر فيما جاء به الشرع من احكام (نظرية) وتمييز ما يحتاج منها الى تأويل مما لا يحتاج ؟

ذلك ان هناك حقيقة لا تقبل الشك ، وهي ان الشرع قد دعا الناس جميعا الى التصديق به ، دعاهم الى العلم الحق الذي هو معرفة الحقائق الاساسية كوجود الله وخلود الروح والسعادة والشقاء الاخرويين. والى العمل الحق — بناء على ذلك العلم — اي الاقبال على الاعمال التي تؤدي الى السعادة وتجنب الافعال التي تورث الشقاء .

ولكن الناس متمايزون كما راينا — سواء في التصور ام في التصديق ، ذلك لان فطرهم متباينة ؛ فمنهم من لا يصدق الا بالاقاويل البرهانية — وهؤلاء هم الفلاسفة ، ومنهم من يقتنع بالقول الجدلي ؛ ومنهم من يكفيه القول الخطابي وهؤلاء هم الجمهور الغالب كما قدمنا .

ومن جهة اخرى ، لما كنا نحن معشر المسلمين — نعلم علم اليقين ان شريعتنا هذه حق وداعية الى الحق ، فلذلك نحن نحكم قطعيا أن النظر البرهاني (اي البحث العقلي المستقل) لا يؤدي الى مخالفة ما ورد به الشرع ؛ فان الحق لا يضاد الحق ، بل يوافقه ويشهد له » . ص 7 .

فالشريعة والحقيقة الفلسفية ، اي الحقيقة المطلقة الثابتة ، لا يمكن ان يتضادا .

فاذا ادى النظر العقلي الى معرفة موجود او موجودات ما ، اي الى تقرير حقيقة ما ، فلا يخلو الامر، اما ان تكون هذه الاحكام مما عرف به في الشرع ، واما ان يكون مما سكت عنه ؛ فان كانت الاخيرة ، فلا خلاف هنالك ، لانها تكون عندئذ كالاحكام التي سكت عنها

(*) يبدا بن رشد رده على الغزالي في تهافت التهافت هكذا : « فان الغرض من هذا القول ، ان نبين مراتب الاقاويل المثبتة في كتاب (التهافت) في التصديق والاقناع وقصور اكثرها عن رتبة اليقين والبرهان »

آثم يستحق العقاب ، وكذلك هو مذنب آثم من منع الاهل للنظر فيها عن الاشتغال بها .

لكن من هو هذا الاهل للنظر في الفلسفة وعلوم المنطق ؟ اي ما هي الشروط التي بدونها لا يكون الناظر كفوًا ، بل يكون متطفلا على ميدان غير ميدانه . من هو الشخص الذي يحق له ويجب عليه في آن واحد النظر في الفلسفة وعلوم المنطق ؟

من هنا نلمح الحل النهائي الذي سيعطيه ابن رشد لمشكلة علاقة الدين بالفلسفة ، لا شك ان هناك صفات يجب ان يتحلى بها الناظر في الفلسفة . وهذه الصفات لا توجد في جميع الناس .

ان هناك طبقة خاصة من الناس ، هي التي يحق لها هذا النظر . فاذن ستكون الفلسفة وقفا على طبقة خاصة ، وهذا ما سنراه بعد قليل .

لقد رأينا ابن رشد يشترط في هذا الشخص شرطين : احدهما ذكاء الفطرة (*) والثاني العدالة الشرعية والخلقية .

وهو يعمد الآن — في سبيل الاجابة على السؤال جوابا شافيا — الى نظرية ارسطية نقتبسها مستعينا بها في هذا الجواب . هذه النظرية ، هي نظرية الحجج الثلاث التي تحوي من الناحية المنطقية قيمة منتجة ما . وهذه الحجج هي الحجة البرهانية والحجة الجدلية . والحجة الخطابية ، وابن رشد يعزو في هذا الى معلمه ارسطو والى الفلسفة التي يمارسها ليعطيانه الحل المقبول ، وقد رأيناه من قبل يلجأ الى الشريعة الاسلامية والى ثقافتها الفقهية كي يعطيانه بعض الحلول التي هو في حاجة اليها . وسنرى كيف يطبق ابن رشد نظرية الحجج هذه على الدين . وكيف سيحورها تحويرا ليجعلها ملائمة لغرضه . ناجعة في الوصول الى النتيجة التي يرومها اعني اقامة الصلات بين الشريعة والفلسفة على اسس علمية متينة .

ولننظر اولا ما هي هذه الحجج .

كان ارسطو قد صنف الحجج التي تؤدي الى نتيجة منطقية ما ، واعتبر ان الحجج التي لها هذه الصفة ثلاث . ياتي في القمة من ناحية القيمة المنتجة ، الحجة البرهانية ، وذلك انها تتكون من مقدمات يمكن ارجاعها الى مبدأ بديهي من مبادىء العقل . وهذه الحجة هي التي يقال عنها انها يقينية ، وهي آلة العلم والفلسفة الحق .

وتلي الحجة البرهانية من ناحية القيمة المنطقية، الحجة الجدلية ، اذ تحوي درجة اقل من اليقين ، فهي تحوي احتمالا فحسب ، ذلك انها لا تستند الى بديهيات العقل ، بل مقدماتها شائعة فحسب ، يسلم بها جميع الناس ، او اغلبهم ، او الحكماء جميعا ، او اغلبهم ، او يسلم بها فقط ، المخاطب في وقت معين .

هذه الحجة ، لا يمكن ان تقوم مقام الحجة البرهانية في البحث الفلسفي ففائدتها تقتصر على نجوعها في المناقشة ، او اقامة الدليل على تناقض مذهب او حجة .. الا انها قد تحوي درجة كبيرة من الاحتمال اذا كان يمكن تكملتها — بمقدمات اخرى — حتى تصبح حجة برهانية .

اما الحجة الخطابية ، فهي التي تنطلق من مقدمات تحوي درجة قليلة من الاحتمال ، اقل من درجة احتمال الجدلية ، وتكون بعيدة جدا ، ابعد من مقدمات الحجة الجدلية عن البداهة، هي لا تصلح لاثارة المخاطب بالدليل والحجة المقنعة بل غرضها اثارته ، هي مبنية على الحساسية اكثر منها على العقل ، ونجوعها في حملها المخاطب على القيام بعمل ، اكثر منه في اقناعه بالدليل . وعلى هذا فالحجة الجدلية ، متوسطة بين الحجتين البرهانية والخطابية ، وكذلك فالحجة البرهانية هي التي تتصف وحدها بصفة اليقين ، ولها وحدها صفة الاقناع الذي لا يترك ادنى شك عقلي عند المخاطب .

هذه النظرية الارسطية في الحجج الثلاث ، لعبت دورا كبيرا في الفلسفة العربية ، لم يقدره الباحثون حق قدره كما يشير الى ذلك ليون غوتييه ، كان من

(*) يلح فلاسفة المغرب على ذكاء الفطرة وعلى « الفطرة الفائقة » وقد تجلت هذه الفكرة عند ابن باجة في « تدبير المتوحد » اذ المتوحد هو الفيلسوف الفائق الفطرة الذي ينعزل عن الناس في مجتمع خاص، ويرى بعض الباحثين (الدكتور عمر فروخ « ابن باجة والفلسفة المغربية » بيروت) ، ان فلاسفة المغرب هم اول من فصل العامة عن الفلسفة .

وقد كتبوا المقالات الطوال وصنفوا وحرروا فى الكشف عن اسرار الشريعة واستجلاء غوامضها ، ولكنهم لم يصلوا الى تاويل واحد ، فهم تفرقوا شيعا كل فرقة تدعي لنفسها الوصول الى الحقيقة والكشف عن مقصد الشرع ، فكان ذلك سبب حروب ونكبات للاسلام .

ليس هؤلاء فى نظر ابن رشد اذن من يحق لهم النظر فى الشريعة عقليا ولا هم يستطيعون معرفة التأويل الصحيح ، ان عقلهم متمرن ولا شك ومعتاد على اساليب المناقشة والنظر فى البراهين ، ولكنه عقل قصير ، يشعر بالتعارض ، وبهذا يمتاز عن العامة ، ولكنه لا يستطيع له حلا، هو بالتالي لا يستطيع الوصول الى التأويل الحقيقي ، وهو يظل يتخبط بدون نتيجة . وان وصل فالى نتائج مضطربة مختلفة ، ولذلك نشأت فرق علم الكلام المختلفة التى هزت الاسلام هزا وسببت البلاوي والشرور وفرقت كلمة المسلمين واشاعت الحروب واقامت عروشا ودكت عروشا . وهذا العقل الجدلى ، حتى لو عرض عليه التأويل الصحيح فهو لا يستطيع له فهما ، لانه لا يستطيع ان يتابع هذا الحل فى دقائقه كما تقدم .

يبقى اصحاب العقل البرهاني ، وهم فى الحقيقة من خصهم الله بشرف القيام بهذه المهمة الثقيلة والعظيمة ، مهمة التأويل الصحيح والنظر فى الشرع من الناحية العقلية ، والتأويل الصحيح هو الامانة التي عرضت « على السماوات والارض فابين ان يحملنها وحملها الانسان . « اصحاب العقل البرهاني او الفلاسفة او المجتهدون فى الشرع من ناحية العقائد هم المعنيون بقوله تعالى « الراسخون فى العلم » فى فى الآية « هو الذي انزل عليك الكتاب منه الآية . »

فاذن الفلاسفة والمجتهدون المطلعون على الشريعة اطلاعا تاما ، هم من يحق لهم النظر عقليا فى الشريعة ، وتاويل ما يصح تأويله منها .

والى هنا ننحل جميع العقد النظرية التي كان يمكن ان تقوم حائلا بين انسجام الدين والفلسفة وفى هذا كله نرى ابن رشد فيلسوفا ومتعمقا فى احكام الدين ، يبنى مذهبا غاية فى الروعة والانسجام ، فهو يتسم بالبساطة كما يتصف بالمتانة والقوة .

– يتبع –

الرباط : عبد اللطيف ملين



الشرع وجاء الفقيه فاستنبطها بالقياس الفقهي — وهنا نلاحظ ان ابن رشد لا ينى يضرب الامثلة بالفقه كلما دعته الضرورة — واما ان كان مما عرف به في الشرع فلا يخلو الامر من احد شيئين : اما ان يكون النظر العقلي او البرهاني يوافق ذلك المعرف به او يخالفه . فان كان موافقا له ، فلا مجال للمناقشة ، وان كان مخالفا « طلب هنالك تأويله » ان كان مما يصح فيه التأويل .

وهنا نصل الى نقطة هامة جدا ، وهي مسألة التأويل ، فالتأويل اذن يقع في الاحكام النظرية الشرعية التي تخالف ما يوصل اليه النظر العقلي . ولكن ما هو هذا التأويل ومن هم الذين سيضطلعون به ؟

اما التأويل فهو « اخراج دلاله اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه او سببه او لاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء التي عودت في تعريف اصناف الكلام المجازي » . ص 8 . فاذن ، التأويل هو تأويل مجازي للآيات والاحاديث التي تبدو متعارضة مع العقل . « ونحن نقطع قطعا ان كل ما ادى اليه البرهان ، وخالفه ظاهر الشرع ، ان ذلك الظاهر يقبل التأويل ، على قانون التأويل العربي » . ص 8

وقضية التأويل هذه ليست وليدة زمان ابن رشد — « فالمسلمون اجمعوا منذ الصدر الاول من الاسلام على انه ليس يجب ان يحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ، ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل ص 8 .

وهذا يعود الى حقيقة لا تقبل الجدال ، وهي ان الشرع يحوي ظاهرا وباطنا .

هذه الفكرة ، نجدها في الحقيقة عند جميع الفلاسفة العرب ، وحتى قبل ان يدخل الفلسفة الى العالم الاسلامي ، وقد لعبت دورا كبيرا سواء عند الفلاسفة ام عند المتكلمين والمتصوفين .

فسبب التأويل هو ورود الشرع بالباطن والظاهر ، معنى ذلك آيات واحاديث ترد بلباسها الحقيقي اي تعبر عن الحقيقة الثابتة المطلقة ، او بعبارة اخرى الحقيقة الفلسفية ، ولا تحتاج بذلك الى تأويل ، واخرى تأتي مكتسية لباسا — شفافا او كثيفا — من الرمزية ، بحجب ما تخفيه من حقيقة ثابتة، وهذه الآيات والاحاديث التي على هذا الشكل ، هي التي يأتي المؤول فينزع عنها ذلك الرداء الخفيف أو الثقيل ، ويبرز الحقيقة الناصعة التي تخفيها .

ولكن ما سبب ورود الشرع فيه الباطن والظاهر اي ما سبب ورود الشرع بمظهرين للحقيقة الواحده ، حقيقة ناصعه ، واخرى مغلفة بغلاف رمزي.

السبب في ذلك هو ذلك الاختلاف الثلاثي الذي نجده بين الناس والذي اشرنا اليه فيما سبق .

هنالك ثلاثة اصناف من الناس كل صنف منهم يتصور ويصدق عن طريق خاصة ، فهنالك طريقتان للتصور : اما الشيء بنفسه ، واما مثاله اي ما يرمز اليه ، فكان لزاما ان يمثل الشرع بعض الحقائق التي لا يصل اليها عقول الجدليين والخطابيين ، وهم اكثر الناس ، في صورة قريبة من صورتها الاصلية ، اذ ليس في امكانهم تصورها كما هي في حقيقتها ، ونتيجة هذا ، احتوى الشرع على آيات واحاديث متعارضة — كما في القضاء والقدر مثلا — وقد اراد الله بهذا التعارض — يقول ابن رشد — ان ينبه الراسخين في العلم الى التأويل الجامع بينهما .

هكذا يحل ابن رشد مشكلة التأويل والظاهر والباطن في الشريعة والتعارض فيها . هذا الحل الجذري والطريف باحكامه وتماسكه ، والذي يكشف عن اصالة حقيقية .

ومن هنا نرى من هم الناس الذين يحق لهم التأويل ، فليس هم الخطابيون ، اذ لا شك ان هؤلاء ابعد الناس عن معرفة الدلائل العقلية والبراهين في تعقيداتها ودقائقها ، وهذا الامر ضروري لمعرفة الحقيقة المطلقة وبالتالي للقيام بالتأويل الصحيح ، بل من اجل هؤلاء — على وجه الخصوص — ورد الشرع بالباطن والظاهر ، ووردت آيات واحاديث كثيرة وهي مغلفة بغلاف الرمز والتمثيل ، هؤلاء الخطابيون يصدقون بالآيات التي تعبر عن حقيقة مطلقة ، وبالآيات التي تكتسي رموزا تحسلية من دون ان يلاحظوا اي تعارض بينهما .

هل هم الجدليون اذن ، اي علماء الكلام عند ابن رشد ؟ ان هؤلاء يدعون انهم احق الناس بالتاويل ،

ان المعسكر الشرقي قد فلسف الحياة فلسفة خاصة واراد تحقيق آمال الانسانية عن طريق القضاء على الطبقات والطبقية وتوزيع الثروة توزيعا ـ كما يقول ـ عادلا على اتباع الدين الجديد وجعل الدولة وكيلة عن المؤمنين ، ولكن لا تتوصل الى ذلك الا باقرار دكتاتورية تسلب « المؤمن » كرامته الانسانية وحقه في الحياة حرا يقول ما يشاء ويقرا ما يحب ويفكر كيف يريد ويستمع الى من يهوى .. ارادت الفلسفة الشيوعية ان تسعد الانسان عن طريق ملء بطنه وتجريده من الحرية ، فاشترت منه تلك الحرية بان له الخبز ، ارادت ان تنقذه من ظلم القيصرية والاقطاعية والرأسمالية فاوقعته في قبضة الديكتاتورية والصرامة ومحاكم التفتيش من نوع جديد ، كان قديما يستبد القوي بالضعيف ، فاستبد « الضعيف » « بالقوي » وهكذا ضاعت العدالة هنا كما ضاعت هناك واصبح حق الضعيف دائما مضيعا بانتقال صفة القوة من طبقة الى اخرى ، ارادت الشيوعية ان تشعر الانسان بقيمته فساوته بالآلة ، واحاطته برعاية كالتي تستحقها الالة ، وبذلك استطاعت الشيوعية ان تخترع الصواريخ الموجهة وان ترفع علمها على سطح القمر ، ولكنها لم تستطع ان تدع الناس يتنفسون بغير رئتها ، ويفكرون بغير فكرها ، ويتكلمون بغير لسانها ، وقد شاءت ان تصطنع السلام كما تشتهيه وتهواه ، السلام تحت ظل الراية الحمراء الموشاة بالمطرقة والمنجل ، ولكن هذا السلام بعيد عن تحقيق امال الانسانية التي لا تؤمن بالسلام مع العبودية والخنوع .

والرأسمالية فلسفت الحياة فلسفة خاصة لتسعد « انسانها » فاطلقت لهذا الانسان حريته المحجورة ، وحررت غرائزه المكبوتة ، والهبت مطامعه المجنونة ، وجعلت الدولة حارسة لهذه الحريات حتى ولو تحولت الى انحراف في الغريزة والى شذوذ في الطبيعة، وعدوان على حريات الضعفاء واستعمار بلاد الابرياء ، وامتصاص دماء الشعوب ، وتسخير جماهيرها ، ونهب خيراتها ، واذلال اعزائها واعزاز اذلائها ، ونتيجة هذه الفلسفة رأينا اسواقا من النخاسة جديدة تقام في العواصم الغربية لبيع الشعوب وشرائها والتآمر عليها ، فرأت الاجيال المستضعفة غطرسة ووحشية ، واخلاق الغاب ، وجبروتا ، وقساوة ، من ابناء العالم المتحضر وامه التي كانت نهضتها ورفاهيتها وسعادتها على حساب انحطاط وبؤس وشقاء ، وسفك وتعذيب ، وخنق المستضعفين في الارض .

واصطنعت ايضا الدول الراسمالية شعار « السلام » ولكنها تعني « السلام » المغلق الذي خلق من اجل الرجل « المتحضر » ولرفاهيته ، ولكن الشعوب الضعيفة مجت هذا السلام مجا كما مجت سلام الشيوعية .

وهل يمكن ان يحقق السلام من لا يؤمن به ، ولا يتخذ له وسائله المشروعة ؟

وكل يدعي وصلا بليلى   وليلى لا تقر لهم بذاك

وان وجدت الشعوب الضعيفة بعض الراحة في اختلاف الذئاب على الفرائس فان هذه الفرصة قد لا تطول فقد تنفيب هذا او ذاك ، او قد يصل الطرفان لاقرار السلام على حساب المستضعفين ، او قد يشركانهم في الخراب الشامل الذي سوف يعم الجميع.

ولهذا كان على هذه الشعوب ان تقضي على العوامل القاتلة والمعوقة لنموها وفاعليتها وتحررها الكامل حتى لا تضيع الفرصة من يدها .

ويجب ان تدرك هذه الشعوب انها لا تعاني مشكلة ضعف في مواردها ، او نقص في مواهبها ، او ضآلة في اعدادها ، او فقر في استعدادها ، بل المشكلة التي تنهك قواها ، وتعوق انطلاقها هي ضعف في روحها وعقيدتها ، وتضعضع في ايمانها ، وتبرز هذه الظاهرة المرضية في العالم الاسلامي الذي كان من الممكن ان يسهم في انقاذ المستضعفين من الشعوب الاخرى لو انه اختصر على نفسه الطريق وسلك سبيل التحرر من رقبة التبعية الثقافية والعقائدية ، واستقل بفكره عن كل التيارات ، وآمن بالفكرة التي تنسجم معه وتوقظ فيه كوامن العزة والقوة والخير .

لكن الذي يؤلم هو ان معظم القيادات الثقافية لا تعير للاسلام اي اهتمام ، وتؤثر ـ لعوامل ذاتية ـ ان تسير في ظلال هذا التيار او ذاك ، وان ذلك ليس في الواقع الا تاريث اسباب الأزمات في الداخل والخارج واسهاما في تعقيد الحياة الوطنية والعالمية ، ولو ان هذه الطاقات التي تبدد في الدعوة الى الغرب او « الشرق » وجهت الى الدعوة الى الاسلام لاستطعنا ان نخلق ـ حقا ـ خير امة اخرجت للناس ، ولاستطعنا ان ندخل الصراع العالمي مبشرين ، ورسل حب وسلام ودعاة خير وجمال .

الإسلام من جديد

للأستاذ:
عبد السلام الهراس

أحيانا يسيطر على الانسان بعض الافكار ، لغرابتها ونكران معظم الناس اياها قد تبدو له هو نفسه بانها شاذة ، خيالية ان امكن لها ان تراود عقله فلا يتسنى لها ان تجد مكانها من الواقع الذي يلفظها عنه لفظا لان التيار — كما يقولون — ليس في صالحها .

ولكن ليس كل ما هو خيالي محكوما عليه بان يظل كذلك . بل ان كثيرا من خيالات الانسان قد تحولت الى وقائع وحقائق ملموسة ، فصفة «الخيالية» اذن لا تعني في كل حالاتها الاستحالة ، فقد يكون مسوغ تلك الصفة ضعفا في التفكير ، وقصورا في النضج ، ومسخا في الضمير .. لقد كان اجدادنا يعيشون في الخيال عند ما اعتقدوا ان فلانا يطير وان هناك اناسا يقطعون مسافات شاسعة بخطوات او خطوتين ، وان فلانا يتكلم في المشرق فيسمعه الآخر بالمغرب ، وكان من قبيل الخيال الحديث عن استيلاء العرب على الامبراطوريتين : الفارسية والرومانية ، قبل الاسلام .. ولكن لو بعث القدماء احياء لرأوا واقعا قد يكون اروع من تلك الخيالات واسمى ..

وما لي لا أقول ان كثيرا من تلك الخيالات — ان لم اقل كلها — انما هي وليدة حقائق سابقة اندثرت وتركت في اعماق الانسان وعقله الباطن آثارها ، فاصبح هذا الانسان يصبو اليها دائما ، ويتصورها في فترات من حياته ويسعى لتحقيقها ، وسرعان ما تحقق له بعض تلك الخيالات فيظن انه حقق ما لم يكن موجودا بالفعل ، وهو في الواقع حقق ما كان موجودا قبل الخيال ، وهكذا يعيش الانسان بين الحقائق وخيالاتها والسعي الى تحقيق تلك الحقائق عن طريق تلك الخيالات .. وقد قيل : لولا الخيال لما كان العلم . ولكن الخيال الذي يمكن له ان يتحقق هو ذاك الذي يستمد قوته وخلوده وفاعليته من الامل ، فالامل في تحقيق الافكار المطاردة من دنيا الناس هو الضمانة الكبرى لذلك التحقيق . ولا ينبت الامل الا في تربية من الايمان خصبة ، وكلما امتد الايمان واخترق الحجب نحو نور السموات والارض اصبح اقوى صلابة ، واقدر على مواجهة الشدائد والخروج منها منتصرا .. لانه يستمد من الخلود خلوده . ومن الحق اسراره ، ومن كلمة الله سموها وعلوها .

وقد كان بدء الاسلام غريبا لانه حقق املا كان غريبا في دنيا الجاهلية من جهة ، وفي دنيا الحضارة المتعفنة من جهة اخرى .. وسيعود ليحقق ذلك الامل الغريب في دنيا تعفنت حضارتها واسنت حبابها .

وهذه هي الفكرة التي تسيطر علي وعلى (ثلة) مبثوثة هنا وهناك وان كان الايمان بها قويا في اعماق الشعوب الاسلامية التي لم تعد (النخبة) نائبة لايمانها، ومما يتيح لها السيطرة اكثر ، ما نراه الآن من فشل في التجربة الحضارية الجديدة ..

فالعالم اصبح يعيش في خطر جسيم ، وان فرص الخطر لتتزايد كل يوم ، وان فلسفة الحياة المسيطرة على القوى العظيمة الحاكمة لترشح منها عصارة الموت والفناء ، انها لتدفع الكون كله الى الدمار والخراب ، انها تطلب مزيدا من القوة ، من التقدم ، من الازدهار ، من الرفاهية ، من التصنيع ، من العلم والتقنية ، ولكن من اجل ما ذا ؟ هل من اجل السلام ؟ هل من اجل كرامة الانسان ؟ لا ابدا بل ان كل ذلك ليتضافر من اجل نتيجة واحدة هي فناء العالم ..

الضمان الاجتماعي في الاسلام

للاستاذ : ادريس الكتاني

في شهر رمضان الكريم شهر الصيام ، يمنحنا الاسلام فرصتنا السنوية لان نلتقي كاخوة ، مكتملي الاخوة ، الاخوة الدينية التي قررها القرآن الكريم : انما المؤمنون اخوة) واكدها الرسول العظيم : (المسلم اخو المسلم ، لا يظلمه ولا يحقره ولا يخونه) (مثل المومنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمى) ، (من فرج على اخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) ، (من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة) ، (والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه) ، (كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه) ، (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) .

هذه هي الخطوط العامة للعلاقات الاخوية التي فرض الاسلام قيامها في المجتمع الاسلامي ، ودعمها بكل الوسائل ، سواء الميدان النظري او في الميدان العملي ، ذلك لان الاخوة هي احساس نبيل وعميق باشتراك المسلم مع اخيه المسلم في السراء والضراء ، وبارتباط مسؤوليتهما في جلب الخير ودفع البلاء (لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) ، بيد ان هذه الاخوة ، او هذا الاشتراك الاخوي لم يكن لتحقق في مجتمع تسوده الامتيازات العنصرية والطبقية ، او يقوم نظامه على اسس تنافي العدالة الاجتماعية ، لذلك فرض الاسلام مبدا المساواة في الحقوق والواجبات على جميع المسلمين ، واعتبر العدالة الاجتماعية عنصرا اساسيا لقيام مجتمع اسلامي فاضل .

بيد ان تحقيق هذه العدالة كان من اكبر المشاكل التي واجهتها الانسانية منذ وجدت على ظهر الارض، اذ كان يتوقف على ايجاد حل لمشكلة المال ، نقطة النزاع والتنافس الدائم بين الافراد والجماعات والشعوب .

ولما كان الاسلام دينا عمليا ، واسلوبا للحياة ، فقد اقام مجتمعه ليس فقط على اساس الاخاء الديني العاطفي ، بل وايضا على اساس الاشتراك المالي ، حيث فرض قانونا للضمان الاجتماعي سماه الزكاة ، وجعله ركنا من اركان الدين ، لا يتم الاسلام ، ولا تتحقق الاخوة بدونه (فان تابوا وأقاموا الصلاه وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) .

وهكذا فاننا لا نكاد نجد آية من آيات الامر بالصلاة الا وذكرت مقرونة بالزكاة (واقيموا الصلاة وءاتوا بالزكاة) ، وهذا يعني ان الامر بالزكاة لا يقل اهمية وخطورة عن الامر بالصلاة ، ولذلك وقف ابوبكر الصديق رضي الله عنه مواقفه الشهيرة ضد المتمنعين عن اداء الزكاة وقال : والله لاقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة .

ذلك ان الاسلام لم يكن في الواقع دين عبادة وصلاه فقط ، وانما هو دين عمل وحياة ومال ، واحكامه لذلك تعتبر كلا لايقبل التجزئة ، ومنذ ان وقعت هذه التجزئة ، وتخلت الدول الاسلامية عن استخلاص الزكوات من الاغنياء وردها الى الفقراء ، منذ ذلك التاريخ بدا الخلل الاجتماعي في كيان الشعوب الاسلامية يتسع جيلا بعد جيل ، ولم يشرع الاستعمار الغربي في شن هجماته على هذه الشعوب ، حتى كان متأكدا من ضعف نظامها الاجتماعي والاقتصادي .

والواقع ان الاسلام قد سبق الحضارة المعاصرة ثلاثة عشر قرنا عندما فرض قانون الضمان الاجتماعي

لقد استطاع العالم الاسلامي ان يتحرر من الاستعمار فى معانيه الظاهرة ، ولكنه ما يزال فى الواقع مستعبد الروح ، مقيد الفكر ، مشلول الارادة ، مريض الكيان ، مرتعش الحركة . .

واني لاعجب العجب كله عند ما اجد « نخبة » حباها الله فكرا ونشاطا ونبوغا ومع ذلك ما تزال تجهل كل الجهل تراثها ، وتتنكر لمباديء اكثر تقدمية وثورية مما يبتغون ، فان حاول الانسان ان يبين لها اخطاءها عن الاسلام ، ويكشف لها عن عدالته وانسانيته وعظمته وسموه اخذها العجب وظنت ان فى القول اختلافا ، وان فى الامر مبالغة او تلفيقا ، وبذلك تصر « النخبة » على جهالتها اصرارا . وهكذا يضيع من قيادة « عالم اسلامي سليم » عناصر مهمة آثرت الانضمام الى معسكرات الشرق او الغرب . وكان من الواجب على القيادات المختلفة للعالم الاسلامي ان تقدم فرصة للعالم لكي يستنشق رائحة السلام فى الفكرة الاسلامية التي اقامت الدليل عبر التاريخ على قدرتها على حل المشاكل الانسانية فى ظل من السلام والحب والواقعية الكريمة .

اما الانضمام الى فلسفة القوة ، والى التقليد الاعمى للحضارة الاوربية ، واعتناق افكار لا تستهدف اي خير للانسان فهو نوع من الضعف النفسي والخور الارادى ، مما يبعث على الحسرة والرثاء .

فمن الحمق ان تقرر الشعوب الاسلامية انضمامها لهذا الانسان « المتحضر » الذي فشل فى تنقية ضميره، وفى ايجاد ارادة سليمة تقود الانسانية للخير والعدالة والاخوة الشاملة ، وانه ليجمل فى كيانه وفى اعماقه اسباب فشله ، انه ما يزال تحت سيطرة فكرة القوة والسطو والغطرسة ولم تفلح الافكار الجميلة التي انتجها بعض المفكرين فى تبديل ذلك الكيان الخبيث او التخفيف من حدته الهوجاء .

ولهذا نرسلها نصيحة لقادة العالم الاسلامي فى الثقافة والسياسة والحكم بان يراجعوا التصميم الثقافي الذي فشل فى حل مشاكل المسلمين ، وان يضعوا تصميما ثقافيا مبنيا على الفكرة الاسلامية الخالصة ومزودا بوسائل التطبيق بكل اخلاص ، اذ ذلك هو السبيل الوحيد للخروج بالمسلمين من حياة الفوضى والضعف الخلقي والفكري الى حياة قوية سليمة تكفل لهم ان يحتلوا مركز القيادة فى العالم . وان يكونوا خير امة اخرجت للناس .

ولناخذ عبرة من غيرنا ومن تاريخ البشر الطويل ومن تاريخنا الحديث الذى دل على ان كل حركة لا تتسم بطابع الاسلام فاشلة ، ولو ان هذا التاريخ كائن انساني لارسلها صيحة فى آذان القادة : الى الاسلام من جديد . .

تطوان : عبد السلام الهراس



التوجيه الاجتماعي في الاسلام

للاستاذ :
أحمد الزيتوني

يا ايها الذين ءامنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون .

فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ، هو ازكى لكم ، والله بما تعملون عليم .

ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون .

* * *

« تستانسوا » قال في القاموس – واستانس – ذهب وحشته ، فتستانسوا معناه تأنسوا وتعلموا ان بالبيت احدا يملك الاذن ، وانه على استعداد لاستقبالكم .

« وتسلموا » تقولوا السلام عليكم بدلا من الدخول بغتة او التلفظ بتحية الجاهلية .

« تذكرون » تتعظون وتتنبهون الى ما في القرءان الكريم من النظام المحكم للعلاقات الاجتماعية .

« ازكى لكم » اطيب وانسب للمروؤة من التعرض لخدش الكرامة .

« ليس عليكم جناح » ليس عليكم اثم ولا حرج ماخوذ من جنحت السفينة ، مالت الى احد جناحيها ، فسمى الاثم المائل بالانسان عن الحق جناحا .

« متاعا لكم » منفعة وارتفاق لكم .
« ما تبدون وما تكتمون » تظهرون او تخفون من دخول بيوت مسكونة لغيركم دون اذنه .

هذه الآيات الثلاث من سورة النور كسابقتها ولاحقتها تعتبر اقوم دستور واحسن نظام لسلوك ارقى وامثل واطهر مجتمع انساني ينشد الطمانينة والعزة والكرامة البشرية .

كيف لا وقد كان من الاهداف الكبرى لشريعة الاسلام الاعتناء بصيانة الكرامة الانسانية من الفوضى الاجتماعية والتدلي الى دركات الحيوان الاعجم ، ووقاية الاعراض من لوك الالسن . ثم اقامة سد مانع عن التطلع الى اسرار الناس وعوراتهم في خلواتهم ، الى غير ذلك من آداب الاجتماع التي تقررت في هذه السورة الكريمة ، وقد ذكر المفسرون ان هذه الآيات نزلت لما قالت امراة يا رسول الله اني اكون في بيتي على الحالة التي لا احب ان يراني عليها احد فياتي الآتي فيدخل فكيف اصنع ، فقال ، ارجعي ، فنزلت ، فمن لوازم الاجتماع التجاور والتزاور ، كما ان من طبيعة الانسان ان تعتريه حالات يحب ان يتحرر فيها من وقر التكلفات التي ترهقه بها مقتضيات آداب المجتمع ، وقد يغيب الانسان عن بيته فيدخله غيره وفيه استباحة حرمة البيت بغير اذن وقد يتألم اذ يكره ان يطلع احد بغتة على ما يخفيه من شؤون . لاجل هذه الاعتبارات ونحوها تفضل الله تعالى فشرف بخطابه الكريم اولئك المستنيرين بانوار الايمان فناداهم من اعلى كبريائه وعز سلطانه تعظيما لهم وتشريفا ، فارشدهم الى اقوم سلوك ينتظم به آداب التزاور ونقي وشائج التآلف من الاضطراب ، ويسد كل نافذة قد تهب منها اعاصير تكدر صفوف العلاقات الطاهرة ويضمن اتباعه دوام الابقاء على روابط المودة، فقال جل من قائل :

بالزكاة وغيرها من الاحكام ، التي تعتبر المال مال الله، استخلف فيه الامة لتقوم على انفاقه بالقسط والعدل، قال تعالى : (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) ونحن نعلم ان الاستخلاف غير التمليك والمستخلف لا يملك حرية التصرف المطلق ، بل هو مقيد بالخضوع للاحكام المرسومة ، ورعاية المصالح العامة ، ولم يكن من باب الصدقة ما جاء في وصية الرسول (ص) لمعاذ حينما بعثه واليا على اليمن : (انك تاتي قوما من اهل الكتاب فادعوهم الى شهادة ان لا اله الا الله . فان هم اطاعوك لذلك ، فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة توخذ من اغنيائهم فترد الى فقرائهم) .

هذه الآيات والاحاديث تدل كلها على ان عملية الزكاة تعني نقل بعض اموال الامة الى الامة نفسها ، بهدف واحد هو توزيع هذه الاموال على الامة كلها توزيعا عادلا بمنع تكدسها في جانب ، وحرمان الجانب الآخر ، ويضمن للامة الحد الادنى للتوازن الاجتماعي الذي هو شرط اساسي لسلامتها وامنها .

هذه هي الاشتراكية الاسلامية التي لا افراط فيها ولا تفريط ، ولكن الدول الاسلامية باهمالها العمل بهذا الركن الاجتماعي الخطير ، خصوصا في العصر الذي امتاز باعلان حقوق الانسان ، انما فتحت فراغا في حياة شعوبها تملأه الآن مختلف المذاهب الغربية ، وخاصة منها الشيوعية .

ان البلاد الغربية التي تبنت قوانين الضمان الاجتماعي ، لم تعد تعتبر مساعدة الطبقات الفقيرة والعاجزة ، وضمان عيشها ومستقبلها ، عملا من اعمال الاحسان والصدقة وانما تعتبره مبدءا ديمقراطيا اساسيا للمحافظة على كيان الدولة ونظامها ، وحماية ابنائها وطبقاتها الفقيرة من الوقوع تحت تاثير المذاهب الثورية المتطرفة ، وهذا يعني ان سياسة الحكم في القرن العشرين وفي عصر الذرة والاقمار الصناعية ، هذه السياسة الايجابية الواقعية التي بلغت قمة التفكير الاجتماعي ، انما انتهت في تخطيطها لنظام المجتمع الى النقطة التي ابتدأ منها الاسلام منذ اربعة عشر قرنا .

واذا كان الغرب قد وضع الانفاق على الطبقات الفقيرة في مستوى المبدأ الديمقراطي السياسي ، فان الاسلام يضعه في مستوى الايمان بالله ، وهذا مصداق قوله تعالى : (وما ذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله) (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون) .

ويزيد القرآن في شرح الاهمية البالغة التي يعطيها للانفاق على الطبقات المحتاجة ، اذ يعتبر الامساك عن ذلك دليلا على التكذيب بالبعث والجزاء ، وعلى الرياء في اداء الصلاة ، قال تعالى : (فلا اقتحم العقبة ، وما ادراك ما العقبة ، فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، او مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، اولئك اصحاب الميمنة) وقال عز وجل : (ارايت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) .

ثم يحدثنا القرآن عن جواب المجرمين الذين يسألون يوم القيامة : (ما سلككم في سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين) . وينتقل القرآن من اسلوب الترهيب في هذه الآية الى اسلوب الترغيب في آيات اخرى فيقول : (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة . والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ، الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وبالجملة فان القرآن لم يتحدث عن ركن من اركان الاسلام بما في ذلك الصلاة والحج ، باسلوب الترغيب والترهيب الذي خصه للزكاة وللانفاق في سبيل الله ثم لايتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم الاجتماعي عنصر اساسي في كيان المجتمع الاسلامي ، وان مشاكل هذا المجتمع لن تحل ابدا ما دام هذا العنصر مفقودا ، فمتى سنعيش مع الاسلام وبالاسلام ؟ .

الرباط : ادريس الكتاني

« ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » ، ضابط ذلك هو انتفاء الاضرار بالغير ، فغير مسكونة هي التي لم تتخذ للسكن والاستقرار والاستراحة من الاتعاب ، وانما اتخذت للتجارة كالفنادق والمتاجر والمطاعم ، فهذه ونحوها ليس فيها خوف على الاطلاع على عورات الناس ولا احراجهم . بل في دخولها تنشيط المكاسب وسبب تنمية الارزاق . وفي مفهوم « فيها متع لكم » ارشاد الى انه ينبغي للمرء ان لا يدخل الا الى الاماكن التي له فيها فائدة يقرها الشرع والطبع السليم ، وهذا ما يعنيه الحديث المشهور « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ، فولوج اماكن اللهو واللعب ومواطن الريب ليس فيه متاع معتبر شرعا ولهذا وقع التهديد عليه بقوله تبارك اسمه

« والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » . ايها القارىء الكريم هذه الآيات نموذج لتنظيم الاسلام للعلاقات الاجتماعية وآداب التزاور التي اختارها المومنين فهل ترى فيها سوى ما يبهر عقول ذوي الذوق السليم ! وقد تعجب وتندر بما ادعت مدنية القرن العشرين انه من بنات افكارها من هذا القبيل . ولكن هل حاولت ان تعلم ان هذا بجملته وتفاصيله قد نادى به صوت محمد النبي الامي من الجزيرة العربية منذ اربعة عشر من مئات السنين ، ثم هل حاولت ايها القارىء الكريم ان تتفهم ان محمدا الامي ليس من الفلاسفة ولا تخرج من مدارس الفلسفة وانما هو امي تربى في وسط شعب امي ركز جل اهتمامه في معالجة مشاكل توالي جذب السنين وطبيعة الصحراء القاسية. ثم هذا النبي الامي جاء بشريعة مدعيا انه لا ملجأ ولا منجا من نكد العيش للبشرية حيثما كانت وفي اي زمان وجدت الا بسلوك سبيلها . وامتثال اوامرها واجتناب نواهيها . فكانت المئات من السنين تقوم بمهمة التصديق لكل ما ادعاه ذلك النبي صلوات الله عليه . انها شريعة انزلها الذي يعلم السر في السموات والارض ليس لمحمد الامي الا تبليغها للناس بكل امانة كما انزلت .

قد يتساءل جاهل : اذا جاءت شريعة الاسلام بهذا النظام المحكم العجيب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما بال كثير من الشعوب الاسلامية في سوء نظام وتخلف مزريين ؟ والجواب سهل مختصر وهو ان الاسلام شيء والمسلمون شيء آخر . ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم .

المعهد الاسلامي بتارودانت

احمد الزيتوني



« يا أيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم »
المراد بالبيوت الممنوع دخولها قبل الاستئذان هي البيوت التي يسكنها المستاذن — بفتح الذال — بطريق الملك او الكراء ، فليس من حقكم ايها المؤمنون ان تدخلوا بيوتا يسكنها غيركم ولو كانت فى ملككم « حتى تستانسوا » بان تتعرفوا هل ثمة انسان يملك الاذن ام لا ، ثم هل هو على استعداد لان يأذن لكم فى الدخول ام لا ، ولفظة « تستانسوا » تحمل فى طيها معنى تتلطفوا ، ويخالف ذلك فرع الباب بعنف ، وفيه من الاذاية للمؤمنين ما لا يخفى ، او الاستئذان باصوات مزعجة ، وقد نهى الله تعالى الفاعلين لذلك وجعلهم ممن حرموا من استعمال اعظم خاصية انسانية الا وهي العقل .

ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ، او استراق السمع او النظر من خلال الفجوات .

عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن او الايسر ، ويقول السلام عليكم ، السلام عليكم .

« وتسلموا على اهلها » بان تقولوا السلام عليكم بعد ان يرخص لكم في الدخول . ومعنى السلام عليكم الدعاء وتبشير المسلم عليه بالسلامة من جميع المكاره، ولفظ « السلام » من اسماء الله الحسنى ؛ فيكون معنى السلام عليكم ، الله عليكم ، اى تجلى الله تعلى باسمه ، السلام عليكم بحفظه ووقاته من الآفات كلها دينية ودنيوية ، فالسلام تحية اهل الجنة وسنة المسلمين . قال تعالى : تحيتهم فيها سلام .

واخرج مسلم فى صحيحه والبخاري فى الادب عن ابي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حق المسلم على المسلم ست : اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فاجبه ، واذا استنصحك فانصح له ، واذا عطس محمدا لله فشمته — قل له يرحمك الله — واذا مرض فعده ، واذا مات فاتبعه .

« ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون » يعني اولى لكم واقرب الى اللياقة من الهجوم بغتة قبل الاستئذان والاستئناس بلطف ، بل ذلكم خير لكم حتى من تحية الجاهلية ، حيث كانوا يقولون — عند ارادة دخول بيوت غيرهم — حييتم صباحا ، وحييتم مساء ، ونحو ذلك من عبارات الجاهلية ، وهي على ما تنم عنه من مجاملة اذا قورنت بتحية الاسلام « السلام عليكم » صارت كمقارنة الياقوت بالحصى .

« فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم » بان لم تجدوا فيها احدا اصلا ، او وجدتم فيها من لايملك الاذن كالصبيان والخدم ، اذ في دخولكم تصرف فى ملك الغير بغير اذنه واطلاع على خفايا البيوت وعوراتها . وهذا ما لم يعرض عارض يقتضي مراعاة قاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » وذلك فيما اذا حدث بالبيت حريق وانهيار او فيه لصوص او غير ذلك من المناكر ، فلا يجب حينئذ الاستئذان .

« وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم »

هكذا يكون ادب السلوك وهكذا تكون النصفة ، فعلى هذا المنهج يسير كل افراد المجتمع الراقي البالغ اوج الكمال التمديني تم ليكن مثالا وانموذجا تسير على منواله سائر المجتمعات البشرية لتنمو الكرامة الانسانية « وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا » امر تقبله عن رضى وطواعية نفوس مومنة طاهرة من ارجاس الكبرياء وادران الترفع ، نفوس تحترم حريات الآخرين ذات الشعور المرهف باعذار الناس وتقدير ظروفهم واحترام مشاعرهم « هو ازكى لكم » حتى لا تتمرغوا فى اوحال الدناءة وتلطخوا باب مروءتكم بنجاسة الرذالة . « والله بما تعملون عليم » شان الانسان الغفلة والنسيان — فليس يكفى غالبا ايمانه واقتناعه بجدوى القوانين النقية من شوائب الاعوجاج ان سار طول حياته على ضوئها فمهما بلغت تلك القوانين الدرجة القصوى فى الصلاحية والدقة والكمال ، فلن تحترم كل الاحترام ولن تترعرع كل الترعرع الا اذا هيمنت وسهرت على تنفيذها قوة جبارة من ضمائر حية يقظة طاهرة ، واني لها بالحياة واليقظة والطهارة ان لم تستشعر رقابة الله تعالى التي لا تفتر ولا تغيب ، وفى التعبير باسم الجلالة وتقديم المعمول من تربية المهابة والاعتناء باعمال العباد والوعد والوعيد مالا يخفى .

ان ارتقاء الانسان الى درجة كائن مفكر شاعر بوجوده ، هو خطوة اجل من ان تتم عن طريق التطور المادي ، من دون قصد انشائي وتدبير حكيم ، واذا قبل تحقق القصد ، فان الانسان قد نكون جهازا ، ولكن من بدير هذا الجهاز ؟ لانه بدون ان يدار لافائدة فيه ، والعلم لايعلل من يتولى ادارته ، كما ان العلم لايقول انه مادي .

اننا قد بلغنا من التقدم الى درجة تجعلنا نرى ان الله وهب الانسان قبسا من علمه ، ومن ذلك القبس وفى معناه يمكننا ان نفهم ان الله خلق الانسان على صورته ، ولا يزال الانسان من الوجهة الخلقية فى طفولته . وقد بدا يشعر بهذا الشيء الذي سميته روحا ، وهو يرقى فى تدريج وبطء لتحقق هذه الهبة ، ويشعر بغريزته انها خالدة . واذا كان هذا الفهم صحيحا ، ويظهر لنا ان البرهان المنطقي الذي يثبته لايمكن دحضه . فان هذه الكرة الارضية الصغيرة التي هي لنا . وربما كان لنا غيرها ايضا . تكتسب عظمة لم يحلم بها احد من قبل . وعلى قدر ما نعلمه . نرى ان عالمنا الصغير قد نولد منه اول جهاز مادي اضيف اليه قبس من نور الله . وهذا يرفع الانسان من دركة الشرية الحيوانية الى درجة القدرة على التفكير ، الذي يمكنه من ادراك عظمة هذا الكون فى اشتباكاته . ويشعر شعورا لايخلو من غموض بعظمة الخالق الاعلى ظاهرة فى افعاله .

تعليقات وايضاح

1) قوله : وان المحيط لو كان اعمق .. الخ : هذا برهان من جنس ما تقدم . على ان هذا العالم صادر عن قصد ومنهاج وتدبير فى غاية الدقة والاحكام ، وهذا هو الذى عبر عنه الكتاب والسنة بكتابة الله تعالى للاشياء فى الازل واشير اليه بقول النبي (ص): جفت الاقلام وطويت الصحف ، وبقوله تعالى : « ان كل شيء خلقناه بقدر » وبقوله تعالى : « وكان امر الله قدرا مقدورا » . والجاهلون يظنون ان العالم وجد بطريق المصادفة بلا علم سابق ولا تدبير ولا منهاج ، وهذه الحقائق تكذبهم وتبطل زعمهم ، وهي مبنية على طرق حسابية دقيقة لامحل فيها للمصادفة.

فمن يزعم ان هذه المخلوقات المحكمة الصنع من التسعري الى ادنى ذرة قد وجدت بالمصادفة يكون اجهل ممن يعتقد ان شخصا اعمى يقود طائرة فيها ركاب ويسير فى الطريق المرسوم له وينزل فى المطارات المعينة له ويودع ركابا ويستقبل آخرين ثم يستأنف سفره الى ان يبلغ غايته ، وقوله : لما وجدنا اوكسجينا ولا نباتا : ستلزم انعدام الحياة كلها ، ومثل هذا يقال فيما بعده من الحقائق ، فهل يستطيع المرتدون تقليدا وتوهما ان يبطلوها ؟ لن يستطيعوا ذلك ابدا ، فليرجعوا الى الاسلام فقد ظهرت معجزاته فى الآفاق ، واشرقت انواره ايما اشراق . فان لم يرجعوا فابعدهم الله :

اذا ذهب الحمار بأم عمرو
فلا رجعت ولا رجع الحمار

2) قوله : يكون نصيبه من الامكان واحدا من مليون : يعني ان احتمال وقوعه يساوي واحدا من مليون . فتسعمائة الف وتسعة وتسعون الفا وتسعمائة وتسعة وتسعون كلها فى جانب عدم الامكان . وواحد فقط فى جانب توهم الامكان ، ولا عاقل يرجح واحدا على ذلك العدد العظيم ، وقد تكرر هذا المعنى فى هذه المقالات وضربت فيه الامثال فاقرأها بامعان وتفكير من اولها تجد الثلج واليقين الذى لايتطرق اليه الشك بان الله خالق كل شيء ومدبره .

3) قوله : حتى انتهت فى نسجتها الى منح الحياة الحيوان وتطوره الى انسان : يشير بذلك الى مذهب النشوء والارتقاء ، ونحن لانقول به . وانما نقول بما جاء فى كتاب الله . وهو ان الله خلق الانسان ابتداء فى احسن صورة وكرمه بالعقل الذي جعله سيدا حاكما مطاعا يتصرف فى غيره من المخلوقات كالحيوان والنبات والمعادن وسائر المواد الكونية ، ولم يتطور عن الحيوان الاعجم ، فان الحيوان لايصير انسانا ، ولكن الانسان قد يصير حيوانا عندما يتبع هواه ويترك عقله (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون) ، هذا مع احترامنا لرأي المصنف ، على ان هذه القضية لاتزال غامضة من الوجهة العلمية ولا تتجاوز الفرض والحدس والتخمين .

دواء الشاكين وقامع المشككين

- 21 -

للدكتور تقي الدين الهلالي

ان نظرة فيما تقدم مصحوبة بالامعان توضح للقاريء وتؤكد له ملاءمة الطبيعة للانسان ، على ان انعدام تلك الملاءمة يجعل الحياة مستحيلة ، وكذلك المسائل الاخرى التي انجر البحث اليها تؤكد تلك الحقائق البارزة في الطبيعة وتدل على ان منهاجا محكما قد وضع لتقدم الانسان ، ونرى ادلة قوية تدل على هذا التدبير المقصود وراء كل شيء ، ان الحقيقة المدهشة الماثلة للعيان ، وهي ان الانسان قد عاش على رغم التقلبات التي مر بها في ملايين سني تطوره تتحدث عن نفسها ، لقد علمنا يقينا ان العالم موضوع في مكانه المناسب له ، وان قشرة الارض قد رتبت الى غاية عشرة اقدام ، وان المحيط لو كان اعمق مما هو عليه بضعة اقدام لما وجدنا اوكسجينا ولا نباتا ، ووجدنا ان الارض تدور مرة في كل اربع وعشرين ساعة ، وان هذا الدوران لو تأخر لما امكن وجود الحياة . ولو زادت سرعة دوران الارض حول الشمس او نقصت لتغير تاريخ الحياة ، هذا اذا وجدت حياة بالمرة ، ووجدنا ان الشمس هي الوحيدة من بين آلاف الشموس ، التي جعلت حياتنا على الارض ممكنة ، ووجدنا ان حجمها وكثافتها ودرجة حرارتها وطبيعة اشعتها يجب ان تكون كلها مناسبة ، وقد كانت ، ووجدنا ان الغازات التي في الهواء قد رتب بعضها على بعض ، وان اي تغير في ترتيبها ، ولو كان طفيفا ، تكون فيه الهلاك المحتم ، هذا قليل من كثير من العوامل الطبيعية قد نبهنا القاريء اليه .

واذا نظرنا الى حجم الارض ، ومكانها في الفضاء واحكام نظامها ، يظهر لنا ان اعتبار ذلك النظام واقعا على سبيل المصادفة يكون نصيبه من الامكان واحدا من مليون ، ونصيب جميع الانظمة العالمية في امكان الوقوع على سبيل المصادفة اقل من نسبة واحد الى بلايين ، فوجود هذه النتيجة الحتمية ، وهي ان موافقة الطبيعة للانسان هي اعجب بكثير من موافقة الانسان للطبيعة ، ان نظرة دقيقة في عجائب الطبيعة تقيم البرهان على ان هذه العجائب وهذا النظام البديع ، كل ذلك ناشيء عن قصد وتقدير حكيم وتدبير عظيم ، وبذلك نعلم ان منهاجا دقيقا ينفذ بتفاصيله بأمر الخالق الاعلى ، وقد يستطيع الانسان ان يرى في هذا المنهاج سلسلة من الحوادث في تطور الكائنات الحية حتى انتهت في نتيجتها الى منح الحياة للحيوان ، وتطوره الى الانسان ، ولم يزل الانسان في جميع الازمنة يسير وزمام سيره في يد العناية الربانية ، فدعنا نعتقد اذن ان العناية الربانية بارشادها وهدايتها تحيط بالانسان في جميع اطواره ، وقد تطور المنهاج الى مباءة قادرة ان تحافظ على مخلوق جسمي يشتمل على عقل واع .

ولما كانت عقولنا محدودة ، لم يكن في امكاننا ان ندرك ما هو غير محدود ، ولذلك لانقدر الا ان نؤمن بوجود الخالق المحيط بكل شيء ، الذى خلق كل شيء وشمل ابداعه الذرات والكواكب والشموس والسدم (جمع سديم) والزمان والمكان هما عنصران في هذا الادراك . ان محاولة ادراك حقيقة كنه الباري جل جلاله لتحير اذكى الاذكياء ، وكذلك لايمكننا ان نعتقد ان الانسان هو الغرض الوحيد أو النهائي ، ولكن يمكننا ان نرى ان الانسان اعجب مظهر لهذا الغرض ، على اننا لسنا مضطرين ان نفهم ذلك كله حتى نتقدم كثيرا، وزيادة المعرفة تشير الى تلك النهاية ، اننا نقرب من ادراك عالم المجهول الشاسع ، حين نتحقق ان المادة كلها صارت من الوجهة العلمية مظهرا لوحدة عالمية ، هي في حقيقتها كهربائية ، لكننا نعلم يقينا ان المصادفة لا علاقة لها البتة بايجاد العالم ، لان هذا العالم العظيم واقع تحت حكم قانون دقيق .

تحول الكائن الى الشخص

للدكتور
محمد عزيز الحبابي

ان الكائن البشري يتجلى، بمجرد ما يكشف عن العلاقة التي تربطه بالبيئة المحيطة بــه، حيث يتكيف ويتشخص. بيد انه لايظهر، ابــدا، كمــا هــو في الواقــع. وهذا الظهور يكون مخالفا للواقع، بالنسبة للكائن ذاته (لان الشعور ــ بالذات يبرز في مرحلــة ثانوية، أي بعد أن يصبح الكائن قد تعــدى كينونتــه المحض. فاضاف اليها مكتسبات) وبالنسبة للآخرين، لانهم يرونه كما يدركونه، وطبقا للعادات والاعــراف التي يحيون فيها. فالعملية التي تتبنى بهــا الكائــن، وتتفتح بها على الحياة، هي نفسها التي تحولــه الــى الشخص. ان جميع التعليلات السابقة، لم ترم، الى شيء آخر، غير تتبع مراحــل حركــة التشخص، وابراز تخطيطات الانتقال من الكائن الى الشخص.

يقول سارتر، في تعريف مشهور للوجودية، بان الوجود يسبق الماهية، مع الحاح منه في أن ينحصــر هذا التعريف في الانسان، وفي الانسان وحده. ومعنى هذا، ان الانسان موجود، قبل كل شيء، **ثــــم** انــه يصير **كــذا** او **كــذا** ... « ان ماهية الكائن البشرى موقعه على حريته. » **(كتاب الكائن والعدم،** ص 61). فهناك، اذن، نوع من التحول: الانسان حر، فيجب عليه ان يخلق ماهيته.

لنا على هذا ملحوظتان:

أولا : يستعمل سارتر، في التعريف السابق، كلمتين، هما **((قبــل))** و **((ثــم))**، وهاتــان اللفظتــان تستلزمان التوالي في الزمن، وترتيبا، ورابطة بيـــن شيئين متباينين، يجب ان تكون حتما الماهية أحدهما. وعليه، كلما وجد كائن، كان لازما وجود حــد أدنــى من ماهيته في آن واحد مع وجوده، لان هذا الكائــن يوجد بالنسبة الى ماهيته. فالماهية (هذا وذاك و...) من صميم التيــار الحيــوي، في البــذرة الاولــى.

ويمكننا، كذلك، أن نطالب سارتــر بتمييــز دقيق بين الماهية الشاملة التي تجعل مني كائنا بشريا (الماهية النوعية التي لاتتعلق باختياري، مطلقا) والماهية الفردية التي تجعل مني شخصية ما، وتعطيني مزاجا مــــا.

ثانيــا : ملحوظتنا الثانية تتكامل مع سابقتهــا. يقول سارتر ان الانسان «موجود، قبل كل شيء...» لكن، بما أنه « موجود »، لابــد لــه مــن أن يكــون **شيئــا**، نعني لا بد ان يكون كذا أو كذا، ولا يمكنــه ان يكون خارجا عن كذا او كذا. ونتساءل اذن: مــا معنى «وجود» غير محدد؟

أيكون لــ «اختيار» ماهية ما معنى من المعاني، لو كان الكائن الموجود غير محدد، ينحصر في **((قبــل))**، اي في شيء سابق على الوجود، كمايقول سارتر؟

أيجوز ان نقول بأن للكائن البشــرى وجــودا وماهيات توجد اولا، في آن واحد، ومستقلة بعضها عن بعض، ثم لاتتصل ولا تمتزج الا فيما **بعد**؟

يظهر اننا، بالملحوظتين السابقتين، نزيح اللثام عن الفروض المسلمة الاولى التي بنى عليها سارتــر مذهبه. فقولة سارتر: الانسان يوجد **أولا**، **ثم** يصير، **بعــد** ذلك، هذا او ذاك، لاتقبل الا اذا سلمنا، سلفا، بوجود الزمن (زمن يمكنه ان يتجلى في العالم، قبــل

4) قوله : ولما كانت عقولنا محدودة .. الخ : هذا كلام في غاية الحكمة والتحقيق ، تقدمت الاشارة اليه في المقالات السابقة ، ومما يوضحه ان الانسان مربط بالارض وهي مكانه وامه ، وبالشمس ومنها باذن الله حياته ومنها زمانه ، فهو مقيد بالزمان والمكان ، فكيف يستطيع ان يدرك ما لاتقيد بزمن ولا مكان من المخلوقات ، فضلا عن ادراك حقيقة خالق الزمان والمكان . فالمحدود المقيد ، معرفته محدودة مقيدة .

5) قوله : وكذلك لايمكننا ان نعتقد ان الانسان هو الفرض الوحيد او النهائي .. الخ : صدق . لقد صرح القرآن الكريم بما يدل على ذلك قال تعالى : (ويخلق مالا تعلمون) وقال تعالى : (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون) ، وقال تعالى : (وما يعلم جنود ربك الا هو) ، وقال تعالى : (وهو بكل خلق عليم) .

6) قوله : ان الله خلق الانسان على صورته : جاء في الحديث الصحيح : ان الله خلق آدم على صورته ، واحسن ما قيل فيه ما اشار اليه المصنف وهو ان الله اهله لحمل الامانة بان وهبه العقل والسمع والبصر واعطاه العلم الذي به فضله على كثير ممن خلق تفضيلا ، الا ان علم الله ليس له اول ولا آخر ولا يعزب عنه مثقال ذرة ولا يعتريه النسيان ، وهو كسائر صفاته غير مخلوق وعلم الانسان مخلوق .

7) قوله : ولا يزال الانسان من الوجهة الخلقية في طفولته .. الخ : لاشك عند المسلمين ان الانبياء والرسل هم اكمل البشر علما وعملا واخلاقا ، ولكنهم لايحيطون بعلم الله ، وانما يعلمون ما علمهم ، فينبغي ان يحمل كلام المصنف على المعلومات الكونية التي لاتتوقف عليها سعادة البشر ، ولما ضعف ايمان الانسان وطغت عليه المادة العمياء الصماء تفضل الله عليه بان كشف له من السنن الكونية والآيات ما يهديه به الى توحيده وتسبيحه وتمجيده والتمسك بدينه ، كما قال تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) الآية .

8) قوله : وربما كان لها غيرها ايضا : يشير الى ما يطمع فيه علماء الكون في هذا الزمان من الوصول الى الكواكب والاستمتاع بها والله واسع عليم .

9) قوله : اول جهاز .. الخ : يريد به الانسان لانه مركب من جسد وروح .

مكناس : تقي الدين الهلالي

من الحياة النباتية ، يكتشف نفسه في الغير ، ويتعرف على نفسه في مواقف توجهها نظرات الآخرين . أما الموجة الاولى للأنا المنعكسة ، فلا تبدأ الا مؤخرا ، في حوالي السنة الثالثة » (1)

يتحدث السيكولوجيون عن « قانون السابقة » ، مؤكدين ان الطفل يقوم بافعال ، قبل أن يحصل له شعور بالقوانين ، (قانون العلية ، ومعنى الصدفة ، يبقيان أجنبيين عن ذهنية الطفل ، الى حوالي السنة الرابعة أو الخامسة من عمره) .

* * *

لقد قلنا بان الكائن ، **ليس** هو الشخص .

ان هذا النفي واضح . فنحن لاننكر وجود الكائن، وانما نؤكد انه يتحمل انقلابات . فاذا كان شيئان لا ينطبقان تماما ، فهذا لايعني انهما ، حتما ، من طبيعتين مختلفتين : الكائن **ليس** شخصا ، ولكنه **يصير** شخصا . فهو القاعدة التي يتأسس عليها الشخص ، وهو سند المعاني المجتمعية ، وعنه تصدر نشاط المشاركة في الحياة المعشرنة وصيرورة التاريخ.

فالكائن لايكون ، أبدا ، كائنا بشريا الا اذا حبل بالشخص . نعني ان الكائن الذي ينحصر في «الظهور» دون انفعال بتأثيرات المجتمع ، كائن خام ، لا انساني.

فالفرق بين الكائن الخام والكائن المشخص ، ليس فرقا في الدرجة ، ولا في الطبيعة ، فهما ليسا بالشيء الواحد ، ولكنهما لايتعارضان . فعلاقتهما تماثل العلاقة التي تربط ، في هندسة اقليدس ، بين القضايا ، والبديهيات ، والمسلمات ، والتعريفات ، فالقضايا ، مثلا ، تختلف عن المسلمات ، ولكنها تفرض وجودها . وكل قضية تتعدى مجموع المسلمات ، دون ان نستطيع الاستغناء عنها ، أبدا . فامكانية وجود قضية ما ، بصفتها قضية هندسية ، يتوقف على وجود الاسس الهندسية ، من تعريفات ومسلمات وبديهيات . . .

والكائن ، كذلك ، ليس بالمتشخص ، انه الشرط الحتمي لكل تشخص . فالشخص ، وان لم يكن هو الكائن ، تتعذر امكانية وجوده بدون كائن . فهناك اذن بينهما استقلال – في – ترابط ، دون تطابق ، ودون تعارض . فالتعارض ينفي التداخل ، والتطابق ينفي الاختلاف . أما الكائن والشخص ، وان اختلفا ، فانهما يتداخلان . فقولنا ان الفرق ، بين الكائن والشخص ، فرق في الدرجة ، يستلزم أن نسلم بوجود طبيعة مشتركة بينهما . وفي هذه الحالة يكون الكائن ، مثلا ، الثلث أو ثلاثة أرباع من الشخص . . . وهذا محال . وبمقتضى الفرض السابق ، ايضا ، يفقد الشخص تركيباته الكثيرة ، ولا يحتفظ الا بقوة تختلف حدتها ، وهذا مخالف للواقع .

الرباط : محمد عزيز الحبابي
عميد كلية الاداب بجامعة الرباط



(1) Mounier, Le Personnalisme, p. 38

ان يصير الانسان هذا او ذاك) ، وهذا الزمن الذي نفرض وجوده مسبقا ، هو الذي يخولنا التمييز بين **((قبل))** و **((بعد))** . لكن ، يجدر بنا هنا ان نستنتج بأن مفهوم الزمن (كما نستخلصه من فروض فلسفة سارتر) يصادم المدلول الذي يعطى للماهية : فالزمن يظهر تماما في نفس الآن الذي ينتقل فيها الكائن من « وجود ــ بلا ــ ماهية . . » ، الى وجود صار **كذا** او **كذا** . وعليه ، فالماهيات تتحقق في الزمن الحاضر (s'actualisent) فـ «الحضور لـ . . .» هو أساس الزمن الحاضر ، وليس الا «الشيء ــ لذاته» ، بصفته يعرف بعملية تعديم الموجود .

ولنعد ، بهذه المناسبة ، الى مثال القطعة من القماش : بما ان تدخل الخياط عرضي (يمكن وقوعه او عدم وقوعه) ولا يأتي الا بعد النسج ، فان القماش مليء بهذا وذاك . . من الامكانيات . فيجوز لنا ، اذن ، أن نقول ، عن قطعة القماش ، بأن وجودها سبق ماهيتها (وهذه الطريقة تجعلنا على نقيض من نظرية سارتر) . على انه ، لو الزمنا بالبحث عن ماهية القماش ، لوجدنا انفسنا في حيرة ، ولوجب ان نتحدث عن ماهيتين ، على الاقل ، أولاهما تكون سابقة على التكوين الحالي للقماش (أو «قماشيته») ، مع انه ما «زال» مجرد مرشح الى عدد كبير من امكانيات اخرى غير «قماشيته» الحالية . أما الماهية الثانية ، فهي التي تجعل من قطعة القماش (بصفتها قطعة قماش) مصدرا لعدد كبير من الملابس التي يمكن أن يكونها ، أولا تكونها حقا ، ان التفكير في ماهية القماش ، يرجع بنا الى التفكير في ماهية الصوف أو القطن ، وماهية الصوف ترجع بنا الى ماهيات اخرى متعددة ، ونبقى نسير ، هكذا ، الى اللانهاية . انها ماهيات ــ صارت ــ موجودات . فلا مندوحة لنا ، اذن ، من ان نقول بأنه ليس هناك الا سلاسل لاتنتهي ، من « ماهية ــ وجود » .

ان مفهوم التشخص يقي الباحث ، في « الكائن البشري » من السقوط في مشكل الثنائية : « وجود ــ ماهية » . فبمجرد ما يبرز الكائن في هذا العالم ، شرع ، فورا ، في التشخص ، الى حد انه لايجوز لنا أن نقول عنه بأن له وجودا منعزلا عن ماهية . فليس له وجود محض «قبل» ان يصير من «بعد» هذا أو ذاك . فالـ «قبل» والـ «بعد» لايوجدان بصفة مطلقة في زمن مطلق ، بل وجودهما مقيد بوجود كائن بشري ، قد جعل من نفسه كذا او كذا ، والا لما أمكننا ان نتكلم عنهما . ان مجموع مراحل عملية التشخص يقع وينتظم في الزمن ، بينما ظهور الزمن ليس الا نتيجة للحركة المتشخصنة . نعم ، هناك الكائن ، لكنه لا «يكون» شيئا خارج هذه الحركة : انه آونة الشروع في التشخص .

* * *

المشكلة التي نوضع الآن ، هي ان نعرف هل الانتقال الاولى ، الذي يبدأ به السلسلة اللانهائية من الانقلابات المتتابعة ، يكون تغيرا في طبيعة الكائن نفسها ، الى حد ان الشخص يكون من طبيعة أخرى جديدة ، مغايرة لطبيعة الكائن ، أو انما الفرق ، بين الكائن والشخص ، مجرد فرق في الدرجة (باعتبار الكائن معطى أولى خام ، نتوقف عليه ، حتما ، امكانية التشخص) .

فلنفرض ان هناك فرقا في الطبيعة ، بين الكائن والشخص . فما هو الاساس الانطولوجي للشخص اذن ؟ واذا كان الانقلاب تغير طبيعة الكائن ، فكيف يمكن تفسير بعض مظاهر سلوكنا ، التي لازالت ألغازا عند اصحاب السيكولوجيا ــ الاجتماعية ؟ لو حصل تغير في الطبيعة ، لما ترك هذا الانقلاب الكلي آثارا . بيد ان التجربة التي نحياها كل يوم ، ومشاهدتنا للآخرين ، تظهر ، بوضوح ، ان الشخص يحتوي على جذور عميقة في الكائن . ولسنا نقصد هنا ثنائية : فرد ــ شخص ، بل نؤكد أن الشخص ينقل معه بقايا من الكائن ، كعناصر مؤسسة لقاعدته . والى هذا الوضع ترجع بعض الدوافع وضروب السلوك ، التي لاتوجد لها تأويلات اجتماعية . ان المحاكاة من الوسائل الاولى التي يعبر بها الطفل عن شخصيته (بعد مرور اثنى عشر شهرا على ميلاده) . لكن الطفل لا يقلد الا اذا أثار انتباهه الشخص الذي يقوم بالاشارة أو الحركة . فتجاذب الافراد (بين طفل وطفل ، أو بين طفل وكهل) هو الاساس الحتمي لكل جماعة .

ليس الكائن بالشخص ، وليس الكائن بانسان الا لانه يرمي الى تحقيق الشخص الذي يتظاهر به في المجمع . « ان أول حركة تبرز الكائن البشري في طفولته الاولى ، حركة نحو الآخرين ، فالطفل بين الشهر السادس والثاني عشر من عمره ، عند خروجه

ثم يختم كلامه بقوله (وكان الشابي كما كان ناجي رحمة الله عليهما معجبا بكلتا القصيدتين وكلاهما نسج على منوالهما) .

ولعلنا نخالف ابا شادي فيما ذهب اليه من أن التشابه بين الشابي وشعراء المهجر هو من باب المصادفة ليس غير ، وقد بينا في الصفحات السالفة وجوه هذا التشابه الذي هو اعمق من ان يكون كذلك.

اما تجاوب الشابي مع جماعة ابولو فنحن نوافق الدكتور عليه ، بل نزيد فنرى ان تجاوبه لم يكن ليقتصر على هذه الامثلة التي اوردها ، بل هو اوسع من ذلك واعمق ، ولن يكشف عن حقيقته في رأينا غير الرسائل العديدة التي كان يتبادلها مع الشابي ، فهو السجل الصادق للعلاقات المتينة التي كانت تربطهما ، ولوجهات النظر التي كانا يتبادلانها في مضمار الفن والحياة .

ولعل من اهم مظاهر هذا التجاوب ما يتجلى في النزعة الذاتية التي تهفو الى الحرية المطلقة وتنفر من روح التمذهب ، وتدعو الى المضمون الحر ، وجعل الفرد مركز الكون ، كل شيء نسبي بالقياس اليه ، وربما كانت ظروف الحياة عامة ، والسياسة خاصة ، سواء في تونس او مصر ، اكبر مشجع على هذه الدعوة . لاسيما وان العقلية الاجتماعية العامة لم تكن قد تربت فكريا بعد ، وهي وحدها التي يمكن ان تقيد مثل هذه الحرية ، وتكون روحا جماعيا لاينظر الى الفرد بقدر ما ينظر الى الجماعة ، بل قد يختفي الفرد فيها ويذوب ، يقول الشابي في مقدمته لديوان « الينبوع) (*) بعد ان استقرى فنون الشعر ومجالاته ومذاهبه : (والحق اننا نخطيء كثيرا اذا حاولنا ان نفرض على الشاعر آراءنا واحلامنا ومذاهبنا فرضا ، ولن نجنى من وراء ذلك الا تضليل المواهب الجديدة الناشئة وسخرية المواهب الكبرى السائرة الى النور وليس لنا ان نطالب الشاعر في شعره بغير الحياة ، واذا جاز لنا ان نطالبه باكثر من هذا فلنطالبه بان تكون هذه الحياة رفيعة سامية تتكافأ مع ما للشعر من قدسية الفن وجلاله . ففي الحياة كثير من الحماقات والدنايا يتعالى الفن عن التدلي اليها من سمائه العالية ، ان روح الشاعر روح حرة لاتطمئن الى الفن ولا تسكن اليه ، حرة كالطائر في السماء والموجة في البحر والنشيد الهائم في آفاق الفضاء ، حرة فسيحة لانهائية لاتحدها نزعة واحدة ولا مذهب محدود وان كانت لا تضيق بكل هاتيك النزعات مجالات نفس الشاعر ولا تتقيد بصورة او منال) (*) .

وعلى نفس هذه النغمة كان ابو شادي يحرك اوناره ليرى (ان الحرية هي صديقة الاداب والفنون بل والمعارف عامة . فالاملاء على الشعراء والتحكم فيهم هو اولا قتل لمواهبهم ثم قتل للشعر وممكناته ثم افقار للغة وآدابها . . لنا ان نحتفي بكل لون من الوان التفكر والتعبير البشري وعلينا ان نناهض الدكتاتورية الادبية والفنية لانها في النهاية بمثابة سم للادب والفن . . . اننا ندافع عن حرية الشعر المطلقة موضوعا وتعبيرا ، ندافع عن هذا الفن الرفيع الذي متى بلغ الذروة بانسانيته وبقيادته الحرة الجريئة الحرة كان الرائد لحركات الاصلاح والتطهير والتسامي) (*) .

وعلى الرغم من هذا فقد كانت النزعة الرومانتيكية تغلب على روح هذه الجماعة ، فتعمد الى تصوير الوجدان والعاطفة ورسم تجارب النفس والذات في اطار من الحزن والتشاؤم ، وكما اسلفنا ، فقد كان الشابي في هذه النزعة اكثر تأثرا بالمدرسة المهجرية .

ولكن جانبا آخر تجاوب فيه الشابي مع ابي شادي ورفاقه يظهر في لجوئهم الى التعبير الرمزي ، وكان الاتجاه العاطفي لم يستنزف نفوسهم المليئة حزنا وكآبة ، والاسلوب الرمزي يعمد في افصاحه عن مشاعر النفس واحاسيسها الى الصور الغامضة الخيالية ، والى موسيقى صوتية يوحيها انسجام الالفاظ وتراكيبها ، والشاعر الرمزي لايكتفي بتطبيق اسلوبه على الصور والتراكيب فحسب ، وانما يعالج بواسطته مشاكل الانسانية عامة ، يوضح فيها افكارا ويجدد حقائق قد تبدو بعيدة عن واقع الحياة ،

(*) لابي شادي .
(*) نقلا عن كتاب « الشعر المصري « بعد شوقي » للدكتور محمد مندور ص 41 .
(*) « قضايا الشعر المعاصر » ص 9 / 10 .

تجديد الشابي بين روافد الشرق والغرب

للاستاذ عباس الجراري

- 3 -

وفي غمره اجماع دارسي الشابي على تأثره بالادب المهجري، يرتفع صوت الدكتور احمد زكي ابو شادي ليستنكر هذا القول . ويرى (*) ان اية مشابهة بين شعره وبين بعض الشعراء المهجريين هي من باب المصادفة لا اكثر . ولعل اعظم تجاوب للشابي كان مع زملائه شعراء « ابولو » حتى قبل ظهور مدرستها) . وانه اولع شخصيا بالشابي) لا لعبقريته الفنية فحسب بل لانسانيته الرفيعة ولوطنيته السامية) ثم ينتقل بعد ذلك الى ذكر بعض القصائد التي يبدو واضحا فيها تجاوب الشابي معه . فيشير الى قصيدة (صلوات في هيكل الحب) (*) التي مطلعها :

عذبة انت كالطفولة كالاحلام
كاللحن كالصباح الجديد

فيرى انها متجاوبة مع قصيدته (عرس المأتم) (*) التي (كان يعجب بها الشابي . وقد جاء في مطلعها غير المسبوق الى طرازه) (*) :

« عذبة انت في الجفاء وفي الهجر يا اغاني الظلام
يلقى العاشق الامين مدى العمر شفاء قلبه المستهام
وارفئي ادمعي فحسبي عزاء ان سر الحبيب من الامي »

كما يشير الى قصيدة (ارادة الحياة) (*) التي بداها الشابي بقوله :

اذا الشعب يوما اراد الحياة
فلا بد ان يستجيب القدر

فيرى انه متأثر فيها بقصيدته (النهضة ارادة) (*)، واخيرا يشير الى قصيدة (الصباح الجديد) (*) التي يقول الشابي في اولها :

اسكني يا جراح   واسكتي يا شجون

فيراه متجاوبا مع قصيدتين له . فاما الاولى واسمها (قصيدة الوداع) (*) ومطلعها :

انهب يا شعاع	نبض قلبي الحزين
حان وقت الوداع	لست لا يحين
انهب يا شعاع	انا ذاك الغريب
ان روحي متاع	في مداك العجيب

واما الثانية فقصيدته (بعد الصيف) (*) التي اولها :

اضحكي يا رمال	من هدير المياه
غاب ماله الخيال	من بكاء الزمان
فهو دوما مروع	من مآل الهوان

(*) قضايا الشعر المعاصر لابي شادي .
(*) ديوان ص 121 .
(*) ديوان زينب .
(*) هكذا يقول الدكتور ابو شادي .
(*) ص 167 .
(*) ديوان « الشفق الباكر » .
(*) ص 159 .
(*) ديوان « قطرة من يراع » ج 2 .
(*) ديوان « اشعة وظلال » .

عربية صميمة وهو تيار جماعة ابولو ، والثاني نشأ في عالم ما وراء البحر بعيدا عن موطن العروبة ، ولكل من المدرستين قرا الشابي واطال القراءة في ذكاء وشغف واستيعاب ، ومع كل منهما تجاوب فاخلص التجاوب في صدق ولهفة واناة ، وعلى دربهما سار يتأثر خطى كانت توجهه في طريقه المظلم الشائك ، ولم يكن تأثره تقليدا يمحو شخصيته ووجوده وانما كان تجاوبا توجيهيا يستنير بنبراسه في حياته المضطربة القلقة لم يلبث ان سما عليه وانطلق في اجواء بعيدة حرة ليتناول قيثارته في اعلى القمة ، ويعزف للطبيعة والانسان ، وينشد من اعماق قلبه في لحن مثالي صادق اغنية الحياة في كل زمان ومكان .

هكذا الشابي وهكذا تأثره ، لم يكن شعره صورة لغيره وانما كان صورة لنفسه في اطار امته وعامة الانسانية ، ولم يكن اسلوبه لتحدده اتجاهات المدرستين وانما كان اسلوبا تحدده طاقة شعرية خلاقة يمتاز بكثير من الرشاقة والاناقة والجمال والاشراق ، واذا ما لوحظ على الشابي ان افكاره ضحلة غير ناضجة ، واخيلته فجة غير مكتملة ، وان نظرته للحياة مضطربة غير قارة ، وان فلسفته عامة لم تتضح خيوطها لتعبر عن نفسها في جلاء ووضوح ، فما ذاك الا لانه مات في اول الشباب ، ولم تمر على مدة انتاجه غير ست سنوات (*) لاشك انها غير كفيلة بتكوينه تكوينا ناضجا متكاملا سواء في ميدان الفن او الحياة .

وبالرغم من هذا فاننا لا نغلو اذا قلنا ان الشابي يكاد يكون مدرسة وحده في الشعر العربي ، اساسها ادب انساني جديد يصل الى اعماق الحياة ، ويشعر بآلامها ، ويدعو الى الكفاح ومحاربة الطغيان ، ويهفو الى المعاني المشرقة المتوهجة ، نحس في نفمته روحانية صوفية وشفافية قدسية ، وعاطفة نورانية ، وحرية مترفعة .

باريس : عباس عبد الله الجراري

(*) ولد الشابي سنة 1909 وتوفي سنة 1934 .



ولكنها لانفقد ابدا صدقها ومغزاها ، وجماعة ابـــي شادي فى اتباعها هذا اللون من التعبير انما كـــانت تتاثـــر جماعة الديوان قبلها ، وخاصة رائدها شكـري الذي كانت تطغى عليه النزعة الرمزية فى شعره ، كمـا كانت تتاثر بجبران خليل جبران ، ورب معترض يرى ان الشابي قد يكون تاثر مباشرة فى هـذا الجانـب بشاعر المهجر ، ربما كان هذا صحيحا ولكننا نرجـح ان يكون قد تجاوب مع اصدقائه المصريين الذين كانت قد تفشت فى شعرهم نزعة الرمز اكثر مما تفشت فى شعراء المهجر ، وان كان جبران رافع لوائهـا .

واذا كان الضيق الذي مله شعراء جماعة ابولو ، نتيجة جو السياسة الحالك وما كانوا يقاسونـه مـن الآم نفسية وجههم نحو استخدام الرمز فى التعبير عن حالهم ، فيقول رائدهم واصفا حالا من احواله النفسية ومصورا احساسه بقوة الحياة وبضباع آماله واحلامه:

هتفـت بـي الاضـواء فاستيقظـت مـن
نـومـي على قلـق مـن الاضــــواء

ونظرت فى افـق السمـاء فلـم اجـــد
الا حـدبـث المــوج والـدامـــاء

السحب تجـري فى اصطخـاب المـوج لا
نـرضــى بهـداة لحظـة لنـدائـي

نـادبتهـــــا فتلفتـــت لكنــــه
كتلفـــت الاطبـــاف للنعــــــراء

لاتستقـــــر هنيهـــة وتسيـــر فـي
لهـــف كنـوب المـوج فـوق الـمـاء

وكانمـا الزمـــن العجيب سوفهـــا
كالخيـل فى ركـض وطـول عنـــاء

نخشـى سباط الدهـر يجـري خلفهـا
فالدهـــر قـــاس دائمــا ومـرائـي

وتغيب فـي بحـر السمـاء كمـا مضـى
حلمي وانفاسـي وروحـي ورجائـي (*)

فكذلك كان الشابي يحس مللا من جراء ظروف بلاده المستعمرة ومن جراء الالم الذي ظل يصارعـه فى شقاء ومرارة الى ان عصف به فى كهـوف المـوت ، ولنستمع اليه يقول :

يـا صمبـم الحيـاة انـي وحيـد
مـدلـج نائـه فـايـن شـروقـك

يـا صمبـم الحيـاة انـي فـــؤاد
ضـائـع ظـامـيء فأيـن رحيقـك

يـا صميـم الحيـاة قـد وجـم النـاى
وغـــام الفضـاء فـأيـــن بـروقـك

يـا صمبـم الحيـــاة أيـن اغـانيـك
فتحـت النجـــوم يصغـى مشوقـك

كنت فى فجـرك الموشـح بالاحـلام
عطـــــرا يــرف فــــوق ورودك

ثـم جاء الـدجـى فأمسيت اوراقـا
بـــدادا مـــن ذابـلات الـــورود

كنـت فـي فجـرك المغلـف بالسحـر
فضــــاء مـــن النشيـد الهـــادى

وانقضى الفجـــر فانحـدرت مـــن
الافـق ترابـا الى صميـم الـوادى (*)

ولقد عاب الدكتور فروخ (*) على الشابي اكثاره من الرمز لدرجة (الغموض الذي يصبـح عبئا علـى الادب) خاصة وانه على حـد قولـه (نابي باشيـاء لا نعرفها) ويرد على هذا الاعتراض بان غموض الشاعر ليس ناشئا عن جهل او (عجز عن الادراك او عن التعبير بل غموض ناشيء عن غنى الاحتمالات التي ترقد خلف الرموز وتفلت من قبضة العقل الـذي يسعـى الـى الوضوح الجامع المانـع) (*) .

اما بعد فقد نبين لنا من بين خطوط هذا البحث، ان الشابي تأثر بتيارين ادبيين ، احدهما ظهر فى بيئة

---

*) قصيدة بحر السماء . الاشواق التائهـة ص 112 .
*) فى كتابه (الشابي) ص 125 .
*) هكذا يقول الدكتـور فروخ .
*) محاضرات فى الادب ومذهبه للدكتور منـدور ص 80

كما انه استطاع بما درس من فقه ان يتولى منصب القاضي المالكي في دلهي وهي من عواصم الاسلام في عهده ، وان يتولى القضاء كذلك بجزائر المليدف Maldives التي كانت معروفة بديبة المهل ، كما تولى القضاء في ركب الحج المغربي وحسب مايذكر ابن الخطيب في نفاضة الجراب فقد تولى القضاء في تامسنا بالمغرب، وان اتصاله في كل مدينة بالعلماء والفضلاء اكسبه استفادة من علمهم وخبرتهم حتى خولت له نفسه ان ينتقد ابن تيمية ويتهمه في تفكيره وعقله ، وان يجيزه كبار العلماء كابن الشحنة الذي سمع عنه البخاري في اربعة عشر مجلسا بقراءة البرزالي واجازه اجازة عامة في دمشق ، كما سمع عن مجد الدين اسماعيل بن محمد ابن حداد مسند الشافعي ومشارق الصاغاني في شيراز ، وسمع في بغداد مسند الدار عن السراج القزويني

وكان ابن بطوطة مسلما يثق في الكرامات وبالاولياء ولا يتعرض لذكرهم الا بالتقدير والاحترام ، وجاور في المدينة المنوره سنتين كاملتين رغم ولوعه بالاسفار ، وكان يابى ان يتنازل عن كرامته كمسلم ولو كلفه ذلك غاليا ، فقد ابى ان يدخل الى كنيسة اياصوفيا بعد شرط المترهب جرجيس ان يسجد للصليب وتجرأ على الملك ابذج وتستر لما رآه يشرب الخمر فاغلظ في نصحه كما يدل اعتزاله القضاء في ذيبة المهل عن مدى نزاهته واستقامته ، وقد استكمل ثقافته في البلاد الهندية التي اقام بها كثيرا حيث تعلم اللغة الفارسية واعانته ذاكرته القوية وحافظته المتينة على استظهار كلمات من شتى لغات الاقاليم التي زارها ، ومارس الشعر ايضا فكان من المتفقهين الشعراء . ثم لاشك ان نباهته ولباقته خولته مكانة السفارة في بعض الاقاليم ، فسلطان دلهي محمد شاه بن طغلق ارسله في سفارة الى ملك الصين ، كما خدم السلطان محمد اوزبك او (الربير) كسفير له حيث صحب زوجته Baylon بيلون بنت اندرونيق Andronicus الى القسطنطينية .

اخلاق ابن بطوطة :

يستفاد من تربية ابن بطوطة الدينية انه كان رجلا مسلما متدينا يثق بكلمات الاولياء وتوجيهاتهم فقد سافر بدافع هذه الروح الدينية التي املت عليه ان يقصد البيت الحرام لاداء فريضة الحج ، وابى عليه شبابه ان يستسلم لمزالق الشهوات فعف وتزوج في طريقه الى الحج مرتين ، كما كانت الثقة بالزاهدين والفقراء المتعبدين راسخة في قلبه ، وكانت كلمات اولياء الاسكندرية كعماد الدين الكندي والشيخ خليفة وابي العباس المري والشاذلي اكبر معين له على تحمل اعباء السفر بل كانت موجهة له الى الرحلة النائية وذخره وزاده كلما خلت يداه ، لقد دعا له جلال الدين التبريزي في بنفالة ليصبح مسافر العرب والعجم واخذت نبوآت الاولياء تتحقق فقد راى في اول تجوله في الهند بهاء الدين القرشي وهو احد الثلاثة الذين اخبره الشيخ برهان الدين الاعرج بالاسكندرية انه سيلقاهم في رحلته ولم يلبث ابن بطوطة المتدين الورع ان اصبح فقيرا زاهدا خرج عن الدنيا واقبل على الله يوالي صومه خمسة ايام متوالية ويعتكف في المسجد ، واصبح في دلهي اذا اكل الطعام يؤذيه ولولا ان سلطان الهند اخرجه من خلوته لاستعذب الحياة الروحية .

وابن بطوطة رجل عاطفي رقيق الشعور سريع التأثر ولقي من بعد والديه وصبا ، وتكبد لفراقهما نصبا فهو يدعو لهما في كل مناسبة ، تكفي كلمات عذبة لتوثق الصلة بينك وبينه كما قد تكون كلمة نابية كافية لقطع العلائق ، وهو سريع التخلق بسكان البلد الذي يقيم فيه ، فقد ركب العربات واكل لحم الخيل وذاق البوزة يحفظ لغة اي اقليم في يسر وسهولة ويتأثر بعاداتهم وطعامهم لايجد في ذلك حرجا أو مشقة ، وقد تزوج في رحلته عدة مرات تزوج في طريقه الى مصر مرتين كما في الرحلة ، وتزوج في ديبة المهل من ربيبة السلطان ، ثم تزوج من ثلاث نساء غير زوجته كما تزوج في الهند وتوفيت بها ابنته ، يحب الاهتمام به ، فاذا لم يحفل به احد تصارعت عبراته كما حدث له عندما وصل الى تونس وبرز اهلها للقاء الزبيدي فلم يسلم عليه احد ، غير انه لم يلبث ان تعود السفر واصبح جلدا صبورا لايضنيه البعد ولا يوجعه الفراق.

كان امينا صادقا اذا نسي اسم رجل او مكان لايخترع له اسما ، بل يقول في رحلته بكل بساطة « ونسيت اسمه » ، ولذلك وصفه دوزي بالرحالة الامين (انظر الروائع الخاص بابن بطوطة) ، ولعل المستشرق فران Ferrand بالغ حين اتهمه بانه لم يزر البلاد الصينية لاخطائه واوهامه والغالب ان ابن بطوطة لم يهتم كثيرا بمشاهداته وارتساماته عن الصين حتى وقع في عدة اخطاء ، واما شك ابن خلدون في مروياته فهو لايعتمد على دليل قوي لان ابن خلدون

ابن بطوطة الطنجي

الأستاذ: المحسن السالح

هـــو ابـو عبد الله محمد بن عبد الله بـن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة والملقب بشمس الدين ،حيث اشتهر بهذا اللقب فـي المشرق وكان يستعذبـه .

واسرة ابن بطوطة بربرية الاصل من قبيلة لواتة وهي فخذة كانت تسكن قديما بلاد برقة ، ثم انتقلت الى البهاليل قرب صفـرر بنواحـي فـاس ، واليها ينتسب كثير من العلماء كابن سمجون وابي جعفـر اللواتي المعروف بابن الفاصمي من المصامدة .

رحلت اسرته الى طنجة فولد بهـا ونسب الـى هده المدينة فقيل له الطنجي او الطنجوي ، ويلاحـظ ان الشرقيين يشددون الطاء فى اسمه (بطوطـه) ولا يستندون الى حجـة فى ذلك الا ما كان مما ورد فـي المعجم ، اما الجاري على الالسنة بالمغرب فى اسم اسرته فهو بدون تشديد ، والمترجمون المغاربة يضبطونـه بدون تشديد ايضـا .

كانت ولادته فى (17) رجب سنة 703 الموافـق لـ (1304) ، ونشأ بطنجة فى احضان اسرته المدينة وربما لم يكن لوالديه سواه فكان انسهمـا ، وكـانت طنجة فى عهده تعيش فى استقرار وامن ، تزدهر فيها حركة علمية لاشك ان صاحبنا اصابه منها شيء ، وكان ملك المغرب آنذاك الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب المريني محارب بني عبد الواد ومؤسس مدينة المنصورة عرف المغرب فى عهده ازدهارا اقتصاديا منقطع النظير حيث شاهدت عاصمة المرينيين (فاس) تفاخرا فـي البناء والعقار والرياش ، وهاجر كثير من الاندلسيين الى المغرب عن طريـق طنجـة وسبتة ، وبعد ميلاده باربع سنوات تأسست مدينة تطوان وكان تأسيسهـا بقرب مدينة طنجـة لايـواء الاندلسيين الغرناطيين للتخفيف عن طنجة التي ضاقت بكثرة الواردين عليها مـن الانـدلس .

ونشا ابن بطوطة فى هده المدينة الزاهرة فى اسرة دينية اشتهرت بالقضاء ، فهو ولبد اناس عريقين فـي المجد الديني ، وآخر ما نعرفـه منهم محمد بن يحيى ابن بطوطة قاضي رندة ويذكر فى رحلتـه (ان القضاء والمشيخة شغله وشغل آبائـه) .

فتعلق ابن بطوطة باسرته ، وبادلها الحب والمودة ولولا ان داعي الحج دعاه لما استطاع فراقها ولما اذن له والده بالسفر ، ولكن مع ذلك فقد تحمل لبعدهمـا وصبا ، ولقي من الفراق نصبا كما يقول فى رحلتـه ، ولكن الغريب من قصته انه لم يكاتب اسرته فى رحلته او على الاقل لم يشر الى ذلك فى رحلته وما عسى ان يصله من اخبار المغرب والاسرة عن هـذه المراسلات اللهم الا اخبارا استقاها من الحجاج عن اسرته كمـا ذكر فى رحلته ، ويظهر ان ابن بطوطة لم ياخـذ بحـظ كبير من الثقافة كما يبدو ذلك فى مقدمة ابن جزي الذي كلف بان يكتب كلامه ويهذبه ويعتمد ايضاحه وتقريبه، وكما ظهر فى عبارة شيخ ابن الخطيب فى الاحاطـة . وهذا يشعر ان بضاعته من التاليف كانت قليلة ، على انه بدون شك درس ببلدته النحـو والفقـه ، وكانت دراسة يسيرة كما لاحظ ذلك ابن الخطيب فى الاحاطة نقلا عن شيخه ابي البركات حيث قال : (له مشاركـة يسيرة فى الطلب) وبذلك استطاع ان يلاحظ فى مسجد البصرة لحـن الخطيب الجلي وان يتعجب مـن ذلك فيذكره للقاضي حجة الدين الذي وافقه على ملاحظته،

ابن بطوطة الى حد كبير فى عمله ، فعمل الرحالة هو اعطاء صورة لاحوال القوم الذين يجوب ديارهم وماجرياته الشخصية معهم ، فالرحلة صفحة من التاريخ الاجتماعي الاسلامي فى القرن الثامن .

نهاية ابن بطوطة :

لقد انهى ابن بطوطة بالتعاون مع ابن جزي من انهاء كتابة الرحلة فى 3 ذي الحجة 756 وكانت وفاته سنة 779 أي توفى بعد كتابة الرحلة بثلاث وعشرين سنة ، فابن قضى ما بقي من عمره ؟ .

يذكر ابن حجر انه قرا من خط ابن مرزوق فيما رواه ابن حجر فى كتابه الدرر الكامنة ان ابن بطوطة بقي الى سنة 77 ومات وهو متولي القضاء ببعض البلاد .

ويحدث ابن الخطيب فى النفاضة انه كتب اليه رسالة بصفته قاضي تمسنا يرجوه المساعده على شراء قطعة ارض بجواره لبعدها للفلاحة عند الحاجة حين قرر الاستقرار بالمغرب ، فكانت وفاته اذا وهو قاضي سنة 777 او سنة 779 حسب رواية كثير من المؤرخين وبالاخص من رجال الاستشراق .

ويتحدث عن ضريحه بطنجة ولكن لاسند لذلك لوفاته قاضيا بتمسنا ، ولان اسم صاحب الضريح احمد بن علال وليس هو الاسم المعروف لابن بطوطة (المشاهير لكنون) ، ولو احتفظ الصينيون برسوم الغرباء وهذا لاستبعد لوجدنا صورة ابن بطوطة ضمن هذه القوائم لانه ذكر فى الرحلة انهم صوروه عده مرات

عصر ابن بطوطة :

شاهد العالم الاسلامي فى عصر ابن بطوطة شبه اطمئنان بعد الفورات المتوالية عن الغزو المغولي ، فقد انتهت الخلافة العباسية من بغداد وتركزت السلطة الدينية فى القاهرة التي تزعمت العالم الاسلامي كخليفة لبغداد ، اما العناصر التركية التي اودت بحياة الخلافة فقد انسحبت عن جوف الدولة الاسلامية الى الاطراف واصبح همها فتوحا جديدة تكسبها مجدا طريفا فادى ذلك الى الفتوح الجديدة فى الهند والسند .

اما المغرب فقد كان يعيش تحت ظل بني مرين الذين كانوا يسعون بدورهم الى توحيد شمال افريقيا تحت سلطتهم وارجاع الامبراطورية الموحدية تحت حكم الزناتيين ، وكان بنو حفص بتونس يستمرون على الولاء للمغرب ، اما تلمسان فكانت تحت امرة بني عبو الواد تقاوم نزعة بني مرين وتضايق تونس والمغرب ، ولكن بني مرين اصروا على تحقيق امنيتهم ، وفى عهد الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب المريني ناسست مدينة المنصورة ، ثم حاصر ابو الحسن تلمسان ففضى عليها سنة 735 ، ثم دخل الى تونس بحفاوة سنة 748 فصارت مملكته تضم الاقطار الثلاثة وتمد الى رندة بالاندلس حسب تعبير ابن خلدون ، وقد تقدم المغرب اقتصاديا فتشاهد رخاء وتطوروا صناعيا هائلا وبالاخص فى صنع الساعات المائية كتلك التي كانت بمدرسة ابى عنان .

وقد هاجر الاندلسيون فى عهد الناصر فسموا باقتصاد البلاد ، واصبح المغرب الاقصى جناح العروبة الغربي وارسل ابو الحسن السفير فارس بن ميمون الى الملك الناصر ابن قلاوون صاحب مصر والشام والحجاز حيث اعلمه بفتح تلمسان وتحسين المواصلات وتنظيم مراكب الحج ، كما ارسل عمر بن يحيى وعطية ابن مهلهل والمزوار الى الناصر ايضا مع هدية ثمينة فيها مصحف بخط ابي الحسن الى المساجد الثلاثة مع اوقاف عليها .

وكذلك واصل ولد الناصر ابا الفداء واتصل بملك مالى منسي بن موسى الذي لقيه ابن بطوطة فى رحلته وكانت غانة من بلاد الاسلام العظيمة كما كان ملكها من عظماء ملوك الاسلام ، ويروي ابن فضل الله العمري ان منسي بن موسى سلطان التكرور من السودان المغربي حج سنة 724 وسأله والي مصر عن كيفية انتقال الملك اليه فحدثه عن والده وتجهيزه لمئتين من السفن لتخبره بنهاية البحر ثم ارسل له بعثة اخرى بعد ضياع هذه تحت ارشاده .

ويذكر الادريسي المشهور ان ملكها من العلويين من اسرة بني صالح ، ويروي ابن سعيد المغربي المتوفى سنة 673 فى كتاب الجغرافيا (موجود بخزانة باريس) ان بنفانة محل سلطان بلاد غانة وهو من ذرية الحسين بن علي عليه السلام .

بالغ فى الاعتماد على العقل وارتكز كثيرا عليه وانكر ما لم يشاهده ، وقد نبهه الى ذلك الوزير فارس بن واردار ، سيما وقد ايد ابن بطوطة الرحالون الاوربيون الذين زاروا الشرق بعده مثل فربسكو بالدي ، وماركو بولو ، اما ما ذكره دوساسي فى المجلة الاسيوية من كونه اهتم بسرد الخوارق والمعجزات والكرامات فهو يتفق وعقلية ابن بطوطة وعصره الذي كان عصر الكرامات والزوايا .

رحلتـــه :

تحول ابن بطوطة من حاج الى رجل جوال آفاق، وقد طمح ان يطوف بالعالم المعروف فى عصره فقد شاء فى مقتبل عمره ان يحج غير ان طبيعته كانت تملي عليه ان يرحل الى اطراف المعمور ، ولعل مسقط رأسه طنجة كان باعثا على هذه الاسفار لانها معبر للتنقلات ومدينة فى موقع يتصل بالعالم اجمع ، وفى الرحلة انه التقى فى عبدان باحد العباد الذي دعا له بقوله بلغك الله مرادك فى الدنيا والآخرة ، وقد عبر ابن بطوطة عن مراده فى الدنيا بقوله ان يجول العالم ، غير انه رغم وصوله الى اقصى العالم القديم فى (خان بالق) فانه لم يتمكن من رؤية شمال الاندلس ولم يتجاوز الجنوب الشرقي منها فضلا عن فرنسا وانجلترا وايطاليا وصقلية ، مع ان الكثير من سلفه قد تعرف على هذه البلاد وكتب عنها الشيء الكثير ، واظن ان الحروب المستمرة بين المسيحيين والاندلسيين حالت بينه وبين تحقق هذه الامنية ، وابن بطوطة اصبح بعد مغادرته المغرب سائحا متجولا همه ان يعرف العالم وسكانه ، واصبح شعاره كما قال فى الرحلة ان لايعود من طريق سلكها ما امكنه ذلك .

ترك ابن بطوطة طنجة سنة 1325م ولم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره قاصدا مكة ، غير ان هذه الرحلة الى الحج انقلبت الى جولة استغرقت اربعا وعشرين سنة شملت افريقيا الشمالية وآسيا وتعرف خلالها على أهم عواصم العالم القديم وحج اثناءها ست مرات ، وقد كانت هذه اهم رحلاته اذ فيها وصل الى الصين والهند وفيها ولي القضاء مرتين مرة فى دلهي ومرة فى ذيبة المهل ، وكان ابن بطوطة ينوي زيارة الهند عن طريق اليمن غير انه لم يجد المركب والرفيق فذهب الى مصر ومنها الى العلايا ليسلك طريق البر .

اما الرحلة الثانية فابتدات من فاس 1350 م واستمرت سنة واحدة وكانت غاية ابن بطوطة ان يجاهد ويرابط ضد (الفونس 11) ملك الدولة المسيحية بقشتالة وكانت دولته اخذت تنمو نموا مطردا على حساب الدولة الاسلامية فى غرناطة ولكن ابن بطوطة لم يلبث ان اصبح متجولا كعادته فلم يقم طويلا ليجاهد ويرابط ولم يخض معركة وانما اخذ يتنقل من بلد الى بلد ليصفها وصف السائح فى السفر، ولما رجع الى فاس لم يقم الا فترة ليوالي سفره في افريقيا السوداء .

واما الرحلة الثالثة والاخيرة فابتدات من فاس فى سنة 1352م وتعتبر من اهم الرحلات نظرا لكون ابن بطوطة من القلائل الذين غامروا فى ذلك الصقع النائي، والغالب ان ابا عنان ارسل ابن بطوطة الى هذه الناحية ليتصل بملوكها وامرائها ويحيي العلائق التجارية والسياسية معها وقد كان ابو الحسن واصل ملك مالي منسي بن موسى ، ابتدأ رحلته الى سجلماسة فتغازي زاغري كارسخو ــ مالى قرى منسي تنبكتو ــ كوكو ــ كهار ــ هكار . ثم رجع عن بودا الى سجلماسة فدار الطمع ففاس .

والجدير بالذكر ان هذه البلاد قد استرجعت بعد استقلالها اسماءها التي احتفظت بها رحلة ابن بطوطه وقد حاول المستعمرون ان يطمسوا هذه الاعلام فكنا نجد صعوبة فى فهم موقع مالي وغيرها لان اسم ساحل العاج والكلمات الغربية غلبت على المصطلحات الاهلية .

وملاحظة ابن بطوطة فى هذه الاصقاع ملاحظة رجل حنكته التجارب وخبر المجتمعات فكانت مفيدة جدا ، اضف الى ذلك ما فى رحلته بصفة عامة من معلومات عن الاقتصاد ، وتبادل الانتاج الفلاحي والزراعي والمواد الرئيسية المجلوبة من سائر الاقطار ، ووصف الحيوانات النادرة ومكانها وقد خص فؤاد صروف هذا الموضوع ببحث دقيق ، على ان ابن بطوطة ظل يخطيء فى نهر النجير ويسميه نهر النيل رغم ان الادريسي وغيره عرف ينابعه ، ورغم ان المرابطين فى الجنوب يعرفون الكثير عن انهار افريقيا السوداء ، مما يدلنا ان ابن بطوطة لم يكن يطالع كتب الجغرافية والرحلات ، وانما كان جوالا مشاهدا فقط، والواقع اذا كان عمل المؤرخ هو سرد تجربة الامم ، وعمل الرحالة هو سرد تجربته الشخصية فقد وفق

(والثاني) ان يورد لفظه على وضعه ، (والثالث) ان يرجع الى المصادر القديمة ككتاب البكري ورحلة ابن جبير ويكون ذلك في اول الفصول كحديثه عن الاسكندرية او عن دمشق وغير ذلك ، ولذلك يكثر ابن جزي من الاوصاف عندما يذكر اسماء البلدان والعواصم المشهورة كدمشق والقاهرة .. الخ ، وكتب ابن جزي كذلك عناوين لبعض الامور المهمة في نظره . وكان اذا شك اعتمد على الراوي فنسب اليه كل شيء ، واجتهد في نفس الوقت ان يفيد المشكل من اسماء المواضيع والرجال بالشكل التنقيطي وشرح ما يمكن شرحه من الاسماء والكلمات الاعجمية حتى لا تلتبس على الناس . وهذا التحرير على هذا النحو يظهر التناقض بين بحث نقدي وبحث يحاول سرد الحوادث فلذلك يكون تارة نقدا عابرا اخويا ولكنه في نفس الوقت جديا ، ولا سيما عندما يكون المحرر ينقل عن ابن بطوطة بنفسه .

اما اسلوب الرحلة فتظهر فيه نفاسة التعبير عند ما يكتب المحرر نقط الموضوع في اسلوب خاص او عند ما يحاول ان يحسن العرض والوصف ولا شك ان ابن جزي هو الذى ضمن الكتاب عدة نقول عن ابن جبير وغيره ، وعند ما يتوخى الكاتب عبارات ابن بطوطة يسهل الاسلوب الى حد كبير فيصبح يتجاوز الانشاء المنحط احيانا ويبدو خاليا من التأليف والترسل .

قيمـة الـرحلـة :

للرحلة اهمية كبرى من جهة معلوماتها القيمة عن العالم الاسلامي في القرن السابع عشر حيث يتضمن وصفا للبلاد وحكايات ، وقصص وخرافات وتحقيقات تاريخية مهمة ، ولا سيما في الصلات بين اجزاء العالم القديم والمظاهر المتعلقة بالعوائد والتقاليد للسكان وابن بطوطة وان كان كثير الذكاء فهو كما يقول بروكلمان كثير الملاحظات وقد اغرق في الاعتقاد بالكرامات واقتناص الخوارق حتى اتهمه دوساسي في المجلة الاسيوية بالخروج عن الموضوع والتصديق الساذج بكل ما يقال (انظر الروائع) . ولا يخفى ان ابن بطوطة كان صادقا فيما يروى من كرامات وخوارق لانه كان يعتقد ذلك ، وكان همه ان يسرد ذلك وبالاخص في عصر كعصر بني مرين الذى حفل بالاولياء والصالحين ولهذا فقد ذكر في رحلته اسانيد العلماء ، وما اخذه عن مشايخ الصوفية باصبهان وغيرها طبقا لما كان معمولا به في الماضي .

انتشـار الرحلـة :

لقد كتب ابن جزي رحلة ابن بطوطة في اسلوب سهل حتى يتأتى للجميع ان يقرأها بسهولة وتوخى الكلمات السهلة الفصيحة مما حدا بكثير من كتاب الشرق كالبستاني في الروائع والدكتور زيادة في كتابه عن رحلتي ابن جبير وابن بطوطة والمعلقين على مهذب الرحلة الى اتهام اسلوب الكتاب ، والغريب ان الجميع يعلق على كثير من الكلمات ويشرحها شرحا غريبا لايناسب ما يقصده ابن جزي الذى كان ينتقي الكلمات العربية التي لم تستعمل في المشرق فتظهر عامية لمن لم يمارس العربية بدقة ، وذلك لتسهيلها على القارىء المغربي وقد تصدى الاستاذ كنون للرد على الدكتور مصطفى زيادة .

ابـن بطوطـة ورحلتـه :

لست اشك ان عودة ابن بطوطة الى المغرب اثارت فضول رجال الفكر والقلم ، وقد تطوع ابن جزي اول الامر بكتابة الرحلة كما يظهر في غضون الكتاب حيث ذكر انه اجتمع في غرناطة بابن بطوطة وقال عنه : (ومتعنا الشيخ ابو عبد الله باخبار رحلته وقيدت عنه اسماء الاعلام الذين لقيهم واستفدنا منه الفوائد العجيبة) ، ولا شك ان ابا عنان المريني اختار الاديب ابن جزي لينقل الرحلة باقتراح ابن بطوطة كما يظهر من هذا النص ، وكان ابن بطوطة يفتخر بجولاته فلذلك اهتم الناس بها كثيرا ، ومما يدل على افتخاره بها ما قاله السائح المصري الذي لقيه بالاندلس فذكر عنه انه جال الارض الا انه لم يدخل الصين وسرنديب والمغرب والسودان ، اما انا (يعني ابن بطوطة نفسه) فقد زدت عليه بدخول هذه الاقاليم .

وقد كان كثير من مواطنيه يكذبونه وبالاخص فيما كان يروى عن الهند ، وشايعهم ابن خلدون في ذلك وان كان بعض مترجمي ابن بطوطة ظن ان نص ابن خلدون في الدفاع عنه لا في اتهامه ، فالظاهر العكس وقد نهاه الوزير فارس بن وردار نهاه عن انكار ما لم يره . وحاول ابن خلدون ان يضع مقياسا لاخبار ابن بطوطة حيث قال : فليرجع الانسان الى اصوله وليكن مهيمنا على نفسه ومميزا بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته . فما دخل في نطاق الامكان قبله ، وما خرج عنه رفضه ، وليس المراد الامكان العقلي وانما المراد بحسب المادة التي للشيء . .

وقال نجم الدين الحراني المتوفى سنة 700 ان غانة مدينة عظيمة سميت باسم اقليمها وهي اكبر بلاد السودان واوسعها قطرا ومتجرا ، ولهم زوارق فى النيل (النيجر) عظيمة ، ولها ملك كبير كثير الجنود وله ممالك كثيرة . وقد ايد ابن خلدون ما ذكره هؤلاء وشك فى شرف اصحابها بدون سبب معقول ، والمهم ان ابن بطوطه ذهب الى السودان وتعرف بهذا الملك العظيم ويظهر انه توجه الى هذه الناحية بطلب من ملك المغرب فى سفارة الى منسي سليمان ولذلك أمره بالعودة الى المغرب وهو فى تكدا ولم يشر ابن بطوطة الى هذه السفارة ، ترى الانه كتمها ؟ ام انه استدعاه ليدون رحلته او هناك سبب لم نذكره المؤرخون .

وترجع محاولة ابن الحسن لتحسين صلته بالقاهرة الى المكانة التي اصبحت تتمتع بها بعد بغداد ، ويحدثنا ابن بطوطة عن وجود سلطان افريقيا المخلوع زكرياء اللحياني بالاسكندرية وعناية حكومة القاهرة به ، وعن وجود محمد المراكشي الذي زعم انه ابن المرتضي الموحدي وسنه 95 سنة فى عذاب فقد اصبحت مصر ملجأ النازحين من المغرب والاندلس بسبب اضطراب الامور بها ، وكانت دولة المماليك بلغت الاوج وامتدت حدودها شمالا حتى قيليقية ، وجنوبا الى ما وراء الحجاز ، وغربا الى افريقيا وشرقا الى الفرات . اما فى العراق وفارس فكانت دولة ايلخانات المغول ، وفى البلاد الشمالية حتى نهر الفلجا فكانت دولة القبلة الذهبية المغولية ، كما كانت دولة مغولية اخرى (الثالثة) فى بلاد ما وراء النهر حتى الصين ، وفى الهند حكمت دولة اسلامية الى معظم شبه الجزيرة وصول هذه الدولة دويلات اسلامية مبعثرة فى آسيا الصغرى وافغانستان وشواطىء المحيط الهندي ، وقد درس العالم الاسلامى فى هذا العصر الدكتور زيادة فى كتابه عن ابن بطوطة . واعانت هذه الوحدة الاسلامية المتناسقة ابن بطوطة على اداء رحلته فى جل البلاد الاسلامية وكان المغاربة مبثوثين فى عدة وظائف ببلاد الشرق وذلك ما ساعده على التوغل فى عدة بلاد ، فديوان التفتيش فى قطيا وهي مركز الحدود بين مصر ودول المغول كان به مغربي يقوم بمهمة التحقيق فى مغربية المسافرين ، ولقي في سجلماسة قاضيا عرف اخاه فى الصين كما انه يستأنس باليمنيين فيسجل التشابه بينهم وبين المغاربة فى كثير من الاحوال مما يقوي القول بان صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب اصلهم من البربر، وكذلك أخبره منسي موسى ان فى خليج السودان قاض من البيضان يكنى بابي العباس الدكالي فى هذه البلاد النائية .

شاعرية ابن بطوطة :

كان ابن بطوطة شاعرا مقلا وهذا ما لايعرف فى ترجمته وقد اورد لنا فى الرحلة قصيدة قالها فى ملك الهند ومع الاسف لم يسرد منها الا سبعة ابيات هي كل ما نعرف من شعره ومطلعها :

اليك أمير المؤمنين المبجلا
اتينا نجد السير نحوك فى الفلا

فجئت محلا من علائك زائرا
ومغناك كهف للزيارة آهلا

فلو ان فوق الشمس للمجد رتبة
لكنت لاعلاها اماما مؤهلا

فانت الامام الماجد الاوحد الذي
سجاياه حتما ان يقول ويفعلا

ولي حاجة من فضل جودك ارتجي
قضاها وقصدي عند مجدك سهلا

أاذكرها ام قد كفاني حياؤكم
فان حياكم ذكره كان اجملا

فعجل لمن وافى محلك زائرا
قضا دينه ان الغريم تعجلا

كتاب تحفة النظار :

هل كان ابن بطوطة رحالة بالمعنى العلمي ؟ وهل كان ابن بطوطة عالما مفكرا ؟ لعل من البديهي ان ابن بطوطة لم يكن الا رجلا متسع العقل راغبا فى الجديد الغريب ينبع رغبته بحبه للاسفار البعيدة ، ثم صور ذلك فى كتابه بجمل مقبولة واعجاب ساذج وملاحظة فاكهة لا تخلو من دقة نظر ، ولم يكتب ابن بطوطة رحلته وانما دونها شاعر وكاتب من بلاد فاس هو محمد ابن جزي احد اولاد العالم ابي القاسم ابن جزي المتوفى سنة 757 بامر من السلطان ابي عنان المريني بعد ان استمع السلطان الى روايتها فأعجب بها وخشي عليها الضياع ، وقد نقلها بثلاث اساليب ، (الاول) ان ينقل كلام الشيخ بالفاظ موفية للمقاصد التي قصدها،

سيبويه

للأستاذ: عبد القادر زمامة

سيبويه الكتاب .. وسيبويه امام النحو والنحاة فى اللغة العربية .. طوى الحديث عنهما او كاد .. فالكثير من رجال العلم والبحث لا يكلفون انفسهم عناء البحث عن هذا الكتاب .. الذي هو كتاب النحو العربي الاول .. والكثير منهم لا يكلفون انفسهم عناء البحث عن مؤلفه .. وهو الامام الذي ظلت اقواله وآراؤه محور احاديث ودروس رجال اللغة والنحو والادب عدة قرون .. وظل كتابه محور الدراسة والشرح والتعليق والنقد فى عواصم الحضارة الاسلامية شرقا وغربا عدة قرون ..

فهل يتاح لسيبويه ان يحيا فى معاهدنا العالية من جديد .. ؟ وهل يتاح لكتابه ان يطبع من جديد ويدرس من جديد .. ؟

اذا كان النحاة واللغويون والمؤرخون متفقين على امامة سيبويه الكتاب .. وسيبويه المؤلف .. فانهم مختلفون اشد الاختلاف فى اشياء اخرى من حياة الكتاب . وحياة المؤلف ، وصلة الكتاب بمؤلفه . والكيفية التى تم بها انجازه على الصورة التي بين ايدينا ..

وسنحاول ان ندرس معهم حياة سيبويه المؤلف – فى ايجاز – لنصل الى حياة سيبويه الكتاب .. اذ هي الهدف الذى نرمي اليه من هذا البحث ..

فالمؤرخون لا يكادون يختلفون فى ان سيبويه فارسي الدم ، وانه ولد فى قرية – البيضاء – ✻ قرب شيراز .. المدينة الفارسية الشهيرة .. وان تاريخ ميلاده مجهول .. بسبب انه نشأ فى وسط لا يمت الى الجاه والشهرة بصلة .. فى عصر كان ينظر فيه الى – الموالى – نظرة خاصة معروفة ...

ويحدثنا الزبيدي فى الطبقات ✻ ان سيبويه كان مولي بنى الحارث بن كعب .. ولكنه لم يشرح لنا نوع هذا الولاء .. اكان ولاء عتق .. ام ولاء اسلام .. ؟ ولكل منهما نظام خاص فى المجتمع اذ ذاك

وينتقل سيبويه من وطنه الاول فى شيراز الى وطنه الثانى فى البصرة فى عصر كانت فيه الثقافة الاسلامية تتمخض لتنتج علوم الدنيا والدين ..

ويحدثنا القفطي : ✻ ان سيبويه صحب فى اول ايامه الفقهاء واهل الحديث .. ويردد كثير من المؤرخين ✻ قصته مع شيخه حماد بن سلمة التي كانت السبب فى تحول اتجاهه العلمي من علم الفقه والحديث الى علم اللغة والنحو .. حيث اتصل بالخليل بن أحمد واصبح من اخص تلامذته .

✻) بغية الوعاء ص 366 .

✻) طبقات النحويين واللغويين ص 66 .

✻) انباه الرواة ج 2 ص 255 .

✻) طبقات النحويين ص 66 .

غير ان المقياس المنطقي هو مقابلة اقوال ابن بطوطة بمن جاء بعده من الرحالين ومن سبقه ، فنضح من هذا صدقه حيث ان فريسكو بالدي الذي زار مصر بعده بنحو 60 سنة ايد اقواله تقريبا ، وكذلك ماركو بولو في الصين والهند كان كلامه مصدقا لما جاء في رحلة ابن بطوطة ، على ان ابن جزي كان يشك في بعض الاحيان فيما يكتبه من اقوال ابن بطوطة فيقول : واوردت جميع ما اورده من الحكايات والاخبار ، ولم اتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار ، كما شك المستشرف فران Ferrand الاختصاصي في الشؤون الصينية، وكاد يجزم ان ابن بطوطة لم يزر الصين لكثرة اوهامه واخطائه ، وقد ارتكب ابن بطوطه بعض اغلاطه الجغرافية نتيجة اعتماده على الذاكره حيث فقد مذكراته في رحلته الاولى بعد سفره من بخارى . كوضع نهر العاصي في حلب بدل نهر القويق وخلطه بين بحيرتي برلس وتنيس ، كما اخطأ حين زعم انه رأى قبر ابي يوسف يعقوب المنصور في ضواحي بيروت والواقع ان هذا القبر ينسبه المؤرخون لابي يعقوب يوسف وقد بسط مؤلف الروائع هذا الموضوع .

على ان هذا لايطعن في امانته الواضحة في عدم التلفيق واختراع الاسماء ، حتى ان دوزي سماه بالرحالة الامين ، بل دافع ابن مرزوق ما اتهم به المعاصرون ابن بطوطة من الكذب والاختراع وزاد قائلا : لا اعلم أحدا جال في البلاد كرحلته وكان في ذلك جوادا محسنا ، وكذلك ذكر ابن الخطيب في الاحاطة نقلا عن خط شيخه ابي البركات ابن الحاج بان له مشاركة في الطلب وبعد ان اشار باجمال الى رحلته قال : انه حكى بالاندلس احوال المشرق وما استفاد من أهله فكذب .

ولقيه ابن الخطيب في قبلة وسهر معه في بستان ابي القاسم ابن عاصم واخبرهم في ذلك المجلس انه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينية ، وهي على قدر مدينة مسقفة ، وفيها اثنا عشر الف أسقف ، وعقب ابن الخطيب على هذا بقوله : قلت واحاديثه في الغرابة ابعد غورا من هذا ، غير ان هذا الاجتماع الذي ذكره ابن الخطيب حضره كاتب الرحلة ابن جزي ولا يصف هذا الاغراق والغلو الذي ذكره ابن الخطيب .. ولا يجوز له كناقد امين ان يبادر الى التكذيب .

الرباط : الحسن السائح



ومن هنا نجد الخلاف كبيرا بين المؤرخين فى تاريخ وفاته ومكانها .. ونقل نصوصهم والمقارنة بينها يستدعي وقتا طويلا نحن فى حاجة اليه لدراسة الكتاب ...

والذي يظهر ان سيبويه عاد الى وطنه الاول ـ البيضاء ـ قرب شيراز وانه توفي بها بجوار اخيه الذى حضر هذه الوفاة ※ سنة 180 هـ .

ولننتقل الآن الى الحديث عن سيبويه الكتاب وهو التراث الذي بقي بين ايدينا شاهدا على عقلية ومنهجية غريبتين فى بابهما ..

كتب ابن النديم فى المقالة الثانية من كتابه الفهرست فصولا قيمة فى اخبار النحويين واللغويين واسماء كتبهم .. ونشأة النحو العربي ، وتطوره منذ فجر التاريخ الاسلامي الى عصره .. واهمية هذه الفصول من الناحية التاريخية ترجع الى انها تحدثنا عن عمل النحاة ومؤلفاتهم قبل سيبويه .. كما انها تحدثنا عن عملهم بعده يوم اصبح كتابه اماما لهم .. ولكن شيئا من مؤلفات النحاة قبل سيبويه لم يصلنا ولم نطلع على اسلوبهم ولم نعرف طريقتهم الاولى .. وبذلك ظل ـ الكتاب ـ محتفظا بمكانته كاقدم كتاب فى النحو العربي وصل الينا حتى الآن ..

واول ما نلاحظه على الكتاب انه لا مقدمة له تشرح لنا خطة المؤلف واتجاهه فى التدوين .. كما انه لا خاتمة له تلخص ما وصل اليه المؤلف من ابحاث .. وهذا يعني ان المؤلف توفي والكتاب لم يأخذ صفته النهائية .. وحتى التسمية مهملة .. ولم يسم المؤلف كتابه اسما خاصا .. وانما سمي بعده بـ (الكتاب) و (كتاب سيبويه) ، وبسبب ذلك هم بعض النحاة ان ينسب الكتاب لنفسه وان يدعي انه من تأليفه .. لولا افتضاح الامر ※ ...

اما مادة الكتاب التي تطالعك فى سائر الابواب ، فهي مادة غزيرة فيها آيات من القرآن الكريم .. وفيها امثال وجمل تروى بين الناس .. والفاظ لغوية منها العربي الفصيح ومنها المعرب ، ومنها الاعجمي .. وشواهد من الشعر ، منها المنسوب ، ومنها ما ليس له نسب الى قائل معين .. وامثلة للاعراب وبيان التراكيب المستعملة لتطبيق قاعدة من القواعد ..

ولعلك تلاحظ ان سيبويه لا يستشهد بالحديث النبوي الشريف ، ولا يأتي به لتفسير مفردة لغوية او تطبيق قاعدة نحوية .. وهذا غريب .. مع انه طلب الحديث فى شبابه المبكر ، فلعله كان يتقي ذلك بسبب تساهل الرواة فى نقل الحديث بالمعنى لا باللفظ .

أما الطريقة التي يعرض بها سيبويه هذه المادة لقراء كتابه ودارسيه فهي طريقة تكاد تكون متفقة مع طرق التعليم العصرية .. فهو يعرض امامك المادة اللغوية : تراكيب والفاظ ، عرضا وافيا ثم يفتتح المناقشة ليستنتج النتائج المطلوبة من القواعد النحوية واحكامها ، وكثيرا ما يترك لك فرصة الاستنتاج بنفسك بعد ان يمدك بالعناصر الكافية ، فهو اذن ينتقل من التفصيل الى الاجمال ومن الامثلة الى القاعدة .. ونجده احيانا يعكس هذه القاعدة تماما .. فيذكر الاحكام ويعقب عليها بعدة امثلة وشواهد توضح مجملها وتنشر خفيها .. وهذا كله معروف فى طرق التربية والتعليم الحديثة ...

والذى يدرس كتاب سيبويه يرى الفرق الواضح بينه وبين الجامدين من النحاة الذين ظنوا خطأ ان النحو هو الاعراب فقط ، فراحوا لا يكادون يهتمون الا بالناحية الشكلية لاعراب آخر الكلمات ..

مع ان النحو فى كتاب سيبويه هو البحث عن الجمل والتراكيب من حيث استقامة المعنى والتركيب واللفظ ، فهو اذن نحو حي مفيد يربي ملكة الفهم فى الطالب من جهة ، وملكة البيان والتعبير من جهة اخرى

※) الزبيدى ص 73 \ 74 .
※) الفهرست ص 59 وما بعدها ط الرحمانية بالقاهرة 1348 هـ .
※) نزهة الالباء ص 185 \ 186 .

وفي حلقة الخليل عرف سيبويه نابغة العرب الاول ، واقتبس من معينه الفياض .. غير انه لم يقطع الصلة بينه وبين شيوخ ❊ آخرين في اللغة ، والحديث ، والنحو .. بل انه خرج من حلقات الدروس للسماع من فصحاء الاعراب .. واهل الرجز منهم ، وكثيرا ما يذكر في ـ الكتاب ـ سماعه من العرب الموثوق بعربيتهم ❊ ...

ولهذا يقول الزبيدي : (قد تعلق من كل علم بسبب ، وضرب فيه بسهم ❊) فهو اذن ليس نحويا فقط بل ان له ثقافة واسعة في الفنون التي كانت سائدة في عصره ..

ومن الكتاب نعرف مقدار تأثر سيبويه بشيوخه، كالخليل ويونس بن حبيب ، وابي الخطاب الاخفش ، وابي عمرو بن العلاء وغيرهم ...

فهو حينما يروي عن الخليل يقول : قال الخليل، وسألت الخليل . وحينما يعقب عليه يقول : وقال غيره .. وقد تكرر ذلك في الكتاب مآت المرات ..

وحينما يروى عن الاخفش يقول : قال ابو الخطاب ويعني به الاخفش الاكبر . وقد تكرر ذلك في الكتاب عدة مرات ايضا فالحظ الاوفر هو بدون جدال للخليل عمدة سيبويه وامامه ..

وكما اخذ سيبويه عن شيوخ البصرة ، فقد اخذ عنه طلبتها الذين اصبحوا بعده شيوخا ، وتأثروا بطريقته في النحو العربي .

غير ان مؤلفه في ريعان شبابه قد حال دون نمو عدد هؤلاء فاصبح سيبويه ـ الكتاب ـ هو الشيخ وهو العمدة وهو الاستاذ .. بعد موت سيبويه ـ المؤلف ـ .

ولا يستطيع دارس حياة سيبويه ان يغفل مهما اغفل تلك المناظرة التي نظمت في بغداد بين الكسائي شيخ الكوفة ، وسيبويه شيخ البصرة .. فهي مناظرة لها ما قبلها في الدسائس السياسية ، والمؤامرات الحزبية كما لها ما بعدها في الحياة العلمية والمذهبية في كل من البصرة والكوفة وبغداد .

فنحن على علم ان سياسة العباسيين كانت ضائعة مع الكوفة والكوفيين ، بسبب ان اهل الكوفة كانوا منذ ظهر الحزب في الاسلام يميلون نحو اهل البيت .. كما ان اهل البصرة كانوا نحو العثمانية والاموية يميلون ..

وليس من المنتظر من العباسيين ان يتخذوا من اهل البصرة اساتذة او شيوخا لابنائهم .. وليس من المنتظر ان يرفعوا من شأنهم بتشجيع او تأييد . وقد اتخذ الرشيد من الكسائي استاذا لابنيه الامين والمأمون .. وسار من بعده من الخلفاء في نفس هذا الاتجاه وهذا الاختيار ..

والنصوص التاريخية التي بين ايدينا كلها تدين يحيى بن خالد بن برمك الذي جمع بين شيخي البصرة والكوفة ، ودبر المؤامرة لغلبة الكسائي ، باعداد جماعة من الاعراب تناصر الكسائي عند المناظرة ، وقد انفرد الخطيب البغدادي ـ فيما اظن ـ بالطعن في رواية المؤرخين ❊ وزعم ان المناظرة سارت سيرا طبيعيا وان الكسائي فاز على مناظره بعلمه واطلاعه ، لا بالتأييد السياسي ، من البرامكة ، والعباسيين .

وعلى اي فقد خرج سيبويه مخذولا من بغداد ، وقد انهدم امام عينيه شبح المجد الذي كان ينتظره في عاصمة العباسيين .. فالى اين قصد .. ؟

فيما يخص الظلام على بقية حياته .. فيحدثنا ابن الانباري انه : (سأل عمن يبذل من الملوك ويرغب في النحو فقيل له : طلحة بن طاهر فشخص اليه الى خرسان فلما انتهى الى ساوة مرض مرضه الذي مات به ❊) .

❊) انظر شيوخه في بغية الوعاة ص 366 .
❊) الكتاب جزء 1 ص 450 .
❊) الطبقات ص 68 .
❊) تاريخ بغداد ج 12 ص 105 .
❊) نزهة الالباء ص 185 \ 186 .

الثورة العربية الحديثة

بين آفاقها الإيجابية والسلبية

للأستاذ المهدي البرجالي

ان هناك اساسا لتقدير القيم الايجابية التي يعكسها واقع الثورة العربية كما تتراءى في آفاقها الحاضرة ، وان هناك ايضا مجالا لتاكيد صلتها البناءة غير المباشرة ببعض مظاهر الوعي الملحوظ في نواح من افريقيا والقارة الأسيوية ، الا ان هناك ايضا ضرورة للتاكيد بان هذه الثورة لم تعد في اتجاهها الى التبلور نطاقا تطوريا محدودا ، ومن اللازم ان تتجاوز هذا النطاق المحدود الى غيره وتتسع آفاق التطور الذاتي امامها ليمكنها ان تشكل في النهاية مظهر تقدم انساني عميق الاصول والنتائج وذي ابعاد عالمية واسعة .

ما هي مظاهر الثورة العربية الحديثة ؟ وما مستوى عمق المفاهيم الانسانية والتاريخية التي تعبر عنها ؟ وما درجة ارتباطها بالتطورات العالمية المعاصرة ؟ وما قيمة العوامل التي تكمن وراء تطورها بصورة اساسية ؟ والى اي مدى يساعدنا ذلك على ادراك بعض ظواهر التطور في العالم العربي بجناحيه ؟.

اما ان هناك مجموعة من الظواهر الحية الايجابية تتميز بها حياة العرب اليوم ، فهذا شيء يبدو من الوضوح والجلاء بدرجة كبيرة جدا ، واما ان هذه الظواهر هي من الكثرة والتعدد والشمول بحيث يجوز اعتبارها ــ في بعض الجوانب ــ كبوادر انبعاث حقيقي واصيل ، فهذه قضية قد لا يحتاج التدليل عليها لكثير من البرهنة والاستدلال ، لانها تتلاقى وكثيرا من النواميس التاريخية التي لها اعتبارها في هذا المقام ، ولانها تتصل ــ من جانب آخر ــ بصميم الواقع الحي الذي يعيشه الانسان العربي المسلم ، وهو يبحث عن معالم تاريخه المميز ، ويتحسس مواقع مركزه في معركة الوجود والتطور ، فالنهضة العربية الحديثة ــ باعتبار الحقائق المبدئية الاساسية التي تميز وجودها ــ لم تعد ــ كما كانت من قبل ــ مجرد ظاهرة سطحية عابرة يمكن الارتياب في جدية العوامل المحركة لها ، وقيمة المدلولات الفكرية والتاريخية التي تعبر عنها ، كما انها لا يمكن ــ في اي اعتبار منطقي موضوعي ــ ان تفصل عن اطارها الواسع وتعتبر ــ كما كان يقدر البعض ــ كحركة موضوعية منعزلة تعكس اتجاها محدود المدى والمفهوم سواء من حيث جانبها الانساني التطوري او بالنسبة لما يمكن ان يكون لها من مدلول تاريخي اساسي ، ومراقبة التيارات الانبعاثية المختلفة التي لم تفتأ تتوالى مؤثرة بصورة جذرية او شبه جذرية على مختلف جوانب الحياة العربية المعاصرة ــ ان مراقبة هذه التيارات وتحليل اتجاهاتها وامتداداتها وقياس الخطوط والابعاد التي تنطلق عليها ــ كل ذلك من شأنه ان يقود ــ بالضرورة ــ الى الاقتناع بكثير من الحقائق ، وتكوين استنتاجات غير متشائمة في هذا المضمار ، وقد يشط بنا الحديث لو تتبعنا عناصر هذه الاستنتاجات ، ومقوماتها النظرية كل على حدة ، واستقصينا اصول التطور البحثي الذي يجب ان تؤدي الى استخلاصها من حيث الاساس ، خاصة وان وجهة الموضوع لا ترتكز على هذا في الصميم ، انما

واذن لا غرابة فى ان نجد النحاة الذين درسوا النحو بكتاب سيبويه شعراء وكتابا وخطباء ، بينما نجد الذين درسوا النحو بكتب النحو المتاخرة لا يكادون يخرجون عن نطاق الجدل فى الاعراب وعلله واوجهه ، الصحيح منها والسقيم ...

فكتاب سيبويه ونحو سيبويه كان مادة للنحاة الاولين ، كما كان مادة أساسية لعلماء البلاغة الذين وجدوا فيه ضالتهم المنشودة فى البحث عن اسرار البيان والجمال فى الشعر والنثر ..

واقرا كتابى اسرار البلاغة .. ودلائل الاعجاز لترى كيف استفاد الجرجاني من نحو سيبويه وكيف جعل من ابحاثه فى النحو منهاجا سار عليه لابراز بلاغة الاسلوب العربي واسرارها ..

وقد اصيب النحو العربي والبيان العربي بنكسة كبرى يوم هجر كتاب سيبويه ونسي فى زوايا الاهمال. لتحل محله هذه المختصرات والمنظومات التي تعلم الناس نحوا ميتا غامضا عقيما ..

ودراسة كتاب سيبويه لا تزيدنا الا يقينا بهذه الحقيقة وهى انه ليس كتاب نحو بالمفهوم المعروف الآن ، ولكنه كتاب نحو بالمفهوم القديم الذي يجعل من النحو علما وفنا يعني بالاسلوب العربي وتقويمه ليسير وفق المنهج الذي تستعمله العرب فى شعرها ونثرها .

ونقاد سيبويه قديما وحديثا لم يستطيعوا ان يخرجوا فى دائرة نقدهم عن ناحيتين :

الاولى : ناحية الالتواء والغموض فى التعبير عن بعض القواعد وهؤلاء النقاد يريدون ان يعبر سيبويه عن كل شيء فى النحو بالالفاظ والتعابير الاصطلاحية التي جدت بعده بقرون .. وفاتهم انه كان رائد النحو والبيان يجمع الاشباه والنظائر ليأخذ ـ ولاول مرة ـ القاعدة العامة ..

الثانية : ناحية التكرار والتقطيع ، فهناك اشياء كررت كما ان هناك قواعد قطعت ، فنجد جزءا منها هنا ،وجزءا منها هناك ، وهذا يرجع بالطبع الى ان المؤلف لم يتمكن من النظر فى كتابه وتهذيبه وقد عاجلته المنية فى ريعان الشباب ...

وبعد فاذا كان هذا الكتاب قد هجر فى هذا العصر هجرا يكاد يكون تاما فلا نسمع له وجودا الا فى بعض المعاهد العليا فى الشرق والغرب ... فانه كان محور الدراسة اللغوية والنحوية فى عواصم الحضارة العربية ـ ولا سيما فى المغرب والاندلس ـ ونعثر فى تراجم العلماء الاندلسيين والمغاربة على كثير منهم كتبوا شروحا او تعليقات او انتقادات على الكتاب او شواهده ...

فاس : عبد القادر زمامة



الصراع الجديد المتطور الذي كان لابد ان يخوضه الإنسان العربي ضد عوامل السلبية على اختلاف مآتيها ونتائجها ، وقد اتخذت هذه السلبية ــ منذ ان تداخلت في محيط الفكر العربي والمجتمع العربي اتخذت اشكالا وصورا متعددة تختلف باختلاف الاوضاع العربية ، ولو انها لاتزال تكون قاسما مشتركا يشمل في عمومه مختلف الشعوب العربية كان على الفرد العربي ــ لكي يتخلص من عوامل هذا التقهقر سواءكانت اصيلة او طارئة ــ كان عليه ــ لذلك ــ ان يواجه آفاق صراع طويل من اجل تحرير ذاتيته هو اولا ، ومن اجل تحرير المحيط المادي والمعنوي الذي يكتنف وجوده ، ثم من اجل تطوير هذا المحيط بما يتفق وتيارات الوعي الجديد الدافق ، ومن ثم فقد كان هناك مجال لتعدد مظاهر الصراع ، وتعقد عوامله ومضاعفاته وتطور نتائجه تطورا يتسع مداه ومدلوله باستمرار ، وفي هذا التقدير يجب ان نلاحظ جملة من الحقائق التي تعكس واقع الثورية العربية الحاضرة، وترسم ايضا من ملامحها وقسماتها الاساسية ، ومن بين هذه الحقائق :

1) اتساع المضمون النضالي الاصلاحي لهذه الثورية ، وامتدادها بذلك على قاعدتين متوازيتين :

ا ــ مدافعة القوى التسلطية العالمية ، واقصاء عناصر التأثير الذي ما فتئت تمارسه منذ بعيد والذي كان يتمثل في الاوضاع الاستعمارية القديمة ، وما كانت تفضي اليه من تجميد للامكانات العربية في مختلف الميادين .

ب ــ مقابلة النقائص والادواء الذاتية التي تعود اصولها الى عصور التدهور الحضاري العربي القديم ، والتي ضاعف من حدتها وازمانها اتساع نطاق التفاوت بين الواقع العربي المجمد والحياة العالمية المتطورة .

2) ارتباط الثورية العربية ــ من جانب آخر ــ بنهاية النظام الاستعماري القديم واسهاماتها الضخمة في حركات الاجهاز عليه وامتداد آثارها على مستوى عالمي واسع .

3) تفاعلها مع حقائق التطور الانساني العام في العالم ، وتبلورها ــ بالتدريج ــ وعلى مستويات مختلفة ــ كحلقة مهمة من حلقات هذا التطور ، بل ــ وفي بعض الحالات ــ والجزائر كمثال) كقوة طلائعية رائدة في بعض مجالات تحققه وآفاق امتداده .

وليس من الضروري دائما اعتبار هذه التأكيدات بمعناها المطلق الحاسم ، وخاصة فيما يتصل بنقطة الالتقاء بين الثورية العربية وبعض جوانب الوعي التحرري في المناطق الاسيوية والافريقية ، اذ من الواضح ان هذه الثورية ــ وان كانت تشكل احيانا ــ كما اسلفنا ــ نوع قوة طلائعية رائدة ــ فانها لا تستوعب في الواقع ــ جميع المعطيات الضرورية التي يجب ان ترتبط بها في هذا المقام ، ان هناك اساسا لتقديم القيم الايجابية التي يعكسها واقع الثورية العربية كما نراها في آفاقها الحاضرة ، وان هناك ايضا مجالا لتأكيد صلتها البناءة غير المباشرة ببعض مظاهر الوعي الملحوظ في نواح من افريقيا والقارة الاسيوية الا ان هناك كذلك ضرورة للتأكيد بان هذه الثورية لم تعد في اتجاهها الحالي الى التبلور ــ نطاقا تطوريا محدودا ــ ومن اللازم ان تتجاوز هذا النطاق المحدود الى غيره وتتسع آفاق التطور الذاتي امامها ليمكنها ان تشكل في النهاية مظهر تقدم انساني عميق الاصول والنتائج وذي ابعاد عالمية واسعة .

*

واذا كان معقولا ان تتطور الثورية العربية في اطار من هذا النوع ، فذلك لانه تتوافر لها في بعض الحدود المعينة عدد من المميزات والخصائص التي لا تضمن لها ــ بحق ــ كل ممكنات الاشعاع العام عبر العالم ، ولكنها ــ مع ذلك ــ تضفي عليها اهمية نسبية لا يمكن نكرانها في أي حال ، والواقع ان كل ظاهرة انبعاثية من هذا القبيل لابد ان يتوافر فيها من المميزات والخصائص ما يمنح وجودها صبغة فعالة ومؤثرة ، وما يهيىء لها الشروط اللازمة لاستنفاذ مضامينها التاريخية الممكنة والا فان الظاهرة ــ في حالة معاكسة ــ تكون حينئذ مجرد حالة عابرة قد لاتخلف الا اصداء سرعان ما تتبخر في متاهات الايام والازمان ، والثورية العربية ــ وهي ظاهرة يبدو انها على درجة ما من عمق الوجود والتطور ــ كما تعكسه مختلف الحقائق الماثلة ــ لابد ان تكون ــ بالنظر لاعتباراتها الذاتية والمحيطية ــ ذات ميزات وخصائص صحيحة لها قيمتها من الناحية المبدئية على الاقل ، واولى هذه المميزات تتمثل في قيمة الاستمدادات التاريخية التي تتوافر لها بشكل وافر وبعيد المدى ، فالثورية العربية الحالية لايمكن أن تعتبر

الذي يتعين بالضرورة ناكيده في هذا الصدد هو قيمة الاعتبار المبدئي الذي يجب ان يولى للنهضة العربية الحالية ، وسعة المحتوى الانساني والتاريخي الذي تعكسه بشكل حقيقي اساسي ، وفي الامكان ان نلاحظ بعضا من عناصر هذا المحتوى ، وذلك على اساس التقدير للحقائق الآتية :

ا) باعتبار الجانب الانساني :

1) تطور ملحوظ في بعض القطاعات الاجتماعية المعينة ببعض البلاد العربية .

2) تحول فكري متفاوت القيمة والاثر تلاحظ مظاهره على مستوى فردي او جماعي وان كانت نسبة عمقه لاتزال — مع ذلك — محدودة الى حد كبير .

3) تضاؤل تدرجي في مستوى المؤثرات البدائية الرجعية ، كالتفكير الطائفي والقبائلي وغير ذلك ، وان كان التحسن في هذا المضمار لايزال محدودا بل ونافها في بعض الاحيان .

ب) ومن حيث الاعتبار التاريخي :

1) ارتكاز الوضعية العامة للعالم العربي في المجال الدولي والعالمي .

2) امتزاج فكرة التحرر العربي بمباديء الوحدة والاتحاد ، وذلك على درجات مختلفة وفي نطاق الانجاه المشترك الى تحقيق مظاهر التقدم والرخاء والازدهار .

3) انتصار الفكر السياسي العربي على نطاق واسع ، ونجاحه في مواجهة كثير من التحديات العالمية الراهنة .

على انه اذا كان لنا ان نؤكد — على هذا الاساس — قيمة المضمون الانساني والتاريخي للنهضة العربية الاسلامية الحاضرة فان ذلك لايمكن ان يصدفنا عن محاولة التساؤل حول طبيعة هذه النهضة والخصائص التي تتميز بها على نحو وآخر ، والمدلولات الاساسية التي يمكن ان تعبر عنها في هذه الحالة او تلك ؟ ان النهضة العربية الحالية تتوافر لها — كما اسلفنا — كثير من الاحتمالات الايجابية الخيرة ، الا انه يعسر الادعاء — مع ذلك — بان هذه النهضة قد اصبحت على اية درجة من الشمول والتكامل بحيث تتسع لجميع المفاهيم التي تعبر عن معنى النهضة ومدلولها العام ، ويقوم هذا التقدير على اساس النظرة الى العالم العربي ككل لايتجزأ ، وذلك لايبيح حينئذ عزل مظاهر النهضة في ربوعه بعضها عن بعض ، بل انه من الضروري — كنتيجة لذلك — ربط هذه المظاهر فيما بينها ، وتجميعها في اطار واحد هو اطار النهضة العربية العامة التي تعكس كل عناصر التطور سواء في الاردن أو في مناطق الخليج او العربية المتحدة او المغرب او غير ذلك ، ومن البديهي ان صور البعث والنهوض في مختلف هذه المناطق وغيرها متفاوتة القيمة والنتائج تفاوتا يمتد على جميع الابعاد اجتماعية واقتصادية وثقافية وغيرها ، وهذا التفاوت في مظاهر الانبعاث ونتائجه هو من ابرز العوامل السلبية التي تؤثر — عمليا — على سير التطور الوحدوي العربي، وتقلل من سرعة اندفاعه وامتداده .

ويؤول بنا السياق الى التساؤل من جديد حول طبيعة النهضة العربية الحالية والمدلول الاساسي الذي يمكن ان يعبر عنه في مختلف الحالات ؟ وقد نسير بعيدا في استبطان الظواهر المتصلة بكل ذلك ، وقد نمعن في فحص الكثير من هذه الظواهر وتقليدها ، وليس من ريب اننا سنلاحظ على اساس هذا ان هذه النهضة العربية لايمكن ان تنفصل عن اطارها الثوري التاريخي ، كما لايمكن ادراك الكثير من معطياتها وجوانبها الا على اساس التقدير الكامل لما يعبر عنه وجود هذا الاطار ، وذلك نتيجة لطبيعة الظروف الخاصة التي صاحبت نشوءها ، وطبيعة العوامل الذاتية من فكرية ووجدانية وغيرها تلك التي ساعدت على اذكائها وتعميقها بصورة من الصور ، وقد ترعرعت هذه اليقظة بالفعل في ظلال الآلام والتجارب القاسية المضنية ، وما كان للنازلات والقوارع التي ما فتئت تتوالى على مسرح الحياة العربية — خلال عقود مديدة — ما كان لهذه النازلات والقوارع الا ان تضاعف من عناصر الايجابية في هذه اليقظة ، وتتيح لها فرصا حقيقية للنمو والتبلور والتفتح ، وتفسح امامها مجالات التفاعل مع الواقع الذي يعيشه الانسان العربي ، والاحاطة بهذا الواقع احاطة نسبية ، والاسهام في تطويره وتجديده على شكل من الاشكال .

لقد كانت الثورة العربية — اساس النهضة الحالية — كانت هذه الثورية في الواقع مظهر انطلاق جديد وتطور جديد ، لكنه لم يكن من الممكن ان يتحقق لذا الانطلاق والتطور مدلول واقعي حقيقي الا في غمرة

نحو يختلف فى مدى عمقه وقوتـه ، وقد كان للعامـل الديني السليم ، وبكل ما ينطوي عليه من مضاميـن تطورية خلاقة ــ كان لهذا العامل قـدر من التاثير له اهمية بالغة فى هذا المجال ، والامر فى ذلك لا يختـص بالعرب وحدهم، بل انه يعم مختلف الجماعات الاسلامية التي استطاعت ان تستمد من رصيدها الروحي الديني قوة استنهاضية وتطورية سارت بها بعيدا فى مضمـار التحرر العام ، وهناك سبيل لتكويـن بعض الملاحظات فى هذا الموضوع نعرض اليها كما يلي :

1) نشأت كثير من الحركات الانبعاثية العربيـة فى ظلال الدعوة الاصلاحية الاسلامية وعلى اسـاس الترويج لمبادىء النهوض الديني فى اشكاله الاصيلـة المجـردة .

2) كان لروح الحماس الاسلامـي ــ باشكـال مختلفة ــ تأثـير مهـم فى اذكـاء الروح التحـرريـة الانبعاثية عند الكثير من الجماهيـر العربيـة ، اذ ان هذه الجماهير لم تكن كلها ــ فى الواقع ــ على استعداد لاستيعاب كل ما تحويه الايديولوجيات الوضعية مـن عناصر فكرية مختلفة ، ولذا فقد كان من الجائـر ــ فى جميع الاحوال ــ اعتماد الجانب الروحي عند هـذه الجماهير ، والاستمداد منه استمدادا مستمرا لبـس لمعتنه من نصوب . ولا يختص هذا بالمراحل النضاليه السلبية من حركات التحرر العربي الحديث ، بل انه من المعقول دائما الاستناد اليه كثيرا فى المراحـل المستقبلية من تطورات النضال الايجابي البناء سـواء عند الشعوب العربية او عند غيرها من الامم الاسلامية المختلفة . خاصة وان العقائدية الاسلاميـة ترتكـز فى اساسها على قواعد تطورية وتحررية عميقة تتجاوز فى عمقها كل مقاييس التقدير والتخميـن .

3) وقد يكون هناك مجال للقول بان هذه الظواهر التي عرضنا لها ليست كلها ــ فى الواقع ــ الا ظواهـر مرحلية عابرة ، لان بعضها لا يتصل الا بفترات معينة من مراحل النهوض العربي الحديث ، كما ان بعضهـا الآخر قد لا يبدو ذا تأثير عام وثابت يصح الاستنـاد اليه فى تركيز قاعدة حاسمة قوية المضمون والمدلول . انه ليس من الضروري مناقشة اعتراض من هذا النوع ــ وضمن المجال المتوافر الآن ــ الا انه من الممكن ــ فى اي حال ــ ملاحظة الواقـع الثوري العربي فى طـوره الراهن ، ومدى « الفارق الروحي » الموجود بينه وبين كثير من التطورات الثورية فى نواح اخـرى من العالم ، فقد أفضت نتائج بعض الثورات فى اقطار عديدة الـى احداث انقلابات شاملة فى افق التوازن الروحي عند شعوبها ، واولي الراي فيها ، وسجلت بعض الحـالات ــ فى هذا المضمار ــ مظاهر روح مناوئـة لاي مفهـوم يرتبط بما وراء المادة والمثاليات المنبثقة عن ذلك سواء فى مناحيها التصورية او العقائدية ، ومن اليسير جدا ادراك مدى تطور حالات الانفصام ــ فى هذا الصدد ــ بين الواقع الفكري والشعور الروحي عند كثيـر من المجتمعات الثورية على اختلاف اوضاعها واتجاهاتهـا العامة ، اما الواقع متعدد الاشكال ذلك الـذي افضت اليه الثورية العربية الحالية ــ ولو انه لا يزال فى طريق التكامل والتبلور فهذا الواقع لايعكس دائما حـالات مشابهة تماما لما حدث عند الآخرين ، بل انـه يمكـن لنا ان نلحظ بالفعل كثيرا من العناصـر الدالة علـى مزيد الارتباط نوعا ما ــ بين المقومات الروحية والمادية عند هذا الشعب العربي الاسلامي او ذاك ، وذلك على شكل تختلف درجاته واهميته اختلافا كبيرا ، وقـد يكون العامل الروحي عند كثير من هذه الشعوب عامـلا سطحيا مهلهلا تلفه احيانا أردية من الميثولوجية المغرقـة فى الغرابة والشذوذ الا ان المهم فى الامر هو عدم وجود تفاعل جذري بين الثورية العربية وردة الفعل المادية العنيفة فى العالم واستمرار هذه الثورية بذلك فى حالة اتصال مع موارد روحية اساسية كانت قوام انبعاثهـا ونموها فيما مضى وينتظر ان تصبح قاعدة ارتكـاز لشخصيتها المفردة المتميزة فى محيط المستقبل . امـا الجوانب الميثولوجية السلبية فى اساس هذه الروحية العربية بشكلها الحاضر والتي يرفضها الاسلام نفسـه فان مصيرها مرتبط بمدى الاتجاه نحو سبيل الاصلاح الفكري والعقائدي العام الذي كان من اسس الانبعـاث العربي الحديث ، والذي لابد ان يصل الى مداه النهائي على اي صورة من الصـور .

وهناك ــ بعد كل ذلك ــ ملاحظة ثالثة لها اهميتها فى الموضـوع ، ونستطيع ان نقدر مدلولها باعتباره ميزة اخرى من بين المميزات الاساسية التي تتوافر للظاهرة الثورية العربية الحديثة ، والميزة هـذه هـي ــ فى الواقع ــ نتيجة حتمية لتوافـر الميزات الاساسيـة السابقـة ، ولا تبـدو هـذه الميـزة جليـة واضحة الا بالمقارنة بين معطيات ومصادر التطـور العربي من جهة والسبل التي سلكها سير التطور عنـد بعض الشعوب الاخرى ، فى اوربا وآسيا بصورة اخص، ويتبين لنا ذلك اذا ما لاحظنا طبيعة الاتجاه الـذي احتضنه الحركات الثورية الاجتماعيـة والسياسيـة

ـ في جوهرها مجرد امتداد بسيط لهذه الظواهر الثورية الاخرى في مختلف انحاء العالم ـ وان كانت تعكس ـ كما قدمنا ـ حالات من التفاعل والتمادي مع هذه الظواهر ، وبدرجات مختلفة نوعا ما ، والاساس الذي يقوم عليه هذا التقدير هو ناشيء عن ملاحظة بعض الحقائق التاريخية التي ترتبط بالواقع الثوري العربي منذ قديم وتعطي بعض دلالاته البارزة ، فالثورية العربية الحاضرة على هذا الاساس ـ لا تندمج بجميع مراحل نشوئها وتطورها في ظواهر التطور العالمي المعاصر وباستمداد منه على نحو بسيط ومباشر ، انها تعود ـ في الواقع ـ الى آفاق زمنية وتطورية اعمق من ذلك بكثير ، وارتباطها بهذه الافاق يجعلها احيانا مجرد امتداد غير مباشر لروح الانبعاث التي سادت الامة العربية قبل الاسلام منذ قرون ، والتي مكنت العرب ـ ممتزجين بالامم الاسلامية المختلفة من دفع المد الثوري خطوات اخرى الى الامام سواء في نطاق الحضارة المادية ، او في مجال القيم والمثل الفكرية والاخلاقية ، وهناك ـ بحق ـ حلقة فراغ كبرى تفصل بين مراحل اليقظة العربية الاسلامية في اشكالها السابقة ، وبينها الآن في شكلها الحاضر ، الا ان وجود هذا الفراغ لا يمكن ان يعني مطلقا تحلل الامكانيات الانبعاثية القديمة عند العرب ، وانفصالها بصورة مطلقة عن اصول البعث العربي الحديث ، ذلك ان هذا البعث وان كان يرتبط ببعض تيارات التطور الفكري العالمي المعاصر ، الا ان هذه التيارات لم تؤد ـ في الواقع ـ الى خلقه واصطناع وجوده بصورة اساسية لان اصوله ونوازعه لم تنعدم مطلقا في اي وقت ، بل انها كانت كامنة فقط قبل ان تتفاعل تفاعلا ايجابيا مع حقائق العالم الحديث ، ويبدو في بعض الحالات ان موجات التطرف القومي الضيق التي سادت اوربا في العصور الحديثة ، من الجائز ان تكون قد اسهمت في التاثير على واقع اليقظة العربية ، وتداخلت بشكل من الاشكال مع عوامل نشوئها وتوجيهها ، غير انه من المؤكد كذلك ان الشعور القومي ـ على افتراض صلته بالمؤثرات الاوربية ـ فانه لا يعكس كل جوانب اليقظة العربية الحديثة ولا يستوعب جميع دلالاتها ، فهذه اليقظة تتجه ـ بالفعل ـ الى ان تصبح اساسا لتطور فكري راديكالي يمكن العرب والمسلمين من ربط ماضيهم بحاضرهم ومستقبلهم ، والاسهام بذلك في اقامة قواعد مثالية جديدة وتكوين اسس سليمة للتعايش الانساني في اطار الحب والعقيدة والسلام ، ولهذا فان الحركة العربية ـ بهذا الاعتبار ـ لم يكن لها ان تقتفي كل ينابيع التطور الفكري الاوربي بهذا الصدد لانها ليست ـ كلها ـ نتاجا حقيقيا لمؤثرات هذا الفكر ، وانما هي في شكل من الاشكال ـ وكما قدمنا من قبل ـ امتداد لواقع فكري عاش قبل ذلك احقابا وقرونا ـ ولو انه مر بفترات جمود وتعطل مد يده قبل ان يستعيد الآن قدرته وفاعليته وطاقته ، وليس من شك في ان البت حول هذا الموضوع بصورة دقيقة وحاسمة ـ ليس امرا بسيطا في حد ذاته، ومن شانه ان يستغرق مجالات واسعة لا تتوافر الآن ـ بالنظر لمحدودية الموضوع الاساسي الذي نستهدفه من هذا الحديث ـ الا انه من الممكن ـ مع كل ذلك ابداء بعض الملاحظات في هذا المقام ، وذلك في نطاق التاكيد بان فترة الخمود التي عاشتها الشعوب العربية في مدى القرون الاخيرة كانت فقط مجرد حلقة سلبية من حلقات التطور الايجابي في حياة هذه الشعوب هذا التطور الذي ما فتئ يمتد بمظاهره وآثاره عبر الاجيال والقرون ، ومن بين هذه الملاحظات :

1) احتفاظ الثقافة العربية والفكر العربي ـ خلال هذه الفترة ـ و في حدود معينة ـ بنفوذ واسع وجدير بالاعتبار .

2) احتفاظ الكيانات العربية ـ على الرغم من حركات الغزو الاوربي وغير ذلك ـ بمقومات وجودها واصالتها ـ بصورة اساسية .

3) بقاء الوجود العربي مستبقيا جميع عناصر فاعليته وحيويته وذلك في بعض المواطن العربية المعينة كالمغرب الاقصى ـ الى بداية العقد الثاني من القرن الحاضر .

4) اطراد مراحل التطور في سير الحركة الثورية العربية ، وتسجيلها بعض السوابق التاريخية النسبية في هذا المضمار ، وان دراسة لتبلورات الوعي العربي المعاصر ، ومظاهر ارتباطه الخلاق بافكار الحياد الدولي الجديد ، ودوره في نشوء الاستقلالية الثورية بافريقيا ـ ان دراسة من هذا النوع لابد ان تفضي بالمرء الى استنتاجات لها اهميتها في هذا المقام .

وهناك ـ الى ما تقدم ـ جانب آخر من الجوانب التي تنعكس عليها مميزات الثورية العربية الحالية ، وهذا الجانب يتمثل في قيمة الملابسات الروحية التي ما فتئت تمتزج بها وتستمد منها على

لماذا نكتب ؟

للأستاذ : عبد العلي الوزاني

ان الفرق الجوهري بين الكاتب الناشيء ، والكاتب الناضج ، هو ان الاول لا يعرف على وجه التحديد محورا لنشاطه الادبي ، ولا هدفا يسعى اليه ويجند له كل امكانيته الادبية ، في حين ان الثاني قد وضحت عنده الغاية واستبان الهدف . وهذا التباين بينهما يؤثر في خطواتهما واسلوب سيرهما ، فبينما نرى الاول يقع في كثير من التناقض والاضطراب والضياع بين مختلف السبل ، اذا بك تجد الثاني راسخ القدم متزن الخطا ، يتقدم في الميدان في عزم وصمود ، ذلك لان من عرف الغاية عرف الطريق ، ومن لم يعرفها توزعته السبل ، واكتنفته الحيرة ، واحاطته ظلمات بعضها فوق بعض .

وبناء على ذلك فالاديب لا يواجهه هذا السؤال : لما ذا نكتب ؟ الا بعد ان يكون قد قطع مراحل واشواطا تائها عن نفسه ، ليس له موضع خاص يقف عليه في محيطه ، ولا يعرف مسوغا لوجوده في الميدان الادبي ، ولم تتحدد بعد رسالته التي خلق من اجلها ، فالتساؤل والقلق الفكري ، والنظر التاملي ، والتروي من الجانب الفلسفي للادب ، كل ذلك ياتي بعد نضال طويل ، للتخلص من قيود الجمود ، والانعتاق من ربقة التقليد ، والاهتداء الى الذات ، فعندما يصل الاديب الى درجة من التفكير تؤهله لمعرفة ما خلق له ، مما يتفق مع مواهبه ، ونوع استعداده ، ولون ثقافته ، فحينئذ يقف ليتساءل تساؤلات من هذا النوع : لما ذا أكتب ؟ فوقوف تفكير الاديب عند نقط استفهام كثيرة من هذا النوع ، وشكه ، وقلقه ، ومحاولته تعليل كل ما يصدر عنه ، ان هو الا دليل خصب فكري ، وتفتح ذهني ، واجتياز لمرحلة التصديق ، وسهولة الانقياد .

وحري بالاديب ان يعرف لماذا يكتب ، فالكتابة صورة من صور العيش ، ونمط من انماط السلوك ، وطريقة من طرائف الحياة ، وليست مجرد جمل تصاغ ، او تسلية تزجي بها اوقات الفراغ ، فهي لا تنصرف الى هذا المعنى البسيط الا عند اللاهين ، العابثين ، البعيدين عن الادب كرسالة انسانية واجتماعية وقومية ، اما عند الجادين من الادباء ، فهي تعني هوى نفسا ينعش الرئتين ، ودما متجددا يحفظ الحياة ، وقاعدة تصحح على ضوئها حياة الانسان ، حري بالاديب الحق ان يعرف لما ذا يكتب ، ليعرف لاي غاية يعيش ، ولاي هدف يحيى ، فالاديب طاقة روحية زاخرة ، وفكر متوقد لماع ، وموهبة مبدعة ، خلاقة ، وخيال سامي مجنح ، ولذلك فهو لا يجيىء الى الحياة ويخرج منها كما يجيء اليها ويخرج منها ملايين البشر ، اذ ان شعوره بالحياة ادق ، وفهمه لها اعمق ، وادراكه لاسرارها ومغازيها شامل . وهو اذا مات عاش بآثاره عمرا ثانيا ، لا نهاية له الا بنهاية حياة الانسان نفسها ، وذلك هو الخلود الادبي في ادق معانيه ، ولذلك كان على الاديب ان يعرف لما ذا يكتب ، اي لماذا يعيش ، ليمتاز عن ملايين البشر مرة اخرى ، اولئك الذين يخلقون ويعيشون ثم يموتون ولا يعرفون لما ذا ، وانه لجميل جدا ان يرقى هموم الانسان الى هذا المستوى الرفيع مستوى التساؤل عن مغزى وجوده ، وماهية رسالته ، وانها لقصة رائعة تلك التي تمثل ادباء جاهدوا ليعرفوا انفسهم والغاية من وجودهم ، فهؤلاء هم رسل الانسانية ، وحماتها الروحيون .

هناك فريق من الادباء ، لا يرون معنى لتساؤل من هذا النوع ، فعندهم ان الادب يصدر عن الاديب ، كما يصدر الشعاع عن النجم ، والاريج عن الزهر ،

فى الشرق الاقصى او فى شرقي اوربا او حتى فى بعض الاقطار الامريكية الصغيرة ، وليس يعنينا بالــذات استقصاء مظاهر السلبية والايجابيــة فى واقع الثورات بهذه الاقطار ، ومدى ما تعبر عنه فى هذا المجــال مــن مبادىء وقيم ، وما تنطوي عليه من نتائج وحقائــق الا ان الذي يهم اساسا هو ملاحظة الظاهرة المتواتــرة فى هذه الحالات الثورية المختلفة ، اذ ان الكثيــر منها لم يفتأ يتطور فى ظلال التهافت على كــل ما تحويــه الايديولوجيات الاجتماعية المعروضة، بما فى ذلك التظاهر بمناوأة العقائديات الدينية وتنظيم التناحر الاجتماعي الطبقي على نطاق واسع جدا .

وفى اطار هذا الاعتبار يمكننــا ان ندرك قيمـــة الايجابية المنهجية التي تتسم بها حالات التطـــور الاجتماعي فى ظلال الثورية العربيــة الراهنة ، اذ ان المنهجية ــ وان كانت تتفق احيانا مع بعض المبــادىء والمعطيات المسلمة على نطاق عالمي واسع ــ الا انهــا ــ الى ذلك ــ قد استطاعت ان تتخلص من بعض المركبات التي سيطرت على حالات التطور عند آخرين ، وتنــاى بذلك عن كثير من المفاهيم غير الملائمة التي يحتضنهــا هؤلاء او اولئك ، ولهذا كله فقد استطاع العالم العربــي ان يكون دائما مجالا مستعصيا على بــوادر التسلسل الدولي الواسع وان يكون بمنجاة عــن التعرض لآثــار الحرب الباردة بشكلها (الساخن) المترائــى فى بعــض الاقطار المعينة بجنوب شرقي آسيا ، وكل ذلك علــى الرغم من وجوده فى منطقة حساسة ، ومجاورة لقطاعات الاحتكاك الدولى على نطاق شاسع جــدا ، وقد يكــون هناك ما يدلي به لتعليل وضعية العالم العربي من هــذه الناحية وتحديد طبيعة العوامل الكثيرة التي تساهــم فى اقرار احواله على هذا الاساس ، غير انه من العســر ــ على كل حال ــ انكار قيمة العامل الفكري بهذا الصدد، والدور الذي يساهم به فى ملء الفراغات الكثيرة التى يراد اصطناعهــا فى بعض الاحيــان ، واتخاذها سنــدا للتسلل والتدخل ، وقــد استطاعت كثير من الاقطار الاخرى ــ الموجودة فى نفس وضعية العالم العربـــي من الناحية الجغرافية والاجتماعيــة والاقتصاديـــة والنفسانية ــ استطاعت هذه الاقطار ان تستبقـــي لنفسها قدرا من الحصانة النسبية امام بوادر التسلل الخارجي فى اشكاله المختلفة الا ان ذلك كان ــ فى بعض الحالات ــ على اساس انضمامها الى تكتل دولي معين مضاد للتكتل الآخر ، واضطرارها بذلك الى الانحياز على نحو قد يكون هناك احيانا ما يجوزه ، وقد لا يوجد له احيانا اخرى اي تسويغ او تبرير .

ان سبيل الثورية العربية اذن هو سبيل تطوري ايجابي مستقل ، وذلك هو مدلول هــذه الميـــزات والخصائص التي لا تنفرد بها وحدها على شكل استثنائي خاص الا انها ــ مع ذلك ــ ترتبط بهذه الميزات ارتباطا عميقا يميزها عن كثير من الحالات الثوريــة الاخــرى فى عالمنا الحاضر ، ويتيح لها فرصة التبلــور فى اطــار اكثر مناعة وايجابية واتساعا .

على اننا اذا ما خلصنا الى تكوين نظرة عامة حول الواقع الثوري العربي الراهن ، والآفاق التي يعكسهــا فى مختلف الاتجاهات فانه لابد ان نلحظ فى هذا الواقع ايضا بعض الجوانب السلبية التي لا يعسر استشفافها على وجه العموم ، لانها من الوضوح والبروز بدرجــة كبيرة جدا ، ومن بين هذه الجوانب :

من الناحية العامة : عــدم التناسق فى الواقـــع التطوري العربي ، واختلاف الاوضـــاع فى الاقطـــار العربية اختلافا كبيرا وعميقا سواء من حيث الوسائل المستخدمة او باعتبار الاتجاهات المسلوكة .

من الناحية الاستعدادية : محدودية الموارد المادية التي تتوافر لانجاز مقتضيات هذا التطور ، وتحقيــق اغراضه ومقاصده .

من الناحية المذهبية : قصور ملحوظ فى القدرة على الملاءمة بين الاهداف العربية الخاصة من جهة وبين الاهداف العربية مندمجة فى اطار العالم الاسلامي من جهــة ثانيــة .

وهناك ــ بالطبع ــ كثير من الجوانب المماثلــة الاخرى مما لا يتسع لتبسيطه المجــال ، والاتجاه الى معالجة هذه الجوانب هو من ابرز عوامــل الحركيــة الدائبة فى واقع الثورية العربية كما تتراءى فى الوقت الراهن ، وليس من شك فى انه على اساس النجاح فى معالجة مثل هذه المشاكل وغيرها تتوقف حظوظ هذه الثورية وامكاناتها فى تحقيق شروط تطور عربـــي اسلامي ذي اسس ايجابية واصيلة وشاملة .

ســلا : المهدي البرجالــي

الأدب ، يراه كفيلا بتحقيق اهدافه ، فيوفر له كل عناصر الجودة والاتقان ، ويصل به الى ذلك المستوى الرفيع الذي ما كان ليصل اليه لو ان الاديب وزع نفسه بين فنون ادبية كثيرة ، اختلفت وسائلها وطرق معالجتها ، نعم قد نجد للاديب مشاركة في فنون ادبية مختلفة ، لان الاديب قد يكون متعدد المواهب ، ولكن لابد ان يكون عنده لون غالب اذا هو كان اديبا متمكنا من فنه ، واثقا بنفسه ، واعيا لرسالته .

قديما لم يكن الاديب بحاجة الى ان يلقي على نفسه هذا السؤال : لماذا اكتب ؟ بقدر ما هو بحاجة الى ذلك في هذا العصر ، ذلك لان الأدب لم يكن يفهم كرسالة ، وانما كان ينظر اليه غالبا على انه ترف فكري وعاطفي ، وزينة تتجمل بها الحياة ، واناقة تزدان بها المحافل ، وحلية يتبرج بها المجتمع ، وهذا هو السر في كون المدارس الادبية القديمة كانت تعنى في الغالب بالناحية الشكلية للادب من عباره واسلوب ، اكثر من اعتنائها بالفكرة والمضمون ، فكان الاديب قرين الرسام والموسيقار ، واذا به اصبح اليوم قرين المفكر والفيلسوف ، حتى ليتساءل عن الفلسفة التي يستطيع اديب اليوم ان يقدمها للناس من خلال اعماله ، ونرى ان هذه الاعمال انما تسمو وتحترم بحسب الفلسفة التي تكشف عنها .

ولعل السر في هذا التغير في قيم الادب وقيمة الاديب ، راجع الى تطور الثقافة ، وتقدم العقل وفتوحات العلم ، وارتقاء الشعب الى وجدان الاديب فالثقافة اصبحت ممعنة في الواقعية ، والعقل اصبح مسيطرا على كل نواحي النشاط الانساني ، ونتائج العلم احدث اثرا عميقا في تفكير الانسان المعاصر ، فاصبح يخضع كل شيء لمقاييس علمية دقيقة ، والشعوب اصبحت اليوم تحتل مكان الصدارة سواء في السياسة او الادب ، وهذا الوضع فرض على الاديب ان يعرف بدقة ما ذا عساه يستطيع ان يقدم للناس ، وما الغاية من هذا الذي يقدمه ، وما هي وسيلته الناجعة ، ومما يؤسف له ان ادباء العرب في هذا العصر ، لا يستجيب اكثرهم لمتطلبات العصر ومقتضياته ، ومنهم من لا زال يفهم الادب كما كان يفهم في العصور الوسطى ، في حين ان كل شيء تغير من حوله ، فنحن اذ نلتمس ادب الفكرة في الادب العربي الحديث ، لا نكاد نجده الا عند القلة القليلة من ادباء العرب المعاصرين ، اما الاكثرية فلا زالت تجعل من التلاعب بالالفاظ ، والاصباغ اللفظية ، والبهلوانية الاسلوبية ، سبيلها الى الشهرة ونباهة الذكر ، وليس هذا التخلف في النظرة الى الادب الا لونا من الوان التخلف العديدة ، التي يعانيها العرب في نواحي اخرى من حياتهم .

وانه لمن الطبيعي ان يسبق ادب الالفاظ ادب الفكرة الى الوجود ، ذلك لان الجمال الحسي للادب هو اظهر جوانبه واقواها سطوعا واشراقا وتنبيها للحواس، ولهذا كان طلبة كل متأدب ، وكل شعب ضيق آفاق التفكير ، فهو الناحية السهلة للادب ، سواء بالنسبة للمنتج او المستهلك ، لا يستلزم اكثر من بعض المهارة في استخدام اللغة ، واستخراج صور الجمال من اساليبها ، وتركيبها على هذا النحو او ذاك ، لتؤدي نغما خاصا ، اما ادب الفكرة ، فياتي بعد هذه المرحلة، لانه رشد ادبي ان صح التعبير ، يمثل طور النضج والقوة ، وعدم الانخداع بزخرف اللفظ ، والارتفاع عن التلاعب بالالفاظ ، الذي هو مظهر من مظاهر الطفولة الادبية ، في سذاجتها ووقوفها عند ظواهر الاشياء ، دون الوصول الى حقائقها واغوارها .

وتساؤلنا : لما ذا نكتب ؟ له مغزى آخر ، وهو وعينا لحاضرنا الادبي ، ومراقبتنا لصيرورته وتحوله، وجعلنا مدركين لصنعه ، نملك فيه ان نغير ونبدل ، عن وعي منا وادراك لمشاكلنا ، والعقابات التي تواجهنا والقيود التي تثقل اقدامنا ، وباختصار فاننا نسيطر على انفسنا حينما ننتج ، ولا نكون مجرد شيء مسخر، توجهه الظروف ، وتقوده الايام وتلعب به المصادفات ، دون ان يكون له قوة على خلق الفرص ، وتوجيه الاحداث ، وصنع التاريخ .

وان اخص ما يميز اديب هذا العصر — في اغلب البيئات الادبية — عن اديب العصور الوسطى والقديمة انه اعمق وعيا لكل ما يصدر عنه ، لا ينتج وكانما هو منقاد لقوة خفية لا يعرف لها مصدرا ، او مدفوع بروح غريبة لا يدري لها مانى ، ولكنه مدرك لنفسه ، وامكانياته ، ومواهبه ، ومجاله ، وغاياته ووسائله ، الا ان الاديب هنا اديبان : احدهما عرف نفسه ، فاختط لها طريقا ، ورسم لها هدفا ، وحملها على ما ارادها عليه ، واديب آخر عرف نفسه ، ولكنه آثرها بالعافية ، وجنبها الطريق الوعر ، والغاية البعيدة ، والمرتقى الصعب ، فكانت النتيجة ان استطاع الاول اثبات الذات ، والمساهمة في تغيير الواقع ، وتوجيه التاريخ في حين ان التاني استسلم للمصادفات تفعل به ما

والتغريد عن البلبل ، والخرير عن الغدير ، فاذا صح ان تتساءل هذه عن رسالتها عندما ينبعث عنها ما ينبعث ، صح كذلك ان يتساءل الاديب عن رسالته في الحياة وهؤلاء ينسون حقيقة بسيطة ، وهي ان الأدب فن ارادي ، بقدر ما هو قوة طبيعية ، فالاديب انسان يفكر ، ويريد ، ويضع الخطط ، ويرسم البرامج ، ويكمل عمل الطبيعة ، ويعيد ترتيب عناصرها ، ويعطيها منطقا ، ويخلع عليها من ذات نفسه ما يعيدها خلقا جديدا ، ويلاحظ ان انصار هذه الفكرة ، انما هم اولئك الذين استغنوا بالموهبة عن الثقافة ، وبضباب الاحلام عن وضح الفكر ، ذلك ان القلق الفكري ، والنزوع الى التأمل ، والالحاح على اسرار الاشياء ، انما هي فيض العقل الواسع ، والفكر المتلىء ، والثقافة الفنية ، وهذا هو السر في كون ارفع الادباء مقاما هم اولئك المثقفون حقا ، المستفيدون من خلاصات العلوم ، والوان المعرفة المختلفة .

ونحن الآن نعيش في عصر من مميزاته هذه الفتوح العلمية البعيدة المدى ، وما لها من اثر كبير في تطور الشعوب ومصائر البشر ، الامر الذي زعزع عرش الادب الذي تربع عليه قرونا طويلة ، فالعلم قد نازعه السلطان ، واستطاع ان يظهر عليه ، وقد شكك الكثيرين في قيمة الدراسات الادبية ، واصبح ينظر الى الاديب في كثير من الاوساط على انه انسان خيالي حالم ، لايعلق عليه امل في رفع مستوى امته .

وهكذا يقف الادب في قفص الاتهام . فنجاحه او فشله ، منوط بمدى قدرته على الدفاع عن نفسه ، في محكمة الضمير الانساني ، واعتقد ان احسن ما يدافع به الادب عن كيانه ، هو ابراز رسالته في الحياة والمجتمع ، وقدرته على المساهمة الفعالية في تدعيم كيان الامة ، ورفع معنوية الشعب ، ودفع الانسانية خطوات الى الامام ، وهكذا نجد ان هذه الموجة العلمية المكتسحة ، تفرض على الاديب ان يتفهم رسالته ، ومغزى اعماله التي يقدمها للناس ، ان يعرف على وجه التحديد : لما ذا يكتب . والناس لا يستطيعون ان يفهموه جيدا الا اذا كان مفهوما عند نفسه اولا . بوجهته وخطته وهدفه .

واذا كان على الاديب ان يعرف لماذا يكتب باعتباره اديبا فقط ، فان عليه ذلك ايضا باعتباره اديبا ينتمي الى أمة والى محيط ادبي خاص ، عليه ان يعرف مكانه بين نماذج البشر اولا ، ثم مكانه بين افراد مجتمعه ثانيا ، ان يكون له وجود عام يشارك به امثاله في اقطار اخرى من الارض ، ووجود خاص ، داخل البيئة التي يعيش فيها ، واقول عليه ان يعرف ، لقصدي ان هذه المعرفة لسر الكتابة ، يجب اولا ان تصدر من الاديب لما ينتجه ، قبل ان تصدر عنا نحن القراء لما يقدم لنا من فنون الكتابة ، ذلك ان معرفة الاديب سر صناعته ، وهي الضمان لنجاحه وبقائه في عالم اليوم ، وهي الضمان ايضا لتجاوبنا معه ، وفهمنا عنه .

على الاديب ان يعرف على وجه التحديد : ما ذا استطاع ان يقدم للانسانية جمعاء ، باعتباره اديبا ان يقدم لهذه الامة التي هو عضو فيها ، واشد اعضائها حساسية بمشاكلها وازماتها ونواحي ضعفها وقوتها ، وعوامل نجاحها ، وعوامل فشلها ، فتساؤل الاديب عن سر كتابته ، والباعث عليها ، والغرض منها ، يجب ان ينصرف الى هاتين الناحيتين : الانسانية والقومية.

وشيء آخر ، وهو ان الاوساط الادبية كلها تتساءل اليوم عن مدى حرية الاديب ، وعن نوع العلاقة التي يجب ان تكون بينه وبين مجتمعه . وهنا تتقدم فكرة الالتزام في الادب لتحتل مكان الصدارة ، وهذا من شانه ان يحمل الاديب على ان يحدد موقفه من هذه القضية ، فاذا لم يفعل ، فان قراءه يظلون منتظرين منه كلمته في الموضوع ، وهو لا يستطيع ان يقول هذه الكلمة الا اذا وجد الجواب الدقيق عن هذا السؤال : لما ذا أكتب وما من قضية ادبية كبرى معاصرة الا ويتحتم على الاديب ان يدلي فيها برأي . حتى يكون ممثلا لعصره ، متجاوبا مع ما يعج به من مشاكل وقضايا ادبية بارزة ، والا كان غير متصل بقرائه في المواضيع التي تهمهم وتشغل بالهم ، ويلتمسون الاهتداء فيها الى الرأي السديد ، والفكرة الموفقة ، ومن لهم بذلك اذا خذلهم اديبهم الذي يجب عليه نحو قرائه . ما يجب على الاستاذ من توجيه وهداية نحو تلاميذه .

واذا عرف الاديب لما ذا يكتب ، عرف الميدان الذي خلق له ، واتضحت امامه مجالات مواهبه ، فلا يبقى حاطب ليل ، ومترددا بين الوان من الكتابة ، وصنوف من القول ، لا يجمعها هدف واحد ، ولا تنتظمها خطة موحدة ، بحيث لا يعرف بدقة هل ميدانه الحيوي هو القصة ، او المسرحية ، او المقالة او القصيدة ، او غير ذلك ، وبالعكس من هذا اذا عرف غايته ، وعرف ميدانه ، اذ ينصرف الى لون من الوان

علم النفس الجنائي والسلوك الاجرامي

للاستاذ
بنعيسى حنفي

تعريف الجريمة

ان تعريف الجريمة يثير في الواقع مذاهب فلسفية ومشاكل ميتافيزيائية عديدة . فالفيلسوف الالماني كانت Kant مثلا يعرف الجريمة بانها « كل مخالف للاخلاق والعدالة » والفقهاء المسلمون يعرفونها بانها « محظورات زجر الله عنها » اما المشرع السوفياتي فيقول عنها بانها « كل فعل او امتناع عن فعل موجه ضد النظام السوفياتي » .

وهذا الاختلاف في التعريف هو الذي دعا بعض المشرعين الى ان يمتنعوا عن ذكر اي تعريف . فالقانون المعمول به في سوريه مثلا يكتفي بتعريف الجرائم الثلاث : الجنايات ، والجنح ، والمخالفات ، بما يقابلها من عقوبات . ومعنى هذا ان درجة العقوبة وخطورتها هي التي تعرفنا بنوع الجريمة .

عناصر الجرم الثلاثة :

1 — العنصر المادي . ونعني به الفعل الذي ينتج عن الجريمة .

2 — العنصر المعنوي . وذلك ان الارادة والنية عنصران نفسيان يجب توفرهما في كل جريمة . اذ لا يتصف فعل احدث ضررا اجتماعيا بانه جريمة الا اذا اراده فاعله واراد ان يخالف به القانون .

3 — العنصر القانوني . كل فعل لم يذكره القانون بصراحة لا يمكن ان يعتبر جرما . ولا يمكن ان يعاقب المجرم بغير العقوبات المنصوص عليها في القانون.

وهكذا نلاحظ بان الجرائم التي يعاقب عليها القانون هي التي تتصف بسبق التصميم Préméditation ثم ان خطورة هذه الجريمة تختلف حسب الظروف التي رافقتها وحسب التخريب المادي او المعنوي الذي احدثته ، وحسب الدافع اليها — وينبغي ان نشير بعد هذا الى ان الجريمة قضية ذات وجهين :

1 — فسبق التصميم وكيفية حدوث الجريمة، والبحث في الظروف التي رافقتها ، من اختصاص علم الجريمة الذي هو بدوره فرع من علم النفس العام .

2 — وعقاب الجريمة من اختصاص علم الجريمة القانوني criminalistique الذي هو فرع من علم الحقوق .

هل الجريمة حادثة اجتماعية

سنحاول ان نبرهن على ان الجريمة حادثة اجتماعية . ولن يفوتنا ان نشير عرضا الى ان بعض اسبابها نفسية ووراثية . ومما لا شك فيه ان التفكير في الجريمة عملية ذهنية يمكن شرحها بما يلي :

لنفرض ان جنديا قد رجع من الحرب ، ووجد ان زوجته قد هجرت المنزل وذهبت مع غيره . انه سيتاثر بالخيانة الزوجية اشد التاثر ، وسيلاحظ ان رسائلها كانت باردة العاطفة في الآونة الاخيرة ، وسيسمع ما يتناقله الجيران حواليه ، وسيحس ان شرفه قد دنس ، وهكذا يفكر في الانتقام وتنفيذ الجريمة .

التفكير الاجرامي اذن عملية ذهنية ، غير ان الجريمة في حد ذاتها حادثة اجتماعية ، اذ ان ارتكاب الجريمة هو في الواقع نوع من الخروج على قواعد السلوك التي يرسمها المجتمع . وبعبارة اخرى ان المجتمع يعتبر الانسان مجرما اذا كان هذا الانسان لا يحترم قواعد السلوك التي اقرها سائر الناس . ولكل مجتمع مقاييسه الخاصة ، فما نعتبره نحن جريمة

تشاء ، فكان نقطة من نفط الضعف فى التاريخ الادبي لامته ، ونحن هنا لسنا بحاجة الى ضـرب الامثلـة ، فالقاريء الكريم يمكنه ان يجدها كثيـرة بين ادبـاء الشرق والغـرب .

والادباء الواعون لانفسهم ورسالتهم وعيا ايجابيا هم الذين يمدون ادب امتهم بدم جديد ، وينفخون فى حياتها روحا جديدة ، ويقفزون بها ادبيا خطـوات الى الامام ، ويظهرونها كأمة ذات رسالـة ادبية فـي طور من اطوار تاريخها الادبي .

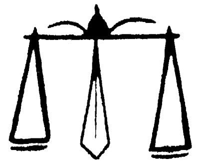
وليس المراد بالوعي هنا مجرد ذلك الوعى الموقت المحدود ، الذي يبدو من اديب تجاه قصة او مقالة او مسرحية ، يضع لها نظاما ، فهذا الضرب من الوعـى الفني ـ وان كنا لا ننتقصه ولا ننسى مزاياه ـ ليس وحده الكفيل بتحقيق النتائج التي نتوخاها فى هـذا الصدد ، المراد بالوعي هنا ذلك الوعي الشامل ، المستمر ، العميق ، الذي يسيطر على حياتنا الادبية كلها ، ويلقي نورا على كل جوانبها ، وعلى اسلوبها وخط سيرها ، فتبرز لديه نقط الضعف ، ونواحي القوة ، ووجـوه النقص ، ووجوه الكمال ، وعوامل التقدم ، وعوامـل التخلف ، يقف عند الاجزاء ليفحصهـا ولكـن لا ليقف عندها ، بل ليتجاوزها الى الكل ، والى خط السيـر العام الذي تكون فيه الاجزاء كالانغام التي تنسجـم لتؤدي بمجموعها لحنا كبيرا ، وانسجامها هذا لا ينافي ان بينها تفاوتا من نوع ما ، فنحن عندما نتساءل : لماذا نكتب ؟ لانكون تساؤلنا فى دائرة عمل ادبـي ننجـزه ، وينتهي تساؤلنا بعد فراغنا منه ، ولكنه تسـاؤل عن رسالة شاملة ، ومبدا عام ، وهدف بعيد .

تلك كانت بعض الخواطر التي اثارها عندي هذا السؤال : لما ذا نكتب ؟ واعد القاريء الكريم بالعودة الى هذا الموضوع ، لاجيب عن هذا السؤال .

فاس : عبد العلي الوزاني



العدالة فى انجلترا



للاستاذ محمد بن تاويت

فى القرن التاسع عشر ، قال السيد المستشار ، ان مندوب التاج له سلطة قديمة جدا ووظيفة هامة فى مملكة انجلترا ، ولا يعلم بالضبط متى حدث وظيف هؤلاء المندوبين فى الدولة . فبعض الدارسين يقولون ان ذلك كان منذ الف سنة ، واغلب الكتاب ان ذلك حدث لاول مرة سنة 1194 ؛ ويوجد هناك بوجه التقريب مندوب فى كل بلدة سكانها فوق 50 000 نسمة ، ومندوب فى كل بلد او دائرة فى اقليم يكون به محاكم فصلية . وعليه ان يسكن فى دائرته او قريبا منها بما لا يتعدى ميلين . ويعين بواسطة انتخاب المجلس المحلي .

ومهمة المندوب هذا ان يحقق فى كل موت بدائرة اختصاصه . يشك فيه أنه لم يكن موتا لاسباب طبيعية فالقتل عمدا ، والقتل بدون سابق اصرار ، والانتحار جميع ذلك مما عليه ان يحقق فيه ، وكذلك يحقق فيمن اكتشف كنزا دفينا ،(Treasure Trove) ان الكنز الدفين متعلق بالتاج ، ويجازى الآن واحده عادة حسب قيمة ما يحتوى به الكنز .

وعلى مندوب التاج ان يدعو هيئة المحلفين حينما يقع موت لشخص ، او حينما يكون هناك اسباب تدعو الى ان يظن ان الموت حدث بقتل عمدا ، او بقتل بدون عمد ، او يقع قتل الاطفال ، او التسمم ، او حينما يقع موت لحادث ، بما فى ذلك حوادث الطريق . والا فان له ان يحقق القضية وحده .

ومندوب التاج وهيئة محلفيه ليسو هنا بصدد اصدار الاحكام ، بل هم لمجرد اجراء التحقيق . وقد تصل هيئة المحلفين الى عدة نتائج فربما تقرر ان الموت وقع لاسباب طبيعية ، او عن قتل بدون عمد ، او قتل عمدا ، بواسطة شخص او اشخاص مجهولين ، او قتل عمدا بواسطة اشخاص غير معينين . فان كان القرار ان الموت بقتل عمدا او بقتل لا عن سبق اصرار ، فان رجال الشرطة يتوجهون الى المسجل للحصول على اذن منه بالقاء القبض على من يحوم حوله الشبهة بالجناية . وفى بعض الاحيان قد يلقون القبض بدون الاذن لهم ، ولكن اكتشاف محلف لمندوب التاج ، او ما يدعى « تحقيق عن سبب موت فجائي او نحر له Inquest لا يعنى أن ذلك حكم بالجريمة ، بل انه احدى الطرق التى قد توصل الى المحاكمة بالجريمة ، كما انها قد توصل الى دعوى مدنية للاهمال ، اذا كانت محكمة مندوب التاج تحكم أن الموت حدث بسبب اهمال وقع من شخص .

اللجنة القضائية للمجلس الاستشاري

Judicial Commitee of the Privy Council

ان الاشخاص الذين تميزوا فى الحياة العامة الانجليزية ، غالبا ما يمنحون تكريما او الرتبة الشرفية بعضوية مجلس التاج ، او المجلس الاستشاري ، وكثير من هؤلاء قضاة ، فالقضاة الذين هم اعضاء بالمجلس الاستشارى يشكلون محكمة خاصة بهم ، فهي محكمة الاستيناف النهائية ، بالنسبة الى المنتمين الى كومونولث Commonwealth من البلاد ، التي ظلت خاضعة لحكم المجلس الاستشاري (وهي استراليا ونيوزلندا وسيلون ، وفدرالية الملايا) وهي تابعة لبريطانيا .

قد لا يكون كذلك عند شعب ءاخر ، ولنذكر على سبيل المثال ان واد البنات فى العصر الجاهلي لم يكن يعتبر جريمة ، ولكن المجتمع الاسلامي اعتبر هذا العمل جريمة نكراء .

ولابد من الحديث عن المسؤولية ما دمنا نتحدث عن الجريمة ، اذ لابد من انزال العقاب على المجرم اذا توفرت فيه شروط تجعله مسؤولا عن اعماله . فما هي هذه الشروط ؟

1) ان يكون المجرم انسانا ، وهذا الشرط يبدو بديهيا فى عصرنا الحديث ولكن لم يكن الامر كذلك فى المجتمعات البدائية ، فقد كانت الحيوانات تعاقب .

2) ان يكون حيا .
3) ان يكون عاقلا .
4) ان يكون راشدا .

هذه الشروط وضعتها الامم المتحضرة ، غير ان الامم الغابرة كثيرا ما كانت تعاقب الاموات وتجلدهم وتحرق اجسامهم وتنبش قبورهم . وكان الطفل والمجنون مسؤولين ايضا . ثم ان المجتمع كثيرا ما كان ينزل العقاب على المجرم وعلى من اتصل به من اهله واقربائه. وهذا ما نلاحظه فى المجتمعات العشائرية لانها تعتبر المسؤولية جماعية . اما فى العصر الحديث فان المسؤولية قد اصبحت فردية اي ان المجرم وحده هو الذي ينال جزاء ما ارتكب .

اسباب السلوك الاجرامي :

ان تقدم علم الاجتماع من جهة وعلم النفس وعلم وظائف الاعضاء من جهة اخرى ، طرح مشكلة السلوك الاجرامي على بساط البحث العلمي .

1) العوامل النفسية للسلوك الاجرامي

لقد اثبت علماء التحليل النفسي بما لا يدع مجالا للشك ان النزوع (الميل) الى الجريمة راجع فى بعض وجوهه الى اسباب نفسية . واليك بعض نتائج ابحاثهم

أ ـ الانحراف العصابي . ينتج هذا الانحراف عن معاملة الوالدين لطفلهما معاملة قاسية . ويظهر هذا الانحراف فى صور شتى ، مثل التجسس على الامور الجنسية والسرقة والحريق والميل المرضي الى التعذيب

ب ـ الانحراف السيكوباتي . يعرف احد العلماء الشخصية السيكوباتية بأنها شخصية تعمل ضد المجتمع ، والمصاب بهذا المرض يمثل شخصية تميل الى الانتقام واتخاذ مواقف عدائية .

ج ـ الانحراف الناشيء عن الحرمان . ان الانسان اذا حرم من تحقيق الرغبات الرئيسية ، فانه فى الغالب يسلك سلوكا اجراميا . وهكذا فان الجوع او الحرمان الجنسي او الحرمان من عطف الامومة او الشعور بالاضطهاد او القلق اسباب تؤدي الى هذه النتيجة .

2) العوامل البيولوجية للسلوك الاجرامي

كان المفكرون ينكرون وجود اية علاقة بين الجريمة والعوامل البيولوجية . غير ان الابحاث الحديثة اثبتت هذه العلاقة . وقد اجرى بعض العلماء تجارب ظهر منها ان السلوك الاجرامي يورث . ونحن ، وان كنا لا نريد ان نذهب مذهب هؤلاء العلماء ، الا انه من المفيد ذكر بعض الابحاث التي قاموا بها . ومن اطرفها تلك التي قام بها احدهم على اسرة جوكس . ورب هذه الاسرة شخص مدمن على الخمر ، وبلغت ذريته سنة 1874 سبعمائة وتسعة وخمسين شخصا ، ومن هذا العدد وجد ان 180 منهم تضمهم الملاجيء ومنازل الايواء و180 تتعاطون الخمر ويعتدون على الناس . كما وجد ان من بينهم 60 لصا و 7 قتلة وخمسين عاهرة و40 مصابين بامراض سرية .

هذه الابحاث اثبتت من جهة ثانية ان هناك علاقة بين الضعف العقلي والسلوك الاجرامي . فضعاف العقول اذا احيطوا بظروف اجرامية فانهم يكونون اسهل من غيرهم فى الوقوع فى هوة الجريمة .

والفيزيولوجيا تقرر ان عدم توازن الافراز الغددي يؤثر فى السلوك الاجرامي . فاضطراب الغدد التناسلية مثلا قد يؤدى الى اشنع الجرائم او الى سلوك مخنث او الى سلوك انطوائي .

واخيرا لابد من الاشارة الى النقائص الجسمية الموروثة . فقصر القامة والعرج والصمم وغير ذلك قد تؤدي الى سلوك اجرامي ، بل ان العالم الايطالي لوبروزو يدعي ان وجود هذه العلاقة لا يدع مجالا للشك ويدعي بأنه يمكن التعرف على المجرم بمجرد النظر الى هيئته وشكله الفيزيولوجي . (للبحث صلة)

حنفي بن عيسى

هذا الشعور منها ، تطلق سراحه مع الصيانة التي يدعى (اخذ التعهد بالمحافظة على الامن
«Binding over to Keep the peace»
فيكون المذنب بذلك قد اخذ عليه تعهد براقب في حفظه مدة شهور او سنوات كما ترى المحكمة ذلك ملائما ، وفي بعض الاحيان ، يؤدي مبلغا من المال (تقضي به المحكمة) على انه ضمانة لذلك ، او يجد له كفلاء sureties يؤدون عنه ذلك المال ، ان هو عاد الى ما كان عليه ، وحينما يوضع المدعى عليه تحت الرقابة ، يدعى ذلك تجربة امتحان لاثبات صلاحيته Probation وخلال ذلك تتردد عليه ضابط الامتحان Probation Officer فيزوره بانتظام ، ويقدم حول سلوكه التقارير ، وينصحه وياخذ بيده ويتخذه كصديق ، وبهذه الوسيلة ، وجد 95 شخصا من مجموع 100 ، قد وضعوا تحت هذا الامتحان ، او نظام التعهد ، لايعودوا ابدا الى ارتكاب جريمة مرة اخرى ، فان سلك سلوكا سيئا ، يغرم مبلغا من المال، وقد يسجن على ما كان قد ارتكبه من جناية سابقا

غير ان الامتحان والتعهد لا يعمل بهما اذا ما كانت الجريمة خطيرة ، وذلك كالتزوير مثلا ، او تزييف العملة ، او مداهمة شخص والحاق ضرر به .

الاضـــــرار

في القضايا المدنية ، يكون المحكوم عليه معاقبا ، بان يلزم باداء ما يعوض الخسارة ، وهناك انواع اخرى من العقوبات ، مثلا كان تأمر المحكمة بتنفيذ الاتفاقية ، او بالاعتذار علانية ، الى من ناله بكلام قبيح ، او كتب اليه بذلك ، ولكن الاضرار غالبا ما تقتصر فيها ، وتقدر تعويضات الاضرار ، بما تصلح الاخطاء التي ارتكبها المدعى عليه ، ولا شيء ازيد على ذلك ، فلا تجعل المدعي احسن مما يكون عليه ، لو لم تكن هناك دعوى بالمرة .

حكم الاسعاف الشرعي The Legal Aid Act

من اجل تخفيض مصاريف الدعاوى القانونية ، لهؤلاء الذين هم عاجزون عن ادائها ، فانه قد صدر قانون بالاسعاف الشرعي سنة 1949 ، وذلك لتسديد المصاريف التي تستلزمها الدعاوى المقامة على الفقراء بالمحـــاكـــم .

كان هذا القانون أولا يخص المحكمة العليا ، ومحكمة الاستئناف ، ولكن في سنة 1955 امتدت هذه التسهيلات فشملت جميع المحاكم الاقليمية .

غير ان قضايا القذف والهجو ونكث الوعد بالزواج وما يماثل ذلك من القضايا ، لا يمكن ان ينالها قانون الاسعاف الشرعي ، من جانب الدولة على الاطلاق

فمن يتمتع بالاسعاف الشرعي ؟

ليحصل الرجل او المراة الاسعاف الشرعي ، عليه ان يحصل اولا على شهادة الاسعاف الشرعي Legal Aid Certificate وتمنح هذه الشهادة لجنة خاصة تدعى لجنة المنطقة Area Committee وفي انجلترا وولز توجد اثنتا عشرة لجنة منطقة ، تتألف من المحامين Barristers الذين يعينون من المجلس العام The General Council اما لجماعة البار The Bar والوكلان Solicitors المنتخبين من جمعية القانـــون The Law Society

وتعمل في نظام الاثنتي عشرة لجنة منطقة 110 لجنة محلية Local Committees تؤلف من الوكلان والمحامين المذكورين المختارين من قبل اللجان المنطقية، وهذه اللجان المحلية هي التي تقرر ما اذا كان الشخص في حاجة الى اسعاف شرعي لدعواه اولا وتوجيهه بتوجيهات ما يدعى بهيئة الاسعاف العام
Public Assistance Board
وتعمل هذه تحت وزارة الشغل والخدمة الوطنية
Ministry of Labour and National Service

من هم المحامون الذين يدعون للاسعاف الشرعي في القـــانـــون ؟

جميع المحامين والوكلان ، يدعون لاداء واجبهم في مزاولة الاسعاف الشرعي ، ومعظمهم قد قام بذلك فعلا ، ويتقاضون مقابل عملهم ثلاثة ارباع المصاريف الرسمية التي يقدرها رئيس المحكمة العليا معقولة .

وتؤدى هذه المصاريف للوكلان والمحامين على دفعتين ، اولا الدولة تؤدي قسطا منها او جميع المبلغ، الذي يكلفه الدعوى، كما يؤدي الشخص المسعف، للجنة المنطقة ما يستطيع اداءه ، قد يؤدي حصته كلها دفعة واحدة ، او يقسط ذلك على أسابيع أو شهور ، وحينما يحصل على الشهادة فان لجنة المنطقة تقرر المبلغ – ان كان – الذي على الشخص المسعف ان يؤديه لشهادته وكيف ، ومتى يجب عليه ان يؤديه .

ولا يمنح الاسعاف لرجل او امراة يكون لهما ، بعد اداء جميع النفقات الضرورية للحياة ، دخل يزيد على 420 ليرة سنويا ، او لهما رصيد يزيد على 500 لـــيرة

فان كان المدعي شخصا مسعفا ، وحكم لـه مع مصاريف القضية ، فان هذه المصاريف تؤدي لسندات نظام الاسعاف الشرعي ، اما ان حكم عليــه ، فان القاضي يومئذ يصدر امره بما يراه ، في المبلغ الــذي عليه أن يؤديه لخصمه كمصاريف للدعوى .

تطــوان : محمد بن تاويت

واعضاء اللجنة القضائية عادة ما يكونون نفس الاشخاص الذين يجلسون في مجلس الشيوخ «The House of Lords» كمحامين ، ولكن المحكمة نفسها تختلف ؛ فهي لا تقع في مجلس الشيوخ ، ولكنها في بنايتها الخاصة المجاورة لهوايتهول Whitehall

ومن الحقائق العجيبة، انه في المجلس الاستشاري وفي مجلس الشيوخ لا يرتدي القضاء الاردية المعروفة باسم Robes ولا المعروفة باسم Gowns مع أن هؤلاء يعتبر محكمتهم أعلا المحاكم على الى الاطلاق في البلاد ، وهم في عدة حالات اكثر مخالفة للرسميات وتحررا منها . .

العقوبات التي توقعها المحاكم

الغاية من العقوبة

ان الهدفين الرئيسيين في عقاب المجرم هما ، ردع الآخرين عن ارتكاب نفس الجريمة ، بواسطة مكافحتهم بمثال مما قد يقع لهم من العقوبات اذا هم ضلوا ، وتقويم المجرم نفسه .

اما عقاب المدعى عليه بدعوى مدنية ، فان المحاكم توجه في ذلك بواسطه مبدأ مغاير للاول ، اذ الهدف هنا هو ان يعوض المدعي عما لحقه من ضرر او خسارة، وهذا منطقي

المجرم يضر بمجابر الهيئة الاجتماعية ، بينما المدعى عليه بدعوى مدنيه ، يلحق الضرر بالشخص الذي عامله معاملة سيئة فقط ، ولهذا تكون العقوبة التي تصدرها المحكمة في غالب الاحيان ، هي تعويض الطرف الذي أسيء اليه ماديا ، بخلاف عقاب المجرم فهو في اغلب الاحيان لا يكون فيه تعويض لأحد على الاطلاق .

العقوبات المتنوعة

ان العقوبات التي ينص عليها القانون الجنائي الانجليزي هي ، الاعدام ، السجن الايقاف (بدون وضع تحت المراقبة) والحبس القصير (خاصة للجناة الاحداث) ثم الغرامة المالية ، وأخذ التعهد على الجاني بانه سيسلك سلوكا حسنا في المستقبل ، وفي هذه الحالة يطلق سراحه ، مع وضعه تحت المراقبة والصيانة .

ويجدر بنا أن نفصل القول في كل على حدة

يحكم بالاعدام في القانون الانجليزي لبعض قضايا من القتل العمدي (وهو الاصل في القتل) وللخيانة وذلك بان يقوم الخائن بمساعدة العدو وخلال مدة الحرب ، اما أيام السلم فلا تنفذ الاحكام بالموت للخيانة.

وهكذا ، يشنق المجرم في فناء السجن ، امام بضعة من الضباط ، ولا يوجد شنق على مشهد من العموم ، كما ان الحكم بالاعدام لا يصدر الا على من كان سنه لا تقل عن 18 سنة ، حينما ارتكب الجريمة

اما السجن فنادرا ما يصدر به الحكم على الشخص الذي تقل سنه عن 21 سنه ، فان حدث ما هو النادر فعلى المحكمة أن تبين لما ذا رأت ان السجن ضروري في هذه القضية الخاصة .

والمحاكم التي لها أن تصدر الاحكام بالسجن لمدة تزيد على ستة اشهر ، لا يمكنها ان تصدر ذلك في حق المجرمين الذين سنهم دون 15 سنة ، وللمسجل Magistrate وحده الحق في اصدار الحكم بالسجن لاكثر من سنه اشهر ، ولا يمكنه ان يصدر هذا الحكم الا على من سنه 17 سنه .

والمجرمون الذين يرى القاضي الا يسجنوا ، يحجزون في أماكن مغلقة ، موضوعين تحت نظام دقيق ، وغالبا ما يسلمون الى الاصلاحيات ، تقوم بتهذيبهم وتعالجهم باستئصال غريزة الاجرام من تفكيرهم .

وللمحاكم جميعا أن تفرض الغرامات على المدعي عليه ، بدلا من أن تحكم عليه بالسجن ، الا حينما يقضي القانون في الجريمة بالاعدام او السجن لا محالة .

وتعين المحكمة الاجل الذي يؤدي المحكوم عليه داخله الغرامة ، فان لم يؤدها فان المحكمة تعاقبه بالسجن ، ولكن يجب في هذه الحالة الا يسجن لمدة تزيد على اثني عشر شهرا ، لتقصيره في اداء الغرامة .

ولا تزج المحاكم الانجليزية بالناس في السجن ، ما استطاعت لتجنب ذلك سبيلا ، لان التجربة اثبتت في كثير من الاشخاص الذين سجنوا ، انهم بعد خروجهم من السجن يكونون اشد اجراما مما كانوا عليه يوم دخولهم اليه ، ولهذا فان ارسالها شخصا الى السجن غالبا ما يكون قاهرا لارادتها ، أما ان استطاعت تجنبه فانها تعمل على أن تصبح المرتكب جناية دون الجريمة قادرا على التخلص وتعود مواطنا صالحا ، وبناء على

تأليف المجلس الاداري لشركات (السوكاب) . ومع ذلك فان النصوص القانونية التي كان عليها ان توضح كيفية تطبيق هذا المبدأ لم تصدر بعد .

ومن الناحية العملية فان شركات (السوكاب) موضوعة اداريا تحت مسؤولية رئيس الدائرة يساعده في ذلك موظفو الدائرة انفسهم .

والموارد المالية لشركات (السوكاب) تتكون مما يلي :

1 ـ السنتيمات الاضافية للترتيب (الضريبة على الانتاج الفلاحي)

2 ـ مصاريف التسيير (3 فى المائه من القروض)

3 ـ الاموال التي يقدمها الصندوق المركزي .

ويتم تنسيق اعمال شركات السوكاب التابعة للعمالات بواسطة لجنة اقليمية لشركات السوكاب . ويترأس العامل هذه اللجنة او ينيب عنه احدا لتمثيله فيها . وهي تتألف من رؤساء الدوائر ورؤساء المصالح التقنية الاقليمية (مفتش مصلحة القرض ـ التجديد القروي ـ تربية المواشي ـ الضرائب القروية) يضاف اليهم رئيس القسم الاقتصادي بكل عمالة .

وتجرى مراقبة شركات السوكاب بواسطة **مجلس المراقبة والتفتيش** . ومقره في الرباط ، ويرأسه رئيس الوزارة او من يمثله .

ويتم استخلاص قروض السوكاب على الطريقة التي تستخلص بها الضرائب المباشرة . يضاف الى ذلك اللجوء الى الاجبار عن طريق السجن كما نص على ذلك ظهير 22 غشت 1957 (اللجنة الاقليمية تحيط المحكمة الاقليمية علما بذلك .

ب ـ الفلاحة التي هي في طريق التطور : وهي التي تستعمل بعض الآلات المكانيكية . ان هذا النوع من الفلاحة تتجه الى الصندوق الاقليمي للتوفير والقرض (الكريك) . وقد اسست هذه الصناديق الاقليمية بمقتضى ظهير 1937 . ولا سير هذه المنظمات الا في المستوى الاقليمي او في مستوى عدة اقاليم . وهي تهدف الى تشجيع التوفير والى منح قروض لاجل متوسط . والحد الاقصى هو 7 500 درهم من اجل قروض اصلاح الاراضي ، و 25 000 درهم من اجل قروض التجهيز بالآلات وغيرها . وبصفة استثنائية يمكن لمنظمات (الكريك) ان تمنح قروضا لاجل طويل (خمسة عشر سنة من اجل استغلال الاراضي الواقعة في دوائر الري الكبرى ، وعشرون سنة من اجل انشاء الملك العائلي) . وتكلف الصناديق الاقليمية للتوفير والقرض كذلك بالقروض المتعلقة بالصناعة التقليدية **وبقرض السكنى** بشرط ان يكون صاحب الطلب مالكا لبقعة ارضية . ويسيرها مجلس اداري يترأسه العامل ويتألف من الباشاوات ورؤساء الدوائر وممثل عن وزارة المالية (مفتش مصلحة القرض) (1) وآخر عن وزارة الفلاحة وممثلين اثنين عن الفلاحين وآخرين عن الصناع التقليديين .

ويوكل تنفيذ مقررات المجلس الى **مدير مفوض** والى موظف في الحسابات يعينه العامل باقتراح من وزير المالية (القابض) .

وتتكون موارد الصناديق الاقليمية في الاساس من المساعدات المالية التي يقدمها الصندوق المركزي يضاف اليها الارباح الناتجة عن عمليات القرض هذه .

اما القروض الفلاحية التي تقدمها هذه الصناديق فهي خاضعة لموافقة **لجنة التسيير الاداري** . وتتألف هذه اللجنة من المدير المفوض ومن مفتش مصلحة القرض (1) وممثل عن المكتب الوطني للتجديد القروي وآخر عن الفلاحين .

ولابد من الاشارة اخيرا الى ان الصندوق المركزي للقرض والاحتياط لا يعطي قروضا للاشخاص وينحصر دوره في تقديم المساعدات المالية الى شركات السوكاب ومنظمات الكريك ، ثم مراقبة استخدام هذه الاموال . اما هذا الصندوق في حد ذاته فهو يأخذ امواله من الدولة .

ح ـ الفلاحة العصرية : وهذه تتجه الى الصندوق الفيديرالي الذي اعيد تنظيمه بواسطة ظهير 1935 . وهذا الصندوق الفيديرالي هو الذي حل محل الصناديق التعاونية للقرض الفلاحي التي اختفت في نفس التاريخ . وقد انشئت هذه المؤسسة في البدء لاراضي التعمير لا غير ، ومنذ عهد الاستقلال اخذت شيئا فشيئا تتعامل مع كبار المستغلين المغاربة . وهي تسير في المستوى الوطني ولها مكاتب محلية .

---

(1) مصلحة رسمية تابعة لوزارة المالية .

الإصلاح الجديد لنظام القرض الفلاحي بالمغرب

للأستاذ عبد الحق بنيس

ان الحكومات فى العصر الحاضر ، ما فتئت تقدم كل وسائل العون فى سبيل تطوير الاقتصاد ورفع مستوى معاش السكان ، خصوصا اذا كان الاقتصاد يقوم — وهذه حالة بلدنا — على الزراعة فى الدرجة الاولى . وقد تأسست لهذه الغاية صناديق مالية فى المستويات الوطنية والاقليمية والمحلية لمنح قروض للاشخاص المزارعين الراغبين فى استثمار اراضيهم الفلاحية . والقروض على ثلاثة انواع : فهي اما لاجل قصير وتمنح من اجل موسم فلاحي واحد واما لاجل متوسط اي لبضع سنوات ، واما لاجل طويل تتراوح من خمسة اعوام الى ثلاثين . ولمعرفة الاصلاح الجديد الذي سيصيب نظام القرض الفلاحي بالمغرب ، لابد من الاشارة اولا الى النظام المعمول به فى الوقت الراهن ثم التعرض ثانيا الى صلب الموضوع . وبهذه الوسيلة نكون قد اخذنا فكرة واضحة عن الاصلاح الجديد المتوقع تطبيقه على مراحل ، نظرا لبعض الصعوبات الفنية التي تطلبت المزيد من الدرس والتمحيص .

اولا : نظام القرض الفلاحي كما اوردته النصوص التشريعية السابقة :

هنالك منظمات متعددة تقوم بتقديم القرض للفلاحين ، وهي تختلف باختلاف شكل الفلاحة السائدة :

أ — الفلاحة التقليدية : وتسمى منظمات القرض الخاصة بهذا النوع من الفلاحة (سوكاب) . وقد اتاها هذا الاسم المختصر من الحروف الاولى للتعبير الفرنسي الذي يعني « شركات القرض الفلاحي والاحتياط » . اسست بمقتضى ظهير 1928 . وهي المكلفة وحدها دون غيرها بتقديم القروض الى الفلاحين فى المستوى المحلي ، كما انها مقصورة على المغاربة المعنيين بالامر . وهؤلاء كلهم منخرطون فيها على وجه اللزوم .

ومنذ عهد الاستقلال فقدت منظمات (السوكاب) اختصاصاتها فيما يرجع لتعميم الاساليب الفلاحية العصرية التي اصبحت من اختصاص **مراكز الاشغال الفلاحية** ، وكذا الشأن فيما يهم تقديم المساعدات الخيرية التي اصبحت من اختصاص جمعيات البر والاحسان . وهكذا انحصر دورها بعد الاستقلال فى تقديم القروض من نوع الاجل القصير (موسم فلاحي واحد) . والحد الاقصى لهذا النوع من القروض هو 1 300 درهم . هذا من حيث المبدأ . الا ان هذه المنظمات قد تمنح بصفة استثنائية قروضا لاجل متوسط (2 500 درهم كحد اقصى) ، واخرى لامد طويل بشرط ان لا تتعدى عشر سنوات ، وان تخصص لانجاز المشاريع المتعلقة بتلافي انجراف التربة .

وتدار هذه المنظمات بواسطة مجالس فرعية تتألف من اعيان منتخبين ، ومن مجلس اداري يترأسه رئيس الدائرة (القائد الممتاز) ويتألف من ممثلين او ثلاثة عن كل مجلس فرعي ومن ممثل عن وزارة المالية وكذا عن المصالح الفنية التي يهمها الامر كمكتب التجديد القروي ومصلحة تربية المواشي ، والتجهيز القروي ، والمياه والغابات . والقابض هو امين صندوق (السوكاب) ويحضر الجلسات بهذه الصفة .

ومن جهة اخرى فان اعضاء الجماعات القروية (اعتبارا من صدور ظهير الجماعات الجماعية فى سنة 1960) هم الذين يشكلون الاساس الذي يقوم عليه

وستخضع الحسابات للقانون التجاري (الداخل ـ الخارج) ، وستقوم وزارة المالية بمهمة الرقابة .

ب ـ فى المستوى الاقليمي : ستلغى منظمات الكريك وستعوض **«بالصناديق الاقليمية للقرض الفلاحي»** التي ستتفرع عن الصندوق الوطني للقرض الفلاحي.

وقد حددت اختصاصات الصناديق الاقليمية على الشكل الآتي :

1) تزويد الصناديق المحلية بالقروض المالية

2 ـ فى امكانها ان تمنح مباشرة للفلاحين الاعضاء فى الصناديق المحلية قروضا تتعدى الحد الذي وضع لهذه الاخيرة اي قروض الاجل القصير وقروض الاجل المتوسط (من 18 شهرا الى خمس سنوات) .

والى جانب كل صندوق اقليمي ستوجد لجنة القرض ويتراسها مدير الصندوق الاقليمي . وتتألف بالاضافة الى الرئيس من ممثل عن وزارة الداخلية وآخر عن المالية ، وآخر عن وزارة الفلاحة ، وكذا عن مكتب التجديد الوطني ومكتب الري ثم من ستة ممثلين عن الصناديق المحلية .

وسوف يوجد كذلك مجلس اقليمي للقرض برئاسة العامل . وهو يتألف من :

ـ ممثل عن عمال باقي الاقاليم الداخلية فى دائرة نفوذ الصندوق الاقليمي .

ـ ممثل عن وزارة الفلاحة .

ـ ممثلين عن وزارة المالية .

ـ ممثل عن المكتب الوطني للتجديد القروي .

ـ ممثل عن المكتب الوطني للري .

ـ عشرة ممثلين عن الصناديق المحلية .

ح ـ **فى المستوى الوطني** : ان الصندوق المركزي للقرض والصندوق الفيديرالي سيختفيان وستحل محلهما منظمة واحدة هي « الصندوق الوطني للقرض الفلاحي » CNCA وهي مؤسسة عمومية **ستتمتع بشخصية مدنية واستقلال مالي** . وستوضع تحت الوصاية الادارية لوزارة الفلاحة .

وسيسيرها مجلس اداري يتراسه وزير الفلاحة ويتالف علاوة على الرئيس من عشرة موظفين يتخذون صفة المنصرف (اثنان منهم من وزارة الداخلية) ثم يضاف الى ذلك 11 ممثلا عن الصناديق المحلية .

وفى امكان المجلس الاداري ان يفوض سلطاته الى **لجنة التسيير الاداري** . وهذه تتألف من ثمانية اعضاء يتراسهم المدير العام للصندوق . وسيعين هذا الاخير بموجب ظهير بناء على اقتراح مشترك من وزارتي المالية والفلاحة . وستخول له اوسع الصلاحيات حيث انه هو الذي سيعين موظفي الصندوق الوطني والصناديق الاقليمية ما خلا موظف الحسابات الذي سيعين من طرف وزير المالية .

ومهمة الصندوق الوطني مزدوجة :

1 ـ فهو يمول ويراقب الصناديق الاقليمية والمحلية .

2 ـ ويتدخل مباشرة فى عمليات القرض الهامة التي تتعدى الاطار الاقليمي والمحلي (اي اذا كانت القروض من غير الاجل القصير والاجل المتوسط والاجل الطويل المحدد بثلاثين سنة) .

وستخرج منظمات القرض الجديدة الى حيز التنفيذ فى تواريخ تحدد بموجب قرارات تتخذ بصفة مشتركة بين وزارتي الفلاحة والمالية . وفى انتظار خروج هذه المنظمات الى حيز الوجود فان المنظمات القديمة (السوكاب والكريك والصندوق المركزي والصندوق الفيدرالي) ستظل سائرة فى عملها .

وستسهر على تصفية المنظمات القديمة منظمة الصندوق الوطني للقرض الفلاحي وستغطي الدولة الخسارات التي يحتمل وقوعها .

مكناس : عبد الحق بنيس

وتقوم بدراسة طلبات القرض التابعة للصندوق الفيدرالي لجنة اقليمية يتراسها العامل او من يمثله، ونضم مدير المكتب الاقليمي للصندوق الفيدرالي ، والمفتش الاقليمي للقرض ، ومفتش الضرائب القروية وممثلين اثنين عن الفلاحين العصريين وممثلين آخرين عن النعاونيات الفلاحية .

ويمنح الصندوق الفيدرالي قروضا لاجل قصير (800 1 درهم الى غاية 000 24 درهم لكل هكتار حسب المزروعات) مع تقديم ضمان .

وهنالك اخيرا صندوق القروض العقارية (وهو عبارة عن بنك خصوصي تراقبه الدولة) . وهذا الصندوق يمنح قروضا لاجل طويل يتراوح من 5 سنوات الى ثلاثين . وهو لا يتعدى نسبة 60 في المائة من القيمة التي قدرها الخبراء للملك المراد بناؤه . ويظهر ان التعديل الجديد سوف لا يصيب هذه المؤسسة اذ انها تقدم للمغاربة والاجانب سواء بسواء.

ثانيا : التنظيم الجديد للقرض الفلاحي كما هو وارد في ظهير 25 جمادى الثانية 1381 (4 دجنبر 1961) .

أ — **في المستوى المحلي :** يفكر في الغاء شركات السوكاب وتعويضها **بالصناديق المحلية للقرض .** وستركز هذه الصناديق على اجتهاد الفلاحين ، وفقا لمنهاج رسمي سيصدر فيما بعد لتوضيح كيفية تجزيء عمل هذه الصناديق الى دوائر نفوذ تكون متفقة مع التجزيء الاداري . وسوف يصبح الانخراط فيها اختياريا . وستخصص قروضها فقط للمنتمين اليها وستكون القروض لاجل قصير او لاجل متوسط (من 18 شهرا الى خمس سنوات) .

والصفة المميزة لهذه الصناديق هي ان السلطة المحلية سوف لن يعود لها اي تدخل في التسيير الاداري الذي سيصبح خاضعا فقط للمصالح التقنية المعنية بالامر (مراكز الاشغال والمكتب الوطني للتجديد القروي) .

اما موارد هذه الصناديق المحلية فسوف تكون مما يلي :

1 — من الحصص المالية التي سيقدمها المنخرطون .

2 — من قروض الصندوق الوطني بواسطة الصناديق الاقليمية .

3 — من المساعدات المالية التي قد تقدمها الجماعات القروية .

وسيخضع التسيير الاداري لهذه الصناديق المحلية لقانون نموذجي . وسيقوم بهذا التسيير مجلس اداري يتالف من ممثل عن الصندوق الوطني للقرض الفلاحي (1) يعينه المدير العام لهذه المؤسسة، وسوف يسند الى هذا الممثل مهمة المدير ، ومن ممثلين عن المصالح والمنظمات التقنية ثم من ممثل عن وزارة المالية ، ويضاف اليهم ممثلون منتخبون من جانب الفلاحين الاعضاء في الصندوق ، على ان يكون عددهم مساويا لعدد ممثلي الادارة . ويقع انتخاب رئيس المجلس باغلبية ثلثي الاصوات .

اما منح القروض فسوف تتكلف به لجنة القروض وهي تتالف من مدير الصندوق المحلي بوصفه رئيسا للجنة ثم من ممثل عن مكتب التجديد القروي وممثلين عن الفلاحة (والقروض سوف تمنح لاجل قصير ولاجل متوسط يتراوح كما قلنا من 18 شهرا الى خمس سنوات) .

وسوف تمثل الدولة في المجلس الاداري وفي لجنة القرض بواسطة مندوب الحكومة . وسوف تقع على الشكل الآتي :

1 — تزويد الصناديق المحلية بالقروض المالية.

2 — في امكانها ان تمنح مباشرة للفلاحين الاعضاء في الصناديق المحلية قروضا تتعدى الحد الذي وضع لهذه الاخيرة اي قروض الاجل القصير وقروض الاجل المتوسط (من 18 شهرا الى خمس سنوات) .

والى جانب كل صندوق اقليمي سيوجد لجنة القرض ويراسها مدير الصندوق الاقليمي . وتتالف بالاضافة الى الرئيس من ممثل عن وزارة الداخلية وآخر عن المالية . وآخر عن وزارة الفلاحة . وكذا عن مكتب التجديد الوطني ومكتب الري ثم من ستة ممثلين عن الصناديق المحلية . **وسوف يوجد كذلك مجلس اقليمي للقرض برئاسة العامل** . وهو يتالف من :

— ممثل عن عمال باقي الاقاليم الداخلة في تعيين هذا المندوب باتفاق مشترك بين وزارتي المالية والداخلية .

---

(1) وهو الذي سيحل محل الصندوق المركزي كما **تسميه النصوص السابقة .**

حاضرة ملكه في مدينة نياني على ضفاف احد روافد نهر النيجير . ولم يمض خمسة عشر عاما حتى كانت مملكة مالي تحد بادرار شمالا ، وساحل العاج جنوبا ، والاطلس غربا ، والصحراء الجزائرية شرقا . بحيث كانت تضم عددا وافرا من الاقاليم الافريقية الحديثة. ومات سوند يانا بعد ان ترك مملكة منظمة يسودها الهدوء والنظام .

وقد بلغت امبراطورية مالي اوج عظمتها على عهد الملك كونكوموسي وحفيده من بعده سليمان . ولهذا وجب ان نقف بعض الوقت لمعرفة اخبار هذين الملكين العظيمين اللذين طبقت شهرتهما المشرق والمغرب لاتساع سلطانهما وعلو مقامهما في ذلك العصر.

انه كونكوموسي من سليل سوندبانا المتقدم الذكر وقد حكم خمسا وعشرين سنة ، ابدى فيها حكمة ومهارة فائقتين ، فوحد الشعوب المتنافرة التي كانت تساكن تحت كنفه ، واقام العدل والنظام ونشر الرخاء وشجع العلم وربط علاقات ودية مع كافة الدول المشهورة في عصره . وما لبث ان اصبحت مالي مملكة مزدهرة تقصدها القاصي والداني ، وتجري بها حركة تجارية في منتهى النشاط .

وكان الكونكو موسى براعة نادرة في التنظيم ، فجعل اداريه وجيشه ومالية الدولة على عهده محط الاعجاب وكانت امبراطوريته تحتوي على 400 حاضرة ، وكان يعني بريد العناية بهذه الحواضر موصيا بان تكون كل واحدة منها « قاعدة للملك » . وهكذا فان الحواضر المالية على عهد كونكوموسى كانت تمتاز بالذوق والزخرفة فكانت المنازل حائطة بالحدائق والجنان ، وكانت الطرقات نظيفة والمدن مليئة بالجوامع والمساجد . وكانت المتاجر تعرض صنوف البضاعة من كل نوع واقليم . وكان الناس يعيشون في نعمة ظاهرة يدل عليها الاقمشة الحريرية والصوفية والقطنية التي كانوا يرتدونها والحلي والمجوهرات والالماس التي كانت تتجمل بها نساؤهم اللائي كن معروفات بالجمال والذوق وحسن المعاشرة .

كان كونكوموسي يسكن قصرا فخما يحتوي على عدة اروقة وساحات يحيط بالكل جدار . وكان القصر يشتمل على كافة صنوف الابهة المعروفة عند الممالك العريقة في المجد . وكان كونكو موسى يتقن العربية ، وله خزانة كتب نفيسة ، وكان يقرب العلماء ويفسح لهم مجلسه ويكرمهم .

عرف كونكوموسى في المشرق لما قام بفريضة الحج ، فبقي ذكر زيارته للاماكن المقدسة عالقا بالاذهان عدة اجيال ، لما اظهره من فخامة وابهة وسخاء . لقد حج في ركبه عشرة آلاف من ابناء مالي وقيل ستون الفا ، وحمل معه الاكياس من الهدايا والتحف والذهب ومر في طريقه الى الحجاز من والطا وتوات وصحراء الجزائر وبرقة ثم مصر . وقد اغدق على سكان البقاع المقدسة من ضروب الهدايا ما لم ينسوه ابدا . ولدى عودته صحبه بعض الفقهاء نذكر منهم الشاعر الاندلسي ابا اسحاق ابراهيم الساحلي . كما تزود بعدد وافر من الكتب وخاصة ماتعلق منها بمذهب الامام مالك الذي كان متضلعا فيه .

وحين اقترب كونكوموسى من حاضرة ملكه اخبره ساعي البريد بينه وبين خليفته ان هذا الاخير قد الحق مملكة جديدة لمالي وهي مملكة سوغاي التي سيكون لها شأن وسنتحدث عنها . فزارها وبنى بعاصمتها مسجدا ثم خرج منها بعد ان اخذ ولدي ملكها رهينة عنده . ومر كونكوموسى في طريقه كذلك على تنبكتو التي كانت دار علم ومدنية زاهرة في ذلك العصر . وقد اختارها الساحلي دار اقامته الى ان وافته المنية .

وكانت علاقات مالي بالمغرب على احسن حال ، فكانت التجارة مزدهرة بينهما وكانت لكونكوموسى علاقات ودية مع الدولة المغربية . فقد بعث بوفد الى السلطان ابي الحسن المريني لتهنئته بفتح تلمسان وحمله عدة هدايا . فرحب السلطان باعضاء الوفد ، ووجههم الى صاحبهم بالهدايا والتحف ، وبعث معهم وفدا مغربيا لم يصل الى مالي الابعد ممات كونكوموسى.

وفي عهد هذا الملك كانت الحركة العلمية مزدهرة فكان العلماء والفقهاء يفدون على مالي من كل اماكن العلم : فاس ، القيروان ، القاهرة . وكان عدد الطلبة في ازدياد ، اما يتلقون العلم في تنبكتو وكاغو وغيرهما من المدن التي كانت لا تقل مجالسها عن مجالس اكبر العواصم العلمية في العالم الاسلامي اذ ذاك ، واما كانوا يرحلون الى هذه العواصم نفسها .

لقد ترك كونكوموسى ملكا راسخ الاركان بقي يشهد بعظمته حتى قال احد المؤرخين : ان القرن الرابع عشر في السودان ينبغي ان ينعت بقرن كونكوموسى .

الممالك الإسلامية القديمة في إفريقيا

مملكة مالي

للأستاذ: قاسم الزهيري

- 3 -

من ذا الذي يجهل عظمه مالي الغابره ؟ ومن الذين لم يسمعوا بهذه المملكة التي بلغت شأوا لم يبلغه دوله أخرى في عصرها بالقارة الافريقية ؟ لقد امتد ذكرها في المشرق والمغرب . حتى اصبحت مضرب الامثال في الغنى والبذخ وكعبه القصاد من جميع البلاد والحواضر : من فاس وتلمسان وتونس والقاهره ولشبونة والاندلس وفرنسا . وكانت البضائع تتدفق عليها من كل حدب وصوب . فلقد بلغ ما كان يرد عليها من الابل من مصر وحدها 12.000 رأس في السنة . تأتي محملة بصنوف البضاعة . زيادة على ما كان يرد عليها من المغرب عن طريق سجلماسه التي كانت مركزا هاما للمواصلات . وما كان يأتي من البلاد الاخرى . وكانت الصحراء الغربية آنذاك مطروقة لا ينقطع فيها السير . بل كان السير فيها اكثر مما هو الآن حتى أن بعض الاساتذه بجامعتي تنبكتو او دجني كانوا يقطعونها للاستراحة من عناء الدروس على ضفاف البحر المتوسط مثلما يفعل زملاؤهم اليوم بعدما يتخطون الصحراء على متن الجو .

فما اصل هذه الامبراطورية ؟ ومن هم أهل ملوكها ؟ والى أي درجة من العظمة والازدهار وصلت ؟ هذا ما سنلخصه لكم اعتمادا على روايات المؤرخين والرحالة العرب وغيرهم . وخاصة ابن بطوطة الذي رحل بنفسه الى مملكة مالي وتنقل في بعض جهاتها . ثم خلف صفحات ضمنها اعجابه بما شاهده من مظاهر المدنية والتقدم .

لانعرف الشيء الكثير عن اصل مالي . انما الراجح انها كانت في الاصل امارة مشمولة بحماية ملوك غانا كسائر المقاطعات المجاوره لهذه الامبراطوريه. وكان امراؤها رهائن في قصر اولئك الملوك حتى لاتسول لهم نفوسهم ان ينقضوا البيعة . فلما دالت دوله غانا انتثر الجمع ، واستعادت مالي حريتها . كما استعادت اماره اخرى تسمى بمملكة سوسو استقلالها، وغيرهما من الامارات .

وقد عظم شأن سوسو واخذ ملوكها يمدون مملكاتهم الى ماجاورهم . وما لبثوا ان الحقوا اماره مالي في اوائل القرن الثالث عشر . وحتى لا يبقى لهذه الاماره مطمع في التحرر اعمل ملك سوسو السيف في رقاب امرائها . فقتل تباعا احد عشر منهم . ولكن أحد الامراء « سوندياتا » افلت من نقمته فأسس مملكة مالي كما عرفها التاريخ . وعمرت هذه الدولة ازيد من اربعة قرون حتى أصابها ما أصاب غيرها من الانحلال والزوال .

كان سوندياتا الابن الثاني عشر لملك مالي . من عائله كيتا الشهيرة . وكان ذا اراده من حديد ، فظل ينظم المقاومة ضد ملك سوسو ويؤلب عليه عشيرته واقرباءه حتى ظفر به بعد معارك طاحنة ، فالحق سوسو وما كان يتبعها من امارات واخذ يزحف على الاقطار المجاورة واحدا تلو الآخر . فدخل سنة 1240 مدينة غانا وحطم ما تبقى منها ، بينما جعل

السوق الافريقية المشتركة

للاستاذ
محمد أحمد الغربي

وافقت اللجنة السياسية لكتلة الدار البيضاء وهي التى تضم رؤساء الدول المتحررة فى افريقيا خلال اجتماعها الاخير على انشاء سوق افريقية مشتركة تضم بصفة اولية الدول الست الموقعة على الميثاق التحررى ، وهي المغرب والجزائر والجمهورية العربية المتحدة ومالى وغينيا وغانا ، وبمجرد ان يصار الى تصديق الوثائق من طرف المجالس التشريعية حسب المسطرة المتبعة فى كل دولة من الدول الست ، فان هذه السوق ستعتبر واقعا اقتصاديا فى مستهل شهر اكتوبر المقبل ، كما ان جميع الاوفاق التي سبق للجنة الاقتصادية ان اتفقت عليها فى اكرا والمغرب والقاهرة ستدخل فى حيز التنفيذ اعتبارا من فاتح يناير 63 .

وان دول الميثاق — بهذه الخطوات المادية الجبارة — لتقيم الدليل على انها لا تكتفي برفع شعارات التحرر ، والتحدث باسم مقاومة الاستعمار ورواسبه، ومناهضة التبعات على اختلاف اشكالها كما يدعي ذلك الكائدون لها والمتطلعون الى فشلها ، ولكنها بالفعل مجموعة من الدول التي آمنت ايمانا حقيقيا بالتحرر وسعت بكل ما تملك من جهد وما تدخر من امكانات لتكريس ذلك التحرر فى مجالاته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية .

واذا كانت المؤتمرات فى هذه الايام تقاس ايجابيتها وصدق المشتركين فيها ، بمقدار ما تحققه فى الميدان الاقتصادي ، فان اجتماع اللجنة السياسية الاخير وجميع المؤتمرات الفرعية المنبثقة عن الميثاق ، تعتبر كلها مثالا فريدا من بين المؤتمرات الاقليمية التي تعقدها المجموعات القارية ، كمجموعتي منروفيا ، ودول امريكا اللاتينية ، او المجموعات ذات الروابط الخارجية ككتلة برازافيل ، او المجموعات القومية كالجامعة العربية ، فدول الميثاق لم تكلف نفسها عناء تحضير الخطب وعقد الندوات ، واخراج الكتب ولكنها — وهي تؤمن بان التحرر يقتضي العمل والجد والتضحية — لم تدخر شيئا فى جعل الميثاق اكثر من جملة مكتوبة بالحبر .

وان قرار احداث سوق افريقية مشتركة بين دول فتية تطبق الاشتراكية فى بلادها او هي سائرة فى طريق الاشتراكية المنبثقة عن واقعها وعن احتياجاتها، ليعد فى ذاته عملا هائلا وخطيرا لا يمكن مقارنته الا بثورة ضخمة قام بها عشرات ملايين من البشر ضد السوق الراسمالية التي تضم مصالح العالم المتصنع الذي يحرك 60٪ من الرساميل الموظفة فى العالم باسره ، وتلك الثورة لا يقصد منها طلب العزلة ولكنها تستهدف تنصيب الذاتية الافريقية الاقتصادية وجعلها تتوفر على وسائل التصرف فى مقدراتها ، وعلى الطرق التي تفضي بها الى تطوير مجتمعاتها تطويرا تفرضه المصلحة الافريقية لا مصلحة من يبحثون عن الاسواق وعن الربح .

وان انشاء هذه السوق بين دول يزيد سكانها على 60 مليونا من البشر سيمكن ولا شك من اقامة قوة اقتصادية متكافلة تستطيع — بالنظر لتنوع منتوجاتها وتباين احتياجاتها الاستهلاكية وقوة مركزها الاقتصادي وشيوع الوعي بين شعوبها — ان تقف بعزيمة لا تغلب امام مختلف التكتلات الخارجية ، وتستطيع متى ارادت ان تبني علاقات جماعية مع الدول الست المكونة للسوق الاوروبية المشتركة ، او مع مجموعة فرسوفيا الاقتصادية او مع الاسواق الحرة

وخلف كونكوموسى ابنه ثم اخوه سليمان نار . فكان لهذا الاخير الدور الاكبر في المحافظة على قـــوة الامبراطورية ونفوذها . وكانت اتصالات بينه وبيـــن ملوك المغرب . ولما مات ابو الحسن المريني ، اقـــام صلاة الغائب وتصدق . وفي عهــد سليمان نار ، زار الرحالة ابن بطوطة السودان واقام بهــا متنقــلا بين حواضرها فخلف لنا صفحات مفيدة وممتعة عن الحياة الاجتماعية وما بلغته هــذه الامبراطوريـــة من تقــدم ورقـــــي .

وبعد وفاة سليمان سنة 1360 وقعت فتنه بين شيعة ابنه واتباع ابن اخيه . تنازعوا على الملـــك وظفر به ماري دياتا . فبعث بوفد كبير الى سلطـــان المغرب ومعه زرافة بقيت حديث الناس زمنا طويلا . ولمعرفة الاتصال الوثيق الذي كان بين المغرب ومالي ، ينبغي ان نذكر ان احد ملوك بني مرين وهو عبد الحكم لما اقصى عن العرش زار ملك مالي قبل ان يلجأ الى مكـــــــة .

لكن منذ وسط القرن الخامس عشر بدا الانحلال يدب الى هذه الامبراطورية المترامية الاطراف . ومع ذلك بقيت قائمة الى الربع الثالث من القرن الســابـع عشر . وقعت حادثتان كان لهما اكبر الاثر في سقوط الامبراطورية : الاولى استقلال مملكة سفاي ، والثانية بدء الزحف البرتغالي على الامبراطورية .

اما استقلال مملكه سفاي اوكاغو فقد تم بعد قتال دام ثمانية اعوام اقام بعدها الملــك سونـــي على مملكته الاسلامية التي خلفت مالي . فاستولـــى على تنبكتو والتوارك وحاضرة دجيني .

بينما اخــذت البرتغــال تنتقــص من اطـــراف المملكة فاستلحقت غامبيا وبدات تعد العدة لاكتســـاح الســوادين الاخرى . فاخذت امبراطورية مالي تنحسر شيئا فشيئا تحت الضربات الموجهة اليهـــا من كـــل جانب الى ان سددت لها آخر ضربة على يد امبراطورية بامبارا سنة 1370 .

ومن الجدير بالذكر ان امبراطورية مالي زارها ابو الحسن الوزاني او ليون الافريقي في ابتداء القرن السادس فكتب عن احوالها في هذه الفترة التي كانت تجاهد فيها عوامل الاضمحلال .

وفي القرن الســابــع عشـــر كتـــب عبد الرحمن السعدي عن مالي بعد ما كانت دولتها قد دالت .

مملكـــة سغـــاي

بقي ان نتحدث الآن عن ثالث مملكة سودانيـــة نمت وترعرعت على انقاض مملكة مالي وكان لها شــأن عظيم الى ان دالت دولتها على يد احمد المنصور الذهبي اشهر ملوك الدولة السعدية . هذه المملكة هي مملكـــة سفاي او امبراطورية كاغو باسم عاصمتها كما يسميها المؤرخون احيانا .

الرباط : قاسـم الزهيري



يشترون مختلف المعروضات ، واذا اخذنا ابة سوق محلية تقام في قرية او مدينة ووسعناها بحيث تشمل دولا متعددة بدلا من حيز صغير من الارض ، وعددا من الملايين بدلا من بضع مئات فاننا لن نكون قد اخطانا المقارنة او التشبيه .

ان السوق سواء كانت بالمفهوم الاول او الثاني لا يمكن ان تنجح وتتطور ما لم يكن هناك مستهلكون فالمعامل لكي تضاعف انتاجها والمواد الاولية لكي تدخل طور التحويل يجب ان يوجد زبناء يعملون على تصريف المصنوعات وضمان دوران العجلة .

والسوق الافريقية تضم ما يقرب من نصف سكان القارة الافريقية، 25 مليونا في الجمهورية العربية المتحدة ، واثنى عشر مليونا في المغرب ومثلها تقريبا في الجزائر ، واثنى عشر مليونا آخرين في غانا وغينيا ومالي فالمجموع هو واحد وستون مليونا من مستهلكي السوق الافريقية المشتركة . يتوفرون على قوة شرائية مرتفعة بالنسبة لاي مكان آخر في القارة .

ثم هنالك الانتاج . فلو كان هذا الانتاج واحدا في كل دولة لكان التفكير في خلق سوق مشتركة من باب الخرافات . لان منتج القطن في مصر لا يحتاج الى شراء القطن من المغرب او غينيا اذا كان موجودا بهما مثلا . وهكذا ، فان من اسس نجاح السوق الجديدة هو تنوع المحاصيل وحاجات كل سوق محلية على حدة كالقطن في مصر (وهي تعد ثالث دولة عالمية في انتاجه) والحبوب والخمور واللحوم والصوف في المغرب والجزائر ، والمنتوجات المدارية وتحت الاستوائية في غينيا وغانا ومالي . فكل منطقة تختص بانتاج لا تحتاج اليه المنطقة الاخرى فحسب ، ولكنه ضروري لها وكانت تتكبد خسارات اكيدة وتلزم بخوض معمعة المضاربات للحصول عليه .

وما يقال عن الانتاج الفلاحي يقال ايضا عن الانتاج المعدني ، ففوسفاط المغرب ومعادنه المختلفة (والمغرب ثاني دولة في انتاج الفوسفاط في العالم) وحديد مالي، وماس وحديد غينيا ، وذهب غانا ، وبترول وغاز الجزائر ، كل هذه المواد يمكن ان تنهض بصناعة عظيمة تسد حاجات سوق واسعة قوامها ستون مليونا من المستهلكين ، فلو فرضنا ان اية دولة من دولنا عزمت على انشاء صناعة ما . فهي ستضع في حسابها منذ الآن وجود المواد المكملة في بلد آخر داخل السوق المشتركة . ووجود سوق واسعة للتصريف تقوم على اساس التسهيلات والاسبقية داخل السوق . من شان كل هذا ان يوجد سياسة تمويلية واحدة ويخلق تصميما منسجما . وينشط الصناعة والاتجار بالمصنوعات ويقلل من ارقام الاستيراد التي تشكل اكبر الاخطار على ميزان المدفوعات ويزيد في ارقام المدخر من العملة الصعبة .

على ان هناك مشكلا اساسا تواجهه دول المجموعة بنسب مختلفة وهو اضطراب التجارة الخارجية . وكما يرجع ذلك الى ضعف التصنيع ، فانه يرجع ايضا الى تزايد الطلبات على مواد الاستهلاك ، فبمجرد القاء نظرة عجلى على التجارة الخارجية — كما تقدم احصائيات عنها منظمة الامم المتحدة — نتبين الى اي حد تفوق ارقام الواردات ارقام الصادرات . وذلك يحدث ارتباكات حقيقية في جميع اوجه النشاط الاقتصادي :

الواردات بملايين الدولارات

دول الدار البيضاء	1958	1959	1960
الجزائر	11.401	1.140ر9	1260
المغرب	397ر4	335ر1	413ر7
الجمهورية ع.م . .	661ر7	615ر8	632ر1
مالي	120ر4	102ر2	100
غانا	236ر9	316ر5	362ر1
غينيا	61ر9	60	؟

الاخرى ولكن على اســاس مصلحــة القــارة العتبــة المتخلفة لا على اساس امتصاص خبراتها الاولية وغروها بالمنتوجات المصنوعة او المحولة ، وقتل كل جهــد لانشاء صناعات محلية اي على اساس احترام الكيان الاقتصادي والطموح الافريقي للنمو في اطار التحرر وعدم التبعية الاقتصاديــة .

وان موافقة رؤساء دول ميثاق الدار البيضــاء الست على انشاء سوق متحررة في افريقيا ، تعتبر فوق ذلك عملا لا مندوحة عنــه بالنسبة لــدول ارادت ان تشق طريقها بحرية . وان تفهم كل من تعسر عليه فهم المرحلة التاريخية التحررية التي تجتازهــا القــارة الفتية ، بان تلك الدول قد وضعت وسائلها وامكانياتها وضحت بكل منفعة فردية في خدمة المبدا الــذي امنت به وصدرت عنه عندما اجتمعت لاول مرة في مدينــة الدار البيضاء . لقد عرفت تلك الدول انها ـ في الوقت الذي تبرم فيه اوفاق هذه الســوق الافريقيــة ـ لا تفعل اكثر من دفع تهديدات لم يكن هنالك مفــر منها ، فالضغط الاقتصادي والتمييز التجاري ضد كل دولة لم تقبل الاندماج في التكتلات الاقتصاديــة الاجنبية . والحصار الخانق المضروب على المنتوجات التي ترغب في البحث عن سوق عبر مشروطة بتدابير الدخــول اليها والتعامل معها ، كل هــذه الاشياء كانت تقف في وجه كل دولة من دول الدار البيضاء على حده . وكل واحد من تلك العوائق كان يمنع التنفس عن اقتصاد اي من تلك الدول ويجعله امام اختيارين . اما الرضوخ واما المــوت .

وكانت كل دولة من دول الميثاق ترى ان التهديد الذي يوجه الى الروح الثوريــة الافريقيــة والــى الوحدة الافريقية والذي يتمثل في الســوق الاوربيــة المشتركة . على الرغم مما تظهر به هذه السوق مــن الكرم والايثار والتساهل ـ لم يكن اقــل شؤمــا ولا نحسا من التدخل المباشر في شؤون القارة كما قــال نكرومة ، وكانت كل دولة من تلك الدول ترى ان الجانب الاستعماري بعد ان عجز عن المضي في اخضاع الافارقة عسكريا وسياسيا اخترع ما سماه «الوحدة الافريقية الاوربية» لتكون ستــارا لتخليــد الامتيازات الراسمالية في هذه القارة .

على ان كتلة الدار البيضاء كانت تعلــم ان دول السوق الاوربية المشتركة ومن خلفها اكثر من الفــي شركة ، لا يمكن ان ترضخ بسهولة لتدبير اقتصــادي تتخذه دول افريقية توجد بها 60 مليونا من المستهلكين وتشتمل على منتوجات متكاملة يمكن ـ مع بعــض الوقت ـ ان تأخذ بها نحو الاكتفاء الذاتي والاعــراض عن 90 في المائة مما تصنعه اوربا من الاجهــزة والالات الخفيفة والمتوسطة ، ولذلــك فانها لم تتخذ قرارها في جو من الحماس او الخطب ، ولم تخلق سوقها بدافــع من التحدي او التعصب الاعمى ، بل انها فعلت العكس، وسارت في خطى مدروسة تحوطها التدبر والواقعية .

وكان اول الضرورات هو القيام بخطوات اوليــة تجريبية تكون مقدمة للخطوة الجبارة القادمة ، وهكذا كان على مؤتمر اللجنة الاقتصادية الفرعية التي عقدت في اكرا والدار البيضاء والقاهرة ان تحضر المشاريــع الآتية . لتكون كدرجات يمكن الارتقاء عليها للوصــول الى الوحــدة :

اولا ـ اقامة وحدة للمواصلات البريدية والبحريــة والجوية والهاتفية والبرقية .

ثانيا ـ مد خط مدنــي للخدمات الجويــة يقــع تدشينه فــورا .

ثالثا ـ احداث مصرف للتوســع الاقتصــادي تموله الرساميــل الوطنية .

رابعا ـ الغاء الحواجز الجمركية تدريجيا ابتداء من فاتح ينايــر القادم .

خامسا ـ الاستشارة الفورية والمباشرة عندمــا نعرض مساعدات على اي من الدول الست او عندما يقع التفكيــر في انشاء مؤسسة اقتصاديــة .

سادسا ـ فتح مكتب افريقــي للدراســـات الاقتصادية والشؤون التي ترجع للنمــو .

وهكذا فان اول عمل قام بــه رؤساء دول الــدار البيضاء في جلستهم الثانية هو التوقيع على مسودات تلك المشاريع التي لا غنى عنها لضمان نجاح السوق ، وبعد ذلك خطوا الخطوة الحاسمة والجبارة في نفــس الوقت .

ولعلنا اذا قمنا بتشريح لهذه السوق والدعائــم التي تقوم عليها والمنافع التي ستعود بعــد بدء العمــل بها . فسنخرج بنتيجة وهي انها لم تكن تلبيــة لحاجة ملحة ولضرورات اكيدة ، ولكنها كانت ، قبل كل ذلــك عملا وقائيا . وذا فوائد لا يمكن حصرها .

ان اول شيء تتبادر الــى الذهن عندما يذكــر الانسان كلمة (سوق) هو جمهــرة المستهلكين الذيــن



قصة الضيعة التي عادت

للشاعر: إبراد فعلي محمد

مـدخـل

.. واخيرا
رجعت « ضيعتنا » تحت حمانا ..
بعد ان افرغنا فيها ،
من دمانا ،
لهبا سار عبيرا
وزرعنا في سماها ...
مهجا صارت ، على افقها ،
نورا وابيرا ..

كيف ضاعت

كيف ضاعت ...
لا تسلني :
كيف ؟
اني ..
لم اكن حتى جنينا ..
حين ضاعت
كنت خلف الدهر
خلف اللامهية
لا المواقيت !
ولا الابعاد ، عندي ،
ذات معنى

كنت لحنا ..
مبهما ، في فكر غيب ،
لم يغنا
كنت ، في تيار نوء العدمية ،
اى شيء ..
غير اني ..
لم اكن ادري بشيء .
حتى بدئي ..
لم اكن اعرف بدئي
كنت في خاطر غيبي
حين ضاعت ..
كنت ، في خاطر غيبي
دون علمي ،
تهمة .. ما احد يسأل غيبي
عنها ، حتى قلب امي

الجد يحكي

غير اني ..
ذات ليل ،
شجن ارق جفني
فانجلت اسباب جهلي ،
اذا رايت الجد يحكي ،
وهو يبكي ،

الصادرات بملاييــن الدولارات

دول الدار البيضاء	1958	1959	1960
الجزائر	488ر5	365ر6	394ر3
المغــرب	345ر2	331ر7	354
الجمهورية ع.م . .	471ر5	443	550ر1
مــالــــي	70	؟	؟
غــانــــا	292ر8	317ر4	324ر8
غــيــنــيــا . . .	23ر2	28	؟

واذا اخذنا بعين الاعتبا ان اسعار المواد الاوليـة نتيجة لتكتلات الدول المتصنعة اخذت فى النزول منـذ 1950 نجد ان الدول المتخلفة تتكبد خسائر جسيمـة تفوق ما تحصل عليه من مساعدات ولا يمكن ان نواجه الا بحلول تكتلية ، ولا يمكـن ان تعالج الا بالتدابيـر الاقتصادية الوحدوية التي تجعل بالمستطاع ايجـاد نمو اقتصادى مستجبب للطلبات المتزايـدة ، وخلق صناعة مزدهرة داخل هذه السوق الواسعة التـي ستفتح ابوابها بعد اسابيع قليلة .

ســلا : محمد احمد الغربي



كانه ..
ما اكثر ما يرنو .. لجدي ..
لجدار .. علقت ..
صورة جدي ،
فوقه ، للاب ذكرى
تحكي عن نحس ..
عن نكد ..
عن تعد ..
وابي ،
مهما رنا يوما اليها ،
خلته ..
لم ترها عيناه يوما
انه ، ان اغرقت ..
عيناه فيها ،
كان ، عن غيرها
اعمى
كم ، له ، الصورة توحي
.. من اسى مر ،
وذكرى ..
دمعة الجد الذي ..
لم يبق كي يذرف اخرى
عنب « الضيعة » اذ ..
نعصره ،
للغير ،
خمرا
شبح الوعد الذي ...
يطلب ثأرا
. . . . .
كان ، حين الليل يغسى ،
ابي يرنو ..
يجثو ..
للصورة يرنو ..
هائما فى فجر امس ،
سابحا دنيا بؤس ،
كان يرنو ،
ويناجيها بهمس :

الابـــن يعـــد :

« انا لما اف وعدي ، »
« يا ابي ، »
« لم ارو ثأري ، بعد ، لم .. »
« لم اطفىء الجمر بصدري »
« ضيعتي .. »
« لا زال غيري ، »
« فى ثراهـا ، »
« يتحكم »
« وانا .. يلطم خدي ، »
« ان ارد ان اتكلـم »
« لم ازل ، فوقها ، »
« مرغم .. »
« لم يزل خدي يلطم »
« واذا حاولت ، يوما ، »
« اتكلم .. »
« فمي يلجم »
« ضيعتي .. »
« لا زال غيري ، »
« فى ثراها .. فى وجودي ، يتحكم »
« وانا .. ازرع وردي ، »
« له ، كيما يتنسم .. »
« ونصيبي الشوك والدم »
« .. دون ان اكسر قيدي ، »
« دون ان اطفىء ثأري »
« غير اني لست انسى .. »
« ضيعتي فى يد غيري »
« كيف انسى .. »
« وبصدري ، دائما ، »
« ينبض ، كالنطفة ، وعدي »
« كيف انسى .. »
« وانا .. ازرع وردي »
« للسوى .. ازرع وردي »
« .. قسما ب .. »
« الدم يجري عربيا ، »
« فى عروقي ، نبويا : »
« لست انسى .. »
« ضيعتي فى يد باغ يتحكم »
« وانا عبد بها ، اومر .. »
« ارغم »
« كيف انسى .. وانا .. »
« احشائي من جبينها ، »
« تضرم .. »
« مهما ارغم »

.. لابي « القصة » ..
يحكي له ..
يغريه بثار
بنضال مستمر ..
كان صوت الجد يحكي ..
قصة ، وجهها احمر
من دم اوقده الشر
فحكى الجمر
كان يحكي ..
لابي ،
والليل ساج ،
وانا اختفي ،
فى ظلمها ،
خلف السراج ..
اتقي عين السراج
: « هاجمونا .. »
« بينما كنا نياما »
« نحسب الدنيا امانا » ،
« وسلاما »
« وانتفضنا من كرانا »
« فوجدنا النار خلفا واماما »
« ورائنا ، لهب الغاصب »
« بركانا .. ضراما »
« وبفتنا .. »
« وارتبكنا .. »
« ثم فارت ، »
« من وراء الوعي ، فينا .. »
« نخوة .. »
« كنا نسينا .. »
« طعمها الدافيء .. »
« نسيناه سنينا .. »
« وانتفضنا .. »
« وتقدمنا اليه .. »
« واباء الضيم يغلي فى دمانا »
« رغم انا .. »
« عزلا كنا ، اندفعنا »
« عرب نحن .. »
« وان نمنا سنينا »
« انما ، لم يعرف التاريخ انا ، »
« فى مدى عمره ، خفنا »
« عرب نحن .. »
« مدى الادهار ، »
« لا نعرف جبنا »
« واندفعنا »
« لا سلاح بين ايدينا ، »
« سوى صبر نبي »
« وصمود عربي »
« وتعاهدنا .. »
« على ان نفدي الضيعة .. »
« او نقضي ، فى حرمتها ، »
« رجما .. وطعنا »
« والتحمنا .. »
« رغم انا عزلا كنا »
« التحمنا .. »
« رغم انا قلة .. »
« والجاني .. »
« موفور ، مزود .. »
« و . . . . . »
« .. جزرنا وهو امتد »
« لا تخلنا .. لا تخل .. لا »
« لا .. تقل : انا انهزمنا .. »
« لا .. ولكنا .. راينا .. »
« ولدنا باتوا شظايا ، »
« وصبايانا سبايا »
« فاستسلمنا .. »
ورات عيناي ،
فى الخد المجعد ،
ذرة .. توشك تجمد
انها اشلاء ذكرى ..
ذوبت ، فى مقلتي ..
جدي ، جمرا
انها ...
آخر ذكرى ...
ذوبت آخر دمعة ،
ذرفتها مقلة الجد
بالي .. من روعة مشهد ..
دمعة الخد المجعد ..

الابن والذكرى

.. ومضى عام ..
واعوام ...
واخرى
وابي ..
كلما جاشت به ذكرى
فجرت ، فى خده ،
للجمر نهرا

أسطورة ملحمة الحق

بمناسبة استقلال الجزائر

للشاعر: محمد حسن طريق

طلع الفجر من عجاج الملاحم وانتهى الليل بعد ما كان فاحم
وتحررت من قيود عتي فمت تردبه غاضبا غير راحم
فانطلقا مرجل الكروب ... فطاول او فزاحم سرائر العز ... زاحم

دون النار من ذراك فما الغيب الا صلابة في العزائم
يا لشعب الجزائر الحر كم ابديت حقا من معجزات عظائم
هي اسطوره من الحق ان تبلى ابقى بدونها الكون قائم .
كتبت من فيض الدم والدمع ومن غضبة النسور القشاعم
فمضى ينشد الحياة غضوبا مبطلا بالكفاح تلك المزاعم
وتحدى المحال واستلم الامر وامسى يرى صباحه ناعم

زعقة منه جلجلت فانثنى الشر واضحى سرورنا اليوم عارم
ايها الزائر المصمم ارض الرجف والبيض والظبا والصوارم
ان تجيء ارضه فكن كتقي خف يمحي ذنوبه وهو حارم
ليس يخشى الخطوب يوما اذا ما كشرت عن مخالب ومقاطم
فانبرى عاصفا يجلجل كالرعد اعزازا او كالردى المتلاطم
ظل يبدي اراده القلب حتى اصبح اليوم لاحتلاله قاطم

فانجلى ليله بدفع رؤوس الشعب دفعا لمفصلات الجماجم
دمه كان كالسيول اذا ما فاض كانت له النفوس محاجم
صدق الوعد كفكفي الدمع يا فرحه اهلي من العيون السواجم
بقى الامر لم نعد فتنة الرجف احتمالا ولا خواطر حالم
هكذا همه المغاوير ينهد بها اليوم صرح تلك المظالم
قد طغى البشر واستبد بقلبي فبدت لي من السرور معالم

بقلم : حسن محمد الطريق

دمعـــة وعـــــذر :

« لا تخلني .. لا تخل لا ، »
« يا ابي لا .. »
« لا تخل دمعتي .. »
« سالت مني يأسا »
« ان صبري ، »
« من اذى الظالم ، »
« اقسى »
« انما .. دمعني ذكرى .. »
« حين تترى .. ضيعتي .. »
« حينما تترى »
« يحتوي خصرها ، »
« بالزرقة ، حقلان .. »
« بـلا حـرث وبـدر »
« انبتنا الامطار والانسام والدر »
« وكسا اردافها .. »
«مليون بحر .. »
« اخضر السيقان .. »
« بالامواج اصفر »
« يخفي ، في بطنها »
« مليون كنز .. »
« وانا فاقد عزي .. »
« بها ، والشوك نصيبي »
« ونصيب الغير .. »
« فواح البراعم »
« كيف انسى ، وانا .. »
« عن خيرها المهدور .. »
« صائم ؟ »

ـ يتبع ـ

القنيطرة ــ ابن دفعة محمد



يا يوم الاستقلال يا بشرى لنا … انشر سناك بعالم الاصلاح
انت البشير لامة العرب التي … نهضت الى العليا بكل جناح
اهدت الى الدنيا قديما نورها … واليوم اشرق ليلها بصباح
قامت على قدم وساق تبتني … مجدا وتحمي حقها بسلاح

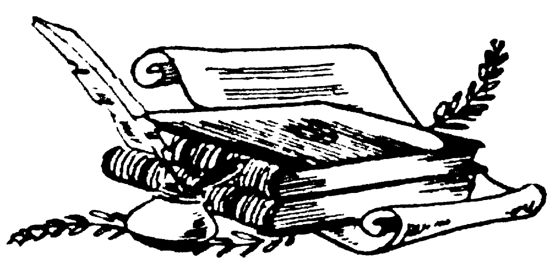
* * *

يا يوم الاستقلال هذا شعبنا … يختال بين معالم الافراح
كالطير فى نور الصباح مغردا … يشدو على الافنان والادواح
لحنا يسير مع النسيم عبيره … فيعم كل خمائل وبطاح
يهدي الى الاحرار عطرا بارعا … يسري بنفح ازاهر واقاحي
ويقيم للدنيا منارا ساطعا … يمحو الظلام بنوره اللماح
وبمجد الشهداء فى جناتهم … طوبى لهم فيها وحسن رواح
وبشد من عزم المكافح ، اننا … نهدي معونتنا لكل كفاح
ونصون بالارواح كل قضية … للحق فهو محرر الارواح

* * *

نفدي (فلسطين) الجريحة بالدما … فتعود سيرتها بغير جراح
ونمد (للكونغو) ايادى رحمة … من بعد اعصار بها وجماح
ونضيء افريقيا بنور تحرر … يخلي جوانبها من الاشباح
حتى يكون النصر عيدا شاملا … يحظى الجميع بنوره الوضاح

تطوان : احمد محمد صقر
عضو البعثة التعليمية العربية



استقلال الجزائر

للشاعر أحمد محمد صقر

يوم اضاء بوجهه الوضاح — بعد الجهاد وبعد طول كفاح
بعد الدماء الجاريات جدوالا — والحرب دائرة على الارواح
بعد الدفاع عن السيادة والعلا — بدم الشهيد ولقمة الفلاح
بدم الفتى فى عنفوان شبابه — ليرد كيد الغاصب المجتاح
بيد العجوز وقد راى اشباله — نهبا لعدوان اثيم ماح
بيد الفتاة وكفها مخضوبة — بدم العدو الغادر السفاح
بالجيش والشعب العظيم وقادة — نجحت قيادتهم واي نجاح

* * *

شعب الجزائر قاد اروع ثورة — هي للشعوب اشعة المصباح
فى قلبه نور الحقيقة ساطعا — والكف نحمل مبضع الجراح
ليزيل انار احتلال غادر — ويخوض للعلياء اكرم ساح
وبعيد اوضاع البلاد صحيحة — اكرم بأهداف هناك صحاح
يحمي حقيقته ويأخذ حقه — بيديه لا بمدامع ونواح
بالنفس جاد وبالنفيس ولم يزل — شأن الكريم مال كل سماح
لا تبلغ العلياء الا انفس — مشفوفة بالمجد غير شحاح

* * *

شعب الجزائر هب يحمي مجده — وبسير فى ركب النهار الضاحي
رغم (الفنسست) المجرمين وكيدهم — فهناك فى (وهران) شعب صاح
رباه رب العرش فى اسلامه — وحباه خير وسائل الافصاح
وجزاه بالنصر المبين ، وهكذا — نصر الاله جزاء كل صلاح
نصر من الله القوي لجنده — فالحق يظفر دائما بفلاح

يذوب ويفنى كي ينشيء شعبه ... على العلم والعرفان والنور والنار
فتلكم سبيل المجد والعز والعلا ... وغاية ما يرجى لتحقيق اوطار
فحيوا معي هذا المجاهد صامتا ... وشيدوا باعمال جليلة آثار
جزاه الاله الحق خيرا كما جزى ... نبيا وصديقا وصالح ابرار

* * *

هو العلم بناء الشعوب فكم له ... عليها اياد لاتشاب بانكار
به كشفوا فى الارض ما كان خافيا ... عليهم وما فى البحر من كل اسرار
ودانت لهم حتى السماء وما بها ... من النيران النائيات واقمار
صواريخ شقت فى الفضاء مسابحا ... كما لاح برف او كلمحة ابصار
سبر كما شاء وا لها فى مدارها ... وترجع ان شاءوا بصبط ومقدار
وفي البحر ترمي باللهيب قذائفا ... تغوص باعماق هناك واغوار
يدمر ما قد لامسته بنارها ... بوارج فى شكل الجبال جواري
فبالبهم قد وجهوها لنفعهم ... وخير بني الانسان اودفع اضرار
واخطر ما فى الكون عقل مشيطن ... واعطاء اسرار العلوم لاشرار

* * *

وان كان قوم قد اساءوا بعلمهم ... لانفسهم قبل اساءة للجار
فكم غيرهم أصحاب عقل وحكمة ... وخيرة اعلام وصفوة اخيار
قد اتخذوا تلك العلوم وسيلة ... لمنفعة الانسان فى كل امصار
وهذا امرؤ يضفي على الناس بره ... كعذب فرات او كافياء اشجار
طبيب نطاسي خبير بطبه ... بطول – بعد الله – فى وصل اعمار
نداه على الشاكين برء وراحة ... ومشرطه كالماء مطفيء للنار
ضرب منالا واحدا وهو حسبكم ... دليلا كضوء الشمس فى وقت اسفار
فمن نحص آثار العلوم كمن يرى ... بقيس مساحات البلاد باشبار

* * *

تعاليت ربي انت اول من دعا ... الى الفكر فيما ابدعته يد الباري
وعلم آدم منك الاسماء كلها ... فاضحت لديه فى وضوح واظهار
وارسلت جبريلا بوحي منزل ... على الرسول يقريهم بجهر واسرار
وارشدت هذا العقل للنور والهدى ... وزودته من كل شيء بافكار
فما كل علم فى الوجود وان طمى ... سوى قطرة من بحر الهامك الجارى

عوض عبد الرحمان الترابي
عضو البعثة التعليمية بالعرائش

فضل العلم وأثر العالم

للشاعر
عوض عبد الرحمان الترابي

خلوت بمحرابي ارتل اشعاري ... واستلهم الالحان من وحي اوتاري
وجمعت من اندى الرياحين طاقة ... وبين يديك جئت انثر ازهاري
ومن نور بدر التم والشمس بكرة ... قبست السنا الحاني ومن نجم اسحار
لمن نلكمو الالحان والزهر والسنا ... لمن ذاك الحفل المليء بانوار ؟
لهذا الذى جئنا نحيي جهاده ... ونثني على حسن الصنيع باسرار
ونخفض هامات له من تجلة ... وحب واعزاز وبالغ اكبار
معلم اجيال ومنشيء انفس ... ومنقذ اوطان ورافع اقدار
وريث النبيئين الذين اهتدوا بهم ... الى الحق كفار وعباد احجار
يظل بياض اليوم يلقي دروسه ... ويقضي سواد الليل قاريء اسفار
فمن الذي قد نال جاها ورفعة ... ولم يك في يوم لديه بقاري ؟
له السير الفضلي سلوكا مهذبا ... هو القدوة المثلى باخلاق وايثار
ينير طريق الخير في كل امة ... وننأى بها عن مسلك الجهل والعار
ويحفظ للدنيا رسالة احمد ... وموسى وعيسى من نبيئين اطهار
على ساعديه يبلغ المجد غيره ... ويرقى بنوه وهو في اسفل الدار
ولا تعجبوا ان تاه ابناؤه غنى ... يعيشون في نعماء وفي ظل ايسار
ومنهم من اعتلو العروش ارائكا ... صحاف لهم من فضة ونضار
يجرون اذيال الحرير تباهيا ... ولكنه في وسطهم رب اطمار
وراض بما دون القليل قناعة ... ويكفيه فخرا انه ملء انظار
وان بنيه حافظون لعهده ... وفاء وهم من حوله خير انصار

وانا ازعم لك ان هذا لا يمت من قريب ولا من بعيد الى فتوغرافية الادب الامريكي كما انه ليس « فوضى » ادبية وليس « سريالية نفسية » ولكنه شيء آخر ، شيء جميل وجميل جدا ، لانه يتيح لنا فرصة نرى خلالها نفسية الانسان الاديب على حقيقتها في فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر ، بل ان ذلك يمكننا من قراءة اثر ادبي يصور واقع نفس الاديب ، « واقعها الملموس » الثابت ، لا واقعها الذي « سيصبح » و « سيصير » بعبارة : يصور لنا واقع نفس الاديب في كينونته لا في صيرورته تصويرا دقيقا ، صادقا ، وبذلك .. بذلك فقط يكون ادبا انسانيا ، عميقا ، بعيدا عن السطحية والضحالة ، بعيدا عن الغش والكذب والنفاق النفسي ... ولن اتعرض هنا بالكلام الى شرح « الغش » و « الكذب » و «النفاق النفسي» فان ذلك لا محالة سيفضي بنا الى موضوع طالما تكسرت على صخرته اسنة الاقلام ، هو موضوع : « الالتزامية في الادب او اللا التزامية في الادب » .

ولهذا الاتجاه النفسي في الادب زعماء ومعضدون اذكر لك منهم على سبيل المثال لا الحصر الشاعر الانجليزي « ت . س . اليوت » وله لفتات بارعة عن هذا الاتجاه وطريقته في التعبير . استمع اليه يقول :

لنكن (كتابة الادب) كالسحابة تزجيها الرياح الشمالية الشرقية منسابة في غير شكل ...

حياة الانسان مجموعة من حوادث عابرة
لقد ملئت ايامنا بالتوافه الضئيلة ...
شغلنا هذا ، وذلك ، ثم ذاك وما يتلوه

شغلنا ما قاله فلان هنا ، وما قاله فلان هناك ، وما دار في ظن العم المكتهل

نسأل : هل امطرت السماء او لم تمطر ؟ ومتى امطرت ؟ وهل عجنت الفطيرة ببيضتين او ثلاث ؟ .

ولهذا الاتجاه من الجنس اللطيف مناصرات ومعضدات ، منهن الكاتبة الانجليزية « فرجينيا وولف » التي تقول :

« علينا ان نسجل الخواطر كما تقع في الذهن وبالترتيب الذي تقع به مهما يكن من التفكك في ظاهرها .. ان الحياة التي نحياها لا تتمثل في الذي يسمونه فكرة او خاطرة عظيمة باكثر مما تتمثل فيما يزعمونه تافها حقيرا ... »

ومهما يكن من امر فان الكلام عن هذا الاتجاه النفسي يطول ويتشقق ، وقد سبق لي ان حدثتك عنه بشيء من التفصيل في مقالتي « اتجاه » و « تجربة » المنشورة في صفحة الادب والثقافة بجريدة « العلم » منذ شهور .. اما الآن فليس لك الا ان تقرأ هذه المقالة التي هي في الحقيقة « ريبورتاج » لمجرى خواطر انسابت في منطقة شعوري خلال برهة زمنية كنت واقفا خلالها على ناصية طريق ...

على ناصية الطريق ....

الساعة الخامسة مساء ...

الكآبة في السماء تؤذن بنزول مطر غزير .. بعد نصف ساعة ستكون هنا بقامتها الهيفاء ، بالجمال الذي يرتعش رائعا في اعماق عينيها ، « بالفينوسية » التي ترقرق على تقاسيم وجهها المشرق ، على هذه الناصية تعودت ان اقف دوما انتظر قدومها في لهفة مفعمة بالشوق ، لست ادري لما ذا تصبح اللحظات — عند ما اكون اترقبها — ساعات عريضة .. ثقيلة ، وايضا لست ادرى لما ذا تصبح الساعات — عند ما نكون معا — لحظات قصيرة كعمر نور النيزك .. العواطف ، الامال ، اللهفة ، الشوق ، قد .. قد يكون لهذا دخل في الموضوع ...

لادخن سيجارة . سيخيل الي وانا انفث دخانها الاسود انني ابدد .. الزمن من حولي .. ابدا « نصف ساعة» الباقية ، نبضات قلبي عنيفة ، ومتلاحقة .. عند ما نجلس جنبا الى جنب سأطلب منها ان تضع رأسها الصغير على صدري لتستمع الى النبضات العنيفة ، المتلاحقة ، كلما وقفت هنا الا ورأيت هذا الرجل يطل من نافذة غرفته ، انه عديم الذوق والا لما « امطر » الرصيف ببصقاته المتوالية .. اني لاعجب كيف وصل هذا « النسر » الى السكنى في مثل هذه العمارة ، « م » كلما حدثته عن الزواج الا ولاحظت انه يحاول ان يغير مجرى الحديث ، انه ينفر من الزواج ، ويكره الحديث عنه .. يبدو لي ان في قلبه يرقد طيف انسانة لا يستطيع ان يصل اليها ...

على ناصية الطريق

بقلم : الأستاذ الحسن الكوراكبي

مـــن بين مدارس الادب الحديثة واتجاهاته السائدة تطالع الباحث مدرسة او اتجاه نفسي فى الادب . تبرعمت اكمامه فى بلاد سكشبير وحملت الكلمة سحره الحلال وعطره المضواع الى غير بلاد سكشبير من تلك البلاد التي تقع فى غرب اوربا وغيرها

هذا الاتجاه النفسي فى الادب لا يريد من عباد الحرف او آلهته ــ كما نشاء ــ ان يخلقوا الموضوعات بالقوة والاجبار ، ولكنه فقط يريد منهم ان يسجلوا خواطرهم كما تقع فى شعورهم دون ان ينخبروا منها شيئا آخر ، ذلك لان زعماء هذا الاتجاه لا يفرقون بين شيء اسمه (خاطرة خاصة) وبين شيء اسمه (خاطره تافهة) ، انهم يعتبرون خواطر الانسان كلا لا تتجزأ ، فهي الخامة الخالدة لكل الفنون التي عرفها الانسان والتي سيعرفها فيما بعد ، وهذه الخواطر كالماء لا لون لها ، ولكن لها رائحة ولها طعام ، بعبارة اخرى : الخواطر ليست قسمين : تافهة وهامة ــ وهذا لونها المزعوم ــ فتهمل الاولى وتؤخذ الثانية ، ولكنها ذات طعوم وروائح ، ولما كانت النفس الانسانية تشبه الى حد ما سمفونية تحتوي على الحان مختلفة ، فيها ما هو تافه (بطبعه) وفيها ما هو هام (باصله) ولن تكون السمفونية سمفونية الا اذا احتوت على كل تلك الالحان فان الادب ، اي ادب ، يعنى بتصوير النفس الانسانية لن يكون ادبا بالمعنى الدقيق والدقيق جدا لهذه الكلمة الا اذا جسد لنا هتافات تلك النفس التافهة والهامة ونداءات اعماقها التافهة والهامة ايضا، باختصار : البناء الادبي النفسي (الخالد) و (الرائع) الذي نستطيع بقراءته ان نلمس الواقع بخيره وشره ، بجماله وقيمه ، هو الذي يعجن ــ دعنا من لغة الخبازين ــ بشيد من خواطر ذات طعوم مختلفة وروائح متباينة . . .

ودعوة هذا الاتجاه النفسي فى الادب الى تسجيل كل الخواطر التافهة والهامة التي تسبل فى شعاب النفوس ليست دعوة (فارغة) وليست دعوة عابثة ، وليست ــ تاليا ــ دعوه كل همها ان تخالف ما اصطلح عليه الناس لتعرف بمدرستها وزعمائها عملا بمبدا (خالف تعرف) ، ولكنها دعوة (جميلة) وعندما اقول : دعوه (جميلة) اقصد انها تنطوى على الحقيقة، وهي اجمل شيء فى هذا الوجود سواء كان طعمها حلوا او مرا ووجهها مشرقا او قاتما . . .

فما هي هذه الحقيقه . . . ؟

انها تكمن فى الاشياء الصغيرة . التي لها دلالة كبيرة ، وترقد فى الامور الدقيقة . التي لها معنى رفيع .

ان الخير والجمال والفضيلة والنور و (سببا) من اسباب اسعاد البشر ونشر السلم فى « كريهم » . . كل ذلك قد تخلو منه خاطرة « عظيمة ، هامة » وبزخر به خاطره قد نقول عنها نحن « تافهة » وقد تتركها الادب ولا يسجلها ، لانها تافهة . .

وثمة شيء آخر . . .

ان الخواطر تنساب فى نفس المرء مفككة ، لا رابط يجمع بينها فى « وحدة موضوعية » غالبا ، فهل على الادب ان يسجلها كما انسابت : فى نفسه . . . ؟

اصحابنا زعماء هذا الاتجاه النفسي وانصاره لا يحفلون بالوشي اللفظي والوضع اللغوي ولا يعيرون كبير اهتمام لترصيع الكلمات وتنعيم الالفاظ فيما تنفثه اقلامهم من جائشات انفسهم وخواطرها . . . اقول : لا يحفلون بكل ذلك بقدر ما يحفلون بتسجيل خواطرهم كما تنساب فى مفازات شعورهم بدون ترتيب مقصود ولا تنظيم مصطنع . . .

الادبي اوله فى تعقل وبنـوع من الاحتشـام الفكـري والذوق السليم ، صديفي الشاعر د . ر . عنـد مـا سردت علي قصتي « الجوع البشع » هز كتفيه ، وعلق ببساطة : انها باردة . . .

نحن نحيا فى باستيل ثقافـي .. نجتـر كـلام الآخرين ، ونلبس افكار الناس ثيابا مهلهله تبعث على الضحك وتثير السخرية .. جنس يحدثني عن الالم الاسود الذي يقض مضجعه ويجعله يسلخ ليالي كلها كليلة امرىء القيس التي زعم انها كانت كموج البحـر ـ الابيض او الاسود ـ لست ادري .. وسكت لحظة ثم رفع راسه وقال :

ـ فراغ . . . فراغ مخيف ، مرهـق .. ان فى نفسي فراغا تستطيع ان ندحرج فيه كرة ..

قلت لصديق كان يجلس بجانبي : انها فلسفة ..

ابتسم . . . وعلق : ولكنها للاسـف ليسـت مغربية .. انها روسية . . .

ابتسمت .. وفهمت .. كالببغـاء .. تمامـا كالببغاء اصبـح المثقفـون فى بـلادي يتحدثـون .. ويكتبون

بعد عشر دقائق ستكون هنـا .. لكـم اود ان اضمها الى صدرى ونظراني تحبو فى بطء على صدرها المـرمـــرى . . .

امس عند ما اسلمت وجهي للحلاف يعمل فيـه الموسى ويمر به على حنجرني سعرت بفلبي برنعـش بين حناباه . . . نرى ما السبب . . . ؟

للمرة الثانية ارى هذا الشيخ الطاعن يمـر من ... « ينقل » قدميه من الارض فى بطء واناة شديدين .. انه ... يثقل كاهله و « تجرجر » خطواته ، كلما اطلت النظر اليه وهو يقف معتمدا على عكازته ، يسترد الانفاس الا وتواردت على ذهني خواطر شتى .. ما الحياة .. ؟ انها تفاهة وتمثيـل دور هزيـل ، مضحك فى المسرحية الطويلة التي كتبها القلم الازلي .. السلحفاة تحيا عمرا اطول من عمر الانسـان ، انـه لا يكاد يعتقد انه سيؤكد وجوده حتى ينتهي .. يمـوت .. مرات عديدة احس بالحزن دونما سبب يتدفق من اعماقي فيريني كل شيء من حولي اسود ، قاتما .. لكم اتمنى لو كان مثل السي (ح . ص .) . . . انـه يضحك دائما . . . ولكن .. لا .. لا .. لا .. الضحكة ككل شيء فى الحياة تفقد اشراقتها وعمق سحرها وروعة « فلسفتها » من كثرة الاستعمال .. عند ما قالت لي امس : اجمل ما فيك يا عزيزي شرود عينيك ، تذكرت كلمة مثيلة قالتها لي « انسانـة » ونحن نسيـر على « كوبري الجامعة » بالقاهرة . . .

الساعة الخامسة والنصف مساء .. المطـر يتساقط رذاذا .. لم تأت بعد .. ترى لما ذا تأخرت . . . لقد اخذني ثمل عميق وانا اسمعها تسـرد علي بعض انتاجي المنشور فى صحف كانت تصدر هنا منذ سنوات .. لاشك انها لم تستطع ان تتخلـص مـن صديقتها (ك) هذا « الشر » ما زال يمطر الرصيف بصقاته .

ما اروع ان ينتصر الحب على الموت .. بالحرف الواحد تلك هي الجملة التى لفظتها وانا انفض يدي من قراءة « فاوست » لجوته . . .

آ . . . آه .. لقد اقبلت . . .

ما اروعها . . . ما اجملها . . .

تطـوان : حسن الوراكلي

الفتاة التي « تتبختر » على الرصيف الآخر حيتني منذ ايام وانا واقف في مكتبة « ن » .. انها ساحقة الجمال ، الحق ، لقد خفق لتحيتها قلبي ، « الابيقورية » لذة لا تنتهي ومتعة لا توصف .. شيء جميل ان يحيا الانسان ابيقوريا ، ولكن لن يتسنى له ان يحيا في ارحب وارفع مستويات « الابيقورية » الا اذا كان ذا مال كثير وكثير جدا ، شك ما لا يمكن ان يوجد عندي في ان « س » كان يعبد « أ » عبادة ، ولكنه لم يتزوج بها ، تسمرت في مكاني وانا اراهما مساء امس يلتقيان تحت جنح الظلام .. كل منهما قد تزوج فما عاد ينفع غير الظلام لخنق الفضيلة ...

كم بروقني ان اتحدث عن الحب ، وافيض في الحديث ولم لا ؟ اليس هو سر الكون وجوهر الوجود؟ بغير خلجة شك لو نبض الحب في عبن الانسان ، اي انسان ، واورق في مقلتبه اخضر ، جميلا كحلم الربيع لسعد سعادة ، نصوبرها عسير جدا ، عند ما قلت لها ذات مساء :

ـ لو ان الناس ، كل الناس ، هللوا للحب وكبروا له لقادهم ضياؤه حتما الى مشارف الحقيقة .. اتفهمين ؟

اجابتني في صوت « مزماري » مدغدغ :
ـ لا .. لم افهم ، انا امية في الفلسفة ...
.. واطلقت ضحكتها البيضاء التي تكشف عن روعة قلبها الاخضر ، الصغير .. كل مباهج الحياة ورونقها وبهائها وفتنتها احسها تعربد من حولي وانا انظر الى نفرها وهو ينغم :
ـ أحبك ... أحبك ...

سبحان الله .. هذا الرجل يشبه تماما صديقي الاسباني (ك ـ ل) .. يا ما اروع الامسية التي قضيناها معا في مقهى « الربيع » ببرشلونة .. كم هو معجب بالشاعر (كرسيا لوركا) وكم ننتفخ اوداجه وهو يتحدث لي عن (سرفانطيس) ويجلل اسمه بهذه العبارة : امير الادب الاسباني

بعضهم يقول له : « الطاطا » وبعضهم يقول له « فيدل كاسترو » كجلمود صخر بنقض على هذا الانسان كلما جلت في تلك المقهى ، بظل لحظات يثرثر و « بخطب » ولا ينصرف حتى « يسلبني » سيجارتين او ثلاث ...

صديقي (...) فنان .. لتعرف ذلك حسبك نظرة قصيرة العمر الى عينيه المتحركتين دوما ، الباحثنين ابدا عن شيء ، مجرد شيء ليخلق منه لوحة زاخرة بالحياة ، نابضة بالصدق ، اذا استفسرته:

ـ الى اي مدرسة يمكن ان تنسب هذه اللوحة ... ؟ ضاق بسؤالك ذرعا و « تفضل » عليك بنظرة :

ـ قسما بروعة (بيكاسو وفوضي سلفادوردالي) ما عرفت معناها يوما ، ثم يشفعها بكلمات يلقيها على مسمعك الفاء :

ـ الفن ، فن ، بعني انطلاق ، حرية ... لا ... لا اعترف بالمدارس في الفن ...

غير ما مرة قلت :
ـ سمه « مرسما » ...
ولكنه كان بجيبني دائما وفي عينيه اصرار :
ـ لا .. لا ... استودبو ..

جنازة سمر ... كم احزنني خبر موت .. الدحمان .. كان طفلا هادئا وادعا .. كان صديق الجميع .. ما زلت اذكر ، لقد همست في اذن صديق لي ونحن نسير مع الجنازة :

ـ هذا الحشد الحاشد من الموتى لم لا يعود الى دنيانا واحد .. واحد منهم فقط وعلى محياه وعناء السفر ليحدثنا عما راى وعما ابصر ...

ابتسم الصديق ، ولم يعقب على كلامي ...
« ان من يزرع الريح يحصد العاصفة » ...
كلمة رائعة ، لم اعد اذكر في اي كتاب قراتها ...
في فترة مبكرة جدا من مطالعاتي عرفت ان لكل فنان ملهمة ، ومنذ ان عرفت (ن) وسؤال يلح على خاطري : هل تكون (ن) ملهمتي ... ؟

ولكن سؤالا آخر يتراقص على شاشة ذهني : هل انا فنان .. ؟ لست ادري ...

قليل .. قليل جدا من ادبائنا من يرفع راية ديكارت في نقده .. ليس هناك شك في انه لا يوجد الا القليل والقليل جدا من الادباء الذين يحكمون على الاثر

والقصائد فى مجموعها تعالج موضوعا واحدا هـو الانسان الذي يدعو الى الخير والتعاطـف والحب .. الانسان الذي يحاول جاهدا ان يحدد معالم انسانيته وان يضعها فى اطار من المحبـة والصدق والسلام .. الانسان الذي يكره الجـوع والحرب ويتـوق الـى البستان العالمي لينتشي بشذى ازهاره وورروده وينعم بنضارته .. لاتقف فى وجهه الحدود ولا تتحكم فـي مصيره دوافـع الشر ونـوازع الميـز العنصري .. الانسان الشخص الشاعر بمراحل نمـوه وتطوره .. الانسان الـذي يغنـي :

فلتنضب اودبـة الـدمـوع
ولينقشع سـواد الحـداد
سنشيـد علـى الارض
فـردوس الـوجـود
بأغانـي الامـل
ونبـل العمـل
سنبـدع مستقبـل الصفـاء
على أجنحـة الاوتـار
ونـمـلأه اخـوة

ان ديوان « بـؤس وضياء » صفحة جديدة من صفحات ادبنا المغربـي الحديث تبعث على الاعجـاب والفخر .. لانها تعبر عن واقـع الانسان الذي يريـد ان يتحرر من الضغط المادي ليبني مجتمعا انسانيـا لا تكدر صفاءه مفارة الخطر .. ولا تراق فيه الدموع على مذبح اليتم والتعاسة .. واقـع الانسان الـذي يطمح الى ان يكون سيد نفسه فى غير انانية ، ومحددا اهدافه فى غير اعتـداء ، لان الصداقة والاخوة ملكـه المشتـرك ... واقع الانسان الذي يؤمن بانسانيتـه ويصوغ مصيره بنفسه مادام يملك العقـل ويتوفـر على الادراك ...

هذا هو ديوان « بـؤس وضياء » فى انغامـه الانسانية الواعية شعر وفلسفة اجتمعتا على صعيـد الفكر الثقافي ، والوجدان المرهف ، لتضعا لبنة بجانب اللبنات الانسانية المؤمنة بنفسها الواثقة من مستقبلها الخير من أجل الاخوة والحرية والسعادة ...

بقيت كلمة اخيرة وهي ان هذا العرض اقتصر على جانب المضمون فقـط دون ان يتعـرض لجـانب الشكل ، وذلك لان الديوان فى الاصل وضع بالفرنسية على غـرار قوالب الشعـر الفرنسي — وأما ترجمتـه العربية والتي قام بها نفس المؤلف فانها لم تعتمد على الوزن والقافية مما هو متعارف فى الشعر العربـي .. وهذا ليس بعيب فى الديوان مادامت جل كلماتـه .. كلمات شعرية ذات ظلال وابعاد وفيها من الجـرس الموسيقي ما يجعلها مقبولة عند القاريء العربي وكدليل على هذا .. لنقرا واياكم هذه القطعـة :

صيحـة واهنـة ..
فهـرع الزوجـان وركعـا وضحكـا
فابتسـم الـوليـد ...
ان للمهـد عظمتـه وسمـوه ..
نـم يـا صغيـري
ان روحك مـن بيـاض الثلـج ونقاوتـه
فلـن نكـون ابـدا قطعـة مـن لبـل
نـم
سنكـافـح مـن اجلـك ..
سنضمن لك السـلام والرياحيـن والمأوى
نـم
سنضحـى لنا خميـره الغـد
سيمـوت دعـاة الحـرب بغيظهـم
ولـن نعـرف نمـة عـاصفـة
نـم
منمتعـا بأحـلام الصفـاء الابيض
لـن نعـرف الصوت الرهيـب
صـوت الرصـاص
ولا الرائحـة الفظيعـة
تنتشـر ممـن دفنـوا قلوبهـم
مضمخـة بالبتـرول
ان بسمتـك المضيئـة
وغضبتنـا
سنمـزقـان الكفـن
الكفـن الاحمـر
كفـن قنـابلهـم الحالكـة

هذه هي الصيحة الانسانية التي تنطلق من كـل جوانب ديوان « بـؤس وضياء » حاملة معها الامـل القوي فى المستقبل الافضل الذي يتحـول منه ظـلام البؤس الانساني الى ضياء السعادة والهناء ...

الرباط : احمد اليعقوبي

بؤس وضياء

ديوان شعر
للدكتور محمد عزيز الحبابي
قرأه وعلق عليه :
الأستاذ أحمد اليعقوبي

الشعر تعبير عن موقف معين تجاه كل المؤثرات الذاتية والمحيطة التي ينفعل بها الشاعر وتعتمل في اعماقه لتخرج بعد ذلك ملونة .. منغمة .. ذات صور وابعاد مختلفة لكنها في الغالب غير متناقضة ، فهو بهذا معاناة يعيشها الشاعر لحظة لحظة ، وتجربة ابداعية يزخر بها وجدانه ، وتتزاحم تياراتها في كيانه لتنطلق اثرا خالدا يسهم في ارساء الكيان الانساني المتطور .. وبهذا يصبح الشعر قريبا من الفلسفة لانها هي الاخرى موقف يتخذه الفيلسوف منبعا لافكاره وتأملاته ، ومنطلقا لتجاربه ودراساته .

فالشعر والفلسفة كلاهما موقف هادف وكلاهما تعبير عن ذلك الموقف .. وما دامت الحياة والطبيعة والوجود مجاري تتدفق فيها التجربة والانفعال .. وميادين للتأمل والمعاناة ، فالشاعر والفيلسوف هما اللذان يستطيعان التعبير بوضوح وعمق ، عن مدى قوة الاشعاعات التي يطفح بها ذلكم الثالوث .. نعم قد نجد فرقا واضحا في التعبير عن كل منهما وهو فرق ليس بذي اهمية مادامت الفكرة او الانفعال بها هما اللذان يريد كل من الشاعر والفيلسوف نقلنا الى آفاقهما الرحبة عن وعي وحرية ، قريبتين منا .. اما عندما ينطرف الشاعر فيوغل في الهويمات اللاواعية والتسطحات الغير الهادفة البعيدة عن الفكر .. وعندما يجمد الفيلسوف ويصبح اسيرا للتعبير الجاف الغامض .. فهنا يغدو الشعر والفلسفة كلاهما اشياء ذابلة لاتدعو الى الطمأنينة ولا تبعث الارتعاشة الانسانية التي يجب توفرها في كل اثر انساني وبالتالي تصبح المقارنة بينهما ضياعا للوقت وبحثا في العبث ..

بعد هذا نخلص الى الحديث عن ديوان « بؤس وضياء » — للدكتور محمد عزيز الحبابي للعلاقة الوثيقة فيه بين الفلسفة والشعر .. الديوان انشيء بالفرنسية وكانت طبعته الاولى بباريس سنة 1958 ، نال جائزة وزارة التهذيب الوطني بالمغرب عام 1959 ، ونقله بعد ذلك مؤلفه الى العربية وأصدرته دار عويدات ببيروت في حلة انيقة في اواسط الشهر الماضي ... وقبل ان نقدم عرضا موجزا للديوان يحسن بنا ان نقف قليلا عند مؤلفه الدكتور الحبابي فهو من المغاربة الذين استطاعوا بالعمل الدائب الشاق ان يسهموا في بناء النهضة الفكرية الحديثة بالمغرب ، درس في فرنسا الفلسفة وحصل على الدكتورة منها برسالته المعنونة — من الكائن الى الشخص — والتي يعمل حاليا على تعريبها وهي بحث في الشخصانية الواقعية . والشخصانية مذهب فلسفي ارسى قواعده الفيلسوف مانييل مونيي وتهدف الشخصانية الى تحقيق الفرد لانسانيته في ظل شروط خالية من الضغط المادي او المجتمعي ، والعمل على تفتحه نحو آفاق رحبة من الحرية والوعي الهادفين ، والدكتور الحبابي وان كان تلميذا لهذا المذهب الفلسفي ، فلقد عمل في رسالته السالفة الذكر على تحديد منهج مبتكر هو الشخصانية الواقعية ان لم نقل مدرسة قائمة الذات .. وجل مقالاته التي نشرتها له مجلة (اسبري)

توضح ذلك المنهج الذي يلتزم به .. فهو ملتزم لمذهب فلسفي ، وطبيعي ان ينظر الى ديوانه « بؤس وضياء » على هذا الاساس الفلسفي .

الديوان في حوالي 158 صفحة موزع على شكل فصول شعرية ، كل فصل يضم عدة قصائد .

على اذاعيات فى تاريخ المغرب والاسلام وجغرافية المغرب والتربية الوطنية والمحفوظات والانشاء ، وقد اضيفت الى ذلك فى الثلاثة اشهر الاخيرة اذاعيات فى الاناشيد والموسيقى الاندلسية والاحداث المناسبة ما عدا اذاعيات المتنوعات التي تشمل مباريات اذاعية والعاب وغيرها .

ثانيا : برنامج حرف (ب) وهو موجه لفائدة المعلمين المتدربين والعرفاء وهو عبارة عن دروس نموذجية يلقيها بعض الاساتذة العاملين فى مدارس المعلمين .

ثالثا : برنامج حرف (ج) وهو موجه لفائدة المواطنين الكبار ويتضمن اذاعيات فى التربية الوطنية والتاريخ والجغرافية باللسان العربي الدارج ، وقد عملت التربية الوطنية على اعداد برنامج حرف (ح) بناء على رغبة جلالة الملك الذي عبر عنها للسيد وزير التربية الوطنية يوم تدشين الاذاعة التربوية .

ولم تشرع المصلحة فى توجيه هذه الاذاعيات التي تدخل فى نطاق البرامج الثلاثة المذكورة حتى اشترت الف جهاز للاستقبال (راديو) و 200 1 مكبر للصوت التي الذي سمح لها بتجهيز 200 2 فصل مدرسي .

هذا ويوجه برنامج حرف (أ) ايام الثلاثاء والاربعاء والخميس والسبت من الساعة التاسعة والنصف الى التاسعة وخمسين دقيقة صباحا ويتلقاه الجزء الاول من التلاميذ داخل اقسامهم المجهزة ثم يعاد اذاعته فى العشي من محطة صوت المغرب بطنجة ليستفيد منه بقية التلاميذ نظرا لسياسة التناوب التي يجري بها العمل فى المغرب والتي هي ناتجة عن عدم توفر المقاعد الكافية لقبول جميع الاطفال فى المدارس والناتجة ايضا عن قلة المعلمين .

اما البرنامج حرف (ب) فيوجه ايام الاثنين والثلاثاء والاربعاء والجمعة فى الساعة السابعة وعشر دقائق من الاذاعة الوطنية بالرباط وهو عبارة عن دروس نموذجية باللغتين العربية والفرنسية فى المحادثة والحساب والنحو والمحفوظات ، ولا يستمع لهذا البرنامج الا المعلمون المتدربون والعرفاء بمنازلهم .

واما برنامج حرف (ج) الموجه للعموم فهو يذاع ضمن برنامج فى « خدمة الشعب » وهو عبارة عن تكييف الاذاعيات الموجهة الى التلاميذ وتبسيطها حتى يستطيع عموم المواطنين ادراكها .

تلك هي البرامج التي توجهها الاذاعة التربوية المغربية وسوف لا ادخل فى هذا الحديث الكلام عن نوع الاذاعيات (رواية او حوار او غير ذلك) حتى لا اثقل كاهل القراء الذين قد يوجد من بينهم من لا يهتم بهذا النوع الخاص نظرا لصبغته الفنية .

ولرب احد القراء يتساءل : وما هي النتائج المنتظرة من الاذاعة التربوية ؟ وما هو دورها فى تكوين الناشئة المغربية وتكميل معلومات المعلم ؟ وهل أدت رسالتها حتى الآن على الوجه الاكمل ؟

ان هذه الاسئلة كلها وجيهة وسوف لا اتعرض للاجابة عنها الابعد ان انقل اليكم الاهداف التي سطرها السيد وزير الصحة المكلف بوزارة التربية الوطنية والتي عهد الى المسؤولين عن الاذاعة التربوية بتحقيقها.

فقد حدد السيد وزير الصحة المكلف بالتربية الوطنية أهداف الاذاعة التربوية فى الندوة الصحافية التي عقدها فى شهر شتنبر من سنة 1961 أي قبل افتتاح الموسم الدراسي 1961 ـ 1962 بقليل وقد بين ان الاذاعة التربوية ترمي الى تحقيق الاهداف التالية :

1) تحسين نوع التعليم ، ونشره بالخصوص فى مجموع البلاد بواسطة الاذاعة : الوسيلة الاقتصادية التي تستطيع ان تجمع حولها عددا كبيرا من المستمعين.

2) استجابة للحالة الخاصة التي يعيش عليها المغرب من حيث عدم توفر المعلمين والمدارس الضرورية فان الاذاعة المدرسية تستطيع ان تخفف على حسب الامكان من ضرورة هذه الحالة بتوجيهها نحو الاطفال الذين لم يجدوا مقاعد فى المدرسة وباعانتها للمعلمين والعرفاء مقدمة لهم الارشادات الضرورية ، والدروس النموذجية .

3) تقديم تعليم حي لجميع الاطفال (وحتى للكبار) الذين حتمت عليهم الظروف ـ بكيفية مؤقتة او نهائية ـ ان يعيشوا بعيدين عن المدرسة كالاطفال المرضى بالمستشفيات او بمنازلهم او الموجودين بمراكز التربية المحروسة ... الخ ..

4) تهييء نشر برامج تربوية لفائدة الكبار : اذاعيات فى التربية الصحية والقروية والمهنية ... الــخ ...

أهداف الاذاعة التربوية المغربية

للاستاذ: عبد اللطيف خالص

ورد فى العدد السابق وهوالعدد السادس للسنة الخامسة ، من مجلة « دعوة الحق » الفيحاء فصل خاص بالاذاعة المدرسية المغربية تحت عنوان ــ الاذاعة فى خدمة الثقافة ــ فى ركن « الحياة الثقافية فى الوطن العربي » الذي يحرره الاستاذ المساوى زروق من رباط الفتح .

وقد احسنت ادارة المجلة صنعا عندما تعرضت فى عددها السابق الى الاذاعة التربوية المغربية ، اذ برهنت بذلك عن استعدادها الحقيقي وعملها المباشر للتعريف بوجوه النشاط الثقافي فى ربوع المملكة المغربية ، والحقيقة انها لفتة كريمه من « دعوه الحق» ان تكتب عن « الاذاعة التربوية » وتتحدث عن برامجها ونشاطها ، فالاذاعة التربوية وسيلة مهمة من بين الوسائل الحديثة المستعمله فى ميدان التربية والتعليم، وهي تكون جزء مهما من الوسائل السمعية البصرية فى نشر العلم وتبليغ المعرفة والنفاذ الى افكار المتعلمين والمعلمين ناشئتهم وكهولهم ، والاذاعة التربوية المغربية حدث جديد وهام فى بلادنا فهي لم تعرف الوجود الا منذ افتتاح الموسم الدراسي الحالي وذلك بعد أن دشنها صاحب الجلالة الحسن الثاني فى حفل رسمي يوم ثالث أكتوبر 1961 بقرية بوقنادل قرب العاصمة .

وقد أتاح لي تعرض « دعوة الحق » الى الاذاعة التربوية فرصة لاتحدث عن هذه الاذاعة عاملا على تعريف جمهور المثقفين بوجودها ولفت انظارهم الى وجوه نشاطها ، وسوف لايكون القصد من هذا المقال الرد على ما كتبه الاستاذ زروق فى العدد السابق او التعليق عليه وانما القصد الاسمى من هذه السطور تكميل ما ورد فى العدد السابق وشرح بعض الجوانب التي لا يقف عليها الا القريبون من الاذاعة التربوية من المسؤولين بوزارة التربية الوطنية والاذاعة والتلفزيون المغربي .

ذكرت ان صاحب الجلالة دشن الاذاعة المدرسية يوم ثالث اكتوبر وبذلك اعطى جلالته الاشارة الاولى للشروع فى ارسال اذاعيات مدرسية ، وكان تدشين صاحب الجلالة تتويجا للمجهودات التي بذلت منذ سنة تقريبا من طرف جماعة من رجال التربية والتعليم والفنيين بالاذاعة بمساعدة خبير جعلته منظمة اليونيسكو رهن اشارة التربية الوطنية لانجاز اذاعيات تربوية بعد ان تقدمت وزارة التربية الوطنية بطلب ذلك

وقد قامت هذه الجماعة بتجارب أولية فى مدينة الرباط وناحيتها فى شهر يبراير من سنة 1961 ثم وسعت منطقة التجربة فشملت ثمان وعشرين مدرسة فى كل من الرباط ومكناس وفاس ونواحيها بعد ان جهزت المدارس بأجهزة التلقى (الراديو) ومكبر الصوت

وبعد ان كللت هذه التجارب بالنجاح المطلوب قررت وزارة التربية الوطنية تنظيم مصلحة للاذاعة والتلفزة التربوية عهد اليها بالاشراف على تذييع البرامج واعداد الاذاعيات من الوجهة التربوية والفنية بمساعدة الفنيين المختصين من الاذاعة الوطنية .

وتوجه مصلحة الاذاعة والتلفزة التربوية التابعة الى ادارة الشؤون الثقافية « البرامج الثلاثة » الآتية :

أولا : برنامج حرف (أ) وهو موجه لتلاميذ القسم المتوسط الاول والثاني ، ويشتمل هذا البرنامج

أنباء ثقافية

* ستقام في مدينة مكناس مهرجانات كبرى احتفالا بذكرى مولاي اسماعيل

* عقد مكتب رابطة القضاة بالمغرب مؤتمره الثاني بمدينة فاس .

* قام وفد من علماء يوغسلافيا بزيارة المغرب بدعوة من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية زار خلالها فاس ، والدار البيضاء ، ومراكش ، والرباط . وكان محل حفاوة وتقدير من لدن علماء هذه المدن وسلطاتها . وكان الوفد يتركب من العلماء : الحاج سليمان كبمورا ، الحسين جوزو ، الياس محري . وقد حظى الوفد بمقابلة صاحب الجلالة الملك المعظم .

* توصل المكتب الدائم لمؤتمر التعريب بثلاثة منشورات ادارية حول التعريب بوزارة الاقتصاد الوطني والمالية ويتضمن الاول الزام رؤساء المصالح باستعمال اللغة القوميه في الجواب على كل المراسلات بهذه اللغة ويشتمل الثاني على احصاء الموظفين بهذه الوزارة الحاصلين على الشهادات العربية ، وينص المنشور الثالث على اشتراط المعرفة الكافية بالعربية لكل مرشح لشغل وظيفة بوزارة الاقتصاد الوطني والمالية . وتعد هذه المناشير الثلاثة تطبيقا لقرار التعريب .

* أفادت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربيه المكتب الدائم للتعريب بالمغرب بانها كونت شعبة عامة للتعريب والترجمة مهمتها متابعة حركة الترجمة والتعريب في العالم العربي والتعرف على جهود الدول العربية في مجال التاليف والترجمة ثم دراسة ما يرد اليها من بيانات توطئة للتنسيق بين جهود هذه الدول وافادة كل منها بالجهود التي تبذل في الدول الاخرى وتجتمع مرتين في السنة لتبادل وجهات النظر ، وتنيح تزويد الادارة الثقافية بهيئة فنية للترجمة ومتابعتها بدلا من الاعتماد المستمر على الغير ، كما انها تكون تحت تصرف الدول العربية لترجمة ما تقترحه من ناحية ومن ناحية اخرى للمعاونة في الاعمال الببليوجرافية .

وتعمل هي وكتابتها الخاصة على تاكيد فكرة المكتب الدائم التى تدعو لتكوين شعبة اقليمية للترجمة في كل بلد عربي ، وهي مع قسم الترجمة والكتابة الفنية تعتبر شعبة الامانة العامة في هذا الميدان . وستكون على اتم تعاون مع المكتب الدائم للتعريب بالرباط لتنسيق الجهود المبذولة في ميدان التعريب والترجمة ومجاراة ركب العلم الحديث .

* توصل المكتب الدائم للتعريب من مصلحة التعريب والعلاقات الخارجية بوزارة البريد والبرق والهاتف بالمغرب برسالة تفيد ان وزارة البريد جادة في تطبيق مقررات مؤتمر البريد العربي ومؤتمر المواصلات السلكية واللاسلكية ومؤتمر البريد العالمي فيما يتعلق بتعريب جميع المصطلحات الادارية والفنية وانها عربت جميع الخواتم والطوابع ، وقررت العربية كلغة اساسية في جميع الامتحانات والمباريات وفي جميع الدروس بمدارسها الادارية والفنية ، وعلى الخصوص في مدرسة المواصلات السلكية واللاسلكية التابعة لها بالرباط ، كما ذكرت انها بصدد طبع قاموس المصطلحات الفنية ، حتى يتم تطبيق برنامج دقيق محكم لتعريب مصالح الاداره في شتى الميادين وتحل اللغة العربية المكانة اللائقة بها ، وتصبح لغة العمل بوزارة البريد .

* شارك المغرب بوفده في الدورة السادسة للمؤتمر الدولي للفلاحة الذي عقد بمدينة نيس الفرنسية

5) تمكين المستمعين — وخصوصا الصغار — من معرفة تاريخ وجغرافية بلادهم وشؤونها الدينية والوطنية ، وذلك بتقديم اذاعيات في التاريخ والجغرافية والتربية الوطنية والدينية .

6) تهيىء الميدان للتلفزيون المدرسي وللتربية الشعبية ، وذلك بتوجيه المخرجين والمستمعين نحو الفن الاذاعي اولا ، هذا الفن الذي يعتبر عنصرا اساسيا في تقديم برامج التلفزيون .

هذه هي الاهداف التي انيط بمصلحة الاذاعة التربوية تحقيقها منذ افتتاح السنة الدراسية الحالية: عمل متواصل لرفع مستوى التعليم ، مشاركة في تعميم التعليم . تحسين احوال المعلمين المتدربين والعرفاء ، مساعدة المعلمين الاكفاء على اداء رسالتهم ، بعث جو من الحيوية داخل الفصول المدرسية ، احياء جو من النشاط والحركة في فصول المعلمين ونفخ روح المناقشة والمذاكرة بينهم .

وقد تجلى لنا بوضوح نجاح الاذاعة التربوية واقبال المعلمين والمتعلمين عليها فقد سارع التلاميذ الى المشاركة في المباريات الاذاعية ووجهوا ازيد من سبعة آلاف رسالة الى المصلحة تضمنت اجوبتهم على الاسئلة الموجهة اليهم كما احتوت على انتاجهم النيء الذي يدل على انهم يستغلون الاذاعيات المدرسية احسن استغلال ، اما المعلمون فان اقبالهم لم يكن باقل من تلاميذهم ، وكيف يمكن للمرء أن يتصور عكس ذلك والمعلمون هم المحركون الاساسيون والعاملون المواظبون في المدارس ، فما التلاميذ الا صور من معلميهم الذين ينفحون فيهم روح العمل والمثابرة والجد ، وقد اتضح اقبال المعلمين على الاذاعيات التربوية اثناء الايام البيداغوجية التي نظمتها مصلحة الاذاعة والتلفزة التربوية في مختلف اقاليم المملكة المغربية ، فقد شاركوا في هذه الدورات البيداغوجية التي كانت تعقد في مدارس المعلمين مشاركة فعالة وناقشوا المشرفين على الاذاعة المدرسية في كثير من النقط المتعلقة بالبرامج وساعات التذييع وانواع الاذاعيات ، وكانت مناقشاتهم دليلا على ادراكهم المقصد الاسمى من انشاء الاذاعة التربوية ، وقد بلغ الحماس ببعض المعلمين في بعض النواحي كالشمال والاطلس والشرق حدا جعلهم يشترون اجهزة من مالهم الخاص ويحملونها معهم الى فصولهم حتى يستمعوا مع تلاميذهم الى الاذاعيات وحتى تكون الفائدة عامة .

ومن البديهي ان مصلحة الاذاعة والتلفزة التربوية لم تكن تكتفي بتذييع الدروس فحسب ولكنها كانت تبعث المدارس ببرامج الاذاعيات وكتيبات تتضمن جدول الاذاعيات ونصميمها كما كانت ترسل نصوص المحفوظات وبعض الصور الايضاحية كلما سمحت الاعتمادات بذلك وبجانب ذلك كان المشرفون ينظمون حلقات تربوية يدعى لها المعلمون وتلقى عليهم عروض في كيفية استغلال الاذاعيات استغلالا بنفع المعلمين والتلاميذ في وقت واحد .

وخلاصة القول ان الاذاعة التربوية وسيلة جديدة في ميدان التربية والتعليم وقد ظهرت نتائجها جلية في مختلف الاقطار المتقدمة منها والمتأخرة والتي لا زالت في طريق التقدم ومن الطبيعي ان تعرف الاذاعة التربوية ازدهارا كاملا في البلاد الراقية كالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا والسويد والصين الشعبية والمانيا بقسميها . وقد آمنت جل هذه الدول بفعالية الاذاعة التربوية فعجلت بانشائها واصلاحها وتطورها حتى أصبحنا نشاهد الكثير من هذه الدول تعتمد على الاذاعة التربوية لنشر العلم والعرفان وتطور التعليم والتربية في بلادها

ومن حسن حظ المغرب ان المسؤولين ادركوا أهمية هذه الاذاعة فعملوا على تركيز نشاطها في ميدان التربية والتعليم وتحسين احوال المواطنين ورفع مستواهم .

ومن حسن حظ المغرب انه أصبح يعتبر في ميدان الاذاعة التربوية البلاد النموذجية في القارة الافريقية والاقطار العربية حتى أضحت الطلبات تتوارد عليه من كل هذه البلدان التي ترغب في ارسال وفود من المتدربين عنها الى المغرب كما هو الشأن بالنسبة للكابون والجمهورية الغينية ، فقد الحنا على ضرورة ارسال بعض أبنائها للتدريب بمصلحة الاذاعة التربوية ثم يعودوا الى بلادهم لانشاء اذاعة مدرسية بها .

وقد وقع اختيار هذه الاقطار على المغرب لانه يعرف نفس المشاكل التي تعرفها ، حتى يقف ابناؤهم على الكيفية التي استطاع المغرب ان يتغلب بواسطتها على هذه المشاكل .

الرباط — عبد اللطيف خالص

نشاط مختلف البلاد العربية (الجامعات — والمجامع — ودور النشر — والهيئات — والافراد) من أجل نشره واذاعته باللغة العربية واللغات الاجنبية . للتعريف بجهود العرب فى حقل التعريب ولافادة بعض الدول العربية المتخلفة فى هذا الميدان بمدى تقدم شقيقاتها فيه حتى تنسق الجهود . ويرجو المكتب الدائم لمؤتمر التعريب ممن يهمه الامر تزويده بجميع المعلومات والاحصائيات والصور التي تتعلق بنشاط التعريب قبل اول اكتوبر 1962 استعدادا لهذا الاسبوع الذي سيقام فى شهر نوفمبر سنة 1962 .

✻ اجتمعت لجنة الخبراء فى الشؤون الثقافية المنبثقة عن اللجنة الثقافية الافريقية بباماكو بحضور ممثلين عن الجزائر وغانا وغينيا ومالي والجمهورية العربية المتحدة والمغرب ، وكان على اللجنة ان تدرس نقطتين هامتين .

1 — المشروع المغربي حول انشاء معهد للدراسات الافريقية .

2 — تنظيم مؤتمر للمؤرخين الافارقة فى المغرب اثناء السنة القادمة .

وقد تقدمت عدة دول اعضاء بمشاريع ومقترحات فى الموضوع ، وقد اتفق فى الاجتماع الاخير على تأييد المشروع المغربي وجعله اساسا للمناقشة . وكان الوفد المغربي فى اجتماع اللجنة يتركب من الدكتور عبد السلام الحرافي سفير المغرب ، والاستاذ محمد المشرفي، والاستاذ عبد الهادى التازي، والاستاذ محمد بنونة .

✻ طبع الشيخ عبد الله آل ثاني على نفقته ، ديوان الشاعر الاندلسي « ابن دراج القسطلي » وهو ينشر لاول مرة نسخة خطية مغربية .

✻ امتدت ايدي الغلاة الفرنسيين الى حرق المكتبة العامة بالجزائر حيث التهمت النيران اكثر من 5000 كتاب .

✻ يعكف السيد فرحات عباس رئيس الحكومة الجزائرية السابق على تأليف كتاب فى ثلاثة اجزاء عن الحياة السياسية والاجتماعية فى الجزائر . صدر الجزء الاول بعنوان : « ليل الاستعمار » فى طبعة انيقة منذ بضعة ايام .

✻ صدر مؤخرا فى تونس كتابان عن دار بوسلامة هما : « فى سبيل السنة الاسلامية » لمؤلفه محجوب ابن ميلاد قدمه ميخائيل نعيمة و « مصايف الاطفال » « دراسة علمية نفسية » لمؤلفه محمد الطرابلسي ، وترجمة الحبيب صقر محمد المزابي .

✻ صرح الزعيم الوطني الافريقي كنيت كواندا من روديسيا الشمالية ان الدول السكندنافية الثلاث وافقت على تقديم جزء من الاموال اللازمة لاقامة جامعة لا تعترف بالتفرقة العنصرية فوق أرض افريقيا .

✻ يستعد مودبو ضياء الله سفير مالي فى القاهرة لتقديم اطروحة لنيل الدكتوراه فى باريس حول « العادات والتقاليد فى افريقيا » .

✻ « افريقيا الجديدة » كتاب جديد لصحفي امريكي رحالة ، والكتاب يهتم بالاسلام فى القارة الافريقية من جوانب مختلفة وخاصة عن عمقه بين قبائلها وشعوبها .

✻ عقد بأوغندة مؤتمر الافارقة الذين ينتمون الى البلدان الناطقة بالانجليزية ودام المؤتمر من 11 يونيه الماضي الى 17 منه . تبودلت فيه وجهات النظر بين الكتاب الافارقة حول المشاكل المشتركة ، كما عزموا على تأسيس جمعية الكتاب الافارقة .

✻ يصدر قريبا للدكتور لويس عوض كتاب عن « الاشتراكيه دراسات نظرية ، ودراسات تطبيقية تتناول الشخصيات الادبية المعروفة فى الميدان الاشتراكي . .

✻ اطلق المجمع اللغوي فى القاهرة اسم « المهز » على سرير الطفل و « السنون » بند السين على معجون الاسنان .

✻ بدات الهيئة المحلية لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية اول خطوة لانعاش الاسكندرية فكريا وثقافيا . قررت اقامة مهرجان كبير فى الصيف لاحياء ذكرى احد اعلام الاسكندرية عبد الله النديم ستعلن عن مسابقة الادباء حول هذه الشخصية تقرر كذلك اقامة مسابقة ضخمة عن (تاريخ الاسكندرية)

✻ اتفق الدكتور لويس عوض مع دار الاداب البيروتية على اصدار أول رواية له وهي (العنقاء أو

* يصدر كتاب الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتجزئة والتبعية الثقافية للزميل انور الجندي محرر جريدة الجمهورية بالقاهرة ، وهو الحلقة الرابعة من موسوعة « معالم الادب العربي المعاصر » التي صدر منها : ادب المقاومة والتجمع ، النثر العربي المعاصر ، المعارك الادبية . وقبل صدور هذا الكتاب الذي يقع في 640 صفحة ويتناول بالدرس قضايا الدين والمجتمع والسياسة ، والقومية العربية والمرأة واللغة العربية والصحافة في مواجهة الفكرة الاستعمارية على العالم العربي ، وقد خص مجلة « دعوة الحق » ببعض هذه الدراسات .

* بناء على الالتماس الذي رفعه اعضاء المهرجان الذي أقيم ببيروت في نهاية السنة المنصرمة لاحياء ذكرى ابن طفيل حول طبع « الارجوزة الطبية » التي اكتشفها الاستاذ محمد العابد الفاسي ، فقد قرر وزير التعليم طبع الارجوزة تحت اشراف جماعة من العلماء والاطباء المغاربة .

* اصدرت مجلة « رسالة التربية » البيروتية عددا خاصا بالتربية والتعليم السنويين ، تتناول موضوعاته مدارس البنات والمعاهد السنوية الابتدائية والثانويات والعليا وشؤون الاختصاص والجمعيات والبعثات والتمريض والتدبير المنزلي .

* ينهمك المكتب الدائم للتعريب على اتمام المرادفات باللغة الفرنسية لمصطلحات هندسة السيارات التي وضعها بالعربية والانجليزية الاستاذ بن شعيشع الاختصائي في علم الهندسة التطبيقية ، وستطبع منها نسخ متعددة توزع على المعنيين بالامر لتحقيقها وتطبيقها .

* اصدر السيد بحجب فال ابن ماح كتابا بالفرنسية عن موريطانيا ، تناول فيه تطور القضية الموريطانية منذ انبثاق كفاح المواطنين الموريطانيين لتحقيق الوحدة مع المغرب ، وفي الكتاب عدد من الصور الناطقة بالنشاط السياسي في هذا الجزء من الوطن .

* نظمت كلية الآداب والعلوم الانسانية مهرجانا لاحياء ذكرى الفيلسوف والمؤرخ المغربي الكبير ابن خلدون .

* شارك المغرب بوفده لدى المؤتمر الافريقي الاسيوي لرجال القانون الذي عقد بكناكري مؤخرا .

* زار المغرب مؤخرا الكاتب المعروف صلاح الاسير ، ومكث فيه عدة اسابيع تنقل خلالها في أهم المدن المغربية ، وصلاح الاسير من الادباء الذين شاركوا بحظ وافر في النهضة الادبية المعاصرة وله عدة مؤلفات .

* نظم المكتب الدائم لمؤتمر التعريب بالاشتراك مع المركز الثقافي العربي للجمهورية العربية المتحدة بالرباط معرضا للكتاب المدرسي تحت رعاية وزارة التربية الوطنية .

* اعلنت وزارة الشؤون الخارجية المغربية أن المغرب قد انتخب مؤخرا عضوا في لجنة حقوق الانسان وفي لجنة محاربة المخدرات التابعة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي للامم المتحدة .

* زار المغرب اخيرا المستشرق الفرنسي الكبير بيرك بدعوة من وزارة الشؤون الاسلامية لاستشارته فيما يخص انشاء معهد للدراسات الاسلامية التي تعتزم الوزارة المذكورة تأسيسه قريبا . والمستشرق بيرك معروف بابحاثه ودراساته عن الحضارة الاسلامية وله شهرة واسعة في المغرب .

* زار المغرب مؤخرا البروفيسور توينبي تلبية للدعوة التي وجهها اليه صاحب الجلالة الحسن الثاني. وقد القى الاستاذ المذكور محاضرة بعنوان « لماذا ندرس التاريخ » في قاعة المحاضرات بالقصر الملكي .

* سيعقد في المغرب في السنة المقبلة مؤتمر المؤرخين الافريقيين .

* زار المغرب اخيرا الاستاذ روم لاندو صاحب كرسي بجامعة سان فرانسيسكو والمختص في الدراسات الاسلامية والعربية وذلك في جولة استطلاعية . وقد سبق لروم ان نشر عدة كتب عن المغرب .

* اعلن المكتب الدائم لمؤتمر التعريب بالرباط انه بنكب من الآن على دراسة وضع اللغة العربية ومجهود التعريب في العالم العربي . لاعداد بحث شامل عن

* صدر مؤخرا المجلد الثالث من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي يعدها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ويضم هذا المجلس 2250 مصطلحا بينها مصطلحات المؤتمرات الدولية .

* ترجمت مجموعة من قصص يوسف ادريس الى الرومانية .

* صدر بالقاهرة مجموعة قصصية للاستاذ بدر نشأت باسم « حلم ليلة شعب » .

* قرر المجمع العلمي العراقي طبع جميع المصطلحات العلمية التي انجزها فى السنوات الاخيرة فى كتاب واحد تيسيرا للباحثين .

* فى بغداد صدر ديوان « انفاس السحر » للدكتورة عاتكة الخزرجي .

* نشر زكريا يوسف فى بغداد اقدم وثيقة موسيقية للحن معروف عند العرب يرجع الى القرن الثالث للهجرة ويشتمل على تمرين للضرب على العود من تاليف الفيلسوف العربي ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي .

* اصدرت جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد مجلة « الكتاب » .

* توفي فى الشهر الماضي الاديب اللبناني الكبير الاستاذ مارون عبود عن سن يناهز السابعة والسبعين تاركا وراءه عددا ضخما من المؤلفات الثقافية التي تبلغ اكثر من مائتي مؤلف فى النقد الادبي والاجتماعي والسياسي ومن اشهر مؤلفات الفقيد « مجددون ومجترون » « على المحك » و « حبر على ورق » و « الرؤوس » و « الغدير » وغيرها من الكتب التي جعلت الفقيد يتمتع بشهرة كبيرة فى الاوساط الثقافية والفكرية فى العالم العربي .

* صدرت فى بيروت الترجمة العربية لرواية « نجمة » التي كتبها الكاتب الجزائري كاتب ياسين ، ونجمة فتاة جزائرية هي بطلة الرواية .

* فى بيروت تكونت لجنة من الادباء لوضع قانون لمؤسسة كرم ملحم كرم للقصة ، تتولى تنظيم مباراة سنوية لاحسن قصة ، جائزتها يقدمها اهل ملحم من ريع مؤلفاته .

* قام بترجمةرواية اندريه جيد « مزيفو النقود » الاستاذ شعبان ، وصدرت فى بيروت .

* « الثورة الاجتماعية فى الاسلام » و « سيرة صلاح الدين الايوبي » كتابان منعا من الدخول والتداول فى لبنان .

* « نجوم لا تحصى » مجموعة قصص اصدرتها مؤخرا دار مكتبة الحياة ببيروت .

* قامت القاصة سميرة عزام بترجمة مختارات من قصص توماس وولف ، وصدرت عن دار مجلة شعر ببيروت .

* « مختارات من آثار جاك لندن » لمترجمتها خالدة سعيد ، صدر هذا الكتاب فى لبنان .

* نالت دار عويدات فى بيروت حق ترجمة كتاب البير كامو « الانسان المتمرد » من دار كاليمار فى باريس وسيقوم بترجمة الكتاب نهاد رضا، وسيصدر عن الدار المذكورة .

* « حقائق اجتماعية اسم المجلة التي ستصدرها فى بيروت جمعية المساعدات الاجتماعية .

* يعد الشاعر يوسف الخال ترجمة مختارات شعرية لروبرت فروست ودراسة عنه .

* كتب المستشرق الفرنسي لويس ماسينييون مقدمة لدراسة فلسفية عن ابن رشد أعدها الدكتور يوسف ابو حلقة .

* يشتغل الاستاذ رئيف ابو اللمع فى كتابة مذكراته التي تتناول مرحلة من حياة لبنان الثقافية والسياسية .

* قام بترجمة رواية ستاندال الشهيرة « الاحمر والاسود » الاستاذ غياث مجار ، وصدرت عن دار عويدات ببيروت .

تاريخ حسن مفتاح) تصدر الرواية فى 500 صفحة وتعالج مشكلة بعض الشبان الثوريين الذين عاشوا فى مصر بعد سنة 1945 اي بعد الحرب ، تقاضى الدكتور لويس عن الرواية 250 جنيها .

* الدكتور ناجي الاصيل رئيس المجمع اللغوي العلمي العراقي ، انهى من وضع اول مصطلحات باللغة العربية لشؤون السكك الحديدية والنفط والهندسة والري والاشغال والصناعة والعلوم . ويسعى المجمع الآن لتعزيز علاقته بالمجمع العربي فى القاهرة ودمشق والمؤسسات العلمية الدولية .

* الارض والانسان ديوان جديد لمحمد الجبار صدر قريبا .

* عبد المنعم الصاوي وكيل وزارة الارشاد يكتب رواية طويلة من خمسة اجزاء بعنوان « الساقية » .

* بعد القانون الجديد بتنظيم جامعة الازهر تقرر ان يوفد الازهر 300 مبعوث من خريجيه الى مختلف الدول لدراسة الطب والهندسة والعلوم والزراعة حتى يكونوا نواة لهيئات التدريس فى الكليات الجديدة التي تضمها جامعة الازهر ، وينتظر ان يسافر هذا العام 100 مبعوث .

* قررت وزارة التربية والتعليم بالقاهرة انشاء مجلس استشاري للتعليم العام ، ويتولى هذا المجلس تحديد اهداف السياسة التعليمية لكل نوع من انواع التعليم العام وتنسيقها ، ودراسة برنامج التوسع التعليمي وفق احتياجات الجمهورية العربية المتحدة ، وظروفها وامكانياتها .

* طلبت جامعة الزيتونة انشاء علاقات تعاون مع جامعات الجمهورية العربية المتحدة للاستفادة من خبرات الاساتذة المصريين ومؤلفاتهم ، وتبادل البعثات والطلبة .

* قررت وزارة البحث العلمي بالقاهرة اصدار دائرة معارف علمية عربية على غرار دائرة المعارف الاوربية . وستكون هذه الدائرة نواة لاصدار دائرة معارف علمية ذات صبغة عربية افريقية ، ويعكف مجمع اللغة العربية بالقاهرة على اعداد هذه الدائرة الجديدة.

* تدرس مشيخة الازهر فى الوقت الحاضر مشروعا تقدم به رئيس الاوقاف الاسلامية فى كلكتا بالهند ، ويتعلق بانشاء معهد ديني هناك يتبع الازهر مباشرة ويلحق به مركز اسلامي .

* صدر للدكتور صالح الشماع كتاب بعنوان « المذهب الاخلاقي فى القرآن الكريم » .

* طلبت وزارة الخارجية المصرية من وزارة الاوقاف موافاتها بترجمة عاجلة لمعاني القرآن باللغة الانجليزية لارسالها الى ملك تايلند الذي ينوي اخراج تفسير للقرءان باللغة التايلاندية .

* آخر رواية صدرت لاحسان عبد القدوس هي « نقوب فى الثوب الاسود » .

* تجري وزارة البحث العلمي بالجمهورية العربية المتحدة انشاء معهد طبي للصدر والقلب بالقاهرة . ويتولى هذا المعهد تدريب الاخصائيين واجراء البحوث العلمية والتطبيقية والدراسات العليا والاحصائية الخاصة بامراض وجراحات القلب والصدر .

* أمر السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ووزير الاوقاف بطبع عدد من الاسطوانات لتعليم الصلاة للشعوب الاسلامية . ويرفق بكل اسطوانة شرح باللغة العربية بكيفية اداء الصلاة من واقع ما هو متفق عليه بين المذاهب . على ان تترجم الشرح الى اللغات الانجليزية والفرنسية والسواحلية والهوما والبيرا والفولاني .

* تم تعريب كتاب للزعيم الكيني جوموكنياتا وصدر عن المطابع الشرقية منذ اسبوعين .

* كتب عبد المنعم الصاوي رواية طويلة فى خمسة اجزاء صدر منها الجزء الاول .

* صدر فى القاهرة للاستاذ يحيى حقي كتاب بعنوان : « فكرة فابتسامة » .

* فى شهر يوليو الماضي مرت 1200 سنة على ميلاد الجاحظ، وبهذه المناسبة اقام مجلس الفنون بالاسكندرية مهرجانا لتخليد هذه الذكرى .

* تجري عدة اتصالات بين القاهرة وواشنطن لبحث مشروع يقضي بتحويل المركز الاسلامي بواشنطن الى معهد علمي معترف به . يتولى تدريس اللغة العربية والثقافة الاسلامية والحضارة العربية . ويمنح شهادة علمية لخريجيه من الاميركان بعد دراسة ستستمر 3 سنوات .

* في ايطاليا صدر « ديوان الدواوين » يضم قصائد لثلاثة وخمسين شاعرا افريقيا من ثماني عشرة دولة افريقية .

* افتتح مؤخرا في روما اول مهرجان دولي للفيلم الافريقي والعربي الذي اشرف على اعداده كل من المركز السينماتوغرافي الايطالي واللجنة الايطالية لدى اليونيسكو التي قدمت افلاما من ليبيا والسينغال والجمهورية العربية المتحدة والمغرب وروديسيا ولبنان والجزائر وباقي الدول الافريقية .

* نشرت الكاتبة الايطالية ماريا جرانزياليونبرى مجموعة قصائد لـ 35 شاعرا لـ 18 دولة افريقية وذلك باللغة الايطالية .

دواء قرحة المعدة

كنت ذكرت في اثناء مقال سابق اني كنت مصابا بقرحة المعدة مدة اثنين وعشرين سنة ودخلت المستشفى في المانيا مرتين فلم يحصل لي شفاء ، وقبل ثلاث سنين اتفق اني زرت دكتورا في الدار البيضاء لاجل مرض الربو ، ففحصني وكتب لي دواء . فقلت له : ارجو ان لا تكتب دواء يزيد في الم قرحة المعدة فاني مصاب بها ، فكتب لي ايضا دواء لقرحة المعدة فشفاني الله بسببه . ومنذ نشر ذلك المقال لم تزل الرسائل تتوارد علي من جميع انحاء المغرب يلتمس اهلها ان ابعث لهم باسم ذلك الدواء . ولذلك رأيت ان انشر اسم ذلك الدواء وكيفية استعماله مع الحمية اللازمة على صفحات مجلة دعوة الحق ليأخذه منها كل من شاءه .

اسم الدواء : ROTER CASTRIC ULCER TABLETS

الاستعمال : يأخذ المريض قرصين ويجعلها في ماء حار بقدر ما يمكن شربه ويحركهما حتى تذوبا ، ثم يشرب محلولهما مرة بعد الغداء ومرة بعد العشاء ، حتى يتم العلبة الاولى ، ثم يشتري علبة اخرى ويستعملها ، فان ذهب الوجع اكتفى بذلك . والا زاد علبة ثالثة .

الحمية : يمنع المريض من اكل الفلافل كيفما كانت حتى الفلفل الاسود الذي يسمى بالمغربية (ابرارا) وحتى الفلفل الاخضر البارد وجميع التوابل ويقلل من الملح ويجتنب الحوامض والدخان والخمر وكل مطعوم لاذع . والخبز الاسود الخشن واللحم الا اذا كان مطحونا كالكفتة وليقلل منه ويتجنب الكرنب والقطاني كالفول والعدس والحمص .

والاحسن ان يكون غذاؤه من السكوط والخبز الابيض الذي مضى عليه يوم وعصيدة السميد الابيض والحليب والسمك الابيض ولحم الدجاج والزبدة وعصيدة البطاطة والرز والحصر عدا ما تقدم والفواكه المقشورة كالتفاح والموز الذي يسمى بالعجمية (بنانا) ويقلل من الاكل ، ولكنه يأكل مرات عديدة في كل يوم حتى لا تبقى المعدة خالية من الطعام الا في الليل . والله الشافي .

تنبيه : اذا شفي ومضى عليه شهران او ثلاثة بلا وجع يمكن ان يعود الى اكل الممنوعات بالتدريج ، واذا احس بوجع يعود في الحين الى تعاطي الدواء والحمية .

(الدكتور تقي الدين الهلالي)

* تصدر المطابع السعودية رسائل « ابن تيمية » فى عشرين مجلدا قام بجمعها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم .

* اصدر الاستاذ ضياء الدين رجب كتاب « من امجاد المدينة فى التاريخ » .

* صدرت فى المملكة السعودية مجلة جديدة تعنى بشؤون الادب بعنوان « المجمع الجديد » .

* تكونت فى سوريا الشعبة الوطنية للتعريب مشتملة على اساتذة من الاطار الجامعي وتعمل تحت اشراف المجلس الاعلى للمكتب الدائم للتعريب وتهتم فى جمع التحصيلات العلمية فى مختلف الافراد والهيئات والاتحادات العلمية والمجامع اللغوية وتبعث بها الى المكتب المذكور طبقا لتوصيات مؤتمر التعريب الاول .

* فى حمص صدر ديوان بعنوان « الحب واللاهوت » لمؤلفه موريس قبو .

* « الجد والوصل » رواية صدرت حديثا للدكتورة انعام سالمة .

* « نهر من الشمال » مجموعة قصصية صدرت حديثا فى دمشق لمؤلفها جان الكسان .

* بدوي الجبل : حياته وشعره مع منتخبات من قصائده » كتاب صدر فى دمشق لمؤلفه محمد الخطيب

* اعدت الكاتبة السورية كوليت الخوري مجموعة قصص قصيرة تصدر قريبا .

* اصدر الشاعر نادر نظام ديوان شعر بعنوان « الخالد » .

* صدر للكاتب الافريقي ايزكايل منهاليلي كتاب باللغة الانجليزية تحت عنوان « صورة الافريقي » الذي استقبلته الصحافة البريطانية استقبالا حسنا ، ويتناول الكتاب العلاقات الموجودة بين الرجل الابيض والرجل الملون الناشىء فى مجمع اوروبي ، والرجل الملون الناشىء فى المجتمع الافريقي المنسجم .

* صدرت مؤخرا طبعتان جديدتان من « دليل اليونيسكو لتدريس العلوم » بالسيلانية ولغة تامول . وطبع هذا الدليل اول مرة سنة 1956 . وكان الفرض منه تزويد اساتذة العلوم بما يساعدهم على تكوين جهاز علمي بسيط من ادوات واشياء متداولة كما يعرض عددا من التجارب العلمية التي يمكن القيام بها بواسطة هذا الجهاز وقد ظهر هذا الكتاب لحد الآن فى لغاتثمان : العربية والانجليزيةوالفرنسيةوالاسبانية والاندونيسية والبولونية والسيلانية ولغة تاموه .

* « على حائط الكتب » عنوان صدر اخيرا للبروفيسور تيدور يتحدث فيه عن 600 سنة من الادب الغربي .

* انشات فى فرنسا جائزة سنوية باسم « جائزة اليوم » تمنح لاحسن كتاب فى السياسة او التاريخ او علم الاجتماع .

* توفى مؤخرا المايسترو العالمي برونو فالتر اثر نوبة قلبية اصابته وهو فى بيته ببرفلي هللز بالغرب من هولبود .. وقد عاش المايسترو النمسوي الاصل 86 عاما قضى منها 68 عاما ممسكا بعصا القيادة ومتخصصا فى موسيقى موزارت وبيتهوفن وماهلر . ذلك ان الموسيقار الكبير تحول الى قيادة الاوركيسترات السمفونية فى سن مبكرة جدا بالنسبة لاقرانه الكبار من امثال ارتود توسكانيني وفيلكس فانيجارترز ، بل انه يعتبر باجماع آراء اعظم النقاد من اعظم مفسري موسيقى بيتهوفن وموزارت وماهلر ، وقد عاصر الاخير وقضى فى صحبته فترة طويلة من الحياة ..

وبالرغم من ان برونو فالتر هاجر الى اميركا فى سنة 1945 ، فانه كان دائم التردد على وطنه الاصلي النمسا الذي كان قد اقسم قبل الحرب العالمية وطولها الا يعود اليه ما دام هتلر ونظام ظلمه النازي قائمين ..

مطبعة فضالة – المحمدية

صورة الغلاف الثانية

عند ما تزدهر اشجار اللوز فى فصل الربيع بمنطقة الاطلس الكبير

فهرس العدد الثامن والتاسع - السنة الخامسة

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الاوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد العاشر . السنة الخامسة
صفر 1382 يوليوز 1962
ثمن العدد 1،50 درهم



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

بهذا العدد تنهي مجلة ((دعوة الحق)) سنتها الخامسة واقفة بذلك على أهبة الاستعداد لاستقبال سنتها الجديدة بعزم وجد وحماس وتفاؤل .

والذين تتبعوا هذه المجلة منذ نشأتها حتى اليوم ، وراقبوا تطوراتها قد شعروا ولا شك بأهمية الدور الذي تضطلع به فى ميدان خدمة الثقافة والفكر ولمسوا النتائج الطيبه التي اعطتها جهود خمس سنوات متواصلة بدون كلل او ملل فى هذا المضمار .

ان وزارة عموم الاوقاف لم تكن تهدف من وراء انشاء هذه المجلة حملها علـى تاديه اغراض دعائية لمؤسستها ، ولم تكـن ترمي كذلك الى جعلها مشروعا تجاريـا تحقق منه مكاسب مادية ، وانما كانت تقصد فقط الى تلبيـة حاجة روحية ماسـة من حاجات المغرب المستقل وملء الجو الفكري الذي اخذ يتخلخل بعد اعلان الاستقلال بسبب انصراف عدد كبير من المثقفين عنه واشتغالهم بوظائف اداريـة .

ولقد قامت المجلة منذ اليوم الاول لتأسيسها تبحث عن هؤلاء المثقفيـن فى كل مكان لتجمع شتاتهم على صعيد المعرفة الخالص ، وتوحد جهودهم لبناء نهضة فكرية مستمدة من ضمير هذه الامة ، من ماضيها ومثلها العليا باذلة فى سبيل ذلـك مختلف الجهود ومبدية كل ضروب التشجيـع المادي والادبـي . ويكفيها فخرا واعتزازا ان يقوم على صفحاتها خلال هذه السنوات الخمس عطاء خصب ومتبادل لا بين الكتاب فى المغرب وحسب بل بينهم وبين اخوانهم فى المشرق كذلك .

وان المجلـة وهي تختم سنتها الخامسة لتعاهد قراءها على انها ستبقى وفيـة لمبادئهـا ، صادقـة فى اداء رسالتهـا التي تكمـن فى :

- خلق زاد روحي وثقافي لدى المواطـن المغربـي .
- ابراز القيم الانسانية الخالدة التي جاء بها الدين الاسلامي الحنيف .
- القاء الاضواء الكاشفة على مختلف الجوانب فى حضارتنا وتراثنا .
- تخطيط الطريـق لنهضـة ثقافيـة سليمـة .

حول هذه الاهداف تتمنى المجلة ان تلتقي بمحرريها وقرائها فى اعدادها المقبلة من سنتها الجديدة بحول الله لتواصل معهم السير بعزيمة اشد وايمانا اقوى داعيـة لهم بالتوفيـق والسداد .

دعوة الحق

العدد العاشر
السنة الخامسة
صفر 1382
يوليوز 1962
ثمن العدد 1,50 درهم

دعوة الحق

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

الاشتراك العادى عن سنه 15 درهما ، والشرفى 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الرباط ـ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنيه والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ الرباط

صورة الغلاف



غابات الأرز على الأطلس المتوسط

سبحانه وتعالى ، وامر الرب هو الذي ينشيء آثار الحياة في مادة ميتة . واما الذين قد ظلت العلوم التجريبية الحاضرة تنمو وتتقدم على ايديهم في الغرب منذ عصر النهضة (Renaissance) ، فما زالوا يحاولون التملص من اقرار واحساس ذات فوق الفطرة وعملها كيفما امكن ، وظلوا يتمنون منذ بدء امرهم لو عثروا في داخل معمل الفطرة — الكون — هذا على القوة التي تعمل فيه وتسيره . فهذا الخطأ الاساسي قد خلق لهم مسائل متعبة متعددة ما وجدوا لانفسهم بدا لحلها من الالتجاء الى القياس والفرض والرجم بالغيب. فبالقياس ورجما بالغيب ارادوا ان يحلوا عقدة بدء الحياة ، وبالقياس ورجما بالغيب ارادو ان يحلوا مسألة ما هو السبب للتنوع في الحياة والتفاضل بين مختلف الانواع ؟ فداروين من اولئك الذين حاولوا تحقيق هذه المسائل على هذا الاسلوب ، وهو بنفسه ما قال ابدا انه قد ادرك الحقيقة، وكذلك علماء الطبيعة من القائلين بنظريته لا يقررون قياسهم حقيقة وواقعا ، غير ان الذين قد مستهم نفحة من نظرية داروين او سمعوا بها من بعيد ، هم الذين يلهجون بذكرها ويبدؤون فيها القول ويعدونه كان الحقيقة قد انكشفت لهم انكشافا ومثلت بين ايديهم مثولا .

ولو ان داروين انطلق في تحقيقه من النقطة التي بينها القرآن للتحقيق في هذه المسالة ، لما انتهى الا الى ان هذا التنوع والتفاضل في مختلف انواع الحياة واجناسها وصورها . الذي يلمح في كل شيء في هذا الكون من الجزئية وحيدة الخلية الى الانسان الكامل بترتيب لا نظير له ، انما هو نتيجة لتخطيط حكيم مدبر ، وان تخطيط هذا الحكيم المدبر هو الذي بعد ان هيأ لمختلف انواع الحياة بيئة تناسبها وظروفا توافقها، مازال يخرجها الى حيز الوجود بمزاياها المخصوصة المتنوعة تدرجا ، ويمحو — مع ذلك — الانواع التي ما بقيت لها حاجة في تخطيطه . الا ان هؤلاء — كما قلنا آنفا — يريدون ان يتملصوا باي وجه ممكن من الاعتراف بوجود واضع هذا التخطيط ولا يحبون ان يروا في معمله آثار عمله ، ولذا فان المشاهد التي يجدونها ويحاولون ان يفسروها في هذا المعمل تظهر لهم أنه من الممكن ان يفهموا ان هذا المعمل يقوم بعمله ويتقدم ويترقى بنفسه ، ولذا فان داروين فسر التنوع والتفاضل في انواع الحياة بتلك النظرية للتطور والارتقاء ، التي تعرف اليوم باسمه ، ولاجل هذا، فان اوربا التي كانت الى ذلك الحين انما تسير الحادها بدون اقدام ، بادرت الى تلقي هذه الاقدام الخشبية بكل قبول ونصبتها من تحت في كل شعبة من شعب علومها الطبيعية ، بل وفي فلسفتها واخلاقها وعلومها للعمران ، لقد كانت ولا نزال في هذا التفسير من الوجهة العلمية والعقلية اضطرابات كثيرة لا يمكن لعاقل ان يقول معها ان هذا التفسير تفسير له وجاهته ، وهو من التفاسير القابلة للاعتبار .

وها انا ذا احاول الان ان ابين لكم الضعف الاساسي الحقيقي لنظرية داروين بمثل اضربه لكم متجنبا فيه ما استطعت اسلوب النقد الفني الملتوي والبحث العلمي الدقيق :

هب ان استاذا للعلوم التجريبية ياتي من المريخ الى الارض بمعية جماعة من تلاميذه والغرض امامه ان يقوم في هذه الارض بتحقيقات علمية ، وهب كذلك ان في نظر هذا الاستاذ ومن معه من التلاميذ شيئا يحول بينهم وبين ان يروا الانسان على وجه هذه الارض ، فهم انما يشاهدون مصنوعاته واسباب تمدنه ووسائله دون ان يشعروا بوجوده هو ، فالمصنوعات الانسانية التي يشاهدها هذا المحقق على وجه الارض ، يجد فيها فرق الاشكال والانواع ، كما انه يرى أن بعض هذه المصنوعات خير من بعضها ، كما انه يعلم اثناء التحقيق ان هناك اشياء لم تكن رائجة من قبل وانما لاقت الرواج في ما بعد وان هناك اشياء كانت رائجة في الماضي ولا تزال رائجة حتى اليوم ، وان هناك أشياء كانت رائجة من قبل ولكن ما بقي لها رواج اليوم . فيبقى الى مدة يرتب في خياله أشياء في هذا المنظر المبعثر واخيرا يقسم هذه الاشياء المختلفة ويقيم لها الدرجات باعتبار انواعها ، ثم يخطو خطوة اخرى في ميدان التحقيق ويحاول ان يعرف كيف جاءت الى الوجود هذه الاشياء المتنوعة المتفاضلة وما هي الاسباب والقوانين التي عملت في جعلها متنوعة متفاضلة وفي الابقاء على بعضها وافناء بعضها الاخر .

لقد كان من الممكن ان يجيب هذا المحقق على هذه الاسئلة بان الاغلب ان هناك كائنا يعيش على وجه الارض يصنع هذه الاشياء على حسب مختلف مصالحه وحاجاته فالاشياء التي لا تزال الحاجة باقية اليها ، لا يزال يصنعها ، واما الاشياء التي ما بقيت حاجة اليها اليوم فقد امسك عن صنعها ، لقد كان من الممكن ان يجيب هذا المحقق المريخي بهذا على هذه الاسئلة ، الا انه يريد — لسبب من الاسباب — ان يتملص من فرض مثل هذا الكائن ويوجه قياسه الى جهة اخرى ويفسر المنظر الذي وجده على وجه الارض بنحو أن

دراسات إسلامية

موقف الإسلام من نظرية النشوء والارتقاء

لفضيلة الأستاذ :
أبو الأعلى المودودي

كتب الي احد قراء « ترجمان القرءان » بما يلي :

ان نظرية دروين للارتقاء من الامور المسلم بها اليوم في الاوساط العلمية ، ولكننا اذا قرأنا القرآن ، وجدنا ان بينه وبين نظرية دروين تصادم واضح وتناقض سافر . فالانسان ـ على حسب بيان القرآن ـ كان انسانا منذ اول يومه ، خلق بعمل تخليقي في يوم معلوم ثم انتشرت منه السلالة البشرية على وجه الارض ، ولكن الذي تشهد به العلوم الطبيعية التي ندرسها في كلياتنا ، ان الانسان انما جاء منطورا من مرحلة الحيوانية شيئا فشيئا ، ومن المحال ان يعين في هذا التسلسل الارتقائي موضع انتهت عليه مرحلة الحيوانية وابتدات مرحلة الانسانية ، موضع يقول عنه القرآن الحكيم « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » . وهذا هو مثال واحد على ما يوجد من التناقض بين بيان القرآن نظرية دروين للارتقاء ، والا فهناك في مسألة خلق الانسان تفاصيل كثيرة يتصادم فيها بيان القرآن مع نظرية دروين . ونظرا لهذه الامور فان طالبا من طلاب العلوم الطبيعية لا يستطيع ان يحتفظ بايمانه، فهل لكم ان تحلوا لنا هذه المشكلة الشائكة ؟

ان هذا السؤال الذي تقدم به احد قرائنا الكرام واجاد في وضعه وعرضه ، لا نحتاج للجواب عليه الى استعراض دلائل نظرية دروين وشواهدها . وانما الذي يجب التحقيق فيه ، هو : هل ان تصور التطور والارتقاء الذي تقدم به دروين ، حقيقة ثابتة ام انما هو نظرية من النظريات الفكرية ؟ وانه ان كان نظرية وحسب ، فهل يستحق ـ من حيث علو مكانته ـ اذا عرض لمسلم ان يضطره الى التفكير : هل يؤمن به أم يبقى مومنا بالقرآن الحكيم ؟

وليكن القارىء على علم عند اول خطوة بصدد الجواب على هذا التنقيح ان نظرية دروين لا تزال في اواسط القرن العشرين نظرية بحتة كما كانت نظرية صرفة في اواسط القرن التاسع عشر ، ولم تثبت بعد حقيقة وامرا واقعيا ؛ ولا يخفى على احد الفرق بين النظرية والحقيقة ، وان الانسان لا يحتاج الى اعادة النظر في ايمانه الا حينما يتصادم ايمانه مع شيء هو حقيقة وامر واقع لا مجال للريب فيه ، والا فان الايمان الذي لايصمد للقياسات والنظريات البحتة فما هو بايمان وانما هو حسن ظن يمكن ان يتبدل بسوء ظن على اساس مجرد الاوهام والخرافات والاساعات الفارغة .

هذا ، وتعال لنستعرض الان مرتبة نظرية داروين ودرجتها في ميدان العقل والاستدلال . ان اصعب مسألة من مسائل علم الحياة قد ابهمت على علماء العلوم الطبيعية ، هي : ما هو مبدأ الحياة ؟ اما القرآن فيقول مجيبا على هذا السؤال ان مبدأ الحياة هو أمر الرب

داروين ، لان قياسي هذا يفسر المشهودات كلها على طريق احسن من طريق داروين ، ولا يترك سؤالا دون ان يرد عليه بجواب شاف ، وانما يقويه ويزيده وزنا ـ مع هذا ـ ان ليس هناك في جانب داروين احد يستطيع ان يقول بصدق وامانة اكثر من القياس والتخمين ، واما في جانبي انا ، فهناك عدد لا يحصى من اصلح الناس خلقا واطهرهم سيرة يقولون بكل جزم ويقين ان الامر الفلاني حقيقته كذا وكذا واننا لا نقول بشيء الا بعد ان رأيناه باعيننا ، فما لطلاب العلوم التجريبية اليوم ينحازون الى جانب داروين دون جانب هؤلاء ؟ وهل لذلك سبب غير ذلك المقت للدين والتدين (Theophobia) الذي قد ورثه طلاب العلوم التجريبية من القرون الوسطى ؟ وان الامر اذا كان هكذا فما لهم يسمون النزوات والعواطف علما ومعرفة ؟

واننا حتى اذا قطعنا النظر عما في هذه النظرية من مكامن الضعف، ومواطن الانحلال من الوجهة العلمية والعقلية ونظرنا الى الفتن التي قد اثارها هذا التخيل الباطل لاهلاك الانسان والفتك به بدخوله على الفلسفة والاخلاق والعلوم العمرانية والاجتماعية . فكل واحد اذا كان عنده مسكة من الفهم الصحيح والعقل السديد لا يتردد في القول معنا بأن نظرية داروين هذه في قمة راس النظريات الباطلة التي ناصبت الانسان العداء في هذا الزمان وعملت للقضاء على انسانيته ، فقد حاولت ان تجعل الانسان يعتقد بأنه ليس الا حيوانا كسائر الحيوانات ، ومن نتائجها ان بني آدم لا يتعاملون بينهم في اي شعبة من شعب الحياة بكل طمانينة الا كما تتعامل الوحوش في الغابة ، ومن تاثيرها ان الانسان بدل ان يستمد القوانين والمبادىء والمناهج لحياته من مصدر من المصادر العالية ، انما يبحث عنها في حياة البهائم والوحوش وهي التي قد عرضت على الانسان نظام الحياة كله كميدان للصراع والقتال ، والقت في روعه ان الصراع والقتال هما من مقتضيات الفطرة الحقيقية بحيث ان كل من هو قوى في هذا الصراع والقتال هو الحي الناجح وهو الصالح الباقي وهو على الحق وان كل من هو ضعيف غير صالح وان فناءه وانقراضه انما هو من نتائج قوانين الفطرة الصحيحة ، ومن بركات هذه النظرية الظالمة ان الجميع ـ من افراد البشر ، طبقاتهم ، واقوامهم وشعوبهم ودولهم ـ قد جعلوا الدنيا ميدانا للصراع والقتال وليس مقتضى الفطرة ـ حسب زعمهم ـ الا ان القوى من حقه ان يفنى الضعيف ولا يرى له على نفسه الا ولاذمة

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .



الاشيـاء الموجودة ههنا كلها ابتدات من اصل واحـد ثم بدأ الارتقاء فى هذا الاصل الى ان خرجت الى عالم الوجود مختلف انواع الاشياء لسبب كذا وكذا مـن اسباب البيئة ، ثم بدات هذه الانواع تتصارع بينها وحاول كل واحد منها ان يسابق غيره لجعل نفسـه موافقا لبيئته وللاستفادة من القوى المنتشرة فيها ، فكل نوع لقي الفشل فى هذا الصراع ، انقرض ، وكل نوع نجح فيه اصطفنه البيئة للبقاء والحياه ، وهـذا الصراع هو الذي سبب ارتقاء اشكال هذه الانـواع المختلفة وصفاتها ، وفى هذا الصراع للبقـاء توقفـت اشياء من نوع خاص وظلت تتحول شيئا فشيئا الى نوع آخر .

فيقول معتمدا على قياسه مثلا ان نوع العجلة ما زال يجهد نفسه الى مدة من الزمان حتى بدات تظهر التغيرات فى هيئة بعض العجلات الذكية وبآخره بدلت الى العربات ، ثم بدأ نوع العربة ــ كذلك ــ يقلق ويبذل جهده حتى بدأ يحدث التغير فى هيئة بعض العربات النشيطة الى ان بدلت اخيرا الى السيارات ، ثم ان السيارت لما رات اشجارا عالية وبيوتا شاهقة وجبالا تناطح السماء ، رغبت فى الارتقاء عليها والتحليق فى الجو فوقها وبدات تحس فى نفسها القلق والاضطراب لذلك الى ان ظهرت فى بعضها الاجنحة واخيرا تحولت الى الطيارات .

ويقول من مع هذا المحقق الجليل من تلامبـده : ان التطور والارتقاء اذا كان انما حصل هكذا تدرجا اي من العجلة الى العربة ، ومن العربة الى السيارة ومن السيارة الى الطيارة ، فلابد ان توجد هناك بيـن العجلة والعربة ، وبين العربة والسيارة ، وبيـن السيارة والطيارة مراكب عديدة تقطع المسافة الواقعة بين كل نوعين من هذه الانواع ، كما انه من اللازم ان توجد على كل خطوة خطوة من هذه المسافة مراكب عديدة بعضها وراء بعض على صورة قافلة، فمثلا يجب ان توجد فى المسافة الواقعة بين العربة والسيـارة مراكب لا تكون عربات كاملة ولا سيارات كاملة فتكون بعضها لم تخرج بعد من مرحلة العربة وتدخل فى مرحلة السيارة بينما تكون بعضها الاخرى خرجت من مرحلة العربة ودخلت فى مرحلة السيارة ، وهكذا يجب ان توجد هناك مراكب عديدة بين مرحلتي السيـارة والطيارة فلا هي سيارة ولا هي طيارة .

والاستاذ المحقق عند ما يسمع من تلاميذه هذا السؤال ، يتفكر مليا ثم يقول : نعم يا اعزائي ان هذه المراكب الوسيطة التي تسألون عنها بين كل نوعين من هذه الانواع ، لعلها تكون قد وجدت ، انظروا الى هذه العربة التي امامكم ، اظن انها تحولت اولا الى « العربة السيارة » ثم الى « السيارة العربة » حتى اكتملت سيارة ءاخر الامر . ثم تكون السيارة ــ كما اظن ــ بذلت جهدها فتحولت الى « السيارة الطيارة » او ثم الى « الطيارة السيارة » بعده الى ان اصبحت طيارة آخر الامر كما ترونها الان فهذه المراكب الوسيطة التي قـد سميتهـا لكـم لابد ان توجـد فى الارض حتـى اليوم فاذهبوا باحثين عنها تحت اكوام التراب .

يقول الاستاذ هذا ، ويسكت اما التلاميذ ، الذين جاؤوا معه الى الارض مضمرين فى نفوسهم نوعا مـن الحقد على الانسان منذ ذي قبل ، فآمنوا بتحقيـق استاذهم الانيق ايمانا جعلهم يخرجون من كلامه كلمات « لعل » و « اظن » ويبينونه للناس ويشرحونـه فى خطبهم وكتاباتهم بكلمات اليقين والجزم وبدون كلمات « لعل » و « اظن » . وها نحن اولاء نرى دروسهـم العلمية تتخلل فيها كلمات « السيارة الطيارة » و « الطيارة السيارة » الخيالية بكثرة كاثرة كأن هذه اشياء موجودة محفوظة فى متحفهم يقينا ، مع انه ان كان هنالك شيء له وجوده فى حقيقة الامر ، فانما هو العجلة والعربة والسيارة والطيارة .

ان هذا المثل لينطبق تماما على نظرية داروين والقائلين بها . انك اذا درست ما لهذه النظرية مـن الكتب الاساسية ، علمت ان هذه النظرية لا يقوم كل بنائها الا على اساس « لعل » و « اظن » مع ان الامر الجدير بالاعتبار فى العلوم ، انما هو اليقين والامـر الواقع ، لا القياس والتخمين والرجم بالغيب . واقول ان كان هنالك نوع من الاعتبـار للقياس والتخميـن فى العلوم فكيف وعلى اي اساس يمكن التفريق بين قياس وقياس ولا سيما اذا كان احد القياسين اقوى واقرب الى التعقل من الاخر ؟ انكم اذا كنتم مستعدين لان تقبلوا حتى القياس والتخمين فى تفسير المشهودات ، فكيف لكم ان تردوا قياسي اذا قلت على اساسه بأن بـدء الحياة والتنوع والتفاضل بين الموجودات انما يكون قد حصل بامر حكيم عليم وتدبيره ، وهو اقرب الى التعقل واسهل على الفهم واحظى للقبول من قياس

ناوات الاقطاع ، وناوات راس المال ، ونـاوات القيصرية ، وناوات الكنيسة . فألفت الاقطاع ، والفت رأس المال ، وحولت ملكية الاراضي الزراعية وملكية المصانع الى ما اسمته « الدولـة » ، وبذلـك اصبـح المجتمع الروسي فى جانب الاقتصاد مجتمعا «شيوعيا» والفت نظام الحكم القيصري وجعلته حكما شعبيا او عماليا ، وبذلك اصبح هذا المجتمع فى الجانب السياسي مجتمعا ديمقراطيا او « بلورتاريا » . والفت سلطـة الكنيسة فأعلنت شعار العلمانية فى طابـع الدولـة ، وبذلك فصلت بين الكنيسة والدولة وجعلت سيـادة الدولة فوق الكنيسة .

واصبح المجتمع الروسي الشيوعي فى اتجاهـه وفى توجيهه مجتمعا مضادا تمام المضادة للمجتمـع السابق عليه . وحققت ثورة سنة 1917 قيامه كحقيقة تاريخية . ولكن ، لكي يبقى هذا المجتمـع بعد ذلـك ، ولكي يبتعد ايضا عن الاضطرابات التي قد تثيرهـا رواسب المجتمع الماضي من عناصر النظام القيصري فى الحكم ، ونظام الرأسمال والاقطاع فى الملك ، ونظام الكنيسة كسلطـة دينيـة ، مما اسمتهـا جميعهـا « بالرجعية » ، عنت الشيوعية بالفلسفة التي كانت هى نتيجة لها ــ وهى الفلسفة الماركسية ــ وبالدعوة اليها ، وبتحويلها الى « دين » و « ايمان » كما حولت المجتمع نفسه الى مجتمع ذى طبقة واحدة .

الشيوعية كمذهب

وهنا برزت بالماركسية كمذهـب فلسفـي ، يعتمد على جملة مبادىء ، سبـق ان استخدمـت فى الفلسفة المثالية فى القرن الثامن عشـر ، وكـذا فى الفلسفة الطبيعية والوضعيـة فى النصـف الاول من القرن التاسع عشر . هـي مبـادىء « النقيض » فى الفلسفة المثالية الالمانية ، و « التطور » و « الواقع » فى الفلسفة الوضعية . وكل مبدأ من هـذه المبـادىء الثلاثة دللت به على القيمة العليا للشيوعية من جانب ، ومن جانب آخر على خفة وزن القيم « الرجعية » فى نظام المجتمع السابق . وعلى الاخـص على خفـة وزن الدين . وبذلك وقفت من الكنيسة المسيحية كسلطة موقفا ، ومن الدين على العموم موقفا آخـر ، هـو فى جملته موقف عدم الرضا والمكافحة .

مبدا النقيض :

ومبدا النقيض استخدمه الفيلسوف الالمانـي « نيتشه » من قبل فى التدليـل على اصالـة العقـل الانساني واسبقيته فى الوجود ، وبالتالي على قدرتـه على الخلق ، وعلى حريته المطلقة التي لا يحدها « شاهد وحس » ولا « وحي » او « قـوة اخرى مغيبـة » عن الشاهد والحس ، وعلى انه لذلك يملي ولا يملى عليه ، من آثاره ، وأن حياة الناس جميعا فى روابط الاخـوة الانسانية وفى ظل دولة عالمية هدف اخير لخالقيتـه ومجهوده .

واستخدم هذا المبدأ بعينه الفيلسوف الالماني المثالي الاخر « هيجل » فى توضيح قيمة « العقـل » الانساني وقيمة « الله » ، وفى ان وضع الله فى الوجود هو وضع المطلق الذي يتجلى عنه المقيد وهو الطبيعـة المشاهدة ، والذي يسعى نحوه ما خرج عن التقييـد نوعا ما ، وهو « الدعوة » و « القانون » و « الاخلاق » وان الله لذلك يوحي ، وان على الانسان الطاعة لمـا يوحى به .

وخرج « هيجل » من استخدام مبدا النقيض الى نتيجة هي : ان سلطة « الوحى » فوق سلطـة « العقل » . وان الوحى والعقل معا فوق الطبيعـة ، او فوق ما سمى بالواقع او المحس .

وهذا المبدا دلل به كارل ماركس ، فيلسـوف الشيوعية ــ وهو فيلسوف يهودي المانـي ــ على ان المجتمع سيتعبر حتما الى مجتمع عمالي ذي طبقـة واحدة ، أي الى مجتمع شيوعى . وساق التاريخ فى توضيح ان هذا المبدأ ضرورى الوقوع فى المجتمع ، كما هو ضرورى الوقوع فى « التصور » و « الفكرة » . اذ باستعراض اوضاع المجتمع الانساني كان المجتمـع « الملكى » أسبق انواع المجتمعات ، فالمجتمع«الاقطاعي» ثم تلا هذا فى الوجود المجتمع « الرأسمالي » وبتحليل المجتمع الملكى ــ ككائن موجود ــ وجد انه يتضمـن طرفين متقابلين : يتضمن الملك من جانب ، ورجـال حكومته المنفذين لاوامره ، ورعاياه او عبيده من جانب آخر . ثم بالصراع بين الطرفين المتقابلين تحول احد الطرفين ، وهو الملك ، فى الطرف الآخر وهو رجـال حكومته ورعاياه ، وبهذا التحول نشأ الوضع الثانـي للمجتمع وهو وضع الاقطاع . اذ ان ما كان للملك من

بين الشيوعية والدين

للدكتور: محمد البهي

الشيوعية كثورة :

قامت الثورة الشيوعية قبيل نهاية الحرب العالمية الاولى فى سنة 1917 ، لتقوض نظام المجتمع القيصري الروسي ، ونقيم مجتمعا آخر يكون أكثر توازنا وانسجاما ـ فى نظرها ـ من المجتمع السابق عليه ، او تنعدم فيه عوامل الاحتكاك والاصطدام بين الطبقات والافراد . قامت لتحقق المجتمع العمالي ذا الطبقة الواحدة ، زاعمة انه اذا انعدمت عوامل الاحتكاك والاصطدام فيه ، لم تكن هناك حاجة الى وجود القوة البوليسية ، وهي القوة التي يناط بها صيانة الامن الداخلي فى المجتمع .

والثورة الشيوعية لا تهدف ، فحسب ، الى اقامة مجتمع ذي طبقة واحدة تنعدم فيه عوامل الاحتكاك والاصطدام ، بل تهدف ايضا الى اقامة مجتمع يتمتع بخلقية عالية وقيمة رفيعة . وهو الذي لا تدعو الحاجة فيه الى قوة حراسة خاصة وراء أفراد المجتمع ، وله سلطة تعلو كيانهم الشخصي .

وهذه الخلقية الرفيعة انما تأتي عن تحول المجتمع الى طبقة واحدة . ولا ينبغي ان تكون هذه الطبقة هي الطبقة الراسمالية وحدها ، ولا الطبقة الاقطاعية وحدها ، لان كلتيهما تعيش وتعتمد فى حياتها على استخدام راس المال والاقطاع ، وليس على النشاط البشري الخاص لافرادها . واستخدام راس المال والاقطاع يستدعي بدوره ان تسخر الطاقة البشرية التي هي فى حاجة الى ان تستمر كي تعيش ، وهي الطاقة البشرية التي تمارسها الطبقة العاملة . وبذلك لا يقف تكوين المجتمع من احدى هاتين الطبقتين ـ الراسمالية او الاقطاعية ـ عند حد واحد منهما ، بل سيتطلب وجود طبقة اخرى وهي الطبقة العاملة . واذن لكي يتكون المجتمع من طبقة واحدة يجب الا يكون فى وجود هذه الطبقة ما يستلزم حتما وجود طبقة أخرى غيرها ، وهذا لا يتحقق الا بأن يكون المجتمع مجتمعا عماليا ، من طبقة العمال وحدهم . فهذه الطبقة لا تعتمد فى عيشتها وحياتها على شيء آخر من مال فى صورة ما وراء نشاطها البشري وممارستها هذا النشاط من طريق مباشر .

ولكى يصير المجتمع مجتمعا عماليا صرفا ومكونا من طبقة واحدة هي طبقة العمال ـ استعجلت الثورة الشيوعية الامر وسلكت طريق « الانقلاب » فى تحول المجتمع الروسي ، وقضت على الطبقتين الاخريين طبقة رجال الاعمال وأصحاب راس المال ، وطبقة اصحاب المزارع الواسعة او ارباب الاقطاع . كما قضت على نظام الحكم الذي قام فى روسيا على أساس من وجود هاتين الطبقتين قبل هذا الانقلاب ، وهو نظام الحكم القيصري ، وكذا على كل ما سانده من مصادر المساندة وعلى الاخص الكنيسة الارثوذكسية او الكنيسة الشرقية . ولانها سلكت طريق الانقلاب فى استعجال تحول المجتمع الروسي من مجتمع ذي طبقات الى مجتمع ذي طبقة واحدة عمالية ـ ارتكبت العنف والاستبداد واراقة دماء عشرات الآلاف من أفراد المجتمع فى سبيل هذا التحول . ولذلك كانت ثورة « حمراء » . وجعلت « الدم » شعارها لانها لا تتخلى ـ كعنصر أساسي فى وجودها ـ عن الانقلاب وما يستلزمه من اراقة الدماء .

« العقيدة » التي لا تعلل بالمنطق والفلسفة ، واصبح لذلك مجتمعا ذا عقيدة لا تناقش . وحينئذ لا يكون المجتمع الذي يضع « العلم » موضع العقيدة ، والذي يطلب الى افراده مكافحة « الرجعية » في صورة الايمان والاعتقاد ، اي ايمان واي اعتقاد ، والذي يطلب اليهم « التحرر » دوما من الايمان والاعتقاد .

مبـــدا التطور :

اما مبدا التطور فقد استعارته الماركسية من « دارون » ، واستخدمته في التدليل على ان الحال التي يصير اليها الكائن الموجود افضل من الحال التي كان عليها من قبل ، واكثر قيمة واولى بالتبعة . والمجتمع ككائن من الكائنات الموجودة سيصير في تحوله من وضع الى وضع ، وعندئذ يكون وضعه التالي لوضع سابق عليه هو افضل وادخل في معنى القيمة ، واجدر اذن بان يتبع . ومنطق ذلك ان المجتمع العمالي ـ وهو المجتمع الشيوعي ـ افضل من وضع المجتمع السابق عليه وهو الرأسمالي ، وهذا افضل من المجتمع الاقطاعي الذي تحول عنه . والاقطاع افضل من المجتمع الملكي الذي تقدم عليه .

ومن مبدأي « النقيض » و « التطور » ابرزت ظاهرة ملازمة لهما ، على انها ظاهرة عامة في الوجود . وهي ظاهرة « التغير » تخضع لها كل كائن في انتقالهمن وضع الى نقيضه ، وفي تطوره من مرحلة الى مرحلة اخـــرى .

وبابراز هذه الظاهرة وبأنها مصاحبة لوجود كل شيء . تحاول الماركسية أن تدعي ان ثبات « القيم » الاخلاقية في الحياة الانسانية امر يضاد طبيعة الاشياء وطبيعة الوجود ، وان القيم لذلك تتغير كما يتغير كل شيء . واذن الفضائل في سلوك الانسان تختلف من وقت لوقت . وما يعد فضيلة في وقت لا يصح ان يبقى دوما على انه فضيلة ، بل قد تكون الفضيلة في ضـــده .

ومعنى هذا الادعاء الذى تدعيه الماركسية عن طريق ظاهرة التغير ـ ان الذي ورد في رسالة الاديان او قامت عليه الفلسفة الاخلاقية المثالية من مثل ان « العـدل » و « الحريـة » الفردية والمحافظة على « حرمة » النفس والمال والعرض ، فضائل ـ قد يتحول الى رذائل ، وتكون الفضيلة في ضده حسبما تأتي به عوامل التغيير والتبدل في الحياة .

واذا كان مبدا النقيض تقصد به الماركسية اقناع الناس بضرورة تحول المجتمعات الى المجتمع الشيوعي العمالي مهما طال الامر ، وان هذا المجتمع العمالي هو المصير المحتوم للانسانية ـ فانها تهدف من مبدا التطور اقناعهم بافضلية هذا المجتمع نفسه في القيمة وبذلك يكون اندفاع الناس الى قبول هـذا المجتمع ـ وكذا الى السعي في تحقيق وقوعه ان لم يكن تم بالفعل في مجتمع ما ـ ليس لانه القدر المحتوم للبشرية عامة ، ولكن لانه الافضل الذي لا يدانيه في الفضل مجتمع سابق عليه .

كما تستهدف بظاهرة التغير التي تصاحب المبدأين ، تسفيه راي الدين وراي الفلسفة الاخلاقية المثالية في القيم والفضائل ، ورمى كليهما بالغباء وعدم الفهم لقوانين الوجود ، وبالتالي عدم مسايرة طبيعة الحياة. ورجال الدين وكذا الفلاسفة العقليون المثاليون «رجعيون» يقفون بالحياةعند خط معين.وبينما غيرهم ينظر الى الامام حسبما توحي قوانين الطبيعة ، ينظرون هم الى الخلف ويستمرون في نظرتهم الى هذا الخلف غاضين البصر عن ركب الحياة وسيره قدما .

وبهذا او ذاك تبنى الماركسية في قيمة المجتمع الشيوعي بمقدار ما تهدم في القوى التي تقف في طريق اقبال الناس على التبعية له ، وفي مقدمتها الدين والمثالية العقلية . وهي لا تبنى في جانب وتهدم في جانب آخر بالادعاء على هذا النحو فحسب ، بل ايضا باستخدام مصطلحات تجذب الميل الى ناحية ، وتنفر من البقاء في ناحية أخرى . فهي تستعمل كلمة « التقدمية » في جانب ما تدعو اليه ، وهو مصطلح جذاب . بينما تستعمل « الرجعية في جانب ما تحاول هدمه وتقويضه . وهو الدين والفلسفة الاخلاقية المثاليـــة .

ولكن الماركسية في تطبيق ظاهرة « التغير » على القيم الانسانية تحاول الخداع في واقع الامر ، كما ابت نفس الشيء تطبيقها لمبدا « النقيض » على المجتمع : اذ وقفت بهذا المبدأ عند المجتمع الشيوعي . وبذلك اوقفت سير المبدا وحدت من اعتباره كقانون عام للوجود له طابع الدوران والاستمرار فيما يدور فيه.

فالقيم الانسانية هي المستويات العليا في السلوك الانساني . هي النهايات لتطور الانسان في انسانيته . واذا كانت هي نهايات لتطور الانسان في انسانيته فهي

من ملك — وهو ملك الاراضي الزراعية لان الصناعة كانت حرفا فردية ولم تكن قد وصلت الى التطور الآلي على نحو ما عرف فيما بعد فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر فى المانيا — انتقل الى رجال حكومته . وأصبح رعايا الملك السابقون وعبيده الآن زراعا ومستأجرين لهذه الاراضي .

ولكن هذا المجتمع الاقطاعي لم يبق على نحو ما وجد عليه ، ويستحيل ان يبقى على ما هو عليه تبعا لضرورة مبدأ « النقيض » ، فتحول الى المجتمع الراسمالي . اذ بتحلل وضع الاقطاع وجد ان مجتمعه ينطوي على طرفين متقابلين : اصحاب الاراضي الزراعية من كبار الملاك ، والمستأجرين لهذه الاراضي . وبالصراع بين هذين الطرفين تحول احد الطرفين وهو طرف كبار الملاك فى الطرف المقابل وهو طرف المستأجرين ، وذلك بهروب اصحاب الاقطاع بأموالهم وتوظيفهم اياها فى المصانع مع تركهم الاراضي للمستأجرين انفسهم .

وانبثق عن مجتمع الاقطاع وضع آخر للمجتمع وهو المجتمع الراسمالي ، اى مجتمع أصحاب رؤوس الاموال الموظفه فى الصناعات الكبيرة .

واذا كان المجتمع حتى الآن انتقل من وضع الى وضع مقابل له ، فالمجتمع الرأسمالي سينقلب الى مجتمع آخر ، بناء ايضا على ضرورة مبدأ النقيض ، كمبدأ عام فى الوجود كله . ووضع المجتمع الذى سيتحول اليه المجتمع الراسمالي هو المجتمع العمالي . لان المجتمع الصناعي او الراسمالي ينطوي ايضا على طرفين متقابلين ، على القلة من اصحاب رؤوس الاموال وهم ملاك المصانع من جانب ، وعلى الكثرة من العمال الاجراء فى المصانع من جانب آخر . وبالصراع بين الطرفين سيصير الامر الى العمال ، وتصبح المجتمع مجتمعا عماليا .

ومعنى ان الامر سيصير الى العمال — حسب منطق استخدام « النقيض » فى دائرة المجتمع — ان ملكية المال الممثل الآن فى المصانع سيؤول الى العمال، وسيصبحون هم اصحاب الصناعات !!

والفلسفة الماركسية عندما استخدمت مبدأ « النقيض » فى دائرة المجتمع لم تقف عند حد أن تقول: ان المجتمع صائر حتما الى مقابله وذاهب بالضرورة فى هذا المقابل ، بل تضيف الى ذلك القول بأن انتقال المجتمع من وضع الى وضع النقيض له يصير فى انتقاله وتحوله من مرحلة الى مرحلة بالتدريج ، حتى اذا وصل الامر الى نقطة معينة فلا بد من « انقلاب » ليتم التحول والانتقال . وذلك كالماء فى تحوله الى بخار ، فانه يسير بفعل الحرارة فى تحوله من مرحلة الى اخرى ، ثم دفعة واحدة ينتهي الماء ، ويكون الامر كله الى بخار .

ولذلك لا ينتظر المذهب الماركسي اوضاع المجتمعات ، وبخاصة وضع المجتمع الرأسمالي ، حتى تتحول الى المجتمع العمالي من ذاتها ، بل ينادي بالانقلاب وتدخل المؤمنين بالشيوعية فى تعجيل أمر هذا الانقلاب فى المجتمع .

والسؤال الذي يعقب به أي باحث على استخدام الماركسية مبدأ النقيض فى تبرير تحول المجتمع الى مجتمع عمالي هو : أحقيقة اصبح العمال فى المجتمع الشيوعي الآن هم ملاك الصناعات والاراضي الزراعية، كما بشرت الماركسية الجماهير بفلسفة النقيض ؟

أيقف تحول المجتمع — بناء على مبدأ النقيض، وأن الشيء ، أي شيء ، لا يلبث ان يصير الى نقيضه كلما وجد على حال خاص — عند حد المجتمع العمالي ؟ أم ان الحتمية والضرورة التي تراها الماركسية فى مبدأ النقيض كطابع عام له تدفع الملاحظين لاحوال المجتمع الى ترقب انبثاق مجتمع آخر عن المجتمع العمالي يكون نقيضا له ، ثم عن هذا النقيض سينبثق مجتمع آخر هو نقيض له كذلك . . . وهلم جرا ؟

فاذا سلبت ملكية المصانع من العمال فى مجتمع شيوعي وبقوا أجراء او اشبه بالاجراء ، فما بشرت به فلسفة الماركسية تحت استخدام مبدأ النقيض فى صيرورة للمجتمعات يبقى فى نطاق « النظر والتصور » دون « الواقع » . وسنرى انها تكافح « النظر » وتركز الايمان بـ « الواقع » .

واذا لم يترقب المجتمع الشيوعي — وهو المجتمع العمالي — زوال نفسه وفناءه ، وتحوله الى مجتمع مضاد له تماما — فانه عندئذ اما الا يساير منطق الفلسفة التي قام عليها والتي يستخدمها فى تبرير وجوده وصيرورة وضع أى مجتمع اليه ، وهي الفلسفة الماركسية ، واما انه بعد ان صار الى الوضع الذي ارتضاه زعماء الثورة البلشفية فى سنة 1917 عاد الى

تصور العقل الانساني من نفسه . هو علم الواقع والطبيعة المتشاهدة . والاجدر اذن بالعبادة ليس الله كما يدعو رجال الدين ، وليس الانسان كقوة مدركة ، كما يدعو رجال الفلسفة العقلية ، وانما الاجدر بالعبادة هو « العلم » ومحراب العابد ليس الكنيسة ، وليس البحث « النظري » ، بل هو « المعمل » الذي تجري به التجارب على خصائص هذه الطبيعة المادية .

والحضارة الانسانية لا يكونها تراث الماضي الروحي او العقلي ، بل يكونها فحسب ما ينتج عن هذه التجارب الطبيعية . يكونها « العلم » وما له من نتائج سائدة فى حياة الانسان . و « الآلة » ابرز هذه النتائج ، والصناعة فى مختلف جوانبها من افضال الآلة على الانسان . والحضارة الصناعية لذلك هي الحضارة الحقة التي يجب على الانسان أن يستمر على البناء فيها لتحقيق حياة أفضل .

ولكي تضفي الماركسية على « العلم » هالة من القداسة ، وتجعل له كيان المعبود الذي يجب على العابدين أن يتقدموا فى عبادتهم له بقربان — والقربان هنا الاسهام فى نمو الحضارة الصناعية — دعت الشيوعية الى « الايمان » من جديد ، ودعتهم الى « الاعتقاد » بتثليث آخر : العلم والمجتمع ، والدولة . وأصبحت الفلسفة الماركسية دينا وعقيدة .

وهنا يلاحظ أنها بتأكيدها مبدأ الواقع لتقويض الدين والايمان ، انتهت من جديد ، عن طريق الواقع نفسه ، الى الدين والايمان . ولكن ليس الى دين الله ، الى دين الطبيعة ، وليس الى الايمان بالله ، بل الى الايمان بمصنوع الانسان .

وتقديس العلم وتأليهه يجعل له سيادة على الانسان ، وليس فى خدمته . وتقديس المجتمع وتأليهه يدعو افراده الى التضحية والافناء فيه دون انتظار جزاء منه . وتقديس الدولة وتأليهها يجعلها تطاع دون ان تنافس .

ليس هناك اذن الا الاله الجديد . والاله الجديد هو ذلك « الثالوث » الذي ادعت الماركسية أنه من واقع الطبيعة التي نرى ونشاهد مع أنه نفسه لا نرى ونشاهد . فنحن لا نرى العلم ، بل نتصوره . ولا نرى المجتمع وانما نتصوره ايضا على انه جملة من الروابط المشتركة بين الافراد ، ولا نرى الدولة وانما نحس آثارها فحسب فى « التنفيذ » . نحن لا نرى الا تجارب ، والتجارب ليست هي العلم ، بل هي مقدماته . ونحن لانرى الا افرادا يحيون حياة آمنوا بها ، ويعيشون عيشة ارتضوها لانفسهم أو أكرهوا عليها . والافراد ليسوا هم المجتمع ، وانما هم لبنات فيه . ونحن لانرى الا افرادا مشرعين مقننين ، وافرادا آخرين حارسين ومنفذين . والمشرعون والمنفذون من الافراد فى خدمة الدولة وليسوا هم الدولة نفسها .

والاله الجديد فى الدين الجديد اذن فى الواقع المشاهد . وقد انكرت الماركسية الله من قبل ، لانه لا يوجد فى الواقع المشاهد . وبذلك تنكر بناء على تبرير خاص ، ثم تعود فتؤمن بما يقوم على ذلك التبرير الخاص ذاته .

وفى الدين الجديد ليست هناك خشية من اله الا اله العلم والمجتمع والدولة ، والعلم والمجتمع والدولة من صنع الانسان ، بدليل أن الانسان البدائي يوجد من غير علم وغير دولة . فوجود هذا الثالوث وجود طارىء على وجود الانسان . واذن هو من خلق الانسان وليس من خلق نفسه . ويوم يبتعد عنه الانسان ، يوم يتوقف وجوده ، ويتوقف حياته ، ومن ثم يعتريه الاضمحلال فالفناء . فهو اله عاجز عن الخلق وان بدا فى صورة عملاق خالق . وهو اله لا يستغني عن غيره ، وان بدا أنه يعطي الحياة لغيره ، وهو بعجزه وباحتياجه فى واقع امره لايستطيع ان يوجه الانسانية الى الخير . وهو لا يفتقد فحسب تمييز الخير من الشر ، بل مع ذلك يفتقد القوة الذاتية التي توجه اما الى الخير واما الى الشر .

العلم — وهو ركن فى الثالوث المؤله — يدفعه الانسان نحو الخير ونحو الشر ، وهو لايدفع نفسه . وكذلك الشأن فى المجتمع والدولة يدفعهما الانسان — وهو القائد والموجه — نحو الخير ونحو الشر ، وهما لايندفعان من ذاتهما نحو هذا أو ذلك .

واذن فالانسان الذي كان من واجبه فى هذا الوضع أن يكون معبودا أصبح عابدا . والماركسية بذلك لا تدعو الى « النكسة » فى الانسانية واسترقاق الانسان واستذلاله لـ « وثن » لايملك لنفسه الحياة والاستمرار فيها مستقلا عن غيره ، فضلا عن أن يوجه غيره ويقوده . وانما فى الوقت الذي تفرغ فيه الماركسية قلب الشيوعى من الايمان بالله الخالق فتنزع

لا تقبل الزيادة ، وبالتالي لا تقبل « التغير » ، وتصبح عندئذ طرفا واضحا مقابلا لما عليه غير الانساني ، مما له طبيعه الحركة والحياة ، وهو الحيوان .

وكون القيم هي المستويات العليا في السلوك الانساني ، يتضح من تطور الانسان وانتقاله من مرحلة الى مرحلة حتى بلوغ المرحلة النهائية وهي مرحلة الرشد . فالانسان الطفل حيوان في سلوكه ، يتصرف طبقا للغريزة كما يتصرف الحيوان . وقلما يتدخل الشعور الانساني ، وهو خاصة الانسان ، في هذا التصرف . وبالتدريج شيئا فشيئا يحل الشعور بجانب الغريزة في حياة الانسان اثناء سير تطوره ، حتى يتحكم الشعور ، عن طريق تكون العادات الانسانية المهذبة ، وعن طريق الفهم السليم لطبيعة الحياه — وفي داخلها طبيعة المجتمع — فاذا تحكم الشعور الانساني وكانت له سيادة على الغريزة اصبحت للانسان خاصة الانسانية وتميز تمييزا واضحا من الحيوان .

وأهم ظاهرة تنحدر بها السلوك الغريزي هي « الانانية » . واهم ما تعبر عن الخاصة الانسانية هو « الجماعة » ، او الاعتراف بالمجتمع اعترافا يبدو في التطبيق العملي كما يعيش في دخيلة النفس . والانانية تنكر كل حق للغير في الوجود ، بينما الجماعية تدعو لدعم حق الغير في الوجود عن طريق التعاون فيما يحقق حياة افضل للاثنين ، وفيما يدفع الاضرار والاعتداء عليهما .

وليست « القيم » الانسانية الا « النماذج » العملية التي يتحقق فيها معنى « الجماعة » كما يوضح هي مظاهر التعاون المختلفة نحو حياة انسانية افضل .

واذا كانت القيم هي النماذج العليا في السلوك البشري ، واذا كانت هي التعبيرات عن الخاصة الانسانية التي يصل اليها بالتدريج ، واذا كانت هي التي تنطق بسيادة الشعور الانساني والرشد الانساني على الغريزة الحيوانية في الانسان — فانها لا تتغير اطلاقا بعد ذلك . لان الانسان اما ان يصير الى انسانية او يبقى في الحيوانية . والقيم — كما ذكرنا — هي التي توضح صيرورته الى الانسانية .

الانسان نفسه يتطور ويتغير نحو الانسانية . ولكن القيم ، وهي التعبيرات عن الانسانية ، باقية خالدة .

مبدأ الواقع :

ومبدأ الواقع الذي عرف لـ « اوجست كونت » ولـ « فيرباخ » ولـ « اشتين تال » ، اكدت الماركسية قيمته لتدفع به اولا وبالذات القوى المعادية — وهي القوى « الرجعية » — وبالاخص الدين والفلسفة الاخلاقية المثالية .

مبدأ الواقع ينكر ان يكون لما وراء الطبيعة ، وهو الوحي ، وان يكون للعقل في الطبيعة نفسها ، اعتبار في المعرفة ووزن في الحكم على الوجود وفي تخطيط سلوك الانسان وتحديد غاية المجتمع البشري اذ ان ما يلقى به وحي السماء وتأتي به رسالة الاديان — في نظره — خرافة ، وما يدركه العقل الانساني بادىء ذي بدء من نفسه ويحاول ان يصور به الطبيعة التي يعيش فيها الانسان وهم وخداع .

ولذا فان « الواقع » — وليس غيره من دين او عقل — هو الذي يجب ان يملي على الانسان ويلقنه ، ويجب على الانسان ان يتعلم منه اولا ويطبعه بعد ذلك . والواقع الذي نعيش فيه هو الطبيعة التي نحسها وندركها بابصارنا واسماعنا ، ونلمسها بايدينا ، ونضرب فيها باقدامنا . فلندع هذه الطبيعة المحسوسة تتكلم ، ولنسر فيها على هدى ما تنطق به لا على هدى الله ولا على نور العقل . فليس لله وجود اطلاقا ،وليس للعقل نور الا ما يسع عليه من منطق الطبيعة المشاهدة.

ليس الله موجودا لانه ليس هناك وجود وراء الوجود المادي . ولو كان له وجود مادي لادركناه بالحس ، ونحن لا ندركه بالحس ، فليس موجودا ، وليس للعقل وجود مستقل عن الجسم المادي . ووجوده اذن مرتبط بالوجود المادي وتابع له ، فليس له استقلال حتى يكون له نور واشعاع منفصل عن اشعاع الطبيعة المادية . وليس له منطق ينفرد به عن منطقها ، بل الطبيعة تنطقه فينطق . وتحمله على التفكير فيفكر . وتحدد له اتجاه التفكير فيتجه فيما تحدد له من اتجاه .

واذا كانت الطبيعة المادية هي الوجود ، واذا كان منطقها هو المعبر وحده — فالمعرفة التي تحصل عن طريق منطق الطبيعة هي المعرفة السليمة اليقينية . والعلم بعد ذلك ليس هو علم ما وراء الطبيعة ، وليس هو علم الوحي الديني ، وليس هو

الدين لا يطلب من الانسان ان يعكس آية الحياة والوجود ، فيعبد من كان خلقا له من : علم ، ومجتمع ، ودولة . يريد أن يظل طبيعيا يتصرف وفق قوانين الطبيعة نفسها ، طالما هو مانح الوجود والنمو والتطور لغيره — فاجدر بهذا الغير ان يكون فى خدمته وتبعيته.

3) **سيادة القيم الانسانية :** وسيادة الانسان التي يدعو اليها الدين هي فى واقع الامر ليست فى سيادة هيكله المادي ونموه الحيواني ، بل فى سيادة القيم الانسانية من : العدل ، والحرية ، والاخاء ، والمساواة ، وصيانة الحرمات الشخصية ... اذ لا يلحظ الدين فى الانسان فقط انسانيته وميزته البشرية . وهذه لا تتمثل الا فى القيم الانسانية وحدها.

واذن الدين يطلب من سيادة الانسان ، وسيادة القيم الانسانية . استقرار السلم بين الناس ، وتحقيق التوازن والعدالة بين الافراد واشاعة روح الاخوة والتعاون .

ويجب ان يكون ما يأتي به الانسان بعد ذلك مما يحصله من علم ، وما يقيمه من مجتمع ، وما يؤسسه من دولة فى خدمة القيم الانسانية وسيادتها . فاذا عكس أو سيع واصبحت القيم الانسانية ، واصبحت البشرية كلها فى خدمة العلم والمجتمع والدولة ، يومئذ لا يتحقق سلم ، ولا عدالة ، ولا اخوة ، ولا تعاون . يومئذ يسود الطاغوت وتسود الثروات وبالتالي يسود الاضطراب والقلق . وهنا لا تحقق الانسانية فى رسالتها وانما الطبيعة نفسها تخفق فى التعبير عن قيمتها الحقيقية .

اذ قيمة الطبيعة فى أن تتجلى خضوعها للانسان؛ وقيمة الانسان فى ان يكون ذا مستوى انساني فاضل :

وقيمة الكون كله فى ان يدل على خالقه ، بما فيه من دقة وانسجام ، وتحكمهما قوانين لا تشذ في ادراك الانسان لها .

وهذا كله ما تسعى اليه رسالة الدين .

4) **نكسة الشيوعية :** اما الشيوعية فهي تحول عبادة الانسان لـ « وثن » يسخر ، ولا يستطيع ان يسخر ويوجه غيره . وتحول طبيعة الانسان من طبيعة سائدة الى طبيعة مسودة ، ومن طبيعة حرة كريمة ذات مشيئة الى طبيعة يتحكم فيها من لا مشيئة ولا ارادة له ، لا استقلالا ولا تبعا ، وتسوي بين الخير والشر فى التوجيه ، وتحول القيم الانسانية الى قوالب فارغة، تملؤها بما ترغب ، لا بما يجب لصالح الانسانية وحدها .

والهها — وهو العلم — يتغير اليوم عنه بالامس ، وسيغيره الغد القريب ثم الغد البعيد بعده — وقداسته بالامس اذن لم تكن تخيلا ووهما . وعبادته عندئذ كانت خرافة ، لانه تغير اليوم عنه بالامس . وقداسته اليوم ستصبح فى الغد ايضا تخيلا ووهما ، وستصبح ايضا عبادته خرافة ، لانه سيتغير فى الغد عنه اليوم . وهكذا ...

5) **الفرق بين الدين والشيوعية :** انه الفرق بين دعوة طبيعية ، ودعوة هى نشاز عن الطبيعة . الدين يساير طبيعة الانسان وطبيعة الكون كله ، فيحرص على الالفة والاخوة فى حياة الانسان . على نمط ما يشاهد الانسجام فى الطبائع الكونية الاخرى . أما الشيوعية فهي دعوة الى الانقلاب والاضطراب . سلمها فى الحرب ، وحريتها فى الرق ، ومساواتها فى السلب ، وامنها فى الاثارة والقلق .

انها قامت على مبدأ « التقيض » . فالتضاد فى حياة مجتمعها يلعب الدور الاول ، وانسانها مردد بين طرفي النقيض . هو بين الحياة والموت ، وبين القيد والانطلاق ، قيد فى الانسانية ، وانطلاق فى الحيوانية ، وبين الانسان واللا انسان .

ان الدين يدعو الى الوئام بين الروح والجسم لدى الافراد . والشيوعية تحكم الجسم فى الروح ، وتفرض على العقل سيادة المعدة . انها اجدر بحياة الحيوان ، وابعد عما يليق بكرامة الانسان .

القاهـرة : (دكتور محمد البهى)

منه الخشية ، تعوضه بدين وبايمان يدعوه الى الخير والشر سواء . لان اله هذا الدين وهو « العلم » — كما حددته — لايتصل بطبيعته ومن ذاته بخير ولا شر . طبيعته طبيعـة محايـدة .

والدين الذي يسوي بين الخير والشر ، لاتأمن الانسانية من سيادة الشر بين اتباعه . والاله المحايد بين الخير والشر ، قد يتقدم اليه عباده بالشر على انه قربان ، اكثر مما يتقدمون اليه بالخير على انه قربان ايضـا .

ولكنها الماركسية تحرض الناس على « الانقلاب » باسم مبدا النقيض ، وتخفي وجهها من توقع انقلاب فى المجتمع الشيوعي اذا ما صار اليه الوضع يوما ما .

وتحرض الناس باسم التطور على التنكر للقيم الانسانية والمستوى الانساني الفاضل ، وتبشر فـي الوقت نفسه — عن طريق فلسفتها — بحيـاة فضلى ومجتمـع افضـل .

وتحرض الناس على انكار الله ، وانكـار الدين ، وتضعهم أمام دين وامام اله هـو من صنـع الانسان وليس خالقا له ، هو نفسه « جاهل » بمصير الانسانية رغم أنه « العلم » .

الـــديـــــن :

1)) دعـوة الدين : أمـا الديـن — فى مقابـل الماركسية — فانه يدعـو الى الايمـان بالله **الخالـق** ، المستغني عن غيره ، والمستمر فى الدوام ، **والباقـي** الذي لايتحول الى حال آخر او وضع آخر ، **والـذي** يعلو افراد الانسانية جميعها ، هو للناس كلهم « **قـل** يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا » . **هـو** الذي حددت رسالته الخير والشر : « ان **هذا القرآن** يهدي للتي هي أقوم » . ودعا رسوله الى الخير وحده: وان هذا صراطي مستقيما فاتبعـوه ، **ولا تتبعـوا** السبل فتفرق بكم عن سبيله » والخير **الذي يدعـو** اليه الدين هو التعـاون فى سبيـل حيـاة **افضـل** : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونـوا **على الاثـم** والعدوان » ، والاخوة فى الانسانية : « **يا ايها الناس ان** خلقناكم من ذكر وانثـى وجعلناكم شعـوبا وقبائـل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم » هو عدم **الغواية** وعدم النزوع الى الشر وسلوك طريقه : « **ولا تتبعـوا** خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين » .

الله رب الدين اذن يعلم الخير والشر ، كما يعلم الجهر وما يخفى ، ويريد الخير وحده ، لان فى الخير سلامة البشرية وتعاونهـا واخاءهـا . وفى التعـاون والاخاء ازدهار الحياة الانسانية ونماؤهـا .

2)) سيادة الانسان : والله رب الديـن يعلم الارض والطبيعة كلها . ويقدر الطبيعة البشرية خاصة من بين كائناتها ، على انها لاتخضع الا لله وحده ، ولا تعبد الا ايـاه . وهي اذ تعبده وحده تسلم الى الخير وتفعله ، وتدرك الشر وتتجنبه . تسلم الى الانسجام والسلـم وتسعى نحـوهمـا . وتـدرك الخصومـة والاضطراب وتحاول تجنبهما . وكما يقدر الطبيعـة البشرية على انها تعبد الله وحده ، يقدرها ايضا على انها يجب ان تسود على ما عداها من كائنات الطبيعة . (ولقدكرمنا بنيءادم، وحملناهمفيالبر والبحر،ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا). « هو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحمـا طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخـر فيه ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » . « هـو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشـوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » . « وسخر لكم الشمس والقمر دائبيـن ، وسخر لكـم الليـل والنهار وآتاكـم مـن كـل مـا سألتمـوه .... » .

وهنا ، فى نظر رسالة الدين ، يسعى الانسان الى « العلم » . « قل هل يستوى الذيـن يعلمـون والذين لا يعلمون » ، ليسود به الانسان على الطبيعة ، ولكـن لا ليعبد العلم ويؤلهه . ويسعى لبناء الحضارة المادية والصناعية . « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » . ولكـن ليضيفهـا الـى القيـم الروحيـة والانسانية .

وهنا ، فى نظر رسالة الديـن ، يسعى الانسان الى تكوين المجتمع . « والمؤمنون والمؤمنات بعضهـم أولياء بعض » . ليرعى أفراده ولكـن لا ليفنى الافراد فيـه . ويسعى الى تأسيس الدولة : « اطيعـوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » . لتقيم العـدل والتوازن ، وتحفظ على رعاياهـا حقهم فى الحيـاة ، وتصون حرماتهم الشخصية من النفس والمال والعرض، ولكن لا لتطاع دون مناقشة ، ويسلم لها الزمام ولـو كانت جائرة او سالبة للحرمات الشخصية مـن نفس ومـال وعـرض .

ولم يستطع اتباع المستشرقين والمبشرين من مفكرينا التعرف الى هذه الفوارق ، لانهم اتصلوا بالفكر الفربي قبل ان بستكملوا مفاهيمهم فى الفكر العربي ومقوماته .

واذا كان للاسلام فى هذه الفترة التي بدا فيها الغزو الثقافي مفمز ، فانما كان فى تطبيقه لا فىمقوماته واصوله هذه المقومات والاصول التي ظلت طوال القرون ضياءا هاديا وقوة حبة ، فان انصراف المسلمين عن مفاهيم الاسلام وضعف الحكومات ، وسيطرة الاتراك العثمانيين اربعمائة عام والتخلف فى ميادين الحرب والسياسة ، والانصراف عن القوة والمقاومة ، قد احل عصرا من الضعف والركود والتواكل والقوقعة وفرض سلطان الحكام المستبدين والعلماء الجامدين الذين اغلقوا باب الاجتهاد ووقفوا عند التقليد ، مما خلق غساء رقيقا من الاوهام والبدع والخرافات التي حاولت ان تحجب جوهر الاسلام ونقاءه وتحجره وراء طبقة كثيفة من هذه الزيوف .

غير انه لم يخل جيل من مصلح ينبري ليكشف هذه الزيوف ، ويدعو الى الاسلام المصفى ، ويحاول ان يعود بالناس الى بساطة الاسلام الاول ويسره وحقيقته الكامنة المختفية .

وقد كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب فى اواخر القرن السابع عشر الميلادي هي نقطة الانطلاق فى تحرير الاسلام من زيوف القرون الثلاثة التي فرضها الحكم العثماني الجامد الذي انتهى الى الضعف والفساد ، بينما بدات اوربا تستيقظ وتنقل اثار العرب وتترجمها وتكون حضارتها وثقافتها الجديدة ، وتتنبه الى دورها فى القضاء على الاسلام والسيطرة على الشرق فى محاولة للانتقام من هزيمة الحروب الصليبية ، وخشية من اتساع نطاق الاسلام وتطويقه لاوربا عن طريق تركيا العثمانية التي وصلت الى اسوار (فيينا) وبعد ان توقفت من الجانب الاخر عن طريق الاندلس عند مصب نهر اللوار .

ولقد كانت خطة الغرب فى السيطرة على العالم العربي والاسلامي تهدف اساسا الى القضاء على الاسلام :

1 ــ كقوة حرة قوية لا تقبل الذل والاحتلال .

2 ــ القضاء على جوهر الدين فى مفاهيم الجهاد والمقاومة والحرية .

3 ــ اقصاء الاسلام عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وقد اتجهت حملات الغزو الثقافي الى وجهتين : الدين بصفة عامة والاسلام بصفة خاصة .

ولما كانت الحملات موجهة من الفكر الغربي المسيحي، فان كل الحملات التي وجهت الى (الدين) كان مقصودا بها الاسلام اساسا ، وقد تمثلت هذه الحملات على الدين فى انه ظاهرة من الظواهر الاجتماعية لم تنزل من السماء ولم يهبط به وحي وانما خرج من الارض كما خرجت الجماعة نفسها .

وان الديانات قيود واغلال التزمها الناس بدعوى انها منزلة خالدة ، وان وضع الدين فى جانب العقل يقضي بهدمه ، وان الدين لا يخلق الانسان ، ولكن الانسان هو الذي صاغ الدين وليس الدين الا صدى الالم الذي يتردد فى نفوس المظلومين ، وان الدين حادث (عمراني) له قدره (التاريخي) وليس له صلة بالاقتصاد .

وقد كانت كل هذه الاتهامات بعيدة عن الحقيقة، وقد واجه الاسلام حملات غزو ذات جوانب متعددة منها :

1 ــ الحملة على مفاهيم الاسلام وكتابه وتاريخه .

2 ــ الغزو عن طريق بعث اديان جديدة كالبابية والبهائية .

3 ــ الغزو عن طريق تعميق تيار الالحاد فى العالم العربي .

وقد اشترك فى هذه الحملات عدد كبير من المستشرقين والعلماء ، فى مرحلة طويلة امتدت منذ عام 1830 واستمرت اكثر من مائة عام ، ولم يقف الفكر العربي مكتوفا أمام هذه الحملات ، وانما واجهها بقوة ودحض اكاذيبها وكشف عن خداعها وتضليلها وتعصبها وكشف الغطاء عن الاباطيل التي برع الغزو الثقافي فى حمل لوائها البراق ، والتي خدعت الكثير من دعاة التغريب فى العالم العربي ، فصدقوا شعارات الفكر الغربي وكلماته ذات الرنين ، وخدعهم المبشرون الذين تلقوا عليهم العلم فى جامعات اوربا .

والعجيب ان كتاب اوربا قد انقسموا ازاء العقائد الشرقية والاسلام واللغة العربية وتاريخ العرب وامجادهم قسمين : وان مفكرين ذوي قدر وصيت عاليين قد انصفوا العرب ، ومع ذلك فان نظريات

الدين في معركة التغريب والتبعية الثقافية

للأستاذ: أنور الجندي

لم يتعرض فرع من فروع الفكر العربي للغزو الثقافي كما تعرض (الدين) ذلك لان الدين كان ولا يزال فى العالم العربي وفى الشرق دعامة هامة من دعامات الثقافة ومقوما من مقومات الامه العربيه الاسلامية ، وعنصرا حيا ايجابيا غير منفصل من عناصر السياسة والاجتماع والاقتصاد .

ولقد كان الاستعمار يعرف خطر (الدين) واثره فى الحياة العربية ومدى اثره فى الايمان بالحرية ومقاومة الغاصب وانماء القوة وحراسة الثغور ، ولما كانت هذه العوامل من اخطر الاخطار على بقاء الاستعمار فقد كانت خطته فى القضاء على مصدر هذه القوة : وهو الدين واللغة والتاريخ ، وكان الدين اهمها وقد اعد خطته فى مقاومة الدين على نحو دقيق خفي يسري فى معالم الفكر والحياة سريانا بطيئا حاسما فى المفاهيم المختلفة.

وقد امتدت هذه الخطة فشملت الثقافة والصحافة والتعليم والترجمة والبعثات الاجنبية ومفاهيم الاجتماع وتحرير المراة ، من اجل هذا انطلقت دعوات الاستشراق والتبشير ، وظهرت مجموعات من دعاة التغريب ، ولما كان دين الغالبية فى العالم العربي هو الاسلام ، فقد كانت الحملة كلها قد ركزت عليه باعتباره مصدر الثقافة والفكر والتراث المشترك .

ولقد استهدف الغزو الثقافي الى محاربة الاسلام القضاء على روحه القوية فى مجال الحياة والفكر حتى تنطوي قوته وفعاليته فى مجال مقاومة الاستعمار .

وكان التعصب الديني واضحا في هذه الحرب التي صدرت عن حقد بالغ وخصومة عنيفة ولم تصطنع فى اي جانب من جوانبها « المنهج العلمي » الذي ابتدعه الغرب واقام على اساسه ابحاثه ونتائجه .

وكان ابرز الاخطاء التي طبقها الغرب فى الحديث عن (الاسلام) انه لم يحاول ان يفرق بين المسيحية والاسلام فى مفاهيمها ومقوماتها،ولذلك حمل فى الحرب على الاسلام نفس المعاول التي حملها فى محاربة المسيحية ابان عصر النهضة بغية اقصائها عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بعد ان تبين للغرب جمودها وعجزها عن مسايرة التطور ، وبعد ان نفدت اساليب الكنيسة وظهرت اخطاء رجال الدين فى تسلطهم واستبدادهم وجمودهم ووقوفهم فى وجه الحرية وغلوهم فى التعصب وبعدهم عن التطور .

ولقد كان (الاسلام) مختلفا اشد الاختلاف عن المسيحية فى هذه الناحية ، فان الاسلام لم يكن دينا فحسب ، ولكنه دين ونظام اجتماعي واقتصادي وسياسي كامل ؛ ولقد كان الاسلام متطورا دائما وقادرا على الاستجابة للحضارة والزمن وللبيئات المختلفة ، وقد دخل هذه التجربة من قبل ، ولم يكن للاسلام كهنوت له صفة السيطرة والتحكم فى الناس والوساطة بينهم وبين الخالق .

ولذلك فان المقارنة بين المسيحية والاسلام من هذه الناحية باطلة ، كما ان محاولة اخضاع الاسلام كدين ونظام لما خضعت له المسيحية ــ التي هي دين فحسب ــ ليس من الحق فى شيء ، ولكن التعصب وشهوة الحقد الاعمى ، والرغبة فى القضاء على روح الدين ، وتنحية الاسلام عن ثبوته فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية حالت بين دعاة التغريب والغزو الثقافي وبين كشف هذه الحقائق .

دواء الشاكين وقامع المشككين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 22 -

المصادفة :

قال المصنف في الفصل السادس عشر : ان القول بالمصادفة ظاهرة الشذوذ لا يقبله العقل ولا يخضع لاي طريق من طرق الحساب ، لكن مع كوننا مدهوشين لمفاجآتها ، لانشك انها خاضعة لقانون صارم لا يتخلف ابدا ، وقد تقدم في أول الكتاب مثل وضع عشرة افلس في كيس مرقومة بارقام من واحد الى عشرة . وانك اذا وضعتها فيه وهززته حتى اختلط بعضها ببعض ثم ادخلت يدك آملا ان تقع على رقم واحد تكون فرصة نجاحك واحدا من عشرة ، أي عشرة في المائة . واذا نجحت ثم ادخلت يدك مرة اخرى مؤملا ان تقع على رقم اثنين يكون حظك من النجاح واحدا من مائة ، وهكذا فلا تصل الى العاشر حتى يكون حظك من النجاح واحدا من بلايين تفوق الحصر . والان اضرب لك مثلا آخر ، افرض ان عندك كيسا يحتوي مائة قطعة من الرخام ، تسع وتسعون منها سود ، وواحدة بيضاء ، هز الكيس هزا عنيفا ثم اخرج واحدة . فحظك من النجاح في ان تقع يدك لاول مرة على القطعة البيضاء يكون واحدا من مائة ، ولو فرضنا انك نجحت ثم رددت القطعة البيضاء الى الكيس وهززته مرة اخرى حتى اختلطت القطع ثم ادخلت يدك مؤملا ان تقع على القطعة البيضاء للمرة الثانية على التوالي ، فان حظك من النجاح يكون واحدا من عشرة آلاف ، واذا ادخلت يدك للمرة الثالثة يكون حظك من النجاح ثلاث مرات على التوالي واحدا من مليون ، ثم جرب مرة اخرى او مرتين فان حظك من النجاح يرتقي الى الحساب الفلكي ، يعني الى بلايين لا نهاية لها .

وبذلك نرى ان نتائج المصادفة مضبوطة بقانون دقيق ، كما ان الواحد نصف الاثنين ، والاثنين نصف الاربعة .

ثم ضرب المصنف مثلا آخر ببطاقات اللعب يشبه ما تقدم ، وحاصله انك اذا خلطت بطاقات اللعب وادخل كل لاعب يده في وعائها واخرج البطاقات التي تنوبه على سبيل المصادفة فان ذلك يكون مستحيلا لم يحدث قط منذ اخترعت هذه اللعبة .

ثم ضرب المصنف مثلا آخر برجل ماهر في اللعب احضر طفلا صغيرا لا يعرف هذه اللعبة ولعب معه وبعد اربع وثلاثين حركة صدرت من الطفل كما لو كان لاعبا ماهرا وغلب الطفل ذلك اللاعب لكان ذلك في غاية الاستحالة والبطلان .

واكرر القول : ان قصدي بهذا البحث في المصادفة ان اقيم البرهان الذي لا ريب فيه وان استرعي انتباه القارىء بطريقة علمية واضحة الى ان جميع مقومات الحياة لا يمكن البتة ان توجد على كوكب واحد في وقت واحد بالمصادفة المجردة .

وبوضيح ذلك ان نقول : ان حجم الارض ومسافة بعدها من الشمس ، ودرجة حرارة الشمس ، واشعتها الباعثة للحياة ، وغلظ قشرة الارض ومقدار الماء ، ومقدار ثاني اوكسيد الكربون وحجم النتروجن ووجود الانسان وبقاءه على قيد الحياة ، كل ذلك يدل على وجود القصد والتدبير والنظام الدقيق المضاد للفوضى وان ذلك مضبوط بقوانين حسابية لا محل فيها للمصادفة ولا يمكن احتمالها ، ولو مرة في بليون مرة ، واذا اعترفنا ولابد لنا من الاعتراف ، فهل يعقل ان نؤمن ولو في مرة من بليون مرة مع ما اوتينا من عقل ونصدق ان وجودنا ووجود سوانا في هذا العالم الفسيح المحكم الصنع حدث على سبيل المصادفة .

المبشرين والمستشرقين كانت دائما لها الغلبة ، وكانت هي التي تتردد فى صحف مصر والعالم العربي لا على انها نظريات قابلة للنقض ، ولكن على انها حقائق ثابتة ، ومما يذكر فى هذا الصدد ان (رينان) عند ما عــرض آرائه عن العرب والسامية وراجعه فيها (جمال الدين الافغاني) لم يجد امامه الا ان يعلن انه سيعاود النظر فى مراجعه على ضوء ما اورده جمال الدين فى الرد عليه ، ومع ذلك فان دعاة التغريب حملوا هذه النظريات فى الهجوم على الاسلام والامة العربية ، واللغة العربيــة كحقائق تفرض فرضا .

وقد واجه الفكر العربي فى قوة وصراحة ووضوح وعلى نفس المنهج العقلي والمذهب الغربي فى البحث كل ما عرضه المبشرون والمستشرقون وخصوم العــرب والاسلام ، وكشف زيفه ، وابان ان هذه الحملة لم يقصد بها الا توهين عرى الاسلام وتشويه صورته ، وصرف اهله عنه .

وقد عمل الفكر العربي جاهدا على رد كل الشبهات التي اثارها المبشرون والمستشرقون ودعاة التغريب ، وكشف الفكر العربي عن جوهر الاسلام فى انه عقيــدة ونظام ، وان مبادىء الاسلام وتعاليمه صالحة للمجتمع على اختلاف الزمان والمكان ، وان اركان العقيــدة الاسلامية بسيطة قوامها التوجيه ، وقد اقر الاســلام حقوق الحرية والاخاء والمساواة بين البشر ، والغى العصبية وفوارق الاجناس والالوان والدماء ، وجعل اساس التفاضل بالعمل ، وحرم العصبية القبلية ، ودعا الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر المحبة بين الناس ، وحمل لواء الجهاد فى سبيل الدفاع عن العرض، والارض ، والوطن ، ونهى عن عبادة غير الله ، وتشمل الشريعة الاسلامية كافة التكليفات الشرعية العملية ، وتنظيم العلاقات بين الناس فى الاسرة والمجتمع بمــا يحقق قيام مدنية فاضلة تقوم فيها العلاقات على دعائم ثابتة ودعا الى الحج كمؤتمر اسلامي عام .

وقد نظم الاسلام المجتمع على اساس الخلق والتعاون والتكافل ، واقام الاسرة على اساس المودة ونظم العلاقات بين الناس ، وفرض نظام الشورى فى الحكم ، واعلن احترامه للكرامة الانسانية والعدالة وعدم التفريق فى القضاء بين الغني والفقير أو الامير والسوقة، واعطى توزيع الاعمال بمقدار الكفاية ، وعالج الفقر بنظام العدالة الاجتماعية ، وجعل للفقير فى مال الغني حقا معلوما هو الزكاة تجمعه الدولة ، واوجب على ولي الامر ان ينفق على الفقير العاجز ، وللقاضي ان يحكم له بما يكفيه من بيت مال المسلمين ، واوجب على اهل كل قريـــة ان يقوموا بسداد حاجة فقرائها ان لم تكف الزكـــاة ، واعطى المراة حقها ، ومنحها حرية الارادة فى البيــع والزواج والشراء ، وحث على طلب العلم واقام الحكم العقلي فيه على اساس البرهان (قل هاتوا برهانكم) .

وقام الاسلام على قاعدة : لا ضرر ولا ضرار وعلى سد الذرائع ، واعطاء الوسائل واحكام المقاصــــد والغايات ، فكل ما افضى الى مباح فهو مباح ، وكمـــا اباح اعطاء الظن الغالب حكم اليقين المجزوم به ، وقرر تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض ، ودعا الى المساواة بين المسلمين فى الاحكام وكذلك بينهم وبين من له ذمة وعهد ، فان لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، وعمل على تقدير كثير من الاحكام بما تعارف عليه الناس واعلن ان من اجتهد واخطأ فله اجر واحد، ومن اجتهد واصاب فله اجران .

وكان (الاسلام) واسع الافق فى لقاء الحضــارة الغربية الحديثة ، وقد حرر الفكر العربي نفسه بفتح باب الاجتهاد قبل ان تصل طلائع الغزو الغربي ، فان علماء القرن الثامن عشر قد دعوا الى فتح باب الاجتهاد بعد ان ظل مغلقا فترة طويلة ، واعادوا تفسير قوانين الاسلام وكشفوا عن وجه الاسلام الحقيقي بعد ان رفعوا الغشاء الذي خلفه الجمود والتقليد فى الدولة العثمانية .

وكانت الحركات الوهابية والسنوسية والمهدوية ، وهي حركات منفصلة قامت فى الحجاز وليبيا والسودان علامات على وضوح مفاهيم الاسلام الحقيقية من تحرير الفكر وتحرير الوطن فى نفوس دعاتها ، فد عملت هذه الدعوات على التحرر من قيد التقليد والعودة بالاسلام الى منابعه الاولى وفى نفس الوقت قاومت الاستعمـار التركي والغربي .

كما توافرت فى (الاسلام) خلال معركة المقاومـــة التي شنها على الغزو الثقافى والتدخل الاجنبي مرونة واضحة فى تقبل الحضارة وتمكن المجتمع الاسلامي من التطور والعمل للتوفيق بين الحضـاره وبـين اسس القيم الروحية والفكرية العربية التى كانت اساســا ضروريا لبناء المجتمع الجديد .

القاهرة : أنور الجندي

وهو اذ ذاك رئيس القضاة فى البلاد السعودية ، فذهبت لزيارته وكان معي رفيقي وصديقي القديم الاستاذ الشيخ محمد بن عبد الرزاق المصري اصلا ، الحجازي مهاجرا وسكنى ، وهو من خيرة العلماء السلفيين ، وكان فى ذلك الوقت خطيبا فى المسجد النبوي ومشاركا لي فى المراقبة ، فلما جلسنا فى مجلسه دعا لنا بالقهوة التي تشرب بلا سكر ، وهي تحية كل زائر فى بلاد العرب ، ثم سال عن حالنا فاجبناه بخير وشكرنا ملاطفته ، ثم قال لنا : اريد ان اسألكما عما يعتقده اهل الامصار، يعني اهل المدن الكبرى فى البلاد الاسلامية من زعمهم ان الارض كرة ، وانتما قد خالطتماهم فما هي شبهتهم فى هذه الدعوى ، فقلنا له : انهم يستدلون بادلة عديدة اقواها عندهم اختلاف الليل والنهار ، فان الشمس فى كل وقت تطلع على قوم وتغيب عن آخرين ، واذا كانت غائبة فى بلد فهى طالعة فى بلد آخر ، وهذا امر مشاهد ومعلوم ، ومن ادلتهم ان المسافر فى البحر يرى نفسه دائما فى دائرة ، واذا راى سفينة من بعيد فاول ما شاهد منها رؤوس الصواري ، ثم يشاهد مداخنها ، ثم تنكشف كلها ، وحتى فى البر ، أول ما يشاهده المسافر من المدينة رؤوس المنارات والابراج. قالوا : ولو كانت الارض كلها على شكل بساط لظهرت الشمس لاهل الارض كلهم فى وقت واحد وغابت عنهم فى وقت واحد . ومن ادلتهم على ذلك اننا لا نرى من الشمس والقمر والكواكب الا نصف دائرة ، فلابد ان النصف الاخر وراء نصف الكرة الاخرى . وتشاهد كل طالع كانه خارج من الارض . وكل غارب كانه داخل فيها ، ولم نرد ان نقول له:ان كثيرا من الناس قد داروا حول الارض فتوجهوا الى الشرق واستمروا على ذلك حتى رجعوا الى بلدهم من جهة الغرب لعلمنا ان عقله لا يتحمل ذلك ابدا ، ومع ذلك غضب علينا غضبا شديدا ، وقال لنا : اتركا هذه العقيدة فانها فاسدة وباطلة وان اصحابها زنادقة لا يريدون بها الا ان ينكروا استواء الله على عرشه ثم يجحدون وجوده ، فقلنا له : نحن لم نقل ذلك اننا نعتقد هذه العقيدة ، وانما سألتنا عن ادلة القائلين بها فاخبرناك ، فقال : بلى انكما ، تعتقدانها ، فعلمنا حينئذ ان المدرسين قد اشتكوا اليه واخبروه بما دار بيننا وبينهم من بحث فى ذلك ، وحينئذ رمقتنا ابصار الحاضرين باحتقار وازدراء واخذوا يسخرون منا ويقول بعضهم لبعض : ما اسفه القائلين بهذه العقيدة واضعف عقولهم ، لو كانت الارض كرة كما يزعمون لكانت رؤوسنا الى اسفل وارجلنا الى فوق ، ولماذا لا تسقط هذه الجبال والاحجار والصخور ، ولماذا لا تنصب البحار فى الهواء وما اشبه ذلك ، فسكتنا ولم يبق لنا قول واذعنا لصولة الجهال ، وكان ذلك فى رمضان ، فطلب منا الشيخ ان نفطر معه كل يوم ، اما انا فلم اعد اليه ، واما صاحبي فكان يتردد عليه ، غير اني قرات الرسالة العرشية لشيخ الاسلام ابن تيمية التي اقام فيها الدليل والبرهان القاطع على كروية الارض وجميع الاجرام السماوية ، ومما قاله فيها : ان جهات الارض كلها فوق وليس فيها تحت ، وانما التحت هو بطن الارض أي مركزها ووسطها ، قال : فلو القيت حجرا بالمشرق وحجرا بالمغرب فنزلا فى الارض ولم يجدا مانعا لاجتمع الحجران فى وسط الارض ، ولو جعلت بدل الحجرين انسانين لالتقت اقدامهما فى المركز ، فخططت على ذلك بخطوط حمر ، وبعثت الكتاب اليه فازداد غضبا وقال لمن حضر عنده : الا تعجبون من الهلالي يريد ان يعرفني بما فى كتب شيخ الاسلام ، وانا لم ازل ادرسها منذ طفولتي واكاد احفظها عن ظهر قلب ، ان كلام شيخ الاسلام عال لا يستطيع الهلالي ان يفهمه ، ثم اخذت اطالع كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم ، فوجدته قد صرح بان الارض كره وعلل بذلك باختلاف الليل والنهار فبعثت اليه الكتاب مع رفيقي الشيخ محمد بن عبد الرزاق ، فلما قرا كلام ابن القيم فكر طويلا ثم قال له : اما الجهة التي نحن فيها فهي سطح نشاهده بالعيان . فاذا كانت الجهة الاخرى كرة فلا ادري ، وبعد ذلك لقيت الشيخ محمد بن عبد اللطيف وهو كبير علماء آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى ذلك الزمان ، فقال لي قد بلغني ما جرى بينك وبين ابن بليهد وهو مخطيء فيما زعم فتحت يدي ثلاث رسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية كلها تشهد بكروية الارض ، وانما قلت لك هذا لكيلا تظن ان جميع علماء المملكة السعودية يرون راي ابن بليهد فى هذه القضية ، وهذا الشيخ اعني ابن بليهد كان آية فى الادب العربي وعلوم الدين وكان طاعنا فى السن ، ولكنه يستحضر كلما قراه بالفاظه غالبا ، فيقول مثلا قال المؤلف الفلاني فى الكتاب الفلاني فى الصفحة الفلانية ما نصه ويمليه من حفظه ، اما ما عدا ذلك فلم يكن له به علم ، ورايت رجلا آخر يشبهه فى علم الادب وحفظ نصوصه ، وهو السيد عبد الله بن سعيد السلاوي فكان لا يسمع بحادثة الا تمثل بابيات وامثال للعرب متعددة ، واخبرني ان والده الزمه ان يحفظ كتاب نفح الطيب وهو اربعة من المجلدات ، فقال فحفظته ، والسيد عبد الله بن سعيد السلاوي هو اول وطني فى المغرب واول مقاوم للاستعمار حين كان المغاربة فى غمرة ساهين وكان جمهورهم يعتقد ان مقاومة الفرنسيين كمقاومة

لقد وجدنا ان تسعمائة وتسعة وتسعين وتسعمآت وتسعة وتسعين وتسعمائة وتسعة وتسعين 999. 999.999 ثلاث مرات فى مقابلة واحد ضد الاعتقاد بان جميع الاشياء وجدت على سبيل المصادفة . والعلم لا ينكر هذه الحقائق كما بينّاها : وعلماء الحساب يعترفون بان هذه الارقام صحيحة ، والان تقابلنا مقاومة عنيفة عنيدة من قوم اصروا على افكار استقرت عندهم .

لقد كان اليونانيون القدماء يعرفـون ان الارض كروية الشكل ، ولكن مده الفي سنة قد مضت قبل ان يومن الناس بهذه الحقيقة ويصدقوها .

ان كل فكر جديد لابد ان يلقى انكارا وسخريـة وذما ، ولكن الحق يعيش ويرسخ وان جحد الجاحدون .

لقد انتهت المخاصمة ورفعت القضية اليكم ابها الحكام ونحن فى انتظار ما تحكمون به وانقبن مطمئنين باحقاق الحق وازهاق الباطل .

تعليقـــات :

1 — قوله : واكرر القول ان قصدي بهـذا المبحث فى المصادفة الخ .. اقول : هذا الفصل هـو خلاصة فصول الكتاب كلها ، ومن قرأ هذه المقالات بإمعان وفهمها بصبر الايمان بالله انه الخالق البارىء المدبر لشؤون هذا الكون عنده معلوما بالضرورة ولا يشك فيه ابدا ، الا اذا عمي وصم وترك عقله جانبا وجحد ما يعلم انه حق فهذا يخادع نفسه ويكذب حسه فلا يستحق الخطاب لانه من شرار الدواب (ان شر الدواب عنـد الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون) وقد حثنا الله سبحانه على النظر فى كتابه العزيز فى غير ما آية ، وتقدمت الاشارة الى بعض ذلك ونعيد شيئا منه فنقول على سبيل التنبيه ، قال الله تعالى : قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يومنون .. وقال تعالى : (افلم ينظروا الى السمـاء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) ، وأمثال هـذه الايات الداعية الى النظر واعمال الفكر الموصل يقينا الى الحقيقة ، وهي الايمان بالله على طريقة الراسخين فى العلم الموقنين كثيرة ؛ اما من امتنع من النظر واستعمال العقل الذي هو من اعظم النعم ، بل هو اعظمها لانـه الموصل الى المعرفة التي هي طريق السعادة فلا حيلة فيه فنذره يعمه ويتخبط فى ضلاله ، واكثر الكافرين فى هذا الزمان عموما وخصوصا فى البلاد الاسلامية ، انما كفروا تقليدا لمن ظنوا انه بلغ درجة العصمـة فى اوج المعرفة. فمثلهم كمثل القرد مع النجار حين اراد محاكاته فى نشر الخشبة فدخل ذنبه فى شقها وانطبقت عليـه وبقي محبوسا حتى جاء النجار فضربه ضربا شديـدا فكان ما لقي من النجار اشد عليه مما لقيه من انطباق الخشبة على ذنبه ، ومن الغريب انك تراهم يـنـددون بالمستعمرين ويصفونهم بالخداع والقسوة والامعان فى التوحش ثم يقلدونهم تقليدا اعمى فى رذائلهـم ولا يقلدونهم فى فضائلهم ، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور ، فلا المقلد بالكسر ولا المقلد بالفتح يستطيع ان يجيب عن شيء من البراهين العقلية بله النقلية التي اودعناها هذه المقالات ، فهما بين امرين: الجهل او الجحود ، فليختارا احدهما وما فيهما خيـر لمختار، فقد ثبت بالبراهين التي لا تقبل الريب ان الحياة انما وجدت على وجه الارض بالعناية الربانية والقـدرة الكاملة والعلم والحكمة التامة التي تحيرت فيها عقول المخلوقين وعنت لها وجوه الباحثين والمفكرين ، وظهر ان دعوى المصادفة حديث خرافة ، وجهل وسخافة ، كطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ؛ وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

2 — قوله : ولا يمكن احتمالها ولو مـرة فى بليون مرة : حجة قاطعة يسلمها كل ذي عقل باعجاب واطمئنان ، وقد تقدم تفصيل ذلك فى تضاعيف هـذا الكتاب الذي هو غذاء الالباب .

3 — قوله : لقد كان اليونانيون القدماء يعرفون ان الارض كروية الشكل ، ولكن مدة الفي سنة قـد مضت قبل ان يؤمن الناس بهذه الحقيقة ويصدقوها ، اقول : هذا فى امريكا بلاد المصنف وفى اوربا ، امـا فى بلادنا فلا يزال خلق كبير لا يصدقون بذلك ، وبعض من يدعي علم الدين يزعم ان القرآن مصرح بـان الارض ليست كرة جهلا منهم ، لا بما ادركه العلماء اليونانيون منذ الفي سنة فقط ، بل بما حققه علماء الاسلام منـذ الف سنة ، نذكر منهم الشيرازي والغزالي وابن رشد وابن تيمية وابن القيم ، وقد حدثت لي فى هذه المسالة قصة طريفة اتحف بها القراء كنت فى سنـة 1346 مراقبا للمدرسين فى المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام ، فزار المدينة الشيخ عبد الله بن بليهد ونزل فى ضيافة الحكومة فى دار مجاورة للمسجد النبوي ،

العلاج النفسي في الإسلام

للأستاذ: جمال بغدادي القادري

ان الذي يمعن النظر في الاسلام تتجدد لديه جوانب العبقرية الاصيلة الكامنة في مراميه الخالدة ومقاصده الانسانية ، بل يتحقق عند الباحث انسجام الاسلام الدائم مع الاوضاع الاجتماعية الجديدة والمطالب الحياتية المتغيرة ، كأن الاسلام ادرك ما تصير اليه حياة الانسان في المستقبل القريب والبعيد في بدائه او قريته او مدينته ، وبهذه الواقعية المتطورة نلمس كلمة الله العليا الخالدة خلوده سبحانه .

فهذه حياتنا اليومية الصاخبة المنطلقة الى الامام وهي تدفع الانسان دفعا حثيثا مكلفة اياه بمهمات تزداد تعقيدا وسعة فلا تترك له فرصة الاستجمام النفسي ولا الاصالة الفكرية واصبح الانسان في المجتمعات المادية سنا في الدولاب ليس له وجود ذاتي ، كأن هذه الحضارة المادية الطاغية من عجينة لاتنفعل مع روحانية الانسان ، هذا الكائن المؤلف من الامال والاحلام والحب والطموح في حاجة الى حضارة لا تهمل هذه المكونات النفسية والا اصبح في صراع مع ميوله الفطرية ولا توازن مع متطلبات النفس الملحة ، ولعل هذا اللاتوازن بين حاجات الجسد وبين حاجات النفس هو الذي يفسر لنا كثرة الامراض العقلية والاضطرابات النفسية ، وشيوع حوادث الانتحار وتفشي الحسرة والقلق بين الناس لان الانسان وجد نفسه عبدا للالة في وسط مادي ساحق ، اذا كان الجسد يتحمل المجهود المبذول فهو اكثر تحملا من العقل ، ولذلك كانت الامراض العقلية والنفسية اكثر عددا من امراض الجسم بجميع انواعها ، ولقد دلت الاحصاءات على ان فردا من بين خمسة عشر فردا لابد من ان يدخل الى مستشفيات مرضى العقول (هذه النسبة العددية ذكرها « بيرز » على حالة سكان نيويورك) وفي مجموع الولايات المتحدة يبلغ عدد الاشخاص المحتجزين لضعف العقل والجنون اكثر من ثمانية امثال مرضى السل الذين يعالجون في المستشفيات ويقبل كل عام ما يقرب من 68.000 حالة جديدة في المؤسسات التي تعالج فيها المجانين واذا استمر القبول بهذا المعدل فان قرابة المليون من النشء والاحداث الذين يوجدون اليوم في المدارس سيكونون في وقت ما داخل مستشفيات الامراض العقليـــة .

ومعنى هذا ان المذاهب الاجتماعية والحياة الصاخبة في المدن افلست في تحقيق التوازن العقلي والاستقرار النفسي ، وان المدنية المعاصرة كلما تعقدت كلما ارتفع مرضى العقول والنفوس ، فكيف واجه الاسلام هذا الوضع الخاص بانسان القرن العشرين ؟ وكيف اتى بالعلاج النفسي لازمات الانسان الدائمة ما دام الاسلام هو الرسالة الخالدة الصالحة لكل زمان ، والنظام الذي تحقق به السعادة الكاملة ؟

لقد نزل الاسلام على العرب وهم في بيئتهم الاجتماعية الصحراوية التي لم تشتمل على المشاكل التي نعيشها اليوم ، ومع ذلك فقد تنبأ الاسلام الى البلسم الذي من شأنه ان يقي الانسان من الاضطرابات النفسية المختلفة سواء في امسه او في يومه او في غده.

وكانت اللبنة الاولى التي وضعها المفهوم النفسي الاسلامي هي لبنة الايمان ، والايمان يرادف الاطمئنان النفسي في مصطلح الطب العقلي ، وقد اتفق جميع المحللين النفسانيين على ان السبب العميق لكل الامراض النفسية هو الاضطراب والصراع

البشر للعفاريت او الاقزام للعمالقة ، وقد جاهـــر بمقاومته فنفاه ليوطي من بلده سلا الى وجدة ، وفيها كنت اتردد عليه وكان يسر بلقائي ، واذا ابطأت علبـه برسل فى طلبي فرحمة الله عليه ، وفى يوم من الايام قال لي قاضي القضاة بشر السيد عبد الله بن سعيد باني تحدثت فى قضيته مع المراقب المدني فوعدني بانـــه سيسعى فى اصدار العفو عنه فما عليه الا ان يكتب كتابا الى المرشال اليوطي يطلب فيه العفو . فذهبت اليـه واخبرته بذلك فتبسم وقال لي قل له : اني اتاسف عليك ان ترضى بمثل هذا لنفسك او لاحد من المواطنين . ماذا اقول فى هذا الكتاب ؟ اقول اني مذنب التمس العفو من أجنبي مغتصب لا حق له فى الاستيلاء علـى وطننا ولا فى الحكم فيه ، فضلا عن ان يكون له حق فى نفيي لاني ابيت الخضوع والتملق للمستعمر الظالم . فاليوطي هو الذي يجب عليه ان يطلب العفو مني لانه اعتدى علي واغتصب ارضي ثم نفاني من بلدي . قال ولقد كتبت احتجاجا الى رئيس جمهوريتهم فى كراس وبعثته فى البريد فلم يتركوه يصل اليه ولن اخضع لعدو مغتصب ابدا . وعلمت بعد ذلك ان اليوطي زار وجدة ومر بباب داره فاشير عليه ان يخرج اليه فابى :

ذي المعالي فليعلون من تعالى
هكذا هكـــذا والا فـــلا لا

مكناس : الدكتور تقي الدين الهلالي



مظلما مضطربا يسوء منه حال العقل ويضعف فعله ويصير مثل الانسان عند ذلك مثل كهف مليء حريقا.. فلذلك يعمى الانسان عن الرشد ويصم عن الموعظة وليس له فى تلك الحال حيلة وانما يتفاوت الناس فى ذلك حسب المزاج) ، وقد كتب ايضا الامام الغزالي كتابات رائعة فى هذا المجال حول اسباب الغضب ونتائجه وطرائق علاجه ، ومن آرائه حول العلاج ما ذكره فى الاحياء قال : (والتخلص من الغضب يجب ازالة هذه الاسباب باضدادها ، فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع ، وتميت العجب بمعرفتك بنفسك .. وتزيل الفخر بانك من جنس غيرك ، اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد .. وانما الفخر بالفضائل .. واما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه .. واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة ، وانما تعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل) اي بالتفكير في اصل هذا الغضب وفى معرفة مصادره ، واما العمل فهو العلاج الفعلي بالقول اولا كان يذكر (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فان لم يتحقق ذلك ، فاجلس ان كنت قائما ، واضطجع ان كنت جالسا ، واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة ، وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله : ان الغضب جمرة توقد فى القلب ، الم تروا الى انتفاخ اوداجه ، وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليقم) . ولا احسب ان علم النفس الحديث يستنكر هذا العلاج الحكيم .

وخلاصة القول ان الاسلام وضع الحجرة الاساسية لاساليب العلاج النفسي بعد ان تنكر لما عهد فى الجاهلية من وسائل قائمة على التمائم والخرزات والايمان بتاثير الجان والارواح الخبيثة — لان العلاج فى الاسلام يقوم على الاستبصار وهووقائي اكثر منه علاجي ، فلا نجد التفصيل العلاجي المعروف عند الاطباء الاختصاصيين وانما اكتفى بان قدم العلاج الوقائي الانساني الذي يصون العقل ويحمي النفس ، واننا لا نلمس عند الاطباء العرب ابتعادا كبيرا عن روح القرآن ، بل نجدهم يتخذون نفس المنطق ونفس المنهاج ، ولذلك كانوا اسبق المفكرين الى التحليق فى عالم النفس وادراهم بخفاياها وزواياها ، بل تعدى علمهم من علاج الانحراف السلوكي فى الاخلاق وهذا ما لم يعهد به عند المحللين المعاصرين مع العلم ان المرض الاخلاقي انحراف نفسي فى مراحله الدنيا .

وهكذا حق القول بان الاسلام اتى بالجديد فى حقل العلاج النفسي بعد ان ميزه على كافة الاساليب الاخرى المعروفة فى دنيا الطب قديما وحديثا .

الرباط : جمال الدين البغدادي



سواء كان جنسيا او عقائديا او اجتماعيا او ذاتيا ، فكلما حصل نزاع بين عادات الانسان وميوله من جهة ، وبين مقتضيات البيئة الخارجية المتمثلة في المؤسسات وانظمة التربية وانماط السلوك من جهة اخرى ، تكونت العقد كمرحلة اولى نحو الجنون في نهاية المطاف ، فما دامت الثقة غير متوفرة في قلب الانسان وما دام الاطمئنان غير حال في عقله كان مهددا دوما بالمرض النفسي ، والاسلام جاء ليقضي على الميكروب النفسي الاول وهو القلق والاضطراب والفصام بتركيز الايمان في قلب الانسان ، ففي الايمان اعتقاد ان لافرق بين حياة الارض وحياة السماء ، فلا فصام ولا نزاع بين متطلبات الدنيا ومتطلبات الحياة الاخرى ، بل هنالك ترابط دائم لاينفصم ، وفي الايمان ثقة هادئة في عدالة السماء وفي الولاء لله وحده فلا عبادة لمخلوق وبهذه الثقة وبهذا الولاء تصبح النفس في حرز وحمى من انحلال الشخصية وانفصامها ، فالاسلام حصن ضد هذه الآفات التي تصيب الانسان وهي آتية له من نفسه ، لان المرض النفسي يصدر من النفس وقد يكون انعكاسا من المجتمع ايضا ولذلك وجب اصلاح المريض النفسي اصلاحا نفسيا اجتماعيا، وهذا ما فعل الاسلام حين جعل هذا الايمان وهذه النعمة في الله لاتكمل ولا يكون لها مدلول الا اذا كان لها سلوك اجتماعي لان الحياة الاجتماعية السليمة سد منيع ضد الاضطرابات ، وهذا السلوك الاجتماعي يتمثل في الحب ، الحب بأوسع معانيه الانسانية : حب الفقير والعطف عليه ،حب الانسان من اي لون كان او جنس او بلاد ، بل حب الناس كافة ، حب الحيوان ، وحتى الجماد لانها من صنع الله ، وهذا الحب الشامل من شانه ان يقضي على عقد الاستعلاء والغرور وعقد النقص والانانية واسباب الاثرة ، وهذه العاطفة تدريب اجتماعي حاسم نحو العمل السليم . والحب من شانه ان يحقق السلام ، سلام النفس والعقل حتى ان الاسلام هو دين السلام ، وان التحية الاسلامية هي تحية السلام والايخاء ، قال الرسول : (لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) — وقال تعالى : « انما المؤمنون اخوة » .

بهذه الحواجز المنيعة حمى الانسان في الاسلام من الاسباب الاولى للامراض النفسية ، ولعل هذا هو الذي جعل العلماء العرب المسلمين اسبق المفكرين الى ميدان التطبيب النفسي قبل مدرسة شاركو في باريز وفرويد في النمسا ، كان الطبيب العربي فخر الدين الرازي يعتقد ان تلاوة القرآن والعمل به شفاء من الامراض الروحية الخبيثة ، قال في كتابه « مفاتيح الغيب » : (واعلم ان القرآن شفاء من الامراض الجسمانية ، اما كونه شفاء من الامراض الروحانية فظاهر ، وذلك لان الامراض الروحانية نوعان : الاعتقادات الباطلة والاخلاق المذمومة ، اما الاعتقادات الباطلة فأشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الالهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر ، والقرآن مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه المطالب ، وابطال المذاهب الباطلة فيها ، ولما كان اقوى الامراض الروحانية هو الخطأ في هذه المطالب والقرآن يشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب من العيوب الباطنة لاجرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني . . .) ان اثر القرآن على النفس هو من قبيل الايحاء من شدة الاعتقاد .

ولكن امهر الاطباء النفسانيين العرب هو دون ريب ابن سينا الذي صال وجال في كل علم وفن ، ان الشيخ الرئيس اتى في كتابه « القانون » بالبذور العميقة لاسلوب التحليل النفسي الفرويدي القائم على طرح الاسئلة للتعرف على اصل المرض وآثاره الاولى ، استعمل هذه الطريقة العلاجية لعلاج مرض العشق ومرض المانخوليا ، وقد نقل النظامي السمرقندي قصة ذلك الفتى الذي اعتقد انه قد صار بقرة واصبح يطالب بذبحه حتى يؤكل من لحمه ، وقد حار الاطباء في علاجه الى ان علم به ابن سينا فصدق ما رواه الفتى المريض وجعل يشاركه اعتقاده بانه صار بقرة وانه حان ذبحه فشرع في ذبحه فعلا وعند ذلك اعلمه الطبيب ابن سينا انه لايجوز ذبح بقرة هزيلة فلا بد من ان تطعم حتى تسمن . وصدق الفتى مقالة الطبيب الرئيس ولكنه حينما بدأ يتناول الطعام زالت عنه تلك الاوهام ، وشفي من مرضه ، ان مايحكي عن تشخيصات الرئيس ابن سينا لتعبر آية في العلاج النفسي البصير .

وبالاضافة الى هذه المهارة الطبية في ميدان الامراض العقلية امتاز العلماء العرب بعلاج فريد في نوعه استمدوه من صميم روح الاسلام وهو ما يتعلق بعلاجهم للامراض الخلقية كالغضب والحسد ، يقول العلامة ابن مسكويه في بيان تاثير الغضب في الجسم والعقل : (الغضب في الحقيقة هو حركة للنفس يحدث لها غليان دم القلب شهوة للانتقام ، فاذا كانت هذه الحركة عنيفة اججت نار الغضب واضرمتها فاحتد غليان دم القلب وامتلأت الشرايين ، والدماغ يصبح

في جزيرتها لغة العالم الجديد المقدسة ، يحرص على دراستها واتقانها والتفنن في علومها وآدابها كبار الاذكياء في العالم وتصبح معرفتها والتفقه فيها واجبا من واجبات الدين وشعارا من شعائر المتدينين لايبلغ بغيرها رجل الى ذروة الشرف ولا يقلد منصبا من المناصب في القضاء والفتوى والتعليم .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذي نجدد فيه الامل في الانسانية ومستقبلها ، وغلب التفاؤل على التشاؤم المؤسس على المآسي والمهازل التي قام بها الانسان في كل بقعة من بقاع البسيطة وفي كل امة من الامم ، والمؤسس على سخافة الانسان في العقل والعقيدة والعمل ، ومحاولته لتدمير المدنية وابادة الانسانية حتى يئس الانسان نفسه من مستقبله وحرم نفسه حق البقاء وجدارة الحياة واستحق العقوبة العاجلة وانقراض الجيل الانساني ، ولكن بطلوع فجر هذا اليوم استحق ان يفسح في اجله ، ويمد في حياته ، ويعتمد عليه ، في بناء المجتمع الجديد ، وفي احياء ما اندرس من الفضائل والمعاني السامية ، وفي اعادة كرامة الانسان الى الانسان ، وفي الاخذ على يد الظالم والانتصار للمظلوم ، وفي الحياة الجديدة التي تليق بشرفه وتتفق مع غاية خلقه ومع اهداف هذا الكون ، وكان هذا اليوم تمديدا لحياة الانسان على هذا الكوكب وفرصة جديدة له في البقاء والازدهار تدين لهذه المنة كل من ولد بعد هذا اليوم ، وكل من عاش في العصر الذي يليه .

كان الجواب من غير نزاع ومن غير تردد : هو اليوم الذي ولد فيه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم .

انه هذا اليوم الذي وجدت فيه الانسانية الايمان الذي فقدته وافلست فيه من مدة طويلة ، الايمان بظاهر هذا الكون ووحدانيته ، والايمان بمصيرها وبالبعث بعد الموت بعد ما يئست من مستقبلها وتهالكت على هذه الحياة وعبادة الشهوات ، والايمان بسلسلة الرسل وهداة السبل ، بعد ما تسلط عليها الدجالون المحرفون الذين يأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والايمان بقيمة الانسان وكرامته بعدما انكرتها وثارت عليها وامتهنتها امام الاحجار والاشجار، والحيوانات والانهار ، والملوك والامراء ، والاغنياء والاقوياء ، فاصبحت تؤمن بان الدنيا خلقت لها وانها خلقت لله ، وان لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى ، كل بني آدم من آدم وآدم من تراب ، واصبحت تؤمن بالحقوق والواجبات ، فلكل حق وعليه واجب ، وليكن رفيقا في المطالبة بحقه مقتصدا في التمتع به ، قويا نشيطا في اداء واجبه «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» والنساء شقائق الرجال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، الى آخر ذلك من التعاليم المتزنة والتوجيهات الحكيمة التي جاء بها محمد (ص) ، وبفضلها وجد المجتمع الرشيد السعيد الفاضل الكامل الذي لايوجد له نظير في التاريخ ، وعلى اساسها يقوم هذا المجتمع في كل عصر ومصر ، وفي كل زمان ومكان .

ولم يكن في هذا اليوم ظهور لهذه المبادىء وتعريف بهذه التعاليم المتزنة والتوجيهات الحكيمة فقد كان ذلك مرارا في فترات مختلفة من الزمان — وان لم تكن في هذا الطور الكامل — وكانت صيحات ترتفع حينا بعد حين ثم تغيب في دياجير الظلام ويبتلعها المجتمع الفاسد لانه ليس وراءها فرد يجازف لاجل ذلك بحياته واسرته وكل مايتمتع به من شرف ومركز ومتعة ، ولم يكن وراءها جماعة تراهن في سبيل ذلك لكل ما تملكها من حاضر او تؤمل فيه من مستقبل ، ولكن البعثة المحمدية كانت مقرونة ببعثة امة جديدة ، امة تعيش لهذه الدعوة المقدسة وتعيش على هذا الجهاد المقدس « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » امة تهب نفسها لهذه الدعوة وتربط حياتها بحياتها .

وتزعم هذه الامة الجديدة الخالدة — التي نيطت بها هذه الدعوة — العرب الذين آمنوا بصاحب هذه الرسالة الجديدة بصدق واخلاص ووضعوا ايديهم في يده وحكموه في نفوسهم واموالهم واملاكهم واخضعوا له رغباتهم وارادتهم فكانوا اصحابه الاولين وجند الله المنصورين وحملة هذه الدعوة وامناءها ورسلها واصحاب النصيب الاوفر في فقهها ووعيها والاستماتة في سبيلها وتحمل الخسائر والنكبات لاجلها حتى ارتبط مستقبل هذه الدعوة بمستقبلهم ، وبقاؤها ببقائهم حتى استطاع الرسول وساغ له ان يقول في ساحة بدر : (اللهم ان تهلك هذه العصابة لن تعبد) .

ومكن الله لهؤلاء العرب في الارض ، واعزهم بعد الذل ، واغناهم بعد الفقر ، وقواهم بعد الضعف ووحدهم بعد الفرقة واسبغ على لغتهم المحصورة في جزيرتهم القداسة الدينية ، وكتب لها الانتشار في العالم

ميلاد عالم جديد

للاستاذ :
أبو الحسن علي الحسني الندوي

اذا ساءلنا ما هو اليوم — من ايام التاريخ — الذي يستحق من الانسانية اعظم تقدير واجلال ، ويستحق ان يذكر فلا ينسى ، ويستحق ان يعتبر اليوم الخالد والخط الفاصل في ادوار التاريخ ، وبين عهد وعهد بل بين عالم وعالم ؟ .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذي تشترك في اجلاله والاحتفال به وابداء السرور فيه الانسانية على اختلاف طبقاتها واختلاف اممها وشعوبها ، واختلاف نزعاتها وفلسفاتها ، لانها سعدت فيه بعد شقاء طويل ، ونهضت فيه بعد عثرة دامت قرونا ؟ .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذي يعتبر ميلاد العالم الجديد وفاتحة العهد السعيد ، ورمز انتصار الفضيلة على الرذيلة ، وقوى الخير على قوى الشر ، والعدل والمساواة ، والرحمة والمواساة ، على الشقاوة والقساوة ، والهمجية والضراوة ، وانتصار الحياة المنظمة والشريعة الكاملة على شريعة الغابات وقانون العصابات ، وبالاختصار انتصار العلم والايمان على الجاهلية بأوسع معانيها انتصارا خالدا ؟ .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذي ولدت فيه قوة جديدة نشيطة لمكافحة الشر وصد تيار الفساد تكوين المجتمع الجديد القائم على اساس الايمان ، والعمل الصالح والتقوى وخدمة الانسانية مؤلفة من افضل رجال (اقل الناس تكلفا وابرهم قلوبا واعمقهم علما) يغامرون بحياتهم وامكانياتهم وما هم فيه من رفاهة وسعة عيش وهناء بال في سبيل سعادة المجموع البشري ، واخراجه من ظلمات العصر القديم الى نور العصر الجديد ، ومن عبادة الناس جميعا الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، يتحملون في سبيله كل غائلة وخسارة وكل تطور وانقلاب ، لايبتغيهم عن ذلك عداء او خلاف ، ولا يحملهم على عكس ذلك وداد او صداقة (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذي ولدت فيه الامة العربية ولادة جديدة ، بل ولدت فيه لاول مرة وظهرت على مسرح التاريخ اول مرة ، واستحقت ان تسمى « الامة » اول مرة . فقد عاشت قبل ذلك قبائل متشتتة وعصابات متناحرة ، وسيادات متحاربة وشعبا يعيش على حاشية الامم وفي عزلة عن العالم . لا شأن له في مجاري الامور او مصير الامم ، وسياسة الدول ، ومناهج الحياة ، واخلاق المجتمعات واتجاه الانسانية وميولها ، ولا سهم له في المكتبة العالمية ، غير قصائد قيلت في حوادث محلية واغراض تافهة تجلت فيها عبقريته اللغوية وحريته الفردية وقوته في التعبير وسعة لغته تقولها فتنتشر في باديته وحواضره وتبلغ اوج التقدير والاحترام فتعلق في الكعبة من غير ان يطلع عليها الادباء والمثقفون في خارج الجزيرة العربية او تنقل الى لغة من لغات العالم المتمدن ، ويعرف هذا الشعب بصدق لهجته وقوة عارضته وجودة خيله وشغفه بالحرية والمساواة والبساطة والتقشف في الحياة ، وشدة القتال في الحروب وحسن الثبات والمحافظة على الانساب افضل اخلاق وسجايا ومواهب يعرف بها شعب من شعوب البادية ، فاذا بهذا الشعب المنطوي على نفسه القابع في بطون جزيرته يصبح أمة تقرر مصير الامم وتغير اتجاه العالم ، وتفرض على المجتمع الانساني مدنيتها المقتبسة من الدين الجديد المتشبعة بروح التقوى والامانة وتصبح لغتها المحصورة

أضواء على آيات قرآنية

للأستاذ حسن بغدادي القادري

- 5 -

البحث الثالث :

قال الله عز وجل : (ويا ءادم اسكن انت وزوجك الجنة ، فكلا من حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) سورة الاعراف ، الاية 19 . وجاء فى سورة البقرة — الاية 35 قوله تعالى : (وقلنا يا ءادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (*) .

سبق لنا — فى البحث الاول — الكلام على قوله تعالى : (لايمسه الا المطهرون) ، ومن جملة ما ذكرناه : ان الآية الكريمة لاعلاقة لها بالنهي عن مس المصحف الشريف . وانما النهي وارد فى السنة لا فى الكتاب ، وكان ذلك فى مقالين متتابعين بالعدد الثالث والرابع من هذه المجلة .

وفى البحث الثاني — كان الكلام على قوله تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) وان ملخص ما قيل : ان « الكتاب » المذكور فى هذه الآية الكريمة يراد به اللوح المحفوظ — كتاب الله الذي فى السماء مكنونا محفوظا — وذلك لعدة شواهد وادلة من القرآن نفسه نعينه ، وترشد الى آيات اخرى جاءت مفسرة له بأوضح بيان واكمل تفصيل ، لا كما يفهم ارتجالا ويقوله الجمهور تقليدا من ان الكتاب هو القرآن — زيادة على ما حققه المحققون وذهب اليه العلماء من ائمة التفسير والحديث والفقه واصول الاحكام .

وكان هذا البحث فى مقالين ايضا نشر بالعددين: (الخامس والسادس) من هذه المجلة ، فليرجع الى ذلك من يشاء ، ونحن عند الانصياع والرجوع الى ما هو الحق ، مذعنين لمن يثبت لنا غير ما ذهبنا اليه بالدليل والبرهان من كتاب الله عز وجل ، او ما صح من حديث رسوله الكريم (ص) ، وقد التمسنا ذلك من اخواننا العلماء المتضلعين من علوم القرآن والحديث ، متشوفين الى زيادة ما عندهم من تحقيق — فى الآيات المذكورة — تطمئن اليه النفس ، او ملاحظة على موضوع البحثين السالفين بكل ما له او عليه ، متقبلين ذلك بمزيد الترحيب وخالص الشكر ، تنويرا للاذهان ، وخدمة للحقيقة المنشودة التي هي ضالة الجميع .

والى حد الآن لم يرد ما يلفت النظر او يغمز الى موضع الضعف والوهن فيما سلف من البحثين الموضوعين على بساط المناقشة تحت اضواء القرآن المنير وانواره الكاشفة .

لنعد الى البحث الثالث — موضوع حديثنا اليوم — وهو بحث لايقل خطورة عن سابقيه وفيه من الاشكال ما فيه ، بل تعداه الى صميم العقيدة ولوازم الايمان ، وتعرض له بعض علماء الكلام ممن صنفوا فى العقائد والتوحيد متونا وشروحا وحواشي ، ولم يكتف هؤلاء بالوقوف على سرد الروايات حتى جعلوا ذلك من العقائد الاسلامية التي يفسق منكرها ويرمى بالضلال والاعتزال ، بل حكم عليه من بعضهم بالارتداد

(*) الآيتان واردتان على شيء واحد ، غير ان ماجاء فى احداهما يزيد على الاخرى بكلمة « رغدا » وجملة « وقلنا » وذلك فى سورة البقرة ، ومن سنة القرآن ان يتضمن التكرار للقصص فوائد فى كل منها لاتوجد فى الاخرى ، وجاء فى آية الاعراف « فكلا » بالفاء ، وفى آية البقرة « وكلا » بالواو ، ولكل تعبير فائدة مقصودة ومعنى يراد ، وذلك يطلب من المطولات وليس هذا محل بيانه .

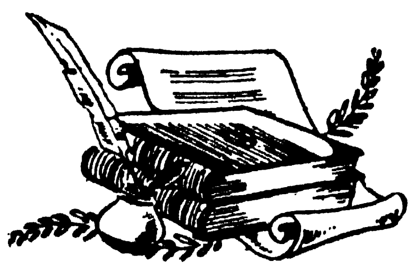
وغرس حبها في القلوب حتى امحت امامها كثير من اللغات وكانت لغة الشرق الاوسط الوحيدة ، ونطق بها بنو آدم من ضفاف دجلة الى جبال الاطلس واصبحت لغة الدين والعلم والتأليف في العالم الاسلامي الجديد الفسيح ، ومنح العرب مركزا سيبقى معهم على رغم الحركات الشعوبية في العالم الاسلامي والقوميات المتطرفة ما داموا متدينين بدين الاسلام مؤمنين بتعاليمه ، عاملين بفرائضه ، عارفين بمحمد (ص) فضله ومنته مصدقين بانه هو الذي نال به الانسان الكرامة ، ونال به العرب الشرف والزعامة .

هذا هو العالم الجديد الذي يعيش فيه الناس ويغتبطون به ويتمتعون فيه بالحرية ، والمساواة وكثير من الحقوق التي كانت مهضومة محجورة في العالم القديم ، وتتقدم فيه المدنية الى الامام ، وهذا هو العالم الذي يعيش فيه العرب متمتعين بمركز جديد، وبحياة جديدة ، وبلاد لاصلة لهم بها الا عن طريق الاسلام وطريق محمد عليه السلام ، ولا عهد لهم بها الا بعد البعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والتحية ، ولا نشعر في غالب الاحيان ان مصدر هذا الانقلاب ومصدر هذه السعادة التي نتمتع بها جميعا هو هذا الحادث السعيد الذي حدث في هذا اليوم ، ولادة محمد (ص) ، خاتم الرسل وامام الكل ومنير السبيل .

ان ذلك اليوم ، هو اليوم الذي يحق ان تنشد فيه الانسانية في اعتزاز واهتزاز ، وفي بلاغة وايجاز :

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء

الهند لكنهو : ابو الحسن علي الحسني الندوي



قول ابي حنيفة واصحابه . قال : وقد رأيت اقواما نهضوا لمخالفتنا فى جنة آدم عليه السلام بتصويب مذهبهم من غير حجة الا الدعاوي والاماني ، ما اتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا اثر عن صاحب ولا تابع ، ولا موصولا ولا شاذا مشهورا ، وقد وجدنا ان فقيه العراق — يعني ابا حنيفة — ومن قال بقوله ، قالوا : ان جنة آدم ليست جنة الخلد ، وهذه الدواوين مشحونة من علومهم ليس عند احد من الشاذين ، بل بين رؤساء المخالفين ، وانما قلت هذا ليعلم اني لا انصر مذهب ابي حنيفة ، وانما انصر ما قام لي عليه الدليل من القرآن والسنة . هذا ابن زيد المالكي يقول في تفسيره : سألت ابن نافع عن الجنة : امخلوقة هي ؟ فقال : السكوت عن الكلام فى هذا افضل . هذا ابن عيينة يقول فى قوله عز وجل : (ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى) قال يعني فى الارض ، وابن نافع امام ، وابن عيينة امام ، وهم لايأتوننا بمثلهما ولا من يضاد قوله قولهما ، وهذا ابن قتيبة ذكر فى كتاب المعارف بعد ذكره خلق الله لآدم وزوجه ، قال : ثم تركهما ، وقال : اثمروا واكثروا واملؤوا الارض وتسلطوا على الوان البحور وطير السماء والانعام وعشب الارض وشجرها وثمرها ، فاخبر ان فى الارض خلقه وفيها امره ، ثم قال : ونصب الفردوس فانقسم على اربعة انهار : سيحون وجيحون ودجلة والفرات (*) الى آخره . نقل هذا من كتاب حادي الارواح لابن القيم هكـــــذا .

اقول : وهذا الامام ابو منصور الماتريدي — وهو من ائمة علماء الكلام وقرين الامام الاشعري فى علم التوحيد — قد تبع الامام ابا حنيفة فيما قال به ، واستمع اليه وهو يقول فى تفسيره المسمى بالتاويلات: نعتقد ان هذه الجنة بستان من البساتين او غيضة من الغياض كان آدم وزوجه منعمين فيها ، وليس علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها ، وهذا هو مذهب السلف ، ولا دليل لمن خاض فى تعيين مكانها من اهل السنة وغيرهم . ا هـ كلام ابي منصور الماتريدي .

وقال ابو القاسم البلخي وابو مسلم الاصبهاني: كانت — اي جنة آدم — فى الارض ، قيل بارض عدن ، والهبوط الانتقال من بقعة الى بقعة كما فى قوله تعالى: (اهبطوا مصرا) :

1) لانها لو كانت دار الخلد لما لحق آدم الغرور من ابليس بقوله : (هل ادلك على شجرة الخلد) .

2) ولان من دخل الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى : (وما هم منها بمخرجين) .

3) ولان ابليس ملعون فلا يصل الى جنة الخلـــد (*) .

4) ولان دار الثواب لا يفنى نعيمها لقوله تعالى: (اكلها دائم) .

5) ولانه لا يجوز فى حكمته — تعالى — ان يبتدىء الخلق فى جنة يخلدهم .

6) ولانه لا نزاع فى انه تعالى خلق آدم فى الارض ولم يذكر فى هذه القصة فى جميع ما حكاه الله عن آدم انه نقله الى السماء ، ولو كان نقله الى السماء لكان اولى بالذكر لانه من اعظم النعم واكبر الحوادث فى تاريخ آدم عليه السلام — ا هـ من تفسير البحر المحيط لابى حيان بتصرف .

---

*) سيحون وجيحون ودجلة والفرات (كذا) اقول: لعل الخطأ مطبعي او من الناسخ فى الاصل اذ الصواب: سيحان وجيحان والفرات والنيل . لما روي عن ابـي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ص) قال : سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة . اخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها. قال النووي : اعلم ان سيحان وجيحان المذكوران فى هذا الحديث اللذان من انهار الجنة فى بلاد الأرمن فجيحان نهر المصيصة ، وسيحان نهر اذنة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان فهذا هو الصواب فى موضعهما الخ ... (النووي) .

وجاء فى « لسان العرب » : سيحان وجيحان وهما نهران بالعواصم عند ارض المصيصة وطرسوس، وفيه ايضا: سيحان المذكور فى الحديث نهر بالشام ، وجيحون نهر بالهند . وفى معجم البلدان طرسوس : مدينة بثغور الشام من انطاكية وحلب بلاد الروم قريبة من المصيصة المذكورة من بلاد الارمن .

*) اقول : وقد سبق لابليس ان هبط منها بعد امتناعه من السجود لآدم وقد خرج منها مذءوما مدحورا كما جاء فى سورة الاعراف وغيرها ، فكيف يجوز له ان يعود اليها مرة اخرى ؟

عن الدين كفرا والحادا من غير حجة قاطعة من كتاب الله او ما تواتر من حديث الرسول ، وانما تعصبا لراي المذهب والطائفة ، وتقليدا لقول فلان وحكم علان .

وذلك ان الجنة التي سكنها آدم وزوجه بامر الله لهما بقوله : (ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة) قد اختلف العلماء من اصحاب المذاهب سلفا وخلفا في هذه الجنة ما هي ؟ واين هي ؟ هل هي جنة ارضية ؟ أو هي جنة سماوية غير جنة الخلد ؟ ام هي جنة الخلد نفسها التي اعدها الله للمتقين ؟ .

فذهب في تعيينها بالاسم والمكان طائفة وهي تقول وتجزم انها جنة المأوى دار الثواب التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة جزاء بما كانوا يعملون من الصالحات ، وتزعم هذه الطائفة ان هذا قول اهل السنة والجماعة،وما عداه فهو قول اهل الزيغ والابتداع من المعتزلة والقدرية كما يقول ويرجحه بعض المفسرين كالقرطبي في تفسيره الجامع لاحكام القرآن .

وطائفة ثانية تقول : انها جنة من جنان الارض ـ بستان فيها ، محتجين لذلك بعدة وجوه كما يأتي قريبا ، والبعض منهم يعينها بارض عدن ، والبعض يقول : انها على رأس جبل بالمشرق تحت خط الاستواء . وحملوا الهبوط على الانتقال من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى : (اهبطوا مصرا) ، وقد حكى ذلك كثير من المفسرين منهم صاحب البحر المحيط ابو حيان الاندلسي ، وجمال الدين القاسمي في تفسيره المسمى « محاسن التأويل » .

والطائفة الثالثة تقول : انها جنة سماوية ولكنها غير دار الخلد ، وبعضهم يسميها جنة عدن ، كما جاء في تفسير ابي حيان عند قوله تعالى لابليس بعد امتناعه من السجود لآدم قال تعالى : (اهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين) قال : والضمير منها لم يتقدم له مفسر يعود عليه ، فقيل يعود على الجنة ، وكان ابليس من سكانها ، وقال ابن عباس : كانوا في جنة عدن لا في جنة الخلد ، وخلق آدم من جنة عدن ، نقل هذا عند تفسيره للآية 13 من سورة الاعراف .

هذه الاقوال الثلاثة ، او نظريات مزاعم الطوائف الثلاث في مسألة جنة آدم ، ولكل طائفة وجهة في الاحتجاج والتدليل على ما ذهبت اليه ، وبالاخص الاولى والثانية من الطائفتين المتقابلتين في القول بانها جنة الخلد ، او بستان من بساتين الارض .

وهناك قول رابع يقول : ان الكل ممكن ، والادلة متعارضة ، فوجب التوقف وترك القطع .

اما اصحاب القول المحتكر الذين يزعمون او يزعم بعضهم ـ انه قول اهل السنة بالخصوص ، وانه عقيدتهم وحدهم ، من كون الجنة التي سكنها آدم وزوجه جنة الخلد ـ وان القول بغير ذلك هو قول المعتزلة والقدرية ـ هكذا بغير تحفظ ـ فاقول : ان هذا الزعم ليس بصحيح ، وهو من باب القاء الكلام على عواهنه من غير مبالاة ولا تدبر رجما بالغيب .

وقد راجعنا الاقوال والنصوص في هذه المسألة فوجدنا كلا من اهل السنة والاعتزال في هذا الاختلاف سواء ، وذلك ان جماعة كبيرة ممن يسمونهم بالمعتزلة ليقولون بما يقوله اهل السنة ، بانها جنة سماوية . ومنهم واصل بن عطاء والرماني والجبائي المشهور ـ وهو من ائمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره ـ وقد قال عن جنة آدم انها كانت جنة الخلد بمثل ما يقول به الجمهور من اهل السنة ، وكذلك جار الله الزمخشري صاحب الكشاف وهو يشير في تفسيره الى انها جنة الخلد لا غير

اما اهل السنة فان كثيرا منهم ليقولون انها جنة ارضية مثل ما تقوله طائفة من المعتزلة وغيرهم .

نذكر هذا هنا ليعلم ان المسألة ليست مسألة سنة او اعتزال كما يلمز المتعصبون من اهل المذاهب غيرهم تنفيرا وتخويفا لاصحابهم وابعادا لهم من ان ينظروا ، واحرى ان يتفكروا في غير ما هم عليه تعصبا للمذهب بحق او باطل .

جاء في كتاب « حادي الارواح الى بلاد الافراح » للامام شمس الدين ابن القيم قال : قال منذر بن سعيد (*) والقول بانها جنة ارضية ليست بجنة الخلد

(*) لعله منذر بن سعيد البلوطي قاضي قضاة قرطبة بالاندلس اذ لايوجد منذر بن سعيد آخر بين مشاهير العلماء المحققين .

أبحاث ومقالات

الصراع المقبل

للأستاذ : محمد زنيبر

عصرنا ولا شك هو عصر ارادة القوة ، وقد اخذت هاته الكلمة التي اشهرها الفيلسوف «نيتشه» معناها الكامل فى هذا الزمان الذي تكاثر فيه عدد البشر ، واشتد تزاحمهم وتسابقهم ، وتشعبت العلاقات فيما بينهم ، وعظمت اطماعهم واتسعت آفاقهم .

نعم ، فى عصر نيتشه ، اي منذ اقل من ثمانين سنة ، كانت الانسانية الواعية تنحصر فى العالم الاوربي ، بينما القارات الاخرى تكاد تعيش على هامش التاريخ وكأنها قطع من كواكب اخرى تنظر الى ما يجري فى الارض بدون اكتراث ولا اهتمام . وكان ابناء اوربا يقارنون بين طبعهم المتصف بالحيوية والنشاط والحركة والطموح ، وطبع شعوب العالم الاخرى المتسم بالجمود والتواكل والكسل ، فيداخلهم العجب ويقر فى اذهانهم انهم النخبة الارستوقراطية وسط الانسانية ، والذي عزز هذا الشعور فى نفوسهم وقوى يقينهم به انهم كانوا يسيطرون على العالم بأسره ويتصرفون تصرف المالك فى معظم اجزائه .

ولذلك ، فان الاوروبيين ما كانوا ليحسبوا اي حساب لشعوب القارات الاخرى وما كانوا ليلقوا اليها بالا لانهم واثقون من تأخرها ومن تفوقهم ، فالتنافس او ما يسميه « داروين » (تنازع البقاء) لم يكن له فى نظرهم اي معنى معها ، لان التنافس يكون بين الاكفاء ، وبالفعل ، فقد كان التنافس محصورا بين شعوب اوربا وفى بقعتهم الضيقة الصغيرة ، كانت هنالك عدة دول تحمل طموحا لانهاية له وتريد ان تتبوأ المقام الاول وان تكون كلمتها هي العليا وان تتدرج فى سلم الرقي والقوة الحربية والاقتصادية حتى تصبح هي المحركة لدفة هذه الكرة الارضية بما فيها من قبائل وشعوب وقارات وبحار .

ولكن تلك الدول التي كانت تداعبها هذه الاحلام، كانت متجاورة مع بعضها ، وكان من نتائج هذا التجاور ان اصبحت فى صراع دائم وحروب كثيرة فيما بينها وسعيا وراء توسيع رقعتها وتمكين سيطرتها وانماء املاكها وثرواتها . وكل واحدة تجد الاخرى عرقلة امامها فى سبيل تحقيق مطامحها والصعود الى أوج عظمتها ، وبعد معارك حربية وازمات سياسية وديبلوماسية وثورات مختلفة ، اتجهت كل دولة في وجهتها ، فمنها من انغمرت فى ميدان الاستعمار ونوغلت فيه اشواطا مثل انجلترا وفرنسا وهولاندا ، ومنها من اتجهت الى شؤونها الداخلية ، فحصرت نشاطها فى انماء ثروتها الاقتصادية والتقدم العلمي والعناية بالفنون الحربية مثل المانيا ، ومنها من ظلت وسطا بين الاثنين مثل ايطاليا وبلجيكا .

واذن ، يمكننا ان نصف هذا العهد الذي امتد الى نهاية حرب 1914 — 1918 بانه عهد سيطرة اوربا، لانها لم يكن لها منافس بذكر خارج حدودها ولان الصراع على السؤدد كان يجري داخلها وبين دولها ، اما بالنسبة لبقية العالم فقد كانت تعيش فى هناء واطمئنان .

هذه ست من الحجج الدامغة بقوة الاستدلال على صحة القول بان الجنة التي سكنها آدم وزوجه كانت فى الارض لا فى السماء ولا هي جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة .

ونضيف الى ذلك ما ذكره ابن القيم فى كتابه حادي الارواح من وجوه الاحتجاج ، قال رحمه الله تعالى فى سياق حجج الطائفة التي قالت ليست جنة الخلد وانما هي جنة فى الارض :

قالوا : هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها :

7) قالوا : قد اخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله ان جنة الخلد انما يكون الدخول اليها يوم القيامة ، ولم يات زمن دخولها بعد ، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى لنا فى كتابه بصفاتها ، ومحال ان يصف الله سبحانه وتعالى شيئا بصفة ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفه بها .

8) وصف الله الجنة التي اعدت للمتقين بانها دار المقامة فمن دخلها اقام بها ، ولم يقم آدم بالجنة التي دخلها .

9) ووصفها بانها جنة الخلد ، وآدم لم يخلد فيها .

10) ووصفها بانها دار ثواب وجزاء لادار تكليف وامر ونهي ، وقد ابتلى آدم فيها باعظم الابتلاء .

11) ووصفها بانها دار لا يعصى الله فيها ابدا ، وقد عصى آدم ربه فى جنته التي دخلها .

12) ووصفها بانها ليست دار خوف ولا حزن، وقد حصل للابوين فيها من الخوف والحزن ما حصل.

13) وسماها الله دار السلام ولم يسلم فيها الابوان من الفتنة .

14) وقال تعالى فى وصف جنة الخلد (لا يمسهم فيها نصب) وقد ند فيها آدم هاربا فارا ، وطفق وزوجه ــ يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وهذا هو النصب بعينه .

15) واخبر الله انه لا لغو فيها ولا تاثيم وقد سمع فيها آدم لغو ابليس واثمه .

16) واخبر انه لا ــ يسمع فيها لغو ولا كذاب ، وقد سمع فيها آدم كذب ابليس .

17) وقد سماها الله مقعد صدق ، وقد كذب فيها ابليس وحلف على كذبه .

18) وقد قال تعالى للملائكة : (انى جاعل في الارض خليفة) ولم يقل اني جاعل فى جنة المأوى ، فقالت الملائكة : (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ومحال ان يكون هذا فى جنة المأوى .

19) وقد اخبر الله تعالى عن ابليس انه قال لآدم : (هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فان كان الله سبحانه قد اسكن آدم جنة الخلد والملك الذي لا يبلى : فكيف لم يرد عليه آدم ويقول له : كيف تدلني على شيء انا فيه وقد اعطيته ، ولم يكن الله قد اخبر آدم اذ اسكنه الجنة انه فيها من الخالدين ، ولو علم انها دار الخلد لما ركن الى قول ابليس ولا مال الى نصيحته ، ولكنه لما كان فى غير دار خلود غره بما اطعمه من الخلد .

20) ولو كان آدم اسكن جنة الخلد ــ كما يقولون ــ وهي دار القدس التي لا يسكنها الا طاهر مقدس ، فكيف توصل اليها ابليس الرجس النجس المذءوم المدحور حتى فتن فيها آدم عليه السلام ووسوس له ، وهذه الوسوسة اما ان تكون فى قلبه واما ان تكون فى اذنه ، وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين ــ وهو من الكافرين ــ الى دخول دار المتقين .

يتبع

الرباط : حسن بغدادي القادري

وثبة الشعوب النامية تثير المخاوف :

لقد انتهى اليوم عهد السيطرة الاروبية فى العالم، فالقارات الاخرى تحررت كلها تقريبا ، وبدات شعوبها تنظم نفسها وتتهيأ لتاخذ مركزها الطبيعي بين مختلف الامم ، واخذت اروبا تشعر بضآلة حجمها ومحدودية امكانياتها بالنسبة لتلك القارات .

ومن شان هذا الوضع ان يثير فى نفسها تخوفات بالنسبة للمستقبل ، فهي ان كانت فى الظروف الراهنة تتمتع بتفوق حقيقي فى ميادين الانتاج وتتوفر على رصيد ضخم من المؤسسات والمنشآت والعلم والاساليب التقنية ، فلا بد ان ياتي يوم تصبح فيه الشعوب الفتية المتسابقة نحو المدنية والتقدم وقد ادركت شاوها وبانت تنافسها فى مضمار العلم والحضارة والانتاج ، ولنا خير شاهد فى مثال امبريكا التي كانت تقتفي اثر اروبا بالامس وتاخذ عنها ، فاصبحت اليوم تبزها فى كل شيء ، ثم ها نحن الآن نرى الاتحاد السوفياتي والصين واليابان تزاحم اروبا فى سائر ميادين الانتاج .

ولن يفوت زمان طويل حتى نرى امم آسيا وافريقيا تتسابق فى خطى مسرعة لتتبوأ مثل هذه الدرجة ، لقد اصبحت كل الشعوب واعية بوسائل تقدمها واصبحت المناهج والاساليب العملية لادراك هذه الغاية ملكا مشاعا بين الجميع ، ولم يعد هنالك اى سر مخبؤ او اى عملية سحرية لايعرفها الا بعض المحظوظين ، فالمسألة انما هي مسألة زمان ، والشعب الذى يفهم كيف يقتصد فى الوقت هو الذى سيسبق طريقه الاول فى هذه الوجهة .

امام هذا الخطر الذي يهدد مستقبلها ، بدأت اروبا تقوم بنقدها الذاتي فى خاصية نفسها وتستقري مواطن ضعفها وتتهيأ من الآن لمجابهة الاحداث المقبلة بخيرها وشرها ، ولقد رأت ان سبب ضعفها يكمن قبل كل شيء فى انقسامها الى عدة دول تتنافس فيما بينها وتكيد لبعضها ، فقر عزمها على ان تضع حدا لذلك الانقسام وان ترفع القواعد لبناء وحدتها حتى تكون كتلة متماسكة ومستقلة سياسيا واقتصاديا لها تاثير قوي فى المسرح الدولي .

اروبا بين امريكا والاتحاد السوفياتي :

والحق ان تحرر الدول المتخلفة وانطلاقتها لم تكن هي الباعث الوحيد لاروبا على السير فى هذا الاتجاه ، فهنالك ، من جهة ثانية ، النفوذ القوي الذي تتمتع به فى العالم كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، ذلك النفوذ الذي تقلص امامه ظل اروبا واصبحت تابعة بعد ان كانت متبوعة .

فابناء هذا الجيل لايزالون يذكرون كيف ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لم يظهروا على المسرح العالمي كدولتين متفوقتين الا بعد الحرب العالمية الثانية ، وكانت اروبا قبل ذلك هي الحائزة لقصب السبق والقابضة على زمام السياسة الدولية ، الا ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كان فى يدهما امكانيات عظيمة لتوسيع قوتهما الاقتصادية ، فكل منهما قطر واسع الارجاء يعدل باروبا مساحة ، وكل منهما يتوفر على موارد كبيرة من الطاقة ، سواء منها ما تولد عن الفحم او عن الغاز او عن الكهرباء او عن البترول او عن غيرها ، والطاقة كما لا يخفى هي اساس الصناعة والتقدم الاقتصادى .

وسرعان ما تفوق هذان القطران على اروبا فى سائر الميادين ، مما جعل مركز القوة والقيادة ينتقل شيئا فشيئا من اروبا الى هاتين الدولتين اللتين اصبحتا تتنازعان الزعامة على العالم .

ونزلت الدول الاروبية ، رغم مكاسبها الحضارية الى الدرجة الثانية ، وقد كان نزولها اضطراريا اذ لم تكن لها حيلة فى ايقاف التقدم السوفياتي والامريكي ، وقد جاءت ظروف الحرب العالمية الثانية فانهكتها واستنفدت منها الجهد والقوى وآلت بها فى النهاية الى حالة من الانهيار والبؤس ، ولم يكن لها بد آنذاك من الاستنجاد بالولايات المتحدة وطلب معونتها ، وكان من نتائج الدين المادى والمعنوي الذي طوقت بهما عنقها ان اصبحت تسير نوعا ما فى ركاب السياسة الاميركية .

والواقع ان انقياد اروبا لاميريكا لم يكن الا مجاملة موقتة تزول بزوال الاحتياج والاضطرار وبالفعل ، فما ان تنفست الدول الاروبية الصعداء وبدات تسترجع قوتها الاقتصادية حتى اصبح بعض القادة الاروبيين اليوم لايخفون رغبتهم فى الاستقلال عن امريكا وتكوين كتلة ثالثة تكون فيها الزعامة لاروبا.

اروبا ويقظة الشعوب النامية :

اما اليوم ، فقد ضاع من اروبا ذلك الامتياز ، واصبحت جزءا صغيرا من عالم كله حياة ونشاط وطموح ، عالم استيقظ من سباته وكله ظمأ الى المعرفة والتقدم ، عالم استعاد كل مؤهلاته للحياة ، لقد كانت اروبا من قبل تستطيع ان تستأثر لنفسها باسرار وحيل ووسائل كانت هي قوام قوتها وسيطرتها ، ولكن تلك الاسرار والحيل والوسائل اصبحت اليوم فى متناول الجميع ، فالعلم لم يعد علم اروبا وحدها ، والتقنيات والفنون والصناعات على اختلاف انواعها لم تعد سرا من اسرارها تدل به وتضن على ابناء البشر .

لقد تعلم ابناء القارات الاخرى ، وتدربوا واكتسبوا تكوينا يتلاءم وحاجيات العصر « وتساوت الاكتاف » كما نقول فى تعبيرنا المغربي ، ولم يبق هناك لاروبا من فضل الا فضل المعلم بعد ان يصبح تلميذه فى مستواه .

ولم تكن هذه اليقظة ، يقظة الشعوب الفتية ، بالحادث الذي ترتاح له اروبا وتحبذه وتصفق له ، بل عملت كل ما فى المستطاع لتؤخر وقوعه ولجأت الى كل الحيل والوسائل ، ولما لم ينفعها شيء من ذلك ورأت الخطر يحدق من كل جانب بنفوذها وسيطرتها اماطت اللثام عن وجهها وراحت تقاوم التيارات الجديدة التي تبعث فى مختلف انحاء العالم فتقابلها باللين والمداراة تارة وبالعنف والقوة اخرى ، فكانت تلك السلسلة الطويلة من الازمات والحروب الاستعمارية التي امتدت على عشرات السنين .

ولم تستطع اروبا ان تقاوم طويلا ارادة الشعوب الثائرة ، واصبحت تتضايق من هذه الازمات الطويلة المستعصية وهذه الثورات المتأججة فى كل مكان وغدت تنفق من كيسها اكثر مما ترد اليه ، فانسحبت من الميدان شيئا فشيئا وسلمت بالامر المحتوم . ولم تجد لنفسها فى النهاية بدا من التخلي عن جبروتها وكبريائها ومعاملة امم القارات الاخرى معاملة الانداد .

والحق ان اروبا المستعمرة كانت تعيش فى وضع شاذ وفى موقف ضعف بسبب المتناقضات التي تشوب حضارتها وايضا بسبب غلبة جانب الشهوة لديها على جانب العقل .

فالحضارة الاروبية ، ان تركنا جانبا مجسماتها المادية ، استطاعت ان تتوصل فى الميدان الفكري والاخلاقي ، الى ابراز بعض المثل والمباديء والافكار التي دخلت فى المفاهيم الجماعية واصطبغت بها عقلية الاروبيين نوعا ما .

ولنا فى وثيقة حقوق الانسان مثال واضح ، فهذه الوثيقة ، وان كانت لها جذور عريقة فى الديانات السماوية ، يمكن ان نعتبرها من مكاسب الحضارة الاروبية التي استطاعت والحق يقال ان توجد لها الاساليب العلمية لتطبيقها وتشخيصها فى الواقع اليومي .

لكن اروبا لم تستطع ان تكون منطقية مع نفسها فتؤدي رسالتها الانسانية الى النهاية ، وهكذا ، فقد دفعتها انانيتها وعجرفتها الى حصر العمل بوثيقة حقوق الانسان فى نطاق حدودها ، اما خارج تلك الحدود ، فقد اباحت لنفسها التصرف حسب شهونها ومصالحها .

وهذا الموقف الاناني المتناقض جعلها تعيش دائما بضمير قلق مضطرب وتفقد القوة المعنوية التي يحملها كل من يدافع عن قضية عادلة . ثم انها حينما نقلت اساليبها الحضارية وانظمتها ومنشآتها العمرانية الى القارات الاخرى اوجدت ظروفا اقتصادية وسياسية واجتماعية كان من المحتوم ان تدفع التاريخ الى الامام وتنقلب عليها فى النهاية .

وبالجملة ، فالحضارة الاروبية عندما ننظر الى اسسها العقلية والفكرية ، نجد انها تنحو الى تحرير الانسان وانقاذه من الجبرية الطبيعية والبشرية ، ولكن عندما ننظر الى الصور التي تجسمها فى الواقع والى الوجهة التي اقحمها فيها ابناؤها ، نصادف متناقضات وانحرافات ادت الى فشلها المعنوي .

ولا ادل على هذا الفشل من كون اروبا ، بالرغم من استاذيتها وتفوقها الحضاري ، لم تستطع ان تحتفظ لنفسها فى قلوب ابناء القارات الاخرى بقدر من العطف الحقيقي الخالص الذي لاتشوبه شائبة ، فالكل ياخذ عنها ويتعلم منها ، ولكن الكل يستنكف من انانيتها وجسارتها وخداعها وينظر اليها فى حيطة وحذر .

اما الآن وقد اصبحت هذه الدول تفكر في وحدتها فقد تغيرت امامها الظروف واضحت اكثر وثوقا من نفسها ومن قوتها ، ولم تبق للمساعدة الامريكية التي كانت تنظر اليها منذ قبل بلهفة وطمع صبغة الضرورة الملحة ، وهذا ما يفسر لنا تلك المواقف والتصريحات التي صدرت في الشهور الاخيرة عن بعض رؤساء الدول في اوربا الغربية والتي يظهر فيها نوع من الاستقلال في وجهة النظر بالنسبة للخطة الامريكية .

التنافس على المساعدة :

والحقيقة ان الدول الاروبية بعد ما عالجت نفسها من ادواء الحرب واعادت بناء مدنها ومعاملها ودخلت في عهد من الازدهار الاقتصادي تريد الآن ان تستقل برأيها وتسترجع مكانتها القديمة .

فالوحدة الاروبية هي اذن فكرة تترجم قبل كل شيء عن ارادة القوة التي تحملها اوربا الهرمة والتي تكلمنا عنها في اول المقال ، فهي محاولة كتلة من الدول ساخت في حضارتها وتريد ان تجدد شبابها وتغالب الظروف والعراقيل وتظهر من جديد على المسرح وهي ذات القدح المعلى .

هذه القوة التي تجسمها فكرة الوحدة الاروبية تثير ، من جهة اخرى ، هواجس الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة معا لانها تهدد نفوذهما المعنوي والاقتصادي في العالم ، وخاصة لدى الدول المتخلفة ، ولا غرو ، فقد استطاع كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ان يتبنيا سمعتهما العالمية على بذل المساعدات المالية والتقنية بسخاء وكانا ولا يزالان يتنافسان في هذا المضمار .

وقد ادركت دول الوحدة الاروبية ان موقفها السلبي في ميدان المساعدة للدول النامية سيضر بمركزها العالمي ، فبدات هي ايضا تدلي بدلوها في هذا المضمار ، وما الاجتماع الذي انعقد اخيرا بمدينة بروكسيل بين مسؤولين اروبيين وافارقة لتنظيم الجامعة الاقتصادية الاروبية الافريقية الا دليل على حرص اروبا الشديد على تبوا مركز ممتاز لدى الدول المتخلفة وعزمها على منافسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفاني حتى يبقى نفوذهما محدودا .

الصراع المقبل :

وهكذا ، فالصراع الجديد الذي سيقدم عليه العالم في المستقبل القريب سيتناول كتلا بشرية ضخمة تضم سائر ابناء المعمور ، ومما سيزيد في حدة هذا الصراع وطوله التكافؤ الموجود او الذي سيوجد قريبا بين سائر الشعوب من حيث التكوين العقلي والثقافي والالمام بمقومات الحضارة الصناعية ، اذ كلما تكافأت الاسلحة امتدت المعركة وابتعدت نهايتها .

وفي مرحلة اولى ، سيقوم الصراع خاصة بين الكتل المتقدمة ، في حين ان الدول المتخلفة ستحاول معالجة تخلفها بشتى الوسائل ، ولكن لن تلبث هذه الاخيرة ايضا ان تجد طريقها وتخرج من وضع التخلف لتبرز الى ميدان النزال .

وحينذاك سيأخذ التسابق نحو الرقي والتقدم — وهذا هو المأمول — شكلا رياضيا ، اذ ستجعل كل مجموعة من العلم والعقل رائديها وسيكون في ذلك امتحان لذكاء الجميع .

سلا : محمد زنيبر



يمكننا ان نقول ، اذن ، ان فكرة انشاء وحـــدة اروبية هي موجهة فى آن واحد ضد الشعوب المتخلفة وضد الكتلة الشرقية وضد النفوذ الامريكـي .

الضغـط الاقتصـادي :

فاذا نظرنا الى الدول المتخلفـة ، نجد ان انشاء وحدة اروبية ستضع فى يد اروبا سلاحا قويا تضغط بـه على تلك الدول ، ومن المعلـوم ان نقطـة الضعف لدى الدول المتخلفة هي الاقتصاد ، فهـي فى حـالـة تخلفها الراهن لازالت تستفيد من بيع موادها الخـام الى اروبا ، ولكن يظهر ان هذه الباب التي كانت مفتوحة الى حد الساعة ستغلـق نتيجـة لانشاء الوحـــدة الاروبيـــة .

فالسوق الاروبية المشتركـة التـي كثـر عنهـا الحديث فى هذه الايـام ستضــع تحت تصرف الدول الاروبية كل ما هي فى حاجـة اليه من المـواد ، سواء اكانت غذائية ام معدنية أم صناعية الـخ .. ذلك ان هذه السوق بنيت على اساس التكامل الاقتصادي بين الدول الاروبية بحيث ستكون مغلقة فى وجه الـدول الاجنبية عن اروبا ، وتدبير كهذا من شانه ان يسبب ازمة خانقة للشعوب المتخلفة التي كانت معظم معاملاتها تجـرى مـع اروبـا .

ومهما يكن ، فستجد اروبا فى يدها وسيلة قوية تحاول بواسطتها الضغط على تلك الشعوب وتركيـز نفوذها لديها ولو بصورة خفية ، وهنا ستاخذ الوحده شكل المؤامرة ضد الدول المتخلفة ، حيث ستجد هذه الدول نفسها امام سياسة اروبية موحدة مدروسـة ومتفق عليهـا .

ولكن الشعوب المتخلفة ان وجـدت نفسهـا فى مازق باديء ذى بدء ، وان تعثرت فى الطريق واضطربت فلا بد ان تتغلب على الصعاب من جهتها وتوحـــد صفوفها لتواجه عواقب هذه السياسة وتنظم نفسهـا فى شكل وحدة او وحدات تضمن التبادل والتعـاون فيما بينها وتهيئها للاستغناء عن اروبـا . وتلك هـي الفكرة التي تروج اليوم فى مختلف المؤتمرات والندوات الافريقية والاسيوية ، وهي ان كانت لاتزال فى طـور المشاورات والمباحثات ، فلا بد ان تشق طريقها وتخرج الى حيز الواقع ، اذا مضت اروبا فى تطبيق سياستهـا الانانيـــة .

استـرجـاع القـــوة :

كما ان الوحدة الاروبية تخلق جوا من الصراع يختلف شدة ولينا وظهورا وخفاء ، بين اروبا والمعسكر الشرقي وبين اروبا والولايات المتحدة الاميريكية .

فظهور الاتحاد السوفياتي على المسرح كقـــوة عسكرية واقتصادية ضخمة وكدولـة لها اشعـــاع ايديولوجي بدأ منذ زمان يثير مخـاوف الاروبييـن ، ودفعهم الى التفكير فى الوحدة .

فالوحدة صورة تجسم رد الفعل عند الاروبيين امـام الخـوف الـذي يساورهم من جهـة الاتحـاد السوفياتى ، ولذلك ، فان الاتحاد السوفيـاتـي مـن جانبه لا ينظر بعين الارتيـاح الـى مشاريـع الوحدة الاروبية ، فهو يفضل ان يبقى اروبا فى وضعها الحالي منقسمة الى عدة دول حتى يزول عنه كـل تهديـد ويبقى له مجال للعمل الديبلوماسى .

والحقيقة ان اروبا ان هى استطاعت ان تتوحـد فستكون قوة ضخمة هائلة لا مـن حيث عـدد البشر الذى ينتمى اليهـا ، ولا من حيث الموارد الطبيعة ولا من حيث التقـدم العلمـي والتقنـى ، ولا مـن حيث الامكانيات المفتوحة امامها ، وطبيعي ان يبدي الاتحاد السوفياتي بعض المخاوف امام وجود قوة من هـــذا الحجـــم بجــــواره .

اما الولايات المتحدة ، فهي تشعر بأن الوحـــدة الاروبية تهدد زعامتها على الكتلة الغربية وتنزل بهـا من مقام القيادة والتسيير الى مقـام الحليـف الكفؤ الذي يناقش ويحاسب فى كل موقف وتدبير ، لقــد قبلت الدول الاروبية الى حد الساعة دون مناقشـة هيمنة الولايات المتحدة على السياسة العامة فى المعسكر الغربي ، لانها ، وهي عزلاء من السلاح الذري شاعـرة بضعفها ازاء جارتها الاتحاد السوفياتي كانت فى حاجة الى مساعدة امريكا وحمايتها .

للاخلاق المدنية ،كما ان الانقلاب الذي قام به«باتيستا» سنة 1952 قبيل اجراء الانتخابات المذكورة ، لم يثر اي اعتراض من طرف هيئة الاساقفة ...

وخلال سنة 1959 كان واضحا ان الحكومة تتحاشى حدوث اية صعوبة بينها وبين الكنيسة .. ففديل كاسترو كان تلميذا سابقا عند الجزويت ، وحصل بفضل تدخل رئيس اساقفة سانتياكو على العفو بعد الهجوم الذي قام به فى 1953 ضد ثكنة مونكادا . واذا كان كاسترو لا يمارس الشعائر ، فانه متأثر بسمات الروح المسيحية التي تجعله يدين — فى نفس الوقت — كلا من الراسمالية والشيوعية . يضاف الى ذلك انه كان مقتنعا بان الكاثوليكيين — على قلتهم — سيسارعون الى مساعدته مثلما سبق لعدد غير قليل من المناضلين الكاثوليكيين ان التحقوا به فى الاحراش وخاضوا معه معركة التحرير ...

اما من جانب الكنيسة ، فانه بالرغم من جنوحها الى التصالح ، الا انه يلاحظ فى شهر مارس صدور بلاغ يعبر عن القلق ازاء بعض « الالتباسات » الموجودة فى مشروع قانون مدرسي كان ساعتئذ تحت الدرس، وعند ما صدر هذا القانون نص على حذف حصص التعليم الديني من المدارس العامة طبقا لمبدا فصل الكنيسة عن الدولة . وبعد ذلك اعلنت هيئة الاساقفة انه لا يوجد سبب لنزع الثقة من فيديل كاسترو ، وقد اضطلع مرشدون من الكنيسة باعطاء دروس دينية فى المدارس العامة ، الا ان الثورة اكثرت من فتح المدارس بالبادية فلم يعد بمكنة الكنيسة ان توفر العدد الكافي من الرهبان للتدريس فى كل هذه المدارس وهكذا فان الخلاف — فى هذا المجال — تقلصت مسبباته ...

* * *

ثم جاء الاصلاح الزراعي ...

ولكي لا يفسح المجال لبعض المواقف المتناقضة فقد ايد «ايفيليوديان» باسم جميع الاساقفة ، المبادىء « المطابقة لروح واهداف العدالة الاجتماعية المسيحية» وينص نفس النداء على دعوة المسيحيين الى ضمان تطبيق تلك المبادىء ...

ومر الصيف دون زوابع .. ولكن فى شهر نوفمبر انعقد مؤتمر موسع حضره ما يقرب من مليون كاثوليكي ، وكانت الموضوعات التي تناولها الخطباء بعيدة عن السياسة ، وعلى عكس ما كان ينادي به من فوق المنابر الثورية ، فان الحاضرين فى هذا المؤتمر كانوا يهتفون « الاحسان ، الاحسان » ، ولم يسبق ان اجتمع عدد من المسيحيين بتلك الكثرة . والواقع ان المشاركين لم يكونوا كلهم كاثوليكيين ، الا انه فى الوقت الذي تلاشت فيه كل الاحزاب السياسية التقليدية ، كانت هناك جماعات هامة تثبت ان كاسترو ليس وحده قادرا على جمع جمهور غفير . لقد كان انذارا ، ولكنه لم يثر اي رد فعل رسمي ...

وللمرة الثالثة فان صعوبة اخرى جاءت من الولايات المتحدة بعد ان هاجر رهبان كوبيان الى « ميامي » وجعلا ينظمان حملة واسعة للتنقيص من شان الثورة ، مؤكدين بان كاسترو يعمل على ايجاد « كنيسة قومية » ستكون بمنجى من سلطة روما ، وخاضعة لتأثير الكنيسة الاسبانية . وفى يناير 1960 اصدر « ايفيلو دياز » رئيس اساقفة سانتياكو تكذيبا لهذه المزاعم ، واكد بان جميع الاساقفة يمارسون نشاطهم فى حرية ويسر ، وواضح أن هيئة الاساقفة كانت تقصد الى تسوية المشاكل تجنبا لكل تصادم ..

وفى شهر مايو 1960 التجأ زعيم حركة ديمقراطية الى الولايات المتحدة وراح يؤكد بأن كوبا سائرة فى طريق الشيوعية ، وفى 16 مايو صرح « بيريز سيرانت » بقوله :

« ليس بوسعنا ان نقول ان الشيوعية توجد على ابوابنا ، لانها — فى الحقيقة مستقرة بين جدراننا ، رافعة صوتها كانها توجد فى موطنها ... »

وقد كان هذا التصريح بمثابة الاشارة الواضحة الى الاحتجاجات الكاثوليكية المرتكزة على فكرة « معاداة الشيوعية » .

وخلال شهر يوليو بدات الاصطدامات فى ابواب الكنائس بين الثوار الذين يهتفون « نعم لكوبا ، ولا ، لأمريكا » ، وبين الكاثوليكيين الذين يصيحون « نعم لكوبا ، ولا ، لروسيا » ! وفى هافانا اقيمت صلاة خاصة لاحياء ذكرى انتصار فرانكو على القوات الجمهورية الاسبانية .. ومنذ تلك الاشارة اصبحت النزعات

أصل الصراع بين الكنيسة والدولة في كوبا

بقلم: كلود جوليان

في يناير 1959 وجه الاب « لورانت » مرشد العمل الكاثوليكي الجامعي ، تحية لتقدير انتصار فيديل كاسترو ، قال فيها :

« ان تاريخا جديدا يصنع فى كوبا ، وهو تاريخ تتفوق فيه الروح المسيحية على المادية الوثنية » . لقد بدأت الكنيسة تتنفس بطلاقة فى بحبوحة التحرر ، أما فى عهد الديكتاتورية والجرائم الفظيعة ، فان هيئة الاساقفة الكوبيين لم تتخذ موقفا واضحا ، بل ظلت تساير نظام « باتيستا » وتلازم الصمت ، باستثناء بعض التصريحات التي اعلنتها فى مناسبات قليلة ، دون ان يكون لها صدى يعبد . لكنها الان بعد هذا النفير — اخذت نشعر بانفساح مجال العمل أمامها ، وتيقنت من ان الثورة الحقيقية تواصل حركتها ، ومن ثم فان الكنيسة ستلحقها — حتما — مظاهر التغير .

وقد جاءت شرارة الخلاف الاولى من مدينة بوسطن » حيث اعلن الاسقف « كبسينج » تحت تأثير التيار المنتشر فى الولايات المتحدة ، أن الثورة الكوبية استولت على ممتلكات الكنيسة . واثر هذا التصريح اضطرت هيئة الاساقفة الكوبيين الى اصدار توضيح تؤكد ان الكنيسة لم تمس فى اي ربع تابع لها ويضيف نفس التوضيح ان الكنيسة الكاثوليكية بكوبا فقيرة لا تملك ما يمكن ان يطبق عليه من اجراءات قوانين الثورة . والحقيقة ان الكنيسة تملك مجالا واحدا هو : مقبرة هافانا الكبرى .. وقد اخذت حكومة كاسترو على الكنيسة انحرافها الى المتاجرة بالقبور ، الا ان هذه الشكاية لم تسجل الا فيما بعد عند ما توترت العلاقات بين الكنيسة والحكومة الكوبية ...

وبعد مرور شهر على سقوط النظام الديكتاتوري وجدت صعوبة ثانية تسببت فى نشوئها بعض الاوساط الكاثوليكية الامريكية التي لم تتمهل فى ابداء غضبها لاعدام القتلة والجلادين فى عهد النظام البائد ...

وقد وجه ثلاثة أساقفة دعوة الى العفو — وهو امر لا غبار عليه — مستندين الى ان اولئك المحكوم عليهم بالموت هم مجرمون ذوو مكانة اجتماعية مرموقة ...

وفى نفس الشهر عرض رئيس اساقفة « سانتياكو » الخطوط الاساسية التي يجب ان تسير عليها الثورة ، فتمنى قيام : « جمهورية ديمقراطية مستنيرة يمكنها — « دون تسوية طوبوية » ان تضمن احترام « كرامة » كل فرد ، وأضاف : « بان لا أحد يعوزه خبزه اليومي » وان لا احد يستعصى عليه ايجاد عمل لكفاءته ، وبأن الجميع يتوفرون على حظوظ متساوية فى تلقي تربية انسانية » ...

ومنذ ذلك ، غيمت بعض الالتباسات ، اذ ما معنى نظام ديمقراطي فى بلاد قدر لها ان تتحرر من نصف قرن عاشته فى الفساد والديكتاتورية ؟ وما معنى « الديمقراطية » فى قطر 50 ٪ من سكانه اميون ؟

وقد دأب اعداء الثورة فيما بعد على اتهام نظام فيديل كاسترو بلا ديمقراطية لانه لم ينظم الانتخابات. وحسب معرفتنا ، فان الانتخابات المزورة التي اجريت فى العهد البائد لم تدفع بالكنيسة الى الاحتجاج وهي التي يتحتم عليها ان تغضب لمثل هذا الخرق الواضح

ومع ذلك فقد حاول كاسترو جهده الا يدين فى خطاباته مجموع الاكليركية .

والواقع ان الاكليركية كانت فى البداية منفسمة على نفسها ، الا ان الوضع اخذ يتضح شيئا فشيئا .. فاذا كان غير صحيح ان كوبا اصبحت شيوعية ، فمما لا جدال فيه ان النشاط الشيوعي اخذ يتمركز بوضوح ، ومنذ أن هاجمت هيئة الاساقفة هذا الانجاه، اخذت الاكليركية تسترجع وحدتها تحت سلطة الاساقفة وضد الخطر الشيوعي ...

وكان كاسترو كثيرا ما يستشهد بالمسيح والانجيل فى خطبه بطريقة خالية من الحذاقة ، مصدرها السذاجة اكثر من سوء النية ، مما عمل على اغضاب « المؤمنين » ، ولكن الاساليب البوليسية بالاخص هي التي تسببت فى المشاكل للكاثوليكيين ، وابعدت ثوارا وطنيين مخلصين ، فاسحة المجال للشيوعيين . وعندئذ انقسم المسيحيون الى اتجاهات ثلاثة عامة :

1) غالبية عظمى اتخذت موقفا ضد النظام مستندة الى عدائها للشيوعية ، ومدينة فى الجملة اعمال الثورة .

2) اقلية تؤكد فى الوقت نفسه ثوريتها وعداءها لاتجاه كاسترو ، وتريد انقاذ الثورة من قبضة الشيوعية داعية الى اتجاه فيدلي بدون فيديل كاسترو ، لانه — فى رأيها — المسؤول عن سيطرة الشيوعية على الثورة .

3) جماعة قليلة — لايعرف الى اي حد هي كاثوليكية ، ظلت مؤيدة للنظام ...

وهكذا طرح الاشكال : هناك ثورة اقتصادية واجتماعية تتنامى فى كوبا ، وتحاول ان تقدم العلاج لكل الادواء التي لاتنكرها الكنيسة ، وتحقق منجزات جبارة لاتعارض الكنيسة فى صلاحيتها .. الا ان هذه الثورة قامت فى البداية بدون مشاركة الكنيسة ثم اخذت فيما بعد تشق طريقها فى جو من الحرب المفتوحة مع الكنيسة .. فكيف تطورت الامور ؟

ان كوبا لم تتخلص من الاستعمار الاسباني الا بعد مرور مائة سنة على تحرر امريكا اللاتينية ، والى مدخل هذا القرن كانت الكنيسة تبدو وثيقة الارتباط بالاستعمار الاسباني ، ولم تتمكن خلال خمسين سنة من اتخاذ طابع كوبي أصيل ، اذ لايزال اكثر من نصف الاكليركية اسباني الاصل — لذلك فان الكنيسة تبدو، فى نظر معظم الكوبيين كهيئة اجنبية ، ونجد نسبة راهب واحد لكل عشرة آلاف مواطن ، وتكاد تكون الاكليركية منحصرة فى الجماعات الحضرية ، وقد قابلت راهبا من اصل اسباني كان فى كوبا وطرد منها ، فاخذ يحدثني عن الرهبان فى البادية ، فلما اخبرته انني لم ارقط راهبا واحدا فى البادية الكوبية أجابني وهو يبتسم ابتسامة حزينة : « اننا فى كوبا نطلق اسم بادية على كل الاجزاء الخارجة عن العاصمة » ! اي انه لا يعتبر مراكز الاقاليم الكبرى ، والضيعات الآهلة ، اجزاء من البادية ، وكثيرا ما نخترق مناطق فلاحية شاسعة دون ان نعثر على جرس واحد او نلمح ثوب كاهن .. لان البوادي لم تبلغها تعاليم الانجيل ...

وطيلة فترة الاحتلال وبعد الاستقلال ، حصرت الكنيسة اهتمامها فى سكان الحاضرة بعامة ، وفى الطبقة البورجوازية بخاصة . وكان هدفها الاول هو الاستيلاء على « الصفوة » للاعتماد عليها فى توسيع تاثير الكنيسة داخل مجموع البلاد ، الا ان المأساة فى بلد مثل كوبا ، آتية من كون الصفوة جد مبتعدة عن الجماهير وجاهلة لرغائبها .. وقد اسست معاهدة ثانوية وجامعة كاثوليكية ، ولكن يمكنك ان تبحث ، بدون جدوى ، عن مدرسة كنسية فى البادية ...

ان اكثر من نصف سكان المناطق الفلاحية اميون، ولم تفعل الكنيسة اي شيء لتعليمهم ، والآن تشيد المدارس الابتدائية فى كل الاقاليم ، ولكن الحكومة هي التي تشيدها وليست الكنيسة ، وصحيح انه من الصعوبة بمكان الوصول الى سكان البادية نظرا لتشتتهم ونظرا لفقر الرهبان ، وخلال ستين سنة لم تعر الحكومات المتتالية بالا لهذه المشكلة ، كما ان الكنيسة اقتدت بها فى لا مبالاتها ...

وها هي ذي ثورة يقودها طلبة ينتمون الى الطبقة الوسطى ، وتجعل من الاصلاح الزراعي هدفها الاساسي ، فكان ان اصبح الفلاحون هم المستفيدون من هذا الاصلاح ، وارتفع مستواهم المعيشي سريعا ، وشيدت لهم قرى ومدارس ، وأصبحوا — بفضل التنظيمات الشعبية — هم الدعامة الاولى الحامية لنظام الحكم .. اما الاكليركية فلم تكن تعرف اولئك الفلاحين المعاضدين للثورة ، ولا يمكنها ان تقبل نيابة

متعددة وعنيفة . ونـدد كاسترو بالرهبان الاسبانيين ووصفهم بالفاشيشتية والفلانج ، وبأنهم « مسيحيون مزيفون لانهم لا يتوجهون الى الكنيسة للصلاة ، وانما لحبك المؤامرات . . . »

وهكذا سجل صيف 1960 تحولا ملحوظا في علاقات الكنيسة بالحكومة الثورية . وهو تسجيل في نفس الوقت ـ لتحول سياسي هام للثورة الكوبية . . فقد احتدمت حرب البترول ، وحرب السكر بين واشنطون وهافانا على اشدها ، وجعلت كوبا ترد على كل مقاطعة اقتصادية تقررها الولايات المتحدة ، بتأميم الممتلكات الامريكية . ذلك أن الثورة لا تتوفر على اسلحة اخرى لضمان استمرارها . وكانت هذه هي الفترة التي اختارها « بوراما سفيدال » الاسقف المساعد بهافانا ، للاحتجاج على تضاعف المراقبة الحكومية في المجالين الاقتصادي والاجتماعي . على انه يتحتم الاختبار بوضوح ، فهيئة الاساقفة سبق لها ان ابدت الاصلاح الزراعي الذي هو السبب الاساسي الهام في نشوب التوتر مع الولايات المتحدة، واذن كيف يمكن لهذه الاصلاحات ان تطبق اذا لم تفرضها الدولة ؟ وكل هذه الاصلاحات مهددة باجراءات اقتصادية انتقامية من واشنطن ، لذلك فان كل تصفيق للتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي حققها فيدبل كاسترو ، لن يكون له معنى اذا اقترن بادانة الوسيلة الوحيدة المتوفرة له لتحقيق تلك التغييرات ، وهذا هو موقف هيئة الاساقفة . الا ان المعارضة الشديدة لن تبرز الا في 7 غشت 1960 ضمن رسالة جماعية نشرها الاساقفة وأبدوا فيها ارتياحهم من الاصلاح الزراعي ، ومشاريع التصنيع والاجراءات المختلفة لتخفيض غلاء المعيشة وتشييد للمدارس والمستشفيات والمساكن ، والقضاء على الفساد والعاب القمار . ثم تتغير لهجة الرسالة لتناهض بشدة « ازدياد تسرب الشيوعية في وطننا » . .

وكان فيديل كاسترو قاطعا :

« ان من يدين ثورة مثل ثورتنا ، يرتكب خيانة في حق المسيح ، ويكون بوسعه اعادة صلبه من جديد »

وبعد مرور شهر ، صرح « بيريز سيرانت » :
« ان الفكر السائد في كوبا شيوعي بكل وضوح » .

واستمر الخطاب بنفس اللهجة ، دون ان يطرا اي عنصر جديد : فالحكومة تسرد المنجزات الاقتصادية والاجتماعية للثورة ، تلك المنجزات التي لم تجرأ هيئة الاساقفة على نكرانها ، لانها تعمل على تحسين ظروف حياة الشعب الكوبي . . .

ومن جانب الكنيسة توجه بعض التحفظات ، او ينقد تدخل الحكومة في كل المشاريع ، وتندد بالاخص بالشيوعية .

وطيلة التاريخ الكوبي ، لم يشاهد ـ في فترة قصيرة ـ مثل ذلك العدد من رسائل الكنيسة والتصريحات الاسقفية ، فهل معنى ذلك ان الكنيسة اصبحت لاول مرة حرة في التعبير عن افكارها ؟ مهما تكن فان هذا الطوفان من التصريحات والتحذيرات تفاجئنا خاصة بعد الصمت التام الذي ظل مخيما على جنباتها في عهد دكتاتورية « باتيستا » .

وفي الوقت الذي كان الضغط البوليسي الخانق ممسكا بزمام البلاد ، صدرت رسالة كنسية واحدة يوم 2 مارس 1958 ، يطلب فيها الاساقفة تكوين حكومة وطنية ائتلافية . غير ان هذه الرسالة تعوزها الدقة ، اذ ان الاساقفة لم يكلفوا انفسهم عناء تحديد صيغة سياسية ، ولا حاجة بنا الى تبيان لاواقعية مطلب الرسالة ، فتأسيس حكومة تضم جلادي باتيستا وفدائي كاسترو ، يعد محض خيال . لقد سنحت عدة فرص ـ سواء في مجال المذهب او الاخلاق ـ لكي تسمع الكنيسة صوتها ، ولكنها لم تغتنم تلك الفرص . وان افترضنا ان كاسترو فرض نظاما ديكتاتوريا على كوبا ، فانه يحتم ـ ساعئذ ـ الاقتناع حسب منطق الاساقفة ـ بان دكتاتورية يسارية هي اخطر بكثير من دكتاتورية يمينية .

على ان أنصار كاسترو أساءوا التصرف بعد ذلك التحطيم الفريد للقيود في تاريخ كوبا ، فقد اعتبروا الكنيسة اما مشايعة لفرانكو ، واما صنيعة للامبرياليين وكانت بعض الاستفزازات من جانب الكنيسة ، مثل اقامة صلاة على شرف فرانكو ، وادلاء الكاردينال « كيشنك » بتصريحات متهورة ، حججا متمناة من أنصار كاسترو للتمسك باتهاماتهم للكنيسة . يضاف الى ذلك ان نسبة 50 ٪ من الاكليركية الكوبية هي من اصل اسباني ، وتستمد سلطتها من اساقفة يقيمون باسبانيا . . .

الاضرار التي تلحق بهـا الى الشيوعية ، والاكليركيـة الكوبية تعتبر الشيوعية مجدارا يزرع فيهـا الخوف والفزع . وهناك اعتبارات اخرى ، فالكنيسـة الكوبية فقيرة ، وقد رايت فى سنة 1958 أسقفا قبل تسلـم النقود من باتيستا ليصلح معبدا تهدم خلال احـدى المعـارك ...

والآن بعد ان حطمت الثورة الامتيازات وطبقتها، فمن سيسدى للكنيسة عطاء تصرفه على معاهدهـا ومستشفياتها ومشاربعها ؟

ليس بالامكان صنع التاريخ من جديـد : فمـن غير شك ان الكاثوليكيين الكوبيين لم يكونوا من الكثرة بحيث بمكنهم ان يقدموا للثورة مشاركة فعالة . وعلى كل حال فان عددا قليلا هو الذي سـاوف التيـار الجـديـد ...

واننا نتساءل عن المصير الـذي كان ينتظـر الكنيسة الكوبية لو انها اتخذت موقفا اكثر ايجابية ؟

لا ندري ، ولكن الشيء المحقق هو ان مشـروع معاضدة الثورة لم يدرس بجدية.. فبعد الاستحسانات العفوية ظهرت التحفظات ثم التحذيرات من انتشار الشيوعية فى الوقت الذي لم تكن هذه الاخيرة تشكل خطرا حقيقيا ، ثم جعلت الكنيسة تشن حملة عـداء ضد الشيوعية بشكل قوي لم يسبق له مثيل فى كوبا التى عاشت تقلبات هامة فى تاريخها ..

ومنذ هذه الفترة اصبحت ردود فعل الحكومة اكثر لذعا ومجانبة للحذاقة .. فهي لاذعة لدرجة ان تصور الاكليركية الكوبية خاضعة لاوامـر مدريـد وواشنطون ، وهى مجانبة لحسن التصـرف لانهـا اعتمدت على رهبان مثل « لانس » . وقد شوهت هذه الحملة فى الخارج فنسب الى فيدل كاسترو انه قال: « ان تكون معاديا للشيوعية معناه انك معاد للـثورة » فى حين انه قال : « أن تكون معاديا للشيوعية ، او معاديا للسامية ، او للكاثوليكية معناه انك معاد للثورة » ...

وفى نفس الوقت الذي ازداد فيـه التوتـر بين هافانا وواشنطون ، تدهورت فيه العلاقات بين الكنيسة والحكومة . ومن غير شك ان الاسباب مختلفة الا ان حجر الزاوية فى كلتا الحالتين ، هي الشيوعية . اخطر من ذلك ان العاقبة كانت واحدة : فقد تخلى الاعضاء المتعدلون عن الثورة وخلفهم شيوعيون لم يتوانوا فى اظهار عدائهم للكاثوليكيين وللامريكيـين ، واصبـح استيلاؤهم على مراكز الحكم تبريـرا قبليـا لكـل التحذيرات ولكل الادانات من جانب الكنيسة ...

والآن ، هناك ثورة تتنامى بمساندة فلاحين لـم تنغرس فى نفوسهم تعاليم الكنيسة بعمـق ، وضـد بورجوازية مصيرها مرتبط بمصير الكنيسة .. ثورة أرادها كاسترو « انسانية » نال فى عهدها الحـزب الشيوعى الصغير حظوة ، رغم انه لم يساعد الثوار .. ثورة ليس للكنيسة فيها مكان ، وتتابع طريقها ضـد الكنيسة فى بعض الاحيان ، ان الموقف يبعث على الرثاء، فمن السهل ان نقبل القطيعة بين جماعة ثورية وبيـن الكنيسة التى لم تعرف كيف تثبت حضورها فى الثورة .. ولكن هذه الخصومات لن تـؤدي الى شـيء ، اذ المشكل الحقيقي هو معرفة لما ذا لم يكن تجنب هـذا التدخل والاشتبـاك بين الاحـداث ، ثم استخـلاص النتائج بالنسبة لمستقبل الكنيسة فى الاقطار التـي تتحرر من الاستعمار السياسي ، وتشرع حالا او بعد حين ــ مثل كوبا ــ فى خوض غمـار الثـورة ضـد الامبريالية الاقتصادية ،ذلك ان مثال كوبا يثير سؤالا طرحه « جورج هوردان » فى الصيغة التالية :

« هل يوجد جبرية فى نهاية هذا القرن العشرين الذي تتم فيه كثير من التغييرات الاجتماعية والسياسية تحتم ان يكون الشيوعـون هم الرابحـون ، وبعـض اشكال الحرية هى الخاسرة ؟

هل المسيحيون واللائكيون ، وكل الذين يعيشون فى المدينة ، غير صالحين للعمل او انهم طابعيون لدرجة لا يسمح لهم بان يمارسوا العمل ؟ »

ان بعض الكاثوليكيين الكوبيين يطرحون هـذا السؤال بعد فوات الاوان ، ولكن بالامكان لقلقهم هذا ، ان يكون مفيدا للمسيحيين خارج كوبا ...

جماعة لائكية لانها فى نظرها ــ غير موجودة ، والحركة الكاثوليكية كما نفهما فى اوروبا جد حديثة العهد ، وقليلة الانتشار ، وكثيرا ما تظاهرت الاكليركية بالسلطة دون ان تترك للائكيين فرصة المبادرات . وقد كتب الاساقفة فى رسالتهم المؤرخة ب 7 غشت 1960 يؤكدون ان « الشعب الكوبي كاثوليكي » والحقيقة ان الشعب الكوبي هو بكل بساطة غير متدين ، والكنيسة ــ مع استثناءات قليلة ــ لم تكلف نفسها عناء الاتصال بالشعب لسبر أغواره .

ومنذ سنتين انهمكت الحكومة الثورية فى اعطاء علاقات الاحتظاء Concubinage صفة قانونية ، حرصا على النظام وعلى كرامة المواطنين . وايضا من اجل وضع مسطرة للحالة المدنية . وقد كانت هذه العمليات تتم بكثرة بينما الكنيسة لا تحرك ساكنا ...

واخذت اكواخ الفلاحين القذرة المنتشرة فى الهواء الطلق تختفي لتخلفها قرى جديدة قائمة حول « دكان الشعب » الذي يقدم المواد الغذائية بأثمان زهيدة ، ولم ار فى اية قرية من هذه القرى الجديدة اي مركز مؤقت يشهد على حضور الكنيسة او على رغبتها فى ان تشارك الفلاحين يقظتهم ، واليوم وطبقة الفلاحين تعيش مرحلة الامل ــ مثلما عاشت بالامس ، فترة البؤس ، فانه يلاحظ تغيب الكنيسة المفجع ...

والواقع ان هناك ما يبرر عداء الشعب الكوبي للكاثوليكية .. فهو قد عانى طويلا من الاستعمار الاسباني الذي حمل معه الكاثوليكية الى الجزيرة ، وعانى اكثر من اية طبقة اجتماعية اخرى ، من الانظمة الفاسدة والديكتاتوريات التي وجدت الكنيسة فى ظلها جو الانسجام ، ومن المسلم به انها لم تكن من القوة بحيث يمكنها معارضة الحكومات التي جعلت من هافانا ماخورا للامريكيين يأتون اليها لنهب الخزينة العامة ، ونشر الاكاذيب والجرائم السياسية فى واضحة النهار . الا انه يلاحظ ان الكنيسة ، بنفس المسؤولين، وجدت قوة عجيبة لمهاجمة « الشيوعية » دون ان تتنبه الى ان عملها هذا يضطر أشخاصا مخلصين الى التخلي عن الثورة ، وافساح المجال لتخلفهم عناصر من اليسار المتطرف ...

لقد كان « جوزي مارتي » مفخرة كوبا ، وبطل الاستقلال الذي قتل فى معركة 1895 ، ماسونيا ، ولم تكن شيعة الماسونية التي كان ينتمي اليها معادية للكاثوليكية ، وانما كانت عبارة عن جماعة للتعاون . وبعد موته ظلت الماسونية محتفظة بتاثيرها دون ان تلتحم فى صراع مع الكنيسة ، ومن الناحية العلمية فان مختلف الطبقات المجتمعة لم تكن تنطوي على عداء الكنيسة ...

ذلك هو تشخيص الوضع قبل ان يتولى كاسترو الحكم ، ولم يكن الشعب يكن عداء شديدا للامريكيين. كان يظهر نفس اللا مبالاة سواء تجاه الولايات المتحدة او تجاه الكنيسة بل يمكن القول انه كان اكثر استعدادا للتفاهم معها نتيجة للمواقف التي اتخذتها المنظمات الكاثوليكية فى المدن ضد باتيستا ، ونتيجة لتدخل الاسقف « بيريز سيرانتي » الذي انقذ حياة فيديل كاسترو سنة 1954 ...

فلما سقطت دعائم الديكتاتورية ظلت آفاق المستقبل مفتوحة ، وقابلة لكل الاحتمالات : فلو ان الولايات المتحدة ابتهجت بقيام الثورة وامدتها بالمعونة، لاعترف الشعب الكوبي بالجميل وشايع الاتجاه الامريكي .. ولو ان الكنيسة ترجمت مساندتها للثورة بطريقة لا تقتصر على الالفاظ ، لاصبح الشعب بجانبها ، غير ان الموقف الذي اتخذته الولايات المتحدة جعل الغضب ينفجر فى جميع اطراف الجزيرة ، ذلك الغضب الذي جسمه شعار : « نعم لكوبا ، ولا ـ لامريكا» كما ان موقف الكنيسة نجمت عنه حملة قوية معادية للاكليركية ...

وقد كانت الولايات المتحدة متأكدة من قوتها فلم تتصور ان الثورة ستتابع طريقها ، اما الكنيسة فهي جد رزينة ، وجد ضعيفة لا يمكنها ان تشارك في اللعبة النهائية ، وتأييدها للاصلاح الزراعي لا يغير كثيرا من الواقع ، فعندما دعا الاسقف « ابفيليو دياز» سنة 1959 جميع المسيحيين الى المشاركة فى تحقيق الاصلاح الزراعي ، عم الفرح الحكومة الثورية والمواطنين الا ان الاصلاح الزراعي ومثله الاصلاح المدني ، يمس بالدرجة الاولى البورجوازيين الذين خصتهم الكنيسة فى الماضي بعنايتها الفائقة ، ولذلك فان هيئة الاساقفة والاكليركية لا يمكنها ان تتخلى بسهولة عن هذه الطبقة ومن ثم فقد اصبح الاختيار عملية دقيقة بالنسبة للكنيسة ، لان الطبقتين البورجوازية والمتوسطة اللتين كانتا سند الكنيسة اخذتا تجهران بعدائهما للثورة ، وتسبب ذلك فى مشاكل عويصة .. فالرهبان يرفضون الابتعاد عن جماعاتهم ، وهذه الجماعة ترجع كل

المماثلة لها في مختلف الانحاء ، وكان موضوع مستقبل الجالية الفرنسية يثار احيانا على صورة او اخرى بصدد الاستدلال على ذلك ، وكانت هناك نواح اخرى في الموضوع تصطنع اصطناعا ويلقى بها دائما في مجال البرهنة على تعقد القضية الجزائرية وتشعب جوانبها على هذا النحو او ذاك ، الا أن كل ذلك لم يكن ليؤثر على أي مصدر من مصادر الرأي العالمي ، البعيدة عن الانفعال بالاتجاهات الامبريالية العتيقة ، ولم يكن له ايضا ان يعدل من وضوح الحقيقة السافرة ، وهي ان الوضع الاستعماري الذي كان ماثلا في الجزائر بشكل مظهرا من اغرب مظاهر الشذوذ والنشوز في العالم ، وذلك بالنظر للتطورات التاريخية الحاسمة التي اصبحت تتحكم في توجيه مصاير الامور والاحوال على وجه الارض ، لقد كان من الجائز ان تدرك الاوساط التوسعية مثل هذه الحقيقة ، وتعمل على التلاؤم معها بشكل عملي وصحيح ، الا ان هذه الاوساط ايضا – بالنظر لكثير من الاعتبارات – لم يكن لها لتتخذ مثل هذا الموقف ، وليس من المعقول ان ينتظر منها ذلك ما ما دام لاينسجم مع طبيعة اتجاهها من أساسه . والنظام التوسعي القديم – وان كان يمثل حقيقة واحدة ومشتركة – فانه كان يتقمص احيانا صورا مختلفة وتقوده اهداف وغايات متعددة تتراوح من مجرد الاحتفاظ بالقواعد والمحطات عند البعض ، الى الامعان في سياسة الابادة البشرية عند البعض الاخر . والوضع السابق في الجزائر – وان كان لا يعكس كل مظاهر الحالة الاخيرة فانه كان يماثلها في كثير من الجوانب ، فقد كان هناك اتجاه – في ظلال هذا الوضع يرمي الى اقرار نوع من الادماج المطلق ليس لمداه من نهاية الا تجريد الحقيقة الجزائرية من محتواها الطبيعي العادي وتحويلها بالتدريج الى حقيقة مصطنعة بتيسر معها اسلوب الابادة السياسية في الاخر بشكل دقيق وغير مباشر ، وبالطبع فان التحديات التي واجه بها الشعب الجزائري مثل هذه الاتجاهات هو الذي اثر عليها وساعد على اقبارها من الاساس .

* * *

وتقوم الدولة الجزائرية الآن تجسم الكيان العربي في المغرب الاوسط كما يجب ان يكون هذا الكيان في نوعيته وتركيبه واتجاهاته ، وتطورات الوقائع على هذا النحو الطبيعي المعقول ، واستقرارها في الاخير على اساس سليم من مثل هذا النوع ، كل ذلك يشكل مظهرا من اهم المظاهر التي تضفي على الاستقلال الجزائري اهميته واعتباره وتحدث فيه كثيرا من الانعكاسات التي تمتد على آفاق دولية وعالمية واسعة ، فاستقلال الجزائر يرتبط – في هذا النطاق – بالتطورات العالمية على اوسع نطاق محتمل ، وهذا الارتباط يجعل الاستقلال الجزائري شديد التفاعل مع الواقع التحرري الانساني في بقية المناطق الواقعة تحت وطأة التبعية لحد الان سواء في افريقيا او آسيا وغيرهما ، ويتضح ذلك من مغزى وجود الكيان الجزائري ، والمدلول الذي يعبر عنه ذلك من وجهة النظر الفلسفية والواقعية ، ذلك ان قيام هذا الكيان متحررا مستقلا يعني – بكل بساطة الانتصار المطلق على مبادىء الاستلحاق الصرف ، والابادة السياسية المنظمة ، والاستخلاف الجنسي القاهر ، وكل هذه حالات نشاهد لها امثلة عديدة بالاقطار المستعمرة في افريقيا بصورة اخص ، وآسيا في نطاق محدود ، وليس من شك في ان المثال الجزائري سيكون له في هذا المجال انعكاسات مهمة وعميقة تتأثر بها الحركات التحررية سواء بجنوب افريقيا او انكولا او الموزمبيق او غير ذلك على اختلاف ما تمثله الاوضاع في هذه الاقطار من جوانب وحقائق فليس ممكنا في اية حالة معقولة ان تلاقي الاتجاهات التوسعية الاستلحاقية مثل هذا المصير الذي لقيته على الصعيد الجزائري دون ان تتوافر الشروط الضرورية من الناحية المبدئية لامكانية تحقيق حالة مماثلة لذلك في الاقطار الاخرى التي تعيش شعوبها في نفس الاوضاع والظروف ، فمبدأ انفتاح الظواهر من هذا النوع قد اصبح اكثر امكانية من أي وقت مضى . والمثال المنتج الخلاق الذي يعكسه الواقع التحرري الجزائري قد اصبح في مستوى الاعطاء لمناهج حقيقية صحيحة وجديرة بالتفهم والاتباع ، وتبقى مع ذلك ضرورة اكيدة لوعي المثل ، ومعرفة الاستفادة من روحه ومنهجيته على وجه صحيح ، وذاك قد يكون كافيا – على ما يبدو – للاعانة على تحقيق تحول مهم في الواقع النضالي الذي تعيشه شعوب المستعمرات البرتغالية وغيرها ، على ان الاهمية التي يكتسيها الاستقلال الجزائري لا تنحصر فقط في اعطاء الامثلة المنهجية والاستنتاجات على تطبيق مدلولاتها بصورة من الصور ، ان هناك من جانب آخر امكانية للتاكيد بان قيام الدولة الجزائرية من شانه ان يحدث انعكاسات اخرى على مجموع الصعيد العربي والافريقي تتجاوز في مداها النطاق النظري ، ويمكن ان تسفر عن نوع من النتائج لها اهميتها على الصعيد الواقعي العملي ، فقد كان النظام التوسعي البرتغالي والاوضاع العنصرية

استقلال الجزائر وانعكاساته الدولية

للأستاذ : المهدي البرجالي

هذا الاستقلال الذي انخرطت فى سلكه الجزائر اليوم منضمه الى قافلة التحرر الانساني العالمي الواسع، هذا الاستقلال الوليد الذي يباركه العالم كله ، ونرنو اليه ملايين الاعين العربية والاسلامية فى كل مكان كم يبدو – من الناحية النظرية طبيعيا بل ومن غير الطبيعي تاخر حدونه الى هذه السنة الحالية بالذات ، وينبني هذا التقدير على اساس اعتبار المعطيات والحقائق التقدمية الضخمة التي يعيشها عالمنا الحاضر ، والتي بلغت – نوعا ما – قمة نضجها وتبلورها منذ سنة 1960 وما بعدها الى الان .

ومن ابرز هذه الحقائق واقواها : ان الاوضاع العالمية – بصورة عامة – قد اخذت تتجه اتجاها متوازيا فى مختلف الميادين ، وذلك نحو تحول جوهري حقيقي ، لاشك اننا نعيش كثيرا من مظاهره الان ، ولكننا قد لا نكون مدركين جميعا عمق النتائج الانسانية والتاريخية والحضارية التي من الممكن ان ينتهي اليها بعد ان يستنفد جميع حتمياته وعوامله ، وفى نطاق هذا التحول وبتاثير منه كان من الضروري حقا الانتهاء الى تصفية اكثر مظاهر النظام الاستعماري القديم فى اقل من عقد من السنين ، وكان من اللازم ايضا ان يؤثر ذلك على كل اشكال العلاقات الدولية بصفة عامة فتنمحي فعلا اغلبية مظاهر التبعية السياسية الاستعمارية بمختلف اشكالها ، وتصبح العلاقات بين الدول الكبرى والمستعمرات السابقة فى كثير من الحالات – علاقات عادية مالوفة تسودها روح الندية والمساواة بشكل يختلف فى قيمته ومفعوله ، وتطورت الاحوال فى آسيا وافريقيا وامريكا الوسطى على هذا النحو ، ولم يعد فى مستطاع الدول التوسعية الغربية ان تتحمل المزيد من عمق المشاكل الناشئة عن الاصطدام بالتاريخ ، فاصبحت فى كثير من الحالات تمنح الاستقلال منحا ، بل وتسرع فى ذلك احيانا بعض الاسراع الممزوج طبعا بمشاعر الخيبة والمرارة.

وقد غدا فى امكان المراقبين للنتيجة لذلك ان يدركوا حتمية العوامل التي تقود الى تصفية النظام الاستعماري القديم ، وانهاء وجوده ، فلم يعد مستغربا عند الكثيرين منهم ان يسجلوا تطورات باهرة فى هذا الميدان تتمثل فى امتداد آثار الروح الاستقلالية العالمية وشمولها حتى الجزر الصغيرة والمواقع المهملة التي ليست لها اهمية عالمية تذكر ، غير انه بقدر ما كانت التطورات فى هذا الميدان تتوالى لتكتسب صبغتها الطبيعية العادية ، كان استعصاء الموقف فى الجزائر وتحجره المستمر مدعاة لكثير من مشاعر الاستغراب العميق ، بل والاندهاش فى بعض الاحيان : لماذا تشذ الجزائر وحدها – الى جانب بعض الاقطار القليلة الاخرى – عن مجرى الحتمية التاريخية المعاصرة ، وتجتهد فى ابقائها خارج نطاق التاثر بمدلول هذه الحتمية التي هى نتيجة تطور عالمي شامل وبعيد الجذور ؟ لقد ترددت – ولاشك – اصداء تساؤلات من هذا النوع فى كثير من الاذهان ، وكانت طبيعة السلوك الفرنسي فى الجزائر تزيد بالطبع من تعقد الاجابة عن هذه التساؤلات ، وتضاعف من صور الغموض الماثل فى واقع الحالة على وجه العموم ، وقد كانت بعض الاوساط المتاثرة بوجهة النظر الفرنسية فى اوربا تدلي احيانا ببعض التعليلات المبتسرة لشرح واقع هذه الظاهرة الماثلة ومحاولة تبرير بعض الجوانب منها على الاقل ، فقد كان يقال على اساس ذلك ان المشكلة الجزائرية تنطوي على كثير من عناصر التعقيد الخاصة بها ، والتي تجعلها متميزة عن كثير من المشاكل

قد تتبنى فعلا بعض الاتجاهات العملية فى هذا السبيل، وان كان ذلك لايعدو لحد الان نطاقا ضيقا ومحدود الابعاد بدرجة بالغة .

على ان هناك عاملا آخر جديدا من شانه ان يحدو بالحكومة الفرنسية الى انتهاج سبيل اكثر وضوحا فى هذا الميدان ، ويضطرها فى الامد البعيد الى « مسايرة » خطوات التحرر الافريقي ولو بصورة ثانوية بسيطة وذلك كله على ضوء الاستنتاجات التي يمكن ان نستخلصها من استقلال الجزائر ، والعامل الجديد هذا يتمثل فى تطورات السياسة الامريكية بافريقيا ، والتزامها على عهد الحكم الديمقراطي الحاضر — نهجا خاصا يتسم ببعض المرونة وشدة الحساسية ازاء الاوضاع الافريقية . ومما لا ريب فيه ان انتهاء المعارك بالجزائر وقيام الدولة الجزائرية من شانه ان يفتتح آفاقا اخرى للاهتمام الامريكي بالشؤون الافريقية على وجه عام . فاستتمام الوجود العربي كمال استقلاله فى القارة ، واتجاه دول المغرب العربي الى تحقيق مزيد من الارتباط الايجابي بالمشاكل والقضايا الافريقية ، كل ذلك لابد ان يشكل — بالنسبة للسياسة الامريكية — عاملا منيرا من الطبيعي ان تستجيب لطبيعة اثارته ، وذلك بيذل مزيد من جهد الجانب الاقتصادي والفني ، وما هو من نوع ذلك . وليس مفهوم هذا اننا نستمرىء بقاء القارة فى حالة عوز واضطرار دائم الى المساعدات الاجنبية . فالواجب بالطبع هو تخطيط آفاق المستقبل على اساس الاستغناء عن هذه المساعدات، والانطلاق من نقطة العمل على سند بناء اقتصادي سليم ومتوازن ومتطور .

انما الذي يهم فى هذا المقام هو ان نسجل هذه الظواهر من النشاط الدولي فى ارجاء افريقيا . . هذه الظواهر التي من الطبيعي أن تزداد سعة وتكاثرا بعد تطور الاحوال الناشئة عن استقلال الجزائر ، وانفتاح آفاق جديدة للتفاعل الدولي على صعيد القارة، والملحوظ فى هذا الصدد ان تطورات التفاعل الدولي هذه تسير فعلا فى طريق الامتداد والتوسع بصورة دائمة ، وتتناول فى نطاقها قضايا الصراع المباشر او غير المباشر حول السوق الاوربية المشتركة وظواهر التوتر النفساني الناشيء عن عواقب الاتجاه الى الوحدة السياسية والاقتصادية فى اوربا خارج نطاق العائلةالاطلسية الى غير ذلك ، وليس يعنينا — بالطبع — حصر هذهالظواهر واتجاهاتها داخل النطاق الاوربي الامريكي ، انما الذي يتبر الاهتمام بصورة اساسية هو اتجاهات الاحوال الافريقية داخل القارة ذاتها ، ومدى الارتباط الموجود بين هذه الاحوال من جهة وبين مستقبل الفكرة التحررية الافريقية من جهة اخرى ، والمهم — فى هذا الصدد — هو ان ظهور القوى التحررية الجديدة التي لاشك ان استقلال الجزائر قد ساهم فى تعزيزها وتمتينها على اوسع نطاق ممكن — ان ظهور هذه القوى من شانه ان يساهم — كما فعل من قبل — فى اعطاء الوجود العربي الافريقي مضمونا حيا ومنتجا وفعالا ، وقد كان مؤتمر البيضاء الاساس الاقوى لتجسيم هذا المضمون ، واعطائه صبغة ايجابية ملحوظة ، وذلك نتيجة للاحوال المنبثقة عن هذا المؤتمر فى مختلف الميادين اقتصادية وسياسية ودولية وانسانية ، والذي يبدو واضحا الان ان ميثاق الدار البيضاء سيتوافر امامه — بعد استقلال الجزائر — مزيد من الفرص لتذليل عدد من اوجه الخلاف التي كانت تواجهه ببعض الدول المنتسبة الى الكتلة الافريقية المدغشقرية ، وليس من شك فى ان من اهم نقط الاختلاف التي كانت موجودة من قبل : الاحوال التي كانت تسود الكونغو بعد اعلان استقلاله ، ومناهج الحل المفترضة لها على هذا الشكل او ذاك ، ثم قضية الجزائر التي كانت تبدو فى مفهومنا جميعا باعتبارها قضية نضال ثوري تحرري ، وكانت تتمثل فى اذهان هؤلاء الاخرين بحسبانها مجرد ازمة ثقة وتفاهم وقلة استعداد للتعاون ، وكم كان هناك من ذيول لهذا الاختلاف فى المفهوم السياسي والقانوني والانساني للمشكلتين الجزائرية والكونغولية ، والذيول هذه قد امتدت فى وقت من الاوقات عبر آفاق التقارب الافريقي . مطوقة سبيل هذا التقارب بسحب جد داكنة ، ومسفرة فى الاهم الغالب عن مجموعة من الحقائق التي يلوح انه لا يوجد احد على استعداد للترحيب بها كما يجب ان يكون الترحيب ، غير ان الذي يبدو واضحا الان ان حل المشكلة الماثلة فى الجزائر — بالاضافة الى اتجاه الاوضاع فى الكونغو نحو صورة من التطور البناء — كل هذا يجب ان يؤدي فى الاحوال العادية الى مراجعة المواقف المتخذة من قبل ، ومحاولة النفوذ من خلالها الى سبيل آخر اكثر تلاؤما مع تطورات الاحوال الجديدة فى القارة ، واعمق استجابة لمقتضيات هذا التطور بكل ما ينم عنه من اتجاه الى التحرر المطلق فى ظل من البناء والانتعاش والنهوض .

الناشزة التي تسود جنوب افريقيا ، كان القوامون على هذه الانظمة يعتمدون كثيرا — من الناحية السيكولوجية والسياسية والدولية — على ما لهم من اوجه التشارك والتماثل مع الوجود الامبريالي فى الجزائر، وكان لهم من ذلك — فى بعض الحالات — اساس يرتبطون — فى نطاقه — بنوع من التحالف غير المباشر يمتن وشائجهم فى المواقف والقضايا ، ويلحم بين وجهات نظرهم وانواع سلوكهم سواء على صعيد الامم المتحدة او غيرها ، وكانت حالات التصويت فى المنظم العام تعكس مظاهر غريبة من التساند فى الحال والمصير بين مندوبي البيض السائدين فى بعض اقطار افريقيا وبين مندوب احدى الدول الكبرى التي ترتبط بالواقع الاستعماري القائم آنذاك فى الجزائر ، بل ان رواد العنصرية فى افريقيا — ما فتئوا — منذ بعيد — يمدون فى حبل الوسائل المؤدية الى اقرار حالات من التضامن الفعلي يستهدف تحديد النطاق حول الحركات التحررية فى القارة ابتداء من جنوب افريقيا الى شواطىء الجزائر ، ومن صور التشابك المعقد فى هذا الصدد : ما يلاحظ على سياسة الحكم القائم فى (روديسيا) من تلاحم مع اتجاهات الاحوال فى (كاطانغا) و (انكولا) و (اتحاد الجنوب الافريقي) وما يستبان فى اطار ذلك من تنقلات كان يقوم بها الغلاه وقادة المنظمات المتطرفة بين الجزائر وكاطانكا عبر اتحاد روديسيا وبمباركة مطلقة من المسؤولين العنصريين فى (بريطانيا) وغير ذلك ، فهناك فى قلب القارة الافريقية حلقة توسعية عنصرية تمتد زعانفها عبر الشمال والجنوب وتتسم بنوع من الخطوره لا يدانى . وكان من المفروض ان تكون الجزائر معبرا رئيسيا لها الى مجالات العمل والنشاط فى اوربا ، وباتصال مع كافة المنظمات المتطرفة فى القارة البيضاء ، وقد برهنت كثير من البوادر والارهاصات ، بل اكدت ذلك بعض الوثائق المعتمدة ان الصهيونية الاسرائيلية كان لها ايضا تداخلات دقيقة مع الضالعين فى احكام هذه السياسه وتوجيه دفتها ، وعلى الرغم من ان السياسة الاسرائيلية تستهدف فى الدرجة الاولى تحقيق اكبر قدر من التوسع التجاري و (النفوذي) فى مختلف انحاء القارة الامر الذى لا يسمح لها بكشف كافة اتصالاتها مع العنصرية البيضاء . . على الرغم من ذلك فان اسرائيل لم تكن على نفس الدرجة من التحفظ بالنسبة لموقفها من متطرفي الجزائر الذين ترتبط وشائجهم فعلا بالغلاة فى اواسط افريقيا ارتباطا قويا ومتينا ، وعلى ضوء هذه القضايا التي لا تزال افريقيا السوداء تعيش بعض فصولها المعقدة الغامضة، يمكننا ان نضع استقلال الجزائر فى اطاره القاري والدولي الواسع ، هذا الاطار الذي نستطيع ان ندرك فى دائرته قيمة المضمون العربي والافريقي بل والاسلامي الذي يكتسيه الاستقلال الجزائري ، ومدى الانعكاسات التي من اللازم ان تكون له فى آفاق القارة وما وراءها عبر كل ذلك ، وعلى هذا الاساس فالملاحظ ان الشمال الافريقي — على امتداد الشاطيء المتوسطي الجنوبي قد اصبح بعد استقلال الجزائر — تظله وضعية عربية مشتركة ان كان لها من مفهوم دولي اساسي فهو مناوأتها — فى الدرجة الاولى — للاتجاهات التوسعية والاوضاع المميزة فى قلب القارة الافريقية ، وفى مستطاع الشاطىء العربي الافريقي بالنتيجة لكل ذلك ان يشع على افريقيا كثيرا من مظاهر المؤازرة النضالية التي يوجد (الكونغو) كابرز مثال لها من خلال تطورات الاحداث فى ربوعه طيلة الشهور الكثيرة الماضية ، كما ان انغلاق هذا الشاطىء امام المتطرفين العنصريين فى افريقيا — وقد كانت الجزائر احد منافذهم الرئيسية — ان انغلاق هذا الشاطىء من شانه ان يضع هؤلاء المتطرفين امام نوع من العزلة (السيكولوجية) والسياسية ذات اهمية نسبية لا ننكر ، لكن اهم من ذلك هو ما يمكن ان يكونوا قد فقدوه بسبب استقلال الجزائر من مزيد حرص السياسة الفرنسية سابقا على مؤازرتهم . واضطرارها الى احتضان بعض اتجاهاتهم فى الخطة والسلوك والسير .

وليس من المعقول — بحق — ان نستشرف على اساس ذلك — اى انقلاب مسرحي مفاجىء على صعيد السياسة الفرنسية نحو افريقيا البرتغالية والجنوبية وان ننتظر نوعا من الترابط بين باريس وتيارات الاتجاه التحرري فى القارة على شكل او آخر . فالاعتبارات (الاطلسية) لها فعلا وزنها المهم فى هذا المجال . كما ان البعض من المؤثرات السيكولوجية وحتى المصلحية — فى دائرة معينة — لا يجوز ان تبيح — بالضروره — حدوث مثل هذا الانقلاب او تحتم وجوده على الافق بصورة فعالة ، الا انه من الجائز مع ذلك الاعتقاد بان نسبة الحماس التي كانت تحدو كثيرا من المسؤولين الفرنسيين فى هذا السبيل لابد ان يحدث عليها — بعد استقلال الجزائر — ما يخفف من حدة حرارتها الى درجة محسوسة ، خاصة وان السياسة الفرنسية — كما تنم عنه بعض افاقها العامة الحاضرة — تكاد تكون شديدة الكلف باستعادة صلاتها الافريقية السابقة على اساس جديد يتميز بايجابيته وتطوريته ، وهناك من الملاحظات العامة ما يوحي بان هذه السياسة

ـ فى بعض الحالات ـ الى استثارة انواع من الازمات فى مجال العلاقات الفرنسية الامريكية بل وايضا فىحظيرة الحلف الاطلسي بالذات ، وقد بلغت هذه الحالة اوجها بعد انقلاب السياسة الفرنسية فى العهد الحالـــي ، وتبلورها فى شكل اتجاهات ذات صبغة استقلاليـــة ملحوظة . وهناك ـ من جهة اخرى ـ كثير من صـــور التأزم الاخرى الذي كان يصبب العلاقات بين فرنسا وبعض الدول الاخرى نتيجة الاختلاف حول موضوع الجزائر ، ومن بين مظاهر ذلك : الخلاف الفرنســـي اليوغوسلافي الذي استطال فترات مديدة ؛ واجتاز مراحل واشواطا ذات حدة فوية جدا خاصة بعد قيام الحكومة الموقتة الجمهورية الجزائرية فى خريف سنـــة 1958 ، والتحام العلاقات بينها وبين بلغراد بصـــورة علنية ومتينة ، ومن آخر المظاهر التي نذكر فى هـــذا المجال : الخلاف الفرنسي السوفياتي الذي نشب اوائل السنة الحالية فى موضوع الجزائر ايضا وكان اساسه : اقدام الحكومة الروسية على الادلاء باعترافها النهائي بالحكومة الجزائرية .

وهناك الكثير من المعضلات الدولية الاخرى التي كانت الجزائر اساسا لنشوئها على نحو او آخر ؛ وبقدر ما كان الوضع الثوري يتطور فى هذا البلد بقدر ما كانت سحب التوتر تغشى كثيرا من اجواء العلاقات بين الدول الغربية ذاتها ، وبين هذه الدول والاقطار الواقعـــة فى المعسكر الشيوعي او المنتسبة الكتلـــة الافريقيـــة الاسيوية ، او المنتمية الى نظام الجامعة العربية ، واهم الانعكاسات التي ينتظر ان يخلفها الاستقلال الجزائري فى هذا الصدد هي الافضاء الى تصفية هذه التعقيدات الدبلوماسية من اساسها ، وترميم الاثار الحـــادة او المزمنة ، التي كانت تخلفها فى مضمار العلاقات الدولية من جهة والعلاقات بين الغرب والعالم العربي والاسلامي من جهة اخرى .

وليس المهم فى الواقع ـ ان يؤدي استقلال الجزائر الى تهييء الظروف الصالحة لانهاء هذه التعقيـــدات بصورة عضوية تلقائية ، وانما المهم اكثر من ذلك هو ان تتمكن الدولة الجزائرية سريعا من استكمال كل عناصر فاعليتها الدولية الواسعة ، وان تتضاعف امكانيـــات نشاطها داخل الاسرة العالمية المتحررة ، وان تتهيأ لها ـ مع شقيقاتها العربيات ـ عوامل القدرة على اتخـــاذ المبادرة من اجل تحقيق رسالة النهوض والتطور ، ثم من اجل المساهمة فى بناء عالم متحرر قوامه الحريـــة والعدالة والازدهار .

سلا : المهدي البرجالي



واذا ما وجهنا النظر — من جانب اخر — الى الاستقلال الجزائري وعلاقته بالاحوال العربية الخاصة والانعكاسات التي يجوز ان يحدثها فى هذا الميدان فانه سيمكن لنا ان نلاحظ بعض الظواهر المعينة التي لها دلالتها فى هذا المقام ، والظواهر هذه هي ظواهر نفسانية على وجه اخص ، وتتصل — فى مجموعها — بصميم الشعور العربي ، وما تتوافر فيه من خصائص وامكانيات تتراوح بين السلبية والايجابية بدرجة غير محدودة ، وفى مجال هذه الملاحظة نستطيع ان نتبين مقدار الانفعال العربي بنهاية الصراع المستعر اواره منذ اكثر من سبع سنوات ونصف فى ارض الجزائر ، ونوع الحقائق اللامعة التي اسفر عنها بما يدركه العالم اليوم، وليس المجال هنا — فى الواقع — مجال التقدير لمجرد البطولة وروح الافتداء ونكران المصير الشخصي ، فقد سجل التاريخ العربي — بحق — وفى خضم المشكلة الفلسطينية ذاتها سنة 1936 — 1937 انواعا من روح الايثار والاستبسال لا يمكن نكران قيمتها من الناحية التقديرية المبدئية ، انما الصورة الجديدة التي اسفر عنها الاستقلال الجزائري ، والتي كان لابد ان توحي للوجدان العربي بكثير من بواعث التاثر والانفعال ، هذه الصورة تترآى بصورة اخص فى ظاهرة التنظيم المنهجي الخاص الذي اكتسته الثورة الجزائرية وفاعلية هذا التنظيم — بعد الله — فى تامين ثبات الثورة واكسابها قدرا من المناعة الشاملة لا تضاهى ، ان هذه المنهجية البديعة الخلاقة ، وهذه المقاييس الدقيقة الحية ، وهذه العقلية الدينامية الرياضية ، وهذه الروح المستوعبة المستقصية ، كل ذلك كان لابد ان يثر الوجدان العربي كما لم يثر من قبل ، وكان من الضروري ايضا ان يفضي بالعقل العربي الى مجال التفهم العميق لهذه الحقائق ، والبناء عليها ان كان هناك من ارادة فى التصميم والبناء.

وقد بدرت فى بعض الاوساط العربية — على اساس ذلك — بوادر الحديث عن المثال الجزائري وامكانيات الاهتداء به فى انطلاقة جديدة نحو حل المشاكل العربية المعقدة ، وفى قمتها مشكلة الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين ، وليس هناك مجال متوافر يمكن من متابعة هذه الفكرة وتحليلها على هذه الصورة ، الا ان الذي يظهر جليا من أول وهلة ان المنهجية النضالية الثورية — وان كانت فاعليتها الحقيقية ذات اثر ايجابي لا يمكن نكرانه — الا انه ليس من اليسير دائما اعتمادها اعتمادا اتباعيا مطلقا دون النظر فيما يتصل بها من حقائق وملابسات ، والقضية الفلسطينية لها مميزات وخصائص تقتضي الكثير من اسهامات العقول والايدي والمشاعر ، اما التنظيم فهو فى جميع الحالات مجرد اطار مستوعب ، والمهم بالنسبة لمشكلة كالمشكلة الفلسطينية هو التثبت من قيمة المحتويات التي يضمها هذا الاطار، واغلب الظن ان الانعكاسات التي خلفها المثال الجزائري فى الذهن العربي قد لا تسفر بالنسبة لهذا الموضوع عن نتائج سلبية ولكن — بالطبع اذا كان الاستعداد للتلقي والهضم والتمثل متوافرا بصورة صحيحة وكافية وهذا هو الجانب الاساسي فى واقع القضية الفلسطينية على العموم .

* * *

هذا وكما ان للاستقلال الجزائري جمله انعكاسات آنية تتمثل آثارها — كما راينا — فيما يلاحظ من انجاهات الاحوال فى الوقت الحاضر سواء على الصعيد الافريقي او فى المجال العربي الخاص ، فان هذا الاستقلال يرتبط كذلك ببعض الحقائق التي تتصل بالعالم الدولي وذلك على اوجه تختلف فى مدى الاهمية والظروف والنتائج .

وارتباط الاستقلال الجزائري بالحقيقة الدولية فى نطاقها الواسع — هو ارتباط نظري بالدرجة الاولى — لان هذا الارتباط لم يستتم بعد كل عناصره التكوينية الاساسية ، وليس له ان يفضي بالنتيجة لذلك الى ما يمكن من تقديره على اساس واقعي ملموس ، ولهذا فان انعكاساته على الصعيد الدولي العام تتصل كثيرا بما يجوز تقديره واعتباره ، لا بما يمكن ملاحظته عن طريق التحليل للواقع الماثل ، وعلى اساس التسليم بهذا المبدأ فاننا نستطيع ان نستشف كثيرا من الامكانات الدولية التي ينطوي عليها استقلال الجزائر بهذا الاعتبار ، ومن ذلك ما يجوز ان يلاحظ من علاقة بين قيام الدولة الجزائرية من جهة ، وبين حظوظ الغرب فى تماسكه مع نفسه وروابطه مع (العالم الثالث) من جهة اخرى ، فقد كانت الجزائر — فى الواقع — مصدر مضايقة جدية لمصالح التوسع السيكولوجي الغربي فى كثير من اقطار افريقيا وآسيا ، وحتى امريكا الوسطى والجنوبية ، وقد مرت كثير من الفترات التي اشتدت فيها وطأة هذه المضايقة ونتائجها ، وذلك الى الحد الذي كان يقود الخارجية الامريكية احيانا الى الاعراب عن ذلك المسؤولين الفرنسيين سواء عن طريق الوسائل التعبيرية العادية، او بالاحجام عن التصويت حول الجزائر فى بعض جلسات المنتظم العام للامم المتحدة ، وثمة حالات عدة كان التفاوت فى وجهات النظر خلالها بشان الجزائر يؤدي

ومن هم الولاة يومئذ ؟ هم العسكريون كلمتهم هي الاولى والاخيرة ، وبما ان الكلمة كانت للعسكريين فالى القراء نموذجا من الاصول التي تأسست عليها العلائق بين العنصرين ، يقول المارشال بيجو القائد العام للحملة الاستعمارية المقرون اسمه باسم الامير عبد القادر فى مذكراته ما ترجمته بالحرف : (ان طول خبرتي بسيرة المسلمين وطبائعهم وتقاليدهم افادني اليقين بهذه الحقيقة ، وهى انه لو طبخ رأس مسلم مع راس فرنسي فى قدر واحدة لتميزت مرقة هذا من مرقة هذا) معناه اليأس الذي لا رجاء معه من محاولة تبديل توجيه المسلمين وتحويلهم من الوجهة التي هم عليها وها نحن اولا نجد نفس هذه الروح سارية فى معاملة الفرنسيين للجزائريين حتى فى هذه السنين الاخيرة. كنت يوما فى الجزائر فى مقهى لابورس امام قاعة الحكومة فى جماعة من اعيان الجزائر من بينهم صديق لي السيد محمد بن المرابط واحد المحامين ، والمحامي كان من جملة اعضاء المجلس البلدي فذكر لنا فى اثناء الحديث هذه القصة : (كانت محلات اللهو وكثير من المؤسسات تؤدي ضريبة اسعاف تدعى ضريبة المساكين. ومنذ وضعت كانت خاصة خالصة للاوربيين لا نصيب فيها للمسلمين ، بصفتنا اعضاء فى المجلس البلدي اتفقنا على تقديم طلب لعامل العمالة بناء على ان المسلمين هم ايضا يفتحون محلات اللهو ويؤدون ما يؤديه غيرهم . فبقينا فى انتظار الجواب ما لا يقل عن ستة اشهر . وما هو مضمون الجواب الذى جادت به الحكومة ؟ مضمونه هو ما لا يكاد يصدق به احد . وهذا فحواه : ان الترتيب الادارية الجارية مبنية على المرسوم الصادر عام 1855 المنصوص فيه على أن المسيحي الواحد يعدل مائة من المسلمين فى باب الاسعاف . يعنى ان ما يعطى على وجه الاعانة لمسيحي واحد يعطى مثله لمائة من المسلمين يتقاسمونه بينهم ؟) ثم ذكر المحامي ان نسخة من الجواب تحت يده فى محفظة اوراقه ، هذا الذى سمعناه من المحامي العضو البلدي بمزيد الدهشة والاستغراب فى سنة 1941 ، اكتب ما اكتب وكانني ارى وجه جورج بيدو على شاشة التلفزيون وهو يقرأ هذا القانون الفريب ، نعم فى هذا الجو الخانق عاشت الجزائر قرنا كاملا وثلث قرن كانها فى معتقل مجهز ليكون قالبا يفرغ فيه السكان على الشكل الذي ترتضيه المسيحية ، ومن كان فى ريب مما اقوله اعطيه شاهدا هو فى علم سائر الاوساط الجزائرية ، وهو ان الحكومة فصلت ناحية الصحراء من بقية القطر على طول ما بين المغرب الى الايالة التونسية وحجرت الدخول للمنطقة الصحراوية الا باذن خاص ، وتحت المراقبة بعد ان بسطت فيها اليد الطولى لرجال الكنيسة ينشرون فيها تعاليمهم تحت قناع اطباء وممرضين وممرضات راهبات ، ثم انشئت مدارس ومؤسسات لتربية اولاد المسلمين وبحكم التدريج وصلت الحال بهؤلاء الى أن صاروا يتقلدون الصليب فى العنق والنعالة فى الارجل كما هي عادة الرهبان ، والذي مهد الطريق فى هذا السبيل هو ما تبذله الحكومة من الاعانات والادوية خصوصا فى اوقات المجاعة وانتشار الامراض ، فانت ترى أن من جملة الاهداف بل من اوكدها الوصول بالاهالي الى التمسيح وصدق الله : ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، وهكذا ظلت الجزائر وباتت تتوالى عليها التجارب الادارية بمختلف الاساليب لعلهم يطوونها الطية التي رسموا خطتها ، ولكنها بالرغم عما بذل من الجهود فى سبيل طمس المعالم الاسلامية بقي جمر الوطنية تحت الرماد كلما جاد الزمان بفرصة اندلعت ناره بشهادة ثورة القبائل بقيادة بومزراق فى الشمال وثورة اولاد سيدي الشيخ فى الجنوب ، وثورة مليانة وما جاورها ، وثورة قبائل الاحرار جنوب العمالة الوهرانية .

الى مستهل هذا القرن هب نسيم جديد احيا دارس الامل وذلك بما اخذ يتسرب الى القطر من الجرائد والمجلات والمؤلفات امثال المنشورة التي كانت تصدرها الجالية التركية فى باريز ، وجريدة اللواء لمصطفى كامل ، والعروة الوثقى لصاحبها جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده صاحب رسالة التوحيد ، وكتاب ليالي سطيح ، وكتاب حديث عيسى بن هشام او فترة من الزمن ، والرد على هانوطو وزير الخارجية الفرنسي فى تهجمه على الاسلام ، وكتاب جمعية ام القرى لعبد الرحمن الكواكبي والى جانب هؤلاء جماعة من الشعراء مثل البارودي ، وشاعر النيل ، والمليحي ، وعبد الله النديم والذى ساعد على دخول هذه الروح الجديدة فى القطر ان الحكومة الفرنسية اناخت بكلكلها على صدر البلاد بحيث اصبحت لا يخطر ببالها بتاتا ان تتوقع ما عسى ان يحدث من التغيير وما فكرت ان لله تصميمه كما للبشر تصميمهم ، والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

نعم دخلت هذه الافكار الجديدة الى القطر بمرأى ومسمع من الحكومة لامر اراده الله كانما اصحابها جماعة موزعين للبريد دخلوا البلاد لتبليغ رسائل

الجزائر تتخلص من نير الاستعمار

للأستاذ: أبو العباس أحمد التيجاني

جاء في الاساطير القديمة ان اناسا حكم عليهم بالعقوبة المعروفة بعقوبة البرميل وصورتها ان برميلا ضخما منصوبا قرب بئر ومن تحت البرميل قنوات مدفونة في نهر هناك على ان اطلاق سراح الجاني يكون عندما يملأ البرميل من البئر ، ذلك اصح ما تشبه به النكبة التي اصابت الجزائر وظلت وبانت ترزح تحتها قرنا وثلث قرن ، الاستعمار من اصله استعباد مقنع ظاهرته التي لا تخفى على الخاص والعام انه يرمي الى خصاء الشعوب الامر الذي جعله ممقوتا في حد ذاته ، وفيما يخص الجزائر زاده مقتا الى مقته انه دخل من اشنع ابواب الغدر والمكر ، وبيان ذلك ان غزو الجزائر من طرف فرنسا كان عام 1830 ميلادية ، وهذا الغزو لم يكن لمجرد خلاف سياسي بين دولتين كما هو المتعارف ، بل كان نتيجة مؤامرة لحمتها وسداها الغدر والتدليس ، وشرح ذلك ان الجزائر كما هو معلوم كانت تابعة للدولة العثمانية ، وفي عام 1827 اعني بما يقرب من الثلاث سنين تكتلت الدول الثلاث انكلترا وفرنسا وروسيا ، وشنوا غارة بحرية على الاسطول التركي وحطموه عن ءاخره في الواقعة المعروفة بمعركة نافرا (اسم ميناء على الساحل اليوناني) ، جاء ثلاثتهم لنجدة اليونان ونصرته في الحرب التي بينه وبين الدولة الاسلامية العثمانية ، فاصبحت بذلك الدولة العثمانية مقلمة الاظفار مشلولة اليد فيما اذا دهمها خطر ، فلم يبق لفرنسا بعد هذا الا ايجاد فرصة لتصفية حساب بينها وبين الجزائر لانها كانت تتهم الجزائر بالقرصنة في البحر المتوسط ، لاسيما والامر بين المسيحية والاسلام وهي بنت الكنيسة البكر المعتزة بحماية المسيحيين في الشرق الادنى ، ومنذ ذلك الحين وفرنسا تفتل في الذروة والغارب الى ان جاءت الفرصة المنتظرة ، وذلك انها اشترت من الحكومة الجزائرية كمية من القمح بواسطة السمسارين اليهوديين الاخوين بكري ، ومن نطق باسم الذئب يوشك ان يرى ذنبه ، واشترط في صلب العقد دفع الثمن في الجزائر محل العقد ، فاذا بفرنسا بعدما تسلمت السلعة وانتفعت بها قامت تزعم ان دفع الثمن انما يكون في مرسيليا لا في الجزائر بعد مفاوضة تجرى في هذا الشأن ، لان السلعة في زعمها ظهر فيها الغش . وما اشبه هذه الدعوى بدعوى الذئب على المعزة وانها اعمت عينيه بما تثيره من غبار بذنبها ، هذا الموقف الجديد من فرنسا تبعه لا محالة اخذ ورد بين الحكومتين الجزائرية والفرنسية ، وعبثا كان هذا الاخذ والرد لان الخصم له هدفه بين عينيه لا يهدأ له بال الا بالوصول اليه ، الامر الذي حمل ممثل فرنسا القنصل دوفال على اظهار التطاول ونوع من الازدراء للباي حسين اثناء المفاوضة ، فلم يسع الباي الا قطع الحديث وامر القنصل بالانسحاب ، فالبست القضية بدلة سياسية تقوية للحجة ادعي فيها بان الباي ضرب القنصل بالمروحة ، وهكذا ما زال افعوان السياسة ينساب في بنيات الطريق والسياسة عند القوم حتى في العصر الحاضر ، رائدها قول احد مشاهير وزراء فرنسا دوطالبرا : اعطنا الكلام لنموه به عن مقاصدنا ونوايانا) فما الظن والامر يجرى بين امة اسلامية ودولة مسيحية ، الجواب يطلب من جورج بيدو ، والخلاصة من هذه المقدمة ان الجزائر بعد معارك دارت رحاها طول البلاد وعرضها دار الفلك في شأنها دورته وانتهى بها الامر الى الوقوع في شقاق جدول الاستعمار .

ثم مع الايام جاء دور تأسيس العلائق بين الغالب والمغلوب ، من المعلوم بالضرورة ان القوانين والتراتيب الادارية تنبثق من البيئة الاجتماعية ونزعات الولاة ،

مفاهيم الوحدة المغربية

للأستاذ :
عبد الله الكامل الكتاني

عند ما تقف الجماهير محتشدة يوم رجوع زعماء التحرير الجزائري من المنفى ، الى ارض المغرب التي اختطفوا منها ، فارحة بعودة الزعماء ، هاتفة للوحدة ـ وحدة المغرب العربي ـ فاي وحدة تستقر في ضمير هذه الجماهير ؟

وعندما يكتب المثقفون مقالات عن الوحدة ، ويتحدثون عنها ، ويتحمسون لها ، فاي وحدة يعني هؤلاء .

وعند ما ينادي الحاكمون في اقطار المغرب العربي بوحدة هذا المغرب ، ويؤلفون اللجان المختلفة لدراسة مشاكل الوحدة واخراجها من نطاق الفكر الى نطاق الفعل . فاي وحدة ينادي بها هؤلاء ؟

انه ما من شك في ان مفاهيم هذه « الوحدات » الثلاث ليست واحدا . بل ان المفهوم الواحد منها تتسع بدوره الى مفاهيم لا تقف عند حصر .

فالمفهوم المستقر في ضمير الجماهير عن الوحدة مفهوم « عاطفي » متميز بصفات العواطف المتأرجحة بين الحرارة والاندفاع وبين البرودة والانكماش .

فهذه طائفة ترى الوحدة ضرورة من ضرورات الحياة ، ومصلحة اقتصادية ومعاشية ، فيها ازدهار وحركة للاسواق ، ونشاط للافراد والمشاريع والجماعات ، ومصدرا للقوة السياسية والعسكرية فيها عزة لنا ومنعة مجد طالما تمنيناها وسهرنا لاجلها ، وهذه الطائفة لا تكاد ترى في الوحدة غير هذه « الضرورة » الحياتية و « المصلحة » الاقتصادية و « القوة » السياسية والعسكرية .

وهناك طائفة اخرى من الجماهير تجاوز هذه المرحلة « الظاهرية » من مراحل الوحدة لتبحث في المدلول « الجغرافي » و « السكاني » لهذه الوحدة ، ويكاد هذان المدلولان يكونان امرا واحدا في نظرها ، ونحن نلاحظ ان هذه الطائفة من الجماهير تقترب من التفكير الواقعي في الوحدة عندما تتجه في تفكيرها مثل هذا الاتجاه ، ولكننا اذا مضينا ـ معها ـ في تحليل هذين المدلولين ، وجدنا هنالك وجهات نظر متعددة في الموضوع تتصف بصفات التفكير العاطفي ، المندفع حينا ، المنكمش حينا آخر ، السطحي تارة ، العميق تارة اخرى ، الثائر مرة ، الهادىء مرة اخرى .

فالمدلول الجغرافي للوحدة عند هذه الطائفة هو ذلك الذائع الشائع عند الكافة ، مدلول يشمل تونس والجزائر والمغرب الاقصى ، وهذا تفكير هادىء عميق ومعقول ، ولكن العاطفة سرعان ما تطغى عليه ، فتزيد عليه او تنقص منه ، بحسب حرارتها وبرودتها ، وسعتها وضيقها ، وتفاؤلها او تشاؤمها ، وباختلاف الطبقات الجماهيرية التي تفكر فيه : فنرى بعضها يضيف اليه ليبيا ، وفي بعض الاحيان قسما من حدود السودان ومصر ، ونرى بعضها الآخر يزيل منه ليبيا وتونس ، لبعدهما « جغرافيا » ويقتصر في مفهومه للوحدة على مدلول « الجوار الجغرافي » والاتصال الارضي ، وهذا النوع من التفكير في الوحدة على اساس من القرب او البعد الجغرافيين قريب من ذلك التفكير فيها على اساس من « المدلول السكاني » الذي نلاحظ عليه كثيرا من السطحية والانكماش : فسكان ليبيا ـ في نظرهم ـ قريبون من مصر ، وهم خاضعون لتقاليدها وعاداتها ، وبعض لهجاتهم قريبة من لهجاتها ، فهم لا يدخلون ـ سكانيا ـ في وحدة المغرب العربي ،

النهضة ، فكان ذلك بمنزلة حقنة ايقظت النفوس من سباتها العميق ثم اخذت دائرة التفكير تتسع اتساع الدوائر فى الماء اذا القيت فيه حجرا الى ان نفذت الى الدوائر الحكومية نفسها على يد البعض من جنود الفكر مثال مفخرة القرون السيد محمد بن رحال . ورفيقه الفارس المغوار الامير خالد حفيد الامير عبد القادر المجاهد المشهور ، وصادف دندن الملقب طالوت لما حباه الله من البسطة فى الجسم التي خلدت مواقفه فى الدفاع عن ابناء الشعب كلما هم اوربي باهانته ، وسارت النهضة سيرها الحديث فى هذا الطريق الى ان تاسست جمعية العلماء بتدبير من زمرة من اهل الوعي والغيرة التي لا تعرف الوهن والاستكانة امثال الاخ السيد عبد الحميد بن باديس ، والاخ مبارك الميلي . والبشير الابراهيمي وشاعر الشباب محمد العيد ، والاخ السيد توفيق المدني والاخ العربي التبسي وسي الطيب العقبي.

واقول من باب التحدث بالنعمة سرعان ما انتظمت فى عقدهم ، وجلت مع من جال بالقلم والقاء المحاضرات فى شتى النوادي فانشئت جريدة السنة ، ثم الشريعة بعد تعطيل السنة ، ثم مجلة الشهاب ثم البصائر الى غير هذه النشرات مما يلوح فى الافق من حين لحين . من اغلى وانفس الذكريات التي ادخرتها الحافظة ما كنت اناجي به السيد محمد بن رحال واخي الامير خالد وصادق دندن وافراد جمعية العلماء . من جملة ما ازفه للقراء ما كتبه السيد ابن رحال وكان صاحب قلم بارع بالفرنسية ونشرته مجلة الجمعية الاسيوية التي هو احد اعضائها وذلك فى عام 1905 . وشرح الحال ان مدير هذه الجمعية اقترح على السيد ابن رحال ان يعطيه رأيه فى مستقبل الاسلام فى افريقيا الشمالية فتنزل للجواب بما استغرق مجموع عدد المجلة ، من جملة ما تضمنته المجلة اسداء النصيحة للحكومة الفرنسية ان هي ارادت استجلاب قلوب المسلمين الى ان قال : اني على يقين بان فرنسا لا تلقي بالا لنصيحتي ولكن مهلا على رسلك ، كوني على يقين يا فرنسا بان الاسلام سيبعث من تحت افواه مدافع المسيحية ، وهذا الارهاص النادر صدر من صاحب الجواب عام 1905 كما قلت وكنت اذ ذاك فى المدرسة الثعالبية ، ومن شدة تشوقي الى عدد المجلة المشار اليها التمس من بعض الاخوة الوجهاء القاطنين بباريز ان يحاولوا العثور على مركز الجمعية الاسيوية المذكورة بقصد العثور على العدد . فانه آية فى بابه ولو لمجرد الفقرة التي ذكرت وها نحن رأينا بالابصار ذلك الارهاص يتحقق على يد جبهة التحرير التي املت على فرنسا درسا غدا قلادة فى جيد الزمان ومفخرة خالدة للجزائر ضمتها الى اشقائها بعد ان كان ذلك مجرد امل قصارى ابناء الجزائر التسلي بقول القائل :

اترى الزمان يسرنا بتلاقي ويضم مشتاقا الى مشتاق

الرباط ــ **احمد التيجاني**



واختلاف وجهات النظر ، فى نطاق التسليم بمبدا وحدة المغرب امر ينفع الوحدة ولا يضرها فى شيء ، وكلما ازدادت مفاهيم الوحدة الثقافية تعددا واختلافا كان ذلك ادعى الى طول عمرها وزكاتها .

وتتأثر مفاهيم الوحدة ، بعد ذلك باسلوب المثقفين التفكيري فى الحياة عامة : فهذه طائفة تهتم بالمفاهيم الاسلامية للوحدة ، وتجعلها عنصرا فعالا فى حياة هذه الوحدة وقابليتها للحياة ، وعلى غيرها لا يمكن ان يقوم بشيء ، ويمكن ان ندرج فى هذا المفهوم كل ما يقاربه من مفاهيم عاطفية واخلاقية وتاريخية ولغوية : فنحن فى هذه الاقطار المغربية قد خضعنا جميعا لآلام واحدة ، جعلت لنا آمالا واحدة مشتركة فى المستقبل ، لدرجة ان اقطارنا التي استقلت حديثا ، كانت تعتبر — بحق — استقلالها غير مستقر ولا كامل الا بتمام استقلال الاجزاء الاخرى المستعمرة من الوطن المغربي .

ثم ان العادات والتقاليد فى سائر انحاء المغرب واحدة ، والمثل العليا التى تؤمن بها الجماهير مثل اسلامية واحدة ، والتاريخ تاريخ واحد منذ الفتح الاسلامى — ومنذ ما قبل الفتح الاسلامي فيما يقال — حتى يومنا هذا الذى تشد فيه هذه الاقطار عزمها على المضى صفا واحدا نحو آمال واحدة ومستقبل واحد وتاريخ واحد .

واللغة لغة واحدة . ولكن اية « لغة » هذه هي الواحدة ؟ لا شك عندي — رغم ان الادارة ومعظم المرافق الحية فى مختلف اقطار المغرب تسيطر عليها اللغة الاجنبية — فى ان اللغة الواحدة التي يمكن ان يجتمع حولها مغرب عربي متحضر انما هي اللغة العربية ، على الرغم من انها فى الوقت الحاضر ليست لغة العلم ولا لغة الادارة ولا لغة السياسية ، ذلك لانها لغة وطنية « مقدسة » جعل لها الدين الاسلامى مكانا معينا فى نفوس الجماهير ، حتى صارت من الحرمات التي لا تمكن ان تنسى ولا ان تداس ، وفى اعتقادي ان قدسيتها هذه ستعمل عملها فى القريب لتصبح اللغة العربية لغة العلم والادارة والسياسة فى المغرب العربي المقبل كماكانت بالامس لغة الدين والسياسة جميعا ، ان هذا امل دفين فى خبيئة كل قلب مخلص مهما كان جهله بهذه اللغة تماما ، وعمله بغيرها من اللغات وسيلته المعاشية الوحيدة فى الحياة . ان هذا من اسرار القدسية الكامنة فى اللغة العربية ومن دلائل اعجازها وعبقريتها المستمرتين على الدهور .

وهناك طائفة اخرى من المثقفين تشغل نفسها بالمفاهيم الحديثة للوحدات وفلسفتها ، وباشكالها واساليبها ، وبوسائلها وغاياتها ، ولكنها — فى حقيقة الامر — لا تستطيع او لا تكاد تستطيع الخروج عن ذلك الاطار الاسلامي للوحدة كما حددناه قبل قليل .

فمفاهيم الوحدة عند المثقفين اذا بحر لا ساحل له — كما يقال — ولكننا مضطرون للاكتفاء بهذه الصورة الخاطفة ، معتبرينها خطوطا كبيرة للمفاهيم الوحدوية الكبرى فى المغرب العربي المثقف .

حتى اذا تجاوزنا هذين المفهومين قليلا لم يكن لنا مفر من اعتبار المفهوم « السياسي » للوحدة مفهومها الثالث « الواقعي » الذي يضع المشكل على بساط الدرس . ويحاول ان يخرجه فى صورة او فى اخرى من نطاق الفكر الى نطاق الفعل ، ومن مجال السكون الى مجال الحركة .

الجهاز السياسي فى اقطار المغرب العربي «مجمع» على قبول مبدا الوحدة ، وكما يبدو من خطبه وتصريحاته انه منهمك فى اعداد الخطة لايجاد الحلول العملية لمختلف مشاكل وحدة المغرب العربي .

وفى تحليلنا للمفهوم السياسي للوحدة ، ليس فى استطاعتنا فى الوقت الحاضر ان نضيف شيئا على ما قدمنا من قبل ، الا ما يتفق وطبيعة هذا المفهوم من « واقعية » و « عملية » تفرضان عليه التقيد بالاحداث الداخلية لكل قطر وبالمشاعر الوطنية الاخرى الموجوده ايضا فى كل قطر والمؤمنة بالعروبة وبالاسلام الى جانب ايمانها بالمغرب العربي ، كما تفرضان عليه النظر الى الظروف القارية والدولية الملائمة لاعلان هذه الوحدة والمناداة بها بالشكل الذي تتفق عليه هذه الاقطار .

وسكان تونس فيهم بعض صفات الكبرياء والتفاخر والتعاظم ، مما يجعل الوحدة معهم غير متجانسة . ومما لا يدع لهم مجالا في الوحدة لهذه الاسباب .

وفي الجزائر كان « الجوار » دائما يؤلف بيننا وبينهم انسجاما في العادات وفي اللهجات وفي التفكير . «الاتصال» الارضي دائما يقرب بينناوبينهم بالاضافة الى ما بيننا من روابط التزاوج والتصاهر والتصادق المتكاثرة .. مما يجعل اسباب الوحدة بيننا وبينهم متوفرة وممكنة .

ونحن وان كنا لا نقر هذا التفكير على عوجه ، وان كانت لنا ملاحظات وانتقادات على هذا النوع من التفكير الشعبي في الوحدة ، فانه يهمنا — قبل كل شيء — ان نستنتج من هذه النظرات الشعبية كلها « اجماعها » على قبول « فكرة الوحدة » اما من سيدخل في هذه الوحدة ومن سيخرج منها ، فذلك امر يتعلق « بوسائل » هذه الوحدة و « غايتها » ... واختلاف وجهات النظر — من بعد ذلك — ليس عيبا ولا بدعا في التفكير ، وانما هو امر طبيعي وضروري كذلك ، وانما « البقاء للاصلاح » ، وعندما تصلح النيات ، وتتجه النظرات جميعها نحو الوحدة فان الوحده ستعرف كيف تشق لنفسها طريقها بين الورود او بين الاشواك . واذا كان الاخلاص رائدنا نحو الوحده كانت الوحدة بالشكل الذي يرضى عنه الجميع ، ذلك ان امر الوحدة يهم الفرد بقدر ما يهم الجماعة ، فيجب ان يسهم في بنائها وفي التفكير فيها الفرد كما تفكر فيها الجماعة .

على ان مفهوم الوحدة الذي يتحدث عنه المثقفون في كتاباتهم ويتحمسون له كثيرا مفهوم « عقلي » يجانب العاطفة بالقدر الذي تكون فيه سطحية غير عميقة ، وهازلة غير جادة ، وهادمة غير بانية ، كما يجانب التفكير « الواقعي » في الوحدة بالقدر الذي تكون فيه غير متفق مع اخلاق الامة . منافيا لعاداتها وتقاليدها غير مساير للتطور ، هو مفهوم غير عاطفي تماما ، وغير واقعي تماما ، لا يخضع للظروف ولا للاحداث ،ولا تحكمه الضرورات ، وانما هو تفكير حر منطلق يجاوز الوقائع والقيود الى ما وراء ذلك من عوالم الفكر الحرة المنطلقة .

وهذا النوع من التفكير ، وان كانت للنقد فيه سهام نافذة ، فهو سبيل الخلاص « للعاطفة » من حيرتها وتوقفها وتشاؤمها وترددها بين المفاهيم ، وهو نور يستضيء به « الواقع » في حالكات المشاكل التي تواجهه ، فالتفكير « المثقف » في الوحدة ضمان للوحدة من الانحراف مع تيار العاطفة الجارف ، وامان من المضي مع الواقع في طريق منحرفة عن الخط المستقيم الى حدة ، ذلك ان طريق الوحدة ليس من ورد دائما . وانما هو في الواقع مزيج من ورد وشوك .

فالمفهوم المثقف للوحدة بالشكل الذي وصفناه مفهوم واسع هادىء رزين ، ومن غير الممكن ان نحدده كلمات في مقالة ، ولا ان تحيط به سطور في كتاب ، انما يحدده المثقفون جميعا في انحاء المغرب العربي ، وانما نحيط به كتاباتهم ورسائلهم في الموضوع الى ان نقوم الوحدة ، ومن بعد ان نقوم الوحدة ، هو اذن مفهوم مستمر متجدد .

فاذا تحدث عنه مثقف او رسم له بعض خطوطه واتجاهاته ، فهو انما تتحدث عن لمحات ونظرات ، وهو انما يتلمس طريقه للوحدة من بين طرقها المتعدده المتشعبة .

واول ما يهم المثقف من مفاهيم الوحدة مظهرها الثقافي ، ذلك ان تعدد الوان الثقافة في المغرب العربي امر مشاهد ملموس ، ولقد تفاوتت الازمة التي خضع فيها كل قطر من اقطار المغرب العربي للاستعمار . ولثقافته وحضارته ، وتبعا لذلك غلبت الثقافة الاجنبية وصارت طابعا مميزا لمعظم مثقفي المغرب وصارت قاسما مشتركا ونقطة التقاء المثقفين المغاربة .

والى جانب ذلك يوجد لون آخر له طابع مميز هو الطابع العربي الذي يلتقي حوله المثقفون بالعربية ممن خرجتهم المعاهد التقليدية في اقطار المغرب ، او ممن تلقوا دراستهم العالية في احد المعاهد العربية بالقاهرة او بغداد او دمشق او غيرها من الاقطار العربية .

فهذه الالوان الثقافية المتعددة تجعل اصحابها يفكرون في الوحدة ويتصورونها في اطار من ثقافتهم التي تلقوها وتشبعوا بها ، وليس بضائر للوحدة في شيء ان يختلف تصورها من مثقف الى آخر ، او يتعدد مفهومها عند هذا او ذاك ، ولكن الذي يضر الوحدة حقيقة ، الا تؤمن بها طائفة من هؤلاء المثقفين ، او يخرج عن صفها منهم خارج ، او يفكر بمبدئها منهم كافر .

فقيد الأدب العالمي

وليم فولكنر

ترجمة الأستاذ : إبراهيم الهواري

« عـرف الادب الامريكـي المعاصر فى العالم بثالونه الرائع : همنغواي (1898 / 1961) ووليـم فـولكنـر (1898 / 1962) وشتـاينبـك (1902 / ....) وقـد رزيء الادب العالـمي فى همنغـواي فى صيف العام الماضي ، وفى يوم الجمعة 6 يوليوز المنصرم مات فولكنر ولم يبق فى الحلبة الا شتاينبك » .

منذ سنه بالضبط طلب مني ان اكتب مقالا عن همنغواي الذى كان قد توفى آنئذ . واليوم يطلب مني ان اكتب عن فولكنر غريمه ونده . فما هي الصفـات الموحدة بينهما فى اعين الناس ؟ لقد كانا القاصين اللذين كان لهما ابلغ الاثر فى تطور القصه فى السنين الاخيرة . وكانا الامريكيين اللذين وعيا اوربا والحياة عن طريق الحرب ، ثم ان الكحول كان السبب المباشر او الغير المباشر فى موتهما ، تلك هي صفـات التقـارب بيـن الرجلين ، فهل ثمة تشابه آخر بينهما ؟ نعم ، فقد كان كل منهما يقاوم حياته ليصبح اديبا .

اما الفروق بين همنغواي وفولكنر فهي اكثر من عوامل التشابه بل هي اعمق من الفروق الموجوده بين شمال الولايات المتحدة وجنوبها ، وابعد من الفـرق بين الظاهر والداخل والمظهر الخارجي والفور الخفي .

ففي اقصوصة « موت فى الظهيـره » نجـد ان همنغواي يدعي فى صلف بعد كتابتها بانه « بز ستندال وفلوبير » ثم يضيف بان فى امكان فولكنر ان يستلهم منها قصة كاملة .

لقد كان همنغواي وجيز العبارة حاد الطبـع . اما فولكنر فكان تطهريا Puritanisme شـاعـري الاسلوب غامضا .

لكن لما ذا اقحمت نفسي فى هذه المقارنة ؟ ذلك لان الشكوك تساورني فى مشاطرة ذوي الراي القائل : بان فولكنر كان اعظم كاتب حي .

واؤكد قولي « كاتب » لا « قاص » لانني لا ارى شاعرا او مسرحيا فى عصرنا وفق الى حشد عديد من الاشياء فى تاليفه قدر توفيق فولكنر . ففريحته القصصية الخلاقة المعطاء استطاعت ان تمزج بيناللهجات القومية الواقعية والكتابة الفنية ، هذا المزيج الذي يحمل فى طياته تاريخ الاثار الادبية العظيمـة : هـو مبـروس ، الكتاب المقدس . شكسبير ، وجميع ادباء القرن التاسع عشر ، وبروست وجمس جويس James Joyce انى انزل فولكنر منزلة بلزاك وديستويفسكي وديكنز وكونراد وملفيل و ... لقـد كدت ان الفـظ اسـم شكسبير ، لكن هذا لن يكون صائبا ، وسنرى لما ذا .

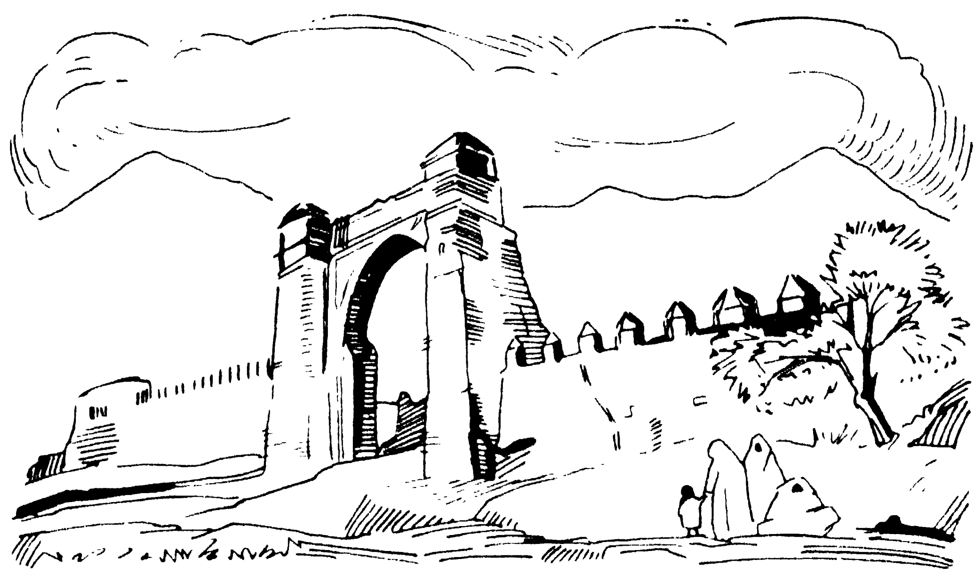
فى الليلة المنصرمة ارانا صديق المقدمة التـي كتبها فالبري لاربو V. Larbaud لكتاب فولكنـر « بينما احتضر » ، وحين قرانا فى المقدمة : « اننـا نستقبل ترجمة جيدة لقصة عن الاخلاق الريفيـة فى ولاية ميسيسيبي حيث ولد كاتبها فولكنر سنة 1897 وحيث ما زال يقيم » ابتسمنا لاننا احسسنا اننا جد بعيدين عن مالرو القائل : « ان فولكنر اقتحم بكتابته التراجيديا اليونانية فى القصة البوليسية » .

المفهوم السياسي فى كلمتين يهتم بالحلول العملية لمشاكل الوحدة قبل العاطفية ، و « بما هو كائن قبل ما يجب ان يكون » .

تلك محاولة متواضعة لعرض المفاهيم المختلفة للوحدة المغربية على الصعيد الجماهيري والثقافي والرسمي ، ولا ضير على اي مواطن فى ان يتصور وحدة « مغربية » كما يشاء ، انما المهم الا يختلف معنا فى المبدا ثم لا عليه بعد ذلك ان ينصرف الى حيث يشاء . ولعلي بهذا العرض ان اكون قد حاولت التقريب بين وجهات الانظار المختلفة ، وذلك بعرضها ، جنبا الى جنب ، على صعيد واحد ، هو الصعيد الذي ينبغي ان نعرض عليه دائما . . .

هذا ولو كنا فى مجال خطابة او اثارة لعواطف الجمهور ، لقلنا مع القائلين منذ البدء ان المفهوم المستقر فى ضمير الجماهير هو المفهوم الحقيقي للوحدة والتعبير الصادق الامين عنها ، اما وقد تعلق الامر ببحث جدي ، وتحليل موضوعي فقد اختلف الامر ، ووجب ان نعرض لمختلف المفاهيم ، خدمة للفكرة السامية التي يؤمن بها كل قلب مخلص فى انحاء هذا المغرب .

سلا : عبد الله الكامل الكتاني



ابن جزي كاتب رحلة ابن بطوطة

للأستاذ: محمد بن عبد العزيز الدباغ

لا يليق بالذين يكتبون عن رحلة ابن بطوطة ان يهملوا الحديث عن كاتبها ابي عبد الله بن جزي الاندلسي لان اهمال الحديث عنه يكون مضيعة لعمل جليل قام به ، ومحوا لتعاون ادبي صادق كان موجودا بين المغرب والاندلس فى عهد المرينيين .

فابن جزي هذا هو الذي طبع رحلة ابن بطوطة بطابع الادب فى كثير من فصولها ، وجعلها بعيدة عن الاسفاف فى التعبير ، والضعف فى التصوير ، لانه كان يمتاز بسعة ثقافية وحسن ترصيفه للمعاني بالفاظ بديعة وجمل رفيعة لا تعقيد فيها ولا غموض ، وهو الذي بفضله اصبحت هاته الرحلة نموذجا ادبيا خالدا يصور عصرا من عصور الازدهار المغربي فى العلم والادب . لانه استغل فى تاليفها كل طاقاته الادبية حتى اكتسبت بفضله الخلود وذلك امر طبيعي ، فالادباء هم اقوى على تحليد المرئيات والصور من غيرهم ، وهم اقدر على التعبير عن المعاني باساليب جذابة تستهوي القارئين وتستميلهم الى الاستزادة من الاستطلاع .

وحيث ان رحلة ابن بطوطة كانت تسجل مشاهدات مختلفة ، ومرئيات متعددة ، وتتحدث عن آثار ملوك ودول وتصف مسالك وممالك ، وتعبر عن الحياة العامة لكثير من المجتمعات والعوائد ، وتعلق على كثير من الاحداث السياسية العامة ، فانه كان من الضروري ان يستعان فى التعبير عن هاته الرحلة باديب له القدرة على التصوير يجعل من الحوادث صورا ناطقة تشوق القاريء الى مشاهدة تلك الاماكن نفسها.

وانما كانت هاته الاستعانة ضرورية ، لان ابن بطوطة لم يكن اديبا وانما كان رجلا فقيها ، وهو بنفسه يعترف بذلك فقد خيره يوما ملك الهند بين الوزارة ، والكتابة ، والقضاء ، والمشيخة ، فقال : (اما الوزارة والكتابة فليست شغلي واما القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي) (*) وانما فضل القضاء على الوزارة والكتابة لانه يعرف مقدرته فى الفقه الاسلامي ويعلم ان هاتين الوظيفتين تحتاج الى متانة فى الاسلوب وعلم بالادب .

والحقيقة ان اسلوب ابن بطوطة كان ضعيفا ويظهر ذلك فى بعض الفصول التي لم تهذب وفى بعض الاشعار التي نظمها وذكرها فى رحلته ، فاسمعه مثلا يمدح ملك الهند ابا المجاهد محمد بن تغلق (*)

اليك امير المؤمنين المبجلا
اتينا نجد السير نحوك فى الفلا

فجئت محلا من علائك زائرا
ومغناك كهف للزيارة اهلا

فلو ان فوق الشمس للمجد رتبة
لكنت لاعلاها اماما ومؤئلا

فانت الامام الماجد الاوحد الذي
سجاياه حتما ان يقول ويفعلا

ولي حاجة من فيض جودك ارتجي
قضاها وقصدي عند مجدك سهلا

الذكرها ام قد كفاني حياؤكم
فان حياكم ذكره كان اجملا

فعجل لمن وافى محلك زائرا
قضا دينه ان الغريم تعجلا

(*) رحلة ابن بطوطة طبع سنة 1322 هـ الجزء الثاني صفحة 81

(*) نفس المصدر صفحة 3.

لا مراء فى ان معرفتنا لفولكنر تستدعي معرفتنا لجنوب الولايات المتحدة حيث نلاحظ ان من العسير على المرء هناك ان يتجاوز البيئة الى احتضان العالم . ان حالة فولكنر شديدة الشبه بحالة دوستويفسكي الذي تنبأ رغم محافظته بالثورة البلشفية .

اما فولكنر الذي شهد حضارة لم يعرف فيها الا الانتقاضات الاخيرة للعدالة فانه لم يجشم نفسه محاربة الميز العنصري بل اقتصر على ان جعل منه ملحمة ، فالسود – فى نظر فولكنر – يفتدون البيض بآلامهم مثل نانسي Nancy (بطلة قصة المعبد) الباغية السوداء التي افتدت بتضحيتها الانسانية خطايا معبد دربك Drak اما الاخرون : السفلة والمتعجرفون ، والمهزومون فى الحرب الانفصالية ، والسكيرون ، والبغايا ، وابناء العائلات الفلبلة القيمة وبناتها ، والفلاحون الجشعون والطبارون الفاشلون ، والعضلبون الجبناء القاصرون ، والصادون ، والعلماء ، والابطال ، والعشاق الذين لم يبق لهم من غرامياتهم غير ظلال لها – هؤلاء جميعا لم يوجدوا فى كتابات فولكنر الا ليسهموا فى الملحمة التي عبر عنها سكسبير فى « ماكبث » بذلك البيت الشعري الذي اتخذه فولكنر عنوانا لاجمل قصصه : **« ما الحياة الا حكاية يرويها معتوه ، تطفح بالصخب والعنف ، ولا تعني أي شيء على الاطلاق »** .

وملما كانت الاسطورة عند الاقدمين ، وايطاليا عند شكسبير ، وسانت بطرسبورغ او موسكو عند دستويفسكي ، وباريس عند بلزاك .. فان جنوب الولايات المتحدة عند فولكنر كان هو الاخر عالما صغيرا تضطرم فيه اهواء الناس حانقة الى حد الاجرام ، وتسود فيه – كما قال فيكتور هيغو – : « تلك الشمس المرعبة السوداء التي يشع منها الليل » لبل الحياة ، لكنه ايضا نور خلق قصصي لا مثيل له فى الاداب العالمية فى الثلاثين سنة الاخيرة ، هذه الاداب التي كتبت قصدا لتصوير عالم يموت .

* * *

رفض فولكنر الاهتمام بالتراجيديات العظيمة فى عصرنا – باستثناء حرب 1914 – فظل بذلك آخر كاتب تراجيدي ، انه الكاتب الوحيد الذي عرف واستطاع ان يقارن الانسان بشيء يفوقه ، هذا الشيء الذي امسى من الصعب ذكر اسم له : ان ميثولوجية فولكنر كاثوليكية ، لكن فولكنر نفسه لم يكن كاثوليكيا .

لست افكر الان فى شخوص قصص فولكنر فانا بعيد عنها ، وانما افكر فى الرجل نفسه كما صوره لي فى كتاباته احد افراد عائلته .

ان قراءة كتب فولكنر تعيد الى ذهني صورة ذلك الرجل المنزوي فى حجرة مظلمة ذات جدران مغطاة بالرسوم والخرائط والاشارات التي تسمح له بالرجوع الى نفسه كلما تاه ، وقد انكب على عمله حتى الفجر وبجانبه زجاجة ويسكي ، حتى اذا انبلج الصبح تدخل الخادمة السوداء الشمطاء فتجده ملقى على الطاولة والحبر بجانبه مراق فتاخذه الى سريره وتنيمه كالطفل .. ان قراءة تلك الكتب تجعلني افكر ايضا فى ذلك الكاتب الذي خط اصعب مؤلفاته واكثرها حدة على ضوء « مصباح بنزين » ، وتدفعني الى افكار بكرم كافو Gaveau سنة 1950 حيث ظهر فولكنر بجانب اندري مالرو على المسرح ، محتقن الدم ، جامد السمات لانه كان وشيك الابلال من مرض اصابه من الكحول وكاد ان يتسبب فى الغاء التكريم ؛ لقد وقف الجمهور فى ذلك اليوم وصفق له بحرارة مدة عشرين دقيقة دون ان تتحرك ملامحه ، حتى انه كان بوسعنا ان نتساءل : اكان يعي حقا ابن نقف قدماه؟ .

ان كل ما نستطيع قوله عن حياته – باستثناء الجنوب الامريكي والمحبة الفاضحة التي كان يكنها لابنته التي غادر من اجلها اكسفورد الى فرحنا حيث تزوجت – لن يفيدنا فى شيء ، ففولكنر اصيل فى كتابته اصالة لم يسبقه اليها غيره ، فهو فى كتبه لم يكن غير ذاكرة جامعة لذكريات قديمة تشكل صورة لتاريخ تلك المدينة الجنوبية التي صور اعمالها .

لقد كان فولكنر يعرف – مثل بطل قصته « نخل البراري » : Les palmiers sauvages ذلك الطبيب الشاب الذي حوكم لانه قام بعملية اجهاض – انه : « اذا كانت الذكرى توجد خارج ذات الانسان فانها لاتبقى ذكرى لانها لن تعود صدى للشيء الذي تتذكره (...) ، واذا توقفت انا عن الحياة فان الذكرى تقف هي الاخرى عن الحياة ، ولو خيرت بين الكآبة والعدم فسأختار الكآبة » .

ان من العبث ان نبحث بين كتب فولكنر القصصية والروائية عن كتاب يمكن ان نضعه فى طليعة كتبه ، فمؤلفاته مجتمعة هي التي تحمل فى ذاتها ابلغ دلالة .

القنيطرة : ابراهيم الهواري

واما اخوه الثاني فهو ابو محمد عبد الله بن جزي الـذي يقـول :

لقــد قطعت قلبــي يا خليلــي
بهجـر طـال منـك علـى العليـل
ولكــن مـا عجيـب منـك هــذا
اذ التقطيـع مــن شـان الخليـل

ومما لاريب فيه ان هذا الاطار العلمي والادبي قد اثر فيه وصهره وجعله يسير على نسق اهلـه في النثر والشعر فبرع في الصناعتين ، وتصدر لقـرض الشعر بمدح به ملوك بني الاحمر النصريين خصوصا سابع ملوكهم ابا الحجاج يوسف ابن اسماعيل . ولكن علاقته بهانه الدولة قد انفصمت بسبب الاهانـة التي مني بها من لدن ابي الحجاج فقـد ضربه سباطا ، لا لذنب اقترفه ، ولا لمخالفة ظهرت منه ، وانما ليطمئن بعد ذلك الى محبته اذا ما استمر على الانصال به بعد هذا الامتحان . ولكن ليس من المعقول ان يرضى ابـن جزي بهذه الاهانة العظمى وهو الذي هيأه ابوه علـى الانفة وعلمـه النضحية وحبب اليـه شرف النفس ، فرحل من غرناطة واقبل على فاس تلك المدينة التـي كانت نضم حينذاك اشهر العلماء وترحب بهم من كل جانب ، فان ملوكها المرينيين كانوا يعملون جهد امكانهم على نشر الثقافـة واحيائهـا ، ولذلك ازدهـر الادب المغربي حينذاك لانه اصبح متصـلا بالادب الاندلسي وتظاهر بعضه ببعض . وأصبح الادباء يعملون من اجل تحقيق غاية هاته الدولة المهتمة بهم والعاكفة علـى حماية الثقافة من الانهيار خصوصا بعـد ما اصبحت الارض الاندلسية مهددة من قبل الاسبانيين ومشرفة على الهلاك والانقراض بسبب ظلـم النصريين بنـي الاحمر الذين كانـوا يتآمـرون على المصالـح العليـا للمسلمين ويؤازرون الدولة الاسبانية احيانا خوفـا من سلطة المرينيين ، وبذلك كانوا ينتحرون ويقضون على ما تبقى من الدولة الاسلامية بالاندلس وهذا هـو السبب الذى جعل نهايـة الاندلس تكـون في عهدهم وعلى يـدهـم .

فبنو الاحمر كانوا يستهترون بالحكم ويتناسون واجبهم كملوك للمسلمين ، والا كيف يبيح ملك لنفسه ان يقوم بضرب رجل عالم اديب ليطمئن الى اخلاصه اذا ما استمر على الانصال به بعد هاته الاهانة ، انهـا لمجازفة بالقيم الروحية وبالكرامة العلمية وهو ظاهـر يتجلى فيما يقوم به هؤلاء الملوك النصريون من اعمـال جائرة ، ولكن المغرب قد هيأ نفسه ليكون ملجأ لهؤلاء العلماء يحميهم من هذا الاستهتار بالقيم ويعينهم على نشر افكارهم ، ويشجعهم على التاليف ، والتعليـم ، ويقدم اليهم المناصب الكبرى في الولاية ، ولذلك وجد ابن جزي حين فراره من ابي الحجـاج يوسـف ابن اسماعيل في ابي عنان خير خلف ، فولاه كتابة الدولة. ومن المعلوم ان وظيفة الكتابة كانت من أهم الوظائـف التي لاتسند الا لذوي الكفاءة العظمى في كثير مـن المواد العلمية ، ولا يرشح اليها الا الادباء حتى اصبحت الكتابة تحتاج الى نظام خاص والى قدرات سجلهـا عدد من المؤلفين في كتبهم ، وخير مثال لذلك كتـاب (صبح الاعشى في تعليم الانشاء) للقلقشندي .

ولمـا وجـد ابن جـزي مـن ابي عنـان حسن الاستقبال طابت نفسه اليه ، وشحذت قريحته واصبح شاعرا من شعرائه يمدحه في كل المناسبات ويبدع في المـديـح .

ولا باس ان نورد هنا قصيدة من قصائده يمدح بها ابا عنان المريني لنعرف مقدرته على التعبير ، وقوته في التصوير وولعه بالجنـاس واعتنائه بالبديـع شأن معـاصريـه قـال :

ان قلبـي لعهـدة الصبـر ناكـث
عن غـزال في عقـدة السحـر نافـث
اضـرم النـار في فـؤادي وولـى
قـائلا لا تخـف فانـي عـابـث
ورمـانـي مـن مقلتيـه بسهـم
ثم قـال اصطبـر لثان وثالـث
كـم عـذول انـي نـاظـر فيـه
كـان تعذالـه على الحب بـاعـث
ومبـسـم آلبتهـا بـالتسلـي
فقضـى حسنـه باني حـانـث
جبـر اللـه صـدع قلـب عميـد
صدعت شملـه صـروف الحـوادث
فهـو يهفـو الـى الـروق ويـروى
عـن نسيـم الصبـا ضعيف الاحادث
سلتـه الاشجـان الا بقـايـا
مـن امـان حـالهـن رثـائـث
وبكـاء علـى عهـود مـواض
مـلأت صـدره همـومـا حـدائـث
لست وحـدي اشكـو بلـة وجـدي
ان داء الغـرام ليـس بحـادث

فهذا الشعر اقرب الى المنظومات الفقهية منه الى الادب .

وليس يعتبر ضعف الاسلوب الادبي عند ابن بطوطة تنقيصا لقدرته العلمية فاننا اذا استقرينا حياته في رحلته نجده قد كان مولعا بالفقه والحديث والتصوف ، حريصا على اكتساب المعرفة ، لا يزور مدينة الا ذكر علماءها وفقهاءها وصلحاءها واساتذته بها ، فهو قد سمع في دمشق صحيح البخاري واجازه بها عدد من العلماء والعالمات ، كما سمع ببغداد مسند الدارمي ، واتصل بعدد كبير من العلماء بمكة وغيرها من المدن زيادة على انه لم يخرج من المغرب الا بعد ان درس القرآن وكتب الفقه المالكي بدليل توليه القضاء بمجرد وصوله الى تونس حين ابتداء الرحلة ، ولعله كان له المام بسبر القضاء نظرا لاهتمام اسرته بذلك، فقد حكى كما تقدم ان القضاء شغله وشغل آبائه ، فاسرة ابن بطوطة يمكن ان نعتبرها اسرة القضاء وقد ذكر هو بنفسه حين زيارة مدينة رندة بالاندلس انه زار قاضيها وهو ابن عمه الفقيه ابو القاسم محمد بن يحيى ابن بطوطة .

فابن بطوطة اذن كانت دراسته الاسلامية مقتصرة على الجانب العلمي ولم تكن مزيجة بالادب مما جعل منهجه في الكتابة بعيدا عن منهج الادباء ، وهذا هو السبب الذي دعا ابا عنان الى اصدار امره لابن جزي بكتابة الرحلة ، فقد قدمت في بحث سابق ان اصدار الامر يرجع الى سببين : اما الاول فسياسي وقد بينت ذلك عند الحديث عن بني مرين من خلال رحلة ابن بطوطة ، واما السبب الثاني فادبي محض يرجع الى هلهلة اسلوب ابن بطوطة والى القوة الادبية التي حظي عليها ابن جزي .

وكاني بالقارىء بعد تتبع مجرى الحديث عن هذا الارتباط الموجود بين ابن جزي ورحلة ابن بطوطة سيسال عن ابن جزي هذا ، وعن قدرته الادبية التي كان متصفا بها ، وعن مدى تاثيره في تدوين الرحلة .

اما ابن جزي فهو ابو عبد الله بن ابي القاسم محمد بن احمد الكلبي الذي يرجع نسبه الى بيت بني جزي الشهير بالمغرب والاندلس . ولد سنة 721 هـ بمدينة غرناطة مقر الدولة النصرية آنذاك وعصارة حضارة العرب بالاندلس ، ومجمع العلماء والادباء ومركز الثقافة والعرفان ، فنشأ وتربى في احضانها وافاد من نشاطها العلمي ، واعانه على ذلك وجود اسرته التي كانت مولعة بالادب ولوعا عظيما ، ومهتمة بالثقافة الاسلامية اهتماما بالغا ، ويكفيك دليلا على ذلك ان اباه هو ابو القاسم محمد بن احمد بن جزي الكلبي الذي اشتهر في غرناطة وتولى الخطابة بمسجدها الاعظم على حداثة سنه والف كتبا متعددة في الفقه والاصول والقراءات ، وهو صاحب كتاب القوانين الفقهية الشهير ، مات شهيدا بجزيرة طريف سنة 741 هـ .

ولم ياخذ العلم عن ابيه فقط فقد كان له اخوان مشتهران في عالم الادب والشعر ، اما احدهما فهو ابو بكر احمد الذي كانت له مشاركة في كثير من العلوم وهو الذي صدر اعجاز قصيدة امرىء القيس تصديرا بديعا فيقول :

اقول لعزمي او لصالح اعمالي
(الا عم صباحا ايها الطلل البالي)
اما واعظي شيب سما فوق لمتي
(سمو حباب الماء حالا على حال)
انار به ليل الشباب كأنه
(مصابيح رهبان تشب لقفال)
نهاني عن غي وقال منبها
(الست ترى السمار والناس احوالي)؟
يقولون غيره لتنعم برهة
(وهل يعمن من كان في العصر الخالي)
اغالط دهري وهو يعلم انني
(كبرت والا يحسن اللهو امثالي)

الى نهاية هاته القصيدة التي ارى من واجب القراء ان يرجعوا الى اصولها ليدرسوها . (*)

(*) نفح الطيب للمقري الجزء الثامن من الطبعة الجديدة التي حققها وعلق عليها الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد صفحة 32 — وكتاب ازهار الرياض لنفس المؤلف مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر الجزء الثالث صفحة 182 .

الذين قالوا : «ان بواعث الشعر قد محيت من الوجود» قال ابن الصباغ العقيلي معلقا على هذا البيت (*) : ما ابدع تخلصه للمدح واطبعه ، فانه اشار الى قول الشاعر رادا عليه بالتبكيت ومعلقا عليه بالتعنيت :

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة
باب السماحة والملاحة مغلق
مات الكرام فلا كريم يرتجى
منه النوال ولا مليح يعشق

واستمر فى مدح الملك بعد ذلك وهنا اظهر فنه المعهود واصبح فى شعره شبيها بابي تمام الذي كان لايصوغ الشعر الا بعد التزين بالمحسنات اللفظية والمعنوية ، الا نرى الى قوله :

ملك البأس والندى فهو بالسـ
ـيف وبالسيب عائث او غائث

انه فى هذا البيت انى بمقابلة بين صفتين يمتاز بهما ابو عنان وتعمد فى التعبير عنهما جناسا بين السيف والسيب وبين كونه عائثا وغائثا . ثم سما شعره حين قال فى وصف الملك :

محرز المجد والثناء فهذا
سائر في الورى وذلك لابث

ان القارىء يشعر فى هذا البيت بقوة شعرية استطاع بها ابن جزي ان يعبر عن هذا المعنى الطريف بهذا النوع من الايجاز ، انه ليس هناك فى المدح للملوك اعظم من مجد لابث لايفنى ولا يزول ، ومن ثناء سائر فى الورى تتناقله الاجيال وتتحدث عنه الالسنة لايحد بصقع ولا يوقفه الحدود .

ولقد احسن شاعرنا حينما كان يصف الخيل والفرسان والسيوف ، وهو حينما اراد ان يعبر عن حدة هاته شبهها بحدة ذهن ابي عنان ، وبذلك شبه المحسوسات بالمعاني اعتبارا منه بشهرة ذكاء ابى عنان فى كل مكان .

والمواضي كانها قد اعيرت
حدة الذهن منه عند المباحث

ولقد عبر عن الشدة التي تهوي بها السيوف على رؤوس الاعادي بانها تتقدم الى الوغى وكانها الذكور العطائش ولكنها ما تلبث ان تنهل من دماء الاعداء فتعود وكانها النساء الطوامث

فيردن الوغى ذكورا عطاشا
ثم يصدرن ناهلات طوامث

وفى الخاتمة قدم القصيدة وهو مطمئن اليها راض عن صنعها لانه يعتبر نفسه اشعر اهل زمانه لا يدانيه احد من الشعراء :

زعماء القريض ابقوا بقايا
كنت دون الورى لهن الوارث

ثم تحدى النقاد الذين يحاولون ان يستصغروا شعره او يستضعفوا قصيدته قال :

من اراد انتقادها فهي هذي
عرضة البحث فليكن جد باحث

ان هاته الثقة التي كان يوليها ابن جزي لنفسه تستمد حصانتها من ثقافته الذاتية ، ومن مركزه الاجتماعي ، ومن قدرته على الافصاح عن عواطفه بكل دقة واتقان .

وانما قدمت للقراء هاته القصيدة ليطلعوا على جانب من جوانب العبقرية فى شخصية ابن جزي بالنسبة الى الشعر ، وأما بالنسبة الى النثر فقد كان مشتهرا به ايضا ولذلك التجأ اليه ابو عنان المريني حينما اراد ان يختار كاتبا لرحلة ابن بطوطة .

وابن جزي فى نثره ينحو منحى ادباء عصره في الاعتماد على السجع فى كثير من منتجاته ، الا اننا نراه فى الرحلة لم يتعمد ذلك فى المقدمة والخاتمة ، وأما غالب الرحلة فقد الفها بنثر مرسل لاتكلف فيه ولا تعمد ولذلك يعتبر نثره فى الرحلة احسن بكثير منه فى غيرها لخلوه من التصنع وبعده عن الاسفاف ، والى القراء مقدمة رسالة كتبها الى ابي عنان المريني يهنئه فيها بابلال ولده وولي عهده ابي زيان من مرضه ، وفيها ورى بكثير من الكتب حتى اصبحت الرسالة وكانها لائحة خزانة عامة :

« ماذا عسى ادب الكتاب يوضح من
خصال مجدك وهو الزاهر الزاهي
وما الفصيح بكليات موعبها
كاف فيأتي بابناء وانباه

(*) نفح الطيب الجزء الثامن صفحة 45 .

يـا مضيـع العهـود واللـه يعفـو
عنـك انـي ارتضيت خطـة ناكـث ؟
غـرنـي منـك والجمـال غـرور
وظبـا اللحـظ فى القلـوب عـوابـث
مقـل يقسمـن اعشـار قلبـي
بالرضـا منـي اقتسـام المـوارث
كيـف غيـرت بانتـزاحك حـالـي
وتغيـرت لـي ولست بحـارث؟
فـرط حبـي وفـرط بخلـك آلـى
ان عينيـك بالفتـور نـوافـث
ونـدى فـارس وحسنـك ردا
قـول مـن قـال سد بـاب البواعـث
ملـك البـاس والنـدى فهو بالسـ
ـيف وبالسيب عـائـث او غـائـث
محـرز المجـد والنـاء فهـذا
سائـر فـي الـورى وذلـك لابـث
اوطـا الشهـب رجلـه وتـرقـى
صاعـدا فـي سمـوه غيـر ماكـث
فـدرار نسـرى ومـا لحقتـه
ونجـوم خلـف القصـور لـوابـث
ولـه المقـربـات لا بـل هي العقـ
ـبان من فوقهـا الليـوث الدلاهـث
مطلعـات مـن كـل نعـل هـلالا
فلهـذا تجلـو دجـى كـل حـادث
ان ترافعـن فالجبـال الرواسـي
او تسابقـن فالغيـوث الحثائـث
والمـواضـي كـانهـا قـد اعيـرت
حـدة الذهـن منـه عنـد المباحـث
هـي نـار محـرقـات الاعـادي
وهـي مـاء مطهـرات الخبـائـث
فيـردن الوغـى ذكـورا عطـاشـا
ثـم يصـدرن نـاهـلات طـوامـث
مـن معـانيـه قـد رابنـا عيـانـا
كـل فضـل نصـه مـن يحـادث
خلـق كالنسيـم مـر سحيـرا
بالازاهيـر فى البطـاح الـدمـائـث
فـي سبيـل الالـه تقصي وتـدنـي
وتـوالـي فـي ذاتـه وتنـاكـث
شـرف الملـك منـه سـام وحـام
ففـدتـه سـام وحـام ويـافـث

هـاكهـا مـن بنـات فكـري بكـرا
ليس يسمـو لهـا مـن الناس طـامث
ذات لفـظ لا يعتـريـه اختـلال
ومعـان لا تنتحيهـا المبـاحـث
زعمـاء القـريـض ابقـوا بقـايـا
كنـت دون الـورى لهـن الـوارث
مـن اراد انتقـادهـا فهـي هـذي
عرضـة البحث فليكـن جـد باحـث

ان هذه القصيدة تظهر منهج ابن جزي فى شعره ، فهو جزل الالفاظ متين العبارة ، قوي الخيال يعتمد على التزيين والصنعة فى كثير من ابياته ، ويتصرف فى انواع البديع من جناس وطباق ومقابلة ، ويسير على نهج القدماء فى حسن المطلع وحسن التخلص وحسن الخاتمة ، لذلك نراه ابتدا قصيدته بالغزل وصور فى مقدمتها عبث المحبوب بقلبه وكيف افقده المقاومة لانه اصيب بسهام من مقلتيه حتى اذا اراد ان يسلو عنه وجد من حسنه ما يدعوه الى الحنث :

ومبسـن آلنهـا بالتسلـي
فقضـى حسنـه بانـي حانـث

وفى هاته المقدمة يتنازل الى حكم القضاء ويعترف بانه ليس وحيدا فيما يقاسيه ويستغل فـي التعبير عن ذلك بعض الوان البديع فيقول :

لست وحـدي اشكـو بليـة وجـدي
ان داء الغـرام ليـس بحـادث

حتى اذا انتهى من الغزل تخلص الى المدح بقوله:

ونـدى فـارس وحسنـك ردا
قـول من قـال سد بـاب البواعـث

وفى هذا التخلص اظهر الدواعي التي تبعث الشاعر على التغنم بشعره وتحرك فيه جذوة العاطفة فيصهرها ابياتا ناطقة بما يكنه فى الفؤاد .

ان هاته الدافع ترجع الى صفتين لماعتين : اما الاولى فالكرم وقديما قالوا : اللهى تفتح اللهـا ، واما الثانية فالجمال ، وشاعرنا يفيض شعرا لانه يستمتع بالعاملين معا فابو عنان منبع الكرم ، وعشيقه منبع الجمال ولذلك انطلق لسانه بالشعر ، ورد على

وذكرها شيخنا المحدث الرحال شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جابر بن حسان القيسي الوادي آشي نزيل تونس ، ونص كلام ابن جبير ثم قال : ولقد احسن فيما وصف منها واجاد ، وتوق الانفس للتطلع على صورتها بما افاد ، هذا وان لم تكن بها اقامة ، فيعرب عنها بحقيقة علامة ، ولا وصف ذهبيات اصيلها وقد حان من الشمس غروبها ولا ازمان حقولها المنوعات ، ولا اوقات سرورها المنبهات ، وقد اختص من قال : الفيتها كما تصف الالسن ، وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين ; قال ابن جزي والذي قالته الشعراء فى وصف محاسن دمشق لايحصر كثرة ، وكان والدي رحمه الله كثيرا ما ينشد فى وصفها هذه الابيات وهى لشرف الدين بن محسن رحمه الله تعالى:

دمشق بنا شوق اليها مبرح
وان لج واش او الح عذول

بلاد بها الحصباء در وتربها
عبير وانفاس الشمال شمول

تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق
وصح نسيم الروض وهو عليل

وهذا من النمط العالي من الشعر ، وقال فيها عرقله الدمشقي الكلبي :

الشام شامة وجنة الدنيا كما
انسان مقلتها الغضيضة جلق

من اجلها لك جنة لا تنقضي
ومن الشقيق جهنم لا تحرق

وقال ايضا فيها :

اما دمشق فجنات معجلة
للطالبين بها الولدان والحور

ما صاح فيها على اوتاره قمر
الا يغنيه قمري وشحرور

يا حبذا ودروع الماء تنسجها
انامل الريح الا انها زور

وله فيها اشعار كثيرة سوى ذلك وقال فيها ابو الوحش سبع بن خلف الاسدي (رجز) :

سقى دمشق الله غيثا محسنا
من مستهل ديمة دهاقها

مدينة ليس يضاهي حسنها
فى سائر الدنيا ولا آفاقها

تود زوراء العراق انها
منها ولا تعزى الى عراقها

فارضها مثل السماء بهجة
وزهرها كالزهر فى اشراقها

نسيم روضها متى ما قد سرى
فك اخا الهموم من وثاقها

قد رتع الربيع فى ربوعها
وسيقت الدنيا الى اسواقها

لا تسأم العيون والانوف من
رؤيتها يوما ولا استنشاقها

ومما يناسب هذا للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني فيها من قصيدة وقد نسبت ايضا لابن المنير :

يا برق هل لك فى احتمال تحية
عذبت فصارت مثل مائك سلسلا

باكر دمشق بمتسق اقلام الحيا
زهر الرياض مرصعا ومكللا

واجرر بجيرون ذيولك واختصص
مغنى تأزر بالعلى وتسربلا

حيث الحيا الربعي محلول الحبا
والوابل الربعي مفري الكلا

وقال فيها ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي الغرناطي المدعو نور الدين :

دمشق منزلنا حيث النعيم بدا
مكملا وهو فى الآفاق مختصر

القضب راقصة والطير صادحة
والزهر مرتفع والماء منحدر

وقد تجلت من اللذات اوجهها
لكنها بظلال الدوح تستتر

وكل واد به موسى يفجره
وكل روض على حافاته الخضر

وقال ايضا فيها :

خيم بجلق بين الكأس والوتر
فى جنة هي ملء السمع والبصر

ابقى الله تعالى مولانا الخليفة ولسعادته القدح المعلى ، ولزاهر كماله التاج المحلى تجلى من حلاه نزهة الناظر ، ويتضح بهداه القصد الامم ، ولا زالت مقدمات النصر له مبسوطة ، ومعونة السعد باشارته منوطة ، وهدايته متكفلة باحياء علوم الدين وايضاح منهاج العابدين وارشاده يتولى تنبيه الغافلين » الى آخر هاته الرسالة التي يظهر اثر التصنع عليها (*) .

ولم يغفل مؤرخو الادب ذكر هذا الاديب العبقري الذي شاع نبوغه في المغرب والاندلس فقد قال عنه المقري في نفح الطيب (*) : انه اعجوبة الزمان ، ونقل عنه من كتاب نثير الجمان لابن الاحمر قوله : « وكان رحمه الله تعالى طلع في سماء العلوم بدرا مشرقا ، وسارت براعته مغربا ومشرقا ، وسما بشعره فوق الفرقدين ، كما اربى بنثره على الشعري والبطين ، له باع مديد في التاريخ واللغة والحساب ، والنحو والبيان والآداب بصير بالفروع والاصول والحديث ، عارف بالماضي من الشعر والحديث ، ان نظم انساك ابا ذؤيب برقته ، ونصيبا بمنصبه ونخوته ، وان كتب اربى على ابن مقلة بخطه ، وان انشأ رسالة انساك العماد بين مساقها وضبطه ، وهو رب هذا الشان وفارس هذا الميدان ، ومع تفننه في الشعر فهو في العلوم قد نبغ ، وما بلغ احد من شعراء عصره ما بلغ ، بل سلموا التقدم فيه اليه ، والقوا زمام الاعتراف بذلك في يديه ، ودخلوا تحت راية الادب الذي حمل اذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس في الحمل » .

واذا كان هذا هو موقف النقاد منه فان اختيار ابي عنان له اذن كان صادرا عن خبرة ومعتمدا على اساس ، وراجعا الى استغلال هاته الطاقة الادبية التي كان متصفا بها ، لذا عمل ابن جزي جهد مستطاعه ليسير في كتابة الرحلة سيرا موفقا وليكون عند حسن ظن ابي عنان به فنقح العبارات وهذب الالفاظ ، واعتمد على بعض النصوص الوصفية التي استعملها بعض الرحالين قبل ابن بطوطة كابن جبير وابن جابر الوادي آشي ، ووشى تلك النصوص ببعض الاشعار التي تناسبها ، والى القراء اقدم فصلا من الرحلة ، فقد ذكر ابن جزي عند التعبير عن وصول ابن بطوطة الى دمشق قوله (*) : « ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين (اي وسبعمائة) الى مدينة دمشق الشام ، فنزلت منها بمدرسة المالكية المعروفة بالشرابشية ، ودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسنا وتتقدمها جمالا ، وكل وصف وان طال فهو قاصر عن محاسنها ، ولا ابدع مما قاله ابو الحسين بن جبير رحمه الله تعالى في ذكرها ، قال : « واما دمشق فهي جنة المشرق، ومطلع نورها المشرق ، وخاتمة بلاد الاسلام التي استقريناها ، وعروس المدن التي اجتليناها ، فقد تحلت بازاهير الرياحين ، وتجلت في حلل سندسية من البساتين ، وحلت من موضع الحسن بالمكان المكين، وتزينت في منصتها اجمل تزيين ، وتشرفت بان آوى المسيح عليه السلام وامه منها الى ربوة ذات قرار ومعين ، ظل ظليل وماء سلسبيل . تنساب مذانبه انسياب الاراقم بكل سبيل ، ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل ، تتبرج لناظريها بمجتلى صقيل ، وتناديهم هلموا الى معرس للحسن ومقيل . وقد سئمت ارضها كثرة الماء ، حتى اشتاقت الى الظماء ، فتكاد تناديك بها الصم الصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ، وقد احدقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر . والاكمام بالثمر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر ، وكل موضع لحظت بجهاتها الاربع نضرته اليانعة قيد البصر . ولله صدق القائلين عنها : ان كانت الجنة في الارض فدمشق لاشك فيها ، وان كانت في السماء فهي تحاذيها وتساميها . قال ابن جزى وقد نظم بعض شعرائها في هذا المعنى فقال :

ان تكن جنة الخلود بارض
فدمشق ولا تكون سواها
او تكن في السماء فهي عليها
قد ابدت هواءها وهواها
بلد طيب ورب غفور
فاغتنمها عشية وضحاها

(*) اقراها تامة في كتاب نفح الطيب الجزء الثامن من الطبعة الجديدة صفحة 50/49/48 وفي ازهار الرياض للمؤلف الجزء الثالث صفحة 200/199/198 .
(*) الجزء الثامن صفحة 41 .
(*) رحلة ابن بطوطة طبعة سنة 1320 هـ الجزء الاول صفحة 50 .

شخصية ابن عبد الله السائح الرباطي

للأستاذ : عبد الله الجراري

قضى شيخنا السائح حقبة ليست بالقليلة في اداء رسالته الثقافية بين قومه ثم مضى الى حيث يجد ثمرة اعماله الخالدة .

شنشنة الحياة في السير قدما طاوية مراحلها المتقاربة اعمارا واعمارا ، فهل يا ترى يشعر الغافل ويستيقظ الولهان ، فينظران بعين ملؤها الاسى والاسف على ارتحال عباقرة ، وانتقال نبغاء كثيرا ما تلهف الشعب على تكوينهم ، وسعى بصدق في ايجادهم حتى اذا ما لبت الظروف المطلب واسعفت برشحة من رشحاتها الضنينة انقلبت على عاداتها مكشرة فاودت باعز ما كانت اسعفت به ، انها شخصية عالمة قام المغرب ينافس بها نبغاء المعرفة في الشرق والغرب . شخصية نادرة من نوادر الاطلاع ، وآية بينة من آيات المعرفة — سواء في دروسه التلقينية او تحريراته العلمية ، او مذكراته الواسعة واحاديثه الفنية ، اذا جلس للدرس تصدى لتحليل موضوعه بطريقة سهلة منتجة مبناها السبر والتفسير ، والانتقال من اللفظ الى المدلول ثم منه الى المراد العلمي . وهو في هذه الاثناء كالطبيب المعالج اسبر غور تلاميذه مستعرضا اقدارهم ونفسية كل على حدة في اسلوب هو الى الجديد امس منه بالقديم كطريقة بين الطريقتين يكاد تلميذ المعاهد العصرية لايميز بين ما نشأ فيه من الدراسات ودراسات المترجم الذي كان في اكثرها يمزج تحليلاته العلمية بنوع خاص من الفلسفة الفنية والتعليلات الصحيحة التي تجعل الطالب القروي كغيره مؤمنا في اطمئنان بما يدرس من مسائل العلم لاسيما المشكل منها . اذ كان في تقريراته العلمية ، رجل الكشف والتنقيب عن مخبئات العلم ومكنوناته ازاء اسرار تشريعية تبعث بطبعها في التلميذ الولوع روحا جديدا يكون منه جوا صافيا للكرع من ينابيع المعرفة في هدوء .

فكان ينشيء تلامذته على الفهم والادراك ، مربيا في روعهم ملكة الاخذ ، وكيفية البحث والاستطلاع سواء في فروع العلم او اصوله ، وهذا ما نصبو اليه ، ونود بملء قلوبنا من رجال المعرفة لو ينهجون نهجه ويسلكون محجته لبناء صرح جديد في اجواء التكوين الصحيح ، اذ نحن احوج في عصرنا المائل الى هيئة عالمة تحمل مشعل التكوين المنتج بخلق اساليب يشع نبراسها على المعارف هنا وهناك على النهج الذي كان ينسج على منواله الشيخ السائح سائرا بخطا واسعة على افريزه حاملا لواءه الخفاق مشيدا بانتاجه في شتى المناسبات واكثر الاحاديث التي كانت تنبعث من اعماق شخصه المهيب ، وجده المتزن وطبعه اللين ومبدئه الثابت يجنح الى السلفية مترسما محجتها البيضاء ، ذائدا بكل ما اوتي من جهود عن مذاهب اهل السنة في كفاح مستمر ، وجهاد متواصل .

فيا خيبة من بدا بمظهر البدعة ومنظر الشعوذة والتدجيل فهناك يتجلى غضب الاستاذ وحنقه وقد زوى وقطب ما بين عينيه مفوقا سهامه الصائبة لجماعات التضليل والتهريج ، باعثا الحجة تلو الحجة حتى تراهم وقد اندحروا منهزمين زرافات ووحدانا خصوصا من تقمص منهم بسربال التصوف الكاذب ، وتجرد للخداع في ستار مموه او سجاف مبرقش لاقتناص البسطاء ، والايقاع بالضعفاء ، وحرصا منه على خدمة السنة وتنوير الافكار ، حبر رسالة تحدث فيها عن ادعية واذكار بعض المتصوفة داحضا فيها دعاويهم العريضة ومبارياتهم المفرضة التي تنم عن

ومتــع الطــرف فى مــراى محاسنــه
وروض الفكــر بين الروض والنهــر

وانظــر الى ذهبيــات الاصيــل بهــا
واسمع الى نغمات الطير فى الشجــر

وقــل لمــن لام فى لــذاتــه بشــرا
دعني فانك عندي من سوى البشــر

وقال فيها ايضا :

امـــا دمشـــق فجنـــة
ينســى بها الوطـــن الفريـــب

للـــه ايـــام السبـــوت
بهـــا ومنظـــرهـــا العجيـــب

انظـــر بعينـــك هـــل تـــرى
الا محبـــا او حبيـــب

فى مـــوطـــن غنـــى الحمـــام
بـــه على رقـــص القضيـــب

وغـــدت ازاهـــر روضـــة
تختـــال فى فـــرح وطبـــب

واهل دمشق لا يعملون يوم السبت عملا ، انمـا يخرجون الى المنتزهات وشطوط الانهـار ودوحـات الاشجار بين البساتين النضيرة والمياه الجارية فيكون بها يومهم الى الليل ، وقد طال بنا الكـلام فى محاسن دمشـق فلنرجع الى كلام الشيخ ابي عبد الله .. انتهى كلام ابن جزي .. اقول : وانما كتبت هذا الفصل على طوله ليعرف القارىء مدى تأثير ابن جزي فى كتابـة الرحلة وكيف اخرجها من كتاب تسرد فيه الحوادث الى كتاب ادبي يستمتع القارىء بطرفه وملحه ويستلذ بدرره ومنحه .

وليت ابن جزي عاش مدة طويلـة بعـد كتابـة الرحلة ليرى بنفسه الاثر الحميد الذي حققته هاتـه الرحلة الطريفة ، فهو قد التحق بربه بعد ثمانية اشهر من كتابتها وهو فى سن مبكرة فقد توفى بفاس فى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شـوال سنـة 757 هـ ، ودفن وراء الحائط الشرقي للجامع الاعظم بالمدينـة البيضاء (فاس الجديد) .

هذا واني ارى من المفيد بعد ان درسنا الجانب السياسي والادبي فى كتابة الرحلة ان اقدم للقراء عرضا موجزا للمشاهدة العامة التي خلدت برحلة ابن بطوطة وصاغها ابن جزي باسلوبه الجميل وذلك هو موضوعنا فى حديث آخـــر .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ



يؤمن ، فالشك عنصر من عناصر الدقة ، وسلم الاستطلاع والوقوع على الحقيقة ، وبالصدف عن فكرة الشك ينشأ الرضى بالتقليد وينطبع فى النفس الميل الى التواكل ، والخمول ، وما اليهما من صفات الخنوع القاضية على حرية التفكير وانطلاق الضمير .

ما عاش من عاش مقيدا — ولا ننسى دروسه التفسيرية التي كان يبعثها على جناح الاثير المغربي فى ثاني الربيعين من سنة 1360 ه بطريقة الاختيار لآي من الذكر الحكيم تارة فى الاحكام واخرى فى القصص وآونة فى الكون والطبيعة ، ففي التشريع ينشر آراء الائمة ومذاهبهم فى كل فرع والادلاء بكل من النصوص القائمة والحجج الناهضة دون ان ترى له تحزبا لمذهب او تعصبا لنحلة ولو مذهبه المالكي ، انما الحكم العدل والفيصل الحق لقوه الدليل ونهوض الحجة .

اما القصص فكان يبسطها متلمسا من ثناياها الحكمة والعبره ، وما كان احب اليه حديث القصه والذه اليه حيث يعيره التفاتا خاصا واهتماما غريبا يستوحى من بين سطوره مثلا عليا ، واخلاقا فاضلة تكون لها حميد الاحدوثه فى نفوس المستمعين وعلى الاخص منهم النشء الناشئ الذى تعد القصة من أهم العوامل الناجحة فى توجيهه الخلقى والثقافى . وما انفكت تلك الدروس التفسيريه لسورة يوسف عليه السلام مرتسمة بالاذهان لما كان لها فى القلوب من الوقع الحسن والعظة المؤثرة — كتفسير قول الله تعالى : (وان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) وقوله : (اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) وقوله : (كذلك كدنا ليوسف) ومن عبقريته ، انه كان لا يقف فى تقاريره العلمية موقف الحاكي يجلب نصوص الكتاب والمفسرين ويعرضها عرضا جافا دون ان يكون له حظ الاخذ والرد بل

والتوليد والابتكار فى غير ما فن . ولمحمود باشا البارودي :

لولا مواهب فى بعض الانام لما
تفاوت الناس فى الاقدار والقيم

وها هو ذا يقول اثناء محاضرته الثانية : (ان من انواع الاساليب اللفظية المتعددة — ان يوجد خلال فواصل الآي المقفاة فواصل اخرى مغايره للفواصل التي بنيت عليها السورة ، وهو نوع على نهجه بنى التوشيح ، وعلى نيرنه ارتكز اسلوبه . لم اجده منصوصا لغيري ، وانما وفقت اليه) ولا بدع ان يلهم شيخنا السائح لابتكار هذا النوع اللفظي البديع الذي يسمح لشخصه العالم بوصف العبقرية وانطباقها على مهارته الفنية على راي كنط الفيلسوف الالماني الذي قال عن العبقري : (انه من عمل شيئا ابتكره ابتكارا ، ولم يقلد فيه احدا تقليدا ويصبح عمله اثرا يتبعه الناس من بعده) أو راى مثله من فلاسفة الشرق والغرب ممن وقف اقلامهم فى كلمة (عبقرية) وتحديد مدلولها ، وهو السائح ما برح يجلى فى حلبة العبقريه ويسمو فى اوجها بذكائه الفطرى وعقليته الجبارة متابعا البحوث الرامية الى تحليل الطاقة الذرية والتطلع من بعيد الى معرفة ذراتها . وبذل الجهد لادراك كنه ما يثار من اجزائها ، وما يتطاير من جواهرها . ومنشا مفعولها العالمى العام الذى خدر اعصاب حتى مخترعيها وسواهم من عباقرة الدول فغدوا يفكرون فى اندهاش او تسعها تحت نير الرقابة تفاديا من شرها المتوقع ، ولا ما يدعو الى الغرابة اذا ما كانت الكلمات تروغ وتفرع فيسطو عليها قلم الرقابة ومقراض التحذير والتشويش .

ورغم ان مزايا المترجم افسح من هذا فلنقف القلم قائلين : يكفى من القلادة ما احاط بالجيد .

الرباط : عبد الله الجراري
مفتش بوزارة التربية الوطنية

استقصار الوارد عن الرسول الاعظم اعطاها لقب (المنهل الوارد في تفضيل الوارد) وهي طافحة بالبيانات التقديرية لاذكار الرسول صلوات الله عليه في تاييد بعضها من ءاي الوحي المبين مثل قول الله تعالى : (ولله الاسماء الحسنى فادعو بها ، وذروا الذين يلحدون في اسمائه) وقوله : (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ولا نذهب بعيدا عن فهم افكاره تلقاء حملاته الشعواء على رؤوس الغواية — اذ لم يكن متطرفا فيها ، ولا في حربه متعسفا، بل كان يقف في وجهته الاصلاحية موقف المتبصر المعدل — يميز الخبيث من الطيب ، والرديء من الجيد . فقد شاهدنا له مواقف دراسية حول الغزالي وافكاره الفلسفية والمنطقية في تهافت الفلاسفة ، ومعيار العلم يعرضهما للبحث ، ويضعهما على محك الدرس والنقد لافتا نظره صوب ما كتبه نقاده ، وما حاولوه بمعاولهم الهدامة من اسقاط شخصه الفلسفي ، قائما مقام الموفق بين آراء المنتقد وناقديه بما يخلق من الموقف انتصارا لجانب فيلسوف الاسلام الغزالي، وبنفس الظاهرة نجده كذلك يذود عن فلسفة ابي الوليد بن رشد ، وتصويب حكمته . ودراستها بالطرق القانونية والاساليب الفنية لحد الاعجاب بآرائه ، والاستشهاد بمقالاته والعكوف على فهم كتابه : (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) كما كان يفصل المستشرق ارنست رينان الذي افرد الفيلسوف ابن رشد ببحث خاص ومن بين سطور هذه الدراسات العميقة يتخلص لافكار الشيخ الاكبر محللا غموض عباراته المشككة ، واساليبه المعقدة ، وفهومه الخاصة في (الفتوحات والفصوص) اذ يبسطها بسطا نرى فيه منغمرا في اذواق الشيخ ونزعاته الصوفية سابحا في بحر خياله المتموج آملا بلوغ شاطىء النجاة حيث الملتمس المنشود . ورغم هذا النصب النعبل يبقى في قرارة النفس شيء من تلك الدراسات النفسية وبالاخص عندما تبدو للدارس اعلام عالم النفس والروح فيعود من هذا المبدا حامدا سلامة الاياب مؤمنا ببعض ، متوقفا في بعض .

ويود الكاتب لو شارك القارىء في حلقة من حلقات المترجم ايام كان يدرس شفاء القاضي عياض سنة 1346 هـ موافق 1927 م بمناسبة بزوغ هلال ربيع النبوي — فيرى كيف كان يحط رحاله ويتصدى لديباجة الشفاء العامرة .

كلهم حاولوا الدواء ولكن
ما اتى بالشفاء الا عياض

فيعرض فيها لاراء القوم وافكارهم الصوفية بينا نجده محلقا في سماء الولاية مبددا سحب الاوهام والخرافات اذا بك تلفيه منتقلا الى مقام الصديقية ، ثم منها الى منبر الوحي والنبوءة في نظام تعلوه مسحة حال في جلد وقوة .

وان انس فلا انسى مسامرته القيمة حول (فخر الدين الرازي) بمعهد الدروس العليا بالرباط سنة 1943 م موافق 1362 هـ ثاني عبد المولد النبوي تحت رئاسة صاحب السمو الملكي المولى الحسن مسامرة ممتعة برهن فيها الشيخ عن مقدرة فائقة في كيفية العرض والبحث على نسق ما يطرقه علماء الاستشراق في ابحاثهم العلمية ودراساتهم الواسعة تحليلا واستنتاجا اندهش لهما الحاضرون — في تقدير واعجاب اذ حلل شخصيته تحليلا عميقا حتى ما ترك منقبة من مناقبه الا ونشرها خصوصا ما يمت منها الى الفلسفة والنفس بسبب ، ظاهرة حفزت قدماء الثانوية الادريسية لطلب الشيخ في الحاح اعادة مسامرته الفخرية بنادي المسامرات بفاس الفيحاء ، وما كان منه سوى ان لب الطلب العلمي على عادته مما جعل له في الاوساط العلمية والادبية صدى حميدا واثرا خالدا .

ومن هذه النبذة الخاطفة نتبين في وضوح ما كان لعلميته المتينة من الميل الطبيعي لدراسة الفلسفة وعلوم النفس والعطف الخاص على كل علمائها والذود بمارع الحجة عن ءارائهم المستقيمة وابتكاراتهم الصائبة في تأييد من الكتاب والسنة ما وجد لذلك سبيلا .

علاوة على ما كان لاطلاعه الواسع في العلوم الدينية والادبية والرياضية وسواها من المشاركة الكافية التي كونت من شخصيته مثال العبقري النادر، يطرق الفن فيهضمه هضما ويركب صعبه فينقلب عن كثب سهلا ذلولا ، ومتى ما اعتصت عليه بعض جزئياته، ووقف تجاهه موقف الاشكال — قام قومة الصنع اللبق لحلها مبددا غيوم الهوس والشك المساورين مندفعا لوضع جزء خاص حول المشكلة ، وكم له في هذا النوع من جرات لاترتاب ان تكون نتيجة الشك . وفي المثل : (اهتك ستور الشك بالسؤال) ولا يعزب عن بال المطلع ، ان الشك اساس اليقين ، ومن لم يشك لم

وتقـــززت مـــن زهـــور رباهـــــا   قرفــا ، بعـــد ان اصيب بنتـــن
ورايت « الــرؤوس » طاف بها حمــى الكراســـي ، ونـــالـــهـــا مـــس جـــن
فتخيرت فى الرفى « ســورة الاخـــلاص » مـــذ بـــات غيرها ليـــس يغنـــــي

ابهذا المصير ــ يـــا شعب ترضى ؟   ايها الشعب .. انت .. اياك اعني
انت مـــن هـــد للطـــواعيت ركـــنـــا   افـرضى بنـــوك تقويـــض ركـــن ؟

انت مـــن علـــم البطـــولات للـــدنيـــا وحققـــت بـــالكـــفـــاح التمنـــــي
انـــت مـــن حـــرر الشعـــب مـــن الحجـــر ، فـــلا تنخـــدع لغـــش وغبـــــن

انـــت مـــن ركـــز الكـــرامـــة فى الار   ض ، فلا ترضـــى بانخـــذال وجبـــن

انـــت مـــن عـــا العـــزائـــم بالجـــد . فعجـــل ولا تلـــذ بالتـــانـــــي

وطـــن المعجـــزات انـــت .. فحقـــق   وحدة الشعب دون ضعف ووهـــن
انـــت يا شعب جنـــة ؛ افترضـــى   ان يدوس الغـــراب جنـــات عدن ؟
فاعصـــف اليوم بالالـــى فى المبـــادىء   قلبـــوا ــ كالزمـــان ــ ظهر المجـــن
وارع عهـــد الشهيـــد ان دمـــــاه   تنذر الغشم كـــل خـــزي ولعـــن
ودع الـــدوح للبـــلابل تشـــدو   وابعـــث الشعـــر بالخـــلاص يهـــن

فرحتى .. وحدتي . وسعـــرى ضميرى . بسوى عيد وحدتـــي .. لا اغني ..

الرباط ــ **مفدي زكريـــا ، شاعر الثورة الجزائريـــة ..**





بسوى عيد وحدتي لا أغني

لشاعر الثورة الجزائرية
مفدي زكرياء

انا حطمت مزهري .. لا تسلني — وسلوت ابتسامني .. لا تلمني
ونبت بي عن الفنون ظنوني — يوم ان خاب في بني العم ظني

غاض نبع النشيد .. وانقطع الوحي ، وضاع الغنا .. واختفى المغني

انا من ردد الخلود نشيدي — وشدا الكون للبقاء بلحني
انا من الهب الشعور بشعر — ازلي ، كالعارض المرجحن

انا من علم القنابل والرشاش ، في الساح ان توقع وزني

انا من الهم المجاهد روحا — فانبرى للوغى يبيد ويفني

انا من خلد الجزائر في الدنيا ، ومن لقن ابنها كيف يبني

انا من اسكر الوجود بانغا — مي ومن هز عطفه بالتغني
انا من هدهد النزاع على نهـ — ـر دماها بصادحاتي وفني

انا ان كنت شاعر الثورة الكبرى ، فاني (لحلمها) لا اغني ..

واذا بالمصير هنا قوم — فبنو الصفوف ، لست اهنى ..
كنت للوحدة النداء المدوي — كيف للخلف ارهف اليوم اذني ؟

مذ تراءى الشقاق ، حطمت كاساتي على مبسمي ، واهرقت دني

مذ رايت السفين يجرفها اليوم لسوء المصير ، اغرقت سفني

مذ سمعت الغصون ينعي بها اليوم نجنبها .. وودعت غصني

صلى عليك الله يا خير الـــورى   وجــزاك بالحسنات خير جزائهـــا
وجــزاك عـــن بشريـــة انقـــذتهـــا   وعملت مجتهـــــدا على احيائهـــا
ودفعنهـــا بيديك فى سبل العــــلا   وبنيت أصل رقيهـــا وعـــلائهـــا
حـــررتهـــا وجعلت فى امـــوالهـــا   حقـــا لاهـــل الفقر مـــن أبنائهـــا
ساوبت بيـــن شعوبهـــا لافضل فى   بيضائهـــا يعلـــو علـــى سودائهـــا
حطمت اصنامـــا وجئت بشرعـــــة   لم تنتقـــص فيهـــا حقوق نسائهـــا
وجعلت للعقـــل السليـــم مكـــانـــة   شتـــان بيـــن حضيضها وسمائهـــا
ورفعت فى الانســـان انسانيــــــة   ما كـــان يحلم قبل فى اعـــلائهــــا
وجمعت اوصـــاف الكمـــال فكنت فى   ميدانهـــا تحمي رفيـــــع لوائهـــا
فالله اعلـــم حمث يجعـــل وحيـــه   فاختار نفسك اذ سمت بنقائهـــا

قـــم يا رسول الله فانظـــر امـــــة   بلغت حضارتهـــا عنـــان فضائهـــا
لكـــن بهـــان السود من أبنـــائهـــا   والبيض ــ مهما كان ــ من كرمائها
فى قلب « افريقيا » نرى آثـــارهـــا   بل فى « اميركا » لوتة من دائهـــا
زعمت بان العلـــم القـــى رحلـــه   فى أرضهـــا والحق فضـــل ردائهـــا
وبانهـــا مهـــد التقــــدم والعـــــلا   وجميع ما فى الارض من نعمائهـــا
كذبوا فلسى العلم تخريب الـــورى   بـــل للحياة وخيرهـــا وصفائهـــا

قم يا رسول الله يا مـــن يرتجـــى   حرر شعوب الارض مـــن اعدائهـــا
قم يا رسول الله يا مـــن يرتجـــى   طهـــر نفـــوس الناس من أدوائهـــا
قد كـــاد يطغـــى اليأس لولا نفحـــة   ذكـــراك تبعثهـــا بمجد سنائهـــا
يسرى مـــع الايـــام طيب عبيرهـــا   فنهـــز أنفسنـــا بحسن روائهـــا
ونعـــوم نكسب ما نحس من الـــرؤى   عـــل الوجـــود يفيـــد من لألائهـــا

أحمد محمد صقر
تطـــوان ــ عضو البعثة التعليمية العربية

في مولد الرسول

للشاعر أحمد محمد صقر

الشمس في اشراقها وصفائها ... في دار « آمنة » وملء فنائها
فالكون يبعث بالضياء وقد غدت ... افواحه تسري الى بطحائها
بطحاء « مكة » اذ قريش سادة ... وليت أمور حجيجها وسقائها
في همة شماء ذات متانة ... كصلابة الاصلاد في بيدائها
مع فطرة النفس البسيطة لم تزل ... نحيا على الموروث من آبائها
في قلب وديان بطون مسيرها ... ومضارب لخيامها أو شائها
وجلال سحر طبيعة فتانة ... ما بين أرض قفارها وسمائها
هي بيئة الرجل القوى شكيمة ... المستعر هناك في أرجائها
من بينها اختار الاله «محمدا» ... ليكون للدنيا مناط رجائها

ولد النبي هناك في أم القرى ... من حبر فتيتها وحر نسائها
فتهللت في يوم مولده الدنى ... وسمت بطلعته الى عليائها
وترقب الناس الخلاص من الذي ... لاقوه من « روما » ومن علوائها
واستبشروا بالنور يعلو زاحفا ... لبهر « فارس » في عظم بنائها
والدهر يحمل كل يوم آية ... تدني سفين الخلق من مينائها
فاذا النبوة كالصباح اذا بدا ... تبدو فتهدي الكون من اضوائها
وتقول للمظلوم : جاءك منصف ... فالعدل في الدنيا ضمان بقائها
وتقول للجهل : ارتحل من بيننا ... لسنا غداة اليوم من جهلائها
وتقول للطاغي : مكانك ؛ قد مضى ... زمن الطغاة بفسقها وبلائها
فالشعب مرجع كل أمر نافذ ... ان الشعوب مصادر لقضائها

فماذا ارى فى الصفوف ؟ (اعبد   المليك) بهودجه الاخضر ؟
رمى المعتدين بجيش اباة   وقبله جيش من الفكر
فواعجبا قاد ابطاله وهـ   ـو حي وميت الى الظفر
وماذا ؟ (ارضوان) بامر باسم   الامير الرجال ولم يؤمر ؟
و(احمد) قد اثخنته الجراح   فسال دماء ولم يشعر
وما هو الا المساء اذا الحـ   ـق ينصر والبغي لم ينصر
وجيش (سباستيان) مندحر الخطـ   ـو يرجو النجاة فلم يقدر
تركنا جموعه ما بين منقـ   ـطع وغريق ومنتحر
وكم خوفوه العبور فلم يـ   ـعط قومه سمعا ولم يعر
فمات عنيدا شجاعا قتيل   البطولة فى لجة النهر
كذلك ميتة كل عظيم   وهمة كل فتى عبقري
وبادوا جميعا سوى زمرة قد   مضت لسواهم بالخبر
ولم نبغ يوما على احد بـ   ـسوى الحق نهجا ولم نثار
هم حسبوا ارضنا نشترى   بعرش (دني) و (محتقر)
فنالوا قبورا ونالوا جزاء   وذكرا قبيحا على الاعصر
بطولة يوم سنرجعها   كأن لم تمر ولم تدبر
الى ان نعيد الى ارضنا كـ   ـل شبر سليب ومهتصر
ونرمي الخيانة من تربها   وكل عتي ومستهتر
غدا سوف ينفجر الشعب ان يـ   ـكن اليوم ليس بمنفجر
غدا سوف يصحو ، وكل غد   وصباح قريب لمنتظر

القصر الكبير : محمد الخمار

على وادي المخازن

للشاعر: محمد الخمار

اعد ذكر يومك للاعصـ ـر وقص صداه على السمر
كتاب تسطر بالدم فوق ترى أرضك الطيب الاسمر
فأمسيت منزل وحي ودار البطولة والافق النير
وصرت على شفة الدهر أنشو دة المجد والنصر والظفر
فما كان يومك الا (كبدر) والا (كحطين) او (خيبر)
وما كان ابطال يومك الا صناديد مفخره الاعصر
اعادوا لنا المجد صرحا اقامو ه بالسيف والدم والعثير
وتركهم الغاصبين وبغيـ ـهم للسباع وللانسر
فلبس ثرانا ثرى (بائع) يثمنه او ثرى (منسر)
ولكن عطاء من الله قد حميناه من دنس المجتري

(اوادي المحازن) ياصامتا وهـ ـو في صمته ضج بالعبر
اتيناك نملأ من فيض وحيـ ـك هذا البيان على الاسطر
ففي كل منعرج منك وحي وافق من الآى والسور
وما ان يزال صدى الحرب في روابيك في شطك الاخضر
يدوي باذاننا في جلال وفي روعة النغم المسكر
وصوت الحديد وحمحمة الخـ ـل والنار تعصف بالعسكر
وضجة وقع الحوافر في كـ ـبد الارض ترشح بالسرر
وخفق البنود والوية الجنـ ـد بين الخميسين كالانسر
كان الجميع زمانه لم يـ ـتخط القرون ولم يعبر
ونحن على شاطئيك وقفنا كأنا غدونا من الحضر

قصة الضيعة التي عادت

للشاعر: إبراهيم فعلي محمد

- 2 -

صبـــر علــى جمـــــــر :

ومضت خطواته . .
فى عزم ثائر
مهما كانت قسوة الخطب . .
صامــــــر !
وعداهم صبره . .
فانتحلوا الف طريقة :
رشقوا بالجمر .
بالاسواك ،
بالغدر طريقه
وهو صابر
جعلوا الرعب رفيقه
وهو ســابـــر
شنقوا الازهار . .
فى غصن الكرامه ،
احرقوا وجه العداله ،
سفوا صرح الشهامه ،
رفعوا من شأن . .
تجار النذاله ،
بنذالــه . .
وهو صابر !
لم يخامر . .
قلبه شك
بان النصر ظافر ! ! !

يـــوم النبـــــــــع :

وطغى حنقي فى ذات صباح !
: كنت فى « الضيعة »
فى حر الهجير . .
انسلى ،
فى الربى ،
بين الاقاحي
و . . قصدت النبع . .
ذا الماء النمير
لا لارواء غليلي .
انما . . « نهله » تاتيه . .
على كتفها جره .
كل ضحى
تحمل جره
وسرود النبـع . .
لم نخلفه مره
نغمس البلور . .
نملاالجرة منه ،
فاذا ماؤه زاه . .

رسالة شوق

للشاعر: أحمد البقالي

سارجع يوما قبل ان ينقضي عمري ... ففي وطني داري ، وفي وطني قبري
لقد ودعتني اعين لم تزل لها ... ندوب عميقات الاخاديد في صدري
ومرت على خدي شفاه عزيزه ... تعانقني سرا على ذلك الهجر
ومرت على صدري صدور حبيبة ... جوانحها ضمت على انجم زهر

*

وباكية حيرى اراحت جبينها ... على كتفي ، واستسلمت للبكا المر
تذكرت عينيها وقد اغمضتهما ... على ادمع حرى على الخد لم تجر

*

وكل الليالي الغامضات وسحرها ... على الافق الدامي مواكبه تسري
معطرة فيها من الورد والندى ... تنفس فيها الفل والسوسن البري
وكل السماوات المضيئات تختفي ... كواكبها البيضاء في زرقة الفجر
وكل صخور البحر تلمع حولها ... مروج على الشطئان في ساعه الجزر
وكل البراري والرمال وعاصف ... تثير عباب الماء في لجة البحر
لها صور لم تمحهن يد البلا ... بقلبي ، ولم تلعب بهن يد الدهر
وفي ذلك الوادي ستعشب جنة ... وتشرق شمس فيه لن يرها غيري

واشنطون ــ احمد البقالي

انه لا زال يكرع »
ورمى لي اخرى ،
وانسل ..
يسلم الباقي للشلال أسفل
واحاطت ،
بالوعول الصفر ،
نار الثار .. تثار !
لحمى النبع المعكر
ورنت نهلة ،
فوق التل ،
للنبع المعكر ..
فرات ثم عجوزا ..
تستر الوالد ...
بالارز المرقع
ودما سرب الوعول ..
الصفر .. تدفع
.. بين شلال مروع
وصفت ، من بطل ..
لا زال يرضع
لنشيد عربي يغمر الربع

التكتـــــــل :

واختفينا ..
من الربى السمر .. احتمينا
بها من جبن مقنع
. . . . . .
واني فيهم ..
دار ابى ،
كى ينسلم
من أبي أمرا ..
لاعدم
رقبوا .. علي أرجع
غير أني ..
لم ارد ،
مربــع !
عن راباتي السمر ،
ودعوت ..
كل مظلوم ..
الى أزري ،
فأسرع
وتجمع ،
فى الربى السمر ،

شباب .. همه ان ..
يرجع « الضيعة » او ..
فى طلب العزة يصرع
همه .. ان يطرد الغاصب
.. من « ضيعته »
مهما تكبد ..
من شقاء يتجلد ،

المســـاومـــــة فــاشلـــــــة :

واذا كدر امري ،
للعدى ،
نبع الاماني
بحثوا عني ،
وعن شرذمتي ،
كل مكان ..
وانا منهم دان ..
انا فى كل مكان ! !
غير ان الكبر ،
فى اعينهم ،
ليس يراني ..!
بحثوا عني ، ولما
بئسوا .. جاؤوا ابي ..
أغروه بي
: ان يتبرأ
مني ..
من اتباعي ..
ليهنأ ! !
والاموال ،
وعدوه الجاه ،
والجنة .. ان مني تبرأ
وعدوه ..
واذا داهمهم ..
صمت رهيب ، هددوه ..
بالردى ،
بالنفي ،
بالتعذيب ، لكن ..
لم يفد ،
بالتعذيب ، لكن ..
لم يفد ، لا الوعد ..
لا الارهاب ..
لا التعذيب فى ..
اعدام صبره !
فنفوه ..

يتبختر !
ثم ارجوها ..
لتسقيني ،
فتفتر ..
شفـــة الجرة ..
عن شهد معطر
لم تعد « نهلة » تخجل
كلما ارغب ..
ان تسقيني البلور ..
تفعل .
لم تعد ،
من عيني ، تخجل !
منذ عام ..
منذ جيل ..
منذ اكثر !
وانا نهلتي تسقيني ،
لوحدي ،
الماء سكر
لم تكن تمتد ،
للجرة ،
كف .. غير كفي
لم يكن غيري يقدر
. . . .
انما صبحي نعكر
: بينما نهلتي كانت ..
تملأ الجرة فى النبع
كان شيخ ثم يكرع
وصبي يتسكع
وعجوز ..
غسلت ازرا مرقع
وكست غصنا به ..
وانتظرت يبسه ..
كي تقدر ترجع
فاذا غيم غبار ..
يتقشع
عن وعول تقصد النبع
وارادت نهلتي ،
من تم ،
تنسل
فاذا الوعل ..
صاح .. الا تتعجل
: انني ظمآن ..
هاتي الجرة النشوى ..
لانهل
وترجل ..
وتمطى مخلب الوعل
يقصد الجرة ..
فوق القمة السمراء
لكن .. ترك الجرة ..
وانحط على التل .
عبث المخلب بالنهد المبجل
فرمت نهلة .. ..
بالجرة ! ! !
وجه الوغـــد
.. فانهال عليها ..
الصفع .. والركل ! ! !
وأتى صوتها ،
للبيدر ،
عرضا يتوسل .
و . . .
وعت اذنا ابيها ..
صونها الشاكي . . .
فاقبل
ينتضي المذراة ،
كالمارد ،
وانقض على الوعل
كاد بقتل ..
كاديردي الباغي ..
لو لم يتدخل
غادر من فرقة الوعل
. . . .
طعن الكهل
مرت المذراة ، فى بطنه ،
كالمحراث فى الحقل

بطـولــــة صبـــــي :

ورأى ذاك الصبي المتسكع
ما جرى للكهل فانسل
خلفهم ، كالبارق ، انسل
خاطفا رشاشات ..
القوم التي فى ضفة النبع
تركوها فى عناق مطمئن
ورمى احداها ..
للشيخ الذي ما زال يكرع
« يتظاهر . . .

الممالك الإسلامية القديمة في افريقيا

مملكة سغاي

للأستاذ : قاسم الزهيري

-4-

بقي ان نتحدث الآن عن ثالث مملكة سودانية نمت وترعرعت على أنقاض مملكة مالي وكان لها شأن عظيم الى ان دالت دولتها على يد احمد المنصور الذهبي اشهر ملوك الدولة السعدية . هذه المملكة هي مملكة سغاي أو امبراطورية « كماغـو » باسم عاصمتها كما سماها المؤرخون احيانا .

لقد ورثت هـذه المملكة حضارة المملكتين اللتين تحدثنا عنهما وبلغت أوج العظمة منذ القرن الرابع عشر ولم تضمحل الا في القرن السابع عشر . وحملت مشعل المدنية والاسلام خلال هذه الاحقاب كلها .

فكيف نشأت هذه الدولة ؟

لا نعرف على وجه التدقيق تاريخ نشوئها . والمؤرخون العرب ويوافقهم صاحب « تاريخ السودان » مجمعون على أن اصل نشأتها يرجع الى القرن السابع الميلادي ، أي يوافق تاريخ ظهور الاسلام . وقد كانت في الاصل مقاطعة صغيرة على ضفاف نهر النجر الاوسط على مسافة قريبة من مدينة كاغـو . وتعاقب عليها ملوك لايعرف بالضبط أصلهم من أسرة « دجة » يحتمل بعض المؤرخين أنهم من العرب . ويذهب آخرون انهم من البربر .

وكل ما نعرف ان عدد الملوك الذين تربعوا على كرسي الرئاسة اربعة عشر قبل ان يعتنق الاسلام الملك « دجة كسوي » . وذلك في اوائل القرن الحادي عشر الميلادي .

وبقيت مملكة سغاي قائمة لا شأن لها ، فكانت خاضعة لامبراطورية غانا ثم لمملكة مالي

وقد تقدم لنا ان كونكوموسى حين عودته من الحج علم بان نائبه ألحق هذه المملكة بامبراطوريته قرارها ، وكان عليها اذ ذاك ملك يسمى «دجه اسيباي» فاخذ كونكو موسى معه اثنين من ابنائه من جملة الرهائن حتى لا تسول لابيهما نفسه ان يتمرد في يوم من الايام . وكان احدهما يسمى يعلى كولين . تربى في قصر مالي كما تربى الامراء على اعمال الفروسية والحرب . وكان يحن دائما الى استرداد ملكه .

وانتهز فرصة وفاة الملك كونكو موسى ونشوب خلاف في قصر مالي ففر واستنفر قومه فبايعوه على الملك واعلن استقلال بلاده عن امبراطورية مالي . ومن ذلك الحين سمي بسني علي ، كان ذلك سنة 1464 .

جمع الملك الجديد أمره واخذ يغير على الاقطار المجاورة والتي كانت خاضعة لامبراطورية مالي ويلحقها بملكه حتى تكونت لـه مملكة شاسعة الاطراف في ظرف ثلاثين سنة .

ثم خلف سني علي على العرش أحد اعوانه المقربين واسمه محمد توري . وعرفت عائلة الملك من ذلك الوقت بعائلة سكيا . وكان محمد توري هذا من بناة الممالك الماهرين والمنظمين البارعين . فصرف همه في تنظيم الامبراطورية الشاسعة الاطراف التي ورثها من خلفه :

قسم الامبراطورية الى اربع امارات ، وعدد كثير من العمالات لضبط امورها . ورتب الوظائف

احتـــدام الثـــــــــــورة :

وطفت ثورتنا ..
ماجت بنا سمر الروابي
فاكتسحنا فى السهول ،
من ربانا السمر ،
اسراب الوعول
كان منا الاعزل ..
الثائر .. ثائر
.. يقتل الوعل ،
كان منا الاعزل ..
الثائر .. بائر
.. يقتل الوعل ،
ويستولى على قرنبه ،
كي يقتل آخر ،
لم يخفنا عدو ،
او عدة ،
أو غدر خائن ! ! !
لا . . .
ولا هدم المدائن ..
لم نروع
حين كنا ..
نرى اطفالنا فيلى
منذ يوم النبع ..
امسى ..
صبية الضيعة ..
للتفنيل ،
أهلا
لم نعد نخشى على ..
« ضعيتنا » التخريب
عمدا ..
نطعم النيران خيراتها ،
عمدا .

التسليـــــــــــــــم :

ورأى الغاصب أن ..
النصر لي ، حتما ؛
فسلم ! ! !
ومضى العار بخفي ..
وجهه الشاحب فى الدم .
واعيد الاب « للضيعة »
مكرم ..
لم نعد خده بلطم
لم يعد فوقها مرغم
لم يعد يزرع وردا
للسوى كي ينسم
لم تعد أحساؤه بالفم
تضرم ..
واننا حولنا الامنا
مجدا ..
وبعننا الشوك وردا
حينما قررنا ان نحيا
مع العزة . . .
أو بالعز نردى ..

الفنبطرة : ابن دوفة محمد

فكيف تـم ذلك ؟

هذا ما سنقصه باختصار مبينين المسؤولية التي تحملتها الدولة السعدية وبطل وادي المخازن احمد المنصور فى تقويض دعائم هذه الامبراطورية الاسلامية لقاء ماكان يرتجيه من اسلاب ومغانم . مع ان علماء المغرب الذين استفتاهم افتوه أول مرة بحرمان غـزو هذه البلاد الاسلامية لكن الغرور ركبه وغلبت عليه الاهواء والشهوات . فكان ما كان . . .

* * *

نهـايـة مملكـة سفـاي

انتهى الى علم احمد المنصور ما كانت عليه مملكة سفاي من غنى وكثرة الموارد ، ووصل الى سمعه ان بالبلاد معدن الذهب الخالص وان الناس يقصدونها من انحاء المعمور طمعا فى ابريزها . وبالغ المترددون على المغرب فى وصف الثراء الذي كانت تنعم به تلك المملكة ، فطمع المنصور فى تملكها .

خـرج منتصرا من وادي المخازن . ولم يخض معركة الا وكتب له الظفر . ونمهد له المغرب طولا وعرضا . فقوى نفوذ المنصور فى الداخل والخارج ، وهابته الملوك واصبحت تهاديه وتخطب وده وقد قال صاحب الاستقصاء : « ولم نزل الوفود مترادفة بباب المنصور . والارسال تصبح وتمسى على اعتاب تلك القصور الى ان لم نبق أحد ممن تتشوف النفوس اليه » .

كل هذه العوامل ملأت نفسه عجبا وكبرا ، فتره الى غزو مملكة سفاي بعد ما هادن الاتراك بالمغرب الاوسط وأبعد عن ثغور بلاده سيطرة البرتغال ، وكان لابد للمنصور من انتحال سبب للهجوم على الامبراطورية السودانية ، فوجده فى المطالبة بمناجم تغازى للملح . وهي مناجم تقع شمال الصحراء الغربية وكانت خاضعة لنفوذ آل سكية يستغلونها لمصلحة دولتهم .

والغالب أن المنصور انما جعل هذه المناجم ذريعة للهجوم على السودان . فلم تكن هذه المناجم شيئا يذكر حتى تستوجب تلك الحرب الضروس وما اقتضته من استعدادات هائلة . فلقد كتب ابن بطوطة عن مناجم تغازي ، وقد زارها قبل :

« وصلنا الى تغازي . . وهي قرية لاخير فيها . ومن عجائبها ان بيوتها ومسجدها من حجارة الملح وسقفها من جلود الجمال ، ولا شجر بها . انما هي رمل فيه معدن الملح يحفر عليه فى الارض فيوجد منه الواح ضخام متراكبة كأنها قد نحتت ووضعت تحت الارض . . وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعا ويتبايعون به » .

واطنب ابن بطوطة فى تحقير هذه القرية ، فبين ان ماءها زعاق وان الذباب والقمل يكثر بها ، مما يجعلنا نشك فى ان حب تملكها هو الذي دفع المنصور الى غزو مملكة سفاى ، والراجح انه انما هجم على هذه المملكة لما كان يؤثر عن غناها وما بها من معادن الذهب .

فى سنة 1545 بعث السلطان أحمد المنصور الى صاحب سفاي وكان اسمه اذذاك سكيه اسحاق بخطاب يطالبه فيه بمعادن تغازي . فاجابه ـ على ما قيل ـ بكتاب ورد فيه ما مفاده : « حاشا ان يكون احمد المنصور الذى عرض علي هذه العروض هو امبراطور المغرب . وحاشاني أن أقبلها . فاسحاق الذي سيقبلها لم يولد بعد » . وقبل كذلك ان اسحاق أمر الفا من توارگة بنهب ناحية درعة من اعمال المغرب على سبيل التخويف ثم بالعودة الى الصحراء .

على ان احمد المنصور لم يقم برد فعل عاجل . ومات اسحاق وخلفه سكيه داود .

وروى صاحب الاستقصاء قصة الغزو كاملة فذكر انالمنصور كاتب صاحبمملكة كاغو بعد اناستفتى العلماء فافتوه بان « النظر فى المعادن مطلقا انما هو للامام لا لغيره » فطالب المنصور سكيه اسحاق بان يدفع مثقالا من الذهب لكل حمل من الملح يدخل الى السودان ليستعين بهذا الخراج على جهاد الكفار .

ومن المفيد ان نذكر ما رواه صاحب الاستقصاء حول استفتاء المنصور للعلماء وما اجابوه به :

قال لهم المنصور : « اني عزمت على منازلة امير السودان صاحب كاغو وبعث الجيوش اليهم لتجتمع كلمة المسلمين وتتحد الرعية ، ولان بلاد السودان وافرة الخراج كثيرة المال يتقوى بها جيش الاسلام ويشتد ساعد كتيبته ، مع ان صاحب أمرهم والمتولي

والجيش والشرطة لضمان حسن تمشيها . وأصلح الجيش فجعل منه محترفين يقتصر دورهم على حماية الدولة وقسم العساكر حسبما تدعو اليه مصلحتها وجهزهم بآلة الحرب والعدة المعروفة اذ ذاك ، ثم جعل منهم حاميات وزعت على اهم العمالات للمحافظة على الامن .

ومن الناحية الاقتصادية اتخذ سكيا محمد تدابير شجعت على تنشيط التجارة وازدهارها ، ووحد المقاييس والموازين وضرب بيد من حديد على ضروب الغش . وقسم الضرائب حسب الدخل العادي لكل فرد . وازدهرت التجارة بالاخص مع المغرب ومصر وطرابلس . وكانت التجارة الخارجية وقفا على ثلاث مدن في المملكة هي : تونبوكتو ، وكاغو ، ودجيني . وكانت أوسع المدن حضارة وأكثرها تقدما كما سنرى بعد .

وقد كانت الحركة الثقافية والعلمية تواكب الحركة الاقتصادية . فكانت لا تخلو قافلة واردة من الخارج من فقهاء وعلماء يتوزعون على اهم حواضر الامبراطورية للقيام بالتدريس ، وكانت المؤلفات تجلب من أهم المراكز العلمية في العالم الاسلامي .

واستقدم الملك سكيا محمد عدة علماء اناط بهم وظيفة التدريس ، فامتلأت جامعة تنبوكتو ومدارسها التي كانت تبلغ 150 في ذلك العهد بالطلبة من جميع جهات افريقيا . واختار الملك مستشاريه من الفقهاء ، وكان لايتأخر عن مراسلة العلماء بفاس وغيرها في كل نازلة اشكلت عليه .

وتوجه الى الحج صحبة ثمانمائة من دائرته ، فاجتمع بالعلماء ومن بينهم السيوطي .

هذه نظرة عن النظام الذي احدثه الملك سكيا محمد . ولم تبلغ امبراطورية بافريقيا ما بلغته امبراطورية سفاي في عهده ، لا من ناحية اتساع الرقعة أو النظام والتقدم المادي والعلمي . لقد كانت الامبراطورية تحد في الشمال بمناجم تغازي للملح وتضم قسما عظيما من الصحراء الغربية وساحل العاج جنوبا ، بينما يحدها البحر الاطلسي من المغرب وشمال نيجيريا من الشرق . واذا اردنا ان نتكلم بالاصطلاحات العصرية فان مملكة سفاي كانت تشمل قسما كبيرا من صحراء الجزائر وموريطانيا ومالي والسينغال وغينيا وسيراليون وفولتا العليا والنيجير وشمال نيجيريا .

وان مما يبعث على الاعجاب ان هذه الامبراطورية على اتساع حدودها كانت تعيش في نظام وهدوء ورفاهية قلما كانت تتمتع بها دول في ذلك العصر .

ولقد خلف ليون الافريقي ومحمد كوتي وكلاهما شاهد عظمة مملكة سفاي في عهد سكيا محمد صفحات تشهد بعظمة هذه الدولة وتدل على مابلغته من درجة عالية في التقدم . وليس هنا محل تفصيل مظاهر رقي هذه المملكة الاسلامية التي نشأت في اعماق القارة السوداء واعطت الدليل القوي على عبقرية بناتها ، فكانت ولا تزال مفخرة افريقيا السوداء .

لقد كانت امبراطورية سفاي مليئة بالحواضر والقرى ، فلا تكاد نفصل المدينة والاخرى مسافة بعيدة ، ولكن أهم مدنها – كما تقدم – هي دجيني ، وتنبوكتو ، وكاغو . وقد يطول ذكر ما بلغته هذه الحواضر من تقدم ، وما كانت عليه من رقي . فيكفي ان نذكر بانها كانت مدن علم وثقافة زيادة على ما كان بها من نشاط تجاري ممتاز يربطها بأهم عواصم الدنيا . وقد بلغت الحياة الفكرية في هذه المدن وخاصة في كاغو وتنبوكتو درجة يمكن ان نقارنها نسبيا بما وصلت اليه هذه الحياة في بعض عواصم اوروبا اليوم .

وناهيك بتونبوكتو التي كانت توأمة لفاس ومراكش لا ينقطع التيار الفكري بينها . وقد وصفها المؤرخون وتغنى بها الشعراء وخصها الكتاب من أمثال السعدي واحمد بابا والحسن الوزان بصفحات مفيدة . وقد انجبت هذه المدينة مآت الفقهاء والعلماء الاجلاء في كافة انواع المعرفة التي وصل اليها الفكر البشري آنذاك .

هذه نظرة موجزة عن امبراطورية سفاي التي ظلت في أوج العظمة اريد من قرنين قبل ان تغير عليها يد الدهر . ورغم ان خلفاء سكيا محمد توري لم يبلغوا مقامه في الدهاء والسياسة والتبصر ، فان الامبراطورية ظلت راسية على قواعد متينة وبقي أهلها في بحبوحة من العيش الى ان برزت الاطماع وتعرضت لغزو لا قبل لها به ، فسقطت هي الاخرى ضحية التوسع والطغيان .

لا يعطي من الرواتب الا النضار الصافي والدينـــار الوافي . كان ببابه كل يوم اربع عشرة مائة مطرقــة لضرب الدينار الوافي دون ما هو معد لغير ذلــك من صوغ الاقراط والحلي وشبه ذلك . ولاجل ذلك لقب بالذهبي لفيضان الذهب فى ايامه » .

لكن مملكة سفاى — على خلاف ما ذهب اليـــه صاحب الاستقصاء — لم تذعن للامر الواقع . فسرعان ما انتظمت المقاومة من جديد برئاسة نوح سكية احد ابناء داود الذي تقدم ذكره . ودامت هذه المقاومـــة ازيد من اربع سنوات ، لم يستطع القائد محمـود ولا القواد والجنود الذين بعثهم المنصور لنجدة جيشه فى السودان اخمادها .

لقد كانت مقاومة شعبية تترصد لجيش الاحتلال وتهاجمه وتلحق به خسارات فادحة . حتى اصبـح هذا الجيش لا يستطيع الخروج من الحواضر الثلاث: كاغو ودجيني وتنبكتو . وكـان سكـان الحواضـر والادغال متواطئين مع رجال نوح . فكان ضبـــاط الجيش يفتكون بهم . وما تزال نكبة تنبكتو عالقــة بالاذهان حيث وقع البطش باعيان هــذه المدينــة وفى مقدمتهم العلماء الذين كانت تزخر بهم جامعة تنبكتو وقد نفى الكثير منهم الى مراكش مصفدين فى الحديد. وعلى رأسهم العلامة ابو العباس احمد بابا السوداني صاحب كتاب « تكميل الديباج » . وكان يقول : « انا اقل عشيرتي كتبا . وقد نهب لي ست عشرة مائــة مجلد » . وقد اعتقل هؤلاء العلماء بحاضرة مراكش .

ولكن تغريبهم على الصورة التي ذكرناها ووضعهم تحت الثقاف أحدثا هزة عنيفة فى الراي العام المغربي. فلم ير المنصور بدا من اطلاق ســـراح احمد بـابـا والتخفيف على الباقي من رفقائه فى المحنـة بعـد أن فرض عليهم الاقامة بمراكش . « فتصــدر الشيـــخ ابو العباس لنشر العلم وأهرع الناس اليه للاخذ عنه ، ولم يزل بمراكش الى ان مات المنصور » . فاذن لــه ابنه بالرجوع الى بلاده ، والتحق الشيخ بالســودان بعد اثنى عشر عاما قائلا قولته المشهورة « لا ردنــي الله الى هذا المعاد ولا رجعني الى هذا البلاد » .

رجع الى تنبكتو ، فوجدها قاعا صفصفا ، قـد بارحها راوؤها ، وانتثر عقد العلمـاء الذيـن كانـوا مفخرتها واصبحت نهبا لرهط من المتحكمين الدخلاء .

وكانت امبراطورية سفاي تلفظ النفس الاخير لتلتحق بالامبراطوريتين السابقتين : غانا ومالي . فلم تقم قائمة بعد القرن السابع عشر للممالك الاسلامية من هذا النوع على ضفاف نهـر النيجيـر وفى عمـوم افريقيا الغربية .

* * *

الاطماع الاوروبيـــة :

لقد اندفعت الدول الاوروبية وراء غزو افريقيا باسرها بعد ذلك بمدة يسيرة ، وتسابقت على التملك والاستغلال والاستعباد حتى كان تنافسها على المغانم يؤدى بها الى الاصطدام . فاجتمع مؤتمر برليـن فى أواخر القرن التاسع عشر ليوزع القارة السوداء على الدول الاعضاء ويحدد مناطق نفوذها حتى لا يبقـى نزاع بينها . تصرف هذا المؤتمـر فى رقعـة افريقيـا السوداء وسكانها تصرفا كاملا فوزعها ووزعهم كمـا اراد مراعيا فقط مصالح الدول الاوروبية الاستعمارية.

لكن تهافت هذه الدول وفى مقدمتها فرنسا على احتلال افريقيا الغربية تم ما نتج عن مؤتمر برلين من الاسراع فى امتلاك مناطق النفـوذ ، لم يمنعـا قيـام مقاومات عنيفة دامية استمرت عشرات السنين وظهر خلالها ابطال استماتوا دفاعا عن بلادهم من امثـــال عثمان دان فوديو ، واحمد بامب ، والحاج عمر طال ، وساموري . فكبدوا المستعبديـن خسائـر باهظـة ، وابانوا عن كفاءة ومقدرة فى تشييد الممالك ، لا تقلان عما امتاز به اسلافهم الاولون . ولكنهم لم يوفقـــوا حتى للمحافظة على حرية بلادهم امام تقدم الصناعة الحربية الحديثة وتآمر اوروبا اذ ذاك على اكتســـاح افريقيا السوداء وامتلاكها واستغلالها مصادر ثروتها.

* * *

خــــاتمــة

هذه نظرة سريعة عن ثلاث امبراطوريات نشأت فى جزء صغير نسبيا من افريقيا السوداء . وكم لهـا من مثيلات فى الاجزاء الباقية . وهي تعطينا صـورة عما بلغته هذه القارة من تقدم مـادي وفكـري كـان

لسلطنتهم اليوم معزول عن الامارة شرعا ، اذ ليس بقرشي ولا اجتمعت شروط السلطة فيه العظمى ، » فلما نتل المنصور ما فى كنانته وابدى ما فى خبيئته وعرض ما فى عيبته سكت الحاضرون ولم يراجعوا بشيء ، فقال لهم : « أسكتم استصوابا لرايي او ظهر لكم خلاف ما ظهر لي ؟ » فاجاب كلهم بلسان واحد وراى متفق : ان ذلك رأى عن الصواب منحرف ، وانه بمهامه عن الاراء السديدة ولا يخطر ببال السوفة فكيف بالملوك ، وذلك لان بيننا وبين السودان مهامه تقصر فيها الخطا ، وتحار فيها القطا ، وليس فيها ماء ولا كلاء يتاتى السفر فيها ولا اعتساف شيء من طريقها مع كونها مخوفة مملوءة الجوانب ذعرا ، وايضا فان دولة المرابطين على فخامتها ، ودولة الموحدين على عظمتها ، ودولة المرينيين على قوتها لم تطمع همة واحد منهم لشيء من ذلك ، ولا تعرضوا لما هنالك ، وما ذاك الا لما رأوا من صعوبة مسالكها وتعذر مداركها، وحسبنا ان نقتفي اثر تلك الدول فان المتاخر لا يكون اعقل من الاول »

وما انتهى العلماء من ابداء رايهم حتى رد عليهم احمد المنصور بما جعلهم يتراجعون ويقولون : « الهمت الصواب ولم نبق لاحد ما نقول وصدق من قال عقول الملوك ملوك العقلاء »

وهكذا تقرر مصير مملكة آل سكيه ، فاخذ المنصور يجهز جيشا ضخما بما يلزمه من عتاد حربي وقضى ثلاث سنوات فى الاستعداد : فجمع من القبائل ما يحتاجه من ابل وخيل وبغال ، وهيأ المدافع والمهاريس والبارود والرصاص والكور ، وانشأ السفن لعبر الانهار والبراميل لحمل الماء . وعبأ اثنين وعشرين الف جندي لغزو مملكة سوغاي ، وعقد المنصور على ذلك الجيش للقائد جؤذر وسيره لفتح هذه المملكة بعد أن بعث بانذار اخير الى اسحاق بن داود الذي آل اليه الامر بعد وفاة ابيه وحدوث بعض القلاقل فى مملكة آل سكية . وقد رفض اسحاق التاني الاذعان لهذا الانذار .

عبر جيش المنصور الصحراء الفاصلة بين المغرب والسودان بعد ما تجمع فى واد تنسيفت متخذا طريقه من ثنية الكلاوي ثم درعة ، وقطع مسافة الفي كيلومتر فى خمسين يوما حتى اشرف على مدينة كاغو عاصمة امبراطورية سفاي .

ثم وجه القائد جؤذر خطابا الى اسحاق يطلب منه الدخول فى طاعة المنصور . ولكن اسحاق رفض هذا العرض المشين واستعد للقتال . فجمع جيشا قوامه ثمانون الف مقاتل يشتمل على ثلاثين الف من المشاة واريد من عشرين الف فارس وكانت عدتهم القسي والرماح .

واصطف الجمعان . وبدات المناوشات . فاعطى جؤذر الامر للمدافع بقصف صفوف السودانيين . ولم يكونوا يعرفون هذا النوع الجديد من السلاح . ومع ذلك استماتوا فى الدفاع ، فكانوا يرمون خصومهم بالرماح الى ان اختلطوا بهم . لكن لم يلبثوا الا قليلا حتى بدات امارات الهزيمة تبدو فى صفوفهم ، فأعمل الجيش المغربي السلاح فى رقابهم وهم يستنجدون صائحين : « نحن مسلمون ، نحن اخوانكم فى الدين ». فلم ينته النهار حتى كان الجيش السوداني منهزما ، وفر اسحاق سكية فى شرذمة من قومه بعد ان اعطى الامر باخلاء كاغو العاصمة . ودخلها جؤذر منتصرا فاطلق السبيل لجنوده يسلبون وينهبون . ووجه اسحاق رسلا الى جؤذر يطلب الهدنة مقابل الدخول فى طاعة المنصور ودفع مائة الف مثقال من الذهب وترتيب خراج سنوى . واشترط ان ينسحب الجيش المغربي ، ويترك أمر مملكة سفاى لآل سكية . فاجاب القائد جؤذر بان الامر بيد المنصور وانه سيعرض عليه الاقتراح .

ولما علم المنصور بالمخابرات الجارية غضب وجهز جيشا جديدا عقد عليه للقائد محمود بن زرقون واعطى الامر بعزل جؤذر . فقطع هذا الجيش الصحراء فى مدة يسيرة الى ان وصل الى السودان . واخذ يلاحق اسحاق سكية فوقعت ثلاث معارك دامية انهزم فيها ما تبقى من جيش اسحاق . وتم احتلال حواضر مملكة سفاى وفر هذا الاخير الى الادغال . فعزله قومه ، وما فتيء ان هلك .

وقام بعد اسحاق اخوه محمود سكية ، ولكنه لقى نفس المصير على يد القائد محمود .

وكتب هذا الاخير بخبر الفتح الى المنصور . وبعث له هدايا عظيمة من جملتها على ما روى صاحب الاستقصاء « الف ومائتان من متخير الرقيق ، والجواري والغلمان واربعون حملا من التبر ، واربعة سروج ذهبا خالصا » وغير ذلك « حتى كان المنصور

معرض الكتب

المقريزي ورسالته: إغاثة الأمة بكشف الغمة

الدبيقي

للأستاذ: عباس الجراري

المقريزي نسبة الى مقريز وهي حارة في بعلبك بداخل لبنان عاش فيها اسلافه منذ زمن بعيد الى ان تحول عنها علي والده ورحل الى القاهره، وفيها وفي بيت بحارة برجوان بالجمالية ولد له احمد تقي الدين سنة ست وستين وسبعمائة (1364 م) ولم يكن والده من سعة الحال فكفل نشأته وتعليمه على المذهب الحنفي جده لامه شمس الدين بن الصائغ. وكان من كبار فقهاء المذهب ومحدثيه. ولم يقنع المقريزي بما اخذ عن جده وما درس بالازهر من علوم دينية ولسانية فعكف على قراءة كتب الادب والتاريخ والتقاويم ليلخص ما تحويه بطونها من حوادث واخبار ساعده ذهن وقاد وفكر شغوف بالبحث والاطلاع وكان لابد. وقد بلغ مرتبة في العلم عالية. ان تطلبه مصالح الحكومة، وكان لابد له كذلك ان يعمل للارتزاق. فالتحق موقعا (*) بديوان الانشاء بالقلعة، فنائبا من نواب (*) الحكم عند قاضي قضاة الشافعية وكان قد غير مذهبه الذي نشأ عليه ليتحمس للمذهب الجديد، ثم عين اماما لجامع الحاكم. فمدرسا بعد ذلك للحديث بالمدرسة المؤيدية.

ولاحظ السلطان ما فيه من الخلق والامانة وحسن الادارة، فعينه محتسبا بالقاهره والوجه البحري، يختلط بالتجار والصناع وارباب الحرف. وفي اثناء مزاولته لهذه الوظيفة تزوج وانجب بنتا لم تتجاوز سن السادسة حتى اودى بها الطاعون الذي اجتاح البلاد سنة اربع وثمانمائة، ولكنه لم يلبث ان ضاق بهذه المهمة وما تفرضه من اعباء ومسؤوليات، خاصة وقد صرفته عن العلم، فطلقها وعاد اليه مدرسا للحديث بالمدرستين الاقبالية والاشرفية في دمشق ومشرفا في نفس الوقت على اوقاف مارستانها النووي، ومن عاصمة الشام التي امضى بها عشر سنين، رجع الى القاهرة ليبعد الرحلة الى ارض الحجاز، ويقيم مجاورا بمكة خمسة اعوام قضاها كلها في التدريس والتاليف، واخيرا وكأنه سئم حياة الرحلة والتنقل عاد الى القاهره والى حي الجمالية ليعيش بقية ايامه في حارة برجوان، ويجعل من بيته المتواضع ناديا يجمع تلاميذه ومريديه. الى ان كانت سنة خمس واربعين وثمانمائة (1442 م) فانطفأ سراجه وقد خلد اسمه مقترنا باعظم مؤرخي مصر منذ العصور الوسطى، وبقيت مؤلفاته نفائس بيد كتب التاريخ المصري.

ولعل من اهم ما يميز المكتبة المقريزية تنوع مؤلفاتها وعدم سير صاحبها على نمط واحد في التاليف. فهي اما كتب طويلة تكاد تكون موسوعات واما رسائل لاتتعدى موضوعها فكرة او حادثة.

فاما الاولى ويظهر انه شرع في كتابتها بعد استقالته من وظيفة الحسبة واقامته للتدريس في دمشق ثم في القاهرة بعد ذلك، فمنها « امتاع الاسماع بما للرسول من الابناء والحفدة والاخوان والاتباع » (*)

---

*) اي كاتبا، وديوان الانشاء هذا كان اشبه بوزارة الشؤون الخارجية اليوم.

*) اي قاضيا. *) برقوق وذلك سنة 1398.

*) مخطوط في ست مجلدات.

يتمشى فى خط متواز مع نهضة العالم الاسلامي قبل ان تعرف اوروبا بنهضتها بعدة قرون . كما انها تدلنا على المجهود العظيم الذي بقي على الباحثين والمنقبين ان يبذلوه للكشف عن خبايا المدنيات التي توالت على افريقيا السوداء .

ومن حسن الحظ ان نرى العناية منجهة للبحث والتنقيب سواء بالجامعات الاوروبية او فى وسط المتنورين من ابناء هده القارة . مما جعل احد الكتاب المعاصرين (*) يتفاءل بهذه البادرة قائلا :

« منذ ان بدات الدراسات المنصفة عن القارة الافريقية نبرز الى الوجود مع انتفاضة الشعوب الافريقية بعد الحرب العالمية الثانية من اجل حريانها برزت معها الى الوجود كذلك معلومات جديدة لم تكن معروفة من قبل عن « الرجل الافريقي » .. عن تراثه وفكره وعقائده وفنونه التي ابقتها جميعا بعيدا عن مجال المعرفة الانسانية النظرة الاستعمارية العنصرية التى ظلت تعمل عشرات السنين من قبل على تثبيت فكرة « الافريقي البدائي الذي ليست له حضارة او تراث او فكر » فى اذهان الناس . بل وربما فى اذهان الافريقيين انفسهم .. على ان هذه الفكرة العنصرية بدات تتهاوى وتنهار مع الدراسات الافريقية الحديثة ومع الاكتشافات الاثرية التي ابتت ان الشعوب الافريقية فيما وراء الصحراء جنوبا جرى عليها ما جرى على الانسانية من قوانين الحياة ، فقد كانت لها حضارات .. وكان لها تراث فكري وفني وعقائدي ظلت انارة واضحة المعالم رغم العزلة الرهيبة التي فرضها على افريقيا السوداء الاستعمار والعبودية » .

قاسم الزهيري ـ سفير المملكة المغربية ببلغراد

---

*) سعد زغلول : فى الفلسفة الافريقية ـ مجلة الكاتب العدد 11 .



« على ان جريشام لم يكن اول من فطـن الى القانـون المذكور فقد سبقه الى ذلك ارستوفان فى القرن الخامس قبل الميلاد كما صاغ اوريزم القانون صياغة دقيقـة فى كتاب له عن النقود سنة اربع وستين وثلاثمائة والـف للميـلاد » .

ومن يدري لعل المقريزي وقف على هذه النظرية خلال مطالعاته ودراساته فطبقها على ازمة النقـد فى بلاده ، ولعله كذلك وصل اليها بتفكيره العلمي العميق.

وفى مقدمة الكتاب اوضح المقريزي طريقته فـي معالجة الموضوع بعد ان صرح بان ما نزل بالناس مـن محن وازمات يرجع الى سوء تدبير الزعماء والحكـام وبين فى فصل صغير يليها كيف ان الانسان يستخف الحوادث السابقة ويستسهلها مهما كانت صعبة على الذين عاشوها ، لمجرد انـه لم يشاهدها ، ولان ملالة الحالة الحاضرة تزين له فى وهمه حالة الماضي وبالتالي فان المحن التي نزلت فى ايام المؤلف كانت مسبوقـة بازمات اشد واصعب .

وتحت عنوان « فصل فى ايراد ما حل بمصر من الغلوات وحكايات يسيرة من انباء تلـك السنـوات » ذكر ما حل بمصر بازمات الغلاء منذ قديم الزمـان . فنقل عن ابراهيم بن وصيف شاه فى كتاب « اخبـار مصر قبل الاسلام » ان اول محنة نزلت بمصر كانت فى زمن الملك السابع عشـر من ملـوك مصـر قبـل الطوفان واسمه افروس بن مناوش ، بسبب انقطـاع الامطار وقصر ماء النيل فهلك الناس ، ثم وقع بعدها وقبل الطوفان كذلك غلاء فى زمن الملك التاسع عشر المسمى فرعان بسبب الظلم والجور ، اما بعد الطوفان وفى ايام تريب بن مصريم الملك الثالث عشر فقـد توقف جريان ماء النيل مدة طويلة فهلك الناس ومشى الملك وقد اضعفه الجوع فكتب الى هود عليه السلام يلتمس منه الدعاء فتوسل النبي الى ربه فاستجـاب واجرى النيل ، ثم كانت الازمة التي دبر امر البـلاد فيها يوسف عليه السلام ، وكانت زمن ثالث ملـوك الفراعنة تبعها غلاء هو الذي يقول فيه تعالى : « ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانـوا يعرشـون » والذي يقول فيه كذلك : « ولقد اخذنا آل فرعـون بالسنين ونقص من الاموال والانفس والثمرات لعلهم يذكرون » . ثم انتقل بعد ذلك لما تعرضت له مصر بعد الاسلام من محن الغلاء ، فذكر انه سنة سبع وثمانين حدثت اول ازمة وامير مصر يومئذ عبد اللـه بن عبد الملك بن مروان فتشاءم الناس ، ثم تلتها اخرى ايام ابي القاسم او نوجور الاخشيدي فثـارت الرعيـة ، وقصر ماء النيل بعد ذلك فتظاهر الناس وكسـروا منبر الجامـع ، وتوالـت المحـن ايـام علي وكافـور الاخشيديين منذ سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائـة بسبب قصر ماء النيل فكثر النهب وانتشرت الفتنـة وعم الاضطراب واشتد الوباء وفشت الامراض وكثر الموت حتى عجز الناس عن تكفين الاموات ودفنهـم فكان من هلك يطرح فى النيل ، واستمرت الازمـات تسع سنين لتنتهي بمسير القرامطة الى مصر ودخول جوهر الصقلي قائد جيوش الامام المعز لديـن اللـه واتخذت الاجراءات فانحل السعر واخصبت الارض وعاد الرخاء ، وكثرت المجاعات فى ايام الحاكم بامر الله بسبب هبوط النيل فانتشرت المسغبة وهلك الناس وفى ايام المستنصر كذلك احسن القائمون تدبيرهـا فحلت كلها وعاد الرخاء ، ووقع غـلاء مـرة فى عهـده بسبب ضعف السلطة واختلال احوال المملكة واستيلاء الامراء على الدولة فتعطلت الاراضي وانتشر الخوف وعم الوباء واكل الناس القطط والكلاب بل تـزايـد الحال فاكل الناس بعضهم بعضا « وكانـت طوائـف تجلس باعلى بيوتها ومعهم سلب وحبال فيها كلاليب فاذا مر بهم احد القوها عليه وتنشلوه فى اسرع وقـت وشرحوا لحمه واكلوه » و « باع المستنصر كل ما فى قصره من ذخائر وثياب واثاث وسلاح وغيره وصار يجلس على حصير » و « جاء الوزير يوما على بغلتـه فاكلها العامة فسنق طائفة منهم فاجتمع عليهم الناس فاكلوهم » ثم اعقبتها ازمات ايام الحافظ لدين الله وفى عهد الفائز وفى سلطة العادل ابي بكر الايوبي سنة ست وسبعين وخمسمائة بسبب توقف النيل عـن الزيادة « فاكل الناس صغار بني آدم من الجوع فكـان الاب يأكل ابنه مشويا ومطبوخا والمرأة تأكل ولدها » وكان يدخل الرجل دار جاره « فيجـد القـدر على النـار فينتظرها حتى تتهيأ فاذا هي لحم طفل » لدرجة لما « اغاث الله الخلق بالنيل لم يوجد احـد يحـرث او يزرع » ، وقصر النيل ايام السلطان العادل كتبغـا التركي وهبت ريح مهلكة فجمع الفقراء والمحتاجيـن وفرقهم على الامراء لاطعامهم ، كما حدثت مجاعة ايام الملك الناصر محمد بن قلاون ، وفى ايـام الاشـرف شعبان سنة ست وسبعين وسبعمائة وقع آخر غـلاء وقد ادركه المؤلف ، ولاحظ الناشران انه قبل هـذه المحنة الاخيرة نزل وباء شنيع سنة تسع واربعيـن وسبعمائة دام سنتين عمت آثاره امم الشرق والغرب، وهو المعروف فى تاريخ الشرق باسم الفناء الكبير وفى

في السيرة وتاريخها ، و « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » (*) ويعرف بخطط المقريزي ، وقد درس فيه خطط القاهرة وآثارها الى جانب اخبار المدن المصرية الاخرى وانظمتها ومشاهير رجالها ، وقد كتب بعد استقراره النهائي في القاهرة ، وبعده الف سلسلة كتب تاريخية لعله اراد ان يجعلها ذيلا لخططه اولها « البيان والاعراب فيمن دخل مصر من الاعراب » (*) ثانيها « عقد جواهر الاسفاط في اخبار مدينة الفسطاط » ثالثها « اتعاظ الحنفاء باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء » (*) في تاريخ الدولة الفاطمية ، رابعها « السلوك بمعرفة دول الملوك » (*) في تاريخ الدولتين الايوبية والمملوكية ، ومنها كذلك بعض كتب في التراجم والطبقات ساعدته كثرة دراسته للتاريخ ان بعد مادة تاليفها اهمها : « المقفى » (*) في تراجم امراء مصر ومشاهيرها منذ اقدم العصور الى ما قبل عصره ، و « درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة » (*) ترجم فيه لمعاصريه ، و « الخبر عن البشر » (*) في التاريخ القديم ضمنه قبائل العرب ونسب الرسول .

واما الثانية ، وهي اشبه بالمقالة الصحفية الطويلة ، فمنها ما كتبه في اول عهده بالتاليف مثل « اغاثة الامة بكشف الغمة » وهو موضوع حديثنا ، و « شذور العقود في ذكر النقود » (*) بحث فيه تاريخ النقود العربية ، و « المكاييل والموازين الشرعية » درس فيه الاكيال والاوزان بالنظر الى الشرع (*) ويظهر ان ضيقه بوظيفة الحسبة واعبائها كان دافعا له الى تاليف هذين الرسالتين ، ومنها مجموعة خاصة ببلاد العرب واخبارها كتبها ايام كان مجاورا بمكة وهي « الكلام ببناء الكعبة بيت الله الحرام » و « ضوء الساري في معرفة تميم الداري » (*) و « التبر المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك » (*) و « وصف حضرموت العجيبة » (*) و « الالمام بمن في ارض الحبشة من ملوك الاسلام » (*) وغير هذه من المؤلفات الكثيرة التي كتبها في موضوعات مختلفة ومتنوعة .

والكتاب الذي نريد ان نتحدث عنه هو « اغاثة الامة بكشف الغمة » تقع طبعته الثانية في ست وثمانين صفحة من القطع الكبير ، وقد نشره لاول مرة سنة اربعين وتسعمائة والف الدكتوران محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال معتمدين على ثلاث نسخ مخطوطة : الاولى بمكتبة في استانبول ، والثانية بدار الكتب المصرية ، والثالثة بمكتبة جامعة كمبردج بانجلترا ، والى جانب تصدير الطبعة الاولى الذي اعيد نشره في اول الطبعة الثانية كذلك والذي اعطى فيه الناشران لمحة قصيرة جدا عن الكتاب واهميته ، توجد مقدمة علمية كتبها الدكتور حسين فهمي ذهب فيها الى ان النظريات الاقتصادية وليدة بيئة اصحابها وان الفكر الاقتصادي العربي بلغ ذروته في القرن الخامس عشر الميلادي بظهور ابن خلدون وابن الدلجي والمقريزي ، واستخلص من قراءته للكتاب ان المؤلف عرض فيه لنظريتين من النظريات الاقتصادية الحديثة احداهما تتصل بالازمات الدورية او الموسمية وما زالت الى الان وخاصة في الولايات المتحدة اساسا لدراسات اقتصادية ، والثانية خاصة بتثبيت النقد وسلامته ، وهي ان النقد الرديء يطرد النقد الجيد والفلوس النحاسية نقد رديء بالنسبة للدرهم والدينار فطردتهما من السوق ، ولاحظ الدكتور فهمي ان هذه القاعدة الاقتصادية وتعرف بقانون جريشام (*) قد سبق المقريزي الى توضيحها في رسالته هذه قبل مائة سنة تقريبا من مولد جريشام ، واعترض الدكتور سافعي في كتاب له عن النقود والبنوك ان يكون جريشام هو صاحب هذا القانون ولكنه لم يعز للمقريزي فضل السبق اليه وانما رده الى اصوله الاولى فقال :

---

*) طبع مرتين الاولى في مجلدين والثانية في اربعة .
*) مطبوع ومترجم الى الالمانية . *) مطبوع في
*) في ثلاثة اجزاء غير مطبوعة . *) في ستة اجزاء
اربعة اجزاء . *) في ستة اجزاء غير مطبوعة .
غير مطبوعة . *) طبع وترجم الى الايطالية والفرنسية . *) مطبوع ومترجم الى الايطالية .
*) مخطوط . *) مخطوط . *) مخطوط .
*) مطبوع . *) مطبوع ومترجم الى الفرنسية .
*) نسبة الى الاقتصادي الانجليزي المعروف توماس جريشام (1519 / 1579) .

المعتبر طبيعة وشرعا ، ترجع احوال الناس الى ما كانت عليه ، ويبقى ما بايديهم من ذهب يتحلون به او نقود يتعاملون بها ويعود الرخص والرفه الى ما كانا عليه ، ومرة اخرى يؤكد في آخر الكتاب ان السبب في فساد الامور انما هو سوء التدبير لاغلاء الاسعار .

والذي يتضح لنا من بين فصول الكتاب ان المقريزي تاثر ببيئته اشد التاثير وبما كان يدور حولها من حوادث واحداث ، وهو في هذا تلميذ لابن خلدون ، وكان يحضر دروسه في الازهر ايام اقامته بالقاهرة ، (*) فابن خلدون عاش في المغرب والاندلس ولاحظ عن قرب ما تتخبط فيه العدوتان من فوضى وفساد مرجعهما الى القائمين بشؤون الحكم فدفعه ذلك لكتابة مقدمته التي عالج فيها ظواهر الاجتماع ودرسها ليكشف عن القوانين التي تخضع لها هذه الظواهر سواء في نشأتها وتطورها وانحلالها ، غير مخل بمشاكل الاقتصاد وما يتعلق بالانتاج والتجارة ، شارحا اسباب سقوط الدول واثر الظلم في خراب العمران ، وكذلك فعل المقريزي ، فقد لاحظ سياسة المماليك المتحزبة والتطاحن الذي كان بين الاتراك الجراكسة وبين المماليك المقيمين وما قاساه المصريون من الوان الظلم والطغيان ، وما سببه احتقارهم للشعب واستهتارهم بمصالحه من فتن وثورات وطواعين ومجاعات . فكتب رسالته موجها عنايته للناحية الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية . ثم ان اسرة المقريزي حديثة العهد بالحياة المصرية ، فهي تلاحظ خصائصها وتقارنها بالحياة القديمة التي عاشتها بلبنان، وطفل يعيش وسط اسرة هذه حالها لابد ان تتولد فيه روح البحث والاستطلاع ، هذا الى ان هناك اسبابا كانت دافعا لتاليف الكتاب ، لعل اهمها وفاة ابنته في الطاعون ولم تكن قد تجاوزت سن السادسة ، وتجاربه الخاصة اثناء مزاولته للحسبة حيث كان يختلط برواد الاسواق من تجار وصناع وارباب الحرف والمهن ويبحث حالة الاسعار والنقود ويضبط الموازين والمكاييل ويراقب صفار التجار والباعة المتجولين ويفصل في شكاوي الاسواق ويوقع العقوبات ويصدر الاوامر والقوانين وغير هذه من المهمات التي تدخل حاليا في نطاق وزارات التموين والاقتصاد والداخلية والشؤون الاجتماعية ، هذا الى ان الجماعة التي حدثت في زمنه (*) حفزته ان يبين : « ان ما بالناس سوى سوء تدبير الزعماء والحكام وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد ، لا انه كما مر من الغلوات وانقص من السنوات المهلكات » ولم يقتصر تاثر المقريزي بابن خلدون على موضوع البحث فحسب بل تعداه الى الشكل الذي يخرج عليه ، فهو كأستاذه يوجز الاسلوب ويكثر من الاستشهادات التاريخية ، وهو مثله يفتح الفصول مخاطبا القارئ وداعيا له ، ثم هو اخيرا يختمها بآية أو آيتين من القرءان .

ولم يمنع كل هذا التشابه من وجود فرق بين العالمين الكبيرين ، فالمؤرخ المغربي شملت ملاحظاته ظواهر الاجتماع في كل الشعوب التي عاش فيها واحتك باهلها مركزا في معالجته للمشاكل على الناحية التاريخية والاجتماعية ، في حين ان زميله خص موضوعاته بمصر يعالجها علاجا تحليليا .

ولا نريد ان ننهي هذا التحليل العجالي دون ان نلاحظ ان المقريزي في رسالته هذه وفي غيرها من الكتب الصغيرة يدلي بآرائه معللا ومحللا وشارحا في غير كثير من التقيد والتحفظ مما يلقي ضوءا على شخصيته يندر ان نعثر عليه في كتبه الطويلة التي يجرفه فيها سيل اخبار الخلفاء والامراء والحروب وما اليها من الحوادث الطويلة الذيول .

(*) امتدت اقامة ابن خلدون بمصر من سنة 784 الى سنة 808 (1382 / 1406) .
(*) من سنة 796 الى سنة 808 .

الرباط : عباس عبد الله الجراري

التاريخ الاروبي باسم الموت الاسود ، وكان سبب انتشار بعض الامراض الوبائية ، ولعل المقريزي لم يشر اليه لانه قصر كتابه على اخبار المحن الناجمة عن الفلاء وسوء الحكم فى مصر .

وانتقل المقريزي بعد هذا العرض الذي استغرق منه ما يقرب من نصف صفحات الكتاب ليتحدث فى فصل خاص عن اسباب هذه المحن التي تعرضت لها البلاد فردها الى ثلاثة اسباب : اولها توصل الجهلاء والظالمين بالرشوة الى تقلد اعلى مراتب الحكم فى الدولة كالمناصب الدينية وولاية الخطط السلطانية من وزارة وقضاء ونيابة وغيرها واضطرارهم لتسديد ما وعدوا به السلطان من اموال الى تعجلها من اعضاء حاشيتهم واعوانهم فيقرروا عليهم ضرائب تدفعهم ان يمدوا ايديهم الى اموال الرعايا الذين يضطرون الى الاستدانة وبيع ما يملكون من اثاث وحيوان . ثانيها ارتفاع ايجار الاطيان ، وغلاء نفقات الحرث والبذر والحصاد ، وارتفاع ثمن المحصولات مما نتج عنه خراب كثير من القرى وتعطيل معظم الاراضي الزراعية ونقص فيما تخرجه الارض من غلال لموت كثير من الفلاحين والزراع وتشردهم فى البلاد وقد هلكت دوابهم ولعجز آخرين ممن يملكون الاراضي عن ازدراعها لارتفاع سعر البذر ونقص اليد العاملة . ثالثها رواج الفلوس النحاسية التي اصبحت النقد الغالب ، واختفاء الدراهم والدنانير من التعامل لعدم ضربهما ولسبك ما بايدي الناس منهما لاتخاذه حليا ، وقد تفنن الامراء والاتباع والاعوان فى الترف والتأنق وتباهوا بفاخر الزي وجليل الحلي ، فكان ان دهى الناس وذهب المال وقلت الاقوات وتعذر وجود المطالب ، والملاحظ ان المقريزي لا يرى النقد سليما الا اذا قام على الذهب والفضة ، واستطرد من شرحه لهذا السبب الى اعطاء نبذة غير قصيرة عن العملة وتاريخها فى الجاهلية والاسلام ، فذهب الى ان العرب الجاهليين كانوا يتعاملون بالمثقال المسكوك من الذهب والفضة ، دينارا كان او درهما ، ثم بعث النبي (ص) فأقر اهل مكة على ما كانوا يتعاملون به ، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون ، غير انهم زادوا نقوس بعض الكتابات مثل «الحمد لله» و «لا اله الا الله وحده» كما ضرب الخلفاء الامويون دراهم ودنانير نقشوا عليها كتابات وآيات مع اختلاف فى الوزن والشكل ، وانفرد معاوية من بين كل الخلفاء بسك دنانير عليها تمثاله متقلدا سيفه ، وسار العباسيون بعدهم على ما وجدوا الا انهم نقصوا فى الوزن ، ثم تحدث عن تاريخ العملة فى مصر وانها كانت دنانير من الذهب وان الفضة كانت تتخذ للحلي والاواني وقد يضرب منها للمعاملات التي يحتاج اليها كل يوم لنفقات البيوت الى ان كان عهد الحاكم بامر الله الفاطمي فسك الدراهم من الفضة مخلوطة احيانا مع النحاس ، وبقيت العملة على هذا النمط حتى دولة الايوبيين ، فراجت الدراهم الكاملة وهي مزيج من الفضة والنحاس ، واستمر التعامل بها حتى فى ايام مواليهم الاتراك ، اما الفلوس النحاسية فقد اخذ يزداد انتشارها منذ ضربها الكامل الايوبي الى ان طغت على الدرهم والدينار فاختفيا وكانت الازمة .

ثم تحدث بعد هذا عن طبقات الناس وبيان الحالة المادية لكل منها فجعلها سبعا : الاولى اهل الدولة ويبدو لهم ان الاموال كثرت بايديهم بالنسبة لما كانت عليه قبل المحن باعتبار غلاء سعر الذهب وما يتحصل لهم من خراج الاراضي وقد ارتفع ثمنها ، فى حين انهم لو تدبروا الامر لوجدوا انه لم ينلهم فى الواقع ربح . الثانية مياسير التجار واولوا النعمة والترف ويظنون انهم بزيادة الدخل يكسبون وهم فى الحقيقة يخسرون بسبب كثرة النفقات واختلاف النقود . الثالثة اصحاب البز وارباب المعايش ويقتاتون مما يتحصل لهم من الربح حسب الواحد منهم الا يستديـن .

الرابعة اصحاب الفلاحة والحرث ، وفيهم من اثرى ، وهم الذين اربوت اراضيهم اثناء المحن ، وفيهم من هلك لتوالي الازمات وقلة ري الاراضي وهم الاغلبية الخامسة الفقراء ، وهم اكثر الفقهاء وطلاب العلم ومن يلحق بهم من صغار الموظفين وصغار الملاك، وهم لسوء ما حل بهم ما بين ميت او مشتهي الموت . السادسة ارباب المهن والاجراء والخدم والسواس والحاكة والبناة وامثالهم من العمال ، وقد مات اكثرهم ولم يبق منهم غير القليل مما ضاعف اجورهم . السابعة اهل الخصاصة والمسكنة ، وقد فنى معظمهم جوعا وبردا ولم يبق منهم الا اقل من القليل .

واتبع هذا الفصل الخاص بالطبقات بآخر عن اسعار المبيعات فى القاهرة والاسكندرية ، وخاصة مواد الغذاء من حبوب ولحوم وخضر وفواكه واستشهد بالارقام على غلاء ثمنها بسبب كثرة انتشار الفلوس واستخدامها عملة رئيسية ، والعودة الى التعامل بنقود الذهب والفضة ، وبالعودة اليه ، وهو وحده

وهذا المؤلف معروف في ميدان البحث العلمي والفلسفي وهو من الرواد الذين عاشوا عدة تجارب اجتماعية وفلسفية ولاهوتية منذ سنوات ...

ومؤلفاته العديدة ورسائله ومقالاته كانت تعنى بالمذاهب الفلسفية المعاصرة في اوربا ، وعلى الاخص.. مذهب داروين في النشوء والارتقاء وما تفرع عنه من آراء مادية في عالمي الحضارة والثقافة .

وقد كانت هذه السنوات العديدة التي قطعها كباحث ومؤلف وصحفي كافية لاقناعه بوجهة نظر .. ظل يبحث عنها حتى وجدها .. وحتى وجدناها نحن معه في هذا الكتاب الجديد . .الذ نقدمه اليوم ..

الكتاب من عنوانه يعين الاتجاه الصحيح الذي اراد ان يتجه اليه المؤلف في رسم خطوط الفكر الاسلامي المعاصر في عالم تتصارع فيه مذاهب مادية متناحره من اجل مكاسب مادية ستصرع الغالب والمغلوب على السواء .

والكتاب صغير الحجم ولكنه يكاد يكون مكتوبا بلغة تلغرافية مركزة لا تعرف الا بسط الحقيقة المدعمة بالدليل والبرهان ..

واولى النتائج التي وصل اليها في فصله الاول : هي طعنة نجلاء في صميم المذهب الذي يدعي انه انساني لا يفرق بين الاديان والالوان .. فيقول المؤلف :

(قبل الاسلام لم يعرف الناس معنى « الانسانية » وقد ابلغ محمد عليه السلام للبشر رسالته في شكل دين انساني ودولة عالمية ، تجمع بين مصالح البشر وتنشد سعادتهم ، كل هذا في حدود الفطرة ، في حدود الحرية الكاملة ، فلا اكراه في الدولة ، ولكن هاهي ذي حدود الاسلام : دين حر تقوم عليه دولة حرة .. هذه هي — الانسانية — التي بشرت بها للناس رسالة الاسلام) .

وكان منطق المؤلف في هذا الفصل رائعا يصرع الشبهات المادية فتتساقط من حوله هامدة كأوراق الخريف ..

وكم كان المؤلف موفقا حينما عرض آراء رجال الفكر المعاصر في الحضارة المادية .. وما ينتظرها من زلزال يعصف بها .. لانها لا تملك ما يملكه الاسلام من جذور ثابتة في اعماق النفس الانسانية .

وكم كان المؤلف موفقا حينما خاطب تلك السواعد المفتولة .. والعزائم المشبوبة من الشباب المسلح الحيران في مفترق الطرق لا يدري اي اتجاه يقصد .. فيقول لهم :

(لا شك عندي مطلقا في ان هزائمنا المادية كانت انعكاسا عن هزائمنا الروحية .. كما انه لا ريب في اننا مهدنا الطريق بذلك الى غزوتين .. كلتاهما رمت الى محو اصولنا التي قامت عليها حضارتنا الاسلامية، كانت الغزوة الاولى غزوة المحو الاستعماري ، اما الغزوة الثانية فغزوة المحو المادي الماركسي ، والغزوة الثالثة افظع وانكد من الغزوة الاولى)

ويستمر المؤلف في عرض نتائج خبرة دامت نحو الاربعين عاما من البحث والاستقرار والتفكير والاطلاع ، وهو المثقف الذي يحمل عدة شهادات ويتقن عدة لغات وقد عاش اجيالا من الثقافة والحضارة .

وهو لا يتوانى عن ابراز الحقائق سواء كانت للمسلمين او عليهم ، وسواء كانت نقدا ذاتيا او منهجيا، وسواء كانت تهم طائفة معينة او تعنى الجميع ...

ويختم المؤلف كتابه بهدم المذهب المادي من الاساس وابرازه على حقيقته خاليا من اصباغ ما يسمى بالعدالة والحرية ، فقد اظهر المؤلف ما تحت هاتين الكلمتين من معنى ، لا يعدو ان يكون شركا لاصطياد البسطاء والمتنورين .

وفي الوقت نفسه يرفع القناع عن العدالة الاجتماعية والحكمية والحرية الشخصية والاجتماعية في الاسلام ، ويقارن بين المعاني الثابتة .. والمفاهيم السطحية المعوجة ليفسح الطريق امام الجيل الصاعد من المسلمين ليعرف نفسه وليربط حاضره بماضيه.. وليستطلع الى المستقبل بعزيمة صادقة وايمان قوي.. واندفاع نحو الحقائق لا الاوهام ..

والحق ان كتاب الاستاذ مظهر هو كتاب الجيل الصاعد فما احرى هذا الجيل ان يدرس هذا الكتاب .

فاس : عبد القادر زمامة

الإسلام ... لا الشيوعية

تأليف: الأستاذ إسماعيل مظهر

قرأه وعلق عليه

الأستاذ عبد القادر زمامة

اذا كانت هناك ميزه فكرية وظاهرة عقائدية لعالم ما بعد الحرب الثانية، فانها لا تعدو هذه البحوث والدراسات (الايدلوجية) المتعددة الاتجاهات في الشرق والغرب على ضوء ما جد في عالم ما بعد الحرب من صراع المذاهب والآراء، والملك والنحل والاديان.. فقد اخذ هذا الصراع اشكالا مختلفة، منها الفكري ومنها الديني ومنها السياسي والاجتماعي.. وقامت عدة حروب صامتة حينا وصاخبة احيانا بين دعاة المذاهب الراسمالية والاشتراكية والشيوعية.

وغني عن البيان ان وراء كل مذهب قوة سياسية تزكيه وتؤيده وتكسب له الانصار والاتباع وتفتح امام دعاته ميادين شتى في الاذاعة والصحافة والسينما وكل وسائل النشر والاعلان، المشروع منها وغير المشروع.

والفكر العام البشري هو الضحية الاولى لهذا الصراع، وهو الميدان الذي تجرب فيه تجاربها في المذهبية واللا مذهبية وما تجره كل واحدة منهما من مادية او فوضوية او تبعية فكرية، لا غنى عنها في هذا الصراع.

والبحث عن الحقيقة او البحث عن اليقين لا مجال له في عالم الاغراض والاهواء والنزعات.. وانما يكون البحث عن اليقين، والبحث عن الحقيقة في عالم التجرد والنزاهة والاختيار، وهذا يكاد يكون معدوما في عالمنا هذا الذي يدور كل شيء فيه مع عجلة الخطط التي تخطط في غيبة عن الفكر الحر ودعاته، والنزاهة وانصارها..

وهكذا تضيع الحقائق وتخنق في مهدها.. ولا يبقى امامنا في هذه الابحاث الا صدى المذهبية واللا مذهبية التي تحتل رؤوس واقلام قادة هذا الصراع بين المذاهب المتطاحنة لحساب قوة مسيطرة هي الفكر المدبر والمحرك الاساسي لكل هذه الاعمال..

واذا كانت حاسة بشرية عليا تميز الخبيث من الطيب، والنافع من الضار.. فان هذه الحاسة تقهر احيانا وتغلب على امرها، من اجل دوافع شتى كثيرا ما تفقدها حريتها، واختيارها..

وهذا هو السبب الرئيسي في التناقض المذهبي والعقائدي الذي نلمسه احيانا واضحا في اقوال وافعال كثير من الدعاة في الشرق والغرب...

فالمسلم المؤمن بالله المعتقد لعقيدة الاسلام في الخلق والبعث، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وما يتفرع عنها من آداب واحكام في الشريعة والعقيدة.. نجده احيانا يدعو الى مذاهب تهدم هذه العقيدة في الاساس، ولا يعترف بها لا جملة ولا تفصيلا.. بل يعدها من الاساطير البشرية والمخدرات التي تعوق الانسان عن التقدم والنهوض.. ثم هو بعد ذلك يقول: انه مسلم ومن المسلمين.. وان مذهبه لا يتنافى في شيء مع الاسلام.

وهذا مجرد مثال لهذا التناقض المذهبي والعقائدي في عصرنا هذا.. وهناك عدة امثلة اخرى لا مجال لتتبعها في هذا الحديث والكتاب الذي بين ايدينا اليوم هو كتاب: «الاسلام ... لا الشيوعية» لمؤلفه الاستاذ والباحث الشهير اسماعيل مظهر..

صابــر ـ وهل تتحملين مسؤولية الفشل ؟
كريمــة ـ (تنظر اليه فى استخفاف) فشل ! ...
صابــر ـ انني أعتزم القيــام بعمــل ..

كريمــة ـ لست اول ولا آخر من جرب وفشــل .. قال احد الفلاسفة « لا بد من عبور قنطرة الفشل لمن يتوق الى النجاح » !

صابــر ـ ستربن عما قريب اي مغامر انا !

كريمــة ـ على ان ركوب الاخطار يتوقف على تحيــن الفــرص

صابــر ـ (مترددا) كم كان يحلو لي ان اراك تهيبين بى الى اقتحام مغامرات طالما وضعــت لهــا الخطوط . والشيء الوحيد الذي كان ينقصني دائما هو التحريض والتشجيع ... فانا مثــل الجندى الذي يجبن فى بداية المعركة فاذا ما رنت اناشيدها نسي كل خطر واستدبر كل شيء الا المعــــركـــة .

كريمــة ـ هل ترانى اجيد فن التحريض ؟

صابــر ـ تجيدين ما هو اعظم من ذلك ؟
(رنين جرس التليفون ..)

صابــر ـ (يتناول التليفون) الو ... الو ...

بيــان ـ (هاتفا) صــابــر ..

صابــر ـ نعم هو انا ... وانت من .. ؟

بيــان ـ أنا بيان .. هل لا تزال ترغب فى لقاء ذلك الشخص ؟

صابــر ـ لا ... لقد طرأ على جنانى منذ دقائق مــا غير رأيى فيها ..

بيــان ـ طيب .. لعلــه خيــر ..

صابــر ـ نعم لعلــه خيــر .. الى اللقــاء .

بيــان ـ الـى اللقـــــاء .

المنظـــر الثانـــي

(على مقعد فى حديقة عامة .. صابر وبيــان)

صابــر ـ (متأثرا) انت تعلم انني رجل خامل . وقد ورثت هذا عن الآباء رحمهم الله اذ كنا نسمعهم يرددون فى أحاديثهم هذه العبارة « الخمول نصف السعادة » فنشأنا محبين لهذا المبــدأ . ولكــن سرعان ما انقلبت الاوضاع وتغيرت الاحـــوال وتبع ذلك تغيير شامل لمفاهيم الكلمات ومضامين العبارات .. وها نحن اليوم نرى أن الخمـــول اصبح نصف الشقاء .

بيــــان ـ (يطرق مليا) هذا لا يخلو من صواب . ان اقرب الاشياء الى التبدل هي المذاهب والمبادىء التي هي من وضع الانسان .. اي شيء زج بك يا صابر فى ظلمة هذا القلق ؟ .

صابــر ـ زوجتـــــي .

بيــــان ـ زوجتـــك ؟ .

صابــر ـ نعم زوجتي ... وهي على مــا اظــن على صواب ! لقد فاجأتني اليوم بدرس لم أكن أعتقد فى يوم من الايام انها تتولى القاءه علي فى لهجـــة صارمة وأسلوب ساحر كما فعلت اليوم .

بيــــان ـ اتود ان تحدثني بتفصيل اذا ما التقينـــا مساء ، بعد أن ننفض أيدينا من أشغال اليوم ؟ .

صابــر ـ سنفعل .. على ان يبقى سرا بيننا .

بيــــان ـ تمــــامــــا ..

صابــر ـ الى اللقـــــاء .

بيــان ـ الـى اللقـــــاء .

المنظـــر الثالـــث

(فى البيت مرة اخرى)

(فى حلــــم)

صــوت ـ بعد قليل نركب الباخرة .. هل سافــرت عبر المحيط ؟ . ؟

صابــر ـ هذه هي المرة الاولى التي أفارق فيها هذه الارض .

صــوت ـ ركــوب البحـــر خطيــر !

صابــر ـ كلمة خطر تدخل فى أذني هذه وتخــرج من هذه الثانية (مشيرا بطرف سبابته الى اليمنى) .. اذ انني ما تعودت خــوف الخطــر الا فى ســوق الخبز وما يجانسه من الضروريات المزعجة .

قصة العدد

أحلام

مسرحية اجتماعية فكاهية في فصل واحد

للأستاذ : عبد القادر المقدم

مسرحية اجتماعية فكاهية فى فصل واحد

المكان غرفة صغيرة للنوم وبجانبها المطعم

الزمان اول الليل

الاشخاص : صابر ـ كريمة ـ صوت ـ واصوات فتيـــات ...

المنظـــــر الاول

(ادوات الشاي وصحون اطبــاق الحلــوى)

كريمة ـ (فى دهاء) كل الاشياء فى هذه الدنيا ينالها يد التغيير الا انت يا صابر فلا تـزال كما عهدتـك منذ الساعة التي تلاقينا فيها على عادات رتيبة واحوال متشابهة لا تحويل فيها ولا تبديل ... كانني واياك تمثالان فى متحف الفراعنـة .. آه يا صابر .. انا ضحية هذا الاهمال .

صابــر ـ (متاثرا) ما ذا تنتظرين مني ان افعل . اني كما تعلمين اصرف اوقاتي فى العمل .. اجاهد سحابة نهاري واسهر طرفا من الليل سعيا وراء غاية واحدة هى حفظ توازن اسرتنا . وحـذار من تقلبـــات الايـام .

كريمــة ـ انا موقنة من ان الدهر لا يهمه من امرنا شيء كفى ما نحن عليه من الخمول .. فليلنا لا يختلف فى شيء عن نهارنا .. وكل شيء فينا وحولنـا يحتفظ بلونه وشكلـه كما تحتفـظ « نعـم » و « بئس » بوزنيهما وصيغتهما من عهد سيبويـه والكســـائى ...

صابــر ـ أظنك تجهلين حقيقة الحياة وما فيهـا مـن خير قليل وشر كثير ..

كريمــة ـ اذا عجزت عن مجاراة الحديث بشـيء من التعقل فررت الى فلسفتك التـي تنحصـر فى قوالب من الكلام ومعان هرمة .. اعلم ان الحياة تتطلب التجديد والا كانت غير حياة .. وانــت يا صابر متى ستفهم هذا ؟

صابــر ـ الا يرضيك ان اكون رجلا عاديا يعمل ليوفر له ولعائلته مؤونة العيش ؟ فيسلم الناس من شره ليسلم هو من شرورهم ؟

كريمــة ـ انا لا اقر هذا المبـدأ .. المهـم ان تجارى الحياة ..

صابــر ـ لعلك تضربين على وتر الشاعر الذي يقول :

اذا انت لم تنفـع فضـر فانمـــا
يرجى الفتى كيمــا يضــر وينفعــا

كريمــة ـ لله دره .. انني ادين بهذا المبــدأ . لقــد القيت اليك بشتى النصائح فلم تنتصـــح وكأن الفلك بالنسبة اليك متوقف عن الدوران .

صابـر ـ نعم على ذكر المسؤولية اريد ان اعرفهـــا بالضبط .

صـوت ـ ستعرف كل شيء قريبـــا .

صابـر ـ هذا كل ما اريد .. وهكذا كانت زوجتـي تريد مني

صـوت ـ انت وانا ولله الحمد كما نحب ونرضى .

(أزيـــز الطائـــرة)

صابـر ـ يا لها من سرعة عجيبـــة .

صـوت ـ بالتـأكيـــد .

صابـر ـ لم اعد اذكر كيف غادرنا الباخرة وامتطينا الطائـــرة .

صـوت ـ هذا لا يهم ... يجب عليك احيانا الا تتذكر .. فالنسيان يجمل الحياة .

صابـر ـ ولكن متى سناخذ حظنا من المتعة لنتبين مدى نفع هذه الاوراق ؟ .

صـوت ـ لا تقل الاوراق بل قل الاموال .. فالاوراق تحمل معاني كثيره .

صابـر ـ لقد تعودت النطق بهـذه العـبارة لان لهـا علاقة قديمه بعملي .

صـوت ـ قلت لك انس الماضي لانك انسان آخـر فوق الاوراق ...

صابـر ـ الحمد لله .. الحمد لله .. كم كنت اتمنى هـــذا .

صـوت ـ بمجرد هبوطنا الى الارض سنختار فندقا ارستقراطيا قـد توفـرت فيـه مختلف انواع الرفاهيـــه .

صابـر ـ ولا بد من تخيرنا لاشهى الاطعمـة والـــذ المشروبات .

صـوت ـ نشرب وناكل كل ما لذ وطاب .

صابـر ـ تماما وبلا تردد .. لا فرق بين حلالها وو..!

صـوت (يقاطعه) الى آخره ...

(موسيقى غناء ورقص)

صابـر ـ (معجبا) باسلام .. اي جمـال هـذا .. عيون ساحرة .. قدود مائسة .. آه لو كانـت لي قدرة خارقة لو هبت الخلود الى هذه المناظر حتى لا يلحقها الفناء ...

صـوت ـ خلدها في ذاكرتك لتكون لك ذكـريـــات سعيدة ... !

صابـر ـ علي ان اكلم هذه الحسناء ... يا ليت هذا النعيم يدوم ..

(أزيـــز سيـــارة ..)

فتـــاة ـ (في دلال) اذا لم يدم فانه يتجدد ..

صابـر ـ صدقت ايتها الجميلة الفتانة .. ال .. ال .. ال .. ما اسمك ؟ .

هـــي ـ أحـــلام ...

صابـر ـ احلام .. أحلام .. يارب .. يارب .. هذه أحلام .. انت اجمل ما في الدنيا .. يكاد كل شيء يتم وفق المراد .. ولكن .. انهـا .. انهـا .. أحلام .. (متخوف ...)

هـــي ـ ولكن .. ما ذا هناك ؟ ...

صابـر ـ آه .. اخشى ان اكون في حلم ..

هـــي ـ لا تخشى ياصابر .. الدنيا كلها حلم عبر اليقظة الأزلية ...

صابـر ـ اذن علينا بالمائدة ...

(حركة الاطباق .. المائـدة)

صابـر ـ لاول مرة في حياتي اجلس حول مائدة الحب.

هـــي ـ والحب يا عزيزي احلا .. احلا ..احلام..

صابـر ـ احـلا .. آ يا أحلامي .

(مائدة الافطار في بيت صابـر)

كريمـة ـ (تعد الافطار وتردد كلمـات) احـلام .. آيا احلامي .. يا .. يا .. يا .. صابر .. صابر صابر .. قم وقت العمل يقترب ... من هذه التي تحلم بها ياظالم ؟ . اهذا انت ؟ ..

صابـر ـ (يستيقظ .. يتمطى) انـا .. انـا اعـوذ بالله من الشيطان الرجيم .. انها فتنة الاحلام .. (هامســـا) لقد صدق ظني ..

(ستـــار)

عبد القادر المقدم

صـوت ـ يبدو انك لم تتعود ركوب الاهوال ؟

صابـر ـ لا اعتقد ان هناك خطرا يخشـى كوسواس العيش وما يعترض الانسان فى حياته اليوميـة من المناظر المؤذيـة .

صـوت ـ هذا يشجعني كثيرا على مرافقتك فى هـذه الرحلـة .

صابـر ـ سيكون خيرا ان شاء الله .

(صوت الباخرة .. حركـة الركـاب ..)

صابـر ـ لو كنت اعلم ان سعادتي تنتظرني هنـا فى البحر لما ترددت فى السعي اليها .. ولكن لكـل اجـل كتـاب .

صـوت ـ هل تفكر فى شيء ؟ .

صابـر ـ فيما ذا ؟ .

صـوت ـ فى البيت فى الاسرة .. فى ...

صابـر ـ (يقاطعه) لا لا .. لا افكر فى احد من هـؤلاء .. انني سعيـد .

صـوت ـ هل سافرت فى الجو ؟ .

صابـر ـ نعم .. غير مرة ... ولكن .. (يبتسم)

صـوت ـ ما ذا ؟ ..

صابـر ـ فى الحلـم .

صـوت ـ فى الحلـم ؟ .

صابـر ـ نعـم .

صـوت ـ والحلم احيانا كاليفظـة .

صابـر ـ انا ارغب فى كل شيء الا فى الماضي .

صـوت ـ بعد مدة تنتهي رحلتنا البحريـة ونتابـع السفر فى الجو ...

صابـر ـ فى الجو ؟ ... هذا جميـل .. الا انـي لا ادرك جيدا حقيقة المهمة التي نحن نسافـر من اجلهـا .

صـوت ـ هي مهمة خطيرة .. واظن انني حدثتـك عنهـا سابقـا .

صابـر ـ لم اعد اذكر شيئا على وجه التحقيق .. لان ذاكرتي اصبحت ضعيفة ..

صـوت ـ ستقوى فيما بعد . انت اليوم رجل مسؤول وعليك ان تقدر مسؤوليتك .

صابـر ـ لقد كنت مسؤولا فيما مضى عن نفسـي وحدها وعن شؤون الاسرة وهذا لا يكفي .

صـوت ـ انت اليوم انسان آخر .

صابـر ـ هل هذا صحيح ؟ .

صـوت ـ لا ريب فى ذلك .

صابـر ـ لقد اعتدت كسائر الناس ان اقيس مكانتي بمقياس ما عندي من المال .

صـوت ـ هذا صحيح ايضا .. وانت ترى ولله الحمد ان جيوبنا الآن طافحة بالذهب . (يدخل احدى يديه فى جيبه ...)

صابـر ـ بالذهـب ؟ .

صـوت ـ اعني الاوراق الماليه التي تحمل فيمـة الذهب .. ها هي ذي .. وبفضل هذه الأوراق استطعنا ان نركب الباخرة .. وسنركب الطائرة ووو .. ووو ..

صابـر ـ (يقاطعه) نعم .. فهمت .. ولو انني لـم اقتنع بعد بهذا الفنى المفاجيء .

صـوت ـ لا تكن رجلا متشككـا .

صابـر ـ ان الشك هو الباب الوحيد الذى ندخل منه الى اليقين . سامحني ان اصرح لك بانني كثيرا ما اعتقد انني انسان له مكانته ، وسرعـان مـا كانت تتبخر هذه العقيدة تحت حراره الواقـع فلا اجدني بعد الا شخصا عاديا خاملا .

صـوت ـ لعلك كنت تحلم بشيء قبل اوانه .. كلنـا يقع فى مثل هذا . بل كثيرا مـا اعتقدنـا اننـا شخصيات محترمة والناس يرمقوننا باطـراف اعينهم ... والواقع انهم كانوا يزدروننا .

صابـر ـ اذا كانت هذه الاوراق التي بين ايدينا حقيقة دون ان نكون حالمين .. فاننا نكـون عندئـذ قادرين على كل شيء .. ولا يمكن لاي شيء ان يحول دون ما نريد .

صـوت ـ ثق اننا كذلك ولا تفكر فى هذا كثيرا .. فان ذلك يفسد علينا سعادتنا . اعتقد وتيقن اننـا كما نحـب .

الابتدائية وكلية للتربية والتعليم ، وفتح مراكز للثقافة واعارة المدرسين الاكفاء والمعلمين ، كل ذلك تطلبه الجزائر في محنتها الثقافية .

وثقوا ايها الاخوة في مشارق الارض ومغاربها ، ان عروبة الجزائر ، واسلام الجزائر وايمان الجزائر بكم ، هو الذي كان سلاحها الفعال في الوقوف امام موجة التفرنس المنظم المحكم ، ولولا ذلك الاشعاع الذي اضاء لابنائها الطريق الواضح السليم نحو عروبتهم وقومبتهم ، لولا ذلك ، ولولا فضل الاسلام الخالد لبلغت فرنسا مما تريد وما تبتغي اكثر مما تشاهدون .. فنحن ايها الاخوة نعاني مما تعانون ، نعاني الثالوث المقيت الجهل والفقر والمرض ، ونعاني من نكبة الاستعمار وطول الكفاح وكثرة المشاكل مما يلحق بذي القوة اعياء لا يستطيع معه عملا منمرا ، ثم نعاني بالذات جهلا بالعربية الرسمية ، عربيةالشهادات، اذ دراستنا للعربية كانت طول مدة الاستعمار عملا خارجا على القانون يعاقب مرتكبه ، وكان المثقف بالعربية فدائيا يعمل بصمت وصبر يائسا من كل شيء الا من يقظة الجزائر وعروبة الجزائر واستقلال الجزائر .. اما الحياة واما ما يضمن الكيان ويكفل المعيشة فذلك ما لا يعرفه ولا يحلم به .. ورغم كل ذلك فقد خلق هؤلاء الابطال بعثا سليما منظما للعربية في الجزائر واصبح لها كيان وجنود ، ومدارس ومعاهد ومعاقل وحصون .. واليوم وبعد النصر العظيم لابد لاخوتنا من ان يمدوا يدا قوية ومخلصة لانقاذنا والاخذ بنا الى التعريب .. واول اساس للتعريب ايها الاخوة هو التعليم ، فبالتعليم يخلق كل شيء وبالمدرسة والمعلم يكون كل شيء ، وان الجزائر التي ضحت واغلت في التضحية لتتمنى من اخوانها ان يشاركوها في معركة البناء وان يضحوا معها في سبيل التشييد واعادة الحياة ، لا يرجون من وراء ذلك جزاء يغري وبسيل اللعاب ولكنهم سيجدون شكورا واحتراما واخوة حية تشاركم ما تكسب ، ولا تبخل عليكم بما تملك .

نعم ، ايها الاخوة المربون قد اثبتت تجارب اخواننا ان التعريب ليس عواطف تنثر هنا وهناك او اماني يهرب الى ظلالها اليائسون او يتاسى بها المصدومون من الواقع المؤلم ، وليست المؤتمرات والندوات والتصريحات الا من قبيل الاستهلاك المحلي وتغطية الشمس المحرقة لكل ما هو عربي بغربال متقطع ، التعريب اذا ليس بذلك كله ولكنه دراسة منظمة وتصميم صادق مخلص وبرنامج محدد وتطبيق محكم جاد ، وعندئذ سنجد ان الاساس لتعريب الادارة والبلاد والعقول والعباد انما هو المدرسة والمعلم ، وان غير ذلك كله باطل ولن يجدي نفعا ولو ملأنا الدنيا تصريحات واقمناها واقعدناها بالمؤتمرات والاجتماعات والاحتفالات والضيافات .

فالطريق السليم للتعريب هو تعريب المدرسة والمعلم ولا اقول بالطفرة ، بل لا اومن بها في بلد كالجزائر ، ولكن اومن ايمانا قاطعا انه من غير اخلاص للتعريب وايمان بالعروبة وتصميم مدروس يراعي امكانيات البلاد ولا ينسى الطاقات التي نستمدها من اخواننا ، ويبدأ اول ما يبدا في تعريب السنة الاولى من الدراسة الابتدائية على ان يستمر ولا يتراجع وعلى ان تدرس اللغة الفرنسية كلغة ثانوية في المتوسط الثاني ، وتبقى كذلك في جميع مراحل التعليم ، اذا وجدنا هذه الادارة وهذا الاخلاص ، ولا نعتقد الا ذلك فلن نتاخر نعرب البلاد ، ولن تهزم العربية على يد ابنائها بعد ان قهرت اعداءها ، ذلك ما نرجوه وعسى ان يتحقق .

وفي الجزائر :

مسؤولية ضخمة على الشباب المثقف :

في اوائل الشهر التاسع يعقد الطلبة الجزائريون اول اجتماع للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في ارض الجزائر المستقلة بعد كفاح خاضته الطبقة المثقفة جنبا الى جنب مع الشعب الجزائري الباسل بجميع طبقاته ، فالمعلم ، والاستاذ ، والتلميذ ، والطالب ، والفلاح ، والعامل ، والموظف ، والمستخدم ، والرئيس، والمرؤوس ، والرجل ، والمراة ، كل ذلك كان يدا واحدة وقوة متحدة لتحطيم الاستعمار ، وقد تحمل الطلبة من اجل استقلال الجزائر ما لم يتحمله غيرهم في كثير من بلاد الله ، حقا كلما وجدنا انتفاضة الا ووجدنا وراءها العقل المفكر ، والشباب المتحمس ، والطالب المندفع المضحي . فالشباب في كل امة هو الفتيلة والوقود ، ومن منا ينكر تضحيات الطلبة الزيتونيين في تونس واضراباتهم ومظاهراتهم وتحديهم لقوى المستعمر وقوى الظلم ، ومن منا يتجاهل شجاعة الطلبة في ارض الرافدين وسهول العراق ايام عهد الطغيان البائد وهم يتلقون بصبر وقوة وصدور ابية رصاص الحاكمين ، نعم في ارض لبنان وغوطات دمشق ومرابع النيل ، وفي كل شبر من ارض العروبة سالت

الحياة الثقافية في الوطن العربي

في المغـــرب :

الاسرة مدرستنا الاولى : فى الرباط عاصمـــة المغرب الجميل عقد مؤتمر عالمي عولجت فيه مشاكـل الاسرة ومكانة الاسرة ورسالة العائلة نحـو الاجيال ، والحق ان ثقافة الشعوب ورقي الامم وسعادة الحياة متوقف قبـل كل شيء على العائلـــة والاسرة فهـي الاساس ، وهي الميـزان الـذي تقاس بـه درجـات التقدم فى مختلف اقطار الدنيا ولا يمكن لامة من الامم ، ولا لدولة من الدول ان تحقق تربية موجهة لابنائهـا أو تبني مستقبلا ثقافيا هادفا لشبابها اذا لم تتعـاون مع الاسرة ، اذ الاساس الاول والمحيط الذي تنمو فيـه براعـــم الطفولـــة وتتفتـــح على اشعتـــه ازهـــار الشباب هو الاسرة ولذلك يحق للعالم بل ويجب علـى كل المخلصين فى الدنيا ان تتكاتـف جهودهم وتتحـد مجهوداتهم لتهيئة هذا المحيط الذي تتأثـر بـه حياة ابنائنا ويتوقف عليه مستقبل عالمنا ...

وليفهم المسؤولون والحاكمـون والمسيـرون ان الرقي الحقيقي والازدهـار الصادق هو الـذي يبـدأ من القاعـدة وينبعث مـن الخلية الاولـى للمجتمـع الانساني ، ولا يخفى ان المجتمع فى حقيقته هو الاسرة مهما صغرت والاسرة هي الرجل والمرأة والذكر والانثى وكما لا يمكن أي نجاح فى مجهوداتنا التربوية مـا لـم نتعاون مع الاسرة ، كذلك لا يمكن للاسرة ان تفيد او يكون تعاونها مثمرا مع المدرسة الا اذا كـان ركناهـا سليمين متقاربين فى الوعـي ، فاهمين لمسؤوليتهما ، مدركين لمهمتهما وهما الاب والام .

اما اذا تركنا الام فى جهلها ولم نعمل على انقاذها من ظلمات الحياة فلا نامل من الاسرة شيئا الا فـي حدود ضيقة جدا ، ولا ادل على ذلك مثل واقعنا نحن فى الوطن العربي الذي لايعتبر فى الدرك الاسفل مـن التخلف ، وانما هو وسط وفيـه امكانيات الازدهـار والتقدم ما لا يملكـه الا القليل فى الدنيا ، ولكن رغـم كل الامكانيات ورغـم كـل الجهـود الرسمية وغيـر الرسمية التي تبذل فى سبيل تطوير مجتمعنا العربـي لم نزل فى مجال مربوط بمقاييس رقي اسرتنا العربية ، فلا الجامعات ، ولا المدارس ، ولا المعاهـد التربوية ولا الاقتباس من الحياة الغربية ، ما كل ذلك بمفيد وحده فى دفعنا الى الامام من غير ان تساهم فيـه الامومـة الواعية والاسرة المثقفة .. وعلم من تنشأ فى اهـوار العراق ، وكون من تنشأ فى صحراء نجد ، او باديـة الاردن ، أو واحات مصر ، أو جبال شمال افريقيـا ، فلن يغير ذلك شيئا من العقل والتفكير والمثل والدوافع والاستجابات لان المرأة فى جميع ذلك جاهلة لاتعرف من الحياة شيئا ، والاسرة فى كل ذلك تدور على تقاليـد مظلمة وعادات متوارثة تهدم كـل ما يبنيـه المدارس وتتعقب كل ما يتسرب من النور فى النفوس فتمحيـه فاذا بالشباب مثقف اليد واللسان ، جاهل الفكـــر والعقل بدوي التصرف والتفكير ، يحمل من الشهادات والاجازات ما يخضع للتقاليد والعادات ولا تعدو فـي سلوكه الاخلاقي وتطوره العقلي شيئا .

في بيـــروت :

عروبة الجزائر حقيقة ثابتة .. ولكن : يعقد فى بيروت مركز الاشعاع الثقافي العربي مؤتمر لاتحـــاد معلمي العرب ، وذلك من اجل دراسة شاملة وواقعية للتعليم فى الجزائر المستقلة ، ومسؤولية الدول العربية فى تعريبه ـ والحق ان الجزائر فى حاجة ملحة وضرورية فى ميدان التعليم ، حيث انها ورثت تركة مثقلـة بالويلات ، ولا يمكن الدولة الجزائرية ان تقوم بواجبها تجاه الشعب الجزائرى قياما تاما الا اذا وجـدت فى اخوانها واصدقائها وابناء عمومتها المساعدات الكاملة من الناحيتين المادية والادبية ، ولا نقصد بالمادية ما يتسارع اليه الذهن من المادة ذات الرنين ، ولكـــن نعني زيادة على ذلك ما يؤول الى المادة او يسد مـــا تسده المادة ، فانشاء المدارس واقامة دور المعلميـــن

أنباء ثقافية

* ستشهد المملكة المغربية فى اوائل سنة 1963 أهم مؤتمر عرفته القارة الافريقية فى حياتها الحرة ، ذلك هو مؤتمر المؤرخين الافارقة .

لقد اشتهر الافارقة على العموم باهمال الحديث عن تاريخهم القديم ، ولما حل الاستعمار ببلادهم حاولوا أن يكتب هذا التاريخ بروح بعيدة كل البعد عما ينبغي أن يكتب تاريخ قارة لها تراثها ولها حضارتها ولها كيانها . . .

وان هذا المؤتمر سيكون فرصة نادرة لان نقدم فيه كل دوله من الدول الافريقية التابعة لميثاق الدار البيضاء مذكرة عن تاريخ بلادها مكتوبة بايد افريقية وبروح بعيدة عن الفرض والتحيز مزوده بالافلام والصور والوثائق .

وسيكون المؤتمر فرصة مواتية ايضا لعلاج عدد نقاط تمس تاريخ افريقيا :

1) مصادر تاريخ افريقيا
2) المناطق التاريخية لافريقيا
3) تعليم التاريخ الافريقي
4) العوامل التى جعلت افريقيا تتعرض للغزو الاوربي
5) المصادر المجهولة عن تاريخ افريقيا

وبهذه المناسبة فاننا نهيب بالساده المؤرخين ان يسهموا فى هذا المؤتمر الذي سيكون شعارا لتصحيح كتابة تاريخ افريقيا وستترجم سائر البحوث العربية المركزة الى اللغتين الفرنسية والانجليزية ، كما ستنال البحوث المختارة تعويضات شرفية اكبارا لرجالها . .

فعلى السادة المعنيين ان يتصلوا بوزارة التربية الوطنية ، قسم الشؤون الثقافية الداخلية .

* عقد مؤخرا خبراء التعليم الوطني في دول ميثاق الدار البيضاء اجتماعا فى كوناكري ومن جملة القضايا التي تناولها الخبراء بالدرس والتنسيق برامج التعليم وانشاء تعادل فى الشهادات ، واشترك فى هذا الاجتماع مندبون عن المغرب وج.ع.م. ومالي والجزائر وغانا وغينيا .

* عقد مؤخرا فى الرباط المؤتمر الدولي للاسرة تحت الرئاسة الشرفية لصاحب الجلالة والرئاسة الفعلية للدكتور يوسف بن العباس وزير الصحة العمومية ، واشترك فى هذا المؤتمر الدولي ممثلون عن الصومال والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، والجمهورية العربية المتحدة ، وجمهورية الفيتنام ، واليمن ، والسودان ، وغينيا ، وغانا ومالي ، والاردن ، والهند والعراق ، ولبنان ، واندونيسيا والباكستان ، والصين الشعبية ، والعربية السعودية ، وسوريا ، والسنغال ، والمغرب ، كما اشترك فى اعمال المؤتمر ممثلون عن الاتحاد الدولي للمنظمة العائلية .

* اصدرت رئاسة الحكومة المغربية قرارا باصدار طابع بريدي يحمل صورة الملك المولى اسماعيل بمناسبة ذكرى مرور ثلاثة قرون على عهد ولايته .

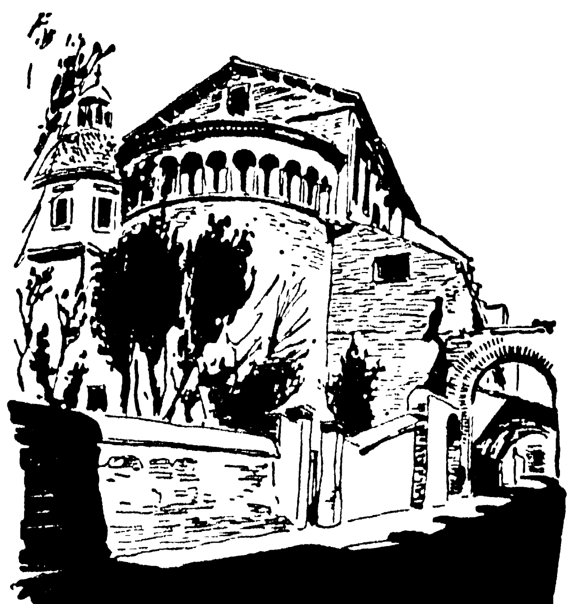
* اصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الموريطانية صحيفة بعنوان « الجنوب » للدفاع عن موريطانيا الجزء السليب من الوطن المغربي .

* زارت المغرب اخيرا وفود كشفية من جميع البلدان العربية اشتراكا منها فى المخيم العربي الخامس الذي اقيم بالرباط .

* ستصدر عن مكتب التأليف والترجمة والنشر التابع لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية مجموعة من الكتب النفيسة فى شتى الوان المعرفة .

دماء الشباب فداء الحرية العروبة ومهرا لوحدة العرب وما قصر شباب الجزائر بل ضرب المثل الاعلى الى جانب آبائه واخوانه حتى تحقق النصر السياسي ، ولكن رغم هذا النصر فهو يشعر بحاجة بلاده الى العقول المفكرة والعزائم المتحمسة والايادي العاملة ، وهو يعلم ان هذه الثورة لن تؤدي مهمتها الكاملة ولن تحقق رسالتها المنشودة الا بتوعية الجماهير والوقوف الى جانب الشعب يوضح له الاهداف ويبين له الغاية ويرسم له الطريق ويساعده على تخطي العقبات وانها لمهمة اعظم واكبر ، وانها لمسؤوليه يتحملها الجميع ولكن اغلب الحمل واثقل العبء يقع على الشباب الواعي المثقف الذي يجب عليه ان يستميت في الكفاح ويعمل بكل ما اوتي من قوة ليبني الجزائر الحرة بناء يتلاءم مع حاجيات الشعب ويستجيب لمتطلبات الحياة ويلبي نداء الضحايا الذين ماتوا في سبيل الجزائر التي يحلم بها كل فرد من افراد الامة : جزائر عربية مسلمة ، تعمل من اجل الوحدة وتقوم بواجبها كعضو فعال من اعضاء الامة العربية ، جزائر تتحقق فيها العدالة الاجتماعية، وتسودها الديمقراطية وتحقق من بؤسها وآلامها الاشتراكية ، تلك هي الجزائر التي يتمناها الشعب ومات من اجلها اكثر من مليون ، فهل تحققون ياشباب الجزائر ما يريده شعب الجزائر ، ويتمناه اخوان الجزائر .

الرباط : موساوي زروق



* عقد بتاريخ 27 يوليو الى 5 غشت فى طانجنيقا اول مؤتمر للنساء الافريقيات ، وحضر هذا المؤتمر حوالي 120 مندوبا ملاحظا يمثلون 40 دولة واهتم المؤتمر بدراسة دور المراة الافريقية فى بناء صرح الوطن .

* يعكف الدكتور طه حسين رغم اصابته بالشلل على تاليف كتاب فى ثلاثة اجزاء عن الثورة التي نشبت سنة 26 للهجرة . وقد فرغ الكاتب من كتابة الجزئين الاول والثاني وتمت فى نفس الوقت ترجمتهما الى الفرنسية وعنوان هذا الكتاب هو «المتعطشون للعدالة».

* « الحربة عند العرب » عنوان كتاب جديد للاستاد ابراهيم حداد يتضمن بطولات العرب وامجادهم عبر التاريخ .

* اصدر الدكتور لويس عوض كتابا جديدا بعنوان « دراسات فى النظم والمذاهب » ويشتمل على دراسة الفكر الاوروبي خلال القرن التاسع عشر .

* « الضفيرة السوداء » مجموعة قصص اصدرها القاص المصري المعروف عبد الحليم عبد الله .

* « ذكرياتى عن المسرح » هو آخر مؤلف للاستاد محمود تيمور .

* فى الاسبوع الماضى احتفلت الاسكندرية بمهرجان الشعر والزجل .

* ظهر فى المكتبات العربيه فى هذا الاسبوع الكتاب الجديد الذي الفه الاستاذ عباس محمود العقاد بعنوان « اشتات مجتمعات فى اللغة والادب » .

* اصدر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهره كتابا جديدا يحمل عنوان « نظرية الحرب فى الاسلام » .

* شرع الدكتور عبد الرزاق السنهوري بوضع مسودة للقانون المدني العربي الموحد الذي سيتقدم به الى الدول العربية ليكون اساسا للبحث فى توحيد القوانين المدنية النافذة المفعول فى الوقت الحاضر .

* أصدر الملحق الادبي لجريدة التايمز الانجليزية عددا خاصا عن الثقافة الفرنسية .

* « الابتسامة الغامضة » مجموعة قصصية جديدة لمحمد ابو المعاطي ابو النجا . صدرت مؤخرا .

* يصدر فى هذه الايام بالقاهرة كتاب « المراة فى شعر البحتري » للدكتور شكري عياد .

* كتب عبد الرحمن الشرقاوي مسرحية شعرية حول مأساة الحسن والحسين .

* اعد للنشر الدكتور محمود احمد الحفني كتابا عن « سيد درويش » .

* طلبت كلية الآداب بجامعة القاهرة تحويل قسم الآثار بها الى معهد مستقل للآثار لتخريج فئة من المتخصصين فى الآثار المصرية والعربية .

* فى شهر شتمبر من السنة القادمة سيقام احتفال كبير بذكرى محمد عبده .

* « الالياذه الاسلامية » ديوان الشاعر محمد ابراهيم . نظمه فى تسجيل الاحداث الاسلامية الكبرى

* ستظهر دراسة عن « حياة المؤرخين » لشفيق غربال وسليم حسن عن المجلس الاعلى للفنون بالقاهرة .

* « دراسات فى الرواية المصرية » للدكتور علي الراعى يصدر فى القاهره مؤخرا .

* يدرس وزاره البحث العلمي بالقاهرة دائرة معارف علمية .

* مسرحية صموبل بكيت « لعبة النهاية » قام بترجمتها الى العربية الاستاذ علاء الدين ، كما قامت فوزية مهرانا بترجمة روايته المسماة «فى انتظار جودو»

* نعت القاهرة الدكتور وهيب مسيحة .

* « نساء » عنوان الديوان الذي يصدر للشاعر السوري عمر ابو ريشة .

✻ سيصدر في بريطانيا قريبا مؤلف عن حياة جلالة الملك الحسن الثاني الذي الفه عنه الكاتب البريطاني « روم لاندو » الاستاذ في جامعة الباسيفيا في ولاية سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة . وقد سبق للكاتب المذكور ان الف عدة كتب عن جلالة الملك الراحل محمد الخامس وعن المغرب .

✻ بدعوة من وزارة التربية الوطنية المغربية زار المغرب مؤخرا فوج من الطلبة الجزائريين والتونسيين.

✻ تم اخيرا بناء مسجد جديد في الطريق الساحلية بحي عين السبع بالدار البيضاء .

✻ يصدر قريبا عن الشركة القومية للتوزيع والنشر بتونس كتاب (فوارة الظما) لمؤلفه السيدمحمد الصباغ في اكثر من 200 صفحة . وفي اخراج أنيق ويشتمل على مقطوعات جمالية ، وقد سبق للمؤلف ان اصدر هذه المؤلفات : (العبير الملتهب) (شجرة النار) (اللهات الجريح) (شلال الاسود) (انا والقمر) .

✻ يستعد الاستاذ ابو بكر اللمتوني والاساذ محمد عبد الواحد بناني لاعادة طبع كتابهما المدرسي « المطالعة الابتدائية » طبعة ثانية منقحة ومزيدة . ولا يسعنا الا ان نشكر المؤلفين على ما قاما به من خدمة للنشء المغربي . وقد لاقت الطبعة الاولى من هذا الكتاب استحسانا كبيرا من لدن وزارة التربية ، ومن الاوساط الثقافية والتربوية راجين لهما مزيدا من النشاط حتى يكملا سلسلتهما على أحسن وجه .

✻ أصدرت وزارة البريد والتلفون والتلغراف المغربية طابعا بريديا بمناسبة المخيم الكشفي العربي الخامس الذي عقد بالمغرب .

✻ يعتكف محمد جميل بيهم رئيس المجمع العلمي اللبناني سابقا في مصيفه بقرنابل لاعداد كتابه المقبل للطبع بعنوان : « **عالم الاحرار** الجديد في البلاد العربية والاسيوية والافريقية » الذي يستعرض اثر الصراع بين الكتلتين الغربية والشرقية في رفع قواعد العالم الجديد .

والجدير بالذكر ان الاستاذ بيهم قضى بضع سنين في تأليفه .

✻ « بقيت وحدي » ديوان يصدر للشاعر ابو بكر اللمتوني من طنجة ، نتمنى له الرواج والصدى البعيد .

✻ تقدم السيد سهيل العشي سفير الجمهورية العربية السورية بالمغرب للمكتب الدائم لمؤتمر التعريب باقتراح يتضمن 6 نقط لتنظيم ندوة لتنسيق المصطلحات العربية في الميدان الاداري وتوحيدها في العالم العربي وقد عرضت هذه النقط على اللجنة المركزية للمصطلحات الادارية في اجتماعها الاخير فوافقت عليها مبدئيا بعد دراستها ومناقشتها بكيفية تفصيلية .

✻ دعت اللجنة التأسيسية لاتحاد الناشرين العرب في القاهرة الى عقد مؤتمر عام يحضره الناشرون في مختلف انحاء الوطن العربي . وقد تقرر عقد هذا المؤتمر في شهر نوفمبر المقبل في مدينة تونس .

✻ اصدر الادب الليبي محمد عبد السلام رواية « الايدي الخشنة » .

✻ جريدة « الطالب التونسي » عادت الى الصدور بعد توقف دام مدة طويلة .

✻ في أول الشهر الماضي عقد مؤتمر للمنفيين في نيبال درست فيه عدة مشاكل ثقافية وادبية وعلمية ، ودام المؤتمر خمسة ايام .

✻ قررت جامعة الخرطوم الاستعانة ببعض الاساتذة والموظفين العراقيين لملء الشواغر الموجودة لديها في التعليم .

✻ سيؤسس في الخرطوم مجمع لغوي .

✻ لاول مرة تمنح جامعة الازهر الدكتوراه الفخرية في تاريخها احرز عليها رئيس وزراء نيجيريا الشمالية احميدو بللو .

* عن دار « الرائد » بحلب صدرت مجموعة شعرية بعنوان « ابنة الفصول » .

* ببغداد صدر حديثا كتاب « مآسي ومهازل للحقيقة والتاريخ » من تاليف الاستاذ اكرم نشأت ابراهيم .

* ستصدر « دائرة معارف الفكر الانساني » كتاب عن « التيارات الادبية فى العراق ـ الزهاوي الشاعر الفلق » .

* تالفت فى بغداد لجنة لتابين الشاعر الفقيد عبد القادر الناصري .

* صدرت فى بغداد مجموعة قصصية « غدا ياتي الربيع » .

* دراسات فى التخصص » عنوان الكتاب الذي اصدره محمد علي مشتملا على مجموعة من البحوث باقلام بعض السعوديين الذين تخصصوا فى الجامعات الاروبية .

* صدرت فى عدن مجموعة شعرية بعنوان « انات شعب » للشاعر محمد لقمان .

* يعكف العلامة الشيخ محمد عبد القادر على كتابة الجزء الثانى من كتابة « تاريخ الاحساء » .

* صدرت فى السعودية الكتب الآتية :
« ذكريات » لاحمد علي « ليالي » لاحمد بنوتة « حب المنقى » سعد ذو الفقار « قبلات الهوى » لمحمد اسماعيل جوهرى « مع طه حسين والشعراء » لمحمد علي السنوسي .

* « هجير وسعير » ديوان شعر صدر للشاعر احمد الخليفة من البحرين .

* اكتشفت فى بخارى احدى مخطوطات قصائد الشاعر جلال الدين الرومى التي تعود الى القرن الثالث عشر ، وهى تشتمل على ستة دفاتر من الاشعار المجموعة فى ديوان باللغة الفارسية .

* دخلت مجلة « الهند » التي تصدر فى مكة عامها الثامن والعشرين .

* توفى فى الكويت الدكتور صبحي محي الدين على اثر حادث سيارة ، وللفقيد عدة كتب آخرها « فولتير » .

* وافقت الحكومة الاردنية على ان تقدم الجامعة العربية بالتعاون مع منظمة اليونيسكو بتصوير المخطوطات الاثرية فى الاردن لعرضها مع الاخرى فى المعارض العالمية . وقد اوفدت الجامعة العربية لهذه الغاية بعثة من خبرائها مع فرقة للتصوير من منظمة اليونيسكو لهذه الغاية .

* عقد مؤخرا فى سناي مهرجان دولي خاص بتاريخ حضارة شعوب البلقان واشترك فى هذا المهرجان بالاضافة الى العلماء وكبار الشخصيات الثقافية فى دول البلقان ممثلون عن عشر دول اوربية واسيوية كما اشترك فى المهرجان مندوب المدير العام لمنظمة اليونيسكو

* عقد فى نيودلهي مؤخرا مؤتمر السلام حضره 126 من مفكري وادباء العالم .

* صدر اخيرا للكاتب الهندي كريشنا مورتي كتاب « التعليم ومعنى الحياة » .

* نعى بوغوسلافيا اديبها الكبير سالنسكي عن 92 سنة وقد ترك وراءه مؤلفات اهمها :
« شمس الاحرار » و « دمار الحياة » و « الصياد المتوحش » .

* عقد فيما بين 15 و22 من الشهر الماضي ندوة ثقافية دولية شارك فيها ازيد من خمسين دولة .

* احتفلت جامعة هالدلبرغ وهي اقدم جامعات المانيا بمرور 576 سنة على تأسيسها ، وقد تم انشاؤها عام 1386 .

* يقضي عطلة الصيف الدكتور طه حسين فى ايطاليا .

* اصدرت اليونيسكو اخيرا لجمهور الصحفيين فى العالم دليلا عن الامم المتحدة والمنظمات المتخصصة المرتبطة بها . ويستعرض الدليل تاريخ الامم المتحدة منذ الفترة السابقة على مؤتمر سان فرانسيسكو .

* « الوان الطين » عنوان الديوان الذي سيصدره الشاعر السوري المعروف عمر بهاء الاميري.

* تصدر الشاعرة السورية غادة سلهب اول مجموعة شعرية بعنوان « قلب وزهرتان » .

* اقيم فى دمشق اسبوع العالم الثالث برعاية الدكتور ناظم القدسي رئيس الجمهورية .

* فى سلسلة الادب الجزائري التي تصدر بدمشق صدرت رواية « ابن الفقير » للكاتب الجزائري مولود فرعون بترجمة جورج سالم .

* تطبع الآن روايتان لفقيد لبنان الاستاذ مارون عبود بعنوان «فارس اغاد» و « العجول المسمنة » .

* يعد الشاعر اللبناني رشيد سليم الخوري كتابا للنشر .

* « المبارزة » رواية تشيخوف قام بترجمتها الى العربية الاستاذ عوض شعبان .

* اعد الناقد جورج غريب كتابا عن الشاعر اللبناني الرمزى سعيد عقل بعنوان « الغزل الحضاري»

* صدر اخيرا كتاب « تائهة فى الشارع » وهي قصة جديدة كتبها الاستاذ حاتم الخوري .

* ظهرت مؤخرا فى المكتبات العربية رواية جديدة للدكتور سهيل ادريس بعنوان « الاصابع التي تحترق»

* صدر فى بيروت لامل مسكوني كتاب عنوانه « شعراء هازلون » .

* يصدر فى لبنان للفقير ابراهيم المنذر ديوان جديد يضم مختارات من شعره غير المنشور .

* تأسست فى صور بلبنان «جمعية الانماء الثقافي الاجتماعي » .

* اضافت الشاعرة اللبنانية ادفيك شيبوب الى دواوينها ديوانا جديدا يحمل اسم « شوق » .

* اصدرت مجلة « الحكمة » البيروتية عددا خاصا عن فقيد الادب مارون عبود .

* يشتغل رئيس الجامعة اللبنانية الاستاذ فؤاد افرام البستاني فى كتابة دراسة مطولة عن الاستشراق واثره فى الثقافة العربية .

* صدرت فى بيروت مجموعة قصصية لايلي عزيز بعنوان « غرفة على السطح » .

* « موت الآخرين » مجموعة شعرية لرياض نجيب الريس مع دراسة لجبرا ابراهيم جبرا صدرت حديثا فى بيروت .

* « افاعي الفردوس » للمرحوم الياس ابو شبكة اعيد طبعه مرة ثالثة فى لبنان .

* صدرت فى لبنان طبعات جديده لكتب فؤاد سليمان وهي : « تموزيات » « درب القمر » « صباح الخير » « اصوات لبنانية » .

* يعد الاستاذ جوزيف باسيلا كتابا للطبع بعنوان « اموات واحياء » يتناول بالنقد بعض الادباء الاحياء والاموات .

* تدرس وزاره المعارف مشروع ارسال مطبوعات الكتاب والمؤلفين العراقيين الى مكتبة جامعة هلسنكي بفلندة .

* ستصدر « دائرة معارف الفكر الانساني » فى ثلاثة اجزاء فى موضوعات الفنون والآداب والمذاهب الفلسفية والفكر الاقتصادي . والاجتماعي ، والسياسي والقانوني ، والديني .

* « الاسلام فى عهد الثورة » عنوان الكتاب الذي سيصدره الشيخ عبد الجبار الاعظمي ، وهو من مطبوعات مجلة الثقافة الاسلامية يتضمن ابحاثا ومواضيع اسلامية .

مصطلحـــات جديـــدة

دعوت فى خطاب استقبالي بالمجمع اللغوي الزملاء الممثلين للبــلاد العربية ان يقوموا بتعريف من يمثلونهم بكل ما يجد فى الحقل اللغوي مــن اوضاع ومصطلحات وان يعملوا على نشر مقررات المجمع بين مواطنيهم ليلا يبقى عمل المجمع مجهولا حبرا على ورق .

واني اداء لواجبي فى هذا الصدد انشــر لوائح المصطلحات واهــم المقررات التي تفيد النخبة المثقفة فى بــلادي وذلك على دفعات آملا ان تلقى لديهم الاهتمام الذي يجعلهم ينظرون اليها بعين الفحص والاختبار .

عبد الله كنون

مصطلحات فى علم الطب الشرعي Legal medicine
للعـــرض على المؤتمـــر

1 ــ صنعة الصفة التشريحية Autopsy technic.

2 ــ الحشيس Cannabis indica (Hashish).

وهو القمم الزهرية لانثى نبات القنب .

3 ــ التشخيص التمييزي ــ التشخيص الفارز

Differential diagnosis.

4 ــ غازات الاستصباح ــ غازات الانارة

Gases, illuminating.

« وتتكون من تقطيــر الفحم الحجري » .

5 ــ الغازات الطبيعيــة Gases, natural.

« وهي الموجودة فى الطبيعــة » .

6 ــ الجازوليــن Gasoline.

احد مستقطرات البترول « النفط » وهــو ما يسمى عادة بالبنزيــن .

7 ــ الياسميــن الاصفــر

Gelsemium : Yellow Jasmine.

نبات امريكي متسلق اسمه العلمي

(Carolina Jasmine)

8 ــ اعضــاء التناســل Genitalia.

9 ــ اصابــة الاعضاء التناسليــة Genital trauma.

10 ــ التقيح التناسلي البولــي

Genito — urinary sepsis.

11 ــ اختبار « جتلر » « وفرايش » للكحول الاثيلي فى الدم والسائل النخاعي .

Gettler & Freireich ethyl alcohol test for blood and spinal fluid.

12 ــ اختبار جتلر وتيبر للكحول الايثيلي فى الاعضاء

Gettler & Tiber ethyl alcohol test for organs.

13 ــ صبغــة « جيمســا » للــدم

Giemsa's blood stain.

14 ــ مســخ جيــلا

Gilla monster : (Heloder mahorridum).

عظاءة سامــة فى المكسيــك .

15 ــ الخلاصــات الغــدبــة Glandulac extracts.

16 ــ الجلوكوسيــد Glucoside.

مركب يحتوي على الجلوكوز ، يوجد طبيعيــا فى فى كثير من النباتــات .

17 ــ الجليكوسيــد Glycoside.

« مركب يحتوي على السكــر »

18 ــ علامة « جوديــل » للحمــل

Goodell's sign of pregnancy.

وهي رخاوة عنق الرحم (فاذا كان العنق رخــوا كالشفة فالمرأة حامل ، وان كان صلبا كالانــف فهي غيــر حامــل) . جــودل جراح امريكــي . Grinding force

1 ــ القــوة الطاحنــة Groin.

20 ــ المـغـبــن Agglutinogens.

* « ادنا آوبريان » الكاتبة الايرلندية الشابة التي اثارت ضجة كبرى فى العام الماضي بروايتها الجنسية « فتيات الريف » أثارت ضجة اخرى منذ اسابيع بروايتها الجديدة « الفتاة الوحيدة » التي وصفت الفتاة الاروبية وشاعرتها العاطفية الخفية .

* عقد اجتماع فى قصر اليونيسكو ضم خبراء ثماني دول ، وقد تم الاتفاق خلاله على تبني نظام للقواعد الدولية الخاصة بالاشارات ، والرموز والالوان التي ينبغي استخدامها فى المصورات التي توضع عن طبقات الارض المائية .

* توفى مؤخرا فى فلوريدا بالولايات المتحدة مراد ابو ماضي شقيق الشاعر المهجري الكبير ايليا ابو ماضي .

* اصدر الكاتب الانجليزي والروائي الشهير جون مور كتابا بعنوان : « ايتها الكلمات الانجليزية » .

* اقيم فى سان باولو حفل تذكاري للفقيد الشاعر عقل الجر بمناسبة نقل جثمانه الى لبنان

* المسلمون السود فى امريكا » كتاب جديد صدر اخيرا لمؤلفه الكاتب الزنجي الامريكي ايريك ليكولن .

* افتتحت جامعة ستانفورد فى كاليفورنيا مركز للدراسات اليابانية فى طوكيو ، وهذا المركز هو الرابع من نوعه الذي تحدثه هذه الجامعة . اما المراكز الثلاثة الاخرى فتوجد فى المانيا . وفرنسا ، وايطاليا .

* فى الايام الاخيرة تجمع ما يزيد على خمسة آلاف من المسلمين السود فى مدينة بوسطن بامريكا تلبية للنداء الذي وجهه امام هذه المدينة . والمقصود من هذا الاجتماع هو العمل على حماية احد المسلمين السود من المعاملات القاسية التي تعرض لها من طرف رجال الشرطة .



فهرس العدد العاشر ـ السنة الخامسة

« وهو المنطقـة الاربيـة »

21 ـ ازبنـات (م. لزبـن) Guaiacol.

« وهي المواد المنوعة لفئات الـدم »

22 ـ جوابـاكـول Guaiacum test for blood.

23 ـ اختبـار الجواياكم للدم Gunpowder.

24 ـ البـارود Hair trunk (hair shaft).

25 ـ جـذع الشعـرة

26 ـ الشنــق Hanging.

27 ـ توارث جنيـس Homozygous inheritance.

وهو الذي تتجانس فيه الورثتان من الاب والام

28ـ هيدانتويـن Hydantoin.

« عفـار » .

29ـــ الارتجـاح الايدروليكـي Hydraulic concussion.

وينشأ عن ازدياد مفاجيء في ضغط الماء نتيجـة انفجار قنبلة بحرية ، فتصاب البطن وتتمزق الامعـاء .

30 ـ الحرض الحبنـي Hydropic degeneration.

31 ـ اختبـار نعويم الرئة Hydrostatic test on lungs

ويجري بوضـع رئة الوليد في الماء لاثبات التنفس

32 ـ البكـارة Hymen.

« وهي ننية غشائية تقفل المهبل الخارجيـة جزئيـا او كليـا .

33 ـ عقـدة Knot.

34 ـ مسـخ Monster.

وهـو الحميـل المشـوه .

35 ـ آخيـة (خيـة) Noose.

36 ـالزرقـة الـرميـة

Sagillations = Hypostosis.

37 ـ الاختلافات الجنسيـة Sex Variations.

38 ـ التقطيـر بالبخـار Steam distillation.

ويجري للكشف عن السموم الطيـارة .

39 ـ بنيــان Structure.

وهو تكوين الشيء من أجزائـه .

صفحة

شؤون افريقية :

معرض الكتب :

قصة العدد :